الهلال

يوليو
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشاً

● ثورة يوليو.. ومائة عام من الجهاد

● الزار.. وهل يعالج الأمراض؟





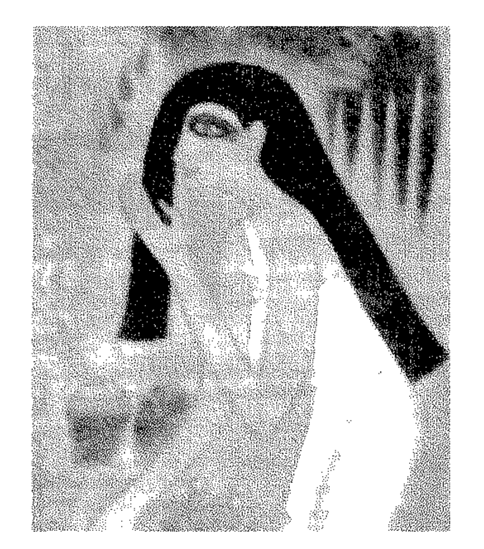
من روائع الفن الإسلامي

● لوحة على نسيج من القماش ، تقدم نغما من الألوان والأشكال . تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، وموجودة بمتحف أوبسرشت فى هولندا ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - أول يوليو سنة ١٩٨٦ - ٢٥ شوال سنة ١٤٠٦



قصة الزار .. كيف بدأ ؟
وهل يعالج الأمراض ص ٥٦
بريشة الفنان : حلمي التوني



● فكر وثقافة ●

● شعر وقصة ●

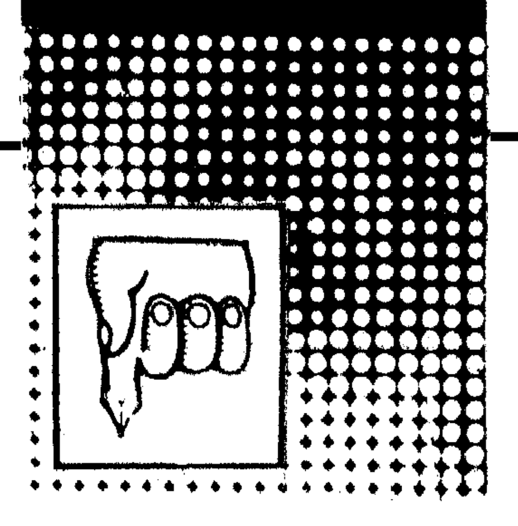
● شخصية العدد ●

● دراسة العدد ●

● رسائل من الخارج ●

● خارج القاهرة ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

هل هي نهاية الشعر العربي

الشعر هو أكثر ما يحمله إلينا البريد من رسائل أصدقائنا القراء ، وأكثر هذا الشعر من اللون التفعيلي ، واقله من الموزون المقفى ، ولانتحدث هنا عن طبقة هذا الشعر او مستواه الفنى ، ونقتصر على الحديث عن شيء واحد فيه هو الأوزان ..

فإن عددا غير قليل ممن ينظمون الشعر التفعيلي لايعرفون مايلزمهم معرفته من الأوزان ، ولهذا يكتبون نثرا ويتصورون انه شعر تفعيلى صحيح التوزين ، خال تماما من التكسير ..

كذلك ناظمو الشعر المتكامل البحور ، فإن عددا منهم يخطئون فى الأوزان ، وبعضهم يخلط أعاريض البحور بعضها ببعض ، وقد لاتكون الأعاريض عندهم الا سطورا متساوية ! ..

فالتفعيليون والعموديون الشبان معا ، لايعرفون الآن الشيء الجوهرى اللازم للشعر العربى ، وهو الوزن ، وهذا مصداق لما توقعه النقاد منذ أكثر من ثلاثين سنة عندما نجحت الدعوة الى تحطيم أوزان الشعر العربى تحت دعاوى عريضة أثبت الزمان بطلانها ، فسار يومئذ وراء هذه الدعوة شعراء شبان كانوا فى

الأصل شعراء عموديين لهم شعر متكامل الأوزان سبق ان نظموه قبل انضمامهم الى دعوة تحطيم الأوزان ونظم الشعر التفعيلى .. ولهذا استطاعوا أن ينظموا شعرا تفعيليا صحيح الوزن ، لأنهم كانوا يعرفون أصول الأوزان وهى البحور الستة عشر المعروفة منذ أيام الخليل بن أحمد ..

وهؤلاء الشعراء إنما عرفوا الأوزان باطلاعهم على الشعر العربى قديمه وحديثه ، ودراستهم له ، ونسجهم منواله فى بداية نشأتهم الشعرية كما جرت عادة جميع الشعراء ، فقام نظمهم على أسس من التراث الشعرى العربى الذى لايتأتى لمن يجهله ان يكتب شعرا جديدا ، تفعيليا أو موزونا مقفى ! ..

والآن .. بعد آكثر من ثلاثين سنة على ظهور الشعر التفعيلى الجديد فى مصر ، لم يعد الشعراء التفعيليون الأوائل شبانا ، بل اشتعلت رءوسهم شيبا ، وتضاءلت قدرتهم على التأثير فى الشعر . وبعضهم توفاه الله الى رحمته ، وخلف من بعد هؤلاء خلفا ضاعوا الشعر التفعيلى الموزون ، لأنهم قطعوا صلتهم بشعر التراث حتى ما كان منه معاصرا كشعر شوقي ومطران وعلى محمود طه وأمثالهم .. واقتفوا بتقليد الشعر التفعيلى كما نظمه رواده الأوائل قبل ثلاثة عقود .. أى انهم دخلوا الى الشعر من باب التفعيلة ، دون المرور ببحور الشعر ، مع ان التفعيلة هى مجرد "مازورة" واحدة من لحن كامل ، ولاتتم معرفتهم بهذا اللحن إلا بفهمه واستيعابه كله ، واما اللحن الكامل فى الشعر العربى هو البيت ، أو البحر ذو التفعيلات .. وهذا مالايعرفه الجيل الجديد من شعراء التفعيلة ولايحاولون معرفته ..

والشاب الصغير الذى تدعوه موهبته الى نظم الشعر وهو لايعرف البحور ، يضل الطريق الى التفعيلة ، لأنها غير قائمة بذاتها ولاسبيل الى النظم بها إلا بعد معرفة صحيحة تامة لموقعها فى بحرها ، وتوزينها وموسيقاها فى هذا الموقع ..

فإذا نظم أحدهم فى بحر المتقارب ـ مثلا ـ لم يستطع انتزاع تفعيلة منه إلا اذا عرف وضعها بين تفعيلات

مصراعيه .. وقديما نظم الشاعر العالم صفى الدين الحلى أوزان الشعر العربى ، فقال عن بحر المتقارب :

عن المتقارب قال الخليل
فعولنُ .. فعولنُ .. فعولنُ .. فعول

وقد يجهل الشاعر الشاب فى أيامنا هذه مصراعى البيت معا ، فلا يعرف "فعولن .. فعولن" .. فى المصراع الثانى ، ولا المقدمة الظريفة لصفى الدين الحلى فى المصراع الأول ، ويستمر مع ذلك فى نظم الشعر !

كذلك بحر الرجز الذى أطبق على النظم به فى أيامنا هذه معظم شعراء التفعيلة ، فإن من يجهل هذا البحر كله ، لايستطيع أن يجتزىء منه تفعيله ينظم بها شعره ، فمعرفة التفعيلة فرع من معرفة البحر الذى هو الأصل ، ولاقيام للفرع مع سقوط الأصل ..

المؤسف فى كل هذا أن شعراء التفعيلة الشبان الآن باتوا يجهلون الأوزان التفعيلية التى كان يعرفها اسلافهم فى الخمسينيات والستينيات ، فهؤلاء "الأسلاف" كانوا على علم بالبحور ـ كما تقدم قولنا بذلك ـ أما الاخلاف فمقطوعو الصلة بالشعر العربى .. يبدءون حياتهم فى الشعر بتقليد التفعيليين الأوائل ، مع أن هؤلاء الأسلاف الفضلاء إنما بدءوا شعرهم بتقليد شعر التراث القديم والمعاصر ، فعرفوا البحور ، ومن ثم عرفوا التفعيلة ، فى حين جهلها الشبان الجدد ـ أو غالبيتهم ـ جهلا مطبقا لأنهم بدءوا بتقليد الشعر التفعيلى ، فقفزوا فى الفراغ ، ولم يقم تقليدهم على اساس حقيقى ، وانهارت فوق رءوسهم ورءوسنا عمائرهم التفعيلية ، لأن تفعيلاتها غير سليمة ، كأنها عمارات الاسكان الشعبى وغير الشعبى فى هذه الأيام ..

وكلامنا عن شعراء التفعيلة يجرنا الى الكلام عن شعراء الأوزان والقوافى ، ففى أيامنا هذه يقل جدا عدد هؤلاء الشعراء

الذين يلتزمون قافية ووزنا .. والمجيدون منهم يعدون على اصابع اليد ، ومايصل الينا من رسائل الشعراء الجدد الملتزمين بالاوزان المتكاملة . يدل على ان معرفة اكثرهم بالأوزان مهتزة ضعيفة ، كأنما أصابتهم العدوى من زملائهم التفعيليين .

ومعنى ذلك أن الشعر العربى قد وقع بين نارين من الجهل بالأوزان : نار التفعيليين ، ونار العموديين .. فقد استوى الماء والخشبة ـ كما قال ـ وصار العموديون والتفعيليون الشبان سواء في تحطيم الأوزان او إلغائها تماما .

والشعر ـ كما يقول العربى من قديم ـ هو قلب اللغة العربية ، فإذا مات الشعر كان ايذانا بموت هذه اللغة العظيمة !..

وكيف تبقى الامة العربية اذا ماتت لغتها القومية ؟!

لقد خدمت اللغة العربية مجتمعات مختلفة متعاقبة في اقطار شاسعة تمتد من الأندلس الي الهند ، فهل آن لهذه اللغة الشريفة ان تنسحب من الحياة ؟! ..

قديما قال ابن خلدون إن أول ما يسقط عند سقوط العمران هو فن الغناء ..

فماذا يقال الآن ، وقد سقط فن الغناء ، وسقط فن الشعر العربي ، وصارت اللغة العربية غريبة حتى عند بعض المتخصصين فيها ؟! ..

والعجيب أن الغناء العربى والشعر العربى ، يسقطان واحدا اثر الآخر ، فى عهد صعود القومية العربية !!

ولكن هل نفيق من سكرتنا لكى نرى أن صعود القومية العربية هو الآن قضية معروضة على التاريخ الحديث ، وقد بات مشكوكا في مصيرها ؟!

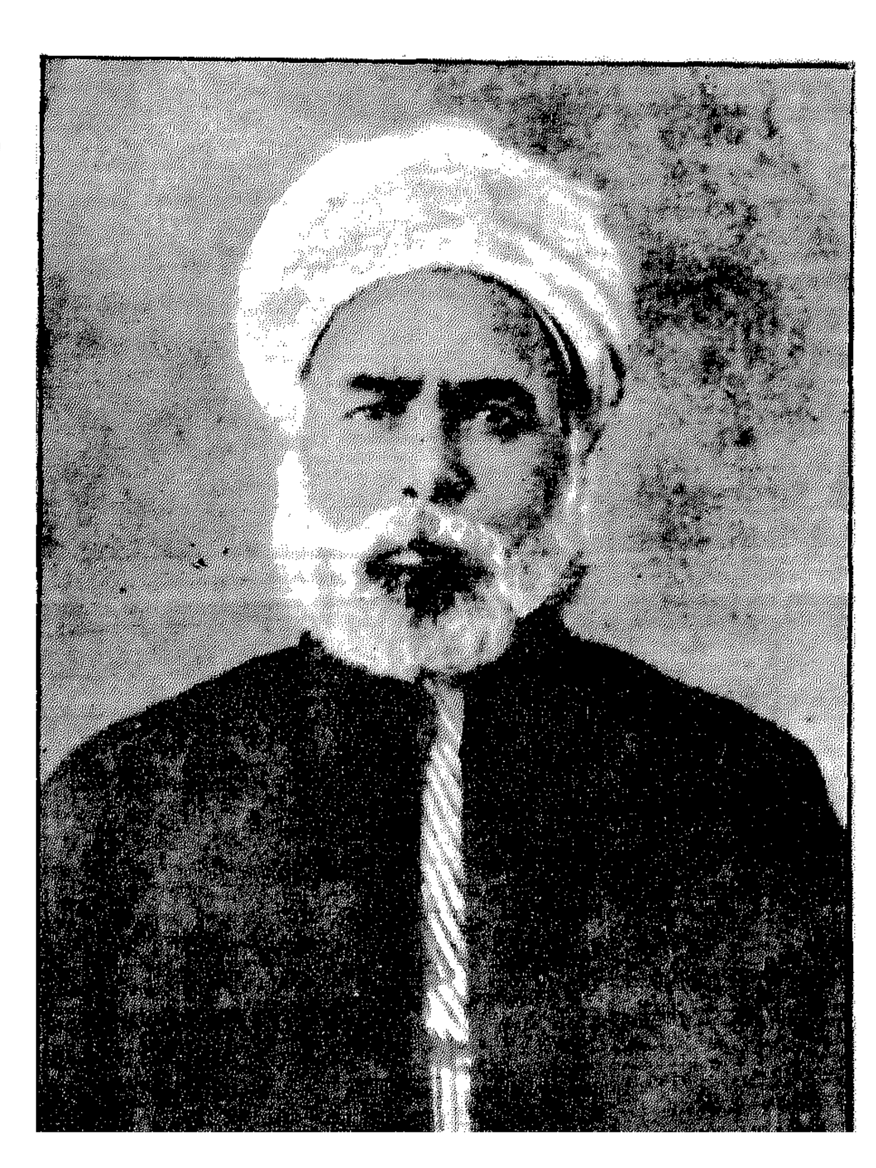
إذا نظرنا إلى أمورنا هذه المتشابكة نظرة غير خيالية ، فسنرى ان "فعولن مفاعيلن" وبقية التفعيلات ، هى الاشارات الصارخة الدالة على سوء الحال والمآل !

المحرر

• التيارات الفكرية في مصر في القرن العشرين •

حركة التجديد الإسلامي

بقلم: حسين أحمد أمين



الشيخ محمد عبده

فتح العرب مصر عام ٦٤١ م فانفصمت بفتحهم غرى صلاتها بالامبراطورية البيزنطية ، واضحت جزءا من دار الاسلام غير أن تحول المصريين الى مسلمين يتكلمون العربية كان من البطء بحيث نجد الرحالة الجغرافى المقدسى البشارى يتحدث عنهم بعد اكثر من ثلاثة قرون باعتبار ان غالبيتهم من القبط . أما انتشار اللغة العربية بينهم فكان على نطاق أوسع نسبيا من انتشار الاسلام ، إذ كان الالمام بها شرطا للالتحاق بوظائف الدواوين منذ عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان . وبوسعنا ان نعزو بطء انتشار الاسلام إلى ان مصر لم تكن كالشام والعراق مقرا للخلافة ، وإنما كان يحكمها ولاة من قبل الخلفاء ، وكان هؤلاء الولاة احرص على استمالة القبط وضمان ولائهم منهم على نشر الدين .

واهمّ من ذلك أنه منذ عام ٨٦٨ م ، حين استقل الوالى التركى أحمد بن طولون بمصر عن الخلافة العباسية ، تتابعت فيها سلسلة من حكام الأسر المستقلة عن سائر العالم الاسلامى (الطولونية فالاخشيدية فالفاطمية) ، كما احتفظ الأيوبيون المماليك باستقلالهم مع اعترافهم بالهيمنة الاسمية للخليفة العباسى . وقد كان استقلال هؤلاء الولاة يحتّم عليهم الحرص على رضا الرعية وتجنّب الاصطدام بعقيدتهم ، لاعتمادهم على أفرادها اعتمادا كليا فى تزويد خزانة الدولة بالمال ، وجيشها بالرجال . ولذا شهدت مصر فى عهد هذه الأسر مالم يشهده أى قطر إسلامى آخر من كثرة تولّى النصارى واليهود فيها أرفع المناصب الحكومية . كما ادّى هذا الوضع إلى عزلة المصريين نسبيا عن مختلف التيارات الدينية والتطورات السياسية التى شهدها سائر العالم الاسلامى ، خاصة حين بات المذهب الشيعى مذهبا رسميا للدولة خلال حكم الفاطميين ، وهو الحكم الذى دام قرابة قرنين ، وجلب للدولة عداوة ضارية من جيرانها .

فلا غرو إذن ان تصبح لثقافة مصر .

حتى بعد أن أضحى المسلمون غالبية سكانها ، ذاتية خاصة بها ، مميزة لها ، وأن يجرى تطورها على نسق لاتشترك معها فيه دولة إسلامية اخرى ، وأن يسير تاريخها على نمط يختلف اختلافا بيّنا عن نمط تاريخ العراق مثلا أو تاريخ المغرب .

حركة التجديد الإسلامي

وقد زاد من انفراد مصر بذاتيتها أنها لم تتلق ماتلقته الأقطار الأخرى من ضربات قاصمة ، كالتى حلّت بالمغرب على أيدى القبائل البدوية ، وبأسبانيا على أيدى المسيحيين ، وبالعراق والشام على أيدى المغول .

● ارتباط بالدولة الإسلامية ●

غير أنه لامفر من الاقرار بأن الحكم العثمانى لمصر قد أضعف الى حدّ ما من هذه الذاتية ، وزاد من ارتباط مصر بالدولة الاسلامية وبمصيرها والتقلبات الطارئة عليها . لكن هذا لايعنى نمو الطابع الدينى الاسلامى لها . فقد بقيت العامة على نحو وصف ابن خلدون لها : " المصريون يتصرّفون وكأنما قد فرغوا من يوم الحساب !" . وقد انتشرت بين جموعها صنوف الانحلال الخلقى والدعارة والاستخفاف بتعاليم الاسلام ، فى حين أبدت العامة همة عظيمة تفوق همة أي شعب مسلم آخر من أجل إعادة تفسير المظاهر الوثنية لديأناتها القديمة ، من فرعونية وقبطيه ، تفسيرا إسلاميا ، وهى المظاهر التى أرادت الابقاء عليها والاحتفاظ بها . وإذ ظل المشايخ والفقهاء يكفّرون اختراع الطباعة طوال الحكم العثمانى لمصر باعتباره بدعة ، فقد ظل النّهل من التراث الفكرى الاسلامى مقصورا على فئة محدودة للغاية من بين أبناء المجتمع الأمى .

وعلى ذلك يمكن القول بأن المعالم المميزة مصر العثمانية كانت كالتالى : نموّ الاحساس بالارتباط بدولة إسلامية كبرى ، مع ضعف مقابل فى الاحساس بالمصرية ، وخلو الأذهان من أية فكرة تتعلق بقومية أو هوية عربية ، وإلمام جد ضعيف بالتراث الفكرى الاسلامى ، وجهل مطبق بأحوال الفرنجة ، مع وجود أقلية من الأقباط فى عزلة سياسية (شبه تامة عن مجريات الأمور ، وعزلة اجتماعية عن الغالبية من المصريين المسلمين) .

● القرن التاسع عشر هــوة فــى التعليــم ●

مع الحملة الفرنسيه فحكم محمد على دخل الحياة المصرية عنصر جديد هو التغريب ، تبعه صراع بين النظم الوافدة والمستحدثه وبين التقاليد الراسخة ، لا بين تلك النظم وبين العقيدة الدينية .

وقد زاد من حدّة المشكلة تبنّى محمد علي لنظامين متباينين للتعليم : نظام تقليدى قديم ترك على حاله دون إصلاح ، يبدأ بالكُتاب فى القرية وينتهى بالأزهر فى القاهرة ، ونظام جديد له مدارسه التى تؤهل متخرجيها لتولى المناصب المرموقة فى الدولة ، والتى أنشئت ووضعت مناهجها على غرار معاهد العلم الأوروبية ، فكانت لا تولى الدين وعلومه العنايه الواجبة . وهنا بدأت تظهر فى مصر تلك الهوّة الهائلة بين التعليم الدينى والتعليم المدنى ، وذلك الاختلاف الواضح بين المشايخ وسواد الناس . (سواء فى الزىّ أو نمط المعيشة أو العادات الاجتماعية أو أوجه التسليه أو حتى لغه الحديث) ، وبدأت المدارس الجديدة تُخرج جيلا بعد جيل ممن قد فرّغوا تفريغا من كل مايصلهم بماضيهم ودينهم وتقاليدهم ، وقد فقدوا كل اهتمام حقيقى



عميق بالدين ، فإن اقبلوا عليه كان إقبالهم راجعا فى المقام الأول إما إلى اسباب شخصية ، او إلى بيئة يغلب التدين عليها ، لا إلى طبيعة تعليمهم . وزاد الطين بلّة ذلك الضعف المتفاقم فى لغتهم العربية التى ضعف اهتمام المدارس بها ، فانقطعت الصلة - او كادت - بينهم وبين تراثهم الفكرى .

وبإقبال الخديو اسماعيل على اقتباس مظاهر المدنية الأوربية ، ثم الاحتلال البريطانى لمصر ، وازدياد الاحتكاك بالأوربيين فى قارتهم ذاتها ، عرف المصريون ضروبا جديدة من التوتر ، واضطربت النفوس وتحيّرت ، وظهرت فى البناء الاجتماعى القديم شقوق سرعان ماانبرى المفكرون يُسدون النصائح المتباينة بصددها . فمنهم من رأى الاطاحة بالبناء القديم بأسره والشروع فى إقامة اخر مكانه ، ومنهم من ا... بالاستعانة باحجار جديدة لسدّ الشقو... فى الجدران القديمة ، ومنهم من تساءل عن إمكان إقامة البناء الجديد على الأساس القديم . غير انهم جميعا كانوا مع اختلاف وجهات نظرهم ، متفقين على حقائق ثلاث : أن الأوضاع فى مصر قد تدهورت ، وان كيانها بأسره فى خطر ، وأنه قد بات من المحتم الاسراع بإيجاد حل

● فجر العلمانية ●

فاما تلك الثلة من متخرجى المدارس الجديدة ، فقد رات الحل فى المزيد من التعريب واقتباس النظم الأوربية . وقد رحب القبط ...بيا عظيما بهذا الاتجاه . وببزوغ فجر علمانية راوا فيها بصيصا من الأمل فى تحسن اوضاعهم ، وبظهور بوادر " مصرية " كانت ضعيفة فى البداية ثم اخذ عودها يشتدّ نتيجة نزوع محمد على الى الانفصال عن الدولة العثمانية ، ووهن الصلة بين مصر والآستانة حتى فى عهد خلفائه . وقد كان الشيخ رفاعه الطهطاوى حامل لواء هذا الاتجاه ، وهو اتجاه تغريبى ومصرى وطنى فى آن واحد . فمن بين مااقتبسه الطهطاوى من الأفكار الاوربية ، فكرة الوطنية الأقليمية المباينة فى طبيعتها لمبدا الولاء لأمة إسلامية أكثر شمولا . وكان الشقّ الثانى من دعوته هو بيان عدم تناقض روح الشريعة الاسلامية مع القوانين العلمانية الأوربية ، والقول بأن كل ماهو تقدميّ مفيد من الانظمة الأوربية سنجد له صدى وجذورا فى الديانة الاسلامية لو آننا دققنا النظر ، وامعناً فى البحث . وبالتالى فإنه لاينبغى ان تكون هذه الديانة عائقا عند البعض يحول دون تبنى هذه الأنظمة .

وسواء كان بوسع الطهطاوى أم لم يكن بوسعه التنبؤ بالآثار البعيدة لشقى رسالته . فقد أدى تبنى أرائه فيما بعد على نطاق واسع الى مزيج من الحيرة والاضطراب والتناقض . فقد يكون حب الوطن من الايمان ، غير أنه لابد معه من مساواة بين ابنائه مع اختلاف عقائدهم الدينية . ولابد من اشتراكهم جميعا فى الدفاع عنه ، وبالتالى لامفر من ان



حركة التجديد الإسلامي

تستبدل بفكرة الجهاد فى سبيل نصرة الاسلام ، (وغالبا ماسيكون الجهاد ضد محتلين من النصارى الأوربيين) ، فكرة الجهاد دفاعا عن الوطن ، وطن المسلمين والنصارى معا ، وكان لابد إزاء هذا من شيوع النظرة العلمانية التى تفصل بين الدين والدولة .

وقد عرقل من انتشار هذه المفاهيم الجديدة بعض الوقت تفاقم نفوذ الدول الأوربية فى مصر ، ثم احتلال البريطانيين لها ، فقد ظهرت مقاومة لهما استخدمت الدين سلاحا ، مقاومة باركتها وشجعتها حكومة الأستانة العاجزة عن الحيلولة دون تحقيق الدول الأوربية لمآربها . وكانت وسيلة هذه المقاومة تأكيد الطابع الاسلامى للدولة العثمانية ثم دعوة السلطان العثمانى الى تنصيب نفسه خليفة للمسلمين كافة سواء كانوا من رعاياه أو من رعايا الدول الاستعمارية ، وقد لقيت هذه الدعوة إلى الجامعة الاسلامية تأييد جيل أو جيلين من المسلمين فى مصر . أما الأقباط الذين كان التأثير الثقافى الأوربى فيهم أقوى من تأثيره فى المسلمين ، فقد تفاوت ردّ الفعل لديهم تجاه هذه التيار مابين الخشية والنفور وعدم الاكتراث . ذلك أن استعانة سلطات الاحتلال البريطانى بهم فى الوظائف العامة على نطاق أوسع من ذى قبل ، وضغط هذه السلطات من أجل تحقيق المساواة بينهم وبين المسلمين ، أدّيا إلى ان اصبح تعاطف الغالبية من القبط مع أوربا المسيحية ، أشد من تعاطفها مع الشرق المسلم .

تبنّى جمال الدين الأفغانى وعدد من تلاميذه فى مصر فكرة الجامعة الاسلامية . وبتأثير من افكار الأفغانى تردد الشيخ محمد عبده فى قبول الشق الأول من دعوة الطهطاوى الخاص بالوطنية المصرية إذ ارتآه سينتقص حتما من الولاء الدينى للأمة الاسلامية . اما الشق الثانى من الدعوة فقد أصبح محمد عبده أبرز الدعاة له دون منازع . فعن التساؤل عما إذا كان من شأن الأخذ بأساليب الحضارة الأوربية ضياع الهوية والتقاليد والعقيدة الدينية ، أجاب فى ثقة بالنفى ، وبأنه ليس ثمة تناقض بين الاسلام الحق وبين الكثير من مظاهر تلك الحضارة ، وأنه لابد من اجل تقدمُ الأمة من التوفيق بين هذا الدين الذى يمثّل السبيل الأمثل فى الحياة ، وبين اساليب الغرب التى لايثبت تعارضها مع احكام الاسلام .

وإلى جانب تيار التغريب ، وحركة الجامعة الاسلامية ، والدعوة الى الوطنية المصرية ، ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر تيار رابع ، بدأت الدعوة اليه واهنة مترددة بعض الوقت ، ثم نمت وغلظ عودها فى القرن التالى . فقد لاحظ رعايا الدولة العثمانية ، خاصة من المسيحيين العرب الكارهين لها والرازحين تحت نير حكومتها ، أن البلغار واليونانيين والصرب والارمن قد شرعوا ، من اجل نيل



استقلالهم عن الدولة ، فى تأكيد اهمية العنصر العرقى . وسرعان ما طلع بين ظهرانى العرب من الدعاة من انبرى هو الآخر للتركيز على اهمية العرق واللغة والقومية العربية ، ويلمح الى ضرورة فصم عُرى رابطة مع الترك العثمانيين مجحفة بالعرب وحقوقهم ، وتمثل عائقا دون تطورهم ونهضتهم . وإذ كان الكثيرون من المثقفين المسيحيين فى الشام من معتنقى هذه الفكرة ، قد فضّلوا الهجرة الى مصر التى وفّرت لهم سلطات الاحتلال البريطانى فيها قدرا اكبر من الحرية والحقوق . فقد نجحوا فى بذر بذور هذا التيار الرابع فى مصر ، وإن كان نموه وإثماره قد تأخرا أمدا طويلا نسبيا ويكفينا هنا ان نذكر أنه مما ساعد على بزوغ هذا التيار ، ما اسفر عنه تأسيس محمد على للمطبعة الأميرية فى بولاق من التوسع فى طباعة ونشر كتب التراث العربى ، وامتداد قاعدة المطلعين عليه من بين المتعلمين الذين كان من الصعب عليهم فى الماضى اقتناء المخطوطات أو نسخها ثم نمضى الآن فنتتبع نموّ هذه الاتجاهات فى القرن العشرين .

القرن العشرون
اولا : المصلحون الإسلاميـــــون من دعاة التوفيق

لا مفر من الاقرار ، قبل التوغل فى دراسة الصراع الأيديولوجى فى مصر بين أنصار هذه التيارات الفكرية ، بأن ظروف المجتمع وتطوره ، واتجاهات الجماهير العريضة بمصالحها ومطامحها ، أعمق أثرا فى توجيه المجتمع من آراء الكُتّاب والمفكرين الذين كثيرا ما تكون نظرياتهم تعبيرا ودفاعا عن تبنى سواد الناس لحلول ليس بوسع احد ان يحول دونها . ولا شك فى أن تفضيل المؤرخين وعلماء الاجتماع للاعتماد على كتابات المفكرين ، دون توجهات الجماهير ، فى تعرضهم ودراستهم للتيارات السائدة فى مجتمع معين ، ومبالغتهم فى تقدير أهمية تأثير تلك الكتابات ، هما من قبيل الاستسهال لاغير ، حيث أن الأمر لا يتطلب أكثر من دراسة نصوص ، ومع ذلك ، فإن هذه الحقيقة لاتنفى قيمة أو تأثير التعبير والصياغة فى شد أزر الاتجاهات وتشجيع أصحابها على التمسك بها ، بايجادها سندا لها من المنطق والعقلانية والمبررات .

لقد أدى ما لمسه المصريون على إثر اتصالهم بالمدنية الغربية ، (عن طريق الاستعمارين الفرنسى فالبريطانى لبلادهم ، ورحلات متقفيها الى أوربا للدراسة وغير الدراسة) ، من تفوق الغربيين فى مضمارى السلاح والحضارة الى تطرق الشك الى نفوس البعض وزعزعة علاقة الكثيرين بما توارثوه من تقاليد وأنماط عيش ، وشعور بالحاجة الملحة الى التقريب والملاءمة بين هذه التقاليد وبين الأحوال الجديدة التى وجدوا أنفسهم فى ظلها على نحو شبه مفاجىء . وقد كان من المؤسف أن تجىء

حركة التجديد الاسلامي

جهود المفكرين الاسلاميين المجددين الساعية الى التوفيق بين عقيدتهم وبين مطالب الحضارة الغربية ، فى الوقت الذى تضاءلت فيه ثقتهم بأنفسهم ، وغلب على نظرتهم الى الأوربين احترام ورهبة مبالغ فيهما لذا لم يكن غريبا أن يتسم فكرهم بنزعة عقلانية هى نزعة أوربية محضة ، وأن يتبنوا قيما كلها أو جُلها من قيم الغربيين المستعمرين . بل إنه حتى فى تصديهم للدفاع عن الاسلام ضد دعوة المبشرين وحملات المستشرقين الطاغين فيه ، تركز الدفاع على محاولة إزالة شبهة منافاة تعاليمه لمقتضيات الحضارة والتطور ، وإثبات مرونة الأحكام الاسلامية وسهولة مسايرتها لحاجات البشر المتغيرة باختلاف الزمان والمكان . وقد اكتشف هؤلاء شبها قويا بين الاسلام " الحق " وقيم السلف الصالح ، وبين القيم الغربية الحديثة فالاسلام يخاطب العقل ، بدليل أنه لم تكن لنبيه معجزة غير القرآن . وقد أبطل عمر قطع يد السارق عام الرمادة والقراءة المتعمقة للقرآن تهدينا الى أنه فى حقيقة الأمر غير مرحب بتعدد الزوجات . وقد أوصى الاسلام بالمساواة بين الجنسين ، وحررّ المرأة ، وبعث الميل الى العلم ، وجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، فأذاب الفوارق بين الفقراء والأغنياء ، ودعا الى العناية بالصحة وأساليب العمران . ولايقف بين المسلمين وبين النهضة غير حوائل زائفة فى امكانهم إزالتها بإصلاح نظام التعليم ، وتطهير الاسلام مما علق به من شوائب عبر القرون ، وإعادة صياغة العقيدة الدينية على ضوء الفكر الحديث ، والعناية بدراسة العلوم الحديثة وتاريخ أوربا للتوصل الى معرفة سر تقدمها .

● أخذ ماليناسب الاسلام ●

فعماد دعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه إذن هو أن يأخذ المسلمون من المدنية الغربية ما يناسب ، ومن الاسلام ماليناسب .. فعقدة العقد فى موقف المسلمين اليوم هى التوفيق بين الاثنين غير أن المسلمين لحسن الحظ ليسوا مخيّرين بين التمسك بدينهم وبين الاستفادة من الحضارة الغربية كما يدّعى البعض . فمدنية الغرب غير مؤسسة على دين ، وإنما على العلم والتجربة والاختبار . وهى بالاضافة الى هذا محدودة بحدود المادة فليس هناك مايمنع من أخذ المدنية الغربية المادية بعد صبغها صبغة روحانية إسلامية ، والحق أن الاثنين ليسا متخاصمين بطبيعتهما ، وإنما هما متخاصمان من سوء فهم أبناء الحضارتين ، وبالامكان توثيق العلاقة الودية بينهما ، واستعانة كل منهما بما عند الآخر من مزايا . فخير للعالم الاسلامى اليوم أن يأخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربها فى الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم ، من غير قيد ولا شرط ، ثم يحتفظ بعد ذلك بروحانيته التى يلون بها هذا العلم .



جمال الدين الأفغانى

فتجعله موجها لخير الانسانية لا لغلوّ فى كسب مال ، ولا لافراط فى نعيم ، ولا للقوة والغلبة ، ولكن للخير العام . وإنما بزت اوربا الشرق المسلم فى مضمار الحضارة ، لا لانها مسيحية ، وإنما لعنايتها بتطوير العلوم وإهمال المسلمين لها . فلو ان الشرق استوعب علوم الغرب واستخدمها فى استغلال ثرواته فلن يكون من الصعب عليه اللحاق باوربا . وليس فى الاقبال على التعلم من الغرب من باس ولا هو مدعاة للخجل ، فإنما كان الفضل فى نهضة العلوم فى اوربا راجعا الى استفادتها من النقل عن المسلمين الذين عنوا بالحفاظ على تراث الاغريق وتطويره وتنميته . وقد حث الاسلام نفسه على طلب العلم ولو فى الصين ، ولا شىء يمنع المسلمين من ذلك الا تمسكهم بتقاليد موروثة بالية ، وتقديسهم للعادات المالوفة ودينهم براء من هذه العادات والتقاليد التى يسهل التضحية بها فى سبيل حاجات المدنية ومقتضيات العمران .

تلك هى خلاصة دعوة المصلحين الاسلاميين من دعاة التوفيق ، قد عبّروا بها عن الاتجاهات القائمة بالفعل لدى طبقة المتعلمين المتزايد عددهم من سكان المدن ، وهم الاكثر احتكاكا بمظاهر المدنية الغربية التى اقبلت السلطات على التوسع فى الاقتباس منها . وبقدر ما أبهجت هذه الدعوة المطربشين المتفرنجين من المسلمين ، ابهجت المستعمرين البريطانيين إذ رآوها فى مجملها دعوة مُقنّعة الى التغريب ، والى فتح الباب على مصراعيه أمام الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج ، وسرهم بالأخص ان يحمل لواءها عدد من رجال الدين البارزين الموقرين من أمثال الشيخ محمد عبده الذى كان لورد كرومر يكن له الاحترام الشديد ويعلق عليه الآمال . وإنه لمن الشائق حقا أن نقرأ فى العدد الاول من مجلة " العروة الوثقى " تحديدا لأهداف المجلة ، ومن بينها ...

٣ ـ الدعوة الى التمسك بمبادىء السلف المماثلة فى واقع الحال لمبادىء الدول الأجنبية القوية المتقدمة !

● التعاليم الحقة للاسلام ●

فهنا إذن إحساس بتفوق الغرب ، وإدراك لضرورة الدفاع واعتراف بصحة الأسس التى تقوم عليها حضارة الدول الاوربية تضمنته الاشارة الى الشبه بينها وبين مبادىء الاسلام ، وهو اكثر صنوف الاطراء والمديح إخلاصا وقد شكا

المبشرون المسيحيون من ان هؤلاء المصلحين الاسلاميين إنما يتبنون الافكار والقيم المسيحية ويسعون الى تشييد صرح إسلام جديد " مسيحى " ! غير أن الواقع أنهم لم يتبنوا القيم المسيحية ، وانما نسبوا الى الاسلام القيم الليبرالية الانسانية البورجوازية التى عمّت اوربا خلال القرن التاسع عشر ، وهى قيم غير مشتقة عن المسيحية ، والحقيقة التى يصعب المراء فيها ان الكثيرين اليوم ممن يظنهم الناس ، أو يظنون انفسهم ، من المواصلين لرسالة الشيخ محمد عبده ، لايعرفون غير القليل عن الاسلام الذى يدعون الدفاع عنه وتجديد الفكر فيه ، وإنما هم يدافعون عن تصوراتهم الليبرالية التى يعتقدون بإخلاص وبغير إخلاص انها التعاليم الحقة للاسلام . وقد أقبلوا على تفسير الخوارق فى القرآن الكريم تفسيرا علميا ، او وصف الآيات المتضمنة لها بأنها رمزية . اما فيما يتعلق بالرسول (ص) ، فبعد ان كان الناس والعلماء يقبلون الصورة التى قدمتها له كتب الأقدمين ، أقدم هؤلاء على إعادة رسم الصورة بما يتفق فى رأيهم مع قيم القرن العشرين ، وباتوا ينتقون من آلاف القصص عنه ما يناسبهم ويثبت دعواهم ، واصفين غيرها بأنها من الاسرائيليات او الروايات الضعيفة ، وكأنما بات هذا شرطا لاستمرار تعلقهم بدينهم ونبيهم بعد تأثرهم بقيم الفرنجة .

وقد تأثر المحافظون انفسهم بهذا الاتجاه الذى كان الشيخ محمد عبده - فى زعمنا - مسئولا عنه ، فتلامذته هم الذين أدخلوا الرؤية الرومانسية للتاريخ الاسلامى ، وأهملوا كافة المعايير الموضوعية للبحث التاريخى العلمى . وغضوا من قيمة الصدق والاخلاص فى عرض أحداث الماضى ، وفضّلوا الانتقاء والاختيار بطريقة تحكمية ذاتية لاتعكس غير المزاج الشخصى لصاحبها واهوائه وآرائه ، فهدموا بفعلهم هذا من البناء التاريخى للاسلام . وهم دائما يستشهدون بآيات قرآنية وأحاديث نبوية من أجل تعزيز حجتهم . غير انه من حقنا أن نسألهم : هل هذه الآية وهذا الحديث هما كل ماورد فى القرآن والسنة بصدد الموضوع الذى تتحدثون فيه ؟ ، هل تعنى الآية والحديث حقا ماتعنون ، ام أنكم تفرضون على ما اخترتموه تأويلات ومعانى لم يقصدها النص ؟ وفى اعتقادنا أن فتح الباب لهذا السبيل يؤدى الى ان يصبح أى شىء قابلا لأن يفسر على أى وجه . نعم من حق كل انسان وهو فى سبيل تكوينه لعقيدته الدينية أن يختار هذا المبدأ وان يترك ذاك . بيد انه عند الحديث فى التاريخ الاسلامى أو فى القرآن والسيرة النبوية ، لايمكن أن يكون الانتقاء التحكمى إلا من قبيل عدم النضج والافتقار الى الامانة . وقد كان هذا هو بالضبط الخطأ الأكبر الذى ارتكبه المصلحون الاسلاميون التوفيقيون فى حق الثقافة الاسلامية .

ومع ذلك ، ورغم ان هؤلاء في واقع

الأمر كانوا شديدى الشبه بدعاة التغريب ، اذ لم يطعنوا فى قيم الغرب وإنما انتحلوها للاسلام ، فلم يقدموا بفعلهم هذا بديلا حقيقيا لأمتهم فقد كان لهم من الأفضال علي مصر وعلى الاسلام ما قد تتضاءل بجانبها افضال غيرهم

● الانبهار بالحضارة الغربية ●

فمن ناحية ، كان لهم فضل حماية المتعلمين والمثقفين من تيار علمانية ملحدة ومن الشك فى قدرة الاسلام على مسايرة احتياجات التطور والنهضة ، وهو شك اثاره عند البعض ضعف الثقة بالنفس ، والانبهار بالحضارة الغربية ، وكان يمكن ـ لولا جهود هؤلاء التوفيقيين ـ أن يعصف بالعقيدة الدينية عصفا فقد سهّل المصلحون على هؤلاء تبنى مظاهر تلك الحضارة دون قلق ، والاحتفاظ فى نفس الوقت بجوهر عقيدتهم دون ريبة ، شريطة تطهير تلك العقيدة مما تراكم عليها عبر العصور ، وشريطة فتح باب الاجتهاد للوصول الى صياغات جديدة لها . فهم إذن المسئولون عن ظاهرة جد مألوفة فى مجتمعنا ، وهى ظاهرة المتفرنجين الذين لايزالون يأخذون إسلامهم على محمل الجد . وقد كان من المصلحة حقا أن ينهض بمهمة الدفاع عن العلوم الحديثة عالم دين رفيع المنزلة ، لاعلمانى معاد للمشايخ . وبذا بات بوسع الشباب الاقبال على دراسة تلك العلوم دون أن يتهموا بالزندقة ، وأن يبنوا بذلك جسرا يربط بين الثقافتين القديمة والجديدة ، ويطلقوا من عقالها قوى مصر الخلاقة وطاقاتها ويفتحوا الباب على مصراعيه أمام أدب تقدمى ملتزم بالاطار الاسلامى .

ومن ناحية أخرى ، كان لهؤلاء المصلحين الإسلاميين فضل تأسيس دعوتهم الى فتح باب الاجتهاد على مبدأ جوهرى ، هو ضرورة التصدى للمشكلات الحيوية الحقيقية للمجتمع الاسلامى المعاصر (وجلها ناجم عن زيادة الصلات مع الغرب) مثل إدخال الأساليب الديمقراطية فى نظم الحكم ، وتحرير المرأة ، وإصلاح التعليم ، والاهتمام

محمد علي باشا



حركة التجديد الإسلامي

بتطوير العلوم والاستفادة منها ، والتصدى لمشكلات الفقر والجهل والمرض ، والدعوة الى العدالة فى توزيع الثروة ، والى المعاداة ، وربطوا بين كل هذه المظاهر للاصلاح السياسى والاجتماعى وبين القرآن والسنة ، بحيث سهل عليهم بعد ذلك أن يقنعوا الناس بأن التخلف والصبر على المظالم وتجاهل الاصلاح مما ينافى الاسلام .

وقد أثارت هذه الدعوة ثائرة المحافظين من السياسيين وعلماء الدين . فنظام الحكم النيابى وإرساء دعائم الديمقراطية يهددان سلطان الحاكم . وإصلاح نظم التعليم يعلمُ من نفوذ العلماء التقليديين المهيمنين على تلك النظم وتحرير المرأة والفتوى بأن الفوائد المصرفية ليست من الربا المنهى عنه فى القرآن . مفاهيم مأخوذة عن الغرب ، وهى بالتالى غير إسلامية . غير انه كان من السهل الرد على هذه التهمة الأخيرة بأن المسلمين الأوائل إبان ازدهار حضارتهم كانوا ينهلون نهلا من منابع الحضارات والثقافات والأفكار غير الاسلامية ، دون تحرج أو تحفظ أو حيرة أو قلق . فقد كانت الثقة بالنفس تعمر صدور هؤلاء وهم الفاتحون السادة . أما وقد وقع المسلمون فى براثن استعمار الفرنجة وباتوا يعانون من الهيمنة الاقتصادية والسياسية للغرب على أقطارهم ، فقد فقدوا هذه الثقة ، وصاروا يرون فى كل اقتباس من نظم الفرنجة مكيدة للاسلام وفخا ، واقتباسا معاديا للدين . والواقع أنه لولا هذا الخلل النفسى ، وهذا الارتياب المرضى ، وفقدان الثقة ، لكان للاسلام المعاصر ـ فى زعمنا ـ شأن آخر ■

في العدد القادم
التيار الاسلامى الجديد

كلمات عاشت

من أقوال عبدالله النديم :

■ اصبحت بين الغرباء تالاجير والخادم المستعبد ما رأيت فى مصر لحليب فذاك للمسيو . ومانظرت من جفا لك . وماسمعت من رفعة وإنعام فهو للسنيور وقد صار الإسكافي عندنا مهندسا ، والمزين طبيبا وخادم الخيل رئيسا . وذليل بلاده وطريدها عزيزا ومحبوبا ، وأهلى يجاهدون فى خدمتى فتدركهم جهالة أمرائى بالهزيمة . وأرضى ملكا لأوضاع لايملكون القوت فى بلادهم . وارادتى اجنبية محضة فى يد من لايعرف لغتى . ولاينظر إلى الا بعين الهوان

عبدالله النديم على لسان مصر خلال الثورة العرابية



عبد الناصر وأمريكا

بقلم: عبد الرحمن شاكر

في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠، كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون، يعتلي ظهر إحدى بوارج الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط، وأطلقت السفن مدافعها تحية له، فأخذته النشوة وصاح: أطلقوا مدفعية الأسطول السادس ليسمعها جمال عبد الناصر، ويعلم أنني أحكم أقوى دولة في العالم، وذلك قبل أن يترك مجبرا حكم هذه الدولة، بسبب فضيحة كانت أكثر دويا من مدافع أسطوله.

أما عبد الناصر، فكان قد مات لتوه في ذلك اليوم، ولم يعد يسمع ...

فيم كان كل هذا الحقد والمرارة، من جانب رئيس "أقوى دولة في العالم"، إزاء رئيس دولة صغيرة، كانت لاتزال تلعق جراحها من آثار هزيمتها في حرب لم يكد يمضي عليها أكثر من ثلاث سنوات، بفضل تواطؤ تلك الدولة الكبرى مع ربيبتها الصهيونية في المنطقة، وكان رئيسها عبد الناصر يحتضر بالفعل من جراء تلك الهزيمة، ومن المجهود غير العادي الذي كان يبذله لاعادة بناء قواتها المسلحة التي تم تدميرها، والنضال بكل وسيلة من أجل استرداد أرضها المحتلة، وزهقت روحه بالفعل، وهو يحاول لم شعث الامة العربية الممزقة، التي زادها تمزيقا الصراع المسلح الذي نشب بين الحكومة الأردنية ورجال المقاومة الفلسطينية في عمان.



ربما كان هذا الموقف الأخير بالذات هو مصدر ذلك الحقد ، أن مصر قد دعت جميع العرب ، بمن فى ذلك المتقاتلون منهم : إن تكن مصر صغيرة بحجمها أو قوتها ، فقد كانت كبيرة بالتفاف هؤلاء حولها ، ومكانتها بينهم ، وبحكم هذا الواقع ، أو الموقع كانت ترفض بعد استقلالها الذى انتزعته بشق الأنفس أن تكون تبعا لأحد ، هى أو بقية شقيقاتها العربيات ، والإفريقيات بل فى سائر العالم الثالث الذى لم تكد دولة تتحرر من ربقة الاستعمار الذى جثم طويلا على صدورها .

كان عبد الناصر رمزا لحركة التحرر التى سادت هذا العالم فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، حتى فى ظل هزيمته ، أعدم شاه إيران خمسة آلاف من ضباطه بدعوى أنهم ناصريون ، وكان "الناصريون" من ضباط جيوش امريكا اللاتينية ، يدبرون الثورات ضد سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وشركاتها الاستغلالية ، التى تقيم الحكومات وتقعدها فى تلك البلدان .

● صدام أيام النحاس ●

ولكن القصة لم تكن قصة جمال عبد الناصر وحده ، ولكنها قصة مصر بأسرها فى عهده ، ومن قبله ومن بعده ، وإن كان هو أكثر فصولها "درامية" علي حد تعبير رجال المسرح .

ونترك الحديث للسيد محمود رياض ، وزير الخارجية الأسبق ، وآخر أمين مصرى لجامعة الدول العربية ، يقول فى مذكراته :

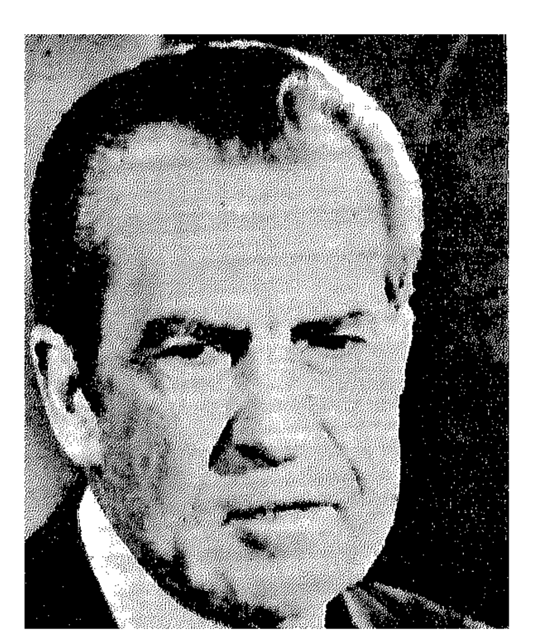
مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت القضية الأولى التى تشغل العالم العربى هى قضية التحرر من الاستعمار والنفوذ الأجنبى ، وبناء القاعدة الاقتصادية الصلبة التى يستطيع أن يقوم عليها الاستقلال الوطنى الحقيقى .

ولذلك فإن الصدام الأول مع الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن مع جمال عبد الناصر الذى كان يمثل ثورة لدعم الاستقلال الوطنى وتثبيت أركانه

وإنما جاء هذا الصدام عام ١٩٥١ مع حكومة وطنية يتزعمها مصطفى النحاس ، فقد تقدمت حكومة الولايات المتحدة بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا وتركيا بمشروع إلى الحكومة المصرية فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١ لاشراك مصر فى نظام للدفاع المشترك فى منطقة الشرق الأوسط يكون مكملا للأهداف الغربية الأخرى ويعتمد على أن تقدم مصر لهذا التحالف القواعد العسكرية البريطانية القائمة على ضفتى القناة .

وقد بادرت حكومة النحاس وفى أقل من ثمانية وأربعين ساعة برفض هذا المشروع برغم تمركز القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس آنذاك . وكان الدافع الوطنى للرفض هو أن مصر التى تسعى بكل ما لديها من عزم وتصميم لانهاء الاحتلال البريطانى لايمكن أن تستبدل بهذا الاحتلال احتلالا آخر يجيء تحت ستار الدفاع عن المنطقة .

وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومعها



ريتشارد نيكسون



مصطفى النحاس

● التزام عبد الناصر بموقف النحاس أغضب الأمريكان !

وجوه جديدة ورؤية جديدة . وعرض جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٣ على جمال عبد الناصر المشروع القديم ثانية بدخول مصر فى تحالف عسكرى غربى للمنطقة ورفضه جمال عبد الناصر ولنفس الأسباب .

غير أن دالاس فيما التزم به من سياسة حافة الحرب ، ومن ليس معنا فهو علينا ، لم يستطع أن يستوعب هذا الرفض المصرى الذى ظل عاملا قويا فى توتر العلاقات المصرية الأمريكية .

وعلى ذكر تركيا ، الدولة "الاسلامية" التى شاركت كلا من الدول الثلاث الغربية فى مشروعها ، كنت أود لو أورد السيد محمود رياض موقفا مرتبطا بذلك ، يذكر لحكومة النحاس الوطنية : أنها رفضت أيضا الأشتراك فى الحرب الكورية التى شنتها الولايات المتحدة الامريكية تحت علم الأمم المتحدة ولايزال جيلنا يذكر بكل الرثاء والسخرية مصير الفيلق التركى الذى شارك فى تلك الحرب ، وتركته قوات الحليف الأكبر : أمريكا يباد عن آخره فى أحد القطارات وأنسحبت !

● حُسن النية ! ●

كان عبد الناصر حسن النية إزاء الولايات المتحدة الامريكية فى بداية ثورته ، يقول محمود رياض :



كانت هناك أسباب للتوتر بين العالم العربى وبين الدول الغربية الكبرى من مطلع القرن التاسع عشر ، بسبب أطماع هذه الدول واحتلالها لأكثر البلاد العربية وقد ظلت الولايات المتحدة فى نهاية الحرب العالمية الثانية بمنأى عى هذا الصراع مستغرقة فى بناء مجتمعها وفى تطوير هويتها الوطنية وتدعيم وحدتها والسيطـرة على أراضيها المتـرامية الأطراف الحافلة بأسباب الثروة والنماء . وبالتالى فلم يكن لها مطمع عسكرى أو اقتصادى ذو بال فى المنطقة العربية ، مما استتبع ان العرب ظلوا ردحا طويلا من الزمن يتطلعون إلى الولايات المتحدة باعتبارها قوة دولية غير استعمارية لعلها تعينهم فى نضالهم الدامى للتحرر من نير الإحتلال الأوربى وخاصة بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى ويلسون ، أثر الحرب العالمية الأولى ، مبادئه القائمة على حق تقرير المصير ثم يضيف :

ومن ثم فقد كان جمال عبد الناصر فى السنين الأولى بعد ثورة ١٩٥٢ أكثر ميلا للتعاون مع الولايات المتحدة منه للتعاون مع الاتحاد السوفييتى ، فقد قامت الولايات المتحدة من جانبها بقبول الثورة والاعتراف بها ، وعاونت فى تحقيق الاتفاق مع بريطانيا بجلاء قواتها عن قناة السويس عام ١٩٥٤ .

ولعل جيلنا يذكر أيضا أن جمال عبد الناصر فى بداية الثورة كان يحب أن يشبه نفسه بجورج . واشنطون قائـد حرب الاستقلال الأمريكية عن الامبراطورية البريطانية .

ولكن ... يقول رياض : على أنه إثر الحرب العالمية الثانية شرعت الولايات المتحدة فى اتباع سياسة فى الشرق الأوسط يسيطر عليها عاملان كان لهما أكبر الأثر فيما نشأ ثم تفاقم من توتر فى العلاقات العربية الأمريكية .

كان أولهما قيام إسرائيل فى المنطقة ، والدور الذى مارسته الولايات المتحدة فى تأييدها ودعمها بأسباب القوة والمنعة على حساب الشعب الفلسطينى .

وكان ثانيهما المحاولات التى بذلتها الدبلوماسية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتطويق الاتحاد السوفييتى بشبكة متماسكة من القواعد العسكرية فسعت لاقامة احلاف وقواعد غربية فى منطقة الشرق الأوسط لما لها من أهمية جغرافية واستراتيجية . وما تملكه من مصادر واسعة للبترول الذى كان استمرار تدفقه الضمان الأول للنمو المضطرد للنظام الصناعى الغربى .

● فى البدء .. كان السلاح ! ●

بعد جلاء الجيوش البريطانية عن مصر عام ١٩٥٤ ، بمعاونة الحكومة الأمريكية وبعد رفض عبد الناصر لاتفاقية الدفاع المشترك كان من رأى عبد الناصر على حد مايقول وزير خارجيته : إعطاء مشاريع التنمية الأولوية فى الانفاق ، كما كان مقتنعا بأن إتفاقية الهدنة تحول دون قيام نزاع مسلح "بين مصر وإسرائيل"

استهدف العدوان فى عام ١٩٥٦ بورسعيد .. وكان هذا الدمار



وقد استمر عبدالناصر على موقفه هذا إلى أن قامت اسرائيل بهجوم على قطاع غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، مما أدى إلى مقتل ثمانية وثلاثين من العسكريين المصريين وكان ذلك الهجوم نقطة تحول فى المنطقة ، فقرر عبدالناصر ضرورة الاسراع بتقوية الجيش بعد أن تبين له بوضوح أن بن جوريون (رئيس الوزراء الاسرائيلى فى ذلك الحين) لايرغب فى السلام لأنه يعوق خططه التوسعية .

وذكر لى الرئيس عبدالناصر بعد هذه الغارة أن خطة التنمية وبناء المستشفيات والمدارس يجب الا تؤخر بناء جيش قوى لحماية أمن مصر ... ثم يقول :

وكان الرئيس عبدالناصر قد طلب إلى الولايات المتحدة أكثر من مرة بيع أسلحة لمصر إلا أن دالاس رفض تزويد مصر بالأسلحة التى تطلبها لأسباب عديدة من بينها معارضة بريطانيا فى ذلك الوقت ، ورغبة دالاس فى احتواء مصر ضمن منطقة النفوذ الغربى .

ولذلك لم يكن أمام عبدالناصر سوى اللجوء للكتلة الشرقية للحصول على السلاح ، وقد فاتح شواين لاى فى رغبته فى الحصول على السلاح أثناء اجتماعه به فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ والذى سارع بابلاغ موسكو ، فتمت أول صفقة سلاح فى الشرق الأوسط مع الكتلة الشرقية عن طريق تشيكوسلوفاكيا .

وعندما أعلن الرئيس عبدالناصر عن الصفقة شعر دالاس بأنها لطمة موجهة



له فقد كان يعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ للدول الغربية وكان اتمام هذه الصفقة مع إصرار عبدالناصر على سياسة عدم الانحياز هي بداية فقدان الغرب لنفوذه في منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى . بعد ذلك يضيف محمود رياض :

كان دالاس يفكر في الطريقة التى يعاقب بها جمال عبدالناصر لشرائه أسلحة سوفييتية ولتبنيه لسياسة عدم الانحياز ، فأعلن في ١٨ يوليو ١٩٥٦ عن سحب الولايات المتحدة عرضها بالمساهمة في تمويل السد العالى وتبعتها انجلترا ثم البنك الدولى .

وجاء رد الرئيس عبدالناصر سريعا فأعلن في خطاب له بالاسكندرية في ٢٦ يوليو تأميم قناة السويس حتى يمكن تمويل السد العالى من موارد القناة .

ثم جاء العدوان الثلاثى المشهور على مصر عام ١٩٥٦ ، الذى اشتركت فيه كل من انجلترا وفرنسا واسرائيل ، إلا أن الدول المعتدية - كما يقول محمود رياض - لم تدخل في حساباتها التدخل الأمريكى ضد العدوان ففوجئت بالموقف الحاسم لايزنهاور واصراره على إنسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد كما أرغم القوات الاسرائيلية على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة .

وكان لدور آيزنهاور صدى كبير في مصر ورفع شأن الولايات المتحدة في المنطقة باعتبارها دولة عظمى تتصدى للعدوان وحماية الدول الصغيرة .

ولكن . هل يدوم "المعروف الأمريكى" ؟! نترك الكلام لرياض :

وكانت أمام ايزنهاور فرصة كبيرة بعد انتهاء العدوان لتحقيق السلام الدائم في المنطقة ولم يكن ذلك يتطلب منه الجهد الضخم الذى بذله في الضغط على بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

إلا أن الادارة الأمريكية أهدرت أكبر فرصة لتحقيق السلام منذ بداية النزاع الاسرائيلى العربى عندما توقفت عند حد انهاء العدوان الثلاثى .

وفى جو من التعاطف الشديد في مصر نحو الولايات المتحدة ، فوجئت مصر بتجميد الولايات المتحدة للأرصدة المصرية في البنوك الأمريكية وكانت مصر في حاجة شديدة إلى شراء مواد غذائية وأدوية ، فأضطرت إلى الاتجاه إلى الاتحاد السوفييتى طالبة معونته ، فسارع بارسال ماتحتاج إليه مصر من أدوية ومواد غذائية .

وكانت المفاجأة الأمريكية الجديدة - كما يقول كاتب المذكرات : عندما أعلن ايزنهاور في يناير ١٩٥٧ ، عن سياسته في الشرق الأوسط فجاءت خالية تماما من أى اقتراح لمعالجة الخطر الحقيقى وهو النزاع العربى الاسرائيلى واقترح توقيع اتفاقات مع دول المنطقة لمواجهة العدوان المسلح من جانب أى دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية (؟!!)

وكان طرح مبدأ آيزنهاور على دول الشرق الأوسط يشكل مأساة في عجز واشنطن عن ادراك التطور الذى حدث في المنطقة برفض شعوبها الأحلاف



محمود رياض

العسكرية والقواعد الأجنبية . وانتهى مبدأ أيزنهاور إلى فشل ذريع بعد أن رفضته مصر وسوريا .

● عملية التمويه الكبرى ●

على أن ذروة المأساة ، التى ترتبت على تمسك عبدالناصر بسياسة سلفه المباشر فى الوطنية المصرية مصطفى النحاس ـ رغم كل مايفرق بين الرجلين ـ فى عدم استبداله بالسيطرة البريطانية سيطرة أمريكية ، كانت عشية حرب ١٩٦٧ ، والدور الأمريكى فيها .

استمر عبدالناصر فى خطته الجديدة لبناء جيش قوى معتمدا على واردات السلاح السوفييتية ، وفى عام ١٩٦٥ لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتسليح اسرائيل بشكل مباشر ، بل كانت هذه الأخيرة تحصل على سلاحها من دول غربية أخرى فى مقدمتها فرنسا . وفى عام ١٩٦٥ حصلت اسرائيل على صفقة سلاح كبرى من ألمانيا الغربية بناء على تعليمات من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعدها أرسل الرئيس الأمريكى ليندون جونسون رسالة إلى عبدالناصر يخطره فيها ـ كما يروى محمود رياض ـ بأن الولايات المتحدة قد قررت بيع صواريخ الهوك لاسرائيل لمواجهة قاذفات القنابل الروسية الصنع التى توجد لدى مصر .

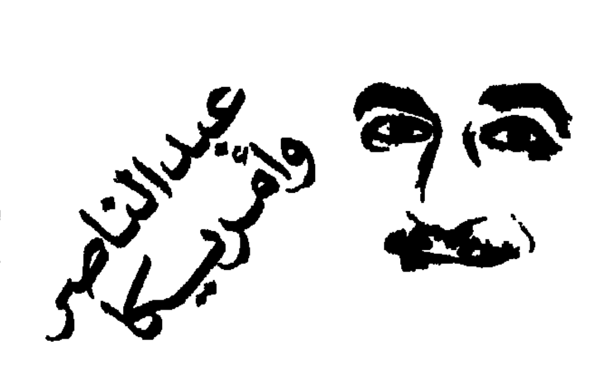
ومن جانب آخر قرر جونسون قطع المعونة الاقتصادية عن مصر عام ١٩٦٥ ولم تكن تتجاوز مائة مليون دولار تستخدم فى إمداد مصر بالقمح بشروط ميسرة فى السداد . وكان دافعه فى ذلك الاجراء المتعسف موقف عبدالناصر المعارض لبعض سياسات الولايات المتحدة سواء فى الشرق الأوسط أو الكونغو أو فيتنام !

وقد خرج جمال عبدالناصر ليلقى خطابا جماهيريا فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر يعلن فيه موقفه من قطع المعونة الأمريكية عن مصر بعبارته المشهورة : فليشرب الأمريكان من البحر ، واذا لم يكفهم البحر الأبيض فلديهم البحر الأحمر .

وبدأ استخدام السلاح الأمريكى فى أيدى الاسرائيليين ضد الدول العربية :

● فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٦ قامت اسرائيل باستخدام قواتها الجوية والبرية فى الهجوم على قرية السموع الأردنية وهى قرية صغيرة تضم أربعة آلاف نسمة معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين وأنزلت بها خسائر جسيمة فى الأرواح من سكان القرية .

وأعلنت اسرائيل ـ كما يروى رياض ـ



انها تقوم بهذه الغارة الانتقامية على الأردن ردا على أعمال فلسطينية بدأت من سوريا .

● فى ٧ أبريل تحولت اسرائيل الى الجهة السورية فهاجمت الحدود السورية واستخدمت فى هجومها سلاح الطيران وأسفرت المعارك الجوية عن سقوط ست طائرات ميج سورية .

وواصلت اسرائيل تهديداتها لسوريا . ففى ١٢ مايو (١٩٦٧) أعلن اسحاق رابين رئيس أركان حرب القوات الاسرائيلية أننا سوف نشن هجوما خاطفا على سوريا ، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها ثم نعود !!

ثم توالت التقارير عن الحشود العسكرية الاسرائيلية على الحدود السورية وكانت موسكو هى أحد مصادر تلك التقارير حين أبلغ السوفييت وفدا برلمانيا مصريا برئاسة أنور السادات كان فى زيارة للاتحاد السوفييتى بوجود هذه الحشود .

● فى ١٦ مايو طلب عبدالحكيم عامر سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزة وشرم الشيخ .

ولما كان هدف عبدالناصر من الأزمة هو امتصاص التهديد الاسرائيلى ضد سوريا فإنه قرر أن يعلن اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية وكان ذلك فى ٢٣ مايو .

ذلك مايذكره محمود رياض قبل أن يبدأ فى تفصيل عملية التمويه الكبرى التى قامت بها الادارة الأمريكية فى عهد جونسون لتمكين اسرائيل من إنزال ضربتها القاضية بالجيوش العربية يقول :

فى ذات اليوم (٢٣ مايو) حضر لمقابلتى ريتشارد نوتى سفير الولايات المتحدة بالقاهرة والذى لم يكن قد قدم بعد أوراق اعتماده إلى الرئيس جمال عبدالناصر .

وفى تلك المقابلة كان نوتى يحمل معه رسالة من الرئيس الأمريكى ليندون جونسون موجهة إلى الرئيس جمال عبدالناصر ومعها مذكرة تفصيلية :

ولقد جاء فى الرسالة التى وقعها جونسون تأكيده على حسن نواياه نحو مصر وتفيد أن لديه اتجاهات غير ودية نحوها . ثم أشاد جونسون بجهود عبدالناصر فى مجال التنمية الاقتصادية وبعدها تحدث عن أهمية تجنب القتال ، مشيرا الى أن المنازعات يجب ألا تحل بالاجتياز غير المشروع بالقوات المسلحة ومقترحا أن يقوم نائبه ، هيوبرت همفرى ، بزيارة لمنطقة الشرق الأوسط .

تشكك عبدالناصر فى جدية هذه الرسالة ، على عكس محمود رياض الذى صدقها قبل أن تثبت له الأيام أنها كانت اكبر عملية خداع يقوم بها رئيس أمريكي على الاطلاق لصالح بلد ، وضد بلد آخر !!

● وفى ٢٤ مايو جاء يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة الى القاهرة يحمل فى حقيبته مشروعا لتهدئة الأزمة ، يطلب فيه إلى اسرائيل الا ترسل سفنا عبر خليج العقبة و ألا تحمل السفن الاخرى

إليها مواد استراتيجية ، مقابل تعهد مصر ، بعدم تفتيش السفن وعدم مهاجمة اسرائيل ، ووافق عبدالناصر على ذلك .

ثم تبين بعد ذلك ـ كما يروى رياض ـ أن جونسون وكبار مستشاريه قد اجتمعوا مع وزير الخارجية الاسرائيلى أبا ايبان فى السادس والعشرين من مايو وبعد الاجتماع قال جونسون لمساعديه : إن اسرائيل سوف تضربهم أى تضرب المصريين !!

● وقام عبدالناصر بالرد على جونسون فى ٢ يونيو برسالة مطولة كرر فيها موقفنا كما نراه بالنسبة لموضوع شرم الشيخ مشيرا إلى أن اسرائيل ترفض العمل باتفاقات الهدنة مؤكدا من جديد أن مصر لن تكون هى البادئة بالعدوان .

ولقد أضاف عبدالناصر بأنه يرحب بزيارة هيوبرت همفرى نائب الرئيس الأمريكى إلى القاهرة ، بل إنه فى سبيل زيادة تأكيد حسن نية مصر ، فإن عبالناصر قال إنه من جانبه على استعداد لإرسال زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية في الحال إلى واشنطن .

وافق الجانب الأمريكى على زيارة محيى الدين لواشنطن واتفق على أن يكون موعدها هو ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ذات اليوم الذى بدأ فيه العدوان الاسرائيلى ، رغم جميع تأكيدات عبدالناصر بأن مصر لن تكون هى البادئة بالهجوم .

وبذلك تمكنت اسرائيل من تحطيم سلاح الطيران المصرى وهو رابض على الأرض وما كان لها أن تنجح فى ذلك لولا التمويه الأمريكى المتسربل برداء دولة كبرى عليها مسئوليات خاصة فى حفظ السلام ..

انتصرت اسرائيل ، واحتلت أراضى ثلاث دول عربية ، وابتلعت كل فلسطين ، ولم ينس حكام الولايات المتحدة حقدهم على عبدالناصر حتى يوم موته .. وارجع الى أول المقال !

● حسن الاختيار ●

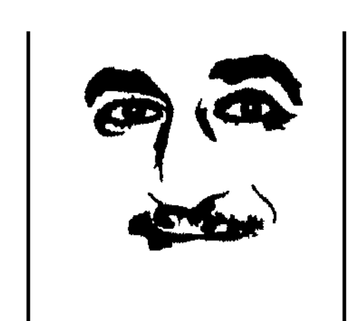
يحكى أن أمراة اتهم زوجها ، وابنها ، وشقيقها .. فى مؤامرة لاغتيال حياة المستنصر بالله .. فألقى القبض على الثلاثة ... وحكم باعدامهم ...

ولما علمت المرأة بذلك .. ذهبت فوقفت على باب المستنصر بالله .. حتى إذا رأته قادما .. القت بنفسها عند قدميه .. وهى تبكى بكاء مرا .. وتتوسل إليه أن يعفو عنهم .. أو أن يأمر بقتلها معهم .. إذ لا أرب لها فى الحياة بعدهم ..

فرق لها قلب المستنصر .. وأطرق قليلا يفكر .. ثم رفع رأسه إليها وقال : قد قبلت شفاعتك أيتها الابنة فى واحد منهم .. وتركت لك الخيار فيه ...

وقعت المرأة فى حيرة ولكنها قالت بعد أن فكرت قليلا : الزوج موجود ... والابن مولود ... أما الأخ فمفقود ، لايعود .. أختار الأخ ..

فأعجب المستنصر بحسن اختيارها .. ثم قال : اذهبى يابنية فقد وهبتك حياتهم جميعا ...



ثورة يوليو ومائة عام فى الجهاد

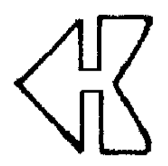
بقلم : مصطفى نبيل

●● خلال هذا الشهر تأتى الذكرى الرابعة والثلاثين لثورة يوليو ١٩٥٢ .

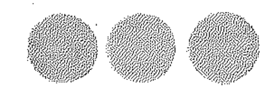
ويمر مائة عام وبضع سنين على اشتعال الثورة العرابية ١٨٧٩ ـ ١٨٨٢ وهى فرصة لاستحضار بعض صور ومشاهد التاريخ ، وتأمل تاريخ مصر الحديث ، الذى تجمعه وحدة من نوع خاص تمتد منذ قيام الثورة العرابية ، أى منذ سبعينيات القرن الماضى ، وحتى اليوم ، وتسجل الثورة العرابية بداية تحرك جموع الشعب العريضة من أجل الوطن وقضاياه ، إيذانا ببداية عصر الثورة الوطنية الديمقراطية ضد الاستبداد وضد الاستعمار وضد الاستغلال ، وبعد أن ولى زمن كان يؤرخ فيه للحكام وحدهم .

وشهدت مصر خلال هذه المرحلة سلسلة متماسكة من الحلقات سعى خلالها المصريون لتأكيد ذاتهم . وإعادة بناء حياتهم واقتصادهم ، فى ارتباط وثيق بين الأهداف الوطنية والمطالب الديمقراطية ..

وكانت إيذانا لسعى مصر الحديثة الى التقدم والعدالة ، وأخذت تبحث لنفسها عن مكان فوق خريطة العالم ، وإذا كانت عاشت النجاح وعانت الاخفاق إلا أن حركتها كانت دائما متجددة ..



وعاشت مصر ثلاث ثورات بارزة ، الثورة العرابية ١٨٨١ ، والثورة الوطنية ١٩١٩ ، وثورة ٢٣ يوليو ، وإذا استعرنا نظرية النتائج نجد أن الحركة الوطنية تقمصت عرابى وعادت لتتقمص سعد زغلول ، ثم تظهر مرة أخرى في جمال عبد الناصر ●●





احمد عرابى

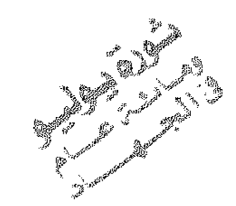


سعد زغلول



جمال عبدالناصر





ونلحظ وحدة الهدف فى الحلقات الثلاث ، وأوجه الشبه بين الثورات الثلاث ، عندما زالت الفجوة بين القيادة والشعب ، ولا يمكن إنكار أن القادة الثلاثة عرابى وسعد وعبد الناصر ، كانوا زعماء أثيرين عند الشعب وموضع ثقته وتأييده ، وأن كلا منهم ، حقق الكثير من أهداف الشعب وأحلامه ، وأصبح علامة بارزة فى تاريخه ، وقدم كل منهم منهاجا للعمل نابعا من ظروفه ، ووضع حلولاً لما تواجهه الحركة الوطنية من تحديات ، ولمس كل منهم روح الشعب ، فألهمه وقاد خطاه ، وقدم له الشعب أنبل ما عنده .

ولست فى هذا الحديث مؤرخاً ، وانما اكتفى برصد بعض الظواهر ، عسى أن تقودنا الى الامساك بخيط يقودنا الى المستقبل ، ونستخلص العبرة من تجاربنا الغنية بالدروس ، وأن نضيف الى مخزون الخبرات التاريخية عبرة الانجاز وعظة التعثر ، فى نظرة مبرأة من الخصومة وبعيدة عن التأييد والتهليل ، ونمسك بحركة التاريخ وسياقها ، علنا نكشف سر الحملات التى تشبه السياط التى شنت على الدوام لتشويه تاريخنا الوطنى .

● دموع عرابى ●

وأكثر ما صدمنى من مشاهد التاريخ ، ذلك المشهد الذى يجلس فيه أحمد عرابى بقامته الطويلة ولحيته البيضاء ، بعد أن قضى فى منفاه ١٩ عاماً ، يحادث بعض معارفه فى أحد مقاهى سيدنا الحسين ، ويتعرف عليه أحد الماره ، فيقترب منه ويبصق على وجهه باعتباره خائنا للوطن وسببا فى دخول قوات الاحتلال البريطانى ، ويعصر الألم الرجل ، وتنهمر دموعه مبللة لحيته البيضاء المهيبة ..

إلى هذا الحد نجحت الحملة التى شنت على الزعيم الوطنى ، الذى قاد أول ثورات الشرق ، والذى قام برحلة جهاد شاقة لتحرير البلاد وإصلاح العباد وواجه بشجاعة طغيان الخديو وتسلط القناصل الأوربيين ، ووقفت مصر باكملها تسانده ، الجنود والأعيان والعلماء والفلاحون ، يوم وقف فى ساحة قصر عابدين ، يقول للخديو بصوته الجهورى « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وحمل شعار « مصر للمصريين » ونادى بالشورى والدستور الذى يحدد مسئولية الحكومة امام مجلس

تشريعي لأول مرة ، وجاهد من اجل هذه المبادىء في وقت لم تتحقق فيه فى بعض الدول الأوربية ..

وكان تعبيرا مبكرا عن جهاد شعب صمم على أن يملك إرادته فى مواجهة « مكائد الأوربيين » عندما حاولت الدول الأوربية ، بواسطة ديونها إحكام السيطرة على البلاد .

وعندما هزمت الثورة بقوة السلاح البريطانى ، وخيانة الخديو توفيق ، وفى مرحلة المد الأستعمارى الذى بلغ ذروته فى القرن التاسع عشر ، أصبحت معركة الاحتلال والخديو القضاء على أفكار الثورة ومازرعته من قيم ، وأكملت المناورة السياسية ، والكلمة المزيفة ما بدأه السلاح .

وكانت الخطوة الأولى ، محاولة التشكيك فى الثورة ومبادئها ، بالقول أن عرابى عاص لا يمثل سوى نفسه ، رغم أن عبد الله النديم كان قد أشار على عرابى أن يحصل من الأمة على توكيل موقع من الأهالى للمطالبة بحقوقها والتحدث باسمها ، وهى ذات الخطوة التى لجأ اليها سعد زغلول والوفد فيما بعد ..

وجاءت الفرصة خلال المحاكمات لكى يسعى الخديو والاحتلال لتجريد الثورة من كل قيمة ومعنى ، حتى يتعلم الآخرون فضيلة الخنوع ، بعد ان عاشوا مع عرابى فضيلة الثورة ، ولكى يتحول حلم الثورة إلى كابوس ، ويتحول البطل الى خائن. فيصبح الخائن بطلا .. !

وكان على القائد الثائر أن يدفع ثمنا غاليا ، لتحديه الغرب وكشف مخططاته ، وتجنيد الشعب فى مواجهته ، وطالب بقاعدة حرمان الغرب من أمواله فى مصر إذا حاول عرقلة الحركة الوطنية أو تآمر عليها .. وكان لابد أن يدفع ثمن قوله .. « أن الأوربيين يهددون بالعدوان علينا ، دعهم يحاولون ، فعند إطلاق رصاصتهم الأولى سوف يفقدون الثمانين مليونا التى تشكل الدين العام ، والعشرين مليونا التى اقترضها الفلاحون من أصحاب البنوك .. » وتتوالى الأحداث وتأتى ثورة يوليو وتنتهج ذات القاعدة عند العدوان الثلاثى على مصر ..

وسجل كتب التاريخ تلك الحملة الشرسة التى شنت على أول ثورة يقوم بها المصريون .. فى العصر الحديث ، ولكن سرعان ما يظهر جيل جديد يتصدى لهذه الحملة ، ويكتب محمد الخفيف كتابه « عرابى المفترى عليه » ، يرفض فيه هذه الحملة التى تستهدف تشويه التاريخ الوطنى .







لقطة نادرة تجمع بين قطبى الوفد سعد والنحاس

يقول « لا يذكر فى مجلس اسم عرابى إلا وسرت فى الوجود كآبة ، وتسابقت الالسن الى الهزء به ، وتعديد مساوئه ، ولم تتجمع على الزعماء المظالم كما تجمعت على عرابى فى حياته وبعد موته ، وجردت ثورته من أهدافها ومعانيها ..

وتجاهلت الحملة دوافعها الحقيقية ، وتحولت إلى انها سبب فى دخول الاحتلال ، وأنها لم تكن سوى حركة عسكرية بدوافع شخصية ، وجردت حتى من صفتها الوطنية ، ووصف عرابى بالجهل وعدم الدراية السياسية ..

ويتنكر للثورة العرابية بعض المشتركين فيها ، مثل الشيخ محمد عبده ، الذى أعلن تحفظه على الثورة بحجة أن الشعب لم يكن مستعدا بعد « للحكم الذاتى » ! ، وأنه من الخطأ استخدام الثورة العسكرية للمطالبة بالحكم الذاتى حتى لو كان الشعب مستعدا له ..

وكان هذا التنكر هو الشرط المطلوب لاستمراره فى الحياة العامة .. !

ويسجل عبد الله النديم تلك الظواهر التى أعقبت الهزيمة بقوله : « أرى الذين طاروا خلفنا بأجنحة الأغراض الذاتية ، وملئوا البلاد مدحاً وثناءً عادوا لمكاتبة الجرائد بالذم والأهاجى شأن عبدة الأوهام ، وحكاة صدى المنادى من غير فهم معناه » ، ويرسل لعرابى من مخبئه قائلا : « لا تثق بصاحب أو صديق ، فإن الناس تغيرت أحوالهم ، وأصبح يذمكم من كان يمدحكم .. » !

عرابى فى ميدان عابدين يتحدى السلطان من اجل حقوق الوطن

وخلال غياب عرابى وصحبه فى المنفى أخذ الاحتلال يمد جذوره ، وماتت روح المقاومة ، وشاع الانحلال ، وعندما عاد من المنفى لم يجد أحداً يذكره إلا بالسوء ، واستقبله شوقى بقصيدته :

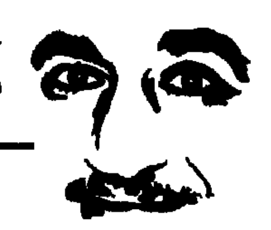
صغار فى الذهاب وفى الإياب
أهذا كل شأنك ياعرابى

ومكن العمر للقائد أن يرد على بعض هذه الحملات فكتب فى مذكراته .. « إن رجوعنا إلى وطننا العزيز لم يرق فى نظر خصومنا الجهلاء ظنا منهم أننا بعنا الوطن للانجليز على إتفاق بيننا وبينهم ، فأوعزوا الى بعض الجرائد المأجورة ، بالتنديد بنا ، والخروج علينا ، فوجهت الينا سهام جهلها وضعفها » ..

وقبل أن يموت القائد بأسابيع قليلة قال لأحد الصحفيين .. «سوف يأتى جيل بعدنا ، وسوف يفهمنى ، وسوف يحقق ما أردت وعجزت عن تحقيقه » وصدقت نبوءته ..

فرغم هزيمة الثورة وتصفية الجيش والغاء دستور العرابيين ، وتشتيت الثوار ومحاكمتهم ونفيهم أو حبسهم ، استمرت الجذوة ، فالأرض التى أخرجتهم ، مازالت قادرة على إنبات مثلهم ، وهدف مصر للمصريين الذى ارتفع فى مواجهة الترك والشركس والديلم ،





جدير بأن يرتفع فى وجه المحتلين الانجليز ، ورفض السخرة التى فرضها الخديو لابد أن ترفض أيضا فى عهد الاحتلال .

● سعد وثورة ١٩ ●

وبقيت الجمرات تحت الرماد ، حتى قام زعيم فلاح خرج من صفوف الشعب ، وعاش شبابه فى صفوف الثورة العرابية ، وكان أحد المتحلقين حول السيد جمال الدين الأفغانى فى مقهى متاتيا ، واتهم بعد فشل الثورة بتشكيل جمعية الانتقام السرية التى هدفها اغتيال الشهود والجواسيس الذين خانوا الثورة ..

وقدر لسعد زغلول أن يشعل الثورة من جديد ..

وقامت الثورة الجديدة لتحقيق ذات الأهداف التى أعلنها عرابى ، ثورة من أجل الاستقلال والدستور ، ولم يخطىء البريطانيون إدراك التشابه بين حركة سعد زغلول وحركة عرابى ، وكتب اللورد اللنبى فى ٨ ابريل ١٩٢١ .. « إننى أعتقد أن زغلول فى حالة ، لا يستبعد عليه أن يهم بضربة مثل ضربة عرابى باشا .. » ..

وادرك نبى الوطنية كما كان معاصروه يسمونه ، أن الوطنية الحقة هى الحركة لصالح الشعب فى إطار الامكانات المتاحة ، وسعى إلى إشعال الجذوة من جديد ، ونفى ـ وهو كهل فوق الستين ـ من جانب السلطات البريطانية ثلاث مرات ، الى مالطة ثم الى سيشل ثم جبل طارق .

وتصدى سعد لأقوى دول الأرض ، تصدى للأمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، والتى تسيطر على نحو ربع الكرة الأرضية ، وتسعى الى تحقيق السلام البريطانى فى العالم كله !

ورغم دوره البارز ، وبعد ان لمس روح الجماهير وتطلعاتهم ، لم يسلم من الاتهامات ، التى تحسب عليه مناوراته مع الاحتلال ، وتقسو عليه وتتهمه بالانتهازية تارة ، وبالتطرف فى الوطنية تارة أخرى ..

ولعل ما نقل من حوار بالغ الدلالة ما يكشف طبيعة الحملة التى شنت على سعد ، جرى الحوار فى باريس بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، ونقله محمد كامل سليم .

يقول فهمى لسعد : هل أسقطت من حسابك ، الأمور الاربعة التالية :

- قوة بريطانيا بعد انتصارها فى الحرب العالمية الأولى .
- ضعف مصر وسيطرة بريطانيا عليها .
- عدم وجود مؤيد لقضية مصر وعزلتها .

ـ مشروع ملنر المعروض ، يمكن أن ينقذ مصر ويمنحها القدرة على إستئناف الجهاد .

ويجيب سعد : كيف تتصور أنى أسقطت ذلك من حسابى ، وانت ومن معك الذين أسقطتم من حسابكم وتفكيركم ، أن فى أعناقكم أمانة ، هى السعى والجهاد للحصول على الاستقلال التام ، وهو عمل واقعى ، يرى الممكن فيسعى اليه ، والصعب فينصرف عنه ، لا يفهم المثل العليا ، ولا يعرف التضحية كيف تكون .. »

وهذا الحوار لا يختلف كثيرا عن الحوار الذى دار بين عبود باشا وجمال عبد الناصر واستخدم عبود ذات الحجج التى استخدمها فهمى ، وهى قوة الانجليز وضعف مصر ، ولم يختلف رد عبد الناصر عن رد سعد زغلول .

● الصفوة والعامة ●

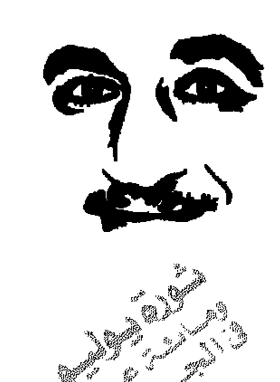
وبعد عودة الوفد من التفاوض فى لندن ، وقفت غالبية الهيئة العليا للوفد تحاسبه باسم الأغلبية ، بعد ظهور تيارين فى صفوف الوفد ، الصفوة بواقعيتها واستعجالها للنتائج ، واصرار الجماهير التى أشعلت الثورة على تحقيق الاستقلال ، وانجاز سعد واتخذ قراراً بطرد غالبية الهيئة الوفدية ، وشكلت المجموعة التى خرجت حزب الأحرار الدستوريين .

وإذا كان الحزب الوطنى أيام الثورة العرابية قد أخذ بفكرة التنظيم العلنى والسرى فى العمل ، فقد إلتقط منه سعد زغلول هذه الفكرة ، كما التقط منه من قبل فكرة جمع التوقيعات والحصول على توكيل الأمة ، وكلف عبد الرحمن فهمى بالاشراف على بناء تنظيم لكى ينظم حركة الجماهير .

وعاد هذا التنظيم السرى إلى الظهور فى حركة الضباط الأحرار ، وبعثت من جديد خطة العرابيين فى الاعتماد على الجيش كأداة للثورة الوطنية ..

ويمضى سعد فى جهاده منحازا الى صفوف الجماهير ومعبرا عنهم ، ويأتى الهجوم على سعد من قوى متعددة ، وإذا كان طبيعيا أن تشن عليه سلطات الاحتلال هجومها ، فيذكر المارشال ويقل « إن موقف سعد كان متشددا غير قابل للمصالحه ، وان سعد مضلل يستطيع تهييج الجماهير ، ولكن تعوزه الحكمة والشجاعة للسيطرة عليها ، وأنه ضيق الأفق وشكاك ، وليست لديه موهبة الأخذ والعطاء . ولا موهبة التفاوض » !





وجاء معظم الهجوم على سعد بعد فشل المفاوضات وتصريح ٢٢ فبراير وعقب مقتل السردار ، واصرار سعد على التمسك بأهداف الثورة كاملة ، وينفصل عنه أولئك الذين يتصورون الجهاد نزهة قصيرة ..

ويتركز الهجوم ، على أن سعد استسلم للغوغاء ، وأنه متسلط ، ويتهمه محمد حسين هيكل فى مذكراته السياسية .. « كان ميالا بطبعه لفرض رأيه على غيره والزامه به » ويقول .. « رأى المكانة التى وصل إليها بفضل مجهود الوفد المشترك . اصبح لا يقيم لرأى غير رأيه وزناً ، ولا يحسب لأحد غيره حسابا . واعتزم العودة إلى مصر ليكون هو كل شىء فى البلاد .. »

ويلاحظ أنه نفس الاتهام الذى وجه من قبل الى عرابى ومن بعد الى عبد الناصر .

ويروى هيكل نقلا عن محمود عزمى أنه اقترح على عدلى تكليف سعد بتأليف الوزارة ، ويرد عدلى بأن قبوله لهذا الاقتراح معناه ترك حكم البلاد فى أيدى الغوغاء.

ويذكر حمد الباسل فى مذكراته عندما كان ضمن الوفد فى باريس .. : « أن الأعيان من أعضاء الوفد يقولون أن سعد فى بداية الثورة يريد إعلان الجمهورية ، ويعتقدون أنه بذلك سيخرب البلاد ، ولم يكن سعد فى بداية الثورة من أنصار الجمهورية ، ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها ، ويرى أعيان الوفد أن هذا الاتجاه جنونى ، سيؤدى إلى إنقضاض الأعيان عن الثورة ، وإلى قيام البلشفية .. »

وتقول عفاف لطفى السيد التى تنتمى إلى المدرسة الليبرالية وحكم الصفوة : .. « لقد صار يعتبر نفسه خلاصة تجسيد مصر ، ويعتبر أن واجب الأعضاء الاخرين هو اتباعه ، وتحول من خادم للبريطانيين ليصبح رمزا لمطامح المستقبل .. » وتقول .. « اكتشف فيه زملاؤه أنه مثل فرانكشتين ، خلقوه ولم يعودوا قادرين على ايقافه عند حده .. » ، « وساعد مرضه وشيخوخته على تقوية إستعداداته وجعله ملولاً لا يقبل المعارضة والمجادلة » .. « وكان فلاحاً بأعمق احاسيسه ، يتصرف بمفرده ويرتاب فى الآخرين ويتشكك فى مواقعهم » « كان وحشا سياسيا لو استدعى الأمر لحارب مستخدماً أدنى الوسائل ، وإذا واتته فرصة قلما يؤنبه ضميره عن طعن شركائه فى ظهورهم .. » ! .

وتظهر دهشتها البالغة من المكانة التى إحتلها سعد . « رغم انه لم يكن أدهى رجل سياسى فى مصر ، فكان ذلك وقفا على اسماعيل صدقى ، ولم يكن أعمق مفكر ، إذ كان ذلك الدور هو دور أحمد لطفى السيد ، ولم يكن أكثر الساسة نشاطا ، إذ كانت هذه صفة مصطفى النحاس .. وبالرغم من أن سلوك سعد معيب بدرجة لا يمكن تصديقها » !



جمال عبدالناصر بين جماهير الشعب التى احبته والتفت حوله



فهل كان الهجوم على سعد لأنه وهو الباشا يؤمن بالشعب ويستلهم خطواته من الجماهير ، ويقول سعد وهو يصف ثورة ١٩١٩ .. « إن أهم نتائجها كان تمصير الاقتصاد ، وسفور المرأة واشتراكها فى الحركة الوطنية ، وزوال طبقة الباشوات ، واختفاء العناصر التركية من السياسات المصرية .. » .

ويشبه هنا أحد خطب عبد الناصر بعد ذلك ببضعة وثلاثين عاما ..
وعندما تحدث سعد إلى عمال السكك الحديدية فى ٥ يوليو ١٩٢٤ ، قال : « لو كانت الحركة مقصورة على ما يسمونه بالطبقة العالية لما قامت لها قائمة ، وما يسميه حسادنا طبقة « الرعاع » ، فإنى أفتخر بأنى من الرعاع مثلكم ، فالرعاع هى الطبقة الأكثر عدداً فى الأمة ، وليس لها صالح خاص ، ومبدؤها ثابت على الدوام وهو الاستقلال التام ، أما الرجل صاحب الأموال ، وذلك الذى يحتل المنصب العالى ، إذا قال يحيا الوطن ، إنما يقول تحيا وظيفتى ، أو مصلحتى .. »

وتذكر عفاف لطفى السيد أن سعد زغلول قد وضع مشروعا لتحديد الملكية الزراعية بحد أقصى ٥٠ فدانا للفرد ، وتعثرت فكرته فى مواجهة المعارضة فى صفوف الوفد ، ولم يظهر المشروع الى حيز الوجود إلا سنة ١٩٥٢ ..

ولم يكن غريبا ، وهو الذى انحاز إلى الشعب وآمن بالجمهورية ، وبالاصلاح الزراعى ، أن تشن الصفوة الارستقراطية هجوما عليه ، إلى الحد الذى دفع صدقى الى القول .. « إنه لو وقع الناخب تحت تأثير شخصية طاغية مثل سعد زغلول ، فباطل تصويته لأنه لا يصلح للاختيار الحر » .

إن ثورة ١٩١٩ حدث ضخم فى تاريخنا الحديث ، بل الحدث الفعال فى بناء مصر الحديثة ، والحياة السياسية المصرية فى القرن العشرين ، وبعثت الحياة فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفنية ..

وإذا كان الوفد ورفاق سعد قد تمسكوا بالقيم التى نادى بها سعد ، ولم يتنكروا لنضاله ، ما كانت هناك حاجة لقيام جيل جديد

يحمل الراية ، وهو جيل ثورة ٢٣ يوليو ..
وهو الجيل الذى حمل اللواء فى ظروف بالغة الصعوبة ..

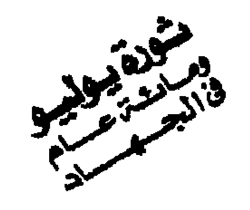
وتمضى الأيام ..
وتقوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتحقق حلم سعد فى الاستقلال الوطنى ، والذى كانت من أجله ثورة ١٩١٩ .
وتستجيب الثورة بصدق لكل التحديات ، التنمية فى الداخل ومقاومة الهيمنة من الخارج ، وتنتهج عدم الانحياز سياسة لها ، وتدرك الارتباط العضوى بين الأمن المصرى والأمن العربى ، وتقوم بتحولات هيكلية فى بنية الاقتصاد المصرى من أجل الأغلبية المحرومة ، التى تاقت الى العدالة ، وتتبنى التخطيط والتنمية ، بعد أن وعت الدروس .
وكأى ثورة لم تولد كاملة النضج ، وإنما أنضجتها تجربتها ، وهى كأى عمل إجتماعى لا يمكن أن تكون مبرأة من الخطأ ، ولكن تدلنا الشواهد التى استحضرناها ، على ما تعرضت له رموز الوطنية من هموم ، وأعطت الحملة الشرسة لنفسها الحق ، فى محاكمة النوايا عندما لم تسعفها الأعمال بالحيثيات اللازمة ، عندما كان مطلوبا التبرؤ من سياسات قائمة ، وخدمة سياسات تعكس موازين دولية جديدة ، ورغم خطورة هذه الحملة على الأجيال الجديدة التى تضعها بين شقى الرحى ، ماض أسود ومستقبل غامض ، رغم ما تحمله الحركة الوطنية من قدرة على الالهام ..

وقامت يوليو بدورها فى ظروف معقدة ، ظروف احتلال استعمارى وتحولات كبرى فى النظام الدولى ، وشقت طريقها فى هذه الظروف لبناء دولة مستقلة قوية ، واستردت حدود ومناعة الأمن القومى فى المنطقة ومع اشتباكها فى معارك شرسة مع الاستعمار القديم ، بينما كان الاستعمار الجديد يأخذ شكلا جديداً ويستعد للحلول محل الاستعمار القديم ، وتم جلاء القوات العسكرية الأجنبية عن معظم الدول العربية ..



وإذا كانت الحركة الوطنية قد تناسخت فى صور عدة ، فمكائد الغرب أيضا تجسدت فى أشكال متنوعة ، ومع المعارك





الطاحنة التى فرضت على الثورة ، جاءت معركة ١٩٦٧ ، لتمثل وقفة باعتبارها المعركة التي ألحقت بمصر خسائر فادحة ، وتم إستغلال نتائجها لتعميق الشعور بالهزء ، وعندما سكتت المدافع ، بدأت المناورات السياسية بهدف أن تصبح مصر بلداً بلا قضية وليس لها دور . بعد أن كادت تنجح فى ضرب الهيمنة الغربية ..

وقاومت الثورة الهزيمة وفرض الهيمنة وأعادت بناء القوات المسلحة ودخلت معركة استنزاف قوات الاحتلال ، وقامت معركة ١٩٧٣ وانتصرت خلالها اسلحة وقوات الثورة ..
وباقى القصية معروف ..

وما نحاول الوصول إليه ، أنه إذا كانت ثورة يوليو لم تكتمل ، فهذا هو التحدى الذى نواجهه ، فيقع عبء استكمالها على الأجيال الجديدة ، ولا يمكن أن تستكمل ، إلا إذا اقترن استكمالها بالاعتراف بأسباب القصور ونقاط الضعف ، والتى اكدتها تجربتها ، أنه بدون حرية وحقوق الانسان لا يمكن أن يتصل ويتواصل الطريق ، وعلى الجيل الحالى مواجهة المشاكل القديمة والجديدة معاً ، واستنباط الحلول الجسورة .

وإذا كان عرابي قد واجه غدر الخديو ومكائد الأوربيين ، وإذا كان سعد قد واجه الملك وقوات الاحتلال ، فقد حقق عبد الناصر الاستقلال وأدرك ما يحاك لوطنه من مخططات ، وبقي على الحركة الوطنية أن تكمل الطريق ، وإذا كانت ثورة يوليو قد عانت من قصورها الداخلى الناتج عن غياب الديمقراطية ، فعلى الجيل الحالى أن يدفع بالدماء فى شرايين الديمقراطية ويدعم بناء المؤسسات الشعبية ..
وأن نستخلص العبر من حلقات الحركة الوطنية ، ونتمسك بأهدافها ، ولا نفقد « البوصلة » التى تتحدد بمستقبل الوطن ومصالحه وأمنه ، ون يشعل الجيل الجديد طرائق الحل ووسائل التقدم ..

أقوال معاصرة


كورت فالدهايم

● " قرروا الحيلولة دون وصولى إلى مقعد رئاسة جمهورية النمسا . بعد ان وضعت مقعداً لياسر عرفات فى الأمم المتحدة " '

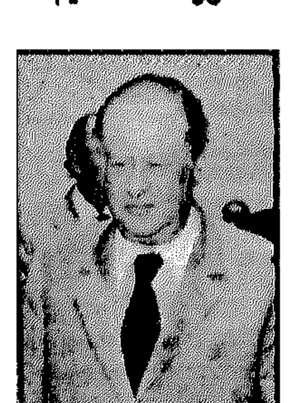
كورت فالدهايم

● " لن اهرب من تاريخى "

فالدهايم

● " اسرائيل تريد تصفية حساباتها مع فالدهايم هذا الرجل العقلانى جدا "

كرايسكى رئيس النمسا السابق


كرايسكى

● " الموت شيء لا وجود له ، الذى له وجود هو الخوف من الموت "

المخرج أندريه تاكوفسكى

● " العالم يتغير ، وكل شيء يمكن ان يتغير معه "

سيمونيان مدير فريق كرة القدم السوفييتى

● " اسرائيل ليست اهلا للثقة ، بعد ان وجدنا فى فراشها رجلين وليس رجلا واحدا "

لوس انجلوس تايمز

بعد اكتشاف بيع اسرار امريكية لايران .


حافظ الأسد

● " ساكون وراء الحلف المتين بين سوريا والعراق وايران .. " !!!

الرئيس السورى

حافظ الأسد

● " شرف البلهاء لايهمنا "

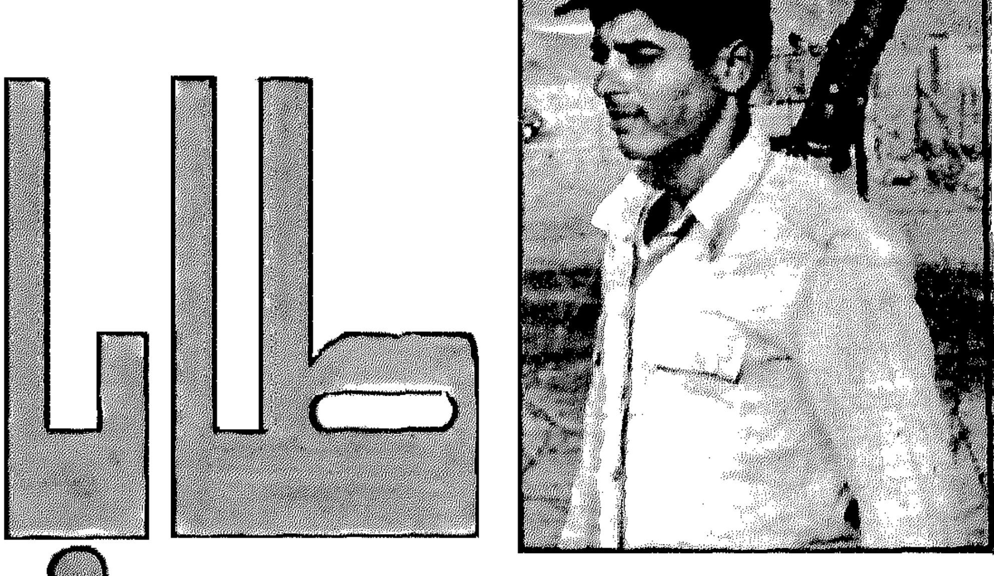
جان رينوار

المخرج الفرنسى

● " كنت لاجئا سياسيا فى مصر ، وطالب نظام نميرى بالقبض على وتسليمى . ورفضت مصر ذلك . !!

الشريف زين العابدين الهندى

نائب رئيس وزراء السودان ووزير الخارجية



بين التاريخ والسياسة

بقلم : فتحى رضوان

● ● للتاريخ منطق ، وللجغرافيا منطق . فالتاريخ لايهمه من البلدان ، ماكان ذائع الصيت ، ولا واسع المساحة ، ولا المتمتع بالثراء ، فى حين أن الجغرافيا لاتطيل الحديث ، والوصف ، والبيان ، إلا عن المحيطات المترامية الآفاق ، والجبال التى تمتد فى الطبيعة طولا وعرضا وإرتفاعا ، والانهار التى تقطع مابين المنبع والمصب أميالا والتى تقع على شواطئها المدن الآهلة بالسكان والمتخمة بالثروات ، والمائجة بحركة أهلها فى مجالات التجارة والحرب والعلم . ● ●

أما التاريخ ، فكثيرا مايقف أمام قرى صغيرة ، وربما نقط فى صحراء متجدبة ، أو فى مناطق تملؤها المستنقعات ، ولا يألفها البشر ، ولاتصلح لازدهار حضارة ، ولا لانتشار ثقافة . خذ مثلا موقع (بدر) التى أصبح أسمها يتصدر أسماء المدن والعواصم والحواضر فى التاريخ الاسلامى ، و (اترلو) التى أصبحت بعد هزيمة نابليون فيها معلما من معالم التاريخ الحديث ، أو (ڤالمى) الموقع الذى هزمت فيه جيوش الثورة الفرنسية جيوش الملكية الأوربية التى أحدقت بفرنسا الثورة



كرومر



هرتزل

لتقضى عليها ، وتقتلعها من جذورها .

وقد زالت بدر من الخريطة بعد أن انتهت المعركة بين الشرك والإسلام ، وتاهت واترلو ، بعد أن أفل نجم نابليون ، وذهب به خصومه إلى منفاه فى جزيرة سنت هيلانه ، وأغفل مصور الخرائط ، (ڤالمى) بعد أن انطوت صحائف الثورة الفرنسية ، الجغرافيا تعلم جبال الألب والهمالايا ، والمحيطات ، الهادى والأطلسى ومدن القاهرة وباريس ودلهى . أما التاريخ فشديد الحب والايثار ، للمواقع المتواضعة ، التى حرمت من الشهرة ، وذيوع الاسم ، حتى احتفلت بها الأيام ، وأقبل عليها ذوو السلطان ، وقد عرف التاريخ توت عنخ آمون ، حتى كسف بريق شهرته اسماء كبار الفراعين . وهو بين رجال السلطة لا هو قائد جيش فاتح ، ولا هو مؤسس دولة عظيم ، ولاصاحب مدهب مى سياسة الحكم ، وإدارة الامم .

● احتفال التاريخ ●

وطابا التى نتحدث عنها اليو، ، هى من هذه الأسماء التى احتفل بها التاريخ مرتين ، وتردد أسمها فى البرديات ، وتقارير الساسة ، واقترنت بأزمات كادت تقترن بالحروب الكبيرة . وعندما برز اسم (طابا) فى سنة ١٩٠٦ على الصعيد الدولى ، لم تكن سوى قمة جبل الثلج الطافى على سطح محيط السياسة العالمية . فالقمة الصغيرة فى الجبل. الضخم الغارق بجسمه فى مياه المحيط المتلاطمة والكثيفة ، لاتشى بالوجود الهائل للجبل ، فيحسب الناس أن القمة البارزة هى كل شىء . وكان الجبل الذى تمثله (طابا) سنة ١٩٠٦ مكونا من

مجموعة من الأحداث البالغة القوة فقد كانت طابا نذيرا بالحرب العالمية التى قامت فعلا بعد ثمانى سنوات من أزمة طابا فقد اندلعت نيرانها سنة ١٩١٤ ، وكانت (طابا) مقدمة النزاع على منطقة سيناء كلها ، وكانت بريطانيا طامعة فى أن تضع يدها على هذه المنطقة الحيوية والحساسة وأن تحرم منها تركيا لعلمها بأن هناك احتمالا عند نشوب الحرب الدولية بين بريطانيا وفرنسا فى جانب ، أن تنحاز تركيا أو الدولة العثمانية إلى الجانب الآخر الذى سيضم ألمانيا والنمسا ، وربما ايطاليا .

وكان جبل الثلج يتكون أيضا من بدايات الحركة الصهيونية التى كانت تحضر للوثوب على فلسطين والتهامها .

فكانت طابا هي التحضير الصهيوني للاستيلاء على سيناء كخطوة أولى نحو القفز على فلسطين كلها ، وكانت نذر الأطماع الصهيوني الأولى ، فى سنة ١٨١٠ أى قبل نهاية القرن التاسع بعقد واحد ، فقد وفد إلى مصر ، يهودى أسمه بول فريدمان الذى اتصل بمندوب بريطانيا فى مصر ، والذى كان لقبه «قنصل بريطانيا العام» والذى أصبح فيما بعد» « ايفلن بارنج » الذى حمل لقب لورد بعد ذلك بات يعرف باللورد كرومر ، مهندس السياسة البريطانية الأكبر فى منطقة الشرق العربى ، وملك وادى النيل غير المتوج ، اتصل بول فريد مان بدار القنصل البريطانى فى ذلك العام المبكر ، الذى سبق الحرب العالمية بنحو ربع قرن وانهى إلى هذه الدار الاستعمارية أنه وجماعة من بنى ملته ينوى الهجرة إلى سواحل خليج العقبة ، غير بعيد من موقع (طابا) وفى سنة ١٨٩١ ، أى بعد الابلاغ بعام فقط عاد فريدمان إلى القاهرة ومعه عشرون من اليهود الذين ينتمون إلى منطقة شرق أوربا ووسطها ، ونزلوا فعلا على ساحل خليج العقبة ، ونما إلى صحف القاهرة ، نبأ هذه البداية المبكرة للاستيطان الصهيونى ، فشنت حملة على هذا التسلل ، وطلبت إلى الحكومة ان تتخذ إجراء لمنع استقرار هؤلاء الوافدين فى هذه المنطقة الحاسمة ، ولكن شاء القدر أن يجلو هؤلاء المتسللون إذ أن علاقتهم بالعرب فى تلك المنطقة ساءت لسوء مسلكهم ، فجمعوا متاعهم وأجلوا المنطقة التى تمنوا أن يقيموا فيها ، وكان الخليفة العثمانى وهو السلطان عبدالحميد ، شديد الحساسية لكل محاولات الصهيونية التى بذلت مساعى شديدة لمقابلته ، ومحاولة اقناعه بالسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين ، وقد ابى السلطان أن يقابل هرتزل نبى الصهيونية وأعوانه ، وفزع لوصول فريدمان إلى موقع على خليج العقبة ، فلما بلغ أن فريدمان ترك الموقع ، اطمأن ولكنه قرر أن يسحب سيناء من تحت السلطة البريطانية التى كانت قد احتلت مصر منذ سنة ١٨٨٢ ، ولذلك فقد انتهز فرصة وفاة الخديو توفيق

فى ٨ من يناير سنة ١٨٩٢ ، وأعد فرمان تولية خليفته محمد توفيق ، وهو ابنه الخديو عباس حلمى الثانى فى ١٧ من يناير سنة ١٨٩٢ ، على وجه يخرج من سيادة الخديوية المصرية ثلاثة مواقع كانت لمصر شرق خليج العقبة وهى حيفا ، والمويلح ، والعقبة ، ولم يكتف بذلك بل أخرج من سيادة خديو مصر وهو الجزء الأكبر من شبه جزيرة سيناء ولم يكن فى مقدور الخديو الجديد أن يتولى حكم مصر إلا بتلاوة فرمان السلطان العثمانى ، وكان السيد ايفلنج بارنج قنصل بريطانيا العام ، قد أدرك نوايا السلطان من هذا التعديل . الذى أدخله على فرمان تولية الخديو عباس ، فلم يأذن - وهو صاحب السلطة الفعلية فى مصر - بتلاوة الفرمان ، وأتصل بحكومته فى لندن لتمارس ضغطا على حكومة استانبول بدعوى أن الفرمان الجديد يتعارض مع معاهدة لندن التى أبرمت بين مصر فى عهد محمد على ، وبين الدول الكبرى فى تلك الأيام ، وهى بريطانيا والنمسا وبروسيا والروسيا . والواقع أن الذى أخاف قنصل بريطانيا من التعديل المشار إليه أن تركيا ازداد قربها من قناة السويس وهو أمر يزعج خاطر بريطانيا وحلفائها إذا قامت الحرب بين بريطانيا وتركيا ، ومن هنا نشبت أزمة طابا .

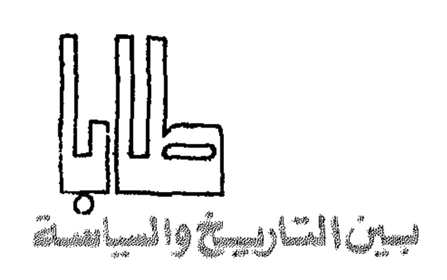
لأن طابا هى عنوان الأزمة ، للملابسات التى أتصلت بها من ناحية ولموقعها من ناحية أخرى ، اذ أن طابا كانت على مقربة من آبار تقع عند رأس خليج العقبة ، وهى آبار يحرسها نحو ٢٠ جنديا تركيا ، ومن موقع نقب العقبة وهو يتحكم فى الطرق المؤدية إلى داخل سيناء من الساحل . وأخيرا تقع فى نفس المكان (طابا) التى هى ملتقى الطرق الذاهبة إلى قلب سيناء وغزة ولذلك فقد كان يعهد بحراستها إلى فصيلة تركية تتكون من ١٢٠٠ تركى . ولهذا فقد صدرت أوامر السلطة البريطانية المتسترة بالحكم المصرى فى الظاهر ، باحتلال هذه المواقع كلها .

ولم تكن تركيا اقل تنبها لما تنويه بريطانيا ، ولذلك فقد بدأت ازمة طابا فى تلك السنة .

تأزمت الأمور بين الدولتين بريطانيا ، وتركيا التى ودت أن تحسن وضعها فى منطقة سيناء كلها ، واستأسدت بريطانيا ، لتبقى هذه المنطقة ذاتها تحت سلطانها بدعوى انها تدافع عن حقوق مصر ، معتمدة

على امرين اولهما ضعف تركيا عسكريا فى تلك ـقبة ، وتاييد اكثر أوربا لبريطانيا ، لميول تركيا السياسية آنذاك نحو المانيا ، واخيرا استنادا إلى معاهدة سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ التى فرضت على محمد على ، ولذلك لم تتردد بريطانيا عن أن تكشر انيابها ، فارسلت فى التو بارجة أسمها ديانا لتجوب مياه خليج العقبة ، وحاولت مصر أن تتصدى للقوة التركية ، وكانت مصر قد ارسلت فصيلة من خمسين جنديا بقيادة سعد بك رفعت ، فتصدت لها القوات التركية بقيادة رشدى باشا ولم تقو الفصيلة المصرية للصمود أمام الأتراك ، فلجأت إلى موقع حصين هو جزيرة





فرعون التى لم يستطع الأتراك ان يجلوا المصريين عنها .

كان ممكنا أن تؤدى هذه المجابهة إلى حرب بين بريطانيا وتركيا ، وكان ممكنا لذلك أن يؤدى التصادم على أرض سيناء وبسبب طابا إلى التعجيل بالحرب العالمية لتقع قبل موعدها بثمانية أعوام إلا أن الفريقين ، الأتراك والبريطانيين آثروا السلامة ، وندب كل منهم لجنة لتخطيط الحدود بين مصر وحدود فلسطين التى كانت آنذاك جزءا من الامبراطورية العثمانية .

ولكن الانجليز أدركوا أن تحفز تركيا للتصادم مع بريطانيا فى حادثة طابا كان مجرد إمتحان للقوة البريطانية وقد كتب كرومر هذا المعنى فى مذكرة طويلة أرسلها لوزير خارجية بريطانيا فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٦ إذ قال ان هدف الحكومة التركية هو إمتحان قوة مركز البريطانيين فى مصر والتعرف على مدى استمرار معونة الدول الأخرى لها فى هذا الشأن - كما كتبت جريدة الكان الفرنسية فى نفس المعنى مقالا فى ٢٩ من ابريل قالت فيه « ان المقصد السرى للسياسة التركية هى أن تفتح ضد انجلترا كل المسألة المصرية » (١)

وقد تم الاتفاق بين الفريقين التركى والبريطانى على اختيار لجنتين تمثل كل لجنة فريقا من الفريقين المتخاصمين ، وإن كانت تركيا رافضة فكرة وضع حدود بين مصر وفلسطين ، رفضا حازما لاعتقاد الخليفة التركى بأن مصر وفلسطين ولايتان من الولايات التركية فلا يجوز أن تقوم بينهما حدود ، وكان الحزب الوطنى برياسة مصطفى كامل ، شديد الكراهية لكل مايأتى من طريق الاستعمار البريطانى ، ولذلك أيد الموقف التركى تأييدا شديدا ، تأثر به الرأى العام المصرى ، إلى حد أخاف السلطات البريطانية من احتمال قيام ثورة فى مصر ، ولكن الضغوط البريطانية على حكومة استانبول التى أيدها المعسكر الاستعمارى الأوربى كله ، وضعف الحكومة التركية آنذاك أدى إلى قبول الاقتراح البريطانى ، وتشكلت لجنتان مصرية وتركية وضعت علامات الحدود وعددها ٩١ ، واستقرت طابا فى الحدود لمصرية وانقطع كل نزاع حولها . حتى سنة ١٩٨٤

---

(١) الدكتور يونان لبيب رزق - الأصول التاريخية لمسألة طابا ص ٢٥

الحمقى والأذكياء

بين كساد العقل وسوء الأدب

بقلم : حلمى هلال

قال ابن الجوزى فى كتابه ((اخبار الحمقى والمغفلين)) انه شرع فى جمع أخبارهم لثلاثة اسباب : الاول ، لان العاقل اذا سمع سيرتهم ادرك النعمة التى هو فيها ، والثانى لان ذكر افعال المغفلين يدفع الناصح ، النبيه الى اتقاء اسباب البلاهة والغفلة ، أما الثالث فلأن ذكرهم يوجب الضحك والهزل اللازمين للترويح عن الفكر والقلب .

● الطير بالطير يصاد ، والحاوى لاينجو من الحيات ، وخذ اللص قبل أن يأخذك !

● الحمقى : عقلاء المجانين !!

● هجران الأحمق ، غنيمة ، والسكوت عن الأحمق جوابه ، ومعاتبة الأحمق ، نفخ فى تليسة !!

من ذخائر الكتب العربية

وسمى « النيسابورى » كتابه عن الحمقى « عقلاء المجانين » ، وقال فى تقديم الكتاب انه قرأ فى صباه قصصا عن الحمقى والمغفلين ، كتبها الجاحظ وابن أبى الدنيا ، واحمد بن لقمان ، وابن سهل البغدادى فاستفاد من هذه القصص كثيرا ، وأدرك ان النـــاس ذوو اوصاف متباينه ، تقترن قوتهـــم بالضعف وقدرتهم بالعجـــز ، وانه يوافق « وهب بن منبـه » حين قال : خلق الناس جميعـــا : حمقى ! ولولا حماقتهم ، ماالذت لهم الدنيا ، ولا هنأ لهم فيها العيش !

ويقول الابشيهى فى كتابه«المستطرف فى كل فن مستظرف » ان المشاهدةمن خصائص الاجسام لا المعانى ،والعقل معنى وليس جسما ، لذا فانه لايـرى ولا يمسك وانما يستدل عليـــه ، وان من ظواهر العقل المحيـــرة انه يزيد وينقص ، ويذهب ثم يعود ، وان هناك اربعة اشياء تحتاج الى اربعة اشياء: الرياسه الى العقل ، والسـياسة الى الرأى ، والادب الى العلم ، والعقـل الى التجربة • والصراع بين الحمقى والاذكياء ـ صراع طويل، اتســـم احيانا بالشراسه والعنف واحيـــانا بالطرافه والمداهنه وتمشية الاحـوال، لكنه لم يهدأ لحظة واحدة ، ولـم تخمد ناره منذ عهد بعيد ، ومادام هنـــاك حمقى والذكياء ، فعلى الناس العاديين الذين لا ينتمون للحمقى ، ولاهـم فى عداد الاذكياء أن يحكموا بين الفريقين، واضعين فى الحساب ، ان التمييز بين الحمق والذكاوه لم يعد سهلا كمـــا كان فى التاريخ القديم ، ولا واضـــحا بالقدر الذى يسمح بالتصنيف والفصل فزمان كان الامر ميســورا ومكشوفا الاذكياء يستاثرون بالسلطة والمـــال والحمقى يقاومون الفقر والازدراء !

● الحمق غريزة ●

الرأى الراجـــــح فى كل الكتب القديمة : ان الحمق غـــريزه ! وانه كسناد فى العقل والقلب والرأى ، وان الاحمق لا يمكن أن يشـاور ولايلتفت اليه فى امر من الامور ، وان الحمق داء ، دواؤه الموت ، فلا تنفع معــــه الحيلة ، ولا المداواة ، ولا الصبر :

لكل داء دواء يســتطب به
الا الحماقة أعيت من يداويها

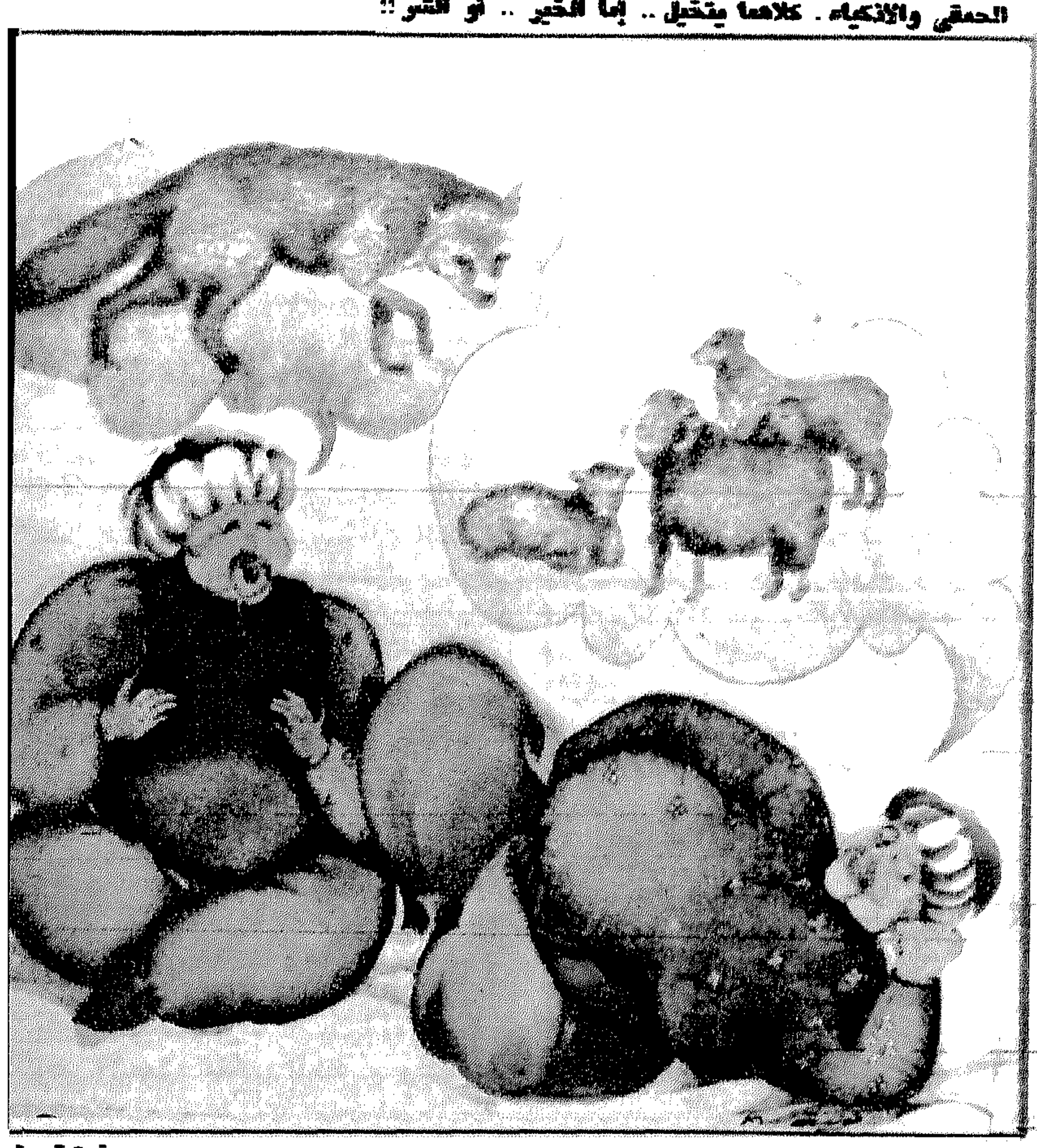
ويســـتدل على صفة الاحمق ـ فى رأى ابن الجـــوزى ـ من ناحيتين ، احداهما من حيث « الصورة »والاخرى من حيث « الخصال والافعال » ، فمن حيـــث الصـــــورة : اذا كانت رأس الانسان صغيرة جدا ، دل ذلك على « رداءة فى هيئـــة الدماغ » واذا كان الوجه على هيئة نصـــف الدائرة ، شديد الغلاظة ، والبـــلادة ، والعين صفراء ، مرتعدة ، مختلسة ، فصاحب هذا الوجه أحمق ومكار ، ومن كانت انته طويلة جدا ، وعريضه ، فهـــو احمق وجاهل ، ولكن ميزة هذا النوع من الحمقى : عمره ، فهو طويلالعمر جدا ، وفى كل الاحوال فان كــــلام الاحمق، اقوى دليل على حماقته،وتغفيله أما من حيث « الخصال والافعال » ،

ويحكى « النيسابورى »فى معرض كلامه عن : « صفة الحمـــاقة » ، ان أحمقين ، كانا يسيران فى الطـــريق ـ كعادة الحمقى ـ بلا هدف •• فقـــال احدهما للاخر : تعـــال يا أخى نتمنى على الله ، فان الحديث يقطع الطريق فقال الاخـــــر اتمنى ان يرزقنى الله عددا مهولا من الاغنام ، اكثـــر من اغنام الخليفة ، فرد الثـــانى : وانا اتمنى لو يرزقنى الله قطيعــــــا من الذئاب ، مساويا لعدد اغنامكبالضبط.

فاطلقتها عليها ، فاكلها .. !! ثم ان الاحمقين تشاجرا ، وشتم كل منهما الاخر ، ثم قررا ان يحتكما الى اول من يمر عليهما من الرجال .فاذا برجل يأتي من بعيد ، تبدو عليه امارات الحكمة والذكاء ، يجر حمارا عليه خرجان ، كبيران ، ممتلآن ، فحكى له الاحمقان بصراحة ، ما وقع بينهما .

فاستمع الرجل اليهما دون ان ينطق بحرف واحد ، ثم اتجه قبالة ناحية الحمار ، فانزل الخرجين وحملهما ، عائدا دون ان ينطق بحرف واحد ، ثم سكب الخرجين واحدا بعد الاخر ، على الرمل قائلا : يسيل عسل مثل هذا العسل .. ان لم تكونا احمقين مختلفين !!

الحمقى والاذكياء . كلاهما يتخيل .. إما الخير .. او الشر !!



رسم : فوزية رضا

وقد قال البعض ان هذا الرجل هو « ابا الغصن » الشهير بجحا ، ولكن « ابن الجوزى » ينكر هذا ، ويقول ان بعض اعداء ابى الغصن اعتادوا ان يلفقوا له هذه الحكايات لينالوا منه فهو وان ادعى الحماقة الا انه لم يكن كذلك ·

ويواصل « النيسابورى » بحثه عن الصفات الجامعة المانعة لشخصية الاحمق ، فيضيف الى كل ما سبق ان الاحمق يسب ، ويرمى ، ويخرق الثوب ويخالف عادات الناس ، وانه يمكن اعتبار الحمق – عموما – ضربا من الجنون ، وذلك لان الاحمق لا يختلف كثيرا عن المعتوه او الاخرق، لكنه ايضا – اى الحمق – صنوف ومذاهب وانواع ·

● حمق يضرب به المثل ●

بعد ان اصبح واضحا ، من هو الاحمق ، فان الامر لا يقف كما يقول ابن الجوزى – عند هذا الحد ، صحيح ان الحمقى يشتركون جميعا فى خصال وافعال عمومية، الا ان الحمق انواع واجناس لدرجة ان بعضها قد ذاع صيته ، حتى اصبح يضرب به المثل عند الناس كالمائق ، او الرقيع المرقعان وهو الاحمق الذى يتمزق عليه عقله ورأيه والخبلان المهووس او الهلباجة وهو الاحمق الكثير الاكل والكلام ، واللكع وهو الاحمق اللئيم والاخرق وهو الذى يخرق الاشياء ويرقعها ، ولا يحسن مسكها ، والذهول الجعبس وهو الاحمق الذى لاخير فيه ، وغالبا ما يتمخط فى كمه و « الهجاجة » الخرف وهو الاحمق الكثير الخطأ ، وملتهما ايضا الهائم والمدله والابله والمستهتر والاهوج ، اما « الهبنقع » فكفاك الله شر الهبتقع ، فهو – كما يقول النيسابورى – اخطر انواع الحمقى ، لانه غلاظ ، سيء الادب جدا ، مثله كمثل المائح الذى فى اسفل البئر ، او مثل الفائظ يدعى الحماقة لينال ، او البلاهة كى ينجو من مصيبة او كارثة، وهو عموما مشاغب وفيه جراه ونذالة، وقد اشتهر من فصيلة الهبنقع ، « سزهر الحمار » ، و « ابن الاقرع » و « ابن الجصاص » و « بهلول » ،·

● ((ابن الاقرع)) والدفاع عن الحمقى ●

ورد ذكره على لسان الابشيهى، فى كتاب «المستطرف فى كل فن مستظرف»: انه « ابن الاقرع » ، الذى كان طبقا لتصنيفات الحمقى من النوع« الهبنقع» وكان سياحا فى البلاد لهجا بالقول والكلام الغريب ، جريئا ، لايعرف له ماوى ولا مكان ، وفضلا عن كل صفات الحمق التى انفرد بها « ابن الاقرع ، فقد كان له داء شنيع ، كان لا يستطيع ان يحبس الريح الخارجة منه، ولكن يبدو انه كان معذورا ، فى ذلك ،حتى انه كان مسموحا له ان يخرج الريح، بحرية ، فى حضور الامراء والوزراء والكبار ، وقد قام « ابن الاقرع » بالدفاع عن الحمقى ، فى مواجهة الاذكياء ، وصعد احيانا بالخلاف بينهما الى مناطق خطره ، فقال ابتداء انه لا يوافق على تعريف الاذكياء ، للحمق والحماقة ، ولا على الاسباب المؤدية اليهما ، وذلك لان الحماقة ، لا ترجع الى كساد فى العقل ، وانها يستحيل ان تكون غريزة ، لان هناك فرقا بين الحمق والجنون وان الحمة فى الاصل مشتق من « حمقت السوق»، اى كسدت وافتقرت ، فكل ما فى الامر ان ضيق ذات اليد والجيب ، يورث

سوء الادب ، والابتعاد عن العلم كلية، والعجب المستمر ، والقلق ، والخفة ، وطبعا النميمة ، وكثرة الكلام ، وهو لا يوجب الاحترام ، بالمرة :

حياك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهم ما حياك انسان

ولكن من عيوب « ابن الاقرع » ، فضلا عن ذاتيته الشديدة ، انه يقطع سياق الكلام العاقل ، فجاة يصيح بكلام غريب ، فقد كان يسير ـ مرة ـ فى الطريق ، فرأى زحاما ، وسمع ضجة شديدة ، فلما سئل عن ذلك قيل له : انه السلطان ، يقطع يد أحد اللصوص ، فقال ابن الاقرع : الطير بالطير ، يصاد ، والحاجة تفتح ابواب الحيلة ، والحاوى لا ينجو من الحيات، وخذ اللص ، باللص ، قبل ان ياخذك .. !!

● الاذكياء ، وفتح باب المرافعة ●

قال الاذكياء : عيب أن يجاهر الانسان ـ هكذا بفقره ، لان ذلك مهين جدا ، بل هو من صفات الحمق الاكيدة ، فلقمان « الحكيم » قال لابنه : يا بنى اكلت الحنظل ، وذقت الصبر ، فلم أر شيئا أمر من الفقر فان افتقرت ، فلا تخبر الناس حتى لا ينتقصوك ، ثم الا ترى الى البدوى فى بيت من خيش ، كلبه ينام معه ، لباسه شملة من وبر ، دواؤه بعر الابل ، طيبه القطران ، حلى زوجته الودع ، صيده اليربوع وهو قانع بذلك ، بل مفتخر به !! » .

أعاد الاذكياء النظر فى مقولتهم الاساسية التى تقول بأن السكوت عن الاحمق : جوابه خصوصا عندما تزايد الناس الذين يرددون كلام الحمقى ، ويتحيزون الى صفهم ، فرأى الاذكياء أنه من الضرورى أن يفسحوا صدورهم قليلا ، وان يستعينوا بالادباء والشعراء والكتاب لانهم ـ كما قالوا ـ أمراء الكلام ، يتصرفون فيه كيف شاءوا ، وجائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم ، من اطلاق المعانى وتقييدها ، وتسهيل الالفاظ وتعقيدها ، فقالوا ، ان العقل ـ أى عقل ـ يحتاج الى الادب كما يحتاج البدن الى الطعام ، حكى عن السهمى أنه كان طويلا عريضا كالجدار ، غنيا لا يحصى له مال ، يخبط الجبل فيبعثر كيانه ، أو يشخط فى الفيل فيغمى عليه « على الفيل » وذات يوم ركب « السهمى » حماره ذاهبا فى مشوار الى الطائف ، فأوقعه الحمار فى حقل من الشوك ، فدخلت شوكة صغيرة لا ترى فى باطن قدمه ، فماذا حدث وقف السهمى دقيقة ، ثم عميت عيناه، ثم خر من طوله ومات !! .

عندما سمع « ابن الاقرع » هذه الحكاية ، قال : ولو ! لان الشهر الذى ليس لك فيه رزق لا تعد ايامه ثم صاح :

وانى لاستحيى من الله ان ارى
اجرجر حبلى ليس فيه بعير
وان اسال المرء الدنىء بعيره
واجمال ربى فى البلاد كثير !

● الريح فى القفص ●

قال وهب بن منبه : عليكم أن تغفلوا كلية معيار الغنى والفقر ، فى القطع بصفة الحمق اذ كم من « كثيف مبيض وجلد مفضض » ، لان الاحمق فى الحقيقة هو من ركن الى الدنيا وعمل لها ووافق هواه دائما ، ثم حكى قائلا : والله اننى صحبت الفقراء فاسترحت ! فقد كنت أحزن عندما ارى ثيابا أحسن من ثيابى ، ودابة احسن من دابتى ، وبيتا اجمل من بيتى ! .

ثم قال ان العاقل المختلف بصفات عن الاحمق ، الجاهل هو من ينظر فى الفنين الاداب وقراءة الكتب

والآثار ورواية الأخبار والأشعار ، وأن يحسن في السؤال ، ويتثبت في المقال ، وإن سأل عما يعلمه أجاب .
إن ثمرة القلب الجميلة هي اللسان، الجدير بالذكر الأديب أن ينطق حين يعلم ، وأن يتحفظ من الشطط والغلط، وأنه ليس من شيء أسر وأحسن إلى صاحب العقل ، ولا أجمل موقعا في القلب من مصاحبة العقلاء ومجالسة الأدباء ، وأنه لا ينكر ذلك إلا الأحمق الجاهل .

وقال النعمان أن الله خالف بين طبائع الناس كي يوفق بينهم ، فالاختلاف سبب للائتلاف ، ولكن

ى من هو الأحمق بين هؤلاء الثلاثة ؟!



المرء أن أجبر على الكلام فلا شيء يرغمه على الصمت . وأن الحرص على الاستماع أليد وأسلم من الحرص على الكلام . فعلى المرء ألا يتساءل فيما لا يفهم لأنه اذا كان الكلام جميلا فإن السكوت جليلا !

من النوع « الهلباجه » كان بهلول ، وهو الأحمق الكثير الأكل والكلام قال أن الكلام السابق . كلا فصيح جدا لكن هناك فرقا بين الفصاحة والبلاغة . لأن الفصاحة تكون في الألفاظ . والبلاغة في المعاني وأن خلوص الكلام من الداخلة والثقل والتعقيد والدلورة بلاغة . وحيث أن الأمر كذلك فكلام الأذكياء كالريح في القفص . لا يدخل ولا يخرج . وأن العاقل الطائع مثله مثل الجاهل الجائع ، ولو كان بالقلب يحلى متعيش به لما عثرت من الدنيا بمليء ولاذا كان اللسان ثمرة القلب الجميلة فكيف يسكت حين ينبغي له أن يقول . ثم أخذت الكآبة « بهلولا » واقتحم يوما مجلس الخليفة المنصور وكان في حشد من رجاله . فبادره بهلول قائلا : هاه .. ازيك . وازى عيالك . وخرفانك فصرخ المنصور : أخرجوه الأحمق ابن الحمقاء . وقد حكى الجوزى انه قابل بهلولا يوما ، وكان جالسا في الشمس . يتقلى وكانت مؤخرته مكشوفة . فقال له « الجوزى » : استرها لسترها أخا الجول . فنظر اليه بهلول قائلا : أما لله مثلها .. يعني !!

● في التحذير من صحبة الحمقى ●

زاد نشاط الحمقى ، وصارت بعض أقوالهم حكما وأمثالا . الا أن الصراع بينهم وبين الأذكياء لم يسفر عن شيء له قيمة . فقد ترك الفريقان للناس العقلاء مهمة الحكم بينهما . الذين فضلوا بدورهم أن يلعبوا دور الحكم فلعبوه في مهارة وأطار مصوب : يتغير من زمن لزمن ومن موقف لآخر . حتى أخذت صفة الحماقة مفهوما شديد العمومية والاتساع . فاعتبر المراهق والعجوز المتصابي والسكران شعبة من شعب الحماقة . واتخذ البعض من الحماقة سترا للتهرب أو الافلات من المسئولية أو تجنيب المحاسبة والعقاب . حتى جاء صبي صغير قدر له أن يرد للحماقة اعتبارها وأن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه ليجلس جنبا الى جنب مع الملوك والأمراء والكبار .. فقد حكى « النيسابوري » أنه كان لرجل من الأغنياء . غلام صغير يخدمه . وكان الغلام أحمق كسولا . كثير الكلام . فأرسله الرجل يوما ليشتري له عنبا وتينا من السوق . فتأخر الغلام جدا . ثم عاد ولم يحضر الا العنب فقط . فضربه الرجل وقال له : اذا أرسلتك مرة ثانية لتشتري شيئا . فأتي كالريح . واذا طلبت منك شيئا واحدا فأتي بشيئين ! ثم بعد أيام . مرض الرجل فأرسل الغلام ليأتي له بالطبيب . فطار الغلام طيرانا ثم عاد ومعه رجلان !! فسأله سيده : من هذا الرجل الثاني ؟ فرد الغلام لقد قلت لي من قبل أن أقضي الحاجة حاجتين ، وأن أذهب وأعود كالريح ، وهذا هو الطبيب يا سيدي فإن شفاك كان بها . وان لم يفلح فهذا الرجل . حانوتي ليغسلك ويحفر لك قبرا ! .

يقول النيسابوري أن هذا الغلام هو جحا ! وأن الآراء فيه قد تباينت واختلفت فلا تستطيع أن تجزم أن كان ذكيا أو أحمق ، وأن كان في غالب أحواله متحامقا عن وعي وادراك .

قصة الزار

كيف بدأ .؟ وهل يعالج الأمراض ؟

بقلم : د. سيد عويس

كنت صبيا فى العاشرة من عمرى وربما قبل ذلك ، اى فى المرحلة التى كان يقول اولاد الحارة ، التى كنت قد ولدت فى احد منازلها وفى اوقات الفراغ العب وارتع بين جنباتها ، كما كانت تقول بنات هذه الحارة ، الشعار القائل « الصبيان مع الصبيان والبنات مع البنات » . كنت أقوله مع صبيان الحارة وكانت تقوله بنات الحارة ايضا . وكانت عبارة هذا الشعار تخرج من افواهنا وكانها « مطلع اغنية » !

كنا نقضي اوقات اللعب فى الحارة ، اقصد نحن الصبيان ، فى لعب « البلى » او فى لعب « السيجة » او فى لعب « الكرة الشراب » . وكنا نغنى الاغانى الشائعة فى ذلك الحين احيانا . وانا لا اذكر هذه الاغانى وقت كتابة هذه السطور . ولعل اذكر بعض مقاطعها :

« يا تواعم يا تفاح حاجة حلوة كويسة
و « تعالى يا ياشاطر نروح القناطر
و « مالك كده سخسختى .. يوه
جتتى مش خالصه النبى يا اختى
ياست زهرة ما تزعليش
جوزك سبع الرجال وغيره مافيش
ياست الكل ياأزى الفل ! »

اما البنات ، اقصد بنات الحارة ، فقد كن فى معظم الاحيان يغنين وتدق احداهن « الطبلة » . وكنا نراهن من بعيد وهن يرقصن . واذا ما كانت فى الحارة ، حفلة زار » فى احد المنازل او فى منزل من المنازل التى فى حارة مجاورة ، كنا نراهن يترنحن ويرقصن على دقات الدفوف التى توجد عادة فى حفلات الزار وتصل الى آذاننا جميعا .

كنت فى ذلك الحين لا اعرف عن حفلات الزار الا ما ذكرت من قبل . ثم فجأة واجهت احدى هذه الحفلات وجها لوجه عندما علمت بان احدى خالاتى المتزوجات والتى كانت تعيش مع زوجها وشقيقتيه الست حنيفة والست سكينة . وكانوا يعيشون جميعا فى منزل يصفه الناس من حوله انه « بيت المماليك » . كانت هذه الخالة مريضة ، كما قيل لها ، وكانت شقيقتا زوجها آنستين ولم يتزوجا على الرغم من انهما تجاوزتا السن التى تعودت الآنسات فى ذلك الحين الزواج فيها . اى انهماكانتا من العانسات على الرغم مما

* * * * * * * * * *

كانتا عليه من ثراء يتمثل فيما كانتا
تتحليان به من اساور وحواة وعقود
فقد كانت الواحدة تلبس اكثر من عقد
ذهبية ، كما تتمثل في المنزل الذى كانتا
تعيشان تحت سقفه ، القصد المنزل ذا
الحديقة الغناء والتى كانت ترتع فيها في
خيلاء الطواويس ذوات الالوان الزاهية
المتنوعة . انني الذكر كل هذه الاشياء كانني
اراها بالامس لانها في ضوء ظروف حياتي
في ذلك الحين كانت تبهرني وتخلب لبي .

● خرافات . ورقص هستيرى ●

وكان من الامور العادية ان تذهب امى
الى حفلة الزار هذه ولكن ابى ابى عليها
ذلك ورفض ذهابها رفضا لا رجعة فيه .
لقد كان يرى ان حفلات الزار ان هي الا
خرافات لا يذهب اليها شخص عاقل . واذا
كان ابى رفض ذهاب امى فانه سمح لى
بالذهاب الى حفلة الزار التي تقيمها اسرة
زوج خالتي كبديل لامى اتى يجب ان
اكون في راى ابى شخصا عاقلا وانا
شخص غير عاقل اى غير مدرك . ولعل هذا
الراى ، راى ابى ، لم يكن صحيحا .
فالصغار اذ يرون ما حولهم ومن حولهم
يتاثرون ويؤثرون ، وماقى ذلك من شك.
وذهبت الى حفلة الزار وشاهدت لاول
مرة في حياتي طقوسها واستمعت لضرب
الدفوف والاناشيد التى تنشد ورايت
النساء ومعظمهن من قريباتي يرقصن
رقصات هستيرية وهن لابسات ملابس غير
الملابس العاديه ، بعضها شفاف يظهر من
ابدانهن مالا يجب ، في ضوء القيم الدينية
ان يظهر . ورايت واحده منهن تلبس
« الطربوش الاحمر » وتحاول ان تبدو
وكانها رجل . ورايت الواحدة منهن
ترقص ثم ترقص ثم تسقط على الارض
« مشنجة » ! وكانت انواع الاكل من كل
نوع ممتدة لمن يحتاج اليها ، وكان من
نصيبي ان امتلات جيوبي بالبندق واللوز
وعين الجمل وبعض الحلوى ، واذكر انني
اكلت لاول مرة اكلة لذيذة جدا قيل لى
عنها انها « أم على » . وقد وزع على
الحاضرين رجالا كانوا أو نساء مشروب
قيل عنه انه « بوظة » . وانني اذكر أن
نفسي عافت شرب هذا المشروب بعد ان
ذقت طعمه . وكانت علب السجاير منثورة
في كل مكان لمن يحب أن يدخن . وكان
بعض النساء اللاتى يرقصن يدخن .ورايت
واحدة منهن تطلب ممن حولها ان يضربنها
وكانها تؤدى دور المقهورة . وكنت اعلم
في ضوء خبراتي المحدودة ان النساء
المصريات في ضوء ظروفهن الثقافية
الاجتماعية والاقتصادية يعاملهن الرجال
معاملة السادة للعبيد !

وفي خارج القاعة التي اقيمت فيها حفلة
الزار ، كان الاطفال الذكور منهم والاناث
يرقصون كذلك رقصات هستيرية وكانهم
كانوا يقلدون ما يفعله الكبار . وقلت
لسيدة كبيرة السن من قريباتي مشيرا الى
صبية « البت دى عليها عفريت » فقالت
السيدة :

« شي الله يا اسيادى . ربنا يجعل
كلامنا خفيف عليهم »

وانني اذ اذكر كل ما ذكرت اود ان
اقول للقارىء الكريم ان هذه الاشياء كانت
تحدث منذ اكثر من ستين عاما . عند
الاقارب وعند الغرباء على السواء . والملاحظ
ان تكاليف حفلة الزار في ضوء ما يقدم
فيها تكاليف كما بدت لى وانا صغير باهظة.
وكنت اسمع ان فلانة قد طلبت إلى زوجها
اقامة حفلة زار لكى ينفق ما معه من نقود





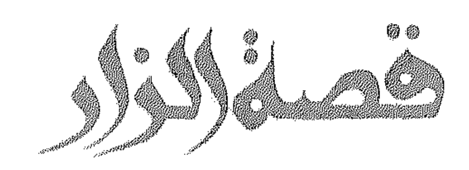
ويستعدين حتى لا يتزوج من غيرها • اى انه ما دامت لديه نقود فان احتمـــال ان يتزوج من غيرها كان كبيرا •

● مفهوم الكودية ! ●

واستمرت حفلات الزار فى الحى الذى كنت اعيش فيه ، وبمـــرور الوقت خفت دقات دفوفها ، وتوهمت أنها قد انقرضت وذهبت الى غير رجعـــة • ولكننى فوجئت وكنت اعمل فى احدى المؤســـسات التى تربى الاطفال الذكور ، او كما يسمون حتى الان « بالاحداث الجانحين » ، او تحـاول اعادة تربيتهم — فوجئت بأن أم احد هؤلاء الاحداث قد تزوجت من رجل « عليه اسياده » اى انه مريض الى الدرجة التى لابد له من ان يرقص رقصات هستيرية فى حفلة الزار وكانت المفاجأة اكبر عندما ابلغنى الحدث ان هذا الزوج يقيم فى منزله حفـــلات زار اسبوعية بمساعدة زوجته اى امه • وكان منزل هذه الاسرة يقع فى حى «باب البحر» بالقرب من باب الحديد بالقاهرة • وذهبت فى اليوم المحدد لارى بعينى راسى مايحدث ورايت العجب العجاب • رايت الرجـــال والنساء يرقصـــون على دقات الدفـــوف • وكانت ام الحـــدث اقرب من ان تكـــون « كودية » • واقصد بهذا اللقب ((شيخة

رقصة الزار ، يسبقها إطلاق البخور والنقر على الدفوف في جو صاخب !





الزار » اى السيدة التى تقود الاناشيد المصاحبة لكل « دقة » ، وهى التى تبدأ الحفل والتى تنهيه ، وعلمت بأنه كلما كثر عدد الحاضرين زادت النقود التى تدخل فى جيبها او فى جيب زوجها . وحجة كل منهما ان الحفل يحتاج الى أشياء كالبخور مثلا كما يحتاج الى « صيانة » الدفوف فضلا عن الجهود الانسانية التى تبذلها الشيخة والذين يعملون معها من الاعوان سواء كانوا من الرجال او من النساء !

والملاحظ اننى سمعت لقب « الكودية » هذا من قبل ولكنى لم أفقه له معنى ، سمعته وكنت صغير السن . ولاحظت انه لقب يبث فى نفوس الناس وبخاصة من كان عليهن « أسياد » الرهبة والاحترام . فانا منذ ولادتى كان يطلق البخور عادة من حولى ، وكانت من تفعل ذلك « كودية » وهى سيدة سودانية . كانت تأتى الى منزل الاسرة وكنت أذهب الى بيتها حيث رائحة البخور لا تنقطع . وعندما حضرت حفلة الزار التى اقيمت لخالتى سمعت اشياء كثيرة عما حدث ولم اره . سمعت عن الفراخ والديوك وعن الملابس التى يجب ان تلبسها خالتى وشقيقتا زوجها والتى رايت بعضها . وهى كما قيل لى بعد ذلك ملابس « الاسياد » . وكانت الاناشيد تنشد ولم يعلق فى ذاكرتى فى ذلك الحين شىء منها . ولكنى عندما زرت ام الحدث ، فاننى حرصت على تلقينى بعض هذه الاناشيد ، وكان منها كما اذكر الان :

« فاتحة الكتاب والصلاة عليه ، صلو عليه
النبى العربى ، صلوا عليه ..
ماما الهدى ، آه يا ماما ، بدر التمام
يا احمد ، نصبوا السكراسى لماما ، بر السماح
لماما ، بر الهدى ياماما ، صاحب العوايد ماما ،
صاحب الدبايح ماما ، نصبوا الميدان ياماما ،
آه يا زهر الورد ياماما .. الخ » .

و « سلام على أم غلام ، يا مرحبة يا ام غلام ،
سلام على ام غلام ، يا مرحبة بام غلام
ردوا السلام على أم غلام ، يابنت
ماما يا أم غلام ، يا أم الغلام والعفو
منك ، يا يا أم الغلام يبنى برهانك ، يا ام
الغلام واشفى عيانك ، يا ام الغلام
والطبل طبلك ، يا ام الغلام والليلة ليلتك » .

حدث ذلك فى النصف الاول من عقد الاربعينيات ، ومرت الايام تجرى الى غير مستقر لها ، وجندت لاعمل فى ميدان البحث العلمى الاجتماعى فى عام ١٩٥٦ وبعد فترة قصيرة سرت بين الاعضاء العلميين الذين كانوا يعملون معى فى هذا الميدان انهم يرغبون فى مشاهدة حفلة زار . كان معظم هؤلاء ينشئوا فى ضواى مدينة القاهرة ، كانوا يعيشون فى منازل تقع فى « جاردن ستى » او فى « الزمالك » او فى « مصر الجديدة » وهى الاحياء الراقية فى ذلك العهد . وذهبنا لنرى هذه الحفلة فى حى الطيبى بالسيدة زينب . ولم اكن اشاهد ماكان يجرى فى الحفلة ولكن كان همى ان ارى ما ارتسم على وجوه «الذوات» وكثر القيل والقال وتجاسروا فلم يكتفوا بالحديث عن انطباعاتهم بل تحدثوا عن ارائهم كذلك وكان معظم هذه الاراء اذ كنت اسمعها وكأنها تأتى من عل . لقد كان الهدف من زيارة الحفلة ومشاهدة مافيها ومن فيها ان ينزل هؤلاء الزميلات والزملاء من عرش الاوهام الذى كانوا يتربعون عليه الى الواقع الحى الذى يعيش فيه بعض اعضاء مجتمعنا . ولكننى أعتقد فى ضوء خبراتى مع هؤلاء ان هذا الهدف لم يتحقق !

● الاضرحة .. مناطق نفوذ ●

وفى اوائل عقد الستينيات ، وبالتحديد فى عام ١٩٦٣ ، كنت اهتم بموضوع

« الصدقات والنذور » • وكان هذا الموضوع موضوعا لدراسة اشرفت عليها وقامت باجرائها الزميلة فريدة احمد لتقدمها تكملة لدراساتها التى القيت فى المحاضرات لنيل درجة البكالوريوس فى الخدمة الاجتماعية • وللمرة الاولى عرفت موضوعيا تقسيم بعض اعضاء مجتمعنا لبعض اضرحة اولياء الله الى مناطق نفوذ لكل منطقة بعض الاختصاصات • وتتصل هذه الاختصاصات بنواحي الحياة المختلفة • وكانت اوسع هذه الاختصاصات انتشارا الناحية الطبية التى تتفرع منها عدة فروع •• منها :

ـ ان نجد المراة المصابة بالعقم مثلا تتردد على ضريح « الشيخ المغاورى » تتمرغ على الارض حول الضريح لتشفى من عقمها ، وتعتبر هذه العملية خدمة مباشرة يؤجر عليها الشيخ الذى يعمل بضريح الولى والذى يقوم فى نفس الوقت بتعديد ماثر هذا الولى فى شفاء العقم وانجاب الذرية الصالحة • ولا يسمح لاية امراة بالحصول على هذه الخدمة ما لم تنفح الشيخ المذكور « ما فيه القسمة » ، وبعد ذلك تنذر نذرا توفيه اذا ما تم الحمل !

وان نجد « الشيخ ابو السعود » له عيادة » مفتوحة كل يوم ثلاثاء • وهى عبارة عن عدة فرق للزار تحتكر مكانا حول الضريح باسم علاج النساء اللاتى عليهن « عفاريت » أو « اسياد » • وما على المراة التى ترغب فى العلاج الا ان تدفع « ما فيه القسمة » لشيخة الزار (الكودية) بشرط الا يقل مافيه القسمة هذا عن مبلغ معين ! وتقوم هذه الشيخة بتبخير المراة (المريضة) استعدادا للترنح فى « الدقة » التى يفضلها « العفريت » الذى عليها ، والذى سبب لها المرض بطريقة أو باخرى ، والذى سيشفيها من مرضها حين تترنح فى دقته المفضلة •

وقد لاحظت الزميلة الباحثة ان الدقة فى الزار عبارة عن نغمات موسيقية تشترك فيها الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات ، وان كل دقة لها لحن مميز ، وهي عادة نغمات موسيقية عنيفة ذات ايقاع راقص اقرب ما تكون الى موسيقى «الجاز» والملاحظ ان النغمات تختلف حسب جنسيات الاسياد فهذه يرضاها سودانى واخريات يرضاها مغربى او مصرى او جركسى •• وهكذا •

ولا تنسى المراة ان تسدد نذرا لابى السعود توفيه فى حالة شفائها من المرض ! وقد ذكرت الزميلة الباحثة اضرحة اولياء اخرين ذوى اختصاصات اخرى ، ومن هؤلاء الاولياء « الشيخ الشعرانى » وتخصصه علاج الامراض النفسية والعصبية وضيق النفس والزهقان ! و « الشيخ ريحان » الذى يختص بالاطفال الذين اتكفئوا فى عتبة فى وقت الصلاة فاذاهم العفاريت الذين يسكنون الارض! و « الشيخ يحيى » الذى تتضمن منطقة اختصاصه الخلافات والمشاكل الزواجية • فهو يعالج حالات الهجر او تزوج الزوج من اخرى •• الخ •

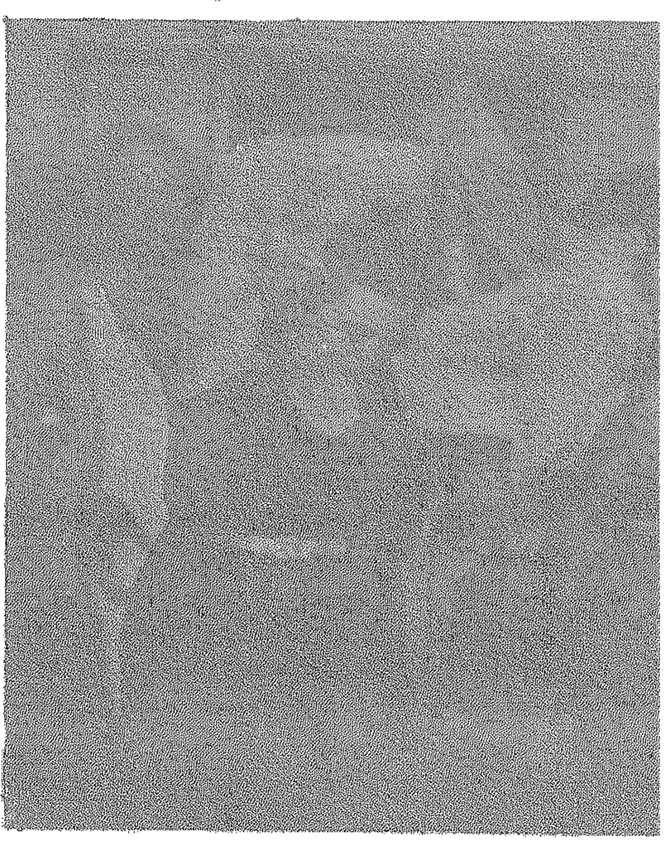
والملاحظ انى فى ضوء تنشئتى الاجتماعية فى حى الخليفة كنت اسمع عن « الشيخ ابو السعود » ولكنى فى ضوء الحقائق التى اوردتها الزميلة الباحثة كنت التقاها لاول مرة بالتفصيل •

• الزار فى الاماكن السياحية! •

ومرت الستينيات وبدات السبعينيات ولم اسمع دقات دفوف الزار فى احياء القاهرة • ولكنى فوجئت للمرة الثانية او ربما للمرة الثالثة بوجودها فى منطقة الاهرامات بالجيزة فى مكان قريب من هذه المنطقة يسميه المواطنون « سيدى حمد » ، وعلمت ان هذا الولى يلقب « بالسمان » وتنسب اليه نزلة السمان وهو حى معروف حيث يسكن فيه المرشدون السياحيون فى الاغلب الاعم ، فضلا عن اصحاب الجمال او الخيل او الحمير او العربات التى يعشق ركوبها باجر الوافدون الى منطقة الاهرامات من المواطنين او من الاجانب على السواء •

وقد تعودت على أن اذهب الى منطقة الاهرامات كل يوم جمعة فى فصل الربيع • وفى يوم من أيام الجمع التى تصادف وجودى فى المنطقة وجدت « طابورا » من النساء ومعهن اطفالهن يسرن جماعات فى

قصة الزار


يتمايلون على دق الطبول فى واحدة من حفلات الزار

وعندما سألت من هن هؤلاء النساء ولماذا كن يمشين معا وما هو المكان المقصود ؟ قيل لى انهن ذاهبات الى « سيدى حمد » حيث تعقد فيه حفلات الزار ، اسبوعيا ال يوم جمعة .

ودفعنى حب الأستطلاع وذهبت الى المكان حيث تعقد فيه حفلات الزار ، وكنت وحدى وسمعت دقات الدفوف وموسيقى الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات من بعيد .

ورايت من بعيد النساء يرقصن على دقات الدفوف كما رايت الرجال يفعلون نفس الفعل . ووجدت من خارج المبنى الذى يوجد فيه ضريح الولى « سيدى حمد السمان » ، والذى تقام فيه حفلات الزار ، مقاهى على شاكلة « الغرز » يجلس على الارض حولها عدد من الرجال الذين كانوا يشربون الشاى او يدخنون « الجوزة » . كما وجدت منضدة مرصوصا عليها ادوات من لعب الاطفال « طراطير » مصنوعة من الورق وكلها للبيع لمن يشترى لطفله او لطفلته ! .

ومر عقد من الزمان وهاانذا اجد نفسى فى نفس المكان لكى اعرف اكثر وصحبتنى سيدة فى هذه المرة لتجلس بين النساء اللاتى يحطن بضريح سيدى احمد السمان طلبا لرضاه وداعيات لشفاء مرضاهن من النساء والرجال والشباب . وفى هذه المرة لم اسمع سوى صوت الدفوف والاناشيد التى تنشد ، واختفت موسيقى الالات الوترية والات النفخ والايقاع والصاجات. وكانت لدى الشجاعة لاجلس بين الرجال ، وشاهدت « الكودية » اقصد شيخ الزار يحادث احد الراقصين بعد الانتهاء من الدقة . وكان مضمون حديثه غير واضح لى . ولكنه كان وكانه يتحدث الى « انثى » وسمعته يخاطبها راجيا مرة ومرغبا اخرى ومهددا ثالثة . وكان رد الشاب على بعض احاديث هذاالشيخ ان يومىء براسه موافقا لم اسمع صوتا يخرج من فيه ، لا صوت ذكر ولا صوت انثى . وجذب شيخ الزار بتؤده يده التى كان قد وضعها فى يد المريض وكانه يعاهده او كانه يعاهد مخلوقا لا اراه ، ثم قام مبتسما . وقال ان كانوا معه « يوم الخميس لازم يحضر المولد » وهو يقصد مولد « الشيخ حمد السمان » ثم اعلن هذا الموعد بصوت مرتفع قائلا : يوم الخميس المولد والحاضر يعلم الغائب كلكم لازم تحضروا » .

ووجدت السيدة التى كانت تصحبنى قد علا وجهها الدهشة لان مكان الزار الذى تقام فيه حفلاته مبنى من المبانى الفرعونية التى تقع بجوار هرم « خفرع » وهذه المبانى هى فى حقيقة الامر اثار تشرف عليها الدولة . ووجدت بعض النساء الحاضرات يحرضون السيدة التى كانت تصاحبنى على الدخول فى احدى الغرف المبنية بالصخور . وكان الضوء فيها ضئيلا ومن ثم لاحظت انها لم تر شيئا فى اول الامر . ويبدو انها كانت لاتزال متاثرة . من الضوء الذى كان يملأ الطريق الذى

يؤدى الى ضريح « سيدى حمد » ، فقد كان ضوءا ساطعا • ولاحظت مصى دقةالزار ورات الشاب المريض وهو يترنح ويتحرك حركات هستيرية وابدت وكانها تريد ان تجلس ولكن ما لبث بعض الحاضرات ان قدنها نحو « طرقة » مظلمة وضيقة فيها اناس من الجنسين ، ويبـــدو وكانهـــم يحاولون أن يجدوا طريقهـــم الى ضريح « سيدى حمد السمان » فى الداخل وكان الظــلام دامسا فقد ذكرت لى انها لم تر شيئا • ولكنها احست بان « أرضـــية » المكان كانت غير ممـــهدة • وســـارت فى صحبة جمع من النساء والرجال مســـافة طويلة يبلغ طولها نحو عشرة امتـار ، كما ذكرت لى • ثم وجدت نفســـها امام « منحدر » شبه عمودى وفضلت ان تعود حيث أكون فى الحجرة التى تقام فيها دقة الزار • ولكنها اضطرت الى النزول بعد ان حدل « جسمها » بعض الحاضرين • وفجاة وجدت نفسها امام الضريح الذى كان فى حجرة تنيرها انوار الشموع • وذكرت لى بعد ذلك انها تبادلت مع من حولها الدعوات الطيبات فضلا عن اضطرارها الى تقـــديم الشـــكر لهم تعبيرا عن امتنـــانها باتاحة الفرصة للحصول على بركة « الشيخ حمد السمان » • وعادت مثلما ذهبت حيث كنت انصت للكودية وهو يتحدث مع الشـــاب المريض ممسكا بيده وكانه يعاهده او كانه يعاهد مخلوقا لا اراه •

● الزار .. لماذا ؟ ●

وكنت فى خـــلال عام ١٩٧٠ قد قرات مقالا عن ظاهرة الزار فى احدى المجـــلات الاسبوعية • وتضمن هذا المقال آراء متباينة منها من يعدها خرافة من الخـــرافات التى تجب ابادتها • فهى لم تكن ، ولا تزال ، مصرية الاصل ، أى أنها وافدة من خارج مصر من الحبشـــة والســـودان • وان من المعلوم ان علماء الحملة الفرنسية الذين صحبوا نابليون وكتبوا كتـــابهم المعروف « وصف مصر » قد ذكروا كل شىء ولم يذكروا عن حفلات الزار شيئا ، وفعل نفس ما فعل هـــؤلاء العلماء المستشرق المعروف « ادوارد وليم لين » • لقد ذكر كما ذكر الســـابقون الكثير عن « الذكر » ولكن لم يذكر ، كما لم يذكر السابقون ، شيئا عن حفلات الزار • ولعل كتابه الذى نشر فى عام ١٨٣٥ وسماه « المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم » يكون شـــاهدا على ما اقول • وفى ضوء حقائق التاريخ نجد ان « ادوارد وليم لين » قد زار مصر ثلاث مرات • وكانت الزيارة الاولى فى خـــلال الفترة من عام ١٨٢٥ حتى عام ١٨٢٨ • اما الزيارة الثانيـــة فقد كانت فى خـــلال الفترة من عام ١٨٣٣ حتى عام ١٨٣٥ • وكانت فترة الزيارة الثالثة فى خلال عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٤٤ • اى أن الزيارات الثلاث كلها حدثت فى خلال حكم « محمد على » (١٨٠٥ - ١٨٤٩) • فهل المقولة الخاصة بوفود حفلات الزار من خارج مصر مقولة صحيحة ؟ واقصد من خروج مصر اى من الحبشة والسودان وذلك بعد ان فتح محمد على السودان فى عام ١٨٢٠ وجلب العديد من ابنائه وبناته ليكونوا عبيـــدا يعملون فى بيوتات المصريين « الذوات » ! وبعـــد أن عـــزز جيشــــه من ابنـــائه الذكور ليكونوا جنودا يحارب بهم من اجل اطماعه التوسعية ، والاسئلة التى تطرح نفسها على الدارس هى : هل خفيت اقامة حفلات الزار عن « لين » فلم يسجلها فى كتابه المشار اليه ؟ او انه اعتبرها رقصات شعبية مثلها مثـل الذكر الذى كتب عنه وافاض ؟ او انها كانت ولا تزال تحاول ان تجد مكانها او مكانتها فى محيط العناصر الثقـــافية للمجتمع المصرى فى ذلك الحين ومهما يكن من الامر فان حفلات الزار كما نراها فى الوقت الحاضر قد قبلها المصريون واصـــبحت جزءا من تراثهم الثقـــافى الاجتماعى • والسؤال الذى تجب الاجابة عنه هو لماذا قبل المجتمع المصرى حفـــلات الزار وفيها من الاســـاطير ومن الطقوس ما فيها ؟

وساحاول الاجابة عن هذا الســـؤال ، وارجو من القارىء أن يتســـامح معى اذا

قصة الزار

كنت سارجىء هذه الاجابة حتى نتاكد مما اذا كانت حفلات الزار هي مجرد خرافة او ان لها وظائف ثقافية اجتماعية وطبية نفسية ، اذ نجد في التراث العلمي ان علماء الانثروبولوجيا والنفس الاجتماعي والطب النفسي لهم آراء في هذا الموضوع • فنجد ان البعض من هؤلاء يقول ان حفلات الزار تتيح للمراة المصرية الشعور بالاهمية ، اذ تعالج « مركب الالم » الذى عادة ما يتسلط عليها • ويؤكد ذلك ان اعضاء العائلة التي تنتمى اليها المراة التي تكون عليها « اسياد » وتحتاج من اجل ذلك الى اقامة حفلة زار ، يهتمون جميعهم بالامر • ونراهم يسهمون بطريقة او باخرى في اعداد هذه الحفلة • ومن ثم نراها اى هذه المراة ترضى نفسيا عن هذا الاهتمام الجارف • وتكون نتيجة ذلك اعادة التوازن النفسي اليها • وفضلا عن ذلك فاننا نلاحظ ان ظروف الحياة وخاصة في محيط النساء المصريات ظروف كلها قلق مرضي وتوترات ، ولعل الجهد المضني المبذول في رقصات الزار والاناشيد التي تنشد في حفلاته ودق الدفوف وغيرها ان تساعد على التنفيس عن هذه التوترات وتزيلها • والملاحظ كما يقول هذا البعض ان معظم المريضات من النساء بمرض « الهستيريا » قد يتوهمن وجود بعض الامراض لعوامل نفسية وعصبية ، فاذا امن بان عوامل وجودها ما عليهم من « اسياد » وان اقامة حفلات الزار هي لارضاء هؤلاء « الاسياد » فاننا نتوقع في معظم الحالات الشفاء•

ويرى بعض الاطباء النفسيين ان حفلات الزار لا تختلف كثيرا عن الاسلوب الذى يستعمله بعض مستشفيات الامراض العصبية • ويقصد بهذا الأسلوب مايعرف تحت اسم « السيكودراما » • ومع التسليم بان اقامة حفلات الزار كما نعرفها ان هي الا خرافة فان هذا البعض يتهم الاطباء النفسيين بعجزهم عن شفاء مرضاهم ، ومن ثم فانهم يتركون الاطباء ويذهبون الى « الكودياك » ! أى أن هؤلاء المرضى هم مجرد ضحايا المجتمع الذى يضم بين اعضائه هؤلاء الاطباء العاجزين !

ومن الصدف التى قذفت بها في طريقي الحياة ، انني وجدت نفسي مع تسعة اخرين لتعاطي الدراسات العليا في جامعة بوسطن في خلال العام الدراسي ١٩٥٤/١٩٥٥ ، وكنا جميعا من الذكور ، ندرس « مادة العلاج الجماعي » في « مستشفى بوستن السيكوباتي » • اى في ظل المناخ الثقافي الاجتماعي لمجتمع الولايات المتحدة الامريكية اقصد مجتمع ولاية « ماساتشوست » • وقد مارست مشاهدة أسلوب « السيكودراما » كما كان يمارس في هذه المستشفى ، بل كان من حظى ان كان لي دور في احدى الحفلات التى استعمل فيها هذا الاسلوب • اختارني احد المرضى لامثل دور الاب (كنت في الثانية والاربعين من عمرى في ذلك الحين) • ولكنى في ضوء تجاربي السابقة لم اجد اسلوب السيكودراما مماثلا لحفلة من حفلات الزار فلم يكن هناك احد يطلق البخور او يدق الدفوف مثلا • ولكنها كانت تجربة اضيفت الى غيرها •

• اليأس من الاطباء •

والملاحظ ان الذين يذهبون الى حفلات الزار لا يكونون بالضرورة مرضى بأمراض عقلية او عصبية او يعانون من التوترات او القلق ولكننا نجد النساء منهم يذهبن الى هذه الحفلات او تقام لهن هذه الحفلات للشفاء من العقم او من الاجهاض المتكرر او من امراض المعدة او من امراض النزيف • ومهما يكن من الامر فانه سواء كانت الامراض عقلية او نفسية او مجرد طبية فان الثقة التى تحظى بها « الكودية » من عملائها وعميلاتها ثقة لا حد لها • وذلك لان هؤلاء واولئك قد جربوا في حدود

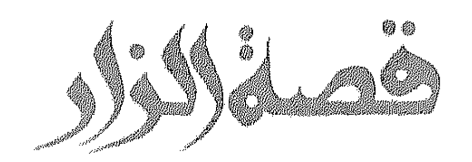


"كودية الزار" يأتي بحركات سريعة تضفي على المكان جوا من الخرافات !

لثقافتهم ومستواهم المالي الاطباء فلم يجدوا علاجا فاختاروا « الكودية » دليلا ومرشدا وارجو أن يتفضل القارىء بملاحظة قولي « عملائها وعميلاتها » ولم اقل كل الرجال او كل النســـاء ، فالمعــــروف الآن ان المستشفيات تستقبل من أعضـــاء الشعب المصري المعاصر الكثير صباح مساء • ولعل اليأس من التردد على اطباء هذه المستشفيات دون نتيجة ترضي بعض اعضاء المجتمع ان يدفعهم الى خلع الثقة على « الكوديات » والدليل على هذه النتيجة تتلمس عدد حفلات الزار عما كان عليه من قبل • ولعل بقاء هذه الحفلات آن يلفت النظر الى السؤال الذي ارجات الاجابة عنه الا وهو :

« لماذا قبل المجتمع المصري حفلات الزار وفيها من الاساطير ومن الطقوس مافيها ؟»

فالمعروف ان مفهوم الزار ليس مفهـوما عربيا أو حتى مفهوما مصريا قديما أو قبطيا ان هذا المفهوم هو أحد ألفـــاظ اللغـــة « الامهرية الحبشية » • والمعلوم ان هذه اللغة تنتمي الى اللغات الســامية ونحن نجد في ضوء حقائق التاريخ المصري القديم ان التوسع الفرعوني وصل الى بلاد النوبة في خلال القرن الخامس عشر وقبله حتى عام ١٥٠٠ ق٠م ، وان الحملات التجارية التي اوســلتها الملكة « حتشبسوت » (١٤٨٦ – ١٤٦٨ ق٠م) بطريق البحر الى بلاد « بونت » (ارض البخور) التي كانت تقع الى جنوب مصر ، والتي كانت تشمل كلا من بلاد الصومال ، وبلاد العربية السعيدة (اليمن) • والمعلوم ان التجارة اذا تنقل البضائع جيئة وذهابا فهي تنقل بعض العنـــاصر الثقافية المادية منها وغير المادية • وفضـــلا عن ذلك فاننا نجد في ضوء حقائق التاريخ ان اسم « شيكا » ذلك الفرعون الاثيوبي الذي حكم مصر في خلال القرن الثامن قبل الميلاد ، منقوش على حجر ضمن نقوش اخرى كما ذكر « جيمس هنري برستد » في كتابه « فجر الضمير » حيث تتضمن فقرات النقوش : ان جلالته (يعني الفرعون شيكا) نقل هذه الكتابات من جديد في بيت والده « بتاح » جنوبي جداره ، وقد وجدها جلالته بمثابة عمل خلفه الاجداد قد أكله الدود حتى أصبح لا يمكن قراءته من البداية للنهاية ، واذ ذاك قام جلالته بكتـــابته من جديد حتى



اصبح أكثر جمالا مما بان عليه من قبل» اى ان الملك الذى كان يحكم مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد كان اثيوبيا • وقد اهتم هذا الملك بالمحافظة على الكتابة القديمة التى خلفها « الاجداد » • وكان حرص هـذا الملك الاثيوبى على الكتابة القديمة حرصا شديدا ، فقد نسخت النسخة الجديدة على الحجر لتبقى على الدوام • ومن ثم بقيت حتى يومنا هذا أقدم مسرحية فى العالم ، كما بقى او بحث فلسفى وصل الينا من العالم القديم ، ويوجد هـذا الحجر فى الوقت الراهن قابعا فى المتحف البريطانى وتعرف هذه المسرحية « بالمسرحية المنفية » (نسبة الى مدينة منف) •

ويؤكد الاسـتاذ « ارمان » عالم الاثار المصرية القـديمه أن المدون على الحجـر المذكور هو مسرحية قديمة • ويرى «زيته» عالم الاثار المصرية القديمة انه من الضرورى « ان نفهم ان احد رجال الدين المشهورين او كاهنا مرتلا كان يلقى جزءا كبيرا من الرواية التمثيلية فى شكل خطبة مطـولة يظهر الالهة المقصودون خلال القائها عند قص حادثة فى الاسطورة فيلقون أقـوالهم فى شكل محاورة • وذلك هو السبب الذى من اجله نجد المحـاورات التى كان يقـوم بالقائها الالهة المختلفون الذين ساهموا فى التمثيل منتشرة بين أجزاء المسرحية ، بشكل جعل امثال هذه المحاورات ايضا تمثيلية فى شكلها » •

واذا كانت « منف راما » أو « المسرحية المنفية » اقدم مسرحية فى العالم ، فانهـا وغيرها مما عرف فيما بعد كما يقول الاستاذ الدكتور « عباس المحسن الخشـاب » فى كتابه المعروف « التياترو القديم » ـ تمثل الادب المسرحى الدينى فى مصر الفرعونية الذى كان له مجال عرض حركى دينى يقوم به كما تعرف من النقوش والنصوص رجال الدين ومن فى حكمهم من العابدين دون مناظر ولا نظارة أو مشاهدين يتـابعون الأحداث المسرحية والصراع من أجل الخير او من أجل هـدف سياسى يرمز اليه بالصراع بين الالهة ، لقيام المسرح فى طوره البدائى الدينى ! واذا كانت الطقـوس لا تتطلب بطبيعتها الا وجود القائمين بها او المشتركين فيها فان الدكتور الخشاب يرى انه لا داعى لوجود اماكن للمشاهدين وان اعترف بانه ابتدا من الامبراطورية الثانية فى طيبة « ٢١٦٠ ـ ١٧١٠ ق٠م » ، «ظهرت فى أبنية المعابد اماكن المشاهدين » عبارة عن مكعبات من الطوب على حوافهـا افريز ومن وصيفها يمكن الدخول اليها بطرقات منحـدرة ٠٠ وقد ظهرت هـذه الاماكن فى « الكرنك » ثم « مدينة هابو » و « ميـدا مود » ثم انتشر استعمالها فى داخل الاماكن المقدسة

القدماء ٠٠ والتعاويذ

والملاحظ اننا اذا حللنا الاغانى والاناشيد التى تنشد فى حفلات الزار نجدها تتضمن اسم الله ، واسماء بعض الانبياء ، واسماء بعض القديسين والاولياء، وحتى اسماء بعض الخدم وزوجاتهم • وتتضمن عبارات اغانى حفلات الزار والاناشيد التى تنشـد فيها اسـماء العديد من الجن والعفـاريت « الاسياد » • ولعل هذه الاسماء الاخيرة ان تكون بيت القصـيد ! والمعـروف ان المصريين القدماء قد خلفوا «كشكولا» من الجن والعفاريت • ويؤكد ذلك ما نجده فى « كتاب الموتى » (الاسرة الخامسة : ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق٠م) الذى يكشف لنا أكثر من اى مصدر قبله فى تاريخ مصر عن صيغة المحاكمة الخلقية فى عالم الاخرة وكيفيتها وتوخى المصريين الحقيقـة فى تصـوير المسئولية الخلقية • ونجد فى هذا الكتاب فضلا عن ذلك انه ينتظم طائفة من الرقى والتعاويذ السحرية التى كان يعتقد فيها القوم القدرة على جلب ما يرضى الميت من الحاجات المادية والجثمانية فى عالم الاخرة (ونجد تصوير المحاكمة (التى تظهـر فيهـا

الموازين) ان تكون الموازين فى يد الاله الجنازى القديم «(انوبيس » الممثل براس ابن آوى ، ويقف خلفه « تحوت » كاتب الالهة ليشرف على الميزان وفى يده القلم والقرطاس حتى يسجل النتيجة • وخلف « تحوت » يقف حيوان بشع الرؤية يسمى « المتهمة » ، له راس التمساح وصدر الاسد ومؤخرة فرس البحر ،ويكون متحفزا لالتهام الروح اذا وجدت ظالمة •

ولعل القارىء الكريم لايجد غضاضة فى تقريرى هنا ان الفيلسوف الاغريقى « افلاطون » (٤٣٨ – ٣٤٨ ق٠م) قد افاد من كتاب الموتى فى صياغة كتابه المشهور باسم « جمهورية افلاطون » •

ويقول « سلامة موسى » فى كتابه « مصر اصل الحضارة » ان المردة والعفاريت والتنانين ان هى الا صور مشوهة من الارباب والربات المصرية • فالربة «هاتور» بقرنيها توضح العفاريت التى لم تكن تخلو من القرون ، ونلاحظ ان راس الصقر قد انحدر من الرب « حورس » الى العفاريت ايضا • والثعبان الذى تطورت اليه هاتور فى مصر قد أصبح تنينا يقتله ((القديس جورج » « القديس مارجرجس » كما يرى على الجنيه الانجليزى المصنوع من الذهب • ولعل الصراع بين هذا القديس والتنين ان يكون الطبعة الحديثة للصراع بين « حورس » وعمه « سيت » • وقد اشتهرت « ايزيس » بلقب « العظيمة فى أعمال السحر » نظرا لانتجائها الى اعمال السحر للعثور على جثة زوجها وشقيقها اوزوديس» واعادة الحياة اليها ! •

وفى ضوء ما سبق ارجو ان يوافقنى القارىء الكريم على ان ماكان يحدث فى معابد مصر القديمة من محاورات واناشيد تنشد ورقصات ، فضلا عن وجود مناخ قاس اجتماعى يتيح الفرصة لوجود مخلوقات لها اثرها فى سلوك اعضاء المجتمع وان كانت لا ترى الا فى خيالهم – قد يسر لى – رؤية اوجه التشابه بين ماكان يحدث فى الماضى وما يحدث فى حفلات الزار • والمعروف ، كما سبق ان اوضحت ان اول حضارة وجدت فى تاريخ الانسانية كانت الحضارة المصرية القديمة • وان سلطان هذه الحضارة امتد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا • وان ماورد من الحبشة او السودان او الصومال عن طريق التجارة او عن طريق الاحتلال من طقوس حفلات الزار لم يكن مستغربا ولعل تقبل اعضاء المجتمع المصرى ، وبخاصة النساء فى ضوء ظروفهن الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، كان متوقعا • ولعل ما ورد فعلا قد تطور وربما تغير فى ضوء الظروف المشار اليها ، وهذا غير مستبعد • فمصر قد اوحت « للامام الشافعى » ٧٦٧ – ٨١٩ ان يكتب مؤلفه القيم « الام » ، ومصر قد اضطرت « ابن خلدون » ١٣٣٢ – ١٤٠٦ الى تغيير مقدمته المشهورة •

وبقيت كلمة اخيرة عن موضوع تلمس ظاهرة احتفالات الزار وبخاصة فى المناطق الحضرية • واننى ارى ، ولعل القارىء الكريم يرى مثل ما ارى ، ان ظروف الحياة من عام ١٨٢٠ حتى وقتنا هذا١٩٨٦ قد تغيرت تغيرا جذريا • فالمرأة المصرية العاملة « رق القهر » فى خلال هذه الفترة قد تعلمت وقد خرجت الى العمل ومن لم تحررت اقتصاديا ، فضلا عن انتشار المستشفيات والمستوصفات وارتفاع مستوى العلاج الطبى والطب النفسى • والتاريخ المصرى يشهد بان المصريين يعطون وياخذون يعطون الوانا من الثقافات وياخذون الوانا من الثقافات • وما ياخذونه يكون بالضرورة نافعا ومفيدا ومقبولا عندهم • ولعل مثال احتلال الفاطميين ٩٦٩ – ١١٧١ يكون دليلا على ذلك • فقد حاول هؤلاء المحتلون ان يستبدلوا بالمذهب السنى الذى كان يعتنقه المصريون المسلمون المذهب الشيعى وصبر المصريون على مضض ، ولعلهم كانوا يؤدون دور المتفرج • وما ان انقشع احتلال الفاطميين رجع المصريون المسلمون الى مذهبهم السنى على الرغم من مرور هذه السنين الطوال واستمروا قائمين به حتى يومنا هذا ! •

بقلم: د. شكري محمد عياد

الديك المغترب

● فجر هذا اليوم ،سمعت ديكا يصيح.
قديما قيل أن البلاغة الايجاز . ولا يزال هذا القول صحيحا بالرغم من اطنان الورق المطبوع ،ومئات ساعات الارسال . فالمحك الحقيقي لمهارة المحرر الصحفي ليس المقالة ، ولا العمود ، ولا الخبر ، بل ((المانشيت)). ومع اني عازم على أن أكتب لك مقالة طويلة الى حد ما ، فقد أعجبتني هذه الجملة الموجزة : « فجر هذا اليوم سمعت ديكا يصيح .. وشعرت أنها شفت نفسي من جهات كثيرة ، وان كانت الدلالة على هذه الجهات تتطلب الخروج من الايجاز الى شيء من الاطناب)) ●

ولا اظن ان القدماء مع غرامهم بالايجاز كان يمكن ان يقبلوا مني هذه الجملة فضلا عن ان يصفوها بالبلاغة وأغلب الظن انهم كانوا سيصنفونها في ادنى درجات الافادة : فمن الذى يجهل ان للديك صياحا وان هذا الصياح يكون في اول الليل ووسطه وآخره ؟ ولقد كانوا اذا أرادوا المبالغة في غرابة الامر قالوا : « هذه والله بيضة الديك » . فلو انني قلت : « فجر هذا اليوم ، باض عندنا ديك » لكانت مسالة أخرى . واذا وصفني القدماء والمعاصرون بالكذب بدلا من البلاغة فقد اطمع في بعض الرضا من الصحفي الكبير الذى كان يعلم صبيانه : « أن كلبا عض انسانا ـ

ليس هذا خبرا ، ان انسانا عض كلباء هذا هو الخبر »

ولكننا يا صديقى ابناء هذا العصر ، ولم تعد بيضة الديك ـ اذا هو فكر فى ان يبيض ـ امرا مستغربا لاننا من كثرة ما راينا ولـ ـــرى من الغرائب اصبحت عقولنا مهياة لتقبل ما هو اغرب من بيضة الديك • وجوهر القضية ان الديك نفسه خرج من افق حياتنا ، فنحن لم نعد نراه ، واكثرنا لا يعرفون شكله الا من الصور ، ولا يسمعون صياحه الا فى برنامج الف ليلة وليلة • وبناء على ذلك يستوى عندنا ان يبيض او لايبيض ،فقداصبح فكرة مجردة،كلمة فى المعجم•والافكار المجردة ـ كما هو معروف ـ قابلة لكل انواع المسخ والابتذال ، اما المعجم فمن الذى ينظر اليه ؟ ولكننا ـ ولهذا السبب نفسه ـ ندهش جدا اذا جاء احدنا وزعم انه سمع باذنيه ديكا يصيح عند الفجر •

(تنبيه) : ما ذكرته عن صياح الديك فى حلقات الف ليلة وليلة يشير الى البرنامج الاذاعى الذى كان ياتى مسلسلا طوال شهر رمضان ، وكان الناس يحرصون على سماعه حرصا شديدا • وذلك قبل ان ياتى التليفزيون فيقلب الاوضاع • اما الف ليلة التلفزيونى فيسال عنه مشاهدو الفوازير •

● من يسمع ●

(صلة الكلام) هناك اسباب اخرى للدهشة تضاف الى السبب سالف الذكر • لنفرض ان ديكا وجد فى مكان ما من القاهرة فى فجر يوم ما ، فمن يصدع ومن يسمع ؟ ذلك ان العارفين باحوال الديوك يقولون انها تضبط نفسها بظواهر ضوئية سماوية معينة لتصيح مرة فى اول الليل ومرة فى وسطه ومرة فى اخره • فهل يمكن ـ وديك القاهرة محبوس ومقيد ـ ان يحس بشىء من هذه الظواهر ؟ ويقولون ايضا ان صياح الديك مرتبط بحالته النفسية فاذا كان منتعشا راضيا عن نفسه مقبلا على الحياة واظب على الصياح فى اوقاته المحددة ، بصوت منغم شجى رنان ، وكانه يودع النهار المدبر او يناغى الليل الساهى او يستقبل الفجر الطالع ولاسيما اذا جاوبته الديكة المجاورة فارتفعت اصواتها فى بوليفونية بديعة • وهل يوجد ذلك فى القاهرة ؟

واذا وجد الديك حقا ، وصاح الديك فعلا ، فاين الاذن التى تسمع صياحه ؟ الاذن التى لم تعد تميز الاصوات خلال الضجة المتصلة بالنهار والليل ؟ ام الاذن التى اصمت او تصامت حتى لا تسمع نداء او استغاثة او كلمة حب ؟ فالذى يزعم انه سمع ديكا يصيح عند الفجر لابد ان يكون واحدا من ثلاثة : اما رجل يعمد الى الكذب ليلفت الانظار اليه مهما كانت الوسيلة ، واما رجلا موسوسا يرى اشياء ويسمع اصواتا لا وجود لها فى الواقع ، واما رجل غير سليم النية ، يقول شيئا وهو يعنى اشياء اخرى ، ولا يبعد ان يكون من مروجى الشائعات ، او مطلقى الشعارات ، •

وانا استعيذ بالله من غضبك يا قارئى العزيز ، واتوسل اليك الا تلحقني بفئة من هذه الفئات • وابرأ من الايجاز ومن البلاغة كلها ان كانت هذه نتيجتها ، واعترف بانه من الجائز جدا ان اكون قد اغفيت فى تلك الساعة

الندية ، فطار خيالي الى ذكرى حلوة من ذكريات الصبا والشـــباب ، والانســـان لا يلام على الحنين ، ولا يحاسب على الاحلام .

ففي ذلك العهد كان عنـــدنا ديك احمر . واذا وصفته بهذه الصفة فانا لا اعني حمرة ساذجة بل مجموعة من الالوان المتناغمة التي تسيطر عليهـا الحمرة . وكان يلذ لي أن اراقبـــه وهو يعلو سور بيتنا القديم ، ويسير متمهلا مختـــالا بينما الدجاجـــات المسكينات اسفل منه تلتهم الحب في شراهة لتحوله في بطونها الى بيض .

نموذج كامل للمجتمع الاقطـاعي ، او للدولة الشرقية كما يصورها هيجل فرد واحد يتمتع بالسيطرة الكاملةعلى جميع الرعايا ، ويتمثل فيه وحـــده جمال الحرية . وكمال النموذج يتمثل في اختلاف الجنس أيضا ، فالطبقـــة العاملة كلهـــا من الاناث ، والقائد يسيطر عليها بقوة فحولته .

(حكاية :) اعرف صاحب عمل ، له اربع زوجات ، كلهن يعمـــلن في المحل في انسجام تام ، اما هـــو فلا يظهر الا نادرا ، ويقال انه صـاحب مزاج .

والطبيعة هي مدرسة الانســـان الكبرى . يغوص كالاسماك ويطيـــر كالطيور . يقيم مجتمـــع الدجاج ومجتمع النمل ومجتمع القردة . وقد اختار في هذا العصر مجتمع الغـابة، يموج بالنزعات المتعارضة والطبائـع المتناقضة .

وكانت للديك وجماعته منزلة مهمة في اقتصاديات البيت الريفي ، وكثير من بيوت المدينة ايضا . لم نكن نقف صفوفا امام المجمعات لنحصـل على كرتونة بيض ، بل كنا نفتح باب عشة الدجاج وندس أيدينا فنخرج احيـانا عشر بيضات واحيانا اقل او اكثـر . كنا ناكل بقدر ما نحتـــاج وما يتبقى يكون عملة مضمونة القيمة لدى البقال .

وكانت الاجيال تتعـــاقب في مملكة الدجاج فيخصص بعضهـــا الاكل وبعضها للبيض وكان الصـراع على السلطة يدمى رءوس الديوك الناشئة ولا يحل الا بالتصفية الجسـدية حيث يستبقي الاقوى والانشط والاقـدر على أن يملأ عين دجاجاته ، ويكـون عادة هو الاجمل ايضا . ولم تكن هذه الفئة من سكان البيت تحتاج الى نفقـــات كثيرة . كانت تعطى بســـخاء وبدون مقابل تقريبا . عندما تكـون الفراخ صغيرة تحتاج الى قدر من النخـــالة يبس بالماء ، وعندما تكبر تســـتهلك مقدارا من الذرة ، ولكن غـــذاءها الاساسي كان من فضلات طعام اهـــل البيت من الخبز وغيره . لذالم تكن « الزبالة » تمثل مشـــكلة للبيت ولا للمجلس البلدى . فحتى ما لا يصلح لغذاء الدجاج والدواجن الاخرى كان يستخدم وقودا . ورماد الفـــرن كان يستخدم لجلاء الصحون والملاعـــق واحيانا لشفاء الجروح !

يصعب ان اتذكـــر ان شيئا ما كان يرمى . حتى الهلاهيل كنا ندفع بهـــا الى نســـاج يعمـــل على نول يدوى فيسوى منها أبسطة . كان هذا النظام الاقتصادى المتخلف يعمل بكفاءة تامة، لان التخلف كان في ادوات الانتاج لا في البشر الذين يستعملونها . ثم تكن هناك فجوة بين وسائل الانتـــــاج واساليبه من ناحيـــة وبين الكفاءة الفردية والتنظيـــم الاجتمـــــاعي من ناحية اخرى وهذه الاطراف الثلاثة

هي دعائم الاداء الاقتصادى السليم • لذلك كانت مصر في تلك الايام – على فقرها وجهلها ومرضها – اجمل واذنظف مما هى الان ، وكان لها طابعهـــا وشخصيتها ، وكان اهلها اخف دما ، واحسن اخلاقا ، واسعد حالا !

سيقال : هذا ثمن التغيير • ثمن الثلاجة ، والبوتاجـــاز والتليفزيون الملون والفيديو ولا ادرى ماذا ايضا! ثمن ركوب الطائرة بدلا من الباخـرة والقطار والحافلة • وليته كان كذلك ! ليت ما دفعناه من سعادتنا واخـلاقنا وفي بثمن هذه الاشياء ، ولم نصـبح امة تعيش تحت قهر الديون !

(استطراد :) سمعت ان عـــدد اجهزة الفيديو فى مصر يقدر فى الوقت الحاضر بمليونى جهاز • احسب ثمن هذه الاجهزة واضـف اليهـــا اثمان الاشرطة ومحلات بيعها وتاجيـرها ثم تعال معى نضرب رءوسنا فى الحائط، لاننا لم نسمع ان صوتا واحدا ولو من الاصوات « المتطرفة» داخـــل مجلس الشعب او خارج مجلس الشعب اقترح مصادرة هذه الاجهزة جميعها وبيعها مع متعلقاتها فى مزاد علنى عـالمى ، ولو كاعلان عن عزمنا الاكيـــد على التخلص من تفاهات الحضارة الغربية

(صلة ما سبق :) الحقيقة المروعة التى ان الاوان لكى نواجهها بحســم وشجاعة هي اننا فقدنا ما فقدناه دون ان نحصل في مقابله على شيء يستحق الذكر :ان التغيرات المادية التى تحيط بنا لم تجعل حياتنا اسهل او اسعد لانها لم تمس الا الجوانب السـطحية فى حياتنا • قارن رواج الفيديو واشرطته بكساد الكتاب • قارن توافـر امكنـة اللهو بازمة المساكن • قارن اعـداد المتخرجين الهائلة بنقص العمـــالة المدربة • قارن ، ثم حدثني بعد ذلك عن التغيير !

نعم انه تغيير ولكن الى الاسوأ !

فليس التقدم ان تركب طائرة ، بل ان تصنع الطائرة التى تركبها ، فان لم تستطع صنع طائرة فاى مركبة كانت! وعندما تستطيع بمجهودك ان تحسـن مركبك• وملبسك وماكلك فهذا هو التقدم! وليس التقدم ان تركب سيارة فارهـــة وتتجول بها بين الخـــرائب ، او ان تبنى قصرا او قصورا وعلى مقربة منك اكواخ الفقراء ، فلن تنتظر الاكـواخ حتى تنظر اليها بانسانية ولكنهـــا ستقذفك باوبئتها وجرائمها ! •

هذا هو المعنى البسيط للوطنيــة ولكن هذا المعنى بهت او غمض حين اختفى الاجنبى الدخيل من البلاد ، ولم يعد يجيئنا الا زائرا او «صديقا» او « شريكا » • لم يعد للوطنيـــة معنى بدون اقتصاد وطنى• ومستعمر الامس « شريك »اليوم ، لم يرحـل عن بلادنا الا بعد ان حولنا جميعا ، كبـــارا وصغارا ، الى اجراء فى منظمـــاته الاقتصادية •

الوطنية اليوم هى اولا وقبــل كل شيء : اقتصاد وطنى • والاقتصــاد الوطنى يعنى تكنولوجيا وطنيـة • ولا باس علينا ان بدانا من اول السـلم ، فلن نغزو اسواق العالم قريبـا ولن نسافر الى الكواكب قريبا • حسـبنا الان أن نزرع ما ناكله ، ونصـــنع ما نستهلكه !

لقد تحدث الماركسيون عن اغتراب العامل امام الالة التى لا يملكها •نحن مصيبتنا اعظم ، فنحن مغتـربون فى عالم لا نملكه ، ولم نشارك فى صنعه، ومالم نبين عالمنا الذى نملكه وننتمى اليه ، فسنظل مغتربين كهـــذا الديك الذى سمعت صياحه ، او خيل الى انى سمعته ، فجر هذا اليوم •

قضية للمناقشة

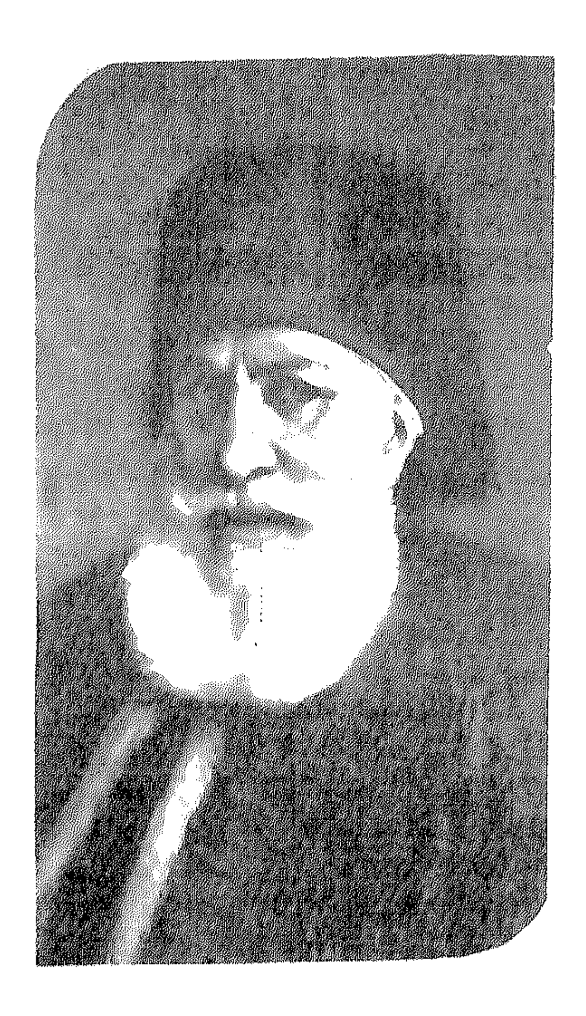
ملاحظات منهجية في مسألة تقويم الإمبراطورية العثمانية

بقلم: د. محمد نور فرحات

● الحديث عن الدولة العلية العثمانية هو نموذج الاحاديث التي تحيط بها توهجات العاصفة والانفعال فتكدر صفاء العقل وتعوق صدق اليقين . ومرد ذلك في ظني الى أسباب متعددة ومتباينة المشارب . منها ما يرتبط بالمشاعر الوطنية حيث ارتبط النضال الوطني ضد الاحتلال الاوروبي للعالم العربي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بعواطف الشوق واللوذ بالكيان السياسي السابق على هذا الاحتلال وهو الكيان العثماني . واغلبها يرتبط بالمشاعر الدينية الاسلامية التي يرى اصحابها أن سبب نكباتنا التي تحيط بنا اليوم ومرجع الكوارث التي تدور في فلكها هما خروجنا عن احكام الشريعة الاسلامية ، ولما كانت الشريعة الاسلامية قد ظلت مطبقة ((كما يرى اصحاب هذا القول عن غير دليل)) طوال فترة حكم العثمانيين لبلادنا ، اذن فالبكاء على دولة العثمانيين واجب ديني تماما كواجب الشيعة في النواح وشق الصدور في كربلاء ●



السلطان محمد الفاتح



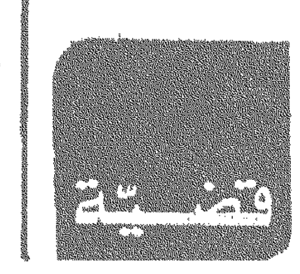
حمد عمر

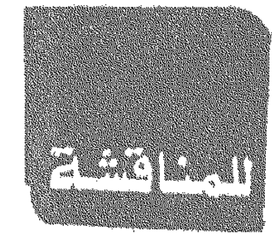
وعلى اي حال ، فكلا الزعمين فى رأيى دليل على آفة عقليه عربية أستطيع أن أسميها ببندولية العقل العربى . ومفاد هذه الآفة ان عقلنا العربى العام فى بحثه عن طريق المستقبل دائما ما يحصر نفسه متأرجحا فى البحث عن خيارين بديلين لا ثالث لهما ، خيار الماضى بنواقصه ، وخيار الحاضر بكوارثه ، دون أن نعى ماوعته الشعوب التي سلكت طريقها مستقيما الى النهضة والتقدم ، وهو أن المستقبل ماهو الا نتاج تركيبى من الماضي والحاضر على السواء تصوغه ارادتنا المدركة أوجه القصوروالايجابيات لترسم طريق المستقبل المنشود .

● مسلسل الاخطاء ●

وعلى اى حال ، فمادمنا ننحاز الى ذلك التيار العقلانى الذى ينحي جانبا اعتبارات المشاعر والعواطف عند تقييمه للماضى أو رؤيته للمستقبل ، فلابد عند حديثنا عن الدولة العثمانية أن ننبه القارىء الى حقيقتين جوهريتين يؤدى تجاهلها الى الوقوع فى مسلسل من الاخطاء :

أولهما : أن الدولة العثمانية قد شغلت فترة ممتدة من التاريخ الانسانى منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن العشرين وهى فترة طرأ فيها على هذه الدولة ماطرأ دائما على الامبراطوريات الكبرى من عوامل الصعود والنهضة وعوامل القوة والفتوة وعوامل الضعف والتدهور انتهاء الى مصير الموت والفناء ، وانطلاقا من هذا نضع أيدينا على أحد الاخطاء البالغة الاهمية التى يقع فيها عن عمد أو غير عمد المتحمسون المتاهبون للدفاع عن الدولة العثمانية أو الهجوم عليها ، فهؤلاء واولئك يستقطعون من التاريخ





المتد للدولة العثمانية شريحة زمنية يقومون بانتقائها انتقاء بما يخدم غرضهم المسبق ويجعلون منها محور بحثهم يستقون منها اسلحة دفاعهم او هجومهم على السواء .

ثانيهما : ان الحكم على الحضارة الانسانية هو فى قدر كبير منه حكم قيمى ذاتى ، يقوم فيه الباحث والدارس بقياس منجزات هذه الحضارة على مايعتنقه هو من قيم ومعايير ايجابية فان وافقتها انتهى الى الاشادة بها والحكم عليها بالايجابية وان خالفتها انتهى الى ادانتها والحكم عليها بالسلب . فالذى يمجد القوة والجبروت لابد وان يبدى اعجابه بالنازية وبغزوات التتار والمغول ، والذى يمجد العدل والرحمة لابد وان يمجد حضارة دولة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ، والذى يتصد فى محراب العلم والتقدم ، لابد وان يسبح بحمد الحضارة الغربية فى القرن العشرين وهلم جرا !

على ان هذه الصفة القيمية فى تقويم الحضارات تحمل فى ثناياها مغبة وقوع الباحث فى العديد من الاخطاء ، ابرزها خطا الخلط بين الجانب الداخلى والجانب الخارجى للحضارة ، والحكم على حضارة تاريخية بمعايير معاصرة .

فالحضارة الانسانية شانها شان اى ظاهرة اجتماعية لها جانبان : جانب داخلى لايدركه الا من يتعايش معها بتفاصيلها الاجتماعية وسياقاتها الثقافية سواء اكانت هذه المعايشة بمعاصرتها او كانت بدراستها وبحثها بعمق من الداخل ، وجانب خارجى يلحظه المشاهد من الخارج والدارس من بعد والمتامل فى مجال والمكتفى بما تردده هذه الحضارة عن نفسها للحكم عليها .

ومن قبيل ذلك الاكتفاء بماكان يزعمه العثمانيون عن انفسهم من انهم حماة حمى الاسلام الذائدون عن حياضه والمحافظون على نسكه وشعاره وانهم استمرار شرعى لدولة الخلافة . لقد ردد العثمانيون هذا الزعم . واحاطوه بمجموعة من الحجج والاسانيد التى ترتد جميعها الى ما اسميناه بالجانب الشكلى او الظاهرى للحضارة . وساندهم فى ذلك الباحثون المتحمسون عن بصر وبصيرة للاسلام والمدافعون عن غير بصر وبصيرة عن الدولة العثمانية . فهؤلاء واولئك يقولون لنا ، ان الخليفة المتوكل آخر الخلفاء العباسيين الذى كان موجودا فى مصر عند حضور سليم الاول « ١٥١٧ » قد رحل الى عاصمة الدولة وسلم راية الخلافة للسلطان العثمانى . وهذا قول مردود جملة وتفصيلا اذ لايعلم احد مصير الخليفة المتوكل بعد اجتياح العثمانيين للشرق والارجح انه قتل على يد العثمانيين دون أن يعنى بتسليم مفاتيح الخلافة او يعنى العثمانيون بتسلمها منه . بل ان الثابت تاريخيا ان العثمانيين لم يستعيروا لفظ الخلافة للدلالة على الدولة ، او الخليفة للاشارة الى رئيسها الا فى مراحل متاخرة جدا وعلى وجه التحديد فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر . وفى هذا يقرر الدكتور عبد الكريم رافق : « .. اما لقب الخليفة فلم يتخذه السلاطين العثمانيون الا فى وقت متاخر من القرن التاسع عشر . ولا صحة لما يذكر احيانا من ان الخليفة العباسى .. قد تخلى عن لقبه للسلطان العثمانى ، وان هذا اللقب قد استخدم بصورة رسمية فيما بعد . واول ما يذكر هذا اللقب فى وثيقة رسمية فى معاهدة كجك قاينارجه مع روسيا عام ١٧٧٤ بهدف اظهار نفوذ السلطان العثمانى على كافة المسلمين خارج حدود

شوكته . وربما قصد من ذلك ايضا التعويض عن النفوذ السياسي والعسكري الذي فقدته الدولة العثمانية آنذاك .
واستخدم السلطان العثماني لقب الخليفة بصورة رسمية في دستور ١٨٧٦ واستمر يستخدمه بعد ذلك ، « عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٦٠ »

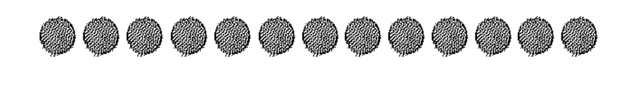
اذن فالحقيقة التاريخية تؤكد ان مايسمى بالطابع الاسلامي للدولة العثمانية باعتبارها استمرارا لدولة الخلافة هو مظهر خارجي عارض طرا عليها منذ اواخر القرن التاسع عشر لاسباب تاريخية .

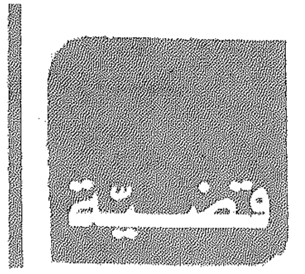
● التزام تطبيق الشريعة ●

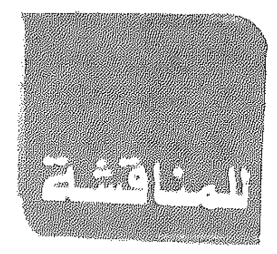
ومن صور التمسك بالمظهر دون التوغل في الجوهر والمخبر للحكم القيمي على الدولة العثمانية ، مايردده البعض بان هذه الدولة قد التزمت منذ نشاتها بتطبيق الشريعة الاسلامية ، ومن هنا فطابعها الاسلامي طابع اصيل فيها حتى ولو لم يتوشح العثمانيون باوشحة الخلافة . والواقعة التاريخية الثابتة التي لا يجادل فيها احد ان العثمانيين ينحدرون باصلهم من قبائل تركية كانت تعيش في مناطق الاستبس باسيا الوسطى وهاجرت الى اسيا الصغرى من القرن الثالث عشر الميلادى .. وانهم لم يتحولوا من الوثنية الى الاسلام الا بعد وفاة قائدهم الاول ارطغرل وتولى خليفته عثمان الاول الحكم عام ١٢٩٩ م . واقرب الروايات الى الصحة حول الظروف التي احاطت بدخول العثمانيين الاسلام هي تلك التي يرددها أبو العلا ماردين من ان الاسلام وتطبيق الشريعة كل الزاما لرطبه حاكم السلاجقة علاء الدين على عثمان الاول نظير موافقة الاول على الاعتراف بالدولة العثمانية الجديدة التي التطلع اقليمها على سبيل الهدية . اذ ارسل الملك السلجوقي علاء الدين الى عثمان الاول خطابا ضمنه شرط اعلان الاسلام وتطبيق الشريعة . فاجابه عثمان الاول قائلا : « وقد تلونا امركم النهائي والقاطع في حضرة الرعية المطيعة ، فاجابوا جميعا بالسمع والطاعة والتسليم » « أبو العلا ماردين » تطور الشريعة في ظل الدولة العثمانية القانون في الشرق الاوسط ، لندن ١٩٦٥ ، ص ٧٧ »

ولا يغني في القول بتاكيد الطابع الديني للدولة العثمانية مايردده البعض من انها دافعت عن الاسلام بمنع البرتغاليين من جتياح الشرق العربي ، فهذا وان كان قولا حقا الا انه لايكفي لاسباغ الصفة الاسلامية المطلقة على الدولة العثمانية . فقبل جيوش العثمانيين **قامت جيوش الدولة المملوكة** باكثر الادوار خطورة واهمية لوقف زحف الجيوش الصليبية الى المشرق العربي ، مع ذلك لم تحظ الدولة المملوكية بشرف التقدير لدفاعها عن الاسلام مثلما حظت الدولة العثمانية ، ثم ان الفتوحات العثمانية كانت موجهة في الشرق نحو تقويض دعائم دول اسلامية ، ربما كانت اكثر غيرة على الاسلام وذودا عن حياضه من الدولة العثمانية ذاتها ، وهما الدولة الصفوية في جانب والدولة المملوكية في جانب آخر . **كما ان الطابع الاسلامي المزعوم للدولة العثمانية لم يمنع هذه الدولة من الارتكان الى الدول الاوروبية المسيحية لاجبار جيوش محمد علي على التوقف والانحسار وحمله على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠**

اذن لم تكن المبالغة في اضفاء الطبيعة الاسلامية على الدولة العثمانية الا نتاجا لشطحات عاطفية لمفكري الشرق عندما تعرضت حضارة الشرق المسلم منذ اواخر القرن التاسع عشر لهجمات والغارات حضارة الغرب المسيحي . اذ بدلا من التسلح باسلحة التقدم والحضارة اكتفى الكسل العقلي الشرقي بتطبيق مبدأ « وداوها بالتي هي الداء » وفضل الاحتماء بجدران الماضي المنهارة على التسلح باسلحة الحاضر لمواجهة تعدياته .







وعلى أى حال ، فاذا تجاوزنا عن المظهر الاسلامي المزعوم الذى حاول البعض اسباغه على الدولة العثمانية لمقاومة تاثيرات حضارة الغرب ، فلا غنى لنا ان اردنا الحكم المنصف على مدى اسلامية الحضـــارة العثمانية من الفحص المتاني الدقيق لانماط الســلوك العقلى لهذه الدولة وفقا للمعايير والمبادىء الاسلامية الحقيقية لنرى مدى مطابقةهذا السلوك لهذه المعايير والمبادىء او مخالفته لها ، وبهـــذا نكون قد تجاوزنا عن المظهر الخارجى للحضــــارة الى تفحص جوهرها الداخل .

وتنبئنا الوثائق وكتـــابات المؤرخين بالعديد من الحقائق التى تجعلنا نقرر عن حق ابتعاد ممارسات الدولة العثمانية عن تعاليم الاسلام الحنيف ولانقول مخـالفة هذه الممارسات لمبادىء حقوق الانسان لان هذا القول الاخير يتضمن التحكم فى ثقافة الماضى بمعايير الحاضر .

وواقع الحال أنه لا مفر من التسليم بأن عنصرين ثقافيين تحكما فى صياغة اســلاء ممارسات الدولة العثمانية : عنصر الثقافة السلجوقيه التىصاغت كثيرامن ممارساتها الداخلية وعنصر الثقافة الاســلامية الذى اكسب هذه الدولة شكلها الخارجى .

والى هذا العنصر الاول : عنصر الثقافة السلجوقية يمكن رد كثير من الممارسات التى تعتبر شكلا ومضمونا بعيدة عن الاسلام مبادئه وتعاليمه ، ومثلت من الناحية الفعلية قيدا على تطبيق هذه المبادىء والتعاليم . فالى هذا العنصر يمكن رد الطابع الاستبدادى الاوتوقراطى للدولة العثمانية . فقد كانت المؤسسة الاسلامية برئاسة شيخ الاســـلام العثمـــانى تابعة تبعية مباشرة للســـلطان العثمانى وكبار موظفيه . الامر الذى ادى الى أن ذخر التاريخ العثمانى بالامثلة تلو الامثلة على الفتاوى الصادرة من شــــيوخ الاسلام العثمانيين التى تجيز وتضفى الشرعية على تصرفات حكامهم رغم خروجها الصارخ على مبادىء الشريعة الغراء . من ذلك اجازتهم للقانون الذى أصدره محمد الفاتح « ١٤٥١ ـ ١٤٨١ » المسمى بقانون قتل الامراء . اذ اعطى هذا القانون للسلطان الجديد الذى يتولى العرش حق قتل اخوته تجنبا للمؤامرات الصراع على العرش» ونص هذا القانون على مايلى : « **على اى واحد من اولادى تؤول اليه السلطة ان يقتل اخوته لهذا يناسب نظام العالم . وان معظم العلماء يسمحون بذلك** » عبد العزيز الشـــناوى الدولة العثمانية دولة مفترى عليها . القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٤٩ » . وكثيرا ماكان شيوخ الاسلام العثمانيون أدوات طيعة فى يد الجماعات السياسية المتصارعة التى تسعى للوصول الى الحكم وكان يترتب على صدور مثل هذه الفتاوى عزل السلطان بل وقتله أحيانا . من ذلك الفتوى بعزل السلطان سليم الثالث « ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧ » لاخذه بالاساليب الغربية فى الجيش .

وقد تعدت فتاوى شيوخ الاسلام حـدود الصراعات السياسية الى مسائل المعاملات وعلاقات القانون الخاص . وتوجد تحت أيدى الباحثين مجموعة الفتاوى التى تغطى الفترة من ١٢٦٩م حتى ١٩٢٤م واهم هذه المجموعات قاطبة مجموعة فتاوى على أفندى ومجموعة الفتاوى الفؤادية ومجموعة بهجة الفتاوى . وتتعرض هذه المجمـوعات ضمن ماتتعرض لمشكلة الفوائد الربوية وقد انتهت بعد مرحلة من التطور الى الاعتراف بمشروعية هذه الفوائد « راجع : نشأت كاجتاى » مفهوم الربا الفائدة والبنوك فى الامبراطـورية العثمانية ، دراسات اسلامية ١٩٧٠ ، ص ٥٣ ـ ٦٧ ـ باللغة الانجليزية » .

ولم يقتصر خروج الممارسة العثمانية على قواعد الشريعة فى نظام الافتاء فقط ، بل تعدى ذلك الى مخالفة التشريعات الجنائية

الاسلامية . من ذلك ماتنص عليه المادة ٨٩ من القانون الجنائي العثماني من أنه « اذا اعترف المتهم بفعل التعذيب ، ووجدت أيضا دلائل تشير الى جرمه ، يكون اعترافه صحيحا ويوقع عليه العقاب وفقا لجرمه » وماتنص عليه المادتان ٧٦ ، ٧٧ من المسئولية الجماعية لاقرباء الجاني وجيرانه عما يرتكبه من جرم » راجع نص القانون ، منشور في كتابنا . التاريخ الاجتماعي للقانون في مصر الحديثة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١١٩ ، مترجم عن هيد ، دراسات في القانون الجنائي العثماني القديم ، لندن ١٩٧٣ » .

● الحكم على النتائج ●

وخلاصـــة القول ، أن ترديد مقولة أن العثمانيين اقاموا دولة اسلامية دافعوا بها عن حمى الاسلام وطبقوا مبادئه وتعاليمه هو قول يردد مايدعيه العثمانيون عن أنفسهم ، وسرعان ما ينهار أمام تفحص المحتـــوى الداخلي للممارسات العثمانية .

وعلى أي حال فاعتقد أن مايهمنا نحن في تقويم الدولة العثمانية هو الحكم على النتائج التي أسفر عنها الغزو العثماني لمصر . وهي نتائج يجمع كافة مؤرخي هذه المرحلة بدءا من ابن اياس « بدائع الزهور » واحمد شلبي بن عبد الغني « أوضح الاشارات » حتى الجبرتي « عجائب الاثار » على أنها كانت وبالا على مصر واهلها فلم يكن هدفهم من فتح مصر والشرق العربي عموما الا جمع المال لتزويد ارسالية السلطان به » وقد اسفرت سياستهم في حكم مصر عن تركها نهبا لصراعات البيوت المملوكية التي اتت على الاخضر واليابس بها . ومارسوا ضد الرعية كل صور اعمال الظلم والقهـــر والجور والعسف . حتى أن شعب مصر خلال الحكم العثماني قد أخذ في الانقراض . اذ بينما كان يبلغ تعداده عند بداية الحــكم العثماني نحو اربعة ملايين نسـمة ، أتى محمد على الى الحكم وتعداد ســـكان مصر مليونا نسمة . فهل يجدي لاعادة تجميل وجه الامبراطورية العثمانية التمسك بمزاعم دفاع هذه الامبراطورية عن الاسلام ؟

● كلمات عاشت ●

● ان كل امتياز او تفرقة هو مساس بمبدأ المساواة ، وكل قاعدة تعسفية هي مساس بالحرية ، كما أن كل عمل من أعمال الأثرة هو مساس بمبدأ الأخاء . (مازيني) .

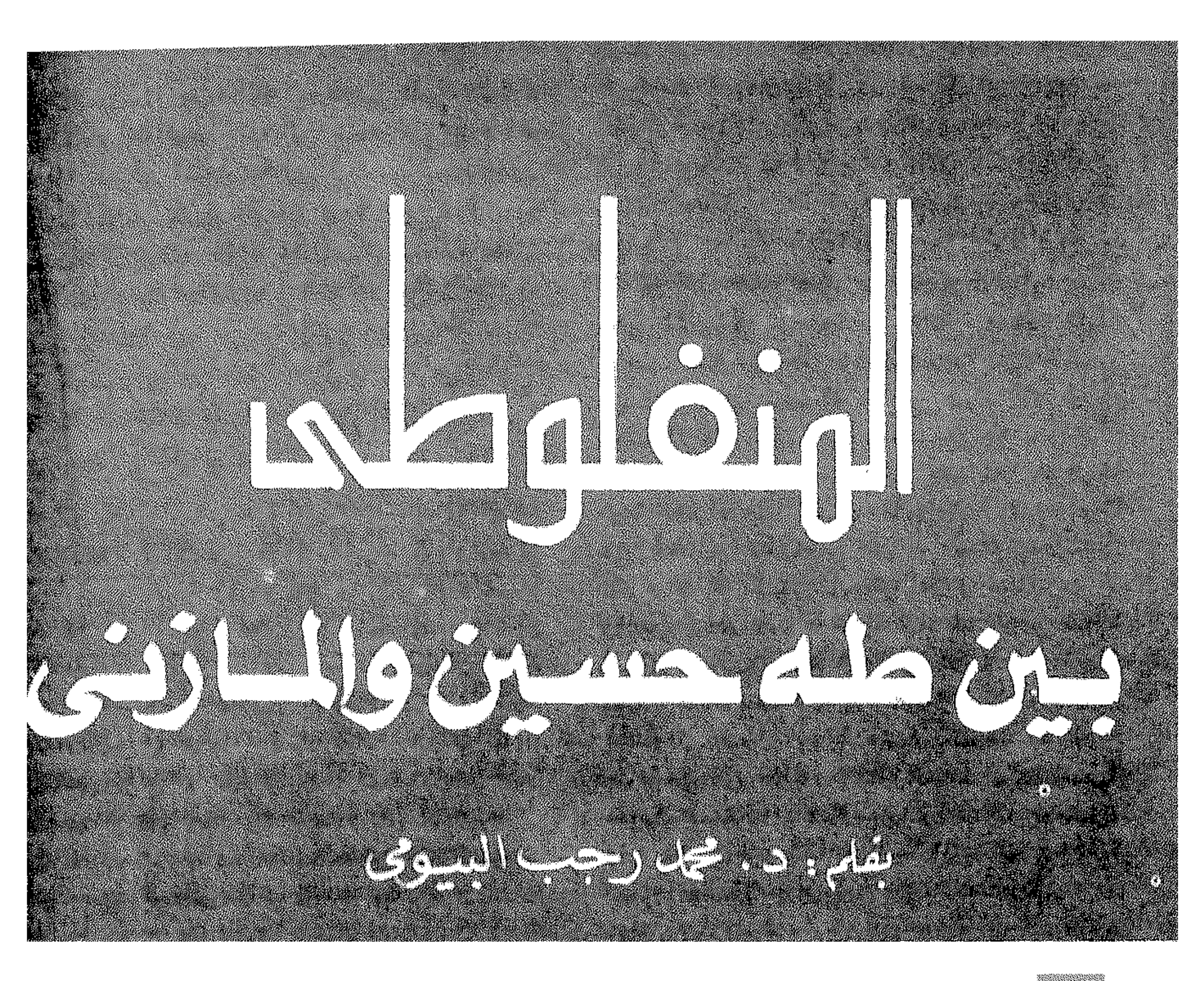
● قال جان جاك روسو : « خذ من قلوبنا حب الجمال ، تأخذ منها جمال الحياة » .

● تعبت في معاملة الناس ، حتى أصبحت لا أحفل بخيرهم ـ وهم أخيار .. ولا أعبأ بشرهم ـ وهم أشرار . (عباس العقاد) .

● احنوا رءوسكم أمام ولدي .. وانظروا إلي : انني أحمل العالم كله بين يدي ! (ماري فوندان) .

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم العلم وعلمه » .

● لاتجعلوا شرفكم من حيث أتيتم ، بل اجعلوه إلى حيث تذهبون ! (د . أحمد أمين)



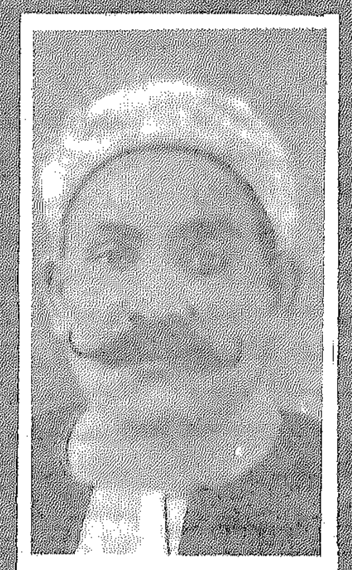
أزدهرت مؤلفات الكاتب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى فى الجيل الماضى ازدهارا رائعا حيث ارضت حاجات القراء فاكبوا عليها تذوقا ونهلا ، وراوا عواطفهم الصادقة فيما ترقرقه فى معينها من بيان حى، ترن موسيقاه فى النفوس رنين الاوتار المفردة ، وتميل معانيه بالارواح ميلا مؤثرا يهبها ارق المشاعر ،ويرتفع بها الى افق ساحر الطلعة متعدد الالوان .

وقد حفلت الكتب المدرسية اذ ذاك بنصوص مختارة من ادب الكاتب كانت مهوى الطلاب فخفت على السنتهم ، ورسمت امامهم نمطا من التعبير يستشرفون اليه مشوقين ، وكثيرا ما اكبوا على استظهار هذه النصوص مؤثرين اياها على مايقدم اليهم من نماذج البلغاء فى القديم والحديث لان روحها الشفافة قد خلصت الى أعمق الاعماق فى نفوسهم،

واذا سالت عن انحدار الاسلوب فى بعض ما نطالع من آثار الكتاب فى هذه الايام فلان كثيرا لم ينشأ بين رياض المنفلوطى فيقرا « مجدولين » و « الشاعر » و«فى سبيل التاج » و «الفضيلة».. كما قراها السالفون من قبل ، لقد كانت هذه الروايات الرائعة فردوسا للناشئين ولا يطالعهم بابهج ثمار الادب من عاطفة حية وتصوير اخاذ ، وتعبير صاف مسترسل



المازنى







ولا يعنينا ان تكون هذه القصص صورة دقيقة من اصلها الاوروبى، فسواء أضاف الكاتب ما رآه مناسبا أم وقف عندما قال صاحب القصة ، فان المنفلوطى لم يتبوأ مقعده الادبى مترجما ، ولكنه رزق نعمة البيان لعبر عن ذات نفسه فى كتاب النظرات بأجزائه الثلاثة ، وأجرى براعة فيما نقل اليه من صحف الغرب ليقدم آثارا انسانية ملكت نفوس القراء وتعددت طبعاتها حتى بلغت الاربعين ، وجذبت ابناء العربية فى كل مكان ينطق اهلوه بلغة القرآن ، وقد خسرنا كثيرا حين حرمنا الناشئين من أدب المنفلوطى، وتركناهم الى قصص بعضها مرتفع ، واكثرها منخفض ، وفى هذا الاكثر ما يتصل بالبيان بسبب ، ولفظة البيان هذه بغيضة ذميمة لدى اناس لا يرقون الى التعبير الادبى الصحيح فهم يؤلفون من قصص ، وقد احسوا بعجزهم النازل عن مستوى ادباء الجيل الماضى، وبدلا من ان يعملوا على الارتقاء بأسلوبهم أخذوا يضائلون من تعاسة البيان الحى ويعدونه صنعة ذهنية ، وموصلا غير جيد ، وقد انتشرت مؤلفاتهم الركيكة بين الناشئين من قبل فانخفضت بمستواهم العام ، فاذا سمعت متكلمنا كبيرا يتلجلج أو قرات مقالا مفككا لمسئول يبدى وجهة نظره ، فاعلم ان هذا الطراز لم يجد من وجهه فى مدرسته الى الادب الصحيح فاصبح عامى العبارة، مضطرب الفكرة . وأصر على وصفه باضطراب الفكرة لان البيان المؤثر صمة بارزة لفكر قوى متماسك ، فهو اناء نظيف لماء نقى شفاف !

● نمط البيان النثرى ●

كان اكثر المقالات الصحفية فى اوائل هذا القرن يعالج مسائل السياسة والاجتماع معالجة من يهتم بالمعانى

المنفلوطي
بين طه حسين والمازني

المسرودة مبدياوجهة نظره فى حديث يجمع الحقائق ، ولا يعنيه أن ترتفع بالتعبير، ولكن جريدة المؤيد ظهرت فجاة بنمط من البيان النثرى له تأثير الشعر فى استمالة النفوس لما يخاطبه به العواطف الانسانية من الهامات تجد صداها المتغلغل في أعماق النفس ، واذا كانت المعاني على هذا البيان ولا تتغلغل دقة واستقصاء ، فان قراء الامس لا يهشون لمثل هذا التغلغل ولا يصرون عليه انما يبهج نفوسهم أن يلمسوا أحاسيسهم المكظومة مفردة على يراع كاتب مبين ، ولعل الاستاذ احمد حسن الزيات أجاد وصف الواقع الادبي حين صور تأثير المنفلوطي الكبير فى قرائه ، وهو بعد خليفته فى مضماه البياني ، ومكمل رسالته الفنية متأثرا لا محالة باتجاهه ، وان ظهرت بعض الفوارق الادبية بين قلم وقلم ، لعل الاستاذ الزيات أجاد وصف الواقع الادبى حين قال :

«وأشرق أسلوب المنفلوطي على وجه المؤيد اشراق البشاشة ، وسطع فى أندية الادب سطوع العبير ، ورن في أسماع الادباء رنين النغم ، فرأى القراء الادباء في هذا الفن الجديد ، ما لم يروا في فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع ، وما لا يرونه في غثاثة الصحافة ، وركاكة الترجمة ، فأقبلوا عليه اقبال الهيم على المورد العذب.

وكان هذا النفر الايفاع من المتأدبين يجلسون فى أصائل أيامهم الضريرة أمام الرواق العباسى يتقارضون الاشعار ويلهون بأغفال الناس ، ويترقبون المؤيد ، ليقرءوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع ، وطه (يريد طه حسين) مرهف أذنيه ، ومحمود (يريد محمود الزناتي) مسبل عينيه ، وفلان (يريد نفسه) مأخوذ بروعة الاسلوب فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يقلدون آسبابهم بهذا المنفلوطي الذى اصطفاه الله لرسالة الادب البكر ، وجعله الامام المفتى تلميذه المختار » .

واذا كان مؤرخو الادب المعاصر قد تحدثوا عن ريادة المنفلوطي بما يحدد مكانته الادبية ، وتأثيره فى استقلال البيان المعاصر ، وخلوصه من وضر الصنعة ، وغثاء الركاكة ، فان فريقا من ناقدى العصر قد أبدوا رأيهم في أسلوب المنفلوطي متأثرين بوجهات خاصة ، منها المعتدل ومنها المتحامل المشتط ، وفى ايضاح بعض هذه الوجهات ما يعين على تمحيص الرأى ، وجلاء الصواب .

● طه حسين والنقد ●

نشأ الدكتور طه حسين ثائرا متحفزا ، لا يرى من وجه الحياة غير صفحة النقد ، ولا يرتاح لغير الصراع المحتدم مادام يترك خلفه الشهرة والضجيج ، وقد ذكر الاستاذ الزيات من قبل كما ذكر عن نفسه أنه كان يطرب لادب المنفلوطي ويقبل على تشربه خماس وسداس ومسباع ، ولكنه فجأة يهاجمه فى ضراوة تصل الى درجة السباب دون أن يقدم من الحيثيات مايدل على أن الناقد يهتدى بمقياس حيادى منصف جعله ، ينتقل من ناحية التقريظ الى وجه التجريح ، ومن الانصاف للدكتور أن نذكر أنه لام نفسه أعنف اللوم على موقفه هذا ، ووصفه بالسخف وما هو أكثر من السخف، ولن نكون ملكيين أكثر من الملك حتى نتعاطف معه في موقف لا يجد الشفيع من نفسه ، وانما وجد منه شجاعة قوية ، دفعته الى أن يقول في الجزء الثالث من الايام :

« وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله يقع نصيب غير قليل، من نقل هذه الفصول السمجة الطوال التي كتبها الفتى فشغل بها الادباء والمثقفين حينا ، ثم لم ينقطع استخذاؤه لها ، وضيقه بها ، وخجله منها كلما ذكرت له ، وكان موضوعها نقد نظرات المنفلوطي رحمه الله، وكان عنوانها « نظرات فى النظرات » .

وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف الى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة ، ولم ينس الفتى مقالا دفعه ذات مساء الى الشيخ عبد العزيز جاويش فلم يكد يقرأ اوله حتى طرب له، وابى الا ان يقراه بصوته العذب، على من يحضر مجلسه ذاك ، وابتهج حين سمع الثناء واحس الاعجاب ، ثم لم يذكر بعد ذلك أول المقال حتى طأطأ من رأيه ومن نفسه ، وسأل الله أن يتيح له التكفير من ذنبه ذاك العظيم وكان بعض تبعة هذا السخف يقع على الشيخ عبد العزيز جاويش » ١٠ هـ .

وأنا لا أدري كيف يتباهى الدكتور في ما قبل هذه السطور من الفصول السابقة بكتاب الايام باستقلاله الفكرى ، ونشوزه كل النشوز على اساتذته الازهريين ، ومجابهته إياهم في تطاول ، ثم يحاول أن يطمس هذا الاستقلال حين يجعل نفسه تابعا للشيخ عبد العزيز ، وحين يحاول أن يلقى بعض التبعة عليه ، أين هذا الطموح الشامخ المترفع من التبعية، ولم لم يشذ عنها ـ لو كانت ـ كما شذ على غيره فيما حكاه ! لقد هاجم طه المنفلوطى بعد عودته من فرنسا ، وبعد استقلاله كل الاستقلال من أثر الشيخ عبد العزيز ، هاجمه ظالما غير منصف ، واعلن انه لا يحبه ، فهل استغفر الله من ذلك أيضا ؟ وهل بحث عن جاويش ثان يلقى عليه تبعة ما كان !! لقد اعترف طه بتأثير جاويش وتوجيهه الادبى والعلمى لتفكيره، ولكنه لم يشيعه بكلمة رثاء ، ولم يكتب عشر معشار ما كتبه عن احمد لطفى السيد ، لان أستاذ الجيل كان صاحب منزلتين سياسية وجامعية فيجب أن يذكر له مكانه ، أما عبد العزيز فقد ودع الحياة غريبا عنها بعد أن ذاق آلام الجوع والتشرد والمرض فى المانيا مجاهدا فى سبيل وطنه ، ورجع ليعيش متواريا فى عمل اصغر من مواهبه فلماذا لم يحفل به التلميذ الطموح كما حفل بلطفى السيد !!

لقد ذكر طه فيما ذكره من نقدات « النظرات » أن المنفلوطى أبعد الناس عن الحقيقة واحبهم لاصطناع الخيال ، وهذا خطأ لان المنفلوطى كغيره من أساطين البيان يتخذ الخيال مرآة لتصوير الحقيقة ، فوظيفته قوية في ايضاح ما يريد من المعانى ، حين يظهرها ساطعة واضحة ذات نفاذ فى النفوس .

كما ذكر أن المنفلوطى مولع بالسرقة ، وهو ما عجز عن اثباته ، اذ لا يكفى فى تحقيقها أن يكون اسم النظرات قد ذكره الرافعى من قبل ، اذ كان على الناقد أن يعمد الى فصل من فصول النظرات ، فيذكر معانيه المسروقة ، وأفكاره المغتصبة ليكون المنفلوطى سارقا بالدليل المفحم ، والبرهان الملجم ، أما أن نقول انه سارق وكفى ، فهو اتهام باطل لا يقف على قدم ، بل يتداعى كالهباء .

ثم اخذ عليه انه ذو معان تتكرر وتترددا وهو ماخذ غير دقيق ، لان المنفلوطى كاتب اجتماعى يعالج امراض العصر ، وقد يضطر الى تكرار علة يجد أصولها تمتد الى علل مماثلة فيكرر بعض ماقال ، ليصل الحاضر بالماضى ، وسبيل الداعية ان يلح على استئصال الداء وتشخيص الدواء ، فاذا تركنا الفصول الاجتماعية الى غيرها من فصول النظرات فلا نجد اثرا للتكرار فى المعانى،اما اذا أراد طه حسين ان يشير الى حرص المنفلوطى على استعمال بعض الالفاظ التى تكاد تكون خاصة به ، فهذا شأن الكاتبين جميعا ، والدكتور طه نفسه ذو الفاظ تتكرر ، واساليب تلتصق به وتعد لازمة من لوازمه ، ولم ير فى ذلك ما يوجه اليه على سبيل المؤاخذة ، فلم يؤاخذ الكاتب الكبير على طبيعة ادبية تلزم اكثر الكاتبين ، وتلوح لدى الناقد نفسه فى اسطع مرآة .

والعجيب ان المنفلوطى قد ساق عن الكاتب الكبير احمد المويلحى ثناء مستطابا، وقال انه تلقى من اخيه المويلحى كتابا اشار الى مضمونه ، افيدرى القارىء ما موضع النقد لدى طه فيما قال صاحب النظرات ، انه يقول : جعلت الرجل أخاك،



المنفلوطي

بين طه حسين والمازني

وما علمته من الرياء بحيث يدعوك أخاه الكريم ، ولم يرك الا مرات ثلاثا » ولم رجع طه الى محفوظة من كتاب الله لعرف أن المؤمنين أخوة ، بل لو رجع الى ذاكرته الواعية لاسعفته بقول أبي تمام في صديقه على بن الجهم :

أو لم يكن نسب يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد !

واذا استكثر طه على المويلحي أن يكون أخا للمنفلوطي زعيم البيان في عصره ، فانه بلا شك سيستكثر على المويلحي أن يكون أخا له هو أيضا ؟ وما أظنه يطيق صبرا على ذلك في تعاليه !

دعا المنفلوطي الى اصلاح اللغة ، ورأى من حق الكاتب أن يمدها بتوسعة وافية عن طريق الاشتقاق والتعريب ، وتلك بدهية لا تقبل الجدل ، ولكن طه يلج في العناد حين يذكر أن اللغة ليست في حاجة الى ما يريد صاحب النظرات ، فهي لم تضق عن حاجات العرب ، وانما جهل المنفلوطي فادعى !

هذا نمط من نقد طه ، وأكبر هادم له هو طه نفسه حين اعترف بسخفه وسماجته، وحاول أن يلقى تبعته على رجل مظلوم ، مع أنه رئيس تحرير يفسح جريدته للمؤيد والمعارض معا ! ولو كتب طه في موضوع آخر لرحب به عبد العزيز ، وكثيرا ما فعل ، وقد شجعه على نشر فصول حيوية أخرى يفتخر بها طه ، أفيعود فضلها الى جاويش !!

ثم هاجم الدكتور طه المنفلوطي مرة أخرى بعد عودته من أوربا ، وقد صار استاذا بالجامعة ، هاجمه حين أصدر رواية الشاعر ، فصادفت ارتياح الكتاب ، وكتب الدكتور منصور فهمي كلمة منصفة في تقديرها ، فذكر أن الكاتب الكبير قد أدى صورة حية بلسان عربي مبين نقلها عن البلاغة الفرنسية الفائقة ، ولكن منطق الدكتور منصور فهمي لم يعجب صاحبه فاندفع طه حسين يعلن أن له رأيا في المنفلوطي قديما لا يتحول عنه ، وأن ما قام به من تحويل التمثيل الى قصص لا يرضاه غير من لا يقدرون الفن قدره ، ولم يسكت الدكتور منصور فهمي فكتب يقول انه يرى من الخير أن تكون عندنا في اللغة العربية فكرة صغيرة من أدب جديد ، فذلك أفضل من أن يهمل هذا الادب ، ولو لم يكن ذلك ، لمانقل الفرنجة كتاب الله ، ولما قرأنا بالعربية شعر هوميروس ، كما أن الدافع لننتقل من لغة الى لغة قد يكون في اجمال الموضوع وليس في تفصيله ، وقد يكون في المعاني وليس في ثوبها التعبيري، وتلك وجهة نظر قابلها الدكتور طه بهجوم عاصف حين قال للدكتور منصور فهمي : أعيذك ألا تكون مقالاتك مشجعة للمفسدين على افسادهم ، وللادعياء في الادب على أن يسرفوا في ادعائهم ، وأن أحسن أثر للفلسفة انما هو تقدير الاشياء واقرار الامور في نصابها .

وذلك شطط قابله الدكتور منصور فهمي بقوله : انك مهما تشددت في النقد فلا تجد مايبرر ذكر المنفلوطي مع الادعياء، واني مهما تساهلت في الفن فلا استكثر وصف الكاتب الاديب حين أذكر المنفلوطي ، وانك تقول أن قراءة الموضوع أسهل على الناس في تركيبه القصصي منه في تركيبه التمثيلي فهلا ترى أن المنفلوطي وقد حافظ على الاصل أدى خدمة للجمهور اذ سهل عليهم قراءة هذا الموضوع الجميل ، أم ترى أن يسهل الادب والفن والعلم على العامة اثما ليس له في ساحة غفرانك نصيب ، فاذا كنت ترى بدعة تحويل الرواية الى قصة فتلك بدعة صالحة لايستهجنها الذوق السليم ، ويستحق المبتدع عليها كل حمد وثناء واذا كان أسلوب المحاورة والتمثيل ، يتمشى مع بهاء اليونانية والفرنسية فان العربية يتمشى مع ردائها أسلوب القصص ، ولم يكن المنفلوطي ليمسخ الفن أو يشوهه كما تقول بل حرص عليه حين حوله الى فن عربي صميم !

هذا ملخص ضئيل يشير الى أهم مادار بين الدكتورين الكبيرين ، ونجد طه غير منصف

حين عد المنفلوطي من الادعياء ! واذا كان يرى في عمله تشويها ، فلماذا اباح لنفسه أن ينقل التمثيليات الفرنسية الطويلة ملخصة مبتورة في كتابيه « صوت باريس » « لحظات » ولو فعلها سواه لقال ان الفن الروائي عمل متكامل يشوه بالتلخيص ، ولبس المكارا علمية توجز وتختصر ، لان جمال الفن في طريقة التناول ، وتسلسل العرض ، وهذا مايشوه العمل الادبي ويمسخه ! لقد جاوز طه صنيع المنفلوطي حين لخص المسرحيات الفنية في صفحات مبتورة ، ورأى في ذلك ظلما للقارىء العربي ، على حين وجد المسخ والتشويه لدى المنفلوطي ، حين أخرج صفحة رائعة من صحف البيان متشبعا بما قرأ من حوار تمثيل صار على يده تحفة ادبية ذات نفاذ وتأثير .

● المازني ثائرا ●

كان المازني في شبابه غيره في كهولته ، فهو في شبابه ثائر مخاصم صوال ، يستلد الخصام الجارح ، ويجوف الحصاة حتى ليحسبها الناظر جبلا وهي حصاة ! ولهذا خاصم حافظ ابراهيم وعبد الرحمن شكري ، ومصطفى لطفي المنفلوطي في ضراوة لاتعرف الهوادة ، ثم هدأت ريحه فمال الى المهادنة ، وصار حربا على أدبه هو ، يضائل من أثره وهو كبير ، ويستقل فنه وهو كثير ! وقد لحظ المازني هذا التحول فبدأ قصة « ابراهيم الثاني » بقوله ، تحت عنوان ايضاح :

ابراهيم الثاني ، هو ابراهيم الكاتب ، أو كأنه على أصح القولين ، ثم تغير جدا ، بحيث لو أمكن أن يلتقي الابراهيمان لاحتاجا الى من يقوم بينهما بواجب التعريف ، ثم ذكر من شعره قوله :

الى أراني قد حلت وانتسخت
مع الصبا سورة من السور
وصرت غيري فليس يعرفني
ـ اذا رآني ـ صباي ذو الطرر
ولو بدا لي لبت أنكره
كأنني لم أكنه في عصري

مات الفتى المازني ثم اتى من مازن غيره على الاثر

وفي عهد (ابراهيم الكاتب) سطر ابراهيم عبد القادر المازني نقده العنيف للمنفلوطي بالجزء الثاني من (الديوان) فبداه بكلمة تحت عنوان (أدب الضعف) يعلن فيها أن الادعياء في الادب كثيرون ، وهم يستولون على القراء لجهلهم وقصور مداركهم ، وهو بهذا يمهد لما تلاه من هجوم على صاحب النظرات ، وقد تحدث المنفلوطي عن نفسه بما يشبه ترجمة موجزة لفترة من حياته ، ذكر بها نسبه المنتمي للحسين ، وهو امر حقيقي يكشف عن معان خاصة دفعت صاحبها الى سلوك خاص ، ولكن الناقد يصيح به ، ما للقراء واجدادك الذين لم تزدنا بهم علما فيشفع لك ما افدت في سماجة ما كتبت ، لقد قرأنا لجيته شاعر الالمان الضخم كتابا في تاريخ حياته ولم يذكر فيه اسم أبيه ، وجال الناقد في تكرار هذا المعنى ، ولعله في دور الكهولة لو الم بما كتب لراجع نفسه ، اذ أن حديث الكاتب عن أجداده يلقي الضوء على اتجاهه ، وقد تحدث المازني عن بشار بن برد في كتابه ، فوقف متئدا أمام أصله الاعجمي ، واستدل به على منازع سببت كثيرا من مواقفه الادبية ، بل ان المازني تحدث عن والده الذي رحل وهو صغير ، وعن والدته التي نهضت بتربيته حديثا تكرر كثيرا كثيرا ، واستطابه القراء غير لائمين ، فكيف أباح لنفسه ما انكر على سواه ؟

وجاء الباب التالي ، ليصف أدب المنفلوطي بالنعومة والانوثة ، والقول بان أدب المنفلوطي ذو أنوثة خطل يجانب الصواب ، ولم يستطع الناقد أن يقدم برهانا قويا يسند منحاه ، وقد استشهد عليه بقول المنفلوطي :

« الاشقياء في الدنيا كثير ، وليس في استطاعة بائس مثلي أن يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم فلا أقل من أن أسكب بين أيديهم هذه العبرات علهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى » .

فيالله ! أين الانوثة في هذا التعبير ، وكيف قال المازني ان هذه المعاني تمتثل

المنفلوطي
بين طه حسين والمازني

الرجولة ! ان الاجدر بوصف هذا المنحى أن نقول انه ادب الرحمة ، والرحمة قوة لا ضعف فالرحيم كما يقول العقاد رجل فسيح النفس ، يتسع مداه لتحمل المآسي، اما الباطن الناقم فضعيف مهما تجبر لانه لم يجد من نفسه قوة تردعه عن الانتقام ! واذا كان المنفلوطي متشائما جعل الحياة سوداء في عيون الناس كما ذهب الناقد الى ذلك مؤاخذا ، فليس المنفلوطي وحده في هذا المضمار ، فابو العلاء المعري راس المتشائمين في الادب العربي ، ولم يكن تشاؤمه مدعاة انحدار لادبه في رأى المازني ، بل كان موضوعا للتحليلين النفسي والاجتماعي ! وكان في طوق المازني أن يكشف عن مصدر هذا التشاؤم لدى المنفلوطي ، وهو يعرف أنه يتحدث عن مواجع وطن محتل يرهقه الفقر والجهل والمرض فوق بلاء الاستعمار ، والسائل من لون الاناء .

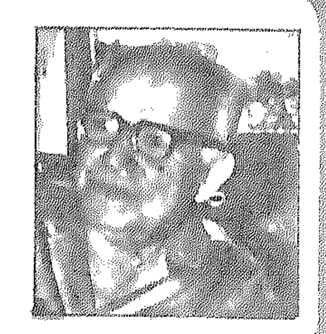
ثم انتقل الى قصة (اليتيم) في كتاب العبرات، ليجعلها انموذجا لادب المنفلوطي، وقد تسنم مكانته الادبية باعتباره كاتب مقال ، لا منشيء قصة ، فاختيار قصة من قصصه للحكم على ادبه بعامة تعمد مقصود لتوهينه ، ونظر قاصر ، وأوجع ما انتقصه المازني في هذه الاقصوصة هو روح المأساة التي اكتنفت بطل القصة فقد صار المنفلوطي بكاء ندابة لانه صور هول مصابه! واستطردالمازني يقول ان « جيته» الالماني الف قصته الحزينة (آلام فرتر) ثم مات وهو لا يندم على شيء كما ندم على وضع هذه الرواية ، ولا يخجل من شيء خجلة لذيوعها حتى تمنى لو استطاع أن يجمع نسخها ويلقى بها في النار !

وفي هذا الكلام مغالطة صارخة لا أدرى كيف استساغها ناقد هادف كالمازني ، أن جيته العظيم لم يخجل من (آلام فرتر) لانها صورت مأساة حزينة ، وفجرت بالدموع ، وصعدت بالآهات ! أنه خجل من الرواية لانه تحدث عن وقائع عاطفية تسيء الى حبيبته (شارلوت) أمام الناس بعامة ، وامام زوجها (البرت) بخاصة ، وقد انتقص الزوج لالشيء سوى أنه غريمه ، فهاج عليه النقد لانه تحدث عن أسرة سعيدة بما يبذر روح الشقاق في حياتها ، وكانت (شارلوت) اول من ثار على هذا الذى صورها امام الناس باسمها وصفها بما يزعزع وفاءها الخالص ! وقد أدرك الشاعر العاشق مهواة ما انحدر اليه ، وراى من صرخات المفكرين ما ازعجهدوءه، فود ان تمحى القصة من الوجود باعتبارها مصدر نقد صارخ لسلوكه النفسي ، وحين مضى جيل (جيته) أخذت القصة مكانتها الممتازة بين عيون الادب الغربي ، فليس استشهاد المازني بها في موضعه ! واذا جاز له أن ينكر الآم فرتر الماسوية فلينكر الكثرة الكاثرة من قصص الانسانية في القديم والحديث ، وليضف اليها قصة (اليتيم) في العبرات .

وقد كان المازني غير جاد حين تحدث عن اسلوب المنفلوطي في هذه القصة ، فذكر ان الكاتب مولع بالمفعول المطلق ، وسجل له سبعة وعشرون نصا تحمل هذا المفعول، وهو اتجاه غريب لو سلكه كل ناقد لوجدنا من يقول ان العقاد قد كتب في مقاله ثلاثين نصا تحمل (الحال) وأن المازني قد كتب في مقاله خمسين نصا تحمل (الفاعل) ولا يفوت المازني أن للمفعول المطلق اثره في توضيح المعاني ، والا ما وجد ، واذا أكثر منه المنفلوطي فقد جاء به في موضعه ، وكتاب الله ابلغ كتاب في العربية ، وهو ملء بالمفعول المطلق عند التاكيد والتثبيت ، واللجاجة في هذا المنحى مدعاة هزل لا جد .

قلت ان المازني قد كتب نقده للمنفلوطي في مرحلة (ابراهيم الكاتب) ويقيني الجازم أن (ابراهيم الثاني) يقف من سلفه موقف المعارض المؤاخذ لهذا الاتجاه الذاتي في الهجوم والتجريح ، وليس المنفلوطي بمنأى عن النقد ، فله مؤاخذاته الواضحة ، ولكن النقد شيء ، والتجريح شيء سواه وقد تعمده المازني وطه حسين معا لحاجة في نفس يعقوب .

قنديليات



بقلم : يحيى حقى

بين المثالية والنفعية

لان الجامعة المصرية لم تكن قد انشئت بعد ، فقد تلقيت العلوم القانونية من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٢٢ فى مدرسة الحقوق . وقد درست بها نماذج عديدة من العلوم القانونية :

● القانون المدنى المختلط - مع غيره من القوانين المختلطة - وهى القوانين التى كانت تطبقها - فى مصر - المحاكم المختلطة والتى انشئت بموجب الامر العالى الصادر عام ١٨٧٦ م

وقد وضع هذه القوانين محام فرنسى اقتبسها من القوانين الفرنسية بعد ان اختصرها وادخل عليها تعديلات استوحاها من الشريعة والعرف المصرى .

● القانون المدنى الاهلى . وقد صدر ضمن المجموعة المدنية الاهلية بلائحة اولى عام ١٨٨١ ثم اعيد اصدارها معدلة سنة ١٨٨٣ . وهذه المجموعة - فى الجملة - منقولة عن القوانين المختلطة مع التعديلات التى اقتضتها ظروف البلاد .

● ولان القانونين - المختلط والاهلى - يستمدان اغلب احكامهما من قانون نابليون فقد درسناه ايضا ، وبالمرة ، درسنا القانون الرومانى لان قانون نابليون يستمد منه بعض احكامه

● بعد انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ، فان المنازعات المدنية والتجارية والجنائية اصبحت - فى الاصل - من اختصاص القضاء المستحدث

● بقيت مسائل الاحوال الشخصية تختص بالفصل فيها المحاكم الشرعية والملية ، مالم يكن المدعى او المدعى عليه اجنبيا من الاجانب المتمتعة دولهم بالامتيازات الاجنبية ، لذلك ، درسنا باب المعاملات فى الشريعة الاسلامية من ابواب الوقف والميراث والوصية ، وكانت مراجعنا هى كتب الفقه التى تزخر باراء اصحاب المذاهب الاربعة وتابعيهم ، الا انها - على خلاف القوانين المختلفة والاهلية - ليست مصاغة فى مواد مسلسلة ومبوبة .

● هذه المعلومات كلها ، صبت فى رءوسنا ، الا ان استاذا واحدا لم يقل لنا ، تبينوا الفرق بين الفكر الغربى والفكر الاسلامى .

قصر الغزنفش

وأحوال البلاد منذ قرن من الزمان

بقلم: محمد سيد كيلاني



الخديوى عباس — السلطان عبد الحميد

الخرنفش كلمة محرفة عن الكلمة التركية « خرشنف » بمعنى القمامة . وهذا الحى كان يعرف فى عصر الدولة الفاطمية بحارة زويلة . وكلمة « حارة » تقابل كلمة « حى » . وزويلة قبيلة بربرية وردت من شمال افريقيا مع المعز لدين الله الفاطمي وسكنت هذا الحى الذى عرف باسمها . فلما زالت الدولة الفاطمية رحلت قبيلة زويلة ، ولم يشأ أحد أن يسكن فى تلك الجهة فأهمل أمرها وأصبحت خرابا تلقى فيها القمامة ، وقد تراكم بعضها فوق بعض . وفى عصر الدولة المملوكية سكن الأقباط هذا الحى بعد أن أزالوا منه النفايات وبنوا مساكن فى أزقة ملتوية ، لايستطيع الغريب أن يهتدى فيها إلى سبيله ، ووضعوا عليه حراسا من أبناء الطائفة . وشيدوا كنيسة تحت سطح الأرض مازالت باقية إلى اليوم .

ومن عظماء القبط الذين سكنوا هذا الحى أولاد العسال ، وقد شغل بعضهم مناصب كبيرة فى الحكومة . ولما كان عصر محمد على فتح هذا الحى لمن شاء أن يسكنه بغض النظر عن دينه . فشيد عباس الأول قصرا ضخما وسكنه قبل أن يتولى عرش مصر . وكان لشيخ السادة البكرية عدة قصور فى حى الأزبكية ، استولى عليها الخديو اسماعيل وهدمها وشيد فوق بعضها دار الأوبرا والميادين والشوارع المحيطة بها . ومنح شيخ السادة البكرية قصر الخرنفش كجزء من التعويضات عن قصوره التى هدمت .

● تاج الشرف للبكرى ●

وبعد ظهر يوم الخميس ٢٨ يناير ١٨٩٢ استقبل الخديو عباس فى قصر عابدين السيد محمد توفيق البكرى فى جماعة من كبار العلماء يتقدمهم شيخ الأزهر ، وقد رحب به وأجلسه على يمينه ، وجلس العظماء على يساره . وعلى أثر الانتهاء من شرب القهوة نهض الخديو وألبس البكرى تاج الشرف الذى يلبس فى مثل ذلك اليوم ، وهو عمامة من الأطلس بين الخضرة والصفرة فى اللون ، محشوة بأنفس الديباج . وكان فى حجم العمامة العادية مرتين . وألبسه الخلعة السنية وهى من درجة التشريفة الكبرى . ثم خرج البكرى وركب جوادا كريما على سرج أخضر تخفق عليه رايات أرباب الأشاير الذين تجمعوا فى ميدان عابدين ، ووقفوا فى انتظاره وركب كبار العلماء وانطلقوا وراءه . وقد اتجه هذا الموكب الحافل من ميدان عابدين إلى باب الخلق

فشارع تحت الربع فالغورية فالنحاسين إلى قصر الخرنفش . وهناك استقبل جموع المهنئين وفى مقدمتهم مصطفى باشا فهمى رئيس النظـار ، والنظار ووكلائهم ، وكبار الأعيان . ولما انتظم عقدهم نهض بعض الشعراء وانشدوا قصائد تفيض بالحب للبيت البكرى .

وفى شهر مايو من هذا العام عين محمد البكرى عضوا دائما فى مجلس شورى القوانين ، وسافر إلى أوربا فى أواخر العام المذكور ، وقابل بعض مشاهير رجال السياسة والأدب فى فرنسا وانجلترا كما قـابل وزيـر خارجيـة انجلترا لـورد سالسبورى وتحدث معه فى موضوع الجلاء عن مصر ، ثم توجه إلى الأستانة فدعاه السلطان عبدالحميد لمقابلتـه مرارا ، وأنعم عليه بنيشان رفيع .

قال البكرى مجملا رأيه فى السياسة المصرية : « **وأما الأمة فقد نشأت فى هذه الديار ، وإذا هى ترسف فى أغلالها ، فاقدة لاستقلالها . فرأيت أن أول ماينذب على المرء أن يسعى فيه هو إرجاع استقـلالها الادارى ثم استقلالها السياسى . فرفعت صوتى بطلب الأول . وكنت أول مصرى أنادى به فى زمن الاحتلال ، ثم لم أفتأ أعمل لهذا الغرض بما يؤدى إليه ويبعث الهمم للحصول عليه** » .

وبذلك يكون محمد توفيق البكرى هو أول من فـجر الحركة الوطنية ، وأشعل نيران العداوة ضد الاحتلال . وكان مصطفى كامل فى هذا الوقت طالبا بمدرسة الحقوق الخديوية ، يحاول نظم الشعر وله أبيات قليلة فى مدح الخديو عباس ، نذكر منها :

أنت المليك الذى هام الجلال به
وصير القطر فى أمن من الغمم
أنت المليك الذى مصر به افتخرت
على الممالك من عرب ومن عجم

● كراهية الانجليز ●

كان عباس مبغضا للانجليز ، ناقما على نظارة مصطفى فهمى باشا مسايرتها لسلطات الاحتلال واستسلامها المطلق للمحتلين . وحدث أن مرض رئيس النظار مرضا اضطره إلى ملازمة الفراش مدة طويلة ، وكان هو نفسه ناظرا للداخلية فانتهز ستل باشا المفتش العام للضبط والربط هذه الفرصة وطلب من المديرين والمحافظين أن تكون مكاتباتهم إليه رأسا بدلا من ناظر الداخلية . وهذا يعنى سلب اختصاصات الناظر المذكور . وقد لبث أحمد شكرى باشا (وهو والد إسماعيل صدقى باشا) وكيل الداخلية عدة أيام دون أن يؤدى أى عمل أو تعرض عليه أوراق ، ولم يدر لذلك سببا ، لأنه لم يعلم بما فعله هذا الموظف الانجليزى ، وبلغ عباس نبأ هذا الموضوع وما فيه من خطورة ، فدعا أحمد شكرى باشا وكلمه فيما فعله ستل ، فأكد أنه لم يعلم به فوبخه الخديو توبيخا عنيفا وطلب منه أن يصدر أمره فورا بإلغاء تعليمات ستل إلى المديرين والمحافظين ، وقامت الصحف الوطنية تشدد النكير على ستل . وقد أدرك كرومر مافى عمل هذا الموظف الانجليزى من الخطأ ، فوافق على طلب الخديو .

وفى يوم ١٦ يناير ١٨٩٣ أرسل عباس

إلى مصطفى فهمى يطلب منه أن يستقيل ، فأبى أن يفعل ذلك قبل أن يستشير لورد كرومر ، فاغتاظ الخديو ، ودون اكتراث برضى كرومر ، أو عدم رضاه أصدر أمرا بإقالة النظارة ، وعين نظارة جديدة برئاسة حسين فخرى باشا الذى كان وزيرا للحقانية فى النظارة السابقة .

وكان من الطبيعى أن يعارض كرومر فى هذا التعيين ، وقد أيدته حكومة لندن . قال فى برقية له إلى لورد سالسبورى وزير خارجية انجلترا فى ذلك الوقت .

« إن الحالة بأكملها ـ ليس فقط فيما يتعلق بالموظفين البريطانيين ، بل بمركز الحكومة البريطانية ـ تتغير إذا سمح للخديو أن يفعل مثل مافعل فى هذه المسألة ، وتكون النتيجة وقوع ارتباك كثير ، ان وقوع نزاع شديد مع الخديو ـ كما قدرت منذ برهة طويلة ـ أمر لابد منه ولا أرى من الصواب تأخيره . وانى ارى وجوب انتهاز هذه الفرصة لوضع حد لهذه الأمور . وان لدى اسبابا وجيهة للاعتقاد بأن الخديو قد اتخذ هذا المسلك لاعتقاده خطأ ان حكومة جلالة الملكة الحالية ـ يعنى حكومة الأحرار ـ لاتعضدنى تماما كما كانت تفعل الحكومة السابقة ـ حكومة المحافظين » .

« وأنا أرى أن لافائدة من اقتصار فخامتكم على نصحه ، بل اقترح ان ترسلوا إلى برقية استطيع أن أريها لسموه ، تذكرون فيها بكل جلاء أن حكومة جلالة الملكة تنتظر أن يؤخذ رأيها فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار . وانكم تعتقدون أن التغيير فى الوقت الحاضر لايستحسن ولا موجب له ، وأن حكومة جلالة الملكة لاتستطيع أن تقره فى عزمه على تعيين فخرى باشا . كذلك يجب اعطائى السلطة بأن اتخذ الوسائل اللازمة التى أرى وجوب اتخاذها لمنع هذا التغيير » .

« أن الخديو يرغب كذلك ان يعين ناظرين للحقانية والمالية غير الناظرين الحاليين ، وانا لا أعارض فى ذلك . وانى أرغب أن أبين لحكومة جلالة الملكة بكل جلاء أهمية نتائج المسألة الحالية ، فانهم لو سمحوا للخديو بأن يفوز فى هذه الحادثة ، فلا يبقى باستطاعتى أن أستمر فى الخطة التى سرت عليها منذ عشر سنوات حتى الآن . ويرجح كذلك فى تلك الحالة أن المسألة المصرية تتخذ شكلا لايرضينا يأتى قبل أوانه . أما إذا أعطينا الخديو درسا هذه المرة فيرجح عدم وقوع مشاكل أخرى فى المستقبل »[1] .

ولم ينشر المرسوم الخديوى بتشكيل النظارة ، غير أن النظار توجهوا إلى مكاتبهم وزاولوا أعمالهم فأصدر كرومر أمره إلى الموظفين الانجليز بتجاهل النظار الجدد ، فاستاء الخديو لذلك .

وفى يوم ١٦ يناير ١٨٩٣ اجتمعت الوزارة البريطانية ، وبعد المناقشة فى هذا الموضوع أرسلت إلى كرومر البرقية الآتية :

« إن حكومة جلالة الملكة تنتظر أن يؤخذ رأيها فى المسائل الخطيرة مثل مسألة تغيير النظار . وفى الوقت الحاضر لايظهر أن هناك ضرورة للتغيير ، لذلك فانا لا نستطيع ان نوافق على تعيين فخرى باشا » .

وانتهى الموضوع بأن اتفق الخديو وكرومر على تعيين رياض باشا رئيسا للنظارة الجديدة . وقد أصر كرومر على أن يقدم له الخديو بلاغا رسميا يتعهد فيه بالسير بموجب نصيحة الحكومة البريطانية . قال كرومر « على الخديو أن يقدم لى بلاغا رسميا على شروط أمليتها انا بنفسي ، فإن عليه ان يقول : انه يرغب رغبة شديدة أن يوجه عنايته لايجاد أصدق العلاقات الودية مع انجلترا ، وأنه يسير بكل رضاء بموجب نصيحة حكومة جلالة الملكة فى كل المسائل الهامة فى المستقبل » .

● العداء للمستعمر ●

وقد طلب كرومر زيادة الحامية البريطانية فى مصر ليوقع اليأس فى قلوب المصريين المطالبين بالجلاء ، وليخمد نيران الحركة الوطنية ، فأبرق إلى وزير خارجية لندن يقول : « انى وان كنت لا أجد وجها لعدم الرضا والشكوى من لهجة الخديو وتصرفه ، إلا أنى فى الوقت نفسه أنظر بقلق إلى الحالة المحلية . فقد أصبح رياض باشا ـ على مافهمت فى المدة الأخيرة ـ متدينا كل التدين ، ولذلك فهو يميل إلى اتباع روح التعصب والعداء نحو الأوربيين . ولما كان الخديو فى الماضى يشعر بنفور شديد من رياض باشا ، فقد تستميله اليه الآن مظاهره الاستبدادية ويتحد الاثنان للعمل ضد انجلترا ، وفى هذه الحالة تحدث المشاكل » .

« وقد زار الخديو أمس جمهور من الوطنيين ، ومع أن هذه المظاهرة كانت على نوع ما مدبرة ، ومع أن الخديو لم يكتسب بالفعل خطوة حقيقية فى أعين الجمهور ، غير أنه لايحتاج إلى كثير ليصبح الناس وهم ينظرون إليه نظرهم إلى المصرى الممتلىء غيرة ووطنية وعداء للأجانب وقد اتخذت الصحافة التى تعبر عن الشعور الاسلامى الشديد لهجة شديدة مؤذية » .

« ومن رأى الجنرال ووكر ، ورأيى أن الحامية البريطانية ضعيفة جدا ، وأود كثيرا أن أعلن حالا أنه قد تقرر زيادتها . ولا أعتقد أن حكومة جلالة الملكة تستطيع أن تقول أو تفعل شيئا يؤثر ما يؤثره اتباع هذا الاقتراح الذى أوصى بكل شدة بالموافقة عليه . واني أرغب أن أعلن هذا الأمر قبل أن يجد الخديو أو رياض باشا فرصة كافية للاقدام على ارتكاب عمل آخر من أعمال الطيش والحماقة » .

وقد أعلنت الحكومة البريطانية رسميا أنها وافقت على زيادة جيش الاحتلال فى مصر بناء على ان الحوادث الأخيرة تهدد الأمن العام . وجاء فى خطاب العرش الذى ألقته الملكة فكتوريا يوم افتتاح البرلمان مايأتى : « وقد تقرر ـ نظرا للحوادث الأخيرة التى حدثت فى مصر ان يزاد جيش الاحتلال فيها . وقد صرح سمو الخديو المعظم بأقوال أرضت الحكومة الانجليزية فقال انه يقصد من الآن فصاعدا اتباع العادة المقررة ـ وهى استشارة الحكومة الانجليزية فى المسائل السياسية ، والجرى على اتفاق ووداد مع الحكومة المذكورة » .

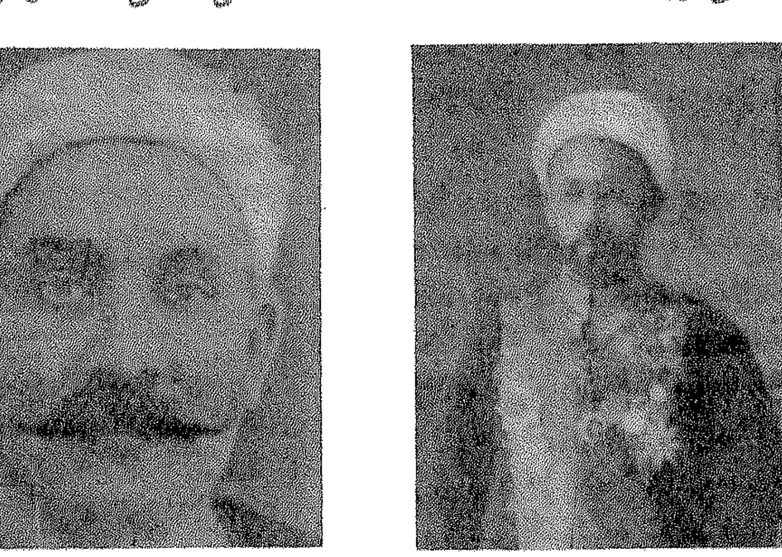
كسب الخديو عباس بإقالة نظارة مصطفى فهمى باشا إعجاب المصريين وتقديرهم فلهجت الألسن بمدحه ، وذهبت الوفود إلى قصر عابدين معربة عن تأييدها للخديو فى موقفه . قالت المؤيد : « .. وفى خلال ذلك وقد فاضى مصر والسيد البكرى وتشرفا بمقابلة سمو الخديو » كما ذهب رجال الأزهر وعلى رأسهم شيخهم وقابلوا عباس ، وخطب شيخ الأزهر قائلا : « ان علماء الأزهر يرون فى جنابكم العالى الحاكم الأكبر للبلاد وسيدها السياسى والدينى ، لأنه نائب الخليفة الأعظم ، فهم بذلك يرون الاخلاص والطاعة المطلقة من أقدس فروض الرعية لمقامه السامى كما أمر الله سبحانه وتعالى . وختم كلامه بالابتهال إلى الله أن يؤيد الخديو بنصر من عنده » .

لبث عباس فى قصر عابدين من الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية بعد الظهر قابل خلال تلك المدة جميع أعيان البلاد ووجهائها ورجال الأزهر ورجال القضاء الوطنى وأعضاء مجلس شورى القوانين وطلبة المدارس الثانوية والعالية ، وجاءته برقيات تأييد من سائر أنحاء القطر .

وحينما ذهب لأداء فريضة الجمعة (٢١/١/١٨٩٣) بمسجد الامام الحسين - رضى الله عنه - أسرعت الجماهير إلى الوقوف فى طريق موكبه وتزاحم الناس للصلاة فى المسجد حتى لم يبق موضع لقدم وارتفع ضجيجهم ودعاؤهم للخديو فى داخل المسجد . قالت المؤيد : « ولم يحصل مثل ذلك قط فى مساجد مصر ، بل ولا فى مساجد جميع الأمم الاسلامية قاطبة » إلا من الخطيب أثناء خطبة الجمعة دعاء للخليفة أمير المؤمنين » .

وبعد الصلاة وزيارة الضريح سار موكب الخديو ، والناس يسيرون وراء عربته





الشيخ على يوسف

مصطفى لطفى المنفلوطى

عربته ويحيطون بها ، وأصواتهم تشق أجواء الفضاء هتافا للخديو . وقد حاولت الجموع مرارا أن تفك الخيل من العربة ليسيروا بها إعلانا عن تفانيهم فى محبته ولكنه لم يسمح لهم بذلك » .
ذهل الانجليز لهذه المشاعر الوطنية الرائعة التى لم يسبق لها مثيل .

● رجل ذو نفوذ ●

وكانت دار البكرى بالخرنفش كعبة لكبراء المصريين والأجانب ، فيها يجتمعون ويتحدثون فى مختلف الشئون وفى مقدمتها الشئون السياسية التى شغلت الأذهان فى ذلك الوقت . وممن قصدوا دار البكرى فى تلك الأيام مراسل صحيفة « نيويورك هيرالد » الأمريكية ، وقد أجرى مع السيد البكرى حديثا قدم له بقوله :

« قصدت فى هذا اليوم زيارة السيد البكرى ، وهو رجل ذو نفوذ عظيم وثروة طائلة . ويعتبر كرئيس للجيل الناشىء المشهور للوطنية وعنوانه سياسته « مصر للمصريين » وهى السياسة العامة فى مصر والتى يترنم بنشيدها حزب الأحرار فى انجلترا ، كما كان يترنم بها قبل ذلك عرابى وأنصاره .

ووصفه مراسل صحيفة التيمس بأنه « أحد كبار الأئمة الثلاثة أو الأربعة الذين لهم نفوذ عظيم عند المسلمين فى مصر . وبما أنه من أصحاب الأفكار العالية ومشهور بالاعتدال والسداد فى الرأى فرأيت أن أتشرف بمقابلته لأسمع من آرائه » .

● صداقة قوية ●

كان محمد توفيق البكرى زميلا لعباس حلمى فى المدرسة العلية . وشاءت الصدف أن يتولى نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية فى نفس الشهر الذى تولى فيه عباس عرش مصر . وكان بينهما تقارب فى السن ، ومودة أكيدة وصداقة متينة وحب متبادل .

وحينما بدأ الخديو يناوىء الانجليز وجد فى البكرى خير معين . فأوعز اليه بالسفر إلى لندن ومقابلة وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت لورد سالسبورى والتحدث معه بشأن مصر ، كما أشار بأن تسند إليه رئاسة لجنة الميزانية فى مجلس الشورى .

ولما رحل البكرى إلى الأستانة سنة ١٨٩٢ إتصل بأبى الهدى الصيادى ونشأت بينهما صداقة قوية استمرت مدة طويلة . وكان أبو الهدى يتقرب إلى السلطان بكثرة مايرفع إليه من التقارير المملوءة بالدس والوشاية والوقيعة . وقد جاء فى أحد هذه التقارير اتهام لعباس بأنه يسعى إلى انتزاع الخلافة من آل عثمان ليستأثر بها لنفسه فنشأ جفاء شديد بين السلطان عبدالحميد وعباس . واعتقد الخديو أن البكرى لعب دورا هاما فى هذا الموضوع ، فهو صديق حميم لأبى الهدى ، وكان فى استطاعته أن يقنعه بالعدول عن هذا المسلك . فما دام لم يفعل ذلك ، ومادام محتفظا بصداقته لأبى الهدى عدو الخديو ، فلابد أن تكون له يد

فى تلك الوشايات . هذا مع أن البكرى كان قد ذكر فى حديثه مع مراسل صحيفة نيويورك هيرالد بالقاهرة والمنشور فى المؤيد بتاريخ (١٨٩٣/٤/١١) مانصه : « **أما فيما يختص بالأوهام الشائعة عن انشاء مملكة عربية فالذى أعلمه من ذلك أن الانجليز قد افتكروا فى هذا الأمر من قبل . وأنصار هذا الرأى ميالون لجعل مكة المكرمة عاصمة لهذه المملكة لكونها قبلة المسلمين عامة إلا أن هذه الأفكار لم تسبق إلى اخلاد المصريين ولا يهتمون أن يخطروها على البال ، وليست بشئ من أميالنا على كل حال** » .

وشاية ضد البكرى

اشتد حقد عباس على أبى الهدى الصيادى فسعى إلى الايقاع بينه وبين البكرى . وكان أبو الهدى يعمل على نشر نفوذه الأدبى فى جميع أنحاء العالم العربى ومن بينها مصر . فأرسل فى سنة ١٨٩٥ رجلا اسمه محمد كمال الدين للقيام بهذه المهمة . وقد أصدر هذا صحيفة اسمها « القاهرة الحرة » كان ينفق عليها أبو الهدى ، واستأجر بعض الصحف الصغيرة . وكل هذا لنشر الدعوة لشيخه ومحاربة العثمانيين الأحرار الهاربين من وجه السلطان . وكان محمد كمال الدين قد استصدر تصريحا من البكرى بانشاء طريقة صوفية سماها الطريقة الخرامية . وشرع يعقد الاجتماعات ويقيم الحضرات وحفلات الأذكار . فكتبت صحيفة المؤيد فى (١٨٩٦/١/١٢) مقالا تحت عنوان « رسل أبى الهدى فى مصر » اشتمل على طعن شديد فى الشيخ أبى الهدى ومحاولة الوقيعة بينه وبين البكرى ، ومحاولة إثارة مخاوف السلطان من هذا الرجل الشرير . وقد لعب صاحب المؤيد الشيخ على يوسف دورا هاما فى إثارة الفتنة بين هذه الأطراف ولكن الهدف الذى من أجله كتب هذا المقال لم يتحقق ، بل ان العلاقة بين السلطان وأبى الهدى قد زادت قوة ، وكذلك بين هذا الأخير وبين البكرى . والدليل على ذلك ان البكرى مدح السلطان عبدالحميد عقب انتصار الدولة على اليونان وكان ارسالها على يد سماحة السيد ابى الهدى افندى ، فورد كتاب من سماحة الوسيط الى سماحة صاحب القصيدة « يبشره فيه بنوال قصيدته حظ نهاية القبول والانعطاف بالامتنان .. وأن الحضرة الشاهانية ـ حفظها الله ـ أمرت أن توضع القصيدة فى المكتبة الملوكانية المخصوصة . وهو التفات يهنأ عليه سماحة السيد البكرى »

وفى شهر نوفمبر ١٨٩٧ خيّل الى عباس ان الفرصة حانت للانتقام من خصمه . فقد ظهرت فى هذا الشهر نشرات مطبوعة تتضمن قصيدة فى هجاء الخديو تحت عنوان « الصاعقة » مطلعها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وعود ولكن لا أقول حميد

وكان عباس قد زار بعض بلاد الوجه البحرى وقوبل مقابلة شعبية رائعة . فلما ظهرت هذه القصيدة بادر ناظر الداخلية الى ابلاغ النيابة العمومية لتتولى التحقيق . وقال الخديو للنظار : « إن كانت المحاكمة ستقف عند من طبعت باسمه مع

علم الناس اجمعين بانه ممن لايقولون شعرا ، ولايملكون قوت يومهم فلا لزوم لذلك ، وأما إذا كانت المحاكمة ستكشف الحقيقة المجهولة ويعاقب منشىء القصيدة وكان من له اشتراك فى ظهورها ، فلا بأس من الاستمرار فى طريق التحقيق » .

فأجاب النظار : « نحن نعد أفندينا بأن التحقيق يجرى بتمام الاستقلال فلا تؤثر عليه سلطة أخرى . وأما العقوبة بعد ذلك فهى من شأن القضاء وحده ، وهو يحكم بنص القانون لا محالة » .

ومن هنا نعلم ان الخديو أراد أن يتدخل فى التحقيق ويزج بالبكرى فى هذه القضية .

● قصيدة هجاء ●

استدعت النيابة مصطفى لطفى المنفلوطى وسألته فاعترف بأنه هو الذى نظم القصيدة ، ولكن المحقق ضغط عليه فاضطر الى القول بأن البكرى لما قرأ القصيدتين اللتين نظمهما المنفلوطى فى ذم الاحتلال وذم صحيفة المقطم بامضاء « عدو الاحتلال » أرسل إليه أحمد فؤاد صاحب مجلة « الصاعقة » يستدعيه إليه . وطلب منه أن ينظم قصيدة فى هجاء عباس وقدم له صدر مطلعها وهو : قدوم ... ثم كلفه بأن ينظم القصيدة على هذا النسق ، وهذه القافية ، ووعده بجائزة قدرها عشرة جنيهات له ولأحمد فؤاد . ثم نقدهما أربعة جنيهات فاقتسماها . ولما فرغ من نظم القصيدة عرضها على البكرى فاستحسنها وزاد عليها بيتين هما :

عباس ترجو أن تكون خليفة
كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الأرض حين تسود

ثم ذهب هو وأحمد فؤاد وطبعا القصيدة فى مطبعة الخيامى .

وقد استدعت النيابة أحمد فؤاد وسألته عن القصيدة وكان قد ادعى أنه هو ناظمها . فأخبره المحقق بما اعترف به المنفلوطى عن البكرى . فنظر أحمد فؤاد إلى المنفلوطى شزرا وقال له : « تبا لك من خائن مارق » . فألحت عليه النيابة حتى أعترف تحت التهديد ، وذكر ان البكرى هو الذى أغراه وقال كما قال المنفلوطى : فأمرت النيابة بحبسهما احتياطيا .

وقد أراد المنفلوطى أن يثبت ماقاله عن البكرى فأبرز مسودة القصيدة التى نظمها هذا الأخير مهنئا فيها السلطان عبدالحميد بانتصاره على اليونان سنة ١٨٩٧ ، مدعيا أن ذلك يؤكد وجود العلاقة بينهما .

وقد اهتم الناس بأمر قصيدة الهجاء ، واشتغل النساخ بكتابتها وبيعها . ثم دعى البكرى إلى النيابة وسئل عن حقيقة ماجاء فى أقوال المنفلوطى وأحمد فؤاد ، فأجاب إن هذا هزؤ وسخرية بالناس ودسيسة لفقت علىّ تلفيقا سخيفا . أما أنا فلا أعرف المتهمين ، ولا رأيتهما قط ، ولا بينى وبينهما أدنى علاقة . فجىء بالمنفلوطى من السجن مقيدا بالأغلال فى مواجهة البكرى فأقر بأنه لم ير هذا الأخير قط ، ثم جىء بأحمد فؤاد فقال انه رآه منذ خمسة أشهر ، ولم يره بعد تلك المرة إلا حينما كلفه بنظم القصيدة .



مصطفى كامل



احمد عرابى

اللورد كرومر

فقال البكرى : إنه لا يتصور مجنون فضلا عن عاقل أن صعلوكا مثل هذا يعترف أنه لم يرنى إلا مرة واحدة ، وصفته أنه يملأ الجرائد كل يوم بقوله إن الباشا فلانا أعطانى كذا لأشتم فلانا ، والآخر أغرانى بكذا لأطعن على فلان ونحو ذلك ثم أكلفه عملا رسميا هو الجناية الكبرى على أمير البلاد ليعمله تحت اسمه وأشارك فيه رجلا آخر يعترف انه لم يرنى ولم أره قط ، وصفته أنه عدو الاحتلال . وهذا الخطر وهذا الاقدام على ذلك الأمر الفظيع هو لمجرد نظم قصيدة مع أن نظم الشعر أسهل شيء عليّ . وعندى من الأصدقاء الأخصاء اكثر من عشرين يقولونه . وما المعنى من نظمى شطرا أو بيتين من قصيدة ، ثم استعين بأجنبى لا أعرفه ولايعرفنى على اتمامها ، فهذا كلام لايتصور فى اليقظة بل فى المنام .

ثم تبين كذب أحمد فؤاد فى تحديده لليوم الذى قابل فيه البكرى إذ كان هذا الأخير قد أدب فى ذلك اليوم مأدبة لجماعة من أصدقائه فى منزله بالعباسية ، ولم يكن موجودا بالخرنفش . ولكن اتضح من سير التحقيق أن النيابة تريد أن تزج البكرى بين المتهمين فى هذه القضية ، فأرغم النائب العمومى حمد الله بك أمين على تقديم استقالته ، وعين بدلا منه المستر كوربت نظرا لمعرفته باللغة العربية . وعلى اثر ما حدث للنائب العمومى ظهرت نشرات مكتوبة بخط اليد جاء فيها :

يا أهل مصر تيقظوا من نومكم
وتفكروا ياقوم فى نوم العزيز
وابكوا على مصر السعيدة واندبوا
فوزيركم قد باعها للانجليز

وعليها توقيع « جمعية انقاذ الوطن » وكانت ملصقة على الأبواب والجدران فى الشوارع والأزقة والحارات .

ووجدت نشرات أخى مكتوبة بخط اليد أيضا ومما جاء فيها : يا أهل مصر ، أيز

النخوة العربية ؟ أين الجمعية الوطنية ؟ إلى متى أنتم سكارى وقد أصبحتم حيارى ؟ أفيقوا من النوم أيها القوم .
وتلقى النظار تهديدهم بالقتل إن لم يخرجوا الانجليز من مصر خلال أربعة أشهر . وهذا نص ماجاء فيها « أيها النظار الفجار ، والرؤساء الأشرار ، طالما ارتكبتم المظالم ، ودرستم المعالم وخربتم البلاد وأفسدتم العباد ، وهدمتم المجد حيث لا أب لكم فيه ولا جد ، وقد تحدد لكم أربعة من الشهور تجمع ، إما أن تعملوا على اجلاء الانجليز من البلاد ، وإما إجلاء أرواحكم من الأجساد » .

وأخذت صحيفة المؤيد تبكي وتنوح على استقلال القضاء الذى اعتدى عليه الانجليز ، وتطعن على البكرى طعنا قبيحا . وتناولت موضوع القضية بعض الصحف الأجنبية المعادية للانجليز وكانت المؤيد تنقل مقالات هذه الصحف وتنشرها . مثال ذلك مانقلته عن صحيفة الكوريه د يجيبت الألمانية وهو : « ... ذلك أن رجلا خائنا لوطنه ولأميره ـ كما يوجد فى كل البلاد ، وصديقا للانجليز ـ أوعز لأحد السوقة مقابل بعض دراهم أن ينشر باسمه قصيدة ملأها بالمطاعن الساقطة ضد سمو الأمير عقب سياحة سموه الأخيرة التى قوبل فيها من أهالى الوجه البحرى أجمل وأجل استقبال ... وقد أراد محب الانجليز الذى نشير اليه ان يبرهن لمحتلى بلاده على إخلاصه لهم فكتب هذه القصيدة مع رجل سافل مثله » .

وقد رأت النيابة ان التهمة غير متحققة بالنسبة للبكرى فلم تقدمه للمحاكمة .
وقد نظرت هذه القضية أمام محكمة السيدة زينب الجزئية فى (١٨٩٧/١٢/٤) ورفض المحامون الدفاع عن المتهمين مجاملة للخديو واكراما لخاطره . ولما سئل المنفلوطى أمام المحكمة قال : ان القصيدة خالية من العيب ، وانه مأجور على نظمها ، فكما برأت المحكمة الخيامى لأنه استؤجر على طبعها ، يجب ان تبرئه لأنه استؤجر على نظمها ، ولو لم ينظمها هو لنظمها سواه وأنه شديد التعلق بالحضرة الخديوية ومخلص فى ولائه ، والدليل على ذلك أنه نظم قصيدة يمدحها بها فى يوم عيد مولدها قبل رجوعها إلى العاصمة بقليل . وأنه لولا حسن آدابه لأذاع السر الخفى الذى أوجب نظم القصيدة وطبعها .
لم تأخذ المحكمة بدفاع المنفلوطى فحكمت عليه بالحبس لمدة سنة وغرامة قدرها مائة وخمسون جنيها وعلى أحمد فؤاد بالحبس سنة كذلك وغرامة ثلاثة آلاف قرش . وحين عرضت القضية أمام محكمة الاستئناف خففت مدة السجن لكل منهما إلى ستة أشهر .
وقد جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٨٩٧ مانصه :
« توالى على منصب النائب العمومى محاميان وطنيان فى الأربع سنوات الماضية ، ولكن مجرى الأعمال فيه لم يسر نظارة الحقانية ، فان النيابة العمومية التى تنوب عن الحكومة فى البلاد لم تكن ادارتها كما يجب ، بل كان يرد على الحكومة من حين إلى آخر تقارير لاترضى

عن سير الأعمال فى النيابة . وحدثت فى الشتاء الماضى حادثة اكتفى فى وصفى لها بأنها قاضية بوجوب ادخال التغيير حرصا على المصلحة العامة ، فعين المستر كوربت نائبا عموميا نظرا الى خبرته فى القضاء وحسن معرفته للعربية . ان ماجرى يدل على ان تقليد المصريين لهذا المنصب جاء قبل أوانه » ! ! !

وكان المنفلوطى مقيما ببلده بعد أن أمضى عقوبة الحبس ، فلما اطلع على ماجاء بصحيفة المقطم من تقرير كرومر ، كتب الى الصحيفة المذكورة رسالة نصها :

« اطلعت بعدد أمس فى تقرير جناب اللورد كرومر المنشور بالمقطم على نبذة تتعلق بالنائب العمومى السابق وعدم صلاحيته لتولى هذا المنصب ، وحيث إنى أخبر الناس بحقيقة تلك القضية التى أحدثت ذلك التغيير فأقول :

« إن حمد الله بك النائب العمومى ومحمد بك صالح وكيل النيابة كانا فى اعتقادى أعلم الناس ببراءة السيد البكرى من تهمة اشتراكه بقصيدة الهجو ، كما أنهما ظهرا أحرص الناس على الصاقها به بأية واسطة كانت طلبا لمرضاة من لايرضيه الا مس شرف السيد المشار اليه . والله أعلم كيف امكنهما حملنا على وضع امضاءاتنا على تلك التلفيقة ، الأمر الذى يعار على الأمة المصرية وجوده فى قضاتها .

وانى افتخر ان قضيتنا هذه كانت السبب فى كشف حقيقة عظيمة ربما كانت تبقى مجهولة مدة طويلة فينشأ عنها من الخلل ما لا يعلمه الا الله . وأتوسل الى البارى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتولى الأمور من يصلح لها ، وتنقشع عن جو مصر بقية تلك السحابة المظلمة فتنجلى عن شمس العدالة يشرق ضياؤها ويسطع بهاؤها .

منفلوط فى ١ يونيو سنة ١٨٩٨
امضاء : مصطفى لطفى

● منطق ... ●

● ادعى اعرابى النبوة ، وزعم ان معجزته أن يضع حصاة فى الماء فتذوب ، فأمر الوالى باحضاره ، وطلب منه أن يصنع أمامه تلك المعجزة ، فأخرج الرجل حصاة كانت معه ، وألقاها فى إناء به ماء ، فذابت فيه . ولكن الوالى لم يقتنع بذلك ، وقال له : نعطيك حصاة من عندنا . فرفض الاعرابى ذلك قائلا :

ـ لستم أعظم من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى . وقد علمتم أن فرعون لم يقل لموسى حين ألقى عصاه فإذا هى حية تسعى : لانرضى بعصاك وانما نعطيك عصا من عندنا ! ! .

• قصة •

انتظار

بقلم : جمال الغيطانى

ريشة : حلمى التونى

.. توقفت مرات خمس ، سلم مرهق ، كأنه لن يؤدى الى طابق تال ، مع أن العيادة تقع فى الطابق الأول ، المبنى قديم ، لم أتقن استخدام العصا بعد ، أدفع بها الى الوراء بينما ساقى الى الأمام ، أو اثبتها فى الوقت الذى أخطو فيه ، داخل ساق يتمدد لهب مُحمى ..

اللافتة سوداء قديمة ..

حروف عتيقة ، متآكلة اسم الطبيب فقط ، ما من تخصص مكتوب ، أو درجات علمية ، أكدوا لى فى المؤسسة أن اسمه معروف ، والبعض يصفه بأنه الطبيب الأول فى مصر ، المتخصص فى علاج الأوعية الدموية ، تنشر الصحف أخبار سفره لحضور مؤتمرات علمية ، وملخصات الابحاث التى توصل اليها ، قيل لى أن بعضا من اثرياء العرب يرسلون طائراتهم الخاصة اليه ، يقلع فى الصباح ، يوقع الكشف ، يرجع فى نفس اليوم ، امره مفروغ منه ..

إنى قلق ، إذ وصلت متأخرا عن الموعد المحدد بخمس دقائق ، حذرنى الممرض من التليفون ، أكد لى أن الحجز سيلغى إذا لم أصل قبل الميعاد المحدد ، أعددت مايجب قوله ، سكنى النائى ، إزدحام المرور وألمى الذى يبطىء حركتى ، عندما ولجت المدخل فوجئت بالممرض يقف ، كأنه كان يصغى إلى صوت خطواتى . إنه يدس يديه فى جيبى سترته ، يتطلع إلى الفراغ . يتجاوز بعينيه ، ملتح ، عريض الفك والوجنتين ، يغطى رأسه بطاقية من القطن الأبيض .. يقول ، « فعلا ، إنت تأخرت ، لكنك محظوظ .. الدكتور لم يصل بعد .. »

ارتياح وقلق ، خشيت الغاء الكشف ، أما قلقى فلرؤيتى المنتظرين ، مامن مقعد شاغر ، بعد أن دون اسمى ، لاحظت أن رقمى الثالث والعشرون ، يعنى .. لو وصل الآن ، لو أن متوسط ما سيقضيه مع كل مريض عشر دقائق ، سألتقى به بعد مائتين وثلاثين دقيقة . أربع ساعات ! أخشى ألا أتحمل وجع ساقى التى ستبقى مدلاة فترة طويلة . من الأفضل مدها الى أعلى ، هكذا نصحنى طبيب المؤسسة



انتظار

انى أعمل بها ، لكن أنى لى . بمقعدين ؟ ، زحفى البطىء وألمى البادى لم يلفت أنظار أحد ، الكل مرضى ، لكن يبدو أأنهم اجتازوا المراحل الأولى . هل كان ضروريا ان أكون راقدا الآن ؟ هل اخطأت اذ جئت بمفردى ؟، عبرت الصالة الى الغرفة الجانبية ، تطل على الطريق ، مروق العربات ، نداءات بعض الباعة أو المارة ، أريكة قدرت انها تتسع لأربعة ، عليها ثلاثة ، اتجهت دابا بعصاى ، تطلع احدهم . افسح لى . بقى الآخران جامدين .. "شكرا" ، اسندت ظهرى الى ماتيسر لى من المقعد العتيق ، منخفس الحشايا ، "آه" وخزنى الم حاد ، عندما عبر اعتدلت ، اواجه امرأة تعصب راسها . بمنديل ابيض ، فستانها اصفر منقوش بدوائر خضراء ، رجل يرتدى جلبابا بنيا ، متورم القدمين ، حجمها كئيب ، خارج عن المألوف ، ربط اليهما عداسا مسطحا ، على الجدار الأيمن علق اطار مذهب بالى ، اضيق عينى ، قصيدة اهداها الىّ الطبيب العبقرى محمود امين ناظر جراج الشمال شكرا وامتنانا بعد نجاح العملية الجراحية ، المرأة مستمرة فى التطلع الىّ .. هل تحاول التثبت من ملامحى ؟ أم ترثى لتعبى الواضح ؟ نظرات الآخرين تحدق بى ، انا القادم الجديد ، الحدث الطارىء بالنسبة اليهم ، شاب نحيل جدا ، يمدد ساقه متخذا وضعا يماثل وضعى ، لكنه لا يقبض عصا . امرأة قصيرة ، بدينة ، حضورها امومى ، اصابعها متشابكة ، انها فى المقعد الأقرب الىّ ، تذكرت أمى !

رجل ذو سمات جادة ، يمسك مظروفا أصفر تطل منه أوراق بيضاء ، يحملق فى السقف . فوقه لوحة تتوسطها آية قرآنية كتبت بحروف مذهبة فى لوحة مجاورة على أرضية سوداء . الجدران مرتفعة ، الطلاء حال لونه لقدمه ، فى الركن القصى عنكبوت ضخم اسود نسيج بيته لما تراكم عليه من غبار ودخان ، تتطلع المرأة البدينة عبر الباب ، انها قريبة يمكنها رؤية الداخل والخارج ، اتساءل :

● هل جاء الدكتور ؟

● لا ..

تختلج الأوردة اختلاجات متوالية ، كأن ثقل ساقى يتزايد .

● من عادته التأخر ؟

تقول المرأة مرتدية الثوب الأصفر :

● يجيىء عادة مابين السابعة والثامنة ..

يقول شاب قصير ، أصلع تماما ..

● السابعة ؟ لا يمكن أن يدخل العيادة قبل صلاتة العشاء. ..

تتطلع الىّ ذات الثوب الاصفر ، تقول ..

● فى الأسبوع الماضى ، فى مثل هذا اليوم ، وصل السابعة الا ربعا ..

يلوح متورم القدمين بيده ..

● لا مواعيد ثابتة له ..

الاختلاجات تصبح وخزا ، الم غريب . كريه ، غير مسبوق ، واشد الآلام ماكان مجهولا ، غريبا ، لم نعرفه . لو خبرناه . لعرفنا مداه ، هذا لم أعانيه من قبل ،

يتحدث متورم القدمين ، لا يوجه حديثه الى أحد ..

● ربما يجيىء فى الثامنة ، أو التاسعة ، فى الأسبوع الماضى ، يوم الأربعاء ، جاء بعد منتصف الليل ، كان المرضى قد بداوا فى الانصراف ، قابلهم على السلم ، عادوا وكشف عليهم ..

اقول :

● اذا كان يجيىء متأخرا ، فلابد أنه ينصرف متأخرا ..

تنظر الىّ المراة البدينة ، تبدو مشفقة ، كأنها تتساءل عما أعانى منه ، عما اقاسيه ، تقول :

● لا .. انه لا يطيل الكشف ، لا يحب الكلام الكثير

لا يسأل عن الاسم ، أو الاصل ، أو الفصل .

لا يثرثر كالآخرين ..

تبدو سخرية على ملامح الرجل متورم القدمين ، يستمر محدثا ، محملقا الى السقف ..

● حديث .. أى حديث ؟ انه لا يتبادل كلمتين حتى مع المريض ، احيانا لا يسأل عن المرض . ينظر الى الداخل عليه فى لمح البصر يعرف سر الوجع ..

المرأة البدينة ترفع كفيها ..

● الله يعمر بيته . الله يخليه . والله أعرف كثيرين اعاد اليهم قيمة الكشف بعد أن عرف صعوبة أحوالهم .. فجأة . أشعر بمن ينظر الىّ ، التفت الى الصالة ، انه الممرض ، يقف قرب الباب ، يداه وراء ظهره ، يتطلع الىّ ، أحيد ببصرى ، ويجتاز المدخل ، على مهل يتجه الى النافذة ، انه اطول قليلا مما رأيت عند وصولى ، عنقه غليظة ، اثق ان الطاقية تخفى صلعا مكتملا ، استدار ناحيتى ، يتطلع الى الوجوه التى صمتت ملامحها ، هل يبحث عن شىء ما ؟ هل يتفرس ، هل يستوثق أمرا . يخرج متمهلا ، يدركنى قلق خفى ، ذو الشعر الأبيض يعود الى تقليب الجريدة ، عليه سمات ترفع وأنفة ، لم ينظر الى أى من الذين تحدثوا ، بين لحظة وأخرى يعدل وضع المظروف الأصفر ، ساقى الآن أثقل ، صوت خطى سريعة فى الصالة ، هكذا يدخل الاطباء اى حجرات الكشف غير ملتفتين الى المرضى ، فى اعقابهم يسرع الممرضون ، يعدون القهوة قبل بدء الكشف . اتساءل ..

● جاء ؟

تهز المرأة رأسها نفيا ، لم أدر كم مضى من الوقت قبل أن اتساءل ..

● بعد وصوله ، هل يستدعى المرضى مباشرة ؟

تومىء ، لا تنطق ، انها متقدمة فى العمر ، تبدو مهمومة ، لا أظن أن أحد الجالسين سيخطر له أننى اتلمس سبلا للحديث اليها ، ألمى بادى ، يدركه الناظر الىّ ، اشير بيدى اليسرى غير الممسكة بالعصا الى الحجرة المغلقة .

● هل يكشف على المرضى هنا ؟

لم يجبنى أحد ، بعد لحظات قالت المرأة البدينة ، اومية الحضور ..

● منذ عشر سنوات كان مكتبه امام هذا

انتظار

الباب مباشرة ، لكنه ازال الجدار الفاصل بين الحجرتين ، وسع حجرة الكشف .. وسع الله عليه دنيا وآخرة ..

اتساءل

● الا يتصل تليفونيا عندما يتأخر ؟

يلتفت اليّ الأشيب ، المترفع ، لأول مرة يرفع عينيه عن سطور الصحيفة .

● يتصل ؟ من هو الذى يتصل ؟

يبدأ حديثه متمهلا ، يتجه اليّ مباشرة كأنه ينوى وضع حد لتساؤلاتى ..

● انت فى عيادة طبيب لا مثيل له فى مصر ، عالمى ، والهيئات العلمية تسعى اليه .. هل تعرف ذلك ؟

أنفى علمى بهز رأسى .

● الاسبوع الماضى ارسلت الجمعية الطبية فى ميلانو تستشيره فى حالة مستعصية ، ألم تقرأ هذا فى الصحف ؟

كدت أهم مجيبا بالنفى ، لكنه واصل ..

● طبيب مثله يعتذر .. لمن ؟

الشاب مرتدى القميص الابيض

● انه يتأخر لانشغاله فى عمليات دقيقة ، يجرى العمليات فى عدة مستشفيات ، ربما يرى حالة عاجلة ، ربما ينقذ مريض الآن يشرف على الموت .. ونضيق نحن أو نتململ لأنه تأخر ساعة أو أكثر ؟

لم يفتنى غمزه لى . التفت ، الممرض يقف عاقدا يديه اما صدره ، منفرج الساقين قليلا . ارى علامة السجود تتوسط جبهته ، كيف لم ألحظها الا الآن ؟ مع انه يقف فى ضوء أقل خفوتا ، الرجل الاشيب يواصل حديثه ، كأنه لم يصغ الى احد ، ألاحظ اتجاه نظراته الى الممرض ..

● أمير عربى .. لا داعى لذكر اسمه ، اعتاد ان يرسل اليه طائرته الخاصة ، مرة دعاه لقضاء عدة ايام فى قصره ، انا أعرف قصر الأمير .. جنة الله فى أرضه ، لكنه اعتذر بلطف قال ان مرضاه فى انتظاره ..

المرأة البدينة مرتدية السواد ..

● الله يعمر بيته ..

اسمع خطوات ، انها بطيئة ، مرضى جدد ؟ ربما ، باب يفتح ثم يغلق ، تتطلع الى ذات الفستان الاصفر . يكمن فى ملامحها جمال عتيق صاف ، هفا عليّ نسيم عشق قديم هون من قيظى المحدق ، ادرك الى أى حد يمضى العمر مسرعا ..

● جاء ؟

تهز رأسها نفيا ، الرجل الأشيب يمسك المظروف الأصفر ، يعلو صوته ، ينظر باتجاه الباب ، هل يحرص على اسماع الممرض ؟

● من يعرف انه صائم منذ تسعة شهور ؟ يفطر يوميا بعد الغروب ، واحيانا فى غرف العمليات ، يكتفى بكوب ماء ، ثم يتناول افطاره بعد العملية ..

المرأة البدينة

● يقولون انه لا يدخل غرفة العمليات الا اذا صلى ركعتين يتصاعد انفعال الاشيب ، يلوح بالمظروف الأصفر ..

● لماذا يصوم منذ تسعة شهور ؟ بالضبط منذ موسم الحج الماضى ؟ ، انا اقول لكم .. سيادته اعتاد الحج كل سنة ، وهو

الآن ـ بالمناسبة ـ يستعد للسفر ، انه يحج على نفقته ، واثناء الحج يقيم عادة بجوار الحرم المكى ، يكشف على الفقراء مجانا .. اى والله مجانا !

امرأة ضامرة ، قصيرة ، تجلس قرب النافذة ، تعدل وضع طرحتها ، تتنهد امن الم كامن أم إعجابا بما تسمع ؟

● فى العام الماضى اصطحب معه ولديه وامراته للحج ، حدث أن تاه ولداه فى الزحام عند قضاء الليل فى منى ، احدهما صغير لم يبلغ العاشرة ..

برغم ألمى المتعاظم ، أتساءل ..

● اذن .. هو ليس كبيرا فى السن ؟

لا ينظر الشاب اليّ عندما بدا فى صوته تهكم خفى ، كأنه يردد أمرا معلوما ..

● عمره اربعه واربعين ..

أقول :

● ياه .. انه صغير ، وهذه الشهرة كلها ..

يرد رجل عجوز لم ألحظ وجوده الا الآن ..

● عبقرى !

المرأة البدينة ..

● لا يرد فقير ابدا ..

يواصل اشيب الشعر ، كأن احدا لم يتحدث ..

● لم يجزع ولم ينهار ، أمر زوجته بالكف عن البكاء ، وقبل ذهابه الى البوليس ، لاحظوا انه لم يلجأ الى معارفه .

وهم على اعلي مستوى ، قبل ذهابه نذر على نفسه ، لو انه عثر على ولديه سيصوم







عاما كاملا ، بعد ساعات ، مجرد ساعات ، عثر عليهما .. واين ؟ اين تظنون ؟

يجيب اكثر من صوت

● أين ؟

يثقل الالم ساقى ، كأن جوالا من الرمل الساخن شد اليها ، لا أقدر على الجلوس ، اقوم على مهل . منحنيا متكئا على عصاى ، ازحف باتجاه الباب ، دوار وخفق قلب ، وسوء حظ ، واسى على ما حل بى ، بمجرد اجتيازى الباب ، بدون أن يتقدم احد لمساعدتى ، افاجأ بالممرض يقف امامى انه ضخم ، ممتلىء صحة رغم تقدمه فى العمر ..

● الي اين ؟

● هل سيتأخر ؟

● قطعا سيجيىء

● ارجوك ، لا اقدر على القعاد ..

يحول بصوت غاصب ، ارجعنى

● ارد الكشف ؟ سبعة عشر عاما انقضت على هنا ، لم يطلب احد ماتطلبه .. أغالب ألمي حتى احاوره

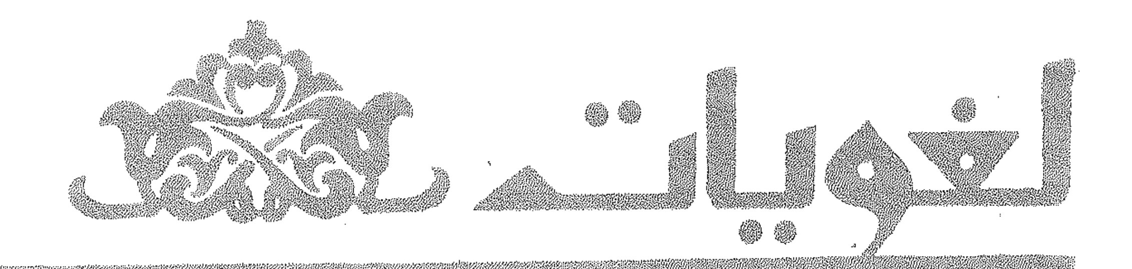
● الم تحدد نى موعدا فى الخامسة ..

● يبدو ن الأمور لا تعجبك ..

يتسع جوال الرمل الساخن المشدود الي ساقى ..

● انا مريض ، لا اقدر على القعاد وعندى ...

نصدم وجهى قوة هائلة ، افقد الرؤية لثوان . اعود الى الغرفة منبطحا على ظهرى ، بينما يقف الممرض منفرج الساقين ، ضاما قبضته ، متأهبا للكمى مرة أخرى .. »



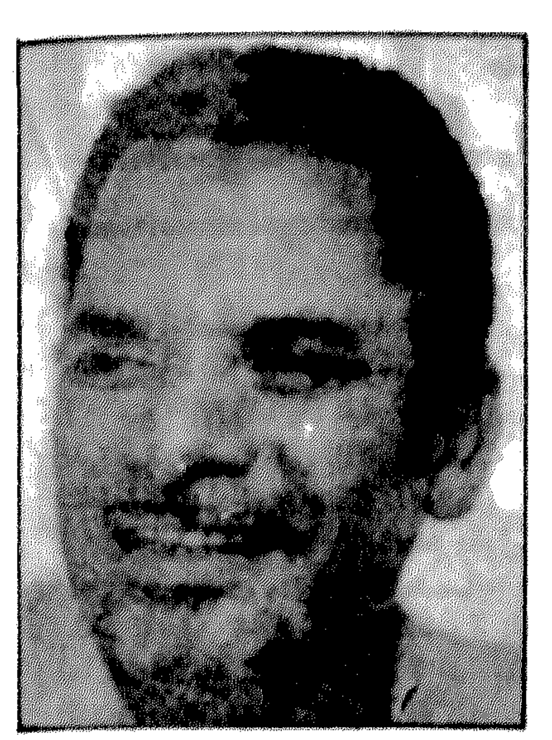
● تنشر الصحف في الآونة الراهنة اخبارا كثيرة عن جرائم « الرشوة » .. وتحرص الاذاعة على كسر الراء في كلمة «الرشوة» .. مع ان فتحها ايضا صحيح وكذلك ضمها .. ويبدو ان مجال الرشوة واسع في اللغة كسعته في شئون الاخذ والعطاء الآن ، لاحقاق الباطل وابطال الحق ! ..

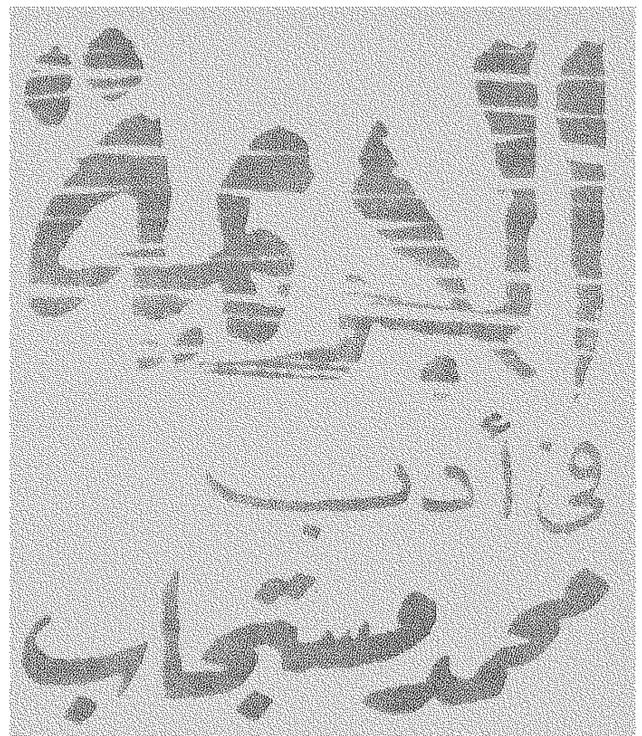
● سمعت احدهم يقول : « .. اعطاهم حفنة من المال » .. ينطق « حفنة » بضم الحاء .. والصواب فتحها ، لان الحفنة ـ بضم الحاء ـ هي الحفرة التي يحفرها السيل او المطر في الارض، أما حفنة اليد او اليدين فانها بفتح الحاء ، وهي ما يملأ اليد او اليدين من دقيق او حنطة او ارز او نقود او غيرها ..

● يقول المطرب محمد عبد الوهاب في احدى اغانيه : «الدنيا حليت في عيني » ويقول ذلك غيره ايضا من المطربين والمطربات في اغانيهم .. وكان بعض معلمينا قديما يضربون على كلامنا بالحبر الاحمر اذا كتبنا : « حليت الدنيا .. او « يحلى هذا المنظر في عيوننا » .. ويقولون لنا الصواب : « حلت الدنيا » بفتح الحاء واللام .. و « يحلو المنظر » .. ولكن ما كنا نكتبه لم يكن خطأ .. يقول اهل اللغة : « حلى الشيء بقلبي وعيني .. يحلى » .. كما يقولون : « حلا .. يحلو » .. كلاهما صحيح .. وقول العامة : « حلاوة المولد» قول صحيح ولاعبرة باصرار بعض المتأدبين على قولهم: « حلوى المولد » .. ونقيض الحلاوة .. المرارة ، ونقيض الحلوى .. المرى .. بضم الميم وفتح الراء وتشديدها .. وليست « المرة » كما يقول بعضهم بتاء « مربوطة » في آخرها ..

● نبهنا القراء الذين يكتبون الينا الا يكتبوا كلمة « الراسل » .. لانها كلمة غير صحيحة اذا اريد بها « المرسل » الذي يرسل الينا رسالته ، ولكن بعض الخطابات مازالت تصل الينا وفيها: «الراسل .. فلان » .. وانما « الراسل » هو الكتف او عرق في الكتف .. و « الراسلان » هما الكتفان ، او عرقان في الكتفين ، فنرجو ممن لايزال يكتب كلمة « الراسل » أن يستبدل بها كلمة « المرسل » .. وشكرا له ..

● يكثر في هذه الايام قولهم . « فلان يبذل جهدا كبيرا » .. بفتح الجيم في « جهد » .. وانما « الجهد » بالفتح هو « التعب » .. وينبغي ان يقال : « يبذل جهدا » بضم الجيم .. أي يعمل ما في وسعه من العمل ، ولا داعي لاهدار الفرق الدقيق بين الضم والفتح في هذه الكلمة ، وان كان الفرق بينهما قريبة من قريب ، والناس احرار فيما يختارون من الكلام ..





بقلم : عبد المنعم الجداوى

*** الجريمـــة فى أدب ((ديروط الشريف)) الشهير بمحمد مستجاب الفـــائز جائزة الدولة . جريمـــة تحمل طابعه .. طابع البيئة التى ما زال يعيش فيهـــا .. ويحملها بين جوانحه . خائفا مضطـــــربا .. مفزعا من القاهرة . ومرعـــوبا من أن يقول الحقيقة ، ويعلن عـــن المجرم الحقيقى ... فتقتـــله رصاصة ضريرة . منطلقةمن يد مجهولة ، ورغم انه يعرف الفاعل . فانه يوشك ان يكون الشاهد الوحيد . الذى عاين بكل جوارحه ، وليس بعينيه فقط .. عاش المجرم وهـــو يرتكب كل جرائمه المادية ، من قتل وخطف ، وهتـــك عرض ، وسرقة مواشى مـــع استعمال السلاح ، وجرائمه المعنوية الاخرى . التى يخرس فيها ألسنة قرية بأكملهـــا .. فيحول جيلا بأكمله الى بكم . يتعاملون بالاشارة ، وبعدأن كانت القـــــرية تتاجر فى المحاصيل التى تنتجها الارض .. اصبحت تتاجر فى بيـــع اعراض بناتها ، وضـــاعت حبالهم الصوتية ، ولم تعـــد لهم لغة ، وسقطت الاسماء ، وفقدوا كل ما ينادى عليه او ينادي به !!!

مستجاب متهم بالتستر على المجرمين ومشاركتهم جريمتهم !

لا يكشف عن الفاعل ... وكأنه يخاف أن يتعقبه !!



غير ان مستجاب الفنان صاحب المجموعة القصصية (ديروط الشريف)، ومجموعات أخرى ، والروايةالقصيرة الطويلة (التاريخ السرى لامين عبد الحافظ) وهى التى حصل بها على جائزة الدولة ·· هذا العملاق مازلت اراه رغم ملابسه الحضارية · **بقميص الفلاح ، وسرواله الكبير** والمنديل المحلاوى · يشد رأسه والقلم فى يده لا يزيد على فاس **فشيمة السلاح ·· تحرث الارض فى** قوة ، وتخلع قلبها ، وتقلبها رأسا على عقب !··

وهو يغدو ، ويروح فى القاهرة حاملا بلده (ديروط الشريف) على كاهله · بكل بيوتها التى من الطين ، واكواخها التى من الصفيح ، والبوص، وسواقيها الخربة ، ونخيلها الذى لم يعد يثمر من أعوام ، وخراباتها التى يلعب فيها الاطفال ، ويأوى اليها بعض الاشقياء ·· يفترسون فيها نسوة من الغجر ·· ثم يزعمون للناس ان العفاريت تسكنها ليلا · حتى يامنوا المفاجأة ، وعذاب (مستجاب) انه يسير بحمله فىأرقى شوارع «القاهرة» ·· فهو يسكن الهرم ، ويمضى سحابة يومه فى حى المهندسين بالجيزة ، ويهرب من حديقة الحيوان بالجيزة·· ليجلس على مقهى (ريش) فى قلب شارع طلعت حرب ، وعلى المنضدة امامه كل اشخاص قصصه من اشقياء الصعيد ، وصعاليكه !·

وهو فى كل هذا خائف يترقب ·· على يقين من ان المجرم الذى لوح نحوه أو أشار اليه بعبارة أو جملة · سوف يطارده ليأخذ منه بثاره · فيختفى خلف مكتبه · كانه يختفى فى حقل من حقول القطن !··

ففى قصة « امراة » فى مجموعته (ديروط الشريف) يقول (تماما كما **ان فى كل قرية مبيض نحاس وناظر**

الجريمة في أدب محمد مستجاب

مدرسة ، وشيخ خفراء ، وعمدة .
ولصا ، ومطبل زار ، وتاجر شيخ ،
واماما ، وقسيسا ، وسمسار بهائم ،
ومأذونا ، وغازية وبيتا مشبوها ،
ومجبر كسور ، ونجار سواقي
ودداية ، وسقاء ، وحلاقا ..
فأيضا لكل قرية قاتل ماجور . يهتم
بها ، وتهتم به) .

وهو يسوق هذه النبذة في قلب
القصة القصيرة « أمرأة » بعد أن
يروى كيف كانوا حول بقرة عمه التي
تجهض ، وتشعب الحديث بين الرجل
الذى يعمل قابلة للبقر والجاموس ..
وهو معلم « بفتح اللام » من معالم
القرية ، وانتهى الى انه يقسم بالايمان
المغلظة .. ان القرية لم يعد بها رجال
.. وحينما يسألونه لماذا ؟ يقول لان
السيدة « ن » التى تمشي تهز القلوب
بجمالها ، وتستفز بقايات الرجولة
القابعة في أجساد الرجال والشيوخ،
ولا تتورع عن اقامة علاقة مع اكثر
من رجل في وقت واحد ، وتستقبل في
**بيتها الاغنياء ، والكمسارية .. وتذكر
الناس الذين ماتوا بسببها او غرقوا**
أو احترقوا أو طاردتهم رصاصة كانت
تحمل على غلافها اسم من اقتحمت
جسده .. هكذا يقولون . !

ولا يفصح « مستجاب » عما وراء
ذلك .. لكنه يلمح فقط ، ويكشف عن
رغبات الرجال في نيل تلك المرأة ،
وحقد النساء عليها . لانها تخطف
منهم رجالهن .. وينتهى الحديث بأن
يصرخ الاعور ، وهو أحد رجال القرية
انه على استعداد لان يدفع خمسة
جنيهات لمن يخلص القرية من شرورها،
ويتحمس مولد البقر ، ويعلن تنازله
عن ثمانية جنيهات ، ويتململ ثالث
أعضاءجسده يكشفعنها ثوبه المهلهل
.. انه يتبرع بجنيهين ، وترتفع حرارة
الجلسة حول البقرة التى تتعثر في
الولادة ، وتعلن زوجة العم صاحبة
**البيت والبقرة ، انها تنذر نصف ما
تملك من ارانب، وتطبخ ملوخية تقدمها**
لكل القرية يوم ان تتخلص القرية
ويتعهد مولد البقر بأنه سوف يكون
همزة الوصل بينهم ، وبين القاتل
بالاجر رجل القرية الهمام السيد «ع».
وهكذا ، في بساطة شديدة ، وبلاتوتر
أو اضطراب تم الاتفاق الجنائى على
قتل السيدة (ن) ، وجمعت النقود .
وذهب القاتل المأجور مزهوا .. تنظر
اليه عيون القرية في اكبار .!

● جريمة لم تتم ●

ثم يضع « مستجاب » النهاية كاتبا
في المعصر ذلك الوقت الذى لا تميل
فيه الى قتل أحد ، وشمس آخر النهار
صفراء واجمة باردة وأشعتها تمسح
كآبة أعالى البيوت . انشق أفق القرية
وانفتحت عيونها انزعاجا فاصطك
خيالها بمخلفات الخرائب . شق
الكون صراخ رهيب ، وانفرجت نافذة.
رواق السيدة «ن» في عنف ، وانقذف
منها القاتل المأجور . ساحبا خلفه
الصرخة الطويلة المطوطة ..) .

وتجمع الناس حول الجثة المكومة.
تلفظ اخر انفاسها . لكن واحدا منا
لم يستطع ان يرفع بصره الى نافذة
السيدة « ن » وكانت تقف على
السطح صامدة شامخة ، وعارية
تماما ، وكانت تنظر الينا مبتسمة
في احتقار) !

انتهت جريمة محاولة قتل السيدة
« ن » والشروع فيها نهاية غريبة . قتل

القاتل ، وبقيت المتفق على قتلها .. عاشت ـ المرأة العار ـ التي فشلت القرية في الخلاص منها .. ولم تذبح زوجة العم الارانب .. وظلت القرية بلا رجال . كما قال مولد البقر ..!!

ويتركنا « مستجـــــاب » حيارى . لا يجيب على اسئلتنا .. من هـــــذه المرأة سيئة السمعة ؟ هل قتلت وحدها، القاتل بالاجـــــر ام لهـــــا شركاء مـــن عشاقها ..؟ وكيف تظل تبتسم وترمي الناس بالاحتقار حتى بعد ثبوت جريمة القتل عليها ، وقد تحولت من امـــــرأة سيئة السمعة الى قاتلة .. ؟ .. يلوذ « مستجاب » بالصمت الذي يفجر فينا الغيظ !.. هل هي الحقيقة التي ظهرت عارية آخر الامر ..؟ ولم يستطع احد النظر اليها ..؟ ام الرمز الى كل شيء نظيف ..؟ يذكـــر الناس بمقارتهم ، وخياناتهم ، وجبنهم فيودون التخلص منه . ؟ ويتآمرون عليه . لكنه يقهرهم وينتصرعليهم .. لقد صاغ «مستجاب» الجريمة بالشكل الذي يفهمه وحده مع اهل قريته ..!

● حافة النهار ... والليل ●

هذه القصة الحادية عشرة في هذه المجموعة ، ويضعها «مستجاب» بنفس براعته وقدرته على وصف القـــــرية في ساعة الغـــروب .. ظرفا مكان ، وزمان يجول فيهما يرسم صورة دقيقة للقرية . كأنه رسام ينقل بانــــوراما للقرية ، والرجال الذين يسعون لصلاة المغرب ، والنسوة حول « الكوانين »، والمواشي العائدة من الحقول ، والحاج الذي يداعب طفله وهو امامه عـــــلى ظهر الحمار . لا ندري اذا كان ولــــده ام حفيده .ويضحك الطفل ، ويدلله الحاج ، وفجأة (قالت عمتي نفيســـة اللهم اجعله خيرا ، واضطرب الشيخ حسنى ، وارتبك وهو يقرأ الفاتحة . فدهش المصلون ، ونبح كلب،وذعرت الارانب في جحورها ، وخبطت عمتي نفيسة على صدرها وقالت .. هـــذا العيار قاتل ، وبعدها بثوان اندلع صراخ القرية ملتاع .. الحاج وطفله ضربا بالرصاص) .

مات الحاج ، ومات الطفل .. مات الماضي ، والحـــاضر ، والمستقبل .. امتدت يد المجرم الذي هو دائما مجهول عند « مستجاب » .. مقضى على روحين بريئتين .. ورغم بشاعة الجريمـــة . فهي لا تصدم عواطف القارىء الصدمة المطلوبة ، ولا تثير حنقه ، ليصوب كل قدرته الوجدانية ، والعقلية نحـــو المجرم ، وجـــريمته ، وجـــذوره ، وبواعثه ، ونوازعه . ليصـــل الى حلول تحصن الجنس البشري ضـــد هذا الوباء ، وهذا هو ادنى ما يطلب من كاتب قصة واصف الجريمـــة في ادبه !.. فهي ليست مادة ابهار او امتاع فحسب . يستولى بهـــا على القارىء .. كلا بل هي عنصر فعـــال اذا ما احسن توظيفها لتطهير الانسان من نزعات همجية ، وتنقية ميـــوله العدوانية من مفجراتها . كما فعـــل الكتاب الاوائـــل ، وعـــلى راسـهم « **ديستوفسكي** » ، **والذين مضـــوا** على نهجه من الشرق والغرب من كتاب الادب !..

● جريمة عارية ●

ان الجريمة في قرية « مستجاب » ليست في حاجة الى مؤرخ ، بقـــدر ما هي في حاجة الى من يعريها ، ويكشف المجرم ذاته ، ويضعــه امام نفسه ، وحقده ، وخسته ، ورغبتــه العارمة في الانتقام . التي تسـيطر عليه في غفلة من عقله . فتدفعه الى عمل يندم عليه بقية عمره . اذا لـم يدفعه ثمنا لها ...!

الجريمة
فى أدب محمد مستجاب

ان الحقد ، والقهر ، والقلق عناصر تعتقل فى توهجها آدمية صاحبها ، وتطلق فى غفلة من حراس العقل حيوانيته الى آخر مداها ، فيقدم على محو أخيه الانسان ، وازالته . ولو أنه تمهل لحظة وفكر ما قتل ، ومن هنا تجىء الحسرات المرة ، والآم الندم التى كثيرا ما تدفع بالقاتل الى الانتحار ..!

ان الاديب « مستجاب » يمهد للجريمة فى قصصه ، ويرتب لها ، ويتربص فى اصرار مسبق .. ثم يسكب النتيجة ، ويعلنها . دون ان يقول من الفاعل ، ولا لماذا وقعت ..؟ ولا يحدثنا أبدا عن البواعث التى جعلت القاتل قاتلا ، والقتيل قتيلا . يعطينا النتيجة فقط . كأننا نعيش فى قريته .. قتل الحاج وطفله .. مات حسين الجمل .. ضربوه بالبلط .: ذبحوا **ولد الحناوى . اغرقوا بنت عبدالبارى** الحلاق .. خنقوا الغازية .. حرقوا زوجة صانع الاقفاص .. لماذا ؟

لا جوانب .. من الفاعل .. ؟

لا يعرف .. وكأنه الفلاح العنيد الذى يعرف كل شىء ـ لكنه لا يجيب امام **المحقق . الا بانه لا يعرف .. يخاف** اذا قال الحقيقة أن ينتقم منه المجرم أو أتباعه ، ويخشى أن يعترف بانه شهد وقوع الجريمة .. فيتهمه المحقق **بالاشتراك فى الجريمة .. ! فيستميت** فى الصمت ، ويظل فى المركز عدة **أيام .. ثم يفرج عنه ويخرج بطلا فى نظر نفسه.فهو لم يزج بنفسه فى المتاعب** فهو ليس ندا للفاعل ـ والحكومة لا تحمى فى الغالب من يقول الحقيقة **من الضعفاء .. !!**

« مستجاب » يكتب بنفسية هذا الفلاح .. والكتابة شجاعة « قلمية » على الاقل .

واذكر الكاتب هنا يمثل صعيدى من قريته بقول

(اذا كنت خوافا فلا تقل ، واذا قلت فلا تخف) .. !

● القربان .. العدوان على الذات ●

« والقربان » هو عنوان أطول قصص المجموعة وهى بكل طلاسمها ، ورموزها ، ومعمياتها ، وجنونها تحدد بوضوح مهمة (مستجاب) فى أدب الفترة التى عشناها ، ونعيشها ، وتبرز لنا وسيلته فى توظيف الجريمة فى ادبه . فهو يجىء بجريمة فى حجم القرية كلها .. جريمة رهيبة .. لكنها ليست جديدة ..انها **قديمة قدم البشر .. انها اشر من القتل ، وأفسق من الزنا .. انها** جريمة سلب الناس وجودهم .. العدوان على ذواتهم ـ انتزاع أصواتهم ، وتعطيل السنتهم ، وتحويلهم جميعا الى بكم . لا وسيلة للتفاهم بينهم سوى الاشارات .. قرية يجتاحها هذا الوباء ، ومع ذلك فان « مستجاب» على طريقته ، لا يريد ان يقول من الفاعل ، ولا من هذا المجرم الذى اخذ الكلام على السنة القوم ! .

يقول فى القصة .

يقول فى القصة : (كان أحد رجال قريتى جالسا على رأس حلقة يردد مواويل الصبر المشهيرة . حينما

ثقل لسانه ، وتلجلج فارتبك الرجل ، وفزع . لم يخرس تماما . لكنه فقد سيولة الكلام ، تهتكت كلماته فى قاع الحلق ، ثم خرجت ملحوسة ، ومجروحة لا ترابط فى حروفها ..

ولم يتوقف الامر عند مجرد رجل واحد . فقد تاجر حميسر المنطق وخرست امرأة فى شرق البلد ، وانشرخ لسان صائغ . حتى خطيب المسجد والشجاع ، والجبان ، والطيب والسيىء . كل الناس . خرست قرية . انشل لسانها . ذابت خراشيفه . فشل فى وضع اى حرف من الحروف العظيمة التى تكون الكلام . خرست . واصاب الذعر جسدها ، والدوار راسها ، وانفتحت عيونها رعبا . واصابها الداء . فظلت تجرى يمينا ويسارا ، وتلج بيوت القديسين والمشايخ ، وانصار الله) . هذه الجريمة العريقة فى الاجرام سواء كانت على المستوى المعنوى الذى اظنه كان يرمى اليه .. او المستوى المادى الذى صدره فى خراب القرية وبوار تجارتها . لان اهلها فقدوا النطق .. جريمة بهذا الحجم يتركها « مستجاب » بلا فاعل . ويهرب الى التاريخ ، والى اللامعقول ، ويتحدث عن أوراق البردى ، وعن افراد وعن عفاريت .. وجريمة بهذا الحجم المخيف .. وتشغل هذا الحجم من الصفحات ، وضحاياها قرية كاملة بكل أهلها .. يصر « مستجاب » على الا يشير الى الفاعل ، ويتستر عليه الى حد نشعر معه انه ليس بريئا من الاشتراك فى الجريمة .. لكنه يجرى مع الذين يجرون ، ويصيح كرامى .. وهو مجمل الجريمه بين يديه .

ان المخزن عند « مستجاب » انه يمهد للجريمة تمهيدا رائعا . ثم يصف حالة وقوعها وصفا عبقريا مثيرا .. ثم يتغافل عن الفاعل تماما . كأنه من اقاربه من الدرجة الاولى . واذا غفرنا له تغافله عن الفاعل فى الجرائم التى تتم ضد الافراد فكيف نتركه يفلت من الجريمة التى هى ضد قرية باكملها لابد من حجز « مستجاب » على ذمة القضية ، حتى يقول من هو او هم افراد العصابة الاثمة التى استطاعت ان تقطع السنة قرية بكملها !! .

ويفتتح « مستجاب » المجموعة بقصة عنوانها هولاكو ، وبين المدعو هولاكو ومستجاب عناصر مشتركة .. كلاهما يمضى كوابور الزلط . يدك ويمحو لمجرد المحو . ويزيل لمجرد الازالة .. يطمس معالم القديم، ولكن لا يجىء بجديد والنتيجة .. الضلال ، والتيه فى صحراء بلا معالم والضرب بلا هدى .. هنا وهناك . !

وكأنه بوضعها على ناصية المجموعة .. حدد هويته ، وعلاقته بالجريمة الناقصة .. التى يرتكب معها جريمة التستر على المجرم . مع مع علمه المسبق بعقوبتها أو عدم علمه فالقانون لا يعفى الكتاب . حتى لو دافعوا عن انفسهم بأنهم . من كتاب القصص ، وليسوا من رجال البحث الجنائى !..

ومع كل هذا وقبله ، وبعده . فانه تبقى « لمستجاب » ريادة قصه بيئة الصعيد ..بذكاء يحسد عليه ، وصدق لا يبارى فيه ، وخوف نسأل الله ان يتخلص منه !!..

أولى خطوات النجاح
معرفة أصول تربية الأبناء..

بقلم: د. عادل صادق

فى حياتنا امثلة شعبية واغان واقوال نطلقها ببساطة امام اطفالنا دون وعي ودون ان ندرك ان لها اخطر الاثر على مفاهيم اطفالنا واسلوب تفكيرهم وبالتالى حالتهم النفسية وسلوكهم ..

ذلك لاننا لا ندرك ان الطفل يلتقط كل شىء ويسجله .. أى ينطبع داخل ذاكرته . كلماتنا .. حركاتنا .. سلوكنا .. كل شىء يسجل فى ذاكرة الطفل .. وهذه هى الطريقة التىيتعلم بها الطفل فى مراحل عمره الاولى .. بهذه الطريقة يتعلم الطفل اللغة .. يتعلم اللهجة .. يتعلم حركات الوجه والجسم .. يتعلم السلوك فى المواقف المختلفة .. يتعلم طريقة التفكير وطريقة الانفعال ..

ولهذا فان تربية الطفل مسئولية خطيرة ، مسئولية تقع على عاتق الاب والام ثم الاقاربفى البداية..ومعروف الان فى مدارس علم النفس المختلفة ان السنوات الخمس الاولى فى حياة الطفل تشكل بطريقة قاطعة اشياء كثيرة فى شخصيته وتفكيره وسلوكه واسلوبه فى الحياة .. اذا ادركنا ذلك عن علم نستطيع الان ان نسترجع مواقف كثيرة .. واقوالا كثيرة .. وافعالا كثيرة نقولها ونأتى بها امام الطفل .. وسوف نكتشف ان لها اكبر الضرر ..

● حنان واهمال ●

ناخذ مثلا احتفال السبوع حين يأتى طفل جديد .. الحنان والاهتمام والتركيز الزائد على الطفل الجديد والاهمال الي حد الانكار التام لبقية

الاطفال ٠٠ اننـــا بذلك نزرع بداية مشاعر الغيره ثم مشاعر الكراهيـــة تجاه القادم الجديد من قبل اشـــقائه ثم تعالوا نتذكر عبارة خطيرة نقولها للطفل الجديد على مسمع من بقيـــة الاطفـــال ٠٠ عبارة ساذجة لا معنى ولا اصل لها ولكننـــا نرددها وهى « اسمع كلام امك ولا تسمع كلام ابوك » ٠٠ حاولت ان اجد معنى لهذه العبارة ٠٠ حاولت ان افهم هدفا لها ٠٠حاولت ان استرجع اصلها ومصـــدرها ٠٠ وفشلت فى كل ذلك ٠

نقولها بصـــوت مرتفع وجماعى وفرح وتاكيد نقـــولها بلا وعى ٠٠ واسمحوا لى ان اقول ان هنـــاك سذاجه كبيرة الى حد « العبط » حين نردد هذه العبارة ٠٠ ولا يوجد ادنى شك فى انها تلصق بذهن الطفل ٠٠

انها دعوة صريحة للطفـــل الذى يسمعها الى ان يعصى اوامر والده ٠٠ وبالطبع هو من يســـتطيع ذلك لانـــه سيلقى العقاب من والده اذا هو عصى امره ٠٠ وبذلك يقع الطفـــل فى حيره وفى تناقض شديدين « هناك دعـــوة جماعية الى ان يعصى اوامر والده ٠٠ ثم فى نفس الوقت هناك من يقـــول له ان عليـــه ان ينفذ اوامر والده وان يطيعه ٠٠ وهذا معناه ان الطفـــــل يتلقى اشارتين متنـــاقضتين فى وقت واحد ٠٠ وذلك يضـــعه فى حيرة وبلبله ٠٠

والى هنا يهمنى ان اذكر احـــدى النظريات لمرض الفصام «الشيزوفرينيا» صاحب هذه النظـــرية عالم امريكى يسمى « باتسون » يقول فيهـــا « ان سبب مرض الفصـــام والذى يتميز باضطراب التفكير واضطراب الوجدان واضطـــراب الارادة هـــو البلبلة الفكرية والحيرة والتناقض الذى نضع الطفل فيه ٠٠ ان نعطيه اشـــــارتين متناقضتين فى وقت واحد ٠٠ ان يعطى له ابوه امرا وتعطى له امه امرا عكس هذا الامر ٠٠ ان نمتدح له قيمة معينة ثم ننقض هـــذا فى نفس الوقت ٠٠ ان نقول له كلاما ونسلك عكسه ٠٠ هـــذه هى بداية زرع بذور مرض الفصام فى عقل ونفس الطفل

ويهمنى ان اذكر فى هذا المجال ان كثيرا من الامراض النفسية والعقليـــة التى يعانى منها الطفل يكون سببهـــا سلوك الوالدين : سلوكهما مع بعضهما البعض وسلوك كل واحد منهما تجـــاه الطفل وسلوكهما معا تجاه الطفـــل ثم تجاه بقية اشقائه وشقيقاته ٠٠

احيانا تكون هناك عداوة خفيـــة وعدم حب بين الزوجين ٠٠ واحيـــانا تكون هناك خلافات حادة بينهمـــا ٠٠ ينفس كل منهما عنها فى اســـــلوب معاملته للطفل ويكون ذلك عن طريق اعطاء الطفل اشارات ومفاهيم مناقضة للطرف الاخر اى بســـذاجه ينتقم كل طرف من الاخر عن طريق الطفـــــل البائس ٠٠ نفعل ذلك عن عمد واحيانا دون عمد عن طريق الاقوال الســخيفة التى ذكرت احدها ٠٠

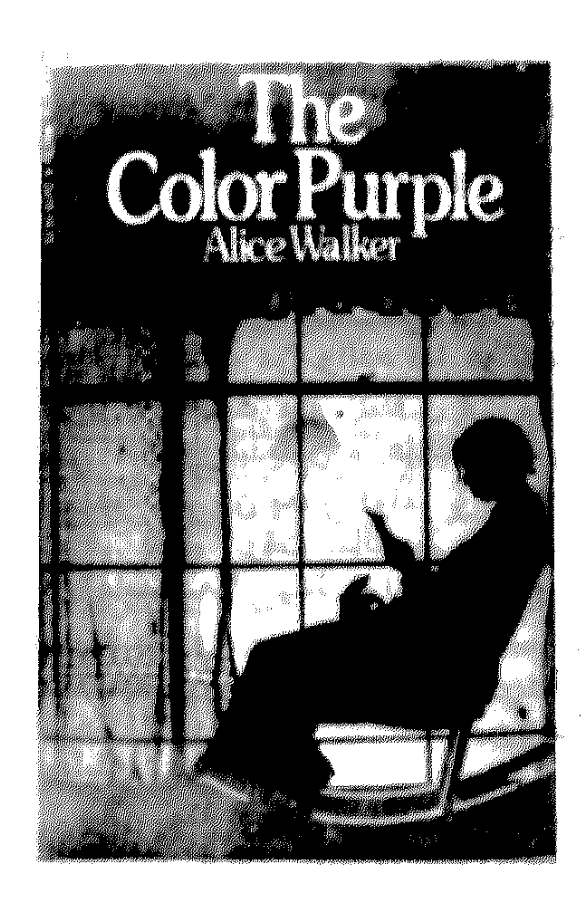
والطفل لكى ينمو نموا نفسيا سليما يجب ان نعامله باسلوب واحـــد ان يكون هناك اتفاق وانسجام كاملين بين الوالدين فى اسلوب المعـــاملة وفى كل كلمة تقال له ٠٠ اذا قال احد الوالدين كلمة او رايا فمن واجب الاخـــر ان يدعمها لا ان يعطى عكسها ٠٠

الزنوج لونهم قرمزي

عرض لرواية: (اللون القرمزي)

تأليف: اليس ولكر

عرض: محمد المنسي قنديل



تقول كلمات أغنية شعبية زنجية :

وعدتني سيدتي
أن أصبح حرة بعد موتها
ولكنها عاشت طويلا حتى أصيبت بالصلع
ولم يظهر مايوحي أنها ستموت .

هذه هي تجربة العبودية في امريكا وهذه الأغنية واحدة من مئات الأغاني التي انتشرت في مزارع الجنوب الأمريكي، حيث كان العمل أقرب الى السخرة . والحلم هو الطريق المؤدي للجنون ، أنها « أغنيات الأسى » كما كان يطلق عليها .. ورغم هذا الاسى فهي مليئة بسخرية الرفض والتمرد .. فالعبيد قد تحرروا ولكن الامة السوداء لم تقم .. ويبدو أنها لن تقوم أبدا .. كل ما فعله زنوج أفريقيا الذين وفدوا الى أمريكا أنهم أقاموا مجتمعا موازيا .. يحكمه نوع قاس من الاحباط المستمر .. أماكن ضيقة في أحياء فقيرة تختلط فيها شعارات الثورة

الانحراف نحو الجريمة ويقود حلم الخلاص الدائم الى إدمان المخدرات والغيبوبة .. هذه مأساة الزنجى فى أمريكا كما تراها أليس ولكر .. أنهم يعيشون فى مجتمع مواز .. مازالت تسود فيه أخلاق العبودية الى حد كبير .. هناك نوع ما من المشاع الجنسى .. والتحلل الذى فرضته ظروف القهر الطويلة .. والذى يضاعف من حدة المأساة أن الزنجى غريب .. غريب فى أمريكا من جراء لون بشرته الداكنة وأخلاقه المختلفة وغريب ايضا فى أفريقيا من اجل بشرته الفاتحة و « ظروف حياته .. فالزنجى فى إمريكا هو اللون القرمزى .. وفى أفريقيا فإنه أسود لدرجة تقترب من الزرقة .. من اجل هذا أطلقت على روايتها اسم اللون القرمزى .

صدرت رواية « اللون القرمزى » للمرة الأولى عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٥ كانت قد اعيد طبعها نحو اثنتى عشرة مرة وظلت الأولى فى قائمة أحسن المبيعات حتى فازت مؤلفتها بجائزة بوليتزر وهى جائزة أمريكية مهمة ثم جائزة الكتاب الأمريكى للرواية .. بعد ذلك تحولت إلى فيلم سينمائى هذا العام قام باخراجه المخرج المعروف سبلبيرج مخرج « الفك المفترس » و « اى .. تى » وقد استقبل النقاد هذه الرواية بحفاوة بالغة ووجدوا فيها امتدادا لادب فولكنر عن الجنوب الأمريكى من منظور مختلف .. ووليم فولكنر رغم ثرائه الفكرى كان أبيض ولا يمكن أن ينسى الزنوج ذلك فقد قال مرة فى احد أحاديثه الصحفية « إننى لا أتمنى أن اكون أسود حتى لدقيقة واحدة » .. ولكن أليس ولكر تعيش مأساة لونها الاسود فى ولايات الجنوب حتى النخاع وفى القسم الأعظم من الرواية لا تجد من تخاطبه إلا الله .. ثم تفطن أخيرا الى ان هذا الأله يمكن أن يكون أبيض اللون وبذلك فهى كمن يخاطب عمدة المدينة الابيض اللون .. هل يمكن أن يتفهم مشاكلها .. ؟ ..

● من التوسل الى التمرد ●

ولكن .. كيف تطور الادب الزنجى عبر صفوف سنوات العبودية والحلم والثورة ؟ ..

هبط أول زنجى الى مستعمرة « جيمس تاون » حملته ، سفينة أنجليزية الى الشاطىء .. كانت السفينة قد غنمت شحنة من العبيد بعد معركة قصيرة مع سفينة أسبانية .. وعرض قائد السفينة الانجليزى على سكان المستعمرة أن يستبدل شحنته الأدمية فى مقابل بعض الأطعمة والمؤن وتمت الصفقة ونزل الى الشاطىء أول فوج من العبيد الى العالم الحر .

اكتشف الأمريكيون سحر السواعد السوداء .. واكتشف سكان الجنوب أيضا .. كيف يمكن أن يتلاءم هذا الزنجى الوافد مع صعوبة الطقس ومشقة العمل .. وتحولت هذه المقايضة البسيطة الى تجارة ضخمة .. إستعبد ابناء القارة وأختطفوا وسخروا فى كل أنواع الأعمال الشاقة .. ومن خلال هذه المعاناة بدا حلم الحرية فى البزوغ ..

لقد كونوا أقلية غريبة فى المجتمع الامريكى .. أقلية دفعت الثمن فادحا ولكنها مازالت تعيش على الهامش .. أختلطت فى داخلهم قيم المجتمع الأمريكى بالموروث القبلى البدائى بقشرة

المسيحية .. وتكونت شخصية الزنجى من هذه المصادر جميعا ..

وعندما بدأ الزنوج يعبرون عن أنفسهم فى أدب مكتوب كان أدبا خانعا ممالئا للسادة البيض .. وأدباء أمثال « جوبيتر هامون » والشاعرة « فيليس ويتلى » ، وهما نماذج للزنجى المتعلم كما يراه الرجل الأبيض .. مؤدب .. يستحق الهبات التى تمنح له ، لا يخطو أبعد من الطوق الملتف على قدميه .. ولكن الكتابات الزنجية لم تبق خانعة طويلا ، لقد دخلت فى تاريخ الأدب الزنجى ما يعرف بمدرسة هارلم .. تلك المدرسة التى دعت الى التفاخر بالذاتية الزنجية لا الخجل منها .. وبدأت تمد جذور أحلامها الى أفريقيا البعيدة .. وتحولت هذه القارة الى فردوس أرض بعيد المنال .. يقول الشاعر كاونتى توليه :

أفريقيا بالنسبة لى
شمس نحاس وبحر قرمزى
رجال أشد كالبرونز .. ذوو سواد ملكى
نساء أنجبنتى
حينما غنت الطيور فى جنة عدن

وسوف يظل هذا الحلم الأفريقى قائما ، انه البديل للحلم الأمريكى ، لن يخفت هذا الحلم من أول الشعـراء الـزنجيين الرومانسيين حتى أولئك الذين تحملوا مخاطرة العودة وأقاموا دولة مشوهة فى أفريقيا .. ثم الكس هيلى رحل يبحث عن جذور الى مؤلفة « اللون القرمزى » اليس ولكر ..

لقد أختلفت النبرة .. فبعد أن كان هامون يكتب « الحرية شىء عظيم .. وتستأهل أن نبحث عنها بشرف وأن نقنع سادتنا ـ عن طريق سلوكنا الطيب ـ ليمنحونا أياها .. » بعد هذه الكلمات المؤدبـة المتوسلـة . تعـالت نبـرات الاحتجاج .. « لماذا صرت عبدا ، أصار بعض الناس عبيدا وبعضهم سادة ؟ هل مر زمن لم يكن الحال فيه كذلك ؟ .. ثم تحول الأحتجاج الى نوع من الثورة والتمرد .. لن يتمكن من ذبح الرجل الأبيض خلا أولئك الذين يعرفونه أكثر من غيرهم ، أولئك هم عبيده السابقون . »

● عالم من الزنوج ●

والأن ماذا عن اللون القرمزى ؟ ..

تهدى أليس ولكر كتابها الى الروح التى لولاها ما استطاعت أن تكتب هذا الكتاب .. أى روح .. روح الأسلاف .. روح الغـابـات المفقـودة فى عـالم الأسفلت .. لا تفسر ولكنها تمضى بنا مباشرة الى الرسالة الأولى التى تكتبها بطلة الرواية سيليا .. والرواية كلها عبارة عن رسائل موجهة .. معظمها موجه الى الله ... ثم موجهة الى الأخت .. ثم الى النجوم والأفلاك وكل مظاهر الكون .. إحياء لتقليد قديم كان يسود روايات القرن التاسع عشر .. وهى تحيى هذا الأسلوب دون أى طنطنة أسلوبية ولكن بلهجة بسيطة مباشرة مليئة بالعامية وابتسار الكلمات وكتابتها حسب النُطق لا حسب الكتابة ، وهى مهمة تجعلها عسيرة القراءة الى حد ما ولكنها تمنحها تدفقا وصدقا غريبين ، ولعل هذا هو ما جعل النقاد يجدون تشابها مع رواية فولكنر « الصخب والعنف » التى تروى فصولها الأولى على



• سيليا وجدت هويتها كامرأة .. لقطة من فيلم ماخوذ عن الرواية

لسان شخصية معتوهة او شبه بلهاء .. اليس ولكر أيضا تضع القسم الأكبر من روايتها على لسان شخصية من هذا القبيل .. بنفس لغتها تقريبا ..

« عزيزى الرب .. انا فى الرابعة عشرة من عمرى .. كنت دائما فتاة جيدة .. ولعلك تعطينى إشارة تفسر لى ماذا حدث لى .. بعد هذه البداية البسيطة .. تحكى لنا ـ او تحكى لعزيزها الرب ـ قصتها المرعبة مع أبيها .. تحكى بنفس هذه الكلمات البسيطة .. فبينما ترقد أمها نصف ميتة يقوم الأب بالأعتداء عليها .. وعلى مدى فترات طويلة حتى أنها تنجب منه طفلين يكون مصيرهما الأختفاء الغامض « سألتنى أمى من يكون هذا الرجل . لم اكن أعرف رجالا أخرين .. ولا ماذا أقول ، لقد بدات احس بالأذى .. وبدأت معدتى فى التحرك . ثم جاء هذا الطفل من داخل رحمى .. ومرضت أمى أكثر وأكثر واخيرا سألتنى .. أين هو .. ؟ قلت لها .. الرب أخذه .. متى .. بينما أنا نائمة . قتله فى الغابة البعيدة » .. هكذا تبدأ مأساة سيليا التى تعيش الواقع بنصف وعى .. وتقوم على خدمة الأخرين بتفان غريب .. وتعانى من برودة قاتلة تجاه الرجال بعد صدمتها الأولى وهى فى الرابعة عشرة من عمرها « كنت أتمنى أن يجد امرأة ليتزوجها . لقد رأيته ينظر الى أختى الصغيرة .. وكانت منزعجة . ولكنى قلت لها سوف أعتنى بك .. وليساعدنا الله .. »

وهى تتزوج بنفس الطريقة الغريبة أيضا .. فقد تزوج أبوها من فتاة صغيرة وأصبح همه الأساسى أن يزيح سيليا من المنزل ويبحث لها عن أى زوج .. ويأتى هذا فى صورة جارهم الأرمل الذى يملك حفنة من الأولاد يريد لهم خادمة فى صورة زوجة .. و يأتى الى الأب ساعيا من

الزنوج لونهم قرمزى

أجل الزواج من الأخت الأصغر والاجمل والأذكى .. ولكن الأب يعترض .. فهذا الأرمل مشهور عنه أنه تسبب فى قتل زوجته .. وأنه له علاقة بمغنية زنجية أسمها (شوجر أفرى) فهو لا يستحق الزواج إلامن سبليا نصف المعتوهة التى يمكنها أن تتحمل كل هذه الفضائح .. يقول له الأب .. « إنها قبيحة ولكن يمكنها أن تكون زوجة طيبة .. ولكى أكون عادلا معك يجب أن تراقبها جيدا والا سوف تتلف أى شىء تمتلكه .. إن ميزتها الوحيدة أنها تقوم بإداء الأعمال مثل الرجال .. وكن حذرا .. إنها دائما تقول الأكاذيب .. »

ويتم زواجها من هذا الأرمل الذى لا يحمل إسما طوال الرواية .. وهى لا تطيقه فى فراشها لا تطيق أى رجل .. ولكنها تتحمله خاضعة مثلما تتحمل مشاق الطبخ والغسل والكنس ، إن ردود أفعالها غريبة لا تخضع للمنطق العادى فهى ترى فى أوراق زوجها صورة للمغنية (شوجر) التى يرتبط بها .. وبدلا من أن تحس بالغيرة منها ، تقع فى غرامها وتتمنى أن تراها .

● علاقات خشنة ●

وفى ذات يوم تهبط الى المدينة .. وبينما تجلس فى انتظار زوجها .. « شاهدت ابنتى إننى أعرف أنها هى كانت تشبهنى أنا وأبى تمام الشبه . أكثر شبها بنا من أنفسنا ، كانت تحملها سيدة ومر بالعربة فتحدثت الى السيدة وتحدثت هى إلى بكلمات لطيفة ، ورفعت أبنتى رأسها [illegible] . كانت [illegible]انفة من شىء ما .. وكانت تملك نفس العينين التى أملكهما اعتقد انها تخصنى .. يقول لى قلبى إنها تخصنى ولكنى لا أعرف أنها تخصنى . لو أنها تخصنى فسوف يكون إسمها أوليفيا .. لقد سميتها بهذا الاسم عندما ولدت وكان عمرها شهرين عندما أخذت منى .. « الأن هى فى السادسة من عمرها .. هبطتِ من العربة وسرت خلف أوليفيا . وأمها الجديدة للمحل .. رأيتها وهى تمرر يدها على البضائع كمن لا تهتم بأى شىء ، أمها كانت تشترى ثيابا وقالت لها لا تلمس شيئا .. قلت لها .. أنها رقيقة جدا .. وعاونت أمها فى قياس الثوب .. ويحدث التعارف بين المرأتين .

من هذه المقابلة تأخذ الرواية إتجاها أخر .. فالمؤلفة تملك الشجاعة على ادخال الشخصيات وربما أقحامها فى نسيج العمل الفنى .. فالأخت الصغرى تاتى للأقامة معها هروبا من أبيها وزوجته ولكنها تجد مطاردة من نوع أخر .. من الزوج .. وعندما تصده أكثر من مرة يطلب إلى سبليا أن تدع أختها ترحل بعيدا .. لأنه ليس هناك مأوى لها فهى تعطيها اسم القس وزوجته التى قابلتهما فى المدينة وترحل ناتى بعيدا وتظل سبليا فى مستنقع شقائها ..

ثم جاءت شوجرى افرى للمدينة .. مغنية زنجية رائعة كملكة وأشبه ما تكون بكليوباترا كما تراها سبليا .. أنها عشيقة زوجها القديمة .. وهو واحد من عشاقها العديدين ويقال أنه قتل زوجته بسببها .. لقد أرتدى الزوج أجمل ثيابه ثم ذهب .. ولم تعد تراه بقية الأسبوع .. وترحل شوجر وتشعر أنها كانت تتمنى أن تراها ربما أكثر من زوجها ..



امراة من الجيل الجديد
فى رواية اللون قرمزى

بمرور الأيام يكبر اكبر اولاد الزوج .. هاربو .. يتزوج فتاة صلبة المراس هى صوفيا .. جاء هاربو بالفتاة لكى يراها أباه .. رأيتهما قادمان فى أول الطريق . يسيران كل واحد يده فى يد الأخر كأنهما ذاهبان للحرب . كانت تسبقه قليلا ، أحضرت مقعدين . جلست وأخذ تروح لنفسها بيدها .. قالت حر . ولم يعلق مستر (ـ) الزوج بشىء .. نظر إليها فقط من أعلى الى أسفل .. كانت حاملا فى حوالى الشهر السابع أو الثامن ، كان هاربو أسود وهى لامعة وأكثر ضخامة .. قالت : كيف حالك يامستر (ـ) لم يجب على السؤال . نظر اليها وهو يقول .. يبدو أنك أوقعت نفسك فى المتاعب .. قالت كلا .. أنا كبيرة بما يكفى .. قال من هو الأب ؟ .. نظرت اليه بدهشة وهى تقول « هاربو » قال .. كيف يمكنه أن يعرف ذلك ؟ قالت .. انه يعرف » .. قال .. السيدات الصغيرات لسن جيدات هذه الأيام ، إنهن يفتحن سيقانهن أمام توام وديك وهارى .. » نظر هاربو الى أبيه كما لو لم يره هكذا من قبل .. قال مستر (ـ) : لا تظن أننى سأدع ولدى الصغير يتزوجك لمجرد أنك تركت أسرتك .. وفتاة مثلك يمكن أن تدعى أى شىء .. أحمر وجهها بشدة وارتعشت أذنها ونظرت الى هاربو الصامت وضحكت فى صوت أجش وهى تقول .. لماذا احتاج للزواج من هاربو أنه مازال يعيش معك .. ما هو الطعام أو الملابس التى يمكن أن يقدمها لى .. وانصرفت .. ولكنها تزوجت هاربو رغم ذلك ، وصوفيا فتاة صلبة بعكس سبليا .. أنها تعرف ماذا تريد ولا تريد لاحد أن يفرض سيطرته عليها .. وحين يحاول هاربو أن يضربها كما يضرب أبوه سبليا تقوم بتهشيم وجهه .. ولكنها صلبة فقد كان طبيعيا أن تصطدم بعالم البيض .. عندما تطلب إليها زوجة العمدة أن تعمل خادمة عندها ترفض .. ويضربها العمدة فترد الضربة ويقودها الى السجن وتمر بها فترة عصيبة قبل أن تخضع قليلا وتخرج من السجن لتعمل خادمة ولكن قوة شخصيتها لا تفارقها حتى أبنة العمدة عندما تكبر تتحول لتصبح أشبه بالخادمة عندها ..

● التعبير عن النفس بالجنس ●

وقبل أن نمضى فى أحداث الرواية لابد أن نلقى نظرة على كيفية تناول الجنس .. إن الرواية مليئة بالعلاقات الجنسية رغم أنه لا توجد فيها أى مواقف أو الفاظ خارجة .. ان الجنس هنا يفتقد الخصوصية الى حد كبير .. إنه مشاع .. الرجال والنساء يتشاركون فى هذه المتعة الجسدية كما يتشاركون فى تناول الطعام والشراب .. الحدود بين أسرة النوم وقاعات الطعام ليست واضحة أنهم يملكون حس المشاع .. ذكريات ايام العبودية القديمة .. بدون أى نوع من التمايز أن شوجر جراى تعود الى البيت وتحتل فراش

الزنوج لونهم فزمزى

الزوج بدون أى مشاكل .. وعندما تمرض تقوم الزوجه بمراعاتها وتمريضها .. وعندما تذهب صوفيا الى السجن تأتى أخرى لتحتل مكانها فى الفراش . ويمكن أن تنشأ علاقة أخرى بين سبليا وشوجر جراى ومن خلال هذه العلاقة الغريبة تكتشف شخصيتها وتثور على الوضع المهين الذى تعانى منه .. إن المواصفات الأخلاقية هنا ليست أخلاق البيض .. والمحرمات هنا ليست المحرمات المسيحية التقيلدية ، إنهم يعيشون فى قيعان المدن ولكنهم يملكون فى أعماقهم برية الغابات « كانت شوجر تنام مع زوجى فى الليل .. ليس كل ليلة ولكن معظم الليالى .

هذه الطريقة المباشرة فى القص هى ما تبعد التصوير عن الاثارة الحسية .. إنها تذكرنا بمشاهد غريبة فى روايات اميل زولا حيث تتاح الفرصة للرغبات المكبوتة ان تنمو وأن تعبر عن نفسها بحرية وفقا لأفراز الهرمونات ونبضات الأعصاب واستيقاظ الرغبات . وهذا التداخل بين مختلف الشخصيات هو نتيجة العيش المتلاصق والصراع على الفتات . إنهم يكونون "جيتو" أسود داخل أى مدينة كبيرة ، يعيشون على هامشها كأنهم فى غابات من الصفيح . النساء يجدن أنفسهن فى الشارع منذ سن مبكرة .. والرجال يكدحون بلا آى طموح ، أكثر من متعة عابرة .. ومن خلال هذا الجو القاتم تصور لنا أحداث الرواية كيف يمكن أن تعطى سبليا بلا حدود ويتحول الجانب الحيوانى الأبلة فى داخلها الى الشىء الصادق الوحيد الملىء بالانسانية ..

● افريقيا الحلم ●

أفريقيا موجودة أيضا فى الرواية . ولابد أن توجد .. فى أى شعر أسود .. أو قصه.. أو حتى دعابة .. يجب أن توجد أفريقيا .. والرواية تفعل ذلك ببراعة من خلال الرسائل التى ترسلها الأخت الصغرى ناتى الى سبليا .. لقد غادرت ناتى اختها .. وتعرفت على القس وزوجته وسافرت معهما فى مهمة تبشيرية الى قلب أفريقيا .. آخر حيل الاستعمار المعاصر .. لقد أصبح الرجل التبشيرى الأبيض الذى كان فى مقدمة الغزو الاستعمارى للقارة مفضوحا .. والبحث الآن عن القس الأسود الذى يخاطب بنى جلدته بلغة مختلفة ..

من أجمل الأشياء التى نتوقف فى منروفيا وان القى أول نظرة على افريقيا . الافريقيون هم أشد الناس سوادا ، الذين رأيتهم فى حياتى ياسبليا . أنهم سود مثل هؤلاء الذين نتحدث عنهم فى الحكايات ونقول .. هذا هو الرجل الأشد سوادا من السود .. إنه الأسود الأزرق .. وهم يلمعون . ولكن تخيلى ياعزيزتى سبليا مدينة مليئة بهؤلاء الناس السود الزرق اللامعين الذين يرتدون أروابا فضفاضة .. كأننى أرى السواد للمرة الأولى فى حياتى .. طوال . أعناقهم رفيعة . ظهورهم مستقيمة . ثم هناك سحر كامن فى كل هذه الأشياء .. فلأن السواد سواد حقيقى فإن عيونهم تتألق كأنها أخذت ضوءها من أشعة الفجر . " ..

هذه هى اللمحة الأولى من أفريقيا فى عين الأفريقى العائد .. المواجهة بين الجلد ذى اللون القرمزى .. والجلد المائل للزرقة . الأولى نظرة متعالية .. ثم هادئة متأملة .. ثم عاشقة فى النهاية لأن حنين الجذور لايقاوم .. والمهمة الاستعمارية تتحول على أيدى المبشرين السود الى مهمة إنسانية فلا أحد يملك القدرة على خداع ذويه .

إن الاستغلال الغربى يظل يلاحقهم حتى فى هذه القرية النائية وسط الغابات ، لقد وصلت البعثة وأقامت كنيسة ومدرسة وبدأت تمارس مهمتها ولكن ادوات الحضارة التى كانت تحاول أن تستغل مصادر الطبيعة لم تترك لهم الفرصة .. "عزيزتى سبليا .. فى البداية كانت هناك أصوات خافتة قادمة من ناحية الغابة . همهمات خافتة . ثم أصبحت الضجة أكثر ارتفاعا ثم شاهدنا بعض الأدخنة تبدأ فى التصاعد .. ثم أصبحنا نسمع الضجة كل يوم ونشم رائحة الأدخنة الغريبة . واليوم دخل أحد الصبية مسرعا الى الفصل وهو يصرخ .. الطريق يقترب .. الطريق يقترب .. لقد كان يصطاد مع ابيه فى الغابة ورأى ذلك . فى كل يوم يتجمع أهل القرية ويجلسون على حافة القريـة ويتأملون تعبير الطريق وهم يأملون أن يوصلهم هذا الطريق بالعالم البعيد .." ..

ولكن الطريق الذى صنعه تجار المطاط ، مر فى منتصف القرية بالضبط .. محاها من الوجود .. وأمر سكانها بالرحيل بعيدا .. حطم الكنيسة والمدرسة والأكواخ وحقول الذرة "لقد كان هذا أمرا مؤلما ياسبليا ، أحس الناس أنهم قد غرر بهم . وقد وقفوا بلا أى مساعدة . لم يكونوا يعرفون كيف يقاتلون ولم يفكروا فى ذلك حقا منذ ايام الحروب القبلية القديمة .. الآن تحطمت بيوتهم ودمرت محاصيلهم ولم ينحرف معبدو الطريق بوصة واحدة عن الخط الذى رسم لهم .. وهكذا دمرت الاكواخ والكنيسة والمدرسة ومن حسن الحظ أننا انقذنا حاجاتنا الاساسية .. لقد أصبحت القرية كلها بأراضيها تخص شركة المطاط فى انجلترا وعلى طول الساحل رأينـا المئات والمئـات من القرويين ، وهم يطهرون اشجار الغابات ويزرعون بدلا منها اشجار المطاط .. أشجار الماهوجنى القديمة .. أشجار لصمغ .. الفواكه .. أشجار الغابة كلها قد دمرت وأصبحت الأرض مستوية وعارية كراحة اليد ...

والرحلة الأفريقية الخائبة هنا أشبه بالرحلة الامريكية التى قامت بها الأخت سبليا كى تؤكد شخصيتها ، رحلة فى أحراش الاحياء الخلفية للمدن الكبرى .. والمؤلفة بذلك تخلق نوعا من التوازى الذى لايتم بصورة ميكانيكية ولكن فيها الكثير من إثراء المعنى .. والرواية فى مجملها تعتبر مثل حلم .. حلم يخرج من ركام بؤس الحياة اليومية .. حلم الأمة السوداء التى تحدث عنها مالكولم اتس .. إنها ترى من خلال كل احداث الرواية ان الاختلاط بين الاجناس لن ينجح فى أمريكا .. فالزنجى يتحرك وفق قوى خاصة . حياته وآماله وطموحاته تختلف عن حياة وامال وطموحات البيض .. فالمشاعر تختلف وبالتالى فالأفكار تختلف ايضا العرق هو نوع من الاحساس .. والثقافة تغذى هذا الاحساس بالعزلة والتفرد . السود جنس وثقافة وأمة .. وواجب الفنان الأسود أن يهيىء أهله لمثل هذا .

العالم في سطور





كاتب .. بعيد عن الشبهات

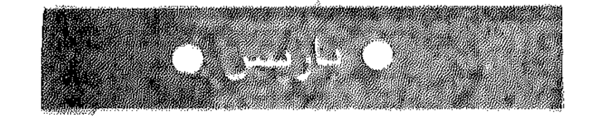
يحظى جون ارفنج ـ ٤٣ عاما بشعبية كبيرة في الولايات المتحدة • فهو يمثل الصورة العائلية التي يتطلع اليها كل امريكى • يعيش حياة اجتماعية مستقرة تتناقل أخبارها وسائل الاعلام بصفة دائمة ولذا فان القارىء الامريكى يشعر بصدق الكاتب في رواياته التي حظيت بنجاحات كبيرة مثل « فندق نيوهامبشير » ،« العالم في عيون جراب » وهي رواية ذاتية حول طفولة ارفنج نفسه •

صدر للكاتب في الشهر الماضي رواية جديدة ضخمة الحجم كبقية اعماله تحت عنوان « الخير من الله • والشر من الشيطان » • وكما هو واضح من اسم الرواية فنحن أمام حكاية عائلية من خلال هوميرويلز اليتيم الذي تربى في الملاجىء هناك في هذا المكان المغلق • حيث الطبيب العجوز المحاط بالحسان من الممرضات وهو الجراح البارع في اعمال الولادة ـ الخير ـ الا انه بارع ايضا في عمليات الاجهاض ـ الشر ـ • ويتولى هذا الطبيب رعاية هومير وتربيته • لكن الصغير يمثل نموذجا معاصرا من قوم صوير ، فهو يهرب عندما يبلغ سن الصبا باحثا عن اسرة اخرى تتولى رعايته • ولكن ابدا • فهومير أحد الدلطاء الكثيرين في الولايات المتحدة ولذا فهو يميل الى ممارسة الاشياء من منظور غير مألوف ••

ترشح بعض الاوساط الادبية هذه الرواية وكاتبها للدخول في دائرة ترشيحات جوائز نوبل في الاعوام القادمة وعلى كل فهو أحد الكتاب الاقل شبهة في الولايات المتحدة فهو لا يتستر خلف السياسة او العنصرية• وبعيد عن التجمعات التي اشتركت في ادخال الادب الامريكى الى دوائر الشبهات ••

جون ارفنج





كباريه .. على طريقة بداية ونهاية

مثلما تحولت رواية « بداية ونهاية » ـ وهي ايضا فيلم شهير ـ لنجيب محفوظ الى مسرحية عرضت على المسرح العائم • فان العاصمة الفرنسية قد شهدت خلال نفس الفترة تجربة مماثلة مع رواية « كباريه» التي نشرت لاول مرة عام ١٩٦٦ للكاتب كريستوف ايشروود • وقد أعد هذه الرواية للمسرح لاول مرة الكاتب الانجليزي المعروف

هارلد ينتر . ثم اخرجها بوب موس فى فيلم شهير قامت ببطولته ليزا مينيللي وحصل على مجموعة من جوائز الاوسكار عام ١٩٧٣ .

الا ان الاختلاف بين التجربتين المصرية والفرنسية يتمثل فى ان المخرج جيروم سافارى قد اخرج المسرحية فى اطاركوميديا موسيقية . وهى نفس التجـــربة التى شاهدناها أيضا فى السينما . سبق لجيروم ان اخرج مجموعة من المسرحيات الكلاسيكية من أبرزها « البرجوازي النبيل » لموليير و « سيرانودى برجراك » لروستان و « ابنة الخباز » لبانيول .

وتدور المسرحيـــة - والرواية - فى الثلاثينيات من عصر النازية من خلال ممثلة مشغوفة بالموسيقى ترتبط بكاتب امريكى وتدور أحداث المسرحية بين الولايات المتحدة والمانيا . ولابد لكل من أخرج هذه الرواية سواء فى السينما او المسرح ان يستفيد من موقف النازيين من اليهود . والتأكيد من جديد على تعذيب اليهود على أيدى النازية .. لذا فانه ليس من الغريب ان اكثر طاقم العاملين فى هذه المسرحية من اليهود



● طهران ●

● البيات الشتوى فى طهران ●



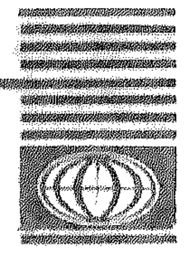
البيات الشتوى :

عنوان الرواية التى صدرت ترجمتها الفرنسية هذا الاسبوع للكاتبة الايرانية جولى تراجى التى تعيش فى اوروبا منذ عدة سنوات . وقد استفادت الكاتبة من المهجر الذى تعيش فيه معبرة عن فكرة أن الحياة ليست سوى مغامرة من الوهم او من الام الجسد .

تبدأ الرواية بعبارة غريبة : « تمطر السماء فوق طهران » فى قلب الليل . وفى غرفة تتحرك فيها الفئران دون ضابط يضبطها . يحاول رجل عجوز الافلات من البرد القارس . ومع ذلك فأن الابتسامة لاتكاد تفارق شفتيه » .

يعيش هذا الرجل بلا حب او أمل . انه رجل وحيد . مات أصدقاؤه وأقرباؤه منذ أمد طويل . وبينما تغزو الظلمة الغرفة يغرق العجوز فى ذكرياته البعيدة .

ففى هذه الذكريات هناك احمدى الذى انكسرت ساقاه . و «عزيزى» الذى لايقابله سوى فى حفلات أعياد ميلاد



العالم في سطور

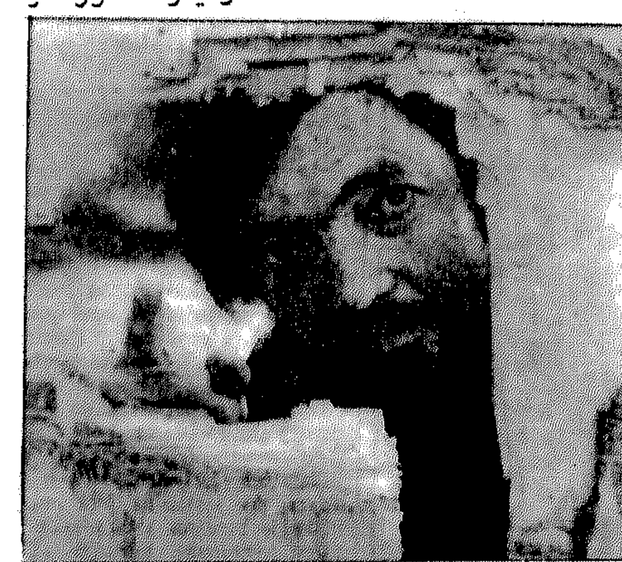
الاصدقاء ، وهو يعكف على التهـــام الحلويات وكعك الميلاد • ويختفي كي يعاود الظهور في عيد ميلاد آخر كانما الاجزاء من الكعكات تمثل اعمارا مقتطعة ذاهبة بلا عودة كما أن هناك شيرين خانوم القزم الذي عاش طيلة حياته أسيرا لاوامــــر زوجته فلم يخرج يوما عن طاعتها ..

الان • هاهو العجوز قابع في غرفته المثلجة • خائف من اقتراب النهاية • لقد اصبح جافا كالهشيم • وسط ليالي برد الشتاء القارس • كأنه أحد الحيوانات او الحشرات الصغيرة التي تدخل في شرنقة أبدية من أجل موسم الشتاء ..

• بيونس أيرس •

• الكآبة .. تهدم الابداع •

رغم ان الكاتب الارجنتيني الراحل



خوليو كورتثار

خوليو كورتثار قد عاش منفيا بعيدا عن وطنه اكثر من ثلاثين عــاما • فانه لم يكتب أبدا بلغة غير لغة بلاده .. وكورتثار هو احــد الذين استفادوا من ظاهرة المنفى الثقافي فكرس قلمه للدفاع عن قضية الحرية وخاصة ضد الديكتـــاتورية في امريكا اللاتينية ..

اثير هذا الموضوع من جديد مع صدور طبعة منقحة من كتابيه : « ساعات بلاأهمية » و « حديث مع عمربرجو » الكتاب الاول عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة • أما الثاني فهو حديث طويل أجراه قبل وفاته مع أحد اصدقائه المقربين حول سيرته الذاتية • « سكان امريكا اللاتينيــــة يخافون دائما من حكايات السيرة الذاتية »

عاش كورتثار حياة طويلة امتدت بين عامي ١٩١٤ و ١٩٨٤ ، درس خلالها الادب الفرنسي • وكتب الشـــــعر والرواية والدراسة السياسية ، نشر ديوانه الاول « الملوك » عام ١٩٤٩ • ونفاه بيرون من الارجنتين عام ١٩٥١ • عمل مترجما فترة وكتب روايتي « الرابحين » و « النيران تحترق » .. فضـــلا عن العديد من الدراسات السياسية • وحصل على جائزة مهرجان نيس السينمائي في عام ١٩٧٦ عن روايته « مغمورون ومشاهير » ..

امتلأ جزء كبير من كتابة بالحديث عن الاديب في المنفى : « كنت احـــاول ان اناضل ضـــد النسيان .. وقد احتفظت بذاكرتي حية وبكامل قوتها • وتنبهت الى انني يجب الا انساب في جو الكآبة • لانها يمكن ان تهدم كل امكانية الابداع والمنفى دائما له أبعاد ايجابية • يمكن ان تقول أن المنفى ليس مؤلما ولكنــه دافع للابداع • فهو يدفعنا أكثر للكتـابة لان المنفى ـ على الاقل بالنســـبة لي اذا لم تختره • فاننا نفضل ان نصبح أدباء أقل جودة في بلادنا من أن نكون اكثر جودة في المنفى ..

● بروكسل ●

● لم تكن حروبا دينية • • ●



صلاح الدين الايوبى

ستظل الحروب الصليبية على الشرق منهلا لا ينضب للادباء والباحثين فى شتى انحاء البسيطة نظرا لما تضمنته من حكايات عديدة بعضها اكثر غرابة من الخيال .

وقد اختار الباحث اندريه ميجيل أن يقدم كتابه الاخير حول احدى الشخصيات التاريخية المغمورة تحت عنوان « اسامة • امير سورى فى مواجهة الصليبيين » • وهذا الامير الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى قد اشترك فى الحرب المقدسة ضد الصليبيين عام ١١٨٥ • اى وهو فى الاربعين من عمره •

ولد اسامة ـ حسبما يقول الكاتب ـ على شاطىء البحر قبل أول حملة صليبية وقد عاش ردحا طويلا من الزمن قبل أن تسيطر القوات الصليبية على مدينة القدس ثم اشترك مع قوات الناصر صلاح الدين الايوبى التى حررت المدينة من أيدى الغزاة •• ويرى المؤلف ان اسامة يمثل المسلم العصرى • المرن • فهو رجل لا يكره اعداءه لكنه يحاربهم حتى يخلص أرضه منهم • وهو مفكر يتسم بالكبرياء والتسامح والحس المرهف • الغريب أن ميجيل قد أكد فى كتابه ان هذه الحروب لم تكن دينية • بل هى حالة حرب من حالات عديدة حدثت بين الشرق والغرب • قد وقف المسيحيون الشرقيون والارمن واليهود والقوميات الاخرى الى جوار صلاح الدين واسامة فى الحرب المقدسة •

كما اكد الكاتب أن هذه الحرب قد اثبتت عرق الرابطة التى ربطت بين المصريين والسوريين • وكانت قاعدة لما سمى فيما بعد بالجغرافيا السياسية للشرق الاوسط •

● الأرجنتين ●

● كاتب كبير •• تقتله فضيحة صغيرة ●

فى النصف الثانى من شهر يونيو رحل الكاتب الارجنتينى الكبير خورجه لويس بورخيس عن عمر يناهز السابعة والثمانين وقد اكتسب الكاتب اهمية من موسوعته فى علوم الفلك والميتافيزيقا والرياضيات واللغويات الغربية والشرقية وخاصة اللغة العربية • ودراسة الاديان السماوية وغير السماوية •• فضلا عن مجموعة الروايات والقصائد التى نشرها ومن اشهرها كتابه عن « ارض العرب » من مكتبة بابل ••

وقد حصل بورخيس على جوائز ادبية عديدة من اشهرها جائزة سرفانتس اشهر جائزة تمنح للادب المكتوب باللغة الاسبانية •• الا انه لم يحصل على جائزة نوبل فى الادب رغم انه رشح لها عديد من المرات بسبب اشاعة لحقت به منذ سنوات وهى انه نسب احدى الروايات التى كتبتها سكرتيرته الى نفسه •

يقول بورخيس فى احد احاديثه الصحفية العديدة « لقد أعطيت حياة كاملة للادب . فأعطاه الادب المجد كله . وتلك الحقيقة وحدها اهم كثيرا من أدبى . فعندما يتحول الى مبدأ وعقيدة يصبح الراعى اليه والناسك فى محرابه انسانا نموذجيا وكاتبا مثاليا » •

بقلم : محمود قاسم

رسالة جنيف

مدن المتناقضات قلوبها فى جيوبها .. !

فى غرفة صغيرة بمدينة لا يكف المطر عن الهطول بها وتحددها الجبال ذوات القمم الثلجية وحول مائدة صغيرة يلتقى يوميا قرابة خمسة عشر شخصا لساعات طويلة • هم مجموعة من الشباب العرب القادمين من شتى انحاء الوطن العربى • يتوسطهم رجل يراجع معهم بعض النصوص وقد بدأ كل منهم يحفر داخل رأسه لاختيار المعانى الدقيقة المناسبة لترجمة النص من اللغة العربية الى الفرنسية والانجليزية وبالعكس •

لابد أن تشعر وأنت ترقب هؤلاء الاشخاص انك امام خلاصة العقل العربى وامام صورة خاصة من الكفاح بحثا عن الافضل • فالى هنا جاء على الزواوى - تونس - على نفقته الخاصة .. يسهر طيلة الليل يعمل فى أحد المطاعم القريبة كى يمكنه توفير قوت يومه ومصاريف دراسة الترجمة الفورية • اما هدى العريسى - سعودية - فتعلن غضبها على الامريكيين الذين دكوا طرابلس بقنابلهم القاتلة بينما « يرطن » وليد - سورى - بلغات عديدة معبرا عن سخطه الشديد .. ثم تستأنف منيرة كلبوسى - تونس - ترجمة النص فيقاطعها الاستاذ محمود على مراد ليعلن أن منيرة رمز للشباب العربى فهى تتقن الفرنسية والانجليزية والروسية وتجيد الترجمة من كل هذه اللغات الى اللغة العربية •

فى هذه الغرفة الصغيرة يتحد العرب • ويتحابون • بعيدا عن السياسة وسط جدران الغربة • يتحدثون فى أشياء عديدة ويستكملون دروس الترجمة الفورية • بعد انتهاء الدرس يخرجون معا لتناول الغذاء فى السوبر ماركت القريب من مدرسة الترجمة الفورية بميدان أوجستين يعودون مرة اخرى لمتابعة

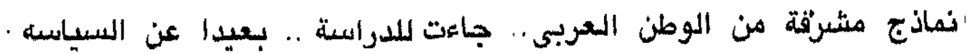
الدرس او للجلوس طـــويلا فى المكتبة •

جاء هؤلاء الشبابمن بلادهم سعيا وراء مغامرة الدراسة • وواجهوا متاعب جمة من أجـل الالتحاق بالدراسة فى مدرسـة تشترط على تلاميذها اجتيـــاز امتحانات صعبة فى الترجمــة من الفرنسية الى الانجليـــزية والعربية • ثم عليهم مواصـلة الدراسة فى ظـروف قاسـية لاربع سنوات قبل ان يحصلوا على شهادة تؤهلهم للعمـــل فى احدى المنظمات الدولية •

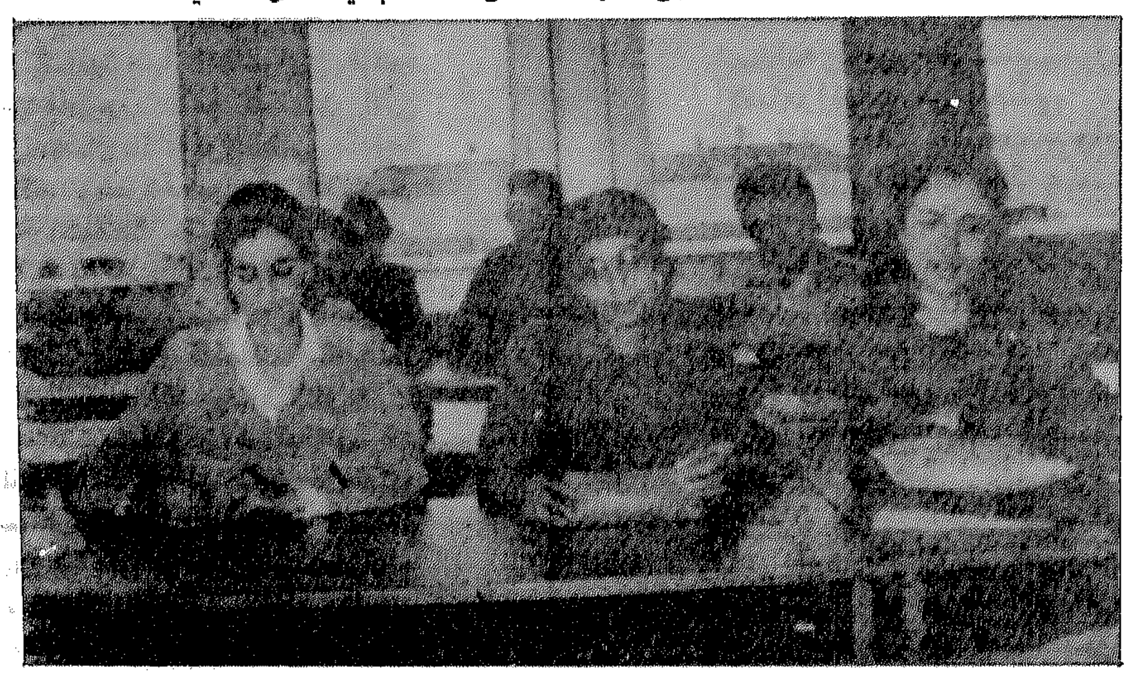
لابد أن تكون الثمرة ناضجة طازجة مادام الذى يتـــولى رعايتها رجال من طراز محمود على مراد •• ومحمود بازوزو ونزيه الحكيم •• وكل منهـم تجاوز الستين من العمــر واعطى المفكر العربى الكثير يستعد محمود على مراد لنشر كتابه عن « برنارد شـــو والاسلام » الذى نشرت منـه الهلال فصولا•• فضلا عن كتابه حول « السيرة النبوية » ••• يعمل رئيسا القسم العـــربى منذ سنوات • ترجم العـديد من اعمال برناردشو وروايـــة « السيمفونية الرعوية » لاندريه جيد •• يردد مبتهلا : « كــم اتمنى أن يعطينى الله عمـرا لانتهى من كتبى حول الاسلام» • رجل متواضع يعمل فى صـمت نموذج لمفكر عربى فى الغـربة التى لا يشعر بها احد •

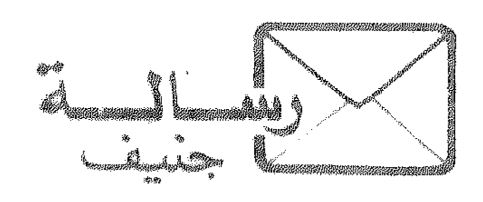
نزيه الحكيم المفكر السـورى المعروف الذى عمل بالصـحافة المصرية ردحا من الزمن اختار الاقامة فى جنيف • ويســتعد الان للعودة الى بلاده بعد ان وصل الى سن المعاش • محمود بازوزو امام الجامع الاكبـر بجنيف •

نماذج عربية مشــرفة فى جنيف • جمعتها الغربة والحب



نماذج مشرفة من الوطن العربى .. جاءت للدراسة .. بعيدا عن السياسه •





والطموحات في مدينة تتسم ببرود غريب خاصة في عواطف سكانها • مدينة لا تعرف الرحمة • قلبها في جيبها • تتحدث واجهات المحلات فيها بأرقام تتحدى المشترين مدينة تملؤها المتناقضات لكن اهم ما فيها هو السلعة الثقافية •

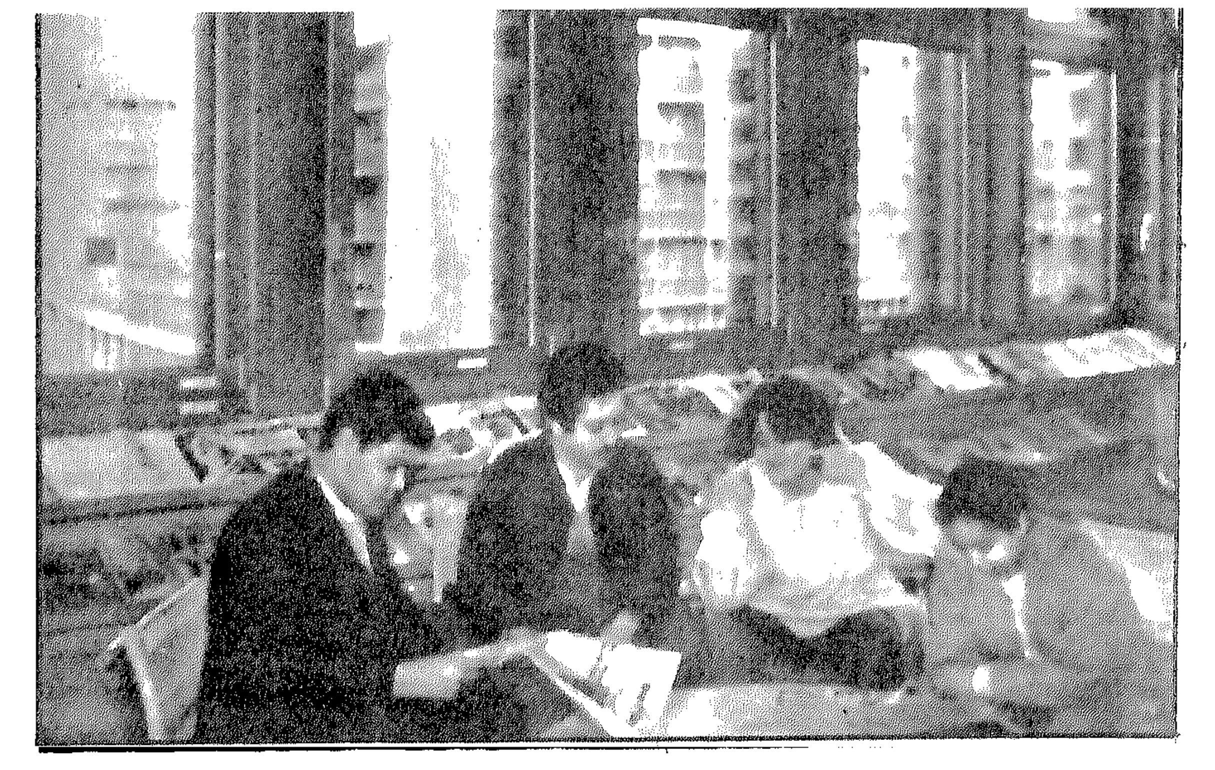
● فنون العالم في دار فولتير ●

مدينة البنوك والصناعات الدقيقة تبدو كحسناء رقيقة خالية من الروح لا تلبث ان تبدو لك بلا هوية • خاصة فيما يتعلق بالثقافة • فدور السينما المتناثرة في المدينة لا تعرض سوى الافلام المستوردة من الدول المحيطة بها فضلا عن الافلام الامريكيه الكثيرة • والمسرحيات التى تملأ افيشاتها الشوارع قادمة من باريس • أما المكتبات التى تزحم كل الشوارع فهى مليئة بكتب مطبوعة فى دور النشر الفرنسية • حتى متحف فولتير الذى يضم تراث المفكر الكبير والذى يتبعه ايضا مركز الثقافة الفرنسية فهو قائم اساسا على بث ثقافات الشعوب الاخرى •

اكتشفت مركز فولتير فى اليوم السابق لرحيلى ــ مكتئبا ــ عن المدينة • برنامج ضخم يوزع على باب السينما التى لا يتوقف عرض الافلام بها من الثانية ظهرا وحتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى ستة افلام تتغير يوميا • تمثل شتى الاتجاهات الطليعية فى فن السينما العالمية • قادمة من شتى الانحاء شريطة أن تتسم هذه الافلام بجودة فنية ورقى • ففى يوم واحد يمكنك رؤية أفلام مثل « غابة الزمرد» لجون بورمان و « بواب الليل» من اخراج ليليان كافانى و « البحث عن الرجل المناسب» لريتشارد بركس • و « مفستو » للمجرى ستيفان زابو و « قصة بييرا » للايطالى ماركو فيريرى • وهيما تسورى لليابانى يانا جيماشى فضلا عن مطبوعة صغيرة تتناول أبرز الكتابات النقدية حول الافلام المعروضة •

● الرقص .. ظاهرة اجتماعية ●

جاء موريس بيجار الى جنيف مع جالوتا ليعرضا مجموعة من اشهر استعراضاته الراقصة وتجىء أهمية بيجار فى انه اكبر مخرجى الاستعراضات فى العالم • وهو ابن الفيلسوف جاسون بيجار وقد اشهر اسلامه منذ عدة سنوات • يرى أن الموسيقى هى الفن الذى يروى ضروريات الحياة بصورة بالغة البساطة ودون عون من الكلمات • كما يرى ان الرقص ظاهرة فريدة اقرتها الاديان • كما انها ظاهرة اجتماعية • فقد مارسه الانسان على مدى التاريخ وهو يقوم بالطقوس الدينية • لذا فان الفن هو خلود الروح هو الصعود فوق شهوات



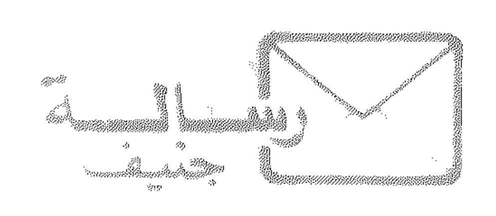
كلهم داخل المكتبة لأكثر من ثمان ساعات يوميا

الجسد · ويرى ان الفنون كلها تجيء في الاهمية بعد فن الرقص اذا اصبح هو الفن الاول في القرن العشرين · لدرجة انه ظهر موسيقيون كبار قاموا بالاعداد الموسيقى الخاص للرقصات مثل سترافينسكي كما اشترك فنانون كبار مثل بيكاسو وبراك وديران في اقامة ديكورات هذه الاستعراضات

وجالوتا هو احدث راقص صمم له بيجار رقصاته كي يتفوق على الروسى نورييف وقد استطاع بالفعل ان يحول جسده الى اثير يتحرك فوق المسرح فتحس كان طيفا ينتقل فوق الخشبة تتناثر خطوطه دون ان يمكنك تحديدها بسهولة فيجذبك من فوق المقعد الذى تجلس عليه لتطير معه محلقا في فضاء اثيرى بعيد عن ارض الواقع لكن مهما طال طيرانك فلابد ان ينتهى العرض وتخرج الى الشارع حاملا مظلتك الصغيرة كي تحميك من جليد الربيع · حتما ستنسى تلك الانتقادات الاثيرية التى احدثها فيك جالوتا ·

● تشويه صورة العرب ●

جاء مناحم جولان الى جنيف قبل ان يطير الى مهرجان كان السينمائى · فجأة وبدون سابق انذار غيرت دار سينما « كلاسيك » برنامجها المألوف واعلنت حالة الطوارىء لعرض فيلم « قوة الدلتا » ·· جولان الصهيونى الذى اهتم منذ فيلمه الاول « طوفيا وبناته السبع » عرض فى مهرجان كان ١٩٦٨ ـ بتشويه صورة العرب وتمجيد صورة الصهاينة يقدم فيلمه الجديد مستفيداً من الحملة العالمية على خطف الطائرات والتى اصطلحت الصحافة العربية على تسميتها بالارهاب لتشويه صورة المناضل العربى من خلال شخصين عبد الاله ومصطفى اللذين ينتميان الى الشيعة اللبنانية حين قاما باختطاف طائرة



أمريكية • ويقدم في المقابل رجلين امريكيين هما الكولونيل الكسندر – لي مارفن – والماجور سكوت – شوك نوريس – اللذين يخططا لتخليص الطائرة من خاطفيها • ما يثيرك هنا هو تلك الصورة البشعة التي يقدمها جولان عن العرب • فالعربي هو ذلك الشخص الطويل اللحية الذي يجيد استخدام السلاح لارهاب أناس آمنين واثارة الذعر في قلوبهم ، بلا سبب وهو انسان لا يعرف الرحمة بلا قلب • أما الامريكي فهو انسان لطيف ينشد العدالة لذا من حقه الشرعي ان يحمل المسدس ويشهره على غرار رامبو ولا يسأله احد عن السبب •

وقد أعلن جولان انه متوج على امبراطورية السينما لسنوات طويلة قادمة •• وحتى كتابة هذه السطور فالعرب يتفرجون •• بعد أن كفوا – حتى – عن الاستهجان والاستنكار •

● أنا •• ولورانس اوليفييه ●

في فيلم « الحكم » الذي اخرجه بيتر جلنفيل عام ١٩٦٢ ابرأت المحاكم ساحة المدرس – لورانس اوليفييه – من تهمة الصقتها به احدى تلميذاته ورغم حكم البراءة الذي اصدرته المحكمة فان الاتهام ظل قائما في عيون والسنة الناس من حوله • فاصابته كآبة كادت تنهي عليه • اصابني مثل هذا الاحساس وانا اتطلع الى عيون البعض بعد عودتي من جنيف حاملا فوق كاهلي قسوة تجربة شخص ساذج سرقوا منه « تحويشة » العمر في ترام المدينة أشبه بفلاح ينزل المدينة لاول مرة • معطيا دلالة غريبة في مدينة تملؤها المتناقضات جنيف المدينة المغلفة بالسلوفان •• التي ترمز الى قمة التطور الحضاري • من المكتسبات التي تضم تراث العالم القديم والحديث • وتلك السوق العتيقة التي تقع خلف سور الجامعة وتعرض المواد الثقافية بارخص الاسعار • الى النافورة التي تدفع مياهها لارتفاع يكاد يطول قمم الجبال • البيوت الخضراء الصغيرة المتناثرة فوق الجبال •• والعشاق المتلاصقي الاجساد والايدي • عيون الاجانب البصاصة الى جوار عيون لا تتطلع سوى الى نفسها في مدينة كهذه يسعد شاب صغير يرتدي نظارة سميكة ومعطفا ذا كمين متسخين يلوح بهما قريبا من انفك ودون ان تدري يسحب كيس نقودك ثم ينزل دون ان يكون لك حول ولا قوة • اذا كانت يد اللص قد سرقت مرة واحدة • فان السنة وعيون الاخرين المليئة بالثرثرة لابد ان تعيد لك صورة المدرس في نهاية فيلم « الحكم » •• لجلنفيل ••

رسالة المغرب

بقلم : سمير غريب

القصّاص المغربي محمد شكري : لسان الشطار ، وعدو الرقابة العربية !

نحن فى مصر لانعرف الكثير ولا القليل عن الادب المغربى المعاصر . ورغم ان مشكلة الاتصال الثقافى هذه بين شرق العرب وغربهم قد نوقشت فى اكثر من مكان ، الا اننا لم نشهد حتى الان ، اية محاولة جادة لحل هذه المشكلة لا من جانب الشرقيين ولا من جانب الغربيين !

وليس مفاجئا أن نقول ان الادب المغربى المعاصر يشهد حركة نشطة تعمل عل أكثر من جبهة ، وفى نفس الوقت : تأكيد هوية مغربية للابداع، والخلاص من بقايا اثار الاستعمار الثقافى الفرنسى ، بالتخلص من لغته فى الابداع والكتابة ، التعبير عن ، والدخول فى ، صراع الحياة المغربية بوجوهها المختلفة السياسية والاجتماعية .

وفى الادب المغربى المعاصر ظاهرة مشهورة اسمها « محمد شكرى » مثيرة للجدل . من علامات هذه الظاهرة : مصادرة كتبه فور نشرها من أجهزة الرقابة المغربية بسبب اتهامها ب « الاباحية » . انه الاديب العربى الوحيد الذى صدرت له كتب مترجمة الى لغات اجنبية قبل صدورها بالعربية فى بلده . كما ان كتبه من اكثر الكتب العربية التى ترجمت الى لغات اجنبية . فلماذا ؟ ومن هو ؟ وماذا يكتب ؟

محمد شكرى ليس شابا كما قد يظن البعض ، فقد ولد عام ١٩٣٥ فى قبيلة بنى شيكر ، ومع ذلك لم أعطه عندما قابلته لاول مرة فى مدينة اصيلة المغربية أكثر من اربعين عاما .

فى عام ١٩٤٢ حدث جفاف شديد فى شمال المغرب او مايسمى بمنطقة « الريف » ، فهاجرت أسرة محمد شكرى من قريته « بنى شيكر » الى

مدينة طنجة ضمن من هاجروا هربا من الجفاف . كان الشمال المغربي أيضا واقعا تحت الاحتلال الاسباني، فقبض على والد محمد بعد قليل من هجرتهم الى طنجة بتهمة الهرب أيضا من صفوف الجيش الاسباني .

هنا بدأ تشرد محمد شكري وصعلكته فعمل ماسحا للاحذية، بائعا للصحف والخضروات ، عاملا في المقاهي والمطاعم نشالا في عصابة للسرقة مقلدا لاغاني عبد الوهاب .. أي أنه جرب كل هذه الاعمال التي يصفها البعض ب «المنحطة» والتي تشكل منجما انسانيا لكثير من الادباء في ابداعاتهم عندما يراقبونها ويحللونها ويعيدون صياغتها فنيا . فما بالك بمن عاشها بالفعل ، وسيصبح بفضلها فيما بعد اديبا !!

عندما دخل محمد شكري عامه التاسع عشر لم يكن قد تعلم القراءة والكتابة، فلم يكن لديه وقت يضيعه لكن جولاته الحياتية تلك عرضته في كثير من الاحيان لمن نسميهم عندنا « الافندية » . فسمع منهم لغة عجيبة ، وافكارا غريبة ، وصادق بعضهم ، فقرر في ذلك العمر أن يتعلم ذهب الى مدينة « العرائش » ليدخل مدرسة لاول مرة في حياته ، ثم واصل دراسته في مدرسة المعلمين بمدينة « تطوان » التي تخرج فيها عام ١٩٦٠ .

هكذا دخل محمد شكري بنفسه الى « الجحيم » . انه الآن متعلما ومعلما بلا عمل . يطلق حياته الاولى تماما لانه لايستطيع ان يتخلص منها . تتفاعل كل شيء داخله ، « جهله » ، علمه ، قراءاته التي ادمنها تعويضا لايام « اللاقراءة » ، حساسيته المرهفة ، تفكيره الذي لايتوقف ، علاقاته ب « العالم

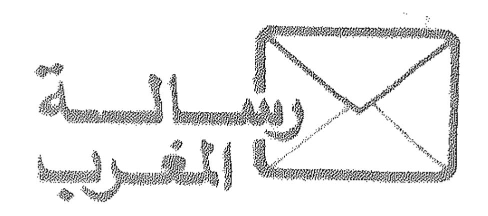


محمد شكري المغربي



السفلي » ، وبعالم المثقفين ، لم يعد فاعلا في شيء : لا في عالمه الاول ، ولا في عالم المثقفين الهامشيين أصلا ... فانهارت أعصابه ، ودخل المستشفى لاربعة اشهر عام ١٩٦٤ . عالجوه بالعقاقير حتى خرج منها . لكن اضطرابه لم يتوقف بعدما فحاول علاج نفسه بالكتابة ، ومازال ..

بعد محاولات قليلة ، ارسل الى مجلة « الاداب » البيروتية قصة بعنوان « العنف على الشاطئ » وفوجيء بنشرها عام ١٩٦٦ . واخذ في كتابة القصة القصيرة بين الحين والحين ، فهو رغم كل ذلك . أو بسببه، مقل في كتابته، لم ينشر الى الآن سوى ٢٦ قصة قصيرة في مجموعتين . « مجنون الورد » ، « الخيمة » . صدرت الاولى في طبعتها الاولى عام ١٩٧٨ عن دار الاداب اللبنانية ، ثم اعاد طباعتها



في العام الماضي على نفقته ، واصدر على نفقته أيضا المجموعة القصصية « الخيمة » في فبراير ١٩٨٥ . ولم تدم في السوق أكثر من ٢٥ يوما حتى صودرت . لكن هذه الايام كانت كافية لبيع ٤٥٠٠ نسخة منها ، وقد تعود قراء محمد شكري شراء كتبه فور صدورها وقبل مصادرتها .

وبعد « الخيمة » كتب بعض القصص لكنه يعتبرها اقل قيمة أدبية من القصص التي كتبها فيما بين عامي ١٩٦٦ ، ١٩٧٣ .

قد نظن أن « مجنون الورد » هو اول كتاب منشور لمحمد شكري. لكن الحقيقة هي أنه كتب خلال نفس العامين « مجده الاول » كما يقول ، والسبب الاول في شهرته وهي سيرته الذاتية التي أطلق عليها « الخبز الحافي » . انها أول كتاب منشور له . نشر عام ١٩٧٢ بالانجليزية وقبل ١٠ سنوات كاملة من نشرها بالعربية في الدار البيضاء ومصادرتها أيضا »

بقي الخبز الحافي في أدراج المؤلف حتى عام ١٩٨٠ ثم ترجم الى الفرنسية ، وتوالت ترجماته قبل صدوره بالعربية وبعدها ترجم الى تسع لغات اخرها اللغتين الايسلندية واليوغسلافية .. وهو يعتبر الترجمة الفرنسية من أرقى الترجمات لان الذي قام بها هو الطاهر بن جلون ، وهو ليس مترجما متخصصا ولكنه كاتب مبدع تعامل مع الترجمة بالطريقة الابداعية . ساعده أيضا أن أسرته تقيم في مدينة طنجة التي تدور فيها معظم أحداث السيرة .

لماذا هذا الاهتمام الحديث بترجمة « الخبز الحافي » ؟ بحثت عن الاجابة لدى محمد شكري نفسه :

« أولا معظم ماترجم من الادب العربي الى لغات أجنبية قام به مستشرقون ، اهتموا أساسا بكتب التراث . وهم مستشرقون تقليديون لم يبدأ الاهتمام بترجمة عمل من أدبنا الحديث الا مع السبعينيات بالطبع نعرف ان « أيام » طه حسين ترجمت الى الفرنسية وقدمها اندرية جيد منذ نحو ٣٠ سنة . لكن الشكل الذي كتبت به أنا سيرتي الذاتية اكثر جرأة وباسلوب عار . « الايام » سيرة ذاتية مكتوبة باسلوب تقليدي وبها كثير من التحفظ . السير الذاتية المكتوبة بالعربية قليلة جدا يصل عددها الى عدد أصابع اليد . مثل سير أحمد أمين وطه حسين وعبدالمجيد بن جلون المغربي . وشذرات كتبها عبد القادر المازني . سيرتي الذاتية تدخل في اطار السير الذاتية الشطارية ، من الشطار . وهذا النوع من الادب الشطاري كان موجودا ومعروفا في الادب العربي القديم . اقتبس الاسبانيون من هذا الادب الشطاري وكتبوا بعض الاعمال ابتداء من القرن الخامس عشر . هناك « اللاثاريو » وكاتبها مجهول ، « كفيدو » كتب سيرة غلام متشرد يتبع متسولا .

« عندما كتبت سيرتي الذاتية لم اكن متأثرا بهذا النوع من الادب لانني لم اقرأ لا الادب الشطاري عند العرب ، ولا الادب الشطاري عند الاسبان الا اخيرا . وحتى السير الذاتية التي كتبها احمد امين وطه حسين لم استطع ان اتم قراءتها ، لان هذا النوع من الادب لايلائم مزاجي وحياتي التي أعيشها .

« السيرة الذاتية التي كتبتها

فيها كثير من الجرأة وتترصد طفولة مغربية مهمشة . واذا كانت هناك طفولة محظوظة فقد كانت غريبة علينا لانها لاطفال برجوازيين . اما المغاربة بصفة عامة فقضوا فى عهد الاستعمار طفولة فيها نوع من البؤس والفقر مع تفاوت بطبيعة الحال . طفولتى نموذج للطفولة المغربية المسحوقة التى لا طبقة لها . لا اقول انها كانت تنتمى الى الطبقة الكادحة لانها كانت اقل من الكادحة . كانت مسحوقة . لم تكن لها اية كرامة . رفعت فى كتابى ايضا دعوى على القرية المغربية التقليدية . دعوى ضد أبى ، وضد كل الاباء الذين يشبهونه . كان أبى قاسيا جدا ، ورث كل الرواسب العفنة فى المجتمع المغربى » ..

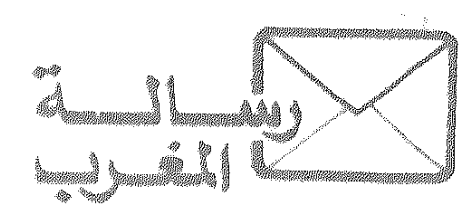
الكل ذلك ترجم الكتاب الى كل هذه اللغات الغربية ؟

« انهم لم يتعودوا قراءة هذا النوع من الكتابات الجريئة بينما ترجم اليهم من ادبنا . لا اقول اننى الوحيد الذى كتب بهذه الجرأة . كسيرة ذاتية ربما هى الوحيدة . انهم يعرفون عن العرب انهم متحفظون . فكيف استطاع عربى أن يدوس كل هذه المقدسات ! سبب اخر : ان أسلوب الكتاب بسيط وواقعى . ولا شك أن هناك فى العالم الاوربى وأمريكا اللاتينية مجتمعات تعيش نفس المشاكل . وطفولة تعيش نفس البؤس . الخبز الحافى وثيقة اجتماعية بطريقة روائية » .

ليس « الخبز الحافى » فقط الكتاب الذى ترجم ونشر بالانجليزية اولا . فقد صدرت منذ نحو ١٣ عاما ترجمة انجليزية لمذكرات محمد شكرى مع الكاتب الامريكى «تنسى وليامز» وايضا مذكراته مع الكاتب الفرنسى « جون جينيه » الذى توفى فى ابريل الماضى عن ٧٦ عاما .. ربما ترجمت هذه المذكرات لما فيها من جرأة وبساطة الحس الحكائى ، بالاضافة الى اهتمام الغرب بصاحبيه المشهورين .. ولا شك ان علاقة مثيرة تلك التى يمكن ان تنشأ بين كاتبين غربيين من أمثال جينيه ووليامز وكاتب مغربى مثل محمد شكرى .

مع جينيه بالذات هناك اكثر من عامل يجمعه بمحمد شكرى فجون جينيه ابن غير شرعى لذا تركته أمه عند عائلة من الفلاحين . وقد حمل اسم امه لانه لا يعرف اسم ابيه .. عاش جينيه أيضا حياة « الشطار » والمتشردين فترة طويلة قبل أن يعرف طريقه الى الشعر ، ومن ثم المسرح . قضى فترات طويلة من حياته فى اصلاحيات الاحداث والسجون متهما بالسرقة . وتنقل صعلوكا في مدن وموانى «أوربا» بل ان أول أعماله الادبية كتبه فى السجن وتدور مسرحيات جينية كذلك حول عالم المضطهدين مثل « الخادمات » فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم ، والساقطات — فى مسرحيته « الشرفة » ، و « الزنوج » فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم .. وهكذا .. واعتقد أن محمد شكرى تأثر بجون جينية ، وربما كان ذلك سببا واضحا لاختيار شكرى لاسم « مجنون الورد » ، يطلقه على مجموعته القصصية ، فلجون جينية رواية نشرها عام ١٩٤٦ بعنوان « معجزة الوردة » .

محمد شكرى لا يدعى أية ثقافة

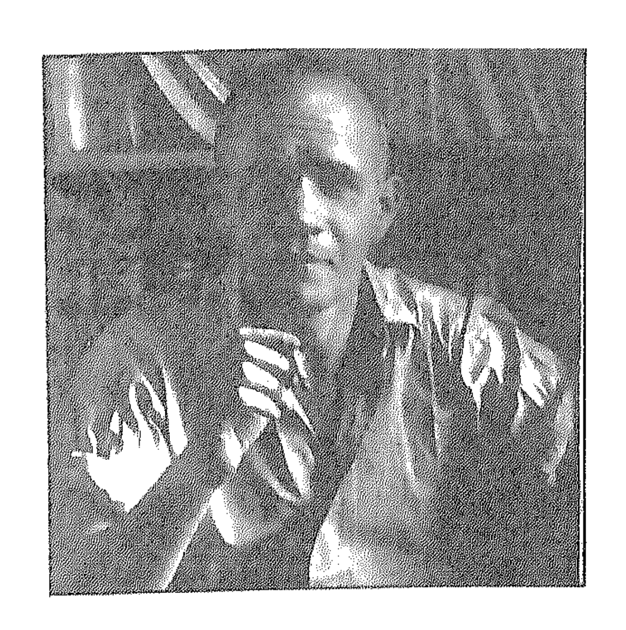


لا في أحاديثه ، ولا في الدردشات
التي تجري معه . يكتب الادب
وفي نفس الوقت يعتبر نفسه
« ضد الادب » وهو مصطلح
استخدمته اتجاهات أدبية قبله
مثل السريالية . لكنه يعني انه
يكتب نوعا من الادب الخارج عن
التقاليد الادبية الموجودة في العالم
العربي وحتى في المغرب . يسمي
الاشياء بأسمائها الصريحة . .
لا يخشى المحرمات . ويتعمد الكتابة
بهذا الاسلوب . من أجل
التحريض ، وربما من أجل
الفوضى . يرتبط هذا بالطبع
بنوع الحياة التي عاشها . فهو
لا يستطيع مثلا أن يكتب رواية
عن البرجوازية في المغرب ، كما
انه لا يستطيع كتابة عمل روائي
عن الطبقة العاملة بنفس الشكل
والصدق . بل ان القصص التي
كتبها تدور فقط في المدن التي
عاش فيها : طنجة ، وتطوان .

يقول الدكتور محمد برادة
الاديب والناقد المغربي : «الخيوط
التي ينسج منها شكري قصصه
تنتهي الى رسم « جغرافية
سرية » للمدينة ولتحت أرضها .
تبدأ تناسلها جميعها من مناخ
الهامشيين او من عالم الاطفال .
يبدأ الحكي بتلقائية توهمنا
أنه يحكي عن واقعة من « الوقائع
المختلفة » ، شاهدها في الطريق
او قرأها في الصحيفة وأعاد
صياغتها . لكن هذا التوهم
سرعان ما يبدده سطوع كلمات
مفاجئة وعبارات مكثفة محملة
بالايحاءات والدلالات ، تنقلنا
الى عالم قصصي تؤطره وتوحده
تلك الخيوط المتناثرة في مختلف
القصص . قوام هذا العالم
عند شكري ، والهامشيون او
الليليون .. هم من يضرب بهم
المثل في الشذوذ والرذيلة . ولا
يمكن لمجتمع أن يتصور نفسه
بلونهم .. في قصة « بشير
حيا وميتا » يجسد شكري
هذه العلاقة الغريبة بين العاديين
العقلاء ، والشواذ المجانين بشر
الاحمق يقلق الاخرين لكنه يسليهم
يتحلقون حوله وهو ممدد في الشارع
متمنين موته . وعندما يستيقظ
من غيبوبته يصابون بخيبة أمل»

التلقائية نفسها التي يحكي
بها تلازمه وهو يسمي الاشياء
المكونة للاهتمامات اليومية عند
أشخاص هامشيين . ويكون
الجنس في طليعة تلك الاهتمامات
.. ان الثنائية الفاصلة بين
الاشياء تنعدم في سلوكياتهم . .
والجسد كلي ، به يواجهون
العالم ومنه يستوحون ردود
الفعل . والشهوة تختلط بما
هو نباتي وحيواني ، بالوجود
والعدم .. ولعل قصة «الخيمة»
هي أجمل نموذج تتحقق فيه
فكرة شكري عن الجنس . حين
يغدو فرحة وعيدا ووليمة وارتماء
في أحضان البحر » وملامسة جسدية
لعناصر الطبيعة .. غير أن كثيرا
من قصص شكري تنقل
الينا الصورة البائسة للجنس
عندما يكون جسدا يباع أو كتلا
لحمية تلهث وراء لذة دفنتها
العقد ، وغيبها الارهاق .

تخلص محمد شكري من الجملة
العربية الطويلة ، والمطاطة
والاسهاب في استعمال ادوات
العطف . انه يكتب معظم الاحيان
بأسلوب تلغرافي . الفعل قد يشكل
بالنسبة له جملة . لذلك تطغى



چان جينيه .. سمات
وخصائص مشتركة

فى كتاباته المصادر ، وافعــال المضارعة . يقول الدكتور محمد برادة : « الا ان هذه البيئة اللغــوية العامة يتخللها تكسير مباغت من خلال جمــل طويلة متماسكة مختلفة عن جمل الوصف والسرد . هذا « التكسير » ينقلنا من الاشياء الى امتداداتها فى نفس الكاتب . ثم يعود النص الى مستواه الاول قبل أن ينكسر مرة أخرى .. فى قصة «شهريار وشهرزاد» تسود الجمل القصيرة مثــل « سقط الكأس من يدها على الطاولة » ويأتى الوصف فى رتابة مقصودة ، وفجأة تطل جملة طويلة تكسر هذه الرتابة وترسم بعدا جديدا للاشياء « لو أن هذا الاحساس كان نحو الاشياء وحدها لظللت أحدق فيها حتى أجن او يكف احساسى هذا الغريب عنى» .

ومن ثم فالقرابة التى نستشعرها بين التقنية القصصية عند شكرى وبين طرائق الرواية الجديدة لا تلبث ان تتلاشى ، لان واقعية شكرى لا تقوم على تغييب ذاته من اللوحة . على العكس ، يظل صوته حاضرا همسا وجهــرا من خلال تلك الجمل المفاجئة الصادرة عن غور عميق ..

ومع ذلك فان محمد شــكرى لا يخفى تأثره بالادب الغربى لانه قرأ فيه بأكثر مما قرأ فى الادب العربى وفى الادب الغربى طبيعيا تقنيات جديدة وجرأة . وسيرته الذاتية نفسها « الخبز الحــافى » قريبة من « اعترافات » جان جاك روسو وقد قرأ محمد شكرى أهم السير الذاتية التى جاءت بعدها مثــل مذكرات ســيمون دى بوفوار ، و « رحلة نحو البداية » لكولن ولسون . و « كلمات » جان بول سارتر ، وغيرها . وقد اســتمد من التقنيات الغربية بأكثر مما اســتمد من التقنيات العربية . وهو يرى فى كل ذلك أمرا صعبا « لو لم يستفد طه حسين من الادب الفرنسى لما اثار ضجة فى كتابه فى الشعر الجاهلى» وأيضا توفيق الحكيم لو لم يدرس المسرح الغربى والمسرح الاغريقى لما كتب مسرحه بهذا الشــكل المتطور فى الاسلوب العربى .. هناك أيضــا شعراء اجانب كان لهم تأثيرهم على الشعر العربى . لكن التأثير لا يعنى المسخ أو التقليد . بعد كل هذا .. هل يمكن أن تتاح للقراء فى مصر ـ وربما المشرق العربى باستثناء لبنان ـ قراءة كتب محمد شكرى التى صدرت بالعربية ، وروايته الاخيرة التى ربما صدرت بالفعل ونحــن لا نعرف « السوق الداخليــة » او « طنجيس » وهو الاسم القديم لمدينــة طنجــة !؟ هل يمكن أن نقرؤه حتى يتيقن قراء هذا المقال ـ على الاقل ـ من صحة ماورد فيه ! ! !

قصائد في وقتها..

شعر : محمد السنباطي

— ١ —

اسمع صوت بكاء الارض
واسمع صوت مكابرة الجند
واسمع صوت التاريخ الزاحف كالمشلول النصفي
ينبض عرق في كفي
يسأل : اين زناد يضغط
أطـرد خـوفي
والراية لا تسقط
ياضعفي المستاء
ضاع شبابي في حرب الطاغوت
ووضعت بقايا شغفي في التابوت
وحملت الاعبـاء
من المهد الى .. (...)
لم ابلغ أملا .. !

— ٢ —

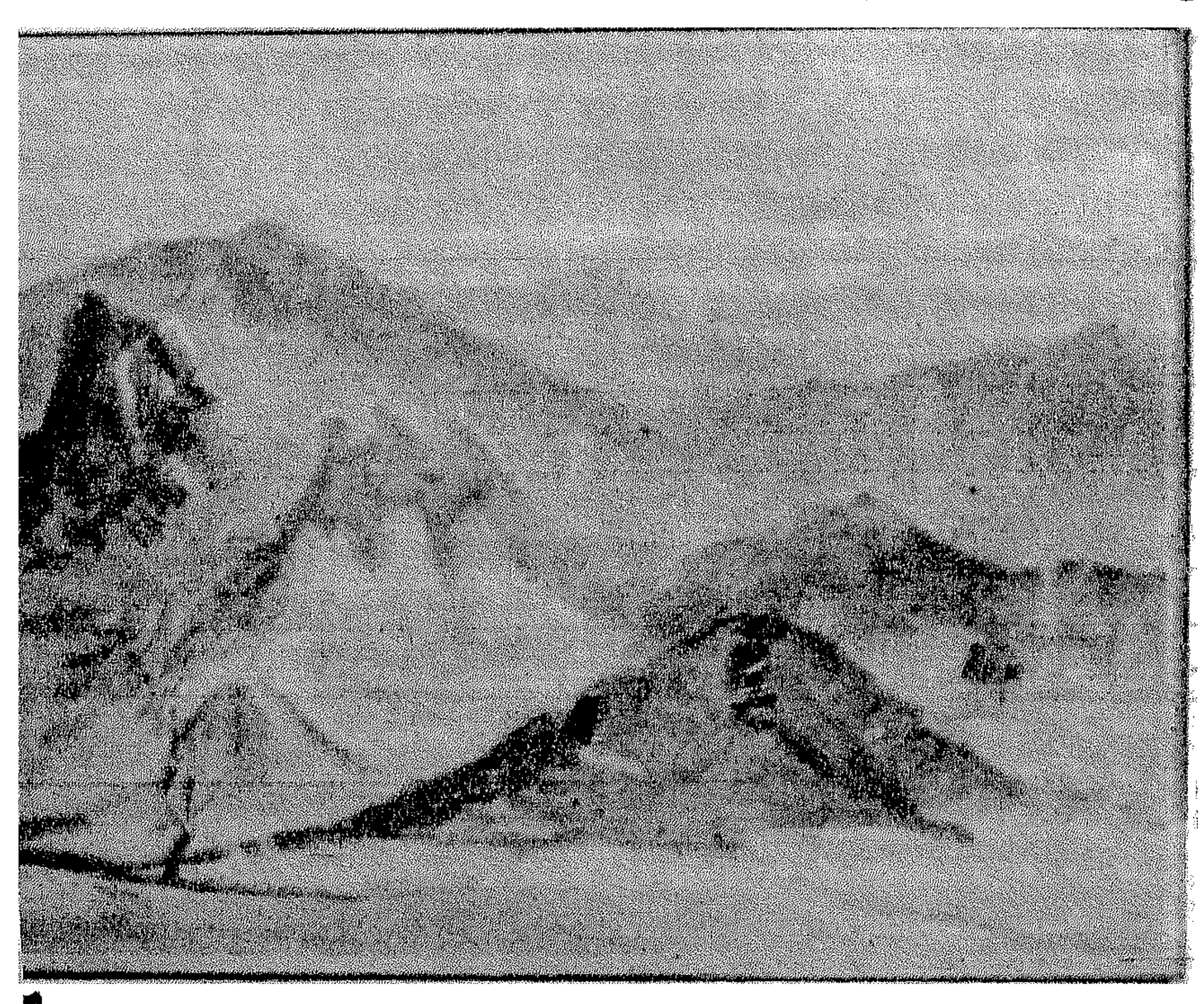
يا ابت افعل ما تؤمر
مـسـرتي
ليس لمثلي الا الاصغاء
يا وطني الاكبر
انت احب الاسماء
وأمثـــل
دور الراعي
تنضج أوجاعي
دور السيد
حــزني يتجـدد
دور الشرير
دور الشيخ المتصابي
افقد أعصابي ، وابلل
خدي بدموعي
ابحث عن نفسي
واعود بجوعي

المعرض العام والبحيرة الراكدة!

بقلم : عز الدين نجيب

انتهى المعرض العام السادس عشر فى صمت ، كما بدا واستمر شهرا فى صمت ، دون ان تواكبه حملة اعلامية او نقدية ، باستثناء ندوة يتيمة في مقر المعرض وبعض التعليقات الصحفية .

لوحة من أعمال الفنانة زينب عبد العزيز



المعرض العام
والبحيرة الراكدة!

وقد استوقفتني ، من بينها ، الكلمة التي نشرها الزميل الفنان احمد فؤاد سليم في عدد مايو من مجلة الهلال يصل فيها الى ان هذا المعرض يكتظ بالكم وبالاعمال التي سبق عرضها وحدد الاعمال الجديدة فيه باثني عشر عملا .. « وهي دلالة على ان المعرض لم يعد قادرا – على حد قوله – على ان يمثل مصداقية يعتد بها بين الفنانين .. » وبذلك يعود المعرض الى نفس الحال التي كان عليها قبل عام ١٩٨١ والذي سبق الكاتب ان اطلق تحذيره منه في مقال له بالهلال سنة ١٩٧١ .. « من محاولات بث واقع عقيم لحركة الفن المصري يكون فيه النشاط من السطح الظاهر هو المعيار » .. وسبب هذه الحال يرجع في رأيه الى النكوص عن فكرة المسابقة في المعرض العام ، وهي التجربة التي جربت في الفترة بين ١٩٨١ – ١٩٨٣ وشهد المعرض خلالها ازهى عصوره.. « غير ان الطبول الزاعقة – هكذا يقول الكاتب – نجحت في ان توقف المد الصحيح ، فان الذين كانوا قد اعتادوا على تساوي الرءوس ببعضها وجدوا انفسهم امام سباق هم غير قادرين عليه ، فاجتمع الزامرون ببعضهم وعلا الضجيج ، واستنهضوا سلطات المسئولين ممن لا يعرفون من تاريخ حركة الفن المصري ما يعينهم على اتخاذ موقع صحيح بين المختلفين .. »

والزميل الفنان احمد سليم قد اعتاد هذه النظرة الفوقية تجاه زملائه، باحكامه القاطعة وتنبؤاته التحذيرية، واحتقاره لمخالفيه في الرأي ، الى حد اعتبارهم « طبالين وزمارين » ، وبرفضه المشاركة في ندوات الرأي حول المعرض العام الذي يلعن مصيره اليوم ، وكان اخرها اثناء اقامة المعرض ، حتى انه يسمي احدى هذه الندوات التي اتخذت خلالها توصية بالغاء المسابقة من المعرض العام – :(اجتماع الزامرين ببعضهم)، في الوقت الذي كان هذا الاجتماع يضم اكثر من ستين فنانا تشكيليا وناقدا من مختلف الاتجاهات والاجيال والمستويات الابداعية في الحركة الفنية ، وقد طرح موضوع المسابقة في تلك الندوة للنقاش الموضوعي ، ثم اخذ الرأي حول الغائها بالتصويت الديمقراطي ، وتحولت التوصية الى قرار من لجنة الفنون التشكيلية تلبية لرأي الفنانين ، وليس .. « بتدخل من سلطات المسئولين الذين لا يعرفون ... الخ » !

وبنفس النظرة الفوقية يذكر ان عدد الاعمال الجديدة بالمعرض لم تزد على اثنتي عشرة قطعة فنية من بين ما يقرب من ٧٠٠ عمل فني ، دون ان يذكر لنا هذه الاعمال الاثني عشر ، وهو حكم لا يجد سندا يؤيده ، بل انه يتناقض حتى مع ما ذكره الكاتب في فقرة اخرى من المقال ، من ان الاعمال التي سبق عرضها تمثل ٩٥٪ من الاعمال المعروضة : (بما يعني ان عددها يمكن ان يصل الى ٣٥ عملا).. والطريف انه ذكر اسماء بعض الفنانين الذين قدموا اعمالا قديمة ،

وقد لاحظت ان بعضهم لم يشترك اصلا في هذا المعرض .. مثل الفنان عدلي رزق الله !

على اية حال فهذا شانه .. لكن ما يهمنا هو قضية المعرض العام ووضعه الراهن .. واذا كنت اتفق معه حول جموده وخلوه من الرؤى الجديدة ، فاننا نختلف كلية حول الأسباب وكيفية العلاج ، فان اسباب جمود المعرض العام في رايي تعود الى واقع الحركة الفنية نفسها،وماالمعرض العام الا تعبيرا عنهـا ، ذلك ان معروضاته هي نتاج خبرة الفنانين انفسهم على مدار السنوات الماضية :

فالجمود ، والتقـلب في قوالب نمطية ، امر لصيق بالحركة الفنية منذ عقدين من الزمان تقريبا ، وهو يرجع من ناحية الى الركود العام في الحركة الثقافية والاجتماعية،ومن ناحية اخرى الى عزلة الفنانين - أعني اغلبهم - عن قضايا الفكر والاجتهاد النظرى والموقف الاجتماعى ، وانغلاقهم - بدلا من ذلك - في قضايا الاساليب والصياغة التكنيكية ، واعتبار الاسلوب وحده هو بطاقة الشخصية للفنان ويرجع اخيرا الى لهاث الكثيرين منهم وراء تسويق اعمالهم ، مما يغذى حرصهم على تجميد اساليبهم التى اشتهروا بها لدى زبائنهم ، وبهـذا انحصرت رسالة الفنان العظيمة في ادنى حدودها ، وانحصر بالتالى التواجد الاجتماعى للفنان ، وضاقت قاعدته الجماهيرية الى درجة العزلة المريرة ، الامر الذى ادى بالفنانين ان يخاطبوا بعضهم البعض ، وأدى الى ركود بحيرتهم حتى اسنت مياهها .. والمدهش انهم لا يدركون ان هذه العزلة هى في حد ذاتها مأساة !

فاذا كان الامر كذلك ، فماذا تجدى اية مسابقة في تحريك هذا الركود ؟

ان جدواها لن تزيد على عملية تنفس صناعى محدود الاثر ، سرعان ما يعود الجسم بعدها الى همـوده ، وهذا ما حدث بالفعل اثناء وجـود المسابقة وبعده ، وهو ما شهد به ايضا مقال الكاتب .. ولنسال في « اى اتجاه كان ذلك النشاط المحدود خـلال فترة المسابقة ؟ .. لقد كان نشاطا شكليا بحتا ، هدفه الابهار البصرى للفـوز بالجائزة ، اكثر من ملامسة الرؤى الفكرية والجوهر الانسـاني ، فلما انتهى المنشـط المادى توقف حتى الاجتهاد الجماعى ، وعاد الجسم الى هموده وعلله المزمنة ، وفي احسن الاحوال : عكف الجادون على « تجويد الصنعة » دون الانتقال خطوة كبيـرة الى الامام .

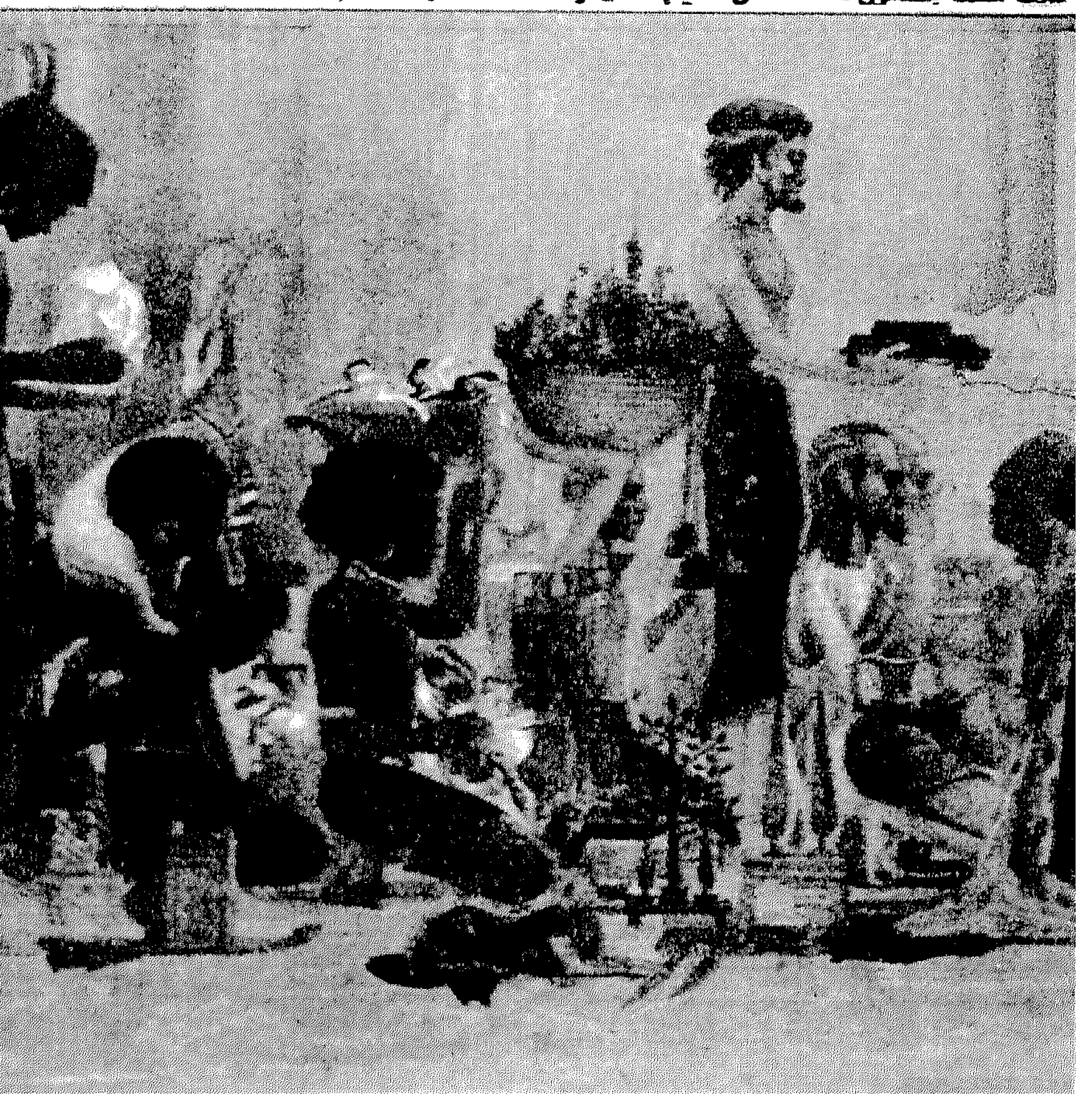
ولن اتحدث هنا عن كيفية تشـكيل اللجان التى كانت تمنح الجـوائز وتقتنى باعلى الاسعار ، وعن انحيازها لاتجاه دون آخر ، وعن الاثار الدامية في نفوس كثير من الفنانين المبعدين والمبدعين (بكل مقاييس الابداع وليس مقاييس السوق التى يشير اليهـا الكاتب) ، وجعل نفوسا اخرى تختصر الطريق بالسير في الاتجاهات السائدة املا في الفوز بشيء ما في ذلك السباق اللاهث .

وعلى ذلك : فان علاج المعرض العام - في رايي - يبدأ من علاج الحركة الفنية ، بل يبدأ من الفنان نفسه ،عندما يؤمن برسالة ويفكر ويموقف ، عندما يشعر بالانتماء والمسئولية تجـاه مجتمعه ، عندما يعذبه احساسه بالعزلة عن النـاس ، دون ان يلقى بالذنب عليهم وحدهم .. واخيـرا : عندما يمتلىء بالانفة والكبرياء تجاه اجهزة المنح والمنع ، وليس تجـاه شعبه المحروم الذى يفتقد الطريق اليه!

ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة؟

بقلم: مصطفى درويش

بلاط الملك إخناتون .. لقطة من الفيلم الذى يعده شادى عبد السلام



● كان اول فيلم عربى يبدأ وينتهى بكلمات ماخوذة من تراث قدماء المصريين .. كتاب الموتى " ألفا سنة قبل الميلاد " يبدأ بصور فرعونية يصاحبها صوت يقرأ تلك الكلمات يامن تمضى ستعود .. يامن تنام سوف تنهض يامن تموت سوف تبعث . فالمجد لك .

وينتهى - بعد اختفاء الفلك بمن عليه من فراعين - بتلك الكلمات :

إنهض فلن تفنى .. لقد نوديت باسمك . لقد بعثت ●

نفرتيتى كما تخيلها شادى عبد السلام





ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة ؟

وكان أول فيلم ناطق بلغة الآباء يعرض لحاضر مصر متصلا بماضيها على مدى آلاف السنين .

يعتز بميراث الأسلاف منذ اول يوم شهدت فيه الأرض مصريا

يعبر بصدق عن أزمة وعينا بما اقيم من ركائز الحضارة الانسانية ودعائمها فى ازمنة الفراعين .

● قدر الافلام الناجحة ●

وكان أول فيلم مصرى الجنسية ، عربى الهوية ، يتوج بجائزة عالمية " جورج سادول " (١٩٧٠) ، يعرض فى دار باريس بولمان - بلندن (١٩٧٢) ، يعتبر أحد أحسن عشرة افلام عرضت فى انجلترا خلال سنة ١٩٧٢ ، يختار فيلم الافتتاح لدار جان كوكتو بقصر مهرجان كان (١٩٧٤) ، يفتتح به نادى سينما طوكيو ، يطبع السيناريو الخاص به باللغة اليابانية ، تكتب عنه دراسة باللغة الفرنسية فى مجموعة " دوسيه السينما " يوضع ضمن أحسن الفى وواحد فيلم اختارها قاموس لاروس للسينما (١٩٨٦) من بين جميع الافلام التى اخرجت للناس منذ اكتشاف الاطياف (١٨٩٥)

كان " ليلة حساب السنين " لصاحبه " شادى عبد السلام " والذى اشتهر تحت اسم " المومياء " كل هذا .. واكثر لأنه الفيلم الذى رد اعتبار سينما الوطن العربى ، بأن أثار اهتمام نقاد الغرب بها ، دافعا بهم الى السعى نحو اكتشاف مجاهلها .

● يوم مولد ●

ولعل خير وصف لموقف النقد الغربى من ذلك وبخاصة السينما المصرية قبل المومياء ، هو ماجرى به قلم " ديليز باول " الناقدة الانجليزية المخضرمة فى العدد الاسبوعى لمجلة " السانداى تايمز " اثر مشاهدتها لفيلم " شادى " ، وقبل أن يهدأ انفعالها به .

" منذ زمن بعيد ، واثناء مشاركتى فى مهرجان كورك أسأت الى سمعتى ، عندما قهقهت ضاحكة فى تعال على فيلم مصرى أرادوا به أن يكون جادا

ولم يعدنى إلى الصواب الا تذكرة من جالس الى جوارى صدمه سوء سلوكى ، بأن مخرج الفيلم معنا فى قاعة العرض .

وعلى كل فقد كنت أظن أنه ليس ثمة مايدعو الى الاهتمام بما تعرضه الشاشة المصرية

غير أننى اكتشفت أن لزاما على أن اهتم .. واهتم . وعقب هذه الكلمات الطلقات التى استهلت بها الناقدة مقالتها عن " المومياء " عرضت له باعتباره الفيلم الذى غير من نظرتها الى السينما المصرية ، وجعلها تهتم وتهتم !!

● سكرة فصحوة ●

وتأكيدا لهذا الطابع المتميز الذى انفرد به المومياء حتى اصبح أشهر فيلم عربى ، وواحدا من نفائس السينما العالمية ، استهل الناقد الفرنسى " كلود ميشيل كلونى " دراسة له مدارها فيلم " شادى " بالكلمات الاتية " طابعه

الغريب ، بل واسلوبه يجعلان تصنيفه امرا محالا ،

واستطرد قائلا : الذى لايرقى إليه الشك أن هذا العمل يتميّز بقدرة على الابهار ، وذلك بفضل أسلوبه البليغ ، وجماله الشكلى ، وقبس النور الذى بعثه " شادى " من ظلمة الليل البهيم كيما نرى فى ضيائه مصر الخالدة .. مصر التى تحلم وتتحرك

والى حدّ بعيد كان من الممكن اعتبار المومياء فيلما غير مصرى لولا أن مصر تقيم فى ثناياه بماضيها ، بديكورها ، بواقعها ، بتمزقاتها

تعبر داخله عن تفردّها

" وشادى " يسافر بنا فى فيلمه الى ماض مرتد آلاف السنين " العصر الفرعونى " ، .. يوجّه بصرنا الى تلك الهوة السحيقة بين مصر المدينة وبين مصر القرية ، ينتقل بنا عبر زمن يبدو ساكنا لايتحرك .. زمن يجرفنا بشاعريته ، يسحرنا ليشهدنا على قطيعة مفاجئة ، على مولد عصر جديد كل الجدةّ ، هذا العصر الذى يرغبه " وانيس " ، يسعى اليه مدفوعا بالبصيرة

والمومياء قصيدة ذلك الصراع ، وليس صدفة ان الفيلم ينتهى بصور للنيل يطل عليه الفجر .

● اشعة فى غمام ●

ثم تطرق الناقد الفرنسى الى اخراج " المومياء " فقال عنه انه مختلف عن اسلوب الاخراج السائد فى السينما العربية حيث تختلط الواقعية بالاستعراضات الغنائية والترفيهية . هذا وبفضل توازن محسوب بين الشعر وبين عنف الموضوعات المطروحة ارتقى " شادى " بفيلمه - بعد ان صفّاه من كل شائبة الى مستوى قريب من العبادة

ان المومياء بجمال تشكيله ، وعطر شعره ، فيلم له مقام خاص سواء فى السينما العربية او بين المدارس الغربية

انه يعبّر دون ريب عن بعض جوانب الروح المصرية ودخائلها باسلوب يتّسم بالابتكار الاخّاذ

● الكهوف المظلمة ●

ورغم كل هذا المديح والاطراء ، ظل " المومياء " - بعد عرض يتيم له فى نادى سينما القاهرة ، ليلة السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٩ - ظل حبيس توابيت العلب فى مؤسسة السينما ، مكتوبا عليه : الا يعرض داخل مصر زهاء خمسة اعوام

ولعل خير بيان لمحنة " شادى " أولا مع فيلمه الاول " المومياء " وثانيا مع مشروع فيلمه " اخناتون " هو ما كتبه الناقد الانجليزى " نيجل أندروز " فى عدد الربيع ١٩٧٣ من مجلة السينما الفصلية " سايت آند ساوند " (صورة وصوت) فعنده " **انه ليس ثمة ما يستطيع ان يجسّد اوهام النجاح فى مجال السينما خيرا من حالة شادى هذا المخرج الذى حيّته الاقلام رات فيه أملا للسينما المصرية .**

ورغم ذلك فلا يزال مشتبكا فى معركة طويلة مريرة من أجل الحصول على دعم لمشروع فيلمه الجديد " اخناتون " ثم تطرق الناقد الى ماضى صاحب المومياء ، فقال انه نجح فى تمويل فيلمه الاول بفضل

ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة؟

حماس " روبرتو روسيلليني " ورعايته له ، ذلك أنه ما أن قرأ المخرج الايطالي مشروع السيناريو الذى كتبه شادي لفيلمه " ليلة حساب السنين (المومياء) ، الا وكان قد بادر بالتصديق على طلبه فتح اعتماد حكومى ابتغاء إخراجه .

ومع ذلك ، ورغم كل النجاحات التي أحرزها في العديد من المهرجانات الدولية . لم يحصل الفيلم على حق العرض في مصر إلا منذ وقت قريب جدا

● ثمن الخوف ●

وأغلب الظن أن سبب ذلك انما يرجع الى ان أولى الامر في حقل السينما . يسيطر عليهم الخوف من تشجيع صانع فيلم يبدو أن اهتمامه منصب على ماضى مصر ، دون حاضرها ، ولاتحمل مشاريعه بصمة النجاح التجارى الاكيد

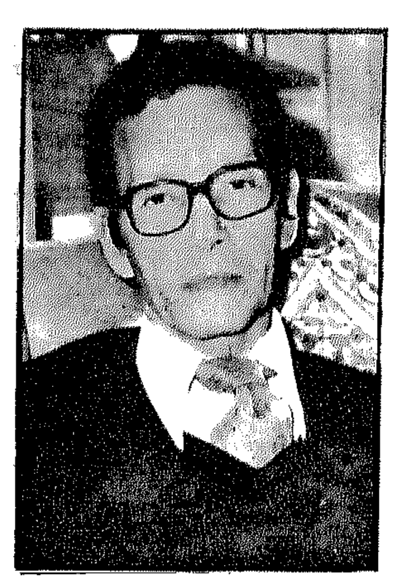
ومهما يكن من الأمر ، فإنه لمما يحزن أن يهمل شأن اخناتون ، فلا يكتب لمشروعه أن يرى النور ، لاسيما إذا وضع في الاعتبار أن صاحبه قد اعد للفيلم ما استطاع ، فكتب السيناريو ، وهيأ الديكور ، واختار الممثلين للأدوار .



صورة متخيلة لاخناتون الذي يحاول المخرج أن يجعله يرى النور



نادية لطفى فى فيلم المومياء



شادى عبد السلام

لم يبق سوى أن ينتظر موافقة هيئة السينما على تمويل ميزانيته التى تقدر بمبلغ لايزيد على مائة ألف جنيه

وقصة الفيلم تدور أحداثها فى عهد إخناتون الذى كان أول فرعون يؤمن بالتوحيد ، فيثور على ما كان يعتبر من السنّة فى أيامه ، ويبتدع دينا جديدا قوامه عبادة الشمس . وعادة يوصف اخناتون بانه اول فرد فى التاريخ

● عصيـــان ●

ولا عجب فى هذا ، فهو الملك الذى تمرّد على الاهتمامات القديمة لدين لم يكن له من شاغل سوى الموت ، وما بعد الحياة ، وتحوّل عنه إلى الايمان باله واحد ، خيّر ، وهاب للحياة .. الشمس .

والفيلم يعرض للصراع بين اخناتون ، وهو يزداد عزلة بهرطقته ، وبين قوى السنّة الباغية متمثلة فى الكهان ورجال الجيش ، تنتظر فى صبر نهاية فرعون ابتغاء اعادة الاستقرار الدينى والسياسى الى البلاد بالارتداد الى عبادة أمون .

وامكانات القصة الدرامية والمقابلات والدلالات العصرية الكامنة فيها لاتحتاج الى مزيد من بيان

ومما يدعو الى الاسف ان تترك هيئة السينما المصرية شادى منتظرا المن فى برد العراء ، وذلك رغم انه الوحيد بين صانعى الافلام فى مصر الحاصل على تقدير عالمى ، فضلا عن ان الايام قد اثبتت انه على مستوى عال من الاحساس الفنى ، وصاحب قدرة فائقة على الابداع من خلال التحكم فى الصور المتحركة

● العجب العجاب ●

وللحق ، فانه لمن سخرية الاقدار ان تكون صناعة السينما فى مصر ـ هذا البلد العريق صاحب الرصيد الحضارى الذى

ليلة حساب السنين
جريمة أم وليمة ؟

يعتبر من أغنى ارصدة العالم - دوما فاشلة في السحب من هذا الرصيد

ومضى الناقد قائلا يحكى انه لما سمع العالم الانجليزى " سيريل الدود " المتخصص في دراسة الحضارة المصرية القديمة بمشروع إخناتون صاح متعجبا " فيلم عن مصر القديمة لمخرج مصرى .. يا للغرابة " !!

ولسوء الحظ كانت دهشة العالم الانجليزى في محلها ، فأحد من المحيط الى الخليج لم يهتم او يهتز لما كتب عن مشروع اخناتون .

ولم يسهم احد بكثير أو قليل في مجالات إحياء المشروع والتحول به من حلم الى فيلم .

ودارت عجلة الزمان مع شادى ، واذا اخناتون - بعد سبع عشرة سنة من اخراج فيلمه الاول " المومياء " لايزال في علم الغيب .. لايزال قضية بلا حلّ

● لمـــاذا .. ؟ ●

والآن يحق لنا ، بل يحق علينا ، ان نتساءل لماذا بعد كل هذه السنين التى صرفت في البحث التاريخى والاركيولوجى .. في صنع المجوهرات . الصولجانات ، الملابس ، الأثاث ، عربات الحرب والمراكب الملكية .

في إعادة بناء المعابد التى لم يعد لها وجود والمقابر التى اغتصبت منذ أمد بعيد

لماذا بعد كل هذا الذى بذل من اجل بعث اخناتون الفرعون المنتمى الى الاسرة الثانية عشرة ، والذى خرج على دين الآباء والأجداد ليقيم عبادة جديدة جوهرها تقديس قرص الشمس

لماذا بعد كل هذا الوجد والتفانى والمعاناة ، لم يستطع صاحب " المومياء " ان يتغلب على قوى الظلام ويخرج باخناتون الى النور ؟

● بصيص من نور ●

بادىء ذى بدء قد يعين على الوصول الى اجابة عن كل هذه الاسئلة ، ذكر ما جرى لصاحب هذه السطور مع المومياء ومبدعها وقت أن كان رقيبا (١٩٦٧)

في يوم مشحون بالعمل - ودون موعد - جاء الى مكتبى بالرقابة فنان خمرى اللون ، ممشوق القوام ، يتأبط سيناريو ..

رجانى في استحياء شديد أن أقرأه .

فلما اغرانى حب الاستطلاع على تصفحه ، وانتهيت من قراءته : دهشت من سمو موضوعه ، وشموخ بنائه الدرامى . وهو امر لم أعهده من قبل في اى عمل سينمائى محلّى مرّ وانا رقيب

● تصفيـــات ●

والغريب أنه فور انبهارى به ، تحدثت الى هاتفيا رئيس مجلس إدارة شركة الانتاج السينمائى الذى كان يمقت الفن السابع مقتا شديدا ، طلب الى عدم الترخيص بعمل فيلم من سيناريو " شادى " انقاذا لمؤسسة السينما من

كارثة إنتاج فيلم غير جماهيرى ليس من ورائه سوى الخسارة ووجع القلب .

ترددت محرجا ، ثم رددت قائلا ان السيناريو لا ينطوى على موانع رقابية تحول دون الترخيص به واذا به يفجؤنى مصححا

لا .. انه فيلم ضد البلد .. عن امجاد الفراعنة .. معاد للقومية العربية !!

ومما قد يعين كذلك فى عملية البحث عن اجابة ، الغوص فى اعماق " المومياء " هذا الفيلم الفريد .

الاكيد اننا لو اوغلنا فيه سعيا الى المحور الذى يتحرك عليه من بدايته الى نهايته لوجدنا فى اعماقه قوى متعددة تتصارع .

● بين عالمين ●

وقد يساعد على فهم هذه القوى أن أحداث الفيلم تبدأ قبيل الاحتلال البريطانى لمصر بأشهر معدودة

فاذا ما انتقلنا بها الى عرضه اليتيم فى السادس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٩ - اى قبل وفاة جمال عبد الناصر بتسعة شهور الا قليلا - لاتضح لنا ان الفيلم انما كان يتنبأ بقرب انتهاء الحقبة الناصرية ، وبداية هجمة أحفاد بلفور والاتباع الدائرين فى فلك وعده المشئوم .

ومن العلامات الدالة على ذلك أولا وجود الخبراء الاجانب كماسبيرو الذى يبدأ به الفيلم ، وغلبة افكارهم غير الانسانية التى تجعل الاولوية للآثار كمقتنيات للمتاحف بالتضحية بالفلاحين ومصيرهم ، ثانيا طبقة أفندية القاهرة (الفئة المتحضرة المتفرنجة) - علماء التنقيب والتجار والشرطة - تعيش فى فلك الاوربيين متعاونة معهم ضد الشعب الذى تستمد منه الحياة ، ثالثا الأهالى يمارسون حياتهم اليومية مسلمين حنفاء متمسكين بالتقاليد ، ومع ذلك فمعيشتهم قوامها السرقة والاهدار للتراث رابعا " ونيس " بطل الفيلم يعى الفرق بين الخطا والصواب ولكنه فى حيرة من امره ، كيف يختار .. أيختار ان يعيش ابنا بارا للقبيلة حافظا سرها ، وخارجا على القانون ؟ ام يكشف السرّ لسلطات القاهرة الكريهة ؟

وهكذا .. وهكذا .. نجد انفسنا امام فيلم ملىء بالرموز والدلالات .. بالاسئلة التى يطرحها حول مشاكل مصر المعاصرة .. حول ماضيها الفرعونى والهوّة السحيقة بينه وبين ثقافتها الاسلامية المفرغة من مضمونها .. حول اطلالها على الغرب وهويتها العربية ومعاناة التوفيق والاختيار .

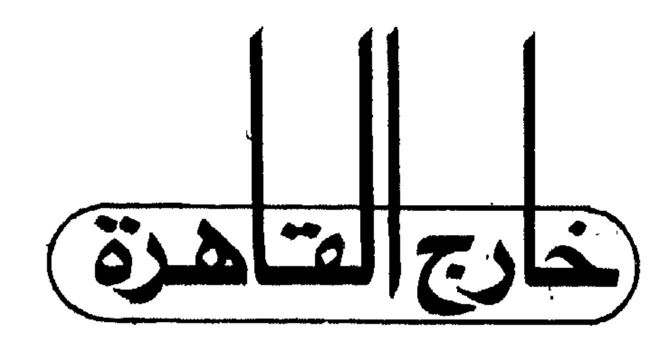
● البعث ●

وطبعا فيلم يمثل هذا المستوى الرفيع من الوعى وطرح الأفكار لا يمكن ان يتكرر فى السبعينيات .

إنه جريمة لابد ألا تحدث مرة ثانية ، ولابد ألا تتاح لمرتكبيها فرصة إخراج فيلم آخر لاسيما اذا كان مداره سيرة اخناتون ، اى الاستمرار فى هرطقة المومياء

وبعد فاذا كان فيلم شادى فى نظر المرتجفين المرتعدة فرائصهم امام المعرفة جريمة

فانه فى نظر الواقفين فى كبرياء امام علامات التاريخ ابتغاء فك رموزها قراءتها ، تمثلها وليمة لا مثلها ، ولا قبلها وبعدها وليمة ، بها نعرف ننهض لانفنى . نبعث احياء



في لقاء مع صاحب آخر صحيفة إقليمية في مصر

هموم الناس قضيتى الأولى

تحقيق : عبده جبير

من الذى يرسم لنا ادوارنا فى الحياة ، هل هى الصدفة أم القصد ، الرغبة أم الموهبة ؟ وما الذى يدفع بشاب يافع فى السابعة عشرة من عمره ، يعيش فى مدينة صغيرة منزوية الى ان يضع على كاهله مهمة من مهام العمل العام ، دون أن يفكر لحظة فى الخروج من هذه المدينة الصغيرة ، الى العاصمة ، كما يفعل الطامعين الى الوصول لموقع النجومية ؟ .

● هذه الاسئلة وغيرها لابد أن تخطر ببالك وأنت تلتقى لاول مرة بهذا الشيخ الجليل الذى خطه الشيب ، ولا يزال يجلس خلف مكتبه العتيق ، تحيط به عشرات الملفات ، وبروفات صفحات جريدته التى كرس لها حياته ، على الرغم من انها لم تعطه سوى الاحساس الجميل البسيط بانه قام بدوره الايجابى فى هذه الحياة كاملا . يقول زكريا الحزاوى :

« لو سألتنى هل أنا نادم على شىء ، لقلت : ابدا . لو قلت لى هل اذا عدت الان شابا من جديد فسأختار نفس الحياة ، لقلت : « نعم » .

تحس طوال الوقت بأنه سعيد ، هذه السعادة الخفية الهادئة التى يعيشها اولئك الذين قضوا حياتهم من

جمال عبد الناصر اثناء زيارته لمقر جريدة اخبار دمياط

صاحب الجريدة يتابع العمل بنفسه داخل المطبعة



اجل الاخرين ، لم ينتفعوا من مشاكل الناس ، بل ساعدوا على حلها ، لم يهتم بمشاكله الشخصية بقدر ما اهتم بحق كاد يضيع ، أو ظلم ساعد على رفعه عن كاهل مظلوم ٠

ـ « انها رغبة خفيـــة تلك التى تلبستنى وانا صغير لان أكون مراسلا صحفيا ، هكذا ، فقد كنت أتطلع ـ لا اعرف لم ـ للمراسل باعتبـــاره من طينة أخرى ، شخصا ذا حيثية يذهب اليه الناس سائلين قضاء حوائجهم ، وبدأت بارسال مقالة الى الاهرام ، فنشرت ، فعززنى ذلك ، لدى الـكل ، فبدأت النشر فى صباح الخير ، وآخـر ساعة ، والصباح ، والبـلاغ ، ودار الهلال ، التى كنت مندوبها الوحيد ، بعد ذلك ، حتى انشأت الجريدة » ٠

● صفحة من التاريخ ●

وهذه « الجريدة » هى حياته كلها ، « أخبار دميـــاط » التى لم تكن أول صحيفة فى هذه المدينة ، ويحـــكى زكريا الحزاوى ، صـــفحة من تاريخ الصحافة الاقليمية التى لم يكترث بها أحد من قبل :

ـ« عام ١٩٣٦ انشأ المرحوم « محمد عطية الحـــريرى » جريدة تحـــت اسم « دمياط » ، وكان يرأس تحريرها شاعر دمياط المرحـــوم « على عـلى العزبى » والد الاستاذ رجاء العزبى الذى كان يرأس تحرير مجلة الاذاعة، وكان الحريرى يعمل بالتجارة ، وبعد موت على العزبى اتفق معى أن أرأس تحريرها ، وأعطانى نصف امتيازها، لكى أقبل اغراءه ، وظللت بها حتى ١٩٤٩ عندما فكرت فى اصدار صحيفة خاصة ، وكانت أخبار اليوم قدصدرت وراجت نتيجة للحكايات التى كـانت تنشرها عن الملك وأفاعيله ، نشغفت بهذا النجاح ، وعزمت على أن أسميها، « أخبار دمياط » ، وبالفعل ، ذهبـت الى صديقى « اميـــل زيـــدان » فى دار الهلال وطلبت مساعدته للحصول على ترخيص، فاتصل بالمرحوم «حسين سرى باشا» وزير الداخلية (ورئيس الوزراء) ووافق حسين سرى ، وفى اليوم التالى صدرت الصـــحف وفيها خبر منحى الترخيص ٠

لم يكن للصحيفة السابقة « دمياط » مطابع ، بل كانت تحرر هنا وتطبـــع فى المنصورة ، لكننى اشتريت مطبعة مستعملة من جريدة المقطم ، كما أن جورجى زيدان أهدانى واحدة ، وهذه احتفظ بها ، لانها أثر تاريخى مهم فهى أول مطبعة طبعت عليها الهلال

● قواعد العمل ●

●● هذا هو الشكل ، لكن مـــاذا عن المضمون، هل خطر ببال «المراسل» الصحفى ، مثلا ، أن يضع لصحيفته، قواعد ، أو لنقل سياسة ما ؟

ـ « نعم ، أول قاعدة اقمت عليهـا الجريدة هى الا أوزعها مجانا قط ، لا أعطيها مجانا لاى شخص أو جهة، لماذا ؟ ٠ لان من يدفع ثمن الصحيفة يتعامل معها بشكل اكثر احتراما ، يقـــدرها ويقرؤها ، من الجـــلدة للجـــلدة !

٠٠ آه ٠ القاعدة الثانية : (واعتقد انها قاعدة خاصة بالصحف الاقليمية ، اكتسبتها من خبرتى) هى الا أوزعها مع باعة الصـــحف ، بل بناء عـلى اشتراكات مسبقة ، واترك عددا فى المقر لمن يريد أن يبتاعها ٠ لمـــاذا ؟ لاننى اكتشـــفت أن أهالى دميـــاط

يستعيرون المصحف من الباعة ويقرءونها ثم يعيدونها فيحالة سيئة».

● تبني المشكلات الحيوية ●

●● وماذا عن المبادىء التي تبنتها الصحيفة ، هل كانت ـ قبل الثورة ـ تابعة لحزب ما ؟ هل انحازت لاتجاه دون الآخر ، أو لكاتب دون الآخر، وما هو موقفها من المواهب الجديدة؟.

ـ يجيب « الحزاوي » :

« أول المبادىء هو تبني القضايا الخاصة ، بالمدينة ، كان هناك ـ مثلا ـ مصنع للنسيج في دمياط نقل الى حلوان ، فظلت تطالب بعودته ولم تكف من هذه المطالبة حتى عاد في عام (١٩٦١) ، ثم كان مطلب ميناء دمياط الذي تحقق أخيرا . هكذا ترى أن المبدأ هنا مترجم في أشياء محددة لخدمة المدينة ، وبالنسبة لمسالة الحزبية ، فأنا لم انتم لاى حزب من الاحزاب ، ورأيي ان الصحفي يجب الا ينتمي لاى حزب ، لان ذلك يجعل الصحيفة معلقة بوجود الحزب، وهاهي «اخبار دمياط» استمرت وانتهت الاحزاب ، وانتهت حكومات . ومن مبادىء أخبار دمياط ايضا انها لاتنشر المديح ، أو الهجاء وكانت تحرم على نفسها دائما قبل الثورة وبعدها ذكر الالقاب ، وأنا مدين بهذا المبدأ لتوجيه صديقي وزميلي الشاعر طاهر ابوفاشا، اما بالنسبة لتبني المواهب، فكل الكتاب والشعراء والفنانين الدمياطيين بدءوا خطواتهم الاولى في «أخبار دمياط» ولا اذكر العدد الان ، لكن يمكنني ان اقول ان اخبار دمياط تشرفت بأقلام كثيرة ، منها سليم حسن وعبدالرحمن الرافعي ، ومحمد زكي علي ،وصبري ابو علم ، وأحمد الالفي عطية ، وسعد الدين عبد الرازق ، وعبد الوهاب شبانه ، ويسرى الصوان ، وعبده حسن الزيات ، ومحمد حسن الزيات الذي يكتب فيها حتى الان كلما سنحت له الفرصة ، علاوة على صديق الطفولة طاهر أبو فاشا الذي يكتب افتتاحية الجريدة منذ انشائها وحتى الان » .

● دائما في الميدان ●

منذ انشائها وحتى الان لا تزال اخبار دمياط « تجمع » حروفها باليد وتطبع بنظام التيبو ، ويتعاون في تحريرها عدد من الكتاب الدائمين من ابناء المدينة ، كما تقوم بتغطية اخبارية شاملة للاحداث المحلية الثقافية والسياسية والاجتماعية ، ونتيجة للدور الذي يقوم به صاحبها كمرجع لاصحاب المشاكل يساعدهم على حلها فان مقر الجريدة لا يكف عن استقبال أصحاب المطالب الذين يحملون لها الاخبار ويجعلونها دائما في الميدان ، كما ان ارتباطها بالناس يمتد خارج الحدود.

يقول زكريا الحزاوي :

« تتميز مدينة دمياط بهجرة عدد كبير من أهلها الى بلاد الدنيا ، وكثير منهم يعمل في البلاد العربية ، كما ان عددا كبيرا منهم يعيش مهاجرا في أمريكا وأوربا وحتى استراليا لذلك فاننا نهتم بأخبار هؤلاء المهاجرين، كما انني لا ارفض اشتراكا لدمياطي مهاجر ، وتجد اغلب اشتراكاتي في بلدان كثيرة في العالم ، كما انني جعلت من مصيف رأس البر محورا لربط المصطافين بالجريدة ، الامر الذي يجعلها مرجعا مهما لكل من تربطه صلة أو لديه رغبة في معرفة أحوال رأس البر » .

صدر اول عدد من اخبار دمياط في ١٧ اكتوبر عام ١٩٤٩ ، وطبع منه ، ولفترة طويلة مضت (٨٠) ثمانون نسخة ، تزايدت مع مرور الزمن لتصل الى عدة الاف ، ما هو الرقم الذي



وصلت اليه ، وما هو عدد المشتركين، يرفض الحزاوى الكلام فى هذه النقطة ويقول انه سر الصحيفة .

●● وكان لابـد من الكلام عن الرقابة ، المشكلة التى كانت دائمـا ترتبط بالصحافة .

ـ يقول الحزاوى :

ـ لم تتعرض « اخبار دمياط » لاى مشكلات حقيقية مع الرقابة الا فى فترة خاضت فيها معركة اثر مطالبتها بقطعة أرض ملحقة بمنزل البلدية الذى يسكنه المحافظ كى تبنى فيه مساكن للعمال ، فعادانى المحافظ فى ذلك الوقت ـ فى الستينيات ـ وسلط على الرقيب الذى تشدد فى منع كثير من المقالات ، لكننى أخذت كل ما شطبه وذهبت الى « موفق الحموى » الرقيب العام ، الذى اجازها جميعا .

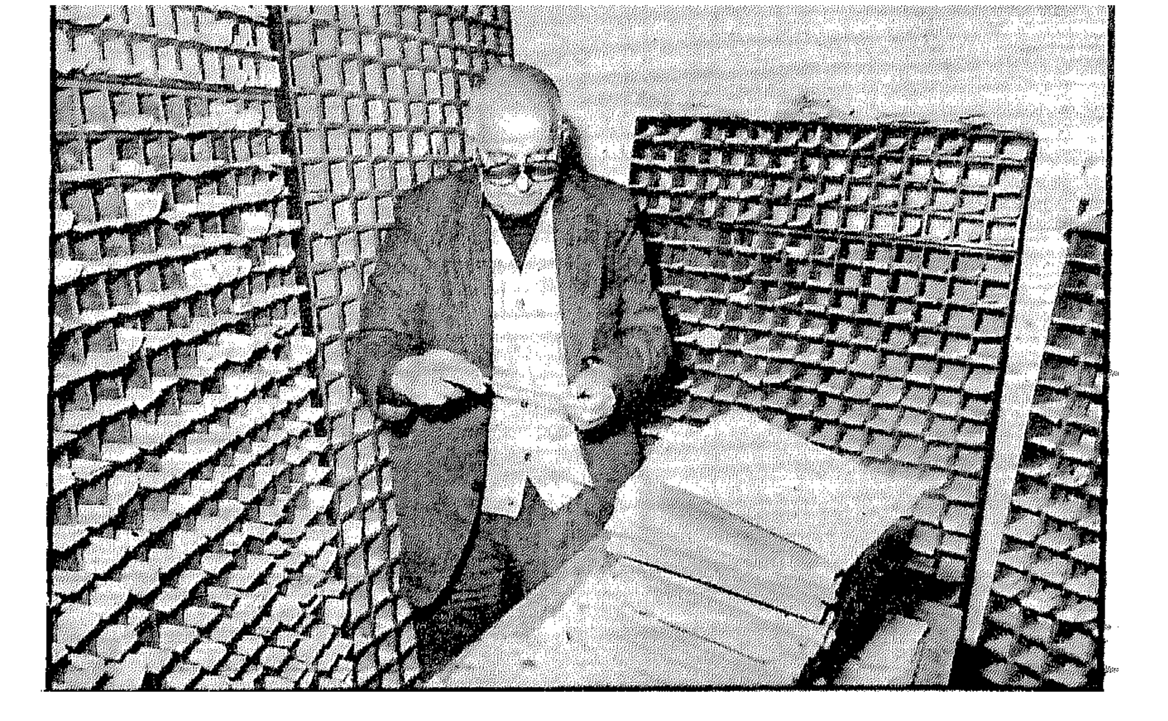
●● هل تتلقى الصحيفة عونا من أحد ، وهـل تلقى « الحزاوى » تقديرا من الجهات المسئولة ، حتى ولو كرائد من رواد الصحافة المصرية :

ـ يقول الحزاوى : اعتمدت دائما على نفسى وعلى أهل بلدى ، لم أتسلق معونة من أحد ولم اقبل اى رشاوى كما اننى بطبعى لا أحب النياشين او اكاليل الغار . اعتمادى قائم على ما تحصله الصحيفة من مشتركيها ومن المعلنين من اهل البلد ، وعلى العمل القدير والصمود فى وجه المتاعب ، وحب الناس لى هو النيشان الاكبر الذى اعتز به .

● الخطأ القاتل ●

وفى النهاية يحكى الحزاوى حكايات تكاد لا تنتهى ، حكايات عن المهنة ، وعن الناس ، وعن « المقالب » التى

مع الاستاذ طاهر أبو فاشا الذى عمل فى جريدة اخبار دمياط منذ صدورها حتى الآن



داخل حجرة الاشتراكات .. التاكد من إرسال الأعداد الى المشتركين

لا أعطى جريدتى مجاناً قط .. ولم أنتظر أكاليل الغار من أحد ..

صادقته ودفع ثمنها ، ويقول الحزاوى :

« كان عبد الناصر سيلتقى بالرئيس السودانى فكتبت عنوان الجريدة « المانشيت » لقاء الاشقاء ، ولم انتظر صدور العدد لامر شغلنى ، فاذا بالمطبعجى يخطيء ويجعلها : « لقاء الاشقياء » وقامت الدنيا وكان على ان ادفع الثمن والم المطبوع »، واصدر العدد بعد التصحيح ، لذلك فاننى اجد نفسى مرتبطا بالجريدة من الصباح الى المساء لا اغادرها تقريبا .

ومن الحكايات التى لا أنساها حكاية الدمياطى الذى يعمل فى الجزائر مدرسا ويكتب من هناك رسائل كنا ننشرها ونرسل له العدد الخاص به كمشترك ، فاذا بالسلطات الجزائرية تستدعيه فى الهزيع الاخير من الليل، وتقول بانهم حجزوا الجريدة القادمة اليه من مصر ، فيصاب بالهلع، لكنهم يقولون له اننا نريد منك أن تصدر لنا جريدة على نسقها وهذا هو سبب استدعائك ، فيعتذر الرجل موضحا انه ليس لديه خبرة فى أنشاء الصحف وكل ما يقوم به هو الكتابة لها .

هكذا يقول الحزاوى ان الجزائر كانت تتمنى ان يكون لها جريدة على غرار « اخبار دمياط » ، وكان لابد لنا من الوصول الى النهاية . لكن المؤسف فى الامر ان «اخبار دمياط» ستتوقف يوم يتوقف قلب زكريا الحزاوى الكبير عن النبض لان « امتياز » الصحيفة مرتبط بوجود صاحبها ، لذا فاننا نرفع ايدينا الى السماء بأن يمد الله فى عمره حتى تستمر « أخبار دمياط » آخر صحيفة اقليمية فى أرض المحروسة مصر



مسرح

المهرجان الحادى عشر للمسرح الجامعى

وسط تفاقم مشكلات المسرح المصرى ، جاءت مسابقة المسرح الجامعى هذا العام ، والتى ينظمها المجلس الاعلى للشباب والرياضة لكى تدفع بعض الحركة فى الاوصال التى اصابها الشلل ، ولكن سرعان ماخبت الانوار وعم الصمت ، اذ أن الليالى محدودة والعرض - حتى لو كان متميزا - لا يتم الا مرة واحدة !

ولكن نتيجة المسابقة هذا العام حملت العديد من المفاجآت وكانت كالتالى :

- الفائز الاول عرض « مشعلو الحرائق » لجامعة القاهرة .. اخرجه احمد مختار

- الفائز الثانى عرض «ياطالع الشجرة » لجامعة طنطا ، اخرجه محمد المصرى

- الفائز الثالث عرض «المهرج» لجامعة المنصورة ، اخرجه احمد عبد الجليل

- الفائز الرابع عرض «شمشون ودليلة » لجامعة حلوان، اخرجه هشام جمعة

- الفائز الخامس عرض « العادلون » لجامعة عين شمس، اخرجه ياسر ماهر

والمفاجأة فى هذه العروض انها جميعا شبابية لمخرجين جدد رغم أن التنافس كان بينهم وبين نسبة من المخرجين المحترفين الذين يمارسون الاخراج منذ سنوات طويلة

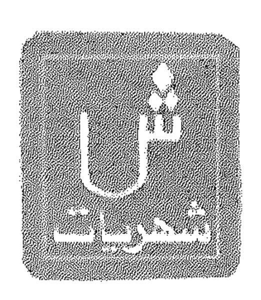
واهم الظواهر التى ملاحظتها فى مسابقة هذا العام اعتذار بعض الجامعات عن الاشتراك لاسباب مجهولة - جامعة طنطا - واخرى معلومة - معظم جامعات الصعيد - بسبب الجماعات الدينية المتشددة التى ترى أن المسرح رجس من عمل الشيطان !

تزامن اقامة العروض التى تبدأ تصفياتها مع الاستعداد لامتحانات نهاية العام مما يؤثر بشكل كبير على العروض ، بل على ممارسة النشاط ذاته .

وقد سألنا الناقد حسن عطية والمخرج الشريف خاطر عضوى لجنة التحكيم العليا عن أهم ملامح مهرجان هذا العام، فاتفق الاثنان على أن الميزة الاولى » هى طرح الرؤى التقدمية والوطنية بشكل واضح وان جاء ذلك فى بعض الاحيان على حساب النواحى الفنية والجمالية ،ولكن العروض الناجحة والتى وصلت الى المستويات الاولى ، هى عروض لشباب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، يتعامل مع المسرح كرسالة وكقضية وكقيمة فنية ،ويضيف حسن عطية : انه فى غيبة العروض المسرحية الجادة والمتميزة فى مسرح الدولة والمسرح التجارى وفى تعلق الاعمال بالتراث القاهرى فان عروض الجامعة هذا العام تميزت بثراء داخلى كامن خلف بساطة اللغة المستخدمة و«الفقر»

الامكانيات مما يؤكد على ان المسرح الجامعى بقدرته على الخلق والابتكار والتصدى لقضايا الوطن ، هو البديل المطروح حاليا لهذا التردى فى مؤسسة المسرح والتخلخل الحادث فى مسرح الثقافة الجماهيرية وانهياره فى القطاع الخاص ، كما يثبت ان الرؤى المطروحة حاليا فى بعض مؤسساتنا مثل المجالس القومية المتخصصة التى ترى ضرورة تقليص نشاط المسرح الجامعى ، هى رؤى فاسدة بالضرورة ، وان المسرح الجامعى ليس مجرد نشاط ترفيهى يبعد الطالب عن مواده التلقينية وانما هو نشاط تعبيرى اصيل يتعلم فيه الشباب القدرة على التصدى لقضايا المجتمع والفهم الصحيح والتحاور والاحترام المتبادل للراى الاخر » ولكن الشريف خاطر يرى ان الظواهر التى تحدث حاليا فردية ، وان المسرح الجامعى لن يستطيع ان يحقق الغرض المأمول منه الا اذا هيىء له المناخ الذى يوفر الظروف الصحية السليمة لاثبات وجوده واستمراريته ، وبينما يعترف الشريف خاطر باستفادته من مخرجى العرضين الفائزين بدرع الجامعات « احمد مختار ، محمد المصرى » فانه يتفق مع حسن عطية على ان كلا منهما استطاع ان يقدم رؤية تفسيرية جمالية للعمل المسرحى ، فضلا عن قدرة كل منهما على صياغة فنية تشكيلية بارعة ، يلعب فيها الطالب دورا مذكرا ومجسدا لتلك الافكار التى يؤديها بكيانه كله وليس فقط بالصوت الزاعق كغالبية عروض المسرح الجامعى فى السنوات الاخيرة ، وان العرضين قد حققا طفرة متقدمة فى المسرح الجامعى حيث اكدا ان الفن المسرحى هو قيمة جمالية وفكرية





مما وذلك بابسط الحلول والامكانيات المادية مما يتطلب ضرورة أن يتبنى المجلس الاعلى للشباب والرياضة هذه العروض ويقدمها فى جامعات مصر بالكامل ويمكن استضافتها بالثقافة الجماهيرية ؛ لضرورة التعرف على تلك التجارب التميز فى المسرح والتى تعد رافدا اساسيا لحركة المسرح المصرى ؛ ولكشف من مواهب جديدة تؤكد على ان الواقع المتردى ليس بالضرورة غير منجب للمواهب ، وانما الحوار والجدل مع هذا الواقع قد خلق اجيالا متعاقبة تملك امكانية أن تتحمل مسئولية النهضة المسرحية المرجوة ..

فهل يرد هذا على الذين يطالبون بتقليص دور المسرح الجامعى ، وهو شئنا ام ابينا دور هام فى السلوك والثقافة بمعناها الواسع توازى الجانب العلمى والمعرفى المنتظر من قبل الجامعة .

محمد الشربينى

عبد المحسن صالح .. وداعـا .

فى صمت رحل عن عالمنا . بلا سابق انذار ، توقف قلب رجل كان يملأ احاديثه بهجة وسطوره علما ؛ صاحب قلم من قلة من الكتاب الذين وضعوا على كاهلهم مسئولية نشر الوعى العلمى فى أوساط القراء على نطاق واسع ، من أجل محاربة السلوكيات المتخلفة التى نمارسها لاننا لم نتلق بالقدر الكافى ما يفيدنا من العلم ، او لاننا تلقيناه فى قاعات الدرس كمعلومات جامدة .. لكننا فى حياتنا نأتى ممارسات قائمة على أسس غير علمية بالمرة.

كان عبد المحسن صالح واحدا من هؤلاء الكتاب الذين شهدت ساحة الصحافة المصرية والعربية جهودهم ، نذكر منهم اسماعيل مظهر واحمد زكى وعبد الحليم منتصر وغيرهم .

رحل الرجل فى هدوء كانما ارادت خلاياه أن تتوقف دون ان تسبب ازعاجا لمن حولها ؛ رحل بايمانه القائم على العقل والمنطق، فهو يرى فى ابسط الظواهر الطبيعية تجليا لقدرة الخالق عز وجل . انه يقول : « ارى الله فى الخلية . اراه فى نظامه العظيم داخل الجسد الانسان ، كل خلية فى القلب بها خمسة الاف محطة ، تحصل على السكر لتحرقه لتنطلق منه الطاقة التى يحيا بها الانسان ليحرق السكر ثانية .. وهكذا » .

ولد عبد المحسن صالح فى قرية « طما البيشة » التابعة لمركز ببا « بنى سويف » فى الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٢٨ . ودرس بمدارس بنى سويف قبل ان يلتحق بكلية علوم القاهرة التى تخرج منها عام ١٩٥٠ وعمل بها حتى حصل على الدكتوراه وآثر ان يعمل بمدينة الاسكندرية .



بدأ عبد المحسن صالح نشر مقالاته العلمية بمجلة الهلال عام ١٩٥٧ ، ومنها انطلق للكتابة

فى العديد من المجلات والصحف العربية الاخرى .

قدم للمكتبة العلمية ثمانية وعشرين بحثا متخصصا ، فضلا عن كتبه العديدة ومن اهمها : « زوجات مفترسات » ، « الانسان والنسبية والكون » ، « لماذا نموت ؟ » ، « مسكن عالم الذكور» وغيرها .

كان عبد المحسن صالح يرى فى العلم مجالات دائمة للبحث والابتكار ، وحتى ابسط قضاياه قابلة لنظريات جديدة وافكار جديدة ، وقد تناول فى كتاباته قضية الحياة والموت من منطلق علمى ، فها هو يقول : لان جسم الانسان يشتمل على اعقد وأحكم نظام فان هذا النظام لو اختل بصورة ما ، فلابد انه يبدأ فى التقوض ثم الانهيار فالموت ، ويعود الى طبيعته الاولى كمادة خام .. تدخل فى كائنات اخرى بعد الموت .

ويقول : « ان الانسان الميت قد اختفى من امام اعين احبائه ومعارفه ، ولكنه اختفاء ظاهرى فقط فما زالت المادة موجودة برمتها على هذا الكوكب ، ولابد أن يعاود بناؤها من جديد ، تماما كاحجار البيت المهدوم ، يعاد بناؤها من جديد فى بيوت اخرى .. انا اذن عجينة عضوية وغير عضوية تدور فى هذا الكوكب ، مرة فى صورة متحللة ميتة، ومرة اخرى تتشكل على هيئة حية ، لا فرق فى هذا بين عجينة الازهر والقرد والكلب والثعبان .

واذا كان عبد المحسن صالح قد اختفى من عالم احبائه فان ما تركه لنا من تراث يجب أن نضمه فى دائرة الاهتمام ، وحتى نكون أوفياء لجهده الكبير علينا انْ نجمع هذا التراث المتناثر لنضمه الى مكتبتنا العربية .



● اكثر الكتب توزيعا ●

فى اكثر بلدان العالم يمكن ببساطة اللجوء الى جهة ما اتحاد الناشرين او اتحاد الكتاب ، او المكتبة القومية للحصول على بيانات واضحة عن ارقام توزيع الكتب ، اما فى مصر ، فان مسالة الحصول على بيانات موضوعية عن توزيع الكتب ، تكاد تكون مستحيلة ، وهنا لا نجد أمامنا سوى الناشرين انفسهم الذين اعتاد كثير منهم اخفاء مثل هذه البيانات لاسباب عديدة ومع ذلك فقد تعاون معنا ناشرون من القطاع الخاص امدونا ببيانات فورية عن الكتب الرائجة لديهم ، اما دور النشر العامة فقد احتاج الامر الى جهد كبير لاقناع المسئولين عن التوزيع فيها باهمية الموضوع ولكننا لم نحصل على بيانات فورية آملين ان يفى هؤلاء بوعودهم بتوفير هذه البيانات فى الشهور القادمة .

وهنا حصيلة جولة على بعض دور النشر املين ان تشمل جولتنا الشهرية دور نشر آخرى فى كل عدد :

● دار الشروق اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات فى ظلال القرآن ، مقومات التصور الاسلامى لسيد قطب العلمانية ونهضتنا الحديثة ، لمحمد عمارة فى رعاية السلطة فى العالم العربى لاحمد بهاء الدين الاقباط فى السياسة المصرية لمصطفى الفقى •

● فى مجال الادب – تفاحة ادم ، ومذكرات زوج لاحمد بهجت ، وعذراء الغروب لمجيد طوبيا •

● دار المستقبل العربى ، اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات – استراتيجية المصالحة (الجزء الثانى من مذكرات الفريق محمد فوزى) ،وعليكم السلام لمحمود عوض •

فى مجال الادب – اهمية أن نتثقف يا ناس ، وفقر الفكر وفكر الفقر ليوسف ادريس ، مذكراتى فى سجن النساء لنوال السعداوى، الزينى بركات لجمال الغيطانى •

● مكتبة مدبولى – اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات ، دراسات فى ازمة



مصر الاقتصادية للدكتور رمزى زكى ، ومحاكمة فؤاد سراج الدين لصلاح عيسى •

وفى مجال الادب – الاعمال الكاملة لامل دنقل ، وآه ياليل يا قمر وياسين وبهية لنجيب سرور •

● المركز العربى للبحث والنشر – اكثر الكتب توزيعا فى مجال الدراسات الاستقلال الوطنى لمجموعة مؤلفين وتجربة مصر الليبرالية لعفاف لطفى السيد •

وفى مجال الادب – عوليس لجيمس جويس ترجمة طه محمود طه ، ولعبة الزمن لنعمان عاشور •

● دار الفن العربى (مصر) متخصصة فى كتب الاطفال اكثر الكتب توزيعا ، عصافير على اغصان القلب ، مجموعة اشعار فلسطينية اختارتها وكتبت مقدمتها صفاء زيتونى ، وحكايات شعبية من مصر ، اعدها وحررها عبد الفتاح الجمل • وفى مجال البوستر الف بائية فلسطين لمحيى الدين اللباد ، وبوستر الحصان لايهاب شاكر ، والنخلة لحجازى •

الكتاب : انا وثوار يوليو
المؤلف : حلمى سـلام
الناشر : دار ثابت القاهرة
٢٠٧ ص.ق متوسط ٢ ج

يستعرض الاستاذ حلمى سلام فى كتابه الجديد علاقته الخاصة ببعض رجالات ثورة يوليو ، منذ تعرف على اولهم « معروف الحضرى » اثناء حرب ١٩٤٨ ، وكان حلمى سلام صحفيا بدار الهلال تلقى معلومات عن اول دفعة من جرحى حرب فلسطين كانت ستصل الى مستشفى الحلمية العسكرى فذهب مع مصور الهلال والتقط لهم اول صور نشرت لهم فى صحافة العالم العربى ، واجرى حوارا صحفيا مع معروف الحضرى الذى شاءت الاقدار ان تكون علاقته به هى بداية معرفة الكاتب بثورة ٢٣ يوليو وهى لم تزل ، بعد ، جنينا فى باطن الغيب .

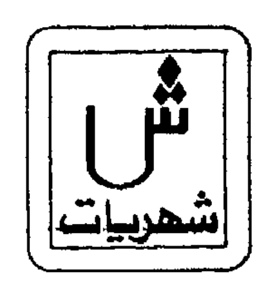
فقد داب معروف الحضرى بعد ذلك على كتابة رسالة اسبوعية لحلمى سلام تحمل اخبار اولئك الذين قادوا فيما بعد ثورة ٢٣ يوليو .. « ولعل اول صورة نشرت فى العالم كله لجمال عبد الناصر ، هى تلك التى التقطها معروف الحضرى اثناء حصار الفالوجا وبعث بها الى – يقول الكاتب – لنشرتها فى مجلة المصور مع بقية اخبار الفالوجا التى كان الشعب فى مصر يترقبها باللهفة كلها وبالقلق كله » .

وعلى الرغم من ان الاستاذ حلمى سلام يصف كتابه بانه شريط ذكريات يكشف عن اسرار كثيرة ، ويلقى الضوء على امور كثيرة مما كان يدور فى دهاليز ثورة يوليو ، الا ان هذه الاسرار لم تتعد فى الواقع شهادة الكاتب عن بعض الاحداث التاريخيـة التى رواها بعض رجالات يوليو ، او مؤرخوهم بصور مختلفة ، واحيانا متناقضة ، فقد روى السادات فى مذكراته مثلا انه كان المتهم رقم واحد فى قضية امين عثمان ، فى الوقت الذى يؤكد حلمى سلام هنا انه كان المتهم رقم ٧ ، كمـا ان السادات روى قصة عمله بدار الهلال لفترة بثلاث طرق مختلفة فى الوقت الذى يؤكد حلمى سلام انه كان صاحب الفضل فى دخول السادات لدار الهلال ، بل هو الذى كان وراء نشر مذكرات السادات عن الشهور الثلاثين التى قضاها بين جدران السجن ، فى الوقت الذى تجاهل السادات حلمى سلام من الحكاية .

لكن الم يخف سلام نفسه بعض الحقائق ، وماذا عن دوره فى استبعاد طه حسين وعدد من الع الكتاب من دار التحرير اثناء توليه لرئاسة تحرير الجمهورية؟! .

على اى حال انها رواية واحدة من روايات عديدة لبعض احداث ثورة ٢٣ يوليو ، او بالاحـرى سير بعض رجالاتها ، فقد اختص المؤلف محمد نجيب وعبد الناصر والسادات وصـلاح ـ لم وعبد اللطيف البغـدادى ومعـروف





الحضري بفصول الكتاب ، ومن على بقية رجالات الثورة من خلال هذا التخصيص الذي قد يكون عنصر الاثارة هو دافعه ، وان كان عنوان الكتاب يوحي لاول وهلة انه سيحكي علاقته برجالات الثورة فردا فردا .

وتبقى ملحوظة اساسيةمنهم الكاتب الذي سار في طريق شاع في اغلب الكتابات التي تناولت هذا الموضوع الحساس : هذا المنهج يقول ان روايتي هي الرواية الوحيدة الصحيحة ، بدلا من ان يقول هذه شهادتي ، أو وجهة نظري ، وهنا وجه الخطر الذي يقابل المؤرخ المحايد ، ووجه الخطورة الذي يدفع بالاجيال الجديدة من المصريين لان يفقدوا الثقة فيما يقدم لهم باعتباره تاريخا .

تراثنــا .. كيف تعرفه ؟
المؤلف : حسين مروة
الناشر : مؤسســة الدراسات .
بيروت ٢٤ ص ، ٨٥٠ ج . م

هو مجموعة من الدراسات التي كتبها مؤلف السفر الشهيد « النزعات المادية في الاسلام » الذي أثار منذ صدوره في نهاية السبعينات مناقشات كثيرة ، وخلق تيارا من الدراسات التراثية ، أصبح من الاهمية بمكان بحيث يمكن القول انه الاعمق في مجرى دراسات التراث العربية المعاصرة .

اما كتابه هذا الجديد فهو يبحث عن معرفة لتراثنا الفكري ، وهي المعرفة التي تجيئنا من « الكيفية » الواقعية التاريخية التي تكونت عناصر التراث في بيئتها الاجتماعية وفقا لفعل القوانين التي تنظم حركة صيرورتها الاجتماعية بعملية ليست خارج التاريخ ، بل هي جوهر حركة التاريخ .




الكتاب : كاس العالم بين يديك
المؤلف : ممدوح الشافعي
الناشر : كتاب اليوم ، ٢٠٩ ص ٧٥ق م .

اغلب الكتب التي تتناول موضوع « الرياضة » باللغة العربية هي كتب يمكن الاستغناء عنها ، بحيث يمكن القول أن المكتبة العربية خالية من هذه الكتب التي تعتبر الرياضة احد النشاطات الانسانية الراقية والتي تهم كل الناس ، وليس فقط مجرد المشجعين او الممارسين ، هذا طبعا باستثناءات نادرة .

ويأتي هذا الكتاب من هذه الاستثناءات ، فهو جهد مشكور لمؤلفه الذي لم يترك بابا للحصول على المعلومات عن كاس العالم الا وطرقه على الرغم مما تكلفه من جهد ومال .

تراثنا .. كيف نعرفه

إشارات ثقافية

عودة المسرح الغنائي

كثير من نقاد الافنية العربية يقولون انها الان فى أزمة، وبعضهم يرى خروجها من هذه الازمة فى احياء المسرح الغنائى الذى كان مزدهرا ولفترات طويلة فى بداية القرن ، ثم فى الخمسينات والستينات .

وما يجرى حاليا بمعهد الموسيقى العربية بأكاديمية الفنون يصب فى هذا الاتجاه ، لعل النقاد ، يجدون كلمة بديلة من كلمة « ازمة » ليستعملوها فى نقدهم.

فقد قام معهد الموسيقى العربية بقبول اعضاء جدد من طلبته للانضمام لفرقة المسرح الغنائى التى اعلن من تكوينها ، بعد نجاح طلبة وطالبات المعهد اثناء احتفالات اليوبيل الفضى للاكاديمية بتقديم فقرات من المسرح الغنائى أثارت الاعجاب .

ووراء هذه الفرقة الجديدة تقف عميدة المعهد الدكتورة لندا فتح الله ، التى تعمل على احياء التراث الغنائى المسرحى بعد أن فقدناه بهذه المبادرة التى سوف تعتمد على عناصر المعهد بقيادة اوركسترالية لعطية شرارة .

وهذه هى الفرقة الثالثة التى تتبع معهد الموسيقى بعد فرقة ام كلثوم وفرقة الانشاد الدينى.

مخطوطة عن نجيب محفوظ

بين أوراقه العديدة التى تركها عثرت السيدة ساشا لنجيب سرور زوجة الكاتب والشاعر الراحل نجيب سرور على عدة مقالات ، بعضها منشور واغلبها لم ير النور تشكل دراسة نقدية طويلة عن كاتبنا الكبير نجيب محفوظ لم تطبع بعد فى كتاب .

بعض هذه المقالات موجود بين أوراق نجيبه سرور بالقاهرة ، والاخرى لا تزال موجودة بين مخطوطاته التى تركها فى الاتحاد السوفييتى منذ كان يدرس المسرح هناك فى الستينات ، وخروج هذه المخطوطات يقتضى بعض الاجراءات التى نرجو أن تتم قريبا حتى يرى الكتاب طريقه للنشر .

واخرى عن صلاح جاهين

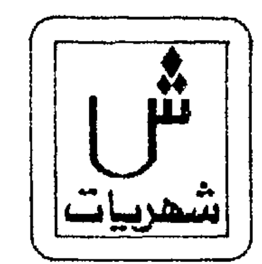
وبدون أى توقع لوفاته كان الشاعر الشاب محمد سيف المقيم حاليا فى باريس قد انتهى من دراسة نقدية عن شاعرنا الكبير الراحل صلاح جاهين لتتضمن اعترافا بقدرته الابداعية الكبيرة، بل وتكريسا له كعميد لشعراء العامية المصرية .

المخطوطة هى الان بين يدى احدى دور النشر المصرية لتصدر قريبا فى كتاب سيكون اول كتاب كامل عن شاعرنا الراحل .

اعادة تراث المسرح القومى

حاليا يعمل المخرج سمير العصفورى على اعادة اخراج مسرحية نعمان عاشور الشهيرة « عيلة الدوغرى » التى اخرجها فى الستينات عبد الرحيم الزرقانى وذلك ضمن برنامج الريبتوار الذى يعيد به المسرح القومى تقديم مختارات من تراثه الناجح ، وكان المسرح القومى قد بدأ منذ اول ايام عيد الفطر المبارك عرض مسرحية سعد الدين وهبة « السبنسة » التى أعاد اخراجها عبد الغفار عوده . واخرجتها فى الستينات سعد اردش ، ضمن نفس برنامج الريبتوار .





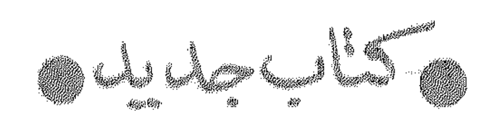
العرض الجديد لمسرحية نعمان عاشور سيحمل عنوان « عيلة الدوغرى جدا » بعد تغيير بعض معالمها لتتناسب مع التغيرات الجديدة فى المجتمع .

وستكون جاهزة للعرض على خشبة المسرح القومى فى منتصف اغسطس القادم .

مقامات التونسي ورباعيات جاهين

ضمن التوجه الذى اطل علينا بشكل بارز منذ قدم المسرح المتجول عرض «الحمل الفلسطينى» لفؤاد حداد ، وتلته محاولات اخرى قدمت خلالها عدة فرق اعمالا شعرية لفؤاد حداد على خشبات المسرح ، يقوم الان بهاء جاهين بالاشتراك مع المخرج عصام السيد باعداد امسية شعرية عن رباعيات جاهين الشهيرة لتقدم بعد اعدادها مسرحيا .

فى نفس السياق يقوم المخرج سمير العصفورى بتقديم مختارات من مقامات بيرم التونسى فى عرض مسرحى يحمل عنوان « العرض اقترب » ستقدم على خشبة مسرح الطليعة .



المسيحية والاسلام
على ارض مصر
تأليف : د . وليم
سليمان قلادة

يأتى هذا الكتاب متابعة جديدة للانجاز الذى تحقق على ارض مصر وصار نموذجا تقليديا لوحدة مكونات الجماعة الوطنية فى مسيرتها عبر التاريخ . ويقدم نواحى من الحياة المشتركة على ارض مصر منذ اول لقاء بين الدينين فيها ــ لقاء عمرو بن العاص والبابا القبطى بنيامين ، البطريرك الثامن والثلاثين . ويسجل مواقف الجماعة الوطنية بجميع مكوناتها فى مواجهة التحديات ولبناء الحياة فى هذه البلاد الطيبة ... ويبين كيف فرض المصريون ارادتهم على الواقع المعاند فى مسيرة موحدة ، لاستخلاص حكم بلادهم لانفسهم معا .

وتأتى اهمية هذا المؤلف من انه لايقدم الدينين من خلال النصوص وحسب ، ولكنه يتابع هذه النصوص وهى تختلط بالواقع المعيش ــ اى من خلال التطبيق فى التاريخ . او كما جاء فى تعليق على دراسة اخرى للكاتب نفسه ، انها محاولة للغوص فيما وراء الايديولوجيا لتقديم بحث ميدانى تاريخى ، موضوعه فى الكتاب الذى نعرض له هو مسألة ممارسة حقوق الإنسان التى تقررها العقيدة الدينية .

ولعل خير مايعبر عن هذا المنهج اللوحة التى اختارها الكاتب لغلاف كتابه ــ فهى مقبض مسرجة من القرن الثانى عشر معروض فى متحف ميناء القاهرة الدولى : صليب يحيط به هلال .

واهمية هذه القطعة الاثرية تتمثل في انالصانع المصرى ابدعها ابانالحروب الصليبية .. وتزداد اهميتها من ان الوجدان بعثالشكل نفسه تلقائيا فى لحظة النقاء الثورى فيالايام المجيدة من عام١٩١٩ ، حينرفعالمصريون هذا الشعار واطلقوا عليه - كما يقول الكاتب - اسم « علم الثورة » - « العلم الجديد » .

والكتاب في سبعة فصول تتصدرها مقدمة وتتبعها خاتمة . يورد فى المقدمة « قواعد الحوار » كما حددها الكاتب فى مؤلف سابق له* وفي مقدمتها ان يفهم كل طرف فى الحوار ، الطرف الاخركما يريد هذا انيكون مفهوما - لا من خلال فكرة منفصلة عن هذا الاخرغريبة عنه او مفروضة عليه . وتكمل هذه القاعدة ، اخرى مضمونها انسند هذا المطلب ان تكون المواقفالعلمية لكل طرف متفقة مع ما يقول - وان تكون مقبولة ومقدرة من الطرفين معا .

وفى الفصل الاول يورد لقاء المسيحية والاسلام على ارض مصر لاول مرة كما رواه المؤرخان عبدالرحمن بن عبد الحكم وساويرس بن المقفع مؤرخ البطاركة . ليوضح ان هذا اللقاء لميكن صحفا ، ولم يكن اساسه اعتناق احد الطرفين لعقيدة الاخر . بل كان اللقاء مبنيا على احترام كل طرف لعقيدة الاخر - وتعايش العقيدتين معا .



ويتابع المؤلف مضمون كل من هاتين العقيدتينبشان الانسان . ونقطة الانطلاق هنا هى ان الفهم الصحيح لاى ديانة لابد أن يكون من داخلها وبمنطقها . ويقدم فى الفصل الثاني المفهوم المسيحى للطبيعة والانسان - الذى جاء فى المسيحية على صورة الله . ويورد هنا نصوصا هامة من الكتاب المقدس واقوال آباء الكنيسة .

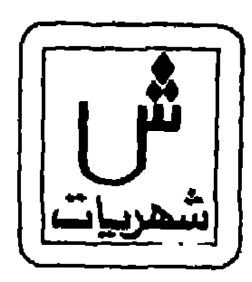
ويوضح كيف وضعت هذه النصوص فى التطبيق اولا بواسطة المسيحيين الاوائل عموما وعلىالخصوص فى مصر من خلال تاريخ الكنيسة القبطية . ويبين كيف انه وانكانت المسيحية لم تات بنظام قانوني وضعى فليس معنى هذا انها تدير ظهرها للمجتمع والقانون . ويعرض نماذج مجددة لتاثير المسيحية الواقعى فى النظام الاجتماعى والقانوني : فى نظام الرق ، والرضائيه والعدالة فى العقود . وفى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية

وخصص المؤلف الفصل الثالث للانسان فىالاسلام . ليقرر ان هذا الدين يسمو الانسان الى مستوى رفيع اذ يجعله فى طبيعته على «صورة الرحمن » وفى نشاطه « خليفة الله على الارض » وحامل امانته .

ويورد الكاتب هنا مبادىء رائعة تضمنللانسان كرامته لذاته - لا لاعتقاده - فالايمان



«*» الحوار بينالاديان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .



التى تمجد الانسان لتحدث عنه كتكوين بشرى وقبل يصبح مسلما او نصرانيا او يهوديا او بوذيا وقبل ان قبل أن يصبح أبيض او اسود او اصفر .

وعلى هذا الاساس تكون مفاتيح العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين واولهـا ان لا اكراه فى الدين والثانى الا تعتدوا فان الله لا يحب المعتدين، وهكذا تكون حقوق الانسان فى الاسلام ضرورات، لا مجرد حقوق . وهى جزء من الدين عليهـا يتوقف الايمان والتدين والدين .

ويورد الكاتب فى نهاية هذا الفصل وثيقتين جاءتا فى صدر الاسلام وفى بداية المسيحية - الاولى هى « الصحيفة » دستور المدينة المورة ، والثانية نص مسيحى من القرن الثانى الميلادى . وتقرر الوثيقتان مبدأ الحياة المشتركة بين الاديان فى المجتمع وتعاونها ووحدتها فى مواجهة التحديات الخارجية والداخلية .

وفى الفصل الرابع يقدم المؤلف التراث المشترك الذى يجعل مصر - ارضا ونهرا وشعبا ، فى بؤرة التقدير العميق والاعزاز والحب - فى المسيحية والاسلام . انها نصوص رائعة تمثل شروحا وحواشى للشعار الذى اعتنقه المصريون جميعا :

حب الوطن من الايمان .

ولقد حدث فى الواقع انه لاسباب موضوعية تاريخية حجب الحديث عن « الخليفة - الحاكم » متابعة او المبدأ الاساسى الذى يقرر كرامة « خليفة الله » - الانسان المحكوم ، وحقوقه .

ولهـذا يتابع المؤلف فى الفصلين التاليين تحرك « خليفة الله » على ارض مصر لممارسة حقوقه ، منذ بداية القرن التاسع عشر . وهو تحرك يبرز الكاتب خصيصته الاساسية وهى انه حركة تقوم بها جميع مكونات الجماعة مترابطة موحدة . ويقدم فى هذا الصدد اهم القرارات السياسية المصرية فى القرن التاسع عشر : حين بلغ التدخل الاجنبى ذروته ايام اسماعيل عام ١٨٧٩ . فالتأمت « الجمعية الوطنية » التى ضمت صفوة البلاد وعلى رأسهم شيخ الاسلام وبطريرك الاقباط وتعهد ممثلو الجماعة بسداد ديون مصر على شرط ان يستبعد من الوزارة اى وزير اجنبى وعلى ان يتخلى الخديو عن الحكم المطلق لوزارة مسئولة امام برلمان قراراته ملزمة . ويوضح كيف ان هذا الموقف من جانب « خليفة الله » . جاء متحديا « الخليفة الحاكم » السلطان العثمانى الذى سرعان ماتواطأ مع الدول الاوربية واصدر قرارا بعزل اسماعيل .

وبعد ثلاث سنوات تتكرر المواجهة مرة اخرى حين وقفت « الجمعية العمومية » ممثلة ايضا لجميع مكونات الجماعة المصرية وراء عرابى فى مواجهة

الخليفة الحاكم وممثلة فى مصر الخديو توفيق . اذ اصدرت الجمعية قرارا بعزل الخديو فى حين أعلن الخليفة الحاكم عصيان عرابى .

وفى هذا كله يقدم المؤلف التعبير النظرى عن حقوق « خليفة الله » من خلال متابعة اهم ممثل الفكر المصرى وقتئذ وعلى الخصوص مؤلفات رفاعة الطهطاوى . وبعباراته نفسها .

ويتابع الكاتب تحرك المحكومين ازاء الاحتلال البريطانى فى الفصل السادس ، الذى خصصه لانتصار مصر عام ١٩١٩ . ليقدم صفحات رائعة من الاخوة، والنخوة الوطنية. صارت نموذجا تقليديا عاليا لوحدة مكونات الجماعة . وحين صدر الدستور المصرى عام ١٩٢٣ سجل «الاجماع» بالمعنى الفقهى للكلمة ، الذى اعلنته الامة منذ بداية وعيها بحقوق « الانسان خليفة الله » وتحركها لاختراق حاجز السلطة . واثقة فى نفسها متفائلة فى مستقبلها . تساند فى الانتخابات الحزب الذى يقوم على اساس هذه المبادىء . وبهذا يمارس المصريون فى مساواة تامة ومشاركة حقيقية حكم بلادهم .

ويستكمل الشعب مشروعه الحضارى مرحلة بعد اخرى : التوجه العربى ، والقضية الاجتماعية .

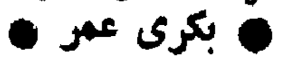
ويأتى الفصل السابع ذروة وتتويجا لهذا التحرك من جانب « خليفة الله » . انه تحرك يختمه الشعب بدمه . فيقدم المؤلف صفحات رائعة من وحدة الدم الذى بذله المصريون جميعا ـ الاقباط والمسلمون ، لاستخلاص استقلال بلادهم منذ أيام عرابى وحتى مصر العبور ١٩٧٣ . ليعبر عن ذلك كله الجندى المجهول الاسم ، والهرم الشامخ الذى يحيط به والذى سجل عليه الفنان المصرى اسماء جميع مكونات الجماعة ، متجاورة مترابطة الاقليمية : الطنطاوى والمنوفى والفيومى .. والدينية : محمد وعلى وعثمان وجرجس وبسطوروس وميخائيل .

وهكذا تكتمل الرحلة التى بدات مع لقاء عمرو وبنيامين . سار فيها المصريون معا كتفا الى كتف ،جماعة موحدة .. فى اعماقهم يقين انهم « خليفة الله » يواجهون العدوان الاجنبى والتسلط الداخلى . كى يستخلصوا معا الاستقلال الوطنى ، والنظام الدستورى ، والعدل الاجتماعى ، والتوجه العربى .. لينجزوا العبور العظيم الى مستقبل جديد. ومازال الطريق ممتدا كى يستكمل الانسان ـ صورة الرحمن وخليفة الله وحامل امانته ، يستكمل كرامته وحقوقه ـ ليس نظريا وحسب ، ولكن على ارض الواقع .

ويختم الكاتب مؤلفه بهذه العبارات :

« هكذا تسلمنا مصر

« وعلينا ان نسلمها الى الاجيال التالية ـ موحدة ، عزيزة ، مرفوعة العلم ، تعبيرا عن الانسان المحفوظ الكرامة ، كامل الحقوق » .



● بكرى عمر ●



عبد الرحمن سوار الذهب نباهى به الأمم !

فيليب جلاب

عبد الرحمن سوار الذهب ليس شخصية هذا العدد من « الهلال » ، لكنه يمكن ان يكون شخصية كل الاعداد وكل ما يصدر من صحف ومجلات فى عالمنا الثالث !

واذا كان الذين اخترعوا لنا « دواء » الانقلابات العسكرية فى الغرب هم اول الذين يعيروننا باننا نتعاطاه قبل الاكل وبعده وندمنه كالمخدرات فاننا نستطيع ان نباهى الغرب وكل الامم بضابط واحد مثل الفريق عبد الرحمن سوار الذهب !

والعادة فى هذا العالم الثالث الذى حير كل « العوالم » هى ان الضابط الذى يضع قدميه على سلم السلطة لا ينزل ابدا او يتنازل ، الا لاسباب الهيه او بفعل ضابط آخر . بل حتى غالبية المدنيين الذين يتولون السلطة ولا يعرفون الفرق بين مدفع الميدان ومدفع الافطار يسارعون بارتداء بدلة « المارشالية » ويمنحون انفسم شهادات من كليات « اركان الحرب » .

لذلك كان الفريق عبد الرحمن سوار الذهب مثالا فذا وخارجا عن المألوف . فالسلطة ـ ايا كانت



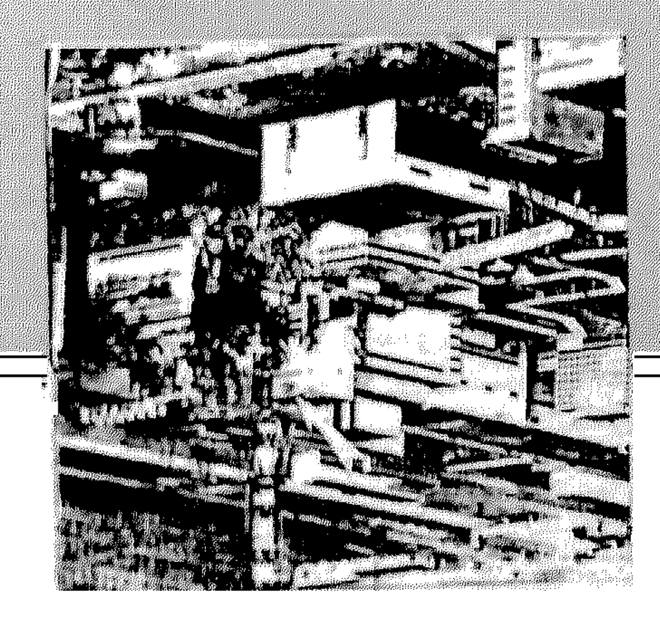
الاسباب ـ في يده مع بقية زملائه الضباط • والظروف في السودان الشقيق بفضل حماقة وفساد ضابط سابق هو جعفر نميرى ـ نموذجية للانقلابيين والمغامرين • لكن سوار الذهب لم يكتف بالالتزام الدقيق بموعد تسليم السلطة لممثلى الشعب السودانى وعودة الجيش الى مهمته العظمى والوحيدة في الدفاع عن أمن وحدود الوطن •• بل خرج بشكل لم يسبق له مثيل عن « التقاليد العريقة » لهؤلاء العسكريين الذين يومرون جيوشهم ويتفرغون للحكم ، واجرى انتخابات نزيهة لا تعرف مثلها شعوب كثيرة في اكثر من مائة دولة !

هل وراء ذلك شخصية وقيم واخلاق عبد الرحمن سوار الذهب ؟ هل وراء ذلك قوة شعب السودان بجميع فئاته واتجاهاته ؟ هل الاثنين معا ؟

أيا كانت الاسباب وهى كل ذلك فى الغالب ، فان فضل سوار الذهب لايمكن انكاره • وهو وسام على صدر العسكريين الذين يعرفون ان شرف ونبل الجندية هو ذلك الحد الفاصل بين دهاليز والاعيب السياسة والحكم، وبين الدفاع عن شرف الوطن وحدوده

حلم مصر النووى على ضوء هوس تشرنوبل

بقلم : محمد فتحى



على الرغم من أن هدفنا هنا ليس تقديم تقويم لما وقع فى تشرنوبل ، أو حتى تقديم تقويم مجرد لمدى امان او رخص استخدام المحطات النووية فى توليد الطاقة الكهربائية فان المحور الاساسى لهذا المقال : حلم مصر النووى ، لابد ان يجر الدارس الى التعرض للمسالتين السابقتين ·

وبعيدا عن الجدل البيزنطى حول الحدود الفاصلة بين الحادث والكارثة لاجدال فى ان واقعة تشرنوبل كانت كارثة ضخمة لا يمكن التهوين من شأنها وينبغى الاستفادة من دروسها ·

لكن لاجدال - أيضا - فى أن ما أذاعته « جهات مطلعة » فى الايام

● وقعت الواقعة فى تشرنوبل . وبين عشية وضحاها كان ارهاب الطاقة النووية قد اصاب الدانى والقاصى ، ولم يعد يمر يوم دون أنباء عن تسرب اشعاعى من محطة نووية فى الولايات المتحدة أو حريق فى محطة نووية بريطانية ، أو حادث «تدليس نووى» فى المانيا الغربية ، أو واقعة اهمال غشيم وتعامل بيروقراطى مع جهاز يعمل بالكوبالت المشع فى جامعة القاهرة ..

وكان طبيعيا مع ذلك كله ان تثور التساؤلات ـ من جديد ـ حول جدوى ومخاطر اقامة محطات كهرباء نووية «كهرنووية» فى مصر . وهكذا عاد الجدل حول مشاكل الامان ، ومخاطر الاشعاع ، والتكاليف والجدوى الاقتصادية ، والنفايات النووية ، والتأثير على البيئة ، و ...

ورغم كل ما حدث ، ورغم الجدل الدائر تبقى القضية الاساسية ، فيما يخصنا : «نعيش العصر او لا نعيشه ؟»

الاولى ، عن الالاف الذين لاقوا حتفهم فى موقع الحادث لحظة وقوعه ، وعن السحابة التى تمطر الموت على البلدان المجاورة ، بالاضافة الى تأكيدات «الجهات العلمية الموثوق بها» بان احدا لن يستطيع الاقتراب من المنطقة التى تقع فيها المحطة قبل سنوات .. لاجدال فى ان ذلك كله وما هو من قبيله كان، فى افضل الاحوال ، مجرد شائعات روجتها بعض الاجهزة الاعلامية لـ «شىء فى نفس يعقوب» . ذلك ان عدد من لقوا ويلاقون مصرعهم ـ بات معروفا ويقدر بالاحاد والعشرات وليس بالالاف و .. كما ان اقصى ما اصاب مواطننا فى البلاد التى حامت السحابة فى سمائها اشعاع لايتجاوز قدره ما يتعرض له عند اجراء اشعة اكس على الصدر ، او ضعف هذا القدر فى اسوأ الحالات .. هذا كما ان السوفييت يعدون لتشغيل وحدتين من الوحدات الاربع لمحطة تشرنوبل نفسها .

حلم مصر النووى على ضوء هوس تشرنوبل

ولاجدال ثالثا فى ان نتائج حادث تشرنوبل لن تكون شرا • وليس اخر فوائدها ذلك الاجماع الذى نشهده اليوم حول ضـــرورة دور متعاظم للنظامات الدولية المعنية ، وربمـــا لنظمات دولية جديدة ، فى العمل على تبادل المعلومات والخبرات ومواجهة المشاكل الفنية ، وتقوية امان المحطات النووية ، والخطو باستخدامات الطاقة النووية عامة ـ الى الامـام •• ذلك ناهيك عن الضغوط المتزايدة لتكثيف البحث فى مجالات واعدة ، بهـــدف استخدام انواع اخرى من الطاقة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الهيدروجين •

هذا باختصار ما ينبغى تاكيـــده بصدد حادث تشرنوبل ، ويبقى بعـــد ذلك الحديث المجرد عن اســـتخدام الطاقة النووية فى توليد الكهرباء •

لقد صارت الكهرباء المولدة بهـذه الطريقة تشكل نسبة متزايدة ولايستهان بها ـ والاهم انها فى تصاعد مستمر ـ فى موازنة انتاج الكهرباء : فى فرنسا (٦٥٪) وبلجيكا (٦٠٪) واليابان (٣٦٪) والولايات المتحدة (١٦٪) والاتحاد السوفييتى وكنـــدا وبلدان اوربا الغربية والشرقية جميعا ••

هذا كما ان عددا من الدول لم يعد يكتفى باستخدام الطـاقة النووية فى توليد الكهرباء ، ذلك لان الحاجـــة اليها لا تشكل سوى ٢٠٪ من مجمـــل موازنة احتياجات الطاقة ، بينمـــا يشكل الوقود المستخدم فى وســـائل المواصلات نحو ٢٠٪ ، كما تشـــكل احتياجات العمليات التكنولوجية من الوقود مباشرة (مثل افران التعدين والصناعات الكيماوية نحـــو ٣٠٪ وتبلغ الاحتياجات المرتبطة بالتدفئـــة فى المناطق الباردة ٣٠٪ •

● انقلاب فى استراتيجية الطاقة ●

لقد وجدت هذه الدول انها حتى اذا حولت كل محطات توليد الكهرباء الى العمل بالطاقة النووية فانهـــا ستظل محصورة فى اطار ٢٠٪ من احتياجات الطاقة ، وهو مالا يتناسب مع ماتنطوى عليه الطاقة النـــووية من امكانات ، وبالذات مـــع الرغبة فى توفير النفط للاستخدامات الاخرى والاجدى ، التى تتراوح بين انتاج البتروكيمـــاويات ، وبين صنع البروتينات • ومن هنـــا شرعت بعض الدول فى اســـتخدام الطاقة النووية فى التدفئـــة ، ومن الجدير بالذكر هنا ان المحطات التى تبنى لهذا الغرض تبنى مباشرة وسط المناطق السكنية • هذا كما انخـــرط علماء اليـــابان والمانيا الغربيـــة والولايات المتحدة فى الاعداد لاستخدام الطاقة النووية فى العمليات الصناعية مباشرة ، غير هيابين للصعوبات الجمة التى تحيط بالامر • وذلك بالاضـــافة الى الجد فى تحويل السكك الحديدية الى العمل بالكهرباء ، وتمويل عمليات الشحن ، كلما امكن ذلك ، الى هـــذه السكك ، ناهيك عن جهود حثيثة وان كانت مثابرة ، فى مجال تســـيير المواصلات بالهيدروجين ، الذى يتعذر الحصول عليه ، بصورة اقتصـــادية دون استعانة بالطاقة النووية ••

هكذا تعد البلدان المتقدمة لانقلاب في استراتيجية الطاقة ، يعتمد أساسا على المصادر النووية • بالذات واحتياطيات الخامات النووية كفيلة بسد حاجة هذا الانقلاب • لانها لا تحد عمليا (بعكس احتياطيات الوقود العضوى) مع عمل اجيال جديدة من الفاعلات التى تنتج الى جوار الطاقة، وقودا نوويا اثمن من الذى تستخدمه، ولان اليورانيوم موجود حتى فى مياه البحر ، وهناك طرق فى طور الاختبار لاستخراجه منها ••

واهتمام الدول على اختلاف توجهاتها ودرجات تقدمها بالطاقة النووية ليس صرعة او نزوة ، وانما هو اتجاه قائم على أسباب موضوعية اهمها أن الكهرباء المولده من المحطات الكهرنووية مثلا هى أرخص أنواع الكهرباء ، كما ان هذه المحطات أنظف ما هو معروف من محطات الطاقة فهى مصممة ـ بعيدا عن الكوارث ـ بحيث لا يتجاوز التأثير من الاشعاع الناتج عنها سنويا ، تأثير الاشعاع الذى يتلقاه من يشاهد التليفزيون الملون لمدة نصف ساعة يوميا • كما أنها ـ المحطات الكهرنووية ـ اقل المحطات اضرارا بالبيئة اذ أن استخدام المحطات التقليدية فى توليد كميات الكهرباء النووية التى يولدها العالم اليوم يسفر عن عوادم من غاز ثانى اكسيد الكربون تفوق فى كثير من البلدان قدرة البيئة على تحويله (من خلال عملية التمثيل الضوئى فى أوراق النبات) الى اكسيجين ••

وقد يلوح للبعض أن الصورة التى نعرضها هنا هى صورة « ما قبل تشرنوبل ، لكن الواقع أن احدا لم يعلن عن تخليه عن برامجه النووية « بعد تشرنوبل » ، بل انحصر الامر فى تعداد افضليات التكنولوجيا النووية المعتمدة هنا أو هناك ، بالنسبة لتكنولوجيا تشرنوبل ••

● الاوهام والحقائق ●

وان كان هناك ما ينبغى الاشارة اليه بعد هذا المدخل الطويل والضرورى لموضوع حلم مصر النووى فهو التاكيد على أن فاعلية المجتمعات البشرية تظل مرهونه ، فى نهاية الامر ، بقدرتها على التفرقة بين الاوهام والحقائق وكسر الحواجز النفسية ، مهما تعاظمت ، سعيا وراء الانطلاق ولعل التجربة اليابانية هى الامثل فى هذا الصدد ، ذلك علاوة على دلالتها البليغة ، فقد وصلت نسبة الكهرباء التى تنتجها المحطات الكهرنووية الى ٢٦٪ من مجمل انتاج الكهرباء اليابانى. ويعمل اليابانيون فى جد على زيادة انتاجهم من المحطات الكهرونووية الى اربعة اضعاف مع عام ٢٠٠٠ ، وذلك ناهيك عن محاولاتهم الجادة للاستفادة من هذه الطاقة فى مجالات اخرى كما اسلفنا • وليس من حق احد ان يزايد على اليابانيين بصدد مدى ادراكهم لمخاطر الطاقة النووية ، والمامهم بثارها •

هذا كما قدم السوفييت تاكيدا اضافيا ، فى هذا الصدد ، باعلانهم « بعد تشرنوبل » انه لا يمكن تصور الحضارة البشرية ، فى مرحلة تطورها الراهنة دون امكانات الطاقة النووية ، وانهم ماضون قدما بصدد خططهم الخاصة باقامة المحطات النووية الجديدة ، ناهيك عن تشغيل المحطات القديمة ، بل واعدادهم للبدء فى



حلم مصر النووى على ضوء هوس تشرنوبل

تشغيل وحدتين من وحدات محطة تشرنوبل نفسها ..

واكاد اسمع من يدعون الى التريث والتمعن فى اسماء الدول التى نذكرها، والتسليم بالبون الشاسع الذى يفصل بيننا وبينها ، و ..

ولن استخدم فى الرد على هؤلاء نفس منطقهم ذاكرا اسماء بلدان تستخدم هذه المحطات مثل الهند وباكستان وكوريا الجنوبية وتايوان واسرائيل .. ذلك ان من يردد هذه المقارنات او يكرس النقاش حول العوامل الاقتصادية او الفنية وحدها لايدرك الابعاد الحقيقية للقضية المطروحة .

ولاجدال فى ضرورة فهم العوامل الفنية والاقتصادية البحته ، وضرورة الاستعداد لها . لكن من الضرورى ان نفهم وجود اعتبارات اخرى تفرض نفسها ، بصدد مثل هذه المحطات ، قد تكون حافزا ودافعا على الجد فى المواجهة العلمية فيما يخص العوامل الفنية والاقتصادية فصاحب التفكير الاستراتيجى يعرف مالا يجعله يتردد لحظة امام الخيار النووى ، ذلك ان المشكلة الحقيقية لنا ليست فى امتلاك الطاقة النووية ، وانما فى عدم امتلاكها . واسرائيل مثلا لها برنامجها النووى ، والمعلن منه لايستهان به ، ومن فضل القول التنويه بأن ما خفى كان أعظم . ويجدر هنا الاشارة الى ان اسرائيل ترفض حتى تاريخه التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، ولا تقبل اى تفتيش دولى على منشاتها النووية

وقد يبدو غريبا بالنسبة للكثيرين ان يعرفوا ان حلم مصر النووى ليس وليد الامس القريب ، او السنوات القليلة الفائتة ، او مجرد ما يلوح فى الافق من عجز مواردنا عن سد احتياجاتنا من الطاقة ، دون اللجوء الى المحطات الكهرونووية واكتفى بان اذكر بصدد هذا الحلم انه قد تخرج معى (فى كلية الهندسة جامعة الاسكندرية) قبل عشرين عاما مهندسون درسوا فى قسم الهندسة النووية . وهذا القسم يعمل حتى يومنا هذا . ولا اعتقد ان التخطيط له كان يضع بين اهدافه تخريج كوادر علمية للعمل فى المشاريع النووية للبدان الاجنبية او الاستعانة بخبرات متخرجية فى معالجة مشاكل الصرف الصحى حلا نوويا . أو ان القسم كله كان هدرا مخططا للطاقة التعليمية فى مصر .

● نضع ايدينا على قلوبنا ! ●

واكاد اسمع من يقول : نعم حلم قديم ، ولكن ها هنا فى صعوبة الانضباط (وحكاية جهاز الكوبالت فى جامعة القاهرة مازالت حية فى الذاكرة) عامل آخر من العوامل التى تجعلنا نضع ايدينا على قلوبنا ، خوفا من هذا التكنولوجيا التى تتطلب انضباطا صارما .. وللاسف فان هؤلاء ينظرون الى مجتمعنا نظرة استاتيكية : « احنا كده وخلاص » ، والى ناسنا وكان

قدرا قد حكم عليهم بالتخلف ·والواجب ان نعى ان هذه الاستاتيكية وشبهة الثبات مجرد وهم فمن لا يتقدم يتاخر بالتأكيد · والانضباط صار قضية حيوية تخص كل جوانب الحياة ·· ولم يعد بالنسبة لنا ترفا يمكن ان نتمسك به هنا ونستغنى عنه هناك · وانه بدون انضباط سيكون علينا ان نضع ايدينا على قلوبنا لالف اعتبار ، غير هذه المحطات ··

وجدير بالذكر ان النهج الذى ندعو اليه ليس بجديد ، فذريعة من نوع عدم الانضباط لايمكن ان يعتد بها بصدد تكنولوجيات التسليح وماشابه مثلا ، فما لنا ومال النفاثات التى تطير اسرع من الصوت ومالنا ومال الصواريخ ··ان الضرورة الاستراتيجية تفرض العمل على خلق اساليب التعامل مع هذه التقنيات بصورة منضبطة ·

نعم على عكس ما يراه البعض من ان المخاطر التى كشف عنها حادث تشرنوبل مدعاة لابتعاد مصر عن هذا المجال المخطر ، فان الدرس الواجب أن نتعلمه هو النقيض تماما ·

ان عدم وجود هذه الادوات المخطرة فى اراضينا لا يعفينا من مضارها فهى منتشرة او فى سبيلها الى الانتشار حولنا · كما انها يمكن ان تحط علينا من الفضاء (بعض الاقمار الصناعية يعمل بالطاقة النووية وقد سبق ان سقط بعضها على اليابسة بالفعل ان الابتعاد لا يعفى من العواقب والتعامل المسئول معهذه التكنولوجيات الخطرة بكل دقائقها خبرة لابد لنا من تحصيلها ··

هذا ويفرض الوعى بابعاد هذه الخطوة درجة كبيرة من التعرف على على التكنولوجيا الحديثة للمحطات النووية ، واختيار الانسب من التصميمات ، وان يكون دخولنا تدريجيا دون وثبات او اقتحام ،كما يبين ضرورة توقيع كل دول المنطقة على الاتفاقات الدولية المعنية ، وان تخضع المنشآت النووية فيها للرقابة والتفتيش · كما انه لابد من وجود تخطيط لمواجهة الطوارىء ، التى يمكن ان تحدث فى بيتنا ، او تاتينا على متن الريح من عند الجيران ··

ان نقع وحدنا ضحايا لارهاب تشرنوبل ونتركه يصيبنا بعاهة مستديمة تشلنا (بينما يسعى العالم حولنا الى الاستفادة استفادة ديناميه واعية من دروسه) ، مسالة تتصل برصيدنا من الطموح والجسارة والقدرة على التماسك والحركة التى تساعدنا على العيش فى هذا العصر ·· ودون المبادرة باستخدام هذا الرصيد لن تكون جديرين بالعصر ، وسيكون علينا ان نقبع فى سراديب مظلمة ،حقيقة (بلا كهرباء) ومجازا ننظر مايفعله « الفاعلون » بنا ·

« ان السؤال الصحيح فى هذا الصدد ليس : « نبنى او لانبنى محطات نووية ؟ » بل : كيف نلحق بقطار الطاقة النووية على نحو اسرع واكثر امانا؟» « نعيش العصر او لا نعيشه ؟ » ، تكون او لا تكون ؟ »·



● سماعة جديدة ●

العلم الحديث يتوصل كل يوم الى اكتشاف جديد واحدث ماتوصل اليه نوع جديد من السماعات صممها أحد أطباء الانف والاذن والحنجرة في استراليا وهي مكونة من ثلاثة عناصر اساسية : نسيج مزروع من ٢٢ قطبا كهربيا وجهاز لالتقاط الاصوات وجهاز للتشخيص والبرمجة .

وتتصل الانسجه المزروعة بقوقعة الاذن الداخلية . وتقوم الاف الخلايا الشعرية على طول القوقعة بتحويل الاصوات الى اشارات كهربية تنتقل الى الالياف عند قاعدتها ثم تقوم الالياف بنقل الذبذبات الى العقل وهي التي ندركها كصوت .

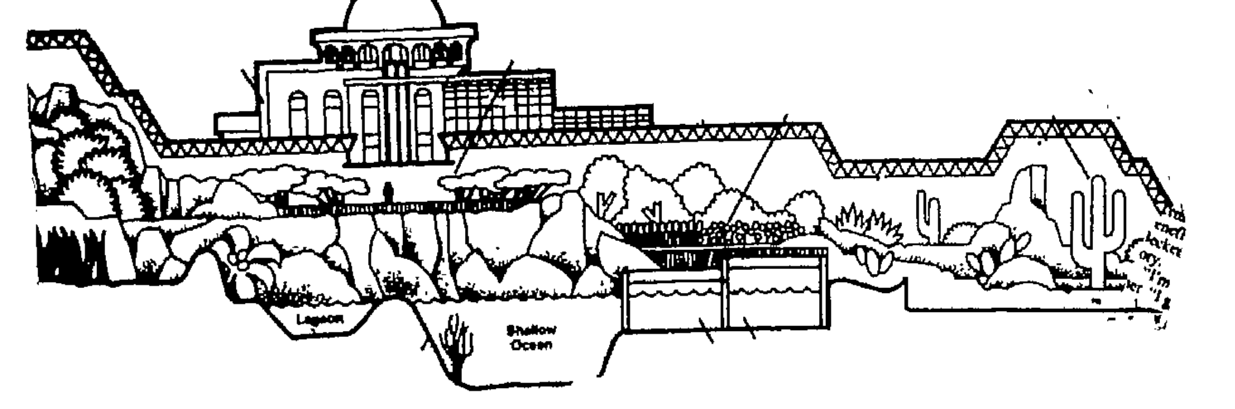
والجزء المزروع متعددالاقطاب الكهربية هو تعويض عن الخلايا الشعرية والجهاز المركزي هو أكثر الاجهزة المزروعة عند قوقعة الاذن تعقيدا ولزرع أقطابه ـ ٢٢ قطبا ـ داخل القوقعة لاثارة الاعصاب .

وتستجيب الخلايا داخل القوقعة للذبذبات الصوت على طول المنحنى مع مراعاة أن تكون الخلايا ذات الذبذبات المنخفضة عند قمة القوقعة والخلايا ذات الذبذبات المرتفعة عند القاع وتتركز معظم الاقطاب الكهربية على طول القوقعة وتعمل كل منها عند درجة ذبذبة مختلفة وتصدر أصواتا يمكن فهمها وعند اجراء الجراحة يقوم الجراح بشق المنطقة خلف الاذن وترفع فروة الراس ثم تثقب الجمجمة وبعد ذلك تدخل الاقطاب الكهربية الصغيرة الى داخل القوقعة .. ويتصل بها قرص الكتروني قطره ٤ر١ بوصة ويطلق عليه اسم جهاز قياس درجة الاستجابة يقوم باستقبال الذبذبات من جهاز التقاط الاصوات وتحويلها الى ذبذبات ثم يرسلها للاذن ويشتمل جهاز التقاط الاصوات على ميكروفون وأسلاك تنتقل خلالها الاصوات كما أن به ذاكرة مبرمجة يمكن محوها ويمكن وضع هذا الجهاز على الحزام أو في الجيب .

● المستعمرات .. على الطريقة الفضائية ●

في صحراء اريزونا الأمريكية وعلى مساحة قدرها ٢٥ر٢ فدان يقام اول مشروع من نوعه في العالم لاختيارامكان اقامة الانسان في مستعمرات الفضاء .. يتكلف المشروع حوالي ٣٠ مليون دولار ويتوقع أن ينتهي البناء في عام ١٩٨٩ ..

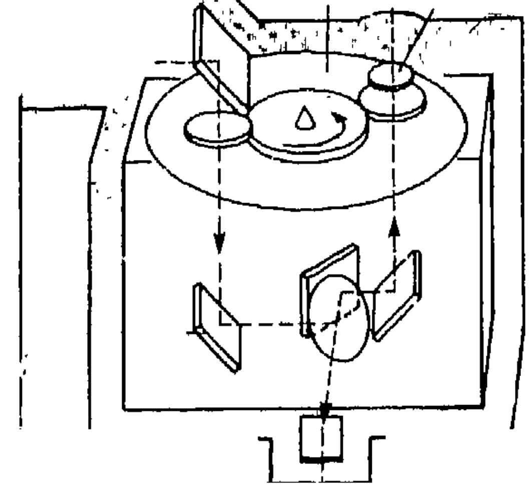
يتكون البناء من نظام معقد يتضمن محيطات صناعية مصغرة وغابات استوائية

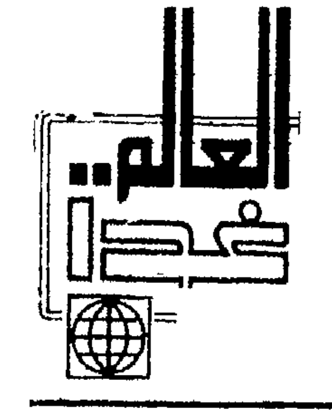


وصحارى واسعة ومستنقعات ويوجد كل ذلك داخل قوقعة من الصلب والزجاج مكتفية ذاتيا بكل شيء حتى الهواء بعد الانتهاء من البناء واجراء كافة التجارب سيقطن بداخله ثمانية متطوعين لمدة عامين متواصلين يبتعدون خلالها عن كل شيء عدا ضوء الشمس .. ويسعى العلماء لتحويل هذه القوقعة الى مستعمرة ذات اكتفاء ذاتي فسيعاد استغلال ثاني اكسيد الكربون الذي يستخرجه الانسان لتتنفس النباتات كما سيستفاد من الاكسجين الذى يستخرجه النبات لتنفس الانسان كما ستستغل فضلات الانسان كأسمدة للحاصلات الزراعية وغذاء للبكتريا والطحالب ونباتات الماء التي ستتحول بدورها الى طعام للاسماك . ما زالت هناك تحديات كثيرة تواجه العلماء لتنفيذ هذا المشروع واهمها كيفية الحفاظ على التوازن بين كل دورات الحياه لمنع وقوع كارثة طبيعية واذا ماتم بالفعل التغلب على هذه التحديات فان المشروع الامريكى سيعد ثورة فى مجال الاستيطان بمستعمرات الفضاء .

● اول ميكروسكوب ملون فى العالم ●

تمكنت مجموعة من العلماء فى تشيكوسلوفاكيا من ادخال تطورات مهمة على جهاز الميكروسكوب الضوئى بحيث اصبح ممكنا مشاهدة الخلية المراد فحصها مجسمة . وقد اعتبر العلماء الغربيون هذا الميكروسكوب الجديد من احد الانجازات البارزة لهذا القرن .. ويتميز هذا الميكروسكوب باعطاء صورة فائقة الوضوح كما انه يعد اول ميكروسكوب فى العالم يعطى صورة ملونة بدون الحاجة لاضافة اى اصباغ لشرائح الفحص .. اثار الجهاز دهشة علماء الغرب لبساطته فهو يستخدم اشعة الليزر او ايا من العمليات الاليكترونية الدقيقة وهو فى نفس الوقت معتدل نسبيا فى سعره بدأ العمل على تطوير هذا الجهاز منذ ٢٠ عاما فى محاولات بذلها العلماء لايجاد وسيلة تمكنهم من فحص انسجة المخ الحية باستخدام الميكروسكوب الضوئى بدون حدوث خلل فى الصورة ويعمل الجهاز بفضل تسليط الضوء على المنطقة المعينة المراد فحصها فقط وانعكاسه على العدسة .. وبسبب قدرة الجهاز على تسجيل التغيرات الدقيقة فى الاجهزة الحيوية يتوقع ان يستخدم للدراسة وظائف الاعضاء وخاصة العضلات وتسوس الاسنان كما سيستخدم فى فحص الاثار وخاصة المومياوات





● عصر كومبيوتر التليفون ●



يعد عام ١٩٨٦ هو عصر لكومبيوتر التليفون . ومجرد الجمع بين التليفون والكومبيوتر ليس جديدا فى حد ذاته ، فيمكن ارسال معلومات الكومبيوتر عن طريق خطوط التليفون ، ولكن الجديد هو ما انتجته احدى الشركات البريطانية وهو جهاز يتضمن شاشة ووحدة تحكم وتتكون وحدة التحكم من جهاز تليفون مركب يجمع بين اداتى الارسال والاستقبال ومفاتيح تشغيل وذاكرة لتخزين المعلومات بالاضافة الى امكان برمجة الجهاز الجديد للرد على التليفون من خلال استخدام بعض الكلمات من ١٥٢ كلمة هى حصيلته كما يمكنه تمييز الاصوات وبالتالى يرد على المتحدث بالاجابة المناسبة . وقد صمم تليفون الكومبيوتر خصيصا للاشخاص الذين ينتقلون بصورة متكررة بين عدد من الاعمال التى تحتاج الى التنوع فى استخدام الجهاز فى الاعمال الخاصة بالكومبيوتر والتليفون ويمكن باستخدام مفتاح واحد فقط التحول من قراءة شاشة الكومبيوتر الى ادارة رقم تليفونى .

● جيل جديد من شرائط التسجيل ●

انتجت اليابان جيلا جديدا من شرائط التسجيل الرقمية . هذه الشرائط لاتناظر الاسطوانات الرقمية فى الصوت النقى فقط ولكنها تتميز بانها تتيح الفرصة للتسجيل عليها . كما ان دقتها فى استقبال الاصوات المرسلة اليها ونقلها اعلى من الاسطوانات الرقمية وتعادل نحو ضعف قدرة شرائط التسجيل نفسها .

● تحويل زجاجات البلاستيك الفارغة الى اثاث ●

بدات بريطانيا فى استغلال الزجاجات البلاستيكية الفارغة التى تتوفر لديها بكميات ضخمة فى انتاج صناعات جديدة لقد افتتح مصنع جديد يقوم بتحويل البلاستيك الى مادة سائلة واعادة تصنيعها الى احذية ومعدات للسيارات وبعض قطع الاثاث ايضا . ويعد هذا المصنع هو الاول من نوعه فى العالم الذى يعيد تشكيل البلاستيك بسعر اقتصادى ويحافظ على نفس درجة النقاء التى يتمتع بها البلاستيك الاصلى وكانت بريطانيا قد استهلكت منذ نهاية السبعينيات نحو ٣٠ الف طن بما يعادل ٣٠٠ مليون زجاجة من البلاستيك وبسبب ضخامة المفقود قررت استغلال البلاستيك لما يتميز به من قوة وخفة وزن بالمقارنة للمفقود من الزجاج

ابتسامات

● طاعة ●

● قال رجل لزوجته : ان الشريعة تقضى عليك بالطاعة العمياء لارادتى .. فاذا آمرتك مثلا ان ترمى بنفسك فى النيل .. وجب عليك ان تلقى بنفسك فيه بلا تردد .. فلما سمعت الزوجة كلامه تحركت للخروج من البيت ..

فسألها زوجها : الى اين تذهبين الآن ؟

فاجابته على الفور : لأتعلم السباحة قبل صدور أمرك الجائر !

● اراد جحا أن يتزوج ، فبنى دارا تتسع له ولاهله وطلب إلى النجار ان يجعل خشب السقوف على ارض الحجرات ، ويجعل خشب الارض على السقوف ، فراجعه النجار دهشا ولم يفهم ما يعنيه . فقال له جحا :

ـ اما علمت ياهذا ان المرأة اذا دخلت مكانا جعلت عاليه سافله ؟ اقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج !!

● مصائب قوم ●

● فى معركة "لوتزن" اطاحت شظية قنبلة بساق الجنرال الفرنسى "لاتور ـ موبور" فنقل فورا الى عربة الاسعاف واجريت له عملية بتر الساق المصابة . وقد شهد العملية الجراحية هذه الجندى الذى يقوم على خدمة الجنرال منذ زمن بعيد . فراح يبكى ويشهق من جراء منظر البطل الذى اصبح بساق واحدة ، وقد كان يحبه ويحترمه ويجله .

ولكن الجنرال الذى عرف برباطة الجأش وروح النكتة ، التفت الى خادمه قائلا :

ـ هدىء روعك . وتذكر انه لم يبق امامك الآن ان تنظف وتلمع إلا فردة حذاء واحدة !!

● قال أحد الكتاب : عندما كنت شابا قررت ألاّ اتزوج إلا من المرأة المثالية وقد وجدتها بعد اعوام ، ولكنها كانت تبحث هى الاخرى عن : رجل مثالى !!

هموم الأقليات المسلمة

بقلم: د. سعيد إسماعيل على

اذا كان المسلمون يشكلون الجمهرة الكبرى من سكان مناطق عدة من العالم ، مثل المنطقة العربية ، وعدد اخر من البلدان الاسيوية والافريقية ، فان بلادا اخرى كثيرة يشكل المسلمون فيها اقلية تتراوح بين عدد قليل من عشرات الالوف وبين عدد يصل الى عشرات الملايين ، ومعظم هؤلاء وهؤلاء فى اوربا وامريكا ، وايضا بعض دول اسيا وافريقيا.

ويستخدم مصطلحا الدول الاسلامية والدول ذات الاقليات المسلمة فى المجالات السياسية وفى مجال خدمة الاسلام والدعوة اليه ، وتوجد عدة مقاييس لتحديد ما يطلق عليه اقلية اسلامية فى دولة من الدول . ومن اقرب المقاييس الى الدقة ، المقياس العددى .

لكننا لانستطيع أن نزعم ان هذا المقياس مطلق ، فهناك استثناءات لايمكن غض النظر عنها فدولة مثل أوغندا واخرى مثل الجابون تعتبران من الدول الاسلامية وهما عضوان فى منظمة المؤتمر الاسلامى مع أن النسبة العددية للمسلمين فيهما تبلغ ٥٠ بالمائة من عدد السكان ، ويبلغ عدد المسلمين فى جمهورية اليوبيا أكثر من خمسين بالمائة ، كما أن المسلمين فى دولة مثل « البانيا » فى أوربا يشكلون اغلبية كبرى ، ولكن كلتيهما ليستا دولتين اسلاميتين .

كذلك فاننا قد نجد بعض المعايير قابلة لمناقشة مثل رئاسة الدولة وتشكيل النظام الحاكم والنص فى الدستور على مايفيد ان الدولة ليس لها دين معين « علمانية » ، كما توجد عقبات عملية فى تحديد الدول الاسلامية من دول الاقليات المسلمة تتمثل فى انعدام الاحصائيات التى يمكن الاعتماد عليها وفى تعدد العقائد غير السماوية وفى صعوبة تحديد عقيدة او دين لجانب كبير من السكان ، ونجد امثال هذه الصعوبات فى قارة افريقيا أو غيرها ، ويكفى أن نذكر أن عدد المسلمين فى جمهورية الهند يبلغ أكثر من خمسين بالمائة . « الدكتور جمال الدين محمود ، ص ٢ » *

● صور احصائية لواقع بعض مجتمعات الاقلية المسلمة ●

١ - حسب احصائيات عام ١٩٨٠ ، يعيش فى المانيا نحو مليون ونصف

المليون مسلم ، أى ٢ر٤ بالمائة من المجموع الكلى للسكان ، اى أن الاسلام يشكل الديانة الثالثة الكبرى فى المانيا بعد الروم الكاثوليك والبروتستانت . ومن ضمن مسلمى المانيا يشكل الاتراك ٢ر١ مليون نسمة حسب الاحصاء التالى « الدكتور رجا حسين ابو السمن ، ص ٥ » :

توزيع المسلمين حسب جنسياتهم او اقطارهم فى المانيا الاتحادية

الجنسية او الاصل	العدد	ملاحظات
الاتراك	١٢٠٠٠٠٠	هذا الرقم لايشمل الهجرة غير الشرعية
اليوجسلاف	١٢٠٠٠٠	
العرب	٦٠٠٠٠	
افريقيا والشرق الاقصى	٣٠٠٠٠	
ايران	٢٠٠٠٠	
الاقطار الشيوعية	٦٨٠٠٠	
المان	١٢٠٠	تستثنى الزوجات الالمانيات
المجموع الكلى	١٥٠٠٠٠٠	اللواتى تزوجن بمسلمين .

٢ ـ ويقدر عدد المسلمين فى اسيا باكثر من ٧٥٢ مليون نسمة ، منهم ٤٧٠ مليونا يعيشون فى الاقطار الاسلامية اى بنسبة ٦٣ بالمائة تقريبا من اجمالى عدد المسلمين فى اسيا ، بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون فى اقطار غير اسلامية باكثر من ٢٨٢ مليونا اى بنسبة ٣٧ بالمائة من مجموع مسلمى اسيا . وتقدر أعداد المسلمين فى اهم اقطار اسيا غير الاسلامية على النحو التالى « الدكتور محمد محمود محمدين ، ص ٧ » :

الدولة	عدد المسلمين « بالمليون »	نسبتهم المئوية الى مجموع السكان
الهند	١٠٠	١٥ بالمائة
الصين الشعبية	٩٥	١٠ بالمائة
الاتحاد السوفييتى	٦٩	٢٥ بالمائة
سرى لانكا	١ر٢	٨ بالمائة
تايلاند	٦ر١	١٢ بالمائة
بورما	٧ر٢	٧ بالمائة
الفلبين	٧ر٥	١٦ بالمائة
دول آسيوية اخرى	٤ر٢	ـــ

* الاحالة الواردة بين قوسين تشير الى البحث الذى قدم للمؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الاسلامى الذى عقد بمدينة الرياض فى الفترة من ٢٣ ـ ٢٨ يناير ١٩٨٦ ، وقد اشترك الكاتب فى هذا المؤتمر ببحث بعنوان : « دور المؤسسات التعليمية فى رفع المستوى الثقافى للاقلية المسلمة » .

٣ – امابالنسبةلافريقيا، فتقدر أعداد الاقليات المسلمة بها بـ ٢٤ر٢٨٩ر٦٦٠ مليون موزعة على ٣١ دولة أو وحـــدة سياسية ، يمكن بيانها كما يلي « ادارة التوعية الاسلامية بوزارة الحج والاوقاف السعودية ، ص ١٦ – ١٨ » :

الدولة	عدد المسلمين بها	نسبتهم المئوية الى جملة السكان
زامبيا	١٢٠ر٠٠٠	٢ر٤ بالمائة
انجولا	٩٠٠ر٠٠٠	١٥ بالمائة
ناميبيا	٢ر٤٠٠	٠ر٤ بالمائة
ليسوتو	٥٠ر٠٠٠	٥ بالمائة
اتحاد جنوب افريقيا	٤٠٠ر٠٠٠	٠ر٢ بالمائة
سوازيلاند	٢٥ر٠٠٠	٥ بالمائة
بتشوانا	٣٠ر٠٠٠	٥ بالمائة
جزر سيشل	٥٠٠ر	١ بالمائة
جزر ديونيون	٨٠ر٠٠٠	٢٠ بالمائة
كابيندا	٥ر٢٥٠	٣ بالمائة
ليبريا	١ر٠٨٦ر٠٠٠	٣٠ بالمائة
غانا	٢ر٨٠٨ر٠٠٠	٣٠ بالمائة
غينيا الاستوائية	١٠٥ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
كينيا	٣ر٨٥٠ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
موزنبيق	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
الكونغو	٦٠ر٠٠٠	
مالاجاس	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
زيمبابوى « روديسيا »	٢٠ر٠٠٠	
مالاوى	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٣٥ بالمائة
اوغندا	٤ر٤٠٠ر٠٠٠	
بورندى	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥ بالمائة
زائير	٢ر٤٠٠ر٠٠٠	١٠ بالمائة
داوندا	٢٤٠ر٠٠٠	٦ بالمائة
الاقلياتمتناثرة بغرب افريقيا	١ر١٨٨ر٨١٠	

٤ ـ وتعيش فى شمال شرقى اليونان فى منطقة تسمى تراقيا الغربية منذ أكثر من نصف قرن « منـذ ١٤ مايو عام ١٩٢٠ على التحديد » أقلية اسلاميـة تعدادها أكثر من مائة ألف نسـمة ، بمقتضى معاهدة لوزان التى ابرمت عام ١٩٢٣ ، مقابل الاقلية اليونانية المسيحية فى مدينة استانبول بتركيا . « حسن محمد بالسمان ، ص ١ » .

• مشكلات .. وهموم •

يواجه المسلمون الذين يعيشون فى دول غير اسلامية مشاكل عديدة ، وبطبيعة الحال ، فاننا نقصد المشاكل التى تتعلق بحياتهم باعتبارهم مسلمين وسط مجتمع غير اسلامى ، وهذا المجتمع تختلف عقيدته الاساسية من الاسلام ، وقد يكون هذا الخلاف بذاته سببا حتميا فى التضييق على الاقلية المسلمة التى تعيش فيه كما فى بعض الدول الماركسية حيث تعتبر الدعوة ضـد الاديان رسمية والتعليم اللادينى عاما ومقررا ، ويكون الاحتفاظ بالاسلام كعقيدة دينية مصـدر عنت اجتماعى ورسمى مما يدفع بالكثيرين الى مسايرة اتجاه الدولة ولو بطريقة شكلية.

ونظرا لتفرق الاقليات المسـلمة بين العديد من الدول المتباينة المسـتوى ، المختلفة الاتجاه ، كان من الطبيعى ان تتباين مشكلاتهم وهمومهم ، ويمكن الاشارة الى نماذج وأمثلة من هذه المشـكلات والهموم فيما يلى :

ـ فهنالك فى منطقة الجنوب الغربى من اثيوبيا الحالية ، يقطن شعب «الاورومو» هذا الشعب المجهول الذى لايكاد العالم يعرف عنه شيئا علما بانه يكون مجموعة من أكبر المجموعات البشرية على نطاق اثيوبيا اذ يقدر عدده مابين ١٥ ـ ٢٢ مليونا من السكان . ولم تكن مناطق الاورومو ضمن اثيوبيا حتى بدايات القرن التاسع عشر حيث كانت لها ممالك مسـتقلة « اسلامية » ، ثم بدأت توسعات الاحباش فى مناطق الاورومو بعد مؤتمـر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ الذى مهد لتجزئة افريقيا وتقسيمها الى مناطق نفوذ اوربية وباركت القوى الاوربية المتصارعة دعم اسـتيلاء اثيوبيا كقوة مسيحية افريقية على مناطق الاورومو وبقية الممالك الاسلاميـة حتى حدود الصومال الحالى .

وحتى نقف على مقدار معاناة سـكان هذه المنطقة ، أجرى الباحث « حسن مكى محمد أحمـد بالمركز الافريقى بالخرطوم » دراسة ميدانية على العديد من المهاجرين منهم الى السودان فرارا من صور الاضطهاد المتعددة التى لاقوها ، لقد اجمع جميع المستجوبين بانهم نزحوا بسبب الاضطهاد وتصل بعضـهم فربط الاضطهاد بالتجنيد الاجبارى لان ذلك يقود الى الانخراط فى الجيش الشـعبى الذى يقوم بمهام حفظ الامن وسط المكان ومحاربة حركات القوميات ، كما ربط بعضهم الاضطهاد بظروف الحرب التى تخلق حالة من الخوف ولا تسمح بالاستقرار وأشار بعضهم الى منعهم من مواصـلة التعليم واغلاق خلاوى تعليم القرآن . وأشار اثنان الى انهما هربا بسـبب اجبارهما على العمل فى المزارع الجماعية ونتيجة لمنع الارث الزكاة ، وان آخرين فرا ليتمكنا من أداء فريضة الحج ولم يسجل أى منهما انه هرب بسبب عوامل غـير سياسية أو نزح نزوحا عاديا بسـبب الجفاف أو بحثا عن عمل أو غيره «صفحات متفرقة من البحث » .

ـ ولعل اخطر المشكلات التربوية التى تواجه الاقليات المسلمة ، هى أن المسلم لا يعيش مجتمعا اسلاميا ، نقول هذا من منطلق أن المجتمع هو الوسـيط المربى الاساسى ، اذ مهما تعددت وسـائط التربية واجهزتها ومؤسساتها فسوف يظل المجتمع هو « الرحم » الذى تنبت فيـه شخصية المواطن ان خيرا فخير وان شرا فشر ، ومن هنا فان وجود المسلم جزء من اقلية وسط كثرة من غير المسلمين ، يجعله يضع ابناءه فى « رحم » مختلف تماما يغذيه اناء الليل واطراف النهـار بالمثل والقيم والطموحات غير الاسلاميـة « سعيد اسماعيل على ، ص ٨ » .

ان شأنا مثل هذا له خطره المزدوج ،

دراسة الهلال

فهو أولا يعيق ماقد يتم من تربية اسلامية لابناء المسلمين سواء عن طريق الاسرة أو عن طريق مؤسسات أخرى ، ذلك أن فعل التربية لايؤتى ثمره كاملا اذا كان هناك مايفعل فعلا معاكسا . وهو من ناحية ثانية يوقع الابنـــاء فى صراع حاد بين « تربية » يطمح اليها ويسعى نحـوها يتطلبها دينه ، وبين « واقع » اجتماعى يسير به فى اتجاه آخر ، وهو ان أخلص تماما لتربيته الاسلامية خاف أن يبدو فى الوسط الاكبر غريبا مغتربا ، وهو أن تجاهل هذه التربية وانغمس فى الوسـط الاكبر بما فيه ، عاش تحت ســـياط ضميره يلهب فكره ووجـدانه بضربات مؤلمة لانه قد تنكب طريق الاسلام .

ـ ويبدو لنا من استعراض واقع اللغة العربية فى منطقة مثل جنوب افريقيـا ومناطق أخرى ، ولقائمة المنظمـــات الاسلامية والهيئات الاكاديمية التى تتولى نشرها ، انها بدأت تكتسب موقع قدم فى ساحة الواقع اللغوى المتشابك ، ولكن هذا التطور تقف فى سبيله عدة تحديات يمكن اختصـارها فى الملاحظات الاتية : « عمر الصديق عبد الله ، ص ١٩ » .

* افتقار بعض شرائح المجتمع المسلم الى الدافعية التى تجعلهم يقبلون على تعلم اللغة العربية .

* ندرة المعلمين المدربين على استخدام الطرائق الحديثة فى تعليم اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية .

* ندرة المعاهد المتخصصة التى تخرج ذلك النوع من المعلمين .

* الحواجز العقلية والسيكلوجيـة التى تمخضت عن المقولة الجائرة عـن صعوبة اللغة العربية .

* الافتقار الى الكتب التعليميـة المناسبة لمن يرغب فى تعلم اللغـة العربية بوصفها لغة اتصال .

* معاناة معلمى اللغة العربية من تردى أحوالهم المادية لان عملهم لا يدر عليهم الكثير ولا يتيح لهم التســهيلات التى يوفرها العمل فى القطاعين العام والخاص .

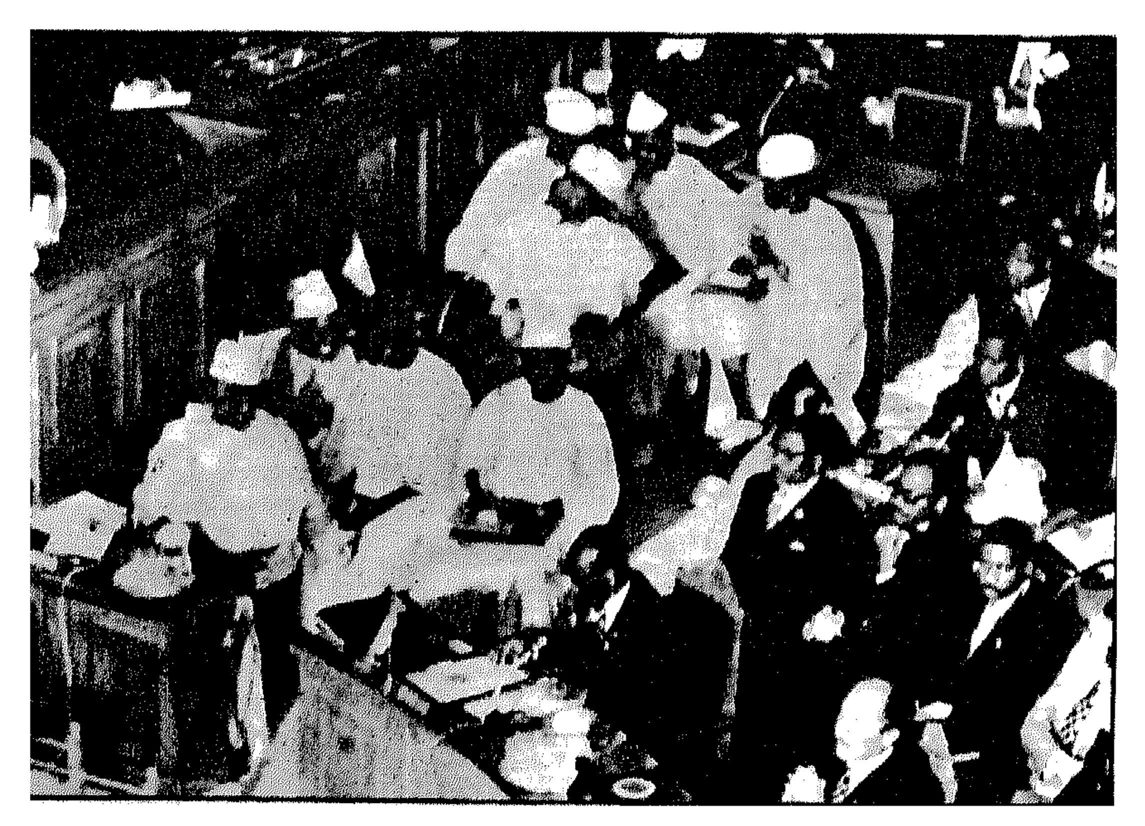
* الموقف السلبى لكثير من العلماء حول نشر اللغة العربية .

● صور القمع والتهجير ●

ـ واذا كان مسلمو الفلبين قد تخلصوا من الشكل المباشر للاستعمار الاوربى خاصة والغربى عامة ، الا ان هـذا الاستعمار لايزال يمارس صـورا وأساليب أخرى تستهدف التهجير والقمع والعنف والتنصير لقد قامت حكومة الفلبين فى عهد ماركوس بانشاء مستوطنات مسيحية وســط المناطق الاسلامية دفع اليهـا قسرا تلك العناصر المعارضة له ليضرب عصـفورين بحجر واحد كما يقال ، وعمدت الحكومة الى احتكار ثروات المناطق الاسلاميـــة واهمال أصحابها ، وبطبيعة الحال ، لم يرض المسلمون بهذه الاجراءات ، وطالبوا الحكومة بوقفها ، فكان الرد استخدام العنف والارهاب لفرض المخططات بالقوة . زد على هذا أن العناصر الاخرى من غير المسلمين انشئوا منظمة ارهابية مدعمة بالسلاح والمال والخبرات تتلقى دعمـا من اسرائيل ، تقوم بملاحقـة المسلمين وقتلهم واحـراق بيوتهم ومزارعهـم ومساجدهم ومدارسهم . « الطـــاهر المعمورى ، ص ١٠ » .

ـ كانت الاقلية المســلمة فى اليونان تتمتع بمقتضى معاهدة لوزان والدسـتور اليونانى بكافة الحقوق التى يتمتع بهـا المواطنون اليونانيون من المسـيحيين ، وكان المسلمون يتمتعون بكامل حقوقهم من البيع والشراء وفتح المدارس والمحلات التجارية وانشاء المساجد والمبانى السكنية وغيرها من الحقوق ، لكن الامر قد تغير بدءا من عام ١٩٦٥ ، حيث بدأت الاقلية المسلمة تواجه عددا من المشكلات مثـل « حسن محمد بالسامان ، ص ١٦ » :

* عدم السماح للمسلمين بالبيع أو الشراء فى العقارات .



المسلمون يجتمعون فى مناسبات عديدة ، لبحث مشكلات الأقليات المسلمة .

* عدم السماح بانشاء مبان سكنية جديدة أو ترميم القديم منها الا فى حالات استثنائية وبصعوبات بالغة .

* حرمان المسلمين من انشاء مساجد او مدارس جديدة أو ترميم القديم منها، وفى حالة طلب الاهالى اجراء اصلاحات او ترميمات بالمسجد على حسابهم الخاص فان طلبهم هذا يحال الى الاسقفية فى اثينا وتوجد طلبات مضى عليها أكثر من خمس سنوات ولم تأت الموافقة من الاسقفية بعد .

* مشكلة تلمس ملتبع ملكية كثير من اراضى المسلمين باغراض مختلفة .

* تتدخل الحكومة فى تعيين المدرسين فى المدارس التى يقيمها الاهالى المسلمون، وتعين مدرسين من قبلها دون النظر الى الكفاءة ، مع ان معاهدة لوزان تنص على ان للاقلية المسلمة فى اليونان حق فتح المدارس وتعيين المدرسين . وتوجد حاليا فى منطقة « اكسانتى » مدرستان ابتدائيتان مقفلتان بسبب خلاف حاد بين الحكومة والمسلمين ، فالحكومة تصر على تعيين مدرس معين ولا تسمح بغيره ، ولكن

القرويين المسلمين ثبت لديهم عدم كفا ذلك المدرس وادت هذه المشكلة ا اقفال المدرسة .. الخ

ـ ومن الحقائق المسلم بها الالمان لاينظرون الى الاتراك « المسلمين بنفس الاحترام الذى ينظرون به الى غير من الجنسيات ، بل على العكس من ذلك نهم يحتقرونهم أحيانا بالرغم من الاعمـ الشاقة التى لايقبل الالمان انفســ القيام بها .

ومن الشائع جدا أن يرفض الالمـ تأجير بيته أو مسكنه التركى بحجة ا لا يحافظ على نظافة البيت ولا يرا القوانين والانظمة فى السكن ، واذا ماوا الالماني على تأجير بيته لتركى فغالباماتك الاجرة مرتفعة وخصوصا اذا كانت عائل ستقيم معه . هذا ولقد نشات نتيجـ للظروف السابقة بعض الاحياء الفق والخاصة بالاتراك فى المدن الكبرى والصغر حيث يسكنون مساكن قديمة أو بائسة

وقد عزا بعض المؤرخين العداوة القا للمسلمين فى مختلف انحاء أوربا ، سقوط القسطنطينية بأيدى الاتراك

١٤٥٣ واحتلال أثينا بعد ذلك فاقترنت صورة المسلم بصورة التركى الذىيعتبرونه غازيا وسفاكا للدماء . « رجا حسين أبو السمن ، ص ٦ » .

وقد اعتبر كتاب مارتن لوثر « الحرب مع الاتراك » نموذجا واضحا للكثير من المؤلفات المعادية للاتراك حيث يزعم مؤلفه ان القرآن يحض على العنف ، ونعت مؤلفه الاتراك بالقتلة المغتصبين ، وروج بعض معاصريه دعاية تقول ان الاتراك أناس تجسد فيهم الشيطان يعتدون على النساء المسيحيات ويخربون كل مايجدونه فى طريقهم .

واذا أردنا أن نبحث أن الاسباب التى ادت الى تردى أحوال الاقليات المسلمة فى المناطق الافريقية على سبيل المثال ، بل وبلاد الأغلبية المسلمة كذلك ، لسوف نجد فى مقدمتها الاستعمار الغربى بطبيعة الحال حيث استطاع السيطرة التامة على ثروات هذه البلاد ومواردها واستنزاف كل ما يستطيعه منها وتقويض كل مافيها من المؤسسات ، كل ذلك ليعينه على تحقيق مآربه وأغراضه ومن ثم ترك البلاد منذ رحيله منها بلا رءوس اموال وبلا كوادر بشرية لتسيير العمل الوطنى ، ومازالت سيطرة هؤلاء الدول على الاقتصاد الافريقى والثروات الافريقية قائمة حتى الآن ولكن بدرجات متفاوتة .

ومن الامور المسلم بها أن الاستعمار لم يمنح الاستقلال الدول التى كان يستعمرها ، الا ليعود اليها مرة أخرى فى صور شتى .

والحق الذى يجب أن يقال بعد هذه اللمحات السريعة عن واقع بعض الاقليات المسلمة احصائيا وكيفيا ، أن لهذه الجماعات علينا حقا ذا ثلاث شعب : حق الاخوة ، وحق التساند ، وحق التداعى . هم اخوة لنا مهما نأت بهم الديار « انما المؤمنون اخوة » الحجرات ١٠ ، و « المسلم أخو المسلم » متفق عليه ، وهم من البنيان الاسلامى العام للأمة المسلمة الذى يشد بعضه بعضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » متفق عليه ، وهم من الجسد المؤمن الذى اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه .

لذا فهم يمثلون الاخ البعيد القريب ، والسند القليل الكثير ، والعضو الغائب الحاضر ، هو فى الهامش هناك، ولكنه بالقلب موصول ، مهما بعدت بيننا الشقة « د. سيد أحمد عثمان ، ص ٣ »

ان السمة الغالبة على الاقليات المسلمة انها تعانى من التخلف الاقتصادى وضيق فرص العمالة للجنسين فضلا عن مشكلات الفقر والجهل والمرض وتدنى الخدمات بينما بلادهم غنية بثرواتها الطبيعية ومواردها . وليس هناك من مخرج الا بالعمل على ازالة هذا التخلف من واقع المسلمين وباحداث تنمية اقتصادية بالمبادرات الذاتية للمسلمين وتجميع رءوس اموالهم القليلة لاحداث هذه التنمية .

ان تجميع رأس المال المسلم فى شكل شركات محدودة او بنوك محلية او مصانع أو مزارع ودفعها للاهتمام بالنشاط التجارى والاستثمارى ضرورى ولابد منه، فهو فضلا عما يحدثه من تغيير مادى ، يحمى المال المسلم من ان تستفيد به الشركات الاجنبية ، كما انه يعطيهم الشعور بالوحدة والكسب والتضامن لتقوية رابطتهم الدينية والاجتماعية وان يوفروا للشباب فرصا للعمل والاغتناء وحماية الجماعة من اخطار الاستغلال الربوى والسوق السوداء وان يتم تداول المال فى مصالح المسلمين وتحقيق أهدافهم « الهادى بخارى على ، بمنظمة الدعوة الاسلامية بالسودان ، ص ٩ » .

ونظرا لما تشكله اللغة العربية من أهمية

فى ربط الاقليات المسلمة بالثقافة الام ، تركزت جهود كثيرة فى بلدان عـدة على تعليمهم هذه الاداة الثقافية الخطيرة ، ففى الهند على سبيل المثال ، نجد انه بجانب المدارس الاسلامية الاهلية ، يوجد بها عدد كبير من الكليات والجامعـات الاسلامية التى تعنى بتدريس اللغةالعربية وآدابها بدافع أدبى وثقافى ، ومن هنا يركزون على دراسة النثر والشعر والنقد والتاريخ الادبى وقواعد اللغـة ، ولا يتوجهون الى دراسة المواد الدينية مثل طلاب المدارس الاسلامية . وهذه الجامعات تنظم دراسات مسائية للغة العربية أيضا، ويلتحق بها فى الاغلب الطلابالذين يريدون تعلم اللغة العربية بدافع اقتصـادى أو ثقافى فقط ، فهم يحتاجون الى هـذه اللغة اثناء وجودهم فى البلاد العـربية للتجارة أو الخدمة . « د. مقتدى حسن محمد ياسين بالجامعة السلفية بالهند ، ص ٨ » .

وفى اليابان استطاعت جامعـة الامام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية أن تنشىء بها عام ١٩٨٢ « المعهد العربى الاسلامى » وذلك بهـدف التعريف بالاسلام ومساندة الراغبين فى الاطلاع من اليابانيين على الثقافة الاسلامية ، وكذلك نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها ، وبذل الرعاية للمسلمين من أهل اليابان وتلبية الحاجاتالدينية والثقافية لهم وللمسلمين المقيمين هناك ، وايضا متابعة كل مايكتب عن الاسلام وما يصدر من دراسات اسلامية فى اليابان والقيام بترجمة الصالح منها الى اللغة العربية والقيام بترجمة الدراسات الاسـلامية المفيدة الى اللغة اليابانية .

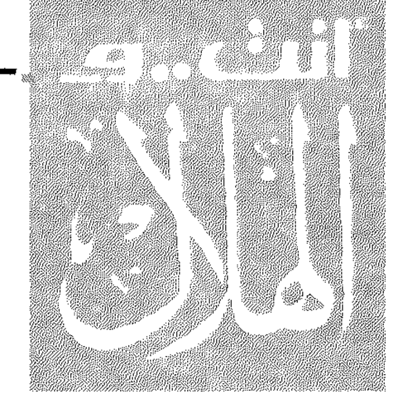
واذا كانت الولايات المتحدة الامريكيـة قد أصبحت تضم عددا كبيرا من المسلمين الان ، فقد أدى هذا الى تكاثر المنظمـات والجمعيات والهيئات العاملة فى حقـل خدمة المسلمين بها مستفيدة فى ذلك من هذا المناخ الليبرالى السائد مما يتيح لهم حرية النشاط والحركة ربما بدرجة قد تفوق ماهو موجود فى بعض بلاد الاغلبية الاسلامية مع الاسف الشديد .

اما أكثر الجمعيات الاسلاميـة نشاطا فى مجال التربية الاسلامية ، ومجـال الدعوة الى دين الله فى أمريكا ، فهى «اتحاد الطلبة المسلمين فىامريكا وكندا» وقد تم تأسيس هـذا الاتحاد فى مطلع سنة ١٩٦٣ على يد خمسة وعشرين طالبا مسلما ينتمون الى خمس عشرة جامعـة امريكية ، وكان ذلك فى جامعة «الينوي» فى مدينـة « اربانا » ، وكان الهـدف من تأسيس الاتحاد توحيد الطلبـة المسلمين الموجودين فى أمريكا الذينتزايدت اعدادهم بشكل ملحوظ فى السـنوات الاخيرة « د. كمال كامل عبد الحميد ، ص ٢٣ » .

واذا كان المجتمع - أى مجتمع - يسعى عادة الى ايجاد التجانس والوحدة الفكرية والثقافية بين أبنائه ، فان الاقليـة المسلمة تصبح معرضة لخطر الذوبان فى المجتمع الكبير مما يحتم ضرورة السـعى الحثيث الى الحيلولة دون هذا الخطر ، ويكون ذلك بانتهاج كافة السبل الممكنة واستنفار كافة النظم والمؤسـسات للمشاركة فى تحقيق هذا الهدف .

ولا تقتصر المسالة على الحيلولة بين الاقلية المسلمة وبين الذوبان فى المجتمع الكبير غير المسلم وانما تتعداها الى ضرورة التنمية الذاتية للمسـلمين والتطوير الدائم لاحوالهم الثقافية والاجتماعية . بل اننا لنزيد على ذلك ضرورة السعى لتوسيع الرقعة الاسلامية وكسب المزيد من الانصار بجلب من يمكن جذبه الى الانضواء تحت المظلة الاسلامية والدعوة اليهم بالتى هى احسن ، وتقديم النماذج الطيبة التى تؤكد للاخرين بطريق عملى ان المنهج الاسلاميكفيل بان يبوىء صاحبه مكانة عالية فى الحياة الدنيا وايضـا فى الحياة الاخرة .

ولاشك ان مثل هذه المهمة لهـا جوانبها المتعددة اجتمـاعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا مما يحتم تضافر قوى كل المؤسسات القائمة واستحداث ما نحن بحاجة اليه للقيام بهذه المهـام الرئيسية .



● عسل وطحينة

● قرأت مقال الكاتب سيد الكيلانى فى عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة الهلال الغراء وعنوانه « عسل وطحينة » .. وهو يتسم كسائر مقالات الأستاذ الكيلانى بما يأتى :
أولا : معلومات تُساق وكأنها تطبيق لمقولة تداعى المعانى .
ثانيا : لايبدو أن هناك هدفا ينشده الكاتب من وراء مقاله .
ثالثا : اختيار عناوين مثيرة قد لا تعبر عن المضمون بل قد تكون بعيدة عنه .
رابعا : يبدو ان الكاتب يريد الكتابة لذاتها ! المهم أنه يكتب .
خامسا : يندر ان تلمح للكاتب بصمات تستطيع من خلالها الحكم على شخصه .
وخلاصة القول فى مقالاته انها ليست مقالات بل معلومات تساق بآلية قانون تداعى المعانى ! ولنتناول بعض فقرات المقال لعلنا نستطيع الوصول الى جوهر العسل أو الطحينة على الأقل لكن يبدو أن عملنا هذا سيواجه بعوائق أو بلزوجة العسل وقد تخفف من هذه اللزوجة الطحينة !!

يقول الاستاذ سيد (وهذه صورة هدنة بين السلطان بيبرس وبين الاخوة الاسبتار ..) (والبلاد المذكورة فى هذه المعاهدة هى المقاطعات التى تحت يد الصليبيين ..) وقال ابن جبير عن صور ..) (وكان بعض المسلمين قد ألموا باللغة اللاتينية كما ..) (وكان المسلمون يشاركون الصليبيين حفلات الزواج) (وكان من المسلمين من يتحيز للافرنج لما عندهم من نساء جميلات ..) (وكان ابن القيسرانى الشاعر يذهب الى كنائس الافرنج ويتغزل فى النساء ويتمنى أن لو كان صليبيا أو صورة مرجرجس ..)

.. ثم ماذا ياعم سيد ؟!

(.. وبعد انقضاء مدة الهدنة ترك الصليبيون الشرق وانقطعت الصلة بينهم وبين الشرقيين ماعدا ..) (ووجدوا من سلاطين المماليك خير مشجع . وكان بعض الرحالة الأوربيين يزور مصر والشام ويدون مشاهداته . ومن أشهر هؤلاء فولنى الفرنسى وله كتاب ضخم عن رحلته وفجأة انتهى مقالى وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح والى لقاء آخر) !!

هذا هو المقال .. فأين عناصره ؟ وأين شكله ؟ وأين جوهره ؟! لابد أن الأستاذ سيد الذى وهب عبقريته فى نقد العقاد أو نقضه كما صورت له ألمعيته قد اكتشف عناصر وشكلا وجوهراً جديداً للمقال فى العربية ..!

ومن السهل أن يجد الأستاذ سيد رداً على كلماتى هذه وهو أن أغمض عينى أثناء قراءة مقاله .. مثلا !! أو أعتبر أن الصفحتين أو الثلاث المخصصة لمقالة غير موجودة .. مثلا !! ولكن كيف يكون هذا ونحن نسلم بأن كل كلام لابد أن له قيمة

حتى ولو كان عسلا وطحينة .. فى ظل المجاعات ونقص الموارد ولكن إن كان هذا القول يصدق على المواد الغذائية فهل هناك نقص فى المقالات وهل هناك انقراض فى الأدباء والشعراء والكتاب ؟ لانظن ذلك ومع ذلك فلعل هؤلاء الأدباء لايعرفون كيف يكتبون مثل مقالة "عسل وطحينة" !!

رمضان الهجرسى المحامى



● لماذا أتيت ؟! ●

لماذا اتيت وفى كل مرة
اتيت لحب .. أتيت لكره
أزاوج دمع الضنى والأغانى

أضل طريقى .. أعيد السؤالا ؟
..فؤادا شجيا وعقلا محالا
وأكشف فى كل خلق جمالا

عبد الرحيم الماسخ - سوهاج



● أخطاء الدكتورة آمال السبكى ●

● أول مايلفت النظر فى كتاب "سعد زغلول والكفاح السرى" للدكتورة آمال السبكى كثرة الأخطاء النحوية مثال ذلك قولها فى المقدمة "أرى مواقف الوطنيون" وفى صفحة ٨ "أثرت أن افرد فصلان منفصلان" وفى ص ١٠ "إحلال بريطانيون" ص ١١ رد الفعل الشعبى والحكومى لكلا الدولتين . وقولها فى نفس الصفحة "فكانوا متفقون" .

ويطول بنا المقام لو حاولنا أحصاء هذه الأخطاء التى يعرفها طلاب المرحلة الاعدادية فكيف باستاذ جامعى يتصدى للتدريس فى إحدى الكليات ؟!

والكتاب يحمل خطأ تاريخيا فاحشا ، إذ لاعلاقة لسعد زغلول بالكفاح السرى لا من قريب ولا من بعيد . فقد بدأت كتابها بالكفاح السرى منذ ١٨٨٣ ، ولا علاقة لسعد زغلول بهذه المرحلة ثم بمحاولة بعض الشبان اغتيال السلطان حسين كامل ، وهؤلاء الشبان كانوا ينتمون الى الحزب الوطنى وكذلك اغتيال بطرس غالى بيد ابراهيم الوردانى .

ثم ذكرت محاولة شاب من الحزب الوطنى لسعد زغلول وجعلت هذا من علاقات سعد زغلول بالكفاح السرى ، وهذا أمر عجيب . وأوردت قصة اغتيال السردار مع أن سعد زغلول استنكر بشدة هذا الحادث ثم أنها اعتمدت على مذكرات عبد الرحمن فهمى وهذه مشكوك فى معظم ماورد فيها ، وفضلا عن ذلك فإن من ارتكبوا هذا الحادث كانوا من شباب الحزب الوطنى ولم تكن لشفيق منصور أية علاقة بسعد زغلول .



وفى الكتاب اخطاء املائية كثيرة مثال ذلك ما جاء فى ص ٤٢ «محزوفا منه النصوص» والصواب محذوفا «بالذال» وفى ص ١٤١ «مستغرق فى ثباته» والصواب سباته «بالسين ، ص ١٥٢ "مزيلا" والصواب "مذيلا" بالذال وغير هذا كثير .

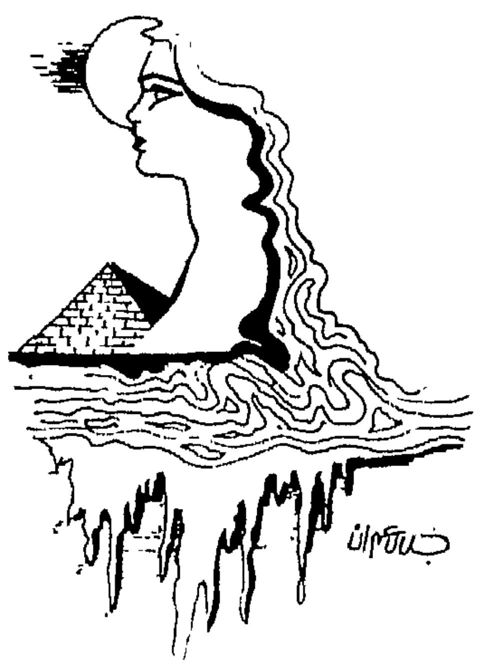
ومن الأخطاء التاريخية ماجاء فى ص ٥٠ «محمد فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس» والصواب محمود فخرى ص ٧٦ «راغب حسن يعمل بورشة التليفزيونات» ولم يكن التليفزيون قد اخترع فى ذلك الوقت .

إنه لعيب كبير أن تصدر هذه الأخطاء من استاذة جامعية فى كتاب تقرره على الطلبة لتمتحنهم بعد ذلك فى أغلاطه التاريخية والنحوية والاملائية !

محمد سيد كيلانى



● إلى آين ؟! ●



شىء ما
يدفعنى نحوك ..
تتلاطم أمواجك ..
تبكى .. تضحك
اخلع عنى ثوب الصمت
انزل أصعد ذاك الموج
أسبح .. الهو
اغْدُ .. اطْفُ فى نهر الخلد
إيزيس بلا صوت
تحمل احزان الخلق
تبحث عن اشلائى
تطوى قنوات الخيبة
اه ..
امواجك تعصف بى
فى ذاك الكون الضائع



همسك مازال يناجيني
أهرامك مازالت تحكي
عن فجر زاه لاينضب
فلتهدأ روحا .. لاتحزن
فالشمس قريبا قد تسطع

أشرف محمد ابو العز
المعصرة ـ المنشية الجديدة

● حوار مع الأصدقاء ●

● احمد قاسم أحمد ـ قنا :

ـ قصيدتكم في الشكوى من حرارة الجو صيفا في محافظة قنا او في مدينة قنا ، تذكرنا بقصيدة حفني ناصف ـ رحمه الله ـ التي قالها عن حرارة جو «قنا» منذ اكثر من سبعين عاما ، وتذكرنا ايضا بهجاء الشاعر عبد الحليم المصري لقنا عندما «نفي» إليها في أوائل القرن العشرين .. ولكن اعتبار قنا مجرد «منفى» للموظفين لتعذيبهم بحرارتها ، قد صار تفكيرا عفاه الزمان .. والناس الآن يكتوون بحرارة الجو في بلاد الخليج طلبا للرزق وان قنا لتعتبر مصيفا طيبا بالنسبة لبلاد الخليج والجزيرة العربية ؟ .. نعتذر من عدم نشر قصيدتكم التي تعبر عن أفكار قديمة جدا ، فإن كثيرا من مواطنينا يقضون الصيف في قنا واسوان

● رفعت محمد بروبي ـ سوهاج :

ـ قصائدكم الثلاث التي تلقيناها تدل على انكم تتقدمون في الأوزان ، ولكن مازال امامكم شوط آخر في الأوزان والمعاني .

● مروان عبدالله أحمد ظاهر ـ جنين ـ فلسطين :

ـ لاندري عن أي موضوعات تتحدث .. ونحن نعرف ـ كما تقول ـ المعاناة التي يقاسيها الشعب الفلسطيني في فلسطين ، ونرجو أن يرفع الله عنكم غمة الاحتلال الصهيوني قريبا ..

خاتم جوعيه ـ قرية المغار ـ طبرية

ـ شعركم ينقصه الوزن في بعض أبياته ، وإن كان أكثره موزونا .. ومن حسن حظك أنك مازلت تعرف اللغة العربية برغم وقوع طبرية في قبضة الصهيونية منذ عشرات السنين ، وهي المدينة التي وقعت بالقرب منها معركة حطين الخالدة في عهد صلاح الدين الأيوبي ! .. وعن بحيرتها كتب المتنبي أبياتا خالدة ..

● وليم اسكندر يونان ـ ناظر إعدادي ببني سويف :

ـ قرأنا الأقوال المأثورة التي أرسلتموها ، وهي حسنة مفيدة سواء كنتم أنتم مؤلفيها أو مقتبسيها .

● **فريد عاصم البرقوقى ـ الاسكندرية :**

ـ لعلكم تستمتعون الآن بالجو الصيفى الجميل على شاطىء الاسكندرية بعيدا عن القصص القصيرة جدا التى ننصحكم بألا تشغلوا قلمكم بها .. وتمنياتنا لكم بالصحة الدائمة ..

● **محمود حسن حسين ـ جرمى ـ الأردن :**

ـ نرجو ألا نكون قد أخطأنا فى كتابة اسمكم فهكذا قرأناه فى رسالتكم كما يبدو لنا ، أما تعليقكم على مانشره الهلال من أن الآنسة مى كانت أول خطيبة فى العالم العربى الحديث وقولكم إن الاسلام أول من وضع أسس الخطابة ، فلم نفهم ماتقصدون من ورائه ، فما شأن الآنسة مى بتاريخ الخطابة عند العرب أو المسلمين ؟!

● **الأمير كمال فرج :**

ـ لانعرف عنوانكم .. أما قصيدتكم فهى صحيحة الأوزان إلا فى بيتين ، وفيها أيضا اغلاط لغوية قليلة .

● **عبدالله السمطى ـ آداب عين شمس :**

ـ قرأنا قولك ضمن أبياتك :

مشرد يا أنا بين المدى أبدا
كلى مصائب لا أحصى لها عددا
لاسطر ينشر لى بين الجرائد أو
حرف وحيد يزيل الجرح والكمدا

وهانحن أولاء ننشر لك أكثر من حرف واحد ، بل سطرين لاسطرا واحدا .. ولم ننشر بقية أبياتك لأن بعضها يحتاج إلى مراجعة فى النحو وبعضها الآخر يحتاج إلى وقفة فى اللغة .. مثل قولكم :

ذنبى بأنى لم أسرق معانى قد
ماتت وصار لها فى الأمس ملتحدا

فلماذا نصبت كلمة « ملتحد » ؟ ! .. كأنك تراها خبر « صار » وليست كذلك .. وما أكثر التعقيد فى قولكم :

ذنبى بأنى لم أذبح مشاعر قلبى ..
فوق أرض الريا ، فالأرض لن تلدا

فالبيت « موصول » المصراعين ، وكلمة « الريا » يقف القارىء حائرا أمامها حتى يتوصل إلى أنك تعنى « الرياء » .. ثم يحيره قولك بعد ذلك « فالأرض لن تلدا » .. فما صلة هذا الكلام بعضه ببعضه الآخر ؟

حاول أن تكون متفائلا ، وأن تؤثر السهولة فى صياغة شعرك على الصعوبة .. واكتب إلينا ..

● **محمد أبوظاهر**

ـ ينبغى أن تتعلم التوقيع على ماتكتبه بخط ظاهر مقروء أما هذا النبش الذى وضعته تحت قصيدتك فعيب ينبغى ألا تكرره .. أما قصيدتك التى يبدو أنك تعارض فيها أبا القاسم الشابى فى بعض معانيه وأساليبه ، وتقول فيها :

زهرة أنت كما ربيع .. كالحب .. كالحياة السعيدة
منغمة أنت بالورود ، وبأناشيد الحياة الجميلة

فينقصها الوزن الصحيح واللغة السليمة فى أكثر ابياتها بل فى جميع أبياتها أو سطورها .. فلا تتعجل النشر ..

● **عبدالجواد محمد الخضرى ـ مشرف صحافة مدرسية :**

ـ تقول إنك لم تنظم الشعر مطلقا ثم ترسل إلينا بقصيدة من الشعر .. لابأس ، فقد ينطق المرء بالشعر بغتة وهو لايدرى ولايملك أمر نفسه .. أما القصيدة فهى نثر خالص لا أثر فيه للوزن ، فكيف ننشرها ونسميها شعرا ؟ ! .

● **جمال خطاب :**

ـ لاندرى عنوانك .. أما قصيدتك التى عنوانها « فى غسق الليل » .. فينقصها الوزن فى جميع سطورها أو أبياتها .. فضلاً عن الأخطاء النحوية واللغوية ..

● **أبو عبدالعزيز :**

ـ ماهو إسمك وعنوانك ؟ .. شعركم ينقصه الوزن تماما .. واغلاطه اللغوية والنحوية غير قليلة ..

● **عبده محمد سلطان ـ جيزة :**

ـ قصيدتك عن قريتك صحيحة الأوزان ، ماعدا شطرين خالفت فيهما العروض ، وفيها بعض الهنات اللغوية .. اكتب إلينا ...

● **مصطفى أبو كحيلة ـ كفر الزيات :**

ـ الأوزان الصحيحة ليست كافية لإجازة نشر القصيدة ، فلابد من أن يكون فى الشعر رائحة الشعر ، ولو من بعيد ..

● **السادة : سعد الجزايرى .. ابراهيم خليل ابراهيم يوسف .. م . ع .. أشرف محمد .. نجيب سيد فهمى .. وحيد الدين على :**

ـ الكلام عن الأوزان زاد على حده ، ولايوجد شعر عربى بلا وزن صحيح تفعيلى او عمودى ، ولابد من صحة النحو والصرف أيضا ، وذلك اضعف مايسمى به الشعر شعرا فى هذا الزمن الأعجمى الذى صار فيه وزن الشعر العربى معضلة ! ...

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣,٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اتينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق . سودانى	فيينا	٣٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا

الهلال

أغسطس
سنة ١٩٨٦

الثمن
٥٠ قرشا

● ٥ يونيو في فكرنا السياسي
● رجال في حياة مارلين مونرو





من روائع الفن الإسلامى

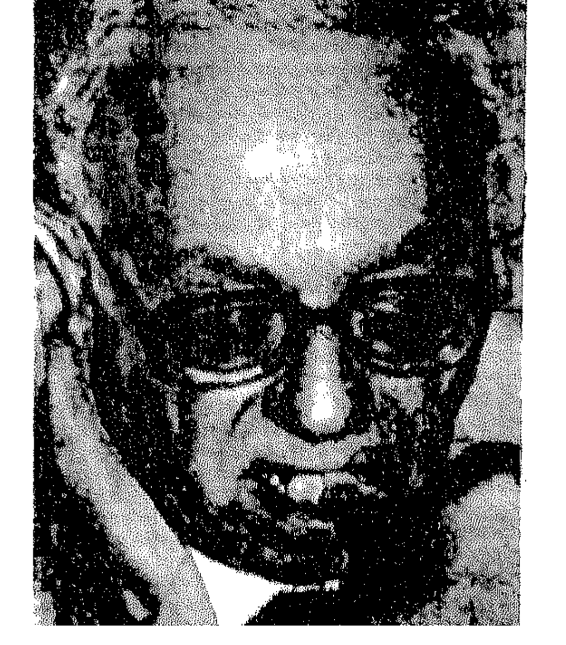
الفن هو الحضارة ، يدل على مستوى رقى الانسان ، إنه لغة تعبيرية مرتبطة بوجدان الأمة ودالة على خصائصها التاريخية ...

وهذه لوحة على احد المنسوجات الحريرية ، ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى ، استخدمت اللون والحرف والطير ، محفوظة فى متحف تولوز بفرنسا .

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها چورچى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ
اول اغسطس سنة ١٩٨٦ م ـ
٢٦ ذو القعدة ـ سنة ١٤٠٦ هـ



٥ يونيو فى فكرنا السياسى للدكتور فؤاد زكريا ص ٢٠

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● ● دراسة الهلال :

● شعر وقصة ●

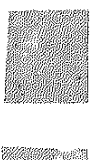
● شخصية العدد ●

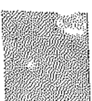
● فن تشكيلي ●

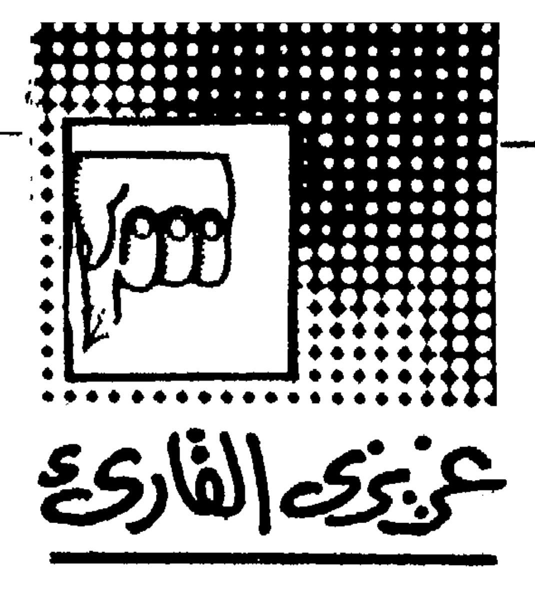
● رسائل صحفية ●

● رسالة لندن ●

● الأبواب الثابتة ●







قانون جديد لمجلس الثقافة

أعلنت وزارة الثقافة جوائزها التقديرية . او جوائز الدولة التقديرية . وزفتها الى الناس كما أعتدنا ان نشهد زفافها الميمون كل عام محفوفا بالطبل والزمر والاناشيد والادعاءات العريضة .

وكما قلنا من قبل في هذا المكان كان نصيب الاسد لهيئات التدريس . وللاسماء المشهورة في المجتمع . اما المبدعون الحقيقيون في الادب والفن والعلوم الانسانية . فكان نصيبهم رمزيا ذرا للرماد في العيون . وكادت الجوائز لاتتعدى اسما أو اسمين من هؤلاء النوابغ الكرام

وحسبك ان تطالع اسماء الأساتذة الفائزين في هذا العام لترى ان هذا العام لايختلف في شيء قليل ولاكثير عن العام المنصرم ففى العام الماضي نودى نجوم المجتمع باسمائهم ذات الرنين . فاقبلوا زرافات ووحدانا يتسلمون جوائز جاءتهم من حيث لايحتسبون .. وفى عامنا الراهن نودى امثالهم فاقبلوا ايضا على نفس الطريق الممهد المفروش بالورد والريحان . فتسلم كل منهم جائزته بيمينه . واما الادباء والشعراء واهل الفن والفكر فقد اوتى كل منهم كتابه بشماله . جزاء وفاقا على قلة بصرهم بمسالك النجاح في المجتمع . ودهاليز الجوائز في المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون ! ..

بعض الذين نالوا جوائز الادب لم يكن لهم نشاط فى العام الماضى الا فى مجال المصارف المالية والمشروعات الاقتصادية للبحث عن الذهب فى اعماق افريقية . وبعضهم كانت وسيلته الى الجائزة علاقاته الحميمة فى لجان المجلس الاعلى مانح الجوائز .. وبعضهم .. وبعضهم واذكر ماشئت من اسباب للجائزة . الا سبب الاستحقاق فانه اخر الاسباب . وفى غيره من الاسباب الباطنة والظاهرة فصل الخطاب .

إن المجلس الاعلى بصورته الراهنة وقانونه الذى ابلاه الزمان . لم يعد الجهة الصالحة أو الامينة فى هذا المجال الحساس . مجال الجوائز التقديرية وغيرها

وقد دب الفساد اليه فى هذه الاونة كما دب الى شئون كثيرة صار فيها الحق غريبا . وتصدر الباطل يعطى ويمنع ويصول ويجول

وقد صدق الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة وابدى شجاعة لم يبدها وزير ثقافة من قبله حين طالب فى بعض احاديثه الصحفية بتعديل قانون المجلس الاعلى . وإعادة تكوينه من جديد على اسس سليمة بعد ان نخر السوس فى اسسه التى تقادم عليها الزمان ..

اليس معيبا جدا ان تكتظ لجان المجلس بناس دخلوها عن طريق الوساطة والمحسوبية والعلاقات الشخصية . حتى ان لجنة كلجنة الشعر قد امتلأت بمن لاشأن لهم بالشعر الا شأن الادعياء .. وكذلك لجنة النثر ولجنة الموسيقى وبقية اللجان التى لاأول لها ولا اخر . وان كان فى كل لجنة بطبيعة الحال عدد الاصلاء .

ان الروائح التى تفوح كل عام من جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ومن اعمال كثيرة تصدر عن المجلس الاعلى توجب سرعة النظر فى اعادة تكوين هذا المجلس المهترىء بقانون جديد . على اسس جديدة تنفى عنه الخبائث ماظهر منها ومابطن ..

ومن العبث مناقشة جوائز الدولة التقديرية بينما هى نتاج هذا الوضع الفاسد برمته .. ولن ينظر الناس بجدية الى هذه الجوائز الا يوم تصدر عن جهة ذات هيبة ادبية وسمعة عالية ..

والى ان يتم هذا الاصلاح المنشود سيظل التعليق على جوائز الدولة كل عام صيحة فى واد . ومحاولة لاقامة حائط ليس له اساس .

ومعذرة الى كل من اوتى جائزته بيمينه والعقبى ان شاء الله لكل من فاتته الجائزة . اذا ماصلحت الاحوال . واستقامت امور الرجال .

" المحرر "

التفرغ على

الأشواك

بقلم : د. شكري محمد عياد

صناعة الكتاب

هذا المعلم المتواضع الطيب ، ماله افنى عليه الدهر ، فانزوى خلف الجدران .
هذا السفير الذى كان يحمل اسم مصر الى كل بلد عربى ، فيكسب لها احتراما ومحبة ، ما له اخلى مكانه لشريط الفيديو الهابط ، الذى لا يستهوى سوى ضعاف العقول .
أليس من الغريب اننا فى الوقت الذى نعلن فيه حاجتنا الماسة الى فكر خلاق يضىء لنا طريقنا المظلم ، والى علم صحيح يمكننا من السيطرة على واقعنا البائس ، والى فن اصيل يرد انفاس الحياة الى شخصيتنا المضمحلة ، نترك الكتاب ـ وهو الوسيلة الوحيدة ، نعم الوحيدة، لتحقيق ذلك كله ـ يختفى من حياتنا ببطء ولكن بثبات ؟

من المؤلم حقا أن يضطر المرء الى الدفاع عن الكتاب كأداة لثقافة ، من المؤلم ومن العبث أيضا . فلنطو همومنا فى قلوبنا ولنصمت كما صمت جحا حين قام خطيبا، فالذين يعرفون قيمة الكتاب لا يحتاجون الى كلامنا ، والذين لا يعرفون قيمة الكتاب لن يفهموا ما نقول :

ولكن تعالوا نتحدث عن « صناعة» الكتاب .

فالكتاب صناعة ككل صناعة . صناعة يشتغل بها عدد من الناس ، بين انتاج



وتسويق ، تفتح بيوتاً ، وتجلب للبلاد مقدارا من العملة الصعبة ، ولذلك فمن حقها ان تلقى من عناية المؤسسات والافراد ما تلقاه غيرها من الصناعات .

ومادمنا قد اخترنا ان نتحدث عن الكتاب من هذه الناحية ، فلنتناس مؤقتا مضمون الكتاب ولننظر اليه فقط من وجهة نظر منتجه « الناشر » ومستهلكه « القارىء » ومن الواضح انه بدون علاقة نشيطة ومتطورة بين هذين الطرفين فلا يمكن ان يقوم الكتاب بوظيفته الخاصة باعتباره وسيلة للمعرفة أو وسيلة للتسلية .

والكتاب المصرى يمر بمحنة منذ بضع سنوات ، ودلائل ذلك كثيرة : دور النشر تقلص نشاطها عهدا ، عدد النسخ التى تطبع من اى مخطوطة فى اى فن لاتبتعد نقطة معينة ، لم يتأثر بالزيادة الهائلة فى عدد الخريجين، الذين يتوقع ان يكونوا سوق الكتاب الرئيسية . منافذ بيع الكتاب متوقفة ايضا ، بل لعلها الحلقة فى التناقص وربما كانت الصعوبات التى تكتنف صناعة النشر فى الوقت الحاضر غير مقصورة على الكتاب المصرى ،ولكنه، بالتأكيد ، يمر بازمة غير عادية، وعلينا ان نبحث فى الاسباب ونفكر فى طرق العلاج.

● دور الدولة الابوية ●

وعندما استعمل ضمير الجمع فى مثل هذه الحالة ، فانا اعنى سلطة الحكومة انا لا اتكلم الان – مثلا عن سياسة للنشر يقترح ان تقوم الدولة بوضعها وتنفيذها . اريد ان ينقلب الوضع الجامد الذى انتهينا اليه ، حيث أصبح التفكير فى كل مشكلة من مشاكل حياتنا يأخذ طابع مطالبة الدولة باتخاذ اجراء ما . وهو مرض غريب ومستفحل دخل الى جسم الوطن تحت اسم « الاشتراكية » البراق ، وهو أجدر بان يسمى « الدولة الابوية » حيث تمارس الدولة دور الاب التقليدى فى الاسرة ، بيده مقاليدكل شىء ، هو الذى يعطى ويمنع تبعاً لحالة من الرضى او الغضب، لا يستشير ولا يشار عليه ، ليس لاحد ان يشكو اليه ولا – من باب أولى – ان نشكو منه ، وعندما بدأ الاستبداد الابوى يرخى كبضته شيئا ما – نتيجة لضخامة الاعباء بدون شك – ظل مفهوم الدولة الابوية ثابتاً فى تفكير الافراد

وسلوكهم ، فلا ترى كاتبا يكتب عن مشكلة ما الا وهو يطالب الدولة بالحل، وانا اومن بان القوة جميعا للشعب ، وان الدولة لا تكون قوية الا حين تعبر عن موقف شعبى قوى . واذا كانت اوضاعنا الحالية لا تنحصر فى « موقف » واحد ، يمكن ان تظهر فيه قوة الشعب وقوة الحكومة كما حدث بصورة استثنائية فى اكتوبر ٧٣ ، فان معالجة المشكلات المتفاقمة يجب ان تبدأ بتفكير شعبى وتنظيم شعبى ، ويجب ان تقوم التنظيمات الشعبية ـ خاصة او تعاونية او ماشئت ـ بالعمل كله او بمعظمه ، ولا تطلب معونة الدولة من طريق التشريع والضبط والربط ، الا لازالة بعض العقبات التى يمكن ان تكون ناشئة من تصرفات سابقة للدولة ، لم يعد لها ما يبررها .

● معركة ضرورية ●

من هذا المنطلق اريد ان نفكر فى مشكلات الكتاب ، ومن هذا المنطلق ايضا لا يصيبنى الجزع عندما اقرا لاحد المسئولين الامين دفاعا عن « الفيديو » يقول فيه ان هذا الجهاز افضل من الكتاب لانه يقدم المعرفة والثقافة والفن بغير حاجة الى قراءة وكتابة . فالكتاب يجب أن يخوض معركة ضد الفيديو ، ولكنه يجب ان يخوضها على مستوى شعبى ، واذا لم يكن للمشتغلين بصناعة الكتاب بد من مخاطبة الحكومة ، فيجب ان يخاطبوها كجماعة ضغط تلتقى مصلحتها الخاصة مع المصلحة العامة فى الحد من انتشار هذا الافيون الجديد ومساعدة الكتاب على اداء مهمته.

ان انتشار الامية ، وضغط وسائل الاتصال الحديثة على الكتاب ، يحتمان على اتحاد الناشرين ان يلح فى مطالبة الدولة بالعدل فى المعاملة بين الكتاب وهذه الوسائل الاخرى . ووجود قطاع عام وقطاع خاص فى صناعة الكتاب يحتم على اتحاد الناشرين ان يطالب الدولة بالعدل فى المعاملة بين القطاع العام والقطاع الخاص . ليس من العدل مثلا ان يعان التليفزيون ـ رغم ايراده الهائل من الاعلانات ـ بعشرين مليونا من الجنيهات ولا يعان الكتاب بعشر هذا المبلغ . وليس من العدل ان تتمتع هيئة الكتاب باعانة من الدولة لنشر الكتب مع ان منشوراتها لا تتميز بشىء عما تخرجه دور النشر الخاصة .. ان اختصار ساعات الارسال التليفزيونى، فى اتجاه نحو الاقل والاجود، وافراد قسم النشر من هيئة الكتاب بوضع خاص شبيه وضع شركات القطاع العام ، يمكن ان يوفرا المبالغ الكافية للتوسع فى انشاء المكتبات العامة وتزويد مكتبات المدارس بالكتب الجيدة ، وهما مهمتان من مهام الدولة الاساسية فى هذا المجال، تعودان بالفائدة على جميع دور النشر الجادة بلا استثناء .

والغاء الضريبة الجمركية على ورق الكتب بالذات ـ كما يطالب اتحاد الناشرين ـ يحرم الدولة من مورد صغير ولكنه قد يفتح لصناعة الكتاب موردا اكبر يئول جزء كبير منه فى النهاية الى الدولة فقد اصبح من الاقوال الشائعة بين الناشرين اليوم ان تكاليف طبع الكتاب العربى فى قبرص مثلا ارخص منها فى مصر .. وهذه مصيبة كبيرة .

وسمعت من احد الناشرين انهم كانوا يطالبون بتقديم عشر نسخ من كل كتاب جديد الى دار الكتب « وهو عدد مبالغ فيه » . ثم فرضت عليهم هذه الفريضة

نفسها من قبل جهات أخرى ، فتضاعف عدد النسخ المجانية التى يلتزمون بتقديمها الى الدولة .

وبعد هذا كله لقد كثرت الشكوى من اجراءات تصدير الكتاب ، ولا ادرى ان كانت قد خففت الان ، ولكنى مازلت اذكر ان رئيس هيئة نشر حكومية مهمة قدم الى القضاء مرة لانه لم يستطع الوفاء بالشروط المالية غير المعقولة التى فرضتها بعض القوانين .

«بين قوسين : عندماسمع أحد المحررين فى صحيفة يومية قومية كبرى بهذا الخبر سارع بنشره فى الصفحة الاولى ، تشفيا من مدير النشر المذكور ، لانه لم يستجب لاحدى رغبات المحرر الخاصة . »



هذه وامثالها معوقات لصناعة الكتاب يجب ان تبحث بين اتحاد الناشرين وبين الحكومة . ولكن صناعة الكتاب لن تنتعش بمجرد ازالتها . ان صناعة الكتاب ، فى العالم كله ، لا تقف جامدة أمام التطورات السريعة فى وسائل الاتصال .. انما ايضا تبتكر وتجدد فى اخراج الكتاب وتسويقه . ووسائل الطباعة الحديثة تمكنها من الوفاء بالاحتياجات المختلفة لسوق الكتاب : من الكتاب الشديد التخصص الذى تطبع منه خمسمائة نسخة الى الكتاب الشعبى الذى تطبع منه مئات الالوف من النسخ ، والمشكلات التى تواجه صناعة الكتاب فى الوقت الحاضر منها ما يعم العالم كله ومنها ما يخص البلاد « النامية » يعنى «المتخلفة »مثل بلادنا . فلابد للناشر المصرى من ان يكون مطلعا على تطورات صنعة النشر فى العالم ولابد له فى الوقت نفسه من ان يبتكر ويجدد .

واذكر بهذه المناسبة انى قضيت عامين فى البرازيل « ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ » فوجدت هذه البلاد تتمتع بحركة نشر قوية ، مع ان نسبة الامية فيها فى ذلك الوقت كما اذكر ـ كانت تتجاوز الخمسين فى المائة ومع أن الكتاب البرازيلى لا تكاد توجد له سوق خارجية ، اذ ان لغة البرازيل هى البرتغالية ، بخلاف أقطار امريكا اللاتينية الاخرى التى تتكلم جميعها الاسبانية .. وكان من وسائل التسويق التى يتبعها الناشرون انهم يقيمون ـ بالاتفاق مع السلطات المحلية طبعا ـ سوقا للكتاب تعقد بصورة دورية فى حى من أحياء المدينة «اتكلم عن مدينة ريو دى جانيرو العاصمة التى أقمت فيها » ، ولكننى اذ فهم ان هذا النظام لم يكن مقصوراً عليها سريعا

يجد كل ساكن من سكان المدينة ، فى كل شهر تقريبا ، قريبا من باب داره ، معرضا للكتــــاب يدوم عدة أيام ، ولم يكن حى من احياء المدينة يخلو من مساحة او حديقة عامة يقام فيها المعرض ، ولا اذكر انى رأيت معرضا من هذه المعارض غير حافل بالرواد .

والنجاح الذى يلقاه معرض القاهرة الدولى للكتاب دليل على ان هذه الفكرة صالحة للتطبيق هنا . ولن تعوزنا الاماكن رغم زحام المدن المصرية وسوء تخطيطها

على ان هذه الابتكارات الجزئية انما تأتى بعد ان نصحح مفهومنا لطبيعة الكتاب ووظيفته .

فالكتاب يختلف عن غيره من وسائل الاتصال بصفتين اساسيتين : انه فردى ، وانه باق .

ويترتب على هاتين الصفتين ، من ناحية الوظيفة ، انه الوعاء الانسب للادب الرفيع ، والفكر العميق والمعرفة العلمية ، والموضوعات المتخصصة ، وفى هذه النواحى كلها يتغلب الكتاب على سائر وسائل الاتصال ، مهما بدا بعضها سهلا وسفريا .

● خطيئة كبرى ●

وخطيئتنا الكبرى نحو الكتاب — وهى خطيئة تورطت فيها معنا او بعدنا معظم الشقيقات العربيات بدرجات متفاوتة — هى اننا خلطنا بين الكتاب ووسائل الاعلام الاخرى ، بدأ ذلك عندما قامت فى مصر اجهزة للنشر حكومية او شبه حكومية ، رسمت صورة للكتاب المصرى غير الصورة التى كان يعرفها الناس . كان الشعار المعلن « كتاب كل ست ساعات » . وكانت المادة غالبا مادة دعائية فجة ، كما كان الاخراج رديئا وخاليا من الذوق . ولم يكن احد يهتم بمعرفة ان كانت هذه الكتب تقرأ او لا تقرأ ، وكأنما كان غرضها الوحيد ان تسد الطريق على « الكتاب » الحقيقى

حاول المثقفون فى مصر ، كما حاولوا فى كل بلد عربى ، ان يصلحوا الامر بخلق تيار من الثقافة الجادة ، التى تعتمد على الكتاب اساسا ، وسط هذا الخضم من التفاهة — ونحن لا نغمط هذا التيار قدرة .. ولكننا نلاحظ — ولعلنا لا نتجنى — انه كان اضعف من ان يؤثر فى الاتجاه العام . فقد تحددت « صناعة الكتاب » بظروف معينة هوت بها الى الحضيض ، واخذت معها هذه الجهود القليلة المخلصة .

ولم يعد الامر مقصورا على دور النشر الحكومية . فالناشرون المستقلون نسوا ايضا انهم ناشروا كتب وحاولوا ان يصبحوا اعلاميين . وساعدتهم على ذلك التقلبات العنيفة المتلاحقة التى يمر بها العالم العربى . فارى بعضهم من الكتب الاعلامية ، ولكنهم اصبحوا اليوم مهددين بالافلاس بعد ان تعب الناس من متابعة السيناريو السخيف المكرور للاحداث العامة . ومشكلة الكتاب المصرى الان — فى تقديرى — هى انه فقد سوقه الحقيقية ولم يستطع — ولن يستطيع ان يكسب سوقا اخرى .

ان صناعة الكتاب فى مصر يجب ان تبحث من الجذور للوصول الى تصورات صحيحة عن مشكلاتها وامكانياتها . وبعد ذلك فالمجال واسع للتجديد والابتكار . ولن يصح أبدا قول بعض المتشائمين ان صناعة الكتاب صناعة بلا مستقبل .


بورقيبة


ضياء الحق

● « إن محمد مزالى إبنى وخليفتى وعضدى الأول »

الحبيب بورقيبه

● « يا أيها الصحفيون .. ارحمونا يرحمكم الله »

الكاتب الصحفى انيس منصور

● « الأمريكيون سواء فى الشمال أو الجنوب ، هم بالفعل أوربيون فى المنفى ..»

جورج لويس بورخيس
الأديب الارجنتيني

● لا أحد يحتكر الحقيقة ..

جيدو كريشنا مورتى الفيلسوف الهندى

● « لن اضيع وقتى فى الاجتماع بالسير جيوفرى هاو »

الاسقف الاسود ديزموند توتو - جنوب افريقيا


احمد بهاء الدين

● « استعيد الماضى ، لا لكى افتح جراحا ، بل لكى لا تذهب التجربة هباء ولا تعود الذاكرة عذراء »

اميل حبيبي - الاديب الفلسطيني

● « لا أخشى الانسة بينازير بوتو »

الجنرال ضياء الحق
رئيس جمهورية باكستان

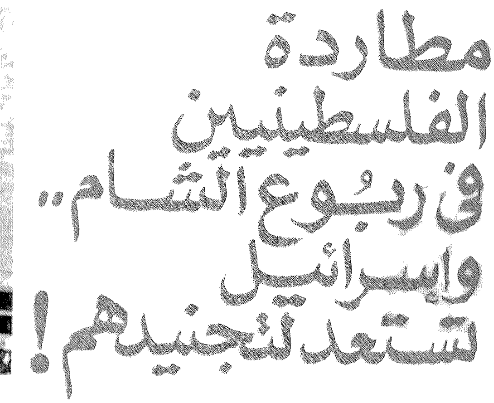
● « لا أومن بالجرى ، أنه يطيل حياتك ، بمثل الزمن الذى تضعيه فى الجرى ..»

المخرج الامريكي
مارشال بريكمان

● « لو توقف العالم عند الضحايا الأوائل للتقدم ، لما كان هناك اليوم سيارات وسفن وطائرات ..»

أحمد بهاء الدين

بقلم : عبد الرحمن شاكر





كان الوضع الطبيعي للفلسطينيين الذين ابعدوا عن ديارهم بعد استيلاء الصهاينة عليها ، ان يكونوا طلائع لحركة تحرير منظمة فى سائر بلاد الشام التى لجاوا او الجئوا اليها ـ وهى الاردن وسوريا ولبنان ، وكل هذه مضافا اليها فلسطين ، هى تقاسيم ادارية لمنطقة الشام ، كان معمولا بها ، او ببعضها فى ظل الدولة العثمانية ، ثم حولها الاستعمار البريطانى والفرنسى فى بداية القرن الحالى الى «حدود» لدول تحت الانتداب، ثم اصبحت الان « مستقلة » ، من اجل اقطاع الصهيونية ارض فلسطين تمهيدا لسيطرتها على سائر منطقة الشام كلها على الاقل ، ومن يراجع الوثائق القديمة للحركة الصهيونية يطالعه كثيرا اسم سوريا ، باعتبارها الهدف المباشر للتوطن الصهيونى، حيث كانت هى الاسم الاكثر تداولا فى الاشارة الى منطقة الشام فى مجملها .

مطاردة الفلسطينين

والآن ماذا يدور على الاجزاء التى لا تزال عربية من منطقة الشـــام ، ولم يمتد اليها الحكم الصـــهيونى المباشر كما هو حادث بالنسبة لفلسطين كلها ، مضافا اليها على نحو شـــبه مباشر جنوب لبنان ؟

فى لبنان ، وفى بيروت العربيـــة الاسلامية بالذات ، دارت حرب شنيعة شنتها قوات أمل الشيعية ضد المخيمات الفلسطينية فى صبرا وشـاتيلا وبرج البراجنة ، واستمرت تلك المعـــارك التى تستهدف تصـــفية الوجـــود الفلسطينى فى تلك المناطق اكثـــر من شهر ونصف ، وفى ظل مـــأزق عنيف وجد فيه الفلسطينيون أنفســـهم فى بيروت ، هم والحكومة « الشرعيـة » القائمة فيه برئاسة أمين الجميل ، التى خشيت وتخشى من تعاظم قوة مليشـيا أمل الشيعية على نحو يهدد سلطتها الصورية ، ترددت الانباء عن قيـــام اتفاق ما بين تلك « الحـــكومة » اللبنانية ، والقيادة « الشرعيـــة » لمنظمة التحرير الفلسطينية ، يتيـــح عودة بعض المقـــاتلين الفلسطينيين ، الذين اجبروا على الخروج من بيروت بعد الاجتياح الاسرائيلى للبنـــان عام ١٩٨٢ ، الى بيروت مرة اخـــرى ، ليدافعوا من وجهة نظرهم عن اخوانهم فى المخيمات ، وليحفظوا – من وجهـة نظر الحكومة اللبنانية – التوازن مـع أمل الشيعية ، وسائر المليشـــيات ، وقيل ان أمين الجميل قدم الفا او الوفا من جوازات السفر اللبنانية الى منظمة التحرير لهذا الغرض ، فى مقـــابل عدة ملايين من الدولارات قدرتها بعض المصادر بأنها سبعمائة مليـــون (!) ، لاعادة بعض التوازن أيضا · للاقتصاد اللبنانى المنهار ، بما فى ذلك تدهـــور سعر الليرة اللبنانية الى حد كبيـــر ، وذلك بسبب المعارك المتوالية مـــا بين الميليشيات المتصارعة واخرها وأبرزها حرب أمل ضد المخيمات ·

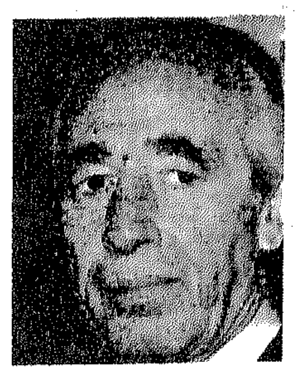
● محاولة لاحباط الاتفاق ●

فاذا ما تذكرنا ان أمين الجميـــل ، هو ممثل حزب الكتائب فى السـلطة اللبنانية ، وان ذلك الحزب أيـــام شقيقة المراحل بشير الجميل الذى كان رئيسا قبله ، كان هـو الحليف الاول لاسرائيل فى اجتياحها لبنان ، الـذى ترتب عليه اخراج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ووقوع مذابح صـــابرا وشاتيلا الاولى ، لو تاملنا ذلك لعلمنا الى اى حد يقود المأزق الجديد الـذى يجد الفلسطينيين انفسهم فيـــه ، الى وضع أيديهم فى ايدى أعدائهم بالامس طلبا للنجاة لذويهم المهددين بالابـادة فى بيروت !

وبعد الوصول الى قرار بوقف اطلاق النار ، زحفت القوات السورية لتتخـذ مواقع لها فى بيروت الغربيـــة ، من غير طلب من الحكومة اللبنانية وعـلى غير ارادتها · وتتوجس القيـــادة الشرعية لمنظمة التحرير الفلسـطينية خيفة من هذا التحرك السورى الجديد ، وفى ذهنها بالطبع مطـــاردة عرفات وانصاره فى طـــرابلس على ايدى



امين الجميل



شيمون بيريز

المنشقين الفلسطينيين التابعين للقيادة السورية ، وتتوقع القيادة الفلسطينية أن يكون الهدف من هذا التحرك احباط اتفاقها الاخير مع الحكومة اللبنانية ، واكثر من ذلك تتوجس أن تشترك قوات سورية تحت أسماء مختلفة ، مع امل الشيعية ، فى استئناف مجزرة المخيمات ، واكثر من ذلك محاولة القضاء على الوجود الفلسطينى فى صيدا فى جنوب لبنان ، بحيث لا يبقى لهم وجود بالمرة فى لبنان ، وأن ذلك سوف يتم بعلم اسرائيل ورضاها ، ومما يحقق اغراضها باتخاذه ذريعة لوضع ايديها بالكلية على الجنوب اللبنانى ٠

الى من يلجأ الفلسطينيون هذه المرة لو صحت توقعاتهم ؟! اذا نظرنا الى الاردن الذى كان هو الملجأ الاكبر للفلسطينيين بعد النكبة ، لوجدنا أن اخر قرار للحكومة الاردنية حتى كتابة هذه السطور كان اغلاق ٢٥ مكتبا لمنظمة فتح ، كبرى المنظمات الفلسطينية ، وذلك بسبب « اقدامهم » على انتقاد السياسة الاردنية ازاء القضية الفلسطينية ، بما فى ذلك احداثها انشقاقا لصالحها بدورها — على الطريقة السورية — فى تلك المنظمة ، بقيادة من يدعى « أبوالزعيم»

ترقب اسرائيل كل ذلك فى جزل ، وتتربص ، وتتحرك ايضا على طريقتها ، فماذا تفعل ؟

● ما وراء المسرحية ●

ابرز مادار فى الاسابيع الاخيرة داخل اسرائيل فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية هو المسرحية التى جرى ويجرى اخراجها بدقة شديدة حول مصرع شابين فلسطينيين فى غزة على ايدى رجال الامن الاسرائيليين ، وذلك بعد استسلامها ، على اثر عملية فدائية قاما بها هناك واستهدفت احدى سيارات الاتوبيس ٠

لقد جرى اتفاق بين رئيس الدولة الاسرائيلية ، ورئيس جهاز الامن بها المدعو شالوم ، على اعفاء هذا الاخير من الملاحقة القانونية باعتباره هو الذى اصدر الامر بقتل هذين الشابين فى مقابل ان يقدم استقالته ! وذلك بالطبع هو اقصى عقاب يمكن ان تنزله « العدالة » الاسرائيلية ، ازاء جريمة « بسيطة » ، من هذا النوع : قتل شابين عربيين فى وضع استسلام !

ولكن هذه الفعلة يجرى استثمارها سياسيا على اوسع نطاق ، بادعاء ان الضمير الاسرائيلى لا يقبل السكوت على هذا العمل ، ويطالب بمحاسبة المسؤولين عنه سياسيا ، وفى مقدمتهم من كان رئيسا للوزراء ايام وقعت هذه

مطاردة الفلسطينيين

الحاكمة ، وهو اسحق شامير رئيس كتلة ليكود .

بالطبع لا يبالي حزب العمل الاسرائيلي بزعامة بيريز أن يكسب نقطة من هذا النوع ضد شامير ويحرمه من تولي رئاسة الوزارة حينما يأتي عليه الدور طبقا لما اتفق عليه حينما شكلت الحكومة الائتلافية من العمل وتكتل ليكود ، بل هو يحرص على كسب تلك النقطة ، حتى ولو انتهى الامر الى اجراء انتخابات جديدة يتوقع حزب العمل أن يفوز فيها بأغلبية تكفيه للانفراد بالحكم .

ويترقب ايضا في جزل سقوط شامير عنصر اخر داخل حزبه يدعى ليفي ، ويتعجل اليوم الذي يخلف فيه شامير في قيادة الليكود ، ولكن تلك كلها مكاسب سياسية محدودة ، اذا ما قورنت بالمكسب الاكبر ، الذي يترقبه الكيان الصهيوني فيمجمله من استثماره السياسي لتلك القضية ، واظهارها دليلا على صراحة العدل الاسرائيلي ازاء ما يحدث للفلسطينيين .. حتى ولو كان شامير هو الضحية !

المكسب الكبير الذي تحلم به الصهيونية بعد أن تنجح في اثبات نزاهة سلطتها ازاء الفلسطينيين ، ما تضمنته التقارير الصحفية » التي ذكرت ابان تلك الضجة حول مصرع الشابين المذكورين ، ان بعض الدوائر السياسية في اسرائيل ، تفكر في استصدار تشريع من الكنيست يقضي باجبار الفلسطينيين ، الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية على اداء الخدمة العسكرية ، أسوة بمواطنيهم من الفلسطينيين الدروز ، الذين قبل زعماؤهم واضطرت بقيتهم الى الانخراط في الجيش الاسرائيلي من قديم .

ذلك فيما يبدو لي هو الهدف الرئيسي من وراء اخراج تلك المسرحية الصاخبة حول مصرع الشابين الفلسطينيين واظهار الحرص على محاسبة المسئولين عنها حسابا « عسيرا » ينتهي - كما هي العادة - بمجرد الاستقالة من أحد المناصب وتولي سواه !

الهدف أن يقال للفلسطينيين ، لقد رأيتم مقدار العدالة الاسرائيلية ، فلماذا تعزلون انفسكم عنها بعدم الاعتراف باسرائيل دولة لكم تدينون لها بالولاء الكامل بما في ذلك صدمتها عسكريا !؟

وبالطبع ، لو صدر مثل هذا التشريع ، الذي يعرف الكيان الصهيوني كيف يمهد له ، ويختار التوقيت المناسب لصدوره ، فالي اين يذهب الفلسطينيون لو رفضوا تطبيقه ؟

● محاولة للسيطرة ●

ان ما يدور على سائر ربوع الشام من مطاردة لهم ، سوف يقفل الابواب في وجوههم ليلجأوا اليها

كما لجأ سابقوهم ، وعندها لن يكون امام كثير منهم سوى التسليم ، بأن يصبحو جنودا في جيش اسرائيل !

هل يدرك الذين يطاردون الفلسطينيين حاليا في سائر ربوع الشام ما ينتظر تلك المنطقة ، وسائر المشرق العربي لو وصلت الامور الى هذا الحد ؟

لن تتوقف الصهيونية لو نجحت في ذلك عند حد !
سوف يكون هدفها الاول هو السيطرة على منطقة الشام كلها بفضل من انضم الى قواتها من رعاياها « الفلسطينيين المخلصين » !!

ثم بعد ذلك تنتقل الى فرض سيطرتها « الامبراطورية » على سائر المشرق العربي ، بما في ذلك الارض المقدسة في الحجاز ، التي تدعي ان اجزاء منها — بما في ذلك المدينة المنورة — هي جزء من ارض اسرائيل التاريخية !
ولن يكون شأن الفلسطينيين لو جندوا في جيش اسرائيل — مختلفا عن جيوش الامبراطوريتين السابقتين البريطانية والفرنسية ، حيث كان يتم تجنيد قوات من الهند لاحتلال مصر ، أو الجزائر لاحتلال الهند الصينية ، وهلم جرا .
معروف ان جزاء من يخالف الامر العسكرى في الجيوش في حالة حرب هو الاعدام ، لذلك فالمقاتل أو الجندى لا ارادة له فيمن يقاتل ، هناك القيادة تأمره ينفذ .. أو يموت!

● حقوق الانسان اليهودى ●

وعلى كل فالكيان الصهيونى وحلفاؤه في الخارج لا يقصرون في اجتلاب مزيد من يهود الخزر ليزيدوا من قود الجيش الاسرائيلي ، ويضاعفوا من عدد المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية ، حتى يصلوا الى الدرجة التي يقدمون فيها على فرض التجنيد على « الاقلية » العربية في اسرائيل .

وللصهيونية في اجتلاب مواطنيها من هناك أساليب لا تنتهى ، ويستغلون كل شيء وكل حادثة !

واقعة المفاعل النووى السوفيتي في تشيرنوبل ، أستغلها الصهاينة على الفور ، وارسلوا مبعوثهم اليهودي الروسي الاصل ، الامريكي حاليا ، المليارديز ارماند هامر الى الاتحاد السوفيتي ، حيث التقى بالمسئولين هناك ، وعرض عليهم جميع المساعدات واصطحب معه فريقا من الاطباء الممتازين للتقليل من اثار الكارثة ، ولم ينس بالطبع ، في جو التعاطف مع ضحاياها ، تذكير المسئولين هناك بضرورة مراعاة حقوق « الانسان » اليهودى في الهجرة الى اسرائيل !
والرئيس الفرنسي ميتران خرج من مباحثاته في موسكو ، يتباهى بأنه قد ناقش هناك قضية حقوق الانسان ، التي تعنى دائما ذات « الحق اليهودى»!

اما الولايات المتحدة الامريكية فقد طالبت في مباحثاتها مع السوفييت حول قضية الشرق الاوسط ان يستأنف الاتحاد السوفيتي علاقاته مع اسرائيل، اذا اراد ان يكون له دور في حل القضية .
اما نحن العرب اصحاب القضية فلا نفعل شيئا .. الا قتل انفسنا .. بايدينا ، وينتظرنا في ذلك المزيد ، الرهيب ..
ولله الامر من قبل ومن بعد !

٥ يونيو في فكرنا السياسي

بقلم : د. فؤاد زكريا

قد يرى البعض أن اللحظة الحاضرة ليست أنسب اللحظات للحديث عن ٥ يونيو ولكن كاتبا معروفا رأى أن يرد على من أسماهم « ندابات ٥ يونيو » (الأستاذ محمد عودة في جريدة الأهالي عدد ١٨ يونيو ١٩٨٦) ، وخاض في رده هذا معركة صريحة ضد أولئك الذين يشنون كل عام هجمات عنيفة على العهد الناصري في ذكرى هزيمة ١٩٦٧ ، ففتح بذلك بابا واسعا لمناقشة هذا الموضوع الهام .

واذا كان كاتب ذلك المقال قد استخدم رمز « الندابات » ليصف به من يرددون أحزان ٥ يونيو في كل عام ، فإن الطرف الآخر ، الذي يمثل وجهة النظر المضادة ، كثيرا ما يستخدم ، في وصف اولئك الذين يقللون من شأن ماحدث في ١٩٦٧ ، رمز « الراقصات » ويعني به ذلك المنظر المشهور الذي تناقلته وكالات الأنباء العالمية ، والذي وقف فيه بعض نواب المجلس الموجود في ذلك الحين يرقصون فرحا وابتهاجا ، في يوم ١٠ يونيو ، عندما قرر الرئيس عبد الناصر العدول عن تنحيه .

وهكذا فإن الجيل الجديد ، الذي لم تشهد غالبيته أيام حرب يونيو أو لم تكن مكتملة الوعي خلالها ، يجد نفسه حائرا بين « الندابات » و« الراقصات » ، ويبحث عن الحقيقة فلا يجد إلا طرفا يقول له أن كل ماحدث قبل ٥ يونيو وأثناءها كان سوادا في سواد ، وطرفا آخر يؤكد له أن الصفحة كانت ناصعة البياض ، وأن خروج الشعب في ٩ ، ١٠ يونيو ، لاستبقاء الرئيس عبد الناصر بعد الهزيمة مباشرة ، كان على حد تعبير الكاتب نفسه في مقاله الأخير « أحد مشاهد التاريخ الكبرى في كل العصور » .. ومهما استبد القلق والاضطراب بهذا الجيل الذي نتحمل جميعا مسئوليته ، والذي يتآمر الجميع على عقله ، فلن يجد من يقدم اليه إجابة شافية عن السؤال الملح .

أيهما أصدق ، الندابات أم الراقصات ؟

إنني انفر ، بطبيعتي من الحلول الوسطى ، ومن المحاولات التوفيقية التي ترضي كل طرف في جانب وتغضبه في جانب آخر ، وأكره أية محاولة لتحقيق اللقاء بين الندابات والراقصات ، وذلك على الأقل لأن هذا اللقاء مستحيل عمليا : فالندابات يمارسن نشاطهن في المآتم ، والراقصات في الأفراح والليالي الملاح ، ومن ثم فلن نجد أرضا

مشتركة يلتقى فيها الجانبان . ومن هنا فإن الموقف الذى سأتخذه فى هذه الدراسة هو أن كلا الطرفين يرتكب اخطاء كبرى ، وأن الحقيقة تكمن فى اتخاذ موقف مغاير لهما معا .

ولكى يقتنع القارىء بأننى لا أكتب مقالا ساخرا ، وإنما أتحدث عن أمور جدية إلى اقصى حد عندما أقول إنه لاتوجد ارض مشتركة يمكن أن تتلاقى فيها ندابات المآتم وراقصات الأفراح ، دعونا نتأمل ما كتبه الأستاذ عودة ردا على « ندابات ٥ يونيو » لقد تحدث عن كل شىء إلا عن أحداث ٥ يونيو نفسها . ففى مقال طويل ، إستعرض الانجازات الضخمة لثورة ٢٣ يوليو ، ولعبد الناصر شخصيا ، قبل ١٩٦٧ ، وانتهى إلى أن خط سير الأحداث كان يحتم أن تقوم امريكا ، عن طريق مخلب القط الذى كانت قد قررت استخدامه فى ذلك الحين ، أعنى إسرائيل ، بضربة قاصمة تجهض بها التجربة المصرية التى كانت تهدد مصالح امريكية حيوية ، فى الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية . ثم تحدث عما وقع بعد الهزيمة : عن رد الفعل الشعبى ورفض الاستسلام وإعادة بناء الجيش ولكنه لم يكتب سطرا واحدا عما حدث فى ٥ يونيو نفسها ، وقفز قفزة كاملة على عملية الحرب وسير المعارك وحجم الهزيمة وسرعة وقوعها وتصرفات المسئولين أثناءها ... الخ . على أن هذه الأمور الأخيرة هى بالضبط ماتتحدث عنه « ندابات ٥ يونيو » ألسنا إذن على حق حين نقول إن أصحاب مهنة الندب فى المآتم ، ومحترفى الرقص فى الأفراح ، يستحيل أن يلتقوا على أرض واحدة ؟

● نموذج للأزمة الفكرية ●

إننى لا أعقد هذه المقارنة لكى أوازن بين مواقف الطرفين ، بل لكى اتخذ من حوارهما نموذجا للأزمة الفكرية التى أصبحت تعانيها مناقشاتنا السياسية والثقافية فى السنوات الأخيرة فها هو ذا موضوع عظيم الأهمية فى حياتنا المعاصرة ، موضوع كان ولايزال وسيظل له تأثير هائل على حياة ومستقبل كل واحد من أبناء مصر والعالم العربى بأسره ، وأعنى به نقطة التحول الكبرى التى حدثت فى تاريخنا المعاصر نتيجة لحرب يونيو ١٩٦٧ . ومن واجب كل مثقف وكل مفكر نزيه أن يقول كلمة الحق ، أو أن يقدم على الأمل اجتهادا أمينا ، لكى يساعد الأجيال الحاضرة على الاقتراب من الحقيقة أولا ، وعلى أن تتعلم الدروس وتأخذ العبرة ثانيا . ولكننا نجد الفريقين المتحاورين حول هذا الموضوع يصرخان كل فى واديه الخاص ، ويتصور أنه يرد بذلك على الآخر ويحاوره . أحدهما يبكى على الانهيار الشامل الذى تجلى بصورة صادقة فى ايام الحرب والذى أدى الى افدح هزيمة فى تاريخ العرب الحديث ، والثانى يتغنى بالانجازات التى تحققت قبل الحرب وبعدها ، ويقفز بخفة فوق كل ماحدث فى تلك الأيام السوداء ، ثم يسمون هذا مناقشة أو حوارا !

وإنى لا تصور بخيالى شابا فى الخامسة والعشرين ، كان وقت الهزيمة فى السادسة من عمره ، ويتطلع اليوم إلى معرفة الحقيقة عن هذا اليوم الذى لايسمع



عنه إلا كلاما غامضا وذكريات مختلطة ، فيتلهف شوقا الى ما يكتبه أصحاب الأسماء اللامعة ممن عاصروا الأحداث مباشرة ولكنه لايجد إلا من يحدثونه عن المقدمات والنتائج ، دون ان يقولوا شيئا عن الحدث نفسه ، او من يتكلمون بالتفصيل عن الحدث ذاته ، دون أن يذكروا شيئا عن المقدمات والنتائج ، ثم يكتشف (وهذا هو الأدهى والأمر ، وهو الكارثة العقلية بحق) أن كلا من الطرفين يتصور أنه يناقش الآخر ويرد عليه . فكيف يستطيع مثل هذا الشاب ، الذى يمثل جيلا باكمله ، أن يكون لنفسه فكرة معقولة عن هذه الفترة الحاسمة من تاريخ بلاده ؟

وهل سيهتدى إلى طريقه بين اولئك الذين لايقدمون اليه سوى أنصاف الحقائق ، مؤكدين أنها « حقائق » فقط وناسين انها ايضا « أنصاف » وأن من أسهل وأخطر الطرق لتزييف العقول وتخريبها أن يقول المرء جزءا من الحقيقة ويحجب عمدا جزءها الآخر ؟

● نقص خطير ! ●

إن الكثير من أحداث ٥ يونيو سيظل لوقت طويل ، كما يعترف الجميع ، أسرار خفية وليس فى استطاعة كاتب هذه السطور أن يتقمص شخصية المؤرخ الذى يضيف جديدا أو يجلو غامضا . ولكن مانود أن نقوم به ، وما نعتقد أنه مفيد غاية الفائدة ، هو أن نناقش « النظريات » المختلفة فى تفسير ٥ يونيو ، دون أية محاولة للخوض فى التفاصيل التاريخية والعسكرية التى تحتاج على أية حال ، الى فرق بحث كاملة . وإذا كان تقاعس الثقافة المصرية عن تحليل هذه الفترة الحاسمة تحليلا مفصلا ، يمثل جانبا خطيرا من جوانب النقص فى حياتنا الفكرية ، فلا بد أن ندرك أن هناك الف عقبة وعقبة مازالت تحول دون إنجاز هذه المهمة الشاقة ، وأن معظم هذه العقبات مفروضة فرضا على المثقفين .

ويمكن القول إنه قد ظهرت ، فى حياتنا الفكرية المعاصرة ، نظريتان رئيسيتان فى فهم أحداث ٥ يونيو :

النظرية الأولى ، وهى التى يقول بها الناصريون المتشددون ، هى نظرية المؤامرة الدولية أعنى تفسير حرب ١٩٦٧ عن طريق البعد الخارجى وحده ، بحيث ينظر الى هذه

الحرب فى ضوء المواقف التآمرية التى اتخذتها الامبريالية العالمية تجاه نظام عبد الناصر ، وتعد الهزيمة ذاتها مظهرا من مظاهر المد الامبريالى الذى بدأ منذ أواسط الستينات ، وأحرز انتصارات هامة فى السبعينات ، وانتقل الى مرحلة الهجوم المباشر فى الثمانينات ، فاستطاع خلال هذه المراحل أن يجهض معظم تجارب الحياد الايجابى ومحاولات السير فى طريق الاشتراكية والتنمية المستقلة ، وهى المحاولات التى أزدهرت فى العالم الثالث خلال العقد الممتد من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ .

أما النظرية الثانية فترتكز على التركيب الداخلى للنظام . فهى تفسر الهزيمة بأنها ناتجة عن عوامل تنتمى الى صميم بنية النظام ذاته ، أفضت الى توجهات خاطئة تعد هى وحدها المسئولة عن الكارثة وهذه النظرية تتفرع الى فرعين تبعا لنوع العوامل الداخلية التى يركز عليها أصحابها :

ا ـ فهناك من يعللون الهزيمة بالتوجه الاشتراكى للنظام ، وماترتب عليه من تحالف مع السوفييت ، الذين هم فى نظر أصحاب هذه النظرية حلفاء لايمكن الاعتماد عليهم ، لايقدمون إلا سندا أضعف بكثير مما تقدمه أمريكا لاسرائيل وهذا هو التفسير الذى يأخذ به عدد كبير من انصار الاقتصاد الحر ، والذى يتبناه الآن ، بصورة أشد عنفا وضراوة ، حزب الوفد الجديد .

ب ـ وهناك من يفسرونها بالتوجه العلمانى للنظام وما ترتب عليه من تعذيب وتشريد لاعضاء الجماعات الاسلامية وابتعاد عن نهج الشريعة الالهية . وفى ضوء هذا التفسير تصبح هزيمة ١٩٦٧ انتقاما إلهيا من الظلم الذى لحق بعدد هائل من أنصار الحركة الاسلامية ، فضلا عن أنها ـ فى نظرهم هى النتيجة الطبيعية لنظام يخضع فى قراراته وتشريعاته لما يمليه العقل البشرى القاصر ، ويطرح جانبا شرائع الحكمة الربانية الخالدة .

ومن السهل أن يدرك المرء وجود تداخل لايستهان به بين فرعى النظرية الثانية .
فأصحاب الاتجاهات الاسلامية ، الذين يقولون أن سبب الهزيمة هو علمانية النظام ، يشيرون فى الوقت ذاته الى أن طريق الاشتراكية هو طريق الالحاد ، ويهاجمون التحالف مع السوفيت باعتباره مظهرا من مظاهر الابتعاد عن الشرع الالهى ، ومن ثم فهو سبب رئيسى للنقمة التى حلت علينا وبالمثل فإن انصار الاقتصاد الحر ، الذين يرون أن الاتجاه الداخلى والخارجى نحو « اليسار » هو الذى جلب علينا كل المصائب ، يغازلون الاتجاه الاسلامى ويتبنون كثيرا من قضاياه ، ويتخذ منها « غطاء أيديولوجيا » يضمنون به حشد أكبر عدد ممكن من الانصار فى صفوفهم ذلك لأن دفاعهم المباشر عن الاقتصاد الحر قد لايقنع العامل أو الموظف المطحون ولايساعد على اجتذابه الى صفوفهم ، على حين أن مزج هذا الدفاع بالهجوم على « الكفر والالحاد » يتيح لهم أن يضمنوا لأتجاههم الاقتصادى والسياسى تأييد أعداد هائلة ممن لامصلحة لهم أصلا فى هذا الاتجاه .

وأوضح مظهر لهذا الأسلوب فى العمل السياسى مسلك حزب الوفد الجديد ،وجريدته بوجه خاص

● تفسير للهزيمة ●

هناك إذن نظريتان أساسيتان فى تفسير هزيمة يونيو ، ولو كانت كل من هاتين النظريتين مجرد تعبير عن اتجاه فى فهم أحداث تلك الفترة ، لما كان للنقاش حولها إلا قيمة تاريخية أكاديمية ، ولكان أصلح منبر لهذا النقاش هو الندوات أو المؤتمرات أو المطبوعات الثقافية المتخصصة . غير أن من وراء كل نظرية منهما أسلوبا كاملا فى العمل السياسى ونظرة شاملة الى المستقبل مستمدة من تفسيرها الخاص للحدث الماضى . وهذه المسألة الأخيرة هى التى تجعل هزيمة ٥ يونيو موضوعا لاهتمام دائم لاينبغى أن يثار فى أيام معينة من كل عام فحسب ، أو أن يقتصر البحث فيه على المتخصصين فى علوم السياسة أو التاريخ .

والرأى الذى أود الدفاع عنه هو أن كلتا النظريتين على خطأ ، وأن هذا الخطأ ليس فكريا أو نظريا فحسب ، بل إنه يرجع فى المحل الأول إلى تأثير العوامل الذاتية فى العقول ، والخلط بين المصالح والفكر الموضوعى ، فأصحاب النظرية الأولى ، أعنى نظرية المؤامرة الخارجية ، يهتمون فى واقع الأمر بتبرير ارتباطاتهم القديمة بالعهد الناصرى ، خلال فترة الهزيمة ، أكثر مما يحرصون على الحقيقة الموضوعية ، وهم حين يسكتون سكوتا تاما على العوامل التى تنتمى الى بنية النظام نفسه ، والتى أدت الى الهزيمة وأكسبتها حجمها الضخم ، يضيعون على الأجيال الجديدة فرصة استخلاص درس عظيم الأهمية ، وأعنى به كشف أخطاء الممارسة السياسية التى يؤدى ارتكابها الى اوخم العواقب على الشعوب فى حاضرها ومستقبلها ، وأصحاب النظرية الثانية ، التى تفسر الهزيمة بتوجه النظام نحو اليسار أو نحو العلمانية ، لايؤكدون هذه العوامل لأنها تمثل حقيقة تاريخية ، بقدر ما يؤكدونها رغبة منهم فى تحويل مسار التاريخ المصرى الى الاتجاه الذى يخدم مصالحهم ، واعنى به رأسمالية المشروع الحر فى جانب ، والدعوة الى الحكم الدينى فى الجانب الآخر .

وهكذا فإن هناك حاجة حقيقية الى مناقشة مفصلة لأخطاء هاتين النظريتين

وعرض معالم نظرية ثالثة ، لاتقدم تفسيرا أوضح لهزيمة يونيو فحسب ، بل تسهم ـ وهذا هو الأهم ـ فى إنارة طريق الحاضر وتوضيح اتجاه الخلاص فى المستقبل .

● نظرية المؤامرة الخارجية ●

هناك مجموعة كاملة من الكتابات يعلل بها ناصريون متشددون هزيمة يونيو بعوامل خارجية خالصة ، تدور كلها حول مؤامرات دبرتها القوى الامبريالية ، وبخاصة أمريكا ، بالتعاون مع إسرائيل لضرب التجربة الناصرية التى هددت مصالح الطرفين معا باتباعها سياسة خارجية قائمة على الحياد الايجابى ومناصرة حركات التحرر الوطنى ، وخاصة فى العالم العربى ، وسيرها فى طريق للتنمية المستقلة يمكن أن يصبح نموذجا خطيرا لدول العالم الثالث .

هذا التفسير يخدم وجهة نظر أصحابه فى ناحيتين أساسيتين :

الأولى : هى أن الهزيمة تصبح فى هذه الحالة نتيجة لمؤامرة دولية شاركت فيها القوة الكبرى فى عالمنا المعاصر ، وهى امريكا مستخدمة إمكاناتها الجبارة لدعم رأس جسرها فى المنطقة ، وهو إسرائيل . ومعنى ذلك أن عوامل تخرج عن سيطرة النظام فى مصر هى التى سببت الكارثة ، وأن هزيمة هذا النظام كانت جزءا من تلك الهجمة الشاملة التى استطاعت بها قوى امبريالية عاتية أن تسجل انتصارات ضد انظمة عديدة كانت تناوئها فى مختلف قارات العالم الثالث .

أما الناحية الثانية التى يخدم فيها هذا التفسير أصحابه ، فهى أن هزيمة النظام تغدو ، فى هذه الحالة ، ناتجة عن فضائله ، لا عن مساوئه . فوطنية النظام واستقلاليته ومناوأته لقوى الاستقلال والسيطرة فى العالم ، هى التى جعلت هذه القوى تقرر التآمر عليه . ولما كانت هذه القوى العالمية أشد جبروتا من أن تقف فى وجهها دولة محدودة الامكانات والموارد من دول العالم الثالث ، فإن النتيجة تصبح محسومة ، والهزيمة مؤكدة . وهكذا تتحول الهزيمة بفضل هذا التفسير ، من شىء مشين الى شىء مشرف ، وتنقلب الكارثة من عار الى فخار .

إنه إذن تفسير ذكى ، يعفى النظام الحاكم عندئذ من مسئولية الضربة القاصمة التى لحقت بمصر والوطن العربى كله فى يونيو ١٩٦٧ ، ويريح ضمائر المرتبطين به ، ويخلص الجميع من الحرج أمام حساب التاريخ : فماذا كان فى إمكاننا أن نفعل ، إذا كانت قوى الشر العاتية قد تآمرت علينا ؟ لقد هوجمنا وانهزمنا لأننا كنا نبنى ، ونقاوم ، ونناضل ، ولوكنا من الخاملين أو المستسلمين لما هاجمنا أحد !

لنقل مرة أخرى إنه تفسير ذكى ، وأذكى مافيه يعتمد على حقائق واقعة ! فمناوأة الامبريالية للحركات الوطنية ، فى الستينات وغيرها ، حقيقة لاشك فيها ومن المؤكد أنها تفضل أن ترى فى كثير من بلاد العالم الثالث أنظمة متحالفة معها ، أو مستسلمة لها ، بدلا من الأنظمة التى تتصدى لمخططاتها وترفض

أحلامها ، بل وتنجح أحيانا فى كسر هذه الأحلاف . وهكذا فإن نظرية المؤامرة الخارجية لاترتكز على فراغ ، ولا تختلق تفسيرها من أوهام ، ومع ذلك فهى نظرية باطلة من أساسها ، لأنها تستخدم مجموعة من الحقائق التاريخية أستخداما ملتويا ، وتستخلص منها نتائج لا تلتزم عنها على الاطلاق ، لانها ـ قبل هذا وذاك ـ تفسير جزئى ، يبرز بصورة مبالغ فيها جانبا واحدا من الظاهرة لكى يتمكن ، عن عمد من إخفاء جانبها الآخر .

إن نظرية التآمر الخارجي ترتكب فى نظرى خطأين اساسيين : أولهما أن التآمر الخارجي لايؤدى بالضرورة الى هزيمة الدول التى يمارس عليها ، وثانيهما أنها تتجاهل العوامل الداخلية الكامنة فى بنية النظام ، والتى كان لها الدور الأكبر فى حدوث الهزيمة ، وفى الحجم الذى اتخذته . فلنتأمل كلا من هذين الخطأين على حدة .

أن يستطيع المرء أن يسلم بكل كلمة يقولها انصار نظرية التآمر الخارجي عن وطنية النظام واستقلاليته ومؤازرته لحركات التحرر الوطنى ومناوأته للأحلاف العسكرية وسعيه الى تحقيق تنمية مستقلة . ويستطيع المرء أيضا أن يسلم بأن هذه السمات جميعا كانت مصدر قلق بالغ للقوى الامبريالية ، ومن ثم فقد تآمرت هذه القوى من اجل إزاحة مثل هذا النظام المشاغب .. يستطيع المرء أن يسلم بكل هذه المقدمات ، دون أن يسلم على الاطلاق بالنتيجة التى يستخلصها منها أصحاب هذه النظرية ، وهى أن الهزيمة كانت محتومة !

● الامبريالية والتآمر ●

ذلك لأن القوى الامبريالية لاتكف فى أية لحظة عن التآمر على أى نظام يناوؤها وهى توجه ضرباتها الى الجميع ، ولكنها تنجح مع البعض ، ولاتنجح مع البعض الآخر . وحسبنا ان نذكر فى هذا الصدد مثلين مشهورين : أولهما فيتنام . فالامبريالية العالمية ، ممثلة أولا فى فرنسا ، ومن بعدها فى امريكا ، تآمرت على هذا البلد الصغير ، الفقير ، ولم تترك له فرصة للتنفس طوال مدة تربو على ربع قرن . ولم يكن تآمرها عليه بتسليط دولة صغيرة مجاورة عليه ، بل إن فرنسا بكل قوتها ثم أمريكا بكل إمكاناتها وجبروتها العسكرى والتكنولوجى قد تدخلتا ، واحدة بعد الأخرى ، بصورة مباشرة ، وبقوات عسكرية هائلة ، ضد هذا البلد البسيط ، المسالم ، ولكنه لم ينهزم ، وانما كانت النتيجة معروفة ، وكان التآمر الخارجي هو الذى تلقى ، مرتين متواليتين ، هزائم مدوية .

والمثل الثانى هو نيكاراجوا . فها هو ذا بلد آخر صغير ، محدود الموارد ، كان حتى عهد قريب واحدة من " جمهوريات الموز " فى أمريكا الوسطى ، يقف حتى الآن ، وبعد سنوات من ثورته على طاغية من أبشع طغاة التاريخ ، صامداً فى وجه الجار الشمالى الجبار ، الذى لم يتوقف لحظة واحدة عن التآمر عليه ، وتسليح اعدائه وتدريبهم ورصد الميزانيات الضخمة لهم ، وتأليب الدول المجاورة عليه ، بل ونشر كتيبات سرية عن افضل طرق تخريب المرافق وقتل الخصوم ، يتداولها ويعمل بها الجنود المرتزقة وانصار النظام السابق ومع ذلك فان نيكاراجوا لاتزال تقف على اقداها ، ولازالت تبنى نفسها فى الداخل وسط أصعب الظروف ، ولازالت الحركة الساندينية ، التى وصفت زورا بأنها شيوعية ، مع أنها فى الواقع جبهة عريضة من فصائل وطنية متباينة ، لازالت تقف شامخة فى موقعها النائى من الساحة الجنوبية للجار الشمالى الجبار .

ان التآمر الخارجى ليس ظاهرة جديدة ، ولامؤقتة ، وانما هو جزء من حقائق العصر الذى نعيش فيه . ولدى كل دولة عظمى اجهزة جبارة وميزانيات ضخمة ، لا هدف لها إلا أن تبحث بلا انقطاع عن ثغرة بين الأنظمة المناوئة لها كيما تنفذ منها ، غير أن هذه القوى تجد أمامها ، فى حالات معينة ، جدارا صلبا تعجز عن اختراقه ، وتجد فى حالات أخرى حاجزا ورقيا هشا يقع بمجرد أن يدفعه الاصبع . وهكذا فان تآمر القوى الامبريالية ، وان كان حقيقة لا ننكرها ، لايكفى على الاطلاق لتفسير الانهيار السريع والشامل الذى حدث فى ٥ يونيو ، ولابد من البحث عن تفسير آخر .

٢ ـ وهذا يقودنا الى الكلام عن الخطأ الثانى الذى تقع فيه نظرية المؤامرة الخارجية . ذلك لأن مناقشة الخطأ السابق قد أدت بنا إلى القول بأن الأبنية الهشة هى وحدها التى تنهار بسرعة أمام مؤامرات القوى الامبريالية الكبرى . ومعنى ذلك أن التفسير الخارجى لابد أن يكمله تفسير آخر داخلى يتعلق بتركيب النظام وعلاقات القوى فى داخله وأسلوب تعامله مع القاعدة الشعبية ، ومن المؤسف أن هذا عامل لايقترب منه أصحاب هذه النظرية ، بل إن نظريتهم لم تظهر أصلا إلا لكى تعفيهم من الاجابة عن السؤال الحاسم : هل كانت المؤامرة الخارجية كافية لاحداث هزيمة بهذا الحجم ، وبهذه السرعة ؟ ألم يكن بنيان النظام نفسه هو المسئول الأكبر عن هذه الهزيمة .

الواقع أن هزيمة ١٩٦٧ لها طابع فريد ، لم نحاول أن نقترب منه بعقولنا ، واكتفينا بإصدار أحكام عاطفية ـ ساخطة أو متعاطفة ـ عليها ، وظل تفكيرنا يرفض التعمق فيها مثلما ترفض ذاكرة الانسان استعادة حادث مفجع . فقد كانت الحرب متوقعة وكنا نحن الذين بدأنا سلسلة الاحداث المباشرة التى أدت اليها ، وعلى رأسها إغلاق المضايق ثم إحلال القوات المصرية ، بأعداد كبيرة ، محل قوات الأمم المتحدة فى سيناء . ولوكانت المؤامرة الخارجية هى التفسير الوحيد الكافى للحرب ، فكيف سمحنا لأنفسنا بأن نقدم لتلك المؤامرة الحجة والزريعة والمبرر الذى تستطيع به أن تحكم قبضتها على أعناقنا ويبدو سلوكها أمام العالم كما لو كان دفاعا مشروعا عن النفس ضد إجراءات تهدد بخنق

« امة صغيرة تريد أن تعيش مع جيرانها فى سلام » ؟!! أو بعبارة أخرى كيف سمحنا لانفسنا بأن نكون جزءا أساسيا من آليات المؤامرة وأداة رئيسية من أدوات تنفيذها »

● توقع الهجوم ●

ولم يقتصر الأمر على قيامنا بدور اساسى فى سلسلة الأحداث التى مهدت للحرب ، بل إن الحرب نفسها ربما كانت من أكثر حروب التاريخ خلوا من عنصر المفاجأة : فقبلها بأيام معدودات شكلت إسرائيل وزارة حرب ، وأعلنت التعبئة العامة التى لايتحملها الاقتصاد الاسرائيلى إلا وقتا محدودا ، وتصرفت إسرائيل فى كل شىء وكأنها تصرخ فى آذاننا . أستعدوا فسوف نهاجمكم بعد قليل ! وكانت القيادة المصرية نفسها تتوقع يوم الهجوم (وهو توقع لم يكن يحتاج الى قدر كبير من الذكاء) ، بحيث أن الوصف الاعلامى اللاحق لهجوم يونيو بأنه « عدوان غادر » كان أبعد الأوصاف عن الحقيقة ، وذلك إذا فهمنا كلمة « الغدر » بمعناها الصحيح ، أى بمعنى مجىء الشر بصورة مباغتة ممن لا نتوقع منه شرا .

ومع ذلك فإن المسار الفعلى لاحداث الدقائق الأولى للحرب قد بدا كما لو كان الهجوم الذى وقع علينا أكبر مفاجأة فى التاريخ لأقل الجيوش تأهبا واستعدادا ! وهنا تتهافت نظرية المؤامرة الخارجية تهافتا تاما ، ويتعين تعليل ماحدث فى ضوء البنيان الداخلى ، وطريقة توزيع القوى فى النظام ذاته ، وحتى لو ثبت أن المؤامرة الداخلية قد استخدمت بعض عناصر النظام لتنفيذ مخططها (وهو أمر لا يمكن استبعاده ، وإن لم يتكشف بالدليل القاطع أمام الرأى العام حتى اليوم) ، فإن هذا لاينفى أن تركيب النظام هو الذى سمح بوجود هذه العناصر وصعودها فى هرم المسئولية حتى اقتربت من القمة أشد الاقتراب .

ونستطيع أن نتبين نموذجا لهذا الاختلال إذا اختبرنا العذر الأكبر الذى يلجأ اليه كثير من معتنقى هذه النظرية للرد على تلك الاعتراضات الخطيرة التى تشير الى التخبط فى سلوك القيادات العسكرية منذ اللحظة الأولى للقتال ، والأهمال الجسيم الذى كشفت عنه ضربة الطيران التى حسمت الحرب بعد نصف ساعة من قيامها ، وتضارب أوامر الصمود والانسحاب بعد ساعات قلائل من بدء المعركة ، والخسائر الفادحة غير المبررة ، حتى بمقاييس الهزائم العسكرية ، فى البشر والمعدات ، وانشغال القيادات بخلافاتها الشخصية فى أحرج لحظات القتال . فالرد الذى تواجه به هذه الاعتراضات عادة هو أن القوات المسلحة كانت فى ذلك الحين مركزا كبيرا من مراكز القوى ، وكانت تسيطر عليها قيادة تنافس القيادة السياسية ولاتخضع لها ، وتختار أعوانها من قادة الأسلحة والوحدات الرئيسية

على أساس الولاء الشخصى لا على أساس الكفاءة او المعرفة .
هذا العذر ، الذى يبدو فى ظاهره مقنعا ، لايحل أى إشكال فهو يرتكز على حقيقة مؤسفة ، هى أنه قد وقع منذ اللحظة الأولى اختيار لأسلوب معين فى الحكم ، هو اسلوب التوازن بين القوى « المادية » بحيث كانت القيادة السياسية مضطرة الى ان تهادن أو تتغاضى عن تصرفات من يملك فى يده أوراقا تمثل ضغطا ماديا لا يمكن مقاومته . والأمر الذى يغيب عن بال أصحاب هذه التعليلات هو أن مثل هذا الاختيار ليس قدرا محتوما ، بل كان من الممكن منذ اللحظة الأولى ان يقع الاختيار على اسلوب مختلف يرتكز على اسس اكثر ديمقراطية وأكثر تحضراً من توازن القوى المادية السافرة فمنذ البداية كان الاختيار مطروحا بين مجتمع مدنى يرتكز على الديمقراطية العاقلة ، ومجتمع يستند الى التوازن بين عناصر القوة المادية ومنذ اللحظة التى وقع فيها الأختيار على البديل الثانى كان لنا أن نتوقع كل الكوارث الناتجة عن الأخذ بهذا المبدأ الخطير : لكل بحسب مايملك من عناصر القوة "

وإذن فوجود قيادة عاصية على رأس الجيش ، أحاطت نفسها بعناصر تفتقر الى العلم والكفاءة ، وربما الحس الوطنى ، وعجز القيادة السياسية عن السيطرة على اولئك الذين يملكون فى ايديهم عنصرا هائلا من عناصر القوة ـ كل ذلك ليس عذرا على الاطلاق بل هو فى الواقع نتيجة ضرورية لاختيار أساس مسبق لأسلوب فى الحكم كان لابد أن يفضى الى كل هذه النتائج المؤسفة وينبغى بالتالى أن يحاسب عليه أصحابه .
وهكذا فان مشكلة غياب المشاركة الشعبية تعود لتؤكد نفسها بوصفها السبب الحقيقى للهزيمة ، وللحجم الهائل الذى اتخذته وتلك مشكلة سالت فيها أنهار من المداد ، ولا مجال هنا لمزيد من الحديث عنها ولكننى أود أن أبدى حول هذا الموضوع وجهة نظر ربما كانت تضيف بعدا جديدا الى كل ماقيل فى هذه المسألة .
إن الكثيرين ، حتى من الناصريين المتحمسين أنفسهم يعترفون بأن الحكم الفردى وانعدام المشاركة الشعبية كان من أهم أسباب نكسة يونيو . ولكن الطريقة التى تطرح بها هذه المسألة ، فى جميع الكتابات التى دارت حول هذا الموضوع هى أننا ينبغى أن نضع ايجابيات العهد الناصرى وسلبياته على كفتى ميزان ، وعندئذ سترجح كفة الايحابيات بصورة واضحة لأن كفة السلبيات لا تتضمن سوى الحكم الفردى ، وغياب المشاركة الشعبية وهكذا تعد المشاركة الشعبية تبعا لهذه النظرة الشائعة واحدا من عناصر المقارنة بين الانجازات والعيوب .
ولكن الرأى الذى أود أن أؤكده بصورة قاطعة هو أن هذه المشاركة ليست على الاطلاق عنصرا واحدا من عناصر المقارنة بين الايجابيات والسلبيات . واتباع أسلوب الحكم الفردى المطلق معناه أن الوعاء الذى تصب فيه هذه الانجازات مثقوب . فليس المشاركة الشعبية ، بمعنى الارتكاز على الارادة الحرة للجماهير والاعتراف بحق مختلف الاتجاهات فى التعبير عن نفسها وممارسة نشاطها ليست هذه مجرد سلبية توضع فى مقابل الحكم الوطنى والتنمية المستقلة والصمود أمام الاستعمار ، وانما هى عنصر سالب يهدد جميع العناصر الايجابية الأخرى بالخطر ويجعلها كلها معرضة للانهيار عند اول هزة .. وهذا ما أثبته بالفعل مسار المعركة فى ١٩٦٧ ، وما ظهر بالدليل القاطع بعد

أن اختفى الزعيم الذى كان يمسك فى يديه بجميع الخيوط .

وهكذا فان الجديد الذى أود أن أضيفه الى مناقشة موضوع المشاركة الشعبية هو أن الحاكم المطلق لايرتكب ، بأسلوبه هذا فى الحكم ، مجرد خطأ سلبى يمكن تعويضه وموازنته بإنجازاته الايجابية ، بل إن اتباعه لهذا الأسلوب يهدد جميع هذه الانجازات بالانهيار ، مادامت تصب ، كما قلنا ، فى وعاء مثقوب .

هذا فى تقديرى هو أهم أسباب الهزيمة ، وهو سبب يتجاوز بمراحل ، كما هو اضح ، كل مايقال عن تامر الامبريالية العالمية على الخط الوطنى الذى سلكه الرئيس عبدالناصر ، وإن لم يكن ينفى أن هذا التامر قد حدث بالفعل .

● اشتراكية النظام سبب الهزيمة ●

هذه هى الدعوى التى تتردد على ألسنة قوى سياسية هامة كانت مكبوتة طوال الستينات ، وأخذت أصواتها تسمع فى السبعينات ، وبلغت هذه الأصوات اقصى ارتفاعها فى الثمانينات . والممثل الأكبر لهذه القوى هو حزب الوفد الجديد ، الذى اختفى فيه صراع الوفد القديم بين اتجاهات يمينية وأخرى « طليعية » وحسم هذا الصراع نهائيا لصالح اليمينى . ومع ذلك فأن لهذه القوى ممثلين فى الأحزاب الأخرى ، وخارج نطاق الأحزاب . وتؤكد هذه الدعوى أن الاتجاه الأشتراكى الذى سار فيه النظام المصـرى منذ أوائل الستينات هو السبب الأكبر فى هزيمة ١٩٦٧ .

وأغلب الظن أن أصحاب هذا الرأى لايتقدمون به لكى يعللوا أسباب الهزيمة بقدر مايحرصون على التعبير ، من خلاله ، عن كراهيتهم لكل ما له صلة بالاشتراكية . فليست المسألة هنا تعليلا علميا أو شبه علمى ، وإنما هى اختيار مقصود يراد تبريره وتدعيمه وتجميله عن طريق الربط بين الاختيار المضاد له وبين كارثة لها أسوأ الوقع فى نفوس الناس جميعا .

ولو تساءل المرء : ما العلاقة بين اختيار الطريق الاشتراكى وبين الهزيمة العسكرية ، لما استطاع ان يجد اجابة معقولة . فكثير من الدول التى اختارت طريقا اشتراكيا قد أحرزت انتصارات عسكرية مدوية ، ويكفى أن نشير مرة اخرى إلى فيتنام ، وإلى الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، وإلى كوبا ونيكاراجوا وزيمبابوى وأنجولا وموزمبيق ، إلى آخر القائمة الطويلة .

إن كاتب هذه السطور يؤمن ـ وهذا رأى شخصى قد لايوافق عليه الكثيرون ـ بأنه إذا كانت هناك مشكلة فى اشتراكية ماقبل ١٩٦٧ ، فهى أنها لم تكن جادة بما فيه الكفاية ، أو مكتملة بما فيها الكفاية ، ولايسمح المقام هنا بتقديم الأدلة والشواهد التى تدعم هذا الرأى ، لسبب بسيط هو أن التوسع فى هذه المسألة يعنى الخروج عن الموضوع الاصلى الذى نحن بصدده . ولكنى على أية حال أعتقد أننى قدمت ، فى كتابات اخرى ،

مايكفى لايضاح وجهة نظرى الخاصة ، التى لا ألزم أحدا بقبولها ، وهى أن مصر ليست لبنان ولا سويسرا ولا الولايات المتحدة ، وأن ما يصلح لهذه البلاد الأخيرة لايصلح لبلد كان يعيش منذ ألوف السنين على رقعة الأرض الزراعية ذات الملايين الخمسة أو الستة من الأفدنة ، وتعدى الآن النقطة الحرجة فى عدد السكان الذين مازالوا يعيشون على نفس الموارد ، ولايحل مشاكله الا تنظيم وتخطيط دقيق ، بل صارم ، لكل ذرة من موارده .

وإذا كانت الاشتراكية تعنى ، فى نظر المعترضين عليها ، تكوين القطاع العام فى المحل الأول ، فان هذا القطاع العام هو الذى أتاح لمصر أن تقف على اقدامها فى السنوات الحرجة التى اعقبت الهزيمة ، وعلى الرغم من كل العيوب التى شابت تكوينه ، وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة ممن اختيروا للأشراف عليه لم يكونوا ممن يؤمنون بالتجربة أصلا ، بل كان بعضهم يعمل على تخريبها ، على الرغم من ذلك فإن الخلط بين عيوب التطبيق وبين مبدأ القطاع العام ذاته هو ، فى رأيى ، أكبر المغالطات المخجلة التى يرتكبها انصار الاقتصاد القائم على المشروع الخاص منذ أوائل السبعينات حتى يومنا هذا .

ولكن لكى لاتبعد بنا المناقشة عن موضوعنا الأصلى ، دعونا نتساءل مرة أخرى :

هل هناك أى ارتباط ضرورى ، يقتنع به العقل ، بين اختيار الاشتراكية وتكوين القطاع العام ، وبين هزيمة ١٩٦٧ ؟ إن القائلين بهذا الارتباط يؤكدون فى أغلب الأحيان ، أن الاتجاه الأشتراكى ترتب عليه تقارب وثيق مع الاتحاد السوفيتى ، على المستوى الاقتصادى والسياسى والعسكرى ، وأن هذا التقارب هو فى الواقع علة الهزيمة . وهكذا تنتهى حجتهم الى التعبير عن موقف معاد لأى تقارب مع المعسكر الأشتراكى ، ومؤيد للاندماج الوثيق مع المعسكر الغربى .

● السوفييت والهزيمة ●

وحين يعود المرء الى التساؤل ـ املا فى الحصول على أجابة دقيقة ـ عن السبب الذى جعل التقارب مع السوفييت مؤديا الى الهزيمة لايجد إلا اجابات غامضة ، يستحيل أن تصمد للنقد والتحليل ، ينحصر معظمها ، فى القول أن السوفييت حلفاء لايمكن الاعتماد عليهم ، والسبب الأول فى ذلك هو أن سلاحهم متخلف تكنولوجيا عن الأسلحة الغربية ـ وهى حجة يرد عليها بأن سلاحهم هذا هو الذى استخدم فى العبور الرائع فى حرب اكتوبر ، أما فى حرب ١٩٦٧ فلم تتح الفرصة لاستخدام أى سلاح ، سوفيتى أو غيره ، لأن معظم الأسلحة تركت فى ساحة المعركة دون استخدام . والسبب الثانى الذى يساق لتأكيد عدم إمكان الاعتماد على السوفيت ، هو أنهم خذلونا فى تلك الحرب ، وتركونا نعانى مرارة الهزيمة دون أن يفعلوا شيئا . وهنا يجرى أصحاب هذا الرأى مقارنة بين السوفييت والأمريكان : فأمريكا تساعد إسرائيل مساعدة أضخم بكثير ، ولو تعرضت حليفتها للهزيمة لتدخلت قواتها مباشرة من أجل تغيير مجرى المعركة ، أما

السوفيت فيكتفون فى مثل هذه المواقف بالتأييد السياسى والدعم المعنوى الذى لايفيد فى ساحة القتال .

هذا السبب الأخير يستحق وقفة خاصة ، لانه يعبر عن رأى واسع الانتشار ، لم يقتصر تأثيره على طريقة تفكير الناس ، بل إنه تجسد فى مواقف عملية ملموسة وكلنا نعلم مظاهرات ساخطة قد توجهت صوب السفارات السوفيتية فى عدة بلاد عربية ، فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، وبعد المرحلة الأخيرة من حرب ١٩٧٣ ، تتهم السوفيت بأنهم خذلوا العرب ، هذا فضلا عن كتابات صحفية لاحصر لها دابت منذ ذلك الحين على أن تنسب هزيمة العرب الى خذلان السوفيت لهم . وهذا بدوره فى رايى خطأ مخجل وقع فيه العقل العربى ، أما عن سوء فهم أو تأثرا بالتضليل الاعلامى المخطط . واسوأ ما فى هذا الخطأ أنه يحط من قدر الأمة العربية كلها ، إذ يفترض أن من واجب شعب آخر أن يحارب لها معركتها ، ويهاجم هذا الشعب إذا تركها تسوى امورها بنفسها . وحقيقة الأمر أن هزيمة يونيو كانت هزيمتنا نحن وانتصار العبور فى اكتوبر كان انتصارنا نحن ، والمعركة فى كلتا الحالتين كانت ، أولا وأخيرا ، معركتنا نحن وليس من الانصاف لتاريخنا ، ولا من قبيل الاحترام لأنفسنا ، أن نبحث عن كبش فداء ننسب اليه أخطاءنا وتقصيرنا .

وأخيرا ، فان المقارنة بين ارتباط العرب بالسوفيت وارتباط اسرائيل بأمريكا ، حتى فى أواخر الستينات ، هى مقارنة باطلة فى أساسها فليس ثمة شبه ، من قريب او بعيد ، بين تلك الروابط المؤقتة التى جمعت بين السوفيت وبلاد عربية معينة ، فى مرحلة معينة ، والتى يمكن فكها والتخلص منها فى لحظة واحدة ، كما فعلت مصر عند اخراج الخبراء السوفيت عام ١٩٧٢ ، وبين التحالف الاستراتيجى العضوى البعيد المدى بين المصالح الأمريكية والمصالح الاسرائيلية . من أجل هذا ، لا من أجل اية فضيلة خاصة فى هذه الدولة الكبرى أو أى عيب خاص فى تلك ، كان فى استطاعة إسرائيل أن نعتمد على أمريكا الى غير حد ولم يكن فى استطاعتنا نحن ، خلال فترة تقاربنا مع السوفيت ، أن نعتمد عليهم بأى قدر مماثل .

● « علمانية » النظام سبب الهزيمة ●

والفرع الآخر للنظرية التى تفسر هزيمة ١٩٦٧ بعوامل تنتمى الى بنية النظام الذى كان قائما فى ذلك الحين ، هو الذى يصف ذلك النظام بأنه « علمانى » مستخدما هذه الكلمة بالمعنى الباطل الذى يشيع استخدامها به لدى معظم أصحاب الاتجاهات الاسلامية فى هذه الأيام ، أى بمعنى « خارج عن الدين » أو على الأقل « نبتعد عن

طريق الدين » وليس هذا مجال النقاش فى معنى « العلمانية » ، الذى يشتد الجدل حوله فى أيامنا هذه ولكن يكفى أن أشير الى أننا لو فكرنا بعمق فى الخلاف بين العلمانيين وخصومهم ، لتوصلنا آخر الأمر الى أن هذا الخلاف ينحصر فى الاختيار بين البديلين الآتيين :

هل الدين هو المحور الرئيسى لوجود الانسان ، والمتحكم فى كل نشاط يمارسه فى أى ميدان من ميادين حياته ، أم انه أحد المحاور الهامة فى هذه الحياة الى جانب محاور اخرى لها الحق فى أن تسير فى طريقها المستقل وتعالج بأساليب مستمدة أساسا من تجارب البشر وخبراتهم ؟ مغنى عن البيان أن العلمانية تمثل البديل الاخير ، وأن هذا البديل ليس على الأطلاق كفرا ولا زندقة ولاخروجا متعمدا عن الدين .

وعلى أية حال فأن كل ما يهمنا الآن من هذا الموضوع المعقد هو أن بعض أصحاب الاتجاهات الاسلامية قد ألقوا بمسئولية الهزيمة على « علمانية » النظام مفهومة بمعنى بعيد كل البعد عن الدقة ، وأكدوا أن مثل هذه الهزيمة ماكان من الممكن ان تصيبنا لو كان النظام الذى حدثت فى ظله أقوى تمسكا بأهداب الدين .

هذا الرأى فى تعليل الهزيمة يبدو لنا متهافتا الى حد لايدعونا الى التوقف عنده طويلا ، وحسبنا أن نشير الى أنه مرتكز على افتراضين لايقوم عليهما أى دليل :

أ ـ الافتراض الأول هو أن النظام الذى كان يحكم مصر فى عام ١٩٦٧ كان بعيدا عن الدين ، وهو افتراض واضح البطلان ، يرتكز على الاعتقاد بأن إتاحة بعض الفرص لليسار ، وتقوية الروابط مع السوفيت ، والدخول فى معارك سياسية مع الاخوان المسلمين ، معناه أن النظام قد ابتعد نهائيا عن حظيرة الدين . وحقيقة الأمر أن الفترة الناصرية قد شهدت انتشارا كبيرا للمطبوعات الدينية ، وتوسعا كبيرا فى ساعات إرسال البرامج الدينية ، وزيادة فى ساعات تدريس الدين بالمدارس ، فضلا عن تعميمه على المدارس الأجنبية . وليس فى وسع أحد أن يأتى بمثل واحد لدعوة صريحة الى " اللادينية " فى ذلك العهد ، مقارنة بما كانت تنشره الكتب والصحف المصرية علنا خلال الثلث الأول من القرن العشرين .

وهكذا ، فلا وجود بعض اليساريين فى مراكز إعلامية وثقافية هامة (لفترة قصيرة قبل حرب يونيو) ، ولاتوثيق الروابط مع السوفيت ، ولاخوض معارك ذات طابع سياسى بحت مع الاخوان المسلمين ، لا هذا ولا ذاك كان له أدنى تأثير فى إضعاف التوجه العام للدولة نحو الاسلام خلال تلك الفترة . وكل مافى الأمر أن دخول النظام فى معركة ضد بعض الدول البترولية الكبرى ، وخاصة على الساحة اليمنية ، قد أغلق الطريق أمام انتشار ذلك النوع الخاص من الاسلام ، الذى ترعاه وتعمل على ترويجه تلك الدول حماية لصالحها ـ أعنى إسلام اللحية والحجاب الكثيف والجلباب القصير والاهتمام المريض بالجنس والتخويف من الثعابين التى تنهش العاصيين فى القبور ، ذلك الاسلام الشعائرى الشكلى الذى لايقترب من أية مشكلة حقيقية من مشاكل المجتمع ، والذى أطلق عليه كاتب هذه السطور فى موضع آخر اسم « البترو ـ إسلام » ، والذى أصبحت الأبواب مفتوحة أمامه على مصراعيها بعد فترة المد البترولى فى السبعينات .



ب ـ اما الافتراض الثاني الذي يرتكز عليه هذا الراي في تعليل الهزيمة ، فهو صيغة خاصة لما يمكن أن نطلق عليه اسم « لاهوت النصر والهزيمة » ، نسلم مقدما بأن النصر في المعارك الحربية يتوقف على درجة تمسك الجيش المحارب بدينه ، وبالاسلام على وجه التحديد .. هذه الصيغة لاتصمد لحظة واحدة امام الاختبار العقلي : فاذا كان المسلمون قد أحرزوا ، في صدر الاسلام ، انتصارات رائعة على اعظم قوى العالم القديم . فانهم قد انهزموا ايضا في حالات أخرى ، حتى في غزوات الرسول ولايمكن القول بأي قدر من الصدق ان نتائج المعارك الحديثة تتقرر حسب عوامل دينية ، ويكفي في هذا الصدد أن نشير الى معارك الاسرائيليين مع العرب ، وحرب الهند مع باكستان المسلمة ، الخ ...

واذا كان منطق الجماعات الدينية يبدو صاعدا في هذه الأيام ، واذا كان من بين الأفكار التي تلقن للآلاف من الأتباع الذين يصوتون لصالح مرشحي هذه الجماعات في الانتخابات المهنية والطلابية والنقابية ، اننا هزمنا عام ١٩٦٧ لأننا ابتعدنا عن طريق الدين ، فان من حق هؤلاء الاتباع ، بل من واجبهم ، أن يسألوا مرشديهم وموجهيهم : هل لديكم نظرية خاصة في التاريخ ، تثبت أن الانتصار والهزيمة في الحروب كانا دائما يتوقفان على الاقتراب من الدين أو الابتعاد عنه ؟ هل درستم حروب البشرية كلها ، وتبين لكم أن القانون الذي يحكمها جميعا هو أن المتدين يكسب الحرب ، وغير المتدين يخسرها ؟ أن مثل هذا الاستقراء الشامل للتاريخ البشري هو حده الذي يبيح للجماعات الدينية أن تفسر هزيمة يونيو على أساس ابتعادنا المزعوم ، في ذلك الحين ، عن طريق الاسلام .

فليشمر اذن علماء هذه الجماعات ومؤرخوها عن ساعد الجد ، لكي يثبتوا لنا نظريتهم ، وانا لمنتظرون !

● اثر التآمر الخارجي ●

من خلال المناقشة النقدية للنظريتين في تفسير هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، اتضح لنا ان تفسير هذه الهزيمة على أساس عامل التآمر الخارجي وحده غير كاف ، فضلا عن أنه يتجاهل عوامل أخرى قد تكون أقوى اثرا في احداث الهزيمة من أية مؤامرة خارجية . كما اتضح لنا أن اولئك الذين يلتمسون للهزيمة عوامل داخلية ، تنتمي الى بنية النظام نفسه ، كاتجاه النظام الى الاشتراكية أو الى العلمانية ، يرتكبون أخطاء فادحة . والأهم من ذلك ان كلاً من هاتين النظريتين ليست نقيضا للأخرى ، بل تقف على أرض مختلفة عن أرضها .

والرأي الذي أعتقد انه أقرب الى التعبير عن الأسباب الحقيقية للهزيمة ، هو أن التآمر الخارجي كان موجودا ، ولكنه لم ينجح في تنفيذ مخططه نجاحا يفوق توقعات

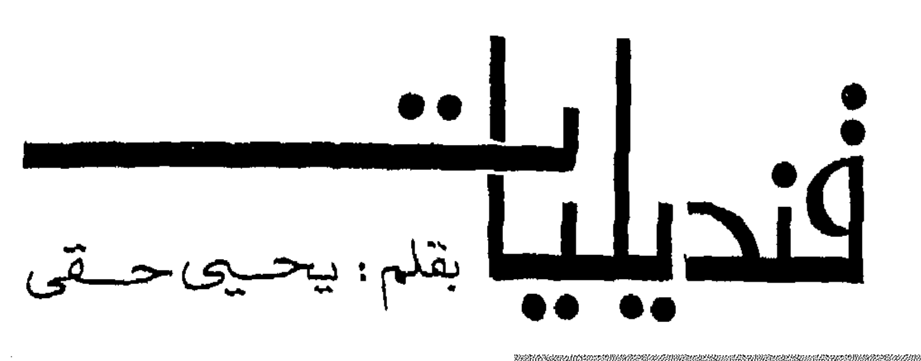
أصحابه أنفسهم إلا لأن الجبهة الداخلية كانت من الضعف والتفكك بحيث استطاع التآمر الخارجي أن ينفذ اليها ويخترقها بأقل جهد ممكن . أما عوامل الضعف والتفكك هذه فتدور كلها حول عيوب الحكم الفردى المطلق وانعدام المشاركة الشعبية الحقيقية ، ومايترتب على ذلك من استخفاف بالقانون وخلط بين المصالح الشخصية والمصلحة العامة والارتكاز على عناصر القوة المادية المباشرة فى عملية الحكم ، وفى تحقيق التوازن بين قوى المجتمع . هذه العيوب ، كما قلنا من قبل ، ليست مجرد سلبيات توضع فى كفة الميزان مقابل الايجابيات التى تحققت بالفعل ، كالاتجاه الى تأكيد الاستقلال الوطنى وتأييد حركات التحرر ومحاولة ايجاد نموذج مستقل للتنمية الاقتصادية وإنما هى سلبيات من طبيعتها أن تبطل تأثير أية ايجابيات تصادفها فى طريقها . فنحن لانقول عن صاحب الجسم القوى الذى تصيبه آفة كالسرطان إنه سليم البنية مفتول العضلات ، وكل مايعيبه هو أنه مصاب بالسرطان ، وانما نقول عنه إنه أصيب بداء لابد أن يقضى ، عاجلا أو آجلا على كل مظاهر الصحة والفتوة فيه .

ان الحديث عن هزيمة ٥ يونيو لاينبغى أن يكون تصفية للحسابات ، كما يفعل أصحاب كل من النظريتين السابقتين إزاء الآخرين ، ولاينبغى أن يكون اجترارا للماضى . بأحزانه ومآسيه ، بل ان من واجب كل حريص على وطنه أن يتذكر تلك الهزيمة كيما يدرك النتائج المأساوية التى يؤدى اليها الحكم الفردى ، مهما كان نجاحه فى غير ذلك من الميادين . وكلما أمعن المرء التفكير فيما حدث ، لا لمصـــر وحدها ، بل للعرب جميعا ، خلال ستة أيام حالكة الظلام ازداد إصرارا على الكفاح من أجل مزيد من المشاركة الشعبية الحقيقية فى صنع القرار وتنفيذه والرقابة عليه .

ذلك لأننا ، برغم كل مايقوله هواة التبرير ، مازلنا نعيش فى ظلال ٥ يونيو ، وسنظل نعيش فيها طويلا . وكل من يدعى أن هزيمة يونيو قد انتهت آثارها الى غير رجعة يسىء الى أمته أبلغ إساءة ، ويضللها أشد التضليل . وحسب المرء أن يقارن بين أهداف المواجهة العربية لاسرائيل حتى ٤ يونيو ١٩٦٧ ، وأهداف هذه المواجهة منذ خطبة التنحى التى طرح فيها لأول مرة شعار « إزالة آثار العدوان " حتى يومنا هذا ـ حسب المرء أن يجرى هذه المقارنة ليدرك أن طموحات العرب ، بعد يونيو ، ظلت تنكمش وتنكمس ، حتى أصبح شغلهم الشاغل اليوم هو مجرد البقاء .

وهكذا فان آثار التهاون المعيب الذى حدث فى يونيو ستظل تعيش معنا حتى وقت غير قصير من القرن الحادى والعشرين ، وهذه حقيقة ينبغى أن نعترف بها ونواجهها بشجاعة ، بدلا من ان نمرّ على هذا الحادث سراعا وكأنه " نكسة " عابرة سرعان مابرأنا منها . وليس هناك من سبيل لمواجهة هذه الحقيقة الأليمة ، والتغلب على آثارها ، خير من الاصرار على أن يكون الشعب هو الحاكم الحقيقى ، والكفاح من أجل هذا الهدف بلا هوادة . أما الاستخفاف بما حدث فى يونيو والزعم بأننا لم نهزم إلا لأننا فضلاء تآمر علينا الأشرار ، أو لأننا سلكنا طريق الاشتراكية أو العلمانية الكافرة ، فما هو الا تضليل يحجب عنا الدروس والعبر الحاسمة التى ينبغى على امتنا أن تستخلصها كلما أمعنت الفكر فيما حدث لنا فى يونيو ١٩٦٧ .





اللمسة الأخيرة

كشفت اشعة اكس عندما سلطت على بعض اعمال نفر من ائمة التصوير فى الماضى ، أن اللوحة لم تاخذ شكلها الذى ثبتت عليه الا بعد تعديلات عديدة متتالية - طبقة فوق طبقة - بالحذف او بالاضافة او تبديل المكان او العدول عن لون الى لون ، رغم أن المصور كان قد أعد اللوحة فى أغلب الاحتمال تخطيطا كروكيا أطمان اليه . هذه التعديلات ظلت سرا محجوبا ، لا شىء يحمل الناظر اليها على الظن بوجودها ، ولكنها أصبحت الان مرئية اتاحت لنا أن ننفذ الى دخيلة المصور وهو يعمل ونتتبع تردد خطواته على الطريق وهو يتحسس هدفه ، اصبحت شاهدة على مراحل نمو اللوحة الى ان بلغت استقرارها . وعلى هذه اللحظة التى يضع فيها المصور اخر لمسة من فرشاته ويقول ليس هناك مزيد .. لحظة درامية ولا ريب ، لان المصور تتجاذبه عندها قوى متعارضة - المهد واللحد - الطاقة والطموح - الاقتناع بنوال المتاح ودوام الشوق الى المحال الواقع والحلم .. هل يمضى فى التنقيح طلبا للكمال المطلق ام يقف عند الكمال النسبى لكى لا يكون فى اخر لمسة من فرشاته هدم للتوازن الذى بلغته اللوحة بدلا من تقريبها خطوة اخرى للكمال المنشود . وبرهان أمانة هؤلاء الاعلام هو انهم عرفوا كيف ، ومتى يعقدون الصلح الامثل بين هذه القوى المتعارضة وان يمضوا بالتارجح الى ثبات ، ليس اختيارهم بين المطلق والنسبى بل الحصول على الافضل من المتاح .. اختيار البعد بفتح الباء الذى ليس بعده بعد . يتمثل هذا الصلح فى اخر لمسة من فرشاتهم لعلها لا تزيد عن اضافة هى لطيف من لون فى اخر شعرة فى ذيل سحابه ، ان هذا الصلح هو سر خلو لوحاتهم وجذبها للناس انها لا تعرض عليهم منظرا فحسب بل تخلط شعورهم بهذه

اللحظة الدرامية • وان لم تحـــرك اللوحة بفضل هذه اللحظة التى تبعثها ولا ريب تنهيدة اشواق المشـــاهدين للجمال في كماله المطلق فهي اذن قد اخفقت في رسالتها ، ولم تصل الى الهدف الذى كان ينشـــده الفنـــان من تلك اللحظة •• !

هـــذا الصراع يعرفه كل فنـــان لا المصور وحده لانهم جميعا ابناء أم واحدة وان اختلفت الملامح ووسائل التعبير •• ففى الموسيقى مثلا لدينا لحسن الحظ نوتات مختلفة عن بيتهوفن تشهد بذمو الحانه •• مسودات كثيرة لا يعيب اللحن فيها عندنا نقص ولكنها مشطوبه بقلم غاضـــب حتى كاد أن يمزق الورق •• واللحن يتملص بمشقة من يد بخـــيلة• قاسـية كانه « خلع الضرس » ، فاذا تم اخضاعه وكان هو هو السلم والسماحة والشفاء انه الهدية والمنحة لا الضريبة ••

وفى فن القول لدينا لحسن الحظ ايضا بروفات المطبعة لبعض أعمـال بلزاك « ثلاث او أربع بروفات متلاحقة يدخـــل بلزاك فى البروفـــة الاولى اضـــافات كثيرة قد يزيد من حجم الصـــفحة انه يشطب ايضا سطورا عديدة ويضـــع كلمة بدل كلمة وفى البروفة التالية قد يشطب ما سبق ان اضافه ويعيد ما شطبه يرجع للكلمة التى أعجبته لأول وهلة ثم غضب عليها وهكذا ••

وقد اتيح لى اخيرا ان اقف على مثل يكاد يكون مرئيا رؤية العين لهذا الصراع بين الكـــاتب والكلمات عند صديق عزيز لى •• هذا الكاتب طلب الكمال واخذ الامور كل الامور مأخـذ الجد ، انه لا يرضى لنفسه الا أن يضع الكلمة الحق فى مكانها الحق فهو يجرى وراء الكلمات جرى الصـــائد وراء فريســـته لا يكتفى ان يستحضر ذهنه القـــدر المتداول من اللغة بل لابد أن ينثر بين يديه رصيده القديم • ولا يكف عن مراجعة التراث ليسترشد بالمعاجم ليعرف الفروق الدقيقة •

ويقرأ النحو ليكون تصحيحه للكلام عن وعى وفهـــم فمن يدرى ؟ اليس هناك كلمة أخرى أحق وأصدق من هذه الكلمة فى التعـــبير عن المعنى الذى اقصده بكل اطـــرافه واطيافه انه قد يمضى الساعات الطوال فى البحث عن كلمة فاذا وجد بغيته كتبها ، وقد تكون هذه الكلمة مهجـــورة ، ولكنها ذات طاقات كامنة ، ولها الحق فى الحياة لتعطى المعنى رونقا جديدا •

خشيت على صـــديقى ان يقع فى اخطار تتهدد كل من له طابعه ، خطر ان يعلى قدر الكلمة المفردة على قدر مكانها فى العبارة ، وللعبارة مكانتها ايضا فى العمل ، فليس المطلوب هـو الكلمات مستقلة بل ترابطها وتجانسها وقدرتها على تبادل الايحاءات •• كما خفت عليه خطر من يعلق بعمله اثر الجهد المبذول •• وان يرهق القارىء كما ارهق هو اعصابه •

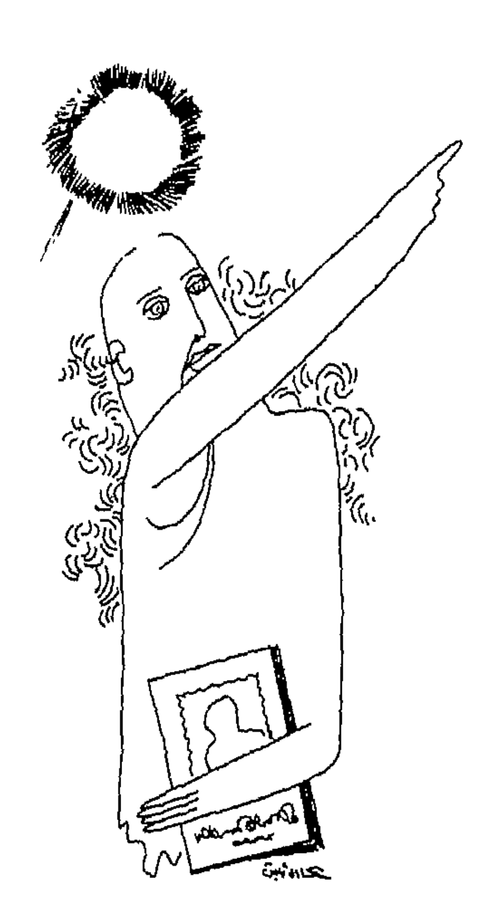
ولكنه يقول لى جـــزاء الأم فرحها حين تحتضـــن وليدها الخـارج من صميم احشـــائها الناطق بصدق عن ملامحها لا يهمها بعد ذلك ان كانت ولادته سهلة ام عسرة •• !

أمثولة الشاعر والمدينة الخرساء

حكاية شعرية

محمد ابراهيم أبو سنة

فى ماء الفجر الرقراق
أجرى الشاعر سفن أغانيه
حاملة عطر الحرية
فردوس الحب . ربيع الأشياء
أحزان الناس البسطاء
كلمات مسنونة
تتحدى الظلم
وسيوفا تقطع عنق الطغيان



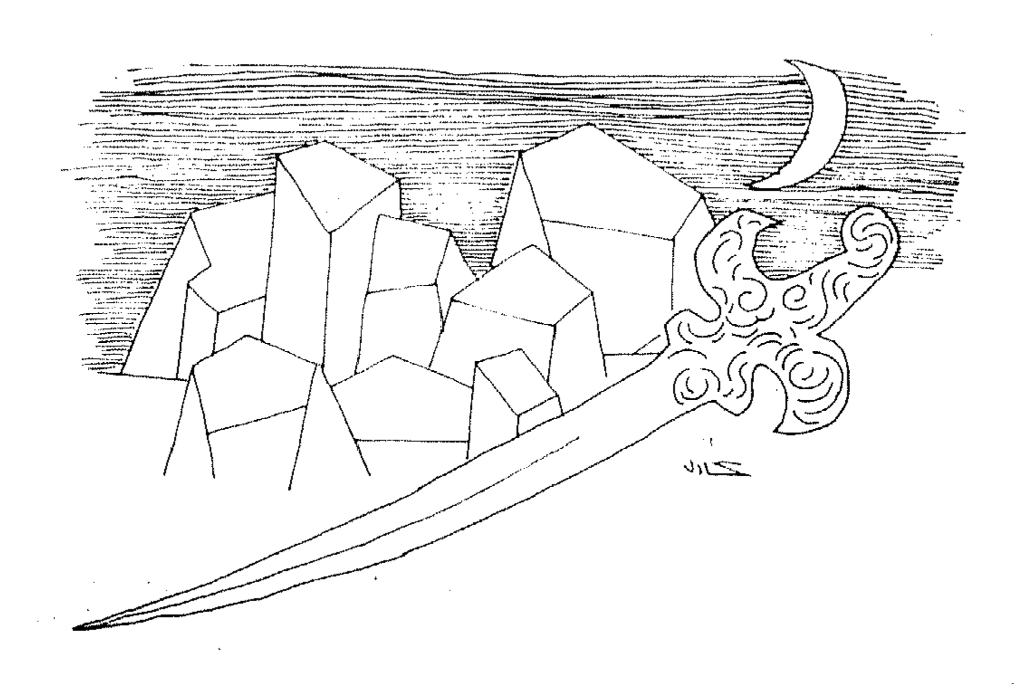
- ٢ -

ذات صباح
ألقت كل السفن مراسيها
فى قلب مدينة
يحكمها طاغية بأميرين
«الجوع وحد السيف»
يضع وراء القضبان
كل الألسنة الناطقة بحب النور
عشر سنين ومدينته لاتنطق
تتشفق أجساد العشاق
حتى يطفح منها الدم
كان الطاغية يقول :
«خلق الفمُ ليأكل أو يتثاءب
لايتغنى لايتكلم»

ومدينته صامتة تتألم
حتى صارت كالقبر المظلم
لاصوت سوى الأنات اذا جن الليل
كان الطاغية بلا قلب يحكم
باسم الصمت

- ٢ -

ذات ربيع
والشاعر يفرغ ما حملت سفنه
نهضت أسراب أغان
تتراقص
عبر دروب خالية
من أصوات البشر المألوفة
وتنهدت امرأة تكتم أفراح الحب بجنبيها
وتغالب أشواق الجسد المغلول
«صلى رجل لله»



وتفتح زهر كان على الغدران يموت
جاء فتىً يعلن عن تحطيم قيود الإذعان
سرب الفتيات تمايل
بين النشوة والاشفاق
فى الطرقان الناس يغنون
«عفوا فرح الكلمات»
رقصت اشجار اورق فيها الأمل الأخضر
وامتلأ الأفق الممتلىء نجوماً
بترانيم عذبة

- ٤ -

جن جنون الطاغية الأسود
أمر الحراس بإغلاق الابواب
ومصادرة الألسن
ومحاكمة الشاعر

- ٥ -

وقف الشاعر فى محكمة الظلم يقول
إنى جئت لكى أتحدث
باسم الشمس الطالعة تنير الكون
تدفىء هذى الأرض
تنضج كل الأثمار
إنى أتحدث باسم القمر
و يلون أزهار البريه
انى أتجدث باسم حنان الام الريان
يضىء عروق الاشجار
باسم العدل المفقود
وروح الإنسان
باسم الأطفال ...
... وباسم عصافير الوديان

إنى جئت رسولا للفرح الأزلى
كى انقش فى هذى الدنيا
صفحات جمال وحنان
قال الطاغية صبئت
جئت لتشعل مصباحا للقلب
ونورا للعقل
وتفك عقالا للفتنة
وبهذا تخلعنى عن ملكى
ياسجان
خذ هذا الشاعر غيّبه بجوف السجن
واقطع منه لسانه
صادر كل اغانيه
وليحكم باسمى منذ الآن السيف
وليشمل كل مدينتى الصمت
من يخرج عن صمتى فله الموت

دخل الشاعر سجنه
نقش على كل الجدران
وثائق قلبه ..
«وأغانيه»
وتحولت الجدران الصخرية
أنهارا يجرى فيها ماء الحكمة
تتراقص فيها أشجار
النور المتدفق
ويحلق فيها الطير النشوان
صار السجن المغلق
كونا وفضاء مطلق

أما الطاغية الأحمق
فلقد عجزت كل جيوشه
عن قتل اغانى الشاعر



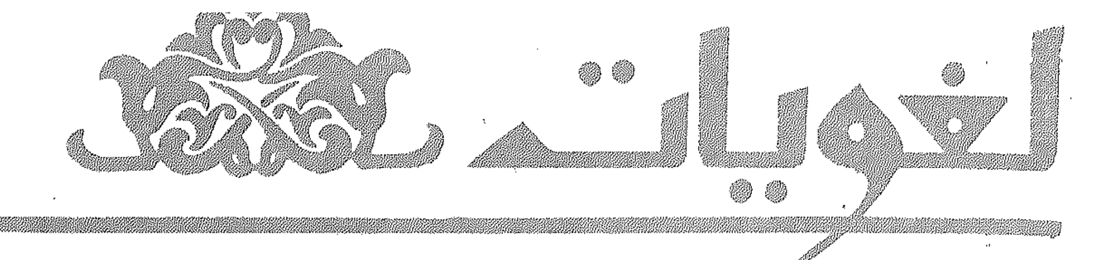
أمثولة الشاعر والمدينة الخرساء

ثارت فى الليل مدينته
وهى تعلق فوق نوافذها
قمرا من كلمات
عنقودا من نور الحرية
خرج فتىً من بين صفوف الناس
واستولى فى وضح الصبح
على عرش السلطان

وتحررت الألسن
خرجت تجرى فى الطرقات
كل خيول الأمل
.. تسابق شمس الغدْ
خرج الاطفالْ
لعناق الشاعر



القى الثوار الفرسان
بالطاغية وراء القضبان
نظر الطاغية الغضبان
يتحسس موضع جسده
قرأ على الجدران
كل أغانى الشاعر
وتوهج فى صدره
ندم مغلول
قام وفقأ العينين
وتداعى كى يسقط
تحت الكلمات الماثلة على الحائط
ـ «لايمكن قتل الكلمة
لايمكن قهر النور بأعماق الانسان
الانسان الانسان
كون من أشواقٍ وأغانْ



● « السفط » هو الوعاء الذي تسميه العامة « السبت » .. بفتح الباء ، أى السلة التى توضع فيها الاشياء .. ولفظ « السفط » بفتح وتشديد السين وفتح الفاء ، كلمة عربية استعملها الاتراك فحرفوها الى « السبت » وينطقون البـاء كالفاء الافرنجية الثقيلة .. وقد أخذ عامة المصريين من افواه الاتراك كلمة « السبت » واستعملوها بدلا من السفط » ..

● تقول ام كلثوم فى اغنية « رق الحبيب » من كلام احمد رامي: « وشفت بكرة والوقت بدرى » .. وكلمة « شفت » معناها « رأيت » أو « لمحت » وهى صحيحة .. وكاملة « بكرة » صحيحة في موضعها هذا وان كانت البكرة معناها الوقت المبكر من الصباح ..

● يحرص بعض مؤلفى القصص على ان يقولوا فى وصف الجائع الذى يأكل بنهم ، انه « يزدرد اللقم » .. ولا يستعملون كلمة « يزرد » لظنهم انها غير فصيحة لكثرة استعمال العامة لها .. ولكن « يزرد » فصيحة مثل « يزدرد » فيا مؤلفى القصص استعملوا ما شئتم منهما .

● يكتب بعضهم عنوان كتاب « الفاشوش فى حكم قراقوش » بدون الف فى كلمة الفاشوش ، فيجعلونها « الفشوش » ، بمعنى الرجل الكثير الفخر والادعاء بغير حق ، ولكن كلمة « الفاشوش » هو هى المطلوبة فى العنوان وهى المقصودة ، لان « الفاشوش » هو الرجل ذو الرأى الضعيف ، وكذلك كان قراقوش فيما يرويه مؤلف الكتاب من نوادر حمقه وضعف رايه .. وان كان قراقوش الحقيقى لم يكن كذلك ..

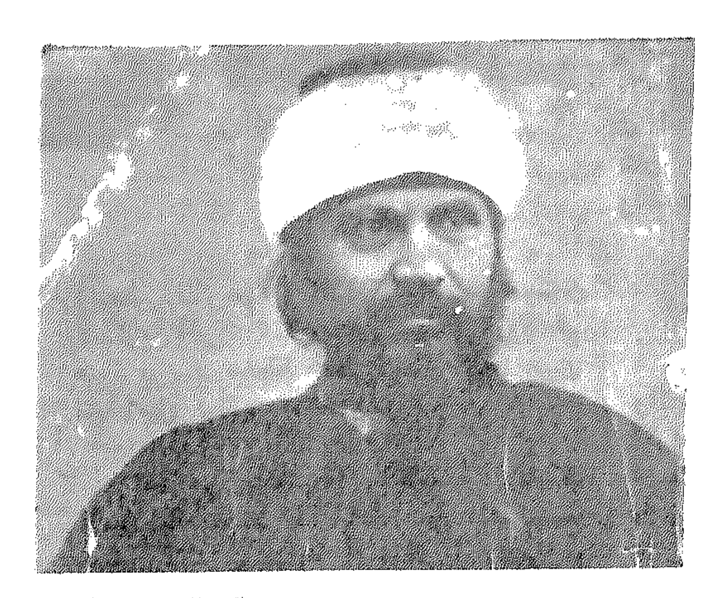
● قرأت لبعضهم يصف مجنونا البسوه ملابس مستشفى الامراض العقلية : « واجتمع المرضون الاشداء حوله فالبسوه قميص الاكتاف » .. وليس للاكتاف قميص وانما هو قميص « الكتاف » كما تنطقه العامة بالضبط .. يقال :كتف المرضون المجنون كتافا ، أى اوثقوه بالكتاف .

● يخطىء بعض المعاصرين فى استعمال حرف الاستفهام : « هل» فيقولون مثلا : « هل فلان جاء من السفر ؟ » .. والصواب : « هل جاء فلان ؟ » .. لان « هل » لاتدخل على اسم بعده فعل .. ويكثر بعض السوريين واللبنانيين من قولهم : « هل ان فلانا يصنع كذا وكذا » وهو تعبير غير صحيح .. ولا يقال : « هل تذهب الان ؟ » .. لان دخول « هل » على الفعل المضارع يخصصه بالمستقبل لا بالحاضر .. الخ . ، فكن على بينة من حرف « هل » عند استعماله ..

التيار الإسلامي الجديد

بقلم : حسين أحمد أمين

من الطبيعي ، ومن المشروع ، يقبل اهل كل عصر ، وسكان كل مصر ، على قراءة كتابهم المقدس وغيره من الكتب الاساسية في عقيدتهم على ضوء احتياجات زمنهم ومشكلات اقليمهم ، حتى مع توهمهم أن دراستهم لها موضوعية مجردة .. فالوهابيون في شبه الجزيرة العربية ، وقادة الحركات المشابهة في افريقيا السوداء ، وان خالت انها تستهدف العودة الى اسلام السلف الصالح ، انما اعطوا الاولوية لعقيدة التوحيد في الاسلام بسبب ما وجدوه قد شاع في عصرهم وفي بلادهم من خرافات وممارسات تحجب مبدأ التوحيد كتقديس الاولياء ، وزيارة القبور والأضرحة، الى آخره . ـ كذلك ركزت الحركة السنوسية اهتمامها على التنظيم الاجتماعي للامة الاسلامية بسبب افتقار المجتمع البدوي في شمال افريقيا الى حكومة مركزية قوية . ولهذا كان اوضح مظاهر القصور في تلك الحركات اغفال العديد من المشكلات الحيوية الاخرى في المجتمع الاسلامي ، كالاستغلال الاقتصادي ، وضياع العدالة الاجتماعية ، وفساد نظم التعليم وكان الاسلام لا شأن له بهذه المشكلات .



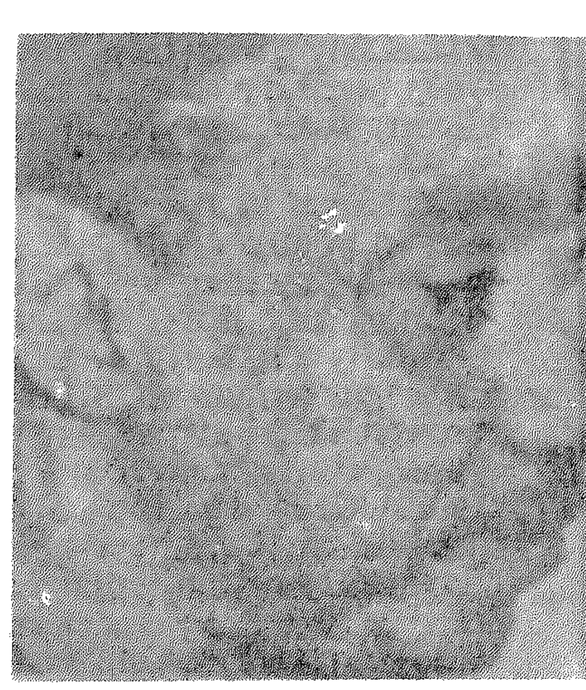
جمال الدين الافغانى



الإمام حسن البنا



الشيخ محمود شلتوت



سيد قطب

ولم تعرف مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، وحتى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، حركات شبيهة بالوهابية والسنوسية . وحين ظهرت فيها ، مع الافغانى ومحمد عبده ، حركات اسلامية اصلاحية ، كان ظهورها مرتبطا أساسا بمواجهة المسلمين لمعضلة رئيسية ، هى كيفية نهوض المسلمين من كبوتهم ، وعلاج مظاهر ضعفهم وتفككهم ، وتنظيم أنفسهم من أجل مقاومة الاستعمار الاوروبى والهيمنة الحضارية الغربية . ولا شك فى أن هؤلاء المصلحين ، حين عانوا لاول مرة لمشكلات اجتماعية وسياسية وحضارية بالغة الحيوية والخطورة ، تأثروا تأثرا عميقا بالمفاهيم الغربية لهذه المشكلات ، وبصياغات الغرب لحلولها . غير انه لا شك أيضا فى أن هؤلاء المصلحين ، حتى مع متاصرة

واتساع نطاق الاهداف والمخططات الاجنبية حيال المنطقة، وازدياد وضوحها فى أعين أهلها ، بدرجة تفوق بكثير ما كان عليه الحال وقت محمد عبده واشياعه •

البعض لفكرهم ، انما كانوا يتصرفون كمفكرين افراد ، لايجمعهم تنظيم ، ولا هم عنوا بوضع مخطط عملى للعمل الجماهيرى من اجل تحقيق الاهداف •

وهذا هو بالضبط مالافته التيارات الاسلامية بعدهم ، ابتداء من الشيخ حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين ، وحتى جماعتى التكفير والهجرة والجهاد وغيرهما • فبازدياد تفاقم مشكلات مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ونمو الاحساس بهذه المشكلات ، ظهرت على مسرح الاحداث حركات سياسية اجتماعية، ذات سمت دينى، لاتستهدف الاصلاح فى اطار النظم القائمة ، وانما قلب هذه النظم حتى تتولى بنفسها مهمة التغيير ، بدعوى أن هذه النظم الفاسدة « غير اسلامية » ، لا يمكن أن ينتظر منها جهدا حقيقيا من اجل تطبيق الشريعة ، ولا تعلقا مخلصا بأهداف الاسلام • والتاريخ الاسلامى حافل بالامثلة لازمنة كان الالتجاء الى العنف فيها هو السبيل الوحيد المتاح امام الناس كى يطيحوا بشرور ومظالم متراكمة ، ويفسحوا مجالاً لبداية جديدة •

وقداخلت هذه الجماعات عن المصلحين من أتباع الافغانى ومحمد عبده فكرة شمول الاسلام لكافة مظاهر حياة الفرد والمجتمع • غير أنهم ذهبوا الى أبعد مما ذهب اليه الاولون فى القدرة على التصدى لكل تفاصيل هذه المظاهر ، دون حاجة الى الاقتباس من حضارات وانظمة أجنبية • ولا شك فى أن النفور الواضح لدى هذه الجماعات من كل ما هو أجنبى واتهامهم المصلحين الاوائل بمسايرة الغرب نجما عن تفاقم التاثيرات الغربية ، وزعزعتها المتزايدة للتقاليد المحلية ،

● رؤية قاصرة ●

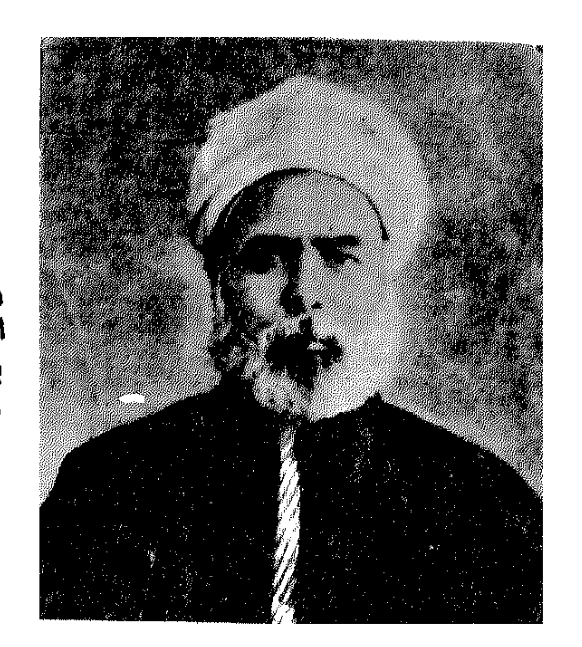
ومع ذلك ، فالمؤكد رغم كل الحرارة والايمان الصادق اللذين يتمتع بهما معظم أفراد التيارات الاسلامية الجديدة ، ان المستوى الثقافى والكفاءة الذهنية لدى الافراد والقادة على السواء ، وباستثناء لقلة قليلة كالشيخ حسن البنا وسيد قطب ، هما أقل بكثير منهما لدى المصلحين الاسلاميين ابان العقود الاولى من القرن العشرين • فالرؤية لديهم قاصرة ، والاهداف غير واضحة ، والمنهاجية فاسدة ، وفكرتهم عن اجماع السلف الصالح مشوشة ، والمامهم بالتاريخ واه معيب • والاخطر من هذا كله أنهم رغم اصرارهم على شمولية الاسلام وتفرده ، وتميز كل نظمه ومفاهيمه عن كل النظم والمفاهيم الغربية لم يفلحوا الا فى ابراز حفنة من النقاط والقضايا ، وركزوا عليها ، والحفوا فى تكرارها دون أن يتجاوزوها الى غيرها الا فى النادر • وأعنى بهذه النقاط : موضوع الربا وفائدة البنوك ، وسفور المرأة وتحديد النسل ، وكراهة العلمانية والعقلانية ، والنفور من استخدام سبل البحث العلمى والمنهج التاريخى فى مجال الاسلاميات • • وهم فى ربطهم هذه الاتجاهات بالغرب ونزعة التغريب ، يتفقون اتفاقا اساسيا مع وجهة نظر المحافظين الذين يشاركونهم أيضا فى عدائهم للمصلحين التوفيقيين •

ثم عيب خطير اخر يتمثل فى مفهوم أفراد هذه الجماعات عن المعرفة • فهى عند المجتمعات المتسمة بالحيوية والتحضر تعنى استخدام المعروف فى اماطة اللثام عن المجهول • أما عند هؤلاء فهى لاتعنى أكثر من تجميع المعلومات • والمعلومات

ومحمود شلتوت الوحيدين من بين رجال الدين الذين نهضوا ، أو حاولوا النهوض ، بهذه المهمة ، في حين ظلت غالبية المشايخ ترفض في عناد كل تجديد وتوفيق بين العقيدة وبين الفلسفة والعلوم ، باعتبارهما من الاهواء ومن الحبائل التى نصبها الشيطان للتغرير بالغافلين . ورغم ايمان هؤلاء بفكرة تطور الاديان ذاتها بحيث جاء كل دين ارقى درجة من سابقه ، لقد أصروا على أن هذا التطور قد توقف نهائيا منذ القرن السابع الميلادى .

● تفسير عصرى ●

وقد اصاب الافغاني ومحمد عبده واتباعهما في بيانهم لضرورة اعادة تفسير الاسلام تفسيرا يوائم احتياجات العصر الحديث والمجتمع المتغير غير أن موقفهم الدفاعي والاعتذارى تجاه الحضارة الغربية حال دون تقديمهم لمثل هذا التفسير الشمولى ، ومال بهم الى الاقتصار في فكرهم على التصدى لقضية هنا وقضية هناك من القضايا التى تشغل الاذهان فى الغرب ، مثل الديمقراطية ووضع المرأة ، وذلك من قبيل الرغبة في الرد على خصوم الاسلام فى الغرب ، أو الاخذ بمشورة الاصدقاء الناصحين فى الغرب أيضا . وقد كان أنصار التيارات الاسلامية الجديدة على حق فى انتقاداتهم للموقف «التغريبى» لدى هؤلاء المصلحين التوفيقيين ، لما ينطوى عليه بالضرورة من احساس بالنقص دفعهم الى محاولة التبرير . غير أن انصار هذه التيارات، باندفاعهم فى الاتجاه المضاد ، وقعوا فى خطأ مماثل . اذ بينما ركز الاولون على نفى أن تكون فائدة البنوك من الربا المحرم ، ونفى أن يكون الاسلام قد انتقص من حقوق المرأة ، وحد من دورها الاجتماعي ، والاصرار على أن الشورى الاسلامية هى بعينها ديموقراطية الغرب السياسية، وعلى اهتمام الاسلام بالدعوة الى تنمية العلوم وتحصيلها ، أو بعبارة أخرى : بينما ركز الاولون على بيان



الشيخ محمد عبده

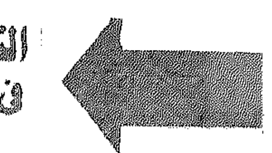
فى رأيهم ليست بالمتطورة ، النسبية ، القابلة للاتساع ، وانما هى ثابتة خالدة وقد نجم عن هذا المفهوم ثلاث عواقب.

الاولى : أن المعرفة عندهم لم تعد عنصرا ديناميكيا فى الفكر ، بل كتلة جامدة ، مما أسهم فى قهر كل نشاط فكرى حر بدعوى مخالفته لاحكام السلف

والثانية : أن اعتبار المعرفة دائرة مغلقة ثابتة يجعل من المحال اطراح شىء من المعارف المقبولة متى ثبت خطؤها أو عدم مسايرتها لاحوال العصر ، ويجعل من الصعب تقبل المعارف الجديدة ما لم تجد لها سندا فى فكر الاقدمين .

والثالثة : أن صار سبيل اكتساب المعرفة هو تجميعها من كتب الاسلاف ، أو الكتب الحديثة القائمة على كتب الاسلاف ، لا التحليل والاستنباط والتجربة والفكر الحر . وكلها عواقب خلقت عند غير المسلمين اقتناعا بأنه لا يمكن أن يكون للاسلام مستقبل ما دام عاجزا عن مسايرة التطور على ضوء الجديد من الافكار والنظريات العلمية .

لقد كان رجال الدين فى الغرب المسيحى هم الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تطوير العقيدة واعادة تكييف أحكامها على ضوء المعارف التاريخية والافكار الفلسفية الشائعة . أما فى مصر فيكاد يكون محمد عبده ومصطفى المراغى



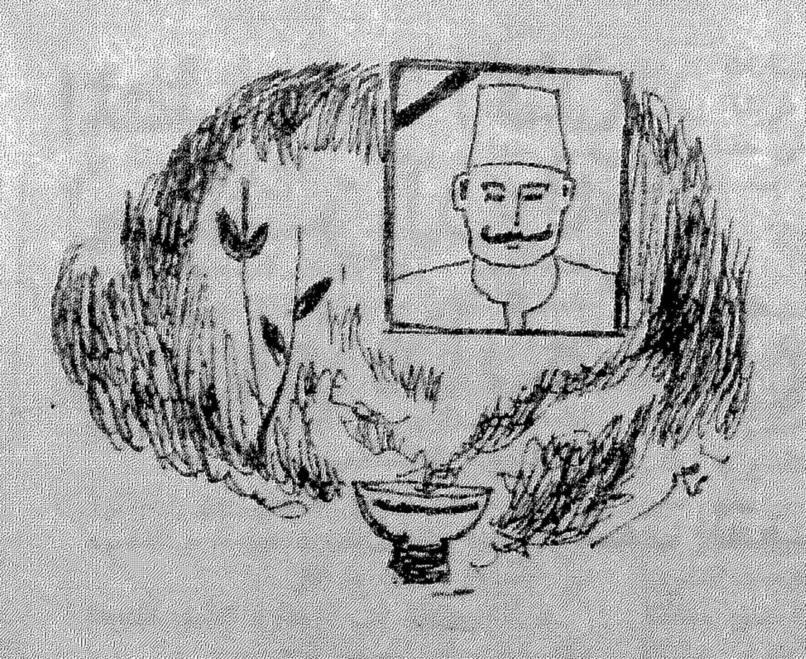
التيارات الفكرية فى مصر فى القرن العشرين (٢)

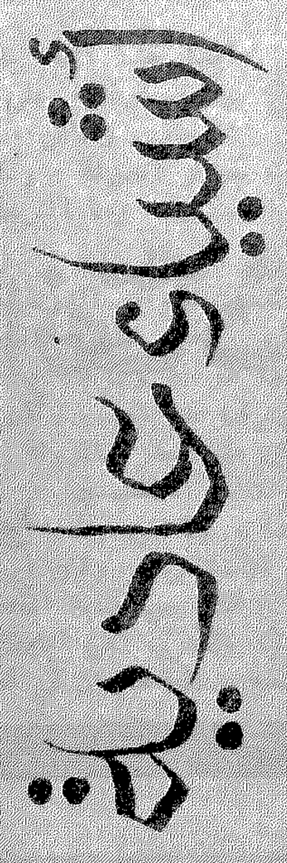
اتفاق الاسلام مع [illegible] الايجابية للحضارة الغربية ، اتجهت الجماعات الاسلامية الجديدة الى انتقاء قضايا محدودة للغاية لاثبات تميز الاسلام واختلافه عن المفاهيم والقيم الغربية ، كضرورة عودة النساء الى الحجاب ، وضرورة تأسيس بنوك اسلامية لا فائدة فيها . وضرورة اقامة الحدود الشرعية كقطع يد السارق وجلد الزانى وشارب الخمر . اما فيما عدا هذا من مسائل اقتصادية واجتماعية وسياسية بالغة الحيوية والاهمية ، فلا يكاد يكون ثمة علاج او برامج او فكر . وهو ما يقودنا الى نتيجة هامة : هى ان فكر الجماعات الاسلامية الجديدة ليس اقل انشغالا بالغرب من فكر المصلحين التوفيقيين . ولكن الافغانى ومحمد عبده وتلامذتهما انشغلا به على نحو ايجابى ، فى حين انشغلت به الجماعات الجديدة على نحو سلبى . وشبح الغرب عند هؤلاء واولئك هو الشبح الجاثم الرابض ، مفر ومنفر معا ، يدعو الى الاعجاب ويستثير الكراهية فى آن واحد .

قلة قليلة فحسب من المفكرين الاسلاميين المحدثين رأت الحل الامثل فى الاقدام على دراسة موضوعية هادئة للافكار والنظم الغربية ، من أجل تحديد طبيعة الاستجابة الصحية الواجب على المسلمين أن يتبنوها ازاء الضغوط الغربية المختلفة على مجتمعهم . فان كان فى الحضارة الغربية من العناصر ما هو فاسد مفسد ، فالكثير من الافكار والنظريات التى ورثناها عن أسلافنا المسلمين فاسد مفسد هو ايضا . وما لم نتصد بالدراسة لتراثنا وتقاليدنا هى الاخرى بنفس الموضوعية والهدوء والمعايير العلمية والحرص على تجنب الاراء التحكمية ، فما من امل يبقى فى قدرتنا على مواجهة التحديات المعاصرة . كما انه ما لم نول اهتماما بما يمكن للدين ان يحققه لخير الانسان الاجتماعى والاقتصادى ، مماثلا لاهتمامنا بما يمكن للانسان ان يفعله من اجل تمجيد الخالق فما من امل يبقى فى قدرة الاسلام على حل المشكلات .

غير انه حتى هذه القلة القليلة المتمثلة نراها اليوم فى انحسار ، فتفاقم مشكلات المجتمع المصرى ، وتعاظم خطر الفرنجة ومكائدهم فى المنطقة ، يميل بالبعض ، كالتراثيين الجدد ، الى هجر الاعتدال وفقد الثقة بجدواه ، والتعاطف مع التطرف باعتباره السبيل العملى الاوحد الى مواجهة الاخطار الحقيقية التى تهدد بابتلاع هويتنا ، واستفظاع بهاظة الثمن الاجتماعى والنفسى الذى لا مفر من دفعه ان نحن اردنا اللحاق بركب الغرب فى مضمار التقدم . اضف الى ذلك ان انتشار تأثير الجماعات الاسلامية المتطرفة فى صفوف الجماهير العريضة ، وازدياد فرص استيلائها على الحكم ، على نحو ما حدث فى ايران ، خلال سنوات قلائل دفعا بعض الانتهازيين من المفكرين الى التضحية باستنارته ، والتعبير عن تعاطفه واتفاقه فى الرأى مع فكر تلك الجماعات من اجل ضمان الرضا والشعبية ، او الاستفادة المالية من حكومات دول عربية غنية تنفق بسخاء على وسائل نشر ذلك الفكر . هذا الى ان ميل السلفيين الى الدخول فى تنظيمات تجمع شتاتهم وتنسق خطاهم ، وميل المجددين المستنيرين ، شأن المصلحين التوفيقيين قبلهم ، الى العمل فرادى ، لا يصبرون على تنظيم ، ويعزز من دواعى الفرقة بينهم ما فى طباعهم من تحاسد وتدافع على الشهرة والمجد ، يزيد من فرص نيل الاولين دون الاخرين لاغراضهم ، وبلوغ اهدافهم .

المقال القادم
التيار القومى العربى





شعر
محمود
عبد الحفيظ

... وذات غفلة بين الخريف والشتاء ... مات
كنملة تموت فى الطريق
لاضجة .. ولا إنبهار
ولا « غريبة » تميز النهار
وكل ماتبقى بعده ....

وسادة .. وارملة
وصورة على الجدار

وقيل كان طيبا مسامحا
وقيل كان صالحا .. مافاته صبح ولا عشاء
لكنه فقير .. ..
والزمان مر .. ..
وحين مات شيعوه
وزيح فوقه التراب
وكل واحد مضى إلى سبيله يمصمص الشفاه
ويستعيد لحظة الوفاه
يضيف شيئا لم يكن .... او يختصر
وبعد عام .. ..
وكان كل من فى البيت « قابضا » على وفاته .. وينتظر
غير الطلاء
وغافلت إطار صورة الجدار صورة لـ .. عمهم !!
وفوق ركبتيه ..

أخوهم .. لامهم

المطلوب الآن لجوائز الدولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه

بقلم : يوسف القعيد

ماجدوى هذا الذى نقوم به ؟ !

هل هناك اى امل ، حتى لو كان هذا الامل مثل سحب الصيف الكاذبة ، لكى نكتب كل سنة - فى مثل هذه الايام ،عن هذا الهم» ، الذى فوق القلب ، والذى نمنحه اسم : جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية فى الاداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

فتصبح الكتابة عملية تجديد سنوية للاحزان . وعملية تقليب للمواجع ، وشكل من اشكال الزار الشعبى فى التعامل مع جرح سنوى يزداد عدد ديدانه سنة بعد اخرى .



● ابدا هذا العام بحسابات الربح والخسارة ، على طريقة زماننا التجارى والمالى . فى هذا العام كسبت جوائز الدولة . ولكن بعد المكسب تاتى الخسارات وما اكثرها ..

● الربح

ومكسب جوائز الدولة اسمه : جمال حمدان . فقد كسبته الجوائز قبل ان يكسبها هو ، وشرفت به الجائزة قبل أن يشرف هو بها . وكان حصول جمال حمدان على جائزة الدولة التقديرية مطلبا عاما لكافة المثقفين . ليس فى مصر وحدها ، ولا فى وطنه العربى الكبير ولا عالمنا الاسلامى . ولكن فى أرجاء المعمورة كلها . فكل من لديه القدرة على معانقة الحرف المكتوب فى ايامنا يدرك حقيقة ما قدمه جمال حمدان فى أعماله العظيمة. التى تعد « شخصية مصر » اهمهـا واشهرها . وان كان لديه نتاج آخر كثير مهم جدا . وبعضه لا يقل فى الاهمية عن شخصية مصر .

وجمال حمدان . فى قمة، عطائه الفكرى هذه الايام . وهو يستعد لاصدار موسوعة ملحمية أخرى جديدة تماما . من جغرافية الاسلام . ويقول ان هذه الموسوعة من أحلام صباه الاول . ومن المؤكد أن هذه الملحمة ستكون من اعماله الفريدة التى تقف بجوار « شخصية مصر » .

لكن موقف جمال حمدان من الجائزة يبدو تماما مثل موقف « جورج برنادشو» من الجوائز . عندما قال :

ــ لقد جاءت الى الجائزة كطوق النجاة ولكن بعد أن نجوت فعلا .

فالجائزة وصلت الى جمال حمدان ،

الدكتور جمال حمدان



المطلوب الآن لجوائز الدولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه

فى الوقت الذى لم يعد فيه فى حاجة اليها . ووصلت اليه بعد وصولها الى طابور اطول من طوابير الجمعيات فى مصر، وبعد ان وقف فى هذا الطابور كل من هب وكل من دب .

يبقى هذا العام جمال حمدان فى جانب المكسب . ولكن ماذا عن الجانب الاخر .؟

وقبل الوصول الى هذا الجانب الاخر، اقول ان ((الهلال)) ، كان المطبوعة العربية الوحيدة ، التى جعلت من صفحاتها طوال الاعوام الثلاثة الماضية سكنا دائما لجمال حمدان. فقد نشرت معه المقابلة الوحيدة. التى اجريت معه فى الصحافة المصرية والعربية فى السنوات الماضية . وقدمته كاحد الاعلام المعاصرين . فى دراسة بديعة ونفاذة وعملاقة كتبها : محمود امين العالم. ولكاتب هذه السطور اكثر من مرة ومن محاولة فى الكتابة عن جمال حمدان . سواء فى الهلال . أو فى غيرها . والهلال كانت المجلة التى رشحت جمال حمدان اكثر من مرة للجائزة التى حصل عليها. مؤخرا .

● الخسارة

ساتحدث عن جوائز الدولة التقديرية أولا . ثم التشجيعية بعد ذلك.ومشكلة الجوائز بشكل عام . فى مصر ان كثيرين من الذين لا يستحقونها يحصلون عليها، وأن كثيرين - أيضا - من الذين يستحقونها من جدارة . لا يحصلون عليها . ولو حتى بعد الوفاة . وعند السؤال عن السبب فى هذه الظواهر الغريبة - والسؤال حق مشروع - وعند محاولة الاجابة عن السؤال . لابد اذن من اعادة النظر فى الموضوع كله . من الالف الى الياء .. من قانون الجوائز الى الاشخاص الذين يشرفون على منحها . الى اللجان . الى نظام الترشيح والتصويت .

مشكلة جوائز هذا العام : ان اكثر من نصفها قد تم حجبه ، وفى بعض الافرع تم حجبها بالكامل. فما هى الحكاية بالضبط !! .

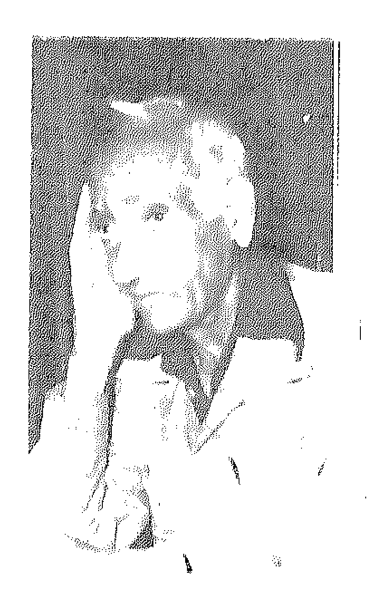
أولا : حجب الجائزة التقديرية يتم بسبب بسيط هو عدم حصول المرشح لها على ثلثى أصوات اعضاء المجلس الحاضرين الاجتماع .

ثانيا : ان تركيبة المجلس الراهن . لا تمثل نمو الثقافة والابداع . فاكثر من نصف الاعضاء هم أعضاء فى المجلس بحكم وظائفهم فى وزارة الثقافة . وفى أجهزة الدولة الاخرى . **ومعظم هؤلاء اقرب الى الصورة المحافظة البعيدة عن روح التجديد . فضلا عن أنهم غير مطلعين بصورة دقيقة على النتاج الادبى والفنى والفكرى اولا باول . وبعضهم ليست له علاقة بالامر من قريب او بعيد .**

والنتيجة هذا الذى نراه كل سنة ، من حال الجوائز . وهو الذى يصل الى مشارف اللامعقول فى بعض الاحيان ..

لقد تم حجب كل جوائز الفنون هذا العام . مع أنه كان مرشحا لها ثمانية هم : الحسين فوزى محمد ، الدكتور ثروت عكاشة ، حمدى غيث ، الدكتور صلاح الدين عبد الكريم حسن ، محمد حامد عويس ، الدكتور محمد مصطفى ، المهندس مصطفى شافعى ، المهندس مصطفى شوقى .

وساكون ذاتيا عن الحديث عن ثلاثة من المرشحين : ثروت عكاشة ، محمد مصطفى ، حمدى غيث . وعلى الرغم من علمى ان ثروت عكاشة . كان قد تقدم الى المجلس الاعلى للثقافة عندما علم بخبر ترشيحه للجائز يطلب سحب هذا الترشيح ، الا انه من العار علينا وعلى جيلنا عندما يقال فى يوم من الايام ان هؤلاء الثلاثة لم يحصلوا على جائزة الدولة . لان أيا منهم لم يحصل على عشرين صوتا من أصل ثلاثين صوتا . هى اصوات الحاضرين فى جلسة المجلس الاخيرة . ولا اعتقد اننى قد أضيف أى جديد عن الحديث عن ثروت عكاشة ودوره سواء كوزير لثقافة عبد الناصر او كمؤلف

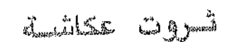




ثروت عكاشة

سعد الدين وهبه

محمود البدوى



ومترجم وباحث . ولن أضيف من الحديث عن الدكتور محمد مصطفى الذى استخرج لنا ابن اياس من العدم وقدمه لنا بصورة فريدة . علاوة على دوره فى المتحف الاسلامى ونفس الشىء مع حمدى غيث .

ولكن يبدو أن مشكلة الثلاثة ــ عكاشة ومصطفى وغيث ــ هى عدم معرفة . لعبة العلاقات والتوازنات والتربيط قبل الجلسة والاتصال بكل من له صوت . ثم ما ذنب الدكتور محمد مصطفى ، ان معظم اعضاء المجلس لم يسمع بابن اياس ولا كتابه الفريد . وان معظمهم لم يذهب الى متحف الفن الاسلامى .

ان الوضع يخترق المأساة . وصولا الى الملهاة المفجعة ، والدمعة هنا تمتزج بالضحكة التى هى اكثر مرارة من الدمعة ذاتها .

● الآداب

المرشحون فى الاداب كانوا سبعة هم: سعد الدين وهبة ، الدكتور عبد المنعم النمر ، الدكتور عز الدين اسماعيل ، الدكتور محمد زغلول سلام . اسم المرحوم : محمد عبد الغنى حسن ، اسم المرحوم محمود البدوى، الدكتور يوسف عز الدين عيسى □

ومن المعروف ان اللذين حصلا على الجائزة هما : الدكتور عبد المنعم النمر والدكتور عز الدين اسماعيل . وانا اعرف أن الدكتور النمر وزير أوقاف سابق . ورجل دين على عينى وعلى راسى وباحث متفقه فى امور الدين . ولكن الذى اعرفه أيضا . وبقدر كامل من اليقين المطلق ان الدكتور النمر لم يكتب حرفا واحدا فى الادب لا ابداعا ولا نقدا . وعلى الرغم من متابعتى الدءوب لكل ما ينشر فى الادب الى ان سألت العديد من الاصدقاء والكتاب . فلم أعثر على شخص قرأ حرفا واحدا فى الابداع أو النقد الادبى للدكتور النمر .

انا اعرف أن الخطأ ليس خطأه . والمسألة لابد وأن تعود الى الجهة التى رشحته ، وهى مجلس مجمع البحوث الاسلامية . فان كان من حق هذا المجلس أن يرشحه . فلابد وأن يتم هذا الترشيح فى موضعه الطبيعى ومكانه الحقيقى . والغريب انه توجد فى هذه الجوائز جائزة للعلوم الاجتماعية . كان يمكن ترشيح الدكتور النمر لها .

أيضا فالادب بالنسبة لى ابداع اولا. وابداع ثانيا . وابداع ثالثا وأخيرا ، وجائزة الادب لابد وأن تعطى لمبدع .

المطلوب الآن لجوائز الدولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه

هل سمعنا أن جائزة نوبل للاداب حصل عليها غير مبدع ؟! وغيرها ، هل منحت جائزة بوليتزر الامريكية لغير مبدع ؟. هل منحت جائزة جونكور الفرنسية لغير مبدع ؟. اسمها جائزة الاداب والادب خلق. والادب ابداع . وكل ما يأتى بعد هذا هو نوع من الثقافة العامة. والادب الابداعى شيء والثقافة العامة شيء آخر.

هذه المرة من الصعب أن يلوم الانسان المجلس الاعلى ولا اعضاءه . ولكن اللوم موجه بالدرجة الاولى الى المبدعين من اعضاء المجلس . الذين لم يحضروا الجلسة . أليس غريبا الا يحضر اجتماع المجلس هذا العام : توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ ، عبدالرحمن الشرقاوى، احسان عبد القدوس ، يحيى حقى !! خمسة أصوات لها اهميتها وتأثيرها غير العادى . ضاعت لمجرد رغبة هؤلاء المبدعين الكبار عن الحضور .

اكتب هذه الكلمات مقاوما رغبة نادرة فى البكاء ، بعد ان جفت دموع العين. لان محمود البدوى الرجل الذى قتلناه حيا . وها نحن نقتله مرة اخرى بعد القتل الاول . وبعد الموت الاول . لم يحصل على الجائزة بعد رحيله عن عالمنا. وحزين ايضا وبنفس القدر لان سعد الدين وهبه لم يحصل على الجائزة . ويبدو أن جريمة هذا الكاتب المسرحى الموهوب والجيد . أن عطاءه الاساسى تم فى ظل مصر الناصرية وليس فى اى زمان آخر .

● العلوم الاجتماعية

فاز بها اسم المرحوم حسن الباقورى، وجمال حمدان . وأبو الوفا التفتازانى. وجمال حمدان لم ترشحه للجائزة جامعة القاهرة . التى تخرج منها ، وعمل بها . وأوفدته — فى زمن الملك فاروق الاول ملك مصر والسودان — الى انجلترا فى بعثة علمية . جرى هذا فى الاربعينات . ومع هذا فان نفس الجامعة قد ضنت على جمال حمدان بعد أن اصبح اسمها : جامعة القاهرة ، وفى الثمانينات بأن ترشحه للجائزة . وقامت بهذا الدور جامعة المنيا فى صعيد مصر .

فى العلوم الاجتماعية ، حزنت لان بعض المرشحين لها . لم يحصلوا على الجائزة فهم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله. والدكتور سيد عويس والدكتور على عبد الواحد وافى . والدكتور ابراهيم نصحى والدكتور مصطفى زيوار . وكل منهم قمة من القمم فى تخصصه. اعطى وكتب وقدم لمصر من العرق الشريف ما يستحق من اجله ما هو أكثر من الجائزة .

● الجوائز التشجيعية

ان كان عدم الحصول على الاصوات اللازمة هو مشكلة المشاكل فى الجائزة التقديرية فان كلمة : الانتاج المقدم لا يرقى الى مستوى الجائزة . هى السيف المسلط على الجائزة التشجيعية. وان كانت التقديرية تعتمد على تقارير ترشيح من جهات ترشح الكاتب . فان الامر من التشجيعية يختلف كثيرا . فتقارير اللجان سرية لا تعلن . ولا يعرف منها سوى الجملة الاخيرة . ان العمل يصلح للجائزة . او انه لا يرقى الى مستواها . وكل الامور التى تجرى فى الظلام غير محببة .ويمكن أن يتم تحت جنح هذا الظلام . أكثر الامور قسوة فى عالمنا . ولذلك فالفوضى التى تحدث فى الجائزة التشجيعية أكثر الف مرة من التقديرية .

ومما يزيد فى الالم والمرارة أن قانون الجائزة التشجيعية يتطلب تقدم الشخص بطلب مكتوب على عرضحال دمغة . ومعه خمس نسخ من العمل الذى يتقدم به. فى حين أن الحال فى الجائزة التقديرية ، ان هناك جهة ما ترشح الكاتب من أجل الحصول على الجائزة . ايضا فان من يمنح التقديرية هو المجلس نفسه . ولكن من يمنح التشجيعية هى لجان المجلس . **وان كان فى تشكيل المجلس عيوب فان**

اللجان هى العيوب نفسها. ويكفى القول ان المجلس واللجان قد شكلوا فى زمن اختلال ثقافى ضخم . وكلمة نعم أهم من الهم الثقافى . ورجال السلطة قبل رجال القلم ويكفى أن تعرف أن لجنة القصة لا يوجد من اعضائها : جمال الغيطاني أو صنع الله ابراهيم وهما الان الراجهة الحقيقية للقصة المصرية فى مصر أو الوطن العربى أو العالم كله .

والعجب له حكايات فى هذه الجوائز وقد تصيب الانسان الدهشة ف جوائز القصة القصيرة . مثلا ، من أن ثلاثة من المتقدمين لها لم يحصلوا عليها . وهم: محمد المخزنجى عن مجموعته القصصية الالى . ورجاء طاهر . عن مجموعته القصصية : بالامس حلمت بك . وعبد الوهاب الاسوانى ، مملكة المطارحات العائلية ، وقد سمعت ان اللجنة رأت ان مجموعتى : محمد المخزنجى ورجاء طاهر صغيرتا الحجم . ولذلك لم تنظر فى أمر منحهما الجائزة . وهذا الكلام ـ ان كان صحيحا ـ يبدو أقرب الى المأساة .

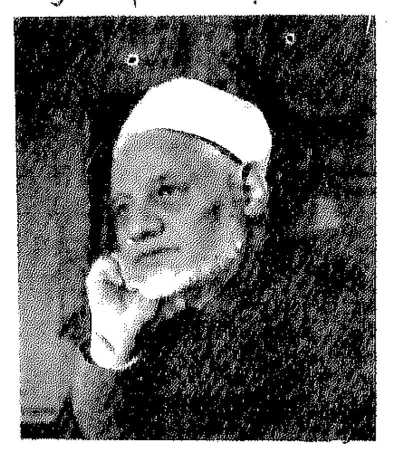
الغريب فى موضوع حجب الجوائز التشجيعية انهناك نصا واضحا وصريحا يقول أن من حقاللجنة فى حالةعدمرقى الانتاج المقدم الى مستوى الجائزة ان ترشح اللجنة عملا لم يتقدم به صاحبه من الاعمال الاربعة المنشورة .

والغريب والعجيب معا : انه لم تجر اى محاولة من قبل . لاى لجنة لاستخدام هذا الحق المعطل . والذى سيظل معطلا لسنوات طوال قادمة .

يبدو ان اللجان تمارس العمل والدور فى حدود الممكن والحد الادنى . ولا تحاول ان تتعب نفسها ولا ان تعمل . ويبدو ايضا ان لعبة الضغط . والمناورات .. والاتصالات هى التى تحسم الامر كله . اما الموهبة فلا . اما العرق والجهد فلا . انه الزمن الذى سيقال عنه : ان قيراط بخت فيه افضل الف مرة من فدان شطارة ..



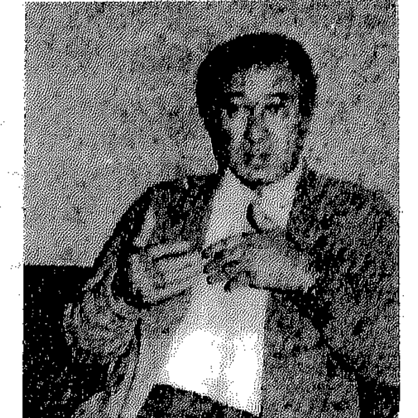
د . عبد المنعم النمر



د . سيد عويس



حمدى غيث



قضية للمناقشة

الدولة العثمانية والصراع المعاصر

بقلم: أحمد عباس صالح

تقفز «الدولة العثمانية» من التاريخ الى دائرة الاهتمام المعاصر بقوة ، فهى من وجهة نظر التيار الدينى الامبراطورية الاسلامية المقدسة التى تآمر عليها العالم الخارجى (دار الحرب) واسقطها ثم وزع الولايات الاسلامية اسلابا .

وهى من وجهة نظر الوطنيين احد المصادر الاساسية لتكوين الهوية الثقافية والدرع الثقافى الذى يواجه به « الغزو الثقافى »

وفى وقت من الاوقات كانت فكرة القومية متداخلة فى فكرة الجامعة الاسلامية أو هى جزء منها .. وكانت هى رمز الشرق الذى يواجه الغرب .

وكانت الدولة العثمانية ، دولة « الخلافة » التى تجمع الدول ذات الثقافة المشتركة فى مواجهة العالم الغربى الذى ظل يدق أبواب الشرق الاسلامى منذ حروب الاندلس والمعارك الصليبية ومحاكم التفتيش حتى سقوط الخلافة فى سنة ١٩٢٤ .

ومن جانب آخر كانت الدولة العثمانية هى آخر القوى الاسلامية العظمى التى انفرط بعدها عقد الاسلام وتمزق دويلات ، وخضع لسلطان « دار الحرب » .

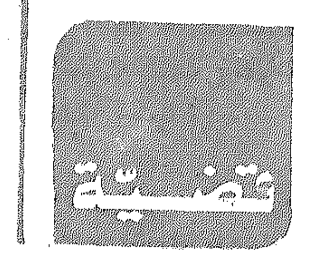
وفى الادب العربى الحديث ميراث من الشعر والنثر يثير الحزن والشجن لمن يقرأه اليوم ابان ذلك السقوط الهائل الذى كان يتوقعه الجميع .

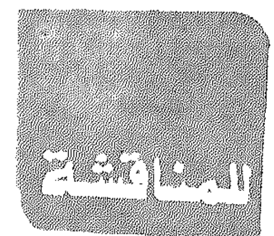
كان الاتراك يتوقعونه ، والبعض منهم كان يريده ، وكان العرب يريدونه وشاركوا فى تقويض الامبراطوريه مع احلافهم من الانجليز ، وكان هناك من يامل فى الاصلاح بحيث تقف الدولة على قدميها وتبدأ عهدا جديدا .

وفى هذه الحركة التاريخية المدوية ظهرت غالبية الافكار الحديثة بكل نقائضها ظهر الفكر الذى يدعو الى الجامعة الاسلاميه مجاولا ان يبث الروح فى الجسد الواهن المتداعى . وظهر الذين نفضوا أيديهم بغير أسف من الماضى الحزين كله ، وتوجهوا الى مصادر القوة الحديثة ، الى الديمقراطيه ، والى العلم الحديث ، والتخلص من جميع الاوهام القديمة .



الملك فؤاد





وظهر من حاول ان يجمع بين التراث والعصر الحديث .

كل هذا كان محوره الدولة العثمانية، وكله خرج من تفاعل الاحداث فى مركز الدولة وفى اطرافها .

وعند السقوط كان المعاصرون من أبناء الامبراطوريه « الخلافة » مشغولين بقضايا اخرى ، كانت الطبقة الوسطى المصرية التى تشكل القوة الرئيسية فى مجتمعها مشغولة بجنى ثمار ثورة ١٩١٩ ، كانت تركز كل قواها من اجل الظفر بحقها فى المشاركة فى الحكم ، كانت تناضل ضد الانجليز من ناحية ، وضد الاستبداد الملكى من ناحية اخرى ، وكانت معركة الدستور فى أحد جوانبها معركة ضد التراث العثمانى ، وضد افكار الخليفة عبد الحميد الذى خلعه الاتراك من قبل لرفضه الدستور ، كانت الخلافة تمثل عقبة فكرية أمام الطبقه الجديدة التى كانت تنشد الحرية وتنشد الدستور وتنشد الاستقلال . وكان السوريون والعراقيون وجزء كبير من أبناء الجزيرة العربية يتفقون مع الشريف حسين لعقد اتفاقات مع الانجليز ليتخلصوا من الحكم التركى ومن كل الافكار التى عاش بها فى المنطقة . ولذلك كان الكواكبى الجارح فى هجومه على الاستبداد التركى تعبيرا عن الموقف العام فى الشرق العربى اما محمد عبده فقد خرجت من صلبه كل الافكار الجديدة التى عبر عن جانب منها تلميذه سعد زغلول بطريقة عملية .

وفى مصر اتجه اغلب الكتاب الى مؤازرة الطبقة الجديدة وفى هذا المناخ ظهرت كتابات لطفى السيد وهيكل والعقاد وطه حسين ، وكان توفيق الحكيم من اخطر الذين عبروا عن رفضهم للخلافة والتراث القديم جميعاً فى مسرحية «اهل الكهف» وكانت هذه المسرحية هى وكتاب « فى الشعر الجاهلى » « والاسلام واصول الحكم » تعبيرا عن الموقف العام لاكثر الطبقات الاجتماعية تأثيرا فى المجتمع المصرى وهى الطبقة الوسطى .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من المعارك العنيفة التى كانت تخوضها الافكار العربية ، فان انهاء الخلافة اخترق صخب المعارك ووصل الى كل الاسماع والقى بظله الحزين على الجميع .

● تهمة اسقاط الخلافة ●

ان احدا لم يهب دفاعا عن الخلافة لا من الداخل ولا من الخارج والذين اعلنوا انهاءها هم الاتراك انفسهم ، ولذلك لم يكن هناك ملكيون أكثر من الملك على ان مصطفى كمال اتاتورك أصبح منذ هذا اليوم سىء السمعة فى العالم الاسلامى ، أو على الاصح لدى هؤلاء الذين كانوا يعلقون الامال على استمرار الخلافة ، ولكنهم — فى الحق — كانوا قلة قليلة فى العالم العربى بصفة خاصة .

ويبدو من الصعب الان اتهام « الغرب المسيحى » باسقاط الخلافة أو انهائها ، فلقد بدأ هذا السقوط من الداخل بفعل القوى المعارضة الداخلية ، وكان حزب الاتحاد والترقى أول من عزل الخليفة عبد الحميد ، وهو الوحيد من سلاطين الاتراك الذى ركز على فكرة الخلافة لانقاذ عرشه من السقوط ، كما كانت الولايات العربية جميعاً تموج بالغليان الدستورى وبدعوات الاصلاح ، اما مصر فقد كانت سبقت الى ذلك منذ وقت طويل جدا بالثورة العرابية وباعلان الدستور وبانشاء الجمعيه التشريعية .

لكن ترى هل استطاع الغرب حقا ان يضلل الاتحاد والترقى فى تركيا ؟ ومناقصة

الصهيونية التى دبرت كل شيء، ومناقصة الساسة الاتراك المسلمين من أصل يهودي والذين انهوا الخلافة وعلى رأسهم أتاتورك نفسه .

واذا كان هذا وذاك يحتمل شيئا من الجدل فان حركة العرابيين فى مصر كانت تنتهى - حسب منطقها - الى الاستقلال والى حكم جمهورى ، ومن الصعب ان تكون الثورة العرابية من تدبير الحركة الماسونية او بتأثير من التآمر الانجليزي!

ونفس الشيء يقال عن التحرك العربى ضد الخلافة حيث قامت الجيوش العربية بقيادة الشريف حسين بقتال الاتراك .

وكم بذل محمد فريد من جهد لتحريض الاتراك على حرب الانجليز فى مصر ، ولكن كم كانت دهشته حين وجد أن بعض الذين تصدوا للفيلق التركى كانوا من الجيش المصرى .

كان محمد فريد يظن أنه بمجرد ظهور الجيش التركى فان المظاهرات ستملأ الشوارع ، والجيش المصرى سوف يعانق جيش التحرير التركى ، وسوف ينهار الانجليز امام هذا اللقاء الحار .

الحق أن معارك السويس كانت باردة، وعلى عكس توقعات محمد فريد لم يحدث شيء على الاطلاق .

ومحمد فريد نفسه كان قد نفض يده من الاتراك وقد أدرك فى وقت متأخر انهم لا يريدون استقلالا لمصر بل احتلالا ، وبدأت تتتابع المخاوف حتى ظن انهم سوف يقتالونه وسرعان ما فر هاربا من تركيا ذاهبا الى أوربا محاولا أن يجد نوعا من التفاهم مع الالمان ..

غالبية القوى اذن اصدرت حكمها على الخلافة وكان تقييمها لها بالسلب ، وكان من المستحيل الا تسقط بعد أن تخلى الجميع عنها .

واللافت للنظر انه بعد اعلان انهاء الخلافة سنة ١٩٢٤ وربما قبل ذلك ايضا كان هناك تفكير جاد لنقل الخلافة الى مصر وقد حاول ذلك الملك فؤاد بكل قوته وآزره فى ذلك الازهر بما له من هيبة فى العالم الاسلامى ، كما حاول الشريف حسين باصرار ، وكانت الدلائل تشير الى أن الانجليز فى المحاولتين لم يكونوا من الرافضين لان عيونهم كانت على الهند وكانوا يريدون تهدئة العالم الاسلامى ، وكان الملك فؤاد والشريف حسين كلاهما ، من أصدقاء او أحلاف الانجليز .

ولعل هذا يوجهنا الى اعادة النظر فى موضوع الخلافة من أساسه :

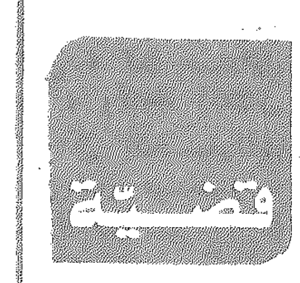
ان محاولة الملك فؤاد فشلت ، ومحاولة الشريف حسين فشلت ، كما استبعدت افكار أخرى عرضت فى ذلك الحين ، وخفتت الدعوة الى انشاء الخلافة وضاع صداها بأسرع مما يتوقع انصارها واعداؤها على السواء .

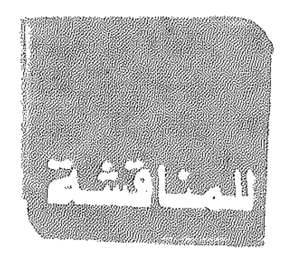
وقد نجد تفسيرا لذلك فى الهجوم الضارى الذى تولاه مثقفو الطبقة الوسطى المصرية على الخلافة ، وعلى الفكر التقليدى الذى تمثله الدولة العثمانية ، ومازال حتى اليوم لكتابات هؤلاء الكتاب صخبها واثرها فى الفكر العربى .

على أن هذا أيضا لا يفسر هذا السقوط السريع فلقد تصدى كتاب آخرون يؤمنون بأن الحياة بلا خلافة تعتبر خروجا على الدين ، وقد وصل أحيانا الى حد الاتهام بالكفر ، ومع ذلك فانهم لم يستطيعوا ايقاف التداعى ، ولا ان ينشئوا تيارا جديدا للفكر القديم .

والواقع ان سقوط الخلافة لم تكن نتيجة لسقوط الدولة العثمانية أو هزيمتها . فحينما أعلن اتاتورك انهاء الخلافة كانت تركيا دولة مستقلة ، وكان اتاتورك نفسه يقود دعوة للقومية الطورانية

ومن المؤكد أن تصفية الدولة العثمانية شيء كانت تريده الدول الكبرى ، وكانت بالطبع تشجع عليه ، ولكن هذا كله لم يكن ليستطيع انهاء الخلافة لو كان حقا أصحابها يريدونها . ذلك أن تصفية الامبراطورية العثمانية تمت فى اطار





تاريخي خاص ولم يكن لاى قوة مهما تكن تستطيع مقاومة قوانين هذا الاطار .

كان القرن التاسع عشر يصفى آخر بقايا نظام الاقطاع القديم ، وكانت الدعوات القوميه تنطلق فى كل مناطق الامبراطوريات القديمة ، وما كان منها مجمعا صار يتفتت ، وما كان منها مفتتا راح يتجمع ولكن على اسس جديدة ، الاسس القومية .

● فكرة الاستقلال بمصر ●

وفى اطار حملة فكرية قوية كانت الامارات الالمانية تتساقط وكانت فكرة الدولة الالمانية القومية الموحدة تنشأ ، وكان الامر كذلك فى ايطاليا ، وحدث نفس الشيء فى الاجزاء الاوربية التى كانت داخلة فى اطار الامبراطورية العثمانية ، وكان محمد على نفسه قد بدأ يدرك أن عليه الاستقلال بمصر وأن يبحث فى مسألة الشخصية القومية ، وكان محمد على وابنه ابراهيم يعرفان أن رابطة الجامعة الاسلامية تتفكك ، كما ان رابطة الجامعة المسيحية تتفتت وما زالت تتفتت فى أوربا ولعلهما لذلك بدآ يهتمان بالفكرة العربية ، ولذلك فالزعم بأن ابراهيم كان يتطلع الى وحدة عربية ليس بعيدا عن الواقع ، فلقد كان محمد على يتحرك فى الزمن الذى برزت فيه الفكرة القومية فى العالم كله ، وفى داخل الامبراطورية العثمانية نفسها .

وسريعا ظهرت ونضجت فكرة الوطن ، وراح الناس يبحثون عن عناصر ارتباط اقوى من الرابطة الدينية كالجنس واللغة والتاريخ المشترك والارض ، وكان هذا فى الواقع نوعا من تعرف المجتمعات البشرية على نفسها واكتشاف شخصيتها المتفردة وثقافتها الاكثر خصوصية بعيدا عن الرابطة الدينية وحدها .

ومن المؤكد أن العرب كانوا يريدون التعرف على أنفسهم كثقافة خاصة تختلف عن ثقافة البوسنة أو الهرسك الاسلامية داخل الدولة العثمانية ، وكذلك الامر بالنسبة للثقافة التركية ذاتها أو الثقافة اليونانية او المجرية أو السلافية .

حقا ان هذا الشعور قد ذكاه حيوية ومصالح البورجوازية الاوربية . والبورجوازية العربية ، ذلك أن الانفصال عن الجامعة الاسلامية الى الجامعة القومية كان يعني فى نفس الوقت امتلاك هذه البورجوازيات لاقاليمها وتفردها بادارتها ، وكان يعنى أيضا الهوية الخاصة المتميزة .

ويبدو أن تاريخ الانسانية يمضى ويتحقق فى انساق متشابهة ومتطابقة فى الحركات الاكثر اتساعا . فقد قامت الامبراطوريات القديمة على مبدأ القوة والتميز العرقي دون حاجة الى مبرر آخر ، ثم عجز هذا الادعاء عن أن يصمد أمام الثورات والتمرد وخاصة الثورات التى تجمعها عقيدة قوية ، فتدرعت المصالح بالعقائد الدينية وأنشات روابطها على أساسها ، وحينما اختلفت المصالح بنشوء البورجوازيات وبالميل الى الانفراد بالموقع اكتشفت الخصائص المتميزة لكل شعب على حدة . وهى مراحل لم ينج منها أى مجتمع ولم تنج منها اى امبراطورية .

أما الامبراطوريات الحديثة فلم تتحدث عن اية رابطة ، ولم تزعم انها نظام خالد وثابت كالبابوية والخلافة الاسلامية ، وان زعمت انها جاءت لتعمير المناطق التى ينقصها التعمير والعلم والتكنولوجيا الحديثة !

ولقد قبل العالم المسيحى الاوربى الفكرة القومية واستسلم لها . ولكنه قبلها بعد قتال دام وبعد معارك فكرية عنيفة ، وكان لسقوط الرابطة الدينية مراثيها واحزانها أيضا .



محمد فريد

وعلى الرغم من كل هذا فان أحدا لا يستطيع الزعم بان اختفاء الرابطة الدينية في الغرب ، يعنى اختفاء الدين نفسه ، فما زالت المؤسسات الدينية تؤدى دورها ، وما زالت انماط السلوك والعادات تحكمها العقيدة الدينية .

وهو نفس الشىء بالنسبة للرابطة او الجامعة الاسلامية .

● تقييم له ظروفه ●

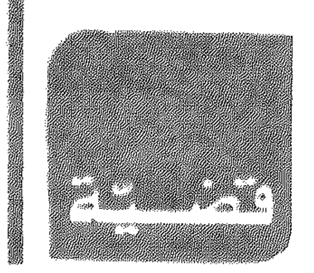
واذا كان انهاء الخلافة الاسلامية قد حدث بسبب التطور الطبيعىلنظم التجمع البشرى وتطور قيام الدول ، فان نشوء الدولة العثمانية وتقييمه له ظروفه الاخرى . فالقول بأن الاتراك قد برزوا فى العالم الاسلامي باعتبارهم اقوى الاعراق واصلبها للدفاع عن الاسلام أمام العدوان الصليبى امر يحتاج فى الواقع الى مناقشة .

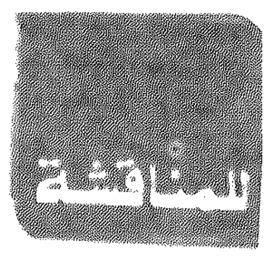
فالمتتبع لنشوء الدولة العثمانية سوف يلاحظ انهم نشأوا وتطوروا دونأن يلتفتوا الى أنهم جنود الاسلام الذين جاءوا لانقاذه . كانوا أقواما او جماعات هاربة من الضغط المغولي ووفقا لظروف واحداث كثيرة فى آسيا بدأوا يتجهون الى آسيا الصغرى ، ثم راحوا ينظمون معيشتهم ويوسعون أوزانهم بالحرب والفتوحات وكثيرا ما كانوا يفطنون الى انهم مسلمون فيبررون الفتح بالدين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا هذا التبرير سهلا دائما لانهم دخلوا معارك طاحنة ضد دول اسلامية أخرى ، كما تحالفوا مع دول مسيحية ، وقد هبوا لانقاذ الخليج العربى من الفتح البرتغالى الاسباني المسيحى ، وانقاذ المواقع المقدسة فى الجزيرة العربية من هذا العدوان المسيحى الا أنهم قضوا على الحكم المملوكى المسلمفىسوريا ومصروقتلوا الكثير من المسلمين السنة ، كما قتلوا من المسلمين الشيعة كل من وقف ضدهم أو حاول ان يعطل توسعهم .

من الصعب أن نوافق الاشخاص المتحمسين الذين يعتقدون أن الجندى التركى كان يقاتل من أجل الاسلام وانه كان يشبه المقاتلين الاوائل اللذين حاربوا تحت راية الرسول عليه السلام ، كان هؤلاء مقاتلين حقا من أجل الدين ، ولكن الامر يختلف تماما بعد ذلك .

ومرة اخرى فان ما حدث داخل العالم الاسلامى من حروب طاحنة ، حدث ايضا داخل العالم المسيحى وتحت عناوين دينية مثل الشيعة والسنة فى العالم الاسلامى ، ولعل ما حدث فى العالم المسيحى كان اكثر عنفا ، واذا كان السلاطينالعثمانيون قد قتلوا أشقاءهم وابناءهم فى تنافسهم على الحكم ، فان الغرب المسيحى قد فعل هذا أيضا . ويبدو أن الحكام لا يهتمون كثيرا بالنوازع الدينية التى تجيش بها افئدة الشعوب أو الاتقياء من قادتهم ، فلقد راينا الكاردينالات البيزنطيين يتحالفون مع الاتراك المسلمين ضد الكنيسة البابوية الرومانية ، كما رأينا أن كبار القادة والحكام فى الدولة العثمانية يختارون من ابناء المسيحيين الاوربيين ما بين سن الثانية عشرةوالعشرين ويخضعون بعد ذلك لتربية قوية وتدريبات عنيفة .

ان الحكام لم يقيموا وزنا حقيقيا للمشاعر الدينية الجياشة ، ولم يعرفوا التعصب الدينى ، كان تعصبهم الحقيقى





للدولة وللمغانم وللسيادة ، وحين يستثيرون هذه العواطف أحيانا فلاغراض سياسية فى الدرجة الاولى .

● من المسئول عن التدهور

يبقى سؤال حائر ، هل الاتراك العثمانيون مسئولون عن تدهور العالم الاسلامى المعاصر ؟ هل هم مسئولون عن تدهور العالم العربى بصفة خاصة ؟

الواقع ان الاتراك ظهروا كقادة أو اباطرة للعالم الاسلامى فى الفترة التى كانت النهضة الاوربية تأخذ مداها ، كان العالم المسيحى يدك المؤسسة الدينية بالانشقاقات المذهبية ، مرة ، وبالحرية الفكرية مرة أخرى ، بالفن والشعر والفلسفة ، وكانت حركات التنوير تمضى قدما ، وفى الوقت الذى حرقت فيه جان دارك الفرنسية لانها زعمت انها تسمع أصواتا الهية تأمرها بتحرير فرنسا ، كانت المؤسسة الدينية ، فى الدولة العثمانية لم تزل فتية ومسموعة الكلمة ولم تفقد مبرر وجودها بعد ، كانت بالكاد تطمح فى مزاولة نشاطها وتربية ابنائها .

اما جان دارك فقد جاءت ـ بهذا الادعاء ـ لتلغى دور الكنيسة باعتبارها الصلة الوحيدة بين الله والانسان . كانت تزعم بانها تتصل بشكل مباشر بالسماء وهو أمر أدركت الكنيسة خطورته ولهذا بادرت بحرقها .

وفى الوقت الذى وطأت فيه اقدام العثمانيين الاتراك الاراضى العربية ، كانت الصلة المباشرة بين العرب والعالم الخارجي قد انقطعت ، كان راس الرجاء الصالح قد اكتشف ، وكانت التجارة العالمية تضعف وتضمحل فى مصر والشام، وكانت الثروة تتضاءل والانتعاش الاقتصادى يتلاشى . وكانت اوربا المسيحية قد بدات معركتها مع الدولة الدينية التى كانت تعاليمها تقف حجرة عثرة امام التوسع الاقتصادى لمصالح الطبقات الناشئة فى أوربا .

والواقع أن المعركة التى نشات بين ماسمى بعد ذلك بالعلمانية والدولة الدينية لايختلف عن نفس المعركة التى نشبت بين العلمانيين الاتراك ودولتهم الدينية ، ذلك أن المؤسسة الدينية فى الدولة العثمانية كانت مسئولة تماما عن التعليم ومن التشريع والتقاضى وهو نفس الشيء الذى كان معمولا به فى أوربا حتى فى قرون سابقة على نشوء الدولة العثمانية ، وليس صحيحا أن الكنيسة الاوربية كانت تتولى الشئون التنفيذية الى جانب التشريع والتقاضى والتعليم .

كل مافى الامر أن الاصطدام بين الدولة الدينية والدولة الزمنية جاء متأخرا فى دولة الخلافة العثمانية لثلاثة قرون على الاقل .

كانت أوربا قد خرجت من الشكل القديم للعصور الوسطى ، بينما كنا نحن نعيد ترتيب أنفسنا ولكن على نفس الاسس القديمة ، وهو الامر الذى لم نخرج منه الا متاخرا ، لنجد أن العالم قد تغير وأن النظم الاقتصادية الجديدة وأساليب الانتاج الحديثة قد سبقتنا وقد حاصرتنا ، وقد صارت بحكم مصالحها عقبة اضافية فى سبيل تقدمنا .

ان الدولة العثمانية نشات ونمت وفق **ظروف معينة ولو كانت تستطيع ان تكون افضل مما كانت لفعلت ، ولو كنا نحن ـ كولايات للمركز الامبراطورى ـ افضل مما كنا لربما كنا استطعنا ان نتجاوز هذه الثغرة ، وان نقفز الفاصل الزمنى الذى يفصلنا عنهم .**

كانت الدولة العثمانية تجسيدا لقوى الشرق فى وقتها وحتى اضمحلالها ثم فنائها لا اكثر ولا اقل .

ابتسامات

أنا مثلك

● دخل العالم الذرى « فون براون » احد المطاعم بنيويورك لتناول غذائه ، فبحث عن نظارتيه ليقرأ قائمة الطعام ويختار مايناسبه ، ولكنه لم يجد النظارتين فحار فى امره لانه لم يكن يستطيع القراءة بدونهما ، واخيرا وجد الحل ، فنادى الخادم وقال له : اقرأ لى الوان الطعام من فضلك .

فرد الخادم : المعذرة ياسيدى ، فانا أمى مثلك !

لا تترك الفرصة

● كان الطبيب صديقا للعائلة ويتردد الى الدار كلما وجد هناك حاجة ، وفى يوم كان صاحب الدار غائبا خارج المدينة فأرسل الطبيب له هذه البرقية :

ـ يؤسفنى ان اخبرك عن وفاة حماتك ، هل ترغب فى دفن الجثة ام إحراقها أم تحنيطها ؟

وفى اليوم التالى إستلم الجواب التالى : الثلاثة .. لاتترك الفرصة تفوت !

ايهما أفضل

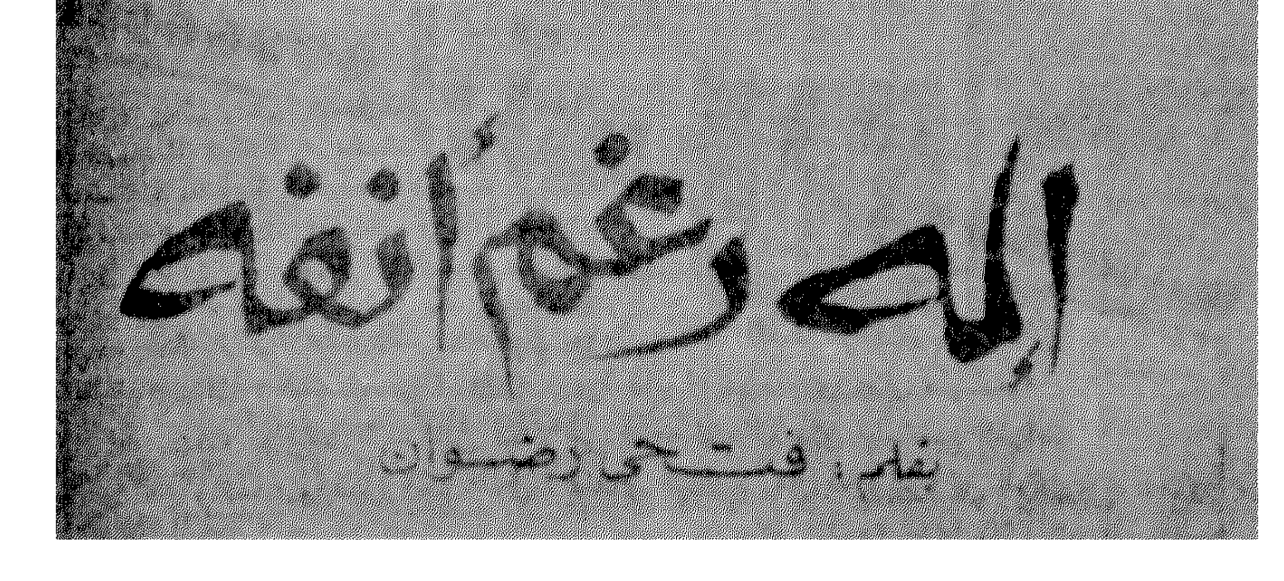
● يقول المحامى الكبير « رينيه فلوريو » لا تحسبوا ان موكلينا يقدرون دائما خدماتنا منذ قالت لى احدى موكلاتى بالامس .

ـ آه ياأستاذ .. لاتحدثنى عن المحامين وكتاب العدل .. فأن متاعبى فى قضية تركة زوجى لأثقل من ان تحتمل ، حتى اننى لأتساءل احيانا ما اذا لم يكن من الافضل لى لو انه بقى على قيد الحياة !

● ذهبت سيدة الى طبيب الامراض النسائية ، فدخلت على الطبيب بينما بقى زوجها ينتظر خارج غرفة الكشف فقالت السيدة للطبيب .. دكتور .. ارجوك ان تدعو الممرضة لتكون معنا فى الغرفة .

ـ لماذا .. هل تخجلين ان تبقى وحدك فى الغرفة مع الطبيب !

فقالت الزوجة : لا .. ولكننى اخاف ان تبقى الممرضة وحدها مع زوجى !



لست انوى ان احدثك عن مسرحيتى التى تحمل نفس العنوان ، والتى مثلها المسرح القومى منذ سنوات . وإنما ساحدثك عن أحد كبار مفكرى الهند ، الذى توفى منذ ايام ، فى سان فرانسسكو ، بالولايات المتحدة عن عمر جاوز التسعين عاما . ذلك هو (جيدوكرشنا مورتى) .

واستاذنك فى ان ابدا بموضوع مسرحيتى ، فان الذى الهمنى بفكرتها واقعة جرت فى الهند مع شخصية حقيقية ، وسياسية ومعروفة ، هى (جواهر لال نهرو) زعيم الهند ، ورئيس وزرائها ، وخليفة زعيمها المهاتما غاندى ، الذى كان بدوره إنسانا حقيقيا لاخيالا ولا اسطورة ، كان قد ولد فى اخريات القرن التاسع عشر ، وحقيقة اسمه « موهانداس كرشاندى غاندى » .

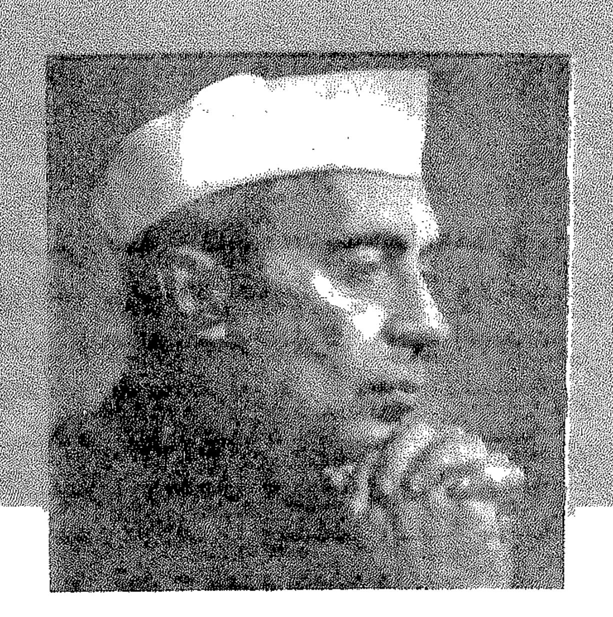


وخلاصة الواقعة التى دارت حولها مسرحية (إله رغم انفه) أن بين المؤمنين بالهندوكية وربما كلهم يؤمنون بان الإله كرشنا يحل كل بضعة أعوام فى جسم واحد من عظماء الناس ، وان آخر من حل فى جسده كان (جواهر لال نهرو) ولذلك فقد اقاموا معبدا ملأوه بتماثيل (نهرو) وراحوا يتعبدون له ، ولما كان (نهرو) أقرب إلى العلمانية منه إلى التدين فقد بادر بإرسال إشارة إلى مدير الأمن فى المنطقة التى اقيم فيها المعبد الذى وضعوا فيه تمثاله بوصفه النسخة الحديثة للإله كرشنا ، ليحطم التماثيل ويقفل المعبد ويطرد الرهبان المتعبدين له .

وقد استغللت هذه الواقعة ، واضفت إليها مشاهد ذهب فيها نهرو بنفسه إلى المعبد وانتهز فرصة حلول الليل واختبأ بين تماثيله وراح يحطمها بنفسه ، فاستيقظ على صوت سقوط التماثيل الرهبان ورئيسهم وطاردوا الدخيل الذى اقتحم عليهم المعبد ، وفوجئوا بان هذا الدخيل هو الإله نفسه اى نهرو ، الذى تجسد فيه الإله كرشنا ، ودار بين

الفريقين : الرهبان من جهة ، ونهرو من جهة أخرى حوار هو جوهر هذه المسرحية .

فالرهبان حينما رأوا أنفسهم أمام الإلههم (نهرو) ، وحاروا كيف يتصرفون فنهرو الإلههم الذى يجب أن يحترموه ، ويحترموا أوامره وتوجيهاته ، وقد أمرهم بأن يغادروا المعبد ، ويحطموا التماثيل ، ويكفوا عن هذه العبادة . وإذا هم أطاعوه ، فإنهم سيخرجون على مقتضى إيمانهم . وإذا هم خالفوه فقد عصوا الإله ، فوجد رئيسهم أن خير حل للخروج من المأزق هو أن يتوجهوا بأسئلتهم إلى نهرو لماذا يرفض أن يكون النسخة الأخيرة من كرشنا ، فدار بينهم حوار بين فكرة الدين ، وفكرة المادية التى يؤمن بها نهرو ويبشر قومنا بالسياسة والعمل السياسى والحرية السياسية والانتخابات الحرة ، وهم يؤمنون بالإله الملهم ، والعقيدة المقدسة . التى تقود خطوات الناس إلى الرحمة والمحبة المتبادلة والتسامح والرفق وطلب الهداية من الإله الذى يشمل جميع عباده بعطفه ورعايته وإرشاده . هذه المسرحية التى تخيلت وقائعها تكاد تكون صورة طبق الأصل من حياة الرائد الروحى ، الهندى الكبير ، (جيدوكرشنا مورتى) الذى توفى فى كاليفورنيا منذ فترة وجيزة .



جواهر لال نهرو



راجيف غاندى

● رائد روحى ●

ولد (جيدوكرشنا مورتى) فى إحدى قرى جنوب الهند سنة ١٨٩٥ ، وكان ابنا لموظف هندى صغير فى إحدى الشركات البريطانية ، وكان لرب هذه الأسرة التى تضم مع جيدو تسعة أبناء ، وقد تقاعد

هذا الموظف عن عمله بالشركة ، وانضم الى جمعية روحية غربية كانت واحدة من جمعيات (الثيوصوفية) التى بدأت تنتشر فى أوربا وامريكا ، وغايتها الترقية الروحية لاتباعها بالقراءة والتأمل والإيمان بالجانب الروحى للإنسان . وقد وقع نظر أحد زعماء هذه الطائفة ، على (جيدوكرشنا مورتى) يتوسم فيه أن يكون رائدا روحيا لهذه الطائفة ، يتمتع بطاقة روحية عظيمة ، وقدرة على القيادة والتأثير الروحى على التلاميذ والمريدين ، بل اعتبره المسيح الجديد الذى تنتظره الانسانية لينقذها من الويلات والمتاعب التى تصادف الانسانية وتلاقيها ، وقد صرفت على هذه النبوءة السيدة أنى بترايث رئيسة جمعية الثيوصوفية فى بريطانيا ، وقررت ان تعد (جيدوكرشنا مورتى) لهذه الرسالة العظيمة ، فارسلته إلى لندن سنة ١٩١٢ ، ليتلقى من العلم أرقاه وليتوفر على إعداده وتهيئته أساتذة كبار متخصصون فى كل فرع ودرب ، ليخرجوا من هذا الشاب الهندى معلما روحيا لا لاتباع الجمعية التى اختارته بل للانسانية كافة ، وتلقى جيدو العلم الذى اختير له .

وتولته طائفة الأساتذة التى قامت على تنشئته ، وخرج من هذه المرحلة الفريدة من التثقيف والتدريب والاعداد شابا ، ولم يقف الاعداد والتدريب ، عند الثقافة العقلية ، والدراسة العلمية والاحاطة بعلم النفس والتاريخ ، واللغات ، بل اختصها مدربوه بالجانب البدنى منه ، فاصبح سباحا ممتازا ، وراكب دراجات بخارية متفوقا ، ولاعب تنس وجولف نادرا ، وعاد إلى الهند ، وعرش الريادة او قل عرش الالوهية ينتظره فهل يملؤه ، هذا المسيح المنتظر ، وتدخل فى دعوته أو دينه الجديد الآلاف ، وتاخذ الدنيا ثوبا جديدا ، تطرح بعده جميع ما لبسته من من اردية ، وتلج الانسانية عالما جديدا ، يختلف عن العالم الذى تعيش فيه الملىء بالصراع والأطماع والمخاوف والأوهام غير الحقيقية التى تدفع بالملايين للبحث عن السعادة فيما يشقى ، وعن الحقيقة فيما يعتل وعن القوة فيما يضعف يتهيأ اتباع المسيح الجديد ، لاستقبال مسيحهم ، وعاملوه كإله ، وظنوا انه سيعاملهم هم ، شيئا فشيئا كما يعامل الإله اتباعه ولكن جيدوكرشنا مورتى ، كان رجلا صادقا ، قبل أن يمر فى جميع مراحل التهيئة - التى أدخلوها فيه ، وان يتلقى العلم الذى وضعوه له ، والرياضيات التى أرادوا ان يكملوه بها ، فأصبح الانسان المثالى فى نظرهم عقليا وجسديا ، ولكن الحقيقة التى إنتهى إليها ، غير الحقيقة التى رشحوها له ، وانتقوه من اجلها ، فبدلا من ان يكون الإله المطاع المعبود آثر أن يكون الانسان البسيط الذى يسعى طوال حياته ليزداد تواضعا ، وشعورا بالعجز ، وبالحاجة إلى التأمل والتبصر والإدراك - ورأى الطريق المؤدى إلى الحقيقة ليس طويلا فحسب ، بل رآه بغير نهاية ، ورأى ان الاقتناع بلا

نهاية ، وان كل خطوة يخطوها تؤدى إلى عشرات بعدها بل مئات بل آلاف هو فى واقع الامر ، جوهر رسالة الانسان المؤمن بالحقيقة والذى يجرى وراءها ، ولم يفت مسلك (جيدو كرشنا مورتى) فى عزم اتباعه ومريديه وفى مقدمتهم انى بترايث (زعمية) (الثيوصوفية) ، ولم تكن انى بترايث مجرد سيدة مثقفة ، وصاحبة مكانة ادبية ، أو مدرة خطابية ، بل كانت فى واقع الأمر شخصية روحية فذة ، لو اعلنت أنها مرسلة من عند الله ، وانها صوته ، أو أنها المبشرة لديانة جديدة لآمن بها أتباعه الذين يعدون بالملايين وهم منتشرون فى أوربا وجميع القارات الأخرى ، فالذين سمعوها تخطب ، رأوا كيف كان الألوف يستمعون إليها ، فى صمت عميق واندماج معها فيما تدعو إليه ، حتى يذهلوا عن أنفسهم .

وقد صحبت أنى بترايث جيدو كرشنا مورتى إلى رحلات واسعة النطاق في الهند وفى أوربا وفى استراليا وفى كل اجتماع يحضره (جيدو كرشنا مورتى) يتقاطر الالاف ويتجهون إلى المنصة بعيون شاخصة وشفاههم مطبقة حتى إذا أخذ مكانه ، شملهم سكون عميق ، ناطق بالتقديس والإيمان ، لقوة هذا القادم إليهم ، تحوطه هالات من الإيمان به والتصديق برسالته ، وقد تولى (جيدو) رئاسة مؤتمر الثيوصوفيين العالمى سنة ١٩٢٤ ، لمؤسسة نجمة الشرق التى اسستها انى بترايث لتضم اتباع جيدو كرشنا ، وفى هذا المؤتمر اعلنت أنى بترايث إن القادم قد اتى .. أى ان المسيح المنتظر قد حضر .

● صراع شريف ●

وقد مر جيدو كرشنا بعد هذا التأليه فى أعظم واقدس صراع شريف مر به صاحب فكرة صادق ومخلص للانسانية كلها ـ انه يرى الألوف تسجد له ، وتحفظ كلماته التى ينطق بها ، ولو خلت من المعنى ، وهؤلاء جميعا قوم مخلصون وصادقون ، وينتظرون الخلاص على يديه والنجاة بما يضربه من مثل ، بما يسلكه من طريق وماينصح به من إيمان فماذا يفعل ، هل يفجع هؤلاء الطيبين البسطاء باعلان الحقيقة ، هل يقول لهم انهم يتبعون رجلا مثلهم وانه ليس لديه مايقدمه لهم ، إلا اعلانه الصريح الصادق بأنه باحث عن الحقيقة مثلهم ، لايمتاز عنهم إلا بالثقة التى يضعونها فى شخصه . وعقله وتجربته ، ولكنهم أسرفوا فى هذه الثقة وبالغوا فيها ورفعوه فوق قدره .

وقد كان يزيد من حزن جيدو انه يعلم ان الجماعات المنافسة للثيوصوفية ، تتهمه بانه دجال ، وهو يحس بان هؤلاء معذورون لانهم لايعرفون مايدور بداخله .

ولايعرفون أن ماينسب اليه من معجزات ، وخوارق ، لا يد له فيها ، وانه يود ان يضع لها حدا ، ولكن جهوده تذهب سدى . ان محنة جيدو ، تتناقض مع اكثر المحن التى يمر بها الدعاة الآخرون ، فأكثر الدعاة لايجدون عند الناس التصديق والثقة وهو يحاول بكل قدراته وطاقاته ان يؤكدها ، لخدمة الفكرة التى يؤمن بها ويدعو اليها فلا أمل فى عمل يتم ، ولا فى تغيير يتحقق إلا بإيمان



الاتباع وتزايد عددهم وتعمق إيمانهم ، ولكن الإيمان الذى يجده عند اتباعه ليس هو الإيمان الذى يؤمن به فى قرارة نفسه . فالإيمان بالانسان غير الايمان برجل ات من السماء ، طاقاته غير بشرية ، وقدراته لانظير لها ولاسابقة . وهذا الصراع جدير بان يدرس وتكتب له الكتب والمجلدات ويعلق عليه الفلاسفة والمفكرون ويستلهمه الشعراء والقصاصون .

وقد وقعت اكبر تجربة روحية فى القرن العشرين حينما أعلن جيدو انه ليس مسيحيا ، وانه لايريد حواريين ولا اتباعا ولا تلاميذ فوقفت انى بترايث تعلن انها تؤمن به ، على الرغم من كلماته .

والمثير هو تصريحه وحله لمنظمة نجمة الشرق ، وان دعوته لكل انسان بأن يبحث عن الحقيقة بنفسه هى طريق المسيح الجديد ، الذى يدعو فيه الناس الا يصيبهم الكسل الروحى ، فيحسبون ان الحقيقة ستأتيهم وهم مسترخون على الأرائك ، وكان التضييق الروحى على جيدو بالتصديق انه مسيحيا سبيلا الى مزيد من نضجه وإدراكه الروحى ومعرفته لنفس الانسان فعلا ثورة عند اهل الفكر ، حتى قال راجيف غاندى زعيم الهند ، عند وفاة جيدو إن الدنيا بعده اسوا مما كانت .

ولكن هذا الصراع القاسى المؤلم ، الذى كابده جيدو كرشنا مورتى لم يمض بلا فائدة .

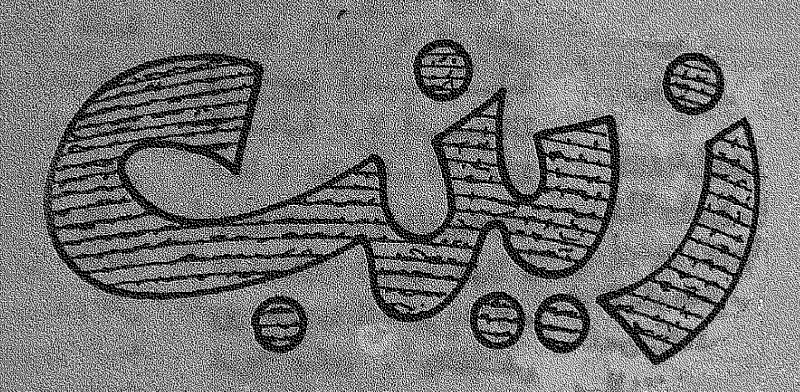
فقد التفت كثير من المفكرين الى اسلوبه ، ولمعت فى سماء الفكر الانسانى بوارق من فلسفته الصادقة ، وإيمانه العميق ، واحتل المكانة التى خلق لها بالفعل ، مكانة المؤمن الصادق الباحث عن الحقيقة ، والذى يعرف انه إنسان بسيط ، ولذلك فانه انسان عظيم .

من التراث القديم

كيف تختار زوجتك ؟

سئل أحد الفلاسفة كيف تختار زوجتك ؟ فقال . « اريدها ليست بالجميلة فيطمع فيها غيرى ، ولا بالقبيحة فتشمئز منها نفسى ، ولا بالطويلة فارفع إليها هامتى ، ولا بالقصيرة فأطأطىء لها رأسى ، ولا بالسمينة فتسد علىّ منافذ النسيم ، ولا بالهزيلة فأحسبها خيالى . ولا بالبيضاء فتكون كالشمع ، ولا بالسوداء فتكون كالشبح ، ولا بالجاهلة فلا تفهمنى . ولا بالفيلسوفة فتناقشنى الحساب ، ولا بالغنية فتقول : « مالى ودخلى » ، ولا بالفقيرة فيشقى من بعدها ولدى » .

○ قصة قصيرة ○



زينب

بقلم : سليمان فياض

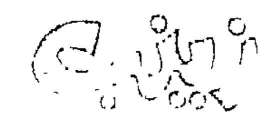
لم تكن حولنا فى العمارة ، ولا فى العمارات المحيطة بها ، شقة واحدة ، ليس فيها خادمة . وربما كان بها خادمتان احداهما كبيرة ، والاخرى صغيرة تحت التمرين ، حتى اذا تزوجت الكبرى يوما ، حلت الصغرى ، والتكون قد شبت ، محلها .

كان ذلك امرا مألوفا ، وكان مألوفا أيضا ، ومعتادا ، وبصورة يومية ، ان يدق جرس الباب ، او يطرق ، ونجد خادمة لدى سابع جار ، بسابع دور تطلب ليمونة ، او بصلة ، او ابرة ، او ملعقة بن ، لسيدتها ، ربما لان الخادمة مرهقة ، او تكاسلت عن الذهاب للشراء ، وربما لان سيدتها تفضل ، من باب التوفير سلف ابرة عن شرائها .

ومع اننا نعيش فى بيت صغير ، انا ، والزوجة ، وولد ، وبنت ، واعتدنا الحياة بلا خادم ولاخادمة ، ومع ان زوجتى سيدة بيت متفرغة ، بالمعنى الكامل ، فقد قررت زوجتى ان يكون لها هى الاخرى خادمة ربما مثل جاراتها فوق وتحت ، وعن يمين وعن شمال . ومع انها ساقت لذلك المبررات ، لراحتى وراحتها ، فقد فوجئت بقرارها ، وصار لزاما على ان ابحث لها عن خادمة . وهونت الامر على نفسى باننى سأستريح من عناء مطالب البيت اليومية والاسبوعية ، وبأنها ، زوجتى ، ستجد من تأمر عليه طول النهار ، ليكنس ويمسح ، وينفض ، ويلمع الخشب ، ويحاسب حساب المكين الرصودة من السوق ، ويحمل وراءها السله لتسير هى كسيدة معززة ، وتبعث به الى جارة لتستلف منها شيئا قد لا تريده مثلما تستلف هى ، فالسلف دين ، ورد الدين واجب .

ومن شهر ، وشهران ، واعلنت لها ، لزوجتى ، عجزى عن الوصول الى خادمة ، فثارت ، فترت لم تلبث منها أن تحاول هى ، فهى اقدر على مثل هذه الامور منى ، وانا افضل القيام بدور الخادمة فى السوق ، على ان تفاق رأسى بامرها . ومضت زوجتى غاضبة .

وبالفعل ، ظهرت زوجتى بخادمة ، لا اعرف كيف ، ولا من جاء بها اليها من الجيران ، أو البوابين ، فى عمارتنا ، او فى العمارات المحيطة . حدث ذات نهار



من عملى ، فوجدت خادمة فى بيتنا . حين رأيتها ، تجاهلتها عن عمد ، لقد أشفقت على نفسى ، وعلى الخادمة من غيرة الزوجة . اذا — وقعت على الخادمة عينى . وقالت لى زوجتى بعض عبارات ، لم أنتبه لها ، أو ربما تظاهرت بعدم الانتباه ، وعلى اى حال ، فانا لا اذكر الآن ما قالته لى عنها .

على الغداء ، جلسنا مثل اولاد الاصول من اصحاب البيوتات ، الى المائدة ، وراحت الخادمة وجاءت ، تحمل اطباقا ، وترفع اطباقا ، والافرغت وظلت واقفة الى جانبى ، سألتها عن اسمها ، واين كانت تعمل من قبل ، فعرفت منها ان اسمها زينب ، وانها كانت تعمل عاملة « مونة » وتصعد « السقالة » ، بالعمارات التى تبنى بمدينة الزقازيق، وكانت تقرن كل اجابة بكلمة « سيدى » فى حوارها موجهة الخطاب الى . وربما كان الحديث والالفة، وجو الطعام ، وصمت الزوجة ، وانشغالها بالاكل ، هو الذى جعلنى اضع عينى فى وجه زينب، فى نظرة عابرة ، وشاملة.

بدت زينب ريانة الشباب ، كبطة، سمراء، فارعة العين ، تتراقص فى وجهها ابتسامة لا مبالية ، لا استكانة فيها ، مثل هذه الاستكانة المعتادةفى وجوه الشغالات. كانت بارزة الجبهة قليلا ، وفى جبينها اثر جرح، كانه ضربه سكين . وانقبض قلبى .

لفتت زوجتى نظرتى العابرة ، فقالت لزينب :

— اذهبى الى المطبخ .

وذهبت زينب ، واحسبها كانت تتثنى فى مشيتها ، فقد جاوزت فيما اعتقد الثامنة عشرة من عمرها .

حين تمددنا على السرير لقيلولة العصر ، وتركت زوجتى باب الغرفةعلى غير عادتها من قبل ، قالت لى زوجتى متسائلة :

— ما رأيك فيها ؟

— قلت باختصار :

— تبدو لى بريئة، وربما بسيطة .

قالت زوجتى انه لادخل لى بها ، فهى التى جاءت بها ، وقالت عنها انها خام ، لا خبرة لها بخدمة البيوت ، ولكنها ستعلمها كل شىء . ولزمت الصمت تحسبا من قول اى تعليق .

وبدأت زوجتى مع الأيام والاسابيع ، تشكو من زينب ، وأنا اتصور انه لا توجد سيدة لا تشكو من خادمتها ، ولا خادمة لا تشكو من سيدتها ، تشكو من أن زينب بطيئة الفهم ، او تدعى بطء الفهم ، وتشكو من انها توسخ اكثر مما تنظف ، وتغالط فى حساب المشتريات من السوق ، وانها وجدتها تخبىء اوراقا نقدية صغيرة ، فى خرق مخفية ، وتشكو من انها تخرج وتغيب ، وتعاكس طوب الارض : بائع الخضار ، والمكوجى والبقال ، وانها تناحرها وتكايدها . واكدت لى زوجتى انها ستربيها ، وتعلمها الأدب ، ولم اقل لها شيئا . استمعت ، ولزمت الصمت ، حتى لا تسوء الفهم اى قول اقوله ، ان دافعت عن زينب ، وطلبت منها الصبر عليها ، لانها غلبانة ومسكينة ، وان اخذت الامر جدا ، وطلبت منها طردها ، والخلاص منها،

واعتدت أن أرى زينب وهى تمسح البلاط ، وتكشف عن عمد ، عن أجزاء من جسدها ، وهى تقف وهى تنحنى ، وهى تروح وتجىء .

ـ وتجاهلت ذلك ، وتجاهلت الحديث عنه لزوجتى ، فانا أعلم كم هى النفس البشرية صلابة وتهارة ، سواء أكانت هذه النفس نفسى أم نفس زينب أم نفس زوجتى .

وعدت الى البيت يوما ، فرايت زينب واقفة أمام تسريحة سيدتها ، لتتزين وتتعطر مثلها ، وحين رأتنى ، فى المرآة ، التفتت الى ، وقالت بعفوية وطفولة بالغة .

ـ بذمتك ياسيدى . لو تزينت ، ولبست ، الا أكون مثل اى سيدة اخرى !

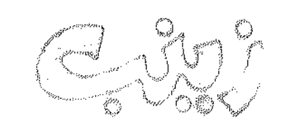
ـ كدت أن اضحك ، لكنى نهرتها ، وقلت لها

ـ ازيلى هذا الهباب من وجهك . لو رأتك سيدتك ستذبحك !

فمصمصت زينب شفتيها وكانها تقول فى سرها : هباب !

لماذا تضمه هى! وراحت لتمسح ماتزينت به ! وسارعت تغسل وجهها بالصابون .





ولم ارو ما حدث لزوجتى خشـــية أن تظن بزينب الظنون ، وتطردها فى ثورة غضب ، لجـــراتها على ما يخصها ، وتطلعهـــا الى مقامها . وتظل ذكرى ما قلته كامنـــة فى نفس زوجتى ، تثير شكوكها ، ومن يدرى قد تدعى على زينب ما لم يكن . وقلت لنفسى :

الصمت راس الحكمة.

وبدات زوجتى تلاحـظ تناقص اشياء من البيت الشاى والسكر ، والبن، وراحـــت زوجتى تراقب دخولها وخروجها عبثا ، حتى جاءت من تخبر زوجتى بانها رأت زينب تبيـــع شيئا ، لبعض الفقراء ، فى البيـــوت الشـــعبية بالحارات القريبة ، التى تحيط بها العمـــارات الشاهقة، تجميلا للمدينة واخفاء لها عن العيون .

وشددت زوجتى الرقابة على زينب، وباتت مراقبتها نهاراً وليلاشغلها الشاغل، ومع ذلك ، نجحت زينب فى تسريب حقيبة جلدية لى من البيت ، وبيع صف من المجلات للروبابيكيا .

ولم تمتنع زوجتى عن ضرب زينب ، حتى أقرت ووعدت الا تفعل ذلك مرة أخرى . ولم تطردها زوجتى، وظلت محتفظه بها ، لا ترفع عنها رقابتها .

واعتادت زينب مــــع الوقت الرغى مع خادمات العمارة والعمارات المقابلة، والحديث الى الســيدات الجارات فى كل العمارات، حتى كسرت يوما خــزان مياه الحمام . وقفت فوقه ترغى كعادتها ، مع خادمات الجيران ، بصوت زاعق، عبر نافذة تطل على المنور ولكثرة حركتهـــا انكسر الخزان ، وعادت زوجتى، وفاجاتها ، تنزل من فوقه، وعندئذ اتخــذت زوجتى قرار طرد زينب، وانتظرت عودتى .

اعطيت زينب ما توفر لها لدى من اجور شهور، واجرة المســـودة الى الزقازيق ، واكدت لى انها تعرف الطريق الى محطة السكة الحديد بميدان رمسيس، وفتشت زوجتى ثيابها ، ولفة تحملها .

وعندئذ سألت زينب عن سر هذا الجرح فى جبينها. فقالت لى ببســـاطة وهى تضحك ، كان امرخروجها من بيتى لا يعنيها للحظة.

ـ ضربة سكين. ضربنى بها واحد من «الفواعلية» فى مبـــانى الزقازيق ، واضافت :

ـ يوه . ياما شـــفت ياسيدى .

وقـــالت زوجتى وهى تنهرها :

ـ اذهبى. انت ستحكى لنا تاريخ حياتك .

ـ وخـــرجت زينب قائلة :

ـ اشوفك بخير ياسيدى

كان اليوم * يوم جمعة. رأيت زينب مرة اخرى بعد شهرين ، كانت تحمل سلة ، وتسير وراء سيدة جديدة تسكن عمارة قريبة على الـــكورنيش . واذ حاذيتها ، فوجئت بصوتها يقول :

ـ ازيك ياسيدى .

عرفتها عندئذ . قلت لها همسا ، وسيدتها تسير امامنا

ـ لم تسافرى .

فاشارت الى سيدتها الجديدة فى صمت ، واسرعت مبتعدا . وتذكرت انها قد رتبت جيدا ليوم خروجها من بيتى ، مع سيدات الحى ، وانها لم تغادر الزقازيق ، ولن تغادر القاهرة عائدة الى اهلها قط . فالخدمة فى البيوت على هوانها ارحم من العمل الشاق . فى حمل المونة ، وصعود السقالات وضربة سكين ، لم اعرف منها سببا لها ـ وحين اخبرت زوجتى باننى رأيت زينب لدى سيدة ، فى عمارة على الكورنيش ، لم ترد على ان قالت :

ـ فى داهية . لا دخل لنا بها .

واكدت انها لن تدخل يوما بيتها خادمة .

ونسيت امر زينب ، ولم ارها نحوا من عامين الى ان كنت واقفا ذات يوم امام عمارات ضخمة مليئة بشقق التمليك بالسياح ، اشير الى تاكسى . وفوجئت بسيارة مرسيدس فاخرة تقف بجانبى ، وبابها يفتح ، وبصوت يقول لى :

ـ تفضل ياسيدى .. اوصلك .

كانت العربة سوداء ، ثمنها بعشرات الالوف ، فانزعجت للحظة ،

وانحنيت انظر الى صاحبة الصوت . كانت امامى سيدة فاخرة الملبس والماكياج . تكرر قولها :

ـ تفضل ياسيدى اوصلك . الا تعرفنى ؟

وضحكت . ورأيت اثر الجرح باقيا وراء الماكياج ، وفى الجبين ، فقلت :

ـ من ؟ زينب ؟

فقالت ضاحكة :

ـ نعم ياسيدى . اركب اوصلك . لا تخف .

قلت لها :

ـ تعلمت السواقة ؟ متى ؟

فقالت :

ـ سيارتى . الا تصدق ؟!

ومدت لى يدها برخصة القيادة ، كان بها اسمها .. وتاريخ مهنتها « سيدة اعمال »

وجاءنى صوتها تقول يزهو من يختال على ما يملك :

ـ اركب حتى لا ادفع مخالفة .

اعتذرت لها ، وربما اكون فى ذهولى قد شكرتها ، فاغلقت الباب وهى تضحك وقالت :

ـ انت حر

وداست على البنزين ، وذهبت بسيارتها ، وحين عدت الى البيت ، رويت ما حدث ، وما رأيت من عجب لزوجتى . وضربت كفا على كف ، وقلت :

ـ فى عامين . تصورى .

فقالت لى زوجتى :

ـ بطل تخريف وتأليف . انت دائما تحلم ، وترى مالم يحدث ■

اقسمت لها . وما زلت اقسم ، ومع ، زوجتى ابدا لا تصدق .



فى سلسلة ((كتاب الهلال)) صدر كتاب ((صفحات من حياتى)) للشاعرة المصرية المشهورة السيدة جليلة رضا.
عرفت الشاعرة منذ اثنين وثلاثين عاما ، او اكثر قليلا ، عندما اخذت تتردد على مجلة ((العالم العربى)) بعد انتقال رئاسة تحريرها من الاديب الشاعر الاستاذ سيد قطب الذى صار داعية دينيا بعد ذلك ، الى الصحفى المعروف الاستاذ اسعد حسنى ..
ولما عرفنى بها اسعد حسنى قال مداعبا اياها : انها شاعرة ((ناشئة)) سارت خطواتها الاولى فى الشعر على يد صديقنا الدكتور ابراهيم ناجى رحمه الله ..

وكان ناجى يتحدث عنها حين كان يعمل معنا سنتى ١٩٥٢ و١٩٥٣ فى صحيفة « الجمهور المصرى » بعد عزله من وظيفة بوزارة الاوقاف فى حركة التطهير الكبرى » التى أجريت فى المناصب الحكومية حينذاك . وكانت « التهمة » التى عزل بسببها هى « قلة الانتاج » ! .. وكان ناجى يسخر من « قلة الانتاج » هذه ويقول : « انا طبيب ، فكيف أزيد من انتاجى؟.. هل أنتج المرضى أو أزيد المصابين فى الحوادث ؟! » ..

وقد مات ناجى فى مارس سنة ١٩٥٣ من فرط تأثره باخراجه من عمله الحكومى ، وحزنت عليه جليلة رضا ، ووجدت نفسها فجأة بلا أستاذ يأخذ



بيدها فى بحور الشعر العاصفة ! ..

كانت جليلة رضا حين رأيتهـا سنة ١٩٥٤ قليلة الكلام ، تضع على وجهها قناع اكتئاب فتبدو اكبر من سنها برغم جمالها الشركسى الواضح الخالى من كل تجميل .. واذا تحدثت كان نصف كلامها عن ابنها الذى أصيب بمرض عقلى وافسد عليهـا حياتها وهى مطلقة وحيدة فى الدنيا..

وكان من عملى الذى اقوم به مجانا فى « العالم العربى » نظرا للصداقة الحميمة بينى وبين رئيس تحريرها ، ان انظر فيما يرد اليها من القصائد قبل ارسالها الى المطبعة ، فكنت اجد فى شعر جليلة رضا موهبة شعرية ينقصها سعة العلم باللغة ، ويعيبهـا أحيانا خلل فى بعض الاوزان ..

كانت « ناشئة » فى الشعر على حد تعبير أسعد حسنى - رحمه الله - مع أنها كانت قد جاوزت الثلاثين بسنوات ..

ثم أدبرت أيام « العالم العربى » وانقطعت قراءتى لشعر جليلة رضا ، الا من قصائد كنت التقى بهـا فى هذه المجلة أو تلك من حين الى حين ، فيدهشنى انه ينضج بسرعة وأن الشاعرة « الناشئة » قد اشتد عودها ونبغت فى الشعر كالنابغه الذبيانى فى سن الاربعين أو بعدها بقليل ، حتى صارت من أبلغ الشاعرات العربيات المعاصرات بيانا ، وأصحهن أوزانا ، واصبحت احسن الشاعرات المصريات بلا جدال ..

● رحلتها مع الابداع ●

وكتاب جليلة رضا الجديد دليل اخر على نضجها الشعرى والنثرى والفكرى ، وانما فيه سطور ، بل صفحات تعد من الشعر المنثور الفائق، ومن البيان البليغ الذى لا يتفق الا لفحول الكاتبين ..

وهذا أيضا يتفق لها فى الشعر ، فان فى شعرها قصائد نادرة المبنى والمعنى ، عميقة الشعور ، بديعة التصوير ، تستحق بها هذه المنزلة التى بلغتها بين شاعرات عصرها .

ويمكن القول بأن الشعر المصرى النسائى المعاصر الذى كانت بدايته عائشة التيمورية ، قد بلغ غايته عند جليلة رضا ..





د. ابراهيم ناجى

ولعلها احست انها بلغت غايتها فى الشعر ، وانها توجت نفسها بعد هذا العمر الطويل فى الشعر ، فجلست على كرسى الاعتراف ، تحكى شذرات من قصة حياتها ، اسوة بمن سبقنها الى ذلك من شاعرات الغرب واديباته وفناناته .. وما اكثرهن ..

ان جليلة رضا توحى الى قارىء كتابها بلهجتها الناعمة انها تعترف له بكل شىء ، مع انها لا تخفى عنه انه لا يمكن الاعتراف بكل شىء ..

والحقيقة أن حياة جليلة رضا أغنى وأعمق مما روته فى كتابها ، ولو روت كل شىء ، أو شيئا من كل شىء ، لكان كتابها هذا أحد الكتب العالمية فى باب الاعترافات ..

ولكنها على كل حال امرأة « شرقية » بالمعنى الذى يعنيه الافرنج من كلمة « شرقية » حين يتحدثون عن المرأة المصرية والعربية بوجه عام ..

● قصص حب مشتعلة

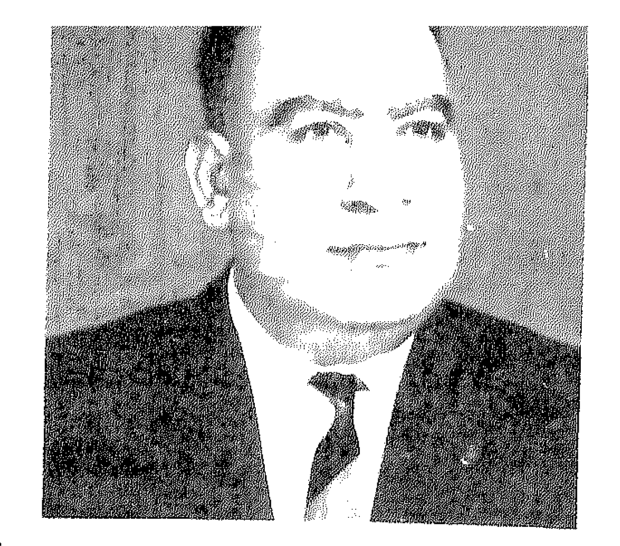
بدأت القلاقل فى دخيلة نفسها حين الحقها أهلها بمدرسة داخلية للراهبات ، فهذا جو غير طبيعى لتنشئة فتاة مسلمة ، زادها انفلاتا فى مشاعرها العميقة برغم احتفاظها بكل مظاهر السلوك الاجتماعى السوى ، الذى يبلغ حد الوقار !

وراء هذا الوقار قصة حبها الاولى الصبيانية ، والقصص التالية ، حتى اذا دخلت مضمار الشعر ، صارت موردا عذبا كثير الزحام ، فى ذلك المجتمع الذى كان قبل ثلاثين عاما يبهره أن يرى المرأة فى الندوة الشعرية وبخاصة اذا كانت فى جمال هذه الشاعرة وخبرتها بمشاعر الرجال والنساء ودماثة معاملتها للقريب والغريب ..

وكنت ارى اسعد حسنى مشغولا بمحاولة ترويج جليلة رضا ، فقال لى يوما : ما رأيك فى صديقنا الشاعر فايد العمروسى زوجا لجليلة ؟! ..

كان فايد العمروسى قد أكمل بعثته فى باريس وعاد الى القاهرة فى وظيفة كبيرة بوزارة المعارف ، وكان شاعرا حسن الشعر ، درعميا قديما ، ساخطا على ايامه فى باريس لاسباب نضرب عنها صفحا .. فلما رأى جليلة رضا أعجبته وتكلم عنها مع أسعد حسنى ، وخيل الينا انه سيتزوجها من فوره ، ولكنه - فيما يبدو - لم يتم مشروع زواجه هذا ولعل جليلة رضا لم تشر اليه فى كتابها لانها تراه حدثا عابرا فى حياتها ..

وقد اشارت الى الشاعر « م . ف . » وهو صديقنا الشاعر محمد الفيتورى ، الذى كان حريقا مشتعلا فى الحب ، وكان له فى جليلة أشعار من نار ، وقصص أكثرها من نسج خياله ، اذ كان شابا صغيرا مشبوب الخيال فى تلك الايام .. وقد رأيت بعينى ومعى



عبد الله شمس الدين

اسعد حسلى معارك الكر والفــــر ، والشد والجذب ، فى محاولاته الزواج من جليلة ، ولكن كل شىء بينهمـــا انتهى الى لا شىء ، وكان هـــــذا اللا شىء بقية من رمـــاد حب عنيف تحول الى حقد اشد عنفا ! ..

اما الشاعر الدينى عبد الله شمس الدين ـ مؤلف نشيد الله أكبر ـ الذى تشير اليه فى كتابها بحرف « ع » .. فكان من الجلى فى أمره أن حبـــه لها وزواجه منها الى انتهاء عاجل .. وقد كان ..

وقد اظهرت جليلة رضا مع زوجها الاخير الصـــحفى محمد السوادى ـ رحمه الله ـ فضائلها « الشرقية » فى المحافظ على الزوج والبيت ، تلبيـــة لداعى المروءة والوفاء ، بالرغـم من زوال الاسباب التى قام عليها هـــذا الزواج ، فلبثت ترعاه حتى وافـــاه الاجل المحتوم .. يرحمه الله ! ..

لقد عاشت جليلة رضا حياة صعبة كان من الممكن ان تقضى على احاسيسها الشاعرة ، او تمنعها على الاقـــل من الاستمرار فى قول الشعر ، ولكنهـــا خرجت من مأساة ابنها الذى مـــات أخيرا ومن مأسى أزواجهـــــا الثـــلاثة الـــذين رضـــيت ان تذكـــرهم فى كتابهـــا ، وقد مـــاتوا واحدا بعد الاخر .. خرجت من هـــذه المأسى كلها ، ومعها عشرات من المأسى الاخرى ، وهى محتفظة برغبتها الحارة فى الالتصاق بالشعر وعدم مفارقتــه لانها وجدت فيه معنى حياتهـــــا ، ولا حياة لها الا تحت جناحه ..

وقد اخفت فى كتابها اسماء الرجال الذين التقت بهم فى حياتها بعد طلاقها الاول ، ما عدا ابراهيم ناجى ستاذها فى الشعر الذى استظلت به وابتردت من حرارة المغطوب ..

وسمحنا لانفسنا هنا انتذكر بعضهم بالاسم ، لان من حق تاريخ الشـاعرة أن يعرفهم قراؤها ، وحسبها ما كتمت من الاسماء الاخرى ..

ولن تكون اعترافاتها هذه اعترافات بمعنى الكلمة اذا قورنت باعتـــرافات أترابها الاوربيات والامريكيــات ، اذا كانت « المعروف » هى كل حصيلتها من اسماء الرجال .. ولاشك انها قرأت فى الفرنسية وغيرها الاعتـــرافات التى لا تحصى للاديبات الغربيات اللاتى لـم يتركن شاردة ولا واردة ..

واعترافات جليلة رضا ، تتســـتر وراء الحياء والخفر ، برغم ماتتصوره من انهـــا قد هتكت كل الاســــتار ، ولكنها فى الوقت نفســه ـ تعــد أول « اعترافات » من نوعها تتقدم بهـــا امراة « شرقية » .. ولن تجد فى العالم العربى كله امراة تجرؤ على مجـــاراة جليلة رضا فى هذا المضمار ، بالرغم من جراة الكثيرات على الادلاء بدلوهن فى « الادب المكشوف » .. ولكنهن هنا يتحدثن بضمير الغائب ، وهن يقصدن انفسهن ، اما جليلة رضا فتحـــدثت بضمير المتكلم او المتكلمــــــة ، وهى تقصد نفسها ، وان كانت قداســـدلت ستورا على ما كشفته ، من اسرار هذه النفس الشاعرة العميقة الشعور ؟

رحمة الله عليها

شعر : أوسكار وايلد • ترجمة : محمود محمد شاكر

نشرت مجلة المقتطف ، فى عددها الصادر فى ديسمبر عام ١٩٣٤ ، هذه القصيدة التى كتبها الاديب البريطانى المشهور اوسكاروايلدفى رثاء محبوبته ، والتى تولى ترجمتها ، الاديب « الشاب » فى ذلك الحين ، وعضو مجمع الخالدين حاليا، الاستاذ محمود محمد شاكر ، وقدمت لها بالمقدمة التالية :

عنى محمود محمد شاكر بنقل هذهالقصيدة نقلا حرفيا، وتوخى علاوة على ذلك ان يكون فى الترجمة العربية شىء من الايقاع الموسيقى المعهود فى الشعر المرسل باللغات الاجنبية .

ونضيف الى ما قالته المقتطف ،ان هذا الايقاع يشبه ايضا ، مانجده حاليا فى الشعر الحر .. فهل كان الاستاذ شاكر بهذه القصيدة المترجمة ، واحدا من رواد هذا الشعر ، دون ان يدرى هو او النقاد ؟

نترك الاجابة على ذلك لهؤلاء . . بعد أن يقرأوا القصيدة ..



خفف الخطى
انها قريب
تحت الغريب « ١ »
واخفض الصوتا
انها تكاد
تسمع النبتا
وهو ينمو
وفرعها الجثل
يلمع كالتبر
خبا به الصدا
تلك التى كانت
غريرة طفلة
قد ضمها التراب
زنبقة كانت
بيضاء كالغريب
ما علمت يوما
بانها انثى
فشب عودها
فى رقة ولين
هذا هو التابوت
والحجر الصلد
يقسو على الصدر
دعنى انا وحدى
اعزيه القلبا
فانها ترتاح
صه صه صه
لن تسمع الغناء
ولاحنين الناى
كل منى حياتى
مدفونة هنا
سنوا عليها الترب

---

١ ــ الغريب هو الثلج

رجال في حياة مارلين مونرو

حسين قدري



فرانك سيناترا





ارثر ميلر

● هل قامت بين النجمة السينمائية والرئيس كينيدي أية علاقة من أي نوع؟

كانت أشهر امرأة فى العالم كنموذج للمرأة الساحرة الفاتنة رائعة الجمال ومعبودة جماهير السينما فى كل مكان فى العالم..

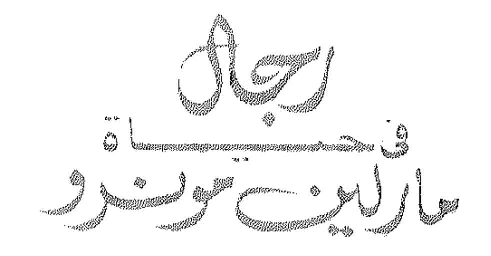
كانت حياتها أسطورة ، وجاء موتها – منذ نحو ربع قرن – فصلا مثيرا من فصول هذه الاسطورة.. كل يوم يزداد غموضا على مر الايام والسنين ..

وكثيرون يعتقدون ان ((مارلين مونرو)) قد اختفت من الدنيا فى توقيت مناسب تماما ، فتركت صورتها فى اذهان وقلوب معجبيها ومحبيها على الشكل الجميل الباهر الذى كانته فى آخر أيامها .. فلو كانت قد عاشت حتى الآن لكانت فى – يونيو ١٩٦٨ قد اكملت ستين عاما من عمرها .. وتحولت الى عجوز فقدت كل اسلحة فتنتها واغرائها . ولم يكن ذلك ليسعد ((مارلين مونرو)) ولا معجبيها ايضا .

لقطة تجمع بين مارلين مونرو ولاعب البيسبول الشهير ديماجيو الذى تزوجها فى يناير ١٩٥٤ وكان زواجا فاشلا.



جون كيندى



خلال حياتها القصيرة - ٣٨ عاما واقل من شهرين - تزوجت «مارلين مونرو» ثلاث مرات معلنة ومرة واحدة غير معلنة ، أو - لنكون أكثر دقة - غير مؤكدة .. لان الذى يزعم أنه كان الزوج رقم ٢ فى سلسله أزواجها لم يعلن ذلك خلال حياتها ولم يذكره الا بعد موتها ، وبعد موت كل الاطراف التى من الممكن أن تؤكد حدوث هذا الزواج .. ومع ذلك فقد كان هو بالذات أكثر الجميع جهدا فى محاولة البحث والتنقيب وراء أسباب موت « مارلين مونرو » .. ولا زال حتى الان يحاول ان يثبت أن « مارلين » لم تنتحر وانما ماتت مقتولة !.

● عامل ، ومطرب ، ورئيس دولة !! ●

اثنان من أزواج « مارلين مونرو » : بطل لعبة الـ (بيسبول) الشهير ، والكاتب المسرحى الأشهر ، كل منهما عمره الان ٧٠ سنة .. كان كل منهما أكبر من « مارلين مونرو » بعشر سنوات حين تزوجها .. والاخران رجل البوليس السابق ، الذى يعتقد أنه قد انقذها من التشرد والضياع ، والمؤلف والمنتج السينمائى الذى لم يستطع ان ينساها حتى الان ، كلاهما بلغ سن التقاعد منذ سنوات قليلة .. يعنى كان كل منهما قريبا من سن « مارلين مونرو » حين تزوجها .

اثنان من أشهر عشاقها مات كل منهما قتيلا برصاصات اغتالته لأسباب سياسية ، ولو كانا قد عاشا لكان أكبرهما فى الثامنة والستين الان ، ولكان الاصغر فى الحادية والستين .. وعاشق آخر لا زال حتى الان ، وهو فى سن السبعين ، من أشهر مطربى العالم !.

رجال « مارلين مونرو » تراوحوا بين عامل بسيط فى مصنع الى نجم سينمائى ، ومن مطرب الى كاتب شهير ، ومن سائق الى رئيس دولة .. كانوا جميعا موضع حسد ملايين الرجال الذين انبهروا بـ « مارلين » فى الخمسينات ، وفجعوا بموتها فى الستينات ، ولم يعرفوا ابدا أن المرأة التى كانت اكثر نساء العالم اثارة ، واكثر نساء العالم رصيدا من المعجبين ، لم تدق السعادة بابها فى يوم من الايام حتى وهى فى قمة شهرتها ومجدها .. عاشت طفولة شقية وايام صبا تعسة ، ولم توفق فى حياتها العاطفية ولا مرة واحدة !.

● ام مجنونه ، وام بالايجار ●

كانت « مارلين » فى صباها قليلة الحجم رشيقة للغاية جميلة الجسد بشكل مثير ولافت ، ذات شعر بنى اللون .. ذات ماض اليم حزين .. عاشت فى احدى ضواحى مدينة لوس انجلوس فى رعاية أسرة عهد اليها بتبنى «مارلين» .

وموضوع (التبنى) هذا يحتاج الى شرح سريع .. فنظام التبنى فى أوروبا وأمريكا - وكان فى مصر أيضا فى وقت من الاوقات - ينقسم الى نوعين .. النوع الاول هم الاطفال اللقطاء مجهولو الابوين وليس لهم أسرة أو أهل معروفون على الاطلاق .. وهؤلاء يوضعون فى الملاجىء حتى يرسل الله اليهم أسرا لتبناهم تبنيا كاملا ، فيعيشون مع هذه الاسرة بقية عمرهم ، وهى التى تتولى الانفاق عليهم وعلى تنشئتهم وتعليمهم انفاقا كاملا .

النوع الثانى : أطفال معروفو الاهل يعنى ليسوا لقطاء ، لكن ابواهم لظروف ما ، قد تكون صحية وقد تكون ظروف الفقر الشديد وقد تكون الاثنين معا ، تجعلهم غير قادرين على رعاية أطفالهم بالشكل المفروض .. ومن هنا فاما أن يعهدوا هم بأطفالهم الى الدولة ، أو أن تأخذهم الدولة من الأبوين بحكم القضاء ، لكى تعهد بهم الى أسرة ما أخرى تتولى رعايتهم .. والدولة هنا تدفع أجرا للأسرة التى يعهد اليها بالطفل ، ا

مقابل رعايتـــه وتنشئته وأكله وشربه ولبسه طبعا .

من هذا النوع الاخير كانت « مارلين مونرو » .. فهى لم تعرف لها أبا منذ مولدها ، وأصيبت أمها بالجنونفى وقت من الاوقات واودعت مستشفى للامراض العقلية ، فتنقلت الطفلة « مارلين » بين أكثر من أسرة من تلك الاسر التى تتقاضى من الحكومة أجرا فى مقابل ايواء الطفلة، حتى استقر بها المقام فى النهاية معاسرة تعيش فى ضاحية من ضواحى مدينـــة لوس انجلوس ، حيث بدأت حيـــاة « مارلين » تتخذ مسارا مختلفا وهى فى رعاية هذه الاسرة .

● ابن الجيران ! ●

كانت « مارلين » فى الخامسة عشرة من عمرها عام ١٩٤١ حين التقت بابن الجيران « جيمى دوجيرتى » الذى كان يكبرها باربع سنوات وكان عاملا صغيرا فى مصنع للطائرات .. وتزوجا بعد ذلك بعام واحد حين بلغت « مارلين » السن القانونيه التى يسمح فيها القانون الامريكى بزواج البنات .

« دوجيرتى » عمـره الان ٦٤ سنة ، جد لاربعة أحفاد ، يعيش فى مدينـــة صغيرة فى مقاطعة (نيو انجلند) ، وزوج سعيد مع زوجته الثالثة ، التى هى بعكس زوجته الثانية ، لا يضايقها أن تتحدث عن زوجته الاولى الشهيرة «مارلين مونرو » .. وان كان « دوجيرتى » نفسه يكره الاسئلة والخطابات التى لا زال حتى الان يتلقاها من كل أنحاء العـــالم ، والشهرة التى تحيط به فى كل مكان يذهب اليه فى أمريكا ، وتشير اليـــه باعتبار انه أحد أزواج « مارلين مونرو» !.

أدلى « جيمى دوجيرتى » بحـــديث لمراسل مجلة (تى فى تايمز) الانجليزية فى هوليوود ، الذى التقى به وهو يحتفل بعيد زواجه الرابع عشر من زوجتـــه الثالثة ومعهما عدد من أصدقاء الاسرة.. لكنه أصر طول الوقت على أن يتحدث عن زوجته الاولى باسمها الاصلى « نورما جين مورتنســون » وليس باسم « مارلين مونرو » .. فهى لم تصـــبح « مارلين مونرو » وتتخذ هذا الاسم الا بعد أن انفصلا بالطلاق ، لذا فهو لم ينادها أبدا بالاسم الذى اشتهرت به بعد ذلك طول عمرها .. يقول « دوجيرتى » :

ــ مارلين مونرو هذه شىء آخر تماما .. لقد تزوجتها وهى نورماجين ، وطلقتها وهى نورماجين ..

● أمنية لم تتحقق ابدا ! ●

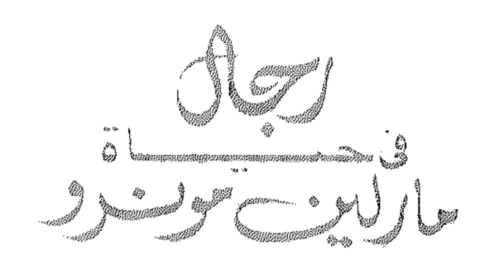
« دوجيرتى » يعتقد أن « نورما جين» قد تعذبت كثيرا فى حياتها ، بل وربما كانعذابها الاكبر بعد ان أصبحت «مارلين مونرو » .. وقد سألت أمها بالتبنى ام « دوجيرتى » حين تقدم للزواج مـن « نورما جين » ، ان كان « دوجيرتى » يريد ان يتزوج « نورما جين » فقط لكى ينقذها من مصير العودة إلى الملجأ !؟

يستطرد « دوجيرتى » قائلا :

ــ ظللنا أنا و « نورما جين » نخرج معا لفترة ، ثم طلبت الزواج منها.. وكنت أضع فى اعتبارى أننى ســـوف أطاب للخدمة العسكرية عاجلا ، فقــد كانت الحرب العظمى الثانية مستعرة فى ذلك الوقت ، لتكون « نورما جين » على الاقل قد وجدت مكانا تعيش فيه .

كان كل منا يحب الاخر كثيرا ، وكانت هى تتمنى ان تنجب طفلا ، لكننى كنت أضع فى اعتبارى أيضا احتمال ان ألقى مصرعى فى الحرب ، مما يجعل «نورما جين » اما لطفل ينشأ يتيما ولا زوج

● أين اختفت مذكرات "مارلين مونرو" التى كانت تدون فيها يوميات علاقاتها العاطفية ؟



الى جانبها .. لذا فقد طلبت منها أن تنتظر حتى اعود من الحرب سالما فننجب الطفل الذي تتمناه .. لكن أمنيتها هذه لم تتحقق ابدا .

ويضيف « دوجيرلى » :

ـ لقد كانت « نورما جين » عذراء حين تزوجنا ، على الرغم من انها هي شخصيا كانت تعتقد انها قد اغتصبت حين كانت تعيش مع اسرة أخرى كانت تتبناها قبل ذلك !! كانت بالفعل قد عاشت حياة تعيسة جدا في طفولتها وصباها قبل أن نلتقي .. وكانت أمها ولا زالت نزيلة مستشفى للأمراض العقلية حين تزوجنا .. لكن جنونها كان جنونا هادئا، لذا فقد طلبنا من ادارة المستشفى ان تسمح لها بالخروج لفترة قصيرة لتحضر فيها زواج ابنتها « نورما » ، فوضعتها ادارة المستشفى في الاوتوبيس واتصلت بنا تليفونيا لتبلغنا بموعد وصولها .. وذهبت أنا و « نورما جين » لكي ننتظرها على محطة الاوتوبيس في ضاحيتنا .. وحين رأيتها فزعت ، وعرفت كيف سيكون شكل « نورما جين » حين تصبح في مثل سن امها !! كانت امها شاردة الذهن تماما .. لم تكن أما طبيعيـة على الاطلاق ..

وكانت « نورما جين » قد ذكرت لي أن اباها كان مخرجا سينمائيا ، على الرغم من انها لم تحمل اسمه ابدا .. وكان اسم « مورتنسون » الذى تحمله كلقب بديلا عن اسم ابيها ، وهو اسم الرجل الذى كانت أمها تعيش معه حين ولدت « نورما » .. وفيما بعد تسمت « نورما جين » باسم « بيكر » الذى تزوجته أمها فيما بعد .. لكنها كانت متأكدة من ان ذلك المخرج السينمائي هو والدها الحقيقي .. وكانت تعسة جدا لانها حين استجمعت شجاعتها يوما ما واتصلت به تليفونيا ، رد عليها بخشونة وغلظة وانكر أبوته لها .. وحين عدت الى البيت يومها وجدتها منهارة تماما ، فاحتضنتها وظللت أهدئها وأسرى عنها وأهون عليها الامر حتى هدأت وعادت الى طبيعتها .

● وضعت عينيها على هوليوود ! ●

« جيمي دوجيرلى » اول ازواج «مارلين مونرو » يستطرد وهو يحكي حكايته معها:

ـ كانت « نورما جين » تعاني من ثلاث مشاكل : كانت أمينة ومخلصة ، كانت تثق في الناس الى حد كبير وتصدق كل ما يقال لها ، كانت شديدةالحساسية ويسهل التأثير عليها جدا من الاخرين .. حتى انني بعد طلاقنا بأعوام طويلة وكنت اتابع اخبارها في الصحف والمجلات ، فكرت يوما في أن ارفع سماعة التليفون واتصل بها لاقول لها : « هاللو نورما جين ، هل استطيع ان أساعدك بشكل ما !! » .. لكن زوجتي الثانية التى لم تكن تطيق سيرتها ولا تطيق ان تشاهد افلامها ولا ان ترى صورها المنشورة في المجلات ، وكانت تثار من مجرد ذكر اسمها امامها حتى من ناس لا يعرفون ان « مارلين مونرو » كانت زوجتي قبلها في يوم من الايام ، لم تكن زوجتي الثانية لتسمح لي بذلك .. وكان علي أن أحرص على السلام في بيتي .. رغم أنني كنت على ثقة من أن « نورما جين » كانت سترحب بي ، أو بأى شخص قوى مخلص وامين الى جوارها .. واعتقد انها كانت طول عمرها تبحث عن شخص تستطيع ان تثق فيه وتعتمد عليه دون ان يفكر فيها كمجرد جسد جميل مثير .

ويقول « دوجيرلى » أنه صدم حين فوجىء بزوجته الصغيرة « نورما جين » تطالبه يوما ما بالطلاق .

ـ فقد التقط لها احد المصورين



مارلين مونرو

مجموعة صور حين كانت تعمل في مصنع الطائرات الذي كنت أعمل به أنا قبل ذهابي للحرب ، لتوالت عليها العروض لكي تعمل موديلا للمصورين ، لكنها كانت قد وضعت عينيها على هوليوود .

وكانت آخر مرة التقينا فيها في مكتب مسجل العقود لكي نوقع أوراق الطلاق .. وقالت لي يومها أنها قد اتخذت لنفسها اسما فنيا هو «مارلين مونرو» .. وكانت هذه هي أول مرة أسمع فيها هذا الاسم .

ولم أتصل بها بعد ذلك الا مرة واحدة بعد نحو سنتين من طلاقنا ، لأنني كنت أيام زواجنا قد أهديتها سيارة وان كانت رخصة السيارة قد ظلت باسمي ، فارتكبت بها « نورما جين » عشرات من مخالفات المرور .. وحين وصلتني قسيمة المخالفات بمبلغ كبير لم أكن أستطيع أن أدفعه في ذلك الوقت من مرتبي المحدود كرجل بوليس فاتصلت بها لذلك الغرض .

مرة أخرى وحيدة رأيت فيها «نورما جين » بعد أن أصبحت « مارلين مونرو» حين كنت مع كثيرين من رجال البوليس مكلفين بحفظ النظام خارج (المسرح الصيني) في لوس انجلوس يوم افتتاح فيلمها « غابة من الأسفلت » عام ١٩٥٠ .. وشهدت «مارلين» عن بعد وهي خارجة من المسرح محاطة بالالاف من الجماهير ، لكنها طبعا لم تلاحظني في وسط ذلك الحشد الهائل من الناس الذين يحيطون بها اليوم.

● مجرد ذكرى حزينة ! ●

« دوجيرتي » يعتقد أن موت « مارلين مونرو » لم يكن مدبرا ولم يكن حتى انتحارا ، ولم يكن الا حادثا عارضا :

ـ لقد كان أحد زملائي في ذلك الوقت من بين رجال البوليس الذين هرعوا الى بيتها بمجرد أن عرفوا بخبر موتها ، وكان يعلم أن « مارلين مونرو » كانت زوجتي ، لذا فقد اتصل بي تليفونيا من بيتها في الرابعة صباحا ليبلغني بالنبأ ، فالتفت الى زوجتي الثانية الى جواري في الفراش وقلت لها : « صلي من أجل نورما جين ، فقد ماتت » !! ..

ولم أندهش حين عرفت أنها كانت قد اعتادت أن تتناول الاقراص المنومة والمهدئة وغيرها ، لكنها قطعا لم تكن تقصد الانتحار .. لقد كانت دائما تقول لي ونحن زوجين: «اذا تركتني يوما ما فسوف ألقي بنفسي من فوق كوبري سانت مونيكا » ، لكن ذلك كان مجرد تهديد ، وكان كل ما تريده هو مزيد من العطف والحنان . وكانت تلك هي مشكلتها الحقيقية ، فانها أبدا لم تحصل على العطف والحنان الذي أرادته ..

ويقول « جيمي دوجيرتي » على أن الناس لا يزالون كلما رأوه يتكلمون معه عن «مارلين مونرو» ، وأن ذلك لا يسعده وأن بناته أيضا لا يرحبن بالكلام عن زوجة أبيهم الاولى :

ـ انه جانب من حياتي ، لكنه قد مضى وانتهى ، حتى أنني لا أشعر بشيء على الاطلاق حين يعرض التليفزيون فيلما من أفلامها .. وحين تخطر « نورما

رجال في حياة مارلين مونرو

جين » على بالى فاننى افكر فيها كذكرى حزينة مرت بحياتى !.

الى الابد .. ناقص ٣ سنوات !!

وبعد طلاق « مارلين مونرو » من زوجها الاول « جيمى دوجيرتى » ارتبطت بعلاقات عاطفية متعددة مع مشاهير هوليوود فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات .. حتى التقت بلاعب ال (بيسبول) الشهير « جو ديماجيو » وتزوجا فى يناير عام ١٩٥٤ .. لكنه كان زواجا محكوما عليه بالفشل من البداية ، ولم يستمر الا تسعة شهور فقط انفصلا بعدها . فقد كان «ديماجيو» شديد الغيرة ، محبا للامتلاك ، شديد الترتيب والنظام ، مبالغا فى العناية باناقته ومظهره الى دوجة المرض .. وكان أهم شىء فى حياته هو دولاب ملابسه المنظم جدا وادوات زينته المرتبة جدا ، فى حين أن « مارلين مونرو » كانت فوضوية بطبيعتها وغير منظمة على الاطلاق ولم تكن تهتم كثيرا بمثل هذه الامور .. وكنت تستطيع أن تعرف فى اى غرفة من غرف البيت هى اذا تتبعت ملابسها المبعثرة على الارض فى كل مكان !!

كان جزءا من أسطورة « مارلين مونرو» أن « ديماجيو » ظل على حبه لها الى آخر يوم فى حياتها بعد ثمانى سنوات من طلاقهما ، وظل على حبه لها حتى بعد موتها .. وكان الى جوارها حين انهار زواجها من ثالث أزواجها الكاتب المسرحى «آرثر ميللر» ، وكان «ديماجيو» هو الذى نظم جنازة « مارلين مونرو »، وظل لمدة عشرين سنة بعد ذلك يرسل الزهور لتوضع على قبرها كل اسبوع..

لكنه بعد ان اصبح فى السبعين من عمره الان بدا يتحرر من الماضى ، او لعله قد بدا ـ بحكم السن ـ ينساه .. فمنذ ٣ سنوات توقف عن ارسال الزهور الى قبر « مارلين مونرو » كل اسبوع !.

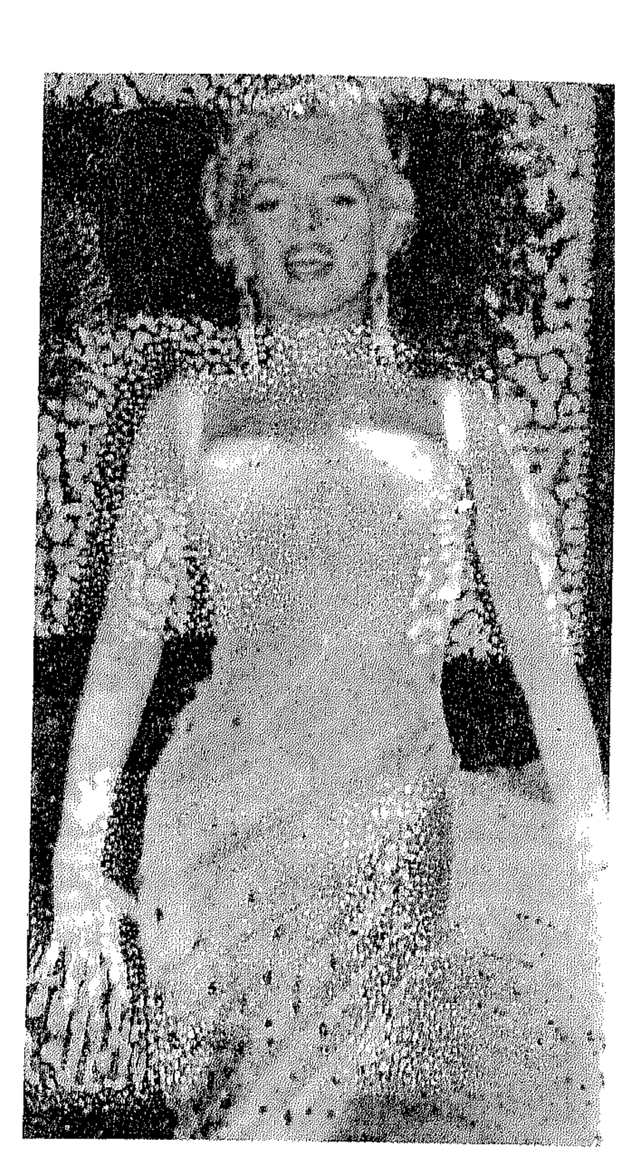
زواج كانه لم يكن !!

لكن بمجرد أن عرف بذلك الكاتب والمنتج السينمائى « روبرت سلاتزر » ، اتصل تليفونيا بنفس محل الزهور الذى كان « ديماجيو » يرسل منه الزهور كل اسبوع الى قبر « مارلين مونرو » ، لكى يكلفه بأن يستمر فى ارسال ٣ زهرات كل اسبوع الى قبر « مارلين » !.

« روبرت سلاتزر » نفسه يعتبر اضافة جديدة الى أسطورة « مارلين مونرو »، فهو يدعى انه و « مارلين » قد تزوجا فى مدينة (تيوانا) على حدود المكسيك عام ١٩٥٢ .. وان كانت « مارلين » قد ندمت على ذلك الزواج بعد حدوثه مباشرة ـ على حد كلام « سلاتزر » نفسه ـ حتى ان رجل هوليوود القوى المنتج «داريل زانوك »!قد أجبر « مارلين » و «سلاتزر» على العودة الى مدينة (تيوانا) مرة أخرى ليرشيا (أو ليرشوا) المحامى الذى عقد زواجهما لكى يلغى وثيقة زواجهما ويشطبه تماما من دفاتره كأنه لم يكن !.

« سلاتزر » ألف كتابا بعنوان (حياة مارلين مونرو وموتها الغامض) ، ادعى فيه أن الرئيس الامريكى « جون كيندى» قد تآمر على اخفاء معالم التحقيق فى وفاة « مارلين مونرو » فى ٥ اغسطس عام ١٩٦٢ .. قبل عام واحد من مصرع « جون كيندى » نفسه !!.

« سلاتزر » مقتنع تماما بأن « مارلين مونرو » ارتبطت بعلاقات عاطفية مع كل من الاخوين « كينيدى » : الرئيس « جون » ، وشقيقه النائب العام « روبرت » أو « بوبى » ، وأن «مارلين مونرو » قد لقيت مصرعها ـ ولم تنتحر ـ حين بدات اخبار علاقتهما بالاخوين « كينيدى » تتسرب الى الصحافة الامريكية .. وقد امضى « سلاتزر » عشرين عاما



يبحث وينقب في تقارير البوليس التي أعقبت الوفاة مباشرة ، ويقول أنه قد وضع يده على كثير من أوجه النقص التي شابت هذه التقارير .. وقد استعان ((سلاتزر)) في تحرياته هذه بالعديد من المخبرين الخصوصيين .

● زواج العقل والجسد ●

في عام ١٩٥٦ تزوجت « مارلين مونرو » من « أرثر ميللر » .. وقد علقت الصحف والمجلات الامريكية وقتها بأن : (العقل الامريكي الرائع قد تزوج الجسد الامريكي الرائع » !!

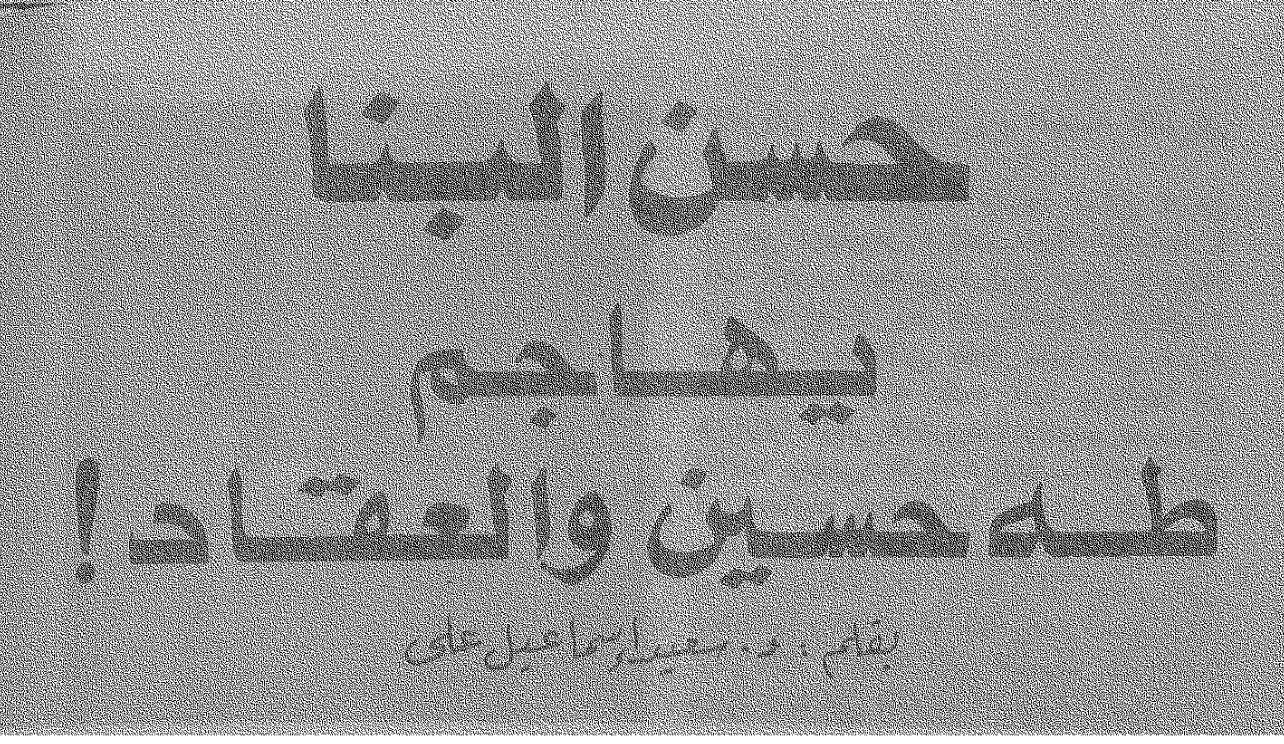
واذا كان زواج « مارلين مونرو » من « جو ديماجيو » كان مثيرا للدهشة ، فقد كان زواجها من « آرثر ميللر » بعيدا عن اي تصور .. فقد كانت « مارلين » عاطفيا اقرب الى طفلة منها الى امراة ناضجة .. وقد ظنت انها بزواجها من « آرثر ميللر » سوف تكتسب بعض ثقافته وبعض فكره ، وظنت أنه قد فهم مفاتيح شخصيتها .. لكن ظنها قد خاب ، فقد كان « ميللر » أكبر منها بعشر سنوات ولم يستطع ان يصبر على شطحاتها وتقلبات مزاجها وعدم استقرارها ..وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير في زواجهما هي العلاقة العاطفية الصارخة، التي لم تحاول « مارلين » أن تخفيها ، مع الممثل الفرنسي « ايف مونتان» خلال تصوير فيلم « دعنا نحب » عام ١٩٥٩ .. فكانت النتيجة انفصال « مارلين » ، و « آرثر ميللر » ..

● اين اختفت المذكرات !! ●

وسارع زوجها الثاني « جو ديماجيو » ليكون الى جانبها بعد طلاقها من « آرثر ميللر » ، وكذلك فعل « فرانك سيناترا» .. وسرعان ما سرت الاشاعات بأن « سيناترا » كان هو الذي قام بتعريف « مارلين مونرو » بالاخوين « كيندى » ومهد لهما الطريق عندها !

ويزعم « سلاتزر » أن « مارلين » كانت تدون مذكرات يومية عن علاقاتها العاطفية .. وقد اختفت هذه المذكرات تماما ولم يعثر لها على أثر أبدا !! ويقول ان « روبرت كيندى » كان في بيت «مارلين مونرو » ليلة وفاتها !! ..

والحقيقة أن لا احد سوف يعرف بالضبط كيف ولماذا ماتت ((مارلين مونرو)) في تلك الليلة .. والرجال الذين كانوا يحيطون بها في حياتها سيظلون فقط يخمنون .. وكذلك سوف يفعل ملايين المعجبين الذين لم ترهم ((مارلين مونرو)) ابدا في حياتها .!



كان عام ١٩٢٥ حقا هو عام الزلازل الفكرية التي اصابت الحركة الفكرية في مصر باضطراب عنيف ، ففي هذا العام اصدر الشيخ علي عبد الرازق كتيبه المعروف ب (الاسلام واصول الحكم) الذي لم يتعد حجمه حجم محاضرة طويلة واحدة على وجه التقريب ، ولم يكن الانفجار الذي احدثه راجعا الى محتواه فقط ، فكم من افكار لاتقل عن افكاره ، خطورة ، اذيعت ونشرت ومع ذلك لم تحدث مثل هذا الانفجار ، وانما الظروف التي احاطت به هي التي (صعدت) و (نفخت) في (الشرارة) التي اطلقها ، ذلك ان مؤلف هذا الكتاب ، كان ابن الرجل الذي عرض عليه الانجليز عرش مصر بعد وفاة السلطان حسين كامل، فرفضه، وقبله الملك فؤاد. كذلك كان المسلمون ما زالوا يعيشون في ذهول احدثه الغاء الخلافة مما اسال لعاب بعض الملوك والامراء وفي مقدمتهم الملك فؤاد كي يتطلع الى ان تعود الخلافة على يديه .

وشهد عام ١٩٢٦ ظهور كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي» الذي احدث دويا مروعا ادى الى تكاثر أصابع الاتهام لطه حسين في علمه وفي دينه . ولسنا في معرض معاودة الحديث من المعركة التي احدثها ، فقد ناءت بها الهر الكتب والابحاث والدراسات ، ولكننا نعرض هنا لموقف هام لا من هذا الكتاب وحده ، وانما من « شخصية » المؤلف في مجملها بسبب هذا الكتاب ، والجديد هنا هو شخصية المهاجم الناقد ، فهو « حسن البنا » مؤسس جماعة الاخوان المسلمين

وانما من اجل المزيد من الثورة عليه، وسعيا نحو محاصرة فكره .

والملاحظ ان حسن البنا لا يسوق ما يقول من اراء على انها تمثل وجهة نظرة هو ، وانما يقولها باعتبارها تعبيرا عن « شعور كل مسلم وعاطفة كل مؤمن وواجب كل مصرى غيور على الدين والخلق » وبمنطق العلم ومنهجه نجد ان شيخنا قد تجاوز حدود ما له من صلاحيات ، فللمرء ان يعبر عما يراه من رأى مستندا الى الحجة والبرهان والدليل المنطقى، لكن ما لايقع فى هذا النطاق ان يؤكد أنه انما يعبر عن رأى « كل الناس ».



الشيخ حسن البنا

كذلك مما نلاحظه على ما ساقه الشيخ البنا من اراء ، انها اتجهت بصفة اساسية الى « شخص » طه حسين فى جوانبه المتعددة موجها اليه سهام النقد الذى يصل الى درجة التجريح ، لكنه لم يناقش الكتاب الذى هو موضع الهجوم الاصلى الا بعبارات عامة .. وربما يكون الشيخ فى ذلك عازفا عن ترديد ما سبق ان قيل فى نقد الكتاب مما لانستطيع ان نقطع به .

ان البنا يعتمد فى كلماته على قرار النهاية العمومية المصرح بان هذا الكتاب « خطا محض فى مادته وفى اسلوبه فى معانيه وفى مؤلفه . واذا كان الامر كذلك « فهل يسوغ لنا بعد كل هذا ان نتاخر فى انفاذ حكم الاعدام على هذا الكتاب » وهنا لا يرى البنا مسوغا للنقاش والحوار حول الكتاب انكارا ومنهجا بحجة ان ذلك انما هو من مصلحة العلم وحركة الفكر والثقافة التى تزدهر بالمزيد من المناقشة والحوار ، وفى عبارات حادة وتعميمات كاسحة واتهامات ساخنة يتساءل البنا : « فهل سمع احد أن من مصلحة العلم ان يكون الجهل مصدرا من مصادرة ومادة من مواد ينبع منها ويؤخذ عنها ، وان يعتذر اخر

الذى لم يقف فى هجومه على طه حسين وحده ، وانما تناول بالنقد والهجوم ايضا عباس محمود العقاد لانه وقف بجانب طه حسين انطلاقا من مبدأ حرية الفكر بغض النظر عن محتوى الكتاب .

وقد اورد حسن البنا هجومه هنا فى مقال نشرته مجلة « الفتح » التى كان يصدرها الداعية الاسلامى المعروف « محب الدين الخطيب » ، وذلك فى العدد « ٢٠٢ » الصادر فى ٨ المحرم عام ١٣٤٩ هـ « يونية ١٩٣٠ » .

● البنا ينتقد تاخير اعدام كتاب « فى الشعر الجاهلى » ●

فبعد مرور شهور قليلة على بداية عام ١٩٣٠ اثار النائب « عبد العزيز الصوفانى » فى مجلس النواب مناقشة حول موضوع طه حسين اشترك فيها كثير من النواب ، وقد تناولت امرين هامين : اولهما الإبطاء فى اعدام كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وثانيهما وجوب اخراج المؤلف من الجامعة وابعاده عن التدريس . ولهذا ينتهز حسن البنا هذه الفرصة ليتقدم من خلال مقاله بعدد من الملاحظات الى هؤلاء النواب الثائرين على طه حسين لا لانتقاد ثورتهم

حسن البنا يهاجم طه حسين والعقاد!

بحرية الفكر ، ولم يقل احد ان معنى حرية الفكر ابطال الحق واخفاق الباطل وخرق النواميس وانتهاك حرمات الشرائع والقوانين والاساءة الى اربعمائة مليون من المسلمين كمافعل صاحب هذا الكتاب

● ضرورة استمرار النقاش ●

والحق اننا نختلف مع طه حسين فى بعض ما ورد فى كتابه هذا خاصا بالتشكيك فى أخبار القران عن ابراهيم واسماعيل لكننا نختلف ايضاً مع البنا فى استنكاره ان يستمر الحوار والنقاش حول افكار الكتاب ، كما نختلف مع منطق المصادرة فضلا عن « الاعدام » .. اننا نذكر هنا بدعاوى الكفرة والملحدين والمشركين وكيف كان القران الكريم يعرضها تفصيلا ويناقشها ، فما بال حسن البنا يقف هذا الموقف من اصحاب الفكر المخالف ويطالب بايقاف النقاش حوله ومصادرته ؟ هل يبرر هذا بصدور قرار من النيابة بذلك ؟ ربما ! ، لكن الذى نراه — ولا نزعم أنه هو الصواب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — ان التعقيب والنقاش فى الاحكام الجنائية والمدنية قد يكون مكروها ، لكن القضايا الفكرية تختلف عن ذلك ، ولا يجب أن يتوقف النقاش فيها مادام يكشف عن حجج جديدة ويشير الى زوايا لم تثر من قبل .

والبنا لا يكتفى بطلب اعدام كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وانما بان يمتد قرار المصادرة الى الطبعة الاخرى المعدلة من الكتاب والتى ظهرت بعنوان « فى الادب الجاهلى » لانه ، كما يؤكد البنا « لا يخالف سابقه الا بالتسمية » .. ووزارة المعارف اذا استجابت الى نداء البنا « لتكون بذلك قد احترمت قرار



عباس محمود العقاد

المجلس واعتبرت قول لجان انتدبتها من خيرة رجالها فحكمت على الكتاب بما يستحق واحسنت الى العلم وانقذت طلبته من مهاوى الحيرة والضلال » .

● اقصاء طه حسين عن التدريس ●

ولنا ان نتساءل بعد ذلك لماذا كان حسن البنا حريصا كذلك على الدعوة الى اقصاء طه حسين عن التدريس والجامعة ؟

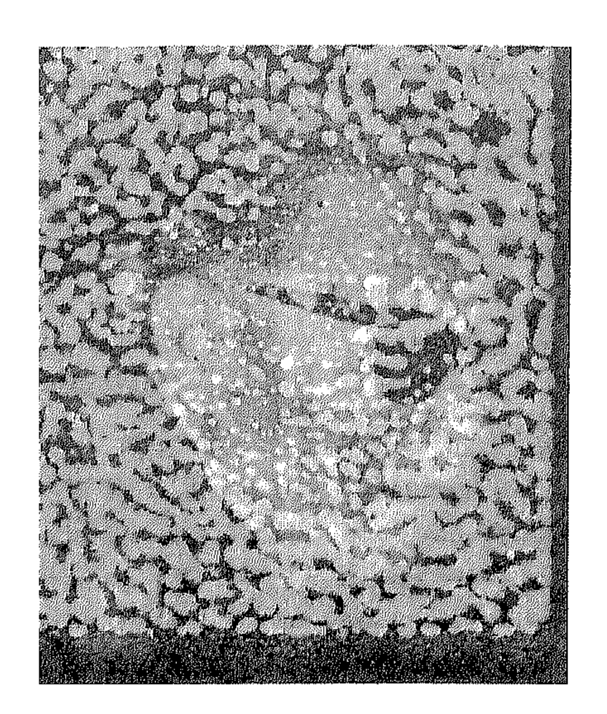
انه يستند فى ذلك الى ان المدرس ينظر اليه من جهات ثلاث:

— من مواهبه الخاصة فى المادة التى يقدمها لتلاميذه

— ومن طريقته فى التفكير

— وما يبثه فى نفوس طلبته من اخلاقه وطباعه .

ثم يبدأ بعد ذلك فى تطبيق هذا المعيار على طه حسين مؤكدا انه « متهم فى ذلك جميعا » فطه حسين — فيما يقول البنا — « لا يحسن الشعر وان حاول ذلك ، فاتى بالغث المتكلف الذى يمجه الطبع ويستثقله السمع ويستشهد



طه حسين

البنا على حكمه هذا بلامية طه حسين التي يقول فيها :

مالى وما للبدر اطلب وده .
بل ما لافلاك السماء ومالى
لا در در المال لو لم يدخر
لبناء مكرمة وحسن نمال
لادر در المال لو لم يدخر
الا للذات الطوق والخلخال
لادر در المال لو لم يدخر
الا لنيل مراتب الاجلال

الى اخر ما قال من هذا النظم « المهلهل النسيج المتنافر اللفظ الضئيل الغاية » .ولا نستطيع ان نزعم لانفسنا علما او خبرة بنقد الشعر حتى نحكم لاى الطرفين ، وانما يقف جهدنا هنا عند حد « النقل» الى القراء.

كذلك يؤكد البنا ان طه حسين « لا يجيد اسلوب الكتابة اذا حكمته الى الذوق العربى والبلاغة العربية وقسته بما وضعه الائمة من اوزان البيان ومقاييسه » ، اما فى غير ذلك من حشو القول والاتساع فيه واطالته بالتشدق والتفيهق « فالرجل فى ذلك لايشق له غبار » !!

ومن صور نقد البنا لطه حسين طعنة فى أهليته وقدرته على النقد الادبى ، وهو الامر الذى يثير الدهشة حقا، فمهما اختلف انسان مع طه حسين، الا ان هناك ما يشبه الاجماع على ان الرجل علامة كبرى فى تاريخ النقد ، لا يقلل منها ماشاب بعض نقده من غلو اعترف به بالنسبة الى بعض الادباء فالمطاحنات الحزبية والمعارك السياسية ، والمنافسة الصحفية ، كل ذلك وغيره كان له دوره فى بعض هذا الغلو ، يقول البنا : « وما هو بالناقد الذى يحسن النقد الصحيح فى الشعر والنثر، وان احسن التهجين والتجريح والزراية على غيره من الادباء والكتاب »ويسوق شيخنا مثالا .يؤيد به وجهة نظره باحد ابيات شوقى فى ميميته التى يقرظ بها ترجمة احمد لطفى السيد لكتاب ارسطو «الاخلاق» :

يا لطفى انت هو الصدى
من ذلك الصوت الرخيم

فهنا يقول البنا ان طه حسين يفهم من هذا ان الشاعر يقول ان ارسطو كان ذا صوت رخيم ، وانه لا هو ولا شوقى سمع هذا الصوت ، ويعلق البنا بان ناقدا لا يدرك ما هذه الاستعارة البليغة من عذوبة وجمال وتناسب ، « لحرى به ان يدع النقد لاهله وان يعلم ان دعواه فيه كدعوى ال حرب فى زياد » . وانه ليحدونا الامل حقا ان يقوم احد الباحثين بالتحقيق فى هذا الموضوع ■

لم يطعن حسن البنا فى « علم » طه حسين بتاريخ العرب ، يسوق هذا الاتهام الخطير دون أدلة وبغير حجة الا ان طه حسين « لم يتلقه من استاذ ، ولم يلم به فى مدرسة وانما علم من ذلك ما ويعلق بذهن من يطالع كتب الادب لا ليدرسها ولكن ليقراها » ■

ذلك من ناحية مواهب استاذ الجامعة فى الادب العربى وتاريخه ، واما من ناحية ◄

حسن البنا يهاجم طه حسين والعقاد!

ما يقدمه لتلاميذه من المادة ، لقد كانت باكورة ذلك كتاب « فى الشعر الجاهلى» « وقد حكم عليه عقلاء الامة وادباؤها بالخطأ والضلالة وكشف المحققون من الادباء الفضلاء عن مخازى ومعايب فيه يبرأ منها العلم ، وايد ذلك حكم القضاء » .

وعندما ينتقل البنا الى طريقة طه حسين فى التفكير وما يبثه فى نفوس طلبته من طبائعه واخلاقه ، نجده يقول « فما علم الناس من ذلك الا الشك والحيرة والانسلاخ عن العقيدة والدين وتسمية ذلك منهجا علميا » .

وينتهى من هذا كله ليتساءل : « فاى شىء بعد ذلك يسوغ بقاء امثال هذا المدرس فى منصب كبير كمنصبه الحالى » ؟

● لوم العقاد ●

ومن المعروف ان العقاد قد وقف بجانب طه حسين فى هذه المعركة الطاحنة ، ويستنكر البنا ان يصف العقاد طه بانه « نابغة الدهر ونادرة العصر ، وانه لا يمكن لاحد ان يسد فراغه او يملأ مكانه او يدرس الادب كما يدرسه ، وانه قرأ كتابه فلم يجد فيه ما يمس الدين والاخلاق » ان هذا الوصف يستثير حسن البنا فينحى باللائمة على العقاد الذى يبدو من حديثه انه يكن له تقديرا واعجابا ..

انه يخاطب العقاد مستصرخا اياه بان يتراجع عن هذا الذى يقول لانه يتضمن اتهاما خطيرا الى رجال وزارة المعارف الذين تخصصوا بدراسة هذه المسألة « وفيهم أساتذة الدكتور طه واولياء نعمته » ، ويطعن العقاد ايضا بقوله هذا «فى تصور البنا » فى تقارير تلك اللجان التى انتدبتها الوزارة لفحص الكتاب فحكمت عليه « بالخطأ والتجهيل واظهرت معايبه فى عشرات المواضع » ، كذلك حذر البنا العقاد من ان قوله السابق يعنى ايضا حكما على الامة « بالجدب الادبى » حيث قال ان طه هو الوحيد الذى يستطيع ان يدرس الادب .

وعلى الرغم من تقدير البنا للعقاد ، الا انه لم يسلم من بعض النقد حين قال للعقاد ان حكمه السالف على رجال الادب فى مصر من نوع حكمه السابق على شوقى وحافظ ابراهيم « وهما مفخرة ادب العرب » ، اذ من المعروف ان العقاد قد حمل حملة شعواء على شعر الرجلين . ثم يختم عبارته بان يطلب من العقاد « فاستغفر الله والامة ورجال الادب عن دفاعك عن هذا الدكتور (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ، ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما)) .

وينكر البنا على العقاد ان يحكم بان كتاب « فى الشعر الجاهلى » ليس به ما يمس الدين والاخلاق ، وحجته فى ذلك ان العقاد ليس من (اهل الدين المتخصصين) ، فاذا كان هؤلاء قد افتوا بغير ما قال العقاد فايهما نتبع ؟ الاجابة عند البنا « اليس من الانصاف والواجب عليك وعلينا ان نتبع هؤلاء فى شىء هم اخبر الناس به » . ويسوق البنا المثال الخاص بقصة ابراهيم واسماعيل وتكذيب طه حسين للقرآن والتوراة والانجيل فى روايتهم لها ، او على اقل تقدير ، فان رواية هذه الكتب المقدسة لها لا ينهض دليلا كافيا على صحة حدوثها . كذلك يضرب البنا المثل بما ذكره من انكار طه حسين لصريح الاحاديث الصحيحة « وتعطيل احكامها والخلط فى الاغراض والانساب والنتائج والاسباب » .

ولم يكتف البنا بذلك لاقناع العقاد بخطأ دفاعه عن طه حسين ، اذ يعود الى محاضر جلسات مجلس النواب السابقة لينقل منها بعض صور النقد ، فمن ذلك ما جاء فى جلسة ١٩٢٨/٩/١٣ على لسان الاستاذ عبد الخالق عطية فى هذا الشأن فكانت شهادته على الكتاب « انه ذلك الذى تضمن طعنا ذريعا على الموسوية الكريمة والعيسوية الرحيمة وعلى الاسلام دين الدولة المصرية بنص الدستور » . وكانت شهادته على المؤلف « ان تصرفه كان مخالفا للذوق اذ لم يكن من المفهوم ولا من حسن الذوق ان يقوم هذا الشخص فيبصق فى وجه الحكومة التى يتقاضى مرتبه من اموالها بالطعن على دين رعيتها من اقلية واكثرية ، وان على الذين يريدون حرق بخور الالحاد ، ان يحرقوه فى قلوبهم ، اما ان يطلقوه فى اجواء دور العلم ومنابر الجامعة ، فهذا مالا يمكن أن يفهم بحال من الاحوال » .

كذلك ينقل البنا جزءا من نص كلمة للشيخ القاياتى ، جاء فيها : « لقد جاء فى هذا الكتاب تكذيب صريح للقرآن ، ونسبة جريمة للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه متحايل ، وكذب صريح على التاريخ لا يجوز ابدا ان يهمل ، ولا ان نترك صاحبه دون تدقيق معه فى البحث ويكون حسابنا معه عسيرا . ان الدولة اعلنت فى دستورها انها دولة اسلامية ، وان دولة اسلامية لا تحافظ على دينها من ان يمس ولا على كرامتها ان تجرح ، لهى دولة أعوذ بالله ان تكون مصر من امثالها » .

وينتهى البنا فى مقاله هذا ، بالاضافة الى دعوة العقاد بان يتخلى عن الدفاع عن طه حسين ، الى توجيه الدعوة ملحا الى اطراف القضية من النواب ووزير المعارف استنادا الى ان الكتاب « مبتذل ممقوت ، والمؤلف متهم فى عقيدته ومبادئه والادباء غيره كثير » ومن ثم فلا مناص من ان « تعدموا الكتاب » ويطالبهم كذلك « واقصوا المؤلف عن بث تعصبه على الاسلام فى ابنائنا .. وايدوا الحق واريحوا الطلبة والامة من هذا العبء الثقيل » ..

وهكذا تمر الاعوام والسنون ، والحديث عن هذا الكتاب لا ينقطع ، وتلك مسيرة الاعمال الفكرية العملاقة مهما اختلفنا مع بعض ما جاء فيها ■

كلمات عاشت

- « ان فضيلة الرجل المستقيم احب عند الله من قربان الرجل الظالم » .

نصيحة فرعون الى ابنه فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد

- « الرجل الفاضل هو الذى يتخذ العدالة نبراسا له » .

من اقوال بتاح حتب ق٢٧ ق . م

- « ان العدالة خالدة ، تهبط مع من يقيمها الى القبر ، ولكن عدالته لاتمحى ابدا » .

من اقوال الفلاح الفصيح ق ٢٢ ق م

- « يا امون انت الينبوع الذى يروى الظمأ فى الصحراء ، وهو ينبوع موصد لمن يتكلم ، ومفتوح لمن يتذرع بالصمت ، وحينما يأتى الصامت ، يجد الينبوع » .

حكيم مصرى ١٠٠٠ ق . م

اليقظة الإسلامية لماذا؟

بقلم: د. محمد عمارة

قديما كان المؤرخون يتحدثون ، فى تعجب ، عن عمر الغزوة الصليبية (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) الذى امتد نحو قرنين من الزمان .. واليوم من حقنا أن نقول . إن عمر الغزوة الاستعمارية الحديثة - التى بدأت بحملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) على مصر (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م) - يقترب الآن من هذا الزمن المديد ؟!

وإذا كانت الغزوة الأولى قد قادتها الكنيسة الكاثوليكية ، وأعطتها "البابوية" "شكلا" دينيا حاولت به ستر أغراض النهب والقهر والإبادة والاستغلال .. فإن الغزوة الحديثة - التى نواجه اليوم أشكالها وتحدياتها الجديدة - وإن قادتها حكومات الغرب العلمانية ، إلا أنها لم تبرأ من الروح الصليبية ، وخاصة عندما يكون تعاملها مع الاسلام والمسلمين !..

بل إن إمعان النظر فى مقارنة الأخطار التى حملتها هذه الغزوات إلى وطن العروبة ودنيا الشرق وعالم الإسلام ، يلفت الانتباه إلى تفوق هذه الغزوة الحديثة على سابقتها الصليبية بكثير .. فلقد كان الصليبيون فرسان إقطاع برابرة ، قذفت بهم إلى بلادنا أوطان تعيش عصورها الجاهلة . المظلمة ، فلم يحملوا معهم ما يغرى بتقليدهم ، حتى وإن أحرزوا بميدان القتال بعض الانتصارات ، وأقاموا فى قلب وطننا العديد من الممالك والامارات .. لقد كانوا ـ كما وصفهم السياسى والفارس والمؤرخ . الذى عاصرهم : أسامة بن منقذ [٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ ـ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨ م] ـ كانوا «بهائم» ليس لهم من «الفضائل» إلا «فضيلة القتال» ؟! ... ولذلك ، فإن بلادنا لم تعرف خلال عمر تلك الغزوة . الصليبية ولا فى أعقابها مايسمى ب «الغزو الفكرى» و«الهيمنة الحضارية» و«مخاطر التغريب» .. كانوا مجرد فرسان إقطاع ، احترفوا الإبادة لإقامة كيانات استيطانية تدر لهم "لبن الشرق وعسله" تحت ستار "الصليب" .. ولقد استنفر خطرهم هذا روح القوة العسكرية فى الامة ، فأسلمت الزمام لدول العسكر : الزنكية (٥٢١ ـ ٦٤٨هـ ـ ١١٢٧ ـ ١٢٥٠ م) والأيوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ ـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م) والمملوكية (٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ ـ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م) حتى إذا ماتمكن السلطان الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ ـ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) من إزالة أخر حصونهم فى عكا (٦٩٠ هـ ـ ١٢٩١ م) زالت ، يومئذ ، جميع الآثار التى ارتبطت بليل غزوهم الطويل .. لقد كان "حديدهم" : عسكرا وفرسانا ، فَفَلَّه ذات "الحديد" : العسكر والفرسان .. ولم تشهد الساحة معارك للفكر تطلبتها أحداث ذلك الصراع !..

أما مع الغزوة الاستعمارية الحديثة ، فلقد اختلف الحال ـ فى هذا الأمر ـ كل الاختلاف ..

● فموجات هذه الغزوة قد قذفت بها أوربا الناهضة المتحضرة . ومن هنا كانت الجيوش الغازية مسلحة "بفكر" الثورة الصناعية مع ثمرات "قوتها" ، ومزدانة بثمرات الإنجازات التى أحدثتها الحضارة الأوربية المزدهرة فى ميادين الفكر والعلوم والفنون والآداب .. فكان لها بريق وإغراء لدى الأمم التى هزمت ، يتعدى حدود الانتصار فى ميادين القتال !..

● ولقد فاجأت هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة بلادنا قبل أن تعالج ، ذاتيا ، أسباب تخلفها وجمودها وتراجعها الحضارى فى ظل تسلط المماليك وسلطان العثمانيين .. فصادفت التأثيرات الغربية : فراغا فى "الفكر الحى" ، كما صادفت فراغا فى "القوة المقاتلة" .. ففكرية العصر المملوكى العثمانى الطويل كانت قد غلبت عليها الشعوذة والخرافة والاغراق فى "الشكل" الذى أهمل الجوهر وقتل المضمون ، وكادت الصلة أن تنقطع بين هذه الفكرية وبين إبداع عصر النهضة والازدهار لحضارتنا العربية الاسلامية .. ناهيك عن إغلاق باب الاجتهاد ، الذى حرم الأمة من إبداع الجديد ، فافتقدت "إبداع السلف" و "إبداع الخلف" كليهما ، وانكفأت على ركام من الركاكة والحكاكات اللفظية ..

الامر الذى اتاح للغزوة الاستعمارية الحديثة فرصة ذهبية على الجبهة الفكرية ، ماثلت ماأتاحه لها جمود الفرسان المماليك عند فنون القتال وادواته التى عفا عليها الزمان "

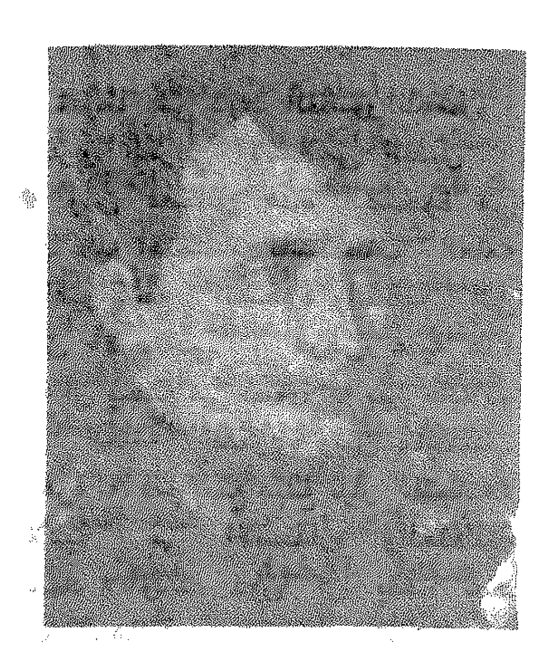
● تغريب العقل العربى ●

● **ولقد وعت هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة** دروس الصراع الذى دار بين **أسلافنا** وأسلافها فى الحقبة الصليبية . **وأيقنت** أن الاحتلال العسكرى لابد ، **يوما** ، وأن يستنفر قوة الامة فتجليه . وأن **النهب** الاقتصادى لابد ، يوما ، وأن يستفز **المصالح** فتتحرر منه .. وأن القوة المادية لا تضمن التبعية الدائمة .. فسعت بالغزو **الفكرى** ، وبتغريب العقل العربى والمسلم **إلى** تحويل هذه الامة ووطنها كى تصبح **"هامشا حضاريا"** للغرب ، وذلك حتى **تكون** تبعيتنا "للمركز الغربى" موقفا **نسعى** نحن إليه ، ونبذل فى سبيله المال **والجهد** ، فنريح الغرب من الجهد **والنفقات** ، وتتأبد تبعيتنا له فى السياسة **والأمن** والاقتصاد !!..

ولذلك .. وبسبب من هذا الطابع **الحضارى** لصراع امتنا مع هذه الغزوة **الاستعمارية** الحديثة اتسعت وتعددت **ميادين** المواجهة عن مثيلاتها إبان حقبة **الغزوة** الصليبية .. وإذا كان القانون الذى حكم صراع امتنا مع اعدائها التاريخيين ومع التحديات التى فرضها عليها هؤلاء الأعداء قد علمنا **أنها امام المخاطر والتحديات تكشف عن جوهر معدنها الاصيل والصلب** . وتعود إلى ذاتيتها **فتعتمد عليها** . وتبحث عن امضى مافى **ترسانة اسلحتها فتتسلح بها . وتمد البصر والبصيرة إلى اسرار تفوق الخصم فتجاهد لامتلاكها . ثم تنهض لمواجهة المخاطر والتحديات بجماع خير التالد والطريف واحسن مافى الموروث والوافد** .. إذا كان هذا هو **القانون** الذى حكم الصراعات التاريخية **لامتنا** ، فلقد عمل عمله فى هذه المواجهة **المتميزة** مع "قوة" الحضارة الغربية ، **ومع** "فكرية" هذه القوة الغازية منذ مطلع **عصر** الاستعمار العربى الحديث '..

لقد تعلمت هذه الامة عبر تاريخها مع **التحديات** التى فرضها عليها اعداؤها **التاريخيون** أن الإسلام - عقيدة **وحضارة** - هو ذاتيتها المتميزة ، وهويتها **الخاصة** ، وحصنها الذى تتحصن به امام **المخاطر** العظمى ، وتنطلق منه وبه **لمواجهة** التحديات .

وأمام جديد هذه الغزوة الاوربية **الحديثة** ، المتمثل فى مخاطر التغريب **وسحق** الهوية الحضارية ومسخ التميز **القومى** .. كان لابد من سلاح جديد . **وبالأحرى** ميدان جديد تقوم فيه مواجهة **لم** تقم بيننا وبين الغرب إبان الحروب **الصليبية** .. **لقد كانت "وا إسلاماه"** . **فى تلك الحقبة الغابرة صيحة فارس فى ميدان القتال بين الجيوش .. لكن .. أما وميادين الصراع فى هذه الحقبة الحاضرة قد شملت الفكر مع الحرب . واحتاجت القلم مع السيف . فلقد تعددت الميادين لصيحة "وا إسلاماه"** .. ووجدت الامة ان انتصارها



نابليـون بونـابرت

على هذه الموجة الاستعمارية الجديدة يتطلب اليقظـة والبعث والاحيـاء والنهضة لا فى العسكرية وحدها - كمـا صنع الزنكيون والايـوبيون والمماليك فى مواجهة الصليبيين - وإنما ، أيضا ، فى صياغة "البديل الحضارى" ، الذى يضمن للامة - مع الخـروج من الانحطاط المملـوكي العثمـانى - الحفاظ على الذاتيـة الحضارية والقومية فى مواجهة المسخ والنسـخ الذى تمارسه الحضـارة الغربية المتعالية تجاد ماعداها من الحضارات .. ولهذا السبب ، قبل غيرد من الاسباب ، اتخذت مواجهة أمتنا لهذه الغزوة الاستعمارية الحديثه صورة اليقظة والصحوة الاسلامية ، التى تجاهد لبلورة المشروع الحضارى المتميز ، باعتباره طوق النجاة للامة من مخاطر التحديات التى فرضها عليها الغزاة المحدثون ..

ذلك هو المنطلق الحقيقى ، والفاعل الأول ، والسبب الجوهرى للصحوة الاسلامية ، التى تتوالى موجاتها ، وتتعدد قياداتها ، وتتمايز اطروحاتها ، وتضطـرب ساحتهـا بـالجمـاعـات والفصائل والتيارات منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحـديثة وحتى هـذا التاريخ !..

● فصائل الصحوة الاسلامية ●

وإذا كانت تيارات وجماعات وفصائل هذه الصحوة الإسلامية قد اجتمعت - مخالفة فى ذلك من "تغرّب" من "نُخب" هذه الامة وقياداتها -.. اجتمعت على

١ - رفض الهيمنة الحضارية الغربية ، والاستنكاف عن الذوبان فى فكرية الغرب ..

ب - التحصن بالذاتية الموروثة كسبيل عاصم من مخاطر التغريب ..

فإن هذه الفصائل قد تمايزت فى الموقف من "الوافد الغربى" ، وأيضا من "الموروث" ..

● فمن المؤسسات التقليدية العتيقة والعريقة من رفض "كل الغرب" ، دون تمييز بين ماهو مناقض من فكريته لثوابتنا الحضارية المكونة لهويتنا المتميزة ، وبين إبداع الغرب فى ميادين ومعارف وعلوم من الممكن أن تمثل بالنسبة لنهضتنا المأمولة عوامل قوة لا غنى عنها فى مواجهتنا معه .. كما وقفت فى وعيها بالموروث عند عصر الركاكة والجمود والانحطاط .. فكان لها شرف الرفض للتبعية والاستعصاء على الذوبان ، دون

ان تمتلك صلاحيات بلورة البديل القادر على ملء الفراغ ومنافسة التغريب ، فأتاحت ، بهذا العجز والقصور ، لفكر الحضارة الغربية أن يكسب المواقع فى صفوف "النخبة" ، فتبلور "تيار التغريب" !..

● ومن فصائل هذه الصحوة من وقفت به رؤاه عند العوامل المحلية والاقليمية التى أفرزته ـ كالدعوة الوهابية ، مثلا ـ.. فكانت "مؤذنا" باليقظة ظل صوته غريبا عن اسماع الذين تجاوزوا طور البداوة التى نشأ فى محيطها إمام الوهابية محمد ابن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ ـ ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م) ؟!..

● ومن فصائل هذه الصحوة ـ كتيار "الجامعة الإسلامية" ـ الذى تبلور من حول جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ ـ ١٣١٥ هـ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) ـ من جسد مشروعه للنهضة أكثر الأطروحات نضجا وأجدرها .بالوفاء بما على هذه الصحوة من مهام .. فلقد انطلق ـ فى ولائه للموروث ـ من المنابع الجوهرية والنقية ، ومن ابداع عصر الازدهار لحضارتنا العربية الاسلامية ، متخذا الموقف النقدى من فكرية عصر التراجع والجمود ، ومن المؤسسات التقليدية التى وقفت عندها .. أما فى الموقف من ابداع الحضارة الغربية فلقد ميز هذا التيار بين عوامل القوة التى لا غنى لنهضتنا الاسلامية عن استلهامها وتمثلها ، وبين الثوابت المادية التى مثلت وتمثل هوية الحضارة الغربية ، وهى التى تهدد تميزنا الحضارى وهويتنا القومية بالمسخ والنسخ والتشويه .. ثم اجتهد هذا التيار فقطع شوطا على درب التصور للمشروع الحضارى العربى الاسلامى البديل .

● ومن فصائل هذه الصحوة من فرضت عليه اهتماماته باستقطاب "العامة والجماهير" مع "الصفوة والنخبة" إلى "البديل الاسلامى" .. فرض عليه هذا التوجه ان يجمع فى تصوراته بين مايلائم قصور "العامة" الفكرى وبين مايناسب "الصفوة" ، فلم يبلغ مبلغ تيار "الجامعة الاسلامية" فى الاستنارة والعقلانية والاجتهاد ، وذلك دون أن يقف عند مستوى الوهابية فى هذه الميادين .. لكن انعطافه نحو "العامة والجماهير" ، والذى كان ضرورة لمواجهة التغريب الذى عمت بلواه بعد سقوط "الخلافة ـ الرمز" عقب الحرب العالمية الأولى ، وهيمنة الاستعمار على كل الوطن العربى وعالم الاسلام .. كان هذا الانعطاف نحو "الجماهير" السبيل لبروز قسمة "الاسلام السياسى" ، والتركيز على شمولية الاسلام "للدولة" و "الدين" .. وكانت "جماعة الاخوان المسلمين" بقيادة مرشدها الامام الشهيد حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م) و "الجماعة الاسلامية" بقيادة اميرها المرحوم أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩ م) ابرز جماعات هذا التيار .

★ ★ ★

على ان التمايز بين الواقع المصرى والعربى الذى ظهرت فيه وانتشرت "جماعة الاخوان المسلمين" وبين الواقع الهندى الذى تبلورت فيه "الجماعة الاسلامية" قد جعل من دعوة الشيخ البنا

وجماعته حركة لصيقة بالواقع ، تسعى لتطويره واسلمته من داخله ، وهى لصيقة بفئاته وتياراته ، فلم تبدأ انقلابية على هذا الواقع ، مستعلية على تياراته الأخرى كما كان شأن دعوة الأستاذ المودودى وجماعته .. فلما حدث وتوارت قيادة الشيخ البنا ، العاملة فى إطار الشرعية القانونية ، وسيطرت على اغلب البلاد العربية نظم ثورية وانقلابية ذات طابع شمولى ، وعقلية عسكرية فى الأساس ، واثمر الصراع بين هذه النظم وبين "جماعة الإخوان" دخول الحركة الاسلامية السياسية فى محنة من السجن والتعذيب بلغت حد الماساة اللا إنسانية ، انفتح الباب على مصراعيه ، فى طول البلاد الإسلامية وعرضها ، لمشروع المودودى ـ وليس لمشروع البنا ـ فى البعث الإسلامى .. فلقد غاب إطار "الشرعية القانونية" ، الذى جعل البنا يعمل كجزء من نسيج المجتمع لصيق بفئاته وتياراته الفكرية والسياسية ، وعلت اصوات "الشباب" بالحديث ـ بعد المحنة ـ عن الثمرات السلبية لنمط العمل من خلال "الشرعية القانونية" ، وشهدت ساحة العمل الاسلامى انعطافة شبابية عارمة نحو تصور المودودى لسبيل البعث الإسلامى وادواته .. وغدا امير "الجماعات الإسلامية" الباكستانية ـ بعد استشهاد الإمام البنا ـ الملهم الأول لفصائل الشباب الإسلامى على امتداد عالم الإسلام .. وزاد من جاذبية هذا الطريق "الاسلامى ـ الانقلابى" تصاعد مخاطر التغريب ، والغزو "الصليبى ـ الصهيونى" ، الذى زادت هيمنته بعد انحسار المشروع القومى الناصرى بهزيمة سنة ١٩٦٧ م ، وانحسار الهالة عن الحركات "الثورية ـ الماركسية" ، ببروز الاتحاد السوفييتى : "دولة" عظمى ، لا "ثورة" ، وانكشاف حقيقة هذه الحركات كرافد تغريبى ، مثلها كمثل الرافد الليبرالى ـ مع اختلاف الموقف الاجتماعى ـ فكلاهما رافض للتمايز الحضارى ولخصوصية الهوية ، وكلاهما ساع إلى التبشير بنوع من التبعية للنموذج الغربى الذى يحتذيه ؟!..

لقد انفرد الاسلام السياسى بساحة "الاستقلال الحضارى" ، فاجتذبت ساحته جماهير الشباب .. وادى ضمور العقلانية والاجتهاد بالحركة الأم للإسلاميين فى الوطن العربى ـ حركة الإخوان المسلمين ـ وكذلك الضغط المستفز للزحف التغريبى .. والكبت الذى

مارسته النظم المحلية مع الحركة الإسلامية .. ادت هذه العوامل ـ وغيرها ـ إلى تميز هذا الفصيل من فصائل الصحوة الاسلامية بـ "الحماس الطاهر" و "العمل المتفانى" الذى لا يرشده "اجتهاد عقلانى ـ مستنير" على مستواه .. فغدا هذا القطاع من قطاعات المد الاسلامى كمن يمشى إلى غايته على ساق واحدة ، هى ساق "العمل" ، دون ساق "الاجتهاد" .. وغدت مهمة ترشيد هذا المد الاسلامى من الضرورة كما لو كانت طوق نجاته من الإحباط الذى يتمناه له اعداؤه الكثيرون ؟!..

قد أكمل الله ذيلك "الهلال" لنا .. فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال

شوقي

التمثيل العربي

بقلم: خليل مطران

ساهم خليل مطران بقدر كبير في الحركة التمثيلية والمسرحية في مصر ابان نهضتها ، والتاريخ الفني يروى لنا ان الشيخ سلامة حجازى كان يغنى لمطران بعض شعره مثل قصيدة « لعب الطفلان حتى تعبا .. » وتنسب له ادوار اخرى تغنى بها كبار مطربى عصره من امثال محمد عثمان . وهذا شيء من مشاركته في المسرح الغنائي .

وفي ذلك الطور المبكر من القرن العشرين كتب مطران مسرحية من فصل واحد بعنوان « العلاج بالشنق » نشرها في مجلته « المجلة المصرية » استوحى موضوعها من عدة سطور نشرتها مجلة فرنسية .

ولما عاد جورج ابيض أو الممثل الاول من باريس ترجم له مطران رائعة شكسبير « عطيل » فلما نجحت على المسرح تشجع مطران وترجم « ماكبث » و « هاملت » و « تاجر البندقية » وجميعها من أعمال شكسبير الخالدة .

وانتقل مطران من ترجمة روائع المسرح الشكسبيرى الانجليزى الى بدائع المسرح الفرنسي الكلاسيكى فترجم «سنا» و « السيد » من كورنى ثم تحول الى الرومانسية فترجم « هرنانى » عن فكتور هوجو ، والى جانب ذلك كان ينشر في « المجلة المصرية » تلخيصا لبعض الروايات التمثيلية العالمية مثل رواية « مثل الاوراق » لمؤلفها الايطالي جياكوزا .

وقبل أن نعرض مقال مطران ننبه الى نقطتين : الاولى أن مصر عرفت التمثيل في الازبكية قبل الفترة التي يحدثنا عنها مطران والثانية : ان يوسف خياط هو اول لبناني يمثل على مسارح مصر وليس سليم النقاش كما يقول مطران وغيره من أمثال جرجى زيدان .

الهلال

ليس للتمثيل عهد قديم في مصر على ما أعلم ، وانما كان بدء التنبه للتمثيل في أيام المغفور له الخديو اسماعيل ، ولما لم يكن للمسرح ولا للقصة المسرحية وجود آنئذ ، انصرفت مساعدة الحكومة الى التمثيل الاجنبى ، فبنى مسرح «الكوميدى» بالازبكية واحتفل بافتتاحه

في ٤ يناير سنة ١٨٦٨ ثم بنيت دار الاوبرا سنة ١٨٦٩ وكان داعى انشائها الاحتفال بافتتاح قناة السويس حتى لقد تم بناؤها في خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ الف جنيه ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر ١٨٦٩ أوبرا « ديجو ليتو » .

ثم عهد الخديو اسماعيل الى الموسيقار

الايطالى « فردى » فى تلحين أول أوبرا مصرية ، لتمثل بدار الاوبرا ، فوضع له العلامة ماريبت باشا قصة « عايدة » ليصور الحانها ومثلت بالقاهرة لاول مرة فى ٢٤ من ديسمبر ١٨٧١ فنالت نجاحا عظيما .

وظلت دار الاوبرا تابعة لوزارة الاشغال الى ان الحقت بوزارة المعارف بمرسوم مؤرخ فى ٤ من ابريل سنة ١٩٢٩ فتوالت عنايتها عاما بعدعام بتنظيم مواسمها وجلب كبريات الفرق التمثيلية من أوربا على مختلف أنواعها .

واول من خطر له ادخال هذا الفن فى لغة الناطقين بالضاد هو المرحوم مارون النقاش ، لسبعين سنة مضت اذ جمع فرقة من الشبان الذين استصلحهم له فى بيروت وترجم بعضا من روايات موليير ترجمة جاءت أشبه بالتاليف لحسن تصرف الرجل فيها ومراعاته للذوق العربى ، ولم تقدم تلك الفرقة هذا القطر ، ولكن شدة الاشتراك المتصل بين الشام ومصر ، ولا سيما منذ ابتداء هذا العصر ، لا تدع فرجة للفصل بينهما فى تاريخ الادبيات والمعنويات ، ففرقة مارون النقاش لبثت حيث نشات الى ان انحلت ، ولكن رواياتها : « البخيل » و « الحسود » و « أبو الحسن المغفل » جابت التخوم الى وادى النيل .

واعقب مارون قريب له هو سليم النقاش ، وسليم هذا أول من أنشا فرقة للتمثيل فى مصر ، باتفاق بينه وبين الحكومة أوجبت على نفسها بمقتضاه امداده بالمال والترخيص له باستخدام الاوبرا زمنا معلوما لتمثيل رواياتها ، وأشهر تلك الروايات « المظلوم » و « المقامر » و « عايدة » و « أندروماك ». ولكن هذه الفرقة انحلت بعد حين .

وفى أثناء تلك المدة كان أبو خليل القبانى قد أخذ يجمع فرقة بدمشق الشام ، وطفق يوحي بفطرته يخلق للعربية نوعا جديدا للتمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج « بالاوبريت » وأبدع ضربا حديثا يسميه الغربيون « باليه » واسمه عندنا رقص السماع ، فصادف النجاح الذى كان به خليقا عند السواد الاعظم ، وقد حمل أبو خليل بعد قليل فرقته الى مصر ، ومصر يومئذ كعبة القصاد من فاقدى حرية القول والكتابة فى بلادهم ، فشرع يعرض ماالديه .

وفى تلك الايام عينها كان اسكندر فرح - وفى فرقته المرحوم الشيخ سلامة حجازى - يبلى البلاء الحسن ليجلب الجمهور ، ويستمد للنوع الذى آثره مايعربه بعض أقطاب الادب آنئذ فى مصر . بعد ذلك تلاشت فرقة أبو خليل القبانى، ثم انفصل الشيخ سلامة حجازى عن اسكندر فرح واسس فرقته التى لقيت نجاحا كبيرا يرجع الفضل فيه لهمة الشيخ ولباقته وسخائه .

فى هذه الفرقة تخرج غير واحد من مهرة الممثلين ، وقبل الحادث الاليم الذى افضى الى انحلالها انفصل منها الاستاذ عبدالله عكاشة والف فرقته ، وفى نفس الوقت ايضا الفت فرقة الاستاذ جورج ابيض مستقلا للمرة الثانية ، ثم فرقة عبد الرحمن رشدى على اثر انفصاله من فرقة أبيض ، ثم فرقة ترقية التمثيل العربى أسسها الزعيم الاقتصادى محمد طلعت حرب ، وتولى ادارة العمل فيها عبدالله عكاشة واخواه ، ثم الفت فرقتا يوسف وهبى ، والسيدة فاطمة رشدى ، وازدهرتا ازدهارا كبيرا ، غير انه - وياللاسف - لم يطل أمده ، ثم الفت فرقة السيدة فكتوريا موسى ، ففرقة اتحاد الممثلين بامداد من وزارة المعارف ولم تطل مدتها .

وكل من هذه الفرق أتت بحركة جديدة للمسرح العربى ، وعرضت للجمهور من القصص المعربة والمؤلفة التى شجعت كاتبيها واستكثرت عددهم ، ما زاد الجمهور اقبالا على التمثيل .

عن الهلال ١٩٤٢



يمضى على ميلاد الشاعر الألمانى « جوته » ٢٣٧ عاما وتنشر الهلال هذه الدراسة احتفالا بذكرى ميلاده

نبضات من قلب جوته

العاشق المتقلب وكيف بادل شارلوت الحب من طرف واحد ؟

بقلم : د. محمد رجب البيومى

عاش الشاعر الالمانى الكبير « جوته » حار العاطفة، جياش القلب ، قد امتد به العمر الى ما بعد الثمانين ، وهو يتنقل من هوى الى هوى دون أن تهدأ لواعجه الساخنة،ولئن استشعر قلق المحب والم المهجور فى بعض فترات حياته ، فان هـــذا الشعور الممض المبرح قد الهمه ابدع روائعه الادبية فلولا مـــا

تدفق فى وجدانه من احاسيس الصبابة ، ما ترك هذه الآثار العاطفية التي جاوزت وطنه الى شتى ربوع العالم، فترجمت الى اللغات المختلفة شرقا وغربا ، ولو لم يتسمع الشاعر الكبير الى نبضات قلبه فى أحلك ليالى الالم ما استطاع أن يخلد ذكره هذا الخلود وأن تظل روائعه مهوى الافئدة الجريحة فى كل زمان ومكان ! اجل لولا ماتدفق فى وجدان هذا العاشق الكبير من احاسيس الصبابة ، لكانت آثاره العلمية وحدها ذات ذيوع محدود فى زمن محدود ولتوارت بالحجاب حين يكتسحها مايعقبها من فتوح تجعل السابق ذكرى عابرة تسنح قليلا كبرق سريع في غيم متكاثف .

ولكن الشاعر العاشق قد وجد فى شرايين دمائه وهجا حارا ، أقلق نومه، وشرد امنه ، فأخذ ينفس من لواعجه بما ترك من فوائد وجدانية فى عالمى القصة والشعر ، وقد سعد قراء العربية بكثير من روائعه العاطفية حيث نقلها الى لغة الضاد ، طائفة من كبار الادباء ، وكان هذا من حظ القراء ؛ لان القصة الممتازة تحتاج الى مترجم ممتاز يحلق فى أوج جوته ، ويعيش فى افقه العالى ، دون أن تخذله قوته فيهوى الى مستوى يفقد معه روح الفنان وايمانه ، وقوة دفقه ، وسطوة ايحائه ، كما نرى فى بعض المترجمات التى أساءت الى الاصل فاظهرته متضائلا يتوارى فى أحقر الاسمال .

عاشق متقلب

على ان اعجب مافى حياة جوته الوجدانية انه لم يصبر على طعام واحد ، بل كان دائم التنقل من مائدة الى مائدة ! واكثر هؤلاء المتنقلين لا يحملون من جذوات الصبابة مايرقد الشجى بين الضلوع فلا يصدرون فى نتاجهم الادبى عن صدق مؤثر ، ولكن جوته كان من القلة التى صدقت واخلصت فى كل طريق عبرته ، اذ كان الحب يغزوه فى وقت ما ، فيتجه اليه بكليته، اذ يملا شغاف قلبه ، ويسرى تياره الدافق بين دمه ولحمه ، فيصبح قلقا مضطربا كطير وقع فى قفص لا يتسنى له أن ينفلت من حديده ، وهو مابين الاغلال يرسل أغاريده الحادة نابضة متوهجة ، فاذا فتح القفص بعد أمد طال او قصر ، وانطلق الطائر لفضائه الفسيح فان أغاريده السابقة قد وجدت مكانها المطمئن فى القلوب ، وان سائها ليلمس فيها من وهج الاخلاص مايجتذبه الى معاودتها فى اكبار وولوع ، وهكذا كان الحب المتجدد فيضانا يكتسح روح الشاعر فى مواسم متتالية ، لم ينقطع عنه فى أمد دون أمد بل صحبه حتى بلغ :ه فترة الشيخوخة ! والناس يعجبون



لعاشق شيخ يتأوه ، كما عجبوا لعاشق متعدد العلوم متنقل الهوى ، حتى اذا قرءوا جذواته المشبوبة حمدوا الله ان وجـــدوا نفوسهم اللاهثة فى تلافيف مايقرءون ويسمعون ، ورجعوا الى العاشق الكبير بالثناء والتقدير .

ففى السادسة عشرة من سنه ، دخل الغلام اليافع جامعة « ليبسك » ليدرس الحقوق ، ولم يستطع أن يفرغ لدراسته الجاده حيث شغل بهوى فتاة اسمها « آنيت » كانت ابنة لصاحب حانة يعتادها ، وقد شغفته ولوعــا فكتب فيها أولى نبضات فؤاده ، وظل يلاحقها حتى استجابت الى ندائه ، ثم طاف به طائف الملال فتركها ، ورأى من لوم اصدقائه ما أحرج موقفه فاضطر الى الدفاع عن نفسه ، فألف قصة تحت عنوان « مزاج المحبين » ولم تصــادف اعجاب من عرفوه . لان المؤلف نظر الى عواطفه المتقلبة ، دون أن يقدر غدره بمن لهج بها وجعل يطاردها حتى وقعت فى الشرك ، ثم أعلن الجفاء دون اسباب وكذلك كان شأنه فى جامعة « استراسبورج » بحيث اهتدى الى شابة فاتنة كـانت ابنة لقس من رجال الدين ، تـدعى « فريدريكا بريون » فكلف بها كلفـا شديدا ، ونظم فى حبها قصائد جديدة انتقلت به من دور الطفولة الفنية الى دور اليفاعة الناهضة ، وناقدو الادب الالمانى يعدونها نمطا طريفا من الابداع الشعرى ، وقد استجابت الفتاة الى هواتفه حين لمست تولهه الضارع ، وماكاد هام يمر ، حتى عزف عنها ، واتجـه الى التأليف الروائى فأصدر « جوتس فون » التى جذبت الانظار الى الفتى الناهض وجعلت حديثــه يتردد بين الادباء .

أما الحب اللاهب ذو الدوى الرنان حقا ، فهو ماوقع له بعد أن تـرك الجامعة ، وتهيأ لمزاولة المحساماه فى « فتزلار » اذ أحب « شارلوت بوف » بطله قصته الرائعة « آلام فرتر » وهى قصة ترجمها الاديب البليغ الاستاذ احمد حسن الزيات الى العربيه ، وطبعت ثلاثين مرة ، ورحب بها الناقدون فى مصر ، فقال الدكتور طه حسين عنهـا « ماكان لهذا الشعب ـ شعب مصر ـ أن يجهل كتابا كآلام فرتر عرفه النـاس جميعا فى اوربا فاحبوه وكلفوا به ، حتى انك لا ترى فتى أو فتاة فى السادسة عشرة من العمر الا قراه وقرأه ، وحاول ان يفهم معانيه ، ويتأسى بما فيـه ، وخيل اليه ان هذا الكتاب لا يصــف ماجال فى نفس خاصة من فكر ، وماملكها من هوى ، وما أثر فيها من عاطفــة ، انما هو يصف الحياة النفســية لكل شاب وشابة على اختلاف الازمنــة والامكنة ، وعلى تباين الاحــوال والظروف » .

وما قاله الدكتور طه حسين قاله نقدة الاداب العالمية اذ انتشرت آلام فرتر بين الخاصة والعامة ، وذكر الناقد الانجليزى « ادوارد شانكس » أن الرواية استحدثت مدرسة جذبت مناهجها اتباعا لا حصر لهم بل ان آلاف الشباب فى اوربا كـانوا فى وقت ما يجهدون أن يرتدوا من الثياب مثل ماكان يرتدى فرتر ، وأن نابليون قرأها سبع مرات ، واستصحبهــا طوال أيام اقامته فى مصر ، ثم دعــا الشاعر الى لقائه فيما بعد ، حـدثه عنها طويلا ، وموجز القصة يدل على تعرف جوته بحبيبته « شارلوت بوف » فى فتزلار ، حيث اختلط بأسرتهــا ، وبادلها الهوى عن صدق ، ولكنه ارتطم بخطيبها البرت ، اذ وقف عقبـة دون اقترانهما ، وكان البرت سمحا فـلم

يعشق بصديق حبيبته ، وحاول أن يكون أخا مخلصا له ، وهو وضع ليس من الطبيعي أن يستمر ، وكان لابد ان يختم باختيار أحد المتحابين ، وقد آثرت شارلوت خطيبها ، وأدرك الشاعر حرج موقعه فانسحب على أشد حالات الكمد ، ليكتب قصة غرامه مسجلا وقائعها المشتركة من صدق واندفاع ولكنه جعل الخاتمة مهولة مزعجة حيث دفع بفرتر الى الانتحار !

طارت القصة فى كل مكان حتى احرجت شارلوت نفسها ، اذ ذكر من عواطفها الدفينة ماجعلها موضع النقد فى مجتمعها ، وجائز أن يكون جوته قد كتب مالوهمه صادقا دون ان يكذب ، لان الهوى قد غطى على بصره فالهمه مالم يكن ، اذ لو كانت تتجه نحوه اكثر من سواه لاثرته فى النهاية ، كما كان جوته مشتطا بحين قسا على « البرت » فنسأل عنه دون مواربة ، ما ننقل بعضه من ترجمة الزيات .

« ان جسمى لتستقله الرعدة اذا ما أدار ألبير ـ البرت ـ ذراعه حول قدها الرشيق ، وان كلمة تتردد على شفتى ، فهل ينبغى أن أقولها ، انها لو كانت معى لكانت أسعد نفسا ، وأرغد عيشا منها معه ، ليس ألبير بالرجل الذى يقضى حاجة هذه النفس ، ويحقق مراد هذا القلب ، لقد تعوزه الحساسية ان قلبه لا يخفق مع قلبينا ، اذا ماقرأنا فصلا من كتاب ممتع ، تجد قلبى وقلب شرلوت يتقابلان ويمتزجان ، وقلبه مما نحن فيه بمعزل ، ولطالما دار الحديث بيننا عن انسان ، فنذكر مانحس له من عاطفة ، ونشرح مانرى فى عمله من رأى ، فنتفق انا وشرلوت الا ألبير فيقف منا على النقيض ، لا جدال فى انه يحبها من صميم فؤاده ، وهل جزاء هذا الحب الا السعادة ! »

ولا أدرى لماذا لم يغير جوته اسمى صاحبيه ، لينأى بعض الشىء عن مؤاخذة لائميه ، يخيل الى انه اراد بهذه القصة ان تكون رسالة خاصة يضعها فى يد شرلوت ، لتفصح لها عن وجدانه العميق ، فتدرك مايلتطم بداخله من موج ! صراحة دون مواربة ! وقد أخطأ فيما أراد ، لان ذلك كان مما يتيسر أيضا ، لو طرح الاسماء ، اذ ان صاحبته ستفهم كل الفهم مايعنيه ؛ ثم يفسح لهما مجال العذر كى تقول انها غير المقصودة بكل ماقال ، وانما جمع الشاعر شتى تجاربه ليصبها فى اناء واحد ! لقد سد جوته باب العذر القويل بصاعقة من مجتمع « فتزلار » وكانت شرلوت اول من جابهته بالانكار ! وحق لها .

● عود على بدء ●

تطلع جوته الى الجديد ايضا وهو دائم التطلع اليه لا يكاد يغمض عينيه ، فقد انتقل الى فيمار ، وتعرف بأكبر رأس بها وهو الدوق كارل اوجست ، وهو ذو موهبة أدبية ، ووالدته أيضا من نوابغ الادب لعهدها ، وكان فى هذه البيئة المثقفة ما يرتفع بعواطف الشاعر الى نمط اعلى فى أفق الصبابة ، ولكنه انجذب الى زوجة ضابط من ضباط القصر ، وقد انجبت سبعة اولاد ، ولم تلهها الاسرة الكبيرة عن الهيام بالادب والشعر ، وكان ذلك مدخل جوته الى عقلها وحده ، لانها اوصدت قلبها دونه فالتهب متأججا ، واخذ يراسلها مستعطفا . وكاتى بها ـ وقد قرأت آلام فرتر وما سبقها من مذكراته العاطفية ادركت تقلبه ، وانتقاله من صبوة الى صبوة وهى بعد تكبره سنا وتجربة فما زاده اعراضها غير الحنين والتلهف ، وهى الوحيدة التى ظل يراسلها بعد رحيله التى عشرة عاما ! وكان صدودها الحاسم دافعه السريع الى التقاط من تقع على الطريق ،



اذ اتصل بفتاة لدى كريستين فولبيوس، وتمنعت عليه حتى احرجته ، فاضطر الى الزواج منها ، على رغم اعتراض هارنيه ، اذ قارنوا بينها وبين من كتب فيهم جوته روائعه فلم يجدوا وجها واحدا من وجوه الشبه ! اذ كيف يخير الذائق الفنان الوان الترف العاطفى لدى غانيات مثقفات موهوبات ! لم ينتهى به المطاف الى زوجة امية جاهلة تكون أم ولده ، ولعل الشاعر قد تعب من صدماته القاسية ، وعز عليه أن تتوالى الصدمات فآثر الراحة الى حين ، وأقول الى حين لانه سيرتطم فى خاتمة حياته بحب كبير يتوجه الى ملاذه فى شيخوخته بعد ان فقد أسلحته الماضية كما سنشير اليه من قريب .

ان خيال جوته المجنح كان الدافع الاول لتقلبه العاطفى ، لانه كان يرى حواء بوهمه قبل أن يلحظها بعينيه ، كان يسبح فى أجواز هذا الوهم ليتصور فاتنته حورية أسطورية ، فاذا وصفها فانما يصف ما قام بذهنه من تصور ملائكى لا حقيقة لوجوده ! وحين يتم اللقاء وتتكرر مواقفه ، وتتمدد مناسباته تظهر حواء على حقيقتها مجردة من كل خيال ، فيدب السأم الى نفسه ، ويجد من العوامل ما يبعث على الخلاف فالهجران! وكان جوته قد عبر عن هذه الخيبة القاسية تعبيرا رمزيا حين قال :

« لدى حلولى هذا المكان كنت كلما اجلت النظر فى هذا الوادى الجميل من اعلى الربوة اشعر أن نفسى نزاعة الى كل جهة من جهاته ، أرى الغابة الصغيرة فاشتهى ان اتفيا ظلها الوارف، والمح قمة الجبل البعيد فاتمنى علوتها وابصر الهضاب المتسلسلة الوديان المنعزلة فاود لو اضل فى شعابها ، واجسول فى رباها فاذا ما ذهبت اليها طائرا عدت ادراجي غير واجد ما كنت ارجوه وآمله وهكذا امر الغد ، ظلام متكاثف منتشر امام النفس ، يخوض فى احشائه القلب ، ويضل فيه ضلال البصر فى المنظر البعيد ، يذيبنا الشوق الى الانتقال اليه لنحظى بالشعور الفرد والسرور المحض ، والعيش الرفيع ، فنركب الى الوصول اليه كل صعب وذلول .. حتى اذا تمثل الغد ، وتحقق المرجو ، واقترب البعيد ، وجدنا كل شىء على حاله الاولى ، حياة سيئة ، ومعيشة ضنك ، ومستراد حرج ، ورأينا انفسنا الصادية تحن عبثا الى الشراب البارد العذب الذى فاتها ، ثم يعاودها الامل فتأمل » .

تأمل هذه الصورة واجعل حواء مشبها والطبيعة مشبها به ، تدرك ما يعني الكاتب اللهيف .

عاد جوته الى مسقط رأسه وقد حاول الخامسة والستين من عمره ، وتطلع الى مرابع طفولته ومسارح صباه تطلعا بعث به رقدة من الحنين ، وتأكد انه سيقع فى حب جديد سيكلفه كثيرا اذ فقد أسلحته الساحرة التى كان يمتع بها فى شبابه ، فكيف يخوض المعركة أعزل فى هذا الزمن المثبط لو قع الشاعر انه سيقع فى الحب لا محالة لانه يعرف أن حصون قلبه واهية تسلم ابوابها لاول طارق ، بل انه يمتد ابتعاده من

الحب موتا حقيقيا لنفسه ! فيه يحيا ، ومن هوائه يتنفس ، وبنوره تهتدى عيناه !

وقد وضع يده على رأسه متحسرا لما يكلله من الشيب الابيض ، ثم نظر الى الانق ، فرأى خيوطا . . بيضاء تشق طريقها بين الغيوم ، وتؤلف بينها نطاقا ابيض كأنه وشاح على خصر حسناء ! فتفاءل بينه وبين نفسه . وقال مبتسما لقد حسن منظر اللون الابيض فى عينى ، فقد يحسن شيبى فى عين حسناء ، ومالبث أن نزل ضيفا على كبير من رجال المال يدعى« فون فيلمر » وكانت له زوجة شابة تتذوق الفن وتعشق الموسيقى وتجيد الشعر ، وقد سمعت بالشاعر وقرأت روائعه قبل ان تراه ، وامتدت فرص اللقاء تكلف بها جوته كعهده ، ورأته بطلا من ابطال الادب العالمى فجاذبته ، وقد احست بلهيبه دون أن ينطق ، فابتدات بمكاشفته ، وبعثت له ببعض الرسائل، ولاتسل عن فرحة الشيخ الكبير وقد سقطت فى كفه انضج فاكهة من اجمل دوحة ، ولكن تجارب الايام قد علمته الا يصرح بما فى مكنونه كما فعل فى رواية فرتر حيث اسخط شرلوت ! فآثر ان يكتى دونان يسفر عن خفاياه الدفينة كاسمه البعيد ! ولو استطاع السكوت لفعل ، ولكن عواطفه الجائشة تتطلب المفيض ، وكان لايزال يؤلف ما عرف فى مؤلفاته باسم « الديوان الشرقى » تكتب مقطوعات رائعة تحت عنوان « زليخا وحاتم » ولكنه استحيا أن يجعل نفسه نظير يوسف الشاب الجميل وهو شيخ « واهن يكذب واقعه مايريد» فاختار حاتما ، واوقع نقاده فى حيرة من اختياره فما كان حاتم بالصب العاشق ، ولكنه جواد ضرب به المثل ، اترى جوته قد تشبه بحاتم فى كرمه اذ بذل قلبه سخيا دون جزاء ! هذا ما يقوله بعض الكاتبين ، ولا اراه يطمئن فى وضعه الصحيح ! وننقل شيئا مما ترجمه الاستاذ عبد الرحمن صدقى عن كتاب « زليخا وحاتم » حيث قال جوته

حاتم : يا للغدائر الخلابة التى تيمتنى ، لقد اوقعتنى شباكك فى اسر هذه الطلعة الاصيلة الجلواء ، وليس عندى ايتها الافاعى السود المحببة ما يضارعك ، ليس الا قلبى وهو كعهده يتملا ويتفتح كالزهرة اليانعة ، انه تحت البلح الاشهب ، والدجن المخيم، بركان مسجور يجيش بحبك ، لقد علت وجهى منك حمرة ، كما اصطبغت من الفجر مراقى الجبال الوعرة ، وانس حاتم فى نفسه مرة أخرى نفحة الربيع ووقدة الصيف

زليخا : والله لا ارضى لك التلف ، فان الحب يذكي الحب ويؤكده ، فابق بصبابتك زينة لصباى وما اشدنىزهوا بمحبتك كلما سمعت اطراء الناس لعبقريتك ، فانما الحب والحياة وعبقرية الذهن حياة الحياة .. »

شد ما تباعد جوته عن امسه ، كان فى آلام فرتر يقرن شبابه وجماله ونضرته بشباب شرلوت وجمالها حتى ليغدوان متماثلين ، وهو الان يعانى البرحاء تحت الثلج الاشهب ، والدجن المخيم ، ثم يعلل نفسه بعبقرية الذهن لانها حياة الحياة ! وعبقرية الذهن لا تفيد شيئا مع الخطو المرتعش، والانحناء الواهن ، والنظر الكليل .. اليس كذلك ؟

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهم

بقلم : محمد سيد كيلانى

فى اكتوبر سنة ١٨٩٥ وصل الى المنصورة رجل قادم من البصرة واستقر بها ، فسمع بعض الناس ينادى احمد البدوى وغيره من الاولياء طالبا منه العون على قضاء الحاجات فنهاهم عن ذلك قائلا : لا تطلبوا من الاولياء ماليس فى قدرتهم

فنقل خبره الى رجل من المسترزقين بجدران القبور ، المحشورين فى زمرة العلماء ، فأخذ يشنع على البصرى ، وذكر انه من الوهابيين ، ثم اتصل برجال الحكومة وابلغهم ان هذا البصرى زنديق ، فصدر الامر بنفيه فورا · ولم يقف عند هذا ، بل كتب عريضة ووقعها من بعض الناس ، وضمنها طعنا فى الشيخ محمد راضى مفتى الدقهلية (وكان لكل مديرية مفت خاص بها ، فبادرت نظارة الحقانية الى فصله من وظيفته حسما للفتنة ومنعا للقيل والقال · وكان ذلك فى عهد وزارة نوبار باشا ·

اجتمع علماء الازهر وعلى رأسهم الامام محمد عبده ، ورفعوا ملتمسا الى الحكومة ذكروا فيه ان الشيخ محمد راضى رجل كامل العقل ، عالم بالاحكام الشرعية والعقائد الاسلامية حسن السير وطلبوا اعادته الى وظيفته ، فلم يستجب لهم احد ·

كان هذا الحادث دافعا للشيخ محمد عبده الى مهاجمة زيارة الاضرحة وتقديم النذور والتوسل

بأصحابهـــا ، فوقف له المتصـــوفة بالمرصاد يردون عليه بمقــــالات فى اثبات الكرامات للاولياء فى الحيـاة وبعد الممات • كما كان دافعا لحـافظ ابراهيم الى نظم قصيدته التى يقــول فيها ••

احياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبالف الف ترزق الاموات
من لى بحظ النائمين بحفرة
تجرى على احجارها الصلوات
ويقال هذا الباب باب المصطفى
ووسيلة تقضى بها الحاجات

ولم تفلح جهود محمد عبده ولاجهود غيره فى صرف الناس عن معتقـداتهم فى الاضرحة واصحابها بدليل المبـالغ الطائلة التى توجد كل عام فى صناديق النذور ، والاقبال الشديد على شــراء الكتب التى تتحدث عن كرامات الاولياء والخوارق التى جرت على ايديهم •

ولم ينفرد بذلك المسلمون ، بل ان للمسيحيين قديسين يقيمــــون لهم الموالد ، ويقدمون لهم النذور ، وكذلك الحال مع اليهود فلهم ولى اســـمه ابو حصيرة يقيمون له مولدا ويلتفون حول ضريحه يصلون وينحرون الذبائح وفى اوربا لهم قديسون كذلك مثـــل سنت تريزا ••

كثرت الاضرحة فى مصـــر منذ العصر المملوكي وزادت زيادة هـائلة فى العصر العثمانى نتيجة لانتشـــار التصوف • وكانت ســاحات الموالد مجمعا للشعراء والادباء يفدون اليهـا من كل صوب وينشدون قصائدهم فى مدح صاحب المولد والاســـتغاثة به والتوسل الى الله به ويمكننــــا ان نقول ان الشعراء جميعا قد اشــتركوا فى المعانى والاراء والافكـار • فهم يذكرون ما يعانون من الضـــيق ومن نكد الدهر وقلة النصير وانعدام المعين ويلتمسون من صاحب الضـــريح ان يأخذ بيدهم ويشملهم بعطفه وبـره • وتمتاز قصائد التوسل بصدق العاطفة وتدفق المشاعر وتوفر الاحساس وهذه هى عناصر الاجادة فى الشعر ،فسلامة الاراء او فسادها لا يقدم ولا يؤخـــر وانما العامل الاول والاخيـــر هـــو الاحساس الذى يعبر عنه هذا الشــعر والعواطف التى يترجم لها •

وكانت ساحات الموالد تجمع الفساق وارباب الخلاعة والمجون • ولم ينهض احد من شيوخ الازهر لمحاربة هـــذا الفساد • بل كانوا يحضرون الموالد •

وقد ذكر الجبرتى عن جامع البكرى الموجود بشارع الرويعى ان صـــاحب هذا الضريح كان رجــــلا من البله ينسب الى الطريقة البكرية وليس من عائلة البكرى المعروفة • كان يســـير فى الاسواق مكشوف الراس والسواتين، غائبا •• وكان له اخ فقير لا يــكاد يجد قوت يومه • فلما رأى ميل الناس الى اخيه واعتقادهم فيه حجــزه فى منزله ومنعه من الخروج والبســـة

احياؤنا لايرزقون بدرهم



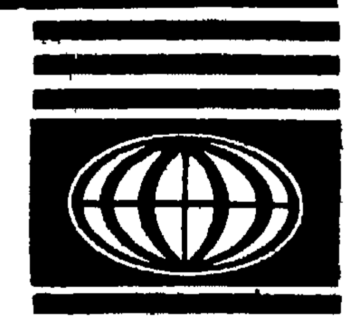
ثيابا ، واشاع انه اصبح قطبا يطلع على الغيب ويخبر بما فى اللوح المحفوظ ويبرىء المرضى ويفرج الكروب فاقبل الناس عليه متبركين حاملين له الهدايا والنذور ، وخصوصا نساء الامراء والكبراء • فجمع اخوه ثروة طائلة فى مدة وجيزة ، وبذلك تخلص

من الفقر الذى عاش فيه طوال حياته ولما مات على البكرى دفنه اخوه حيث يوجد ضريحه الان• وكان يحضر المقرئين والمنشدين والمداحين ورجال الطرق الصوفية فيقيمون عند الضريح الحضرات وينشدون الشعر فى مدح القطب على البكرى ويرقصون ويصرخون ويمرغون وجوههم على شباكه ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويمسحون به وجوههم• »

وفى العصر الحاضر الذى ارتقت فيه العقول وانتشرت الثقافة تطالعنا الصحف من حين الى حين بأخبار الدجالين الذين يدعون القدرة على شفاء الامراض وقضاء الحاجات وحل المشكلات • فيقصد اليهم نفر من المثقفين نساء ورجالا ، فيجمعون من وراء ذلك اموالا طائلة ومازال الناس يتهافتون على حضور الموالد وتقديم النذور يستوى فى ذلك المتعلمون والجهلة • قال الحسن البدرى وهو من شعراء العصر العثمانى •

لبثنا لم نعش الى أن رأينا
كل ذى جنة من الناس قطبا
وان مات جعلوه مزارا
وله يهرعون عجما وعربا
بعضهم قبل الضريح ، وبعض
عتب الباب فبلوه وتربا
هكذا يفعل المشركون مع أصنامهم يبتغون بذلك قربا
كل ذا من عمى البصيرة والويل لشخص اعمى له الله قلبا

العالم فى سطور



● موسكو

الاتحاد السوفييتى يقوم بتكريم احد ادبائه الكبار .

قد يبدو الخبر عاديا . فعلى كل دولة ان تكرم عظماءها .. لكن الجديد فى الخبر أن الاديب هو الراحل بوريس باسترناك الذى أجبرته بلاده أن يرفض جائزة نوبل عام ١٩٥٨ التى منحت له عن رواية « دكتور ريناجو » لانها تنتقد الثورة البلشفية .

الجديد فى الخبر أيضا ان الاتحاد السوفييتى بدأ ينظر آلى الادباء والفنانين المنشقين نظرة مغايرة .. ويرى الزعيم جورباتشوف أن على الفنان أن يعبرعن الحقيقة فيما يكتب . اى أن عليه ان ينتقد كما يشاء طالما أن انتقاداته قائمة على بساط أخضر من الواقع الذى يعيشه الانسان السوفييتى .

الكرة الان فى الملعب السوفييتى .. فمن قبل كان الغرب يهلل لهؤلاءالمنتقدين للسياسات السوفييتية وآلذين اصطلح على تسميتهم بالمنشقين واحتضنهم وصنع من انصاف آلموهوبين منهم عمالقة . وردد تصريحاتهم آلتى تنتقد أوضاع البلاد كأنها نواميس سماوية .. فمن المعروف ان باسترناك شاعر جيد أكثر منه روائى متوسط القيمة .. ومع ذلك فقد فاز بجائزة نوبل عن رواية أقل اهمية قياسا الى الانتاج الادبى الروسى الحديث .. ولم يفز عن اشعاره .

بالطبع لن يعود الكتاب المنشقون مثل زينتيف وسولجنتين الى بلادهم .. على الاقل الان.. ولكن السؤال المطروح. هل يمكن أن تفقد اعمالهم الاقل انتقادا للاتحاد السوفييتى مذاقها الساخر فى الغرب ..

هذا هو سؤال المستقبل !.

● نيويورك

أحدث هذآ الكاتب انقلابا خطيرا فى حياة أبناء النصف آلثانى من القرن العشرين بروايه بسيطة ضعيفة المستوى الفنى ..

اريك سيجال . صاحب قصة



العالم في سطور

حب .. التى بيع منها فى الولايات المتحدة وحدها عشرون مليون نسخة . لم ينشر سوى اربع روايات لم ينل اى منهـا شهرة روايته الاولى . ترى هل نجحت هذه الرواية بالمصادفة ككتاب وفيلم ؟ . ام انها جاءت فى وقت غرق فيه العالم فى توتر احتاج فيه أن يغرق فى « قصة حب » ربطت بين جينفر وأوليفر وانتهت بوفاة الزوجة بين ذراعى زوجها .

هذه التجربة لم تشهد نفس النجاح مع الجزء الثانى من الرواية « قصة أوليفر » . ولم تنجح روايته الثالثة « رجل وامرأة وطفل » ١٩٨١ . فى الشهر الماضى عاد سيجال برواية جديدة لا يخرج فيها عن الاطار العام الذى حدده لنفسه منذ ستة عشر عاماً ـ تحت عنوان « الفصل » . استفاد المؤلف ـ المدرس بالجامعه ـ من سنوات دراسته فى جامعة هارفاروكى يحكى تجربته الشخصية مع ذكريات المدرسة . يتكلم من خمسة من ابناء جيله . احدهم مهاجر من المجر يدرس الادارة السياسية . والثانى لاعب تنس . والثالث ـ سباحا ـ ابن صاحب مطعم يونانى يطمح فى أن

إريك سيجال



يصبح مدرسا بالجامعة .. اما الرابع فموسيقار يتمنى أن يغدو موسيقاراً مشهورا . أما الخامس فهو بلا طموح بالمرة . لقد جمعهم الفصل « ٥٨ » قبل

ان تجمعهم الحرب الكورية .. فلا يعود منهم الا واحد فقط .

استقى الكاتب أحداث روايته أثناء احتفال اقامته الجامعة للخريجين . فتذكر زملاءه الذين ذهبوا الى الحرب فلم يعودوا .. ولم تحقق بلادهم امجاداً فوق اشلاء جثثهم .. تطور جديد شهده ادب سيجال بعيداً عن قصص الحب وينتظر الحكم الصحيح عليه .

● باريس

الدكتورة مكارم .. دى مدسيس



كاترين دى مدسيس

هتف الدكتور حسن لزوجته الدكتورة مكارم ـ فى مسلسل « أزواج لكن غرباء »

الذى عرضه التليفزيون فى رمضـــان الماضى : « انت كاترين دى مدسيس » فتساءلت الزوجه اكثر من مـــرة فى استغـراب . من هى كاترين دى ..

صدر فى الشهر الماضى كتاب جـديد فى فرنسا ـ فى أكثر من ٨٠٠ صـفحة ـ تأليف جان اوريوجول حول تلك المرأة الحديدية التى حيرت المؤرخين والهبت خيال الرسامين والأدباء . فقد حكمت المرأة فرنسا بيد من حديد كزوجة للملك هنرى الثانى . عاشت فى الفتـــرة بين ١٥١٩ و ١٥٨٩ . حاولت استرضـــاء البروتستنت . ولكنها انغمست فيمـــا بعد الى الكاثوليك وبلغت قمة شراستها حين دبرت مذبحة بارثولوميو عام ١٥٧٢ التى راح ضحيتها أكثر من خمسة آلاف شخص . وجعلت من زوجها صـــورة باهتة لرجل يجلس على أكبر عرش فى العالم فى تلك الحقبة .

من اشهر الكتب التى صدرت عن دى مدسيس رواية تحمل اسـمها للكـاتب الانجليزى رفائيل ساباتينى ترجمت الى اللغه العربيه اكثر من مرة فى روايات الجيب والروايات العالمية .

● شنغهاى

ادب الرحلات .. على طريقـــة المشتاق

تصور البعض أن التلفاز يمكن أن يؤثر على أدب الرحلات بصفة خاصة.. لكن هذا الادب لا يزال يتصدر المبيعات. ويتواجد بنفس القدر .. لانه يحمل رؤية الكاتب عند زيارته لبلاد العالم .
ومن الصعب حصر عدد الكتب الذى

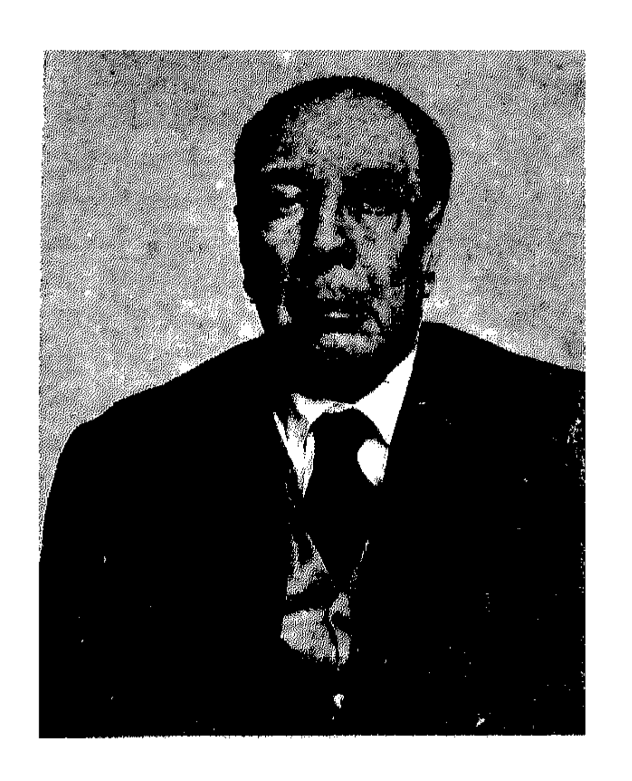


صدر اخيرا فى ادب الرحلات .. لقـد راح ادباؤه يجوبون ذات اليمين وذات اليسار فى شتى انحاء العالم يتحدثون عن انطباعاتهم حول المدن والقرى والبشر.. من أهم هذه الكتب « الشرق الاقصى.. حياتى فى آسيا » للصحفى روبرت جوليان الذى عاش فى شنغهاى ابان سـنوات الحرب العالمية الثانيه . كما عاصر ثورة ماوتسى تونج . ولذلك جاء كتابه رؤية سياحية تاريخية لاحـداث شهدتهـا دول شرق آسيا لسنوات عــديدة . ويعترف الكاتب انه قد يندفع يوما ليكره هؤلاء القوم الذين عاش بينهم ثم لا يلبث ان يكتشف ان الاسلوب الذى تلقى به هذه الكراهية كان خاطئا . فلا تلبث مشاعره أن تتغير تماما كى يفهم الامـور على حقيقتها .

اما فيليب ليبو فقد رحل ايضـــا الى الشرق من خلال « الرحيل الشاعرى » .. ولكن الرحلة تختلف . فقد قـام الكاتب بجمع وقراءة كتب الرحلات الى الشرق ليقدم انطباعاته الخاصة، ويقول الكاتب انه قد آثر القيام بهذه الرحـلة المستحيلة لان ايقاع الحياة كان اكثر بساطة .

عصر الفضائح الأدبية

بقلم : محمود قاسم


خورخه لويس بورخيس

فى رواية « الميت الحى » للروائى الفرنسى المعاصر هنرى ترويا جاءت امرأة برواية كتبها زوجها الى أحد أصدقائه المقربين وطلبت منه أن ينشر هذه الرواية باسمه فكانت سببا لنجاحه على المستوى الاوربى ، وعندما أراد هذا الصديق أن يكتب رواية جديدة جاءت فاشلة خالية من حس الابداع ، وكانت سببا فى أزمة نفسية طاحنة ، أصابت الصديق وزوجة الكاتب الراحل بمقتل لا مفر منه

وفى « اقصوصة بعنوان » رسالة خاصة جدا الى رئيس التحرير.. للكاتب الايطالى دينوبوتزاتى كتب روائى كبير رسالة طويلة الى رئيس التحرير يفصح فيها ان مؤلف كل هذه الروايات المنشورة باسمه ليس الا شخص مغمور أراد أن يستفيد من الاسم الصحفى للكاتب وان يظل هو فى غمرة النسيان مقابل منحه نسبة كبيرة من ـخا ا بعد النشر .

فى عام ١٩٨٢ نشر الشاب دانيلوفيتش كتابا تحت عنوان ـ من هو اميل اجار ؟ كشف فيه عن فضيحة ادبية هزت فرنسا فى ذلك الحين ، فاميل اجار الذى نشر ثلاث روايات منها « الحياة أمامه » حصلت على جائزة جونكور عام ١٩٧٥ ـ ليس سوى الكاتب المعروف رومان جارى الذى فاز بنفس الجائزة عن رواية أخرى عام ١٩٥٦ وعندما أراد الحصول مرة أخرى على الجائزة أوهم ناشره أن لديه نصا أرسل له من أمريكا اللاتينية لكاتب جديد يدعى اميل اجار « انظر الهلال يولية ١٩٨٢ ».

وفى عام ١٩٨٤ دخلت فتاة صغيرة مع مخطوط روايتها الى احد دور النشر الانجليزية فما كان من الناشر سوى أن رفض هذا العمل !نساذج لكاتبة لاتزال تحبو.. وفى الاسبوع التالى تنفجر الفضيحة .. فمؤلفة هذه الرواية هى الكاتبة المعروفة دوريس ليسنج التى كشفت أن لجان

القراءة قد فقدت القدرة على التـذوق او التمييز ..

أما أكاديمية ستوكهولم التي تمنح جائزة نوبل في الادب سنويا فانها قد استبعدت خلال الاعوام الاخيرة اسم الشاعر والروائي الباحث خورخه لويس بورخيس من ترشيحاتها لان فضيحة أدبية التصقت بمصادر بعض كتبه ..

لقد قيل أن بورخيس قد نسب الى نفسه تاليف احدى الروايات التي كتبتها سكرتيرته التي تقرأ له اعماله منذ ان اصبح ضريرا عام ١٩٥٥ وحتى وفاته في منتصف شهر يونيه الماضي ..

وقد نشرت مجلة الاكسبريس الفرنسية في عددها الصادر في ١٢ أغسطس ١٩٨١ ان السبب الحقيقي لعدم منح جائزة نوبل لبورخيس يرجع الى سبب اكثر جسامة وهو أن الكاتب الارجنتيني قد نسب الى نفسه تاليف خمسة كتب اشترك في كتابتها معه الاديب بيوى كاساراس .منها رواية بوليسية منشورة تحت عنوان «ست مشاكل للدون ايزيدور بارودى » ..

● الشك والاديب ●

ونسبت الاكسبريس مصادر معلوماتها الى مجلة قانونية تصدر في الارجنتين تحت عنوان « كابيلدو » قائلة أن رجل الابداع لم يكن مبدعا بالمرة .. وقد تكون هذه الجملة قاسية على كاتب مبدع متنوع مثل بورخيس عذب الاشعار صادق الحس .ولكن طالما ان هنا شبهة فضيحة الصقت بالكاتب ولم يدافع عنها بل انه اكدها اكثر من مرة .. فاصبح مشكوكا في كل سطر يكتبه . والغريب أن المجلة تقول ان بورخيس لم ينف عنه التهمة . بل تحدث عنها دون أى حياء بل وان الكثير من حكاياته واشعاره ومقالاته قد كتبها كل من ادولفو بيوى كاسارس . ومانيويل موخيكا لاينث وليبولدو مارشال . وبذلك فان بورخيس لم يكن سوى ممثل من الدرجة الثانية يبحث مثل كل المتورطين في هذه الفضائح الادبية عن الشهرة والمجد الادبي والوقوف أمام عدسات الكاميرات والتلفاز .. بل قيل أن بورخيس هو أكثر ادباء عصره شغفا بعقد المقابلات الادبية وغير الادبية مع رجال الصحافة والاعلام .. حاول فيها فرقعة البالونات واحداث فضائح او اثارة جدل حول شخصية مثلما فعل منذ عدة سنوات حين اعلن أن . «البابا ليس سوى موظف لايستحق كل هذه الحفاوة » .

اذا كانت مجلة كابيلدو قد عزت سلوك بورخيس الى ثلاثة اسباب منها أسباب تتعلق بسياسة بلاده . فان هذه الاسباب قد لاتهم القارىء العربي كثيرا .. لكن المثير للنقاش أن أدب الكاتب نفسه وتصريحاته قد امتلات بالتناقض والتخبط .. فرغم أن الكاتب قد كتب كثيرا عن الحضارة العربية والاندلسيات بصفة خاصة الا انه يرى العالم مصبوغا شاء أم أبى بالدماء اليهودية ..وأنا احد الادباء الذين ولدوا في المنفى .هناك آثار دماء هندية في دمى لست فخورا كثيرا بها . ونقطة دماء برتغالية . ومن بعيد دماء فرنسية ثم بقعة دم يهودية مثل كل العالم » ـ « لوموند ٢٨ يناير ١٩٨٣ »

● مغازلة اليهود ●

قد يكون هذا منظور الكاتب وله الحرية أن يردده ويؤمن به . لكن الطريف ان مثل هذه التصريحات لم تصدر عن الكاتب سوى في السنوات العشر الاخيرة لقد اراد الكاتب مغازلة الاصوات اليهودية المشرفة على منح جائزة نوبل . ورغم أن اسمه كان دائما على قمة الترشيحات الا ان هذه الاصوات لاتريد مهما كان الثمن ـ منح جائزتها لكاتب أجهر بكل شيء متناقض وكان يمكن ان يقلب الدنيا رأسا على عقب فوق رأس أكاديمية ستوكهولم بفضائحه الادبية .

والآن .. ماذا يمكن أن يحدث لمثل هذه الاعمال التي أثيرت حولها الاقاويل ، اذا



عصر الفضائح الأدبية



رومان جاري

نظرنا الى الطبعات الجديدة من كتب أميل اجار الاسم المزعوم لرومان جاري ، فان هذه الروايات تحمل اسم آجار ـ جاري معا .
اما دوريس ليسنج فقد نشرت كتابها الاخير باسمها .. ولكن لايمكن أن نتصور أن يختفى اسم كاتب كبير مثل بورخيس من فوق الكتب العديدة التي حملت اسمه وان تنسب الى كتاب آخرين أقل شهرة .. فاذا كانت هذه الابداعات والكتابات قد منحت بورخيس اسما كبيرا .. فانه بدوره قد منح أسماء هذه الكتب شرفا وشهرة .. وسوف تتلاشى الفضيحة مع مرور الزمن .. ويبقى اسم بورخيس .. وتمتلىء العصور القادمة بظواهر مماثلة ..وتختلط الحوابل بالنوابل ..

فقد نشرت وسائل الاعلام أن بورخيس قد كتب اقصوصته الاولى « النهر المحتوم» وهو فى السادسة من العمر . وانه ترجم روايات لاوسكار وايلد وديكنز وهو فى التاسعة من العمر . وانه قرا الف ليلة وستيفنسون ودانتى وسرفانتس وهو فى الحادية عشرة ..اى اننا امام عبقرية فذة ولدت ناضجة . قوية الحس والذاكرة.. وان ديوانه الاول الذى نشر عام ١٩٢٣ تحت عنوان « حميه بوينس ايرس » قد ولد من جبل الاولمب ارباباً للشعر .. وان هذه العبقرية قد ظهرت مع كتبه الاخرى مثل « دلترسان مارتن » ١٩٢٤ ، « القمر فى المواجهه » ١٩٢٥ . و « الف » ١٩٤٩ . و « ذهب النمور » ١٩٧٢ ثم « كتاب الرمال » ١٩٧٥ ..

قد لايهم القارىء العادى لهذه الاداب أن تنسب هذه الاعمال لبورخيس اكثر من ان يجد فيها المتعة .. لكن الباحثين يترصدون مثل هذه الاداب ويقومون بتحليل روح النص واسلوب بورخيس وكلماته فى كل سطر جديد . ويمكنهم اكتشاف صاحب النص الحقيقى .. لكن نصوص هؤلاء الباحثين جافة لاتهم القارىء العادى كثيرا .. فيبقى أدب بورخيس يتحدث عن المدن الفاضلة . والخلاص . والمثالية . والامل فى الغد « لااكتب من أجل اختيار صغير شغفت منه . وليس من أجل بشر مجهولين لا أومن بالتجريدية . ولا بالديماجوجية اكتب لنفسي ولأصدقائى كى اطيل الوقت الذى أعيشه » .

واذا كان الباحثون قد اعلنوا مراراً ان كل النصوص المنسوبة الى ويليام شكسبير لم تكن قط من تاليف هذا الممثل المسرحي المغمور وانما من وضع كاتب اخر عبقرى قد يكون كريستوفر مارلو الا ان هذه النصوص لا تزال تحمل اسم شكسبير حتى لو اصبح مجرد رمز فوق كتب ومسرحيات يكسب كل منها الاهمية للاخر ..

مهما كانت رائحة الفضائح فى الادب فانها متبخرة حتى يبقى منها حفيف بسيط .. لكن الرابح الاكبر هو ذلك الذى صنعت حوله الفضيحة .. فالفضيحة شهرة من الدرجة الاولى .. اما صناع الفضائح او مكتشفوها فان النسيان سرعان مايطويهم مع الزمن .. حتى وان كانوا صادقين ..

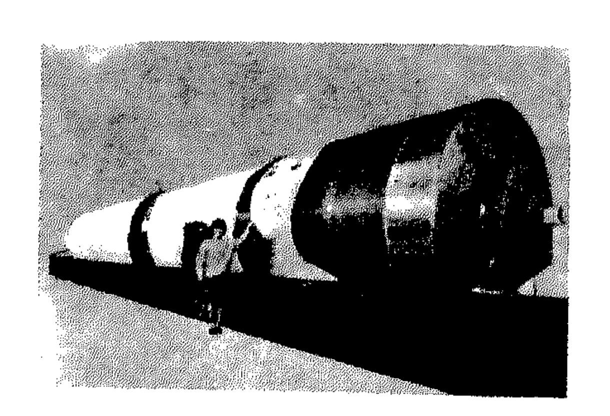
العالم.. غدا

• الكاميرا الحديثه بدون فيلم •

اخيرا تخول الخيال الى حقيقة واقعة واصبح فى الامكان التصوير بكاميرا اليكترونية بدون فيلم خلال العام القادم، وللكاميرا الجديدة نفس الشكل الخارجى للكاميرات التقليدية ولكنها تختلف تماما من الداخل . وتتركز الصور على شريحة شبه موصلة دقيقة الحجم وهى تنقسم الى ٣٨٠ ألف من عناصر الصورة الدقيقة والتى يقوم كل منها بتحويل الضوء الذى يتلقاه الى ومضات كهربائية . تسجل هذه الاشارات الكهربائية مغناطيسيا على أسطوانة قطرها بوصتان مربعتان وعىالتى تحل محل الفيلم . وبمجرد التقاط صور الكاميرا البالغ عددها ٥٠ صورة يمكن عرضها على شاشة التليفزيون واجهزة الفيديو أو طبعها وتحويلها على خطوط التليفون الى مكاتب الاخبار .



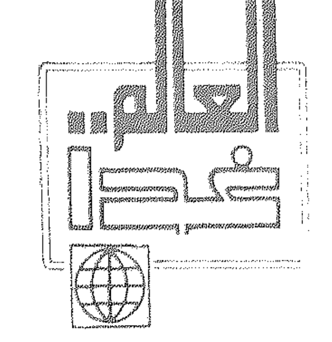
• موتور جديد يعمل بالصوت •



الان يمكن الاستغناء عن الموتورات التقليدية التى تعمل بالطاقة الكهربائية المغناطيسية – الكهرومغناطيسية – لقد انتجت احدى الشركات اليابانية الكبرى محركا يعمل بالصوت . ويعمل الموتور الجديد عندما تنتج محولات الطاقة الكهربية صوتا عالى الذبذبات يؤدى الى دوران شرائح الموتور . ويستخدم موتور الصوت فى تشغيل عدسات الزووم فى كاميرا الفيديو وآلروبوتالصناعىوالمكونات الاوتوماليكية .

• عصر السرعة .. فى طباعة اللوحات •

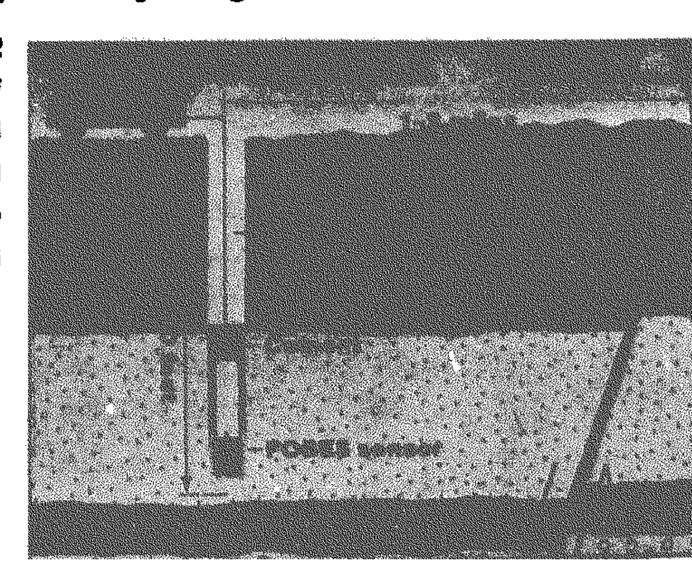
تعتبر اليابان واحدة من اكبر دول العالم فى مجال التطور التكنولوجى فبعد ان انتجت اضخم شاشة تليفزيونية فى العالمتوصلعلماؤها الىابتكار اضخمجهاز طباعة، يزن الجهاز حوالى ١٤ طنا ويعمل عن طريق الكمبيوتر ويمكنه طباعة الصور باستخدام اربعة الوان . وباستخدام الجهاز تم تكبير لوحة اعلانات مقاس ٥ر٥٢ قدم × ٢٣ قدم فى حوالى ١١ ساعة فقط وبالمقارنة فان هذه اللوحة تستغرق اسبوعين لرسمها .



● جهاز جديد للتنبؤ بالزلزال ●

اتجه العلماء الامريكيون الى استخدام اسلوب جديد للتنبؤ بحدوث الزلازل ولاول مرة تستخدم الالياف البصرية فى هذا الغرض ، فقد انتج العلماء جهازا جديدا غاية فى الدقة والحساسية لقياس اى حركة دقيقة وغير عادية تحدث فى القشرة الارضية . ويمكن للجهاز تسجيل اهتزاز يقدر بنحو عشرة على بليون من المليمتر . ويتم تركيب الجهاز على مسافة تصل من ٢٠٠ الى ٣٠٠ قدم تحت الارض . ويلف على الجهاز من الخارج طبقة من الالياف البصرية واخرى من الداخل تعمل كمؤشر للجهاز وتنفذ من خلالهما اشعة الليزر . وعندما يغير ضغط الارض من طول الطبقة الخارجية من الالياف البصرية يظهر اختلاف طول الموجات فى الطبقتين الخارجية والداخلية حجم الضغوط فوق سطح الارض .

ويمكن استخدام الجهاز الجديد فى الكشف عن البترول واثبات حدوث الانفجارات النووية تحت سطح الارض .



● سبراى لعلاج نزلات البرد ●

تمكنت مجموعة من الاطباء البريطانيين من التوصل لدواء على شكل سبراى للانف يقضى على نزلات البرد الشديدةفى زمن قياسى . ويعمل هذا الاسبراى على تغيير كيمياء الخلايا المخاطية ، مما يجعل هذه الخلايا تقاوم الاصابة. وبعد التجارب التى اجراها الاطباء اثبت الاسبراى ان نسبة نجاحه تصل الى حوالى ٧٨ ٪ ، وهو ذو فاعلية فى علاج نزلات البرد التى تصيب الانسان فى بداية الشتاء .

● هل يلقى العرب زيوتهم النباتية فى البحر ●

مع تفاقم مشكلة الغذاء فى مصر لابد ان تخرج الدراسات الجامعية من الادراج كى توضع محل التنفيذ والتطبيق .

احدث هذه الدراسات التى تخرج من الادراج تناقش اقتصاديات المحاصيل الزيتية فى جمهورية مصر العربية . مع تحديد كافة المتغيرات المحيطة باستخدام المواد المستخدمة فى انتاج هذه المحاصيل. وامكانية النهوض بانتاجها. اعد الدراسة الباحث الدكتور احمد ابو الروس .

وتشير الدراسة الى مؤشرات حساسة مثل ان محصول القطن يتناقص سنويا بما يقدر بنحو ٣٧ الف فدان بسبب ارتفاع تكاليف الانتاج والتسويق وانخفاض صافى العائد . وينطبق مثل هذا الامر على فول الصويا والكتان . فقد تبين من تقدير دالة تكاليف انتاج فول الصويا ان عملية انتاجه بمصر لا زالت تتم فى مرحلة الانتاج غير الاقتصادى ، حيث لم تصل انتاجية الفدان الى حجمها الامثل . وينطبق هذا ايضا على العديد من محاصيل الزيوت النباتية .

وقد أوضحت الدراسة ان اهم العوامل المؤثرة على استهلاك الزيوت النباتية بالجمهورية تنقسم الى مجموعتين : الاولى وتشتمل على دراسة عاملى الدخل والاسعار ، اما الثانية فقد تضمنت أثر كل من السكان وحجم الاسرة ومهنة رب الاسرة على استهلاك هذه السلعة .

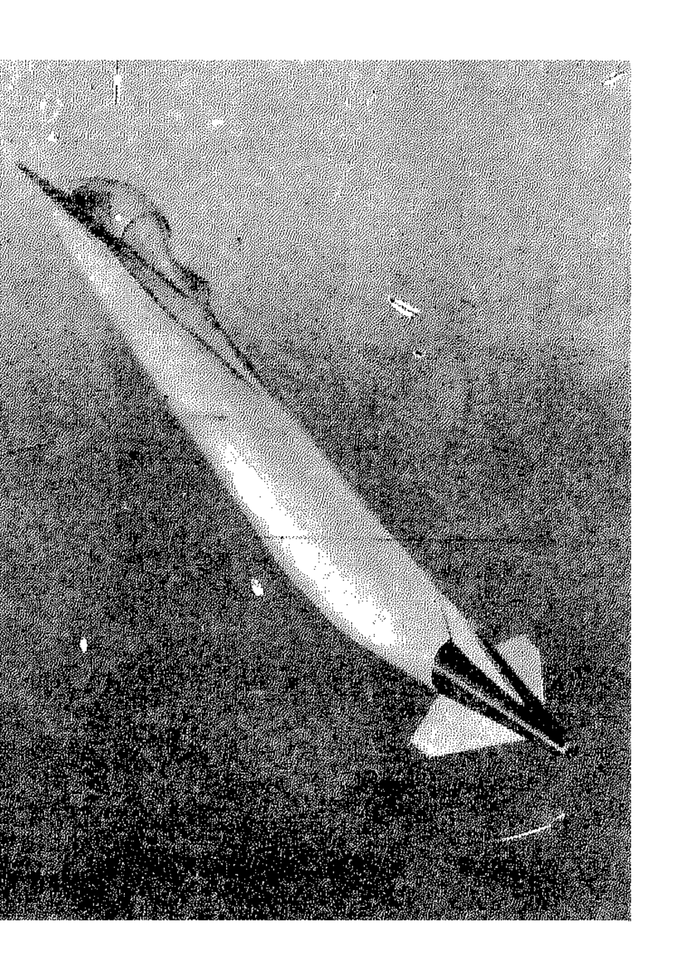
وقد أشارت الدراسة ان الزيوت المستخلصة لا تستطيع الوفاء بأكثر من ٣٣ - ٣٩٪ من احتياجات الاستهلاك الادمى من هذه السلعة حتى عام ١٩٩٠ . ومن ثم فان امر الوفاء بهذه الاحتياجات المتزايدة من هذه السلعة سوف يلقى العبء الاكبر على مخططى السياسة الزراعية والغذائية بصفة خاصة .

وقد أوصت الدراسة بالتوسع فى زراعة المحاصيل الزيتية واعادة النظر فى اسعار الخدمات الرأسمالية ودعمها ماديا ، وتقليل التكاليف الانتاجية للمحاصيل الزيتية . وزيادة مساحة محصول القطن او المحافظة على المساحة الحالية ، والعمل على رفع الجدارة الانتاجية للمحاصيل الزيتية . وترشيد استخدام البدور الزيتية .

قذائف الغد الطائرة

شهد عالم الطيران فى القرن العشرين تطورا لم تعرفه بقية اختراعات هذا العصر حتى الان . ومع ذلك فان ما كتبه الروائى الانجليزى هـ . ج . ويلز فى روايته « أول انسان فوق القمر » لم يتحقق حتى الان .. حين تصور انه يمكن الوصول الى القمر من خلال قذيفة صاروخية تقل بعض الرواد عن طريق مادة اسماها « الكانوريه » .

سينام ويلز مرتاح البال فى مقبرته مع بداية التسعينات . حيث سيفتتح الرئيس



الامريكى القادم فى عام ١٩٩٣ أول قاعدة جوية عسكرية تطلق طائراتها بنظام القذيفة الموجهة . حيث ستعمل هذه الطائرات بأسلوب قوة الطرد المركزى بالغة الهدف الذى تضربه ثم يتم التحكم فيها فى رحلة العودة .

ويؤكد العلماء ان هذه الطائرة سوف تعمل فيما بعد فى الطيران المدنى مع أوائل القرن الحادى والعشرين .. وانها يمكن ان تقلل المسافات الزمنية بين اقطاب الارض فتجعل عالمنا قرية صغيرة يمكن الانتقال فى ارجائه أسرع من الانتقال داخل احدى القرى الصغيرة فى بلادنا مثلا .. وقد أعلن احد الخبراء الذين يعملون الان فى اللمسات الاخيرة لتصميمها « بات من المستحيل القول بان هناك مستحيلا » ..

النوم في صيدلية منزلك

بقلم: د. مصطفى الديوانى

ريشة: عادل ثابت

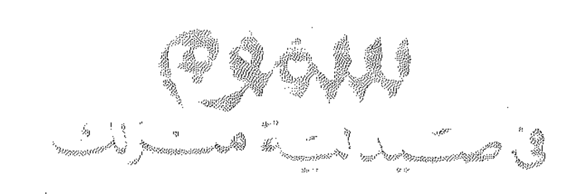
ايها النوم ! انت اعذب الاحلام واشهاها ! وبعد كد النهاراقصى الامنيات واحلاها ! ما حاول فنان الابداع والخلود الا تخيلك جمالا مغريا ، على اريكة وثيرة من الدمقس مستلقيا ، انت بلسم الالام ومخزن الامال . سيان عندك المدقع وذو الجاه والمال . قد تسخو على من نبذته حياة النهار وتقبض يدك عمن ملئت خزائنه بالذهب والدينار . وانت ايها الليل ما اقسى سكوتك واشد حلكتك . فيك يحلو استرخاء النوم وتلذ غفلته . ولكن ما افظعك ياليل اذا تخللتك الالام فتقطع علينا جميل الاحلام ، وتحول اعصابنا المشدودة الى حطام ثم لا تلبث ان تنقطع وهى ترسل اقسى الانغام . وانت ايتها الحمى لقد سرت منذ القدم فى موكب الزمان . وكم من يد رقيقة وضعت بسببك على جبين محموم فى عطف وحنان . من اجلك اهتزت مشاعر وهلعت نفوس ، وهتفت قلوب من اعماقها : متى ينتهى الكابوس .

هذه العوامل الثلاثة : جمال النوم ولذته ، وقسوة الالم وشدته وعذاب المحموم فى ازمته ، تدفع الفريسة المسكينة الى ركوب الاخطار فى سبيل التخلص من الالام وتضطرها الى اللجوء الى بعض السموم المحبوبة فى صيدلية المنزل ، وهى تبدو للعين غير المجربة كباقة فريدة من الزهر بين افرادها الفل والياسمين ، فى حين ترى فيها العين الناقدة الخطر الدفين. ويعز على ان استعرض اسماء معظمها عزيزة ، لها علينا افضال كثيرة ، ولكن كل ما أرمى اليه من عرضها هو مجرد لفت النظر الى عدم الافراط دون تبصر او روية فى تعاطيها ، والا ننشىء بيننا وبينها صداقات كبيرة فليس اعصب بالود من ملازمة مستمرة تكشف الغطاء عما خفى وبطن .

● كلمة تحذير ●

فاذا استعرضنا الادوية الشائعة واحدا بعد الاخر بدانا باكثرها شيوعا وهى مهبطات الحرارة العادية التي لا تكد تخلو منها صيدلية اى منزل واعنى بهذه الشرذمة مركبات الاسبرين والفيناستين والبراميدون ، وجدنا انفسنا مضطرين الى ارسال





كلمة تحذير لابد منها فى سبيل السلامة العامة • فالاسبرين مثلا ـ وهو اللعبة المفضلة في صيدلية المنزل ـ قد يسبب الاما معدية يصحبهاعسر هضمى وقد يؤدى تعاطيه الى حدوث هرش جلدى شديد وارتكاريا مستعصية، وورم فى الوجه والعينين ونزيف من الانف والفم واذا اعطى بكميات كبيرة قد يسبب تهيجا عصبيا وهذيانا وفى بعض الاحيان يفقد الشخص وعيه ويمضى فى غيبوبة قد لا يفيق منها ابدا ، وهذا يفسر نجاح بعض حالات الانتحار بتعاطى كميات من الاسبرين ومن سبيل وضع الحق فى نصابه يجب ان نذكر انه ليس للاسبرين اى تاثير سيىء على القلب كما تروى الشائعات •

اما فصيلة البيراميدون فاننا نجد اسم احد اعضائها ضمن معظم المركبات المسكنة للالام وهى فى متناول الجميع يشترونها من الصيدلى المتخصص ومن البدال الذى يبيعها بجانب طابع البريد وعلبة السجاير ولابد من ارسال كلمة تحذير شديدة خالصة بصدد البيراميدون • فاذا رأيت اسمه مدرجا فى تركيب دواء ما فخذ حذرك منه فقد يكون السم فى البلسم الشافى ـ لان لهذا الصديق الملعون قدرة خاصة فى بعض الاشخاص لا كلهم لحسن الحظ ـ على النزول بكرات الدم البيضاء الى الحضيض فتهوى من مستواها العالى البالغ عشرة الاف فى الليمتر المكعب الى الف او اقل • فتقل مقاومة المريض للجراثيم ويصاب بالتهابات شديدة بالفم والزور وينتابه هبوط شديد قد يؤدى الى اوخم العواقب • وتحدث هذه الاعراض ـ لحسن الحظ فى الناس الذين فى اجسامهم حساسية خاصة لهذا الدواء ويمكننا ان نجنبهم شره بتحليل دم كل مريض يتعاطاه بصفة دائمة من ان لاخر، ووقف تعاطيه فى الحال اذا وجدنا ان عدد الكرات البيض اخذ فى الهبوط • ويدخل البيراميدون فى تركيب كثير من الادوية المسكنة الشائعة مثل الفرامون والسيبالجين والالونال وهى اسماء غالية عزيزة لا اقصد الحط من قدرها ولكنى اردت التحذير من الافراط فى استعمالها دون تبصر او تعقل •

● استعمال حذر ●

ننتقل بعد هذا الى عالم المنومات اى الادوية التى تجلب النوم الهنىء عندما يضرب شيطان الارق على الاوتار المشدودة •ومن اوسعها انتشارا املاح البرومور او (البروميد) كما يصمم غير الاطباء على نطقها فى رطانة طريفه • وهى اذا اعطيت كمنوم يصحو الشخص من نومه خاملا كسلانا على غير ما تعهده فيه بعد الاستيقاظ من نوم طويل • واذا اعطى البرومور مددا طويلة فان تراكمه بالجسم يسبب اعراضا خاصة من اهمها بلادة التفكير وضعف الذاكرة وظهور طفح جلدى يأخذ هيئة فقاعات او بثور • وفى الحالات الشديدة قد لا يقوى المريض على السير بثبات ، ويتهته ويتلعثم اذا حاول التعبير عن افكاره ••

وقد شاع فى السنوات الاخيرة استعمال مستحضرات الفينوباربيتال كمنوم ومن اسمائه المعروف بها (اللومينال) حتى ليقال ان معامل الولايات المتحدة وحدها تخرج منه ما زنته مائة طن سنويا يستهلك منها

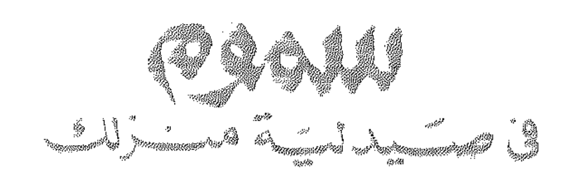
داخل أمريكا نفسها ثمانون طنــا ، وأصبح الناس يستعملونه فى بساطة كأنه أقراص الحلوى ، وأدى سوء استعمالها الى ظهور أعراض تسمم شديدة تصحبها غيبوبة قد لا يفيق منها المريض نتيجة شلل مركز التنفس المخى . فاذا قرأت اسم الفينوباربيتال ضمن تركيب دواء منوم أو مسكن فاستعمله بحذر وقاوم هذا الدواء السحرى الذى يغرينا صغر حجمه على التهامه دون جرعة ماء .

ولم نسمع عن دواء توثقت الصداقة بينه وبين المريض مثل السلفناميد ومشتقاته واعتقد انه يندر أن تخلو منه صيدلية منزل . الم تسمع عن السلفانا والسيبازول والسلفاديازين والداجنان والسلفاجوانيل وغيرها من الاسماء الحبيبة التى طالما سمعنا سيداتنا وانساتنا ينطقن اسماءها برطانة افرنجية جذابة ، ويتسابقن الى اقتنائها وكانها مستحدثات الزى والعطور . حقيقة ان هذا القرص العجيب قد أدى للانسانية خدمات جلى تسجل بماء الذهب ولكنه له هو الاخر الاعيبه ومضايقاته واخطاره . واذا اعطى دون احتراس أو حيطة رسب فى مجارى البول وسد منافسها فتقل كمية البول أو تنعدم تماما ، ويتسمم الجسم نتيجة احتباس البول وقد يستعصى علاجه على الطب والطبيب — ومن مضاعفاته ايضا حدوث نوع من فقر الدم الحاد تهوى بسببه كرات الدم الحمراء الى مستوى مخيف وقد يموت المريض اذا لم نسعفه بعملية نقل الدم ، وهى عملية باهظة التكاليف ولا تخلو من خطورة .

هذه كلمة تحذير من بعض الاصدقاء الخطرين الذين لا تكاد تخلو منهم صيدلية اى منزل ، وقد بينت لكم ان الخداع من طبعهم والغدر من طبيعتهم فاحذروهم .

ان الالم رغم شدة وطأته على الجسم والنفس ، يجب اعتباره من الحواس الضرورية كالسمع واللمس وباقى الحواس الخمس ، اذ ان له مزايا وقائية جمة . فلولاه لتركنا الجمرة المحترقة تنال من أجسامنا ما شاءت ، ولما ابتعدنا عن مواطن الاذى والخطر حيثما كانت ، ولما فطنا الى موضع الخلل من الالة البشرية التى تعمل دون انقطاع اعواما ، فتسير فى نعومة حينا أو يختل ميزانها اياما . والالم هو سبيلنا الوحيد لنعرف موضع الداء ، فنكافحه بما يناسبه من دواء . فهو نقمة ونعمة ، وخنجر مغمود ودرع واقية . وسبحان الذى يعطى ويأخذ ، ويذل ويرحم وهو على كل شىء قدير .

كم سمعنا عن قلب يتلظى أو كبد تحترق ، فظننا أن اعضاءنا الداخلية كالقلب والكبد والرئة والكليتين والمعدة والامعاء حساسة مرهفة يؤلمها الوخز الرقيق الدقيق ، ولكن الواقع أنها لا تحس ولا تشعر بالالم ، فانك اذا فتحت بطن حيوان ما ، ثم عبثت بأحشائه تضغط عليها حينا وتقطعها بحد السلاح أو تحرقها بالنار حينا اخر لما وجف أو صرخ متالما . وفى الحالات الجراحية التى تجرى تحت تاثير البنج الموضعى يلاحظ الجراح ومن حوله انه متى تعرضت الاحشاء أمكن العبث بها او الضغط عليها والمريض لا يكاد يشعر بما يجرى فيه . وبقصص السير وليم هارفى أسطورة لا تخلو من طرافة ، وهى أن الابن الاكبر للورد مونتجومرى ولد وفيه تشوه خلقى جعل قلبه باديا للعين الا من الجلد الرقيق حتى أمكن لمسه بالاصبع حملوه الى الملك شارل ليشاهد تلك الحالة الشاذة ، وامكنه



أن يتأكد بنفسه أن القلب لا يشعر اذا امسكناه او ضغطناه باصبعنا ولقد اوحت كل هذه الظواهر الى العلامة هنرى هيد بفكرة الالم الانعكاسى • أى ان اعصاب الحساسية لكل عضو داخلى تنتهى فى مكان معين من النخاع الشوكي تتقبل فيه مسع أعصاب الحساسية لجزء معين من الجلد • فاذا تألم القلب مثلا انعكس المه الى الكتف اليسرى أو الذراع الايسر ، وينعكس ألم حويصلة المرارة الى الكتف اليمنى أو الظهر أو منطقة المعدة • والرئة مثلا لا تحس بالالم ، ولكن متى امتد الالتهاب الى غشائها شعر المريض بألم حاد قد ينعكس الى البطن فيظن الطبيب ان موطن لداء فى المرارة أو المصران الاعور • وبالعكس من هذا ، اذا امتد التهاب الكبد أو المرارة الى الحجاب الحاجز سبب اعراضا تشبه الالتهاب الرئوى• ولعل جالينوس كان اول من وصف هذه الظاهرة فى عام ١٩٦٠ قبل الميلاد ـ فقد فصل فى مذكراته عنها وبلغ من دقة الوصف أن قال :

« اذا امتد مرض الكبد الى الحجاب الحاجز نتج عن هذا سرعة فى التنفس والم موضعي وسعال شديد لا يصحبه بصاق » ••

● مكان الالم ●

ولابد أن يمر الشعور بالالم بمراحل عديدة قبل ان يترجم على وجهه الصحيح فمحطة الاستقبال الاولى كانت على سطح الجسم أو داخله ترسل اشارتها الى النخاع الشوكى ومنه الى مكان فى قاع المخ يدعى المهاد ومهمته التفريق بين درجات الحرارة والالم بشكل تقريبى •

ومن هنا تستمر الاشارة فى طريقها الى المحطة الرئيسية العليا فى سطح المخ ، فتتحلل تحليلا فنيا دقيقا ، ويشعر بمكان الالم وطبيعته ودرجته من الشدة ، فيثير فى الانسان الجزع والقلق والضيق وغير ذلك من مظاهر الالم التى يعهدها كل من اكتوى بناره •

من هذا تدرك أن شعور الالم يجب أن يمر فى المراحل الاتية : محطة أرسال سطحية أو داخلية ، ومنها يسرى فى الاعصاب والنخاع الشوكى حتى يصل الى مركز الرئاسة وهو المخ حيث تتسلمه محطتان احداهما اضافية غير دقيقة ، والاخرى الرئيسية وهى بمثابة الاخت الكبرى المكتملة النضج التى تدرك ما خفى من الامور • فاذا تحدثنا عن دواء مسكن أو منوم أو مخدر قصدنا بهذا عنصرا كيميائيا ينزل على احدى هذه المحطات أو كلها فيشل من حيويتها بشكل مؤقت ويريح الجسم من عناء الالم أو الارق المذل المرهق ويسلمه الى سلطان النوم الهنيء ، ويالها من نعمة كبرى •

● مفعول المخدر الى أين ؟ ●

أنت تسمع مثلا عن استعمال لبخة بذر الكتان او الانتفلوجستين او قربة الماء الساخن لتخفيف الالام السطحية الموضعية • فهل خطر لك أن تسأل عن سر مفعولها فى سبيل تخفيف الامك ؟ ولابد انك فى يوم ما لجأت الى احد ادوية الروماتيزم تدلك بها كتفك او ذراعك أو ظهرك او ساقك فلا تلبث ان تشعر بدفء موضعى عجيب يصحبه ذوبان الشعور بالالم • المضنى • لماذا نلجأ الى هذه الطرق البدائية فى سبيل الخلاص من قيود الالام

والاوجاع ؟ الم اقل لك منذ سطور قلائل ان الشعور بالالم يبدأ في محطة الارسال سطحية كانت او داخلية ومنها يسرى في أعصاب هي بمثابة الاسلاك الكهربائية ، ليصل بواسطتها الى المركز الرئيسي ، الذي يفسر الالم على حقيقته • فاذا انت حاولت انشاء محطة اخرى في منطقة مجاورة بحيث تغطي وامواجها على رسالة المحطة الاصلية أي موضع الالم ، امكن ان ترغمها على الانزواء والاختفاء ولو مؤقتا ، فينسى المخ الالم الاصلي ويتفرغ للمداعب الجديد يحاول تفسير كنهه ومدى أغراضه من تدخل غير متوقع في ظرف دقيق كهذا • وقد تطول فترة المداعبة أو تقصر حسب قوة المحطة الاضافية ودرجة انتشار أمواجها في الافق الضيق •

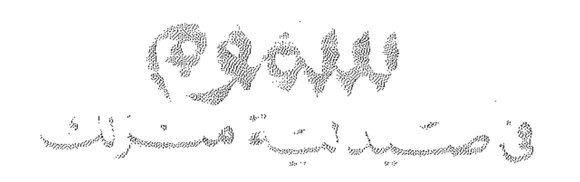
على نفس هذه المحطة الخارجية يسرى مفعول بعض المخدرات الموضعية كالكوكايين مثلا • فانت اذا حقنت هذه المادة تحت الجلد في أي موضع من سطح الجسم ، أمكنك أن تعمل فيه بالسلاح والمبضع دون أن يشعر المريض بأى غضاضة أو نفور • واذا حقنتها تحت ضرس امكنك خلعه على حين يراقبك المريض في بساطة وسكون ، وما هذا الا نتيجة لشلل مؤقت في محطة الاستقبال ، فيجرى كل شيء في غفلة من مركز القيادة العليا الذي يعتمد في تصريف أموره على حارس يود لو كان أمينا ، ولكن من طبيعته أن تلهيه عن مهمته الاصلية المداعبات والمشاغلات ولايفيق من غفلته الا بعد فوات الاوان •

بقيت لدينا المحطتان الرئيسيتان ، واحداهما كما أسلفنا تقع عند قاع المخ والثانية عند سطحه • أما الاولى فان تاثيرها بأدوية خاصة يؤدى الى زوال الالم دون أن يغيب الشخص عن صوابه أو يفقد توازنه ، كما هي الحال عند تعاطي الاسبرين والبيرامدون والفيناستين والفينوباريتدل (اللومينال) • ومعظم المستحضرات المسكنة المنتشرة في السوق الطبي تجمع بين اللومينال وأحد افراد المجموعة سالفة الذكر • أما المنومات التي تشل من حركة المركز الاعلى فمن اهمها المورفين ، واملاح البروميور والكلورال والبارلدهيد ، فيصحب زوال الالم استرسال في نوم عميق ينسى خلاله المريض الله ولو الى حين •

ومهما قيل عن أخطار المنومات والمسكنات فانه لابد ان يأتي اليوم الذي يحتاج احدنا الى واحد منها ليقاوم ارقا مستعصيا سببته احداث العالم الصاخب ، او ليريح نفسه من الم ممض هو من الاحداث اليومية العادية في حياة الالة البشرية •

واذا كان لابد من الشر فلنتحايل عليه لنمتص منه الذى ينفع ، ونتجنب في الوقت نفسه ويلاته ومضايقاته • فيجب ان يكون الدواء المنوم رءوفا بالمعدة ولا يهيج غشاءها المخاطي وان يكون سهل الامتصاص من الامعاء سريع الافراز في البول حتى لايتراكم في الجسم بعد أن يؤدى مهمته ، ولانه وجد بالتجربة أن هذا التراكم يؤدى الى نوع من التسمم المزمن ، من أهم أعراضه التبلد الذهني والخمود الجسمي فيصحو الشخص من النوم خاملا كسولا لا يقبل على عمل اليوم بالنشاط المعهود بعد ان نام ملء جفونه ساعات طوالا • كما يجب أن نتجنب الادوية التى تؤثر في القلب والدورة الدموية أو التى تؤدى الى عادة الادمان كالمورفين مثلا •

اذا استعرضنا الادوية الشائعة واحدا بعد الاخر وبدأنا بأكثرها شيوعا



وهي مهبطات الحرارة العـــادية التي لا تكاد تخلو منها صيدلية أو منزل ، واعني بهذه الشرذمة مركبات الاسبرين والفيناستين والبيراميدون وجــــدنا نحن الاطباء انفسنا مضــــطرين الى ارسال كلمة تحذير لابد منها في سبيل السلامة العامة فمما لاشـك فيه ان لهذه المركبات فوائد عظيمة في علاج الصداع والام المفاصل وروماتيـــزم العضلات والم الانسان فهي بجـــانب مفعولها كمهبط للحرارة نتيجة تاثيرها في مركز الحرارة المخي تؤثـــر في الوقت نفسه في مركز الالم المجاور لاخيه الحراري اى ان بركتها تحل على الدائرة ومن فيها • ولكن حتى هــذه المجموعة البريئة في ظـاهرها لا تخلو من اشواك قد تحز ، او قد تنـال من الجسم مقتلا •• فالاسبرين مثـــلا ـ وهو اللعبة المفضلة في صيدلية المنزل ـ وقد يسبب الاما معدية يصـــحبها عسر هضمي ، وقد يؤدى تعاطيـــه الى حدوث طفح جلدى ومرض شديدين وتورم في الوجه والعينين ونـزف من الانف والفم •

فاذا تركنا فصيلة الاسبرين وطرقنا باب اسرة البيراميدون لنكشف فيهـا من محاسن ومساوىء لرأينا عجبـا ، فاننا نجد اسم أحد اعضائها ضـمن معظم المركبات المسكنة التي في متناول الجميع يشترونها من الصـــيدلى المتخصص ومن البدال الذى يبيعهـا بجانب طابع البريد وعلبة السجاير •

● انذار ودى ●

وعندما اسرد لك فيما يلي قائمـــة اسماء الادوية التي تحوى مـــادة البيراميدون بين عناصرها ، لا اقصد مطلقا الحط من قدرها فمعظمهـــا اسماء عزيزة كم خففت من الام واوجاع وادت للانسانية خدمات جلي تسـجل بماء الذهب • ولكن كل ما اريــــده انذارا وديا من صديق يود لـــو كان نافعا وامينا ، لولا حساسية خاصـــة في البعض منا تجعل من الدواء داء ، ومن النعيم بلاء •

نوع الدواء	مقدار الجرعة الواحدة	التركيب الكيميائي
الفيرامـون	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
سـيبالجين	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
اللومينـال	قرص الى قرصين	بيراميدون ، فينوباريتال
جـاردان	قرص الى اربعة	بيراميدون ، نوفالجين
نوفالجين	قرص الى قرصين	لا تحويان مادة البيراميدون ولكن فيهما مادة الفيناستين وهي أسلم نوعا ولو أن لها أيضا متاعبها ومضايقاتها •
فيجـانين	قرص الى قرصين	

فكل ما أرمي اليه من عرض هـــذه الاسماء الغالية على كل نفس هو مجرد لفت النظر الى عدم الافراط دون تبصر أو روية في تعاطيها ، والا ننشيء بيننا وبينها صداقات كبيرة ، فليس أعصف بالود من ملازمة مستمرة تـــكشف

الغطاء عما خفى وبطن ·

انتقل من ذلك الى املاح البروموروهى من اوسع المسكنات انتشـــــارا تستعمل بصفة خاصة فى علاج الارق والتهيج العصبى والصرع · وتتميز املاح البرومور بطول مدة مفعولها ، لان افرازها من الكليتين بطيء فتبقى فى الجسم مدة اطول · ولهذا كانت فائدتها فى علاج الصرع كبيـــرة لان بقاءها بالجسم مدة طويلة يضـــمن السيطرة على الاعصاب المتوتره حتى يحين موعد الجرعة التالية · ولعـــل فائدة البرومور كعلاج للصرع المـــع صفحة فى تاريخه الطبى · فهو غيـر كفء كمنــــوم ، ولا يزيل الالم فى الحالات الحادة · واذا أعطى بمقادير صغيرة ، خمدت حدة الذهن والتيقظ والتنبيه التى يمتاز بهـــا الشخص العادى · فيبدو خاملا خامدا ، لايقوى على التركيز والتفكيـر · واذا اعطى بمقادير كافية لجـلب النـــوم فـان المريض يصحو منه كسولا على غيـر ما تعهده فيه بعد الاستيقاظ من نـوم طويل ·

واذا اعطى البرومور مددا طويلةفان تراكمه بالجسم يسبب اعراضا خاصة

وللفينوباربيتال مستحضرات عدة ، وتتوقف كفايتها وسلامة مفعولها على قدرة الجسم على تحطيمها والتخلص منها ، فلا يبقى منها فى الجسم بعـــد مضى ٢٤ ساعة من تناولها ســـوى القليل ، ولا يؤدى تكرار استعمالهـــا اياما متوالية التى تراكمها بجســـمه الامر الذى يؤدى عادة الى اعـراض تسمم مزمن · فالفينوباربيتون مثـــلا لا يطرد من الجسم بسهولة ، بينمـــا النمبيوتال والاميتال ، وهمـــا من مشتقات بالباربيتال ايضا ، اســـلم عاقبة لانهما يحطمـــان ويفرزان من الجسم بسهولة · وكلما كان الافـراز بطيئا شعر الانسان بخمول جســمى وذهنى فى اليوم الذى يعقب تنــاول المنوم ·

وعلى العموم يحسن عدم الالتجـاء الى تعاطيها من آن لاخر عندما تكون الحاجة ملحة · وعلينا دائما ان نقاوم هذا القرص الســحرى العجيب الذى يغرينا صغر حجمه على التهـــامه حتى دون جرعة ماء ·

وهناك دواءان منومان شـــائعان منذ زمن طويل وهما البارالدهيـــد والكلورال ، وهما يمتازان بســرعة مفعولهما وسرعة طردهما من الجسـم حتى ليصبحوا الشخص فى اليـوم التالى من نومه منتعشـــا هادئا وكانه نام نوما طبيعيا ·

أما المورفين فيجب استعماله كمنوم فى حالات الارق المزمن ، فقد يولد فى الشخص عادة مزمنة متى وقــع فى مخالبها فقل عليه السلام · ولكننـــا نلجا اليه كمسكن من الدرجة الاولى فى الازمات القلبية والكلوية والكبـدية وفى الامراض المزمنة الميئوس منهـــا لكى يقضى المريض ايامه الاخيرة عـلى اهنأ حال ·

وقد غزت الاسواق اخيرا مايسمونها حبوب السعادة مثل الميلتــــاون والبيرترانكيل والفاليـــوم وهى التى تصالحك مع الدنيا اذا ما انتابتــك ضائقة نفسية واضطراب عصـــبى فينبلج وقد بدأ كل ما فى الحيـــاة مشرقا سعيدا ·

هذه قصة تلك الباقة الفريدة التى قد ترى العين غير المجربة بين افرادها الفل والياسمين ، على حين ترى فيها العين الناقدة الخطر الدفين · فاحذروا لين ملمسها ، لان الخداع من طبعهـا والغدر من طبيعتها ·

عرفات

هل هو الممثل الشرعى والوحيد "للاجئين"؟

بقلم : فيليب جلاب

مشكلة ياسر عرفات الأساسية هى أنه الرئيس المنتخب لمنظمة التحرير الفلسطينية ومشكلته الأخرى هى أن هذه المنظمة هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، كما تقول بذلك وثيقة رسمية وقعت عليها واعترفت بها كل الدول العربية .

ولهذين السببين ومايترتب عليهما من نتائج ، من الصعب على المنظمة وعلى ياسر عرفات أن يجدا ترحيباً لدى نظم عربية كثيرة !

ومن هنا « تجاهد » النظم و« تجتهد » لكى يكون لكل منها زعيمها الفلسطينى « المختار » ومنظمتها الفلسطينية الشرعية والوحيدة !

وليس هذا تقييما أو تقويماً لزعامة ياسر عرفات أو منظمة التحرير .. ولكن الذين يدهشهم أن يتجول عرفات كثيراً هذه الأيام فى شرق وغرب أفريقيا السوداء لايتساءلون .. « والى أين يذهب ومن الذى يحمى ظهره ؟!»

فالعرب الذين يتهمون عرفات « بالتفريط » لايتفقون مع العرب الذين يتهمون عرفات « بالتشدد » الا حول نقطة واحدة وهى ضرب عرفات والمنظمة .

أما الافريقيون الذين لايعرفون لحسن الحظ الآن الفرق بين سياسة " الظاهر " وسياسة " الباطن " فمازالوا يؤيدون فكرة ياسر عرفات « واحد » ومنظمة تحرير شرعية « واحدة ».

لكن أغرب مانشهده الآن من بعض العرب « المعتدلين » هو الحملة التى تتهم عرفات « بالتشدد » لأنه لايريد الاعتراف بالقرار رقم ٢٤٢ الذى يلخص مشكلة الفلسطينيين فى قضية لاجئين يمكن تعويضهم وتوطينهم فى أى مكان الا فى وطنهم !

إذن فياسر عرفات هو زعيم منظمة التحرير الفلسطينية التى هى الممثل الشرعى والوحيد « للاجئين الفلسطينيين » ؟!

وحتى فى هذه الحدود لايحترم بعض العرب « حقوق اللاجىء » حتى لو حصل على جواز سفر الدولة المضيفة ، ولذلك فلاعاصم له من الاسرائيليين الذين يطلبون رأسه ورأس المنظمة ومن العرب الذين يطلبون قراره وقرار المنظمة سوى الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة والذين يظاهرونه بحق خارج هذه الأرض .

وإلى أن تنعدل كفة الميزان ، فلا بأس أن يتجه جنوباً حيث أرض الله واسعة :



القرية موال البراءة

بقلم : عز الدين نجيب

ما عادت القرية المصرية عالما للبراءة والبكارة ، ولا فردوسا من جمال الطبيعة ، ولم يعد الفلاح او الفلاحة تجسيدا لنقاء الفطرة ، أو رمزا للعطاء السخى والاستمساك بالارض والتراث .. ذلك أن الكهرباء والتليفزيون والانفتاح الاعلانى قد نقلت الى القرية قيم المدينة غير الفاضلة ، وتكفلت هجرة الفلاح الى دول النفط بالقضاء على أعز قيمة لديه ، وهى التمسك بالارض والانتاج .. وهكذا استشرت منازل الاسمنت الشائهة فى الارض الخصيبة والتهمتها كالوباء ، وصار اهلها يأكلون غذاء يأتى من وراء البحار ، وتوارت قيم الجماعية وثقافة القرية المحملة برحيق الاصالة عبر الاف السنين ، توارت خلف ثقافة المدينة الغازية ، المسممة بقيم المال ، حتى تحقق المثل الشائع : معك قرش ... تساوى قرشا .

ماذا بقي للفنان اذن ليصوره فى القرية بعد كل هذا ، خاصة اذا كنا نعرف أن عناصره الاولى فى التشكيل هى الطبيعة والانسان ؟ ..

وربما كان ادراك الفنانين المصريين لهذا التحول ـ مضافا الى استجابتهم المبكرة للثقافة الغربية الوافدة، وتقليدا تجاهاتها الفنية فى أعمالهم ـ ربما كان هذا وذاك ، وراء انصرافهم ، منذ عقدين من الزمان تقريبا ، عن التعبير عن القرية وعالمها وانسانها ، وان بقي هناك من الفنانين من يحفل بالقرية ، فهى لديه اما قرية مخترعة من وحى خياله ، تتسربل بالاسطورة ، وتسبح فى حلم لازوردى ، مجردة من الزمان



الصورة العليا : أم الشحات تطهو طعام ابنائها من أعمال الفنان بدوى سعفان
والسفلى : عازف الأرغول مقاس ٨١ × ٧٠ سم

القرية
موال البراءة

والمكان ، ولا بأس ان نرى النسوة يرقصن في ساحتها عرايا تحت ضوء القمر الازرق، او يرتدين أزياء رومانية هفهافة .. واما قرية سياحية تتجمل بالمساحيق الثقيلة ، قد يناسبها أن تستخدم كديكور لفيلم سينمائي للدعاية ، أو كاعلان عن تنظيم الاسرة !

وربما حرصت على ابراز الوجه المعتم من الصورة ، كي يبدو وجهها الآخر الذي سوف أقدمه الى القراء ، مشرقا أكثر .. هذا الوجه الآخر هو رسام نذر حياته وفنه للتعبير عن « القرية التي كانت » .. اسمه بدوى سعفان .. عمره خمسون عاما .. يعيش في قرية بالدقهلية تدعى « سنبخت » .. تخرج في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ـ قسم التصوير ـ عام ١٩٥٩ .. وهو بالطبع أسم مجهول لعامة القراء ، بل حتى لاغلب المشتغلين بالحركة الفنية ، التي انعزل عنها عزلة تامة على مدى ربع قرن ، وان كان خليقا بأن يحتل مكانه في صفوفها الاولى .

اقول أن فنه تعبير عن القرية التي كانت اذ أنه كما لوكان قد أسدل ستارا بينه وبين مظاهر القرية الحالية التي لايزال يعيش بها ، وراح يستحضر ـ في حنين ـ ذكريات الطفل الذى كان يلعب في شوارع القرية بالجلباب المخطط والقبقاب ، ويستدعى شخصياتها الطيبة وبيوتها الساذجة ، وحتى ملابسها وأطعمتها البسيطة .. وهو في كل ذلك لا يسجلها كعمل انثربولوجي ، ولا حتى كرؤية جمالية يعيد من خلالها ترتيب العناصر في نسق فني خاص .. انه ببساطة يعيشها من جديد ، متفاعلا ومتحاورا معها ، مثلما كان « فان جوخ » يعايش القرية الهولندية ويمتزج بزرعها وبيوتها ، ويذوب في توهج قمحها، ويصبح نجمة من نجمات ليلها ، وشجرة سرو حلزونية تشق سماءها .

أن سعفان لا يصور القرية الا بالقدر الذى يصور نفسه من خلالها ، ان احساسه الفطرى البرىء موجود في كل لمسة فرشاة وكل جسم لرجل أو طفل ، وكل جدار أو سقف بدائى من جذوع الشجر .. حتى على « الطبلية » المترعة بأرغفة الخبز وعيدان الفجل « وفحل البصل » وقطع الجبن والاباريق الفخار ، كل ذلك أمام خلفية من ملابس العمل في الحقل .. تمتلىء احساسا بوجوده الانساني « أنظر لوحة : وجبة ريفية » .

وربما تسرع المشاهد المتعجل فحكم بأن أعماله من نوع أغنية « ما احلاها عيشة الفلاح » ، الا أن المتأمل لمعالجاته التشكيلية سوف يخرج بنتيجة اخرى ، وهي انها صورت بروح الطفل ومن خلال عينه السارحة في الماضي ، وقد يذكرنا بالفنان الروسي الاصل مارك شاجال ،الذى هاجر الى فرنسا منذ شبابه،وظل الى اخر حياته يرسم ذكرياته وأحلامه في قريته الروسية ، برؤية الطفل الساذجة ..

لكن بما أن بدوى سعفان طفل عجوز من ريف مصر، فهو يخجل من تصوير احلامه ونزوات طفولته البريئة « أو غير البريئة » .. ان القيم الموروثة التى تفرض الجدية والوقار على الرجولة ، وتكرس مفهوم العيب على كل ماهو خارج عن المألوف .. تتدخل هنا وتمنع انطلاق الطفل بحرية ، لكنها لحسن الحظ قد عجزت عن السيطرة تماما على الرؤية التشكيلية للمدركات البصرية التى يستدعيها خيال الطفل سعفان ، حيث نشعر ازاءها بالصدق النابع من فطرية الاداء وبساطته ، بما يجعلنا نكتشف فجاة كم هي جميلة مفردات الحياة اليومية البسيطة ، اذا أعادت اكتشافها وصياغتها يد فنان ... ان روعة الفن الحقيقية لا تأتي من ابتكارنا لموضوعات جديدة أو من طرح أفكار غير عادية ، فكل الموضوعات والافكار قد استهلكت عبر آلاف السنين على أيدى الفنانين والمفكرين والكتاب ، لكن روعة الفن تأتى من انبهارنا بزاوية النظر الجديدة ، التي يعيد الفنان بها اكتشاف ماسبق لنا معرفته ، فتصبح الاشياء

المألوفة والعادية مدهشة وغير عادية ..

ان لوحة « بلدتي سنبخت » مثلا لبدوى سعفان لا تستمد سحرها من أكواخ الطين المتراصة وفوقها أكوام القش ، وانما تستمده من طريقة تصنيف هذه الاكواخ على مستويين ، يجعلانها تبدو وكأنها تطير في الهواء .. وتستمده من خشونة الملمس وضراوة لمسات الفرشاة المثقلة بعجائن الالوان ، وتستمده من الضوء الخفي الذى ينبع من مكان مابداخلها وتستمده أخيرا من صمتها الغامض وخلوها التام من البشر ، وان كنا نشعر باختلاج الحياة خلف كواها ونوافذها المعتمة .

ان بدوى سعفان لم يعش غير تجربة حب واحدة طوال حياته ، وهى حبه لقريته « سنبخت » ، والغريب أن عشقه لها لم تطفىء أجيجه حتى اليوم تقلبات الزمن وشح السنين ، مما اضطره الى مغادرتها الى ليبيا لمدة أربع سنوات سعيا للخلاص من شظف العيش، كمدرس للرسم بالتربية والتعليم .

دعونا نرجع بالذاكرة ثلاثين عاما الى الوراء ، حين كان بدوى طالبا بكلية الفنون الجميلة .. لنرى كيف كان اساتذته من الفنانين امثال حسين بيكار وعبد العزيز درويش وعز الدين حمودة وعبد الهادى الجزار ، يتعاملون معه كفنان وليس كطالب عادى ..كان فى أعماله شىء مختلف عن الاداء الاكاديمى الذى تتطلبه الدراسه من الطالب ، حتى لقد تمنى له الاستاذ بيكار أن يتفرغ للفن بعد تخرجه ، وقارنه الاستاذ الراحل درويش بمحمود سعيد وناجى ، بالرغم من أنه لم يكن قد سمع حتى باسميهما فى ذلك الوقت .. ومع ذلك لم يعين معيدا بالكلية بعد تخرجه ، لان مواصفات المعيد « والاستاذ فيما بعد» تتطلب مهارته الاكاديمية وليس تفرده الابداعى .

● بداية جادة ●

أذكر حين ابتدأ العام الدراسي بالكلية عام ١٩٥٨ ــ وكنت طالبا بالسنة الثانية بقسم التصوير ــ أن رأيت في أول يوم من الدراسة مجموعة كبيرة من اللوحات الزيتية معروضة على جدار الطرقة التى أمام القسم والطلاب يتجمعون حولها مبهورين ــ كانت اعمالا مستوحاة جميعا من القرية ، معالجة بحس بدائى أو « جونى » كما كنا نسميها ، وظننتها اعمالا للاستاذ عبد الهادى الجزار ، الذى كان أسلوبه قريبا منها آنذاك ، وأنه عرضها كدرس عملى لنا .فاذا بها لبدوى سعفان ، الذى كان فى السنة النهائية ، وقد عكف على رسمها بقريته خلال الاجازة الصيفية ، وجاء أحد الاساتذة ليكشف لنا ــ بمنتهى الاحترام ــ مواطن الجمال فيها .. وأعتقد أن لوحتيه « وجبة ريفية » و « قريتي سنبخت » كانتا من بين تلك المجموعة وقد عرضتا فى ايطاليا في ذلك العام ضمن اعمال للفنانين المصريين .

وتخرج سعفان فى الكلية عام ١٩٥٦، بعد أن حصل مشروعه عن القرية على تقدير امتياز ، والتحق بمرسم الاقصر كمنحة دراسية داخلية للمتفوقين ، وأمضى به عامين ، لكن كل أمله كان أن يعين موظفا فى الحكومة مدفوعا بتقاليد القرية التى تقول « ان فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه!» ..وكان الحصول على وظيفة فى الحكومة فى ذلك الوقت أمرا بعيد المنال بالنسبة لخريج الجامعة ، قبل ظهور مشروع القوى العاملة . واستبد القلق بالفنان الناشىء وهو فى رحاب أجداده الفراعنة حيث يمضى أيامه مترقبا اى فرصة تلوح له للعمل على الاقل حتى يحفظ ماء وجهه أمام والده الفلاح ، الذى كان معترضا منذ البداية على التحاقه بالكلية لانها بلا مستقبل ، وكان قبل ذلك قد الحقه بكلية الحقوق كى يتخرج محاميا ، لولا ان قادته الصدفة البحتة يوما الى كلية الفنون .

● حظ عاثر ●

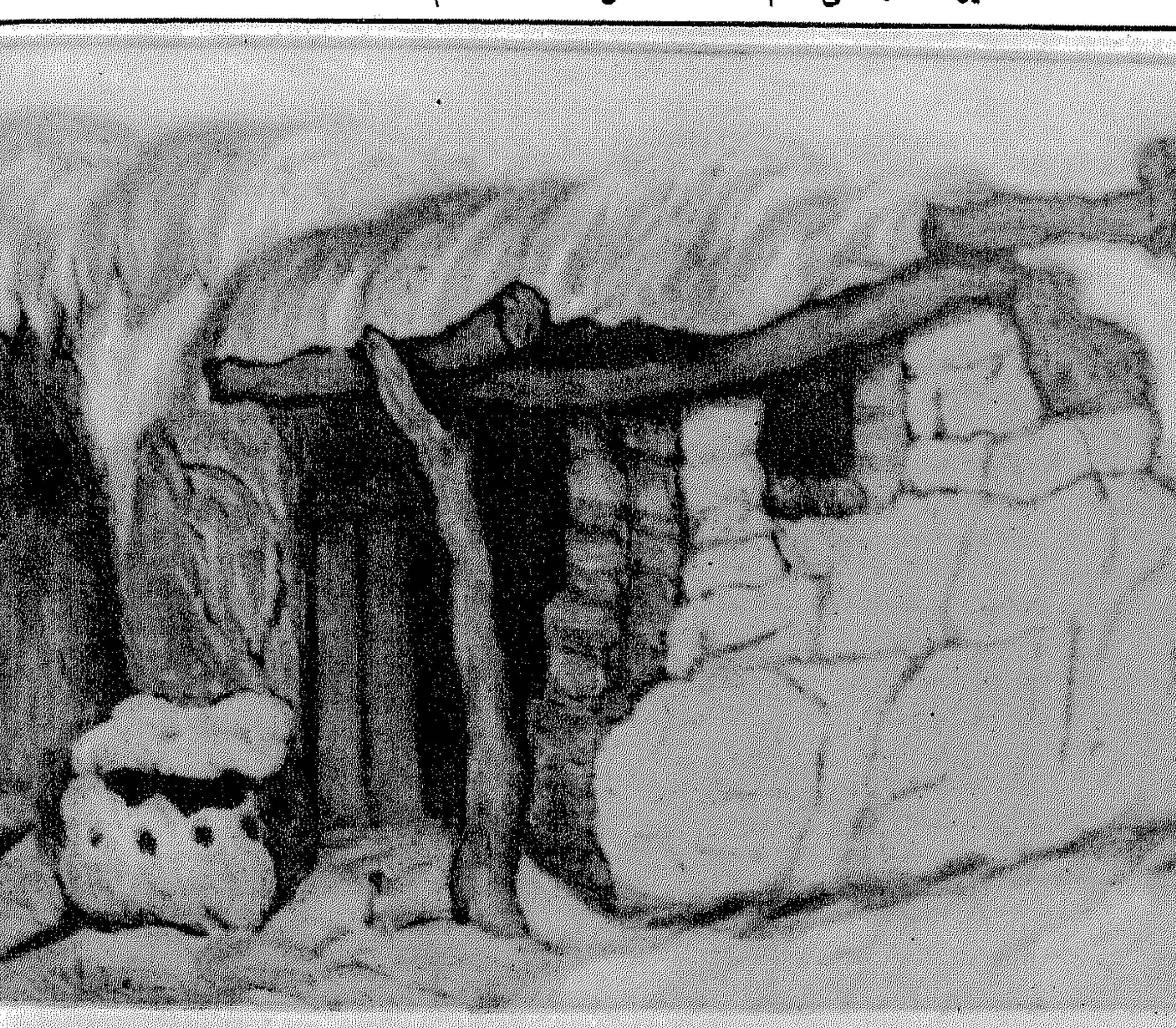
وحدث أن اقامت الكلية معرضا لانتاج اعضاء مرسم الاقصر فى دمشق وحلب عام ١٩٦٠ ابان الوحدة بين مصر وسوريا ، وسافر سعفان مع الفنانين الشبان ، حيث قوبلوا بالاعجاب والحب من الشعب السورى الشقيق .. وعندما عاد كانت تنتظره مفاجآتان : الاولى سعيدة ، وهى صدور قرار بتعيينه بوزارة الثقافة ، والثانية مأساوية وهى ضياع الوظيفة ، لانقضاء خمسة عشر يوما على قرار التعيين دون ان يتقدم لتسلم العمل ، خلال فترة سفره الى سوريا

القرية
موال البراءة

مما يحرمه الحق ـ حسب اللوائح ـ في التعيين ، وعين من يليه في الترتيب بدلا منه ! ..

واذا كان الجمود الاكاديمي قد حرمه من التعيين بالكلية ومن الحياة في قلب الحركة الفنية ، فان المصادفة العبثية والجمود البيروقراطي معا قد تدخلا لتغيير مجرى حياته كلها ، وأفقداه ، بذلك موهبة نادرة ما يقرب من ربع قرن ، انه منذ ذلك التاريخ لم يجد صعفان أمامه فرصة للعمل الا مدرسا للرسم فيأرياف الدقهلية حيث حطم روحه التخلف واحتقار شان الفنان .. فنحن ـ قاطني ريف العالم ، او ما يسمونه بالعالم الثالث ـ لانعترف بالفنان الا اذا كان في قلب العواصم ، ويا حبذا لوكان استاذا أكاديميا للفن .. اما الفنان ـ مهما كانت عبقريته ـ فمصيره الموت كمدا او صدأ لو عاش بعيدا عن القاهرة، خاصة اذا كان حظه أن يعيش في قرية لم تدخلها الكهرباء ولم تربطها بالعالم الخارجي طرق معبدة .. وأكبر

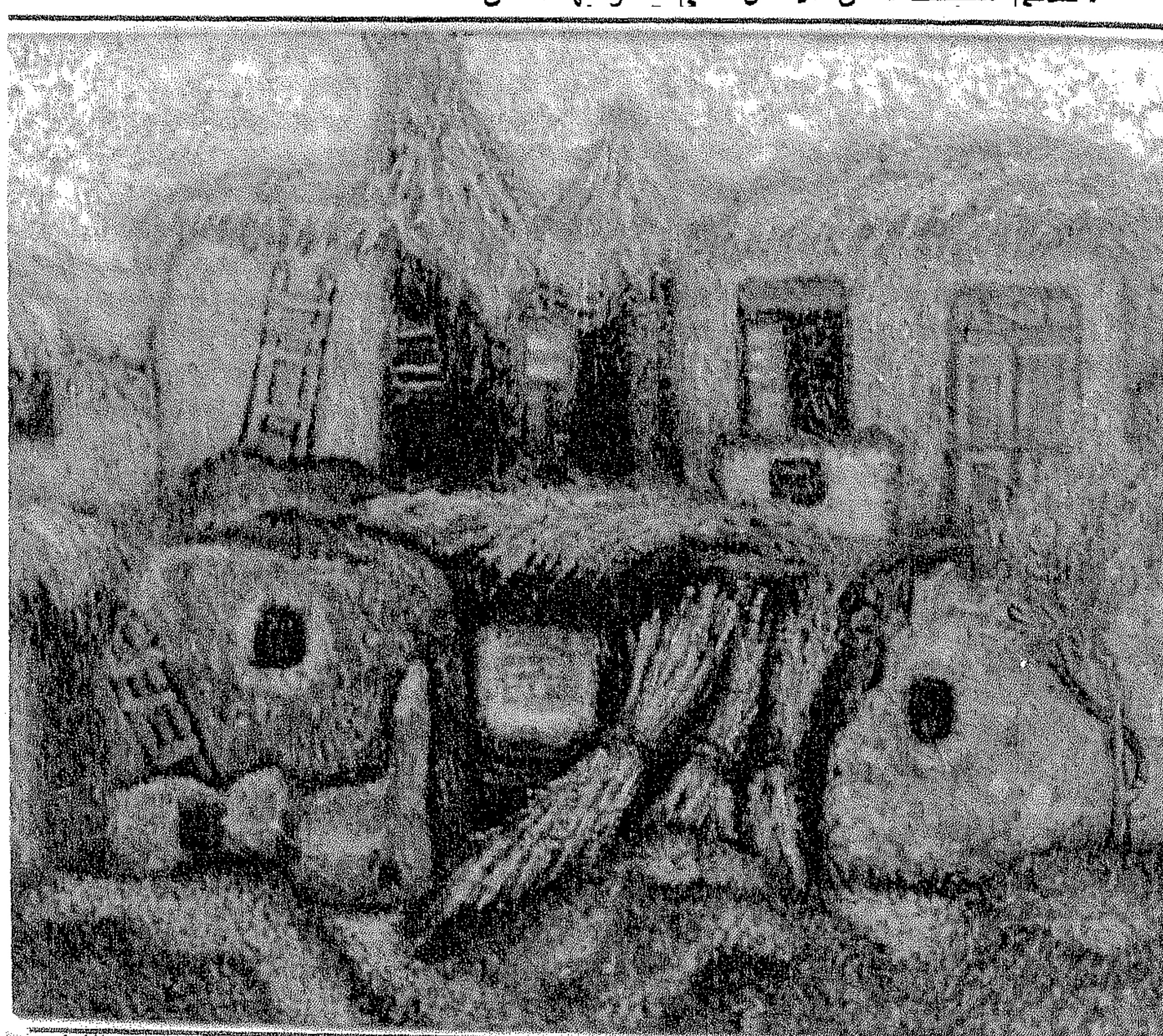
عشة مثيرة نفذت في عام ١٩٨١ مقاس ٦٨ × ٤٨ سم



شاهد على ذلك هو الفنان رمسيس يونان الذى عمل مدرساللرسم بمحافظات الغربية وبورسعيد والشرقية ٠٠ بعد تخرجه فى الثلاثينات ، ولم ينقذه من الموت كفنان الا استقالته من عمله والعيش بالقاهرة - ولو عيشة الصعاليك - ليؤسس بعد ذلك جماعة الفن والحرية ، التى اصبحت نقطة تحول هائلة فى تاريخ حركتناالفنية ٠

عاش سمعان محاصرا بالعزلة القهريةعن اضواء الفن بالقاهرة ، ومحاصرا ثانية بالازمة المادية الطاحنة التى لاتتيح له حتى الحصول على الخامات للرسم ، واستبد به اليأس من جدوى الفن ، حتى أنه وزع جميع لوحاته على اقاربه ، الذين لم يعرفوا قيمتها ، فأهملوها حتى أوشكت على البلى ولم ينقذه من الاكتئاب النفسى والجنون الا فطرته الطفلية المتفائلة ، والا صبر الفلاح المصرى الذى يختزنه فى وجدانه الجمعى منذ آلاف السنين ٠ وكان مؤمنا بان يوما سيأتى يعاود فيه مسيرته كفنان ٠ لكنه وضع نصب عينيه فى البداية هدفا أساسيا هو تغيير واقعه المادى ٠ وابتسم له الحظ أخيرا عام ١٩٧١ باعادته للعمل مدرسا فى ليبيا ، حيث قضى بها أربع سنوات ، حقق خلالها توازنه المادى، وكون أسرة جديدة وبنى منزلا ومرسما ، وزال شعوره بالحرمان ، حتى أصبح اى شىء يريده فى متناول يده ٠٠ وكانت

« بلدتى سنبخت » من الأعمال التى يعتز بها الفنان



القرية
موال البراءة

سعادته .. لا تقدر حين عاد عام ١٩٧٥ الى أرض الوطن واستأنف نشاطه الفني في قريته

● ثمن الاغتراب ●

الا أنه كان قد خسر الكثير كفنان ، خلال رحلة الخلاص من شظف العيش كان الطفل في داخله قد شاخ ، وكان الفن قد تلون عنده بمفهوم التزويق الدعائي الذي مارسه في ليبيا ، وكان قد أصبح لكل شيء ثمنه ، وقد كان الثمن في الغربة مدرارا ، كما أصبحت تراوده أحلام الرسم حسب المدارس الغربية الحديثة التي لاتتناسب معه ، فراح يرسم لوحات يعتقد انها « مودرن » وهي اقرب الى مشية الغراب ولان الشفافية في أعماله كانت قد انطمست ، فقد خسر ايضا ـ مع الطفل ـ الناقد الاول لنفسه : اعني القدرة على التمييز بين الفن واللافن ، واستمر يرسم اعمالا عن القرية، مليئة بالكذب الجميل او التسطيح الزخرفي .

الى أن زاره في مرسمه بقريته يوما فنانان من أصدقائه في المنصورة هما المثال يوسف عبد الله ، والمصور سامي عيد ، وأفزعهما ما آل اليه حاله مع الفن ، فانهالا عليه نقدا وتأنيبا ، من منطلق الحب له واستنفرا بداخله الفنان القديم الصادق ، والحا عليه كي يجمع لوحات مرحلته الاولى التي وزعها على أقاربه ، وأن يرممها كي يستعيد من خلالها ثقته بنفسه ، لانها كفيلة بان تضع قدميه على طريقه الصحيح .

كان ذلك هو يوم الصحوة الكبرى عند سمعان .. القى بكل لوحاته الجديدة الى اقاربه ليفرحوا بها ، واسترد منهم كنزه القديم ، وعكف على الرسم من جديد ، وقد استيقظ الطفل مهللا في صدره ، واستعاد لحن الموال المفعم بالصدق والبراءة ومعه اخذت تتداعى ذكريات الكتاب ، والمدرسة الالزامية البائسة .. ودكان البقال .. ودوار عمه العمدة ، وعلبة السجائر الفارغة المرسوم عليها الغزالة والفارس فوق الحصان .. « وبدوى » الطفل يربض قريبا من أقدام عمه ليلتقطها من الارض كي يخلو بها في حجرته السرية ويتأملها في انبهار ممنيا نفسه برسم صور على منوالها ، ثم يضعها في دولاب أشيائه الصغيرة « كالعرسة » التي تجمع في شقها الاشياء اللامعة .

هكذا عاد الى مرسمه ولوحاته ، كما كان يعود طفلا الى دولاب اشيائه» يستوحي منها عالما خاصا عبر خياله الصغير .

تدفق الضوء في لوحاته الجديدة بعد جفاف السنين ، واختزلت التفاصيل ، وصارت الاشكال أكثر شفافية وان كانت لاتزال محتفظة بعجائنها اللونية وملمسها الخشن . صار اللون أيضا أكثر نقاء وصراحة ، وتخلصت اللوحات تماما من حس البؤس المخيم على الواقع ، لتحل محله غنائية طروب أقرب الى ايقاع الموال الاخضر ، وقد كثرت عنده لوحات العمل في الحقل ، أو في الصيد ، أو في المنزل

ان الالفة الشديدة التي يحسها المشاهد في أعماله ، واقترابه الحميم من طابع البيئة الريفية ، تقترن بغرابة تدعو الى الدهشة ويصعب تحديد مصدرها .. وبالرغم من تشابهه كثيرا مع بعض فنانينا الرواد ، مع التسليم باختلاف الرؤى الفنية والاسلوبية وتباين المستوى بينه وبينهم ، مثل راغب عياد ويوسف كامل ومحمود سعيد ومحمد ناجي وعبد الهادي الجزار « من الجيل التالي لهم » بالرغم من ذلك التشابه في مجال تعاملهم مع البيئة الريفية او الشعبية ، فان ثمة اختلافا كبيرا بينه وبينهم ، فهم جميعا ـ باستثناء الجزار ـ قد دلفوا الى ذلك العالم الشعبي من باب الاكاديمية والمدارس الاوربية ، اما هو فقد دلف الى عالم القرية من باب المعايشة الذاتية والانتماء الفطرى

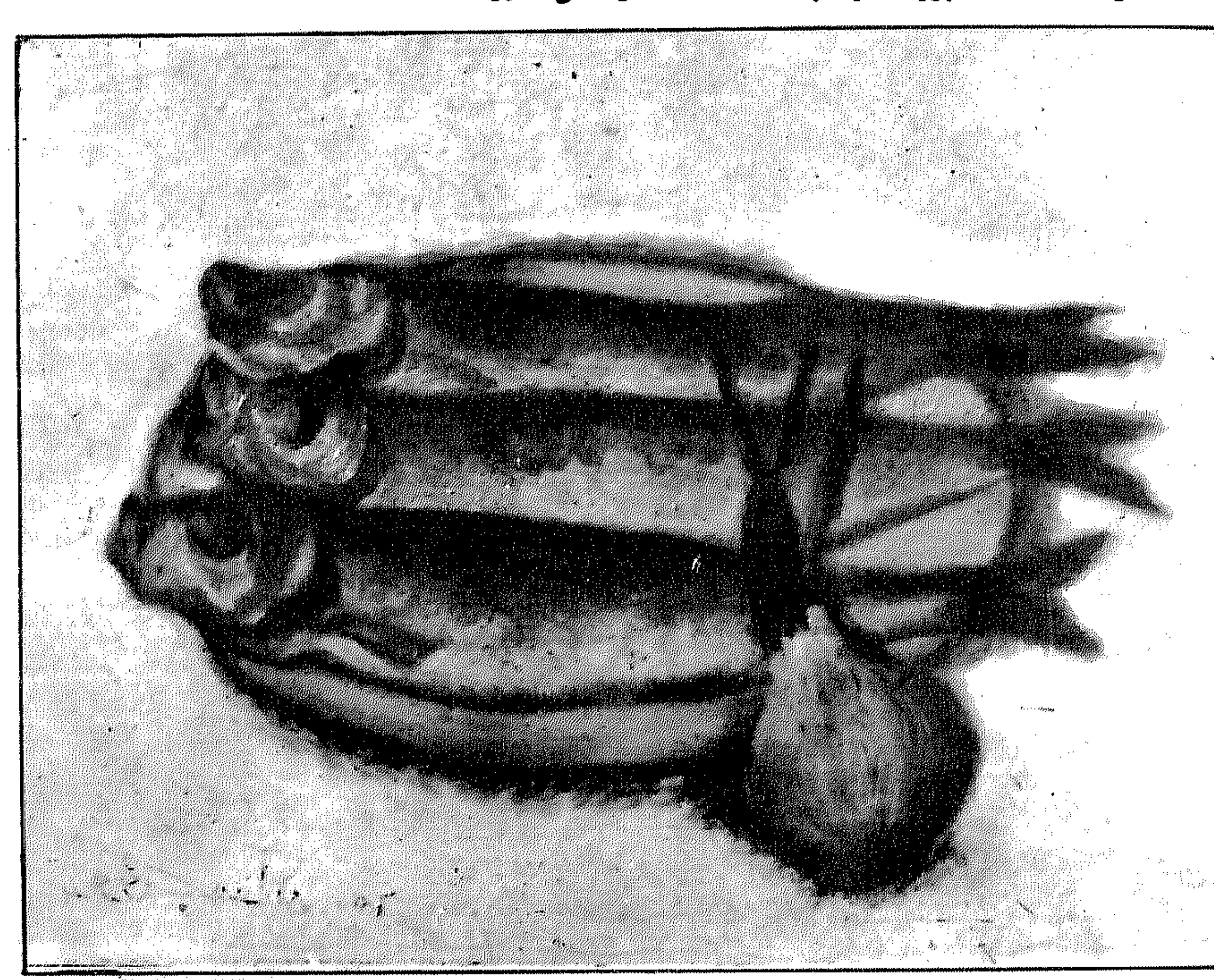
● قاموس تشكيلي ●

وان كنا قد نجد لديه تشابها آخر هنا أو هناك مع الانطباعيين ، خاصة في لمسات اللون القزحية المشمشة ، والحفاوة بعنصر الضوء في الطبيعة وتحليله ، أو تشابها

ثالثا مع الوحشيين ـ امثال فان جوخ وجوجان وماتيس ـ في ضراوة السوانهم وضخامةعناصرهم وتحديد الخطوط الخارجية بفلظة أو انفعالية .. او تشابها رابعامع التنقيطيين مثل « سورا » في وضع نقط لونية متجاورة ومتناقضة تكون في النهاية مساحة لونية تستعصى على التحديد .. ان جاز لنا ان نعقد هذه المقارنات وان نلاحظ هذا التشابه أحيانا ، فالواقع أن نسيجه التصويري الشديد الكثافة ، وايقاعه الخطي واللوني ، وتوازن الكتل والمساحات وعلاقات التكوين ، كلها تخضع لقاموس لغوي تشكيلي خاص به وحده : لا يفرض مفرداته من الخارج على لوحاته بقدر ما تتدفق هذه اللغة منسابة من داخله على سجيتها .

ولعله يذكرنا ـ على نحوما ـ بالمصور الفطري الفرنسي هنري روسو ، من زاوية بنائه التشكيلي المرسل ، ورؤيته للعالم رؤية الطفل بعد ان تجاوز الاربعين . وقد اعاد برؤاه البكر الاحترام الى الفن الفطري واعطاه حق التواجد في المتاحف ، جنبا الى جنب مع الاساتذة الدارسين ، وقد كان يمكن لنا أن تكسب من سعفان موهبة أكثر حضورا في حياتنا الفنية ، لو ملك الخيال والقدرة على الحلم الذي كان يتمتع به « روسو » .. او لو نفذ الى مخزون العقل الباطن في طفولته كما فعل الجزار ، او لو استخرج البعد الميتافيزيقي في ثقافة القرية ، او لو انه تجرأ على كشف العالم الخفي من حياتها ، من سحر وشعوذة وحواديت وغرائز مكبوتة .

لوحة للفنان تبرز تأثره بالعادات الغذائية في الريف



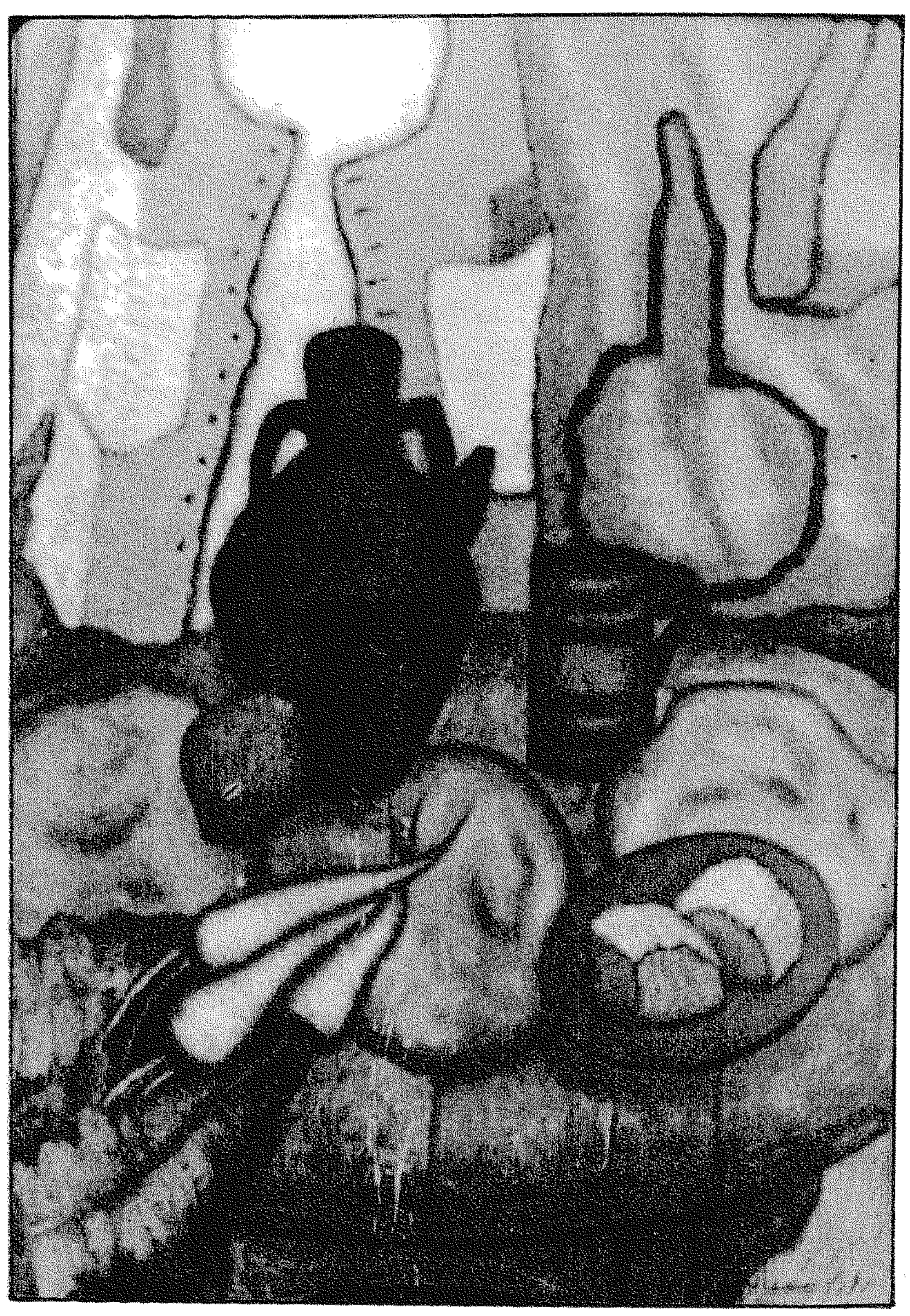
القرية
موال البراءة

لكننى أظن أن موهبته لم يظهر منها بعد غير المستوى السطحى لها فى أول طبقات القشرة الارضية ، بالرغم من سنواته الخمسين ، وأن كل ماينقص هذه الموهبة هو حفارة قوية تنغرس فى عمقها لتستخرج مخزونها الايداعى ، ليس فقط المخزون البصرى بل الاسطورى والسيكولوجى والاجتماعى .. واحسب أن اعتراف الحركة الفنية به كفنان ـ وهو أمر لم يتحقق بعد الا بتغيير ـ سوف يكون الطرقة الاولى لتفجير موهبته .. وما أعظم الاثر الذى تركته فى نفسه جائزة اقليمية صغيرة منحها له « سيادة المحافظ » ! .. وما أروع السعادة الطفولية التى حفرتها فى وجدانه مقابلة اذاعية مع احدى المذيعات حتى انه انه لايمل ذكر هاتين الواقعتين بفخر ، كلما كتب نبذة عن تاريخ حياته والجازاته الهامة !!

فمن يدق الحفارة فى بئر سمعان ؟ !

« حياة الزبال » نفذت فى عام ١٩٨٢ مقاس ١٠٦ × ٥٨ سم
وعلى الصفحة المقابلة لوحة بعنوان « وجبة ريفية »





حوار مع شادى عبد السلام وصلاح مرعى

"جماليات السينما": الغائب الحاضر فى الفيلم المصرى

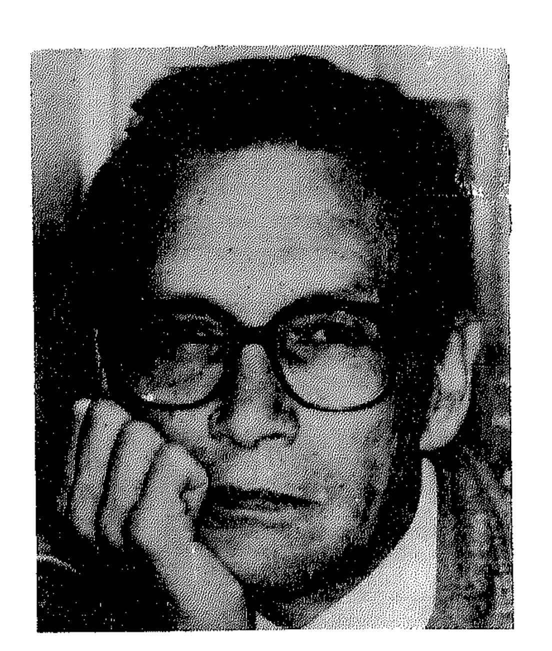
حوار : عصام على

« جماليات السينما » ، هذا العنصر الغائب ـ الحاضر فى السينما المصرية ، لم يهتم به احد كموضوع رئيسى من مواضيع الدراسة ، ورغم البداية المبكرة للسينما المصرية «١٩٢٧» ، ورغم تزايد الانتاج عدديا ، يوما عن الآخر الا انها لا تزال ـ الا فى حالات نادرة ـ سينما «الحدوتة» التى غابت عنها جماليات الفن

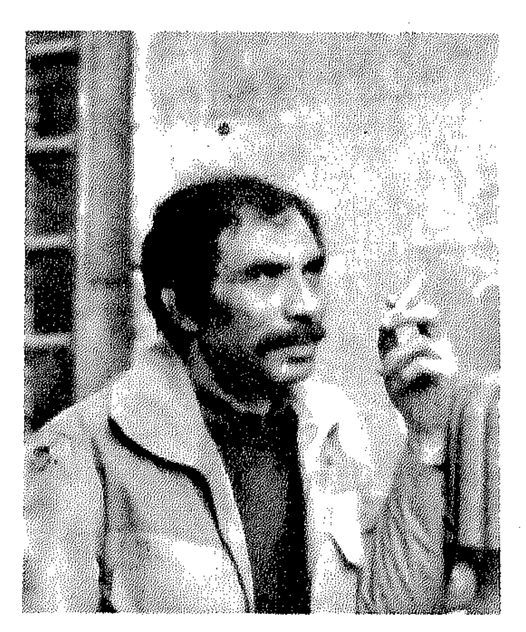
ويكاد «الديكور» يشكل اهم عناصر الجماليات ، هنا ، وربما لاول مرة فى الصحافة العربية ، نستعرض جوانب هذا الموضوع ، مع الفنان « شادى عبد السلام » صاحب التحفة الفنية «المومياء» ورفيق عمله الفنان «صلاح مرعى» الذى اقام مؤخرا حارة كاملة فى استديو الاهرام لفيلم المخرج « على بدرخان » الجديد «الجوع» تمثل تحديا جماليا فى تاريخ السينما المصرية . فيما يلى نص الحوار :

● فى البداية نحب ان نعرف تصوركما عن عمل مهندس الديكور فى الفيلم السينمائى ، هل هو مقصور على بناء ديكور يتم التصوير فيه ، ام ينسحب دوره الى العناصر الجمالية الاخرى للكادر السينمائى ، كالاكسسوار والملابس مثلا ؟

ـ شادى : بالنسبة لواقع السينما المصرية يتلخص عمل مهندس الديكور فى بنائه ، ثم يأتى منسق المناظر بالاكسسوار ليفرشه ، وهذا فى الغالب تاجر تحت تصرفه مخزن موبيليا يفرشها فى كل فيلم ، وهذه الموبيليا ،



شادى عبد السلام



صلاح مرعى

فى معظم الاحيان ، غير متجانسة مع الديكور ، ثم ياتى الممثلون بملابسهم حسب امكانياتهم المادية النجوم ياتون بملابس « غالية » الثمن والبسطاء الحال ياتون بملابس بسيطة ، وقد يتنافى هذا مع الموضوع احيانا • هذا هو الوضع القائم فى مصر،الملابس متنافرة ، الاكسسوارات متنافرة ، الديكور نفسه متنافر • وهذا ينعكس بالطبع على قيمة الفيلم ومستواه الجمالى •

● نمطية التفكير ●

ـ صلاح : ما قاله الاستاذ شادى هو الواقع ، وقد ادى هذا الى «نمطية» ثابتة فى السينما المصرية • بمعنى ان شخصية الفلاحة مثلا اتخذت شكلا معينا حتى أصبحت ـ بالنسبة لجميع العاملين فىالسينما ـ ولممثلاتنا بالذات ، نوعا من « الفلكور » مجرد زى ، شكل خارجى مجرد ، جلابية معينة ومنديل « بأويه له ربطة معينة خلقته الممثلة ولا علاقة له بالفلاحة . وهكذا بنت البلد : ترتدى جلابية مخططة بدون «وسط» اشبه بالجلابية الرجالى ، وشخصية الصعيدى أيضا: نمط معين فى « لغة العامة » •• شال على الكتف •• الخ ، هذه أنواع من الانماط موجودة وجاهزة فى المخازن ، وكان لابد ان ينعكس هذا على الاداء، اذ تطلب هذا بدوره سياقا من الانماط لاداء هذه الشخصيات ، بالنسبة للديكور والاكسسوار نفس الحكاية ، بيت فقير تجد به اشياء معينة هى موجودة فى كل الافلام ، لانها خرجته من نفس المخزن ••

● **وكيف ولماذا وصل الامر الى هذا الوضع ، وما هو المفروض ؟**

شادى : المسالة نابعة من الاشكال الاساسى، افتقاد الرؤية الفنيةالمسيطرة على الفيلم كله ، ان يكون مهندس الديكور مسيطرا على الاكسسوار والمفروض ان يكون «المدير الفنى» مسئولا عن كل ما هو فى « الكادر »، من ملابس واكسسوار وديكور ••ينسق بينها ، واعود مرة اخرى لارجع المسالة الى ثقافة المخرج، فهو الذى

جماليات السينما :

يختار مهندس الديكور ، وهو صاحب وجهة النظر التي يريد توضيحها فنيا، فاذا كان ذا ثقافة عالية ، فانه سيختار فنانين وفنيين جيدين ، واذا كانت ثقافته ضحلة ، فانه سينظر للمسالة من الناحية التجارية البحته ، ويختار أرخص العناصر ، ولابد ان « يبسط هذا المنتج ، لان معنى هذا توفير فى النفقات ، التى قد تصرف فى أمور تافهة نتيجة لعدم السيطرة ، والجهل، وقد وصل الامر الى حد انه فى كثير من الافلام لايوجد مهندس ديكور اصلا، ولدينا ـ للاسف ـ مخرجون يتعمدون صناعة افلامهم بهذه الطريقة لانهـا تجاريا اكثر ربحا •

● هبوط مستوى الثقافة ●

● ومعهد السينما ، اليس هو المسئول الاول عن صياغة ثقافة المخرج ؟

ـ صلاح : من الذى قال ان معهد السينما يمكن ان يكون كافيا ، او انه يعلم تعليما كاملا ، هل تكفى ساعة واحدة فى الاسبوع مخصصة للتذوق الموسيقى للمعرفة المنظمة عن الموسيقى وتاريخها واتجاهاتها ومدارسهـا واعلامها ، ثم ان طالب المعهد ياتى اصلا بثقافة موسيقية معدومة من المدرسة ، ولو كان قد تلقى دراسة موسيقية طوال مراحل التعليم الاولى لامكن لهذه الساعة ان تكون مفيدة بعد ذلك ، فالمفروض ان يكون دور المعهد ملخصا فى عملية تنظيم الافكار وبلورتها ، اذن لابد ان يكون الطالب حاصلا ·· دراسة كحد ادنى فى الثقافة العامة التى من المفروض ان يتلقاها قبل التخصص ، فلن يكون التعليم فى المعهد كاف لان التعليم عموما ضعيف وقاصر ، وهذه مشكلة لن يحلها المعهد ، بل هى مسالة مناخ عام ، مشكلة سياسة الثقافة والتعليم فى البلد •

شادى : اضيف أيضـا الى هذه النقطة موضوع اجهـزة الاعلام ، فالاتجاه الغالب على التليفزيون اتجاه ترفيهى ، والمستوى الثقافى للبرامج التليفزيونية فى الغالب هابط للغاية ، فاذا كانت ثقافة التلميذ الموسيقية ضعيفة ، فكيف يمكن ان يؤسس ، فالطالب المتقدم لمعهد السينما ضعيف ثقافيا ، والحل يبدأ من هنا ، من عملية بناء ثقافى جديد ونلاحظ هنا أن طالب قسم الديكور هو اكثر

● شادى عبد السلام : السبب الرئيسى فى هذا الانحلال الجمالى هو : غيبة المخرج صاحب الرؤية المتكاملة والثقافة العريضة

الحارة المصرية ، بكل ماتزخر به من جماليات ، من ابرزها بعض المبانى القديمة التى تزدان بعمارة الفن الاسلامى



جماليات السينما :

طالب معهدالسينما تحصيلا لانه مضطر للممارسة ، أي • للرسم من السنة الاولى لدراسته بالمعهد ، كما انه مضطر لزيارة مناطق كثيرة •• فلو كان دارسا « التصوير » عارفا برمبرانت وفان جوخ وامنحتب ••الخ، واذا أضفنا توفر الموهبة فان النتيجة لابد أن تكون عظيمة ، لكن الواقع غير ذلك

● **وهذا يعني – بالطبع – ان المتلقى العادى مصيبته اكبر ؟**

شادى : المتلقى المصرى علاقته بالفن التشكيلى تكاد تكون معدومة ، لاننا قد انفتحنا على أوربا تشكيليا منذ فترة قريبة ، لقد ظلت الفنون محرمة فى مصر فترة طويلة ، فترة انقطاع عن المرحلة الفرعونية القديمة ، كانت الفنون محرمة ما عدا العمارة وزخرفتها ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه أوربا تتمتع بفنانين عظام ، اول « مثال » حديث لدينا هو مختار ، وكانت أوربا قد مرت بمرحلة النحت الكبيرة ، لقد انقطعنا عن حضارتنا الفرعونية بما فيها من تصوير ونحت ، وعندما عدنا بدأت مرحلة « نقل » الفنون الاوربية وما ترتب عليها من مشاكل ، وقد أدى هذا الى نوع من العزلة بين الفنان وبين الناس •

● حارة الجوع ●

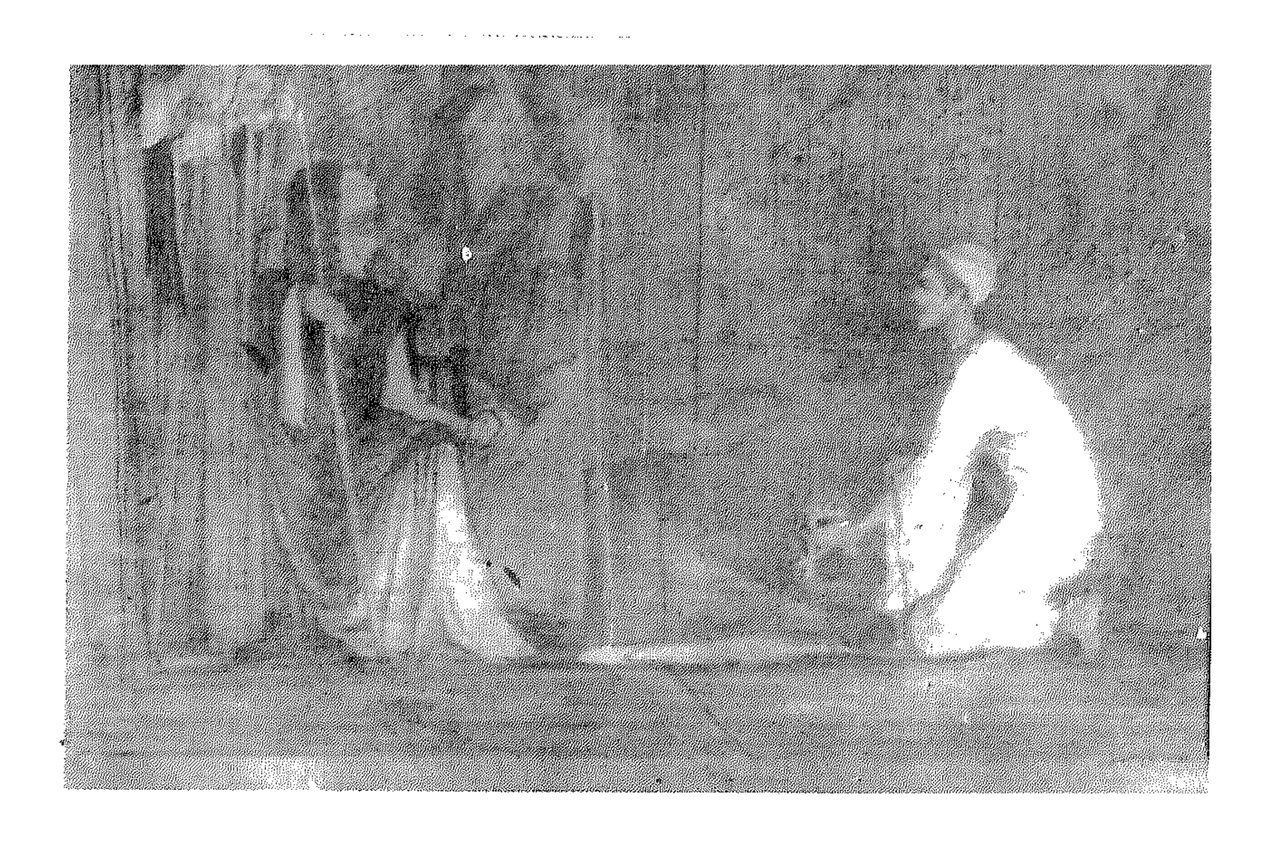
● **ننتقل الى الناحية التطبيقية من الموضوع ، نريد ان نعرف راى شادى عبد السلام فى حارة فيلم الجوع ؟**

شادى : أعتقد أنها حدث فنى نادر التكرار ، باختصار هى فى تقديرى أحلى حارة فى تاريخ السينما المصرية غاية فى الاتقان من ناحيتى التصميم والتنفيذ ، مستوى عال جدا ، لقد توفرت العناصر المهمة للموضوع • مخرج يفهم قيمة العمل ، له رؤية ثقافية للعناصر المختلفة لعملية صناعة الفيلم ، وفنان تشكيلى من نفس المستوى ومنتج شجاع •

● **الفنان صلاح مرعى – علاوة على تصميمه لهذا الصرح الفنى ، كنت مسئولا عن الملابس واشرفت على مكياج فيلم الجوع الذى نحن بصدده هل تعتقد انك كمدير فنى قد قمت بدورك المفترض ؟**

صلاح : يمكن القول بأن الادارة الفنية كانت موجودة ، لكنها كانت فى تقديرى ناقصة لقد أشرفت على مكياج الابطال ، ولم أتمكن من ذلك بالنسبة للكومبارس ، والمفترض أن يتحقق ذلك ، لكن هذا كان سيكلف أربع ساعات اضافية ، فلم نستطع السيطرة الكاملة على المكياج ماديا لان الفيلم من ناحية التكلفة وضخامة الانتاج حالة شاذة فى السينما المصرية يمكن القول أننا نجحنا فى تحقيق نتائج – اجماليا – جيدة ، فقد سيطرنا تماما على الديكور ، وحققنا نسبة

● صلاح مرعى : الديكور ليس عاملا زائدا بل هو جزء رئيسى من لغة السينما يكمل بها المعنى



« اسكتش » كادر من فيلم المومياء

٩٠٪ من السيطرة بالنسبة للملابس ، وبالنسبة للاكسسوار لم نحقق سوى ٦٠٪ ، وقد تحقق ما هو أهم من كل ذلك فى تقديرى وهو أن الحوار بين المخرج ومدير التصوير والمدير الفنى الذى هو أنا كان قائما منذ مرحلة الاعداد الاولية ، منذ مرحلة التصميم، لقد تناقشنا فى كل شىء ، فى كيفية ادارة الديكورات المفتوحة (بلا سقف) والاستفادة من ضوء الشمس ، وتمت المناقشة بالتطبيق على الرسوم ، اخترنا معا حتى ـ نوع القماش الذى لجأنا الى تغطية الاسقف به حتى يتلاءم مع حساسية الفيلم •

لقد بدأنا المناقشة قبل التصوير بخمسة اشهر استغرقنا فيها الدراسة والبحث واللقاء المستمر ، لقد أعددنا الملابس واجزاء من الديكور فى الورش قبل بداية التنفيذ ، وكانت لدينا فرصة للتعديل والاستقرار والسيطرة على ما نريد لقد كان الحوار مستمرا حتى اصبحت لدينا صورة واضحة للفيلم ، واعتقد أن هذا هو أهم مايمكن الرجوع اليه ، أهم تجربة مررنا بها جميعا كفريق عمل متكامل عرف قيمة الحوار والمشاركة •• انها تجربة نادرة بالنسبة للسينما المصرية •

وهذا يؤثر بالتأكيد على الجو العام •• ؟

صلاح : الجو العام من الناحية التشكيلية يتكون من خلال التصوير والديكور ، تريد مكانا مخيفا أو مفرحا يمكنك أن تعمله بالتصوير والديكور ، بالاضافة الى ايقاع الفيلم ـ فهو داخل فى الجو العام وهو من عمل المخرج •

السينما العربية في أعين فرنسية

بقلم : مصطفى درويش



السينما العربية فيما يؤلف من موسوعات وقواميس خاصة بالافلام داخل الولايات المتحدة ، يكاد الا يكون لها وجود .
ولعل خير مثل على ذلك موسوعة الفيلم العالمية لصاحبها "افراهيم كاتز" (١٩٨٠)

فهذه الموسوعة تسع كل شيء في الفن السابع او من المفروض ان تكون كذلك ، ومع هذا فإذا ما رجعنا إليها بحثا عن السينما العربية تحت عبارة "الفيلم العربي" (ص ٤٠) ، لكان رجوعنا عبثا لأننا سنجد صاحب الموسوعة ، وقد أكتفي بكتابة كلمتين فقط لاغير تحتها "انظر مصر" ، فاذا ما قلّبنا صفحات الموسوعة سعيا نحو مصر ، لما وجدنا لها من نصيب في السينما سوى عمود واحد لا اكثر ولا اقل في الموسوعة الضخمة التي يبلغ عدد الأعمدة فيها ٢٥٣٢ عمودا ، ولاكتشفنا أن الوطن العربي بجميع أقطاره الاخرى ليس له اى نصيب

فى هذا العمود اليتيم .

وظاهرة الإنكار او الاهمال هذه لشان السينما العربية ، نرى انعكاساتها فيما كان يكتب عن السينما العالمية داخل فرنسا .

● الحب الناقص ●

فمثلا كتاب "احب السينما" وهو اسم لقاموس صغير مصور من مجلدين الفه الناقد الفرنسى "فرانك جوتران" عن الفن السابع بغرض تعريف القارىء العادى المولع بهذا الفن بما تيسّر من اسراره .

ومن يقرا "أحب السينما" لا يسعه إلا ان يعترف بما أنفق صاحبه من جهد صادق ، خصب .

وهو فى المجلد الثانى يتحدث إلينا عن القيادات الكبرى المتلاطمة فى محيط فن السينما ، وعن تطور هذا الفن فى كل بلد منذ أن قدّر للأطياف أن تولد قريبا من نهاية القرن الماضى إلى يوم ان اكمل مؤلفه قريبا من النهاية عام ١٩٦١ .

ولست أتعرض فى هذا المقام لما كتبه عن تأثير السينما ، وعن تطورها وتياراتها منذ فجر تاريخها حتى عام خروج مؤلفه الى الناس .

وإنما اكتفى بالتعرض لما كتبه عن السينما فى الوطن العربى وليس فى ذلك اية مشقّة ، لاننا فور الانتهاء من قراءة الصفحات الثلاثين التى خصصّها صاحب "احب السينما" للفن السابع فى الاتحاد السوفييتى ، نفاجأ به ، وقد أفرد صفحة واحدة للسينما فى كل بلاد الشرق الاوسط .

● صفحة بيضاء ●

ويا ليته ملأها بما عنده من أخبار عنها ، وبما يراه من تحليل لها . فلو كان قد فعل هذا لهان الامر .

ولكنه لم يفعل ، وتركها صفحة بيضاء ناصعة الا من كلمات قليلة طبعت فى الجانب الأيسر منها لا تتجاوز فى العدد ثمان وخمسين كلمة ، لعله من المستحسن ان نترجمها لقلّتها ، ولانها رغم ذلك تلقى بعضا من الضوء على جوانب غامضة من فهم نقاد فرنسا وقتذاك للسينما العربية وتقويمهم لها .

يقول صاحب "احب السينما" فى كلماته "**جميع البلاد العربية عندها قدر ضئيل من إنتاج محلى لا يعرض منه شيء خارج حدود اى منها ، والغالب الاعم من الافلام المتكلمة باللغة العربية من صنع مصر التى يبلغ انتاجها السنوى ستين فيلما فى المتوسط .. وهى افلام ذات مستوى فنى هابط يجنح الى التحسن ، وافضل المخرجين المصريين حاليا صلاح ابو سيف ويوسف شاهين**"

وهذه الكلمات تدلّ من ناحية على فهم لا بأس به من صاحبها بحال السينما العربية ، وتدلّ من ناحية اخرى على انه ولئن كان قد احاط ببعض جوانبها الا انه لم يحط بها علما ، فالسينما العربية وبخاصة تيارها المصرى صاحب الالف فيلم حينذاك ، كانت تستحق ، ولا شك ، عددا من الكلمات ازيد مما خصص فى الصفحة التى تركت فى غالبها بيضاء لا شيء فيها .

● الاحباط .. لماذا ؟ ●

وقد ظلت السينما العربية بعد هذه الكلمات القليلة كمًا مهملا لا يثير الاهتمام عند احد من نقاد فرنسا باستثناء "جورج

السينما العربية في أعين فرنسية

سادول" الذى هيأت له الظروف ان يزور مصر حيث قابل نفرا من صانعى الافلام وشاهد شيئا مما قدموه الى الفن السابع .

وبعد ذلك كتب مقالا فى مجلة "سينما ٦٥" حاول فيه ان يردّ الى السينما المصرية بعض الاعتبار ، واشرف - بتكليف من هيئة اليونيسكو - على تجميع مقالات وابحاث ومعلومات عن السينما من الخليج الثائر الى المحيط الهادر ضمّنها كتابا نشرته الهيئة اسماه "السينما فى البلاد العربية" .

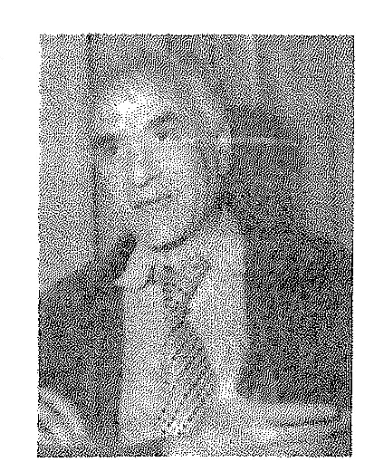
ويبدو ان جورج سادول (١٩٠٤/١٩٦٧) - وكان اكثر النقاد الفرنسيين تشجيعا لسينما العالم الثالث او النامى وأوسعهم علما بمشكلاتها - قد **فجع فى معظم ماقدّم اليه من مقالات وابحاث مصرية كتبها اصحابها بحكم المناصب المرموقة التى كانوا يشغلونها فيما اصطلح على تسميته بمؤسسة او هيئة السينما لا اعرف ايهما كان عليه المستقر فى تلك الايام ،** فكر ان ينكمش بمقدمته للكتاب المذكور الى اثنى عشر سطرا لا تزيد ، والا يضمنها رايه فيما هو مكتوب مكتفيا بالتعبير عن "امله فى أن تكون مجموعة المقالات منطلقا إلى تكوين فكرة صادقة عن مشاكل السينما فى العالم العربى كما أوضحها ممثلو بلاده المختلفة أثناء الاجتماعات التى نظمتها او شجعتها هيئة اليونسكو"

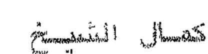
وكان آخر ماظهر فى فرنسا عن السينما العربية قبل زلزال الخامس من يونية (حزيران) عرضا قصيرا لها من ثمانية وستين سطرا فى المجلد الثانى من قاموس السينما والتليفزيون لصاحبيه "موريس بسى" و "جان لوى شاردان" (١٩٦٦) - وهو عرض مختصر مقتصر على السينما المصرية يقف فجأة فى ذكر افلامها عند "بين ايديك" (١٩٦٠) و"صلاح الدين وكلاهما ليوسف شاهين

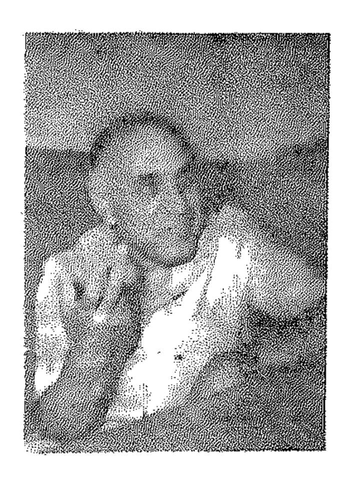
• الخطايا •

وقريبا من نهاية عام الزلزال (١٩٦٧) ظهرت "موسوعة السينما" لصاحبها "روجيه بوسينيه" الذى سلك فى عرضه للسينما العربية مسلكا اقرب الى الامانة العلمية ، فكان ان خصص اسطرا للسينما فى كل قطر عربى له نصيب من انتاج الافلام ، كما افرد لصناعة الاطياف على ارض مصر اربع صفحات تناول فيها تاريخها يوم ان ظهرت الصور متحركة لاول مرة فى قهوة "زاثانى" بالاسكندرية ، فقسمه الى خمس فترات اولاها فترة السينما الصامتة تليها فترة السينما المتكلمة لتجيء فترة الحرب ومابعدها الى ان تقوم ثورة الثالث والعشرين من يولية ١٩٥٢ ، فتبدأ منها الفترة الخامسة والاخيرة التى تمتد حتى ايامنا هذه .

وفى راى صاحب الموسوعة أن تطورا فنيا ما قد لحق السينما العربية على ارض مصر ابان فترة الحرب العالمية الثانية ، وان هذا التطور نلمسه اكثر مانلمس فى التمثيل والاخراج ، وفيما احرزه الصوت والصورة من تقدم كبير لتلك الفترة ، وفيما انتهت اليه الموضوعات الدرامية من تقدم ملموس ، بحيث أصبح بينها وبين موضوعات فترة ما قبل الحرب بون شاسع .




كمال الشيخ


صلاح ابو سيف


يوسف شاهين

وعنده أن سينما "فترة الحرب" بدأت مصطبغة بصبغة واقعية قوية آية ذلك فيلم "العزيمة" لصاحبه كمال سليم ، والذى يعتبر بحق فتحا لمدرسة الواقعية ، تلك المدرسة التى بلغت غايتها على ايدى "صلاح ابو سيف" و "هنرى بركات" و" توفيق صالح" و "كمال الشيخ" و"يوسف شاهين" .

على انه من الخطا البين ان نعتقد انه كان لها تاثير غالب على مسار التيار المصرى فى السينما العربية .. بل على العكس كان تاثيرها محدودا جدا .

فما أحرزته من تقدم داخل هذا التيار فى العهد البائد او فى العهد التالى للثورة كان ضئيلا ، لا سيما اذا ماقيس الى كم الافلام المنتج منذ خروج اول فيلم عربى "البحر بيضحك ليه" الى الجمهور فى مصر قريبا من نهاية الحرب العالمية الاولى .

● الرقابة القاتلة ●

ويرجع "بوسينيه" هذه الظاهرة الى اسباب ثلاثة :

أولها : متطلبات السوق داخل مصر والاسواق العربية الاخرى حيث الجمهور المتلقى محدود الثقافة ، وهو امر يدفع بالسينمائى عند المفاضلة بين الافلام الواقعية وبين افلام التسلية العابرة الموشحة بالاغانى والرقصات الشرقية ، الى ان يختار افلام النوع الاخير إيثارا للسلامة .

ثانيها : المناخ الرقابى القاسى ، وهو مناخ غير صالح لازدهار سينما قومية تتصدى للمشاكل الحقيقية ، ومن هنا جنوح السينمائيين الى عدم الاقتراب من تلك المشاكل الا فى كثير من التحفظ والاحتراس ، ومن ثم هذا البعد الفلكى بين فقر موضوعات السينما وبين ثراءالواقع الذى يمكن ان تستوحى منه الافلام .

وثالثها : افتقار السوق المتكلم باللسان العربى الى وسائل التمويل اللازمة لانتاج سينمائى متأن لا يتعجل عملية الابداع توفيرا للمال ، وذلك لانه يعمل حسابا للكيف الفنى باعتبار خير وابقى .

● الفجر الجديد ●

وعلى كل فبعد موسوعة "بوسينيه"

السينما العربية في أعين فرنسية

ازداد الاهتمام بالسينما العربية فى فرنسا .

ومصدر هذا الاهتمام ظهور سينما تتفجر اصالة وحيوية ، بعض افلامها آت من مغرب الوطن العربى وبخاصة الجزائر ، عقب انتزاعها الاستقلال من براثن الاستعمار الفرنسى ، والبعض الآخرات من مشرقه لاسيما الجزء منه المطل على البحر المتوسط .

وفوق هذا اكتشاف "ليلة حساب السنين" (المومياء) لصاحبها "شادى عبدالسلام" (١٩٦٩) الذى وصفه الناقد الفرنسى "جى حينيبيل" "بساتيا جيت راى المصرى" ـ نسبة الى المخرج الهندى الشهير ـ وقال عنه انه يفضل غيره من مخرجى مصر لانه عاد الى التراث الوطنى فتمثله وزاوج بينه وبين متطلبات التقدم .

وقد كان لنجاح سينما الجزائر فى الحصول للسينما العربية على جائزة مهرجان فينيسيا الكبرى (الاسد الذهبى) التى توج بها فيلم "معركة الجزائر" (١٩٦٦) ، وفى الفوز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان (السعفة الذهبية) التى توج بها فيلم "سنوات الجمر" لصاحبه "الاخضر حامينا" (١٩٧٥)

فضلا عن تغلب مخرجين ثلاثة من مصر ولبنان وفلسطين (توفيق صالح وبرهان علوية وميشال خليفة) على صعاب تجسيد الصراع العربى ـ الصهيونى ، وما تفرع عنه من محنة للشعب العربى فى فلسطين وخارجها ، تجسيده بكل ابعاده السياسية والانسانية فى عالم الاطياف ، وظهور ثمار هذا الانتصار فى أفلام ثلاث تعد من روائع الفن السابع "المخدوعون" و "كفر قاسم" وصور من مذكرات خصبة"

كان لكل ذلك تأثيره على النقد الجاد فى فرنسا ومن هنا طبع "قاموس السينمات العربية الجديدة" الذى استعرض فيه صاحبه الناقد "كلود ميشيل كلونى" تاريخ السينما فى الوطن العربى ، وبين مقدار ماكان بين السينمائيين العرب وجمهورهم من الصلات والاشتراك فى احتمال التبعات او عدم احتمالها على اختلاف الازمنة وتباين الظروف والامكنة .

وكذلك طبع قاموس السينما للاروس (١٩٨٦) الذى يقع فى ٨٨٨ صفحة من القطع الكبير اريد بها ان تروع بدقة البحث وحسن الاستقصاء .

ومما لوحظ على القاموس الاخير ان اللحظة الثلاثية التى اشرفت على تحريره ، كان من بين اعضائها "كلود ميشيل كلونى"

وان كل ماورد فيه خاصا بالسينما على امتداد الوطن العربى ممهور بالحروف الاولى من اسم الناقد المذكور .

ولو امعنا النظر فيما هو مكتوب عن السينما العربية فى قاموس لاروس هذا لوجدناه مأخوذا جملة وتفصيلا من قاموس "كلونى" الذى أراد أن يكون موضوعيا كما يقال ، فبرأ نفسه من الذاتية التى تجعل للعواطف والاهواء والميول اثرا اى اثر فيما يختار من وقائع السينما العربية ، وفيما يستخلص لها من احكام نقدية .

فهل تحقق له ماأراد ؟

دقيقة كأن يقال فى النبذة المكتوبة عن "امينة رزق" ان "العار" الذى مثلت فيه دور الام ، فيلم من اخراج "نور الشريف" (ص ٥٥٤) ، وهو قول لا يستقيم مع الحقيقة ، ذلك انه من المعروف ان "نور" برىء من "العار" بحكم ان اخراجه كان من نصيب "على عبدالخالق" اما "نور" فقد اقتصر نصيبه على التمثيل مع حسين فهمى ومحمود عبدالعزيز ، ولا شىء سوى التمثيل .

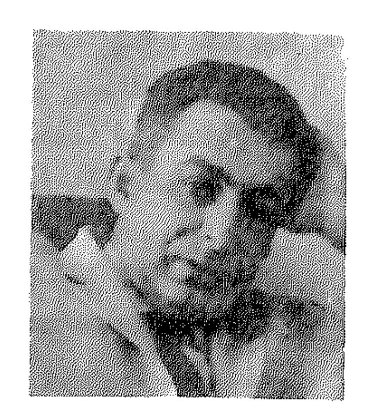
● صحوة صغرى ●

ومهما يكن من امر هذه المثالب والهفوات فالشىء المحقق ان قاموس لاروس اكثر انصافا للسينما العربية من موسوعة "افراهيم كاتز" ، الامريكية .

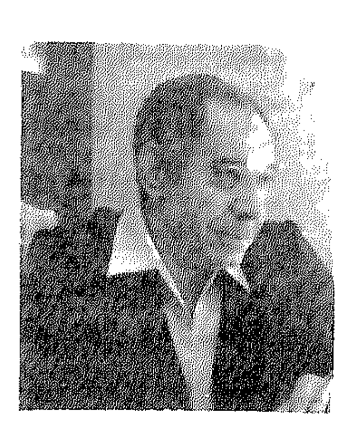
ولا غرابة فى هذا فثمة تقويم لخمسة واربعين فنانا سينمائيا عربيا (بينهم كوكب الشرق ام كلثوم) من مصر وتونس والجزائر ولبنان والعراق والكويت ، وهو تقويم فى معظمه سليم .

وثمة بيان لتاريخ السينما ومسارها صعودا وهبوطا فى معظم اقطار الوطن العربى ، وهو بيان يساعد القارىء على اكتشاف ما ليس به علم من حقائقها .

وختاما فانه لما يثلج صدر القارىء العربى لهذا القاموس الفريد المفيد ، انه ما ان يتصفحه الا وتواجهه نبذتان عن المخرجين "فطين عبدالوهاب" و"شادى عبدالسلام" (ص ١) ، الاولى منهما ترد الاعتبار لمخرج الكوميديا الاول فى الوطن العربى ، اما الثانية فتقول فى وصف "ليلة حساب السنين" ماياتى "جماله الهادىء ، ورؤيته لمصر ، كلاهما يثير الدهشة" ، والاكيد ان هذا وصف يملأ النفس ثقة واعجابا .



توفيق صالح



فطين عبد الوهاب

بادىء ذى بدء يلاحظ اولا : ان المعلومات بالنسبة للسينما فى معظم المشرق العربى ومصر قد توقفت فى القاموس عند عام ١٩٨٢ ، وان الوحيد الذى انفرد بالاستثناء من هذا التعتيم هو "يوسف شاهين" .

ثانيا : ان الجيل الجديد من صانعى الاطياف فى مصر ومشرقها العربى ، فيما عدا "محمد ملص" صاحب أعلام المدينة" (١٩٨٤) لم يأت لهم ذكر لا من قريب ولا من بعيد ، فلا كلمة عن "خيرى بشارة" وفيلمه "العوامة ٧٠" او عن "محمد خان" وفيلمه "الحريف" أو عن "رافت الميهى" وفيلميه "عيون لا تنام" و"الافوكاتو" .

ثالثا : ان ثمة تعثرا فى تفصيلات غير

● رسالة لندن ●

خواطر مغترب :

دعوة ... لمواجهة اليأس

بقلم : محمود أحمد

فى الغربة ، تكون العين دائما على مصر ، والقلب معها ، والأفكار لا تدور الا حول اهلها وناسها ، وعندما يكون المصرى مغترباً ، فانه يظل يبحث عن المصرى ، يعرفه من بين الآلاف ويميزه ويهش له ويكاد يحتضنه ، من غير سابق معرفة ، ولأن هذا هو "جوهر" حال المصرى فى الغربة ، فانه يظل يقارن بين الظواهر والانماط والتصرفات والمواقف ، وبين ماهو قائم فى مصر ، مهما كانت المقارنة قاسية . وايا كان مقدار الحب الذى يكنه للوطن ـ بل والغيرة فى أحيان كثيرة ـ فانه لا يملك الا أن يتامل ماوصل اليه الحال فى مصر ، فياخذه العجب !

وهو ، بالفعل ، عجيب هذا الحال الذى وصلنا اليه . ولقد يسميه البعض بهذه التسمية أو تلك ، بدءا من العجز وانتهاء باللامبالاة ومرورا بتسميات اخرى كثيرة ، أو ربما يرجعه الى الهزيمة او النكسة . وقد يرجع البعض الآخر اسبابا تتعلق بالتدهور الأخلاقى او القيم الفاسدة التى رافقت "الانفتاح" . بل وقد تتردد الأسباب السياسية الحاضرة صعودا حتى الوصول الى "غياب المشروع الوطنى" وعدم وضوح الرؤية فيما يتعلق بالمستقبل ، العام والخاص على السواء !

قد تكون الأسباب الصحيحة والحقيقية هى هذه أو تلك ، ولكنها تبقى كلها مدعاة للعجب : وتظل فى كل التقديرات غير مبررة .. على الأقل اذا نظرنا اليها على ضوء هذا الشلل أو الجمود ـ حتى لا نقول البلادة ـ الذى أصبح يخيم على المجتمع كله . فأىّ تقاعس هذا الذى أصبح يميزنا اليوم ، نحن المصريين ، ويظل يمسك بخناق هذا المجتمع الذى ظل عبر القرون محتفظا بنبضه وحيويته ، حتى يحول بيننا وبين التقدم بجسارة لتغيير الواقع واللحاق بالعصر ؟ وهل كانت النكسة أو

الهزيمة ، التى يحلو لنا أحيانا أن نعلق عليها كل تقاعس وقعود عن التصدى ، أشد وقعا مما أصاب اليابان - مثلا - أو المانيا بشطريها ، أو حتى كوريا الجنوبية والشمالية معا ؟

إن الفترة الزمنية ، التى مرت منذ نكسة ١٩٦٧ ، تكاد تكتمل عشرين سنة . وهذه فترة كافية لأى مجتمع حى لكى يلملم أوجاعه ويستوعب تجربته ، ثم يستجمع قواه وينطلق فى الاتجاه الصحيح . ولقد نذهب الى أبعد من ذلك ، فنقول اننا كنا بخير ، بشكل أو بآخر ، الى مابعد خوض حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، هذه التى تمنى احد شعرائنا - أحمد عبد المعطى حجازى - أن تدخل حممها الملتهبة فى لحمنا الحى ".. كى نتحضّر" !

ليس ابتعادا وتهربا ، او ابراء لذمة احد .. ان نتوجه الى المجتمع والناس والأفراد - ابناء مصر - فنحمّلهم القدر الأكبر من المسئولية فى الوصول الى هذا الواقع الممضّ الذي نعاني منه اليوم . فاى "ادارة" وايا كانت سياستها او فلسفتها او توجهها ، لا يمكنها وحدها ان تحمل عبء شعب كبير العدد ، ما يفتا انتاجه يتناقص واستهلاكه يتضخم ، واجيال - رغم أن الشباب فيهم يمثل الاكثرية - تستمرىء القعود والكسل ، ثم تهدر كل الطاقة فى الاتجاه الخاطىء : إما باجهاد النفس على طريق السمسرة والمضاربات ركضا وراء اوهام الثراء السريع ، واما بحثا عن تحقيق الذات فى غير تبصّر للأسف - على مساحة واسعة تبدأ من الضياع تقليدا لظواهر تنبت فى مجتمعات غريبة ، ولا تنتهى عند حدود التعصب الدينى او الفكرى !

لقد كتب زميلنا "فهمى هويدى" مؤخرا ، وهو يتعرض لموضوع طاقات الشباب المهدورة ، فاعطى مثلا بأحد السدود بناه - بأكمله - شباب بلد من البلدان . وهناك أمثلة أخرى كثيرة ، ولكننا نختار واحدا منها لما له من دلالة ، وهو ذلك العمل الذى يقوم به الشباب الانجليزى ، عاما بعد عام ومنذ قرن مضى للحفاظ على ثروات بلاده الطبيعية وتراثها . وكان هذا العمل قد بدأ متواضعا للغاية ، وبجهود أفراد معدودين اجتمعوا ذات يوم فى أواخر القرن الماضى بمكتبة واحد منهم وتحدثوا عن الآثار "المدمرة" الناجمة عن الثورة الصناعية - فى الجانب السلبى منها - وكيف ان انشاء المزيد من المصانع كل يوم يهدد بالهدم أعرق المبانى والقصور ، ويهدد بالابادة مساحات واسعة من أراضى الريف الانجليزى الجميل ، بدعوى شق المزيد من الطرقّ وإقامة الأحياء السكنية . ومرت الأعوام ، وإذا بهذا العمل ينتهى الآن الى نتيجة جبارة : فالهيئة المتواضعة التى

عرفت منذ مولدها باسم National Trust أصبحت اليوم ثالث أكبر مالك للأراضى فى بريطانيا بعد التاج والكنيسة ، وهى تمتلك الآن ٢١ قلعة و١٥٧ منزلا تاريخيا وعددا هائلا من القنوات المائية والكبارى وأفران الجير والمراكب واليخوت والممرات الطبيعية والقرى والمزارع والغابات ، وحتى المواقع الاثرية بما فى ذلك بعض الآثار الرومانية التى ترجع الى عصر ماقبل الميلاد !

لقد أصبحت هذه الجمعية ، التى تقوم

بمعظم الجهود فيها جماعات من المتطوعين وخاصة الشباب ، هى "الحاضن" أو "الوصي" على تراث انجلترا التاريخى والثقافى والطبيعى ويتطلب العمل لصيانة هذه الثروة القومية الضخمة ، جهدا متصلا يبدأ بالادارة ولا ينتهى بالعمليات الفنية كترميم التحف واللوحات والمبانى . وعلى الرغم من أن الجهاز "الثابت" لادارة هذه الممتلكات الواسعة يضم ١٢٠٠ من الموظفين الدائمين ، الا أن القسم الأكبر والأهم من العمل يقوم به متطوعون من مختلف الاعمار والتخصصات ، ومن الشباب الذى يتطوع لهذا الغرض خلال العطلات الصيفية على وجه خاص ، ومعظم هؤلاء يلتحقون كأعضاء بهذه الهيئة أو الجمعية التى تضم الآن مليونا و ١٣٢ الف عضو لم ينتظر اى منهم أحدا يحدد له دوره .. لا الدولة ، ولا الحكومة ولا أية جهة أخرى . بل ان كلا منهم يتقدم ، ويكفى أن يقول : اننى استطيع ان أقوم بكذا ، ولمدة قدرها كذا ، حتى يبدأ العمل على الفور !

وهذا ، كما اشرنا ، مجرد مثال واحد من بلد واحد ، وانما اتاحت ظروف العمل والاحتكاك التعرف اليه عن قرب . ولاشك أن هناك نماذج كثيرة أخرى ، فى هذه الدنيا الواسعة ، يتولى فيها الناس ـ أفراد وجماعات ـ مسئوليات قومية بهذا الحجم أو اقل او اكثر ، ويقبلون عليه بكل الحماس والاحساس الوطنى الذى يوجه الى هدفه تماما . ولعل لنا أن نذكر أن غالبية هذه النماذج توجد فى بلاد تعيش ظروفا طبيعية أو حتى "حالة ازدهار" كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا ، فما بالك ببلد كمصر ، يحتاج من ابنائه الى كل نبضة دم وكل قطرة عرق !

إننا نسمع كثيرا هذه الايام ، دعوات الى اليأس . ولكن علينا أن نتنبه ، وننبه ، الى أن هذه الدعوات لن تؤدى الا الى مزيد من الانحدار والتدهور . ونحن لا نصادر حق أحد فى الممارسة السياسية والانتقاد ، مهما كان المدى الذى يذهب اليه فى الاضطجاع بكل ثقله على "الديمقراطية" ولكننا ، فقط نقول إن أولى الخطوات نحو ديمقراطية حقيقية يجب أن تستند الى الادراك الواعى لمسئولية المشاركة التى يمكن أن تكون اضافة حقيقية الى بناء المجتمع وصنع المستقبل اننا نرى انفسنا نتخلف كل يوم ، ومع ذلك فالكل سادر فيما يشغله ، وتمر بنا الأيام أو هى تنزلق من بين أصابعنا ويمضى العمر دون أن يتنبه جيل بأكلمه الى "جريمة" التقصير التى يمارسها فى حق الوطن . وقد لا يصح وصف ، هنا ، كما يصح وصف "الجريمة" ، رغم انه قد يبدو للبعض مغاليا أو شديد الوقع .

هل هذه لا تعدو ان تكون افكارا مجردة ؟ ربما ، ولكننا لم ندّع ان هذا "برنامج" بديل لأى شيء قائم وانما هى دعوة للنهوض ، او صرخة هالعة تحاول لفت الأنظار . هى دعوة للحياة ، فى مواجهة الجمود والبلادة واللامبالاة .. ودعوات الياس .

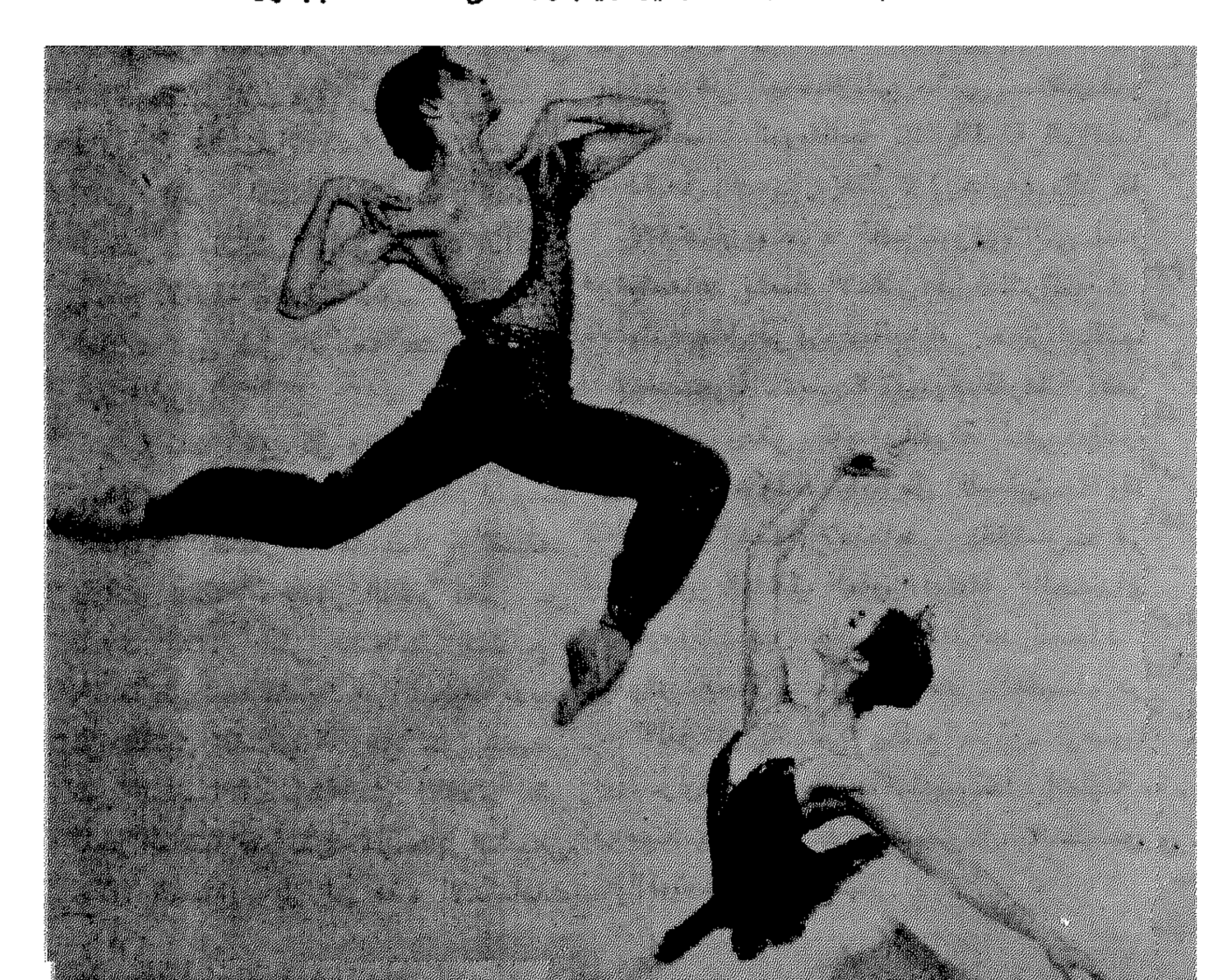
موسم ثقافى صيفى .. فى بريطانيا

ترتفع درجة الحرارة بصورة نادرة الى ٢٧ درجة مئوية ، فى منتصف يونيو ، وتستقبل بريطانيا موسم صيف جديد هذا العام . يخرج الناس يوم الأحد الى الشوارع والحدائق ، الكثيرة والمنتشرة في كل مكان ، متلهفين الى الشمس تواقين للطقس الدافىء . تخف الملابس ، وتقل وتقصر ، ويضرب الاطفال الهواء بسيقانهم الوردية وهم نائمون فى عرباتهم مستمتعين .

ويرتفع عدد الذين يقصدون المنتجعات الصيفية ، سواء فى اجازات سنوية طويلة .. او حتى فى عطلات نهاية الاسبوع .

صور كثيرة تجعل هذا الموسم يبدو مختلفا : فأهل السياسة مشغولون بأحداث جنوب أفريقيا التى واجهت رئيسة الوزراء العنيدة مارجريت تاتشر بسببها ضغطا

فرقة البولشوى .. تقدم فنا يحبه الانجليز ويقبلون على مشاهدته بجنون



موسم ثقافى صيفى

شديدا لكى تتراجع عن اصرارها على عدم فرض عقوبات اقتصادية على جنوب افريقيا . وأهل السياحة مشغولون بايجاد وسائل لتعويض الخسائر الناجمة عن إحجام السياح الأمريكيين عن المجىء الى أوربا خوفا ـ كما قيل ـ من قنابل الارهاب وسحابة "شيرنوبل" النووية . بينما وسائل الاعلام تجد نفسها ، منذ بداية موسم الصيف ، مشغولة بهذا وذاك ، ومنشغلة أيضا ، وربما بصورة أكبر ، بالتنافس على تغطية مباريات كأس العالم لكرة القدم فى المكسيك (والتى شاركت فيها ثلاث فرق بريطانية) ومتابعة عدد من القضايا الاجتماعية المعقدة ، والتى ليس اقلها مكافحة انتشار المخدرات والجدل القائم حول ما اذا كان يسمح للاطباء بصرف حبوب منع الحمل للفتيات دون سن الرابعة عشرة .. دون علم الأبوين !

ومع ذلك : فإن كل هذه الاهتمامات لا تطغى ـ لحسن الحظ ـ على زحم الموسم الثقافى الصيفى فالمسارح تستعد ببرامج جديدة ، ودور النشر تعلن عن أحدث الكتب التى أنتجتها المطابع ، والمعارض تبدأ فتح أبوابها لتوليفة بديعة من الفنون التشكيلية ، فى حين تعرض دور السينما مجموعة من الأفلام التى تأخر انتاجها فلم تدرك موسمها الطبيعى خلال الشتاء . بل إن هذه الاهتمامات الكبرى لم تمنع البريطانيين أن يتابعوا حتى الطرائف التى تأتى بها الانباء ، وأن يضحكوا من اعتزام أهل مدينة "نابولى" الايطالية ـ المحصورة بين الجبل والبحر ـ حل مشكلة المقابر ببناء مقبرة ترتفع عشرة طوابق فى الهواء !!

● "البولشوى" .. لأول مرة منذ ١٢ سنة ●

حظى مجىء فرقة "البولشوى" السوفييتية ذات الشهرة العالمية ، الى لندن باهتمام كبير فى الأوساط البريطانية عموما والأوساط الثقافية على وجه أخص . فهذه هى المرة الأولى ، التى تستقبل فيها العاصمة البريطانية تلك الفرقة الراقصة ذائعة الصيت ، منذ ١٢ عاما . وقد ظل الاهتمام بمجىء "البولشوى" الى لندن يتصاعد ، منذ الاعلان عن ذلك الحدث ، وتدافع محبّو فن الباليه الى حجز أماكنهم ـ بصعوبة ـ حتى لا تفوتهم الفرصة . فمن يدرى ، متى تعود الفرقة ، فى المرة القادمة ، وبعد كم من السنين . وقد انعكس هذا الاهتمام ، وتجسد ، فى صدور الملحق الملون لمجلة "الصنداى تايمز" ـ قبل شهر من الموعد المحدد ـ وهو يحمل على غلافه راقصا من "البولشوى" فى وضع طائر ، وصورا أخرى فى قسم بأكمله داخل المجلة ، بعدسة اللورد سنودن المصور الفوتوغرافى الشهير !

على أن وصول الفرقة العالمية قد سبقته ، ورافقته ، تحذيرات من الخبراء من أنه ليس من الضرورى أن يتوقع الجمهور البريطانى عروضا خارقة للعادة . وتحدث هؤلاء الخبراء عن مرات عدة ـ منذ العرض الأول الذى قدمته "البولشوى" فى "الكوفنت جاردن" بلندن عام ١٩٥٦ ـ أصابت استعراضات الباليه فيها الجمهور البريطانى بنوع من "خيبة الأمل" ورغم هذه التحذيرات ، فان الاقبال على الحجز ، وبالتالى اظهار التشوق لمشاهدة العرض ، بقى متصاعدا من جانب الجمهور الذى لم ينس ابداع "جالينا اولانوفا" فى دور "جولييت" عام ٥٦ .

هذه المرة ، كمرات أخرى سابقة ، تأتى "البولشوى" تحت ادارة الرجل نفسه الذى يقود الفرقة منذ نحو عشرين سنة "يورى جريجورفيتش" أما الراقصة الأولى ، والتى يطلقون عليها وصف "الملكة التى لا تنازع" ، فهى "ناتاليا بسمرتنوفا" زوجة "جريجورفيتش" . ويقول خبراء الباليه فى العاصمة البريطانية ، إن عروض "بولشوى" عام ١٩٨٦ انما هى تجسيد لصوت سيدها ومديرها جريجورفيتش الذى يؤمن الى أقصى حد بالرقص الكلاسيكى وقدرته على التعبير عن روح المجتمع وثقافته وفنونه . ولكن الخبراء يؤكدون ، من ناحية أخرى ، أنه ليس غريبا أن تكون الفرقة معبرة الى هذا الحد عن آراء مديرها ، ويشيرون الى أن هذا هو بالضبط حال "باليه نيويورك" تحت قيادة "جورج بالانشاين" ، وهو كذلك ماينطبق على فرقة "باليه بروكسل" التى يديرها "موريس بيجار" .

أما العروض ، التى اعلن مسبقا أن باليه "البولشوى" سيقدمها على مسرح الكوفنت جاردن ، فتتقدمها ثلاثة ، هى : "رايموندا" ، و"ايفان الرهيب" ، و"العصر الذهبى" ، وهى مسرحيات باليه كلاسيكية قديمة ، وبعضها مثل "العصر الذهبى" سوفييتي قح ، ولكنها تتميز جميعها بانها تقدُم هذه المرة برؤية جديدة لـ "جريجورفيتش" الذى يضفى عليها الكثير من روحه وفكره وفهمه الخاص لدور الفن ومكانة الباليه ، كرقص تعبيرى راق ، من الفن عموما .

● "عين الفنان" ●

تحت هذا العنوان "الموحى" ، شهدت العاصمة البريطانية سلسلة من المعارض المتتالية التى اقيمت فى صالة المعرض الوطنى The National Gollery ، واعتبرت من أهم ملامح الموسم الثقافى الصيفى هذا العام . واذا كان طبيعيا أن تستقبل هذه السلسلة من المعارض بالترحاب ، من جانب محبى الفن التشكيلى عموما ، الا أن الأمر لم يخل أيضا من الانتقادات التى اثارها اساسا الاتجاه فى اختيار اللوحات المعروضة . وقد كان معظم هذه الانتقادات من نصيب الرجل الذى أشرف على كل صغيرة وكبيرة فى تنظيم المعارض ، وهو "باتريك كولفيلد" الذى وجد نفسه يواجه اتهامات بأنه خرج من هذه العملية وهو "موحل

اليدين" . اما السبب فهو عدم التوفيق في اختيار المعروضات التى ضمت "كل شيء" ـ وبشكل بدا عشوائيا ـ من فنون الرسم والتصوير .

بل انه حتى عندما وجد كولدفيلد من يثنى على ادارته لعملية العرض وتتابع العروض واحدا فى اثر الاخر فان ذلك لم يحجب انتقادات أخرى وجهت الى التركيز على "المعروضات التى تقتصر على الحلقة الضيقة الداخلية من الفن الانجليزى البحت" وطالبت هذه الأصوات بأن تخرج صالة المعرض الوطنى من هذا الاطار ، وتنطلق بحيث تقدم معروضات أخرى اكثر "ادهاشا" .. وانتقاءات اكثر تنوعا .

● الجواسيس الأرستقراطيون ●

هذا كتاب جديد يثير قضية لافتة للانتباه حقا ، وهى : ما الذى يدفع شخصا أرستقراطيا من الطبقة العليا ، الى الانغماس والتورط فى أعمال جاسوسية ؟ والكتاب الذى يحمل عنوان "الاحمر والازرق" ـ وهما لونا العلم البريطانى ـ يركز الضوء بشكل أساسى على دور الجامعات أيضا ، فى تيسير اتاحة المعلومات التى يسعى وراءها الجواسيس ، متخذا من جامعة "كمبردج" مثلا لذلك . ويعود أحد فصول الكتاب الى تقصى ماكان البحث الجامعى يتيحه فى سنوات الثلاثينات من معلومات ، وهو مايمهد بعد ذلك لمعالجة كيف تنتقل الجامعة ، من خلال البحوث التى تجرى فيها ، من الاهتمام بالفيزياء الحديثة وتطورها فى العالم ، الى الغوص فى أمور سرية تتعلق بالأمن الوطنى وهو مايجرى منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية .

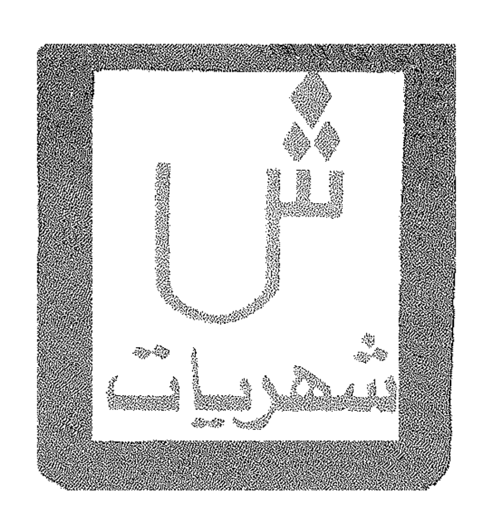
ولا يخفى مؤلف الكتاب دهشته ازاء اقدام أشخاص ارستقراطيين ممن يحملون القابا نبيلة ، على التجسس لحساب أجانب . ويتساءل المؤلف اندرو سنكلير عما اذا لم يكن من الغريب حقا أن يكون أحد هؤلاء الجواسيس الأرستقراطيين "شيوعيا" ! ولكنه يقرّ بأن القضية اكثر تعقيدا مما تبدو للوهلة الأولى ، ويعترف صراحة بأن الأمر يتطلب مزيدا من الدراسة والتحليل .

صلاة اعرابية

حكى الاصمعى قال : « خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سعد ، فإذا باعرابية نائمة ، فانبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا ، فتوجهت الى القبلة قاعدة ، ولم تمس الماء ، فكبرت ثم قالت : « اللهم قمت وأنا عجلى ، وصليت وأنا كسلى ، فاغفر لى عدد الثرى » . قال : فعجبنا وقلنا : « ماتجوز لك الصلاة ، وما هذه بقراءة .. » قالت : « والله ان هذه لصلاتى منذ أربعين سنة » .



كتاب الهلال
يقدم :
فى بلاد السندباد
بقلم : فاروق خورشيد
(عدد خاص)
يصدر
٥ أغسطس
١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
الأمير والحسناء
بقلم : كلود انيه
ترجمة : محمد حسنى عبد الله
تصدر فى
١٥ أغسطس ١٩٨٦



رأى / فى الثقافة

● حول مسألة التصنيف السياسى للأديب ●

ليست القضية فى تصورنا هى قضية "التصنيف السياسى" للكتاب والمبدعين كما يقول البعض هذه الأيام . فمن المفترض بل والبدهى ، أن يكون لكل كاتب ومبدع جاد رؤياه الخاصة للعالم المحيط به : للعالم الذى يعيشه .

نقول رؤياه لأن هذه "الرؤيا" تتضمن التصورات الخاصة بالفن الذى يمارسه المبدع ، بما يعنيه ذلك من قضايا "نوعية" شاملة لأفكاره عن اللغة ، مثلا ، هل هى جامدة أم متحركة ، قابلة للتطور أم ثابتة عند الماضى ، عن الشكل وعلاقته مع المضمون ، الإيقاع وعلاقته بالبناء ، وبما يريد المبدع أن يوصله للمتلقى .. إلى آخره .

كما تتضمن ـ هذه الرؤيا ـ موقفه كمواطن فاعل من قضايا مجتمعه الذى يعيشه ، وزاوية تحيزه بالنسبة للقضايا العامة ، وهذا لا يعنى بالضرورة أن نطالب الكاتب بانتماء حزبى معين ، وفى كل الأوقات والظروف .. لأن الواقع الآن مثلا يقول أن القيادات السياسية القائمة للأسف من أغلب الاتجاهات مصابة بحالة "شيزوفرينيا" حادة بالنسبة لمسائل الفن والأدب ، فأردأ الأنواع الأدبية والفنية المباشرة القول هى التى تجد القبول من هؤلاء ، لأن نظرتهم للمبدع هى نظرة الوصاية ، باعتبار الفن والأدب ـ من وجهة نظرهم ـ نوعا من الدعاية المباشرة لبرامجهم التى قد تكون ، أحيانا ، نبيلة الأهداف .

● أين القضية إذن ؟ ●

القضية فى تقديرنا تتعلق بالنقد والنقاد ، كما تتعلق بالرجال الموضوعين على قمة الحركة الثقافية ، المؤثرين فى مجريات الامور الثقافية العامة .

فلو آمن هؤلاء وأولئك بالمبدأ الأول الضرورى لمصداقية كل "حكم" وكل مسئول : الإيمان بحرية المبدع ، كمواطن ، فى أن يعتنق مايشاء من عقائد ، فى ظل دستور يحمى الجميع ، وحق المبدع فى التعبير عن رأيه بكل حرية ، مادامت آثار الجدية والعمق وصدق الموهبة بادية على انتاجه .

فى هذه الحالة يصبح التقييم النقدى منصبا على "الإبداع" ، على الانتاج نفسه ومدى جديته ، بعيدا عن المبدع كمواطن له الحق فى إتخاذ الموقف الذى يراه ، فى ظل الدستور الذى ارتضيناه كعقد إجتماعى نستظل جميعا بظله .

عندئذ يصبح المبدع والفنان فى مأمن من بطش أى عنصر قيادى ضيق الأفق ، ويصبح الفنان مطمئنا إلى أن الناقد الحكم محكوم هو نفسه بإطار حضارى يدفعه بدوره للتعبير عن رأيه بحرية ، ويصبح الجو الثقافى العام صحيا ودافعا للإبداع والخلق ، بدلا من أن يكون خانقا يحس الجميع خلاله بالاختناق وبعدم جدوى العمل .

لماذا إذن تثار مسألة "التصنيف

السياسى" بهذا المعنى الضيق الأفق هذه الأيام ؟

هناك داء عضال يصيب الكثير من كتابنا هو داء "الانتهازية" الذى أصبح بالنسبة للبعض أشبه "بالحصباء" ، مرض دورى يصيب الناس جميعا ، إلا من ارتقت به موهبته ، وعمق إستيعابه للقضايا الأساسية إلى مرتبة الكاتب الحقيقى المهموم بما هو اهم من اللمعة الزائفة ، هؤلاء ، وعند بداياتهم ، وفى ظل جو كانت اليسارية صفة تدفع للصدارة ، كانوا يساريين ، وفى جو نمت فيه حساسية مرضية ضد هذه الصفة ، يصرخون : التصنيف السياسى خطأ !

عبده جبير

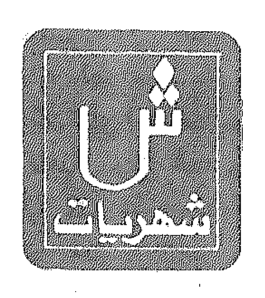
تليفزيون

● الحب وأشياء أخرى وقضية دراما التليفزيون ●

ينظر كثير من الناس لما يقدمه التليفزيون بخفة وقلة اكتراث انطلاقاً من فكرة رسخت ، مؤداها أن التليفزيون قد سطح كل شىء ، ومن ثم فما يقدمه ينطبق عليه هذا القول ، ولكن ، إذا كانت هذه المقولة تجوز على غير المتخصص فهى لا يصح أن تجوز على الناقد المدقق المتابع لحركة الفن والثقافة بشكل عام ، خاصة ناقد الدراما ، وليس هذا دفاعاً عن التليفزيون ولكن إحقاقاً لحقه فى تقييم سليم يتوخى الانصاف ، فإذا كانت السينما المصرية تنتج سنوياً من ٤٠ ـ ٦٠ فيلماً يحار النقاد فى اختيار خمسة منها تنطبق عليها شروط الجودة الفنية والفكرية ، وفى المسرح أيضا يصبح المقياس اكثر صعوبة ، فإن التليفزيون ، قياساً ، على هذا يقف ندا للسينما والمسرح فى مجال الدراما بالتحديد ، إن لم يكن أكثر أهمية بسبب نفاذه إلى اكبر القطاعات جماهيرية ، وبسبب طول القالب الذى يقدم الدراما من خلاله اى مسلسل ، والذى يضيف للمبدع سواء كان مؤلفاً أو مخرجاً أو مؤدياً ، هموماً اضافية طويلة المدى بطول وقت العمل . من هذا كله تأتى قيمة بعض أعمال التليفزيون التى قدمها أخيرا ، والتى تنطبق عليها الشروط التى تجعلها تثبت للمقارنة مع أعمال السينما والمسرح ، وأخر هذه الاعمال هو مسلسل (الحب واشياء أخرى) للكاتب اسامة انور عكاشة والمخرجة انعام محمد على ، والذى عرض فى رمضان فى ١٨ حلقة على شاشة القناة الاولى ، واثار ردود افعال واسعة لاتعد فى ذاتها مقياساً على قيمته أو جودته ، ولكنها من ناحية أخرى مقياس على اهتمام جماهيرى واسع استطاع المسلسل أن يحرزه وسط عوامل جذب أخرى خارقة للمشاهد فيما قدمه التليفزيون فى رمضان من كم كبير من برامج المنوعات والمسابقات والدراما الدينية والاجتماعية وبرامج النجوم . فما الذى طرحه المسلسل وجعله جديرا بهذا الاهتمام ؟

● هل أصبح الحب صالحاً الآن ●

لقد طرح المسلسل أولا فكرة الحب ، وهل أصبح الحب بمقاييسه العامة المتعارف عليها فى مجتمعنا صالحاً لوقتنا الحالى ! ان الكاتب فى هذا العمل والاعمال الأخرى السابقة له مثل (ابوالعلا البشرى) و (قال البحر) و (أبواب المدينة) لا يضع أبطاله فى الفراغ وإنما فى إطار اجتماعى محدد ومحكم وله سماته ، وفى هذا الاطار الاجتماعى . الذى نعيشه اليوم عام ١٩٨٦ ، يقابل بطله (سامح) الموسيقى الموهوب وخريج الكونسرفتوار المتفوق وابن الحى الشعبى درب سعادة ، يقابل (هند) الطبيبة حديثة التخرج ، والتى يشارك والدها الطبيب الكبير الثرى زميلا لـه فى انشاء مستشفى استثمارى ، يتقابل الاثنان فى لحظة خارج الواقع وداخله فى أن واحد بسبب حبهما



للموسيقى ورغبتهما فى أن يعلمها ـ باعتباره مدرسا أيضا ـ ماحرمت من تنميته بسبب اصرار والدها على أن تصبح طبيبة . وقد كان من الممكن لقصة الحب هذه أن تتخذ مسارا أخر فى زمن أخر ، لكن العنصر التراجيدى فيها كان هذا الزمن الذى اصبح فيه المجتمع منقسماً على نفسه ، فناس الزمالك غير مواطنى درب سعادة أو درب الغفير ، وسلوك الأول غير سلوك الآخرين ، وكذلك القيم والعادات ، إنه مجتمع طبقى بمعنى الكلمة أو بلدان يعيشان فى بلد واحد ينمو احدهما وينكمش الآخر ، ومن هنا فإن نقطة اللقاء فى المسلسل بين سامح وهند هى نفسها نقطة الفراق أو بدايته من خلال الحدث والزمن اى الحب الذى أتضح أنه اصبح مستحيلا فى هذا الوقت . وفى اللحظة التى يعتقد فيها الاثنان انهما تغلبا على كل الصعاب وأهمها رفض الطبيب الكبير وزوجته وشريكه لهذا الزوج (غير المتكافىء) ، تتحول لحظة الانتصار إلى هزيمة تزداد وضوحاً مع سلسلة من المواقف الأخرى التى لم يكن لأحدهما يد فيها وإنما كانا نتاجاً لها ، فإذا كان الفارق المادى لا يعبر دائما فى هذا الزمن عن المستوى الاجتماعى فى وجود طبقات امتلكت المال بغير مقومات أخرى فإن "سامح" و"هند" يواجهان طبقة تتمتع بمكانة اجتماعية عليا وتفوق مهنى عالجته بأسلوب مادى فتميزت اكثر ، من هنا أصبح "المدرس" ابخس من "الطبيبة" بشكل مجرد ، واكثر بخساً من خلال الطبقة . وبشكل ناعم تقودنا الدراما إلى الشقاق بينهما حينما يبدأ احدهما فى الاستخفاف بأفكار الاخر وهو ما فعلته "هند" عندما تراجعت عن عدم استعمال سيارتها الخاصة بعد الزواج والكفاح من الصفر كما اتفقا . والتراجع جاء بسبب ضغط الواقع ، واقع المواصلات والحياة الشاقة فى حى فقير ، إن الاحداث تتوالى ومعها تتراجع قيم الكفاح المشترك والتوحد والبناء فى حياة الاثنين لتحل محلها مقولة أن المال ييسر الحياة مادام موجودا لدى أحد الاطراف ، وفى الوقت الذى يتزايد فيه ثقل الوجود المادى لهند التى يهديها والدها عيادته الكبرى فى وسط البلد بجانب مستشفاه فإن الندية بين الاثنين تتراجع أو تنتهى فى نفس الوقت ويدفع الاحساس بالعجز "سامح" إلى الاحساس بالنقص ثم التردى فى أفعال لا تليق ، كالعمل وإهدار كرامته الفنية وراء الراقصات فى الكباريهات ، ثم يدخل مدفوعاً بنفس الاحاسيس المركبة فى سلسلة من السلوكيات الهابطة تجاه زوجته ويتحول طرفا الحب الجميل الى مخلوقين مثخنين بالجراح ، وفاقدين للثقة ، ليصبح السؤال اقوى واشد فى النهاية : هل أصبح للحب مستقبل فى زمن سيادة المادية والتمايز الطبقى المتزايد ؟ بل هل أصبح لهذا المجتمع مستقبل وسط هذا التناقض المروع بين قوى تزدهر وتنتعش وقوى تذبل وتموت ؟ إن المسلسل ينجح ايضا فى طرح قضيته بشكل اكبر فهى تتجاوز قصة سامح وهند إلى كل القوى التى ينتمى لها كل منهما ، وهل أصبح ممكناً أن نتعايش معا فى نفس المكان والزمان ؟ وهل ـ الممكن ان يعيش مجتمع يضم نخبة المهن العليا المرتبطة باستثمارات واسعة لبيع خبرتها وعلمها بعيدا عن مفهوم الخدمة مع أخرين اصحاب مهن انقرضت تعلموها بالسليقة والذكاء الفطرى مثل الاسطى (فرج) الترزى الذى وصل إلى نقطة الصفر بلا مال ولا مستقبل بعد أن هجره الزبائن بسبب عجزهم عن دفع أجرته ! إن المسلسل فى دائرة طرحه يشير إلى هذه

المفارقة فى مجتمع واحد بين مهن ومهن اخرى ، فبقدر مايعكس نموذج الأسطى فرج تلقائية الحياة وبساطتها واصالتها بقدر مايعكس وصول هذا كله إلى طريق مسدود بفعل الأزمة الاقتصادية وقصور القوانين والنظم عن التعامل مع متغيرات العصر وتحديث المجتمع وهى ازمة العدالة التى تكفل للإنسان انسانيته مجردة عن انتمائه الطبقى ..

وإذا كان لقوة الفكر وجاذبية العرض الدرامى قوتهما فى (الحب وأشياء اخرى) فإن لها بعض نقاط الضعف بالطبع ، وأهمها عدم تمايز الحوار بما يتناسب مع بعض الشخصيات مهما أوتوا من البصيرة مثل شخصية (فرج) الترزى التى جسدها فى اداء مبدع الفنان صلاح قابيل ، أيضا المبالغة فى احساس "سامح" بالعجز والنقص مع المبالغة ايضا فى تقدير موهبته ونبوغه من جانب اساتذته ..

وإذا كانت المخرجة انعام محمد على قد اثارت الاعجاب بحساسيتها الفنية المدهشة وإبرازها لكل المعانى التى طرحها العمل ، وسيطرتها التامة على اداء بطليها (آثار الحكيم) و (ممدوح عبدالعليم) ثم ابرازها لقدرات ممثلين مخضرمين مثل (صلاح قابيل) و (رشوان توفيق) و (مديحة حمدى) بالاضافة لتقديمها الجيد لمصطفى فهمى ونبيل الحلفاوى إلا أن هذا ليس غريبا على مخرجة كبيرة شقت طريقها بأقصى حد من الالتزام الفكرى والفنى معا وعلى مدى سنوات طويلة لتقف فى الدائرة التى تضم أهم المبدعين فى الفن التيلفزيونى العربى .

• مسرح • **ماجده موريس**

"السبنسة" فى المسرح القومى بعد ربع قرن !

ضمن خطة إعادة تقديم المسرحيات (الريبتوار) اعاد المسرح القومى عرض مسرحية "السبنسة" التى كتبها سعدالدين وهبه واخرجها سعد أردش عام ١٩٦٢ ، وبالرغم من ان المسرحية تكشف أوجه الفساد الذى عم أجهزة الدولة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، إبان الحكم الملكى والاحتلال الانجليزى ، الا أن مخرجها عبدالغفار عودة حاول إضفاء طابع العصرية على الأحداث بعد أن حذف بعض العبارات واضاف اخرى تلائم ماحدث من متغيرات ، كما يقول فى برنامج عرض المسرحية ، الذى حدد فيه وظيفته كفنان بأن يراقب ويرصد حال المجتمع ، بعد أن حول قطعة الحديد فى "السبنسة ٦٢" الى قنبلة ضد رجال القمع والقهر المختفين وراء نياشينهم ونجومهم وبزاتهم العسكرية فى "السبنسة ٨٦" ، الا أن المقدمة التى ابنت عليها المسرحية ظلت أسيرة الزمن الذى صاغ المؤلف إبداعه خلاله ، فتصبح المحصلة فى النهاية غير متسقة دراميا ، إذ يتقوض البناء فوق شخصياته المترددة بين حالات وعلاقات وروح الزمن القديم والآنى ..

وإذا كان المخرج يرى أن مايحدث الآن فى الواقع هو نفسه الذى أرهص بضرورة التغيير قبل ثورة الضباط الأحرار ، فإن الخلط هنا هو الذى يفسد هذا التقارب ..

تدور المسرحية فى قرية نائية تسمى (الكوم الأخضر) كناية عن ارض الكنانة ، يجد واحد من عساكرها (الشاويش صابر) احدى القنابل ، فيبلغ رئيسه (الصول درويش) رؤساءه فى المديرية ، وعلى الفور تنقلب القرية ، إذ يحضر المأمور وقواته التى يستضيفها العمدة مرغما ومعه وكيل النيابة لكى يحققا فى وجود القنبلة التى أبطل مفعولها أحد خبراء المفرقعات ، وادعى أنها شديدة الانفجار ، وهى لا تخرج عن كونها قطعة من الحديد وضعها صابر بعد أن سرقت القنبلة الحقيقية ، وتبدأ التحقيقات ومعها يبدأ كشف المؤلف وتعريته لواقع القرية ـ أو الوطن ـ وعلاقات رجال السلطة والاقطاع بأبنائها والقيم المتردية التى تحكم العلاقات بينهم إلى



اخر هذه المظاهر ، وعندما تصل المسرحية الى ذروتها ، بعد ان لفق وكيل النيابة التهمة لأحد العمال واحد المشايخ وأحد الفلاحين ، يثور صابر ويعترف بالحقيقة محذرا من القنبلة الحقيقية التى سرقت ، وبالطبع لايأبه رؤساؤه بما يقول ويتهموه بالجنون ويقوده رجالهم الى مستشفى المجانين فى نفس القطار الذى يحمل المتهمين الى السجن فى عربة الدرجة الثالثة (السبنسة) ويركب المأمور ورجاله فى الدرجة الأولى (البريمو) بينما يركب السلبيون والانتهازيون وهؤلاء السائرون خلف كل سلطة فى الدرجة الثانية !

وسعد وهبه بهذه النهاية التى يحذر فيها صابر من القنابل الحقيقية التى على وشك الانفجار ، كان يواكب أحداثا حقيقية ، ويرصد انفجارا لقنبلة واقعية ، دفعت ـ كما تنبأ صابر ـ بركاب السبنسة الى الدرجات الأولى ، أو ممثلى الطبقات الشعبية الى الحكم بعد نجاح ثورة يوليو ..

وقد جانب المخرج التوفيق فى صياغة التيمة القديمة بشخصياتها النمطية ورموزها المستهلكة ـ الآن ـ وعلاقاتها المحدودة ، بعد التغييرات التى حدثت ، خاصة فى الريف المصرى ، بعد التقدم العلمى وانتشار أجهزة الأعلام والتعليم ، هذا بالاضافة إلى ضيق الهوة الحضارية بين القرية والمدينة ، فلم يفده كثيرا ان تتغير بعض أسماء الشخصيات ـ مثل المأمور الذى انقلب الى مدير الأمن ـ او صياغة بعض العبارات وتحميلها على لسان الشخصيات ، إذ كانت خارجة عن القالب القديم ، ومسخ بعض الرموز ، مثل المثقف الأزهرى الذى ظهر على المسرح فى صورة لا تتفق مع دوره المؤثر بحكم طبيعة القرية ..

وقد كان يمكن تلافى ذلك كله ، مادمنا فى اطار اعادة المسرحيات القديمة ، وذلك بأن نقدمها كما عرضت من قبل بنفس أخراجها وطاقمها الفنى من الأحياء ، وهو المعمول به فى كل مسارح العالم ، وليس بأن نعيد انتاجها كأنها من الاعمال الجديدة ، ونختلق رؤية معاصرة ، وننفق من أجلها ميزانية كاملة بما لا يتناسب ابدا مع أسلوب الريبتوار المتعارف عليه ، وحتى لا يجوز التعريف بعرض من التراث المسرحى على امكانية تقديم مسرحيات حديثة . وهو مايدفعنا الآن بأن نطالب ادارة المسرح القومى بإعادة النظر فى خطتها التى بدات بعد تجديده بعروض متهافتة لا تليق بمكانة المسرح العتيق ودوره المؤثر فى المنطقة العربية ، حيث هو بؤرة محركة ودعامة أساسية فى حركة المسرح العربى بعروضه الخابية تنطفىء انوار المسارح على امتداد الوطن ، وبمسرحياته المختارة دون تحيز أو غرض او شبهة مصلحة ، تندفع الدماء ساخنة الى شرايين المسرح المصرى لكى يفوق من سباته الطويل .

محمد الشربينى

● مهرجان ●

المهرجان الأدبى الثانى بالمحلة الكبرى

« المحلة الكبرى » هذه المدينة الصناعية العريقة لم تكف ابدا عن عطاء الوطن الكبير بالمواهب الخلاقة ، من عباس أحمد الى جابر عصفور الى جار النبى الحلو الى نصر أبوزيد الى سعيد الكفراوى ومحمد المنسى قنديل

ومحمد صالح ومحمد فريد أبوسعدة وفاروق خلف الشاعر والمسئول عن النشاط الثقافى بمديرية الشباب .. هذا الرجل الذى تحتاجه كل مدينة اقليمية بنشاطه وقدرته الدائمة على العطاء واحتضان المواهب . وهو الذى كان وراء المهرجان الادبى الاول وهذا المهرجان الثانى الذى كرس ندوته للاحتفاء بمجموعة قصصية لواحد من أبناء المحلة هو صالح الصياد الذى كان قد كتب فى فترة الازدهار الثقافى فى الستينات ثم توقف عندما اصبحت الثقافة هى آخر مايهتم به الناس فى الفترة السابقة ، ثم عاد مرة أخرى مع عودة النشاط لمدينته فدبت الروح فى المواهب المحيطة به ليجتمع جيل جديد ، محمود حنفى كساب .. وسعد الدين حسن ، ومحمد العزولى ، واحمد عزت سليم وانشأوا مجلة الرافعى ، ثم مطبوعات الرافعى ، ثم صالون الرافعى وليقيموا الندوات ويصدروا الكتب ، وكل عام بداوا تتويج نشاطهم بمهرجان ادبى يدعون له النقاد والكتاب فى خارج المحلة .

هذه الندوة حضرها وتحدث فيها الدكتور محمود الحسينى والدكتور يسرى العزب والدكتور مدحت الجيار ، ثم محمود كساب واحتفوا بموهبة الكاتب وقدرته الابداعية وان تعددت تحفظاتهم لكنهم جميعا أبدوا اهتماما فائقا بها .

عقب الندوة قدمت فرقة الموسيقى والكورال التابعة لمركز الشباب فقرات متنوعة من الأغانى ليبرز طفل لم يتجاوز التاسعة ويغنى لسيد درويش كأنه سيد درويش فى طفولته ، قدرة غريبة على مواجهة الجمهور ، وقدرة فائقة على الاداء ، وامكانيات صوتية بارزة تجعلنا نقول أن محمد موافى الصغير سيكون له مستقبل باهر على الطريق ، لكن اى طريق ؟ ترجو أن تتجه به الاقدار نحو الغناء الجاد بعيدا عن سوق الكاسيت بفجاجته التى تأكل الأخضر واليابس من المواهب .

• كونسير •

شعر صلاح عبد الصبور وموسيقى جمال عبدالرحيم

حتى المثقفون انقطعوا عن عادة الذهاب الى حفلات الموسيقى الكلاسيك ، اغلب الوجوه التى تراها فى هذه الحفلات من الاجانب ، أو تلحظ مجموعة من المدعوين الذين ذهبوا لتلبية الدعوة دون أن يكونوا - حقيقة - مهتمين بالعرض .

لكننا تلحظ - هذه الليلة فى السابع والعشرين من يونيو الماضى - جمهورا كبيرا من المثقفين المصريين حضر الى مسرح الجمهورية ونرى الدكتور أحمد هيكل فى مقدمة الحاضرين ، فالليلة عرض متنوع من نوع خاص تقدمه أوركسترا القاهرة السيمفونى وكورال أوبرا القاهرة بقيادة بارعة وحساسة ليوسف السيسى ، وقد احتوى البرنامج على موسيقى للتشيكى بيدريش سميتانا حملت عنوان « نهر المولداو » ونقرأ للناقد الموسيقى أحمد المصرى ، كتب سميتانا ستة قصائد سيمفونية بعنوان عام هو « بلادى » عبر خلالها عن بعض مظاهر الحياة القومية فى وطنه فصوّر الجبل والقلعة والنهر وعبر عن الاسطورة الشعبية التشيكية احسن تعبير ، .. ثم كانت الفقرة الثانية للروسى الكسندر جلازونوف ، كونشرتو رقم ٢ من مقام لاصغير ونقرأ للناقد « يتكون هذا الكونشرتو كالعادة من ثلاث حركات ولكنها تسمع منفصلة ، ولقد تحرر جلازونوف من معظم قيود الصياغة الموسيقية الكلاسيكية ، واهتم بالكتابة الأوركسترالية واستغلال امكانيات الالات الموسيقية لاقصى حد ، لذلك فإن الاجزاء الفردية لآلة الفيولينة المفردة تتميز



بالصعوبة المطلقة وتتطلب قدرات متميزة فى الأداء .

ثم قدمت بسمة عبد الرحيم بأدائها المتميز « سوليست » فيولينة ولقيت ترحيبا شديدا من المستمعين .

ثم كانت الفقرة الأساسية لهذه الليلة ، غنائية للباريتون والكورال والأوركسترا من شعر صلاح عبدالصبور وموسيقى جمال عبد الرحيم وأداء فردى لرضا الوكيل ، وقد درب الكورال ، الدومانياتو وبقيادة يوسف السيسى ، القصيدة المختارة لصلاح عبدالصبور حملت عنوان "الصحوة" وهى التى مطلعها :

اواحدتى قبلما نلتقى
بذاك المساء السعيد البعيد
بلوث الحياة وارزامها
عرضت صليل القيود الحديد

ونقرا للدكتورة سمحة الخولى :

الموسيقى فى هذه القصيدة ليست بحاجة الى شرح طويل ، فألحانها ونسيجها المتعدد الأصوات تعكس العالم الواسع لأجواء وانفعالات التجربة الشعرية ، اما الموازين والإيقاعات المركبة فيها فهى ضرورة موسيقية فرضها إيقاع الشعر الحر ، فضلا عن انها من العناصر الشرقية التى تميز أسلوب جمال عبدالرحيم .

والموسيقى هنا تتبع الجو العام فتنقسم إلى قسمين كبيرين لكل منهما جوه النفسى ، فالقسم الأول تشيع فيه روح التأمل والأسى ، تتخلله ومضات عاطفية حانية ، وتبلغ الموسيقى فى نهايته قاع الظلام والحزن عندما تعبر عن فاجعة الموت . أما القسم الثانى فيبدأ من هذا الظلام الحالك ويتجه تدريجيا نحو النور والتفاؤل فى تيار متصاعد من القوة والايمان بالحياة ، إلى أن تبلغ الموسيقى فى الختام قمة الانتصار والفرح ..

هذه إحدى التجارب الجريئة لعمل موسيقى قائمة على أسس المقامات الغربية للشعر العربى ، محاولة أن تثير كثيرا من التساؤلات لكنها تستحق التشجيع .

هامبورج

• التاريخ والأدب فى مؤتمر نادى القلم •

فى الفترة من الثانى والعشرين وحتى السابع والعشرين من يونيو الماضى انعقد المؤتمر التاسع والأربعون لنادى القلم العالمى فى مدينة هامبورج الالمانية وحضره ثمانون كاتبا من بلدان العالم المختلفة . وعلى الرغم من ان الدعوة قد وجهت الى العديد من الكتاب العرب ، إلا انه لم يحضر منهم سوى « مصطفى خالد المبارك » من السودان ، و « ادوار الخراط » من مصر .

والمعروف ان نادى القلم هو مؤسسة دولية مستقلة ، انشىء عام ١٩٢١ ، ومقره الرئيسى فى لندن ، وله افرع فى جميع انحاء العالم يلتقى اعضاؤه حول مبادىء عامة ليساندوا بعضهم البعض ، ويقيموا حوارا حول المسائل الادبية ، كما انه يقوم بالدفاع عن اعضائه الذين يتعرضون لمشاكل الاعتقال او النفى بسبب آرائهم .

اما فرع « نادى القلم » فى مصر الذى يراسه الأستاذ توفيق الحكيم رسميا ، وسكرتيره العام مرسى سعد الدين فإنه ومنذ سنوات لايقوم بأى نشاط بل يكاد يكون مجرد عنوان وهمى . (٣٤ شارع

بهجت على) سكن الموسيقار بليغ حمدى (؟!) ، مع انه من الممكن ان يكون نافذة حية لادبائنا يطلون من خلالها على العالم .

وجوه كثيرة يعرفها القارىء العربى كانت ضمن الحضور جونتر جراس الالمانى ، والبرتو موافيا الايطالى ، وعثمان سمبلين السنغالى . وسوزان سونتاج الامريكية .

فى بداية اليوم الأول للمؤتمر عقدت ندوة عامة تحدث فيها جريجر دلن رئيس الفرع الألمانى ، ثم عمدة هامبورج ، ثم فرانسيس كنج الرئيس الدولى ثم تحدث رئيس جمهورية المانيا بعد هؤلاء !!

ثم كانت الفقرة الثانية ، حفل موسيقى اقيم لصالح الكتاب المسجونين من أعضاء النادى .

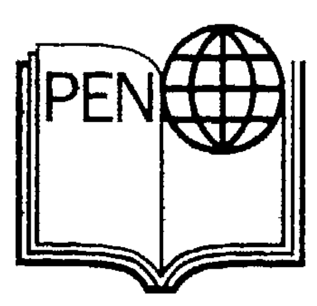
كان الموضوع العام الذى القيت فيه كلمات الكتاب فى اليوم التالى هو « التاريخ المعاصر وانعكاسه على الأدب المعاصر » وقد اتجهت معظم الدراسات والأراء ـ كما يقول إدوار الخراط ـ اتجاهين .

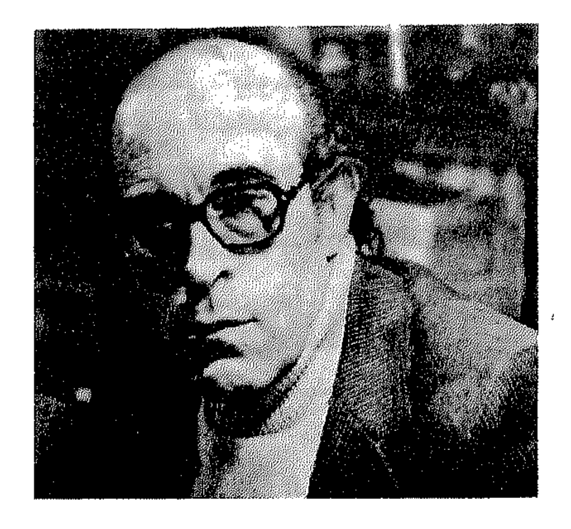
الأول هو تعريف المشاركين بالتطور الذى حدث للحركات الأدبية وملامحها وتاريخها فى البلدان المختلفة .

الثانى محاولات تنظير لعلاقة التاريخ بالأدب ، وجهة نظر كل كاتب وتأملاته الشخصية فى هذه العلاقة .

وقد لوحظ ان الكتاب الفرنسيين جنحوا الى نوع من الشاعرية التى ترى ان التاريخ إنما هو التاريخ النفسى الباطنى ، او التاريخ الداخلى للكاتب .

وقد ذهب البعض الأخر الى تأكيد ما يمكن تسميته بـ « تاريخية التاريخ » وعلاقة الكاتب الشخصية بالأحداث التاريخية وانعكاسها على الادب كما فعل جونتر جراس على سبيل المثال وقدمت الأمريكية « سوزان سونتاج » دراسة أدبية صادقة عن تقسيم الأدب إلى اتجاهين





ادوار الخـراط

رئيستين ، إتجاه واقعى بشكل عام ولا واقعى بشكل عام ، ورات أن التاريخ لاينعكس فقط فى النوعين ، بل ان الأعمال « الجيدة » من الاتجاهين ، تتجاوز اللحظة الراهنة لتستشرف المستقبل .

ويقول الخراط بان اهم ماحدث بالمؤتمر هى تلك اللقاءات التى رتبها الألمان لثمانين كاتبا قرءوا أعمالهم فى ثمانين مدرسة ثانوية وتجمعوا فى هامبورج والمدن المحيطة بها وكان الكتاب يقرءون اعمالهم بلغاتهم المختلفة ليقوم آخرون بترجمتها ثم يعقب ذلك مناقشة انقلاب للكتاب .

وقرا الخراط قصته امام السور فى مدرسة « هامبورج » الثانوية ، على بعد



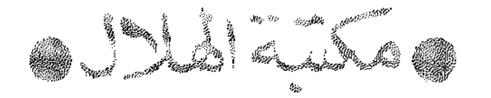
٤٠ كيلو مترا من « هامبورج » وترجمها « كيرش الألماني ».

والدعوة الآن قائمة الى احياء نادى القلم المصرى حتى يقوم بدوره كاملا فى التواصل مع الثقافات الأخرى .

● إشارات ثقافية ●

● الباليه والتليفزيون وهيئة الآثار !! ●

باليه « إيزيس » الذى اخرجه وصمم رقصاته « عبد المنعم كامل » ووضع موسيقاه جمال عبد الرحيم ، فى تجربة مصرية شائقة تستحق المشاهدة ، لم يعرض على الجمهور سوى ثلاث ليال بالقاهرة كان سكانها مشغولين عنه باحداث كروية ساخنة وعرض فى رحاب معبد الكرنك عشر ليال لقيت ترحيبا شديدا من السائحين الاجانب . هذا الباليه التجربة المصرية الخالصة ، اعلن التليفزيون الشهر الماضى عن عرضه فى إحدى سهراته فانتظره المشاهدون الذين سمعوا عنه ولم يروه ، أذا بالبرنامج (تقديم زينب الحكيم) عبارة عن لقاء مطول مع الدكتور احمد قدرى مدير هيئة الآثار تخللته بضع لقطات متناثرة من الباليه .. والنتيجة : صدمة المشاهدين الذين كانوا ينتظرون رؤية الباليه نفسه . وكان على التليفزيون (توخيا للأمانة) أن يعلن عن حقيقة البرنامج ، وأنه لقاء مع احمد قدرى ، يتخلله لقطات من باليه إيزيس .. الخ ، وفى هذه الحالة سيجد البرنامج الذى قدم رئيس هيئة الآثار خلاله مشروعاته الطموحة مشاهدين خالصين للاستماع إليه ، وهو لديه الكثير مما نريد أن نسمعه ، لا أن يضطر المشاهد الذى اعد نفسه لرؤية الباليه للجلوس فى حالة ضيق وتبرم من الدكتور قدرى ومن البرنامج ومقدمته المذيعة النشطة ، ليقوم فى النهاية فى حالة إحباط تزيد من إحباطاته الاخرى ، ولا نستطيع أن نقول سوى : رفقا ببرامجكم ، وبالفنانين الذين قدموا هذا الجهد دون مقابل يذكر فقد كانوا أشد إحباطا من الجميع تلك الليلة .



الكتاب : هى اغنية .. هى اغنية ..
شعر : محمود درويش
الناشر : دار الكلمة ، القاهرة
١١٦ ص - ٤٠٠ ق م

فى اول ديوان له فى مصر ، يتبدى الشاعر الفلسطيني محمود درويش فى حالة جديدة ، يتلقفها جمهوره العربى فى مصر بالفرحة ، حالة من الوجد الحزين تطالعك فى أولى قصائد الديوان :

سنخرج

قلنا : سنخرج ،

قلنا لكم : سوف نخرج منا قليلا سنخرج منا .
إلى هامش ابيض نتامل معنى الـدخـول ومعنى الخروج

وكان « الخارج » نفسه هو الذى يعاقب ، هو الذى يمتلك الفعل ، لا إستجابة للقهر ، ولكن توخيا للحظة تجلى فيها ملوك الطوائف وهم يشتبكون مع كل شيء بالحديد .

خروج هو من زنقة العناصر المتنافرة ، هو وداع يوم القرنفل وداعا لمن سوف ياتون من وقتنا صـامتيـن ، ومن دمنـا واقفين ، لندخل .

ونرى شاعرنا في « نزل على البحر » بعد الخروج ، في زيارة قصيرة ، يتحدث حديثا من الماضى المهشم ، يتساءل عما تبقى من رياض الروح ، عما تبقى من جهات الأرض ، ومن صخرة يقدم فوقها قـربان الـرحمة ، ويخط بريشته التي تقطر الما ،

للبحر مهنته القديمة :
مدُ وجـزر
للنساء وظيفة اولى هى الاغراء ،
للشعراء ان يتساقطوا غما
وللشهداء ان يتفجروا حلما
وللحكماء ان يستدرجوا شعبا إلى الوهم السعيد .

وهو حتى اثناء عزفه المنفرد ، يرى موقعه من البحر وقد تجلى الابيض كالأبد ، ليقترب البعيد إلى خط اليد ، باحثا عن الايقاع وقد انقطع الصوت عن تاريخ الاغنية ، وهو لايكف عن تفتيش نفسه ، إذ يفتش عن البلد ليصوغ روحه من الحطام ليرى خطاه مدى متداخل .

وبنقلة شعرية بارزة يخط يراعه « اربعة عناوين



شخصية » متر مربع في السجن ، ومقعد في قطار ، وحجرة العناية الفائقة ، وغرفة في فندق ، هنا نجد محمود درويش وقد يلجا إلى القص ، عبـر اربع قصائد مدورة ، ربما تكون هى الابرز في الديوان ، هنا يقول :

تدور بى الريح حين تضيق بى الارض ، لابد لى ان أطير وان الجم الريح ، لكننى ادمى .. شعـرت بمليون ناى يمزق صدرى ، تصببت ثلجا وشاهـدت قبرى على راحتى .

وهنا نلمس اسلـوب المتصـوفـة ، النفـرى خصوصا ، وقد استعمله الشـاعـر بخصـوصيـة وبطريقة متميزة .

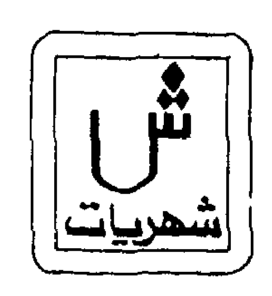
« تدور بى الريح حيث تضيق بى الأرض ، لابد لى ان أطير وان الجم الريح ، لكننى أدمى .. شعـرت بمليون ناى يمزق صدرى .

تصببت ثلجا وشاهدت قبرى على راحتي ، تبعثرت فوق السرير ، تقيات . غبت عن الوعي . مت وصحت قبيل الوفاة القصيرة :

إني احبك ، هل ادخل الموت من قدميك ؟ »

ثم يمضي الشاعر معبرا عن سوء حظه في العشق . يمر على ساحل الحب ، ملقيـا السلام سريعـا ، ويكتب فوق الظل جناح الحملم رسائل ترتد اليه ، كما الغيم في خاتم الشجر ، كما الظل فـوق الحجر ويسحب نفسه من جسد لم يره ، حاملا قلبه قميصا على كتفه .

إنها فرحة حقيقية باول ديوان لمحمود درويش في مصر ، فرحة تملا الافق العـربى بالشـوق للقـاء الاحبة ، وفي إنتظار ان يضع نقادنا ايديهم على الحقيقة ليتناولوه بالدراسة هذه المرة كشاعر متفرد بقدرة على التطور الدائم .



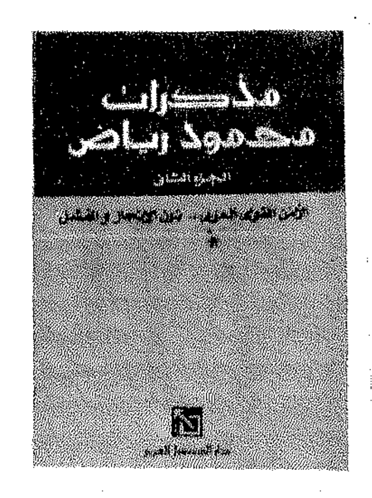
الكتاب : مذكرات محمود رياض
الجزء الثاني
الناشر : دار المستقبل العربي
٣٣٦ ص ، ٨ ج م

بعد ان صدر كتاب محمود رياض « البحث عن الاسلام والصراع في الشرق الاوسط الذى يشكل الجزء الاول من مذكراته ، بدا انه لم يتناول سوى احداث عدوان ١٩٦٧ وبعض جوانب القضية الفلسطينية ، وكان واضحا ان بجعبته الكثير لكي يتقدم به كشهادة لاحد المشاركين في الاحداث العامه منذ عام ١٩٤٨ .. عندما توجه إلى فلسطين ، وشاهد القوات الاسرائيلية وهي تغتصب الاراضي العربية ، وتطارد الفلسطينيين وتشردهم من ديارهم

يقول رياض : ومنذ ذلك الوقت وعبر المواقع المختلفة التي شغلتها ، عايشت كافة التطورات التي شهدتها الساحة العربية عبر عقود ثلاثة كاملة ، وتفاصيل المحاولات العربية الدءوب لتحقيق الأمن العربي .

لقد عشت بداية التهديد الاسرائيلي لامن الامة العربية ، وتصاعد هذا التهديد ليبلغ ذروته في عام ١٩٦٧ .

وعشت تفاصيل معركة الاستقلال العربية وتابعت تفاصيل المخططات الاستعمارية الرامية الى



ابقاء العالم العربي في خلد السيطرة الغربية .

وعندما بدات في تسجيل احداث هذه السنوات الطويلة ، كان يلح على بإستمرار السؤال الذى يشغلنا جميعا ، كيف وصلنا الى ما نحن فيه ، وهل من سبيل لتجاوزه ؟

يقول محمود رياض في إجابته عن هذا السؤال .

« لقد افزعتني حقيقة مؤلمة اننا في العالم العربي ، ونحن في منتصف الثمانينات مازلنا نعيش ذات الحالة التي كنا نعيشها منذ الاربعينات ، مازالت مشاكلنا الكبرى هي ذاتها المشاكل التي كنا نبحث لها عن حلول في ذلك الوقت ، وبعد كل هذه السنوات من محاولات تحقيق الأمن العربي ،

مازال امننا العربي مهددا اكثر من ذى قبل ، ومازلنا عاجزين عن حمايته فالخطر الاسرائيلي على الامن العربي تفاقم اكثر من ذى قبل وبنشوب الحرب العراقية الايرانية اضيف تهديد جديد لامننا العربي يهدد الحدود الشرقية للامة العربية .

وفي مواجهة هذه الاخطار التي تهدد الأمن العربي نرى الوضع العربي متدهورا كما لم يحدث من قبل ، ونرى الدولة العربية عاجزة عن تحقيق الحد الأدنى من الانفاق لحماية الامن العربي .

هذه إذن شهادة لواحد من المسئولين الكبار طول السنوات التي امتدت منذ عام ١٩٤٨ وحتى بداية الثمانينات شهادة لاتخلو من وجهة نظره وتقييمه لأسباب فشل محاولات تحقيق الأمن العربي .

الكتاب : كنت نائبا لرئيس المخابرات
الناشر : كتاب الحرية
تاليف عبد الفتاح أبو الفضل
٣٣٠ ص ، ٢٢٥ ق م

هذا الكتاب هو مذكرات المؤلف التى عنى بها محاولة تسليط الأضواء على جميع مراحل حياته منذ كان صبيا بالمرحلة الأبتدائية وحتى وجد نفسه يقوم بدور فى التحضير للثورة ، وقد شارك الكفاح مع جيله من طلبة المرحلة الثانوية معبرا عما خالجه وخالج زملاءه أثناء الدراسة بالكلية الحربية والأحداث السياسية فى هامش هذه المراحل عبر أحداث الحرب العالمية الثانية ، وتأثيرها على مقدرات مصر ، وقد كان إذ ذاك ضابطا فى الجيش المصرى ، كما تعرض الى سيطرة الانجليز على هذا الجيش ، وسجل معركة فلسطين وملابساتها من وجهة نظره كمقاتل فى الجبهة خاض المعارك على أرض فلسطين ، ومدى تجاوب شباب المقاتلين مع نداء الوطن والعروبة ، وماصاحب ذلك من فساد القادة السياسيين وعجز القادة العسكريين مما عجل بالتحضير للثورة .

يقول المؤلف : رويت ايضا فى هذه المذكرات عن التنظيمات الوطنية بالجيش بعد حملة فلسطين وما كنا نتداوله فى إجتماعاتها عن احوال البلاد وسجلت ايضا احداث ثورة ٢٣ يوليو ، وقيامى بالخدمة فى المخابرات ، والدور الذى قمت به مع الضباط الوطنيين



فى هذا الجهاز من أعمال أدت إلى النهوض به ليصبح واحدا من اكفأ الأجهزة فى العصر الحديث رغم بعض المآخذ التى لايخلو منها أى جهاز مخابرات فى العالم .

بعد ذلك سجل أحداث العدوان الثلاثى والكفاح الشعبى المسلح فى مواجهته ، ومشاركته فى هذا الكفاح ، واخيرا سجل معالم السلبيات فى أجهزة الدولة والتى كانت كما يرى ـ السبب الرئيسى فى هزيمة معركة ٦٧ ، ودور المقاومة الشعبية فى بورسعيد الذى ساهم فى قيادتها ودوره كعضو فى الاتحاد الأشتراكى العربى كجهاز سياسى فى فترة من أدق فترات التطور السياسى والاجتماعى فى مصر .

الكتاب : مثقفون وعسكر
تأليف : صلاح عيسى
الناشر : مكتبة مدبولى
٧٥٦ ص ، ١٢ ج م

يضم هذا الكتاب مجموعة مختلفة من المقالات كتبت فى مناسبات متعددة ليعبر بها كاتبها أحيانا عن آرائه فى بعض القضايا العامة وأحيانا أخرى يقدم شهادته كواحد من ابناء جيل الستينات عاش « تجربة عريضة ومريرة تستحق أن تروى ، وينبغى ـ كما يقول ـ الا يمضى العمر ، دون أن نترك من حصادها المر ، لمن يأتى بعدها » .

هذه إذن مجموعة من المقالات المختلفة نراه فى إحداها يرثى فقيد القصة العربية يحيى الطاهر عبد الله ، وفى أخرى يستعرض الدور الذى لعبته مجلة « المختار » فى أصدارها الثانى حيث يرى أنها جاءت ليتقدم فى كل سطر لغم ولكى تلف كل قنبلة بفكاهة .. المهم أن يظل العرب وظهورهم الى الحائط الأمريكى .

ثم نقرأ عن الثورة بين المسير والمصير ، والمنظور السياسى والديمقراطى لمسالة الوحدة الوطنية ، وطلقات لاتطيش على جبهة الفكر وغيرها من المقالات ، بالاضافة الى ثلاثة حوارات أجراها المؤلف مع محمد حسنين هيكل .

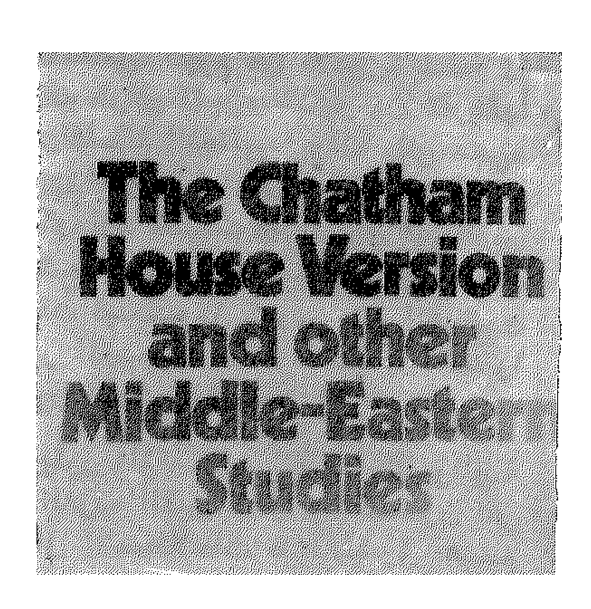
كتاب الشهر

ماذا يمكن أن يحدث إذا فشل الحكم الوطنى فى البلاد العربية ؟

عرض وتعليق
د. وليم سليمان قلاده

يضم هذا الكتاب اثنتى عشرة دراسة تتعلق جميعا بالتاريخ الحديث والمعاصر فى منطقة الشرق العربى . ويمكن تقسيمها الى مجموعتين — الاولى تتعلق بتاريخ الحياة السياسية فى مصر ! ((سعد زغلول والبريطانيون)) ((نشاة الدستور المصرى عام ١٩٢٣)) ، ((مصر والخلافة من ١٩١٥ — ١٩٥٢))

والمجموعة الثانية تضم دراسات تشمل المنطقة العربية فى مجموعها وتتعرض على وجه الخصوص لحركة الوحدة العربية : « الشرق الاوسط والقوى الدولية » ، « القاهرة والخرطوم والمسالة العربية ١٩١٥ — ١٩١٨ » ، « سقوط دمشق فى اول اكتوبر ١٩١٨ » ، « السير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » ، « العروبة والسياسة البريطانية » ، « مملكة العراق — دراسة للاحداث الماضية » ، « الاقليات » ، « الدين والسياسة » .



والدراسة الاخيرة تقدم رأى الاستاذ فى الاتجاه الذى يتخذه المعهد الملكى للشئون الخارجية ويعبر عنه فى الدراسات التى يصدرها من مقره فى « تشاتام هاوس » • ومن هنا الاسم الذى اختاره المؤلف لكتابه •

فماذا يريد استاذ السياسة ان يقول ؟

ينظر هذا الدارس الى منطقة الشرق الاوسط نظرة مبالغة فى التشاؤم ــ فمن الصفحة الاولى فى كتابه نقرأ :

« منذ القرن التاسع عشر ، حين ادخلت الاصلاحات المزعومة الى الامبراطورية العثمانية ــ كان ثمة وزراء ودبلوماسيون غربيون ينظرون الى سياسة الشرق الاوسط بأمل فى تحسن اموره • ولكن خلال المائة سنة الاخيرة لم تشهد المنطقة استقرارا •• وانن فلعله من الاحكم ان نفترض ان الخلل فى الشرق الحديث ليس امرا عارضا • وان عدم استقراره السياسى هو بالاحرى نتيجة ازمة اجتماعية وثقافية عميقة ، لم تقدر مشروعات المصلحين أو حسن نية المتعاطفين ان تعدل فيها او تلطف حدتها » •

هذه هى نظرة هذا الكاتب الى المنطقة • وهو يبدى اسفه لان « المفرض الرصين » الذى يعتبر ان الخلل فى المنطقة « مزمن » ــ لم يعتنقه الا عدد قليل ، سواء فى بريطانيا او فى امريكا •

وان اشد ما يثير هذا الكاتب هو مايراه منتشرا بين المثقفين ورجال السياسة الانجليز من شعور بالاثم بسبب مسلك الغرب نحو العرب بعد الحرب العالمية الاولى • ولديه ، انه ليس صحيحا القول بان الامبريالية والصهيونية هما اساس عدم الاستقرار فى المنطقة • ذلك انه يرى ان عدم الاستقرار فى الشرق عميق ومزمن ــ ولن يشفى هذا المرض اختفاء اسرائيل او ما يسمى بالامبريالية ، التى يصف معاداتها بانها تضاعف سوء الفهم ،



وتشجع على تبنى الاوهام لمصالح المهيجين ومن يستخدمونهم ـ بحيث يكون الخاسر فى النهاية هو الراغب فى السلام والتحضر ٠

● نقد الانجليز ●

الآن ـ فما هى نصيحة استاذ السياسة لمعالجة هذا المرض المزمن ؟

يخصص ايلى خدورى دراسة طويلة عن « سعد زغلول والبريطانيون »يتتبع فيها مسار الاحداث فى مصر من عام ١٩١٨ حتى ١٩٢٤ ، وذلك من خلال برقيات الموظفين البريطانيين فى مصر٠ وفيهـا يوجه النقد العنيف لاولئك السياسيين الانجليز الذين اقتنعوا بان ثمة حركة ثورية فى مصر ، ونصحوا باتخاذ مواقف متعاطفة معها وتعديل نظام الحماية لصالح مؤسسات مصرية يحكمها دستور ونظام برلمانى ٠ وقد حسب بعض هؤلاء السياسيين انهم ـ بذلك ، يحافظون على المصالح البريطانية ٠ وتصرف البعض الاخر منهم وفقا لعقائد ليبرالية كان يعتنقها فماذا كانت النتيجة ؟

« لقد استطاع اللنبى (عام ١٩٢٢) ان ينتزع تصريح فبراير المشهور من حكومة فى لندن كانت تعارض اصداره بشدة ٠ وبهذا بدات التصفية الطويلة والاليمة والمهينة لمركز بريطانيا فى مصر والتى انتهت باحداث نوفمبر ١٩٥٦ غير المتوقعة »

هذا عن المصالح البريطانية ٠

اما الليبرالية فلم تستفد شيئا من هذه التصفية ، فثمة حقيقة بسيطة وواضحة : ان هذه المناطق التى يقال انها تعانى اليوم من الامبريالية لم تعرف طوال الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبى ٠ وانه حتى مجىء القوى الغربية لم تكن تعرف من انواع الحكومات سوى الحكم المتغطرس الجشع الاستبدادى غير المسئول وبذلك تحققت نبوءة كرومر من انه تحت شعار المؤسسات الحرة ستظهر اسوأ شرور الحكم الشخصى ٠

ويقرر المؤلف ان انصار الليبرالية فى الغرب الذين كانوا يدعون الى ادخال الاصطلاحات فى الشرق هم انفسهم الذين كان من رايهم أن الطريق الوحيد لتطبيق هذه الاصلاحات هو الحكم الاوربى المباشر ٠ ولدى المؤلف، ان التحول عن الراى الذى يدعو الى ادخال اصلاحات تشرف على تطبيقها أوربا الى الراى الذى يدعو الى اقامة حكم ذاتى وطنى ـ هذا التحول يمثل فى نظر الاستاذ لحظة هامة وذات مغزى فى انحطاط المذهب الليبرالى ٠

● تنازل ورضوخ ●

وفى رأى استاذ السياسة ان الردع العنيف كان هو الاجراء الذى يجب أن تتخذه السلطات البريطانية دون ابطاء او تردد ويصف خدورى الاقتراح الذى بعثتبه دار المعتمد البريطانى بالقاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية بالسماح لوفد مصرى بالسفر الى اوربا بانه « تنازل ورضوخ للشعور المحلى » ويؤكد المؤلف هذا الرأى مرة بعد أخرى :

لقد كان الاجراء الواجب اتخاذه منذ البداية هو القمع العاجل ، كان يتعين اتباع ذلك بواسطة ونجت اثناء مقابلته للزعماء المصريين ٠ بل يرى

المؤلف أنه ما كان ينبغى ان يجرى فى هذه المقابلة سوى السخرية بالزائرين!
ولهذا كان يتعين تغيير ونجت • وقد كان • وحل اللنبى محله ، وكان المنتظر ان يكون اكثر حزما كى يعيد الكرامة البريطانية باجراءات قوية ، فهو رجل قوى قادر على هزيمة الوطنيين وقد ارسل الى مصر بسبب مهابته العسكرية
ولكنه يخيب ظنـــون المؤلف ! فقد تصرف اللنبى على اساس ان المبادىء الوطنية والرغبة فى الاستقلال قد ضربت عميقا فى جميع الطبقات ومن هنا ضرورة ان تبدى بريطانيا مزيدا من التعاطف مع الامانى الوطنية •


اللورد اللنبى

وتزداد دهشة الاستاذ لموقف اللنبى فحين وصل هذا الى مصر كانت اشد الاضطرابات قد انتهت وقضى تماما على التهديد الموجه للقبضة البريطانية فى مصر • وبدأ الوطنيون ييأســـون من من النجاح • واعتبر الجميـــع ان وصول اللنبى يعنى المقدمة لضم البلاد الى المستعمرات الوطنية ، وهو دليل على ان معاملة المهيجين ستكون بحزم خاصة بعد انذار القائد العســـكرى باتخاذ اجراءات قمـع تؤدى الى آلام رهيبة تعانى منها البـلاد • وان على الجميع نسيان سعد زغلول تماما •••
ولدى المؤلف ان الافراج عن سعد زغلول فى هذه الظروف والتوقعـــات يعتبر امرا غير متوقع •

ويبدو أن اللنبى حسب انه بذلك كان يقرن العنف باللين : ولكنـه اثبت انه كان على خطأ ـ فقد فســر المصريون عمل اللنبى بأنه تنازل من جـــانب السلطة من قبل • وازدادت ضـــراوة الاحداث ، وحسب المصريون انهـــم يستطيعون دائما تكرار اســـاليبهم للحصـــول على مزيد من المكاسب •
ولهذا اخطأ اللنبى فى حساباته • وتراجع المعتدلون عن التعاون مع ســـلطات الحماية طالما انها قد كشــــفت عن عمقها (!)

ولم يكن حظ ملنر بأسعد من اللنبى ويواصل خـــدورى نقده العنيف

للساســـة الذين كانوا يرون تخفيف القبضة البريطانية · فآراؤهم ـ لديه ـ ذات طابع خيالي وهمي·وهي نتيجة انهيار عصبي وضعف ارادة الحكم بعد اهوال الحرب العـــالمية الاولى · فقد كانوا انهزاميين فى المسألة المصرية ·

هكذا يقدم المؤلف تصوره للحـــركة الوطنية المصرية · وواضح انها تساند الاستعمار في صورته النقية الاولي : الحـــكم المباشر بواسطة الســـلطات الاجنبية مع استخدام اساليب القهـــر الصريحة ·

● قيام المجتمع التعددى ●

ويتابع المؤلف آراءه على مســـتوى المنطقة العربية :

فهو يقدم دراسة عن « الاقليات » فى ظل الامبرطورية العثمانية وفى اعقاب انحلالها ·

ويتكلم فى دراسة أخرى عن « الدين والسياسة » يعـــــرض فيها لموقف المسيحيين أثناء النضال القومي العربي

ويخصص دراسة عن « الســـــير هربرت صموئيل وحكومة فلسطين » يعرض فيها لانجازات المعتمد البريطانى اولا فى فلسطين بعد الانتداب ·

والمحور الرئيسى لهذه الدراســـات هو من ناحية ـ امكانية قيام المجتمع التعددى فى المنطقة ، والشـــــرط الاساسى اللازم لتحقق هذه الامكانية· ومن ناحية أخرى مفهوم القومية وهل هو لعنة ام بركة ·



سـعد زغلول

فعن التعددية ـ يقـــول ان الدولة العثمانية كانت تضـــم العـــديد من الجماعات المتنوعة · وكى يبرز فشل التجربة يقدم ما حدث للارمن في تركيا ولليهود والاشوريين في العـــــراق · فالارمن اخمد السلطان عبد الحميـــد انتفاضاتهم بوحشية بالغـــــة · والاشوريون تركتهم بريطانيـــا لحكام العراق الجدد بعد اســـتقلاله · اما يهود العراق فانهم تعرضوا للاضطهاد ثم المذابح ، ولم ينقذهم ســـوى مجىء بعثه صهيونية من فلسطين تغــــريهم وتجبرهم كي يهاجروا ·

فماذا عن الحل القومى ؟

فى رأى خدورى ـ ان « اللعنـــــة الحقيقية » التى وفدت من المغـــرب الى الشرق لم تكن الامبرياليـــــة ، ذلك ان ثمة حقيقة بسيطة وواضحة ، وهى ان المناطق التى يقال اليوم انها تعانى من الامبريالية لم تعـــرف طوال الجـــزم الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبى

المستبد . فليس من هذه الناحية يكون من وجهة نظر المؤلف نقد الوجـــود الغربي في آسيا وافريقيا ففي رأيه ان اللعنة الحقيقية التي أتى بها الغـــرب الى الشـــــرق دون قصـــد .. منه هي الفكرة القومية . انها المرض، الوباء الذي انتشر من غرب اوربا مارا بالبلقان والامبراطورية العثمانيـــة والهند والشرق الاقصى وافريقيا . ومن هنا ينذر الاستاذ المفكرين والساسـة الغربيين الذين يحاولون ان يبنـوا في الشرق اوطانا يمكن فيها ان يتعـايش المسلمون والمسيحيون واليهود .

وفي هذا المجال يعرض لاشـــتراك المسيحيين في الحركة الفلسـطينية . ففي بداية دراســـــته عن « الدين والسياسة » يقول « ان أحد المعـــالم المعروفة جيدا في السياسة الفلسطينية اثناء الانتداب هي ان المســـــيحيين واغلبيتهم ارثوذكس برزوا متضامنين مع المسلمين في الكفاح ضد الصهيونية لقد اكدوا ان المسلمين والمســيحيين كانوا جزءا من الامة العربية وان هذه الحقيقة جعلت تضامنهم طبيعيا وحتميا ولم تنحرف الطائفـــة المســـيحية الارثوذكسية قط عن الالتزام بمبـادىء القومية العربية والنضـال القومي . وفي حين واصل البريطانيون تقسـيم فلسطين على النحو العثماني التقليدي طبقا للعقيدة الدينية ـ كان المراقبون يندهشون للتضامن بين المســـلمين والمسيحيين ، الذين تجاوزوا التمييـز القديم بين الفريقين .. وفي اطـــار القومية العربية التحم الجميع ووجدوا منها انتماء يتجاوز التبعية الطائفيـة القديمة » خاصة وانه ـ من وجهـــة نظر المؤلف ـ كان هؤلاء المســيحيون يرفضون اليهودية وبالتالي فانهـم في رأيه كانوا معـــادين للســـامية وللصهيونية .

فماذا كانت نتيجة هذه التجــربة القومية ؟

يرى المؤلف ان الطابع الاســـلامي غلب على القومية العـربية . وترتب على ذلك في نظـــــره ـ ان احس المسيحيون بالغربة ، وانفصل المفكرون منهم عن طوائفهم . ويتشفى استاذ السياسة في هؤلاء المســيحيين لان حماسهم المتهبلم يجدهم كثيرا وانتهى الامر الى كارثة مع تقســيم فلسطين ونزوح الفلسطينيين ومن بينهـم نسبة كبيرة من المسيحيين الى خارجها .وفي خبث ردىء ينهي المؤلف دراســـته ـ فلنيه « قد يقال انهـم لوظلوا بعيدين عن الصراع العربي الصهيوني ، وعن القادة المسلمين غير الاكفـــاء ـ فان الكارثة ما كانت تحيق بهم على النحو الذي حدث ... »

... كان من بقي داخـــل اسرائيل من العرب ـ مسلمين ومســـيحيين ـ نجوا من الكارثة ... (!)

والنتيجة ؟

يعود الكاتب الى الموقف الذي اتخذه من النضال الوطني المصري ، فيقـول دون تحفظ ان هناك طريقا وحيـــدا لاجراء تعايش مستقر بين هذه الجماعات في الدول الوليدة ـ هو ان يدير الغرب بنفسه هذه الدول ، ويتخذ الاجراءات المناسبة التي يقوم بتنفيذها مباشـرة لضمان الاستقرار في المنطقة . فيكون ثمة حكم غربي مباشر .

ولكن المؤلف يورد استثناء وحيـدا لفشل الحل القومي في المنطقة ، يقدمه في دراسته عن « الســـــيرهربرت صموئيل وحكومة فلسطين » هنا لانجد المؤلف يتمسك بموقفه بشـــان الفكرة

القومية ـ اللعنة الوافدة من الغرب الى الشرق الاوسط : بل انه يعرض الانجازات التى ـ فى الفاظه ـ حققتها « القومية اليهودية » من خلال الصهيونية ، يعرض ذلك بارتياح تام، راضيا تماما عن الشعور الاوربى بالذنب نحو اليهود · على عكس موقفه الذى اشرنا اليه فى شأن العرب

ويخصص المؤلف الدراسة الاخيرة فى كتابه لمواجهة ما يراه خطأ فى الفكر السياسى البريطانى الذى تتضمنه الدراسات التى ينشرها « المعهد الملكى للشئون الخارجية » فى « تشاتام هاوس » ·

نظرة قاصرة

ويركز خدورى هجومه على هذه المدرسة فى شخص مدير دراسات المعهد لمدة ثلاثين عاما ـ ارنولد توينبى ـ فيقول انه فى كتابات هذا المؤرخ نقرأ الاعتراف الانجليزى بالاثم والندم على المظالم التى ارتكبتها الامبراطورية · وتأتى المناسبة المثلى لاعلان هذا الشعور بالاثم عند الكلام على العلاقات البريطانية العربية ·كما ان لدى توينبى تسليما بأن هناك رغبة فى الوحدة السياسية بين بلاد المنطقة العربية وان التقسيم الواقع فيها هو من صنع البريطانيين والفرنسيين ·

ولدى خدورى ان هذا كله يمثل نظرة سياسية قاصرة · ويواصل عرض افكاره هذه فى دراستين عن العلاقات البريطانية مع حركة الوحدة العربية الاولى تغطى السنوات من ١٩١٥ ـ ١٩١٨ والثانية تشمل الفترة بعد الحرب العالمية الاولى وحتى سقوط الاسرة الهاشمية فى العراق عام ١٩٥٨ ·

ان المحور الاساسى لتفكير استاذ السياسة (ا) هو ضرورة الحكم الغربى المباشر لبلاد المنطقة ، والا الخراب والاستبداد · والسند الرئيسى لرأيه ـ حاليا ـ هو فشل دول المنطقة ، بعد خروج الاستعمار ، فى تحقيق أهداف الحركة الوطنية والقومية ·

وبهذا الفشل تعود المنطقة الى نقطة البداية ـ ويبدأ البحث من جديد عن كيفية الاصلاح ·

والاجابة لديه بسيطة واضحة : عودة الاشراف الغربى المباشر ·

واذن ففشل الحكم الوطنى أمر مطلوب · وبذل الجهود الظاهرة والخفية لتحقيق هذا الفشل يكون أحد مهام القوى صاحبة المصلحة ·

أما الاشراف المباشر على تنفيذ السياسات التى تعقب هذا الفشل ، بحيث يعود الوجود الاجنبى الى المنطقة كما كان الحال قبل بدء الحكم يمكن تحقيقها واقعيا وقانونيا ، بعديد من الاساليب السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والدولية ـ المباشرة ·

فقد تراكمت لدى القوى صاحبة المصلحة خبرات فعالة ومتنوعة فى هذا المجال منذ بدء عصر الاستقلال وحتى الان ·

والنتيجة الختامية لهذا كله بالنسبة للشعوب هى ـ أن الفشل ستكون خسائره مضاعفة ، ليس وحسب فقدان المكاسب المرجوة واهدار تضحيات شعوب المنطقة اثناء كفاحها من اجل الاستقلال ، ولكن ـ الى ذلك عودة الهيمنة الاجنبية بكل ما يترتب على ذلك من اثار ·

اما الكلمة الفاصلة فهى لشعوب المنطقة ونظم الحكم فيها ·

• الفرق والنحل •

العلويون النصيرية والحقيقة الغائبة

بقلم : د. محمود اسماعيل

"العلويون" أو "النصيرية" ، ماهى حقيقة موقفهم من الاسلام ، وما الذى دفعهم للتقوقع والعزلة .. ، وكيف التبس تاريخهم ، نتيجة اغراض استعمارية اشاعت عنهم الاقاويل ؟ وماهى حقيقة وضعهم التاريخى كجماعة من جماعات الاسلام ؟ وماهو واجبنا تجاه مايراد لنا من تكريس الطائفية المذهبية فى وطننا العربى ؟

هذه القضايا يعالجها الدكتور محمود اسماعيل للوصول الى حقيقتها الغائبة .

تعيش جماعات "العلويين" أو "النصيرية" - كما يحلو للبعض تسميتهم - فى وسط سورية عموما وبجبال العلويين بوجه خاص فضلا عن بقاع مبعثرة تمتد الى حدود قيليقية التركية .

وكما هو الحال بالنسبة للدروز ، اثير ولايزال جدل شديد حول أصول هذه الجماعات - التى اعتبرها البعض شعبا بل أمة - حول معتقداتها الدينية التى اعتبرها البعض "نحلة" متهرطقة وثنية ، والبعض الاخر "ملة" قائمة بذاتها تستمد قوامها من معتقدات مسيحية ممتزجة بأصول فينيقية ولاهوتيات يهودية اسطورية .

ويرجع هذا اللبس والخلط ـ فيما أرى ـ الى معطيات تاريخية امتزجت خلالها عبر قرون طويلة عناصر مختلفة واثنيات شتى ، عربية وفارسية وتركية وكردية .. الخ .. لكن هذا الامتزاج فى حد ذاته لاينهض كدليل على ان العلويين شعب او أمة !! فظاهرة "التعريب" ـ اى امتزاج دماء العرب بدماء شعوب البلاد المفتوحة ـ ظاهرة شهدها التاريخ الاسلامى العام ، وتعد فى كل الاحوال ظاهرة ايجابية اتت اكلها فيما عرف بالحضارة الاسلامية .

أما اللبس والابهام الذى غلف عقيدة العلويين ؛ فمرده ـ حسب اعتقادى ـ الى عوامل سياسية تمتد جذورها فى قاع التاريخ الوسيط لتزهر وتثمر خلال التاريخ الحديث . وتستهدف ، هـذه العـوامل ، اثـارة "الطائـفية" و "العشائرية" لفصم الوحدة الحضارية للعالم العربى الاسلامى .

وليس جزافا ان يستثمر الاستشراق الفرنسى مقولات اهل السنة الأوائل المعادية لأهل الفرق ـ وخاصة الشيعة ـ فضلا عن كتابات بعض المنشقين عن "العلويين" لخدمة اغراض استعمارية فى المحل الأول . ناهيك عما ادت اليه الفرقة السياسية فى العالم العربى المعاصر من استخدام "الايديولوجية" كسلاح "معرفى" يوظفه "الفرقاء" فى المؤامرات والمناورات السياسية .

واحسب أن هذا السلاح ازداد فعالية وتأثيرا فى السنوات الأخيرة فى محاولة لكبح جماح حركات التقدم العربية ومحاصرة ظاهرة "الاسلام الثورى" او الـ Neo — Lslamism الاسلام الجديد حسب اصطلاح الأوساط الامبريالية الغربية .

● فكر بلا سياسة وطابع عشائرى ●

واحسب أيضا أن تلك القوى المثبطة قد استغلت "العداء التاريخى" بين السنة والشيعة ، وما انطوى عليه تاريخ التشيع من خلط وغموض لتأكيد مقولاتها "المعرفية المسيسة" .

ومن اسف انها تجد اصداء عميقة فى أوساط عريضة من المؤرخين العرب المبهورين بالاستشراق أو المبهورين بالنزعات السلفية سواء بسواء .

إن الخلاف حول تاريخ وعقائد العلويين النصيرية يكشف عن تلك الحقيقة بجلاء . يساعد على ذلك أن هذه الفرقة التى اتخذت من جبال العلويين . أو جبل النصيرية ـ "دار هجرة" لم تقم بدور بارز على مسرح التاريخ الاسلامى



ابراهيـم باشـا

● هل هم مواطقة أم فرقة شيعيـة مسلمة ..؟

● هل هم شعب واحد أم خليط من الشعوب ..؟

الوسيط كما كان الحال بالنسبة لفرق الشيعة الاخرى مثل الزيدية والاسماعيلية . ناهيك عن معطيات المكان من ناحية الجغرافيا السياسية التى قررت وحسمت هذا الدور المتضائل للنصيرية تاريخيا . فمقر الاقامة فى جبال مرتفعة فى منطقة "رهوية" شهدت صراعات طويلة بين كافة القوى الكبرى على مر التاريخ ، سواء أكانت اسلامية سنية وشيعة ، أم كانت نصرانية بيزنطية وصليبية واستعمارية فرنسية حديثا . **وخلال معارك تلك الحروب وصراع القوى ابتلى العلويون النصيرية بمزيد من المحن والاحن التى تركت بصماتها على فكرهم السياسى العازف عن السياسة - كما سنبين بعد قليل - أو نمط حياتهم الذى اكتسى طابعا عشائريا .**

● علويون أم نصيرية..! ●

وليس أدل على صدق ما نذهب اليه ان الخلاف المعرفى حول مجرد التسمية "علويون أم نصيرية" يعكس اشكالية معرفة الحقيقة حول مذهبهم واعتقاداتهم . لدينا فى هذا الصدد اتجاهان :

الاول : يؤكد التسمية "بالنصيرية" تأسيسا على نسبة هذه الجماعات الى شخص يقال له محمد بن نصير كان داعية للامام الحادى عشر من الشيعة (الاثنى عشرية) وهو الحسن العسكرى[1] وأن تسميتهم بالعلويين ، إنما هى تسمية حديثة ارتبطت بالاحتلال الفرنسى لسورية . ويستهدف هذا الاتجاه الحيلولة بين هذه الجماعات وبين انتماءاتها المذهبية للشيعة كما

سنوضح فى حينه . هذا فضلا عن "دافع العداوة المذهبية ذريعة لاضهادهم والفتك بهم دون رحمة او هوادة" كما ذكر كاتب علوى معاصر[٢] .

أما الاتجاه الثانى فيعول على اطلاق اسم "العلويين" استنادا الى انهم كانوا على المذهب الشيعي الاثنى عشرى منذ وقت مبكر ، وان التسمية

الاولى حدثت فيما بعد على اثر اعتصامهم بالمرتفعات السورية تحت وطأة الاضطهاد الذى حل بالعلويين على يد بنى امية خاصة أن معظم هؤلاء الهاربين كانوا من "الانصار" الذين انحازوا الى على بن ابى طالب عقب بيعة الرسول (ص) له بالخلافة عند "غدير الخم"[٣] . ويؤخذ على هذا المنطق تجنيه على الواقع التاريخى من ناحيتين .

الأولى : إنه من الخطأ الحديث عن علويين اثنى عشرية فى المرتفعات السورية فى وقت لم يكن فيه المذهب الاثنى عشرى قد ظهر بعد .

والثانية : محاولة المؤرخين العلويين المعاصرين دفع حقيقة الداعية محمد بن نصير باعتباره وهما تاريخيا وأن الانتماء الى المذهب العلوى قديم قدم على بن ابى طالب منذ عهد النبى (ص) الذى تشيع له آنئذ الكثيرون من كبار الصحابة كأبى ذر الغفارى[٤] . هذا فضلا عن حرص هؤلاء المؤرخين على تأكيد الأصول العربية لجماعتهم متناسين ان مذاهب الشيعة جميعا لاتقيم وزنا للانتماء الاثنى وحسبنا أن جل اتباعهم كانوا من الموالى وتدليلا على خطئهم نذكر أن منهم من ذهب الى ان الكثيرين من هؤلاء "الانصار" كانوا من البرامكة الذين نزحوا الى جبال سورية هم واشياعهم على اثر نكبتهم على يد الرشيد[٥] .

صواب التسمية

ومهما يكن من أمر فالصواب ـ فيما نرى ـ أن نجمع بين التسميتين فى تسمية واحدة ، فنقول : "العلويون النصيرية" وحجتنا فى ذلك وجود مذاهب اخرى علوية لها اشياعها فى كافة أرجاء العالم الاسلامى قبل وبعد ظهور المذهب الاثنى عشرى الذى تنتمى هذه الجماعات اليه . هذه واحدة ، والاخرى أن هذه الجماعات جمعت بين التشيع الاثنى عشرى والتصوف :



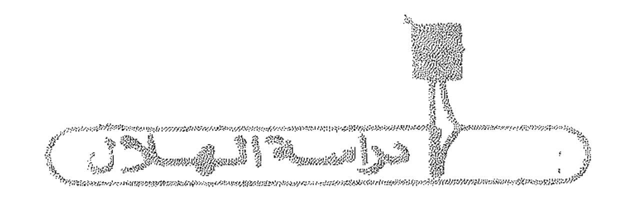
السلطان سليم الثالث

● كيف تسربت أقوال المستشرقين إلى مؤرخين عرب ..؟

فشكلت بذلك فرقة علوية اثنى عشرية جديدة تميزها عن الاثنى عشرية الامامية .

● حقيقة العقيدة النصيرية ●

وهذا يقودنا الى الاشكالية الكبرى : وهى حقيقة عقيدة العلويين النصيرية . وفى هذا الصدد لا عبرة البتة لما ذهب اليه فيليب حتى[٦] من أنهم كانوا وثنيين تحولوا فجأة الى المذهب الاسماعيلى . ومناط الخطأ فى هذا القول أن الوثنية كانت قد انقرضت تماما من بلاد الشام على اثر الفتوحات الاسلامية كما وأنه خلط ـ وغيره ـ بين الفرق العلوية فى الشام واعتبرها نتاجا للمذهب الاسماعيلى . ولامجال كذلك لتصديق الرواية القائلة بأن "النصيرية" نحلة من نحل المسيحية ، تأسيسا على ان الكثير من اسماء النصيريين مسيحية اصلا ؛ مثل متى ويوحنا وهيلانة . فمن خطأ الرأى التعويل على الدلالات اللغوية فى حسم قضايا هامة ومعقدة تتعلق بالملل والنحل وبالمثل يمكن دحض الزعم ذاته انطلاقا من احتفال النصيرية ببعض أعياد النصارى كأعياد الميلاد والفصح والقيامة : كما ذهب جولد تسيهر[٧]. فالمسلمون فى صدر الاسلام كانوا يحتفلون حتى ببعض اعياد المجوس كالنيروز والمهرجان ، والمسلمون المعاصرون يشاركون النصارى فى الكثير من اعيادهم ومواسمهم الدينية . بل يشاركون حتى اليهود فى



بعض الاعياد والموالد المتعلقة ببعض الشخصيات التى كانت يهودية ثم اسلمت مثل عبدالله بن سلام .

تضارب آراء الدارسين

إن القول بنصرانية النصيرية مبعثه خطا وقع فيه المحدثون الذين وقفوا على كتابات نصيرى ارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية منبريا فى التحامل المقذع على مذهبهم الدينى

ولعل جولد تسيهر نفسه(٨) لم يتورع عن الاعتراف بأن النصيرية "موحدون" وانهم "المترجمون الحقيقيون للفكر الشيعى القويم" . وما نراه أن التاثير النصرانى فى النصيرية لم يتعد بعض الطقوس الى جوهر العقيدة . تلك الطقوس الاحتفالية ذات الطابع المتقارب بين الكثير من الديانات والعقائد .

وثمة ادعاءات اخرى ترى فى النصيرية ضربا من الهرطقة والالحاد . وأن ذلك ناتج عن تأثيرات فارسية قديمة مثل الحلول والتناسخ . وفى هذا الصدد ذكر احد الدارسين(٩) أن هذه المؤتمرات انتقلت عن طريق محمد بن نصير الفارسى الذى ادعى الربوبية بعد ان جحد امامة الحسن العسكرى واباح المحارم ؛ حتى أن الحسن العسكرى اصدر براءات من ابن نصير واتباعه (١٠) . وهو ما اورد فيليب (١١) حتى - مخففا - حين زعم ان النصيرية "يساومون حول نبوة محمد وقداسة الرب" وفى ذات الاتجاه مضى جولد تسيهر(١٢) حين قال بأنهم "حافظوا على الوثنية فى اطار اسلامى شكلانى ... وأن عقيدتهم مزيج غريب من الوثنية والغنوصية وهى نزعة فلسفية نشأت بتأثير الديانات اليهودية والبوذية والمجوسية والصينية والاسلام" ولعل هذا التضارب فى أقوال هؤلاء الدارسين يفند منطقيا سفه اخطائهم ودعاويهم ، خاصة اذا ما علمنا ان كتابات حتى وجولد تسيهر على وجه الخصوص لاتخلو من روح متعصبة . وأن صاحب كتاب "تاريخ الشيعة" سنى تصدى بالحق أو بالباطل للتحامل على الشيعة .

وما نراه - لو فرضنا حسن النوايا عند هؤلاء - أنهم جاوزوا الصواب فى فهم منزلة الائمة العلويين عند شيعتهم . فخلطوا بين تبجيلهم لعلى وخلفه وبين الاراء "العرفانية" والافلاطونية المحدثة المتأثرة بنظرية الفيض

الارسطية . ولامجال للخوض فى ذلك ؛ والأولى ان نوضح مكانة على بن ابى طالب وآل البيت عموما عند المسلمين بعامة والشيعة على وجه الخصوص . تلك المكانة التى وصلت الى حد الغلو ـ احيانا ـ كنتيجة منطقية للمصير التراجيدى الذى آل اليه على وأهله عبر عصور التاريخ الاسلامى . هذا فضلا عن اختصاص الشيعة تحت تأثير حملة العلم من أئمتهم على الآراء الحكيمية والفلسفية والعلوم الطبيعية اكثر من غيرهم من الفرق الاسلامية الاخرى . **لذلك حظى شخص علي والأئمة العلويون من بعده بمكانة جلي في نظر الشيعة واحيطوا بهالة من الاجلال والتقديس كالاعتقاد في عصمتهم .**

ولا يعد ذلك ـ فيما أرى ـ على الأقل فيما يتعلق بالشيعة الامامية الاثنى ـ عشرية ضربا من الغلو يصل الى حد القول بنبوتهم ناهيك عن ربوبيتهم . فالقول بالعصمة يستمد سنده من القرآن الكريم قال تعالى : « **ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » والشيعة يميزون بين النبوة والامامة فالنبوة انقطعت بعد محمد (ص) . أما الائمة المعصومون المطهرون فى نظر الشيعة فهم "مصدر الارادة الالهية بدون وحى ولا واسطة"[١٣] مصداقا للآية الكريمة « وكل شىء أحصيناه فى امام مبين» ولم لا ؟ والمسلمون عموما يصلون على آل محمد فى صلواتهم الخمس ويحظى على بن ابى طالب وآل بيته بمكانة خاصة حتى عند أهل السنة أنفسهم .

قصدنا من هذا الاستطراد نفى المزاعم التى تصور النصيرية كعقيدة خارجة عن الاسلام . ومانراه أنهم مسلمون شيعة امامية اثنى عشرية وليسوا اسماعيلية كما اعتقد البعض خطأ أو عمدا . والقرائن على ذلك وفيرة . نسوق منها اعتراف خصومهم بأن محمد بن نصير النميرى الذى نسبت الفرقة النصيرية اليه كان من اتباع الامام الاثنى عشرى الحسن العسكرى ، وهو مايقره مؤرخو الفرقة أنفسهم [١٥] كما أن تاريخ النصيرية عموما يتسق وطابع الاعتدال الذى يميز الاثنى عشرية . فالثابت عزوفهم عن السياسة لأسباب مذهبية فحواها أن الامام المهدى الثانى عشر قد غاب ولا سبيل لدعوة سياسية الا بظهوره . لذلك انصرف ائمتهم الأول الى الزهد والعلم وعزفوا عن اتباع أسلوب الثورات ضد العباسيين كما فعل الزيدية ، كما لم يشاركوا الاسماعيلية سياسة الدعوة السرية المنظمة لاقامة دولة علوية[١٦] يشهد بذلك مارواه الشهرستانى ـ وهو سنى معاد للشيعة ـ عن جعفر الصادق الذى ينتسب اليه الامامية الاثنى عشرية قال : « .. فهو ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا ... وكان يفيض على الموالين له بأسرار العلوم .... دخل العراق وأقام بها مدة ماتعرض للامامة

قط ولا نازع احدا في الخلافة ، ومنذ عام ٣٠٠ هـ تقريبا والشيعة الامامية يحاولون عقد مصالحات مع الفرق الأخرى . وفي هذا الصدد تأثر التشيع بالتصوف وتضافرا معا علي شجب العصبية الاثنية والسخائم الطائفية(١٧)

● فترات الاستقلال ●

لذلك لا غرابة في أن يتأثر المذهب الاثني عشري خصوصا بالتصوف الى حد الامتزاج عند بعض الفرق الاثنى عشرية ومنها النصيرية التى امتزجت بالطريقة الجنبلانية فى الشام وعول اتباعها على الدعوة « للتقارب بين جميع الطوائف .. بل وحتى المسيحيين واليهود »(١٨)

على أن غياب « المشروع السياسى » عند العلويين النصيرية أفضى الى تأصيل العشائرية بينهم(١٩) . وقد ساعد على ذلك ماحل بالعلويين عموما من محن على يد العباسيين والسلاجقة أدت الى تقوقعهم فى جبل النصيرة طلبا للامان . ولم يتنفسوا الصعداء الا فى ظل الامارة الحمدانية فى حلب التى كان امراؤها شيعة اثنى عشرية لذلك لم يتقاعس العلويون النصيرية عن مناصرتهم ضد البيزنطيين .

● اضطهاد الصليبيين والعثمانيين ●

ولم يسلم العلويون النصيرية كذلك من اخطار الصليبيين فقد بطشوا بهم وزاد الطين بلة تعرضهم لضربات الاكراد والاسماعيلية ومع ذلك لم يتقاعسوا عن مناجزة الصليبيين حتى دحرهم صلاح الدين . وبقيام دولة المماليك تحالف العلويون النصيرية مع سلاطينهم لمواجهة المغول وأخطار الصليبيين فى جزيرتى قبرص ورودس . وقد كافأهم السلطان برسباى على ذلك بأن منحهم فى جبلهم استقلالا ذاتيا . لكنهم لم ينعموا بالاستقلال طويلا ، فقد دهمهم الخطر العثمانى بعد قضائه على الدولة الصفوية العلوية فى فارس والعراق . وأمعن السلطان سليم فى رؤسائهم قتلا وفى بلادهم نهبا وسلبا ، وحاول فل شوكتهم بأن أقطع بلادهم لبنى جلدته من الأتراك . ولم تنجل المحنة طوال العصر العثمانى إلا بعد استقلال محمد على بمصر وتوجيه حملة بقيادة ابنه ابراهيم الى الشام وآسيا الصغرى جند ابراهيم العلويين النصيرية الى جانب الدروز فى جيشه ضد العثمانيين . لكنهم تلقوا الجزاء

رادعا بعد انسحاب محمد على من الشام . ومع ذلك ظلوا مصدر قلاقل للإدارة العثمانية التى عولت على اتباع أسلوب الملاينة درءا لخطرهم فمنحهم مدحت باشا استقلالا إداريا بجبلهم على غرار مافعله مع الدروز[20] . وفى ذات الوقت دأب الأتراك على إثارة الشحناء والبغضاء بين السنة والشيعة وناصروا السنة ضد العلويين النصيرية فنهبوا ممتلكاتهم وتحكموا فى مقدرات بلادهم إداريا واقتصاديا . وظل الحال على هذا المنوال حتى قيام الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء ، وتوزيع ممتلكات « الرجل المريض » بين المنتصرين . كانت بلاد سورية ولبنان من نصيب الفرنسيين . واندلعت الثورات التحررية التى أسهم فيها العلويون النصيريون بدور بارز . لكن ثوراتهم قمعت بالشدة فعمل الفرنسيون فيهم قتلا وتشريدا وجردوا فلولهم من حمل السلاح . وادى ذلك إلى تدهورهم وتمزقهم شيعا وطوائف وعشائر .. وبعد الاستقلال اسهم العلويون النصيرية فى بناء سورية المعاصرة بالنصيب الأكبر .

الهوامش :

(١) انظر . Doussaud : Les Nasairides . p . p 50;51
Hitti : History of the Arabs . p . 448
(٢) راجع : محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين . ص ١١ .
(٣) نفسه ص ١٤٩ .
(٤) نفسه ص ١٣٧ .
(٥) نفسه ص ٢٢٣ .
(٦) History of the Arabs . p . 448
(٧) انظر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٢٤٨ .
(٨) نفسه ٢٤٩ .
(٩) محمد حسين الزين : الشيعة فى التاريخ ص ٢١٩ .
(١٠) نفسه ص ٢٢٦ .
(١١) Op . cit . p . 249
(١٢) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٢٤٨ .
(١٣) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين . ص ٢٣٦ .
(١٤) محمد حسين الزين : المرجع السابق ص ٢١٩ .
(١٥) راجع : محمد غالب الطويل : المرجع السابق ص ٢٣٤ .
(١٦) راجع : محمود اسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الاسلامى ج ١ ص ١٣٥ .
(١٧) عن مزيد من التفصيلات راجع : محمد كامل الشيبى : التشيع والنزعات الصوفية .
(١٨) محمد غالب الطويل : المرجع السابق ص ٢٦١ .
(١٩) نفسه ص ٤١٦ ومابعدها .
(٢٠) نفسه ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧ .



● شوقى لا يحتاج رثاء العقاد ●

● رثى العقاد السلطان حسين كامل ، ومحمد محمود باشا ، والدكتور محمد حسين هيكل باشا وغيرهم ولم تطب نفسه المليئة بالحقد والحسد أن ينظم قصيدة رثاء فى أحمد شوقى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس فى جميع انحاء الوطن العربى . فهل لدى العقاديين سبب وجيه لهذا الموقف الشائن ؟

من الممكن أن يستغنى الانسان عن كتب العقاد لوجود ما يغنى عنها بل ما يفوقها دقة بحث وتمحيص . أما شعره فيغلب عليه الغثاء .. وحينئذ لا يبقى منه شىء يستحق من أجله أن يقام له تمثال ؟

أما أمير الشعراء فقد حفر اسمه فى التاريخ رغم انف العقاد المغرور الذى جاهر بقوله : « ان شوقى بناه عباس ـ يعنى الخديو ـ وسيهدمه عباس ـ يعنى نفسه » فهل استطاع العقاد أن يهدم أمير الشعراء ؟ لقد عجز عن ذلك ، وباء بخزى عظيم !..

محمد سيد كيلانى ـ القاهرة

● بين شوقى والعقاد ●

● فى عجالة سريعة نعرض لم طرحه الاستاذ محمد سيد كيلانى فى عدد يونيو الماضى من « الهلال » عن العقادوشوقى .. ان المعركة بين العقاد وشوقى ترجع الى سنة ١٩٢١ عندما أصدر العقاد مع زميله المازنى كتاب « الديوان » فى النقد عارضا لرؤيته كما ينبغى أن يكون عليه الشعر العربى تعبيرا عن الحس والضمير ، وتأكيدا لشخصية الشاعر وطابعه الخاص والمتميز .

وفى ذكرى مرور ٢٥ عاما على وفاة شوقى كتب العقاد عن شوقى فى الهلال (عدد أكتوبر ١٩٥٧) انصف فيه شوقى وقرر انه لم يكن من المقلدين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولا يزيدون ، بل كان مقلدا مبتكرا ومبتكرا مقلدا فلا يقتفى آثار الاقدمين ولا هو ينفرد بملامحه الشخصية فى التعبير عن نفسه أو التعبير عن سواه ، ولكنه كان فى التقليد اماما يسبق كثيرا من المبتكرين فى ميدانه وهو ميدان الصناعة المتجددة على نهج السلف القديم .

وفى المهرجان الذى اقامه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب فى ذكرى شوقى (سنة ١٩٥٨) قال العقاد عن شوقى انه كان علما للمدرسة التى انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاة والآلية الى دور

التصرف والابتكار فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التى تفرقت فى عصره ، وأشاد العقاد بشعر شوقى التاريخى ، وهذه النقطة بالذات لا يمكن أن يغفل عنها الاستاذ محمد سيد كيلانى وهو يكتب عن معركة العقاد وشوقى الا اذا كان مغرضا ، وما كتب الا بقصد النيل من العقاد وشاعريته . وفضلا عن ذلك ، فلا أفهم كيف تسنى للاستاذ كيلانى أن ينسب للعقاد وصفه لمصر بانها بلد عقيم لم تنجب شاعرا واحدا ، وقد صدر للعقاد كتابه عن شعراء مصر فى سنة ١٩٣٧ ، وعلى فرض صحة ما نسبه للعقاد فكان الاجدر به أن يشير الى المرجع الذى نقل عنه هذا النص المنسوب الى العقاد .

وبعد فان للكلمة فى عالم الادب قدسيتها وشرفها ولا ينبغى للكلمة ان تسف أو تبتذل ومن هنا فانى أربأ بالاستاذ محمد سيد كيلانى عن ان ينزل الى مستوى لا يليق برسالة القلم .

عمرو عبد المنعم حمودة
رئيس قرية بمحافظة الغربية

● ما رأى الكيلانى ؟

● الاستاذ محمد سيد كيلانى مستمر فى فتح النار على أديب العربية الكبير المرحوم عباس محمود العقاد .. وهو يستخدم فى النقد لغة حادة جدا تشبه اللغة التى استخدمها الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله فى كتاب « على السفود » الذى خصصه لنقد شعر العقاد .. ولكن الفرق بين الرافعى وكيلانى أن الرافعى كان عالما بالأدب واللغة ونقد الشعر ، أما الكيلانى فينم كلامه عن قلة معرفته بنقد الشعر .. فهل يستطيع أن يقدم نموذجا لنقده ، فيأخذ مثلا قصيدة للعقاد كقصيدة « الشيطان » وينقدها نقدا فنيا ويبين ما يأخذه على العقاد بدون استعمال الفاظ غير مهذبة ؟! .. كذلك .. هل يستطيع نقد قصيدة « الموسيقى » التى انفرد بها العقاد فى الشعر العربى كله ، فليس لأى شاعر عربى قصيدة كاملة فى وصف الموسيقى وهذا ما شهد به النقاد جميعا ، فما رأى الكيلانى المتحامل على العقاد ؟! ..

شهاب عبد الواحد الواسطى
أسيوط ـ الحمراء

● قولوا .. لكيلانى ●

● قولوا لكيلانى يسكت ويريح نفسه من نقد العقاد فهو ينطح صخرة ليوهنها ، ولكنه يوهى قرنيه اللذين ينطح بهما الصخرة !

فريد زين الدين ـ شبرا الخيمة



● رد من الكيلانى ●

● الى الاستاذ رمضان الهجرسى ...
لم أجد فيما نشرته لك الهلال ما يستحق الرد ، ذلك لانك لم تفهم مضمون مقال « عسل وطحينة » ويبدو انك تركت باب القانون ففكرت فى اقتحام باب الادب لعل وعسى · ولكنى اقول لك انك بهذا التفكير ستضيع القانون والادب ... وقديما قال الشاعر الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـــــا   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

محمد سيد كيلاني

● نظرة ●

نظـــرة حـــائرة :

ادير العقل عنها فقيد المقرار
كيف يمضى وما بعد السما ... تبتغى الخاطرة ؟
بعد ما خانها امنها المستعار !!!

نظـــرة عامرة :

أسكر الحب نسمانه وانثنى ... فاحتوى ملكنا
اقبل العقل من خوفه نادما
بعد سفك الدما والدمـــار
واليد القادرة ... تقبل الاعتذار !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ــ المراغه ــ سوهاج

● رسالة من فلسطين ●

● انا اديب فلسطينى ولدت عام ١٩٦٧ فى قرية حزما ، وهـــذه القرية تقع شمال مدينة القدس ــ تبعد عن مدينة القدس حوالى ســبعة كيلو من الامتار ·· وهذه القرية كانت تشتهر فى السابق بزراعة القمح والشعير اما اليوم فهى ارض بعضها خال من الزراعة والبعض الاخر قد

مصادره الاحتلال الاسرائيلى ٠٠ اما أهل هـــذه القرية ٠٠ فقد تركوا المزراعة وذهبوا للعمل فى الاماكن اليهودية ٠٠ وقد اقيم جنوب هـذه القرية مستوطنة اسرائيلية اسمها (بسجات زئيف) والسبب فى وجود هذه المستوطنة هو بيع بعض الاراضى لليهود ـ وأنا انقل اليكم لمحة عن هذه القرية الفلسطينية ٠

محمد ابو عبد العزيز ـ اشوع ـ فلسطين

● **تعليق : هـــذا هو خطابكم ، فاين هى اللمحه التى تقول فى رسالتك انك تنقلها الينا عن قريتك الفلسطينية ؟! انها غير موجـــودة مع خطابك ، فهل صادرها الرقيب الصهيونى ؟!**

● لقاء ●

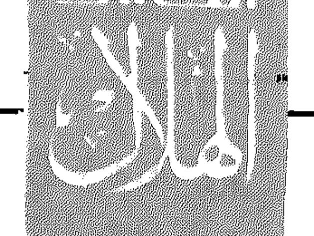
وكنت حين اشترى جريدة الصباح
أطير نحو موضع التقائنا القديم
لعلنى القـــاك يا حبيبتى
هنــــاك ٠٠٠٠٠٠
فنستعيد بعض ذكرياتنا المعطرة
ونسكب الضياء من قلوبنا بنظرة
يحوطها الخجل ٠٠
وحينما أصل ٠٠٠
أراك يا حبيبتى قد ضقت بالمكان ٠٠ وضقت بالزمان
ولم اعد حبيبتى رجاءك الوحيد

محمد ابراهيم المجريسى

● الاقتباس من الهلال ●

● رسالتى هذه عتاب وهذا من العشم ففى البـــاب العزيز : « انت والهلال » وتحت عنوان « حوار مع الاصدقاء » كتب : « تحدثت فى رسالتك عن العقاد الموسيقى بكلام منقول من مقاله سبق الهـــلال نشرها منذ عامين تقريبا فلماذا لم تشيروا الى المصدر الذى اخذتم عنه الكلام بنصه ؟!

هل لى ان اقول رأيى ـ وهل يخفى القمر ، ثم انا لم اتعمد مطلقا عدم ذكر المصدر ، فمن يقرأ الكلام سيتذكر فى الحال انه كتب فى مجلتنا



المحبوبة « الهلال » والعارف لا يعرف ، اتمنى نشر رسالتى هذه ، ليس استنادا الى حرية الرأى بل اسبتنادا الى الحب الكبيــــر الذى يربطنى بالهلال ٠الغراء ، الجامعة الشامخة ٠

عاصم فريد البرقوقى
٣٧ شارع خليل مطران ـ جليم ـ الاسكندرية

● كلام عن مى ●

● هل يفسد العقل انوثة مى زيادة ؟ هذا ما كتبته الاديبه نوال السعداوى التى تحدثت عن مى زيادة ووصفتها بانها امرأة ذات احساس وجمال وكانت تقول ان جمّال مى مع احساسها كان غريبا ٠٠ والذكاء أيضا فكيف يكون غريبا يا نوال السعداوى ٠٠

ان مى زيادة ولدت فى فلسطين وتربت فى لبنان ثم الى مصر فكانت ذكية وجميلة ليس لانها أديبة بل لانها انسانة من دم ولحم تاكل وتشرب وتعاشر الناس وكانت سوف تتزوج لولا بعض الظروف ٠

فاطمة الخورى ـ نابلس ـ فلسطين

● حوار مع الاصدقاء ●

● **صــلاح والى ـ مصر العربيــة :**

ـ لا يكفى أن يكون عنوانك « مصر العربية » ٠٠ أما قصيدتك التى عنوانها « تجــاوز » فانك تقول فيها :

كنت أبحث عن لحظة من أمان
كان يركب سيارته الجديدة
يتوقف ٠٠٠٠٠
يلقى بداخلها بالجريدة
حين سقطت عيناه فى عمق « عيناى »
أدار الى الجهة الاخرى وجهــه
وانطلق ٠٠٠

وهذا « شعر » غير موزون ، وقولك « عيناى » فى السطر الخامس خطأ نحوى شديد الوضوح ٠٠ أما اذا كنت قد كتبت هذا الكلام بوصفه شعرا منثورا ، أى لا يتقيد بالوزن ، فلا بأس ٠٠ غير انك بعد هذا النثر تجىء فى كلامك ببعض الاسطر الموزونة ، كقولك :

عشر سنين
على تختة الدرس عشر سنين
نخط عليها الحروف ·· القلوب الرهيفة
ونقتسم الحب والصفحات
ثم قولك :
امشى ابحث عن انسان
الارض الواسعة الضيقة على المفرد
تبتلع الانســـان ··
لا أحد سواك
انقسم الان شخوصا وتحاور

● **احمد البشير سعد ـ اسيوط :**

تقول فى قصيدتك :
هزيمتى جـــرح نازف
يتحدى العقـــاقير
ويأبى أن يندمل
هزيمة الاحساس بخيبتى ····
نرجو أن تبرأ من هذا الاحساس الثقيل ، اما شعرك فينقصه الوزن

● **عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ وسيم ـ الجيزة :**

ـ قصيدتك التى عنوانها « حبيبتى ·· التى مطلعها :
جئت حبى كى أراه
عله ايضـــا يرانى
توجـــد بها بعض الاوزان المكسورة ، وبعض الاغلاط النحـــوية والكلام فى جملته غير فصيح ، وبعضه غير مفهوم . كقولك :
أن تلقى للمشانق
أسمع الهاجس هجانى
فهذا طلسم يحتاج الى من يحله ، فضلا عن خطأ النحـــو فى هذا المطلسم !!!··

● **الى السادة : مصطفى فهمى بنجع حمـــادى ·· محمـــد عبد الستار محمد بالفيوم ·· ابراهيم خليل ابراهيم يوسف ·· نمـــبرا الخيمة :**

ـ قصائدكم تحتاج الى مراجعة الوزن ، ومعذرة من هذه الاشارة المبتســـرة· !

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

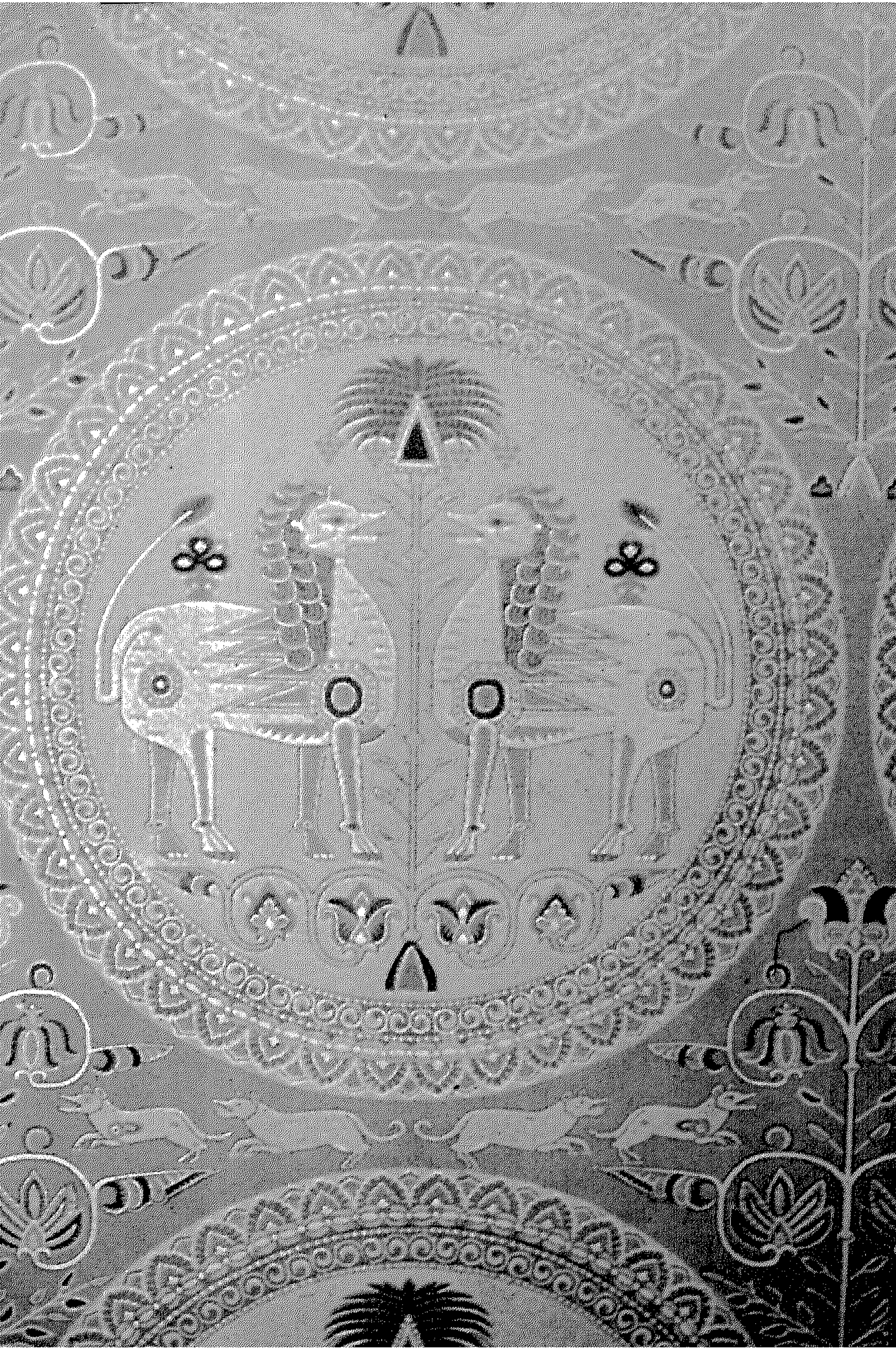
دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


الهلال
سنة ١٩٨٦
الثمن ٥٠ قرشاً
تحولات سيد قطب
حوار ساخن حول
٥ يونيو
على الرصيف
وتلويث رموز الماضي



من روائع الفن الاسلامى

● قطعة من النسيج المنقوش من أواسط آسيا ، من القرن الرابع عشر الميلادى .. وقد برع سكان أواسط آسيا فى نقش السجاد بأشكال وابعاد شرقية تمثل فيها الفن الاسلامى ●

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

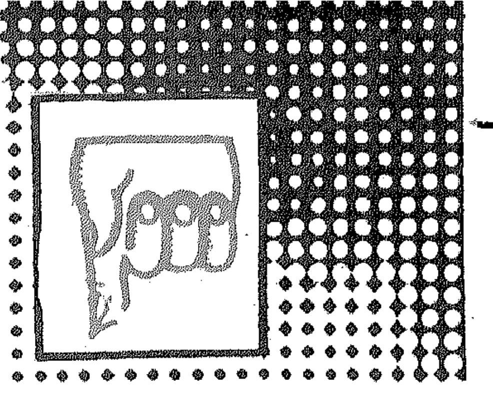
مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ -
اول سبتمبر سنة ١٩٨٦ م -
٢٧ ذو الحجة - سنة ١٤٠٦ هـ

في هذا العدد

يوسف ادريس في حديث للهلال ص ١٠٤

فكر وثقافة

●● ٥ يونيو



عزمي القاري

الهلال في عامه الرابع والتسعين

تدخل مجلة الهلال بهذا العدد السنة الرابعة والتسعين من عمرها الطويل فى مجال الصحافة الثقافية والأدبية المصرية والعربية ، لم تنقطع قط عن أداء هذا الواجب الكبير ، ولم تطرأ عليها خلال هذا الأمد بادرة إعياء أو ملل من طول الطريق ومشقته وكثرة مايعتوره من العوائق والمثبطات .. ولهذا احتجبت المجلات الأدبية والثقافية المصرية والعربية التى صدرت خلال المائة سنة الماضية ، ولم يبق صامداً إلا مَجلة الهلال .. وليس بينها الآن وبين عيدها المئوى إلا ستة أعوام ، تمضى كلمحة بارق ، فتكون الهلال أول مجلة مصرية أو عربية تبلغ هذا المدى الشاسع فى مغالبة السنين ، مؤدية رسالتها المتجددة الأهداف ، على أحسن وجه ممكن .

وقد أثبت احتجاب المجلات الثقافية والأدبية أن لكل مرحلة زمنية لسان حال من هذه المجلات ، فلا تستطيع بعد انقضاء مرحلتها التاريخية أن تواصل الصدور ، لأن الزمن يكون قد تخطاها بتجديداته العملية والفكرية ، وتغييراته فى المجتمع والتوجهات الإنسانية التى لاتنقطع عن التجدد والتغير ..

فمجلة « روضة المدارس » ـ مثلا ـ التى نشرت ثمرات قرائح الشعراء والأدباء فى حركة الإحياء منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لم يكن ممكنا

أن تتخطى مرحلتها التاريخية ولاحتى بمرسوم من سمو الخديو - أو الأمير - حاكم مصر حينذاك .. وكذلك المجلات الأخرى التى جاءت بعدها .. فالمقتطف - وهو شيخ المجلات العربية - أضطر إلى الاحتجاب بعد أن رمى بآخر سهم فى آخر معركة خاضها مؤديا رسالته أكرم أداء ! ..

ومجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب ولسان العرب فى عصرها ، لم تعش إلا عشرين عاما بين الثلاثينيات والخمسينيات .. وهى على جلالة قدرها لم يسمح لها التطور العاصف بأن تعيش بعد مرحلتها ، وفشلت كل المحاولات التى بذلها الحالمون أو المتفائلون لاعادتها إلى الحياة فى ثوب قشيب !

وهاتان المجلتان - المقتطف والرسالة - هما المثلان البارزان لعشرات من المجلات الأخرى لايتسع المجال لذكرها ، وقد ذكرناها من قبل غير مرة فى مناسبات مختلفة ..

ولكن الهلال استطاع أن يبقى لأنه عبر عن كل مرحلة تاريخية بلسانها ، وكان جديدا فى كل مرحلة جديدة فلم تسبقه ولم يتخلف عنها ، بل تواكبا فى انسجام تام .. ولم يحتفظ الهلال طوال أربعة وتسعين عاما إلا باسمه على رأس غلافه ، وبمبدئه الثابت ، وهو خدمة الثقافة العربية المتجددة .. وكل شىء غير هذين كان قابلا فى كل حين للتغير طبقا للمتغيرات فى حياة القارىء العربى ، والانسان العربى بوجه عام ..

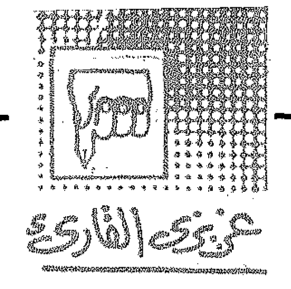
وقد أكسبه ذلك تمسك القارىء به من جيل إلى جيل ، فعاش الهلال فى كنف القارىء طوال تسعة عقود من الزمان واحتجبت مجلات ثقافية وأدبية كثيرة ، برغم حصولها على الرعاية الرسمية .. وبقى الهلال وحده من بين جميع المجلات القديمة والجديدة ، وسوف يبقى إن شاء الله وأسباب بقائه أمانة تنتقل من يد إلى يد منذ أنشأه وتولاه صاحبه العالم الأديب الصحفى چورچى زيدان .

وقد أكتمل الهلال فلم ير منذ اكتماله نقصا فى قدرته على البقاء والنماء ومواجهة تحديات جميع المراحل ، فصح فيه قول شوقى أمير الشعراء :

قد أكمل الله ذياك الهلال لنا

فلا رأى الدهر نقصا بعد إكمال

وكنا نرجو أن تجد الثقافة العربية والأدب العربى منارات جديدة فى بعض البلاد العربية التى نهضت فى عصر البترول ، وكتبنا فى هذا المكان



من الهلال نقول أن الثقافة العربية قد صار لها مراكز اشعاع متعددة فى العواصم العربية الجديدة ، بعد أن كان لها مركز واحد فى القاهرة العريقة .

ذلك أن الحقبة البترولية قد دفعت الدول البترولية إلى الاستعانة بأدباء مصر وخبرائها الصحفيين لينشئوا لها المجلات الأدبية والثقافية ويحرروها .. وكان هذا حادثا سعيدا للثقافة العربية ، وتطورا عظيم الفائدة للأدب والأدباء فى كل البلاد العربية ..

ولكن العصر البترولى كان منذ بدايته يشير بأصابعه الخمس إلى نهايته .. وكانت مؤسساته الصحفية تبدو قائمة على الرمال برغم ضخامتها وثرائها ودعايتها ، ولهذا أصابتها الضربة الأولى عندما اهتزت مداخيل الدول البترولية التي كانت تبتغى من إصدار هذه المجلات أن تستكمل مظاهر الآبهة والحضارة وتستجمع شارات الدول المتقدمة فى القرن العشرين .

المتقدمة فى القرن العشرين .

وقد ساءنا كثيرا ماتواتر من أنباء عن احتجاب هذه المجلات ، أو قرب احتجابها وليس هذا بالعجب العجاب على كل حال ، لأن أول شىء يتخلص منه أصحاب سفينة البترول الغارقة ، هو هذا العبء الثقيل من الأدب والثقافة المتمثل فى المجلات الأدبية والثقافية .

إن الدخان الكثيف الذى أطلقه عصر البترول « العربى » فى عيون الناس خمسة وعشرين عاما ، قد جعلهم يتوهمون أن فى الإمكان إقامة صروح للثقافة والأدب فوق تلك الرمال وتحت تلك العباءات .. ولكن تقلبات الأيام سرعان ماصدمت الناس بالحقيقة المحزنة ، فإذا بالأدب والثقافة أول ضحايا انخفاض أسعار البترول ، فكيف لو نفذ البترول وجفت آخر قطرة فى آباره ؟

إننا نحتفل بالعام الجديد من أعوام الهلال ، ونحن مثقلون بالأسف لاحتجاب المجلات الأدبية الخليجية ، أو وشك احتجابها .

والعبرة التى تتجلى لكل ذى عينين تقول : لايصح إلا الصحيح ولايبقى إلا الأصح ..

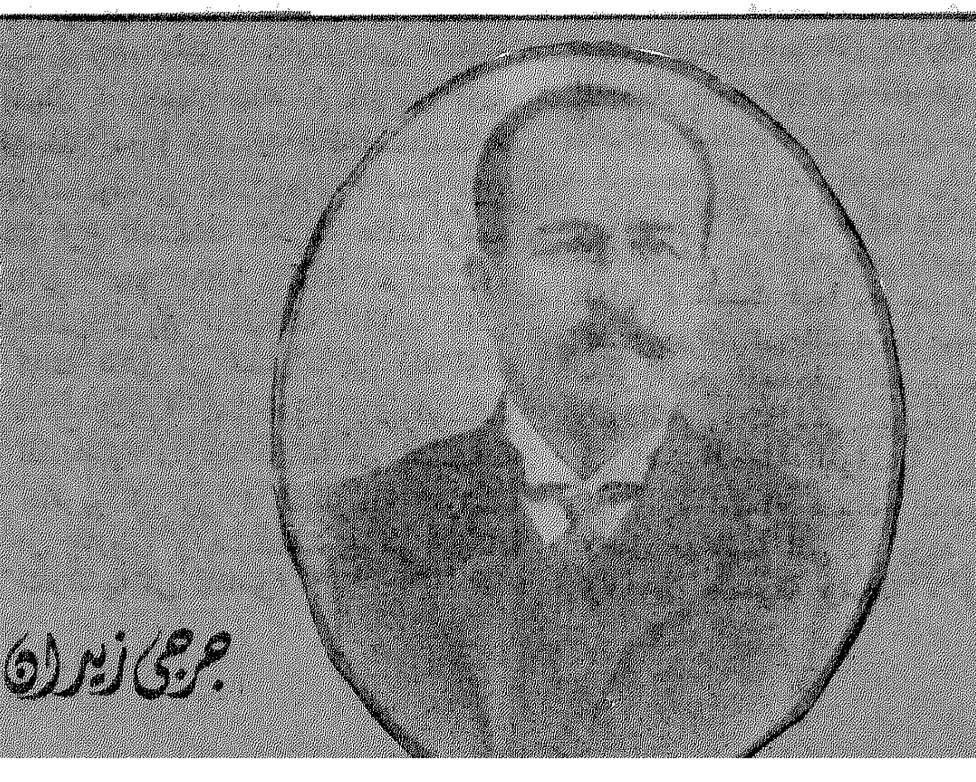
وذلك شعار الهلال منذ أول يوم فى حياته ! « المحرر »

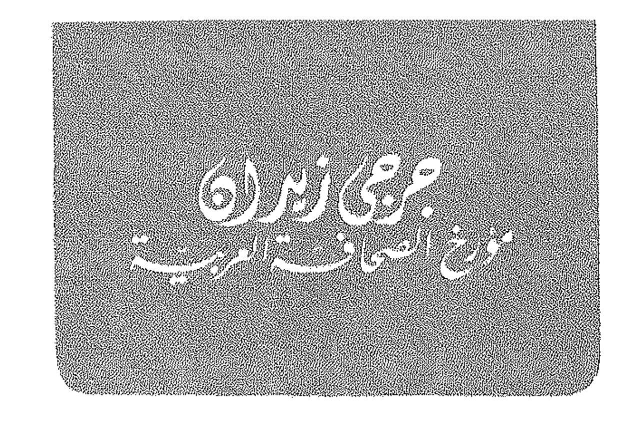
بمناسبة مرور ٩٤ عاما على صدور الهلال أقدم مجلة عربية فى الوطن العربى ـ ننشر هذا المقال لمؤسس الهلال وقد أرخ فيه للصحافة العربية وهى أول محاولة فى هذا المجال نبهت الأذهان الى أهمية التاريخ للصحافة.

جرجى زيدان مؤرخ الصحافة العربية

كانت الصحافة العربية ـ الوليدة ـ فى القرن التاسع عشر آخذة فى النمو المطرد كما وكيفا ، وساعد على ذلك تقدم الطباعة وسهولة اصدار الصحف ، وتزايد ما تخرجه المدارس من المتعلمين ، وخفض أجور البريد على المطبوعات ، وتنوع الأحداث السياسية فى تلك الحقبة ـ سواء فى مصر أو فى الدولة العلية ـ مما كان يستميل المثقفين وغير المثقفين الى ملاحقة الأخبار ، ومراقبة الأحوال

بقلم : أحمد حسين الطماوى


جرجى زيدان



وكانت الجرائد والمجلات تصدر ثم تحتجب تماما ، أو تعود للظهور مرة أخرى ، وليس هناك رصد دقيق لما صدر أو اختفى من تلك الدوريات التى تعتبر مادة حية لتاريخ الامة ، تسجل أحداثها المختلفة ، يوما بيوم أو شهرا بشهر . فكان لابد لها من شخص يؤرخ لها ، يبحث ماضيها ، ويتابع ما يستجد فيها ، ويقف على ميولها ، ويترجم لاصحابها .

وقد من الله على الصحافة العربية بمن يؤرخ لها ، ويتنازع على الاولوية فى هذا المضمار اثنان هما هنرى غلياردو وجرجي زيدان على نحو ما ذهب فيليب طرازى واذا لم يكن هناك من يسبق أحدهما ، فانى ارجح جرجي زيدان رغم سبق غلياردو فى هذا المجال . وبيان ذلك ان طرازى يرى ان غلياردو (ترجمان القنصلية الفرنسية فى القاهرة) هو أول من ارخ للصحافة العربية عندما وضع تقريرا عام ١٨٨٤ باللغة الفرنسية يتضمن تاريخ الصحافة العربية التى كانت تنشر فى مصر - فى ذلك الوقت - مع ترجمة لاصحابها وميولهم السياسية وتوجد نسخة من هذا التقرير فى وزارة الخارجية الفرنسية فى باريس واخرى فى الوكالة الفرنسية فى القاهرة .

والذى يبدو لنا من حديث طرازى ان غلياردو لم يكتب تقريره بهدف التاريخ العلمى للصحافة العربية او المصرية ، وانما ما كتبه هو تقرير سياسى كلف به على نحو ما يفعل القناصل من كتابة التقارير السرية بغية الافادة منها عند اتخاذ القرارات السياسية تجاه تلك الدول . ولو كان هذا الترجمان كتب بغرض التاريخ للصحافة العربية لنشر بحثه فى جريدة عربية او اجنبية . ولكن الحاصل ان مصير هذا التقرير فى خزائن وزارة الخارجية الفرنسية أى فى المكان الذى يخدم الغرض من كتابته . وتدوين التقرير باللغة الفرنسية يظهر الغرض السياسى منه ، والا فلماذا لم يسجله باللغة العربية - وهو قادر على الكتابة بها - واذاعته على أهلها - فهم احوج من غيرهم اليه . ومن ثم فالقول بأن غلياردو اول من ارخ للصحافة العربية فيه تزيد .

ثم قال طرازى « أما أول الذين كتبوا بعده اخبار الصحافة من الناطقين بالضاد كان جرجي زيدان » . واذا صدقت مقولة طرازى هذه فان جرجي زيدان هو المؤرخ الاول للصحافة العربية حتى مع وجود غلياردو الفرنسى .

كانت المقالة الاولى فى باب مقالات الهلال عن « الجرائد العربية فى العالم » تحدث فيها جرجي زيدان عن اثر الجرائد فى التمدن الحديث ، وراح يذكر أقدم الصحف العربية فكانت «الوقائع» وفاته ذكر مقدمات الصحافة فى زمن الحملة الفرنسية ، ثم اخذ فى سرد اسماء هذه الدوريات حتى وصل بها الى ما يزيد على مائة واربعين صحيفة ومجلة ، وفى عدد

اكتوبر ١٨٩٢(الهلال) اضاف اليها ثمانى صحف ، وقسمها الى جرائد صدرت فى القاهرة والاسكندرية وسوريا والاستانة ، وجرائد صدرت فى اماكن اخرى ، او جرائد مازالت تصدر (حتى ظهور الهلال) ثم بين نوعها من حيث هى رسمية أو علمية او ادبيـــة او سياسية أو دينية أو هزلية الى آخره، والماخذ كثيرة على ما صنعه زيدان ، فانه لم يعرفنا باصحاب هذه الصحف، ولا بظروف نشاتها وهــذا ما تلافاه او تلافى بعضه فى الجـزء الرابع من كتابه « تاريخ اداب اللغة العربيـــة » هذا فضلا عن ان ما ذكره من اعداد هذه الصحف لم يكن صحيحا فقــد فاته ذكر جرائد ومجلات اخرى كثيرة نذكر منها «المجريدة العسكرية المصرية» (١٨٦٥) والبسفور لبول جيرو ١٨٧٨ ونزهة الافكار وضـــــياء الخافقين والخلافة وهى من صــــحف ابراهيم المويلحى وجميعها صدر قبل ظهــور الهـــلال ٠

ومهما يكن من امر فان ذكر جرجى زيدان لذلك الرقم فى اول محــــاولة للتاريخ للصحافة العربية يعد عمـــلا جليلا ، فلم يكن هناك ثبت باســـماء الصحف وازمنة وامكنة صدورها حتى يرجع اليه ويفيد منه ، ولكنــه نبــــه الاذهان الى اهمية التاريخ للصحافة ، وكانه اضاف علما جديدا لعلوم يجب ان تنصرف اليه جهود الدارسين ٠

وقد انصرفت فعــلا اذهان الباحثين والصحافيين الى هذا المجال ، فرأينـا عددا من الكتاب يؤرخون للصـــحافة العربية نذكر منهم محمد كامل بحيرى فى جـــريدته « طرابلس » (١٨٩٣) ونجيب غرغور فى مجلة « العـــــام الجديد » (١٨٩٥) وابراهيم المويلحى فى مصباح الشرق (١٩٠١) وغيرهم٠

ولم يقف زيدان عند مقاله الاول فى هلال السنة الاولى بل اخذ يتابــــع الصحافة العربية فى كل مكان يكتب النبذ عنها ، ويقدم الاحصاءات لها ، ففى عدد اول مايو ١٨٩٤ (هـــلال) نجد قائمة تضم ثلاثا وثلاثين مجـــلة وجريدة صدرت عام ٩٢ ـ ١٨٩٣ وفى عدد ١٥ اكتوبر ١٨٩٦ يذكـــر اثنين وعشرين دورية ، وفى عــدد ١٥ مايو ١٩٠١ حاول احصاء الجرائد والمجلات العربية الحية من كل نوع فى ســائر انحاء العالم ووصل بهـــا الى ١١٧ يصدر اكثر من نصفها فى مصر والباقى يصدر فى بلاد الشام وسائر الممالك العثمانية واوربا وامريكا الشـــمالية والجنوبية ٠ ولاحظ زيدان ان مجــلات مصر اكثر من جرائدها بنحو النصف « ويدلك ذلك على ميـل المصريين الى العلم والادب اكثر منهم الى السياسة والتجارة » اما فى امريكا فان قراء المجلات والجرائد العربية اكثر ميـــلا الى التجارة والسياسة منهم الى العلم والادب ٠ وفى عدد ١٥ اكتوبر ١٩٠٣ وعدد اول يناير ١٩٠٤ يقدم بحثين على هيئة جداول تصاحبها تعليقات مفيدة يبين ان عدد الصــحف التى انشئت منذ اول عهد الصحافة وحتى نهـــاية ١٩٠٣ على اختلاف مواضيعها نحـــو أربعمائة صحيفة ، وفى عـــدد مايو ١٩٠٩ قدم احصائية نقلها عن تقرير مصلحة البريد سنة ١٩٠٨ بين فيها ان مجموع الجرائد والمجلات التى تصدر فى مصر ١٢٨ منها ٥٥ افرنجيـــة ؛ وقد لفت نظرى وجود هـــــذا العدد الكبير من الصحف والمجلات الافرنجية فى مصر فهـــذا يدل اما على كثـــرة

جرجى زيدان
مؤرخ الصحافة العربية

الاجانب او على شدة ميلهم الى الاطلاع او الى الاثنين معا .

ومع ان جرجى زيدان كان يتحرى الدقه فيما يكتب الا ان الاعداد التى ذكرها لم تكن تطابق الحقيقة ، ومعلوماته التى جاءت عن الصحف الميكرة لم تكن جميعها صائبة .
وقد بين شكيب ارسلان أن صحيفة « مرآة الاحوال » التى اصدرها رزق الله حسون هى أسبق من « الجوائب » فى الاستانة ، وأن « حديقة الاخبار » التى انشاها خليل الخورى ١٨٥٧ أسبق من « الجنان » فى سوريا . وتاريخ الصحافة العربى الحديث يؤكد لنا صحةمعارف أرسلان .

● السوريون لم يؤسسوا الصحافة فى مصر ●

وقد عرض زيدان للكتب التىتناولت الصحافة العربية من بعيد او قريب ، فتحدث عن كتاب « فكاهة الرائد فى نوادر الجرائد » لنقولاسابا وكتاب « مرآة العصر فى تاريخ ورسوم اكابر رجال مصر » لالياس زاخورة ، و « تاريخ الصحافة العربية » لطرازى وكتاب « الصحافة العربية فى مصر » لهرتمن ـ استاذ اللغة العربية فى مدرسة برلين ، وقد ابرز زيدان جملة من اقوال هذا المستشرق ورد على ما اخطأ فيه ، وعلى سبيل المثال ذهب هرتمن الى ان السوريين هم الذين وضعوا اساس الصحافة فى مصر ورفعوا شانها ، ولكن جرجى زيدان يصحح هذه المقولة ويرى « ان السوريين كانوا عونا كبيرا لاخوانهم المصريين فى ترقية شئون الصحافة وغيرها من المطبوعات العربية ولكنهم والحق اولى ان يقال لم يكونوا مؤسسيها ولاهم انشأوا اول صحيفة عربية بمصر لان مصر سبقت سوريا بالصحافة كما سبقتها فى اكثر عوامل النهضة العلمية الاخيرة » (الهلال اول نوفمبر ١٨٩٩) .

● زيدان يدعو الى تقييد حرية الصحافة ●

ولجرجى زيدان اراء فى الصحافة المصرية نستنكر بعضها ، وعلى سبيل المثال نشر مقالا فى هلال ١٥ يونية ١٩٠٠ عن « حرية المطبوعات » تحدث فيه بحرقة ومرارة على حرية الطباعة فى مصر بعد الاحتلال ، واشار الى قانون المطبوعات الصادر سنة ١٨٨١ والذى قيد الطباعة والصحافة فىمصر عندما لاحت فى الافق نذر الثورة العرابية ، ويعلق زيدان على هذا القانون بقوله : « على ان ذلك القانون جاء متأخرا بعد ان نبت غرس الحرية فى بلاد لم تتهيأ له » وما كان لرجل غريب على مصر ان تصدر عنه هذه المقولة ، فاولى به ان يترك المصريين يتصرفون فى بلادهم كيف شاءوا .فهم ادرى بأحوال مليكهم، ونزعاته وتمكينه للاجانب فى مقدراتهم . ثم قال ما معناه ان الانجليز اطلقوا سراح المطبوعات فصارت الصحافة « مباحة لكل كاتب » و « واصبحت فوضى لا قانون يقيدها ولا رادع يردع كتابها» ثم يقول : « ان الحرية تعطى لكل جماعة بما يناسب احوالهم فاذا كنتم تسمون فوضى المطبوعات اليوم حرية فقد حببتم الينا الاستعباد ورغبتمونا

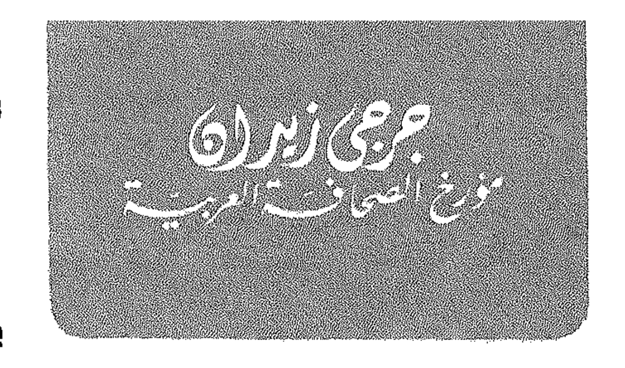


شكيب ارسلان

فى المراقبة الشديدة لانها تصـــون اعراض الناس وتحفظ كرامة المذاهب»

والكلمات الاخيرة من حديث زيدان تكشف لنا علة غضبه ، فقد حـدث في تلك الايام ما يشبه الفتنة الطائفيـــة واحتدم النقاشربين النصارى والمسلمين وللحقيقة نســـجل ان « زيدان » لم يناصر فريقا ضد فريق ولكنـــه ادان الطعن في الاديان ورأى ان الجـــدل فى هـــذا الموضوع لن يزيد المرء الا تمسكا بدينه • وكنـــا نرى ان يقتصر كلام زيدان فيهذه الفتنة على ادانتها، ومحاولة تهدئة الموقف ، لا ان يستحث السلطاتالحاكمة على تقييد حـــرية الصحافة ، وســـلب الامة إرادتها ، وفرض وصى وقيم عليها لانها لم تتهيأ للحرية • ان كلام زيدان سقطة منـــه ما كان له ان ينزلق فيها ، لان حـــرية الفكر على حـــد قول امين الريحانى (هـــلال ١٥ ـ ٩ ـ ١٩٠٠) فى الرد على زيدان : « نعمة يجب منحها لكل امة مهمـــا كانت درجة تمدنهـــــــا » ونضيف الى كلام الريحـــــــانى ان الشعوب لا تجدى معها الوصــــاية والنصيحة ، وانما تتعلم وتتحنك من الاحداث والتجارب •

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التى يتهم فيها الصحافة المصرية بالفوضى واثارة القلاقل ففى مقال له (هـــلال اول سبتمبر ١٨٩٥) ضـــمنه حملة ضارية على ارباب الصحف ، احتدت فيها عباراته على غير عادته ،واستنكر من بعض الصحف التعريض بشخصية الملك فى ثنايا انتقادها لعمال الحكومة وانتقد الصحف التى جـــاهرت باهانة بعض الامم الاخرى ، ويرى ان قوانين الشـــرع والعـــرف « لا تبيح الطعن فى امة برمتها » وحمل على الجرائد التى طعنت فى اشخاص تسميهم بأسمائهـــم وتكيل لهم الشتائم « حتى تتطرق الى انتقاد ما يأكلون او يلبســـــــون او يطبخون » ويتساءل اى علاقة بين ذلك والمصلحة العامة التى انشئت الصحف لاجلها ، ورأى ان الحوار واجب ولكن مع مراعاة « المجاملة والتأدب وكـــرم الاخلاق » ولا يســـــتطيع قارىء هذا الكلام ان يعيب جرجى زيدان ، فيجب مراعاة الاداب الاجتماعيـــة ، اما فى انتقاده للصحـــف التى تعـــرض بالامم الاخرى ـ دون ان يذكر هذه الامــــم ـ فلنا معه وقفة انهذه الامم علىالارجح هى انجلترا وفرنسا وروســـــيا التى تحتل جزءا كبيرا من العالم الاسلامى يضاف اليهـــا اليونان التى كانت فى حرب مع الدولة العثمانية ، وهـــذه الدول باستثناء اليونان ليس هنـــاك ما يرغمها علىالبقاء وسماع ماتكرهه، ومن ناحية اخرى اذا قال الصحفيون ان الانجليز كذا وكذا ، فانهم لا يعنون كل انجليزى فى مشــــــارق الارض ومغاربها ، ولكنهم يعنـــــون جيش الاحتلال ، ان « زيدان » وهـــو يكتب



هذا الانتقاد لم يأخذ فى اعتبـــاره المشاعر الوطنية المتأججة ، فالانجليز لا يحتلون بلاده ، ومن ثم فهو يريد الاعتدال فى القول ، والانضبـــاط فى التصرف ، ولم يلتفـــت زيدان الى الصحف التى كانت تكيل المديـــح للانجليز ، وتعاند الشعور الوطنى مثل المقطم والوطن . ولم يراع لا الشعور الدينى عند المســـلمين وهم يرون الروسيا فى حـــالة حرب مع الـــدولة العلية ، ويتسامعون بالمســـاعدات الاوربية لليونان فى حربهـــا مع دولة الخــــلافة الاســــلامية ، لذلك فان الموضوعية ، او الاعتدال ، او ضـــبط المشاعر التى يتحـــدث عنها لا تحظى بالمحمدة فى مثل تلك الظروف .

• قضية التلغرافات •

وفى مواقف اخرى كان جرجى زيدان يتحدى الشعور الوطنى ، وقد تبـــدى ذلك فى قضية التلغرافات التى شغلت الرأى العام المصرى فترة من الوقت ، فقد وصفها بأنها « قضية لا اهمية لها » (الهلال ١ ـ ١٢ ـ ١٨٩٦) وموجـــز هذه القضية ان سلطـــات الاحتـــلال فرضت حظرا على نشر انباء حـــملة السودان عن « المؤيد » فعرف الشيخ على يوسف كيف يصل الى انبـــاء الحملة عن طريق توفيق كيرلس موظف التلغراف حيث سلمه برقية جاءت من السردار الى نظارة الحـــربية تتعـــلق بانباء الحملة فنشـــرها فى المؤيد ، وقد اقامت الحكومة دعـــوى على مستخدم التلغراف وصاحب المؤيد ، وشغل المصريون بهذه المحاكمة، وكانوا يقفون بالالاف أمام المحكمة ، وعنـــدما حكم ببراءة الشيخ على يوسف حمله الوطنيون على اكتفاهم . ووصف زيدان لهذا الحادث بانه عديم الاهمية هــــو من باب الاستخفاف بمشاعر الامة . لان المؤيد كانت تمثل الاتجاه الوطنى، وتحدت الانجليز الذين منعوا الانباء عنها ، وانتصار على يوسف هـــــو انتصار للوطنية المصرية .

• رياض باشا وكرومر والصحافة المصرية •

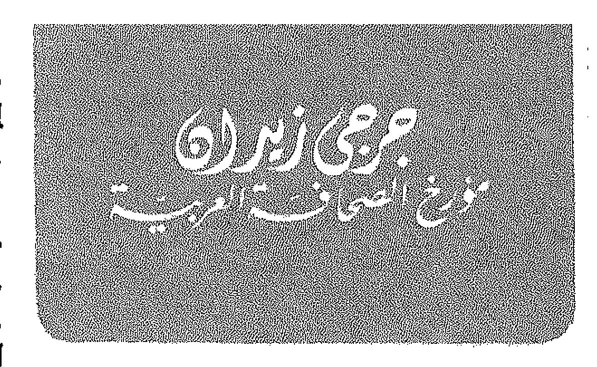
وقد امتـــدح جرجي زيدان رياض باشا لتشجيعه الصحافة العـــربية ، وتحدث كثيـــرا عن قانون ١٨٨١ الذى قيد حرية المطبوعات واهمله الانجليز لاطلاق سراح الصـــــحافة المصرية فصدرت الصحف بلا استئذان ، واثنى على كرومر فى مقال نشرته الهـــلال عدد اول اكتوبر ١٩٠٧ قال فيه « اما فى مصر فقد نالت الصحافة تلك الحرية بارادة شخص اللورد كرومر فهى حرة عرفا لا قانونا » وفى أول اكتوبر ١٩٠٤ اوردت الهلال نقلا عن « المقطم »تقرير لكرومر عن الصحافة المصرية ، حيث أورد (أى كرومر) بانه رفض كل قيد على الصـــحافة فى مصر ، وبين ان حرية الجرائد لم تؤخر الاصـــلاح فى البلاد ، واعرب عن الفائدة مما كتبتـــه الصحف .. الى اخره . ولا اظن أن ما قاله زيدان صحيح كـــله ، فرياض باشا شجع بعض المجلات مثل المقتطف،

ولكن عطلت فى عهد وزارته « مصر الفتاة » التى كان يصدرها الوطنيون المصريون ، وتوقفت جريدتا «مصر» و « التجارة » لاديب اسحق ، وقد اطلق اديب اسحق فيما بعد على رياض بإشا اسم « رياضستون » على وزن « جلاد ستون » السياسى الانجليزى الاستعمارى العتيد ورفض اعادة صدور صحيفة « السفير » لحسن الشمس وكان من العرابيين وغير ذلك. فاين تشجيعه للصحافة المصرية ، وقانون ١٨٨١ لم يهمل تمذما كما قال زيدان وكرومر ففى الوقت المناسب كانت تطبق بنوده ، وقد تعطلت صحف كثيرة استنادا الى مواده مثل «الزمان» و « البرهان » و « الفلاح » وغيرها ·· وعلى اثر دخول الانجليز مصر اغلقت الصحف الوطنية مثل «الطائف» و « المفيد » و « السفير » و «النجاح» وغيرها بل ان الانجليز ساعدوا على انشاء الصحف التى تروج لهم وتدافع عن مصلحتهم مثل « الجريدة المصرية» و « المقطم » و «النيل » وغيرها (انظر كتاب الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى للدكتور سامى عزيز) ومهما يكن من امر فان الصحافة المصرية قد ازدهرت فى عهد الاحتلال لان كرومر أباح حرية الصحافة للاجانب ، فأتاحها للمصريين من هذا المدخل باعترافه ·

● هوية الصحف المصرية ●

من الغريب المريب أن عددا كبيرا من الصحف المصرية لم تكن مصرية لا فى الوسيلة ولا فى الغاية · وقد كشف زيدان هوية الصحف المصرية فى مقال بعنوان « كتاب الجرائد والمجلات » فى هلال ١٥ اكتوبر ١٨٩٧ بين فيه ان الصحف الانجليزية تنحاز الى احزاب سياسية وطنية مثل حزب الاحرار والمحافظين ، أما فى مصر فانها تنحاز الى الدول الاجنبية « والسبب فى ذلك اختصاص هذا القطر دون سواه بتضارب النفوذ الاجنبى فيه وخصوصا بعد الاحتلال » وراح يقسم الصحف الى انتماءاتها الحزبية على هذا النحو ١ ـ الحزب الوطنى المصرى ٢ ـ الحزب العثمانى ٣ ـ حزب الاحتلال ٤ ـ الحزب الفرنسى وكانت الجرائد تمتدح الحزب الذى تدين له بالولاء ، وتصوب سياسته ، وتعمل جاهدة على اقناع الناس أن سياسة هذا الحزب انفع لمصلحة البلاد من غيرها · ويرد زيدان هذا الى سببين : اما لان الكسب المادى للصحيفة لا يغطى نفقاتها ، واما لان اصحاب هذه الصحف يعتقدون فعلا فى صحة ما يقولون عن سياسة هذه الدول التى ينتمون اليها ·

وينتقد جرجى زيدان الجرائد المصرية التى تسير فى الاتجاهات الاجنبية ، فيرى أن عذر الصحافيين بأن العائد من الصحف لا يكفى النفقات لا يبرر خداع قرائها ، فالقراء الذين يدفعون المال اعتقادا منهم ان الجريدة التى يواظبون على مطالعتها « أقامت نفسها متكلمة عنهم تدافع عن حقوقهم وتبين مطالبهم واحتياجاتهم لدى ولاة الامر ·· فلا يعذرونها بانتماءاتها الى احزاب مصلحتها تخالف مصلحتهم » وهو انتقاد فى الصميم يرتقى فيه زيدان الى مصاف الوطنيين · اذ انه يرى ان الصحيفة المصرية يجب ان تخدم مصر اولا وثانيا واخيرا ، اما الصحف التى تدافع عن مطامع الدول الاخرى فهى صحف خائنة خادعة ·



وإذا كان زيدان لم يذكر أسماء هذه الصحف في مقاله المشار إليه ، فانه عاد في مقال نشره في هلال مايو ١٩١٠ يفصل المسألة بوضوح ، وامتد حديثه حتى شمل الصحافة الوطنية في عصر عباس الثاني فأبرز دور الحركة الوطنية ضد الاحتلال وصحافتها وأفاض في الثناء على مصطفى كامل « محيى الشعور الوطني في مصر » واعتبر صدور اللواء « خطوة كبيرة في تاريخ الصحافة العربية بمصر بل هو نهضة جديدة فيها » ·

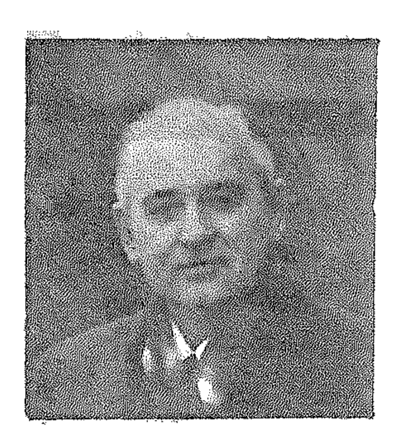
وحديث جرجي زيدان هذا دقيق وصحيح ومريح للشعور الوطني ولمؤرخي الصحافة · اذ انه لم يحد عن الحق ، وعين هوية كل صحيفة بما لا يدع مجالا للبس أو ابهام ·

وقد كانت الهلال في عهد زيدان سجلا ضخما حوى من أخبار الصحف العربية في الشرق والغرب مالا تجد كثيرا منه في غيرها ، فقد كان الرجل يكتب نبذا قصيرة عن الدوريات المختلفة ، وقد راجعنا عددا كبيرا من أسماء تلك الصحف والمجلات على فهرس الدوريات العربية التي تقتنيها دار الكتب المصرية الذي صنفه محمود اسماعيل عبد الله فلم نعثر لها على أثر ، ومن هذا : « الصياد » جريدة اسبوعية اخبارية صدرت في مصر لصاحبها سيد أحمد مصطفى ، «المودة» مجلة نسائية لسليم خليل فرج ، « المنتزة » أدبية هزلية صدرت في مصر لصاحبها السيد على الحريرى وتطبع على مناديل يمكن غسلها واستعمالها، « لسان الامم » مجلة علمية أدبية ، بالعربية والانجليزية صدرت بمصر لمحررها حسين عاروض « النور » مجلة ادبية اخبارية صدرت في الاسكندرية لمنشئها داود مجاعص · « الحجاز » جريدة دينية أدبية صدرت بمصر لصاحبها ابى بكر الداغستاني · «النفير» يومية سياسية في الاسكندرية مديرها ابراهيم زكا · « الاسماء » مجلة علمية تاريخية جغرافية في بيان أسماء الكتب والمؤلفين صدرت في مصر لصاحبها عارف بغدادى · «البرنسيس» مجلة شهرية تبحث في شئون المرأة لمنشئتها فطنت هانم · « العصر الجديد » مجلة علمية ادبية فكاهية لصاحبها محمود صادق سيف · ونستطيع على هذا النحو ان نذكر عشرات الجرائد والمجلات التي لم يضمها سجل دار الكتب المصرية · واننا نهيب بالمشرفين على الدار أن يراجعوا النبذ التي كتبت عن الدوريات القديمة في الصحف والمجلات للوقوف على الدوريات غير الموجودة بالدار والاعلان عنها لاقتنائها نظير مكافأة مجزية لمن تكون في حوزته تلك الصحف أو بعضها ·

وقد ترجم زيدان في « الهلال » « تاريخ اداب اللغة العربية حـ ٤ » و « تراجم مشاهير الشرق » · ومازالت كتابات جرجي زيدان عن الصحافة واعلامها مصدرا يرجع اليه الباحثون ·

واننا لو رحنا نحصى حسنات جرجي زيدان ، ومآثره على الصحافة العربية لامتد بنا الحديث ، وشغلنا صفحات اخرى دون ان نوفيه حقه ، فقد كان الرجل نفسه فصلا كبيرا باقيا في تاريخ الصحافة العربية ·

أقوال معاصرة



جورباتشوف



جورج بوش



الملك الحسن الثانى

● « ابناؤنا .. نحن فى حاجة لرايكم .. »
جورباتشوف

● « مازال الأدب العربى مشدودا بأيد ميتة الى عصور انحطاطه »
محمد شكرى - الاديب المغربى

● « جهل الامريكيين بالاتحاد السوفييتى يمثل خطرا كبيرا .. »
افريل هاريمان - السفير الامريكى السابق

● « علينا أن نكون متواضعين »
ناكاسونى رئيس وزراء اليابان

● « حل مشكلة الشرق الأوسط خلال القرن القادم .. » !
جيراسيموف - المتحدث باسم الخارجية السوفيتية

● «حل مشكلة الشرق الاوسط خلال الحقبة القادمة»!
جورج بوش

● « حل مشكلة الشرق الاوسط فى متناول اليد »
الملك الحسن الثانى

● « شخص ركل جثة ميتة ومضى .. هذا هو كل ما حدث فى منتجع ايفران »
الاوبزرفر

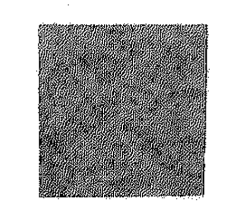
● « الكتابة وسيلة خرافية من اجل احتواء الرعب .. »
بول بادلز - الاديب الامريكى

● « دائما لا نفهم الأشياء الأساسية ، لذلك نتوقف عند التفاصيل »
الياس خورى - اديب لبنان

● « استمتع بشيخوختى »
مولوتوف فى السابعة والتسعين من عمره

بقلم: د. شكرى محمد عياد

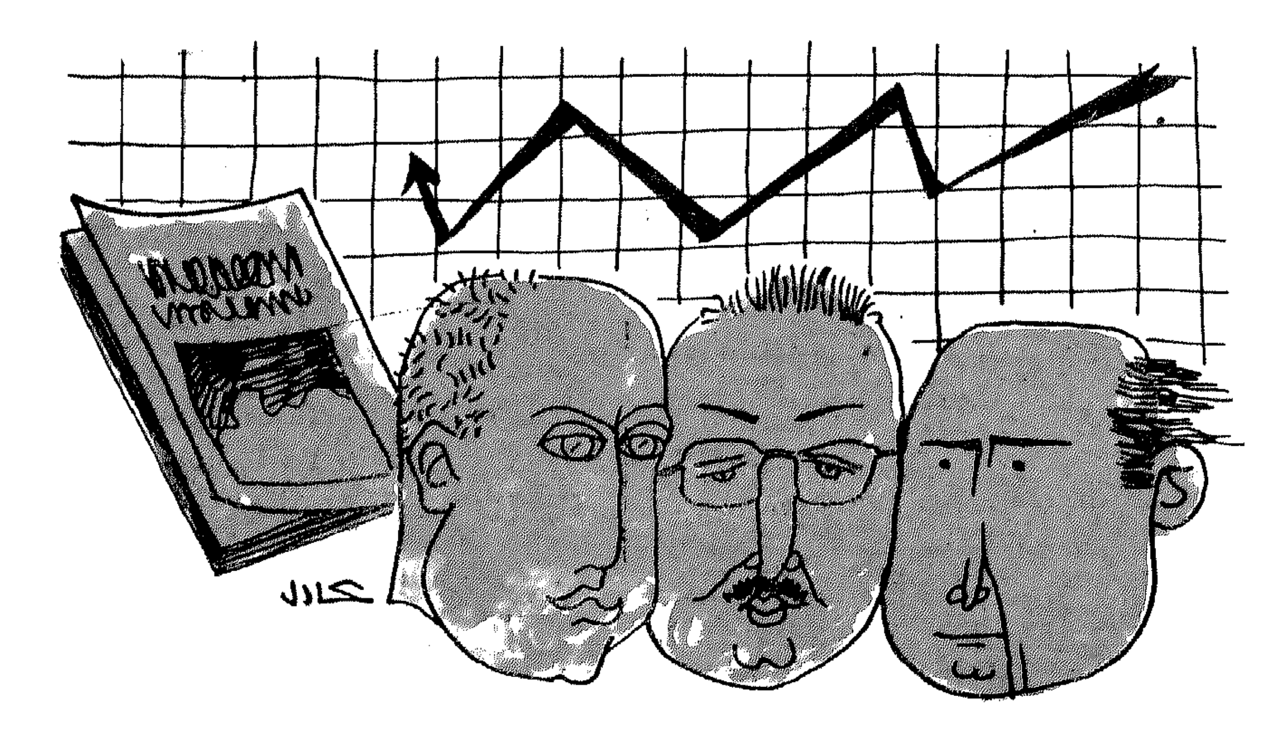
اللامعقول فى الاقتصاد



ماالذى يغرينى بالكتابة فى الاقتصاد ؟

إليكم بياناً دقيقا بمعلوماتى عن هذا العلم الجليل :

كان لى أخ كبير درس القانون . وكان من بين الكتب التى استغنى عنها وألقاها فى سحّارة الكتب الكبيرة فى بيتنا القديم بالبلد كتاب فرنسى كبير عنوانه « الاقتصاد السياسى » ، واسم مؤلفه شارل جيد . وعندما بدات أفك الخط بالفرنسية بذلت محاولات متكررة لقراءة هذا الكتاب . ومازلت - بفضل هذه المحاولات - اتذكر حجم الكتاب وحالة غلافه ونوع ورقه وشكل بُنطه ، كما اتذكر عنوانه واسم مؤلفه ، ولكننى لاأتذكر شيئا وراء ذلك . ولااعرف مصير هذه النسخة الآن ، ولا قيمة الكتاب نفسه فى تاريخ علم الاقتصاد ، ولكنه يذكرنى بجو القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، جو الشعر الرومنسى والرواية الواقعية والمركبات التى تجرها الخيول .



كانت البداية الثانية فى أواسط الأربعينيات ، كأى ماركسى مخلص فى ذلك العهد درست متن « العمل المأجور » و« الثمن والربح والقيمة » حتى كدت أحفظهما عن ظهر قلب ، وقرأت بجانبهما كتابا عنوانه « الاقتصاد السياسى » لمؤلف روسى اسمه ليونتيف ، ثم اتفق أن وقع فى يدى كتاب صغير لمؤلف أمريكى لاأذكر اسمه الآن ، ولكننى أذكر عنوان الكتاب الذى لفت نظرى بشدة ، وهو « الاقتصاد السياسى في درس واحد » . وكأى ماركسى مارق قرأته فى جلسة واحدة أيضا . وقد .كونت من هذين الطرفين المتناقضين فكرتى المتواضعة عن الاقتصاد الموجه والاقتصاد المفتوح ، ولم اضف إليها بعد ذلك سوى قراءات سريعة فى دوائر المعارف أو بعض الدوريات .

وما قيمة هذه القراءات أو تلك الفكرة بعد أن تغير النظام النقدى ، محليا وعالميا ، عدة مرات ، ووجدت مؤسسات مثل البنك الدولى ، وصندوق النقد الدولى ، والمنظمة الدولية للتعرفة والتجارة ، وأصبح من علماء الاقتصاد ـ وعندنا منهم عدد لابأس به ـ من يتخصصون فى أشياء مثل الاقتصاد الرياضى والاقتصاد المالى والتنمية وما أدراك ماالتنمية ؟

لاعذر لى إلا أن الناس جميعا أصبحوا يتكلمون فى الاقتصاد . وأصبح ناس لايعرف شىء عن خلفياتهم الثقافية أو العملية يعطون انفسهم لقب دكتور ويؤسسون شركات لاستثمار الأموال وينشرون إعلانات تملأ صفحة كاملة فى الجرائد اليومية . وأصبح لكل صحيفة

مهمة أو غير مهمة محرر اقتصادى أو أكثر . لم يقرأ فى الاقتصاد إلا مايكتبه زملاؤه (هذه هى القاعدة العامة : فمعظم الشعراء اليوم لايقرءون إلا ما ينشره زملاؤهم فى الصحف ، وبعض أرباب الفنون الأخرى لايعملون حتى هذا) وأحيانا يطرح سؤالا على عدد من اساتذة الاقتصاد وينسب إليهم أجوبة غير مفهومة ، وأحيانا يكتب تعليقا من عندياته على أخطر مسائل الاقتصاد .

● اختلال خطير ●

الحكاية إذن هاصت ، ومهما بلغ احترام المرء لنفسه فلابد أن يهيص مع الهائصين . وهذا يذكرنى بكلمة لديهامل : عندما يكون الجسم سليما يقوم كل جهاز من أجهزته بوظيفته الخاصة . فالمعدة تهضم والقلب يضخ الدم والرئتان تنقيانه الخ . أما إذا حاولت المعدة أن تقوم بعمل القلب أو الرئتان ان تقوما بعمل البنكرياس فلابد أن ثمة اختلالا خطيرا قد وقع . وبما أن الخلل الاقتصادى عندنا أصبح شيئا معروفا ومعلنا فقد أصبح الجميع اقتصاديين .

ولكن كيف يمكن الخروج من هذا المأزق ؟ لم أجد الجواب عند ديهامل . انما وجدته فى أدبنا الشعبى ، وأرجوكم ألا تضحكوا .

فالحكايات الشعبية تخبرنا أنه عندما تتأزم الأمور ، وتصل الاحوال العامة إلى عقدة العقد المعقدة تعقيدا ، ويحار نطس الوزراء فى حل أى مشكلة من المشاكل المتراكمة ، يأتى الحل البسيط المدهش على يد .. حشاش .

وأنا لست من زبائن هذا الصنف . واعتقد أنى لست بحاجة إليه لأنى أقوم تلقائيا بأعجب الشطحات دون أن اتكلف قرشا ولانصف قرش . والحل الذى أقترحه لايمكن أن يخطر ببال أى اقتصادى يحترم نفسه ذلك أنه حل لامعقول ، أى مناقض تماما لكل مبادىء الاقتصاد ، ولكنه يرجع إلى مبدأ قديم من مبادىء الطب ، لايزال له بعض الانصار حتى يومنا هذا ، وهو المبدأ الذى عبر عنه شاعرنا شوقى بقوله :

« ومن السموم الناقعات (أقرأها بالقاف من فضلك) دواء ، أو بلغة الطب أنك يمكنك أن تعالج المرض بإعطاء عقار يحدث اعراضا شبيهة بأعراض المرض نفسه .

أما كيف يمكننى أن اقترح حلا طبيا (بفرض كونه صحيحاً) لمشكلة اقتصادية ، فسؤال ليس من العدل ان يوجه إلىّ ، إذ لايمكن أن تكونَ هناك شطحة لو أن الحل كان اقتصاديا . ومع ذلك فمن الممكن الدفاع عن هذا الموقف بطريقة علمية . إذ إنه من المعروف تاريخيا وواقعيا أن كثيرا من العلوم تقيم

دعائمها أو تحل بعض مشكلاتها اعتمادا على نماذج مستعارة من علوم أخرى

● مشكلات اللامعقول ●

بناء على هذا المبدأ الاقتصادى أقول إن حل مشكلاتنا الاقتصادية يجب أن يكون حلا لامعقـولا لأن مشكلاتنـا الاقتصادية نفسها اصبحت من النوع اللامعقول . وكثيراً ما استوقفتنى هذه الظاهرة فى حياتنا اليومية فأنا أشعر بالدهشة كلما رايت عددا من السيارات الخاصة واقفا بين الأزقة أو حتى بين المقابر ولم استطع قط أن أفهم لماذا يجب أن نهتم بالميكنة الزراعية إذا كانت النتيجة هى أن الفلاح سيحتاج إلى مكنات أخرى كالتليفزيون والفيديو لتساعده على قضاء أوقات فراغه ، ولا لماذا يلزم أن يقضى شاب أربع سنوات من عمره فى دراسة القوانين أو المحاسبات ليعمل سائق تاكسى بعد تخرجه ، وأن يتم آخر دراسة فى معهد صناعى أو كلية زراعية ليعمل مضيفا على طائرة أو موظفا فى شركة سياحة .

هذه أمثلة لأشخاص أعرفهم ، ولاشك أن عندك الكثير منها . وليس أقل منها عجبا أن ياتى كهربائى ليركب مفتاحا أو سباك ليصلح « حنفية » ويخرج بعد دقائق وقد لطش ثلاثة جنيهات أو خمسة ، ولا أن يقول لك ابنك الطبيب : الميكانيكى الذى يأخذ منى عشرين جنيها فى إصلاح فرامل السيارة مثلا يجيئنى هو نفسه فى المستشفى فاجرى له عملية جراحية بالمجان

ليست هذه الأمثلة نوعا واحدا ، ولكن كل الانواع التى يمكنك أن تصنفها وتعددها تشترك فى أنها مخالفة لكل القواعد التى يقبلها العقل . وإذا أردت أن تلقى على محاضرة فى قيمة العمل اليدوى فدعنى أقص عليك أولا حكاية مدير عام محترم (ولعلها غير جديدة عليك فقد قرأتها فى صحيفة يومية) اقتنع مثلك ومثلى أيضا بقيمة العمل اليدوى فقرر أن يشتغل بتلزيق القيشانى (فى غير وقت العمل الرسمى طبعا) ولكن قوبل بمقاطعة منكرة وحرب شعواء من « أهل الكار » الذين حاربوه فى رزقه الجديد . أرجوك ياصديقى أن تسقط من دماغك كل الحلول المعقولة . أرجـوك أيضا ، إن كنت اقتصاديا ، أن تنسى كل ماتعلمته ، أو أن .. تعمل بعكسه ، فحتى معلوماتى الاقتصادية الهزيلة تفزع وتخرج من ثيابها أمام هذه الوقائع المذهلة . ألم يحدثنا الشيخ ماركس عن ريكاردو عن آدم سمث أن ثمن السلعة أو الخدمة يمثل وقت العمل الذى أنفق فيها ؟ فهل الزمن الذى يلزم لاعداد طبيب أو مدير أو وزير أقل من الزمن الذى يلزم لاعداد سمكرى أو سباك ؟

مامدى مسئولية الدولة عن هذا الخلـل ؟ إن أقل النـاس إنصافـا لايستطيع أن يحمل جهاز الدولـة (الحالى) هذه المسئولية . لقد بدأ الخلل حين سادت تركيبة اقتصادية احتماعية معينة سميتها الاقتصاد

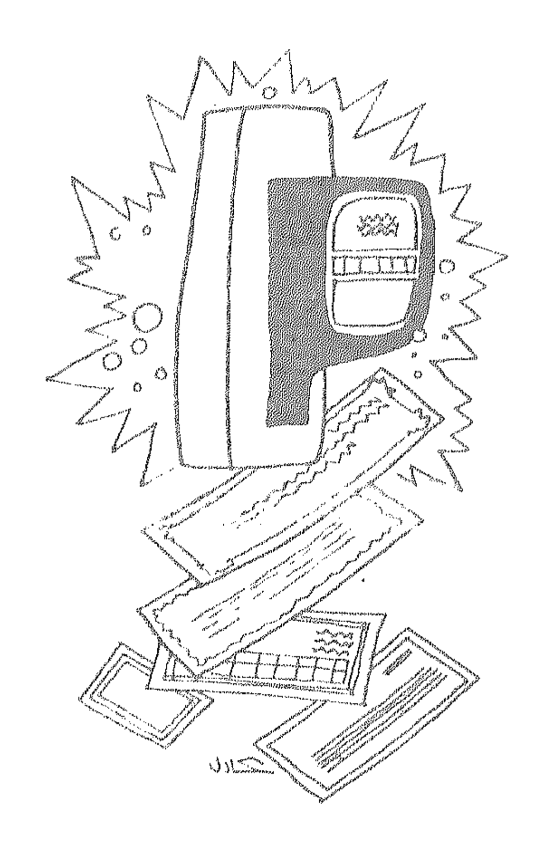
الجحوى ، وخلاصته ان تتسامح الدولة مع الشعب ، ويتسامح الشعب مع الدولة ، فى نهب الثروة القومية . والنتيجة الطبيعية لهذا التسامح هى أن تتسع قاعدة الفساد بحيث يتعذر اقتلاعه .

وليس من المستغرب إذن - وكل ماحولنا غرائب - أن تفقد الحكومة السيطرة ، فتضطر هى نفسها إلى السير فى ذيل الاقتصاد اللامعقول . وقد كثرت الانتقادات التى وجهت إلى الحكومة بمناسبة الاجراءات الاقتصادية الأخيرة التى أريد بها تعويض العجز المفاجىء فى الموارد . أما الانطباع الذى بقى لدى العبد الفقير حين اطلع على هذه القرارات ثم لمس آثارها فهو أنها حاولت الجمع بين المعقول الذى يقبله أساتذة الاقتصاد واللامعقول الذى تمليه حالة المجتمع . ومعنى ذلك أنها جرت الى الوضع اللامعقول ، أى أنها أصيبت بالمرض العام ، دون أن تتبنى موقفا واضحا وصريحا فى معالجة اللامعقول بلا معقول مثله .

ولكى أوضح هذه الفكرة أشير إلى واقعتين اتفقتا لى ، بمحض الصدفة ، فى يومين متواليين :

فى اليوم الأول قمت بسداد أجرة الشقة التى أسكنها ، وفى الوقت نفسه جاءتنى فاتورة الكهرباء .

الشقة مكونة من خمس غرف وصالة



فسيحة ، وشرفة حولناها إلى غرفة ، وملحق بها جراج ، أما الأجرة فتزيد قليلا على العشرين جنيها ، لم أحاول أن أحفظ قيمة الزيادة ، مع أنى أدفعها كل شهر منذ سنين كثيرة ، لهوان الاجرة كلها بالقياس إلى مطالب الحياة الأخرى .

وأما فاتورة الكهرباء فكانت بالضبط ستة وعشرين جنيها وثمانين قرشا . وقبل سنة تقريبا كنا ندفع اثنى عشر جنيها أو قريبا من ذلك . إذن فقد سايرت الدولة نظام الاقتصاد اللامعقول فرفعت ثمن الكهرباء بمقدار مائة فى المائة أو أكثر ، بينما تعاملت وتصامت عن حقوق أصحاب البيوت ، فأصبح ايجار الشقة بكل مافيها أقل من ثمن الكهرباء !

فى اليوم الثانى حضرت مزادا على شاليهات (غرفة وصالة أو غرفتان وصالة) فى إحدى القرى السياحية الجديدة راودنى أمل فى أن أمتلك أحد هذه الشاليهات ، وفكرت وقدرت ، بناء على قواعد الاقتصاد ، فخمنت أن ثمن الشاليه الكبير سيكون حوالى عشرين ألفا .

بعد قليل قررت أن أكون متفرجا فحسب . فقد سمعت أرقاما عجيبة تتطاير ببساطة من أفواه الناس . كان المكان شديد الزحام . لم تكف الكراسى التى وضعوها فبقى الكثيرون واقفين . وكانت هناك وجوه معروفة . يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، ووجوه أخرى غير معروفة ، ولكن كل الدلائل تدل على انها أكثر رغدا .

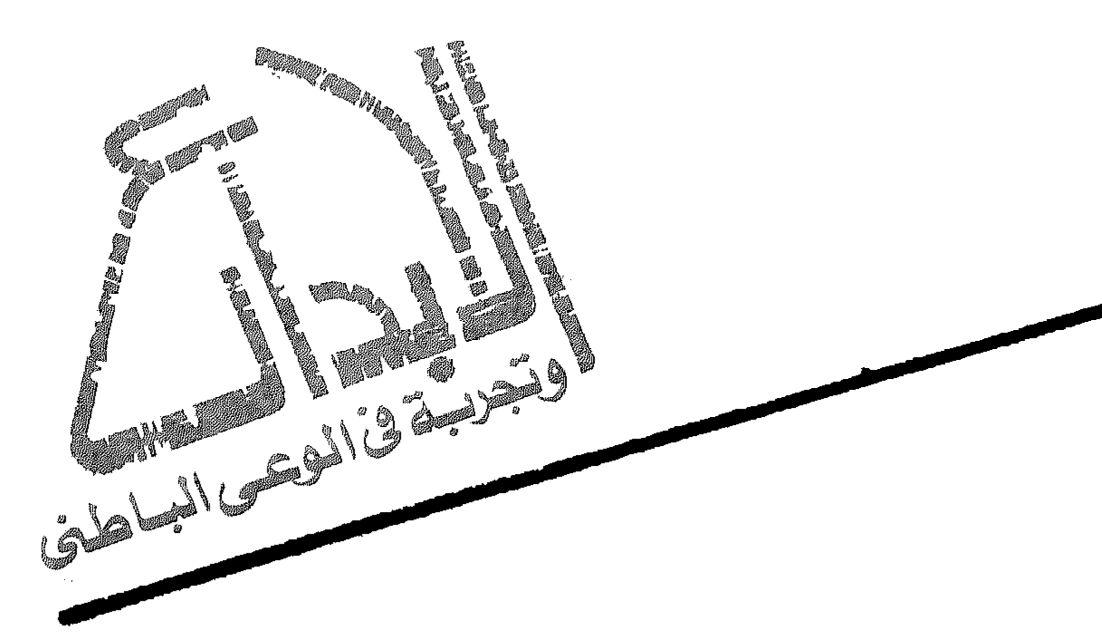
أما الشىء الذى لم يكن يتصور فهو أن يبلغ ثمن الشاليه ثلاثة وخمسين ألفا ، تبلغ نحوا من خمسة وستين عندما تضاف إليها الضرائب والدلالة .

أعجبتنى هذه « الحركة » من شركة قطاع عام . فالحكومة غالبا لاتحسن استغلال الظروف . وعندما قارنت ماحدث فى ذلك اليوم بما حدث فى اليوم السابق قلت : حلال على الحكومة ! فهى فى هذه المرة لم تظلم أحدا ، هذا هو الحل اللامعقول لوضع لامعقول . لماذا لاتبيع الدولة ماء البحر ورمل الصحراء مضافا إليهما لمسة جمال وبعض أبهة واسم رنان مع أمتار قليلة من البناء مقابل أضعاف ثمنها الذى نحسبه نحن الأغبياء بطريقة ماركس ريكاردو آدم سمث ؟ اليس امتصاص أموال الطبقة الجديدة بهذه الطريقة أولى من تركها لتجار المخدرات وأصحاب الصالات ومروجى أفلام الفيديو الفاضحة ؟ وماذا يضيرنا ـ نحن الكادحين ـ من ذلك إذا كان لدينا مسكن يؤوينا طول العام ؟ لاأحسب أن أشد الاشتراكيين دجماطيقية يمكن أن يطالب بالمساواة فى فرص التصييف ، ولو كنا جادين حقا فى تطبيق الاشتراكية ، أو حتى أى قدر من العدالة الاجتماعية ، لعرفنا أنه لايمكن أن يتم بدون شروط ، ولايمكن أن يتم بمجرد الكلام ، وأن لدينا ـ حكومة وشعبا ـ من المشكلات ، التى نجم بعضها عن ممارسة سيئة ومفهوم خاطىء للاشتراكية ، مايجعل الحديث عن الاشتراكية فى الوقت الحاضر ترفا نظريا لاأكثر ولاأقل !

وشتان بين حلول لامعقولة لموقف لامعقول ، وبين مماحكات « نظرية » بعيدة عن الواقع ، بقدر تمسكها بالشعارات ، كالتى تدور فى هذه الأيام حول التعليم والدعم .

إن الموقف الصعب الذى صرنا إليه يتطلب نشاطا كبيرا ، مبتكرا ، غير تقليدى ، من جانب الشعب والحكومة كليهما ، دون أن يعتمد أحدهما على الآخر بالضرورة . وربما كان الحل اللامعقول هو أفضل الحلول .

فلتزرع الحكومة شواطئنا قرى سياحية للطبقة الجديدة . فهذه ـ فى النهاية ـ ثروة قومية ضخمة وليست ثروة لأصحابها فقط . ولنبحث ، ولنبحث معها ، نحن الحشاشين بلا حشيش ، عن تدابير لامعقولة أخرى يمكن أن تعيد شيئا من العقل إلى اقتصادنا المجنون .



بقلـــم : د. شريـف حتاتـة

اثناء الحديث مع الاخرين كثيرا ما نقول : جـــاءتنى الفكرة فجأة)) .. او ((سقطت على هذه الفكرة من السماء)) .. او ((لا اعرف من اين جاءنى هذا الخاطر)) .. وهـذه الجمـــل المختلفة تعبر فى الواقع عن شيء واحد ، عن ظـــاهرة الافكار ، او الخواطر التى تصعد من منطقـة اللاوعى الى الوعى ، وكانها تخترق الفاصل بينهما فجاة لتظهر الى النور ..

كان « فرويد » أول العلمـــاء النفسيين الذى كشف عما يسمى بالعقل الباطن او اللاوعى .. وقد قدم بذلك مساهمة مهمة للغاية فى فهم مكنونات النفس الانسانية ، ودوافعها والحالات المختلفة التى تطرأ عليها .. ومع ذلك فان الحديث عن وجود اللاوعى امر يفتقد الى الدقة. فهو ليس الا اصطلاحا يقصد به وجود امكانيات للفكر ، وللفعل وللوعى فى نفس الانســان لم تستخدم او تســتغل بعد .. انها امكانيات واعية ، ولكنها كامنة فى الاعمــاق ، او فى حالة بيات شتوى تنتظر الشرارة او الدفء الذى يطلقها .. تنتظر الحدث او الاحتياج ، او عمليـــة التنقيب الداخلى التى نقوم بهـ
لاستكشاف واستخدام الافكار ، والتصورات المدفونة فى النفس انها طاقات ، وقدرات
وخبرات مختزنة تنتظر الاشارة المناسبة لكى تظهر على السطح ، فيصبح الانسان واعيـ
بوجودها .. وهـــذه الطاقات والامكانيات الخفية التى لم تنتبه اليها هى احدالمنابع

الهامة والاساسية لما يمكن ان نسميه بالابداع الحر.. وكأن في اعماق النفس كنزا ثمينا من الاف الاشياء اختزنت فيه .. ثروة من المواد الخام ، تنتظر عملية الكشف والاستخراج من باطن العقل ..

البطل في رواية كريمة

هذا هو ما اخذت أتبينه منذ ان شرعت في كتابة روايتي الاولى « العين ذات الجفن المعدني » سنة ١٩٦٨ . وبالتدريج تطورت خبرتي في التعامل مع الطبقات «اللاواعية» للعقل .. ففي هذه الرواية الاولى مثلا ظللت أبحث عن الخط الاساسي الذي يمكن ان يحكم سياقها عدة شهور الى ان اهتديت اليه وهو تجربة القهر النفسي ، والانساني الذي يتعرض له السجين .. ومحاولة الاحاطة التفصيلية به ، وبالوسائل والاساليب التي يلجأ اليها للتغلب على هذا القهر .. ثم الدخول في اعماق عملية المقاومة بما يعترضها من حالات القوة والضعف .. فلما امسكت بطرف هذا الخيط .. (كرت معى البكرة) . وظللت اكتب كل ليلة دون انقطاع لمدة سنتين وكأني أنهل من (عين) في اغوار النفس لم أكن واعيا بوجودها من قبل، ولا مدركا لما تحتوى عليه من امكانيات

ولكن من بين مختلف التجارب التي خضتها مع رواياتي تظل التجربة التي خضتها مع اللاوعي اثناء كتابة رواية «كريمة» ماثلة امامي بشكل خاص ، وربما لارتباطها بكثير من الاشياء الحميمة في النفس .. او لان عقلي نجح في تسجيلها مرحلة بعد مرحلة .. وكأنه يستعد لاستخدامها فيما بعد ..

وتتميز رواية (كريمة) بانها تتعرض لعديد من القضايا التي تشغل بال العاملين في حقل السياسة من مفكري اليسار .. وأنها تتضمن ، من بين ما تضمنته نقدا لبعض المظاهر الفكرية والسلوكية في حياة ونضال تيار اليسار الاشتراكي الذي انتمى اليه .. مظاهر مثل تفشي ما يمكن أن اسميه المنهج (النفعي) او « البراجماتي» في المواقف الشخصية والسياسات العامه للذين يتصدرون العمل في مختلف ميادين النشاط .. والجنوح الى الاهتمام بالاعتبارات التكتيكية دون ربطها بالاهداف أو المبادىء الاساسية ، بل وفي كثير من الاحيان على حسابها.. ذلك الجنوح الذي لا يستقيم مع الميزات المبدئية التي ينبغي أن تشكل العامود الفقري لليسار الاشتراكي بوصفه تيارا يسعى الى بناء مجتمع تنتفى فيه كل صور الاستغلال ، والقهر ، والتفرقة .. كما تتضمن نقدا لمظاهر سلبية اخرى في النشاط السياسي لهذا التيار ومنها الافتقاد الى الصراحة الواجبة في مواجهة الاخطاء خصوصا اذا كانت صادرة من المستويات العليا المسئولة ، وتغليب العلاقات الشخصية على حساب العلاقات الجماعية السليمة .

ويدور صراع في الرواية بين البطل، وهو شاعر يدعى «حمدان» وبين الجماعة التي

سيجموند فرويد



يعيش مع افرادها داخل معتقل فى قلب الصحراء .. وفى هذا الصراع ينضم اليه شاب ، وامرأة اسمها (كريمة) هى ابنة قائد المعتقل الذى اقامته السلطات على مقربة من طريق الاربعين المتجه جنوبا الى السودان على بعد قليل من الواحات البحرية (الفرافرا ، وباريس) ..

وخلال الفترة السابقة على كتابة هذه الرواية كنت مشحونا بالغضب والاستياء من تلك المظاهر السلبية نتيجة مشاركتى فى بعض الانشطة السياسية التى جعلتنى المسها من قرب .. وعندما شرعت فى كتابتها وجدت نفسى اختار شخصية الشاعر ليكون بطلها دون ان اعى اى الاسباب هذا الاختيار بالتحديد .. فالشاعر شخص ذو تركيبة نفسية خاصة .. الشعور عنده قوى ، وعميق .. الحب ، والكراهية ، والغضب ، والاقتحام مسائل تلعب دورا مميزا فى حياته .. انه يميل الى التطرف والى الاطلاق فى احكامه ، ولا يقبل بالحلول الوسط ، أو المساومات ■

وهكذا صورته فى الفصل الاول تعرضت لطفولته ، وشبابه ، ثم للحادثة فالقبض عليه ، ونفيه فى الصحراء بسبب الاشعار التى كان يلقيها فى « الشوارع ، والجوامع ، والميادين » وتعرضت للعوامل التى دخلت فى تكوينه منذ سنه المبكرة ، وعلاقته بأبيه ، وتحمله مسئولية أمه بعد وفاة الرجل الذى ورث منه الكبرياء والصلابة ، وحب النغم الجميل والشاعرية فى لغة القرآن ■

فى هذه المرحلة المبكرة من الرواية أخذت تتجسد المعالم الاساسية لهذه الشخصية دون أن ادرك الدوافع التى جعلتنى اختارها بالذات ، فلم يكن لها مثيل ، أو حتى شبه فى اى رواية من رواياتى السابقة .. وجدتها تكاد ترسم نفسها بنفسها ، وكأنها تعد للقيام بالدور الذى يستجيب للاحاسيس التى سيطرت على وخلقت عندى حالة نفسية تتسم بقدر كبير من السخط ، والغضب على المظاهر السلبية التى لعبت ، ولا زالت تلعب دورها فى عرقلة تقدم ، ونجاح التيار الاشتراكى ..

كنت أعانى شعورا من الاحباط فى المجالين الشخصى ، والعام ازاء نواحى القصور فى نشاطنا ، وكأننا مصابون بمرض عضال استعصى على العلاج .. فتولد من كل ذلك تلك الشخصية الرومانسية للشاعر التى تتجسد فيها مميزات نحن فى حاجة اليها للخروج من الردة التى وقعت فيها البلاد ، ولنتخطى الازمة التى تعانى منها قوى التقدم والاشتراكية منذ سنوات ■

انها شخصية رومانسية ولدت كاستجابة لكل شيء غائب فى الحياة .. فيها ذلك الميل الغريزى الى المطلق الذى هو سمة من سمات الفن .. فالفن يرسم الاشياء بألوان قوية لاتساوم .. الفن نور كشاف .. قوة ناقدة للعيوب والادران التى نعانى منها فى كل المجالات بما فيها التيار الاشتراكى لانه احدى الادوات الاساسية فى تغيير المجتمع ، وتطويره .. قوة طليعية لها دور بارز فى تحقيق التقدم .. والفن مارد متمرد فى أعماق الانسان ضد الزيف ، والفشل ، واللامبالاة ، والطغيان .. ثائر يريد أن يبدل كل الاشياء ..

وهكذا أخذ يتصهر فى أعماقى ذلك البطل الذى احتاج اليه لاعادة ترتيب الحياة .. للتيقن من وجود قوى قادرة على ازاحة المعقبات .. اعطاء نموذج أريد أن أومن بوجوده حتى وأن قتل

فى يوم ما اومات .. فالنموذج كالعدوى تتولد عنه عشرات من النماذج .. كالفن والخلق .. يولد قوى جديدة قادرة على الابداع .. هكذا صنعت الرجل الذى سيحقق ما اصبو اليه انا ، واتصوره واتطلع اليه بكل كيانى .. والذى سيقتل مع (كريمة) فى نهاية المطاف بمدفع رشاش يصوب اليهما وهما يهربان فى الصحراء من طائرة هليكوبتر استقلها ابو «كريمة» قائد المعتقل.. عقل جبار وقلب بلا مشاعر .. اداة من الادوات .. المستخدمة للقهر والسحق كالقضبان ، والقيود ، والدبابات المجنزرة ..

البطل .. وقود المأساة

صنعت البطل .. وفى النهاية قتلته كان يمكن ان ابقيه على قيد الحياة.. ولكن فى الزمان الذى نعيشه الان الابطال لا يبقون على قيد الحياة .. انهم يقتلون دائما بشكل او اخر .. لانهم نماذج تسرى كالعدوى وتتكرر .. لانهم خطيرون على ملوك المال .. والاستعمار على الظالمين فى كل مكان .. والبطل فى عصرنا هذا دائما ما يكون وقود المأساة . لذلك ينبغى له ان يحترق.. انه انسان يحلم بالغد .. وكثيرا ما يعجز عن تحقيق الاحلام .. ولكنه اذا مات يظل حيا فى الخيال .. عن طريق الذكرى .. او فى كتب التاريخ او فى رواية تستمد صورها من واقع الحياة .. انه يظل مصدرا للحب ، وللحماس ..

ومنذ هذه المرحلة المبكرة من الرواية لان «حمدان» كان رجلا ، وشاعرا ثائرا قادته خطواته الى المعتقل .. وحتى اللحظة التى هبط فيها من السيارة (الجيب) على ارض المعسكر المحاط بالاسلاك الشائكة ، بعد رحلة طويلة فى الصحراء لم اكن اعى الموضوع الاساسى للرواية، ولا حتى مغزى الاحداث التى سار معها قلمى حتى الان .. كنت مدفوعا باحساسى وبالتجارب المختزنة فى الاعماق .. تلك التجارب التى عشتها مرات ، ومرات حتى اصبحت قادرا على ان احياها من جديد بأدق التفاصيل .. لم اكن قد امسكت بخيوط القصة التى اكتبها ولم اكن قادرا على رؤية الطريق الذى يمتد أمامى .. رغم احساسى بالرضى عما كتبته ، وكانه تفجر بقوة دفع دافئة، ونقية لاعلاقة لها بى سوى اننى الوعاء الذى تفجرت فيه .. قلمى عبارة عن اداة مطيعة تجرى فوق الورق مدفوعة بتيار يأتى من اللاوعى ، من شحنة لا اعرف كنهها ، ولا الى اين ستقودنى .. ولكن بعد ان وصل (حمدان) الى المعتقل بدات اشعر بالقلق .. لماذا ادخلته فى المعتقل ؟ هل كان لا بد من ذلك ؟ هل ستفرض على تجربتى الطويلة فى السجن تكرار ما كتبته من قبل فى (العين ذات الجفن المعدنى) ولو حتى بصورة أخرى ، او من زوايا جديدة ؟

مرحلة القلق والصراع

قلت لنفسى : «لم لا ؟» .انه موضوع خصب أستطيع ان اكتبه عن معرفة ، فقد شكل جزءا اساسيا من تجربتى فى الحياة . وتنقلت الى كل ما فيه من اطوار ، وابعاد ، واعماق .. ولكن لم اكن راضيا عن هذا الكلام . ثمة صراع كان يدور بين عقلى الواعى ، وبين اشياء مدفونة فى الاعماق .. وعندما اعود الى تلك الليالى التى قضيتها سيرا على الاقدام حول شاطىء النيل فى الجيزة. احيا من جديد ذلك التناقض والقلق العميق الذى ظل يطاردنى طوال الساعات وكاننى انسان ممزق .. كائن منقسم على نفسه .. عقله الواعى يريد ان يسير فى اتجاه .. وعقله الباطن يقول له لا .. انك تهرب من شىء ما .. وكان ذلك الاحساس الباطنى هو مصدر القلق، والمعاناة اللذين استوليا على تماما ..

وفجاة اخذت شخصيات اخرى تفرض نفسها على .. «كريمة» حبيبة الشاعر



الاولى.. ثم «كريمة» حبيبته الثانية ، ابنة قائد المعتقل ..وقائد المعتقل نفسه ورجل السياسة (بيومى حسنين) . وكأننى اعد الممثلين للدور الذى سيلعبونه على مسرح الرواية .. وفى هذا الصدد اذكر انه عندما انتهت وتقدمت بها الى احدى دور النشر كتب المستشار الذى انيط له بقراءتها تقريرا سلبيا اوصى فيه بعدم نشرها .. ومن بين ما قاله ان (هذه الطريقة فى الكتابة « يقصد وصف الشخصيات ، وماضيها قبل ادخالها فى صلب الأحداث المرتبطة بالرواية) أصبحت قديمة ، وعفى عليها الزمن .. (فتساءلت آنذاك ، ومازلت اتساءل .. هل توجد طريقة فى الكتابة الروائية عفى عليها الزمن ؟ .. أم أن الاشكال الفنية الروائية يمكن أن تتكرر، ولكن على مستوى اعلى يحددها العصر، والواقع الثقافى ، ومضمون القصة ؟.. أليس المهم فى كل ذلك هو مضمون الرواية ومدى النجاح فى صياغتها صياغة فنية مؤثرة .. ؟ ادركت انه ما زالت تسيطر الميول المدرسية عند عديد من النقاد وتدفعهم الى التمسك بالقوالب والتصنيفات الجامدة كمعيار للحكم على فنية الاعمال الروائية .

المهم اننى وجدت نفسى بعد ذلك منهمكا فى رسم هذه الشخصيات الجديدة بطريقة تقترب من السرد التقريرى (وبما ان هذا السرد من الاشياء الاخرى التى طبق عليها السيد المستشار مقاييسه الجاهزة منذ زمن بعيد ؟ ..ثم اوصلتها جميعا الى أرض المعتقل الذى أصبح بذلك ، ودون وعى مسبق منى ، معدا ليكون المسرح الذى ستدور فوقه الاحداث

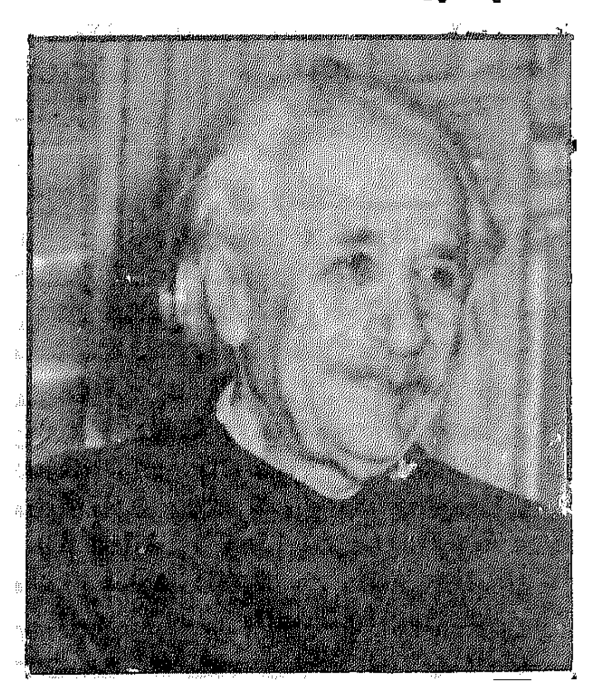
طوال هذه المرحلة الثانية ظل التفاعل قائما بين العقل الواعى والباطن كماهو الحال دائما فى كل عمل ابداعى .. ولكن كان يغلب عليه طابع التنافر ، والاضطراب ، والقلق الدائم .. كنت اعانى من احساس عميق بوجود تناقض ما ، لا استطيع ان احدده ولكنه قائم فى الاعماق ..

مرت عدة اسابيع ، وفى احدى ليالى شهر اغسطس كنت مستغرقا فى النوم بعد ان هدأ ضجيج الشارع الذى اسكن فيه .. فتحت عينى فجأة واخذت احملق فى الظلام .. ذهنى يقظ تماما كأننى نمت نوما طويلا ، ومريحا .. من اسفل العمارة تأتينى اصوات السيارات القليلة وشيئا آخر كالتنفس العميق للنائمين فى المدينة .. احسست اننى احلق فى الصمت الذى يسبق الفجر دلفت الى الصالة .. أضأت المصباح، وجلست على أحد المقاعد ثم مددت ساقى فوق (الكليم) .. جاءتنى صورة للمعتقل الذى كنت أفكر فيه طوال الاسابيع المنصرمة .. من حوله تلتف الاسلاك الشائكة تحول دون خروجنا من المساحة الضيقة التى نتحرك فيها .. ترمز الى الاحباط الذى اعانيه .. الى الحواجز التى تسد الرؤية ، وتمنعنا من الانطلاق نحو الافاق البعيدة .. وظلت هذه الفكرة تنمو ، متخطية الحاجز الذى يفصل بين التفكير الواعى والاحاسيس .. الى أن اصبحت كالضوء الباهر يضىء حتى الاركان الدفينة .

ادركت فى تلك اللحظة اننى اهتديت اخيرا الى مفتاح اللغز الذى ظل يحيرنى ... اننى وصلت الى لب الموضوع الذى اريد أن اتناوله فى رواية كريمة » . تملكتنى راحة عميقة ، وكان الاتجاه

الاصيلة في نفسي وجدت طريقها .. او ان ذاتي الحقيقية هي التي انتصرت على المنطق المدروس ، والحجج التي الجا اليها لتفادي الحقيقة .. كان هذا هو جوهر الصراع الذي دار طوال الفترة السابقة بين احساسي الباطني الغامض ، وبين العقل الواعي بحساباته ..

فانا انسان جئت الى الادب بعد سنين طويلة من النضال السياسي .. انا مؤمن بالعمل الجماعي ، بضرورة وجود حزب اشتراكي طليعي .. عقلي الواعي الذي صقلته التجارب والاحداث التي شهدتها منذ عهد فاروق والاستعمار الانجليزي ، والعمل المتواصل في اطار حزب سياسي له جذور قديمة .. عقلي الواعي هذا يقول لي انه لا يجوز ان اتناول بالنقد العلني امام قراء رواية كريمة تلك المظاهر السلبية التي اعيشها في التيار السياسي الذي انتمي اليه .. فالرجعية وابواقها لا يكفون ليل نهار من التقطيع في اللحم الحي للقوى التقدمية والاشتراكية اينما


اينشتين

وجدت .. وهي لا تترك فرصة للنيل منها دون ان تستغلها الى اقصى حد ممكن بوسائل كثيرا ما تخلو من الخلق والمبادىء .. مستفيدة في ذلك من امكانياتها الهائلة .. من مساندة الدوائر الاستعمارية العالمية . والصهيونية ، والمال ، والاجهزة القمعية ، ووسائل الاعلام العصريه .. بينما تيار الاشتراكيه في البلاد ما زال يحاول الخروج من الحصار المضروب حوله .. فكيف يرتفع صوت علني ناقد من بين صفوفه ؟ ..

كانت كل هذه الاعتبارات كالغطاء الذي يضغط علي ، ويمنع الشيء الصاعد من التعبير عن نفسه .. ومع ذلك انتصرت الاحاسيس المدفونة في اعماق العقل الباطني .. انتصرت التجربة الطويلة المختزنة التي كانت تنتظر فرصتها للخروج الى المساحات المفتوحة .

ترى ما الذي حدث بالضبط في تلك اللحظات الحاسمة ؟

ان الرؤية الجديدة للمعتقل ، لا كشيء فرضته السلطات فقط وانما كرمز للحصار المضروب من التيار الاشتراكي نفسه حول ما يمكن ان اسميها «بقدرات الخيال الفكري» وآفاقه .. هذه الرؤية اخترقت الفاصل بين باطن المخ ، « والادراك الواعي العلوي » ضد مقاومة عنيدة مصدرها الحجج العقلانية المنطقية التي كنت مؤمنا بها لحظة ان جلست لكتابة الرواية .. فدار الصراع بين « الوعي الباطني » ، و « الوعي العلوي » قبل ان تصعد التجربة الاصيلة التي تبحث عن منفذ لها الى المستويات الواعية للمخ ..

التناقض بين الوعي واللاوعي

ان عملية الاختراق من « اللاوعي » الى الوعي ليست مجرد انبثاق او نمو لفكرة كامنة في الاعماق .. وهي ليست مجرد اتساع في نطاق الوعي .. انها معركة تدور بين ما يفكر فيه المبدع بمنطقه ، وعقله الواعي وبين رؤية تصارع لكي تولد

الابداع وتجربة فى الوعى الباطنى

.. وعندما رسمت المعالم الاساسية للشاعر « بطل رواية كريمة » كان « حمدان » هذا تجسيداً لرؤية تجاهد لكى تبعث الى الحياة والنور .. كان يمثل ذلك الجزء الباطنى المدفون فى اعماقى الذى يريد ان يخرج الى الوجود .. كان عليه ان يطلق الجدل الدائر بين الفنان والمنظر السياسى .. وحتى تكتمل الرؤية ، وتخرج بكل كيانها النابض الى النور ، اصبح من المحتم ان تتميز شخصية « حمدان » والطريق الذى اختاره بالدفاع عن الحق أينما وجد .. أن يكشف الزيف ، وضيق الافق فى كل مكان .. حتى عند اقرب الناس اليه .. فالصدق عند الفنان لا يمكن أن توضع له حدود .. ان تطبق معاييره عندما تتعلق المسألة بالاخرين .. او بهيئات ومؤسسات لسنا مسئولين منها ، أو عن تسيير أمورها .. ثم يتوقف عن تطبيقها أو يتركها تتجمد أو تموت ، عندما يتناول التيار الفكرى أو النضالى الذى كرس له عمره ..

ان كل عملية ابداع او خلق هى فى الوقت نفسه عملية تدمير لاشياء اخرى .. وفى التجربة التى هى موضوعنا كنت احطم فى داخلى تلك التحفظات القديمة والراسخة الى حد كبير ، والتى تقول انه ليس من حقى عندما اكتب رواية ان انقد ذلك التيار الذى انتمى اليه علانية امام جمهور القراء .. كنت احطم اشياء وافكارا راسخة فى ذهنى منذ ان دخلت صفوف الحركة الاشتراكية فى سنة ١٩٤٦ .. وكان هذا الصراع بين الاحساس الجديد الذى تولد فى اعماقى وبين الافكار المسيطرة على عقلى الواعى حتى ذلك الحين مصدر القلق الذى انتابنى طوال الاسابيع التى تبلورت اثناءها فكرة الرواية ■

ولحظة ان اكتملت الفكرة فى ذهنى زحف على احساس بالانسجام بين العقل، والشعور .. بين الجسم والروح ..وكاننى اصبحت انسانا متكاملا بعد ان كنت مجزءا ، مثخنا بالجروح .. واختلط الرضى بالنشوة ، كانى طائر أحلق فوق المروج الجميلة ■

بدت كل الاشياء من حولى ، شديدة الشفافية والوضوح .. كاننى اكتسبت قدرات خارقة على رؤية الجمال ، والنفاذ الى اسراره .. وتحولت الالوان الباهتة فى شوارع المدينة فى احجارها ، واسفلتها ، وكباريها العلوية ترتفع كالضلوع العارية لقفص كبير الى الوان نابضة قوية .. اختفى قبح الحوارى الضيقة ، بمياهها الاسنة ، وبيوتها القديمة .. اصبحت أحيا لحظات من الكثافة الشعورية .. لم تكن للحالة التى استولت على ادنى علاقة بالشعور الذى ينتاب الانسان اثناء الحلم .. على العكس .. كانت قدرتى على الادراك الحسى بالاشياء ، والظاهر مضاعفة ..

ثمة ظاهرة اخرى لاحظتها عندما اتضحت الرؤية امامى ، وتحدد الصراع الاساسى الذى ستدور حوله الرواية ، هى ان اتضاح هذه الرؤية لم يكن وليد الصدفة .. ولم ياتنى بلا جهد ، او ممارسة ارادية من جانبى .. بل كان جزءا من عملية متكاملة ، جزءا من جهد متصل، وتمسك ارادى بالوصول الى الهدف .. عملية بحث مستمرة ، وتفكير ، وتخيل، مرهقة للغاية .. وهذا يعنى ان الرؤية ، بمعنى صعود الفكرة من العقل الباطن الى الوعى لا تاتى بالصدفة من خارج للبدع .. انها ليست ذلك الوحى الذى

ما زال يتحدث عنه بعض الفنـــانين المؤمنين بكهنوت الفن ، وبالخرافة ... ان الرؤية تتولد من مناطق اللاوعي في ارتباط وثيق بالموضوع الذى يبذل فيـــه الفنان جهدا متصلا ، وبالمحاولات المستمرة للوصـــول الى حل مناسب للمعضلة او المشكلة التى تشغله .. اى بمعنى آخر هى نتاج التزام ، واســـتغراق ، وعمل شاق ..

واخيرا فمن الملاحظ ان عملية الرؤية هذه عادة ما تحدث فى فترة ينتقل فيها الفنان من العمل الشاق الى حالة يعد فيها نفسه للراحة والاسترخاء الكامل .. تختار لنفسها تلك المرحلة الانتقالية التى تقع ما بين الجهد والاسـترخاء .. تنبثق من الاعماق فى لحظة ليست بلحظة عمـل مركزة ، ولا بلحظة راحة تامة .. وكأن التركيز المستمر ، المكثف ، على المشكلة التى يفكر فيها ، والمحاولات التى لاتنقطع للوصول الى حل مناسب لها تساعده على الاقتراب من هذا الحل ، على اكتشـاف الثغرة التى يمكن النفاذ منها ، او الفكرة الوليدة التى تصارع حتى تخرج من الاعماق الباطنة الى النور .. ولكنها تخرج خلال مسـالك أخرى غير تلك التى كان يتوقعها .. وكأن التركيز على جانب معين يؤدى الى نوع من الشد او التوتر الذى يغلق منافذه ويسدها ..

لذلك فان هذا الانبثاق للفكرة المحورية فى العمل الابداعى كثيرا ما يتعثر اذا ظل الكاتب منكبا على عمله ، مستغرقا فى الجهد ، عازفا عن الترويح عن نفـــــه واعطائها فرصة للراحة .. فهو عـنـدئذ يكون فى الغالب مشغولا بفكرة غير تلك التى تحاول أن تخرج من تلقاء نفسها من الظلمات الى النور .. يسد عليهـــــا الطريق بالتركيز على الفـــكرة الواعيـة عليه ■ ■

.. فلابد من ازالة التوتر الذى يغلق منافذ المخ ، والذى يحول دون أن يصبح واعيا بطبقات المعـــرفة الاخرى المدفونة فى الاعماق ، أو دون ان تصعد الى مستوى الوعى .. ومن هنا تلك الظاهرة المعروفة .. والتى تنبهت لها بوضوح .. ظاهرة تولد الفكرة المحـــورية « نتيجة لتتابع فترات الراحة والجهد » ..

لقد تساءل « اينشتين » العـــــالم الرياضى المشهور ومكتشف نظـــــرية « النسبية » لماذا تأتيه احسن الافـكار فى الصباح وهو يقوم بحلاقة ذقنه أمام المرآة فأجاب أحد أصدقائه من الاطباء..

« لانك فى تلك اللحظة ترخى حبـال التحكم ، والقيود المفروضة على المخ » ..

العقل المبدع فى حاجة الى السرحان .. الى التخيل .. الى ترك زورقـــه على الامواج الحالمة تقوده الى شاطىء المجهول. واثناء فترات الاســــترخاء هذه تصعد الافكار من باطن المخ الواحدة تلو الاخرى كالفقاقيع الملونة .. ليتأملها العقـــل الواعى ، ويقلبهـــا ، ويخضعها للتجربة السريعة .. ثم يطردها عندما تعجز فى حل العقدة .. ولكن فجأة من بين عشرات الافكار تتولد فكرة معينة ، أو خاطر ، أو صورة .. شىء فى الادراك الحسى يقول :

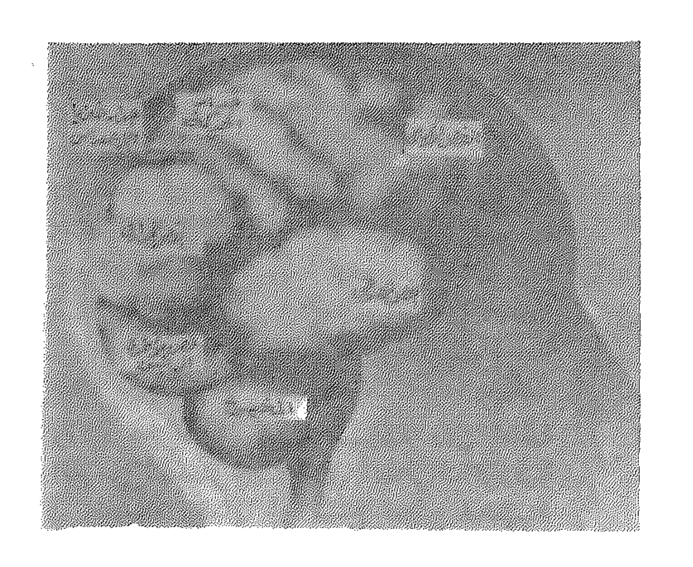
« حقا انها رائعة » .. ولا يعرف المبدع لماذا يأتيه هذا الاحساس بالنسبة الى هذه الفكرة او الصورة بالذات .. ولكن السبب يتضح بالتدريج .. انهـــــا تتسلل الى نسيج العمل فتستقيم كـل الاشياء . ويكتشف انها تحقق الوظيفة التى افتقدها فى كل الافكار التى خرجت قبلها من مختلف طبقات المخ .

منذ اللحظة التى اتضح فيها محـور الصراع فى رواية « كريمة » وتخلصت من كل تردد فى كشف ما أراه الحقيقـــة تفتحت فى أعماقى أشياء كثيرة ..انهارت سدود فى خضم التجربة الجديدة .. تجربة الكشف عن أعماق فى الاخرين ، وفى نفسى كنت أخفيها .. فالمبدع ينبغى أن يتعلم كيف ينصت الى صوت الاشياء التى تضطرم فى أغواره البعيدة .

هل تقتصر القدرة على
الابتكار شخصية مكتسبة
فطرياً؟ هل بإمكان الشخص
على استثمار الأفكار في
مجال العمل ؟ هل الابتكار
الفردي أفضل من الابتكار
الجماعي ، وهل يمكن
أن يكون الابتكار هو نتيجة
عملية تعليمية ؟

القدرة على الإبداع

إعداد: إيمان عبدالله



هذه المجموعة من التساؤلات يجيب عليها هذا الموضوع الذى نشرته احدى المجلات العلمية من بحث وتجربة طبقت منذ سنوات قليلة فى الولايات المتحدة . ففى مركز القيادة الابتكارية بمدينة جرينزبورو بولاية نورث كارولينا عقدت حلقة دراسية على مدى خمسة أيام تناولت اهتمام الانسان بتنمية الانتاج فى العصر الحالى ثم ركزت على أمكان الابتكار فى مجال الانتاج . ويعد مركز القيادة الابتكارية احد ست مدارس على الاقل داخل الولايات المتحدة تهتم بتعليم رجال الاعمال كيفية الابتكار اى كيفية ابداع أفكار جديدة ثم الاستفادة منها وتنفيذها كلما امكن ذلك . فاعتمادا على مجموعة من الابحاث الحديثة يؤمن العديد من علماء السلوك بأن القدرة النادرة على الابتكار أمر يمكن تعلمه ، اى أن القدرة الابداعية عند الافراد شيء مكتسب وليس وليد الفطرة . فى هذا الصدد يقول العالم النفسى « هاورد جاردنر » : « لكى تصبح مبتكرا يجب أن تكون لديك الرغبة فى ركوب الصعاب ، وفى العمل بمفردك حتى تكون متميزا لا مسايرا للركب . ان تفردك وقدرتك على أن تكون نموذجا فذا أمر أساسى وضرورى » أن القول الشائع بأن الابتكار ينتج عن الجانب الايمن من المخ لا أساس له من الصحة بل انه مجرد سوء تفسير للبحث الذى قام به العالم « روجر سبيرى » الحائز على جائزة نوبل والذى اشار الى أن الجانب الايسر للمخ هو الاكثر فاعلية عند الحديث أو الكتابة او حل المسائل باسلوب منطقى بينما تتلخص اهمية الجانب الايمن فى معرفة الوجوه وتحديد الاماكن . وتؤكد العالمة « جيرى ليفى » التى أجرت سلسلة من الابحاث عن اختصاصات جانبى المخ على عدم وجود اى دليل مادى يشير الى ان الابتكار ينشأ من منطقة معينة فى المخ فالابتكار كما تراه هو نتيجة لكم غير عادى من اتصالات المخ المتشابكة والمعقدة وهو وسيلة يمكن تنميتها عند الاطفال منذ الصغر عن طريق القراءة على سبيل المثال ، وترى العالمة « جيرى ليفى » أن الجانب الايمن من المخ مسئول عن ترجمة الاحرف المسموعة الى صور مرئية ، ثم يقوم الجانب الايسر بادراك المعنى مما يدل على أن الخبرة أيضا وليست الجينات فقط قادرة على ايجاد اتصالات المخ المعقدة . ورغم ضرورة تمتع الفرد بمعدلات ذكاء طبيعية او فوق العادة لتحقيق الابتكار فان العبقرية أو الذكاء الخارق لا يفيدان فى هذه الحالة . ان تعلم كيفية الابتكار يتطلب منا تحويل ادراكنا للابتكار من أنه هبة العبقرية الى أنه نتاج طبيعى للعملية التعليمية .

● اسس الابتكار ●

ان افضل ماتقوم به من أسس الابتكار، هو تجربة عملية الابتكار ويحقق البعض

القدرة على الإبداع

وذلك عن طريق امثلة بسيطة مثل اتاحة الفرص للمشتركين لاطلاق الطائرات الورقية فى الفضاء وتأملها او صنع نماذج نحتية من الخردة وان كانت هناك ندوات اكثر تعقيدا تتيح فرصا مشابهة لبيئات رجال الاعمال تتضمن برامج كمبيوتر وتدريبات لحل المسائل المعقدة .. الخ . التى تنفق ملايين الدولارات سنويا فى مجال التنمية والبحث ولن تتردد فى تحمل التكلفة لثقتها بأن الافكار التى ستطرح ، ستكون بالفعل افكارا مبتكرة ستدر عليها ارباحا طائلة .

والان نستعرض نموذجا لاحد التجارب التى اجريت فى مركز القيادة الابتكارية الذى يدرب رجال الاعمال على الابتكار . فى داخل ثلاث حجرات صغيرة متجاورة تجلس ثلاث مجموعات خماسية العدد كل مجموعة حول مائدة صغيرة . طريقة جلوسهم تبدو غريبة لا توحى بانها تجربة لابتكار افكار جديدة . وضعت على كل مائدة مجموعة من أقلام الرصاص والاوراق وقدمت لكل مجموعة مشكلة مختلفة وطلب من افرادها ابتكار اكبر عدد ممكن من الحلول الجديدة . وكانت المشكلة التى طرحت على احدى المجموعات هى كيفية امكان استغلال اللباد المتخلف من صناعة كرات التنس على افضل وجه ممكن ؟

وتجدر الاشارة الى ان الهدف الرئيسى من هذا التدريب هو توضيح الفرق بين الافكار التى يبتكرها الافراد وتلك التى تتوصل اليها المجموعة .

فى البداية ظل افراد المجموعة يعملون كل بمفرده لمدة ١٥ دقيقة ويدونون اكبر عدد ممكن من الافكار وهذه المرحلة تعرف بإسم مرحلة تدوين افكار الذهن . وفى اثناء الخمس عشرة دقيقة التالية عرض كل منهم الافكار التى دونها وتناقشوا فيها جميعا .

● اختلاف فى الرأى ●

مازال علماء النفس الذين يدرسون قدرة الفرد على الابتكار يختلفون فى رأيهم عما اذا كانت افضل الافكار الجديدة والمبتكرة تصدر عن الافراد أم عن الجماعات بعض منهم يؤيد اتجاه الافراد بينما يرى الاخرون أن الجماعة تقدم افكارا افضل اعتمادا على أن الافراد كمجموعة يمتلكون مزيدا من المعلومات وأن مناقشات الجماعة قد تؤدى الى التقدم واتخاذ القرارات ومن ثم التوصل للتفكير الخلاق . وبتطبيق وجهتى النظر على التجربة السابقة نجد أن الاقتراحات التى نتجت عن تدوين افكار الذهن شملت امكان الاستفادة من اللباد المتخلف فى صناعات حشو الاثاث أو العاب الاطفال او استخدامه كطبقة مغلفة لصناديق الميداليات او الهدايا التذكارية وبالمقارنة فان الافكار التى نتجت عن مرحلة التنشيط الذهنى الجماعى كانت مبتكرة مثل استخدام اللباد كوسيلة لتنقية الاصوات فى الصندوق الاجوف لبعض الالات الموسيقية او استخدامه لصنع الفتيل او مواد امتصاص بقع الزيت . ويقول إحد علماء النفس الذين اشرفوا على التجربة السابقة فى المحاضرة التى تلت التدريب ، ان الاساليب المبتكرة التى نستخدمها ، تؤثر على نوعية الحلول التى نحصل عليها فقد أوضحت الابحاث ان مرحلة تدوين افكار الذهن تصلح لتقديم الحلول القصيرة الاجل التى يمكن تنفيذها خلال عام ، لانها تشتمل على افكار تقليدية ، بينما تنتج عند مرحلة التنشيط الذهنى الجماعى افكار مبتكرة يمكن تطبيقها خلال ثلاث سنوات .

ومن خلال الابحاث توصل العلماء لاسلوب ثالث من اساليب الابتكار يتمثل فى جمع افراد المجموعة معا ، وعرض صور مختلفة عليهم بشرط ان تثير ردود فعل انفعالية مثل صورة للارض التقطتها الاقمار الصناعية ، وقد ظهر ان هذه الصور ستجعل الافراد يدركون المشكلة التى

يتناولونها بأسلوب مختلف مما يساعدهم على ابتكار الحلول الخلاقة ويصلح هذا الاسلوب للتخطيط الطويل المدى .

وهناك تجربة أخرى أجريت فى مركز القيادة الابتكارية حيث جلس المشتركون جميعا حول مائدة على شكل حرف « V » فى حجرة كبيرة كان يتدلى من سقفها شريطان . طلب المدرب من أفراد المجموعة ايجاد وسيلة لالتقاء طرفى الشريطين ، وسرعان ما ادرك الافراد ان النهايتين بعيدتان عن بعضهما ، بحيث يصعب ربطهما معا ، واقترح شخص ربط ثقل بطرف الشريطين لاطالتهما وحاول اخر ربط حزامه فى أحد الشريطين واقترح ثالث التقريب من موقع الشريطين من الاساس . يقول المشرف على التجربة ان اسلوب تحديد المشكلة يؤثر كثيرا على اسلوب الحل ، فبعض الافراد يحددون المشكلة ويسعون لاضافة نوع من التعديل عليها ، اى انهم مسلمون بوجود حدود معينة ، ففى المثال السابق يقترح البعض اطالة طول الشريطين بأسلوب ما حتى يسهل التقاؤهما ، اما الاشخاص المبتكرون فيفكرون جيدا فى المشكلة ويقترحون التقريب بين الشريطين . ان المبتكرين ليست لديهم قدرة ابداعية أكثر من المعدلين ولكن أسلوبهم مختلف .

ويرى المشرف انه من الافضل عند تكوين فريق ابتكارى ، أن يشمل المعدلين والمبدعين معا ، لانهم سيوضحون المشكلة ويعيدون تحديدها بأساليب مختلفة ومن خلال هذا التنوع ، تبرز الرغبة فى البحث عن حل للمشكلة ، والتوصل الى الحلول غير المألوفة التى تشغل الافكار البراقة . وعندما طبق هذا الاسلوب تمكن مجموعة من الباحثين فى احدى المؤسسات من الخروج على المألوف وتطوير نوع جديد من آلات تصوير الورق الملون .

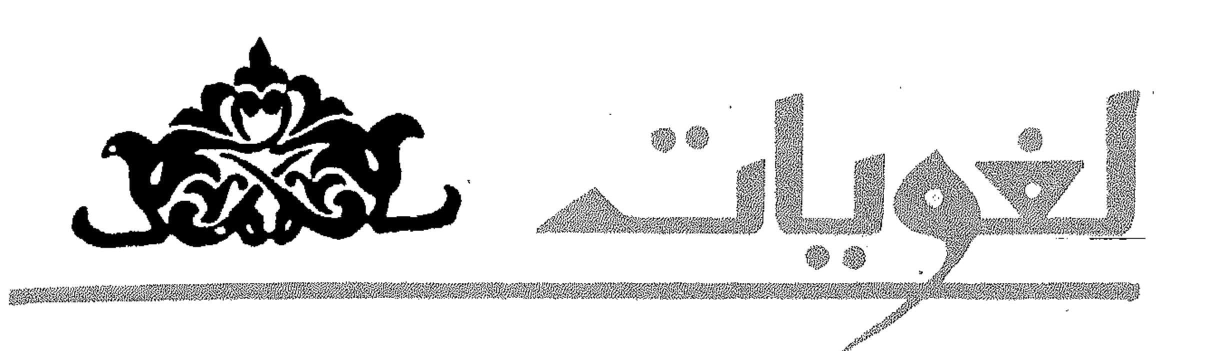
ويقول رئيس الابحاث فى هذه المؤسسة ان قسم التصوير بدأ على هيئة مجموعة صغيرة تشكلت لابتكار مصدر الضوء داخل ورق التصوير نفسه ، ثم استاجرت المجموعة مركز القيادة الابتكارية لعقد سلسلة من الندوات ، ونتيجة للتدريب المتواصل تمكن الفريق من ابتكار وتطوير عملية التصوير .

ومن المؤكد أن حاسة الابتكار لا تنشأ من فراغ ، فشخصية الفرد وحساسيته يؤثران كثيرا على قدراته ، وهذا ما ادركه مجموعه من مهندسى الكمبيوتر فى احدى الشركات ، حيث استعانوا بمجموعة من الشباب حديثى التخرج ولديهم حافز قوى للعمل والابتكار واشركوهم فى مشروع لتطوير جهاز كمبيوتر والذى أشار اليه «تراسى كيدار» فى كتابه الذى حصل منه على جائزة « نوبل » وكان يحمل اسم « روح الالة الجديدة » لقد قبل الشباب الحصول على اجر ضئيل والعمل طوال أيام الاسبوع وبالفعل نجحت الفكرة والمشروع معا .

ان على المديرين فى أى مجال للعمل تبنى وتشجيع الرغبات الداخليه من أجل ايجاد روح الابتكار بين العاملين .

ففى بحث اجرى على مجموعة من العاملين اشارت النتائج الى أن العوائق التى يواجهونها تتمثل فى القيود التى تفرض عليهم لتحديد نوعية العمل الذى يقومون به وكيفية أدائهم له ، وهم يرون ان اعطاءهم الحرية واتاحة الفرص امامهم لمناقشة وتطوير افكارهم سيكون له تاثير مذهل ، **لقد قامت احدى المؤسسات الامريكية منذ سبع سنوات بالخطوة الاولى لانشاء أول مكتب للافكار البراقة** يعرض فيه العاملون مقترحاتهم عن المنتجات او الابتكارات الجديدة . وتتلقى هذه المؤسسة مئات من الافكار سنويا ، ماكان يمكن ان نتوصل اليها بدون استخدام هذا الاسلوب ، ويتم تنفيذ مابين ٣ الى ٤٪ من هذه الافكار وهى نسبة عالية بالطبع .

ان هذه التجربة الامريكية الفريدة تقبل التطبيق فى كل مكان وزمان فالعقل البشرى لن يتوقف عن الابتكار ، ولكن اتاحة الفرص للمبتكرين ينقل الابتكار من حيز النظرية الى مجال التطبيق العملى ونامل ان ياتى اليوم الذى نتمكن فيه من انشاء المدارس لتعليم الصغار فن الابتكار منذ الطفولة .



● ظل العقاد الى آخر حياته يستعمل في كتابته كلمة "لاجرم" بفتح الجيم والراء وراأيت بعض الادباء الشبان يسخر من هذه الكلمة "الرجعية" ولا يوجد الآن من يستعملها ، حتى الذين يعرفونها لا يستعملونها حتى لا يسخر منهم الأدباء الشبان الذين لا يكاد الواحد منهم يقيم لسانه .. ويقال "لا جرم" بالتشكيل الذى ذكرناه ، اى لا محالة ولابد ، او بمعنى القسم على الشيء ورحم الله العقاد !

● والجرم ـ بكسر الجيم وتسكين الراء ـ هو احد الأجرام الفلكية فى السماء ، وقد سمعت بعض الأدباء فى الاذاعة أو التليفزيون يسميه "الجرم" بضم الجيم ، اى "الجريمة" .. والفرق بينهما هائل ، ولكن بعض الادباء لا يعلمون !.

● والجارم ، هو المجرم ، وهو ايضا الذى يكتسب شيئا ، أو يتم شيئا ، او يجنى التمر من النخل ، وكان الشاعر المرحوم على الجارم ، ينفى عن نفسه معنى المجرم الذى يحمله اسمه ، ويقول : اللغة واسعة ، وانا أضع نفسى منها حيث احب .

● فى السينما يسمون الفنان الذى يدير العمل الفنى كله "المخرج" وقد حاول بعضهم أن يجد لفظا آخر ترجمة للكلمة الافرنجية ، فلم يستطيعوا .. والحقيقة أن كلمة "المخرج" هى الكلمة المناسبة ، فان الذى يخرج العمل هو الذى يجعله ضروبا وألوانا ، وهذا هو عمل المخرج فى السينما والمسرح والتليفزيون .

● ومن الأخطاء الشائعة قولهم : فلان تخرج من كلية كذا .. لأن معنى "تخرج" تعلم وتدرب .. وفلان هذا تعلم وتدرب فى الكلية ، لا من الكلية ، وقد تخرج على أيدى المدرسين فى الكلية أو المعهد ، فهو متخرج وخريج .. والصواب أن يقال . فلان تخرج فى معهد كذا او مدرسة كذا الخ ..

● تكثر هذه الايام كلمة "الخيار" فيقال "الخيار الأردنى" والخيار الفلسطينى الخ .. ويختلط الأمر على بعض الناس بين الخيار وهو النبات المعروف الذى يأكلونه ، والخيار الذى هو اصطلاح سياسى ، ولهذا يفرقون بينهما بكسر الخاء فى الخيار المأكول ، وفتحها فى الخيار السياسى ، وهذا خطأ فإن الخاء فيهما معاً مكسورة ، ولا فرق فى نطق الكلمة بين الخيار السياسى والخيار المعروض عند بائع الخضروات



٥ يونيو

أثار مقال الدكتور فؤاد زكريا حول « ٥ يونيو فى فكرنا السياسى » ردود فعل واسعة ·· مما يؤكد أن مناقشة دروس الهزيمة واسبابها مازال أمرا حيويا ·· فمن الحقائق المؤلمة أننا لم نتعلم كما ينبغى مما جرى عام ١٩٤٨ ، ولم نتوقف طـويلا أمام ما وقع عام ١٩٥٦ ، واكتفينا بما حققناه من نصر سياسى فى حرب السويس ، وأرضانا ان اسرائيل لم تشترك فى هذه الحرب الا بعد حصولها على وثيقة تضمن اشتراك القوات البريطانية والفرنسية معها ، وعلى تعهد بأن يحمى سـلاح الجو الفرنسى والبريطانى أجواء اسرائيل ! ··

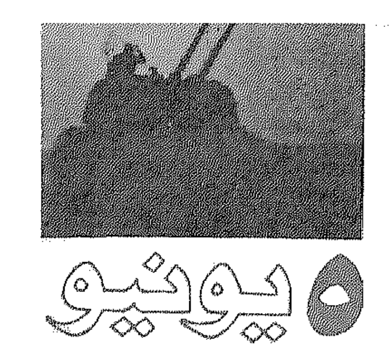
فاذا كانت هزيمة اسبرطة هى التى أدت الى تحقيق نصرها على أثينا ، واذا كانت هزيمة القوات البريطانية فى دنكرك هى التى حفزتها على انتزاع النصر فى الحرب العالمية الثانية ، ولعبت ذات الدور هزيمة القوات الامريكية فى بيرل هاربر والهجوم الصاعق الذى شنه الالمان على الاتحاد السوفييتى ، فقد حددت مصر أبعاد ما جرى فى ٥ يونيو وكانت حرب اكتوبر التى أخذت مسارا مختلفـا عن حرب ١٩٦٧ ، وجاءت النتيجة مختلفة ··

وبقيت القضية حية ساخنة وجاءت تعليقات كبار الكتاب تعكس مواقف فكرية متباينة ، وتنشر الهلال هذه التعليقات كجزء من الحوار الذى ننشده فى قضايانا القومية الكبرى ·

وما نحرص على تسجيله هنا ··

أن معركة يونيو ١٩٦٧ لم تكن معركة نظـام حكم بذاته ، وانما كانت معركة من أجل الوطن ومستقبله ، وفى حيـاة الافراد والامم كثيرا ما تقع أحداث جسام ، تتحدد نتائجها بطريقة مواجهتها ، وهل تقعـد الافراد والمجتمعات ، وتصـيبهم بالجزع وتفقـدهم التوازن ، أم يأخذون منها الدروس والعبر ، التى تساهم فى اكمال الطريق ··

ومما لا شك فيه أن مسئولية ما وقع فى ٥ يونيو يقع على الجميع ·· وعلي الجميع أيضا مسئولية استخلاص دروسها وعدم تكرارها ··

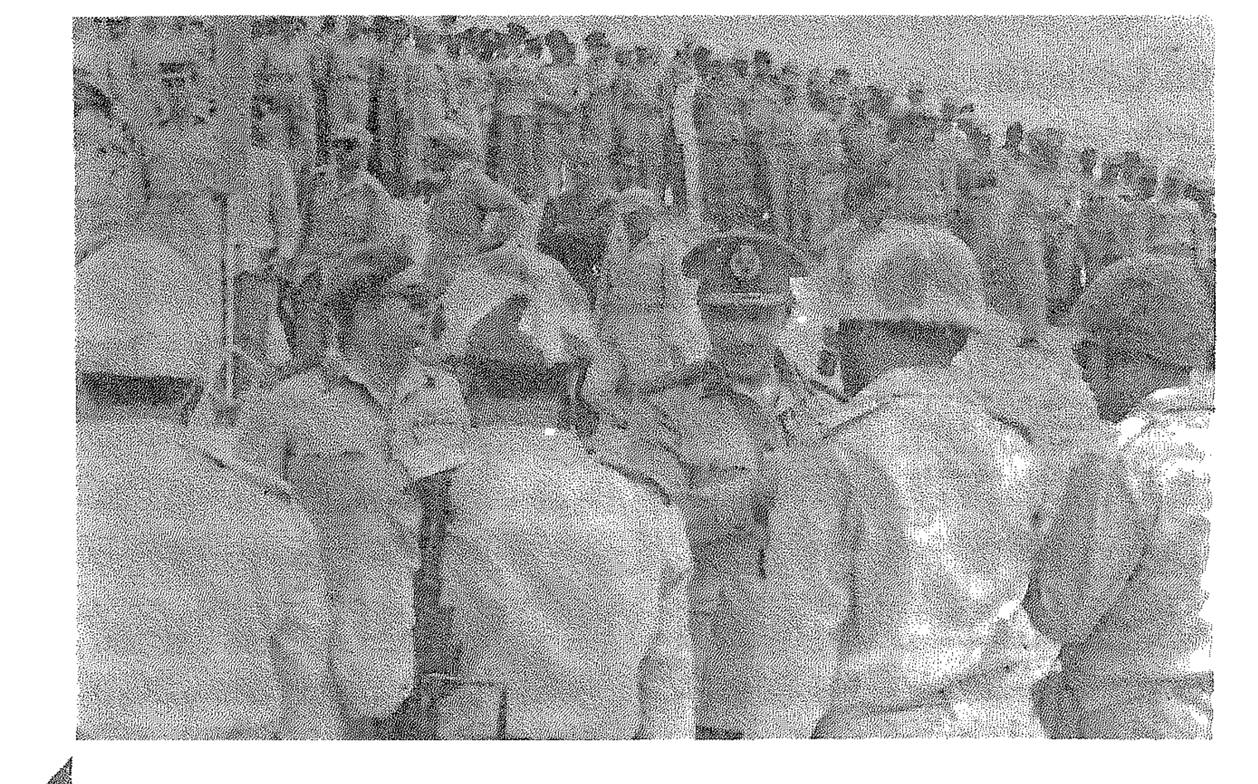


٥ يونيو

هزيمة ٥ يونيو وملحقاتها

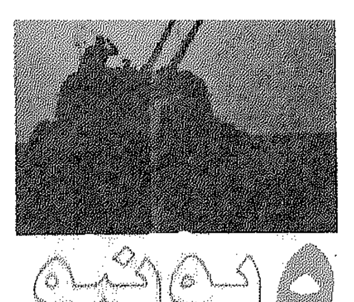
بقلم : فتحى رضوان

لقد سررت ايما سرور بالرد أو التعليق على مقال الاستاذ الفاضل الدكتور فؤاد زكريا حول التفاسير المختلفة لهزيمة ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ . ذلك لأنى لبثت احقابا استمع الكلام حول هذه الهزيمة ، وكان لكل كلام أسلوب ومنهج وكان لكل كلام غايته وهدفه ، وكان لكل كلام حافز ودافع . والحق أننى أول الأمر ساءنى هذا الكم الهائل من التعليق والتفسير ، على واقعة - فى رأيى - واضحة الحدود بينة المعالم - وان جاءت ثمرة أكوام من الأحداث القريبة غاية القرب ، والبعيدة أقصى البعد ، فقد بدا أن هذا الفيض المتدفق من الكلام حول هزيمة ٥ من يونيو ، ليست الغاية منه الرغبة فى تقصى الحقائق المتصلة بهذا الحدث الضخم ، والغوص الى أعماق عناصره ، والتوق الى كشف كل أسراره ، بفرط من الحب لمصر ، ولشدة الألم للهزيمة ، وانما الباعث الحقيقى لكل ماقيل وكتب ، هو يجاوز الهزيمة وأسبابها ونتائجها الى شىء آخر يقض مضجع أكثر المشاركين فيما يبدو أنه بحث ودراسة . وتعليق وتفسير . تلك هى ثورة سنة ١٩٥٢ ، فهى عند الكثيرين غول كاسر ، ذو أنياب وأظلاف ، وأنه التهم الكثير مما كانوا يعتزون به ، ويحرصون عليه ، وانه سيأكل اشياء اخرى عزيزة وغالية ، مالم يحيطوا به ، ويضيفوا عليه ، ويتهمونه بكل المقالب ، وينسبون اليه كل المصائب .



فالاحزاب القديمة التى كانت تنظر الى المستقبل القريب نظرة الطمأنينة والتفاؤل ، على اختلاف اسمائها ، هى فى الواقع بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو حزب واحد ، وهى كذلك بالنسبة للاحتلال البريطانى ، وهى نفس الشىء لتاريخ مصر السياسى وإن كان بعضها قد استأثر بأغلبية انتخابية ضخمة ، وان كانت الأحزاب الأخرى قد اطمأنت الى قلتها ورحبت بها ، لأنها كانت توفر لها من المزايا والمنافع ، والسلطة والنفوذ ، مثلما وفرت الأغلبية لحزب الأغلبية ، وربما اكثر مما وفرت لهذا الحزب ، فالاغلبية فى بلاد الأحزاب والانتخابات السليمة ، توفر لحزب الأغلبية مدة فى الحكم أطول ، وقدرة على التغيير أعظم ، وتأثيرا على الافكار والميول اكبر ، فى حين أن أحزاب الاقلية فى مصر ، تعمر فى الحكم مدة أطول من حزب الأغلبية وهى أثيرة عند أصحاب السلطة الحقيقية فى البلاد ونعنى الانجليز والملك أكثر من حزب الأكثرية ، وفى نهاية الأمر مامن حدث أكبر يقع فى البلاد الا وتدعى أحزاب الاقلية لتساهم فى معالجة هذا الحدث وابداء الرأى فيه ، على قدم المساواة مع ممثلى حزب الكثرة ، ففى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ مثلا دعى زعماء الاقلية مع زعيم الاغلبية ، وكان لهم صوت مسموع ورأى معلن مثل ماكان لزعيم حزب الكثرة هذه . كذلك دعى زعماء احزاب الاقلية ليساهموا فى تشكيل لجنة المفاوضات حتى ممثل حزب الاتحاد الذى كان قد انقضى على انقضاض اعضائه وغلق داره وجريدته وفشله المستمر فى أن يكون له نائب واحد ، حتى ليذكرنا اليوم حزب الأمة فى القاهرة بحزب الاتحاد الذى وسد التراب عقب ولادته بقليل .

ولذلك فثورة سنة ١٩٥٢ كريهة جدا الى قلوب زعماء الاحزاب التى سدت ثورة ٢٣ يوليو أبواب رزقها ، كما سدت طريق حياتها ، فلم يعد لها وجود ، ولا أمل فى المستقبل حتى بعد أن أجهضت هذه



الثورة على يد أنور السادات . وقد جرى على نهج الكراهية ابناء زعماء هذه الثورة وأحفادهم وأصهارهم وتابعوهم من خدم وحشم وكتاب وموظفين فى الحكومة والشركات فقد كانوا يكسبون الكثير من اتصالهم بتلك الأحزاب سواء كانت فى الحكم أو كانت خارجه . اذ احترم اتباع تلك الاحزاب جميعا معاهدة غير مكتوبة ولا موثقة موادها لتخدم بعضها بعضا عند اتباع الاحزاب ، ونحن فى الحكم أو أنتم فيه فتلك الأيام يداولها الله بين الناس . فان وصلتمونا ونحن خارج الحكم ، وصلناكم ونحن فيه . وقد قال الناس جميعا آمين . وهناك مجموعة أخرى من خصوم الثورة الأوفياء . وهى تضم كل من أصابه ضر سواء بأخذ أرضه الزراعية ، أو بوضعه تحت الحراسة ، أو بايداعه فى معتقل ، أو فى تقديمه لمحاكمة ، أو بحصول شىء من هذا ، لأحد ابنائه أو زواج بناته ، أو عائلة كان يكسب منها ، وبعض الناس كان يتصور أنه يتمتع بسلطة أو مال أو جاه ، وضيعته الثورة فراح يشكو ادعاءً للوجاهة المستجلبة ، حتى صدق نفسه ، فأصبح خصماً لدوداً للثورة وأعرف رجلًا فقيراً لم تأخذ منه الثورة ولا سهما من قيراط من فدان كان دائم الشكوى من الاصلاح الزراعى الذى أضر بالبلاد . والذى لم يقرره ضباط الثورة لاصلاح ولا لحب الفقراء وانما خلقا لفرصة للسلب والنهب ، وقد سلبوا بالفعل ونهبوا حتى كانوا يتقيئون الفلوس تقيؤا هكذا كانوا يقولون .

أما الطبقة المتوسطة من الاطباء والمحامين والمحاسبين والمدرسين والصحفيين ، فقد كرهوا الثورة لعلل كثيرة بعضهم راى ان الثورة قد فتحت الابواب لامثالهم فجعلت بعضهم وزراء وأخرين سفراء وفريقاً ثالثا من رؤساء مجالس الادارات وفريقاً رابعاً كانوا ضباطا فاصبحوا أصحاب سلطة ونفوذ لمجرد كونهم ضباطا سابقين .

وبقى هؤلاء المدنيون فى أماكنهم أو تحسنت أحوالهم قليلا ، ولكن ليس بالقدر الذى يعتقدون أنهم يستحقون مع أنهم أذكى وأقدر وأعلم ممن سطع نجمهم وعلا صيتهم وربما يكون غضبهم قد أثير لبعض أمور ، رأوا أن الثورة أخطأت فيها ، فأصبح لديهم مايقولونه حبا فى المصلحة العامة ، حرصا على خير البلاد . والواقع أن كراهيتهم للثورة سبقت كشف هذه الاخطاء .

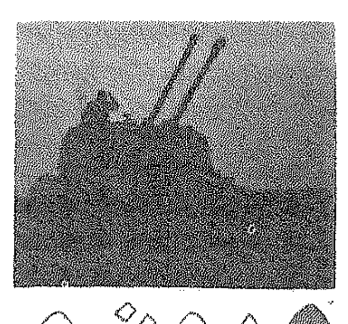
وهناك فريق أخير يكاد يكون من المرضى فهو محافظ لغير مصلحة شخصية هو محافظ بالمولد والطبيعة . فهو حزين لأن الملك فاروق عزل ، حزين لأن باشوات زمان كانوا مخلوقين وزراء وكانت ملابسهم وربطات أعناقهم تؤكد أن الوزارة رسمت لهم ، فى حين أن هلافيت هذه الأيام الذين يصلون الى الوزارة والسفارة ، تنقصهم الوجاهة ، ويعيبهم قلة الوزن ، وصغر الكرش وضمور الوجود أو امتلاؤها ولكن بغير المقاييس التى ترضى عنها هذه الجماعات التى تحب كل

قديم وهم لايتذكرون علم مصر الاخضر حتى يبكوا ولم يروا صورة فريق ذى شوارب مثل عثمان باشا المهدى حتى ينتخبوا هؤلاء لم يكفوا عن التحدث عن الثورة الا باعتبارها لعب عيال وان (عبد الناصر وزملاءه) لا فى العير ولا فى النفير ولكن الخطة خطة فاروق لأنه بعد آن عرف الضباط الاحرار وكان يعرفهم جيدا ـ لم يشنقهم فى ميدات العتبة الخضراء ويريح البلاد مما فعلوا ومما سيفعلون والعياذ بالله العظيم .

هؤلاء جميعا سرتهم ـ فى الواقع ـ هزيمة ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ وان كانوا قد اهتبلوها أى انتهزوها ، ليلطموا الخدود ، ويشقوا الجيوب لأنها فرصة لا يضيعها عاقل ، ليؤكد بطريقة علمية . آن هزيمة مصر فى ذلك اليوم آمر راجع لأشياء خطيرة ورهيبة يجب آن نضع اليد عليها ، حتى لا تتكرر الهزيمة من جهة ، ولكيلا يقوم نظام شبيه بالنظام الذى قاد مصر والعرب الى هذه الهزيمة المنكرة ، ولكيلا تقوم ثورة مشابهة لهذه الثورة التعسة التى الحقت بنا هذا العار الذى سيبقى عالقا بشرفنا حتى يوم القيامة .

وكل هذه الردود ، هى ردود فعل انسانية ، ليس فيها شيء غريب ، فهزيمة ٥ من يونيو لم تكن هزيمة عادية من أى جانب . فهى من ناحية الحجم والضخامة ، كانت هزيمة منكرة بالمعنى الحرفى لهذا اللفظ فقد تمت فى وقت قصير عالمياً ، فالتاريخ الحديث والقديم لم يشهد حرباً جارفة وصاعقة وخاطفة كهذه الهزيمة ، وان كانت الهزائم الفرنسية آمام الجيش الالمانى الهتلرى ، كانت بهذا المقدار من الفداحة وربما أكثر لو آدخلنا فى حسابنا ماضى الجيش الفرنسى القريب فى الانتصارات وحسن استعداده وتمتعه بالقواد العظام الذين ابلوا بلاءً حسنا فى مواقع ذات صيت بعيد واثر عظيم .

وقد كانت أيضا هزيمة بالغة الفداحة لانها جاءت حلقة فى سلسلة من الاحداث شاركت فيها مصر الثورة ومصر الدولة . حتى آصبح كل مايصدر فى مصر خطير . وقد كانت الحركة العربية نحو الوحدة قد تقدمت تقدما عظيما على آثر تأميم قناة السويس . ثم حرب السويس التى شاركت فيها بريطانيا العظمى ثم فرنسا . وآخيرا اسرائيل ، والتى كانت الحرب الدولية الاولى التى حسمت نتائجها الامم المتحدة لأول مرة . وقد جاء فى اعقاب هذه الحرب التى انتهت تماما فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ أى بعد جلاء جميع الدول المشاركة فى الحرب عن الارض التى احتلت . وسقوط الحكم الهاشمى فى العراق . وقد كان لهذا السقوط دوى هائل لما للعراق من أهمية عسكرية وسياسية لقربها الشديد من حدود الاتحاد السوفييتى ولايران ولتركيا ولسوريا ، وكل هذه الاقاليم حساسة الى أقصى حدود الحساسية عربيا ودوليا ، وكانت مصر كبيرة جداً فى خيال الكثيرين بعد انتصاراتها فى الفترة منذ هزيمة بريطانيا وفرنسا واسرائيل وانسحابهم من الأرض المصرية التى احتلت ، وبقاء قناة السويس فى يد مصر ، بعد محاولة أكبر دولتين اوروبيتين سحب القناة من أيدينا . حتى الذين يسلحون مصر والذين لا يسلحونها كانوا يتصورون ان مصر اذا حاربت حتى ولو كتبت عليها الهزيمة آخر الأمر ، فستحارب جيداً وستصيب الاعداء اصابات قاتلة وستثبت فى مواقعها ، وستحسن استعمال الاسلحة التى حصلت عليها ، وسيبدو أن جيشها اكتسب مرانا





بفضل التدريب الطويل الشاق والمعونة السوفييتية التى منحت مصر خير مالديها من سلاح وتدريب . ولذلك كانت الهزيمة مفاجأة كبيرة للجميع .

ولو نوقشت الهزيمة فى حدودها الحقيقية السياسية والعسكرية ، لما كان هناك شىء يدعو الى الشكوى . فهى هزيمة ولم يكن فى مقدور احد أن ينكر كونها كذلك ، وقد تضاءلت عقب حدوثها الى الحدود الدنيا اذ لم يترتب عليها شىء مما كان يمكن أن يبنى عليها فالنظام التى تمت الهزيمة فى عهده ، لم يسقط ، ولم يشرع أحد فى الانقضاض عليه ، والنظام الذى كان يحكم فى مصر لم يغير شيئا لا فى اسلوب ولا فى منهج ولا فى الخصائص الكبرى التى عرف بها . وهو أمر غريب جداً فى حياة الأمم ، ففى أكثر الاحوال ، إن لم يكن فيها جميعا ان النظام القائم المهزوم خصوصا اذا كان تقصيره فى الحرب كبيرا ، لابد أن يسقط .

● أسباب الهزيمة ●

ولست أعتبر ماقاله المتدينون من أن هزيمة سنة ٦٧ ، كانت بسبب ضعف عقيدتنا فى الدين ، وبعدنا عن طريق الله ، بالشىء الغريب ولا هو بالقول المغرق فى الخطأ . ذلك لأن المتدين . اذا كان صادقا فهو يؤمن بطبيعة الحال أن ضعف الايمان بالله يؤدى الى بوار الأمم . وخسرانها لأنهم يؤمنون بأن الله قال إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . وهم غير مخطئين لأن عقيدة المحاربين هى رأس مالهم الروحى ، أيا ماكانت هذه العقيدة ، فان الاعتقاد فى مبدأ ما ، حينما يكون هذا الاعتقاد خاليا من المصلحة الشخصية ولم يكن مجرد تظاهر يمنح المعتقدين قوة تعينهم على تحمل متاعب الحرب ، وتثبت أمام شدائد القتال وتحميهم من السقوط فى وهدة اليأس ، حينما تنزل بهم المصاعب ، أو تحل الهزائم فليس الايمان بنصر الله ، مجرد كلام غيبى ، بل هو حقيقة علمية ، أكدتها جميع الحروب فكلما كان المقاتل مؤمنا بالهدف الذى يقاتل فى سبيله ، كلما كان نصيبه من النصر أكبر وثباته عند الشدة أوضح اعتقادا .

أما القول بأن هزيمتنا سنة ٦٧ مردها الى الاشتراكية ، فهو فى الواقع الصيغة الثانية للتعبير عن الاعتقاد باننا هزمنا لأننا تركنا الاعتقاد فى الله ، باعتبار أن الاشتراكية هى قرب من الالحاد ، والبعد عن الله ، عند الكثيرين الذين لا يعرفون شيئا واضحا عن المذاهب الحديثة سواء كانت من مذاهب اليمين الفاشية والنازية والبراجماتية والوجودية أو كانت من مذاهب اليسار كالاشتراكية والشيوعية والوجودية اليسارية ، والواقع أن القول بأننا هزمنا لأننا اخترنا طريق الاشتراكية هو غير مستقيم ، بل لأن ايماننا بالاشتراكية لم يكن كاملا ، والايمان الذى تحتاج اليه الامم فى نضالها من اجل مستقبل أفضل ، وأسلوب حكيم أصلح ومنهج حياة أقوم ، لابد أن يكون ايمانا عميقا عامرا يستأثر بكل خلجة من خلجات النفس ، وبكل نبضة من نبضات القلب ،

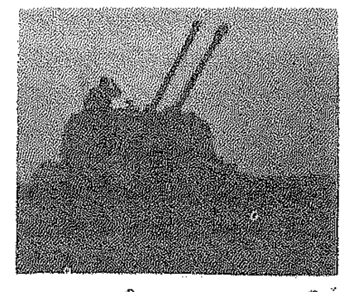
ويكون هذا الايمان عقيدة الأغنياء والفقراء ومتوسطى الحال ، وعقيدة الجهلاء والمتعلمين كل فئة أو طائفة أو جماعة بأسلوبها لكنهم جميعا يتساوون فى التسليم بصحة المذهب ، وبأنه وسيلة العلاج ، ودواء الادواء ، وسبيل الاصلاح

اما اذا كان قد شاب ايماننا شك فنحن خاسرون ، الا أن يكون ايماننا بالقتال . قام على عقيدة وطنية ، وضعت جانبا جميع المذاهب والعقائد واعتقدت أن الوطن فى خطر ، وأن واجب كل مواطن الدفاع عن هذا الوطن ، والاستشهاد فى سبيله وبذل الغالى والرخيص من أجله ، فهذه عقيدة مؤثرة ، تنطوى على حافز قوى ، لو أحسن القادة اثارته أولا ، ثم الانتفاع به ثانيا .

فنحن لسنا عجباً بين الامم ، حينما يعتقد فريق منا بأن الاشتراكية هى التى هزمتنا ، فقد قيل شبيه بهذا الكلام فى كل دول اوربا المتمدينة والسائرة على طريق العلم وحقائق الوجود الثابتة ، فحينما كانت النازية والفاشية واشباهها سائدين فى العالم ، يستميلون الكثير من الناس ومن الاحزاب ومن القادة ، كان الكفر بالديمقراطية هو شعار تلك الأيام ، فلما قامت الحرب ، وتهاوت دول الغرب ، فى ايام معدودة امام جحافل النازية واشتد قتالها الساحق الذى كان يحصد الشعوب والجيوش فى ساعات لا ايام كان الكثيرون يعتبرون هذا دليلا على فشل الديمقراطية فى جانب ، والشيوعى فى جانب أخر ، ولما جاءت الولايات المتحدة لنجدة أوربا فى وجه النازية الألمانية وحدها ، وأجلت جيوش أوربا وأمريكا مجتمعة ، يوم النزول على شاطىء نورماندى فى أقصى غرب اوربا ، كان ذلك تأكيدا لفشل الديمقراطية ، وخوائها الروحى ، وفساد الأسس التى قامت عليها . فلما رجحت كفة الديمقراطيات فى السنتين ٤٤ و١٩٤٥ ، عاد الايمان بالديمقراطية ونسخت مذاهب النازية والفاشية أى مذاهب الشمولية .

● التآمر الخارجى ●

أما رد الهزيمة الى التآمر الخارجى على مصر ، فليس الا الحقيقة التى لا يجوز الخلاف حولها مع تغيير بسيط فى الصياغة . فالهجوم الخارجى على مصر متمثلا فى اسرائيل المؤيدة بالولايات المتحدة ، هو السبب المباشر للهزيمة بلا شبهة ولا شك بدون حاجة الى اضافة لفظى التآمر الخارجى فالتآمر يوحى بأن هناك عملاً كان يدبر له فى الخفاء ، وانه استمر يعمل داخل صفوفنا ، وفى صفوف قواتنا المسلحة فى حين أن الهجوم على مصر بوصفها قائدة للشعوب العربية ، وداعية الى الوحدة العربية ، كان حقيقة واقعة ومعلنة ، فالقتال بين مصر ودول الشعوب الغربية لم ينقطع منذ بداية القرون الثلاثة الأخيرة ، قبيل الغزو الاوربى للجزائر سنة ١٧٣٠ ثم سائر الشعوب العربية فى الفترة التالية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . والغرب منذ بداية القرن الحادى عشر ، التى اندلعت فى مفتتحه (اى مفتتح هذا القرن) ، قلبه يتلهب بطمع مشتعل فى أن يضع يده على الشرق العربى الذى يضم مصر وسوريا وفلسطين والذى يتوسط العالم العربى الممتد من الخليج الى المحيط ، والذى يضم من الثروات المادية المكشوفة والمخبوءة ، ومن الذخائر الروحية دينية



وادبية وفلسفية مالا نهاية له ، ولا مثيل له فى اية بقعة أخرى من الأرض الى جانب الموقع الفريد الذى يمسك بيديه أطراف الشرق واطراف الغرب ، ويترامى اثره عند ملايين من البشر متنوعى الأجناس والالوان واللغات . فاذا اصررنا على استعمال عبارة (المؤامرة الخارجية) فلابد أن نعرف أن هذه المؤامرة ترجع الى قرون ، وقد أخذت صوراً واشكالا متباينة ، واستغلت فرصاً بعضها من صنع المتآمرين أنفسهم ، وبعضها من صنع أهل المنطقة عن تعمد أو عن غباء ، وسوء تقدير أو كسل طرأت عليهم بحكم توالى السنين والقرون والحروب والمناوشات ، من هؤلاء الأعداء الذين يطير النوم من عيونهم ، حينما يتصورون أن المنطقة العربية قادرة على أن تجتمع وينسق عمل أهليها ، وتتوق الى استعادة المجد ، وبعث الماضى ، حقاً وصدقاً ، فان الغرب يعلم أن هذه المنطقة هى منطقة سيادة وزعامة وقوة وسلطة ، ومن ثم فان بث الوهن فى قاطنى أراضيها ونسخ عقولهم ، وفصل صلاتهم بثقافاتهم وأصول حضارتهم ، هو شغل زعماء الغرب .

وقد مرت على مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، حلقات من هذه المؤامرة كانت الحلقة الأولى مناصرة نظام محمد على ثم القضاء عليه ، وفرض معاهدة سنة ١٨٤٠ على مصر وعزل الخديو اسماعيل فى يوليو ١٨٧٩ ، ثم هزيمة عرابى سنة ١٨٨٢ ، ثم محاولة غزو مصر واعادة الاحتلال البريطانى بعد فترة قصيرة من الجلاء الناقص فى يونيو ١٩٥٦ فأمريكا ، كانت قد عقدت العزم ـ بعد ان أفلتت مصر من الهزيمة الكاملة بعد تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، على أن نظام عبد الناصر وقف تماماً فى وجه مايوحى به هذا النظام بخيره وشره وقوته وضعفه من طموح ضخم للعرب ، وتمرد عظيم ضد الغرب واطماعه الاستعمارية والحجة موجودة ، والوسيلة موجودة ايضا ، وكلا الحجة والذريعة يتجسدان فى اسرائيل ، ولذلك كان من الطبيعى ـ مهما فعل نظام عبد الناصر ـ أن تحدث الغزوة أو الهجمة على مصر فى ٥ من يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأن تكون نهايتها هزيمة مصر العسكرية واكتساح منطقة سيناء واحتلالها . فالحقد الذى تضمره الدوائر الاستعمارية وتعلنه ، والفرق الهائل بين قوة مصر العسكرية والاقتصادية وبين القوة الاستعمارية المتمثلة لا فى الولايات المتحدة وحدها بل فى أوربا كلها والمسيحية الاستعمارية التى تريد أن تطوق الاسلام لا لحساب مبادىء السيد المسيح ، ولا ايمانا بها ، بل لحساب المصالح التجارية والأهداف السياسة . ولا ينقص من هذه الحقيقة أن فيتنام صمدت أمام أمريكا مع أنها دولة فقيرة وأقل شأنا من مصر من كل جانب ، ذلك لان طبيعة الأرض فى فيتنام وهى أرض مستنقعات وأحراش وغابات ومناطق شبه جدبة غير أرض مصر المنبسطة الخالية من الجبال والتلال والهضاب . وشدة

تقشف الشعب الفيتنامى بتأثير العقيدة الدينية ، وظروف الحياة الخالية من اسباب الترف والميل الى الراحة ، والعجز عن مواصلة الحرمان . هذا كله مضاف الى الظروف المتغيرة فى كل حرب وصراع بين دول بعينها ففرنسا النابليونية التى اكتسحت النمسا وبروسيا وروسيا ، هى فرنسا التى هزمت على يد بسمارك فى حرب السبعين أى فى سنة ١٨٧٠ والتى هزمت مرة أخرى فى سنة ١٩١٤ أمام جيوش غليوم الثانى وغلبت ثالثا أمام جحافل هتلر .

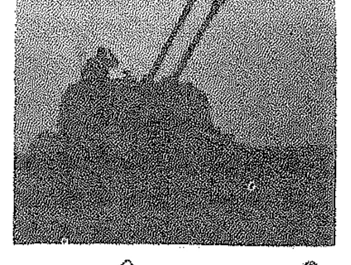
● سبب الهزيمة الحقيقى ●

ولكن لاشك فى أن نتائج الحرب - أى حرب - يمكن أن تتغير بفضل قدرة كل من الطرفين على المناورة ، والاستعانة بالحلفاء ، وتغيير السياسة المتبعة دوليا أو داخليا فمحمد على ومن قبله على بك الكبير استطاعا أن ينشئا مصر العظمى ، وأن يمتد سلطانهما على الشام واليمن وأوربا فى مرحلة ، ثم هزما فى مرحلة تالية ، والقيادة هى القيادة والاقليم هو الاقليم وأنا أعتقد أن نتائج حرب سنة ١٩٦٧ كان يمكن أن تتغير أو تخف وطأتها على الاقل لو اتبعت مصر سياسة أخرى مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية ، ولكن فى جميع الأحوال كانت اطماع الغرب فى انزال الهزيمة بمصر ، وبنظام عبد الناصر قراراً نهائياً عند الولايات المتحدة واسرائيل ، والهزيمة - على قوتها - ليست كل شىء فيها - بمعنى أن اسباب الهزيمة يمكن أن تكون أوجع من وقوع الهزيمة . وهنا نعنى بأسباب الهزيمة مايترتب عنه لاحداث الهزيمة بهذا النطاق وبذلك العمق . والواقع أنه لم يعد هناك شخص يريد أن يخفف منها ، أو يدعى اسباب واقعية أو غيبية عن الاسباب الحقيقية . وقد قيل كل شىء تقريباً ، ومن صاحب اختصاص لا ينافس ولا يبارى ذلك هو الفريق أول محمد فوزى فى كتبه حرب الثلاث سنوات ، فقد رسم صورة مبكية ومضحكة ، لهذه الهزيمة والغريب فى الأمر أن الذى رسم هذه الصورة القاتمة المخزية ، هو القائد العام للجيش الذى يلحق به أولا وقبل أى انسان أخر كل حرف كتب فى هذا الكتاب .

ولاشك أن أثر هذا الذى كتب وذكر ، يخف كثيراً بعد حرب سنة ١٩٧٣ فقد عوض الجيش المصرى والشعب المصرى والقيادة السياسية كل مالحق بنا وبشرفنا وبقدرنا كأمة مقاتلة ، فى حرب ٦٧ ، وانتصار سنة ٧٣ وإن ضاعت قيمة **هذا النصر الباهر والضخم بالتواطؤ السياسى الصريح ولكن هذا التواطؤ الذى حال بيننا وبين الوصول الى الممرات والمضايق ، والوقوف قبلها والسكوت على الثغرة ثم ماتم بعد ذلك من فض الاشتباك الأول ، ثم التجهيز لرحلة القدس .**

إن العظة التى يجب أن نستخرجها من الهزيمة ، يتحمل النظام وزرها ، ولكنها ليست من صنعه وحده ، فهى تراث أجيال متعاقبة .

إن الذى ألحق بنا الهزيمة المنكرة ، هو عجز (ادارى) توارثناه ، وهو يزداد تأصلاً بعد كل بضعة سنوات ، وأكاد أقول كل بضعة ساعات ، فنحن لا نعرف كيف ننظم احتفالا أو مهرجانا ، ويبدأ هذا العجز بأول خطوة ادارية نقوم بها . وهى





تحرير بطاقات الدعوة وتحديد الموعد وتوزيع البطاقات على المدعويين . الخطأ فى كتابة صيغة الدعوة على الآلة الكاتبة . فأى بضعة سطور تكتب على هذه الآلة ، تمتلىء بالاخطاء . وفى أخر مؤتمر حضرته منذ اسابيع ، لم أجد مكانى فى القاعة .

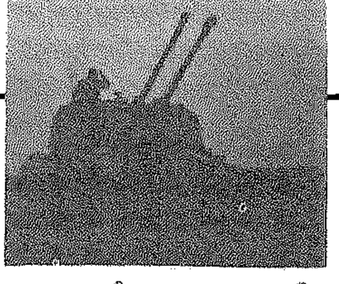
واذا كان موشى دايان حينما قال انه على المصريين أولا أن ينظموا صعودهم الى السيارة العامة ونزولهم منها قبل أن يفكروا فى انزال الهزيمة باسرائيل ، فأن هذه الكلمة القصيرة تعنى فى الواقع كل مانريد أن نقوله عن العجز الادارى الذى قامت الدلائل منذ الفراعنة على نقيضه فى قرون عقب قرون كان تحديد التفاصيل والجزئيات ، وضمها بعضها الى بعض فى خطة . والصبر على التدريب وموالاته ، واجراء التجارب الجدية المظهرية ، والتمسك بما رسم من خطط ، وما صدر من أوامر ، كما لا يجوز أن تتغير الخطة الا بناء على ضرورة حقيقية تقتضيها ، ولا يعدل عن أمر الا اذا حل محل أمر آخر أكثر صلاحية .

هذه هى التربية الوطنية فى الميادين المدنية والمجالات العسكرية على السواء . وهى التى تنقصنا على السواء والى الآن ، بلا اى شعور فى المدرسة أو البيت أو النقابة أو الحزب ، لضرورة هذه التربية والمبادرة بها ، ووضعها فى رأس الأولويات ، والتشبث بها لسنوات عديدة حتى تصبح طبعا وخلقا ودينا ، قد كنت أكرر أن حديثى رسول الله الذى يقول أولهما : اذا قلت لجارك أنصت والامام يخطب ، فقد لغوت ولا أجر لك والذى يقول الثانى : ان الله لا يحب أن ينظر الى الصف الأعوج هما خلاصة لحضارة وجوهر الثقافة وأساس التمدين والتنظيم والحرب والسلام .

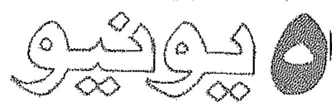
فمجرد النطق بلفظ فى وقت يراد فيه الانصات الكامل ، هو ترويض وضبط للنفس ، وتعليم لآداب الحرب والسلام ، وفى قاعات الموسيقى السيمفونية ، يمتنع على النظارة أن يسعلوا ، مجرد سعال . وهم لذلك يحسنون تحمل آلام وويلات الحرب .

وكون الله لا يحب النظر الى صف أعوج كلام خطير جدا فالله العظيم الذى خلق الكون بل الأكوان قد لا نتصور انه يشغل بالصف الأعوج ولكن الصف الأعوج ، بلاء نعانى منه فى الطريق ، وفى السفر ، وفى المتجر وفى كل خطوة ، ويصبح آفة تلاحقنا فى كل موقع حتى نهزم كهزيمة ٥ من يونيو ، فيكون محلا للسخرية فى العالم كله .

صحيح أن ثورة ٢٣ يوليو ربما لم تفطن لهذا التوجيه ، فورثت مصر لا تطبق النظام ولا تسير عليه ، ولكنه ليس خطأها وحدها فانه خطأ خلفته سنوات الانحلال والتفكك والتردى - والدليل على ذلك أن هزيمة ١٩٦٧ لم تسقط عبد الناصر عن مكانه العالى ، ولم تزحزح ثورة ٢٣ يوليو لا فى العالم ولا فى الوطن العربى .







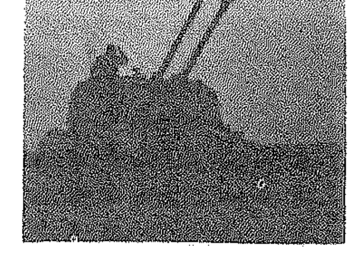
العوامل الذاتية والموضوعية في تفسير الحدث

بقلم : محمد سيد أحمد

كان الدكتور فؤاد زكريا على حق تماما وهو يؤكد ضرورة ان نولى « حدث ٥ يونيو ١٩٦٧ » ما يستحق من اهتمام وان يكون لفكرنا السياسى شجاعة التصدى للكارثة التى وقعت فى ذاك اليوم لتشريح الحدث ، ودراسته دراسة متعمقة متمثلة بتجرد وموضوعية .

ذلك أنه « حدث » كما اكد الدكتور فؤاد زكريا ، سوف تعيش اثاره معنا طويلا ، ولن نتخطى هذه الاثار لو اكتفينا فقط بتجاهله ، او تناوله فقط على نحو قد يكون له مبررات سياسية لدى هذا الفريق او ذاك ، ولكن لا يمت الى التجرد العلمى والموضوعية فى شيء . والواقع أن « ازدواجية » المواقف بشأن « الحدث » دون أن يكون هناك حسم ، أى أن يكون هناك من جانب من يتعرض لحقائق عهد عبد الناصر ويتحدث عن كل شيء فيه الا عن أحداث ٥ يونيو ذاتها ، ومن جانب اخر من لا يتحدث الا عن كارثة ٥ يونيو ، وكأنها وحدها عنوان العهد الناصرى كله .. فان هذه « الازدواجية » هى فى حد ذاتها دليل على ان هذه الدراسة المتعمقة المتمعنة المتسمة بالتجرد والموضوعية ، لم يقدم عليها احد بعد ، وهى مهمه وارد انجازها بالحاح ، كحلقه اساسية فى أى مشروع مصرى ، أو حتى عربى ، لمواجهه محنتنا الراهنه والعمل من اجل تجاوزها .

وقد عبر د. فؤاد زكريا عن هذه « الازدواجية » فى المواقف ، بنظريتين





في تقسير أحداث ٥ يونيو تناولهما باسهاب وعمق ، نظرية « المؤامرة الدولية » التي ترجع الهزيمة الى عوامل خارجية ، وبوصفها ـ بالذات ـ « مظهرا من مظاهر المد الامبريالي الذي بدأ منذ أواسط الستينات ، وأحرز انتصارات هامه في السبعينات ، وانتقل الى مرحلة الهجوم المباشر في الثمانينات ، فاستطاع خلال هذه المراحل ان يجهض معظم تجارب الحياد ومحاولات السير في طريق الاشتراكية والتنميه المستقلة ، وهي المحاولات التي ازدهرت في العالم الثالث خلال العقد الممتد من ١٩٥٥ الي ١٩٦٥ » ، وهي النظرية التي يقول بها « الناصريون المتشددون » ، تقابلها نظرية خصوم عبد الناصر والتي ترجع الهزيمة الى « التركيب الداخلي للنظام » ، وانقسم هؤلاء الى فريقين ، فريق يعلل الهزيمة « بالتوجه الاشتراكي للنظام » ، ويمثله بالذات حزب الوفد الجديد ، وفريق يعللها بالتوجه العلماني للنظام » ، ويتشكل هذا الفريق الثاني من الجماعات الاسلامية أساسا التي رأت في الهزيمة « انتقاما الهيا من الظلم الذي لحق بعدد هائل من انصار الحركة الاسلامية ، فضلا عن انها في نظرهم هي النتيجة الطبيعية لنظام يخضع في قراراته وتشريعاته لما يمليه العقل البشري القاصر ، ويطرح جانبا شرائع الحكمة الربانية الخالدة ..

وخلص د. فؤاد زكريا الى أن « كلتا النظريتين على خطأ ، وان هذا الخطأ ليس فكريا أو نظريا فحسب ، بل انه يرجع في المحل الاول الى تأثير العوامل الذاتية في العقول ، والخلط بين المصالح والفكر الموضوعي » .

ولا شك في ان جدلية العلاقة بين ما هو « ذاتي » وما هو « موضوعي » في تحليل « حدث » معين ، قضية بالغة الاهمية من زاوية المنهج .. ودراسة د. فؤاد زكريا محاولة لتخطي التفسيرات « الذاتية » الى تفسير « موضوعي » لاحداث ٥ يونيو من خلال « نظرية ثالثة » مستنبطة من المناقشة المفصلة لاخطاء النظريتين السالفتي الذكر ، نظرية ثالثة « لاتقدم تفسيرا اوضح لهزيمة يونيو فحسب ، بل تسهم ـ وهذا هو الاهم على حد قوله ـ في انارة طريق الحاضر وتوضيح اتجاه الخلاص في المستقبل » .

غير أن الدراسة مع ما تقدمه من حجج قوية في تفنيد النظريتين ، وفي كشف « ذاتيتهما » ولو من باب انهما « احاديتا الجانب » ، بمعنى انهما صحيحتان جزئيا فقط . ولا تتناولان الحقيقة الا من زاوية محددة فقط ، وهي الزاوية التي تخدم الاهداف « الذاتيه » لاطراف « ذات مصلحة » في طرحهما ، فانها في النهاية دراسة لا تقدم جديدا متميزا يرتقي الى مستوى « النظرية الثالثة » ، ولا تعدو

أن تكـون عملية تركيبية لما وصـفه الدكتور فؤاد نفسه بعناصر صحيحة فى النظريتين ، باعتبارهما لا تتعارضان بل فقط لا تلتقيان .. ذلك مع تكملتهما « بوجهة نظر » يصفها د. فؤاد بانهـا « قد تضيف بعدا جديدا الى ما قيل » ، وهى أنه « لا يمكن وضع ايجابيـات وسلبيات العهد الناصرى على كفتى ميزان ، وترجيح كفة الايجابيـات لان كفة السلبيات لا تتضمن سوى الحكم الفردى » ، من منطلق « أن الحـاكم المطلق لا يرتكب ، بأسلوبه فى الحكم، مجرد خطأ سلبى يمـكن تعويضه وموازنته بانجازاته الايجابية ، بل أن اتباعه لهذا الأسلوب يهدد جميع هذه الانجازات بالانهيار » .

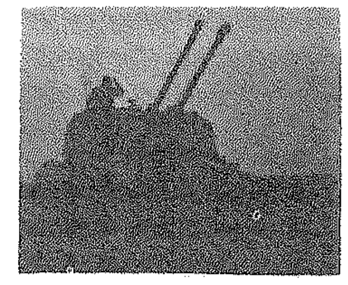
● ضعف وتفكك ●

ولذلك كان « الرأى » الذى يعتقـد د. فؤاد « انه اقرب الى التعبير عن الاسباب الحقيقية للهزيمة » ـ أى فى النهاية « نظريته الثالثة » ـ هـو « أن التآمر الخارجى كان موجودا ، ولكنه لم ينجح فى تنفيذ مخططه نجاحا يفوق توقعات اصحابه انفسهم الا لان الجبهة الداخلية كـانت من الضعف والتفكك بحيث استطاع التآمرالخارجى أن ينفذ اليها ويخترقها باقـل جهـد ممكن . أما عوامل الضعف والتفكك هذه ، فتدور حول عيوب الحكم الفردى المطلق وانعدام المشاركة الشـعبية الحقيقية » .. ويتعين هنا طرح سؤال له اهمية خاصة من زاوية المنهج : هل يجوز القول بان العملية التركيبية التى ضمت النظريتين معا قد اسقطت عنهما صفة « الذاتية » ، واكسبتهما صـفة « الموضوعية » ؟ هل حولتهمـا مـن « نظريتى احاديتى الجـانب » الى نظريتين تناولتا « كل الجوانب » . وعكستا الوضع الداخلى والخـارجى معا فى نظرة جامعة مانعة ، شاملة .

اشك كثيرا ولو من باب ان العملية التركيبية التى اقدم عليها د. فؤاد زكريا ليست هى بالضرورة العمليـة التركيبيـة الوحيـدة الممكنة . ثم ان هذه العملية التركيبية اغفلت بالذات البعد الزمانى ، واعتمدت على نظريتى لاحداث ٥ يونيو ، نظرة انصار ونظرة خصوم التجربة الناصرية ، والحجج التىمارس بها الفريقانصراعا محتدما فيما بينهما فى المرحلة التى اعقبت رحيل عبد الناصر مباشرة ، دون ما تأثير لما كان لابد أن يسفر عنه تقييم التجربة داخل اطار تنوع أوسع من التجارب ، تقييم أصـبح الان ـ من الوجهة الذاتية ـ ممكنا لان الفرصـة اصبحت متاحة لاجراء مقارنات داخل اطار زمنى أطول ووعاء مكانى أوسع. وبهذا المعنى ، لا يكون الانتقال بتعميق الدراسـة من « الذاتيـة » الى « الموضوعية » ، بل الى « ذاتيـة » ارقى ، اكثـر « موضـوعية » و « ذاتية » منطبعة بالطابع العـلمى والاكاديمى ، أكثر تجردا واقلخضوعا لاعتبارات الصراع السياسى .

● راسمالية معاصرة ●

وربما كان من المفيد لنا فى هـذا الصدد أن نتذكر ما أورده لنين فى كتابه الشهير « الامبرياليـة أعلى مراحل الرأسمالية » . ان الكثير منا وحتى الذين ينتسبون بفكرهم بيننـا الى الماركسية والى اللينينية قد نسوا درسا أساسيا تضمنه هذا الكتاب وهو أن الامبريالية هى « أعلى » مراحـل





الرأسمالية ، اى انه لاتوجد للرأسمالية مرحلة « بعد » الامبرياليه ، أى أن زوال الامبريالية لابد ان يصاحبه زوال الرأسمالية ، وانه لا يتصور فى عالمنا المعاصر رأسمالية دون امبريالية .

هذا هو ما قاله لينين عام ١٩١٦ ، ولكننا أصبحنا نتصور فى أعقاب الحرب العالمية الثانيه أن حركة التحرر الوطنى التى حققت « الاستقلال » و « السيادة الوطنية » لقطاعات واسعة من العالم خضعت فى السابق للسيطرة الامبريالية ، انما حققت للمجتمع الدولى المعاصر رأسمالية بدون امبريالية !

أصبحنا نتصور أن زوال الامبريالية فى صورتها التقليدية ، فى صورة الاحتلال العسكرى المباشر ، وفى صورة حرمان أغلب شعوب العالم من « حقها » فى تقرير المصير ، ومن دولتها « المستقلة » ، انما يعنى زوال الامبريالية كلية بينما تحتفظ الرأسمالية العالمية بقدرة هائلة على التجدد والانتشار والابتكار والهيمنة .

لقد هونا — فى تقديراتنا « الذاتية » — من الصعاب « الموضوعية » التى اعترضت عملية التحرر من السيطرة الامبريالية ، ولم ندرك بقدر كاف قوة الروابط التى استمرت تربطنا بالامبريالية ، حتى بعد تحقيق « الاستقلال » . انها روابط اتخذت أشكالا عديدة،وليس الشكل الاقتصادى أو السياسى فقط ، وكان شأنها فى احوال كثيرة تجريد « الاستقلال » من أى محتوى حقيقى .

اننا باختصار أظهرنا قصورا فى تعريف « الاستقلال » وتحديد شروطه . كان وعينا « الذاتى » ، بأبعاد وحدود الاستقلال قاصرا . ربما كان لنا فى هذا كل العذر . فان ما انجز على الصعيد الوطنى والقومى من بعض التجارب ، كالتجربة الناصرية على سبيل المثال ، كان هائلا .. لم يكن متصورا — قبلها — أن يصل التصدى للامبريالية — وتحديه — الى حد تأميم شركة بحجم واهمية شركة قناة السويس ، وأن تفشل عملية العدوان الثلاثى ، كمحاولة من قبل الامبريالية العالمية لتأديب عبد الناصر ، وتنبيهه الى « الحدود » المرخص له التحرك داخلها ! ولم نكن وحدنا المعنيين فى التفاؤل حول الامكانيات « الموضوعية » التى أصبحت متاحة فى ظل « الاستقلال » . اذ كان ذلك أيضا حكم المنظرين السوفييت ، ومفكرين عديدين ينتسبون الى الفكر الاشتراكى .. لقد ساد وقتذاك وقبل هزيمة ١٩٦٧ الاعتقاد بأن الدول الحديثة الاستقلال كفيلة فى أحوال محددة بأن تجد لنفسها طريقا « غير رأسمالى » الى الاشتراكية ، حتى لو كانت قيادتها من طبقات اجتماعيه غير بروليتارية .

هذا التفاؤل الذى أفرزه المناخ « الثورى » السائد وقتذاك حجب ما

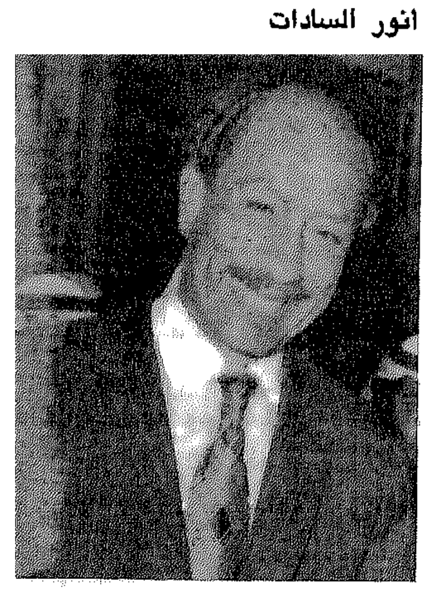
كان للامبريالية من عناصر قوة عاليا ، ومعششة داخل المجتمعات الحديثة الاستقلال ذاتها ، للضغط على تجاربها الثورية ، وافساد مفعولهـا • ولذلك كانت هناك وجاهة فى قول د• فـؤاد زكريا « انه اذا كانت هناك مشكلة فى اشتراكية ما قبل ١٩٦٧ ، فهى انهـا لم تكن جادة بما فيه الكفـايه ، او مكتملـــه بما فيه الكفاية ، وليس العكس •

● قصور فى المعلومات ●

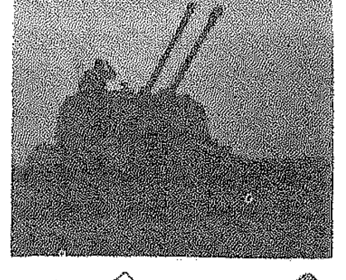
والواقع ان نظرية « المؤامرة » هى تعبير عن قصور لا فى الوعى فحسب، بل ايضا فى المعـلومات التى ينبنى عليها هذا الوعى • فان القول بوجود « مؤامرة » هو تسليم من قبل صاحب هذا القول بجهله بآليات معينة اوجدت واقعا أصبـابه بضــرر وافلت من سيطرته • ان القول بوجود « مؤامرة » يحمل ضمنا التسليم بأن « النظريات الذاتية » قاصرة فى تفسير « الواقع الموضوعى » وبحاجه الى تصحيح •

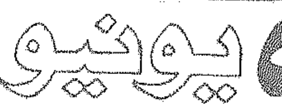
لم يكن هناك فهم كاف للآليـات التى حققت للامبرياليه العالمية القدرة على الاحتفاظ بتاثيرها على المجتمعات الحديثة الاستقلال ، حتى فى الحالات التى اتســمت فيها السـلطة بطابع ثورى • لم يكن هناك ادراك ـ وربمـا أيضـــا خبــرة كافية ـ بقوة روابط الراسماليه العالمية بالراسمالية المحلية، لما يحمله تثوير الجماهير من خطــر مشـــترك لها ـ ولذلك كان ابعــاد الجماهير عن المشـــاركه فى صنع القــــرار ، عمليه تلبى مصــــالح الراسماليه ، حتى من اكثر قــادة التحرر ثورية • وبهذا المعنى ، كان من ابرز العوامل التى مهدت لاحـداث يوليو ٦٧ ظهور « طبقة جـديدة » من البيروقراطيين المعششين فى أجـهزة الدولة الحساسة ، ذوى التطلعـات الراسماليه • كان عدم التصدى لهؤلاء ـ بعبـــارة ادق كانت التنـــازلات للراسمالية ، لا الانجازات فى طـريق الاشتراكية ، هى التى عرضت سـلطة


جمال عبدالناصر


انور السادات







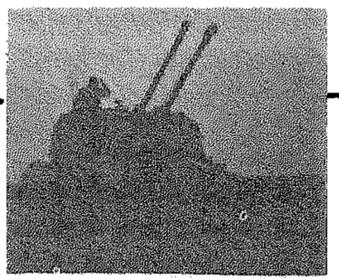
يوليو لخطر بروز ثغرات داخلهـــا أفسحت المجال لانهيار التجربة برمتها والحديث اليوم عن « علمانية » تجربة عبد الناصر ، فضلا عن «اشتراكيتها» كمصدر للهزيمة ، انما هو تماد فى ارجاعها الى أسباب لا تقبل التحليل « العلمى » ، الى اسباب « غيبيه » كما أوضح د· فؤاد زكريا ، ذلك أن مفهوم « العلمانية » فى نظـــر الذين يرجعون هزيمه يوليو الى توجه نظام عبد الناصر نحوها · انما يقصـدون بها « العقلانيه » واعمال العقل والعلم سبيلا لتفسير الظواهر ·

● قاسم مشترك ●

وهكذا يتضح ان النظريات المختلفة التى أوردها د· فؤاد زكريا لتفسير هزيمة ٥ يونيو ، نظرية « المؤامرة الخارجيه » التى دافع عنهـــا أنصار التجربة الناصرية ، والنظريات التى تبناها خصوم التجربة وارجعوا الهزيمة بمقتضاها الى عيوب التوجه الداخلى للنظام ، سواء كان هذا التوجــــه « اشتراكيا » أو « علمانيا » ، ليست بالنظريات التى تتسم فقط «بالتعارض» أو « بعدم الالتقاء » ، بل لها ايضـــا قاسم مشترك ، ذلك اذا حللناها بعيدا عن استخدامهـــا أسلحة فى الصراع السياسى بين انصـــار وخصوم عبد الناصر ·· قاسمها المشترك هو انها جميعا تنبثق من وعى قاصر ـ وقت التجربة وحتى الان ـ بأبعاد وحدود النضال من أجل « الاستقلال » ، ومدى ارتباط هذا النضال بحقائق عصـرنا « الموضوعية » ، وعلى رأسها قـــدرة المجتمعات المتخلفة على انتـــــزاع استقلالها من دول متقدمه ، وقدرة هذه المجتمعـات على الفكـــــاك من الرأسمالية ، وانتهاج طريق الاشتراكية سبيلا الى اكســـاب الاستقلال معنى ومحتوى ، ثم ـ ربما أيضا ـ ماذا ينبغى أن تعنى الاشتراكيه ·

هل من الممكن ـ مثلا ـ الاستغناء عن الرأسمالية فى مجتمعات متخلفـة يتعذر على الدولة فيها تولى كل أوجه النشاط الاقتصادى ؟ ·· واذا سلمنا بالحاجة الى قدر من الرأسمالية ، فهل من الممكن أن نتوقع منهـا ـ النهوض بوظيفة « اقتصادية » مع حرمانها مما تطمع اليه من « حقوق » سياسية ؟· وهل من الممكن تاكيد « الاستقلال » فى عالم تزداد فيه صور « الاعتمـــــاد المتبادل » بين المجتمعات ، وانقسامهـا فى الوقت ذاته بالنمو غير المتكافيء ، وبزيادة الهــوة عمقا بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة وانقســـام ظاهرة « الاعتماد المتبادل » ـ نتيجة لذلك ـ بصفة « تبعية » الاطراف المتخلفة حيال الاطراف المتقدمة ؟·

اشكاليات تواجه عالمنا المعاصر وتنتظر اجابات شافية · واذا تحدثنا عن الحاجة الى دراسة متمعنة متعمقة لحدث ٥ يونيو ، فليس هــذا فقط للقضاء على مخلفات حدث يمت الى ماضـــينا ، بل ايضا وقبل ذلك ليكون اسهاما فى ايجاد سبل مواجهة هـذه الاشكاليات التى تتعلق بصميم حاضرنا ومستقبلنا ·



٥ يونيو

فؤاد زكريا وندابات ٥ يونيو

بقلم : محمد عوده

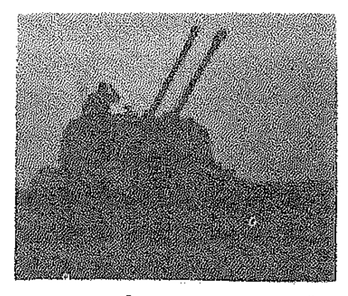
تعجبنى محاولات السيد الدكتور فى ان يضع نفسه دائما فوق الجميع وأن ينصبها رأس الحكمة ، وابا روحيا للحقيقة .. ولكن الدكتور لم يكن قط بهذه البراءة .

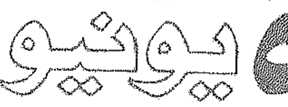
فقد كان احد شيوخ الندابين واقطابهم وكانت مندبته فى كل عام تبدأ الموسم وتعطى الضوء الأخضر لكل المنشدين وقد جدد فى فن الندب وكاد يضيفه الى افرع الفلسفة ، وقد ظل لعدة سنوات رئيسا لتحرير مجلة ايديولوجية ناصرية ، كانت تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام فى مصر وفى كنف راعى الفكر وحامى الفن زميله د . عبد القادر حاتم .

وكم أتمنى لو يملك الدكتور حقيقة شجاعة الاسود والتى يتباهى بها الأن ، وينشر دراساته وافتتاحياته ونظرياته التى زين بها مجلة « الفكر المعاصر » فى ذلك الحين


توفيق الحكيم


نجيب محفوظ





وأقترح لو سمح لى الدكتور عنوانا باسم رقص الفلسفة أو فلسفة الرقص ..

● لا صراحة الحكيم ولاتهديدات محفوظ ●

ولم يكن من بين هذه الأبحاث أو الدراسات بحثا صافيا وافيا كالذى قدمه الدكتور الآن عن أسباب الهزيمة فى ١٩٦٧ ، ولم يكن ذلك أمرا ممنوعا أو محرما ، وبينما كان الدكتور مستغرقا فى ذلك الحين فى ابداع نظريات وفلسفيات حول مواضيع أخرى دارت هنا معارك حامية على صفحات الجرائد المصرية حول أسباب الهزيمة ودوافعها .. ولم يقل أحد قط من الناصريين أن الاسباب كانت خارجية فقط ، وأن العوامل الداخلية . بريئة او بعيدة عن أسبابها .

والواقع أن الدكتور حالة يحار الانسان فى تفسيرها ، وقد حاولت عبثا أن اجد سببا لهذا الحقد العارم على ثورة يوليو وعبد الناصر والذى يستولى على عقل الدكتور وقلبه ولاتبرد له حدة ابدا وربما بما لايليق بوقار فيلسوف العصر أو موضوعية مفكر ينصب نفسه ، المفكر الأوحد .

ولم يملك الدكتور صراحة توفيق الحكيم مثلا ليقول أنه فقد الوعى واستعاده أو تهويمات نجيب محفوظ ليقول انه كان يعيش بنفس مزدوجة ، ولم يقدم لنا أى تفسير فلسفى لسبب هذا التحول من نقيض الى نقيض .. وقد بدأ الدكتور حملته على الثورة بطريقة غير مباشرة إذ صب الهجوم الصاعق على الشيوعيين المصريين لانهم ايدوا او تحالفوا مع النظام الفاشيستى والطاغية المستبد الذى كان يحكم مصر ولم يتحرج من انه كان فى نفس الوقت رئيسا لتحرير مجلة تعبىء العقل والفكر المصرى للايمان بالنظام .

وسافر الدكتور الى خارج البلاد ليروج بضاعته هناك في سوق اكثر ربحا وأوسع مجالا ، وليرسل تعاليمه وتفاسيره من هناك لكى يبصر المصريين بما حدث لهم ولم يترك مناسبة أو أحيانا بغير مناسبة إلا وأخرج من جعبته كل مقولات الفلسفة القديمة والحديثة ليثبت فساد النظام وسقوطه ، وانه كان طاهر الذيل من كل ذنوبه ..

● الناصريون أكثر النقاد ! ●

اما فيما يتعلق بـ ٥ يونيو وبمقالتى فيبدو أن الدكتور لم يقرأ لى سواها ، ولم يكن ممكنا ان أورد كل شىء حول ٥ يونيو .. ولكننى أستطيع ان أبعث للدكتور ببعض ماكتبته وكتبه زملاء أصدقاء لى فى تلك الايام ، وسيجد أن الناصريين والتقدميين المصريين عامة لم يقولوا أبدا أن المؤامرات الدولية مسئولة وحدها .

وقد كان الناصريون هم اكثر الناس نقدا لما حدث فى ٥ يونية وقد قامت حملة نقد شاملة من عبد الناصر حتى اصغر عضو فى الاتحاد الاشتراكى الذى لايعترف به السيد الدكتور وتمت مواجهات حادة وعنيفة فى داخله ، وكتبت تقارير ومذكرات ودارت حوارات لاتزال مفتوحة وان لم يطلع الدكتور عليها ربما كان غائبا فى ذلك الحين فى بلد اكثر رغدا .

● البرجوازية والبيروقراطية العسكرية ●

وكان الناصريون هم أول من قال إن من أهم

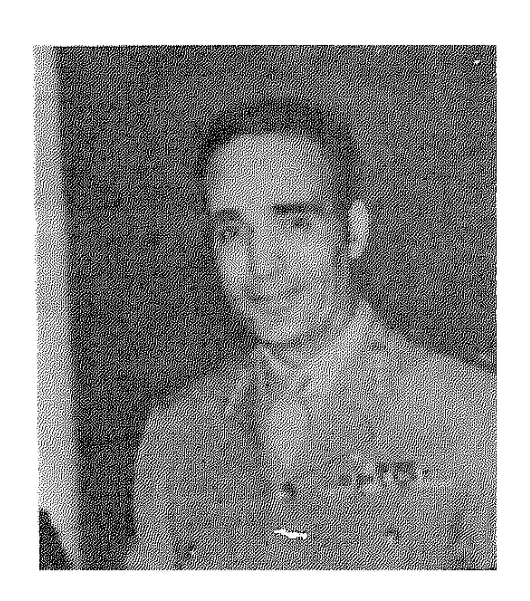
سباب الهزيمة السماح لبرجوازية بيروقراطية عسكرية ان تستولى على قيادة قوات المسلحة وان تحاول ان تجعل من نسها فئة حاكمة ومالكة بل وقد اتهمت هذه لفئة ليس فقط بالاهمال أو الاستغلال ، ولكن التواطؤ أيضا مع العدو واتهمهم الناصريون انهم وقفوا عقبة أمام تطور التنظيم الشعبى ايام منظمة الشباب وانهم عرقلوا تطبيق لتجربة الاشتراكية .

وقد اعلن عبد الناصر ذلك علنا فى بعض خطبه وأعلن أن ازاحة هؤلاء الضباط بمحاكمتهم علنا وصدور الاحكام القاسية هى ممارسة للنقد الذاتى من الثورة ثم الفت لجنة عسكرية برياسة المرحوم الفريق حمد عبد المنعم رياض وأظن السيد الدكتور عرف بعض فضائله وأصدرت تقريرا شاملا عد من أهم الوثائق العسكرية والسياسية حول لنكسة واسبابها ثم الأسس التى ينبغى أن قوم عليها بناء الجيش مرة أخرى وكان من هم هذه العناصر أولا تثقيف الجيش تسييسه وهى العملية التى وقف ضدها ضراوة أقطاب البرجوازية العسكرية .. وقد كون الجيش المثقف الجديد من خريجى لجامعات وأدخل لأول مرة نظام الضباط لسياسيين لاستكمال التكوين السياسى مقاتل المصرى عامة وكان ذلك من أهم قضايا التى أثيرت داخل الاتحاد شتراكى .

● لم تكن هزيمة بل نكسة ●

وقد كان أخر ماصدر كتابى الفريق محمد زى والذى كان جديرا بالسيد الدكتور أن راهما قبل ان يكتب

وأظن ان الهزيمة فى أى من التعريفات عسكرية هى القضاء على ارادة القتال وهى حق القدرة على استئناف المعركة بحيث نطر الجيش والدولة المقاتلة للاستسلام هذا ليس تعسفا أن نقول أن ٥ يونيو لم تكن



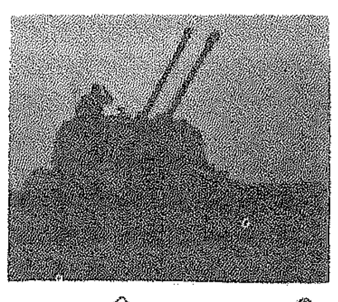
الفريق عبدالمنعم رياض

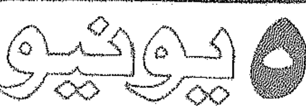


الفريق محمد فوزى



هزيمة ولكن كانت نكسة لان إرادة القتال لم تسقط ولم تنهار .. بل على العكس اجتازت أشد اختبار لها وخرجت أكثر قوة وقد ينكر السيد الدكتور مغزى معركة رأس العش بعد ثلاثة أسابيع من النكسة أو ايلات بعد بضعة اشهر .. ولكن العسكريين والسياسيين على اختلاف جنسياتهم يضعونهم فى مكانة





استراتيجية عالية وقد تلتهما بعد ذلك حرب الاستنزاف التى قال عنها جنرال اسرائيلى هو الجنرال « بليد » كانت أول حرب نهزم فيها .. وقالت جولدا مائير لقد بدأنا فى التآكل فى حرب الاستنزاف

● لامنهج ولارؤية ●

والواقع ان السيد الدكتور لايملك نهجا او رؤية فى تفسير التاريخ وأحداثه وقد وضع لمدة طويلة مسوحا ماركسية وتصورنا انه يفسر التاريخ والاحداث بهذا المنهج وهناك كتابات ماركسية مصرية وعالمية تفسر الهزيمة ، ولكن ليس بهذا المنهج المتخبط . وبالمناسبة فقد حدث خلال الحرب العالمية الثانية أن ارسل تشرشل الى ستالين يخبره بأن المانيا النازية سوف تهاجم الاتحاد السوفييتى فى يونيو ١٩٤١ وأرسل الملحق العسكرى السوفييتى فى برلين رسالة تؤكد ان الخطة العسكرية لغزو الاتحاد السوفييتى " بربروسا " على وشك التنفيذ وأن الهجوم محتم .. وتلقى رسالة من المخابرات الامريكية بنفس المعنى ولكن لم يمنع ذلك من الا يكترث ستالين وات يقع الهجوم الخاطف الذى أدى إلى الوصول إلى مشارف موسكو

وأظن أن هناك امثلة كثيرة للكوارث وا عبد الناصر كان اكثر دقه وحرصا وقد جمع كل ضباطه والقادة السياسيين واخبرهم بموعد الهجوم بالضبط وطلب الى كل منهم ان يستعد وهو لا يحدث الا نادرا فى تاريخ الحروب وكان تنفيذ ذلك الأمر كفيل برد النكسة لان تعليمات الطيران الاسرائيلى كانت بالعودة فورا، اذا حصلت له مقاومة أرضية او جوية .

ولو قرأ الدكتور محاكمات قادة الطيران المصرى بعناية لأدرك ان السبب لم يكن بنيا النظام او ديمقراطيته او عدمهما ..

● قرار تاريخى ●

« ان الديموقراطية هى سلطة الشعب ، وقد كانت الجماهير التى خرجت يومى ٩ ١٠ يونيو ١٩٦٧ هى أعمق تعبير عن سلطة الشعب وعن قراره التاريخى وإنه بعد سقوط السلطة العسكرية .. فان السلطة الشعبية تستطيع أن تحمى الثورة ولم تكن الجماهير فرقة رقص بل كانت تعبيرا عن أصالة الثورة وعمق جذورها ولو كانت بنيا الثورة هشة حقيقة لما خرج مواطن واحد وهو لايعرف ماينتظره من مجهول ولو صلابة الوعى الجماهيرى والشعبى لما ذلك الطوفان والذى قال بذلك ليس عضو فى الاتحاد الاشتراكى ولكنه واحد من اعظم معلقى العصر وعلمائه السياسيين وهو « إيزاك ديوتشر » البريطانى .

وفى الختام نود ان نقول للسيد الدكتور ان افضل مايقدمه للشباب الجديد الذى يقلق من أجله أن يتقى الله ويرفع يده عن ثورة يوليو .. غفر الله له ولنا ...

ابتسامات ••••••••

"شكــــــر"

● قال مدير الشركة للموظف . اجل انا اعرف انك لا تستطيع ان تتزوج بالمرتب الذى اعطيه لك ، ولكنك سوف تشكرنى على ذلك يوما ما ..

"سراج جديـد"

● فقد رجل زوجته المحبوبة فنقش على قبرها هذه الكلمات "لقد انطفا سراج حياتى" وبعد بضعة اعوام تزوج الرجل مرة اخرى فسال احد اصدقائه
- اليس من الاوفق ان امحو هذه العبارة عن قبر زوجتى الاولى
وكان صديقه رجلا لبقا فاجاب كلا حسبك ان تضيف هذه العبارة : "ولكنى اضات سراجا جديداً"

"اخــــــلاص"

● اراد احدهم بيع كلبه فسأله المشترى : هل هو مخلص ؟
فأجابه مخلص جداً . لقد بعته ١٠ مرات من قبل وهو يعود الىّ ثانية !

● عثرت الزوجة على دفتر حسابات قديم كان زوجها يسجل فيه مصاريفه ووجدت فى السنة التى تزوجها فيها بندا تحت عنوان «مصاريف لن تتكرر» عبارة شهر عسل واحد !!

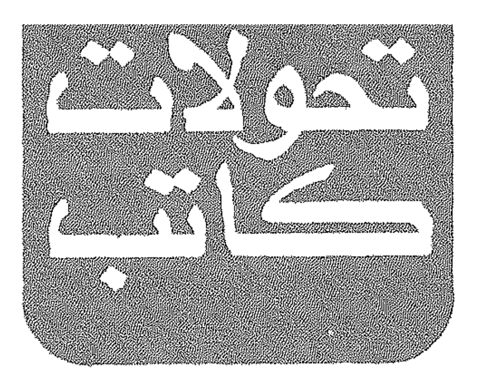
● كان العجوزان يجلسان فى احد اندية لندن فلاحظ احدهما ان الآخر يضحك تارة ويهز رأسه تارة اخرى فقال له : هل لى ان اسألك عما يضحكك ..
فأجاب الآخر : اننى اسرد لنفسى بعض النكات المضحكة ..
ولماذا تهز رأسك ..
- اهز رأسى عندما اجد اننى سبق ان سمعتها !!

● كانت النجمة الفاتنة تتاهب للقاء منتج معروف فقالت لها صديقتها .
- كونى على حذار .. فهذا المنتج سيء السمعة .. واذا اختلى بك فى مكتبة فقد لا يتورع عن تمزيق ثوبك
فقالت النجمة . اشكرك على هذا التحذير .. ومادام الامر كذلك فمن الافضل ان ارتدى ثوبا قديما !!

● ان مايزيد عن عشرين مليون امرأة فى العالم يرفعن اصواتهن ويقلن : لن نسمح للرجل بأن يملى علينا مايشاء ، ثم يصبحن كاتبات اختزال !!

شهــر العســل

● ينتهى شهر العسل عندما يتحدث الزوج هاتفيا ليقول انه سيتاخر عن العشاء ، وتكون زوجته قد كتبت له رسالة ، بان العشاء .. فى الثلاجة !!



سيّد قطب بين النقد الأدبى وجاهلية القرن العشرين!

بقلم : سليمان فياض

بين كتاب مجلة « الرسالة » للزيات ، شدنى اليه الناقد الكبير « سيد قطب » . جذبنى اليه قلمه المرهف السيال ، ولغته الشفيفة ، الموحية بما وراء من معان وظلال ، وكأنها غلالات رقيقة نسجتها أنغام . بدت لى مقالاته على صفحات « الرسالة » آية من آيات النثر الفنى فى أروع وأوضح ذراه . كان « العقاد » صاحب أسلوب عصرى يستمد منطقه وتقاسيمه من أسلوب « ابن المقفع » وكان طه حسين صاحب أسلوب عصرى آخر ، يستمد ترسله من أسلوب « أبى عثمان الجاحظ » وكان كلاهما يتربع على عرش عصرى من عروش فصحى اللغة ، وكانت ساحة النثر فى أدب المقال تبدو وكأن ليس فيها من مزيد فطه حسين نسيج فريد فيه ، وكذلك كان المازنى والعقاد ، والرافعى .

وبدا الأمر وكأن ليس بوسع أحد سواهم ان يقدم أسلوبا عصريا جديدا فى أدب « المقال » . وجاء « سيد قطب » ليقدم أسلوبا آخر ، جديدا يجمع فى إهاب كلماته وتراكيبه ، بين قدرة طه حسين على التنغيم والايقاع ، وقدرة العقاد على المنطقة وحسن التقسيم فى جمله الطوال والقصار ، بين قدرة طه حسين على توليد أبنية مهملة من الألفاظ ، وقدرة العقاد على توليد الأفكار والمعاني والاحتمالات والترجيحات ، بل ويضيف إلى قدرات العملاقين هذه السيولة الدفاقة ، واللاذعة السخرية للمازنى ، دون أن يقع فى شراك الكلمات والتراكيب



قطب



حسن الهضيبى



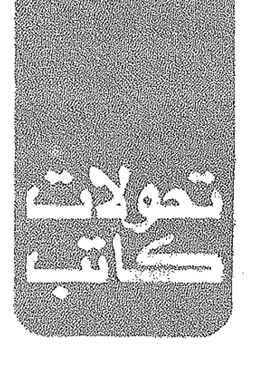
العامية ، ويضيف هذه التسجيعات للرافعى ، دون تكلف فيها أو إغراق وإسراف . وغمرنى يقينى بأن الأسلوب هو الكاتب ، أن الكاتب هو أسلوب ، انتقاء للألفاظ الدالة ، والموحية ، واختيارا للجمل الطوال أو القصار ، فى جوّ يصنع إطار الموضوع . ويقدم له صوره وإيقاعه ورؤاه

● نسخ بالكربون ●

كان أول ما قرأت لسيد قطب فى سن الصبا ، ونحن ندرج مع اللغة والأدب ، مقالا على صفحات « الرسالة » ، يحمل عنوان . « نسخ بالكربون » . كان المقال عن سيدة الغناء أم كلثوم ، وعن الموسيقار محمد عبد الوهاب ، وكيف أن أم كلثوم خامة صوتية ، كونية ، مدهشة ، لم تجد بعد الملحن الذى يحررها من طابع التطريب فى الأفراح ، والليالى الملاح ، ومجالس السمر ، وكيف أن من يحاولون تقليد أم كلثوم نسخ بالكربون ، لاترقى إلى أصالة الأصل وبهائه ونصوعه ، إلى آخر ما ورد بالمقال . وشد انتباهى إلى سيد قطب فى مقاله ذاك ، روح دفاق فى قلب الكاتب ، يجعله يغمس قلمه فى قلبه ، وضميره ، ومشاعره ، وعقل فطن يوجه اليد التى تكتب ، معلنا تمرده على كل محظور لايقبله المنطق ، ولاتباركه التجربة وقلت لنفسى · هذا كاتب له قضية ، بل قضايا فى الحياة ، والمجتمع ، والناس . صوت من أصوات التقدم الكونية بين البشر ، ويقف طليعة فى مجال النثر الفنى ، لهذا الجيل التالى لجيل الرواد من أصحاب القضايا الاجتماعية ، والثقافية ، والاساليب الادبية .

● كاتب جرىء ●

وجاءت مقالاته التالية ، رسائل الى صديقه الكاتب « عباس خضر » من أمريكا وكان قد



ذهب فى رحلة إليها ، وتكشفت لى من هذه المقالات الرسائل ، قضيته الكبرى فى ذلك الحين ، قضية العروبة والأصالة ، بل قضية حضارة الشرق بأسره التى أثمرت قيما إنسانية وأديانا وضعية وسماوية ، فى مواجهة حضارة الغرب ، التى تفككت فيها الأسر ، وشحب الشعور بما هو تواصل إنسانى فى العلاقات ، وفيما بعد ، حين اتسعت دائرة قراءتى ، أدركت أنه كان كاتبا لايتحيز ولايتردد فى مواجهة صدمة الحضارة الغربية ، ادرك بسرعة وبحسم مالها من فضل ، وما بها من قصور ، وأدرك بفطنة ويقين مانملكه من تراث رفيع من القيم الانسانية ، وما نفتقد من تنظيم للعمل ، وآخذ بوسائل التطور العصرية لم يقع فى فخاخ الصراع الحائر فى النفس ، الذى دفع فيه اديب طه حسين « وايامه » ولا « عصفور الحكيم ، ولا « اسماعيل » يحيى حقى . أستوعب دروس الصدمة بسرعة ووضوح ، مثلما فعل من قبله رفاعة الطهطاوى والشدياق ، فى مواجهة صدمة الحضارة تفتت قلبى معه ، وهو يصف مشهد رجل عصر عنقه فى آمريكا المصعد الكهرباتى ، فتدلى لسانه ، والناس من حوله لايرتجفون للمشهد ، وإنما يضحكون له ، ويقلدون تدلى اللسان من الفم المفتوح فى العنق المعصور ، وشعرت . بموت الانسانية هناك . وامتلأت بالدهشة وهو يقول ساخرا لإحداهن ، هناك ، على المائدة ، آن الناس فى بلاده يأكلون البطيخ وعليه الفلفل والشطة ، فتسارع بسكب الفلفل والشطة على البطيخ ، وتأكله ، وتتلذذ ، وتصيح آوه . كم هو لذيذ . وأحسب أن هذه المقالات وسواها ، ممانشرته له الرسالة فى سنوات الأربعينيات لم تجمع بعد فى كتاب ، مثلما لم يجمع مانشره على صفحات الرسالة من أشعار فى ديوان . انتقى هو ، منها مقالاته النقدية ونشرها فى كتابه « كتب وشخصيات » وليت احد الناشرين يجمع بقية مقالاته وينشرها فى أكثر من كتاب ، فهى حلقة مفقودة من تحولات الكاتب « سيد قطب » ، وتشهد على مرحلة ثقافية واجتماعية من مراحل الثقافة والحياة الاجتماعية فى مصر العربية ، وكذلك كتاباته فى صحيفة « مصر الفتاة ». وفى مجلة « الكشكول » .

• النقد التكاملى •

إذا كنت طالبا بمدينة المنصورة ، رحت أبحث فى المكتبة العامة بالمدينة ، وأجمع من مكتبات السوق كتب سيد قطب التى أحببتها . كانت كلها كتبا نقدية مباشرة ، او ترتبط بالنقد بسبب من أسباب بلاغة التعبير ، وفصاحة الأسلوب ، وحسن الأداء . وإستقامة المعالجة .

كان بينها كتابان « التصوير الفنى فى القرآن » ، « ومشاهد القيامة فى القران » وكلاهما درس من دروس بلاغة التعبير فى القرآن إذ تتموج مع تموج الموضوعات والسياقات .

وكان بينها كتاب نقدى بحت ، توقف عنده طويلا . وكان الكتاب عن « النقد التكاملى »
بطول الحديث لو أقدمنا عليه الآن عن موضوعات أبوابه وفصوله وعن منهجه ورؤيته
تجاه ووجدتنى أربط بينه وبين كتاب آخر ، فى مجال آخر ، قرأته ليوسف مراد ، ذلك هو
اب « علم النفس التكاملى » كانت ثمة مدارس فى علم النفس ، وكانت ثمة مدارس فى النقد
ادبى ، وكان لكل منهما مناهجه . ودهشت لمحاولة « سيد » الجسور فى خلق منهج أدبى
حد ، من مناهج الدراسات النقدية ، وتجمع بينها فى إهاب ، مثل دهشتى من محاولة يوسف
اد الجسور فى صهر مناهج المدارس النفسية فى منهج واحد . وبدا لى الأمر وكأن روح
مصر تتحرك فى النفس العربية ، والعقل العربى ، وتوجههما نحو هذا الصهر للمتفرقات فى
ارس العصر فى بوتقة واحدة ، فالموضوع واحد ، وسبل النظر اليه تتعدد .

وكأن النفس العربية ، والعقل العربى ، يميلان أبدا الى هذا النهج الحضارى منذ ميلاد
حضارة العربية الاسلامية فى العصر العباسى ، فهو النهج نفسه الذى سار عليه إخوان
صفا ، فلاسفة المسلمين وعلماؤهم ، منذ القرن الثانى للهجرة الثامن من الميلاد ، ولقد
ا على هذا النهج يسيرون فى دأب مقدور حتى فى عصور الانحطاط السياسية الى بدايات
قرن الميلادى التاسع عشر .

وكان بينها كتاب « كتب وشخصيات » وكنت قد قرأت قبل وقت قريب رواية « خان
خليلى » لنجيب محفوظ ، واكتشفت كاتبا واقعيا ، يقف على قدم المساواة فى المحاولة مع
زاك ، وديكنز ، وزولا ، ووجدت فى هذا الكتاب دراسة نقدية لهذه الرواية . ودراسة أخرى
ن رواية « مليم الأكبر » لعادل كامل ، الذى عرفت فيما بعد أنه رائد الواقعية الحقيقى فى
مصر ، والأستاذ الأول لنجيب محفوظ على تقاربهما فى سنوات العمر ، مثلما عرفت فيما بعد
 سيد قطب كان هو أول ناقد يقدم هذين الكاتبين للناس ، فى وقت كان النقاد فيه لايكترثون
بير نقد الشعر ونقد أدب التراث ولايحفلون فى قليل أو كثير ، بنقد المسرح والقصة ، إلا فى
در الاحيان . ولم يدر بخاطرى لحظة أن كاتبى سيد قطب ، سوف يتوقف ذات يوم عن عطائه
نقدى ، ومساهمته فى الحياة الأدبية ، وسوف يخسره المبدعون للأدب فى شكليه الجديدين
اصة : المسرح ، والقص ، إلى درجة أنه كتب سطورا قليلة ، وجهها للشاعرة نازك الملائكة
تذر فيها عن المشاركة بمقال نقدى فى مجلة الآداب البيروتية ، لأنه وجه اهتمامه وعمره
ضية أخرى اكبر وأجل هى الدعوة الى مجتمع الاسلام .

● الخراف الضالة ●

دهشت ذات يوم حين رأيت لسيد قطب ، كتابا يحمل عنوان العدالة الاجتماعية فى
لاسلام . قلت لنفسى « من النقد يتحول الكاتب سيد قطب الى الكتابات الاسلامية مثلما
حول من قبله طه حسين فى : « على هامش السيرة » و « الشيخان » و « الوعد الحق » و
فجر الاسلام » و « مرآة الاسلام » ، ومثلما تحول من قبله العقاد فى « العبقريات » وسواها
ن كتبه الاسلامية قرأت كتاب سيد عن « العدالة الاجتماعية » فى الاسلام . أعجبنى نهجه
يه ومنطقه ، وحيثياته من نصوص القرآن والحديث وواقع التاريخ لكننى ظللت اسآل نفسى



بحيرة . لم كان هذا التحول فجأة ؟ هل كان كتاباه « التصوير الفنى » و « مشاهد القيامة » وهما من النقد البلاغي الحديث ، إرهاصا بسيره فى طريق الدراسات الاسلامية ؟ هل يئس الكاتب من دور فعالية الكلمة المبدعة والناقدة في تغيير المجتمع ، وشعر بخلو الساحة العربية من فلسفة عصرية تفجر وتحدو إمكانيات المجتمع العربى وناسه ، فطرق بكتابه هذا الدرب ، ليقدم بالاسلام نهجا وفلسفة لوطن وعصر ؟ أم أن « سيد » يجرى عليه مايجرى على غيره من الكتاب العرب من تحولات ، فى زمن عز فيه ، تحت سماء الشرق ، العثور على فلسفة ، ونظام يحقق التوازن العصرى ، لناس هذه البلاد ؟ أم أن الخراف الضالة لاتلبث أن تعود الى حظائرها بعد طول اغتراب ؟ ولم أجد جوابا لسؤالى الا بعد لقائى بضع مرات لسيد قطب ، فى داره الفسيحة ، بضاحية حلوان وكانت الثورة قد بسطت على ارض مصر ، واخذت تناوىء الأحزاب ، وكنت قد كتبت مقالا بمجلة الرسالة بعثت به بالبريد من المنصورة ، ونشرته الرسالة فى باب عرض الكتب وكان المقال عن كتابه الاسلامى التالى . « السلام العالمي والاسلام » وكان سيد قطب قد أخذ يكتب تفسيرا للقرآن ، تحت عنوان « فى ظلال القرآن » وينحو فى تفسيره نحوا نفسيا ، وبلاغيا ، يفسر فيه القرآن بالقرآن وبالحديث الصحيح . وبمناسبة النزول للآيات ، فى لغة شاعرية نثرية عزيزة المنال ، وقدر له أن ينجز بقية أجزاء هذا التفسير وهو فى قلب السجن ، قبل شنقه بحبل مجدول .

● اللقاء الأول ●

فى اليوم الأول بالقاهرة ومن فندق شعبى بشارع « كلوت بك » بحثت فى دليل التليفون عن رقم تليفون كاتبى الأثير ، وجاء فى صوته ، فأخبرته باسمى ، وبرغبتى فى زيارته ، فوصف لى العنوان الى بيته فى حلوان ، وأرشدنى اليه بدقة وكأنه حريص على اللقاء .

وجدته جالسا فى حديقة بيته ، تحت شجرة عتيقة تتدلى منها بين الأغصان مصابيح الكهرباء . أخذنى خادم اليه كان يلبس جلبابا أبيض . كان آسمر اللون بيضاوى الوجه يحمل عينين واسعتين ، غافيتين أبدا ، وبدا لى وهو ينهض مصافحا نحيل القوام . وكان يجلس معه الشاعر « محمود أبو الوفا » . وشمرت إذ جلست معه (وعينا أبى الوفا ترقبنى) بغربته وغربتى شكرنى على مقالى عن كتابه ، وشردت عيناه ، ينصت الى السكون وزقزقة ما خافتة لطيور بين الأغصان فى أشجار الحديقة ، سألنى من أين أنا ، وشردت عيناه ، وران الصمت . سألنى فيم قدومى الى القاهرة ، وشردت عيناه ، وران الصمت . شعز أبو الوفا بحرجى ، فأخذ يحدثنى ، وسيد قطب يسمع وكأنه لايسمع ، وتذكرت ماكتب يوما طه حسين عن الحكيم إذ قال عنه : هو « غائب حاضر » و « حاضر غائب » . ترددت ، ثم سألته عن رأيه فى هذه الثورة ، ابتسم وقال لى :

هنا ، تحت هذه الشجرة ، كان الضباط الأحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم معى ، فى فترة التمهيد للثورة .

كانت الحديقة واسعة ، يحيط سورها بها ، وبهذا البيت الريفى المطلى الجدران ، المنزوى فى جانب يسير منها وكانت عيناه قد عادتا للشرود ، وكأنه لاوقت فى الزمن ، ولاحساب لمرور اللحظات ، وكأن الزمن هو ذلك الزمن الذى فى داخله وحده ، رانى أجوس بعينى فى الحديقة ، فقال لى ضاحكا

ـ لست غنيا كان معى ألفا جنيه ، وهذا البيت كان لمأذون حلوان مساحة نصف فدان ، اشتريته منه بكل ماكان معى ، وفى حديقته أقضى ليلى ، ومكتبى بجانب هذه النافذة هناك . الخضرة تساعد الكاتب . ألست معى ؟

وشردت عيناه ، كأنما أرهقته الكلمات ، أو كأنه اعتاد أن يكتبها ، حتى نسى النطق بها ، ونهض عائدا الى البيت ، حتى ظننت أننى لم اعد مرغوبا فى بقائى ، فهممت بالانصراف ، فضحك « أبو الوفا » وقال .

ـ أنتظر ، سيعود . الوقت ، فى الليل ، هنا ، بلا حساب .

وعاد سيد قطب ، يحمل مظروفا ، اخرج منه صورا ، وأخذ يريها لى واحدة واحدة ، وكان هو فى كل صورة ، وتحت هذه الشجرة . وكانت كلها صورا ليلية اخذت فى ضوء الفلاش . وفى كل صورة كان هؤلاء الضباط الأحرار ، وهو بينهم أبدا واسطة العقد ، واذ رددت اليه أخر صورة ، قلت

ـ لاأرى بينهم محمد نجيب .

فابتسم ، وقال :

ـ هذا جاءوا به واجهة للثورة . الرتبة العسكرية لها حساب .

وأرانى الصورة التى رددتها مرة أخرى ، وأشار الى جمال عبد الناصر . وقال

ـ هذا هو قائد الثورة الحقيقى . يتوارى الآن ، وراء نجيب ، وغدا سيكون له شأن أخر .

وأعاد الصورة الى المظروف ووضعه على أريكة خضراء مثل ارائك الحدائق العامة ، قلت

ـ أراض أنت عن هذه الثورة ؟ !

قال سيد قطب :

ـ لا أجد فى تطور أمورها مايريح . فهؤلاء الأمريكان يحاولون احتواءها بدلا من الانجليز أتفهم ماأعنيه ؟

هززت رأسى ، وأطرقت . وسمعت صوته يقول .

ـ هل تحسّ كشاب أنهم سيفلتون من الاحتواء .

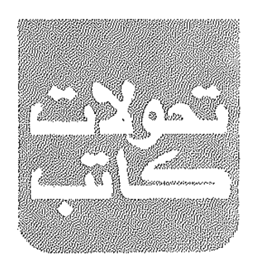
ولم أجد على لسانى ماأجيب به . قلت بتردد :

ـ هل تحولت عن النقد ؟

دهش . وقال :

ـ من قال ذلك ؟

ثم ابتسم وقال .



ـ الكاتب حين تكون له قضية ، يكتب فى النقد ، وفى غير النقد . وغايته أن يبعث العافية فى أوصال الناس . الكاتب ليس ناقدا فحسب .

وطالت الجلسة ، وطال الصمت ، وفرغت أقداح الشاى للمرة الثانية ، وانصرفت مودعا ، عائد الى محطة المترو ، عبر شوارع لايقطع سكونها ، سوى نباح الكلاب ، فى ليلة مظلمة ، شاجة الأنوار ، مغبرة المصابيح .

الأطياف الأربعة

أمام بائع صحف ، على رصيف ، بوسط القاهرة ، رايت كتابا لايحمل عنوان . « الأطياف الأربعة » ودهشت إذ وجدت عليه اسم سيد قطب ، وأسماء ثلاثة قدرت من اللقب أنهم إخوته

اشتريت الكتاب ، وجلست على أول مقهى مع الضحى ، كان الكتاب لونا من المذكرات وسيرة الحياة فى مجتمع متخلف ، فى قرية نائية من قرى مصر . قدم لى الكتاب حياة الطفولة والصبا لسيد وإخوته ، فى عالم القرية ، مثلما فعل طه حسين فى الجزء الأول من أيامه . وبدت لى سيرة الأخوة الأربعة ، الصبية ، أكثر صدقا ، وبساطة ، وواقعية من أيام طه حسين ، ومن عالم معذبيه وعجبت لأن الأسلوب واللغة ، هما أسلوب سيد ولغته . فهل صب قلمه ماكتبه الأخوة فى نسق واحد ، أم أنه هو الذى فكر وكتب مافكر فيه ؟ وهل تراه ، وحياته مشتركة مع حياة إخوته ، كان يترجم لفترة من العمر ، لنفسه ولأخوة يحبهم ، فى آن واحد ، وهو لهم بمثابة الأب والأم والأخ الأكبر معا ؟ .. فيما بعد لم أعرف من بين الاخوة الأربعة ، كاتبا ، عدا سيد ، سوى أخيه : محمد قطب ، وكان فى كتاباته ، بعد أن تحول سيد تحوله الأخير ، مثل الصدى للصوت ، والشارح للمتن ، والحاشية للشرح ، والهامش للنص ، والذيل للفصل . كان يردد أفكار أخيه وربما تكون الفكرة فقرة ، مجرد فقرة فى كتاب ، فتصبح تحت يده كتابا ، لأخ ذاب فى أخيه ، وقارىء الضهر فى مثله الأعلى . ومن المدهش والعجيب أنه كان يحتذيه فى أسلوبه وألفاظه ، وإيقاع جمله ، حتى فى هذه الحروف الممدودة فى الكلمات الأخيرة من الجمل ، أو الفقرات ، قبل الحرف الأخير .

وأحزننى أن أعلم ، من أحاديث الأدباء فى مقاهى الأدب ، أن سيد قطب ، يعيش برئة واحدة ، بها يمدّ جسده بالهواء وأنه ربما بسبب هذه الرئة الوحيدة ، يلزم بيته ، ويحيا من قلمه ، ويغادر وظيفته باللجنة الثقافية بوزارة التربية والتعليم ، ويترك الأدب الى الكتابات الاسلامية . ودور الناقد ، لدور الداعية ، وأنه يوشك على الولوج فى عالم التصوف . **واستبعدت بينى وبين نفسى ، أن يتصوف سيد فمن يحمل مثل روحه حتى فى بدن نحيل ، ومن يصبح القلم فى يده الصغير مثل سوط فى يد عملاق ، لايلج ابدا طريقا إلا**

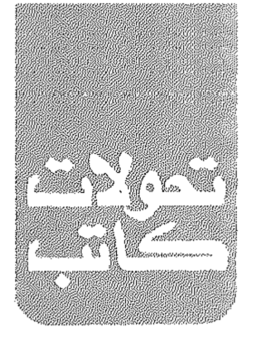
من الباب الضيق ، ومثله لايهرب من مشاق الدنيا ، وابوابها الضيقة ، الى عالم التصوف ، وابوابه الوسيعة ، كفضاء الدنيا .

اللقاء الأخير

نشر فى صحيفة أن سيد قطب ، يلازم فراشه لمرضه بوعكة - صحية قد ألمت به . ومع أنى منذ أن سار سيد فى طريق غير الذى أخطه لنفسى ، وفى درب غير الذى كنا ، نحن الادباء ، نسير فيه فقد قررت الذهاب لزيارته ، فأنا أدين له لم أزل فى روحى بالكثير .
كان أمر « الاخوان المسلمين » قد آل الى المرشد العام الجديد « حسن الهضيبى » وكان " سيد قطب " قد صار ، بعد ضرب الثورة للأحزاب بالأخوان ، أشهر وألمع كاتب فى صحيفة الاخوان الجديدة « الدعوة » صار كاتبا ثوريا على النهج الاسلامى ، تحت راية " الاخوان المسلمين " ، ولم يُخف شكوكه عن قلمه ، ولا عن الناس ، وهى شكوك ظهر فيما بعد انه كان مخطئا فيها جميعا كان يهاجم هذه الاتصالات بين الثورة وبين الأمريكان ، ويوشك ان يدعو الناس إلى الانتفاضة ضد ضباطها الأحرار ، مثلما كان يدعو الفدائيين قبل الثورة ، للاستدارة الى ضرب الجهات التى تعوقهم عن العمل الفدائى ضد الانجليز فى داخل مصر . فهذه الجهات هى - أنذاك ، فى رأيه - العدو الرئيسى ، والانجليز ، سيأتى دورهم بعد ذلك حين تتوحد الصفوف ، وتتطهر أرض الوطن . ومثلما كان يفعل فى صحيفة « مصر الفتاة » تحت عنوان « وراء الرغيف » ومثلما كان يفعل فى مجلة « الكشكول » محرضا فى الاثنين للناس على المطالبة بالعدالة ، لينال الفقراء والمستضعفون حظهم من الدنيا ، ويكون لانسانيتهم حق الأخذ والعطاء .

كان راقدا على سريره ، لاهث الانفاس ، يعانى من برد شديد ، مدًلى يده الصغيرة مصافحا ، وهو ينهض بنصف قومة ، وجلست بجانبه على مقعدٍ وقلت له ضاحكا :
- ظننت آن مرضك مرض سياسى .

فقال لى
- إن شئت الحق . الاثنان معا .
تذكرت يوما سمعت فيه عن محاضرة فى قاعة « على مبارك » بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، فذهبت لأسمعه يتحدث خطيبا لأول مرة ورأيت ذلك النحيل البدن ، الشارد العينين ، الذى يؤثر القول بالقلم ، عن القلم باللسان ، خطيبا مفوها ، وداعية إسلاميا حاضر الذهن ، بالآيات ، والأحاديث ، ووقائع التاريخ ، يحدث الحاضرين فى القاعة عن طريق الايمان ، وعن عدم فصل الاسلام بين الدين والدنيا ، والمادة والروح ، والمسجد والدولة ، مثلما تفعل حضارات الغرب والشرق . ويروى من سيرة حياته (سمعت ذلك بأذنى) أنه ظل ملحدا أحد عشر عاما ، حتى اخذ يكتب كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » فاذا به يعثر على الطريق الى الله ، ويخرج من حيرة الالحاد الى طمأنينة الايمان ، وتسوقه الخطبة الى مهاجمة



الجامعة ، فى قلب الجامعة ، ويصف أساتذتها بقوله . « جهل يحمل الدكتوراه » . عند تلك القولة « الهفوة » شعرت أنه قد صار بينى وبينه بون شاسع .

جاءت شقيقته الصغرى بالشاى ، وضعته بيننا ، وقلت لسيد

ـ مارأيك فى الاشتراكية ؟

فقال لى

ـ لا هدف لها سوى العدالة . والاسلام عندى اشتراكى النزعة .

قلت له :

ـ وددت لو أعرف منك . لم انضممت الى الاخوان ، وصرت لهم خطيبا ، وداعية ؟

فقال لى :

ـ فى الناس وحوش . ولا يوقف وحشيتهم بالوجدان ، سوى الدين ، ولايجرىء الضعفاء عليهم سوى الدين .

فهمت فى تلك اللحظة نزعة المصلح الاجتماعى المثالى عند سيد قطب ، وسر اختياره لهذا الطريق . رويت له كيف أننى كنت عضوا مغمورا بالاخوان قبل سنين وكيف بكيت يوم مات مرشدهم حسن البنا ، وكيف تركت الاخوان ، حين جلست على رصيف محطة للسكة الحديد ، أقرأ فى كتاب « علم النفس التكاملى » ليوسف مراد فى ظل شجرة رطيب فى عز الظهيرة ، وجاء قائد من قادة الاخوان ، وجذب الكتاب من يدى ، وإذ قرأ عنوانه ، طوّح به ، ودوت يده بصفعة على خدى وأذنى ، وقال لى :

ـ أتقرأ هذه الكتب ، وتترك كتاب الله ؟

ابتسم سيد بحنو ، وقال :

ـ ولذلك تركت الاخوان ؟

قلت :

ـ أجل . هذا التطرف ، والكراهية لعلوم الدنيا ، لاأطيقها من أحد

فقال لى :

ـ انهم شباب ينقصهم الكثير من المعرفة بأمور الدين ، وروح الدين ، وغاية الدين .

ولم يفلح يومها سيد فى اعادتى الى « الحظيرة » ولم أتوقع منه هو ، أن يكون فى يوم ما ، داعية لهذا التطرف العنيف ، فى كتابه الرهيب : « معالم على الطريق » ، وكأنه كان يشعر انه سيودع الدنيا ، شهيدا ، بعد حين ، ويستعجل الشهادة

كثيرا ماكان يخالجنى الشك فى صلته بالعقاد . فأسلوب سيد فيه لمسات الاحتذاء للعقاد ، روى لى سيد ذكرى مريرة ، بدا لى وهو يرويها كأنها لم تعد تحزنه ، أو تعنيه فى شىء قال لى وهو يبتسم :

ـ كنت له تلميذا محباً ، وكنت أقدم له كتبى ، فيثنى على ، ويقربنى منه ، حتى طلبت منه ذات يومٍ أن يكتب مقدمة لكتاب لىّ ، يقدمنى به للناس . فأبى ذلك على نفسه وعلىّ . وشعرت بالغيظ ، حين آثر أن يقدم لكتاب « بروتوكلات حكماء صهيون » لخليفة التونسى ، ولايقدم

لكتابى . فجفوته وجفانى ، وهجرت مجلسه .

سألت سيد قطب

ـ اى كتاب كان ؟

فقال لى

ـ ليس ذلك مهما الآن .

وآثر سيد الصمت فى هذا الموضوع ، ولم الح عليه . لكننى فكرت انه ولابد كان واحدا من كتابين « التصوير الفنى » ، أو « مشاهد القيامة » وهما موضوعان يجدر ان يكتب فيهما العقاد . أيكون السبب هو غيرة الاستاذ من تلميذه الموهوب ؟ أم يكون سبب الرفض والجفوة ، حدة القلم ، وتمرد الروح ، فى كتابات سيد قطب ؟

● علم الأعلام ●

شقت صفوف الاخوان بعد ضرب الاحراب ، وإلغاء الدستور ، وحل البرلمان ، باثارة اتجاهين ، داخل صفوف الاخوان ، احدهما ضد الآخر ، اتجاه الدعاة من خريجى الأزهر ، واتجاه الدعاة من خريجى الجامعات الحديثة ، وكان سيد قطب علم الأعلام فى هذا الاتجاه الأخير .

وصدر كتاب « معالم على الطريق » لسيد قطب ، وقد حلت جماعة الأخوان ، وجرت المحاولة لاغتيال عبد الناصر ، حقيقة كانت هذه المحاولة أو تمثيلا ، والقت الثورة القبض على مفكرى جماعة الاخوان ، وفى طليعتهم سيد قطب ، وعبد القادر عودة

مازلت اذكر يوما ، جلست فيه مع الناس ، ونحن ننصت الى محاكمة الثورة (فى محكمة الشعب) لقيادات الاخوان . وإذ جاء الدور على سيد قطب ، فوجئت به ، عبر الاثير يتكلم ، هو النحيل البدن ، ذو الرنة الواحدة ، بقوة ، لاحساب معها لخوف من ضرب أو تعذيب ، قبل المحاكمة ، أو بعد المحاكمة . يتحدث بصفاء مدهش ، الى قاضيه ، وقد كان واحدا من صفوة من الثوار يجتمعون عنده فى بيته ، فى الليالى الحارة ، والليالى الباردة ، يتحاورون ، فى امور التمهيد للثورة ، والاعداد لها ، ولقد ارانى سيد يوم زرته اول مرة ، صورة لهما كان يجلسان معا ، ويأكلان معا القاضى والمتهم وحدث دون أن يدور لهما بخاطره ، ان احدهما سيكون ضحية بكلمة ينطق به صاحبه .

ومازلت اذكر يوم قابلت شقيقه « محمد » وكنت قد أصدرت اول مجموعة قصصية لى ، وأهديتها لسيد فى سجنه ، فاخذها إليه ، فاخذها منه سيد . وقد اعاد الى سيد قطب الغلاف الداخلى الذى خططت بيدى الاهداء اليه ، وحمل محمد الورقة الى ، قائلا لى .

ـ سيد يقول لك · إنه لاينبغى ان ينالك اذى بسببى . فمزق هذه الورقة بيدك انت

أشفق سيد ان يمزق هو الورقة بيده ولا أعلم ، فاقع ذات لحظة اسير الهواجس والمخاوف والظنون ، واظل اترقب . وقد كان ذلك يمكن أن يحدث لى ، إثر إعلان الحكم عليه بالموت شنقا .

فى العدد القادم : سيد قطب وثلاث رسائل لم تنشر
بقلم الدكتور : الطاهر احمد مكى

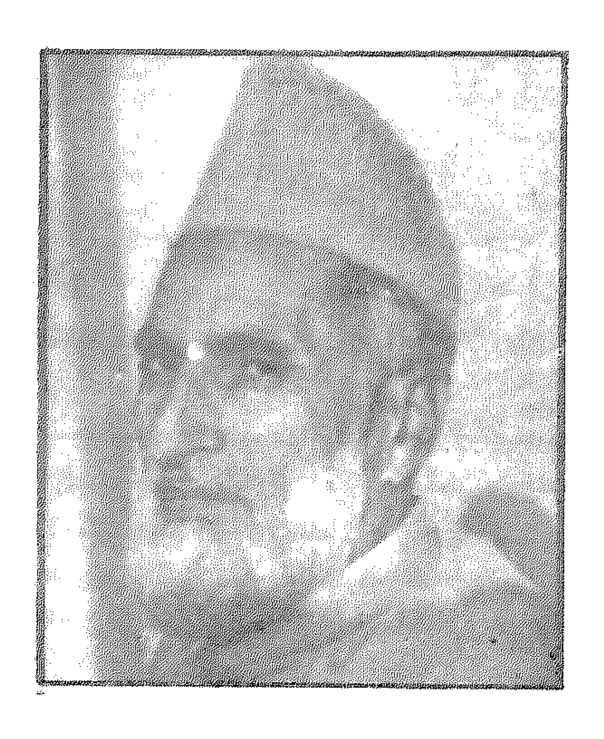


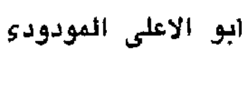
من أمراض الصحوة الإسلامية المعاصرة

بقلم: د. محمد عمارة

● إن الحديث عن أمراض الصحوة الاسلامية نغمة سائدة وعالية فى صفوف خصوم هذه الصحوة ، يسفهون به قدرها ، ويهونون به من شأنها ، وينفرون الناس منها بهذا الحديث .. لكن الغيورين على هذه الصحوة ، المناضلين فى سبيلها - بالفكر - أو بالعمل - أو بهما معا - يخوضون بشجاعة المناضلين ميدان النظر فى هذه الأمراض ، تطويقا لآثارها ، وبحثا عن سبل البرء من أدوائها ، وذلك حتى تبلغ هذه الصحوة بالأمة الهدف الذى قامت من أجله : الاحياء الحضارى والبعث القومى وتجديد واقع المسلمين بالاسلام الحضارى المتجدد أبدا ..

ونحن إذا تخيرنا مثالا من الأبحاث التى عرضت ، من منطلق إسلامى ، لأمراض الصحوة الاسلامية ، فسنجد الغيورين على هذه الصحوة يذكرون من هذه الأمراض :





ابو الاعلى المودودى



التفرق والتشرذم . الذى يبدد الطاقات ، بل ويجعل بأس الاسلاميين عنهم شديدا ..

والتطرف والغلو : ليس فى النسك والعبادات ، وإنما فى سرعة إصدار الأحكام ، واختيار الحاد والعنيف منها ، والميل إلى التعميم فى هذه الاحكام ـ من مثل « الجاهلية » و« التكفير » ـ حتى على فصائل أخرى منطلقها الاسلام !

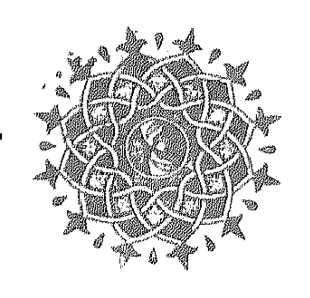
الغرور : بالقوة الذاتية ، مهما ضعفت ، وبالحصيلة الفكرية مهما هزلت .. والاستعلاء على الآخرين ..

الانغلاق على الذات · اجتماعيا وانسانيا وفكريا ، بإهمال العلاقات بالتيارات الفكرية والحركية الاخرى . واسقاط الفكر غير الاسلامى عن الحسبان ، محليا كان أو عالميا ، بل ورفض الفكر الاسلامى الذى لم ينتجه او يجزه اعلام « الجماعة » وأمراؤها ! ..

السطحية : فى تصور الحلول للمشكلات المعقدة التى تواجه الامة وتعترض سبيل العمل الاسلامى ..

الارتجال : النابع من النظرة وحيدة الجانب ، لغيبة التصورات المختلفة والبدائل المتعددة التى تطرحها التيارات الأخرى للمشكلات .

تقديس التراث : بعدم التمييز بين « الدين المقدس » و« الوحى » و« الوضع الألهى » وبين الابداع والاجتهاد الاسلامى المحكوم بقدرات المجتهدين ومواقفهم الفكرية وزمانهم والمكان الذى عاشوا فيه وملابسات الواقع الذى اجتهدوا له .



ويدخل فى ذلك . التعبد بنصوص ليست وحيا .. بل وبتفسيرات لنصوص الوحى . بل والتعبد بأحداث التاريخ الاسلامى المبكر .. وتجريد النصوص من ملابساتها . التى هى « مذكرات تفسيرها » .. وكذلك اجتزاء بعض النصوص . وعزلها عن سياقها ، وغيبة « القراءة المتكاملة والمقارنة للنصوص »

تلك بعض من « الامراض » الملحوظة فى بعض الفصائل الشبابية الاسلامية وهنا يتساءل الكثيرون عن « المنبع الفكرى » لهذه الامراض »

إن بعضنا من خصوم الاستاذ «ابو الاعلى المودودى» يحملونه تبعة جميع هذه الأمراض .. فهو مبتدع نظرية « الحاكمية » وأول من حكم على المجتمعات الاسلامية باللا إسلامية . فقال « بالجاهلية الجديدة » و« بالتفكير » وتلك المقولات المودودية هى القاسم المشترك بين فصائل الغلو فى حركة الصحوة الاسلامية .. وكتاباته هى المصادر الأكثر شيوعا وتاثيرا لدى الفصائل التى تنتشر فيها هذه « الامراض » .. هكذا يقول خصوم الرجل . إسلاميون وغير اسلاميين ..

أما أنصاره فإنهم يبرؤنه من جميع ذلك .. ويدعو بعضهم إلى التمييز بين فكره ـ الذى ينفون عنه أى خطأ ـ وبين صورة هذا الفكر كما تجلت عند الشهيد سيد قطب [١٣٢٤ ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م] .. فهم ينحون باللائمة على سيد قطب . الذى جرد مقولات المودودى من ملابساتها الهندية الخاصة . ووظفها فى المناخ العربى الاسلامى المغاير .. بل وتصاعد ببعض هذه المقولات غلوا وتطرفا .. فلقد رفض « القومية » بعامة . على حين كان رفض المودودى « للقومية السياسية » التى أسس عليها « حزب المؤتمر الهندى » دعوته لوحدة الهند ... ولم يرفض « القومية الحضارية » ، بل ودعا إلى مستقبل للهند مؤسس على تمايز قومياتها الحضارية .. ومثل ذلك الموقف من مقولة « التكفير » فعلى حين وقف المودودى بحكم « التكفير » عند الدولة ـ وكانت « استعمارية ـ هندوكية » ـ وعند حدود المجتمع ـ وكانت اغلبيته غير مسلمة والسيادة فيه للقيم غير الإسلامية ـ وجدنا سيد قطب يحكم بالكفر على الأمة ، باستثناء التنظيم الذى اتخذ كتابه [معالم فى الطريق] دليلا ومنهاجا[٢] ،

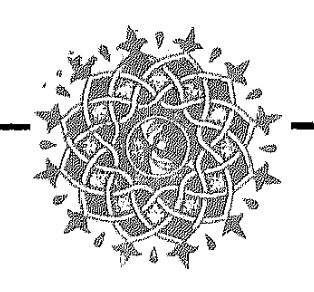
ورغم وجاهة هذا الدفاع عن فكر الاستاذ المودودى ، وصدق مقولة تصاعد سيد قطب ـ فى اتجاه المزيد من الغلو ـ بما قاله أبوالاعلى فى « التكفير » .. إلا اننا نود أن نلفت الانتباه إلى عدد من الحقائق الهامة .. والتى تزداد أهميتها عندما يكون مكانها هو الحديث عن « امراض » الصحوة الاسلامية »

واولى هذه الحقائق : أن الكثيرين من قراء المودودى ومريديه ـ ومنهم سيد قطب ـ قد عزلوا نصوصه عن ملابساتها ، فنظروا إليها كدين ، او على الاقل « نظريات إسلامية » عامة ، ولم ينظروا إليها « كفكر سياسى » إسلامى صيغ لملابسات متميزة وخاصة .. وساعدهم على ذلك أن الرجل لم يقدم مقولاته باعتبارها · الرؤية الإسلامية لمناضل مسلم فى بيئة محددة ، وإنما قدما باعتبارها « الإسلام » ؟ ! .. ثم إن هؤلاء القراء والمريدين لم يلحظوا أن الرجل قد غير اراءه فى الموضوع الواحد عندما تبدلت الظروف والملابسات ..

وثانية هذه الحقائق · أن صياغات الأستاذ المودودى لكثير من مقولاته قد ساعدت على كثير من اللبس والغموض والابهام ، الذى حال دون فهم حقيقة مراميه من وراء هذه المقولات .. فحينا تكون الصياغات موهمة بغير مايعنيه ، وذلك بالتركيز على جانب من الفكرة ، وإهمال الضوابط وعدم الاشارة الى الجوانب الاخرى . ويشيع ذلك كثيرا فيما كتبه عن « الحاكمية » و« التكفير » ـ وهما من أخطر المقولات التى أشاعت وتشيع الغلو فى صفوف كثير من الشباب الاسلاميين ..

والحقيقة الثالثة : ان كثيرين من تلامذة الاستاذ المودودى واتباعه لم ينتبهوا إلى أن الرجل كان « مفكرا ـ مناضلا ـ إثاريا » يكتب « للجماهير » ، ومن ثم فلقد استخدم « التحريض العاطفى » مع « الفكر النظرى المنضبط » ، ولجأ إلى « العبارات المجازية » مع « المصطلحات العلمية » وشاع جميع ذلك واختلط فى سياق صياغاته لنظريات سياسية إسلامية هى اشد ماتكون حاجة الى الصياغة الدقيقة المنضبطة ، لتعلقها بالإسلام من ناحية ، ولما يترتب عليها من الحكم على عقائد الناس من ناحية اخرى ..

والحقيقة الرابعة : والتى هى بمثابة الثمرة لما تقدم فى هذا الموضوع ـ أن اتباع المودودى ومريديه لم يدركوا استحالة فهم المرامى الحقيقية للرجل من وراء المقولات النظرية التى ابدعها،دون القراءة «الشاملة ـ المقارنة» لكل اثاره الفكرية ، أو اغلبها على الاقل ... فبهذا النهج فى دراسة فكر المودودى يتم ضبط المصطلح ... واستكمال عناصر كل مقولة نظرية ... وإدراك علاقة كل فكرة نظرية بالواقع الذى اثمرها ... وتتبع اثر تطور الواقع وتغيره على تطور المقولة وتغيرها ... فهذه الدراسة



بهذا النهج ، هى وحدها الكفيلة بإدراك المرامى الحقيقية للرجل ، ومن ثم إنصافه وإعطائه حقه لدى أنصاره وخصومه على السواء ...

● ● ●

● اختلاف المفهوم الأيديولوجى

ونحن لاندعى أننا أول من تنبه إلى هذه الحقائق بصدد دراسة فكر الأستاذ المودودى ..

● فأحد قادة « الجماعة الإسلامية » التى أسسها المودودى ـ يشير إلى تغير واختلاف « المفهوم الأيديولوجى » فى باكستان ، ذات الأغلبية المسلمة ، عنه فى الهند ، ذات الأغلبية غير المسلمة ، وأثر ذلك على تغير « الحقائق الموضوعية . التى تكون مفهوم عملية الحركة الإسلامية .. »[٣] ...

ومع ذلك ، فإن فصائل كثيرة فى محيط الصحوة الإسلامية مازالت تتعبد بالصياغات الفكرية التى صاغها المودودى لواقع الهند مابين سنة ١٩٣٧ و سنة ١٩٤١م .. الهند المستعمرة الانجليزية ، ذات الأغلبية الهندوكية ؟! ..

● وأثناء محنة « جماعة الإخوان المسلمين » الأولى .. وعندما ظهرت فى صفوف بعض شباب الجماعة ـ بالسجن ـ مقولة المودودى عن « التكفير » ... تنبه الكثيرون ونبهوا الى خصوصية هذا الفكر السياسى .. وكتب أحدهم فقال : « فى سنة ١٩٤٩م أرسلت من زنزانتى رقم ٢٢ بسجن مصر ، خطابا إلى حلب ، طالبا من مكتبة الشباب المسلم مجموعة كاملة من رسائل «ابوالاعلى المودودى» ، لأقدم من خلالها دراسة عن فكر المودودى ، **لأوقف عبث بعض الطلبة حينذاك** . ووصلتنى ١٣ رسالة منها . **وقد علمنا وتعلمنا أن لكل أرض مناخها ومناهجها وأساليبها . والاسلام واحد من لدن عليم خبير** ! ... »[٤] ومع ذلك ، فإن البعض يأبى إلا التعميم ؟! ..

● وفصيل من فصائل الحركة الاسلامية يناقش الذين انطلقوا من صياغات المودودى إلى تكفير المسلمين ، لافتا نظرهم إلى بعض الحقائق التى أشرنا إليها . فيقول هذا الفصيل فى التقديم لاحدى طبعات رسالة الاستاذ المودودى [الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية] ... « وثمة ملاحظة على أسلوب الرسالة فهى فى الأصل خطبة . **والأستاذ المودودى زعيم شعبى وخطيب مفوه** . بالاضافة الى انه

يبتغى اقتلاع مفاهيم خاطئة وانتزاع قيم هابطة . وإحلال بدائل إسلامية . وهى عملية شديدة المشقة . كما انه **يستثير عزائم الجماهير ويستنهض هممهم ويستجيش مشاعرهم .. وضرورى لهذه الاسباب . أن يستخدم الاسلوب الخطابى الحماسى الذى من طبيعته المبالغة فى التحذير من التقصير فى الواجبات والترهيب من الوقوع في شعب الكفر . والشدة فى إصدار الاحكام العامة ولقد ذهب بعض الناس . استنادا لمثل هذا الأسلوب . واعتمادا على واقع مفروض على المسلمين قهرا . ذهبوا الى الحكم بكفر سائر المسلمين الا من ثبت لديهم إيمانه . أو ذهبوا على الأقل الى التشكيك فى إيمانهم . وفاتهم ان الأستاذ المودودى . الذى يستدلون بأقواله . قد استدرك على نفسه . وذكر بصريح اللفظ والعبارة أنه لايقصد هذا المقصد الذى يرمون إليه . فها هو يقول فى هذا الكتاب ـ [الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية] ـ مانصه : « غير ان الذى لاريب فيه ان تكفير رجل من رجال الاسلام بحكم الشرع والقانون واخراجه من حظيرة الأمة المسلمة لايتعلق بهذا المقام . فإن الحاجة فيه الى الحيطة والتانى شديدة جدا .. »[٥]**

ومع ذلك . فإن كثيرين يغضون الطرف عن مثل هذه الاشارات ! ..

● **بل ان الذين ينظرون بفقه وتامل فى** كتابات الأستاذ المودودى يرون ان الرجل قد نبه على السبيل الآمن لادراك المرامي من وراء الصياغات . باستخدام « النظرة المقارنة » بين مختلف الصياغات . التى تعرض ـ فى تفاوت وتمايز للقضية الواحدة ـ نبه على ذلك فى نص شديد الاهمية . وهو يتحدث عن منهجه المفضل فى فهم القرآن والسنة ... فالقرآن . عنده مهمته الحقيقية هى أن يعرض الاسس الفكرية والخلقية للنظام الاسلامى بوضوح . **ثم يثبتها تثبيتا قويا بكلا الطريقتين : التدليل العقلى . والتحريض العاطفى[٦] .. » ... ولذلك . فإننا « إذا أردنا الاستنتاج الصحيح . سواء من أية من أيات القرآن او حديث من احاديث الرسول . صلى الله عليه وسلم . يلزمنا أن نجيل فيهما نظرة شاملة تحيط بكل جوانبهما . وأما اذا تناولنا أية واحدة أو حديثا واحدا . بغض النظر عن سائر الأجزاء المتعلقة به المذكورة فى الآيات والاحاديث الاخرى . وحسبناها تستقل بما تحويه فلا شيء ينقذنا من الارتطام فى الخطأ والوقوع فريسة الفهم السيء .. »**

وبعد أن حدد المودودى هذا المنهج « المتكامل ـ المقارن » فى قراءة النصوص قراءة « **تنقذنا من الارتطام فى الخطأ والوقوع فريسة الفهم السيء** » ضرب لنا مثلا . فقال : « واورد لك مثالا على ماقلت : إن القرآن يركز مرة . على تأكيد الايمان بالله فقط . كما جاء فى آية : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولاتحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم بها توعدون][١]



ثانيا يقصر التأكيد على ضرورة الايمان بالآخرة فقط ، كما جاء فى اية [قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله][8] .

ثالثا : يذكر اليوم الآخر مع الايمان بالله ، كما ترى فى اية [من أمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم][9] **رابعا** · أمر الايمان بالرسل مقرونا بالايمان بالله ، وذلك فى آية : [فآمنوا بالله ورسله ..] .[10] **وخامسا** · يلقن الايمان برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بجانب الايمان بالله بصفة خاصة ، كما فى آية [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه][11] **وسادسا** · ينصب على الحاجة الاكيدة الى الايمان بالآخرة والكتب الالهية فقط ، كما فى آية . [ياايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل][12] . **وسابعا** . يقرر إنكار الانسان للأنبياء والملائكة كفرا وفسقا . وهذا فى آية [من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين][13] . **وثامنا** . بين للايمان خمس شعب بصورة متماسكة ، وهى · الايمان بالله ، والايمان بالرسل والايمان بالكتب والايمان بالملائكة ، والايمان باليوم الآخر . وخذلك مثالا اية [ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين][14] . ولكن. **من الحقيقة ان هذه الآيات كلها لاتعارض بعضها بعضا . بل تتضمن كل أية منها جزءا او شعبة من الاجزاء أو الشعب المتعددة للايمان ، حيث ان بعض الآيات شملت كل اجزائه وشعبه ، بينما لم تؤكد الآيات الأخرى الا جزءا او جزئين من الايمان ، اخذة بمبدأ التركيز على الجزء الذى يلائم المناسبة . ويلبى الضرورة المرحلية . ويحقق المقتضى الناشىء .. »[15]**

إن هذا المنهج . « الشمولي ـ المقارن » . الذى حدده المودودى لفقه مرامي القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . هو فى نظرنا . من أدق المناهج فى الدراسة الواعية والعلمية لآثار اى مفكر من المفكرين .. فالنظرة الشاملة لجميع ماكتب حول كل قضية من القضايا . وترتيب هذه الكتابات تاريخيا . ورؤيتها فى ضوء الواقع الذى أفرزها . والجمهور الذى توجهت اليه .. الخ .. الخ .. هى اكثر السبل أمنا فى فقه المرامى الحقيقية لهذا المفكر من وراء ماصاغ من نظريات ومقولات .. اما الاجتزاء ـ وهو الداء الذى اصاب جمهورا كبيرا من مريدى الاستاذ المودودى ـ فإنه قائد لامحالة ـ كما قد حدث ، للأسف الشديد ـ الى ماقد سماه الرجل بحق : « الارتطام فى الخطأ والوقوع فريسة الفهم السيء » ؟! ..

لكل هذا الذى أسلفنا كانت الحاجة شديدة وماسة وملحة الى دراسة « متكاملة ـ مقارنة ـ نقدية » تحدد ـ فى دقة ـ المرامى الحقيقية للأستاذ المودودى من وراء مقولاته ، التى احدثت ولازالت تحدث الكثير من الجدل واللغط فى صفوف جماهير واسعة من تيارات الصحوة الاسلامية المعاصرة وجماعاتها ، فتنصف الرجل من خصومه وانصاره على السواء ، وتجعل من ثمرات ابداع هذا « المفكر ـ المناضل » الكبير رصيدا يثرى الفكر السياسى الاسلامى المعاصر ، وينير دروب السالكين طريق أسلمة الواقع الاسلامى ، بدلا من ان تشيع الضباب فى سماء هذا الطريق ... وتنشر فى صفوف بعض الاسلاميين الكثير من « الأمراض » !؟ ..

---

(١) انظر بحث الاستاذ محى الدين عطية بعنوان [امراض الصحوة الاسلامية ـ محاولة للتشخيص والعلاج] .
مجلة [المسلم المعاصر] ص ٩ ـ ٢١ عدد ٤٢ السنة ١١ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ ـ إبريل سنة ١٩٨٥م . ـ والبحث ـ قبل نشره ـ مقدم إلى الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامى ، بالجزائر ١٠ ـ ١٦ يوليو سنة ١٩٨٤م .

(٢) انظر كتابنا [الصحوة الاسلامية والتحدى الحضارى] فصل « الجماعة الاسلامية » ص ٨٥ ـ ١٤٢ وفصل « تيار الرفض الكامل للواقع » ص ١٤٣ ـ ١٧٢ . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م .

(٣) د . خورشيد احمد [نموذج المودودى للبحث الاسلامى] بحث منشور فى مجلة [المسلم المعاصر] العدد ٣١ رمضان سنة ١٤٠٢هـ ص ٨ ، ٩ .
(٤) انظر كلمة سعد سيد احمد ، على غلاف كتاب [ابو الأعلى المودودى . فكره ودعوته] للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم طبعة دار الأنصار . القاهرة سنة ١٩٧٩م .

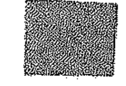
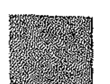
(٥) مقدمة كتبتها « لجنة الاعلام والنشر بالاتحاد العام لطلاب مصر » ـ وهى من فصائل الجماعات الاسلامية ـ بمصر ـ لطبعة القاهرة لكتاب [الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية] سنة ١٩٧٧م . ص ١٠ ، ١١ .
(٦) المودودى [المبادىء الأساسية لفهم القرآن] ص ٦٢ تعريب خليل احمد الحامدى . طبعة الكويت سنة ١٩٧١م .
(٧) فصلت : ٣٠ .

(٨) الأنعام : ٣١ . (٩) البقرة . ٦٢ . (١٠) آل عمران : ١٧٩ . (١١) النور . ٦٢ . (١٢) النساء : ١٣٦ . (١٣) البقرة : ٩٨ . (١٤) البقرة : ١٧٧ . (١٥) المودودى [مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة] ص ٣٩ ، ٤٠ طبعة الكويت سنة ١٩٧٧م .

التيارات الفكرية فى مصر
فى القرن العشرين (٣)

التيار القومي العربي

بقلم: حسين أحمد أمين

● تعنى القومية العربية تلك الحركة التى نشأت بين ظهراني عرب اقطار الدولة العثمانية ،ودعت في بدايتها - بمباركة الحلفاء الاوروبيين وتشجيعهم ، بل وربما بوحى منهم - الى الاستقلال عن تركيا حليفة الالمان فى الحرب العالمية الاولى ، ثم تطورت بعد تحقيقها لهذا الهدف ، وبعد وقوع عدد من الاقطار العربية فى براثن الاحتلالين البريطاني والفرنسى الى الدعوة الى قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية بين هذه الاقطار ، يتفاوت بتفاوت افكار الدعاة . وقد ذهب هؤلاء الى ان ثمة أمة عربية واحدة ، قد انقسمت بسبب ظروف خارجة عن ارادتها الى دول مستقلة ، وان الواجب العمل على اعادة توحيدها فى كيان سياسى عضوى واحد ذى سيادة بالنظر الى مايجمع بينها من عناصر هي الدين (الاسلام) واللغة (العربية) والثقافة « الاسلامية »،والارض الممتدة ، والتاريخ المشترك ، ثم المصلحة الاقتصادية التي ستعود على الجميع من جراء الوحدة

ولا شك فى أن ظهور المشكلة الفلسطينية وقيام دولة اسرائيل ، اضافا الى الدعوة حافزا جديداً يتمثل فى وحدة الهدف ، والاحساس المشترك بالخطر .

● الانتماء العربى ●

وكان أول من لهج بفكرة القومية العربية عبد الرحمن الكواكبى الحلبى المولد ، « ١٨٤٩ - ١٩٠٢ » ، حين كرر فى كتابه « أم القرى » بالحرف الواحد ماسبق لويلفرد بلنت البريطانى أن عبر عنه من آراء فى كتابه « مستقبل الاسلام » عام ١٨٨٢ . ثم حدث أن تبنى السيد رشيد رضا (وهو الذى اتهمه محمد فريد فى مذكراته بانه عميل للبريطانيين) هذه الدعوة فى مجلته « المنار » . وكانت دعوة الرجلين ، المستقاة من أفكار بلنت ، والتى عنيت بايضاح المركز الخاص الذى يتمتع

به العرب في اطار الاسلام ، أول نقلة حاسمة من فكرة الجامعة الاسلامية التي حمل الافغاني لواءها ، الى فكرة القومية العربية . وقد جاء هذا التحول لدى معتنقي الفكرة من الانتماء الاسلامي الى الانتماء العربي نتيجة لعدة عوامل ، منها ، الضعف المطرد الذي طرأ على العقيدة الدينية لدى الكثيرين من العلمانيين وممن تبنوا نمط المعيشة الغربي ، والوهن المتزايد في الصلات بين أطراف العالم الاسلامي نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية في دوله ، والرغبة في ضمان مساهمة الاقليات غير المسلمة في هذه الحركة ، وتجنب وقوفها بمنأى عنها أو مقاومتها . كل هذا بالرغم من أن فكرة القومية العربية نابعة في المقام الاول من مفهوم مثالي لماض حضاري ديني .

وقد كان السياسيون والصحافيون والكتاب في العراق وسوريا ولبنان (أي مجموعة أقطار الهلال الخصيب التي حررها البريطانيون والفرنسيون من حكم الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى ثم أخضعوها بعد ذلك لاحتلالهم) . أول من حمل لواء فكرة القومية على نحو جاد ، بادئين بصياغة الاسس النظرية والفلسفية والتاريخية لها

.. غير أن الدعوة ظلت قاصرة أو تكاد على العراق وسوريا ولبنان ، وظلت مصر خارج نطاقها ، لا تابه كثيرا بهسا ، حتى احتضنها جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٥٥ ، فتحولت الفكرة عند المصريين من مجرد مفهوم وديع متواضع لا يكاد يتعدى كتابات عدد محدود من المفكرين ، ومآدب القصر الملكي لزعماء العرب ، الى حملة منظمة واسعة النطاق ، تحاول غرس مفهوم القومية والانتماء العربيين في أذهان أفراد الشعب ، وذلك عن طريق وسائل الاعلام القوية ، والمناهج الدراسية في المدارس والجامعات ، وكتابات المفكرين والصحافيين المصاعين للنظام أو المخلصين في عقيدتهم وخطب الزعماء والقادة ، ودعايات الاتحاد الاشتراكي وشعاراته ولافتاته .

ولم يكن في تبني الفكرة في حقيقة الامر تنازل كبير من جانب مصر عن هويتها المتفردة . فقد كان ثمة دائما احساس بأنه متى ما تطلعت مصر الى خارج حدودها ، فانما يعل ذلك لكي تلعب دورا قياديا في المنطقة . أضف الى ذلك أن المسلمين المصريين أكثر تفهما ووعيا للتاريخ الاسلامي وشخصياته منهم للتاريخ المصري



عبدالرحمن الكواكبي



رشيد رضا

التيارات الفكرية في مصر في القرن العشرين (٣)

القديم وفراعنته ، هذا الى تجاوب حقيقي مع الثورات العربية ضد الاستعمار (كالثورة السورية مثلا) وأحساس مصـــالح ومشكلات يشترك فيها العـــرب معهم ، وما يربط بينهم وبين ســـائر العرب من ثقافة واحدة ، واساليب عيش متقاربة .

● ضرب فكرة القومية العربية ●

وقد بدا في وقت من الاوقات ، خاصـــة مع قيام الجمهورية العـــربية المتحدة عام ١٩٥٨ التي ضمت مصر وسوريا ، وكأن فكرة القومية العربية بمفهـــومها المادي للغرب ، قد بدأت تدخل حيز التطبيـــق ، وتحرز قسطا ملموسا من النجاح . فكان انشمر الغرب عن ساعده لضربها بالتحالف مع الانظمة المسماة بالرجعية في المنطقـــة ، وكان انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١ ، وكانت حرب يونيو عام ١٩٦٧ التي قلمت نهائيا من أظفـــــار عبد الناصر وأذهبت ريحه ، وشــــككت العــرب في انفسهم وقدراتهم ، وشككت شعب مصر في جدوى النظام الاشتراكي وجدوى اقحام نفسه في الشئون العربية الداخلية ، خاصـــة وقد اعتبر تدخل عبد النـــاصر في اليمن أحد اسباب الهزيمة في الحـــرب على يد الد أعداء القومية العربية ، وهي اسرائيل .

● شكل جديد للتضامن ●

فشل عبد الناصر اذن في توحيد الامة العربية عن طريق الدعاية او الثورة او استخدام القوة ، كما فشل حـزب البعث في تحقيق الوحدة أو الاشتراكية في قلاعه الاصلية ، وهي سوريا والعراق والاردن . وقد انتهى الحال بعبد الناصر في السنوات الثلاث الاخيرة من حكمه ، وبعد ان خالته الامة العربية صلاح الدين الجـــديد ، الى الاعتماد الكـــامل تقريبا على الاتحـــاد الســـوفييتي من أجل انقاذه من ورطتـــه العسكرية والاقتصادية .

غير أن اختفاءه من مسرح الاحـــداث العربي عام ١٩٧٠ ، والظـروف التي أدت الى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ضد اسرائيل، وهي التي أسفرت عن قدر من النصر رد الى العرب ثقتهم المفقودة بانفســـهم ، وتعاظم نفوذ عدد من دول النفط العـــربية الثرية وتاثيرها في الاقتصاد العالمي وفي اتجاهات الدول الغربية حتى ازاء اسرائيـــل . كل هذا ادى الى اعطاء دفعة مستجدة للقومية العربية ، ولكن مع اضــــفاء طابع جديد عليها . فقد تبددت الان الاوهام الرومانسية التي كانت لصيقة بالكـــــار حزب البعث ، كما تبخرت النزعات والمطـــامع البروسية للزعامة المصرية ، ودخل مفهوم القـــومية العربية في صورته الجديدة شـــــكل من التضامن قائم على اساس من المصــــلحة المشتركة ، وادراك الخطـــر الاقتصـــــادي والسياسي والحضاري الذي يمثله الغـــرب، ووعي بامكان اقامة تكتل اقتصادي اقليمي عربي ينافس الدول الغربية الصـــناعية . وقد كانت هذه هي الصورة الجديدة التي بدت عليها القومية العـــربية عقب حرب ١٩٧٣ . وحيث أن اغنى الدول العـــربية المتحمسة لهذا الشـــكل الجديد هي من الناحيتين السياسية والاجتماعية أكثر دول المنطقة محافظة وتمسكا بالتقاليد الاسلامية فان الاشـــــتراكية لم تعد الطابع البارز للقومية العربية ، وانما اصــــبح طابعها الغالب ربط العروبة بالاسلام ربطا دعامته المال والثراء ، وهو ثراء يستخدم في المقام الاول في الصراع ضد اسرائيل والامبريالية، ومن اجـــــل اعادة الحقـــوق المشروعة للفلسطينيين .

ولم يكن ثمة مفر ازاء هذا البعث الجديد للقومية العربية عقب حرب ١٩٧٣ ، وازاء

سورتها التي بدت أكثــر واقعية واقرب احتمالا لتحقيق اهدافها ، من أن يحــاول الغرب تسديد ضربات أخرى اليها ، والعمل جادا على بث بذور الشــقاق والفرقة فى الصفوف • وكمــــا أنه فى عام ١٩٦٧ قد اختار مصر هدفا رئيسيا لصب نقمته (عن طريق ، الحاق الهزيمة الساحقة بجيشها) فقد اختارها الآن لتحقيق أغراضه ، ولكن على نحو مخالف ، وبناء على الاعتبــارات التالية :

● أن فكرة القومية العربية والوحــدة لم تظهر فيها على نحو جاد الا متــأخرة عن بزوغها فى الدول العربية الاخرى •

● أن هذه الفكرة لم تتغلغل فى نفــوس المصريين تغلغلا كافيا ، ولم تتعد باى حال من الاحوال رءوس اقلية من أصحاب الاقلام المتاثرين بالافكار الغربية (لا الاسلامية) من سكان المدن ، ولم تنفذ على الاطلاق الى الاغلبية الساحقة من سكانها من الفلاحين ثم من العمال الذين لم يشعروا فى أى وقت من الاوقات بالحاجة اليها •

● ان التجربة الفاشــــلة للوحدة مع سوريا قد شــــككت المصريين فى جدوى الوحدة وامكان تحققها عملا •

● ميــل عدد كبيـــر من المصريين الى الاحساس بانتمــــاء لهم غير عربى ، وهو احساس يغذيه فيهم قدم ماضيهم وامجــــاد أجدادهم من الفراعنة •

● ضعف حصيلة المصريين بوجه عــــام من التراث العربى والاسلامى بالمقــــارنة بغيرهم فى سوريا أو العراق مثلا •

● تزايد مشاعر الاســتياء من العرب لدى المصريين • وهى الناجمة عن :

أ ـ مذلة يستشــــــعرها العاملون من المصريين فى البلاد العــــربية ، وجلهم من طلاب الرزق الذين اضطرتهم الضــــائقة الاقتصادية فى قطرهم الى التكسب بالعمــل فى الدول العربية الغنية ، وما استتبع ذلك من احساس باستعلاء حقيقى أو وهمى من جانب مستخدميهم تجاههم بعد احقـــــاب طويلة كان حال المصريين خلالها على عكس ذلك تماما •

ب ـ النفور من مسلك بعض الاغنياء من الوافدين الى مصر من العرب ، وهو مسلك ينطوى على احساس بالقدرة على الاقدام على اى شىء وشراء اى شىء بفضل اموالهم •

حـ ـ اعتقاد الكثيرين من المصريين بأن ما لحق بلدهم من ضائقة اقتصادية انمــا تمخض أساسا عن خوضها حروبا باهظــة التكلفة لم يسهم فيهــا غيرها من الدول العربية اسهاما كافيا •

د ـ احساسهم بضعف المساعدة المالية العربية لمصر رغم التضحيات التى تقدمها فى سبيل قضية عربية تهم الجميـــع ، (وهو احســـــــاس غذته فيهم الصحافة المصرية ووســـــائل الاعلام الاخرى فى عهد أنور السادات) •

هـ ـ ثم فوق كل شىء ، ذلك التـــدهور الرهيب الذى طرأ على الاحوال الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية فى مصر ، مما ضخم فى نفوس أبنائها الرغبة فى انهاء الصراع وسلسلة الحروب مع اسرائيــــل ، وهو صراع صــور لهم على أنه السبب الرئيسى فى هذا التدهور •

وكان أن انصرفت جهـــود الغرب الى محاولة تحقيق صلح بين مصر واسرائيل ، ســــاعيا فى الوقت ذاته الى بذر بذور الشقاق فى جبهات متعددة داخل العــالم العربى ، ومعتمدا فى سعيه هذا على مابين قادة العرب من تنافس على الزعامة ، وعلى ركاكة قرائــع غالبيتهم ، وغلبــة الاثرة عليهم • ثم كان ان تحقق هذا الهدف وبادرت الدول العربية بقطع علاقاتهــا مع مصر ، مما دفعها الى عزلة لا تزال قائمة الى اليوم عن سائر العرب ، ودفع السادات وصحافته وكتاب نظامه الى التاكيـــد على « مصرية » مصر •

فى العدد القادم
العلمانية والنزعة المصرية

الاعجاز البلاغي في القرآن

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

الاعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث اهل العلم، تاليف الدكتور محمد محمد ابو موسى رئيس قسم البلاغة والنقد بجامعة الازهر وقد صدر عن مكتبة وهبة في نحو اربعمائة صفحة

وهو دراسة عميقة جادة لقضايا اعجاز القرآن الكريم ، قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤١٠ ــ ٤٧١ هـ) ،عند ائمة علماء البلاغة والاعجاز القرآني، من أمثال الخطابي والروماني والباقلاني ،وقد وقفت حقا امام هذه الدراسة المتميزة معجبا كل الاعجاب ، لدقة الفهم ، وروعة التحليل ، وصواب الاستنتاج ، وصحة الاستنباط .

● ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه ان « هذه الدراسة تحاول أن تتفهم كلام القدماء فى هذا الباب ، وليس لها غاية أكثر من الاجتهاد فى ذلك ، وذلك لانها ترى فى كلام القدماء فى هذا الباب ، وفى غيره ، ودائع من حقائق المعرفة لم تستخرج بعد ، فضلا عن ان نكون قد انتفعنا بها فى حياتنا العقلية انتفاعا مثمرا على الوجه المرضى .

ويؤكد الدكتور المؤلف فى المقدمة أنه يلح فى هذه الدراسة وفى غيرها على ضرورة اثبات حقائق المعرفة من كلام القدماء لامور منها أولا وقبل كل شيء فى اعتقادنا أن تراث الامم هو ذات الامم حتى كأنها هو ، وكأنه هى ، ويذكر أن حصيلة هذه الدراسة هى قراءة ثلاثة كتب نقط للخطابى والرمانى والباقلانى ، وأنها انتظمت فى مدخل وثمانية فصول :

فالمدخل يعالج موضوع العربية ودلالة الاعجاز .

والفصل الاول يتناول اعجاز القرآن عند الامام الخطابى (٣١٩ - ٣٨٨ هـ) .

ويتناول الفصل الثانى قضية الاعجاز عند الرمانى (٢٧٦ - ٣٨٤ هـ) .

والفصل الثالث قراءة فى مقدمة كتاب الباقلانى عن اعجاز القرآن .

والرابع حول اعجاز القرآن عند الباقلانى (٣٣٠ - ٤٠٣ هـ) .

والخامس والسادس والسابع حول الباقلانى ونقد الشعر .

والفصل الثامن عن قضية الصرفة التى نادى بها النظام شيخ المعتزلة (١٦٠ - ٢٢١ هـ) .

وهذا الكتاب يمثل لنا فكرا عميقا قويا واقفا على أسرار العربية ومختلف قضايا البلاغة والاعجاز ويمثل لنا شخصية عالم متضلع فى فهم التراث وتعمقه والافادة منه ، لان هذا التراث هو روح الامة ، وجوهر شخصيتها ، ودعامةصبغتها الاسلامية

● الجهل بالتراث ●

وليس هناك اليوم صلة بين التراث وبين القضايا التى يرددها تلامذة الغرب والمستشرقون من انصاف المتعلمين الذين يدعون تصدر موكب العلم والنقد والبلاغة عندنا ، وهم أجهل الناس بتراث أمتهم ، وأبعد الناس عن فهم هذا التراث ، وأقرب التلامذة صلة بالغرب ، ومحاولة لتقليده ، واسعانا فى الاعتراف بأستاذيته لهم .

وقد ورث الامام الخطابى عن علماء البلاغة والاعجاز قبله نظريتين ، احداهما تقول ان الاعجاز كان بالصرفة ، وهى التى كان يرددها النظام المعتزلى ، والاخرى تقول ان الاعجاز بالنظم ، وهى التى كان ينادى بها أبو عثمان الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٥ هـ) ، وعاصره مذهب ثالث يقول ان سبب الاعجاز القرآنى هو ما اشتمل عليه من الاخبار بالغيب ، وهذا المذهب قريب عند الخطابى ويعنى بقربه اما قرب زمنه منه ، واما وضوحه وعدم حاجته الى التعمق ، لقربه من فهم الجماهير من العلماء .

ويقول الخطابى : وزعم آخرون أن اعجازه هو من جهة البلاغة ، وهو رأى الاكثرين من علماء النظم .. وفى كيفيتها يعرض لهم الاشكال ويصعب منه الانفصال .. قالوا : انه لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده وانما يعرفه العالمون به عند سماعه ، ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده .

ويدعو الخطابى الى البحث عن أسرار هذه البلاغة التى تختص بالقرآن الكريم .. ويحاول دراسة ظاهرة البلاغة القرآنية ، أو معجزة الاعجاز فى القرآن الكريم دراسة عالم متمكن ، وأستاذ متعمق ، على هدى من ملكته القادرة فى البلاغة والنقد وشتى علوم العربية .. ويفيض المؤلف الدكتور أبو موسى فى عرض آراء الخطابى وتحليلها الماشة عالم ثبت ذى قدم صدق فى فهم العربية وأسرارها ، وفى الوقوف على حصيلة آراء العلماء فى بلاغتها وأسلوبها .

وينتقل المؤلف الى الرمانى وكتابه « النكت فى اعجاز القرآن » والرمانى يذكر أن القرآن معجز من سبع جهات: ترك المعارضة ـ التحدى للطاقة ـ الصرفة ـ البلاغة ـ الاخبار الصادقة عن الامور المستقبلة ـ نقض العادة ـ قياسه بكل معجزة .

والبلاغة عند الرمانى ثلاث طبقات

١ ـ طبقة عليا ، وهى طبقة بلاغة القرآن .

٢ ـ وطبقة دنيا ، وهى أوفى منزلة فى كلام الناس .

٣ ـ وطبقة بينهما ، وفيها تتفاوت منازل الشعراء والبلغاء .

وأبواب البلاغة عند الرمانى كثيرة ، منها الايجاز ، ومنها التشبيه ، ومنها الاستعارة ، والفواصل ، والتجانس ، والتلاؤم ... الخ .

أما الباقلانى فيأخذ نحو ثلثى الكتاب ، ويمضى المؤلف فى دراسة آرائه فى الاعجاز ، التى دونها الامام الباقلانى فى كتاب « اعجاز القرآن » ، بجد واهتمام ومثابرة وتعمق فى الفهم والاستنباط .

مقدمة اعجاز القرآن للباقلانى تستثير المؤلف ، فيمضى معها دارسا ومعلقا فى فصل كامل ، هو الفصل الثالث من الكتاب « الاعجاز البلاغى » ، مشيرا الى محاولات المستغربين عنا فرض آراء الغرب بدعوى التجديد ، ويؤكد أن قضية الاعجاز عند الامام الباقلانى هى من علم الشعر والادب والتعرف على طرائق الكلام ، وكيفية تقلبه فى وجوه الفصاحة والبلاغة ، وقد عالجها الباقلانى فى هذه الحدود ، ولم يداخلها من علم الكلام وأصول الدين، الا ما لا يمس جوهرها ، فظلت أدبية خالصة ، وقد دخل بها أدق المسالك فى هذا الباب ، وطرق بها أغمض جهاته .

وتدور دراسة الباقلانى فى اعجاز القرآن على محورين أساسيين :

الاول : تحديد العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن الكريم ·

والثانى : امعان النظر فى الايات القرآنيــة ، ومدارستها كلمة كلمة ، وجملة جملة ، وفقرة فقرة ، وسورة سورة ·

ووقف الباقلانى من البديع موقفــا خاصا ، يرفض أن يكون الاعجــاز وقفا عليه ، ويرضى أن يكون وجها من وجوه الاعجــاز ، وسببا من اسبابه الكثيرة ، والبلاغة هى سر معجــزة الاعجاز فى رأيه ، والبلاغة عنـــده عشرة أقســام كالتشبيه والاستعارة والتجنيس والتطابق وغيرها ، ويدرس الباقلانى نظم القرآن دراسة عالم حجة فيما يذهب اليه ·

● معجزة القرآن ●

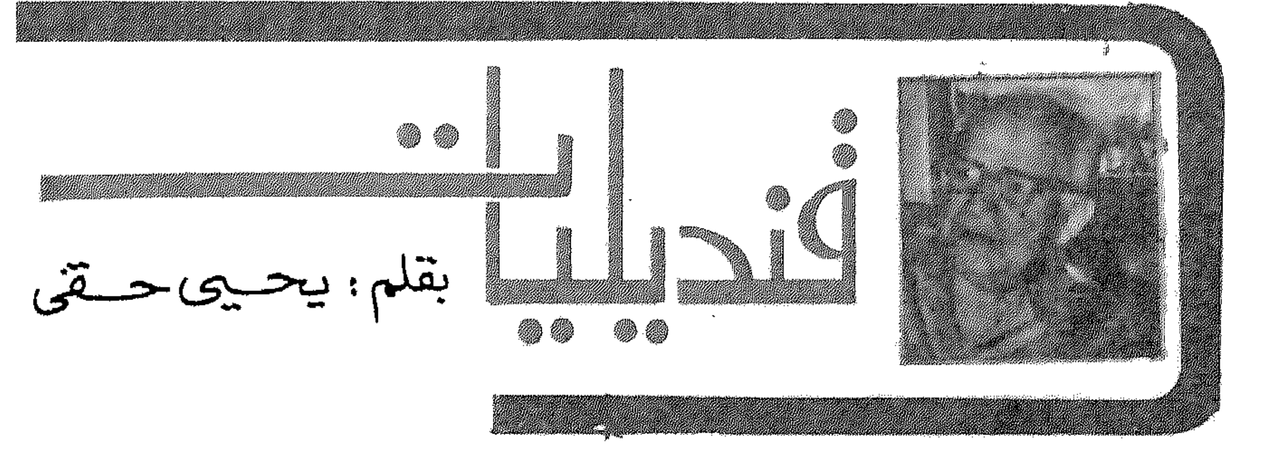
ويعرض المؤلف الباقلانى ونقـــد الشعر فى الفصل الخامس من كتـابه « الاعجاز البلاغى » ، ويخص دراسة رأى الباقلانى فى معلقة امرىء القيس « قفانبك » بالفصل السادس ، ودراسة قصيدة البحترى « أهلا بذلكم الخيال المقبل » بالفصل السابع ، والحديث عن مذهب الصرفة بالفصل الثــامن والاخير ،ومذهب الصرفة هو مذهب النظام الذى كان يردده ويذهب اليه ، وكانت حصيلة ما قيل فى الاعجاز فى عصر النظام والجاحظ هى النظم الذى نادى به الجــاحظ ، والصرفة التى نادى بها النظام مع ذهابه الى مشاركة الاخبار بالغيب للصرفة فى قضـــية الاعجــاز ، والصرفة تعنى صرف الله عز وجل للعرب عن الاتيان بمثل هذا القرآن ، وهى تعنى كما فهم الرمانى صرف الهمم عن المعارضة ، او تعنى على التحقيق عدم اعطاء الله عز وجل لهم القدرة والاسباب التى تعينهمعلي محاولة الاتيان بمثل القران الكريم ان كان فى مقدورهم ذلك ، وقـــد عرض الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه « دلائل الاعجاز » لموضـــوع الصرفة عرضا موجزا ، وأفرد له فصــلا فى رسالته « الرسالة الشافية » ، والقول بالصرفة رأى ضعيف عنــــد الامام عبد القاهر ، بل عند غيره من علماء قضايا الاعجاز والبلاغة ·

وبعد فماذا أقول عن هـــذا الكتاب القيم النفيس الذى هو ثمرة جهـــود العلماء فى القرن الرابع الهجرى قبل الامام عبد القاهر فى فهم قضـــــية الاعجاز القرانى من شتى وجوهها ·

ان المؤلف فى كتبـــه : التصـــوير البيانى ·· وخصـــائص التــراكيب ، ودلالات التركيب ، والبلاغة القرآنية فى تفســـير الزمخشرى ، ومن أسرار التعبير القرآنى ·· يثرى البــــلاغة العربية حقا بدراسات قيمة ترفع من شأن البحث البـــلاغى ، ودراسات الظاهرة القرآنية ظاهر باعجاز القرآن الكريم ·

ونحن لا نملك الا أن ندعو المؤلف الى المثابرة على بذل أمثال هــــذه الجهود المضنية من أجل التــــراث ، وبلاغة القرآن الكريم ، وفهم قضـــية البلاغة العربية فى أدق حقائقها ·

وتحية للكتاب وللمؤلف ، ودعاء له بالتوفيق !



البلاغة الشعبية

ما اعجب واظرف حيلة العامة فى التعبير ، عن غريزة بغير وعى وبلا تعمد ، انها تضع فى يدنا احيانا كثيرة مفتاح السر ، هذه امراة بلدية تريد ان تقول لاخرى كلاما صريحا فتقدم له او تعقب عليه قائلة ... كده من غير تشبيه ولا تمثيل .

قد يظن لأول وهله أن هذه العبارة منتزعة أو موروثة بعنعنة وجدانية فى ابحاث علماء الكلام فى حرصهم الشديد على قول الحق بلا تزيد ، بلا مداراة بلا تورية ، بلا تلقيح حسب قاموسها ، واضحا وضوح الشمس، انها تريد تجريد المعنى من كل اضافة ولو خدمته ليبرز كالجوهر الكريم قادرا على أن يكفى نفسه بنفسه بلا خدش يحتاج الى ستر أو وهن يتطلب العلاج عن طريق الاستعانة بالتشبيه والتمثيل أن كان اضافة مهما كانت جميلة ستكون بمثابة الضباب او العكارة للجوهر الكريم .

وقول هذه المراة البلدية يدل — وهذا هو مفتاح السر — على أن المعانى تبلغ تمام كمالها وبريقها عند تمام تجردها من التشبيه والتمثيل ..

وهذه هى قمة البلاغة عند منتهى مايقدر العقل على تصور هذا التجريد لها قمة هيهات بلوغها ، واذا امكن قمة الصقيع وخلخلة الهواء انبهار الانفاس وتقطعها، فما اظن أن كاتبا واحدا قد نجا من استخدام التشبيه والتمثيل ، ولكن دور هذا الباب من علم البيان قد تضاءل كثيرا حين مال الكتاب الى القصد والجد والبساطة ، والاسلوب التحدثى

ـ كما عند همنجواى مثلا ـ كانهم يقولون للقارىء قول المراة البلدية ـ كده من غير تشبيه ولا تمثيل .

اما عندنا فنحن ورثة هيام من الاجداد بالتشبيه قد بلغ حد الهوس ، قصائد كثيرة من الجاهلية وصدر الاسلام كل بيت فيها بلا استثناء ـ يبدأ بكلمة واحدة ليعقبها فورا حرف الكاف او ـ كانما ـ تجر وراءها المشبه به في كلمة فرد او ملء بقية البيت ولو كان من عشر حجرات اى من عشر تفصيلات .. انظر بعض قصائد ذى الرمه .. ولم كان ذلك ؟ الشاعر البدوى العائش فى الخلاء من طبعه أن يرقب الطبيعة من حوله بعين الصقر ، والشعر هو ايضا فى التصوير عنده ، ثم انه فى مرحلة الفرز والترتيب ، فالتشبيه هو ـ بالبيت ـ الالوان هى وسيلته فى أن يثبت على اللوحة فتخلد فى الذهن حركة عابرة لفتة جيدة ، بريق عين ، لحظة الحذر ، التحفز والانقضاض .. الخ .. الخ

ولا وسيلة للتسجيل فى الذهن الا باحداث اكثر مما يمكن من الروابط فيستجلب الحاضر منها الغائب ، ومرحلة الفرز والترتيب هى مرحلة ضم الاشياء المشتته بعضها الى بعض من اجل الوصول الى الوحدة ، الى الكليات ، الى القانون . كيس ضخم يضم مايحتاج اليه القلب او ما يدور فى الذهن من مدركات المنطق او العاطفة .

تشبيهات هذه المرحلة جميلة بل آية فى الروعة لانها تنطق بلذة القدرة على الانتباه والكشف ، وابراز الروابط والقدرة على تثبيتها فى الذهن ، انها تنطق جميعا برهافة الحس وصفاء الذهن والروح .

ثم جاء عصر هام بالزخرف والاباطيل والثرثرة والميوعة فعبث بالتشبيه عبثا شديدا .

وقد انتبه نقاد العرب لحسن الحظ لهذا العبث فقال ابن الاثير فى المثل السائر : عن التشبيه : انه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة .

هل تذكر قول المرأة البلدية . ؟

وسبب ذلك أن حمل الشىء على الشىء بالمماثلة ، اما صورة واما معنى يعز صوابه وتعثر الاجابة فيه ، وقلما أكثر منه أحد الا عثر . كما فعل ابن المعتز من ادباء العراق وابن وكيع من ادباء مصر لا جرم أنهما آتيا بالغث البارد .

ولم يطلب منا أساتذة اللغة فى المدارس ان نتوقى هذا الغث البارد ، بل صبوا فى آذاننا كثيرا منه ، ولاننا ـ على الاقل ـ ورثة ابن وكيع ان لم لكن ورثة ابن المعتز ايضا فقد كنا نترنح من فرط الطرب ، نهتز كاننا فى حلقة ذكر .. يا سلام . يا سلام ، لم نتبهر ، ولكن باحترام فاننا أمام ابى العلاء بكل ما تحمله له قلوبنا من اكبار ورثاء اذا ما أنشد المعلم علينا بيته الشهير :

ليلتى هذه عروس من الزنج

عليها قلائد من جمان

واذا علمنا أن الثريا فى السماء ترتج ارتجاج عين الاحول حزبنا كفا بكف وقلنا والله هذا هو منتهى البلاغة مع اننا لم نر الثريا بعيوننا قط .

الاسماعيلية
بين الافتراءات الوهمية والحقائق التاريخية

بقلم : د. محمود اسماعيل

لم تتعرض فرقة من فرق الشيعة لمثل ما تعرضت له الاسماعيلية قديما وحديثا من افتراءات وتحامل مقذع ، برغم ما اتسم به نشاطهم على مسرح التاريخ الاسلامى من فاعلية سياسية وبراعة دعائية واستنارة فكرية .ناهيك عن تبنيهم قضية العدل الاجتماعى وتطبيقه عمليا فيما اسسوا من دول ، فضلا عن دفاعهم عن حدود «دار الاسلام» ضد الاخطار الخارجية بما اجل من سقوطها واكد استمرارية حضارتها .

● رغم ذلك ، توالت الاتهامات والافتراءات فى محاولة للتشكيك فى انساب ائمتهم والنيل من دعوتهم ووصم عقائدهم بالكفر والمروق وانتحال المرطقات الشرقية والغربية واتهامهم بالعمالة للصليبيين ودمغ نظمهم الاجتماعية بالتهتك والاباحية .

ودراستنا هذه لا تستهدف رصدا كاملا لتلك الافتراءات فى محاولة لدحضها واثبات خطئها ، بقدر ما تحاول الكشف عن خيوط تلك « المؤامرة المعرفية » المختبئة فى ببوس الدين من أجل أهداف سياسية قحه تعبر عن مواقف « سوسيو - اقتصادية » ، لقوى وطبقات وتيارات يمور بها العالم الاسلامى خلال صيرورته التاريخية . ان الاسباب والدوافع التى أسهمت فى تنحية على بن ابى طالب عن حقه فى الامامة لاتزال قائمه الى اليوم تحاصر « شيعته » بالسيف والقلم . انها بشهادة جولدتسيهر (١) تكمن فى « تضارب المصالح السياسية التى تتخذ من المصالح الدينية مظهرا لها » . انها تضرب فى بنية المجتمعات الاسلامية عبر عصور تطورها « اللامتكافىء » لتظهر بين الحين والاخر فى هذا المجتمع او ذاك نغمة نشازا فى كتابات منظرى الاستبداد بغية اثارة الحقد والكراهيه لآل على منذ عصور الشهرستاني .والبغدادى وابن حزم ليتلقفها اللاحقون يروجون لها حتى الان ، بوعى او بدونه !!

لم يكن جزافا أن يصبح تاريخ الشيعة منذ التحكيم واغتيال على مرورا بأيام كربلاء وفخ سلسلة من الاستشهاد والاضطهاد . لم يقض آل البيت سنى عمرهم - فيما غلب - الا فى السجون او السراديب والدهاليز .. ألم يؤلف الاصبهانى كتابا ضخما عن « مقاتل الطالبيين » !!؟ لم يكن ثم من سبيل الا العمل السياسى السرى المنظم اتقاء لبطش الخصوم .

تفرد الشيعة الاسماعيلية بالاقتدار والحنكة فى هذا السبيل ونجحوا فى تاسيس دول بعضها ذى طابع « امبراطورى » اوشك أن يقضى على الخلافة العباسية السنية الخاضعة لنير العسكر التركى . والاخر ذى طابع ديمقراطى « اشتراكى » ان صح التعبير .. وفى الحالين معا فرقت « التجربتان » فى بحر من المنظم « العسكرية الاقطاعية » المتشحة - كذبا - بعباءة السنة .

بديهى والامر كذلك ، أن تنهش أقلام كتاب السنة لحوم خصومهم الالداء . وبديهى أيضا أن يتصدى كتاب الاسماعيلية لدفع التهم والاباطيل .. لكن معظم هذه الكتابات اصبح « فى ذمة التاريخ » .والقليل الذى بقى لم يكشف عنه النقاب الا مؤخرا ، وقبل كشفه كانت المعلومات المتعلقة بالاسماعيلية من نسج الخصوم أو من « الخرافات الشعبية » التراجيدية التى يتعزى بها عوام الشيعة الاسماعيلية لقد بذل يوليوس فلهوزن جهدا محمودا فى تعرية روايات الخصوم . وها نحن

(١) انظر : العقيدة والشريعة فى الاسلام . ص ١٨٨ .

الفرق والنحل

استنادا الى ما كشف أخيرا من مخطوطات الاسماعيليه فى الهند نحاول كشف خيوط « المؤامرة » ٠

واول ما نؤكده أن الخلاف بين السنة والشيعة — عموما — فيما يتعلق بالعقائد — باستثناء قضية الامامة التى نصر على أنها قضية سياسية — خلاف غير ذى موضوع ٠ لقد سبقنا الاستاذ ماكدونالد (٢) الى تقرير أن الخلاف — الذى أضرم التاريخ الاسلامى نارا — خلاف شكلى فى « أبواب العبادات والمعاملات فلما تمس المسائل الجوهرية » ٠ وأردف جولدتسيهر (٣) « انه لا يزيد عما هو قائم بين المذاهب الفقهية السنية الاربعه » ٠ وأن « فقه الشيعة عموما أقرب ما يكون الى فقه الشافعى » ٠

وبخصوص الفرية المتواترة عن أن الاسماعيليه يقدسون ائمتهم الى حد جعلهم فى منزلة اعلى من منزلة النبى ، وأنهم يؤولون القرآن تأويلا باطنيا ولا يعترفون بالسنة النبوية فهى اتهامات لا محل لتصديقها ٠ وقد أورد ابن حيون (٤) المغربى نصوصا هامة نقلها عن المعز لدين الله الفاطمى بما يغنينا عن الخوض فى هذا اللجاج ٠ فتقدير آل البيت سمة مشتركة بين كافة المسلمين ، وتأويل الائمة للقرآن الكريم يتسق مع كونهم — بشهادة الدارسين الثقاة — مستودع العلم الذى توارثوه عن على بن أبى طالب الذى تعلمه بدوره عن الرسول (ص) ٠ والامام الغزالى نفسه يقرر وجود مستويات لتفسير القرآن تختلف باختلاف الدرجات مابين العالم والعامى ٠ والاجتهاد فى التفسير أمر يدركه أهل العلم باختلاف المعارف وتطورها عبر العصور ٠

ان أحدا لا ينكر أن الاسماعيلية — بوجه خاص — كانوا أكثر الفرق الاسلامية طلبا للعلم وتعليما له ٠ واقد فادوا فى هذا الصدد من ميراث المعرفة الانسانية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠ كان « بيت الحكمه » فى القاهرة وريثا « لمكتبه الاسكندرية » ، وكان « اخوان الصفا » برسائلهم التى بلغت ما يزيد على خمسين مصنفا أشبه ما يكون بكتاب « الانسيكلوبيديا » الذين اضطلعوا بمهمة التنوير التى شجعت على نجاح الثورة الفرنسية ٠ لقد جمعوا بين شتى صنوف المعارف النقلية والعقلية الاسلامية وغير الاسلامية وقدموا بناء فلسفيا متكاملا لا يعيبه التأثر بالافلاطونية المحدثة ٠ الم يتأثر بها معظم فلاسفة الاسلام ؟٠ ناهيك عن المتصوفه ؟

الم يكن الامام الاسماعيلى معلما يلقن دعاته أصول العلم فى « مدارس الدعوة » ليقوموا بتبسيطها للاتباع والانصار ؟٠ حسبنا ان الاسماعيلية عرفوا لذلك باسم التعليمية ٠ ان القول بدعوة المذهب الاسماعيلى الى الاباحية خطأ ومردود من الناحية المنطقية ذلك انه « يصبو الى التجرد من الحجب

---

(٢) تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الاسلام ٠ ص ٢٩٩ ٠

(٣) العقيدة والشريعة فى الاسلام ٠ ص ٢٢٤ ٠

(٤) انظر : المجالس والمسايرات جـ ١ ورقة ٣٥٨ — مخطوط ٠

الجثمانية لكي يرتقي بالانسان في مدارج الروحانية الى الموطن السماوي» ان الشريعة عندهم ـ كما يرى جولدتسيهر (٥) ـ تستهدف تحقيق الفير الروحي » « لذلك اخطأ من قال بأنهم يتحللون من النواميس الخلقية ويبيحون كل محظور » (٦)

● التشكيك في نسب الائمة ●

لقد بلغ الافتراء بمؤرخي السنة الى التشكيك في نسب الائمه الفاطميين الاسماعيليين • ونكتفي هنا بقول ابن خلدون (٧) : « ••• ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثيرون من المؤرخين من نفيهم المعبيديين عن اهل البيت والطعن في نسبهم الى اسماعيل ابن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات ••• » •

لقد قصد مؤرخو البلاط النيل من الدولة الفاطمية التي قامت وتوسعت على انقاض الخلافة العباسية المهترئة استنادا على اوهام لا اساس بها من الصحة • حتى ان مؤرخا مثل MAMOUR(٨) وضع مؤلفا كبيرا لتنفيذ هذه الاوهام •

● تطور الحركة الاسماعيلية ●

وهذا يقودنا الى ان نعرض في ايجاز لدور الاسماعيلية السياسي عبر التاريخ او بمعنى اخر تعقب تطور الحركة الاسماعيلية من الدعوة الى الثورة الى الدولة •

تنتسب الاسماعيلية الى الامام السابع اسماعيل بن جعفر الصادق • ومن ثم عرفوا « بالسبعيه » تمييزا لهم عن الامامية الاثنى عشرية • وقد عولت الحركة منذ الامام محمد من اسماعيل الى الاستتار وشكلت تنظيما سريا غاية في الدقه والبراعة • اذ عول الائمة المستترون الى بث الدعاة في العالم الاسلامي يدعون للمهدي المنتظر الذى « يملأ الارض عدلا بعد أن ملئت جورا » • ولا حاجة بنا للحديث عن هذا التنظيم الدعائي السرى المحكم اذ عرضنا لجهازه ورتب رجاله ومقالات الدعوة ومراحلها في دراسات سابقه (٩) • ونكتفي بالاشارة الى أنه افاد من نظام الدعوة العباسية ـ العلوية ـ فضلا عن المعارف الجديدة والتجربة السياسية للحركة الاسماعيلية نفسها • كما افاد من المعطيات لسوسيو ـ سياسية للعالم الاسلامي الذى اخذ يتحول الى الاقطاعية العسكرية في مشرقه ومغربه كنتيجة لسيطرة قوى أجنبية على مناقذ وموارد وطرق التجارة الدولية

---

(٥) المرجع السابق ص ٢٤١ •
(٦) نفسه ص ٢٤٢ •
(٧) المقدمة ص ١٢١ •
(٨) راجع : Polemics on The Origen of the Fatimi Caliphs
(٩) راجع : للمؤلف الحركات السرية في الاسلام ص ٩٦ وما بعدها
حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٦ وما بعدها •

برا وبحرا (١٠)

واستطاع الدعاة تجنيد القوى والطبقات الكادحة التى اضيرت من جراء تسلط الاقطاع العسكرى • وتمكن احد الدعاة - وهو ابو عبد الله الشيعي - من استنفار هذه القوى فى بلاد المغرب ويتحول بالدعوة من طور الاستتار الى مرحلة الثورة •• وقد نجحت الثورة الاجتماعية الاسماعيلية فى القضاء على الاغالبة فى افريقيا واعلان امامة عبيد الله المهدى سنة ٢٩٧ هـ • واستنادا الى مقدرات المغرب الاقتصاديه والبشرية تمكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى من فتح مصر والانتقال اليها • ولم يجد صعوبة فى ضم الشام واليمن الى دولته بفضل جهود الدعاة الذين البوا الجماهير ضد العباسيين • وفى ذات الوقت تمكن حمدان بن الاشعث من تكوين دولة فى جنوبى العراق والبحرين هى دولة القرامطة • بل نجح احد الدعاة فى الدعوة باسم الخليفة الفاطمى على منابر بغداد ، كما كسبت الدعوة اعوانا مخلصين فى فارس والهند والتركستان • ولولا ضراوة النظام العسكرى السلجوقى الذى سلب الخلافة العباسية صلاحياتها واقام امبراطورية شرقية لصفا الجو للاسماعيليه فى سائر ربوع العالم الاسلامى • ان تفاقم خطر الاقطاعية العسكرى شرقا على يد السلاجقة وغربا على يد المرابطين فت فى قوة الحركة الاسماعيليه (١١) ، فقد سقطت دولة القرامطة كما حل الايوبيون السنة محل الفاطميين •

وبرغم سطوة الاقطاعيه العسكرية ، فقد فشلت فى مواجهه أخطار الصليبيين فى الشام ومصر والاندلس • وقدر للقوى الاسماعيلية المتشرذمة أن تلعب دورا فعالا سواء فى مواجهه تسلط النظام العسكرى السلجوقى وكذا فى مواجهة الصليبيين فى الشام بفضل نشاط الباطنيه النزاريه ، وفى الاندلس بفضل الموحدين الذين كانوا على صله وطيدة فكريا وسياسيا بالاسماعيلية فى الشام (١٢) • وحسبنا تدليلا على افضال الاسماعيلية على العالم الاسلامى سياسيا أن نشير الى دور الفاطميين فى ردع الخطر البيزنطى والحيلوله بين الصليبيين

(١٠) عن مزيد من المعلومات راجع للمؤلف : سوسيولوجيا الفكر الاسلامى جـ ٢ ص ١٠ وما بعدها •

(١١) عن الطابع العسكرى لامبراطوريتى السلاجقة والمرابطين راجع للمؤلف : مقالات فى الفكر والتاريخ ص ٦٦ وما بعدها •

(١٢) كشفت رسالة دكتوراه نوقشت اخيرا باشراف المؤلف عن الصلات بين الموحدين والاسماعيلية فى الشرق •

راجع : د• عصمت دندش : الاندلس فى عصر الطوائف الثانى - مخطوطة •

وبين الاستيلاء على مصر (١٣) . ولا حاجة بنا لاثبات مدى الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية فى ظل الفاطميين والقرامطة ، وحسبنا التنويه بدورهما فى احكام السيطرة الاسلامية على التجارة الدولية وما ترتب على ذلك من رخاء عم العالم الاسلامى باسره (١٤) . اما عن الاثار الثقافية والعمرانية ، فحدث ولا حرج (١٥) .

● تطرف وغلو ●

غير أن سقوط القرامطة والفاطميين افضى الى تشرذم الحركة الاسماعيلية وميل بعض فرقها الى التطرف والغلو . ينسحب ذلك على فرقة الدروز - التى عرضنا لها فى دراسة سابقة - كذا فرقة « الحروفية » التى أسسها فضل الله الاستراباذى والتى مالت الى الاسراف فى التاويل الباطنى لدلالات حروف سور القرآن الكريم مستخدمة اياها فى السحر والشعوذة . ومن الانصاف أن نذكر أن ظاهرة التدهور الفكرى كانت تضم العالم الاسلامى باسره منذ منتصف القرن الخامس الهجرى ، اذ شاعت الطرقية والشعوذة والخرافة على أنقاض التيار الفكرى الليبرالى الذى اصلته الدعوة الاسماعيلية .

ان حلول اليقينية والعينة وانتصار النقل على العقل نتيجة طبيعية مواكبة لسيطرة الاقطاع العسكرى منذ عصر السلاجقة ومن بعدهم الابوبيين والمماليك والعثمانيين ، وهم عناصر بدوية غير عربية ، تركية وكردية وغيرها بررت لنظمها الاقطاعية العسكرية باحياء مذهب أهل السنة الذى بلوره الاشعرى وطعمه الغزالى بالمتصوف .

● محاربة الاقطاع ●

وسط هذه الظروف تطرفت بعض الفرق الاسماعيلية كجماعة النزارية التى نشأت فى فارس بفضل جهود الحسن الصباح . اذ ركزت هذه الفرقة على العمل العسكرى الفدائى ضد القوى الاقطاعية والصليبية معا وتمكن رجالها من اغتيال الكثيرين من الخلفاء العباسيين وزعماء السلاجقة وقادة الصليبيين . ومع ذلك اثيرت افتراءات وهمية لدمغ هذه الحركة التى أطلق على اتباعها اسم « الحشيشية » ، من جانب خصومها السنة . لعل من هذه الافتراءات المغرضة ، الزعم بتعاطيهم « الحشيش » لتخدير الاتباع والانصار ، كذا الزعم بادعاء الحسن الصباح الالوهية وتعويله على خلق « جنة وجحيم » فى قلعة « الموت » . وقد فند بعض الدارسين هذه المزاعم وغيرها . يقول

---

(١٣) عن مزيد من المعلومات راجع : للمؤلف : سوسيولوجيا جـ ٢ ص ٢٢٠ ، ٣٢١ .

(١٤) نفسه ص ١٦٧ وما بعدها .

(١٥) راجع : حسن ابراهيم : المرجع السابق ص ٤٢١ - ٥٢٠ .

الدكتور حسن ابراهيم (١٦) ان جماعة النزارية عرفوا « بالتقشف والزرع والمحافظة على الشريعة .. وأن الحسن الصباح قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر » . ويرى « بارتولد » أن النزارية كانت « حركة اجتماعية طبع نشاطها بالصراع الطبقى من أجل عدم اخراج الضرائب المحصلة بين سكان كل اقليم لتحسين أحوالهم المحلية » .
وفى ذات المعنى ذكر الاستاذ جافظ حمدى « ... هناك أمر لا يمكن اغفاله عند التعرض لاسباب انتشار الدعوة الاسماعيلية فى المشرق ، وهو سوء الاحوال الاجتماعية فى ذلك الحين . فضلا عن التباين الواضح فى توزيع الثروة بين مختلف الطبقات » (١٧) .

لم يختلف دافع النزارية الاسماعيلية عن دوافع الفاطميين عموما والقرامطة بوجه خاص . اذ أقام الأخيرون تجربة « رائدة فى الاشتراكية » سبق اثبات اقرارها فى دراسة سابقة (١٨) .
ونكتفى بالاشارة الى اعتماد بعض الدارسين الثقات صدق ما ذهبنا اليه . ويقول الاستاذ عبد العزيز الدورى (١٩) : « عبرت الحركة القرمطية فى مضمونها العام عن ظاهرة اتفاق المصلحة بين الفئات الصغيرة ضد الاغنياء والاشراف بغض النظر عن أصولهم تحت الحاح التطورات الاقتصادية والاجتماعية » .
« ... لقد ألغوا الاقطاع والفوارق وقدموا السلف للفلاحين ، وقدموا المساعدات المالية للعمال ، وسيطروا على التجارة الخارجية وصاروا على الاكتفاء الذاتى وعززوا ذلك بضرب عملة من الرصاص ليمنعوا انتقال الثروة الى الخارج » .

ان الطابع الاجتماعي الذي عبرت عنه الحركة الاسماعيلية عموما كان من وراء محاولة تشويهها فكريا وسياسيا وعقيديا . وقد ظلت الحركة حتى بعد تشرذمها وتطرف بعض فرقها محافظة على هذا الطابع الى اليوم . ولذلك لا محل لتصديق الافتراءات التي يتوهمها الكتاب المحدثون عن جماعات الاسماعيلية فى الهند وشرق افريقيا وايران وباكستان وافغانستان والشيعة التى يتزعمها « اغاخان » والتى اتسمت بتبنى روح العصر والدعوة للاصلاح الاجتماعى والعمرانى بعد أن عجزت عن العمل السياسى (٢٠) .

---

(١٦) المرجع السابق ص ٣٦٨ .
(١٧) راجع للمؤلف : الباطنية ، ذروة العمل الفدائى . مجلة روز اليوسف عدد ٢٣١٧ نوفمبر ١٩٧٢ .
(١٨) عن مزيد من التفصيلات راجع للمؤلف : الحركات السرية فى الاسلام ص ٨٢ وما بعدها .
(١٩) مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى . ص ٤٧ .
(٢٠) جولدتسيهر ص ٢٤٥ .

● العدد القادم ـ الزيدية والمعتزلة ـ حقائق جديدة

قد أكمل الله ذياك « الهلال » لنا
فلا راى الدهر نقصا بعد إكمال
شوقى

الرجل والمرأة
أيهما أوفر نصيبا فى توطيد الحضارة

●● الاستاذ على أدهم - صاحب هذا المقال - أحد كبار الكتاب الذين دعموا الموقف الثقافى العربى مطالع القرن العشرين . وهو من جيل الأدباء البارزين أمثال العقاد واحمد أمين وميخائيل نعيمة وطه حسين والزيات وغيرهم من اعلام جيلهم ، وربما يكون اقل منهم شهرة ، ومرد ذلك إلى طبيعته الهادئة حيث كان يعمل فى صمت ولا يدخل فى عراك صاخب ، أو جدل عارم من أجل ذيوع الصيت ولايزاحم فى دروب الحياة بغية مال أو منصب . هذا فضلا عن ابتعاده عن تيارات السياسة المتضاربة .

وللاستاذ على أدهم عشرات الكتب ومئات المقالات قد غلبت عليه كتابة التراجم حيث سطر سيرا طويلة وقصيرة عن الابطال فى الشرق والغرب من أمثال عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر والمعتمد بن عباد ومتزينى ونابليون وغيرهم وغيرهم .

وعدا ذلك له كتابات فى المجتمع والحياة وفلسفة التاريخ ، وفلسفة الجمال والنقد الأدبى . ومن أعماله الأخرى ماقدمه للمكتبة العربية من ترجمات عن اللغة الانجليزية ، فضلا عن توليه رئاسة تحرير مجلة الكتاب العربى فى الستينيات والاسراف على سلسلة « اعلام العرب » .

وقد ظل يوافى المطبعة العربية والمجلات الأدبية - ومن بينها

الهلال - بنفثات قلمه . وثمرات قريحته الى ان وافته المنية فى يناير ١٩٨١

وفى هذا المقال يوازن بين الرجل والمرأة من حيث قدرة كل منهما على الابتكار ويتساءل عن ايهما اوفر نصيبا واعظم بلاء فى توطيد الحضارة وانماء الثروة فماذا قال فى مجلة الهلال عدد (٣٠٢) فى يناير عام ١٩٣٨ ●●

الهلال

من الحركات الاجتماعية التى نشطت فى اعقاب الحرب الكبرى (الاولى) وقوى امرها . الحركة النسائية وقد خطت المراة خطوات حثيثة مفاجئة حتى اصبحت المكانة الجديدة التى تشغلها فى طليعة المسائل التى يعنى بها المفكرون . وتختلف عليها الاراء . لما لها من كبير شان وبعيد تاثير لامن ناحية المراة فحسب وانما من ناحيه الرجل ومستقبل المجتمع ومصير الحضارة . وقد استردت المراة كثيرا من حقوقها المسلوبة وحريتها المغتصبة . وفتحت لها مختلف ميادين النشاط الانسانى الاقتصادية والثقافية والسياسية . وكانت من قبل تكاد تكون موصدة فى وجهها . ولقد حفلت صفحات التاريخ بسير نساء ممتازات فى السياسة والادب من ملكة تدمر إلى الملكة الياصابات ومن اسبازيا وسافو الى مدام دى ستايل وجورج ساند

ولم يشتد ساعد الحركة (النسائية) ويزخر تيارها الا بعد استعمال البخار وتكاثر المصانع

ولكن برغم الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى فازت بها المراة فإن قبولها فى المجتمع باعتبارها مساوية للرجل لايزال موضوعا للبحث فهل المراة مساوية للرجل من الوجهة النفسية والوجهة الفكرية ، وإذا كان هناك فرق بينهما فهل من الفروق القائمة على التفوق من احد الجوانب والنقص من جانب اخر ،

لبحث هذه المشكلة فى العصر الراهن طريقتان طريقة الركون الى التجارب والاختبارات النفسية والاعتماد على مقاييس الذكاء وطريقة مشاهدة مايؤديه كل من المراة والرجل فى الحياة واصطناع التجرد والنزاهة لاستخلاص مقدرة كل منهما واستعداده . والطريقة الاولى رائجة فى هذه الايام وهى طريقة علم النفس التجريبى . ولكن النتائج التى انتهى اليها العلم فى هذا الصدد لاتشفى النفس ولاتنقع الغلة . فقد كان معروفا من قبل ظهور هذه الطريقة العلمية أن المراة معادلة للرجل فى الاحساس بالالم والحرارة والبرودة وقد ايد علم النفس التجريبى هذا وجعله وراء متناول الشك

فى تاريخ الحضارة عصران العصر القديم البدائى الذى تغيب اصوله بمسافته فى ظلام ماقبل التاريخ . والعصر الحديث ومعالمه واضحة وضوحا نسبيا . ففى العصر القديم لم يكن للمراة حظ فى الزعامة السياسية والاجتماعية .

ولم يكن لها نصيب مذكور فى الحفلات الدينية ولافى توزيع الثروة فليس من المنتظر إذن ان تبرز لها مواهب خالقة مبدعة فى هذا المجال او ان تدانى الرجل فيما احرزه فيه من تفوق وانتصار .. ولكن فى الفن والصناعة ظهر لها اثر ملموس وتفوق ملحوظ . وواضح ان سجل المراة فى حالة الانسان الفطرية حافل بجلائل الأعمال ويكاد يكون معادلا لسجل الرجل ، ولكن علينا أن نلاحظ هنا أن طابع القبيلة فى امثال تلك المجتمعات يتغلب على الميزة الشخصية سواء من ناحية الرجل أو من ناحية المراة ، فوثبات الخيال والقدرة على التجديد والرغبة فى الأختراع مرهقة مكبوحة فى تلك المجتمعات بسبب رسوخ العادات وصلابة التقاليد ، فإذا ما انتقلنا الى العصور الحديثة أستبان لنا عجز المراة وقصورها فى الشئون الاجتماعية والسياسية والدينية بحيث لايمكن الاعتراف لها بمشاركة ماثورة فيها ، كذلك فى فن البناء والعمارة ليس لها فضل يذكر . ولكن مواهب المراة تجلت فى نواح أخرى مثل الفلسفة والرياضيات والعلوم والنحت والتصوير والأدب والموسيقى والدراما .

وفى الفلسفة والرياضيات لم تسم المراة الى المرتبة الأولى . كذلك فى العلوم لم تبلغ امراة الدرجة العليا وإن كانت لبعضهن آثار جديرة بالأعجاب والتقدير ، اما فى النحت والتصوير فقد نبغت نساء كثيرات ولكن لم تصل أحداهن الى مرتبة امثال رودن او بيكاسو او رينوار . ولعل حظهن فى الأدب والشعر اوفى واجزل ، وفى الموسيقى نجح النساء فى الأداء حيث يكفى القليل من الابتكار ، اما فى التاليف فانهن فشلن فشلا ذريعا .

ولننظر الآن الى الميادين التى خلفت المراة فيها اثارا تذكر لنرى تفاوت تلك الآثار ومقدار تفوق المراة فيها ، وهنا يلاحظ أن المراة اقل إجادة للموسيقى واكثر نبوغا فى الأدب واعظم تفوقا فى الغناء والتمثيل . ويمكننا أن نستخلص من ذلك أن المراة يكثر نبوغها وتفوقها كلما كان المجال أقرب الى التعيين والتخصيص . وادنى الى العنصر الآلى الصناعى والعامل الانسانى . فالابتكار فى الموسيقى اكثر حاجة الى المقدرة على التجريد فى الفنون التصويرية والأدب . ولذا قل نبوغ المراة فى الموسيقى وهى تحسن فيها الأداء بعض الاحسان ولكنها لاتجيد التاليف ، وهى لاتحسن التاليف المسرحى لما يستلزمه من قدرة على التجريد . ولكنها تجيد التمثيل على المسرح إجادة فائقة . وواضح من ذلك أن قدرة المراة وكفايتها تتجلى فى عالم التعيين اكثر منها فى عالم التجريد وفى منطقة العمليات اكثر منها فى منطقة المثاليات وفى النواحى الانسانية المحضة اكثر منها فى النواحى الكونية الخالصة .

ومن التسرع إصدار الاحكام على الحركة النسائية وتطلع المراة الى التحرر الكامل والمساواة التامة ، وهى الآن تبذل جهدها فى الملاءمة بين نفسها وبين الحقوق التى اكتسبتها . وارجح ان مصلحة المراة أن تعرف فى هذا المقام انها لم تخلق منافسة للرجل وان عليهما أن ينهضا بواجبين يكمل كل منهما الآخر فإن ذلك خير للمراة وللرجل واجدى على الانسانية والحضارة





مسرحية : ع الرصيف وتلويث تراثنا الوطنى

بقلم : فاروق عبد القادر

منذ سنوات لم تشهد الحياة المسرحية فى مصر مثل هذا القدر من الاهتمام والجدل حول عمل من الأعمال . وإذا كان المألوف فيما مضى ان يدور الجدل حول أعمال المسرح الجاد أو مسرح الدولة أو ما شئت من هذه المسميات فإنه يدور ـ هذه المرة ـ حول عمل من أعمال المسرح التجارى أو المسرح الخاص (وليس لهذا من سابقة تستحق الذكر إلا حين عرضت المسرحية سيئة السمعة « يحيا الوفد » فى ١٩٧٥) . والعمل هو « ع الرصيف » من (تأليف) نهاد جاد ؟ واضع الكلمة بين قوسين لأسباب ستتضح فيما يلى ـ واخراج جلال الشرقاوى وأداء سهير البابلى وحسن عابدين واخرين .

والحقيقة ان جلال الشرقاوى ليس مخرج العمل فقط . لكنه صانعه وصاحبه بالمعنى الحرفى للكلمات . فهو المنتج والمخرج وصاحب المسرح والفرقة ومديرهما المتفرغ . وهو يستثمر فيه كل اسلحته (كتب محرر المسرح فى صحيفة « الوفد » ـ والذى اشاد

بالعمل دون حياء او تحفظ ـ إن جلال « دفع من آمواله الخاصة فى هذه المسرحية مايعادل ميزانية هيئة المسرح الرسمية » ! ٨٦٧/١٠ ، ومن ثم وجب ان يكون هو البداية :

● تحقيق الرواج أولا ●

وجلال الشرقاوى (١٩٣٤) حالة نموذجية ـ بالمعنى الذى يقصده الأطباء ـ لهذا الجيل من المسرحيين : بعد أن تخرج فى الجامعة (كلية العلوم) ومعهد المسرح ، سافر للدراسة فى موسكو ، لكنه تحول الى باريس مع طلاب البعثات الذين حولوا لمعاهد الغرب فى أعقاب صدام عبدالناصر مع السوفييت نهاية الخمسينيات ، وفى « الاديك » درس تاريخ السينما مع جورج سادول ، وقدم رسالة منشورة بعنوان « فى تاريخ السينما العربية » (١٩٧٠) تضم قائمة بالأفلام المصرية ـ فالرسالة مقصورة عليها رغم عنوانها العام ـ منذ نشاتها حتى ١٩٦١ ، وهى قائمة بتشكك كثيرين من السينمائيين فى دقة ماحوته من لومات وحين رجع فى ٦٣ بدأ العمل بالسينما ، لكنه سرعان ماتحول الى المسرح ، حتى ارتبط به اسمه . مخرجا وممثلا ومديرا ومدرسا للاخراج فى معهد المسرح ثم عميدا له ، ومنذ ترك العمادة تفرغ لادارة فرقته ومشروعاته الخاصة .

وقد تميز جلال دائما بقدرته الفائقة على تشمم اتجاه الموجة القادمة والتهيؤ للقائها ، واثناء عمله بمسرح الدولة اخرج أعمالا لرشاد رشدى ولطفى الخولى وميخائيل رومان وعلى سالم وسواهم ، وربما رايت آن هذه الاسماء ذاتها لاتكاد تجمع على فكر بعينه ، وقد تتنافر رؤاها ولاتنسجم ، لكن « جلال » لم يكن يبالى ، هو يبحث فى كل عمله يخرجه عما يثير ويجتذب الجمهور ، وهو أحد آهم المسئولين عن تلك الشعارات التى ارتبطت بالمسرح الكوميدى ـ الأب الشرعى لهذا المسرح التجارى ـ ومسرح الحكيم . من نوع « ثلاث ساعات من الضحك المتواصل » و « النجاح منقطع النظير » ، لا ولاء عنده لشىء سوى « الاقبال الجماهيرى » وتحقيق اكبر درجة من الاثارة حول اسمه وعمله (فى السنة الأولى لاشتغاله بالاخراج المسرحى قدم عملين احدهما من تاليف لطفى الخولى والثانى من تاليف انيس منصور [1]) وحين وضح ان خط الثقافة الجادة اخذ فى الانكسار بعد ٦٧ لم يفقد جلال اتجاهه ابدا . فكان من اوائل المبادرين لدعم المسرح التجارى ووضع حرفته فى خدمته (قد نذكر هنا آنه آخرج لهذا المسرح درته اللامعة « مدرسة المشاغبين » فى ٧٠ ، وفى ٧٣ كان يعرض له عملان يشغلان معظم ساحة هذا المسرح [1] « قصة الحى الغربى » و « هاللو دوللى » ، وبلغ به الامر حد الجمع بين عمادة « المعهد العالى للفنون المسرحية » وادارة فرقة خاصة ، فى ذات الوقت ، ودون آدنى إحساس بالتناقض [1]

من شريك فى فرقة صغيرة (عمر الخيام) الى مالك ومدير لفرقة قوية خاصة ، يقود جلال الشرقاوى دفة لون خاص من المسرح التجارى ، يتمثل ذكاؤه ـ اكثر مايتمثل ـ فى تغليف الابتذال واحكام تقديمه ، فى مجاراة الذوق العام وتاطير نجومه ، فى معرفة جمهور مسرحه حق المعرفة . أعراب النفط والعاملين فى ديارهم والمتعلقين بحبال الانفتاح والصاعدين فى المجتمع الجديد ، وهو ـ من

ثم ـ يتبنى قيم هذا الجمهور ، ويعبر عن اماله وتطلعاته ، ويدعم عاداته السقيمة في الذوق والمتعة ، ويسرى عنه ، ويجعل على المسرح نماذجه الأنثوية المفضلة ، ويكف عنه أذى التفكير والطموح لواقع أفضل . وأى واقع عندهم أفضل مما هم فيه ؟ ثم يحيط هذا كله بحرفة « الاطار المسرحى » ممثلة فى الألوان الحارة والموسيقى الصاخبة والتلاعب بالديكور والستائر ، وتقديم اكبر قدر من الأجساد العارية ، راقصة أو غير راقصة ، فى استعراضات لها داع أو دون داع !

فى عبارة واحدة جلال الشرقاوى ـ فى المسرح ـ هو مكافىء نجوم الانفتاح فى الاقتصاد والمجتمع ، وفى خدمتهم ، وولاؤه الوحيد هو ذات ولائهم الحصول على مزيد من الثروة . وتحقيق مزيد من الرواج . و .. شباك التذاكر لايخطىء أبدا .

هذا هو . فما وجه الاهتمام ، اذن ، والجدل :

● ● ●

السيدة نهاد جاد كاتبة صحفية ، تعمل مديرة لتحرير مجلة « صباح الخير » : ونص العمل منشور مع مسرحية اخرى قصيرة سبق ان قدمتها السيدة نعيمة وصفي على مسرح الطليعة فى ٨١/٨٢ (والكاتبة تهدى عمليها لزوجها سمير سرحان الذى علمها كيف تحب المسرح » وقد كتب مقدمة لهما د عبد العزيز حمودة الذى لم تفته الاشادة بهذا العرض أيضا ـ الجمهورية ١٩٨٦/٨/٩) والنص المنشور قصير لاتبلغ صفحاته الخمسين من القطع الصغيرة وهو مشهد واحدة لايستغرق تقديمه على المسرح اكثر من الساعة صفية مدرسة مصرية اقنعها زوجها ليلة زفافهما بالسفر للعمل فى الكويت ، حيث قضت عشر سنوات متصلة لم تات فيها للقاهرة مرة واحدة كى توفر المال الضرورى لشراء تلك « الاشياء » التى رجعت تحملها ، فوجدت زوجها قد طلقها وتزوج باخرى بعد ان استولى على بيتها ومالها فلم تجد لها مكانا الا على محطة اتوبيس .. وهو عنوان للمسرحية ـ حيث تلتقى بنموذج ثان هو القاضى كمال عبد الحق .. كان قاضيا وتعرض لاحدى قضايا فساد السلطة ـ توحى بانها سلطة للمخابرات العسكرية أو اجهزة المشير عامر قبل ٦٧ ـ فيتعرض للتعذيب والفصل من عمله ، لكنه يعود اليه حتى يخرج للمعاش ويتنازل عن شقته لابنته وزوجها ومن تم لايجد مكانا سوى نفس الرصيف ليجلس ويكتب مذكراته ويتذكران فجاة انه كانت لهما حكاية حب قديمة فى ٥٦ ويحاولان استعادتها . ولكن عبد الصبور ـ الزوج المستغل ـ يجهض حلم صفية وطفلها المنتظر معا .

تلك مسرحية نهاد جاد يلفت النظر فى نصها لون من التلسين ذى الطابع السياسى الذى الفناه حتى الاملال والاضجار فى مسرح السبعينيات وافلام السينما المصرية ـ يتمثل فى سطور متباعده يقول كمال عن احداث ٥٦ جمال عبدالناصر هو احنا . واحنا هو . البلد كانت ليل طويل وجالها الحلم زى الشهاب مايلمع وسط الظلام الفارس الاسمر الطويل خارج من تراب مصر . بيحلم بمصر جديدة نضيفة شريفة قوية اشتراكية زينا ويقول عن موت عبدالناصر ـ وفى الخلفية اغنية جنازته . ومات الحلم فى لحظة خطفها الزمن من عمر نضال.شعب بحاله . ركن دماغه ومات زى أسد متخن بالجراح وجروحه بتنزف دم

ويتمثل كذلك فى نموذج الانتهازى الذى ينضم لاحزاب السلطة من الاتحاد القومى الى الاشتراكى لتحقيق مصالحه .

● اثارة ذات طابع سياسى ●

ويلفت النظر فى النص كذلك هذا التخبط فى رسم الشخصيتين الرئيسيتين وعدم اتساق ملامحهما وان حاول الدكتور عبد العزيز حمودة - عميد كلية الآداب كما يثبت صفته بنفسه .. نسبة هذا التخبط الى تكنيك اكثر ملاءمة وهو التعبيرية التى تمكنها من الحركة بحرية واضحة والانتقال من الحاضر الى الماضى والعكس دون التمسك بحرفية الواقع وقيوده (...) لكن اهم ما حققه هذا الشكل للمؤلفة فى الواقع هو قدرتها على إعطاء صفية أبعاداً أكبر من الأبعاد الضيقة للشخصية المحددة ، فالمشكلة - كما قلنا منذ البداية ليست مشكلة صفية بل مشكلة جيل باسره ، أم تراها مشكلة مصر كلها فى فترة معينة ؟ نعم .. مصر » هكذا كتب الأستاذ الذى يجلس على مقعد منصور فهمى وطه حسين ومن اليهما !

لكن تلك المسرحية القصيرة ، الفقيرة ، لايمكن أن تقنع جلال الشرقاوى بأن يضع عليها اسمه وينفق ماله ، لهذا اعتمد عليها ، وصاغ - مع المؤلفة او بدونها ، فالامر لايعنيه ولايعنينا - عرضا مسرحيا ابرز مافيه هو الاثارة ذات الطابع السياسى ، ولجلال الشرقاوى فى هذه الاثارة تاريخ متصل :

● فى ٦٨ خاض جلال ورشاد رشدى معركة حول مسرحية « بلدى يابلدى » وقد ثارت المعركة حين رفضت السيدة محسنة توفيق - وقتذاك - أن تلعب الدور الاول فيها ووضعت المسرحية موضع الاتهام فكريا وسياسيا وانتهت المعركة بعرض المسرحية وقد لعبت الدور الأول السيدة سهير البابلى ذاتها (الست ترى البدايات تؤدى احيانا للنهايات ؟) وفى المسرحية كشف رشاد رشدى - اكثر واكثر - عن وجهه الحقيقى الذى يحتقر جماهير الناس فى سعيها اليومى ، ولايراها سوى غوغاء تنشط لاشباع الفم والفرج ، شعب جاهل متواكل ، ينصرف عن المصلح والداعية والثائر ، ولايجتمع إلا حول الحاوى والراقصة ، والشخصيات التى يفترض أنها « ثورية » متعالية على الشعب ، ومعزولة بعيدا عنه ، مهزومة منذ البداية ، وهزيمتها من داخلها لا من خارجها ، ودعوى السيد البدوى مغرقة فى المثالية والغموض ، وانعزاله عن الناس هو هزيمته وفشله .

ولم يقف جلال الشرقاوى عند هذا كله ، وماكان له أن يقف ، يكفيه أن اقام على المسرح « مولدا » حقيقيا صاخبا ، يزدحم بالذاكرين والمنشدين والراقصات ، والابطال يغنون مواويل الالتياع الجنسى المحرق ، والسيد البدوى فى عزلته يداعبه طيف العاهرة الجميلة المشتهاة : فاطمة بنت برى !

● وفى ٧١/٧٠ وصل جلال الشرقاوى - ومعه على سالم - لصياغة توليفة من العناصر حققت الاثارة وجذبت الاهتمام والجمهور لعمليهما المتتاليين : « انت اللى قتلت الوحش » و « عفاريت مصر الجديدة » واهم هذه العناصر - فى التحليل الأخير - البحث عن قضية ساخنة (هزيمة ٦٧ فى الاولى وحوادث الاعتقالات والتعذيب فى الثانية التى عرضت بعد مايو ٧١) ، ثم تمييعها وخلط أوراقها ، بكل الوسائل المتاحة : الرقص الشرقى والتلميحات الجنسية والنقدات الجزئية لمظاهر الحياة اليومية ، والاحالة لاحداث معروفة ، وشىء من الميلودراما .



واطلاق عدد من الكلمات الكبيرة مثل البالونات الملونة ، توحى بأنها تأخذ موقفا من الواقع ، وتناقش أخطر قضاياه . هذه الكلمات بالذات ترضى قطاعا بعينه من الجمهور فلا يزال المسرح مسرح الدولة ، ولازال الجمهور لم يفسد تماما بعد !

ما أود أن أؤكده حول هذين العملين انهما كانا أمنين وفى خدمة النظام القائم . فى العمل الأول كانت تلقى بين يدى أوديب مقاليد الأمر من جديد ، وأهل طيبة متهمون بالعجز ، حتى حين خرج اليهم أوديب ينهى اليهم ماكان يمكن أن يدهشهم ، وهو أنه لم يقتل الوحش القديم . ضاع صوته وسط ضجيج غنائهم له ، والفساد ـ كل الفساد ـ مصدره تلك الحاشية ، التى يتخلص منها أوديب بسهولة ، أما العمل الثانى فيكفيه أنه جسَّد على المسرح ماردَدته أجهزة السادات عما أسمته « مراكز القوى » اضافة لدفاعه البليغ عن جهاز الشرطة ودوره فى حماية الناس وتحقيق أمنها !

هل يبدو نابيا فى هذا السياق أن أخرج جلال .. بين هذين العملين عملا فى رثاء عبدالناصر ، يربط بين موته وموت النبى (حجة الوداع) ؟

● وفى ٧٣ كانت العلاقات بين مصر وليبيا طيبة ، وثمة اتفاقية للوحدة ، بادر جلال الشرقاوى فأخرج مسرحية عن ثائر ليبى اسمه « غوما » بعنوان « الزعيم » من تأليف مصطفى محمود (وهى ليست أول مسرحية يخرجها له جلال) ، قدمته لنا ـ فى ثرثرات المؤلف المألوفة ـ خليطا مضطربا من الثائر والمصلح والانتهازى والدرويش والمتفلسف ، يتخبط بين هذا كله ، فيسلم اسلحته لأعدائه ، ويمكنهم من نفسه ورجاله وثورته جميعا .

لكن الهدف كان واضحا . مجرد اعداد مسرحية للتصدير الى الغرب ، هكذا استعان المخرج بمطرب يؤدى أغنيات باللهجة الليبية ، وراقصة ترقص على الطريقة الليبية كذلك . أى بثيابها الكاملة !

● وفى ٧٦ كان السادات فى أوج حكمه وكان الشرقاوى فى أوج تعاونه مع رشاد رشدى . جلال عميدا لمعهد المسرح ، ورشدى مديرا لأكاديمية الفنون ، كوَّن الاثنان فرقة خاصة ، قدمت « شهرزاد » التى كتبها مدير أكاديمية الفنون على نحو ركيك ومضطرب كى يقول شيئا واحدا : إن مصر (شهرزاد) كانت أسيرة بين يدى الطاغية شهريار (عبدالناصر) حتى جاء حبيبها الشاطر حسن (السادات) فحررها من أسره !

وفى العام التالى قدما « عيون بهية » أيضا كى يقولا ان مصر هى بهية وأن الامير الأسمر (السادات) هو عيناها !

● إثارة سياسية ●

بهذا التاريخ المتصل من استخدام المادة ذات الطابع السياسى فى العمل المسرحى ، تناول جلال الشرقاوى نص نهاد جاد ، فحذف القليل وأضاف الكثير ، وكان اهم ماحذفه تلك السطور القليلة التى فاتت عليك عن عبدالناصر ، وأضاف أحداثا وشخصيات ، وجعل فى بؤرة عرضه المسرحى توابل الاثارة السياسية ، ومافعله جلال هنا يمكن وصفه بكلمة واحدة : إنه « تعهير » التاريخ المصرى القريب ، برجاله ورموزه وأحداثه : من عبدالناصر إلى السادات ، ومن ٥٦ إلى ٧٣ . عندما يتعرض المستشار للتعذيب يرتفع صوت عبدالناصر : « إن هذا الجيل جاء على موعد مع القدر .. » وحين يتفق اللصان يرددان كلمات أغنية عبدالحليم حافظ احلف بسماها وبترابها .. وعندما تلفق للمستشار قضية

مخدرات يرتفع صوت السادات متحدثا عن سيادة القانون ، وأغنية عبدالحليم عن الثورة تاريخها وانجازاتها هى اطار خلفى لكل أحداث المهانة التى يتعرض لها البطلان .

هذا من ناحية . من ناحية ثانية ثمة افاضة البطلة فى وصف جفاف حياتها فى الكويت ، ومصاعبها مع رجال الجمارك وسائقى التاكسى ، الذين تضطر للتلويح لهم بالدشداشة والعقال ومحاولتها الحديث باللهجة الكويتية ، وارتفاع صوت اغنية سعودية ذاعقة ، واخيرا تلك الشخصية الباهتة للمراة التى تزوجت ثريا عربيا فلقيت الاذلال فى بلاده ، وعادت لتبرىء ساحة البطلة المظلومة .

ومن ناحية ثالثة ، هناك النماذج التى اثبتت نجاحها من قبل : الخادمة اللعوب زبونة الشقق المفروشة التى تقبض أجرها بـالعملات الصعبة ، ثم تعطيها لبلية ، الفقير الفهلوى الصاعد بسرعة كى يصبح ـ كما يصفه المستشار العارف بالقانون ـ « شهبندر التجار وفارس هذا الزمان .. » اضف لهذا كله امراة بيضاء بضة تقدم رقصتين كاملتين .

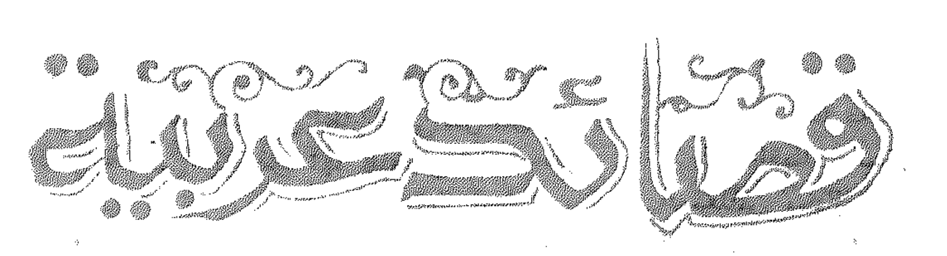
اقول ان هذا التعهير كله مطلوب لجمهور هذا المسرح ، مطلوب لأعراب النفط الذين يشكلون أغلبية الجمهور القادر على استهلاك هذا اللون من البغاء المسرحى ، مايقدم منه على الخشبة ، ومايتم فى الكواليس (التقاط الصور مع النجوم بأثمان فاحشة يتقاسمها هؤلاء مع صاحب المسرح) أو فى البوفيه (فباب المسرح يغلق تماما فى الاستراحة الوحيدة ، حتى لاياتى أحد من الخارج بطعام أو شراب) ولست اشك لحظة فى أن أولئك الأعراب سيسعدون حتى يجدون « فنانين » مصريين ، يتوجهون نحو تاريخهم ورموزهم ، يلوثون كل شىء بهذه الغلظة والفظاظة ، ثم يتوجهون نحوهم ونحو بلادهم بالمداعبة والحديث والاشارة ، ويحيلون الى آحداث معروفة لهم : مع موظفى الجمارك وسائقى السيارات وخادمات الشقق المفروشة .

أما القطاع الباقى من الجمهور ، أعنى المتعلقين بحبال الانفتاح فقد رفع عنهم كل الوزر ، إذا لم يكونوا قد انضموا الى الاتحاد القومى ثم الاشتراكى (يقف الشرقاوى طبعا عند حزب مصر ، فهو لايجرؤ على التقدم خطوة بعد ذلك ، واذا لم يكونوا من أصحاب البوتيكات ، ولم يرغموا زوجاتهم على البقاء فى الكويت عشر سنوات متتالية ، واذا لم يسعوا للزواج من بنت « تاجر الخيش » هؤلاء هم المستغلون الفاسدون المفسدون المجرمون المتواطئون ..

أما الذين يخلقون الشروط الموضوعية التى تفرز كل هؤلاء وتجعل بين ايديهم القوة والسيادة ، فلا كلمة واحدة عنهم ، لأن هذا يكشف جوهر التواطؤ بين المسرح ـ البغى والزبون !

وكلا القطاعين من الجمهور سعيد بأداء هؤلاء « المشخصاتية » ، وعلى رأسهم سهير البابلى وحسن عابدين : أعرف وجها قديما للسيدة سهير ، عرفته فى أعمال كثيرة (لعل آخرها كان « ليلى والمجنون » فى ٧١) احببت هذا الوجه وأحبه الكثيرون ، أما وجه نجمة « ريا وسكينة » فقد بدا امكانية مهدرة ، ولازمات مفتعلة ، وجه النجمة المصبوغ والمصنـوع . وجه سهيـر البـابلى « ع الرصيف » وجه المهرجة التى تؤدى « نمرا » مضحكة ، فى عصبية وافتعال .

أما السيد حسن عابدين فلعل ابلغ رد على مونولوجه الأخير ـ وهو من أكثر المونولوجات التى سمعتها على المسرح غلظة وافتعالا وركاكة ، والذى يطالب فى نهايته بمحاكمة الذين سرقوا مصر ـ هو ماقاله متفرج بتلقائية من الصفوف الأخيرة حين أجابه صائحا « أنت دريت ياعبس » ؟!



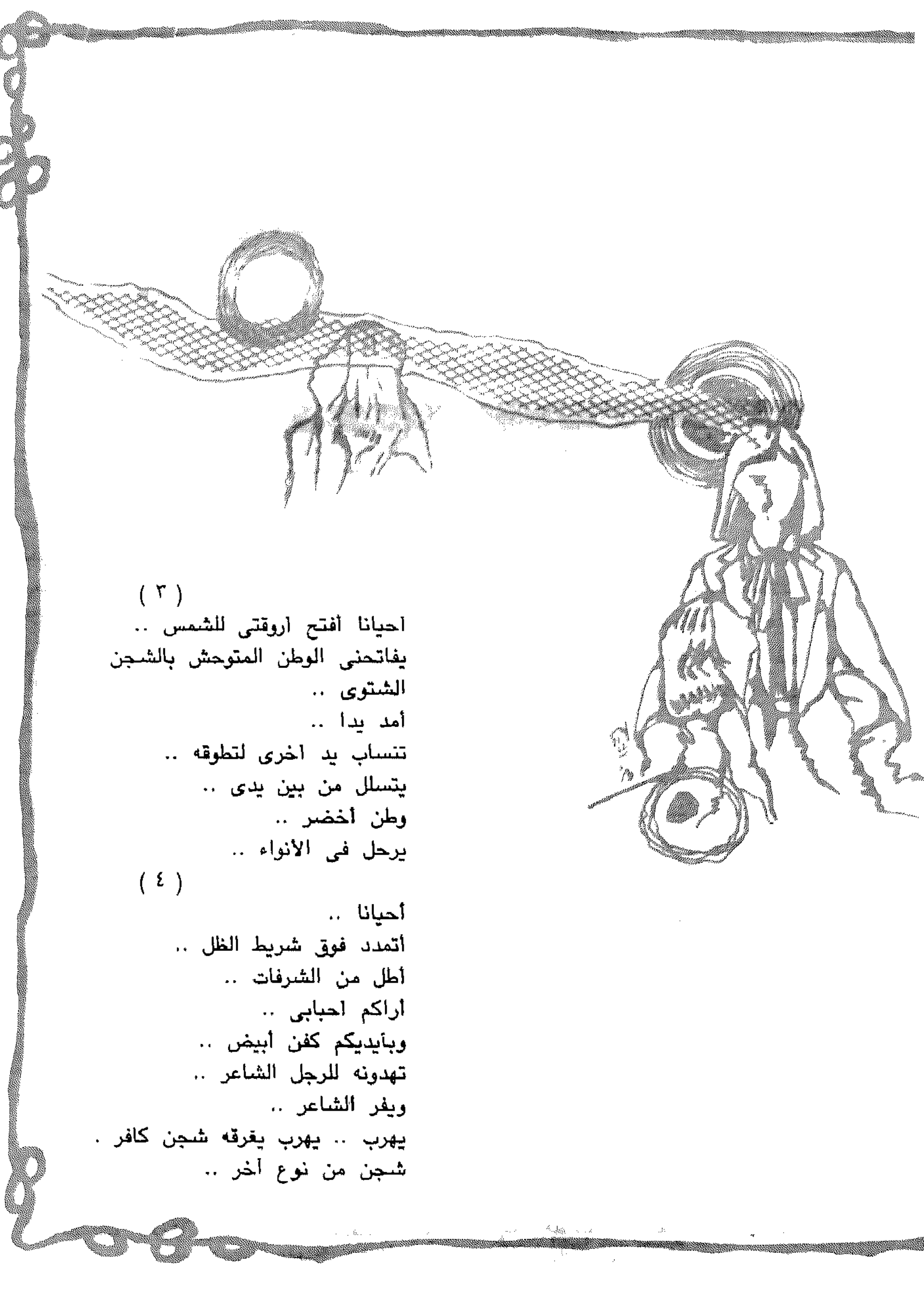
شعر : محمد العائش القوني
تونس

(١)

أحيانا اركب احزاني
وارى وجه العالم ..
منفى تتشكل داخله
قسمات الجرح العارم ..
وارى كل الأطفال .. يحاصرهم
ألم قادم ..
أحيانا أفتح نافذتي ..
فأرى الديكور
مواسم باهتة .. وبقايا
أندية .. ومعالم ..
وأرى وجه الأيام يسافر فى الليل القاتم ..

(٢)

أحيانا أصحو من وجعي ..
اتفرس فى كل دروب العمر ..
مسالك ضاربة فى الحزن ..
وكثبان مواجع ..
والشاعر يقرأ فاتحة للموت ..
يعاقر لوعته .. ويكرر دعوته الأولى :
من يرحل فى الكلمات
من يصبح للجسد المغلول هيولى



(٣)

احيانا أفتح أروقتى للشمس ..
يفاتحنى الوطن المتوحش بالشجن
الشتوى ..
أمد يدا ..
تنساب يد اخرى لتطوقه ..
يتسلل من بين يدى ..
وطن أخضر ..
يرحل فى الأنواء ..

(٤)

أحيانا ..
أتمدد فوق شريط الظل ..
أطل من الشرفات ..
أراكم احبابى ..
وبأيديكم كفن أبيض ..
تهدونه للرجل الشاعر ..
ويفر الشاعر ..
يهرب .. يهرب يغرقه شجن كافر .
شجن من نوع آخر ..

يوسف ادريس

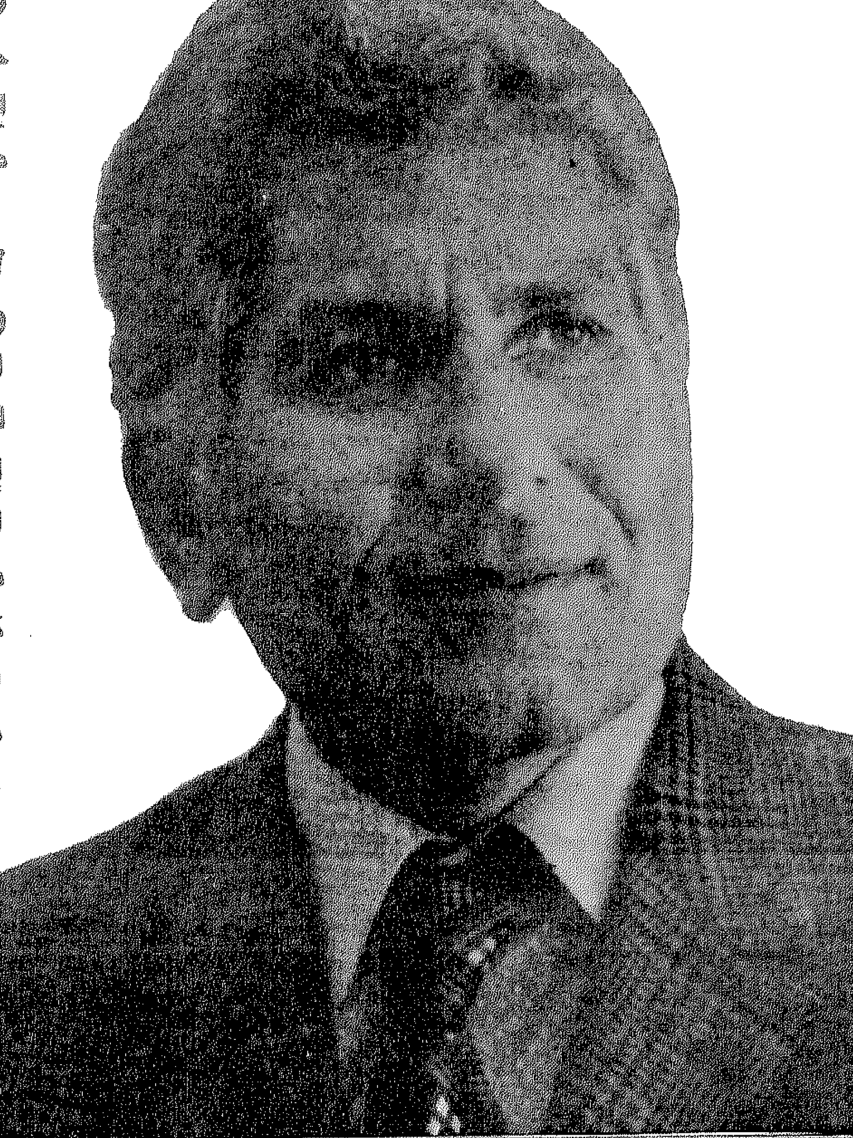
فى حديث للهلال

● جائزة نوبل لن تمنح لأى عربى

أجرت الحديث : هبة عادل عيد

●● منذ فترة والحديث عن جائزة "نوبل" ويوسف ادريس . يتزايد ويثير العديد من علامات الإستفهام ؟

هل رشح يوسف ادريس ام لا ؟ ماهى حقيقة ما اثير حول وصول اسمه الى قائمة الكتاب الخمسة المرشحين للجائزة ؟ هنا يدلى يوسف ادريس بمعلوماته عن هذا الموضوع ، ربما لاول مرة بهذا الوضوح . ثم يتطرق كاتبنا الكبير لبعض القضايا الأدبية والإجتماعية التى لابد من إثارتها فى حضوره وهذا هو نص الحديث ●●







توفيق الحكيم و نجيب محفوظ

توفيق الحكيم — نجيب محفوظ

أجدر منى بالحصول على الجائزة



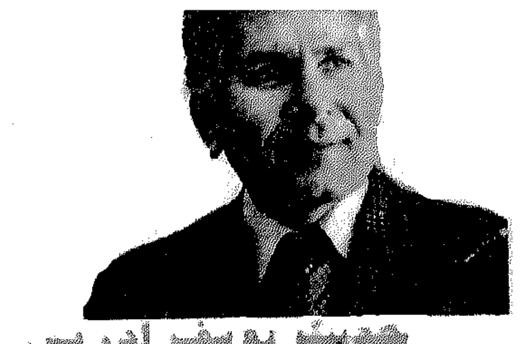
● **لنبدأ بجائزة نوبل .. أتصور أن هذا الموضوع يثار كل عام .. معروف أنك رُشحت لها أكثر من مرة لتنالها .. فما الذى حدث ؟**

□ بداية .. اقول إن معلوماتى عن هذا الموضوع من الدرجة الثانية .. كنت قد قرات مرة فى النيوزويك أننى رشحت لعدة مرات من قبل .. أيضا اصدقاء لى من السويد قالوا لى اننى رُشحت للجائزة فى القائمة القصيرة التى تحتوى على خمسة كُتاب من كُتاب العالم وقيل لى اننى كدت أفوز بها منذ عامين عندما نالها جولدنج الانجليزى ، لأن التصويت كان لصالحى لكن سكرتير اللجنة خرق التقاليد وأعلن فوز جولدنج قبل ان يجتمع المجلس ، واحتج احد المسئولين الكبار فى اللجنة وكاد أن يعقد مؤتمرا صحفيا يقول فيه ان جولدنج لم يكن المرشح لها .. وفهمت أننى كنت ساحصل على الجائزة .. هذه هى كل معلوماتى ومن بين معلوماتى ايضاً أن سكرتارية لجنة الجائزة جاءت إلىّ .. واخذت كل مؤلفاتى والكتب التى كُتبت عنى واجرت معى لقاء مطولا . وترجموا لى مجموعة قصص من بينها (الحرام) .. حتى يصبح لدى الناس مادة تقرؤها وتحكم عليها .. هذا ماحدث .

● **وإذا عرضت عليك الجائزة هل ستقبلها ؟**

□ نعم ساقبلها وإن كنت ارى أن توفيق الحكيم ونجيب محفوظ أحق منى بالجائزة . ولكن مسألة الترشيح او عدمه لا املكها كما انهم لايملكونها .. لذا فإنها إذا عرضت علىّ ساقبلها .. اما إذا وضعوا لها شروطا سياسية فسارفضها على الفور .. اما إذا لم يضعوا لها شروطا سياسية .. ولم يضايقهم أننى أكتب ما اشاء فى المكان الذى اشاء وبالصيغة التى اشاء .. ولم يضايقهم أننى ضد الاستعمار العالمى والصهيونية ، فلماذا أرفض أن يرضخوا هم لشروطى ؟! ..

لكننى لا أضع هذا الموضوع فى اعتبارى اطلاقا .. لأننى أعتقد أن احد الأخطاء الكبرى التى يقع فيها الكُتاب فى العالم الثالث ، إنهم يتصورون انهم مرشحون لجائزة نوبل فيبدءون فى تهدئة نبرتهم .. ويبدءون فى تقديم فروض الولاء والطاعة ، كما حدث من جابرييل جارسيا ماركيز مثلا عندما اعلن اشياء غريبة حتى



حديث يوسف إدريس

يأخذ الجائزة .. وبدأ يقوم ببعض المساومات نوعا ما .. وهو رجل من المفروض انه نشأ فى احضان الدكتاتورية العسكرية الامريكية اللاتينية بتدعيم من أمريكا .. والمفروض أن أروع كتاباته كتبها عن ذلك وفى اعتقادى أن الامريكيين يتدخلون الى حد كبير فى هذه الجائزة وفى غيرها فى أوربا .. ماعدا فرنسا .. والمشكلة تكمن فى أننا عرب .. وهذا ما ينساه الكثيرون فى العالم العربى .. وأنا أعتقد أن هذه الجائزة لن تمنح لأى عربى سواء فى وقتنا الحاضر أو فى المستقبل .. ولذلك فإننى لا أعلق أى اهتمام على هذه الترشيحات لأننى مؤمن أنها لن تمنح لاى عربى ، فقط لأنه عربى ..

وأنا أحذر الكتاب الا ينخدعوا بهذه الترشيحات فالذى يريد منحى جائزة فليمنحها لى .. دون أن يتصل بى قبلها ليقول إننى مرشح لها .. لأن هذا معناه . قدم فروض الولاء للترشيح .. والذى يعنيني هو الا يحدث نوع من الوهم لدى بعض الكتاب والشعراء المصريين والعرب انه المطلوب منهم هذا الخط السياسى او ذاك .. كما تورط بعض كتابنا وفعلوا لينالوا الجائزة ..

● ولدت لاغير العالم ●

● يقول برخت فى إحدى مسرحياته .. "فلتغيروا دنيانا ، فهذا هو الأمر المُلح" ..

فى المقابل ماذا يريد ان يقول د . يوسف إدريس فى كتاباته ؟ ..

□ شعارى دائما .. (ولدت لاغير العالم) وبالطبع هذا غرور .. ولكن لولا تمسكى بهذا الغرور لما كتبت .. فلنعتبره غرورا او جنونا او تمردا .. فلو لم يضع الكاتب فى اعتباره ان يغير من مفاهيم ورؤى الناس فى عصره .. فلن يُكتب لكتاباته معنى أو خلود أو حتى قيمة أنية .. لأن الهدف من الكتابة هو الهدف من الفن بشكل عام .. وهو خلق انسان اسمى وأحكم فاذا لم يكن هذا هدف الكاتب فلماذا يكتب إذن ؟؟ ..

وبرخت قال كلمة يحسن ان اذكرها فى هذا المجال فقد قال : « إن الكاتب الموهوب حقا هو أيضا الكاتب الذكي ، الذى يستطيع أن يتغلب على العراقيل التى تقف بينه وبين ان يؤدى واجبه » ..

● أيضا فرانز كافكا قال .. « الكتاب يجب أن يكون أشبه بالفاس التى تحطم المتجمد داخلنا » ..

□ هذا حقيقة .. ولذلك فقد اخترت القصة القصيرة عن إيمان بها .. فأنا مؤمن بأن القصة القصيرة أكثر فاعلية من الرواية .. فالرواية قد تغير فى المدى البعيد جدا .. أما القصة القصيرة والمسرحية فتغير على الفور .. ومن الممكن عندما نشاهد مسرحية أن نتغير فكريا لمجرد مشاهدتها .. إنها وسيلة فعالة للتغيير ، فضلا عن انه ليس من الممكن نسيان قصة قصيرة جيدة نقروها ، ولكن من الممكن أن ننسى رواية بأكملها أو موضوعها أو تفاصيلها ، ذلك لأن الرواية تورد الكثير من التفاصيل التى تمحو بعضها البعض فى حين أن القصة القصيرة .. تفصيلة واحدة من الحياة .. لكنها ذات أثر قوى ومدمر .. وعميق جدا .. لايمكن نسيانه .

● المقال .. لماذا ؟ ●

□ فى مقالاتى كتبت مثلا عن تجريف الأرض ، صحيح انه بعد خمس سنوات أوقفوا تجريف الأرض .. ولكنى كشفت القضية ، أيضا

حاججت الشيخ الشعراوى فى اتهاماته للناس بالكفر .

لقد لجأت إلى المقال رغما عنى ، رأيته وسيلة للدفاع عن النفس ضد ظاهرة تكفير الناس مثلا واستعداء الغوغائية العامة عليهم وبالطبع هذه ظاهرة خطيرة جدا ، وكان لابد من الوقوف امامها ، ايضا وجدت المقال وسيلة للاحتفاظ بالحد الأدنى من المنطق والرؤيا الواضحة لمشاكلنا ضد الذين يريدون وضع غشاوات عليها ، وينسبوها إلى تفشى الفساد فى المجتمع ـ مثلا ـ اى فساد ؟! .. هل يوجد فساد اكثر من الفقر ؟! .. لقد وهبت نفسى لمحاربة الفقر والتخلف العقلى والثقافى .. ولذلك كتبت « اهمية ان نتثقف ياناس » . وامنت بوجوب خلق مجتمع مكتف ومثقف .. وقلت أن الثقافة لاتنفصل عن الإكتفاء المادى بل إنها اهم منه لسبب انه بالثقافة او بالتنوير يمكن أن ينتزع الانسان حقوقه المادية متسلحا بعقله الواعى ، لكن إذا شبع فقط دون ان يكون لديه الوعى الكافى يمكن أن يضيع منه هذا الحق .. لانه لن يستطيع المحافظة عليه ..

● دور المثقف ●

● هل يقتصر دور المثقف فى مجتمعاتنا على ان يعبر بصدق عن هموم الناس . بمعنى أنه ليس من مهمته أن يضع حلولا لمشاكلنا ؟ .. لأنه قد ظهرت بعض الأراء التى روجت لهذه المقولة ..

□ دعينا نتوقف امام هذه المقولة « إنه ليس من عمل الكاتب ان يقدم حلولا » وفى رأيى أن عمل الكاتب ان يقدم حلولا ، لكن ليست حلولا يطرحها هو .. إنما على الاقل يصدر فى رؤياه عن رؤيا للحل ، لا أن يعقد المشكلة .. فلنفترض ان هناك شخصا فى مازق ما ويحتاج إلى المساعدة .. فهل يستعين باخر أعمى ليرشده إلى الطريق ؟ .. يجب ان يكون مبصرا .. ليس مهما مدى رؤيته ولكن المهم انها افضل من رؤية طالب المساعدة ..

والمصيبة أن كثيرا جدا من الكتابات ـ بالذات فى الشعر ـ تزيد الألم الما على الناس .. وتزيد البؤس بؤسا على الناس ، واليائس تزيده يأسا ، والمفروض فى الشعر أن يفتح املا .. ودور الفنان أن يكون هو السائد .. فإذا كان الشعور السائد مكتئبا . فهو يمرح .. وإذا كان الشعور السائد مرحا فإنه يكتئب وإذا كان الشعور العام متفائلا جدا فهو يتشاءم . وإذا كان الشعور العام متشائما جدا فهو يتفاءل .. وذلك لأن الفنان ليس المعادل الموضوعى للحياة .. إنما هو المعادل المعاكس لكى يوازنها . وهذا هو الفن .

● والبطل .. هو الحل ●

ويواصل الأديب يوسف إدريس حديثه قائلا . على سبيل المثال فانا ضد الاقلام السياسية التى نراها فى هذه الأيام . إننا نفتقد البطل .. والاقلام والروايات التى نقرؤها فى الصحف والكتب والمجلات تنقد الواقع الحالى .. ولقد شبعنا من هذا النقد ونحن نريد بطلا ، فمن المفروض فى المرحلة الحالية أن يتجه الفن لا إلى فكرة البطولة الخرافية مثل "روبنسون كروزو" .. بل إلى البطل بمعنى الشخص القادر على قهر الشيء الصغير جدا الذى يقف امامه ، أو حتى البطولة بمعنى المحافظة على الذات ، لا أن يظهر مدير عام يعمل طبالا ، أو عازف كمان حتى يطعم أولاده .

هل هذا حل ؟؟ إن البطولة هى إصراره على العمل وحل المشكلة .. حتى ولو دخل فى صراع مفتوح مع المجتمع ، وهذه النوعية من النقد سواء كان نقدا سياسيا أو إجتماعيا او اقتصاديا ، توعية مضرة فى رايى ، لأن الناس تعرف عن الأشياء وليست فى حاجة لأن نكشفها لهم ، ولكنهم فى حاجة أساسية لأن تبين لهم إلى أى مدى يمكنهم فعل شىء .. وهذا يفتح باب الأمل فى الحال ، فالكارثة ليست اقتصادية أو اجتماعية أو تبعد للاستعمار او لامريكا ولكن الكارثة فى الناس



حديث يوسف إدريس

عندما يفقدون الثقة فى قدرتهم على عمل شىء مفيد ، او حل مشكلاتهم ومهمة الكاتب ان يبين لهم إمكانية الحل ، اين الحل الجماعى للمشكلة ؟ .. إننى كفرد عندما انظر إلى مشكلة الغلاء فلن استطيع حلها .. لكن عندما انظر لحلها من خلال ترابط بينى وبين زملائى .. نقول رأياً .. ونتشاور .. ونفكر يمكننا فى هذه الحالة أن نقدم اقتراحا إلى الحكومة .

● جروح .. اسمها خيبة الأمل ●

● فى رواية (العيب) عبارة تقول فيها : ".. مامر بنا قد أصبحنا جزءاً من تاريخه كما أصبح هو جزءاً منا ، نتوءاً هنا او أثرا لجرح هناك ، اثراً لايختلف عن بقية كياننا وجسدنا إلا فى اختلاف لونه وبروز سطحه والألم الذى يصدر عنه إذا نحن بوعى لمسناه " ..

أريد أن أعرف الجرح الذى إذا ما لمسه د . يوسف إدريس لايزال يؤلمه ..

□ قال إنها جروح .. وليست جرحاً واحداً .. جروح فى الطفولة وجروح فى الكبر .. وأهم هذه الجروح .. جروح غريبة جداً أسمها : خيبة الأمل فى كثير جداً من الأشياء التى كنت أؤمن بها .

الحرية ـ على سبيل المثال ـ كنت أؤمن بالحرية بطريقة مثالية ، كما يجب أن يؤمن الإنسان بالحرية .. ثم اكتشفت انه لاتوجد حرية فى العالم إطلاقاً ، تحت اى شعارات وتحت أى نوع من الحكومات ، لاتوجد حرية .. وإن الأنسان اتعس كثيرا من تلك اللحظات التاريخية التى كان يعيش فيها بلا دولة ، وإن الدولة قامت لتنظيم حياة الناس وتعطيهم الحرية الأكثر والأعقل .. فخيبة أملى فى عالم يكاد يخلو من الحرية .. جرح كبير جداً !

مثلا هل يتقدم العالم ام يتأخر ؟ لقد عشت هذه الفترة عقب الحرب العالمية الثانية فى الخمسينات ، كان العالم افضل كثيراً من الآن ، وكانت هناك حرب واحدة هى العدوان على كوريا .. قامت به الولايات المتحدة .. كانت هناك حرب واحدة فقط ، وبقية العالم كان يعيش فى سلام وفى حالة نهضة شاملة ، أما اليوم فأعتقد أنه توجد ١٢ او ١٣ حربا قائمة الآن ، فى هذه اللحظة فى انحاء متفرقة من العالم ، وهى حرب تتدخل فيها القوى الكبرى ، ويتدخل فيها الخلاف الرهيب بين مصالح هذه الدول الكبرى والعالم الثالث ، ويتدخل فيها النظام الاستعمارى الغربى المحكم الذى يحاول تشديد قبضته على العالم .. ويتدخل فيها العصر الذرى الذى نعيش فيه !! .

أما عن المستوى المحلى هنا فى مصر ، فاستطيع القول بأن فترة الخمسينات والستينات شهدت هبَّة مصرية عظيمة جداً فى كافة المجالات ، وكان يصحب هذه الهبَّة نوع من الآمال الطموحة جداً .. هل تتصورين أننا كنا نفكر فى صنع حضارة نهديها للعالم ..

والى أوروبا بالذات .. كنا نريد أن نُحَضّر أوروبا ..

فأين نحن الآن من هذا ؟ .. إخفاق الحلم المصرى فى النمو .. جرح كبير جداً .

ولعل بعض الناس يتساءلون : إن هذه مسائل عامة لاتجرح ، أن الانسان تجرحه أمور شخصية .. أو مواقف ولكن مشكلتى فى أننى آخذ هذه الجروح العامة كجروح شخصية ، وهذا لأنى أكتبها .. ولأننى يجب أن أشعر بها على هذا المستوى وإلا فلن أستطيع كتابتها ..

● عودة للطفولة .. الجريحة ●

● مازلت اريد التعرف على لمحة من الجروح الشخصية جداً .. والتى ساهمت فى تكوين د . يوسف إدريس ..

□ عندما أتذكر طفل عمره ٨ سنوات .. إنتُزِعَ من عائلته ، وبعثوا به إلى جدته حتى يصبح قريباً من المدرسة الإبتدائية .. وكان عليه لكى يذهب إلى المدرسة أن يستيقظ فى الخامسة صباحاً فى الشتاء البارد جداً ويجهز نفسه للذهاب إلى المدرسة ، ولم تكن هناك أم شابة ترعاه .. ثم يمشى من الساعة السادسة إلى الثامنة ٤ كيلو مترات فى طريقه إلى المدرسة ، كان البرد يجعله ينكمش على نفسه ، وأحيانا كان المطر وعادة كان يصل إلى المدرسة قبل أى تلميذ من المدينة خوفاً من التأخير ، وكان يصل فى حالة يُرثى لها .. حذاؤه عليه أكوام من الطين ، وملابسه مبللة ، ثم يجىء المدرس فى الطابور يفتش على الأحذية ، وأذكر أنه كان مدرس اللغة الأنجليزية وكان اسمه الأستاذ السباعى وكان أنيقاً جداً ، كانت ملابسه أنيقة وحذاؤه يلمع لمعاناً غريباً ، يجىء هذا الرجل الأنيق ويفتش علينا .. فيكون أسوا تلميذ فى هندامه .. أنا .. كل يوم وأضرب فى الطابور لأن ملابسى متسخة ، وظللت أرجو والدى أن يعطينى أجرة القطار لكى اذهب وأرجع به .. ولكنه كان خائفاً .. ويتصور باستمرار أننى سأقع تحت عجلات القطار ـ وأموت ـ حتى عندما كنت أسير على السكة الزراعية .. كان يطلب منى أن أسير فى الجهة البعيدة عن جسر القطار ، فهو يخاف إما أن أطلع أنا على الجسر أو يخاف أن ينزل بى القطار على السكة الزراعية .. فى هذه الطفولة كنت أشتهى تناول الطعمية ولا أستطيع ذلك .. لأننى كنت آخذ (تعريفة) فى اليوم .. مع أننى من مستوى اقتصادى مرتفع .. فوالدى كان مفتشاً زراعياً ، ولكن عندما ذهبت إلى جدتى كانت فقيرة جداً فهبط مستواى الاقتصادى والغريب فى ذلك أننى أدركت أن الذى ينشأ فقيراً لايشعر بالفقر إنما الذى يشعر بالفقر حقيقة هو الذى نشأ ورأى حياة أخرى غير حياة الفقر .. فيبدأ فى رؤية الفقر بعيون أخرى .

اتذكر طفلاً لا تسلية له إلا اللعب مع الأطفال .. وقت الغروب ، يلعب بعض الألعاب الساذجة مع أطفال الفلاحين الغلابة الذين كان لديهم مرح الأطفال وحب اللعب .. وغالباً ماكانت تضربه جدته ايضاً .. لأنه تأخر فى العودة إلى المنزل .

وأتذكر طفلاً يذاكر على "لمبة جاز" .. وكرسى "عشرة" .. (مقعد توضع عليه الأوانى فى الدوار) .. ولمبة جاز نمرة خمسة .. ويمر قطار آخر الليل فى العاشرة مساء ويصفر صفيراً خافتاً



ويتثاءب الطفل ، وعليه أن يطفىء المصباح لأنه مرة نسى أن يطفئه فأخذ "علقة" وينام ، ليصحو تلقائيا فى الخامسة صباحاً ..

كيف كان يصحو هذا الطفل ؟ من كان يوقظه : أى رعب كان يركبه من فكرة أن يصحو متأخراً .. أو يصل إلى المدرسة متأخرا ، أو تستيقظ جدته فتجده لم يذهب إلى المدرسة .. الله اعلم بكم هذا الرعب !!

عندما أقارن هذه الطفولة .. بطفولة ابنتى .. أو أولاد الناس الآخرين حتى أولاد الفلاحين ، أجدها كانت طفولة مريرة جدا ، ومليئة بالجروح .. ففى كل حركة من حركاتى كنت أجد جروحا .

فى الماضى لم يكن التعليم إلا لأولاد الناس الأغنياء وكان التعليم فى الابتدائى .. يضم أولاد الاعيان أو الخواجات .. وأكاد أكون أفقر تلميذ فى المدرسة فى ذلك الوقت ليس لأننى فقير .. وهنا تكمن المشكلة بل لأنى بعيد عن أهلى - فكم حلمت مثلا - أن أجلس مع إخوتى .. ونأكل من طعام قامت أمى بطهوه ، لأننى كنت أكل مع هذه العائلة الزراعية الكبيرة الكادحة ، ثلاثون رجلا وإمرأة أصغرهم يصل عمره ثلاثين عاما وكان عمرى ثمانى سنوات ، كنت الطفل الوحيد بينهم وكنت بالتالى أعامل معاملة الكبار ..

وكان الطعام شحيحا . واللحم نادرا وكانوا يذبحون فى المواسم فقط .. لكن الطعام كان له مذاقا مختلفا وأذكر أننى عندما كنت أعود من المدرسة وأجد أمام البيت (ريشا) . فأشعر على الفور برائحة الدجاج .. وعندما كنت أكتشف رائحة الفراخ تنتابنى فرحة غامرة .

قطعا هذا النوع من الحياة غرس فىّ شيئين رئيسيين الأول . محاولة إحتمال الواقع بتجميله باللجوء إلى الخيال .. فكنت لا أشعر بالاربعة كيلو مترات التى أسيرها على قدمى إلى المدرسة لأنى كنت أحلم أحلام يقظة كثيرا ، أحلم مثلا أننى وجدت كنزا . وأحلم بأننى ذهبت إلى شجرة « أم الشعور » .. (شجرة معروفة لدينا فى حواديت الأطفال) .. أحلم .. وأحلم .. وأحلم .. إلى درجة ضخمت جدا من مركز الحلم فى عقلى ، فأصبح بمقدورى تخيل أى شىء ، ليس مجرد خيال وإنما كحقيقة وهذه الصفة عرفت بها فيما بعد ، أنها أفادتنى كثيرا فى الكتابة .

أما الشىء الآخر الذى منحتنى اياه هذه الطفولة أنها قوت عودى جداً ، فالطفل الذى يتجاوز هذه الطفولة المحرومة ، ولايموت ينشأ قوياً جدا .. أقوى من الأطفال الذين نشأوا نشأة عادية ، فعندما أرى الأجيال الجديدة فى العائلة وقدرة احتمالها ، أرى أننى - وأنا فى هذه السن - أكثر منها قدرة على الاحتمال .. حتى الاحتمال العضلى .. هذا أيضا نتيجة لهذه الطفولة المحرومة .

هناك شىء ثالث .. تعلمته من طفولتى .. هو أنه لانهاية للأحلام .. فهناك بعض الناس بمجرد أن تحقق ذاتها ..

وحتى ذاتها المتواضعة جدا تكتفى بذلك .. الحلم بالنسبة لى ليس أن أحقق ذاتى فقط .. ولكن أن أغير ذلك ، أن أضع مصر كلها على طريق جديد .. حتى لاينشأ أطفال بهذه الصورة .. طبعاً .. فى طريقه لتحقيق هذا الحلم .. حدثت خيبات الأمل التى حدثتك عنها .. لكن ليس معنى ذلك أننى فقدت الأمل أبدا ، ولا أعرف لماذا يراودنى إحساس قوى جدا بأن هذه كلها أمور عابرة .. وأنها ليست علامات تأخر ولكنها علامات لتطور غريب يجرى داخل المجتمع ، لكننا لانعرف اتجاه هذا التطور .. ومادام تطوراً فهو إلى الأحسن حتى وان بدا إلى الأسوأ ..

● الشعبان المصرى والصينى ●

□ ويقول الدكتور يوسف إدريس مواصلا حديثه للهلال : وفى هذه النقطة اريد القول بأن الشعبين المصرى والصينى يكادان أن يكونا الشعبين الوحيدين فى العالم المستمرين إلى اليوم فى مسيرتهما منذ عصور ماقبل التاريخ اى منذ ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ عام .. وفى رايى أن "مينا" لم يأت من فراغ .. فمن قبله كانت هناك حضارة مصرية .. هى التى وحدت كل قُطر على حده .. الشمال والجنوب .. لكن "مينا" فقط اقام الوحدة بينهما وهذا مافعلته اسكتلندا وانجلترا منذ ٥٠٠٠ عام .. لكننا قمنا بذلك قبلهم .. إذن حتى من قبل "مينا" .. كان لنا تاريخ .. فتكاد الحضارتان المصرية والصينية أن تكونا أهم حضارتين مستمرتين حتى اليوم .. هذه الحضارة داخل كل منا فلا تتصورى أن الحضارة الفرعونية لاتوجد فينا .. ايضا تاثير الإغريقية والرومانية والفارسية والعربية .. لم تذهب ، بل إنها دخلت أعماقنا ..

نحن شعب قادر على اجتياز كل المحن .. وهذا هو عنصر الاطمئنان عندى .. فأنا مثلا عندما ارى أصدقاءنا وزملاءنا قلقين جدا .. ومنزعجين من اى شىء يحدث .. وكأنهم يجلسون على سطح من صفيح ساخن ، أقول لهم إهدأوا .. فالقيامة لن تقوم ، ولن تذبحوا ، ولن تشنقوا ، ولن يحدث أى شىء لأننى أعتقد أننا سنجتاز هذه المرحلة وكل ما فى الامر أننا باستمرار نكون ضحية لحكامنا !

● أنا كاتب .. لى رأى سياسى ●

● هل فى رأيك انه يجب على الكاتب أن يكون له رأى سياسى ؟

□ رغما عنه .. لابد أن يكون له رأى سياسى .. حتى كمواطن عادى .. أليس الكاتب بشرا ؟ الا يقرا الصحف ويسمع الإذاعة ويرى نشرات الأخبار .. ويسافر ؟ يجب أن يكون له رأى ..

● اى أن هناك استحالة فى أن يكون الكاتب محايداً ؟

□ من الممكن أن يكون له رأى رجعى .. لكنى لا أعرف كاتباً أصيلاً .. رجعى فى رأيه .

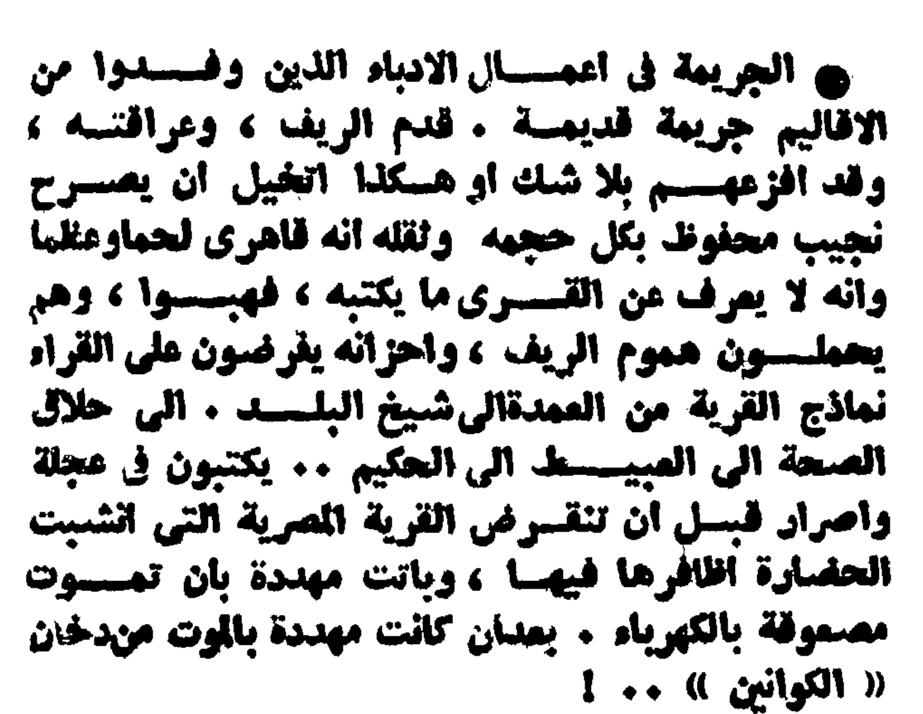
● اعنى أن يكون بلا رأى .. على الأطلاق .. محايدا .. بلا موقف .. بلاهوية ؟

□ كيف يمكن للكاتب أن يكون محايداً ، الحياة نفسها ليست محايدة .. فكيف يمكن للكاتب أن يكون محايداً حيال الأخطار ؟ كيف يمكن للكاتب أن يكون محايداً تجاه القنابل النووية وحرب النجوم - على سبيل المثال - كيف ٠

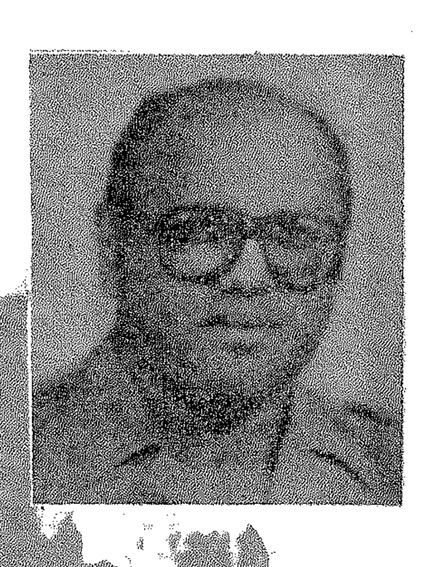
الجريمة عند يوسف القعيد

مجرمون بلا عدد وجرائم تبحث عن مجرم

عرض وتحليل :
عبد المنعم الجداوى



● الجريمة فى اعمال الادباء الذين وفدوا من الاقاليم جريمة قديمة . قدم الريف ، وعراقته ، وقد افزعهم بلا شك او هكذا اتخيل ان يصرح نجيب محفوظ بكل حجمه وثقله انه قاهرى لحما وعظما وانه لا يعرف عن القرى ما يكتبه ، فهبوا ، وهم يحملون هموم الريف ، واحزانه يفرضون على القراء نماذج القرية من العمدة الى شيخ البلد . الى حلاق الصحة الى العبيط الى الحكيم .. يكتبون فى عجلة واصرار قبل ان تنقرض القرية المصرية التى انشبت الحضارة اظافرها فيها ، وباتت مهددة بان تموت مصعوقة بالكهرباء . بعد ان كانت مهددة بالموت من دخان « الكوانين » .. !



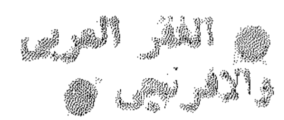
يوسف القعيد

● و « يوسف القعيد » أحد هؤلاء القراء ، فهو يكتب الجريمة الريفية على شكل (عرضحال) كأنه يرفعه الى من يهمه الأمر .. يحرص على أن يصف الجريمة ، ويشير الى المكان الذى وجدت فيه الجثة ، ويحدد الجانى ، ويقيم ضده الأدلة ، ويجىء بالشهود فيؤدون الشهادة بحماس اذا كان المتهم ضعيفا ، وينكرون ، ويستنكرون اذا كان الجانى من الأعيان ، ومن [illegible] « القعيد » .. أن يقوم منهم بهذه المهمة ، فهو يصرخ فى كل قصصه ورواياته مستعديا القانون على المجرمين بنفس الطريقة التى ينادى بها البائع فى أسواق القرية على بضاعته ، ومع أن البائع فى سوق القرية الأسبوعى لا أحد يشترى منه بضاعته المزوقة الفاقعة الألوان ، الا فى القليل .. الا أن « يوسف القعيد » أكثر شطارة وبراعة .. لقد باع بضاعته لمصر وللخارج ، وتصدر له الآن فى انجلترا رواية « الحرب فى بر مصر » .. أى أنه باع القرية المصرية للأجانب !..

كما باعها من قبل لروسيا وأوكرانيا أو سوف يتفرج الفلاح الروسى على

الجريمة عند يوسف القعيد

القرية المصرية ، وبقى أن يقراهـا الفلاح المصرى نفسه ، بعد أن يرفع الله عنه محنة الامية تماما



والجريمة فى الرواية عنده توشك ان تكون كاملة الابعاد الاربعة .. المجنى عليه ، والجانى ، والآلة المستعملة فى الجريمة ، والشهود .. الا انه لحاجة فى نفس « القعيد » ، لهدف استهدفه قبل كتابة الرواية ، جعل الجريمة راس حربة مندفعة نحوه — يترك الجانى يفلت من العقاب ، لان العدالة مفقودة فى مجتمع الريف .. السابق ، واللاحق ، والمؤلف سلطان لا يحاسب على مايعتقد ، وما يراه ، طالما هو فى النهاية يتقمص الانسان .. ولعل « صابرين » فى « عزبة المنيسى » ، و « مصرى » ابن الخفير الذى استشهد بدلا من ابن العمدة .. وآخرين .. هم الذين شدوا انتظار القراء فى اللغات الاخرى .. فالفقر هو الفقر ، والظلم هو الظلم ، وحتى الآن لا يوجد على خريطة العالم .. الفقر العربى ، والفقر الافرنجى ، ولهذا ترجموا جرائم « يوسف القعيد » ، وآخرين ..

لكن كيف يتعامل الكاتب مع الجريمة ادبيا ؟ وهذا كل ما يعنينا ، ونسعى هنا الى رصده .. أنه يضع يده على جرائم ريفية الطعم ، والرائحة من المستحيل أن يكون أبطالها من غير قرية « يوسف » أو القرى التى تجاورها

والحق انه شديد الاخلاص الى حد التعصب لمسقط راسه فى البحيرة ، ويتغنى بأمجاد « الادهم » ، ويرغم ابطاله على أن يتغنوا بمواويله .. وكلما انسدت الطرق امام المظلوم صاح يرتل جزءا من موال « للادهم » كانها التميمة التى سوف ترفع الظلم ..

الحرب فى بر مصر

واتعرض هنا لروايته « الحرب فى بر مصر » ، وقد رسم كل اشخاصها بعناية ، ورواها على افواههم ببراعة ، وجعل الجريمة ، تستغرقها من اول سطر حتى آخر سطر — فهى جريمة تزوير ، اذ اتفق عمدة القرية مع خفير يحال الى المعاش ، أن يقدم ابنه ليخدم فترة الجيش بدلا من ابنه ، وكلاهما ولد فى نفس التاريخ .. الا ان الولد ابن الخفير ، متقدم ، وناجح ، وابن العمدة طرد من المدارس .. ويقبل الخفير تحت ضغوط مادية ، وادبية ، ويقبل الابن ابن الخفير ، حتى يجد والده قطعة أرض ، ويحصل على مرتب شهرى ، وبعد أن كان الاب خفيرا حكوميا .. حوله الى خفير خصوصى ، دون قطع المرتب .. ابن الخفير اسمه « مصرى » .. اختاره « القعيد » مع

« القعيد » أهان الجريمة باستعمال المواويل ..

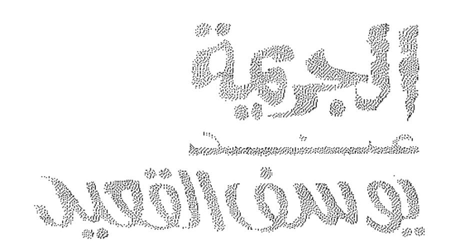


ندرة الاسم لا سيما فى الـريف ، والذى يقوم بعملية التزوير من الالف الى الياء ، مجرم يضع الجريمة بنفس البساطة التى يتنفس بها ، وهو الآخر مدرس مفصول من التربية والتعليـم بسبب التزوير ، وحينما يئس مـن العودة الى وظيفته .. احترف التزوير لحساب الآخرين .. تزوير البطاقات .. الشهادات .. الجوازات .. المستندات وهو لا يسمى هذا تزويرا ، وانمـا يسميه « تسهيل اجراءات » عقدتها الحكومة .. ويعيش فى خيال دالـم .. يحلم بوزير التربية والتعليم وقـد جاءه حتى البيت ، وتوسل اليـه أن يعود الى عمله .. لكنه اشترط عليه أن يرقى الى درجة ناظر . أسوة بزملائـه الذين لم يطردوا من الخـدمة .. و « التعيد » يجعله يروى كيف زور الاوراق ، واستطاع ان يجعل « مصرى » يدخل الجيش باسم ابن العمـدة ، ومعنى ذلك أن «مصرى» أصبح معروفا فى الوحدة التى يخدم فيها بابن العمدة!

ثم يروى الخفير ، وقبله العمدة ، كيف اتفقا .. كلاهما يروى الموضوع من وجهة نظره .. ثم يجىء الجندى صديق المجند المستشهد ليروى الجزء الخاص به قبل الاستشهاد .. ثم الضابط الذى صحب جثة الشهيد ، والذى اكتشف أن ابن العمدة حيا ، وأن الجثة لابن الخفير ، ورفض أن يسلمه الجثـة ، وفجر الموقف ، وأبلغ النيابة .. ثـم المحقق يروى النهاية ليقول كيف انـه فشل فى اقامة العدالـة ، وكيف أن مسئولا كبيرا استدعاه ، وطلب منه أن يحفظ القضية ، وأن يوصى بأن تكون المكافأة والمعاش من نصيب العمـدة ، وأن يصون كرامة الشهيد حتى لا يلطخ نصر ١٩٧٣ بالطين .. أول نصر للعرب على اسرائيل ، وتنتهى الرواية ..!

والجريمة فى الرواية ضخمة وبشعة، وقد وضعها المؤلف ، لكى يقـول أن الجانى ليس العمدة وحده ، وانمـا الجناة هم طبقة من الناس .. ملكوا كل شىء ، وتحكموا فى رقاب العبـاد .. ويتركنا المؤلف كقراء ، ونحن فى قمة التوتر مع المحقق الذى لا يريـد أن يكشف عن هذه الشخصية الكبيرة التى استدعته .. مع أن هذه الشخصية هى المجرم الحقيقى .. لكن المؤلف لا يحدده، ولا حتى يشير اليه من طرف خفى .. مع انها لا يمكن أن تكون نكرة .. فهى شخصية ذات سيادة حتى على القانون ذاته .. وكان يجب عليه كروائى .. أن يزيح عنه الستار ليمتص التوتر الذى أخذنا اليه .. ثم تركنا فريسة بـلا مفترس .. فى ذات الوقت الذى جعل وجداننا يطلق سراح العمدة ، والمتعهد ، وكل الذين شاركوا فى قتل « مصرى » الذى لا نعرف له الا قاتلا واحدا .. هو المؤلف ..

فهو بذلك أسقط البعد الذى لا تتم الجريمة الا به .. تقوم بقيامه، وتسقط



بسقوطه ، وهو البعد الذى يتعلق بالفاعل ، واذا كان المؤلف أطفا فجأة كل الكشافات المسلطة على القضية ، وطوى أوراقها باشارة من الشخصية الغامضة .. فان ذلك أضر ، وهدم أركان الجريمة ، ولم يترك فى القارىء الاثر الذى كان يرمى اليه المؤلف،وهو اثارة سخطه على الجناة .. بل كان العكس ، اعتقد أن سخط القارىء اتجه الى المتستر على هذه الشخصية الغامضة ، وعلى من ساعدها على هذا الغموض ..!

● الوجه الثانى .. للاغتصاب .. ! ●

والعمدة شكلا ، وعملا ، ومعنى فى رواية « الحرب فى بر مصر » هوالحاج « هيبة الله المنيسى » فى رواية«اخبار عزبة المنيسى » ، و « الخفير » والد « صابرين » هو الخفير والد مصرى .. والقرية هى القرية .. حتى جلسة العصارى ، وفرز الشاى والعسل ، لكن الجريمة هنا جريمة اغتصاب يرتكبها « صفوت المنيسى » ضد « صابرين » فى الوقت الذى كانت مخطوبة الى ابن عمه الخفير « أبو الغيط المنيسى » ، والحقول هى الحقول ، والديوك المروى التى يتحدث كثيرا عنها المؤلف — هى الديوك التى يأكلها « الحاج المنيسى » ، والعمدة ..

فى هذه الجريمة يقدم « الزناتى » شقيق « صابرين » على دس « التوكسافين » لها فى زجاجة زاعمـا انه الدواء الذى سوف يشفيها من الداء الذى تعانيه بعد الاجهاض ، الذى دفع أتعابه للطبيب فى « الاسكندرية » « الحاج المنيسى الكبير » ، وبعد أن تلفظ أنفاسها ، وتدفن فى مقابر القرية .. يتقدم « مخلص أمين » ببلاغ الى المأمور ليقول أن « صابرين » ماتت مسمومة، وان والدها الخفير،وشقيقها زناتى » هما الجانيان .. وتبدأ سلسلة من الاجراءات يغوص فيها الكاتب الى حد مرهق ..!

ويصل المأمور ، ووكيل النيابة ، والطبيب الشرعى ، ويمثل «عبد



● "الأدهم" كان فارساً.. أما "الزناتى" فكان مفترساً..!

● "صابرين" تستر المؤلف على جريمة اغتصابها.. وقدم تبريراً لها..!!

الستار » الخفير امام النيابة ■ لم يلحق به « الزناتي » ويودعان سجن المركز في « ايتاى البارود » نفس السجن الذي دخله « الادهم » » ويتمتم « زناتي » بكلام « الادهم » قائلا : (ولما انقتل منى يا حكومة عملت ايه ؟) وكانما الظلم المركب الذي وقع على « صابرين » والجريمة الاولى التي فقدت فيها احيامها ، والاخرى التي فقدت فيها حياتها ■ كل ذلك لا يكفي بث الاثر المنشود في نفس القارىء من المأساة ، فيستعين بظلال « الادهم » ، واطيافه ، وهو بذلك لا يهين الجريمة كعنصر ادبي فعال ■ بقدر ما يهين العمل الذي يقدمه ، وليته اكتفى بذلك بل اصر على ان يجعل من « زناتي » بطلا ماسويا « كالادهم » . فخلط خلطا بالغا بين « الادهم » ، و » الزناتي « الذي كان يمكن ان يكون (كالادهم) لو انه قتل « صفوت المنيسي » انتقاما للشرف اولا ، واخته التي تعذبت بعد الاغتصاب ثانيا ، الا ان المؤلف ارتكب في نسج الجريمة خطأ لا يقل عن خطأ « صفوت المنيسي » .. فهو لم يصور الواقعة التي تمت في مخزن التبن .. على انها جريمة اغتصاب ■ بل اضافة الى المواقعة رقوعا غريبة تجاه الذنب متكافئا مع الرغبة عند الجاني ، والمجنى عليها ■ فقد ارجع الكاتب الانفجار عند « صفوت » الى فشله المدرسي المتكرر ، وفشله الغرامي في « الاسكندرية » ، وارجعه عند « صابرين » الى رغبتها في الافندي الناعم الذي يختلف كثيرا عن ابن عمه الذي اشبه « بعبيط القرية » ■ وهي بهذا التبرير الذي لست ادري منبعه عند المؤلف .. لا يهون من واقعة الاغتصاب فحسب التي هي بؤرة الرواية وانما يحول « الزناتي » من بطل ماسوي الى قاتل جبان ■ فشل في ان يقتص من الجاني . لانه مرهوب الجانب ■ فانثنى في نذالة يقتص من المجنى عليه ، وبأسلوب دس السم . اخس وسائل الانتقام ، ومثل هذا القاتل الخسيس . لا يجب أن يعجب « بالادهم » الذي كان يعلن خصومه ■ ويتحداهم أن يردوا انتقامه أو يحولوا بينه ، وبين حربهم ■ وهذا ما يجعل « الادهم » فارسا ، و « الزناتي » مفترسا ، والفرق كبير بين الاثنين ■

قصة قصيرة

بقلم : صبرى موسى



أخذ الكلب الكبير الوولف يهز ذيله ثم عاود النباح دون ان يعنى بنباحه احد ..

كان ينبح فى الارض الرملية الخالية ، حيث لا انس ولا جان يمكنه التواجد فى تلك الساعة المتأخرة من الصباح حين يشتد القيظ ...

ولعله كان مدركا طوال الوقت انه ينبح فى لا احد ، وانما يستمر فى النباح ليزيل عن نفسه الشعور بالتوحد ... فقد كان الصيف فى ذلك المكان موحشا فعلا ... كثبان من الرمال وراء كثبان .. وهناك على البعد البعيد يظهر السراب الذى يضم فى باطنه البحر ..

وقد توقف الوولف عن هز ذيله ثم انطلق يغرز قوائمه الاربع الرفيعة فى الكثبان ويجتازها فى حماس ، حتى وصل الى شاطىء البحر وهو يلهث ، ثم اندفع يخوض فى الماء ..

لطمته الامواج البيضاء القادمة من قلب البحر ، وغمرته مياهها وغطته ، ولكنه كان يخلص رأسه المدببة ويرفع انفه الى السماء كأنه يلعب لعبة ..

كان الشاطىء فى ذلك المكان خاليا تقريبا ، ليس ثمة الا قارب مهجور على الشط ، وحفنة من الصيادين مشغولون فى صيد القواقع .. وقد أخذ الوولف يحوم حولهم محاذرا فى البداية ، وهو يهز جسده لينفض عنه

الماء ، ثم بدأ يحوم مقتربا وهو يراقب طريقتهم في العمل ·· وحين تدفقت على الشط حبيبات أم الخلول الرصاصية، دس المؤلف انفه فيها ليتعرف عليها ·· فأزاحه بعيدا بقدمه واحد من الصيادين فلوى المؤلف وجهه المدبب مزمجرا ·· ثم ادار لهم مؤخرته وراح يسرح بعينيه لعميقتين في الشاطىء ···

في عمق البحر البعيد كان سطح الماء الاخضر يشرب من السماء زرقتها، فيبدو غامقا ·· وكلما اقترب من الصحراء يصفر لونه ، ويعلو موجه فيرغي ويزيد ·· حتى يصل رقراقا الى الشاطىء الرملي فيوشيه بدانتيلا من نديفه الابيض ····

ووقف المؤلف يراقب التحام الماء بالرمل ويداعبه بأقدامه ،وكلما انزاح الرمل تحت الماء وانغرست قوائم المؤلف فيه ، خلصها وهو متعب ، وقفز بعيدا عن الشاطىء ···

وقد جاءت كرة المطاط من الخلف وسقطت أمامه علي الماء فاندفع ناحيتها واخذ يتعرف عليها بفمه، ثم تشمها فانفلتت منه. فمضى يتابعها ·· لكن الرجل جاء واخذ الكرة وضربها بمضربه للمرأة التى يلاعبها على البعد

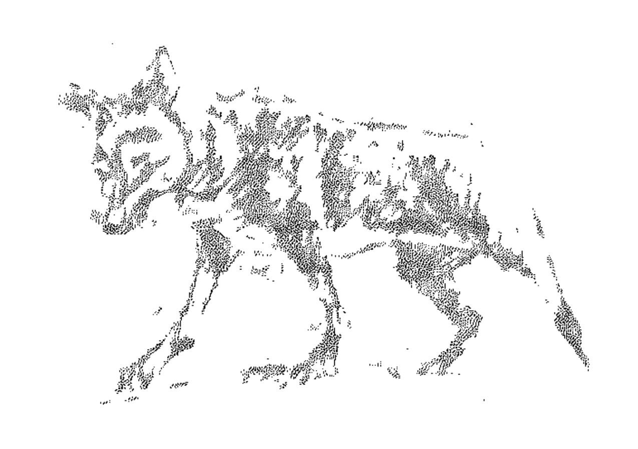
كان الرجل يرتدى مايوها أحمر، وجسده مغطى بالشعر ·· وعلى عينيه نظارة شمس سوداء كبيرة ·· وكانت المرأة ترتدى شورتا من الكتان الابيض ··· وبلوزة خضراء ·

ولم تكن المرأة تجيد لعبة الراكت على الاطلاق لكنها كانت تحب ما تعطيه لها من الحرية لتحرك ساقيها في وضع النهار في ذلك الشاطىء شبه الخالي ، وفي تلك الايام من اخريات الصيف

ضربت الكرة بمضربها ضربة فانحرفت كالعادة وذهبت بعيدا ··

واستدار الرجل ذو النظارة والشعر الكثيف، ومشى جادا ناحية الكرة وعاد بها ، ثم ضربها اليها فاعادتها اليه منحرفة لعدل نظارته ومشى جادا الى الكرة وعاد بها ·· وهكذا ·· وهكذا ··

وظل المؤلف يرقب



الوولف

قصة قصيرة

اللعبة غير المتكافئة
ويتابع كرة المطاط وهي
تروح وتجيء بين المضربين
حتى انحرفت ، وانحدرت
بين قوائمه ، فاخذ
يناوئها بفمه .. ولكن
ذلك الشاب الجاد ذا
الشعر والنظارة .. صاح
فيه غاضبا من بعيد
ولوح له مهددا بمضربه
وهو يقترب ، فابتعد
الوولف عن الكرة ،لكنه
اخذ يزمجر محنقا لمنعه
من اللعب !

كان كل شيء على
الشاطيء يبدو ضاحكا
.. وقد مضى الوولف هنا
وهناك ، فعثر على امرأة
ترتدي بيكيني منقوشا
بالزهور . ممددة على
الرمال وقد غطت
وجهها فمضى يدور
حولها يهز رأسه وذيله
فرفعت المرأة الغطاء عن
وجهها وابتسمت له
مرحبة .. لكنه استدار
مسرعا يرقب الكرة وهي
تروح وتجيء بين الفتى
والفتاة ..

وعندما انحرفت الكرة
ناحيته ، عن له أن يلعب
معهما ، فاخذ الكرة بين
اسنانه وجرى بها ، ثم
وقف بعيدا كأنه يدعوهما
ان يأتي احدهما ويأخذها
.. فاتجه الشاب ناحيته
.. وحين اقترب حملها
الوولف بين اسنانه وجرى
بها مبتعدا عن الشاب
كأنه يحاوره .. فضحكت
الفتاة . واستبد الحماس
بالشاب الجاد فمضى
يطارد الوولف والوولف
يراوغه ، فيبطيء حتى
يلحق به الشاب ثم يفلت
ويتفلت منه .. فتضحك
الفتاة بمرح ..

وسخن الدم في عروق
الشاب المتحمس من
الغضب فاحتد في
المطاردة ..

وقد اعجبت الوولف
تلك اللعبة ، واعجبت
الفتاة ايضا ، لدرجة ان
الكلب كان يمكنه الاختباء
خلفها من الشاب الذي
يجد في مطاردته .. !

وشاعت في الشاطيء
روح المرح .. لكن
الشاب الكثيف الشعر
اندفع فجأة ثم صوب
مضربه الى الكلب
واطلقه بحركة مفاجئة
فاصابه في احدى قوائمه

وقد عوى الوولف
متألما فانطلقت الكرة
المطاط من فمه .. فأخذها
الشاب وعاد جادا الى
الفتاة ليواصل اللعب
وعلى وجهه ابتسامة
النصر .. !

لكن الفتاة كانت ذاهلة
والشاطيء ايضا كان
ذاهلا ..

والوولف قبع على
الرمال يتحسس قائمته
المضروبة بفمه ويطلق
انينا خافتا ..

وقالت الفتاة : ان
الكلب يبكي ..

كانت تسيل من عيني
الوولف دموع حقيقية

شعر الشاب الجاد
بالخجل ففكر ان يعيد
الكرة للكلب، لكنه ما كاد
يقترب حتى نهض الوولف
في خوف ، ثم تراجع
مبتعدا عندئذ تجاه
الصحراء دون ان ينظر
خلفه .. !؟

انفصال الكاتب المعاصر عن مجتمعه

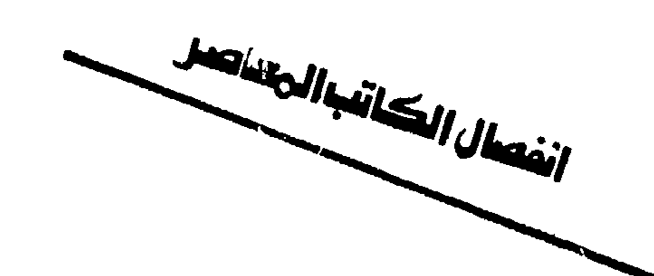
بقلم : محمود قاسم

لا يمكن ان يدعى كاتب مثل فرانسو كافانا او جـــورج سيمنون انه يكتب ليؤثر فى مجتمعه ويسعى به نحـــو يوتوبيا مليئة بالفضيلة مثـــلما كتب افلاطون وتوماس مور وهـ ٠ج ٠ ويلز يوما لان كل منهما فشل فى ان يعالج قضية اجتماعية بالغة الخصوصـــية بالنسبة له ٠٠ فانهارت جدران بيتـــه حين ماتت حفيـــــدة احدهما بتاثير جرعات المخدرات الكثيرة التى كانت تتناولها ٠٠ وانتحرت ابنة الاخر بعد ان اصابتها كآبة شديدة ٠٠ خاصة ان كلتا الفتاتين فى مقتبل العمر ٠ لهما علاقة قوية بالفن ٠ جميلتان بدرجـــة جيد جدا ٠٠

كافانا الذى تحدث كثيرا عن المثالية وكتب عن الامل والكفاح من اجل غـد افضل وظهر على شاشة التلفاز الفرنسى يحدث الشباب عن كيفية مواجهة الغد فشل فى منع تسرب المخـــدرات الى صدر حفيدته كرستين ٠ بل ان المأساة تشتد حين نعرف ان الكميات التى كانت تتناولها كبيرة ٠٠ رغم انهـــا لم تكن تتعدى الثامنة عشرة من العمـــر حين ماتت فى يونيو الماضى ٠

اما سيمنون فقد كتب فى « مذكرات خاصة » انه كان يتوقع ان تنتحر ابنته مارى جو بنفس الطريقة لانه فشـــل ـ كما فشل الاطباء ـ عن ازاحة الاكتئاب عن صدر المطربة الرقيقـة التى اطلقت رصاصة فى فمها عام ١٩٧٨ ٠

لو ان اى من الكاتبين عاش حيـاته الادبية والاجتماعية باسلوب يبعث على الريب مثلما عاش رامبوودى ســـاد وفيرلين فيما قبل لكانت الدهشة اخف حدة ٠ لكن الغريب ان كل منهما يحيـــا حياة معتدلة ويكتب ادبا شـــعبيا يوزع على اوسع نطاق خاصة سيمنون الذى يحظى باحترام جميع الاوساط الادبيـة والسينمائية وســـبق ان رأس ادارة مهرجان كان عام ١٩٦٠ ٠٠



ينتظر القارىء الفرنسى مقال كافانا اسبوعيا المنشور فى صحيفة « شارلى ابدو » التى يتحدث فيها عن الحرية وذكريات الطفولة وأمال الغد ٠ هذه الطفولة التى اخذت مساحة كبيرة من روايته « الشعنئر » التى نشرها عام ١٩٧٨ ٠ فالاب بناء لا يعرف القراءة او الكتابة يعود الى المنزل وقد اتسخت ملابسه ويداه ٠ لكنه يبدو نظيف القلب دوما أنه رجل جذاب يميل الى ترديد الاغانى الفولكلورية التى يحبها البناءون ٠ اما الام فهى امرأة متدينة ٠ قوية الشخصية ٠ تنحدر من اصل برجوازى لكنها تعشق « بؤساء » هوجو ٠ ويقول كافانا فى روايته انه عاش طفولة عادية مثل الاخرين ٠ وانه احس بلذة ممارسة الاشياء لاول مرة ٠٠ مثل ركوب الدراجة ٠ والذهاب الى المدرسة والصعود الى التل ٠ واول نفث من سيجارة ٠ وحول حلاوة التجربة الاولى تحدث كافانا بعذوبية وحنين الى سنواته الاولى وافرد صفحات كثيرة لاول رشفة من زجاجة خمر ٠٠ لم تكن زجاجة خمر بل كان بها اثير وكانت الرشفة غريبة المذاق دفعته ان يلقى براسه الصغيرة اسفل الصنبور كى ينتبه الى نفسه التى كادت ان تغيب عنه ٠٠

اما رواية « راسكوف » التى نشرها عام ١٩٨١ فيتحدث فيها عن مرحلة اخرى من حياته لقد تجاوز سنوات الطفولة وغدا شابا يافعا فى نفس السن التى الذى ماتت فيه حفيدته ٠ حدث ذلك فى بداية الاربعينات ٠ حينما دخل الجنود الالمان باريس ٠ وقاموا بترحيل الشباب الى المانيا تحت ما سمى بالخدمة الالزامية ٠٠ ثم حين يتم ترحيله الى الجبهة الروسية لممارسة الخدمات الصغيرة ويجد نفسه مغرما بفتاته الروسية ماريا ذات القلب الكبير والشفاه الغليظة والتى كانت تضع زهرة زرقاء فوق شعرها ٠ لقد امتدحبه لها باتساع السهول وكان نقيا كجليد الجبال الذى لا يذوب وحينما يعود الى بلاده بعد انتهاء الحرب يكتشف انه قد دفع الكثير فى هذه الحرب ولكن التجربة اصقلته وعليه ان يستفيد منها

وفى الجزء الثالث من ثلاثيته وتحت عنوان « غبى وشرير » عام ١٩٨٣ يتحدث كافانا عن عودته الى بلاده بعد الحرب ويبدو فخورا بان الحرب لم تغير معالمها ابدا ٠ لذا فان رحلة التعمير كانت قصيرة ٠٠ فى تلك السنوات تزوج كافانا ٠٠ واصبحت له اسرة صغيرة مثل كل اسر الدنيا ٠ يسودها الحب والمشكلات الصغيرة واكتشف فى نفسه كاتبا فاصدر صحيفة « هاراكيرى » المخصصة لحكايات ورسوم الاطفال عام ١٩٦٠ ٠ ويقول الكاتب انه قد سعى لتاسيس هذه المجلة ارضاء لاسرته الصغيرة ٠

وتنبع اهمية مثل هذا الحادث من ان كافانا شخصية اجتماعية مرموقة ٠٠ مما جعل الصحافة تتناول ظاهرة تعاطى المخدرات وخاصة للشباب وبدت الحملة ساخنة لاسابيع قليلة ثم ما لبث البرود ان نخر فيها فاختفت انتظارا لكارثة مماثلة ٠٠ وتقول لوبوان فى العدد المشار اليه ان مائتى شخص يموتون سنويا من تناول المخدرات فى باريس ٠ وان مائة الف فرنسى يتعاطون المخدرات بصفة منتظمة خمس مرات يوميا ٠ اما الدراسة التى

نشرها المعهد القومي للبحوث ان ٦ر٢٤٪ من تلاميذ المدارس الباريسية جربوا المخدرات ولو لمرة واحدة ... وخاصة « الحشيش » .


كافانا

● نهاية متوقعة ●

قتلت المخدرات الفتاة كرستين .. وقبل موتها بثمان سنوات قتل الاكتئاب زميلتها مارى جو كلاهما نتاج لمجتمع انفصلت فيه اشياء عديدة عن بعضها . ولو رأيت صورة لمارى جو سيمنون لادركت مدى فداحة الحديث . فأى اكتئاب يصيب هذه الفتاة البالغة الحسن التى رزقها الله عدة مواهب . فهى موسيقية وشاعرة . مؤلفة اغانى وممثلة سينمائية .. اما ابوها فهو اشهر كتاب الرواية البوليسية فى اوروبا ، قدم قرابة ٤٥٠ رواية انتقل عدد كبير منها الى الشاشة . وابتدع شخصية المفتش ميجرية وقد عرف عنه غزارة الانتاج . فهو يكتب لاثنتى عشرة ساعة يوميا يمكنه خلالها ان يسطر ثمانين صفحة وقد توقف سيمنون عن الكتابة قبل وفاة ابنته بست سنوات الا ان موتها ايقظ فيه حمية لم يشهدها من قبل فحبس نفسه كالعادة فى غرفته لمدة عامين طلع بعدها على قرائه بكتابين بلغ عدد صفحاتهما الالفين واربعمائة تحدث فيهما عن « مذكرات خاصة » .. « ابنتى مارى جو » وجاءت سطور الكاتب حارة اشبه بدموع متراكمة انفجرت فجاة فسالت دماء بحار الذكريات فيضا من المشاعر التى لم يحبسها حابس او يوقفها قلم فستاحت الذكريات لا تنتهى .. واستطاع الكاتب ان يعيد ابنته الى الحياة بعد ان نساها الناس لان انتحارها لم يكن غريبا على مجتمع تطلع صفحة يوميا بعشرات الاخبار عن فتيات مثلها يطلقن الرصاصات فى افواههن للتخلص من كآبة اصابتهن .

اجل . لقد ذهبت مارى جو الى مطعم قريب من منزلها وتناولت بعض الشطائر . ثم عرجت على محل اسلحة فاشترت مسدس ورصاصات ثم عادت الى شقتها واغلقت الباب واطلقت رصاصة على رأسها ، والغريب ان سيمنون يقول فى كتابه انه كان يتوقع هذه النهاية لابنته التى عجز الاطباء عن علاجها لدرجة ان طبيبها قد ردد عقب انتحارها « لقد وجدت الحل الوحيد الممكن النفاذ اليه .. وكأنها بذلك تمسك نفس المسدس الذى اشهره المفتش ميجرية يطارد به خصومه والمجرمين وتوجهه الى فمها .. واذا كان ميجريه قد استخدم سلاحه عند الضرورة فأى ضرورة تلك التى يراها الطبيب المعالج .. يقول سيمنون : « اغلب الناس الذين قرروا ان يهبوا انفسهم للموت من خلال اطلاق عيار نارى يطلقون الرصاصات فى الجو او فى حلوقهم . اما هذا الذى دار فى شقة ابنتى فلم يكن بحتاج لاكثر من رصاصة واحدة .



● تساعية الاسكندرية ●

خماسية آفينيون • بعد رباعية الاسكندرية •

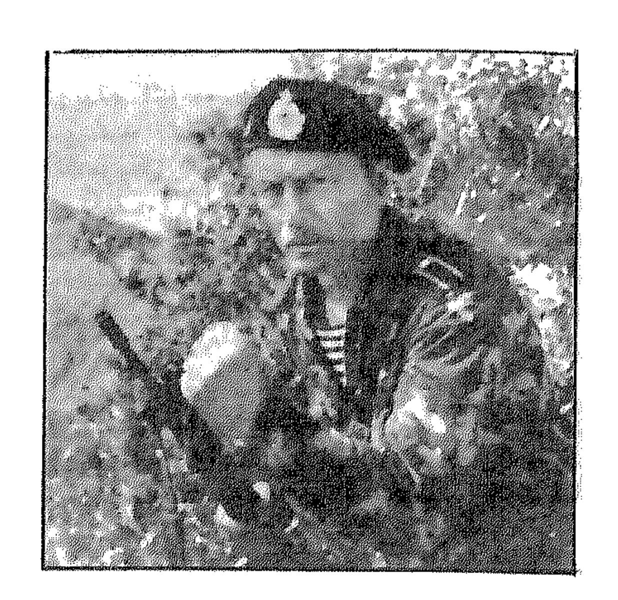
ثم يعلن لورانس داريل ــ ٨٣ عاما ــ اعتزاله عالم الرواية الى الابد لان الزمن لن يمهله أبدا كي يكتب رواية بمثل هذه الضخامة •• فبعد رباعية الاسكندرية التى جلبت للكاتب شهرة كبيرة ، ها هو يقدم رواية جديدة حصيلة ست سنوات من التفرغ في خمسة اجزاء تحت عنوان « خماسية آفينيون » • وفيها حاول داريل الاستفادة من نجاح رباعيته فجعل اجواءها وعالمها اتصالا لما حدث فى حي العطارين بالاسكندرية وتغير الاسماء وتبقى الاسكندرية مكانا لبعض الاحداث بالاضافة الى بعض موانيء البحر المتوسط خاصة آفينيون • اجزاء الخماسية هى : السيد ١٩٧٩ ، « ليفيا » ١٩٨٠ ، « كونستانس » ١٩٨٣ ، « سباستيان » ١٩٨٤ ، « لاكروز » ١٩٨٦ • اى انها تحمل اسماء شخصيات مثل الرباعية • وتدور من خلال رؤية كاتب روائى وشاعر ، ولورد ، وامير مصرى ، وامرأة ، ومحلل نفسى • يجتمعون فى غرفة للحديث حول ذكريات الماضى وعن كنز مدفون فى أحد المعابد المصرية ، وتختلط رؤى الحاضر بالماضى دون فاصل • فقد تموت احدى الشخصيات فى الجزء الثانى ثم تدب فيها الحياة فى الجزء الرابع • هناك نساء تبحث عن الخلاص في الصحراء المصرية • وامرأة تسعى الى كاتب كي تغدو بطلة لرواياته •

يقول لورانس أنه في هذه الرواية كما فى سابقتها ـ قد حاول آن يتنسم سحر الشرق وأن يقدم للغرب صورة مشرقة عن أديان الشرق خاصة الاسلام والبوذية • لذا أمتزجت أراؤه حول التصوف باراء ابطاله الذين جلسوا يجترون الذكريات فى جلسة أشبه بجلسات الصوفية •

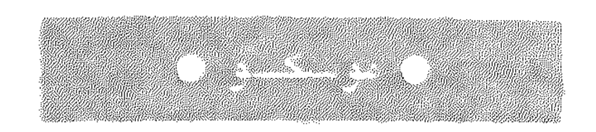
الطريف ان بعض النقاد يرون ان هذه الخماسية ما هى الا تكملة للرباعية فى زمن آخر وباشخاص مشابهة لكنها تدور فى نفس الاماكن • لذا اطلقوا اسم « تساعية » على الروايتين معا •

لورانس داريل





رامبو .. السوفييتى



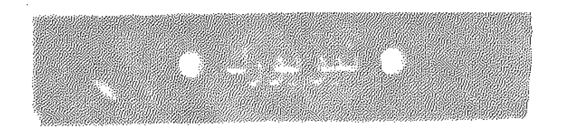
● رامبـــو .. على الطريقـــة الروسية ●

من المفروض أن تستفزك تلك الشخصيات البطولية الفائقة التى يؤديها الممثـــل سلفستر ستالونى مثـــل « روكى » الذى هزم بطل العالم الروسى فى عقر داره وامام جماهيره وفى حضور جورباتشوف نفسه • و « رامبو » الذى ارســله البنتاجون الى جنوب شرق آسيا لانقاذ رهائن امريـكيين ولالحاق الهـــزيمة بابناء العالم الثالث ومكاسبهم • بل وهزيمة الروس ـ باسلحة سوفييتية الصنع •

اول شخصية سينمائية ظهرت لتقف ضد « رامبو » هى المحارب الروسى « شاتوكين » فى فيلم « الق سلاحك » للمخرج ميخائيل تومالشفيلى • وهو يحمل نفس صـــفات رامبو لكنه ليس متحـــــررا على الجيش الروسى • يســـتطيع ان يقهــــر رجال المخابرات الامريكية مهما بلغت درجـــة مكرهم • واذا واجه عساكر البنتاجون فانه يبيدهم بسلاحه الروسى وبيديه • لدرجـــة أن مخرج هذا الفيلم يصرح : « نحن نريد وضع علامة خاصة حول حقيقة القـــوات المسلحة السوفييتية التى عليها أن تحمل المسئولية الاخلاقية الى جانب البشرية ..

ويقال انه بعد نجـــاح الفيلم فان جزء» مكملا يتم تصويره الآن فى ســـتوديوهات موسكو ..

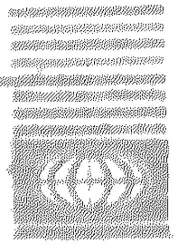
رامبو امريكى .. شاتوكين سوفييتى • لعلهما يلتقيان يوما • ليس للتناطح فيمـا بينهما • ولكن لاعلان بنود وفاق يمكن من خلاله تقسيم منـــاطق العالم فيما بينهما • وفى تلك الحالة فان على دول العالم الثالث صناعة بطلها السينمائى الخاص !



الكتاب على كاسيت

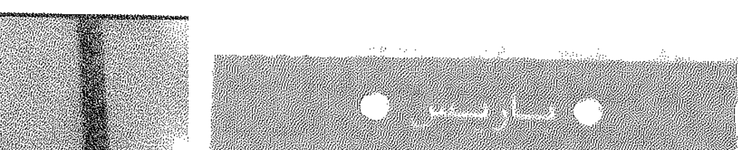
لو سرت فى شوارع نيويورك ستجد الشباب يضعون فى آذانهم سماعات ويحملون أجهزة تسجيل وسيخيل لك انهم يسمعون اغانى الروك . لا .. انهم يقرءون كتابا بآذانهم .

هذه التجربة الجديدة من نوعها بدات الولايات المتحدة فى تطبيقها وتتمثل فى تسجيل الروايات والقصص والمسرحيات الادبية لكبار الكتاب على شرائط كاسيت ليستمتع بها محبى الادب . وصل عدد الكتب التى طبعت على شرائط كاسيت حتى الآن ١٢ الف كتاب فى احجام مختلفة متنوعة بعض منها قد يستغرق الاستماع اليه اياماً طويلة .. فعلى سبيل المثال تم طبع رواية ديفيد كوب فيلد لديكنز على ٢٢ شريطا ، اما رواية "الحرب والسلام" فقد طبعت على ٥٠ شريطا . ورغم ان معظم التسجيلات شملت اعمالا ادبية الا ان بعضا منها شمل كتب تعليمية توجيهية مثل « بحثاً عن الكمال » وكذلك " ٢١ يوما للاقلاع عن التدخين " ثم تسجيل الشرائط بمعرفة مجموعة من كبـار الفنانين



المسرحيين وكذلك الكتاب والمؤلفين امثال " ان بيتى " و " جون ابدايك " من المتوقع ان تلقى الكتب المسموعة اقبالا كبيرا كما يقول صاحب الفكرة ومؤسس دار تسجيل الكتب وهو يأمل ان تزيد نسبة المبيعات من ٥٠ ٪ الى ١٠٠ ٪ خلال خمس سنوات لان الفكرة لم تجد قبولا من البداية من الامريكيين واعتقد بعض منهم انها مخصصة للصم . يلقى مشروع الكتب المسموعة رواجا بين اصحاب الاعمار المتوسطة من الجنسين بالطبع مازال هناك من يعترضون على فكرة الكتب المسموعة لانهم يرون ان المتعة الحقيقية مع الكتاب يجنيها الانسان من القراءة وليس الاستماع للكتاب مقروءاً الطريف ان صاحب دار التسجيل اراد اجتذاب القراء فقام بتسجيل بعض الروايات يصاحبها المؤثرات الصوتية ولكنها فكرة لم تلق اقبالا الان .

فى بعض مكتبات القاهرة يمكنك ان تجد بعض روايات ومسرحيات توفيق الحكيم ويوسف السباعى مسجلة على نفس الشرائط . لكن هذه الظاهرة لم تلفت المستمع ـ القارىء المصرى بعد ●



● رجل السويس .. فرنسى●

فى الشهر القادم تحتفل الاوساط السياسية فى مصر وانجلترا وفرنسا بمرور ثلاثين عاما على العدوان الثلاثى على مصر .

وبهذه المناسبة فان التليفزيون الفرنسى يستعد لاعادة عرض مسلسل « رجل السويس » الذى تم انتاجه منذ عامين وتكلف ٢١ مليون فرنك فرنسى . وهو مسلسل من ست حلقات يروى قصة المهندس فردينان ديلسبس الذى كان صاحب الفكرة الاولى فى حفر قناتى بنما والسويس .

وصل ديلسبس الى القاهرة عام ١٨٣٢ ليشغل منصب نائب القنصل الفرنسى فى القاهرة . واستطاع أن يصادق أبرز رجال السياسة المصرية . واقنع سعيد باشا بجدوى فكرته لحفر قناة توصل بين البحر الاحمر والابيض .

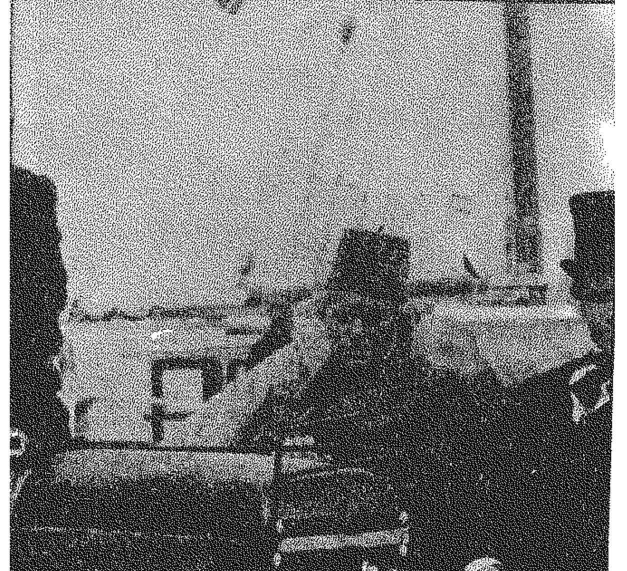
أخذت القصة عن كتاب يروى تاريخ حياة ديلسبس تحت عنوان«رجل السويس تأليف المؤرخ بيير جاسبار ـ هوى . أما المسلسل فقد أخرجه السينمائى المعروف كريستيان جاك .

يروى المسلسل حكاية المهندس الفرنسى مع السويس ومصر فى اطار درامى وظهر ديلسبس متفوقا فى أشياء عديدة غير الهندسة . منها جاذبيته للنساء والحكام.

وقد صور المسلسل فى مصر وتونس واسبانيا والبرتغال . وتم حفر قناة فى الصحراء جنوب تونس طولها اربعة كيلو مترات لتصوير مشاهد العمل على حفر القناة حيث أنه من المتعذر تصوير بداية الحفر فى القناة الحالية بعد تطويرها ..

لم تصور السينما العربية حفر القناة بمنظورها الخاص الا من خلال خلفية ثانوية مثلما حدث فى فيلم « شفيقة ومتولى » لعلى بدرخان .

رجل السويس



● ذهب مع الريح منذ خمسين عاما ●

يتم عادة الاحتفال بوفاة كاتب أوميلاده فى ذكراه القريبة أو البعيدة • لكنها المرة الاولى التى يتم فيها الاحتفال بذكرى ميلاد رواية •

فعلا : فالامر يختلف مع « ذهب مع الريح » احدى أهم روايات العصر الذى قرأها - أو سمع عنها - أبناء القرن العشرين منذ عام ١٩٣٦ وحتى الان .. خمسون عاما • رواية فرضت عبقريتها رغم ان كاتبتها مرجريت ميتشيل قد حبستها فى أدراجها أشهرا عديدة خوفا من نشرها • هذه الرواية التى تقع فى أكثر من الف صفحة .. بيع منها فى أول يوم ٥٠ الف نسخة • وبلغ عدد مبيعات الطبعة الاولى ١٫٩ مليون نسخة • ترجمت الى ثلاثين لغة • وفازت بجائزة بوليتزر الادبية .. ورصدت لها هوليود أرصدة بنوكها وشركاتها فى فيلم حطم كل الخيالات والايرادات وحصل على ١٢ جائزة أوسكار عام ١٩٣٩ •

قد يكون من الغريب أن تصنع رواية واحدة مجدا لا لكاتبتين تناولتا الحرب الاهلية الامريكية •الاولى هارييت بيشرستو فى « كوخ العم توم » والثانية مرجريت ميتشيل • لكن لم يكن غريبا على مرجريت أن تهتم بهذه الحقبة الزمنية • فقد كان أبوها رئيسا لمؤسسة التاريخ باطلنطا • لذا التهمت سطور الكتب التاريخية وخاصة ما يتعلق منها بالحرب الاهلية •

كما ترجع أهمية الرواية الى الاتقان الفنى فى رسم العلاقات الاساسية التى ربطت سكاليت او هاراجين التى احبت اشلى ابن عمها الذى تزوج من امرأة أخرى • وبين ريت متكر غنى الحرب الذى خفق قلبه بعنف لسكاليت التى كم نادته باسم حبيبها • لكنها فى النهاية تتعلم الخلاص بين يديه مؤمنة بالله والوطن والانسان ..



ذهب مع الريح

لم تقدم مرجريت ميتشيل « عاشت بين عام ١٩٠٠ - ١٩٤٩ » سوى هذه الرواية • ولم تطمح أن تقدم اعمالا اخرى • وربما خوفا من انها لن تصنع عملا له نفس القيمة ، ولعل هذا درسا لكتاب عديدين سرعان ما دخلت رواياتهم الى دوائر الظل ..

ما أحوجنا أن نحتفل أيضا بتراثنا العربى فى ذكرى ميلاده خاصة الابداع القديم أو الحديث .. وما أكثره ..

سعيد صالح وطريق "كعبلون"

بقلم : فيليب جلاب

مساء كل يوم منذ شهور طويلة يسترد سعيد صالح اعتباره واعتبار الفنانين المصريين بمسرحية قد لا تخضع بالضرورة للمقاييس المعروفة للمسرح ، لكنها احدى الوسائل المصرية « المبتكرة » للتعبير

وسعيد صالح ، مثل كثير من الفنانين الموهوبين ، خاض تجارب اليمة كانت اولها واهمها الصورة التى يحرص المنتجون التجار على وضعه فى اطارها .

ولم يكن اخر هذه التجارب السجن بتهمة الخروج عن النص !

ورغم ان اول الخارجين عن النص السياسى والاقتصادى والاجتماعى هم واضعو هذه النصوص . لكن القوانين لا تطبق عادة على من يضعها !

وقد اكتشف سعيد صالح نفسه أو ربما اعاد اكتشاف نفسه عندما قرر انه لا وقت للهزل من أجل الهزل ، وان الهزل الجاد او الجد الهازل هو سلاح الكوميديا الحقيقى من اجل هدف يغير الى

ظل الشـــعب المصرى ، ليسوا من الفلاسفة أوالمفكرين السياسيين .

ومع ذلك تظل كل حكمـة الفلاسفة والحكماء والمفكرين داخل علب محفوظة قبل أن تصل الى عقول وايدى هؤلاء الفنانين .

وقد لا يعرف كثيـرون أن اقتراب سعيد صـالح من الطريق الصحيح ، الـذى يقول أن لا رجعة فيه قـد كلفه ويكلفه الكثير . فهـو ينتج مسرحيتهبنفسه. وعندما يحترق المسرح لا يتردد فى استئجار مسرح جديد ، مع أن الطريق الى الكسبوالثراء معروف وفى الاتجاه المعاكس

لكنها حكمة الله وحكمـة الشـعب المصرى وهـى أن الفنان الحقيقى لايضيع ولابد أن يعرف طريقـه . وبداية الطريق فى مسرحية اسمها « كعبلون » .



الافضل بقدر ما يمتع ويبهج الذين يطمحون الى التغيير.

وسعيد صالح مثل عـادل أمام مثل عشرات منالفنانين الحقيقيين الذين تقاسـموا خلاصة حكمة وسخرية وخفة

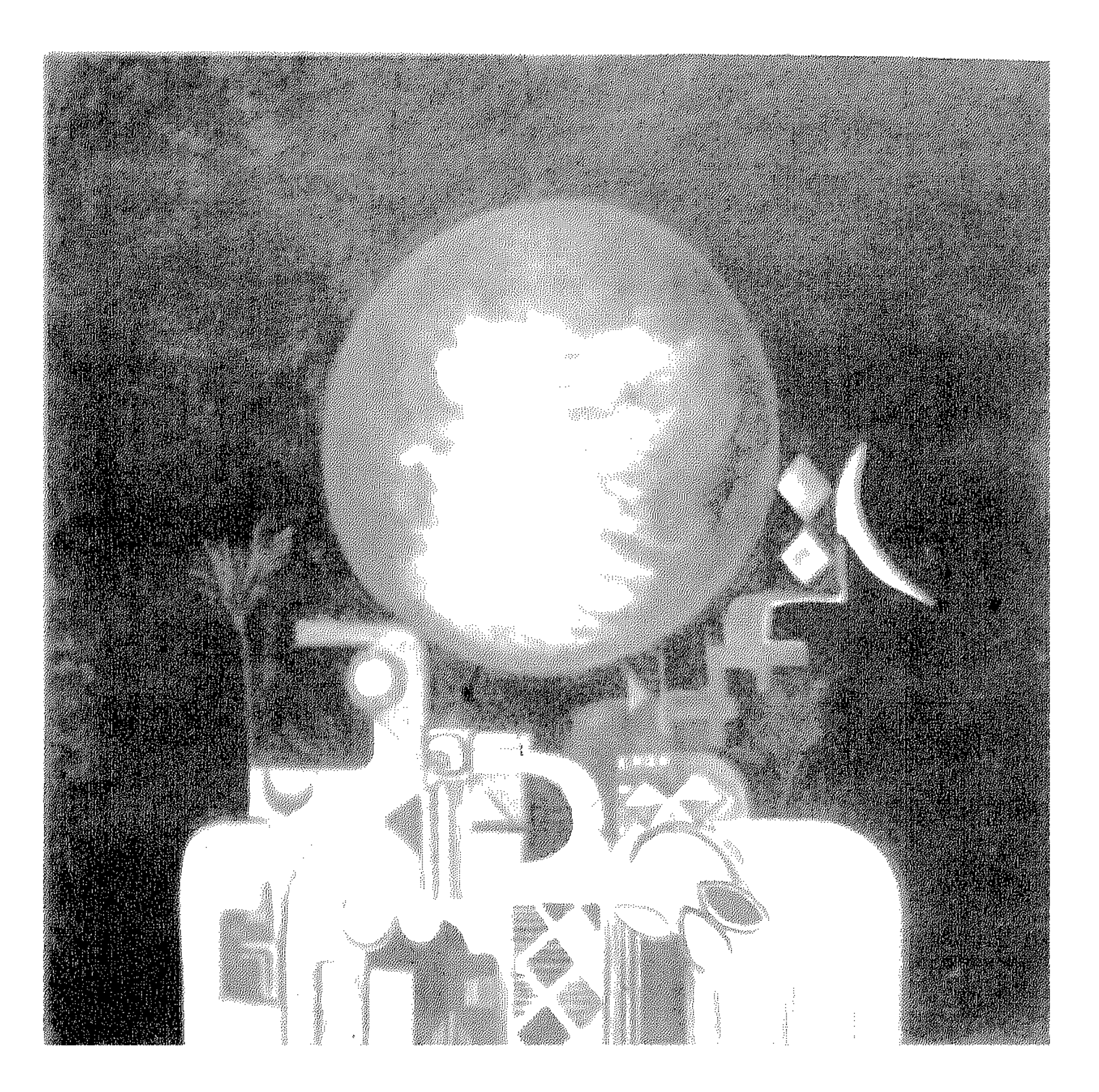
حول معرض الفن الخليجي بالقاهرة

ينابيع الفن بدلاً من ينابيع النفط!

بقلم : عز الدين نجيب

ما زال الفن قادرا على تحقيق ما تعجز عنه السياسة : يذيب الحدود الجغرافية بين الدول ، ويحقق الوحدة والتلاقي بين الشعوب ، ويحاول الوصول الى هوية قومية ازاء هيمنة الثقافة الغربية ..
هذا ما اثبته لنا فنانو دول الخليج في الشهر الماضي ، من خلال معرضهم التشكيلي الشامل بقاعة اخناتون ، في اطار توجه جماعة ((اصدقاء الفن التشكيلي)) لفناني دول الخليج الست ، لبناء الجسور بينهم وبين اشقائهم العرب في الاقطار المختلفة .

بداية اسجل : ان هذه الكتيبة من الفنانين « حوالي عشرين فنانا » قد وضعت يدها على مفتاح حل قضية من اخطر قضايا الحركات الفنية في بلدان العالم الثالث ، وهي عزلة الفن عن الجماهير وتقصير الاجهزة الرسمية في القيام بدورها المفترض لانهاء هذه العزلة . ومفتاح الحل يتمثل في مواجهة الفنان للقضية بروح الفريق ، وباسلوب الكتيبة الجوالة ، أو اسلوب رواد الثقافة في الصين ، حيث يحملون مسرحياتهم ولوحاتهم ويتجولون بها وسط القرى ليشروا الجمال والوعي ، وهو نفس ما يفعله الاطباء الريفيون هناك !! .. وهذا الحل يقتضي الاستقلال من جميع الاجهزة الرسمية والاطر الحكومية ، وانكار الذات الفردية لصالح شخصية الجماعة ... وهو ما حققته جماعة الاصدقاء بالفعل ، وصولا الى اختراق الحصار الاعلامي والجمود البيروقراطي والامية الثقافية والحواجز الطبقية ، التي تضع الفن في اخر قائمة



لوحة للفنان السعودى عبد الرحمن السليمان ، مزاوجة
بين العناصر العربية والنزعة الشمولية العالميـة

ضرورات الحياة للمواطن الفقير ، بينما لتيحه ميسورا للثرى الذى قد لا يشعر أصلا باحتياجه لهذا الفن .

هى اذن مبادرة حرة نابعة من ذوات مجموعة فنانين أفراد ، يدفعون ثمنها من جيوبهم واستقرارهم ، يحفزهم شعور بالالتزام نحو قضية النهوض بفنهم والانتشار به ، ونحو الارتقاء بذوق شعوبهم ، ونحو توثيق الروابط بين الحركات الفنية فى الاقطار العربية واثارة الحوار والتفاعل فيما بينها ، وأخيرا نحو مناخ يسمح باستمرارية الأبداع والبحث الجمالى ، المرتبط بقضايا الانسان العربى وتأكيد هويته الحضارية

● حركة ناشئة ●

وحركة الفن التشكيلى فى دول الخليج ـ بشكل عام ـ حركة ناشئة ، لا يتعدى عمرها عشرين عاما فى اى دولة ، وقد نشأت متأثرة بكل امراض الحركات الفنيـة فى مصر والوطن العربى ، من تأثر بالمناهج الاكاديمية والمدارس الغربية بحكم الدراسة فى الاكاديميات الاوروبية والامريكية

ينابيع الفن

او بحكم التبعية الثقافية او بكليهما معا » .. ومن ارتباط بالسلطة وبالطبقات الارستقراطية القادرة على الاقتناء والتشجيع ، ومن ثم بالعزلة عن الجماهير التي لا تستطيع استيعاب هذا الفن الارستقراطي الوافد ، بحكم ثقافتها التقليدية ، التي لم يسهم الفنانون الى هضمها والانطلاق منها جماليا برؤية معاصرة واصيلة ، وهي لاشك ثقافة تحتوى على موروث تشكيلي ثرى ، سواء في اثار الحضارات العربية القديمة بالمنطقة ، او في التراث الشعبي المتمثل في العادات والتقاليدومستلزمات الحياة اليومية ، التي يعد التشكيل الجمالي بها قيمة ذاتية ..

وربما ادركت طلائع فناني الخليج — مبكرا من حسن الحظ — خطورة المأزق الذى وقعت فيه الحركات الفنية العربية الاخرى بعزلتها عن الجماهير، ولم تشأ أن تشرب الكأس المر حتى اخره، فآثرت ان تخطو الخطوة الاولى لكسرهذه الحلقة الحديدية التى تعزلها عن شعوبها، وهو الموقف الصحيح — الوحيد في الحقيقة — في مثل ظروف بلدان العالم الثالث ⊠

وجماعة اصدقاء الفن التشكيلي لم تكمل بعد عامها الأول ، ومع ذلك فهـذا هو معرضها الثامن ، وهو في نفس الوقت معرضها الأول خارج منطقة الخليج — ولعل الأصدقاء فكروا في أن تكون البداية بالقاهرة ، باعتبارها « هوليوود » الفن في العالم العربي ومركز الثقل الثقافي به .. وهو حسن ظن نشكرهم عليه،

بالرغم مما نعانيه — كفنانين ومثقفين — من علل مزمنة في واقعنا الثقافي !

تكونت الجماعة بشكل تلقائي مثير .. ⊠ ففي اكتوبر ١٩٨٥ كان الفنان الكويتي ⊠ عبد الرسول سليمان يقيم معرضا فرديا لاعماله في قطر ، وتصادف معه بعض اصدقائه الفنانين في بعض الاقطار العربية المجاورة بالخليج ، حضروا اليه في معرضه بالدوحة ، ووجد هؤلاء الفنانون الاصدقاء انفسهم يحققون شكلا من اشكال الاتحاد العفوى بين عدة اقطار دون سابق تدبير ، في وقت اصبح فيه اتحاد الفنانين العرب جثة هامدة .. وفجأة طرحوا على انفسهم هذا السؤال : لماذا لا تكون جماعة باسم اصدقاء الفن ؟.. وتحمسوا للفكرة ، على أن تقام معارضهم بالتوالي في دول الخليج اولا ، حيث يستضيف فنانو كل بلد اصدقاءهم من البلاد الاخرى ، ثم ينتقلون الى ضيافة فناني بلد مجاور وهكذا ... وبعد زمن يتجهون الى البلاد العربية خارج منطقة الخليج ، ثم الى العالم الخارجي ان امكن .. واشترطوا أن يسافر جميع الفنانين عند اقامة اى معرض مع اعمالهم الفنية ليقوموا برعايتها شخصيا ، وكذلك لما يحققه التواجد الانساني المباشر من توثيق الروابط واثراء الحوار .

وهكذا صاحب معرض اصدقاء الفن الى القاهرة ستة عشر فنانا من عشرين فنانا بالمعرض من بينهم ثلاث فنانات هن : بلقيس فخرو « من البحرين » وثريا البقصمي « من الكويت » ومنيرة موصلي « من السعودية » ، اما الفنانون فهم : عبد الرسول سلمان ، عيسى صقر ، عبد الجبار اليحيى ، فؤاد مفربل ، حسن الملا ، جاسم بوحمد ، محمد التهموى، محمد على عبدالله ، محمد السليم ، سعد المسعرى ، نبيل نجدى ، فهد الربيق ، عبد اللطيف مفيز ، يوسف أحمد وقد حقق وجودهم مع المعرض الغرض المطلوب تماماً ، لقد استقبلهم جمهور

الفنانين المصريين بحرارة تفوق حرارة جو اغسطس ، وتحولت لقاءاتهم الى حلقات حوار متصلة ، واقامت لهم نقابة الفنانين التشكيليين حفل تعارف مع اخوانهم المصريين ، ونشات صداقات وارتباطات اخوية .. وعملية ايضا .

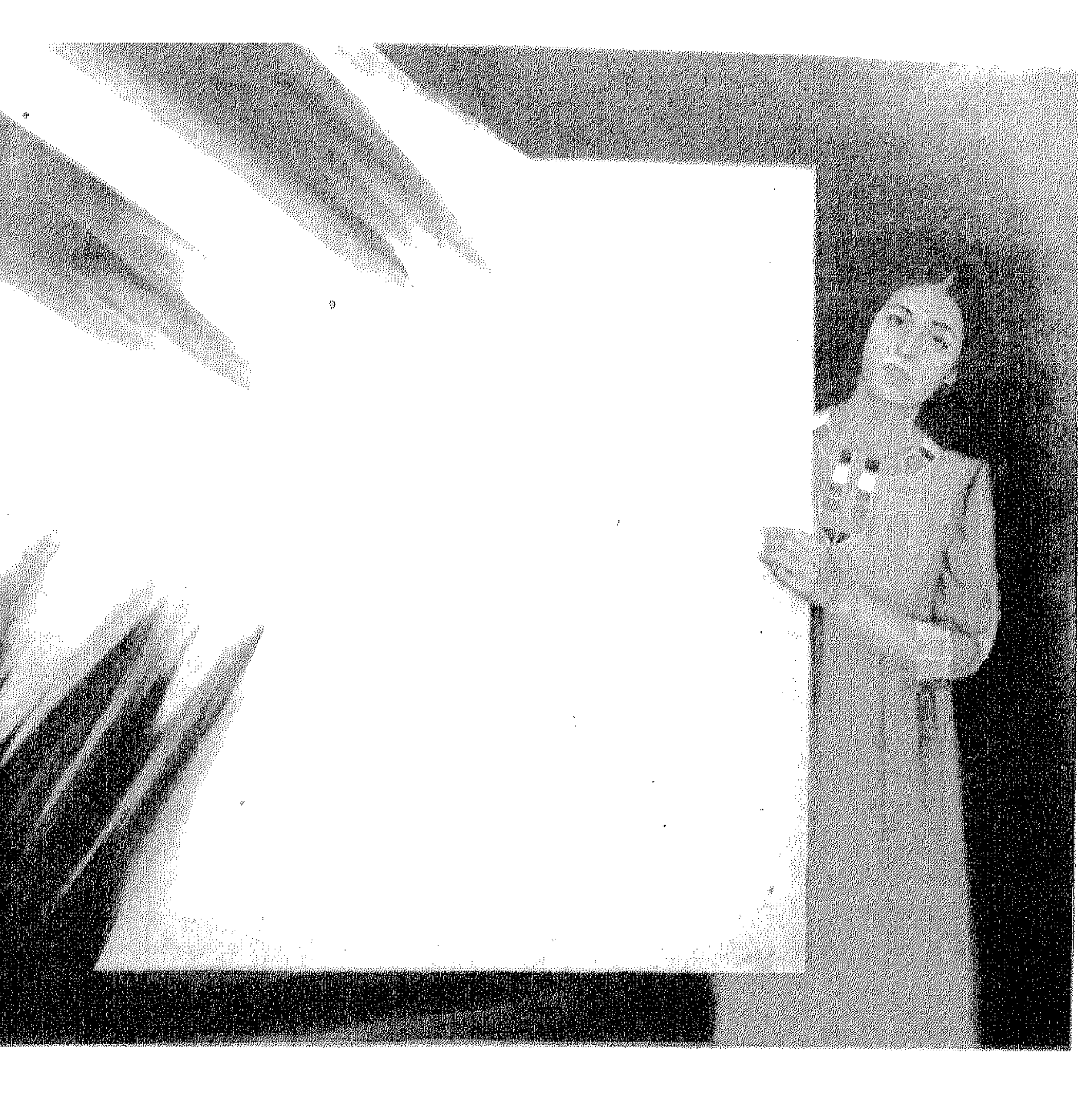
● التعبير عن البيئة

واذا انتقلنا الى المعرض ، نلاحظ عدة ظواهر عامة ساحاول ايجازها ..

● هناك سعى مشترك بين معظم العارضين الى التعبير عن طابع البيئة في اقطارهم العربية ، بدرجات متفاوتة واساليب متعددة .. تبدأ من التقاط ملامح المكان والبشر بأسلوب واقعي ، مثل بلقيس فخرو ، ومحمد القهوى ، ومحمد عبدالله ، ومحمد الملا ، أوجاسم بوحمد . وتمر عبر مزج هذه الملامح بداليبه الفنان ورؤيته التعبيرية ، مثل فؤادمفربل ثريا البقصى ، عبد الجبار اليحيى، نبيل نجدى ، عيسى صقر .. ويصل هذا السعي الى استخلاص الروح الكامنة في التراث العربى دون الوقوف عند مظاهره

تمثال « القبضة » للفنان الكويتى جاسم بوحمد - الرمز ذو المعانى المتعددة .





لوحة للفنان الكويتى عبد الرسول سلمان .. محاولة التشبث بالجذور العربية

مستفيداً من جماليات التراث الاسلامى او الفن الاوربى الحديث ، مثل عبد الرسول سلمان ، عبد الرحمن السليمان فهد الـربيق ، يوسف احمد محمد السليم ، عبد اللطيف مفيز .

● هنالك اهتمام لدى عدد من العارفين بالمضمون الفكرى ، وبقضايا الانسان العربى ، وبالرؤى الخيالية والشعرية .. وفى ذلك ايضاً يتفاوت التعبير عن هذا الاهتمام .. بين المباشرة ، دون بحث كاف فى الشكل الفنى ، مثل عبدالجبار اليحيى ، وبين الامتزاج العفوى بين الشكل والمضمون ، الذى ينقل التأويل الى رؤى فكرية متعددة ، مستفيداً بشكل خاص من المدرسة السريالية ، مثل لوحات عبد الرسول سلمان ، التى تعكس أحياناً خيالية ورمزية قد توحى بفكرة محورية مشتركة ، وهى الغزو الثقافى الغربى الذى يكتسح الانتماء العربى والتراث



التعبير عن البيئة المحلية بأسلوب الواقعية الجديدة للفنان جاسم بوحمد

الحضارى عندنا ، ويصل الى حد اقتلاع جلوره والاطاحة به فى فراغ لانهائى .. وفى هذا السياق اشير ايضا الى بعض منحوتات عيسى صقر ، التى قد تعكس ازمة الحرية لدى الانسان العربى ، خاصة فى منحوتته البارزة « الوجه ذو الاقفال » حيث نجده يغلق الفم والاذان والدماغ بالاقفال ، واشير كذلك الى تمثال جاسم بوحمد ، القبضة ، وهو يد بشرية ضخمة تقبض على عصا بما يسمح للمشاهد باختيار ما يناسبه من معان رمزية سواء كانت تعبيرا عن قوة القمع او عن قوة الارادة العربية .. واخيرا اشير الى لوحات الفنان السعودي فهد الربيق ، التى توحى – من خلال بنائها السريالي برؤى شعرية معينة ، استقاها من قصائد بعض الشعراء ، وفيها يمزج الحس الرومانسى العربى الذى يلعب الحصان فيه دورا رئيسيا ، بالحس السيكولوجي الملبد رئيسيا الكت

ينابيع الفن

النفسي والصراع الانساني ؟
هذه الاسماء بالطبع ليست على سبيل الحصر وانما هي مجرد امثلة سريعة

● نجد ـ لدى عدد أقل من الفنانين العارضين اهتماما بالاجابة على ذلك السؤال الحضاري : ما هو الشكل الجمالي العربي الذي نتحاور به مع الشكل الجمالي الاوروبي ؟ بعبارة اخرى : كيف نبدع اضافتنا الجمالية التي تؤكد هويتنا الخاصة ، مستفيدين في نفس الوقت من التطور الابداعي للفن الاوروبي الحديث ؟ ... وقد تفاوتت الاجابة على هذا السؤال بين الاختيار السهل للانماط الاوروبية وبين الاختيار الصعب لاستلهام روح التراث واطلاقها بجراة خلال شكل ديناميكي حديث . ولعل هذا ما حققه الفنان السعودي عبد الرحمن السليمان ، بمتتالياته الموسيقية العربية ، التي تقوم على نسق جمالي هندسي يعتمد على الوحدة الزخرفية المتواترة ، التي توحي بالتسبيح والتوحيد ، مستفيداً من التصوير العربي القديم ذي البعدين الاثنين ، ومن ازدحام المنظومة التراثية العربية بالعناصر الزخرفية وتواترها المنتظم في تداعيات لا نهائية ، لكنها عند عبد الرحمن لا تقع في اسر الزخرف التزييني الاجوف ، وانما تسعى لاطلاق الطاقة الروحية للانسان ، من خلال بناء اقرب الى التجريد الهندسي او التكعيبي .

● هذا البحث عن نسق جمالي مبتكر يتذبذب عند بعض الفنانين بين طرفي المعادلة الصعبة ، اعني التراث والحداثة انه لدى بعضهم يقع أسيرا للانماط التراثية أو الموتيفات المحفوظة ، مثل حروف الكتابة العربية ، وهو لدى البعض الاخر يقع آسيرا للمعطيات الغربية المطروقة ، مثل التجريد التعبيري ، الذي يشف أحيانا عن اطياف انسانية غامضة لا تقوى على الافصاح عن هويتها ، من خلال نسيج تكنيكي متشنج ينقل عدوى التوتر العصبي الى المشاهد ، وان تسربل أحيانا بسترة من حروف الكتابة العربية لكنها تظل عنصرا دخيلا على البناء الفني .. مثلما نجد في لوحات يوسف احمد

● التأثير والتأثر ●

وهو لدى بعض ثالث بحث تتجاور فيه الثقافتان العربية والاوروبية على مسطح اللوحة دون امتزاج او هضم فالفنان فؤاد مغربل مثلا يقدم مشاهد واقعية من وحي الحياة الشعبية ، ثم يسدل فوقها ستارة من النسيج التكعيبي ذي المثلثات المتقاطعة والمتداخلة ، ورغم انه حاول أن يحلل من خلالها بعض خطوط التكوين أو درجات اللون ، او ان يوجد ضوءا داخليا ينبع من داخل المنظر ، الا انها تظل عناصر منفصلة عن الستار التكعيبي الظاهري ، فيبدوا هذا الستار ـ من ثم ـ غير متلاحم عضويا مع المشهد الواقعي ، الذي ينظر اليه الفنان من زاوية نظر محددة ، ويؤكد من خلاله البعد الثالث ، وهو ما يختلف عن البناء التكعيبي ، الذي تتعدد فيه زوايا الرؤية ، ويقوم اساسا على بعدين اثنين ويتم فيه تحطيم النسب والعلاقات الطبيعية وتحليل الشكل الى سطوح هندسية .. وقد كان بوسع الفنان مغربل أن يستغل هذه المثلثات الصغيرة التي تكسو الشكل وتشبه الفسيفساء ، في اضفاء طابع عربي ، بشرط ان يكون هذا ، متطلبة البحث في بناء اللوحة ، وليس بعد اتمام المنظر الواقعي .

● ويقود هذا البحث الجمالي بعض فناني الخليج الى استخدام خامات غير تقليدية ، مثل أوراق البردي والخوص والخيش ، كما في اعمال منيرة موصلي .. اننا نشعر في طياتها بشحنة مغصوبة

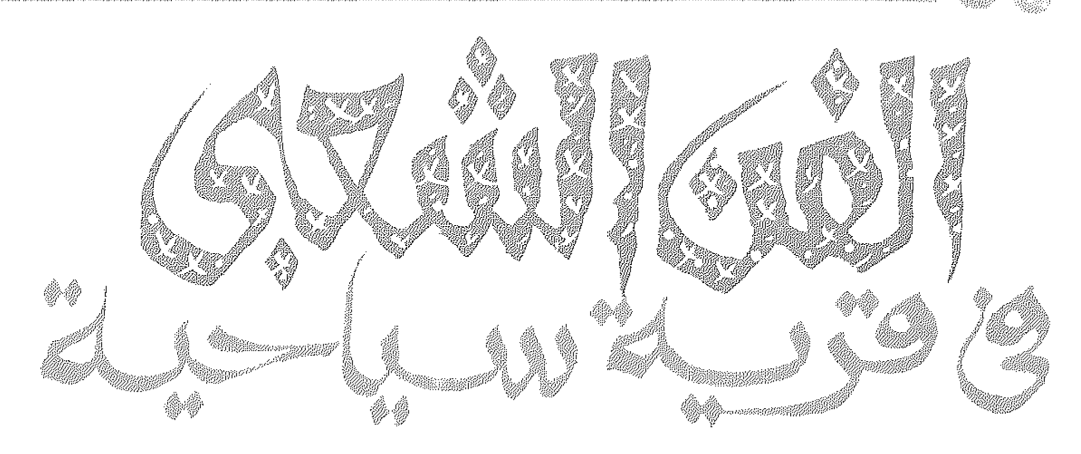


لوحة للفنان القطرى يوسف احمد .. تاثيرات عربية مستفيدة من الأساليب الغربية الحديثة

متفجرة اقرب الى طاقة اللعب والمشاكسة عند الاطفال ، لكنها احيانا تعتقـــل هذه الطاقة بخطوط سوداء تحدد بهـــا أشكالها أو شرائطها الابقية ، واحيانا اخرى تسجن طاقتها فى شكل البرديات المتاكلة من اجل اضفاء عمق الزمن او التراث عليها ، وهو ما تلغيه شحنـــة الحياة الآلية المتفجرة فى اللوحات .

هذه الملاحظات ــ وغيرها ــ انعكاسات طبيعية لسيطرة التأثير الاوروبى الاكاديمى على اغلب الفنانين العرب فى بداية الحركات الفنية « بما فيهم حتى المصريين » ، وما تؤدى اليه هذه السيطرة من اختـــلاط الرؤى الابداعية لديهم ، بما يحـــول دون نموها فى الاتجاه الصحيح مؤكدة هويتها القومية .. لكـــن معرض فنانى الخليج يعد بشارة صادقة بالوصول الى حل لهذا التناقض ، لو استمروا على اخلاصهـــم وجدية بحثهم عن معطياتهم الحضـــارية الاصيلة ، وتعاملهم مع الثقافة الغربية تعامل الانداد وليس الاتباع .

لقد اثبتت لنا الكتيبه المناضـــلة من اصدقاء الفن فى الخليج العربى ، أن ثروة الخليج الحقيقية لم تعد هى النفط ــ الذى اخذت تجف ينابيعه ــ وانمـــا اصبحت هى الانسان ..



تحقيق : نجوى صالح   تصوير : محمود عارف

هانم .. تساهم بمهارة فائقة في شغل الجلابية



● قرية صغيرة فى محافظة الجيزة ، ينزلق الفن الشعبى من بين اصابع اهلها ، فى شكل اشغال حرفية ويدوية رائعة .

القرية اسمها كرداسة واسمها يقترن بالفن الشعبى ويكاد يكون مرادفا له .. تقع على مقربة من الاهرام الثلاثة العظيمة ، وتطل على طريق مصر ـ الاسكندرية الصحراوى .

الحصر .. صناعة تتم بنفس البدائية والتلقائية . مع إنكماش فى الزخارف التى تميزت بها

الفن الشعبي في قرية سياحية

زرتها اخيرا لارى كيف تطور الفن الشعبي فيها ، وتقـدم الى الامام ..
وكنت قد زرتها منذ اربعة عشر عاما .

ودعني احدثك ـ عزيزي القارىء ـ باختصار ، كيف رايتها في المرة الاولى

كانت كرداسة كما رايتها سنة ١٩٧٢ قرية هادئة .. تحف بها الحقول النضيرة التىتمتد على مرمىالبصر..
المنازل فيها دور واحد ككل قرية في مصر قبل عصر الانفتاح ، وكانت كرداسة تمتاز بالنظافة الشديدة التي لا تجد لها مثيلا حتى في المدينة الكبيرة

ومازلت اذكر بيت الحاج احمد ، في اخر الشارع الرئيسى للقرية ، وكان من اكبر بيوت القرية ، وكل افراده يمارسون الحرف اليدوية الفنيةالجميلة النسيج .. اشغال الابرة .. الحصير .. القشة التنجيد .. الكليم الخ .

واذكر ترحاب اصحاب هذا البيت بنا وطلبوا الينا ان ننقل الى قرائنا صورة كاملة لهـذا الانتاج الفنى المتنوع البديع الذى لم يكن مقصورا على اهل هذا البيت ، بل كان موجودا فى كل بيوت كرداسة تقريبا .. لان اهلها فنانون بالفطـرة ، وكانت الاشكال الهندسية والزخرفية التى تزين « الجلاليب » او الجلابيب ، هى اهم انتاج فنى لكرداسة ، وتشمل الملابس الشعبية فى الوجهين البحرى والقبلى والواحات .. وهم يجيدون الاشغال اليدوية ويضيفون اليها من تلقائية الفنان وحساسيته الخاصة وشاعريته التى تنسكب في عمله الفنى بلا عوائق نفسية وبوضوح رائع فى اللون والشكل ..

ان هذا الانتاج الفنى خرج من البيت الاكثر غنى فى هذه القرية وهو ما يذكرنى بكتاب « الفن والمجتمع » « لارنولد هاوزر » فهو يرى ان قدرا كبيرا من الاعمال الفنية والادبية التى توصف عادة بانها « شعبية » ، هى فى واقع الامر نتاج لمجتمع ارستقراطي بالمعنى الصحيح ، او لصنعة فنية متينة ومحكمة ، يتقنها فنانون محترفون ، لا اناس عاديون بسطاء .

هكذا كانت كرداسة حين رايناها فى المرة الاولى منذ اربعة عشر عاما .. فكيف صارت كرداسة بعد هذا العمر الطويل ، وكيف تطورت فنونها الشعبية وتقدمت ؟!..

ذهبنا الى كرداسة ، رسامة ومصور صحفى وكاتبة هذه السطور..

وبمجرد ان تركنا طريق الهرم الى الطريق المؤدى الى القرية وهو طريق يمتد الى ثمانية كيلو مترات ، وجدنا ابنية على جانبى الطريق لا تعلم اذا كانت محلا او « بوتيك » او بيت متهدم اقتطعوا منه حجرة لعرض ملابس.« كرداسة » وتحولت الحقول الخضراء الى ابنية قبيحة بالوانها المنفرة منها الفيلا الخامسة البعيدة عن الذوق السليم .

وتحولت الحقول التى بجانب هذه الفيلات الى خرائب فى انتظار البناء القبيح.لقد قاموا بتبوير الارض الزراعية

الخصبة تمهيدا لبناء العمارات فوقها وربما الابراج وناطحات السحاب ! ..

ووصلنا الى الشارع الرئيسي في مدخل البلدة ، اصبح مكتظا بالمحال على الجانبين ، ومعظمها يعرض بضائع سياحية مثل التماثيل الفرعونية، ثم كم هائل من « الجلاليب » تتدلى من واجهات هذه المحال والغريب ان الثوب السائد هناك هو « جلابية » من التل الشفاف الاسود ومرصعة بمعدن مذهب على شكل ريالات رخيصة مثل « ثوب » الرقص الذى كانت ترتديه الراقصة « بديعة مصابني » في العشرينات والثلاثينات ! ..

ولعل سبب انتشار هذا الثوب هو وجودهم بجانب منطقة الملاهى الليلية فى الهرم !

● هبوط فى المستوى ●

بدانا فى تقليب البضائع المختلفة ، لقد هبط المستوى الفنى الى درجة مذهلة .. اختفت تلك الدقة ، والرقة التى تميز العمل الفنى الشعبى فى هذه البلدة والشىء الوحيد الذى بقى هو المحافظة على اعتدال الاسعار الى حد ما ، ولكنها اسعار معتدلة لبضاعة رديئة ! .

واتجهنا الى الدار العتيقة دار الحاج احمد اصل انتشار الفن والثروة فى هذه البلدة .. دخلنا .. وقلنا اننا صحفيون .. لم يتحرك احد من اولاد الحاج احمد .. اين الترحاب واشاروا الى طفل صغير فى الثانية عشرة من عمره لاصطحابنا فى جولة فى الدار والقرية .. حتى نتعرف على الورش والفنانين الذين ينتجون هذا الفن ويملأون به دار الحاج احمد .. والكم الهائل من المحلات التى اشتهرت بها كرداسة .. وتوجهنا الى الحاج عبد السلام عبد الحميد الشهير بحاج سلومة .. رجل ممتلىء ضخم الجثة، يجلس على الارض وامامه طبلية يرسم عليها « الجلاليب » .. فهو متخصص فى الجلابية السياحية !

يرسمها رسمة زهرة اللوتس .. ورسمة جلابية سيوة ورسمة الاقصر.. وسالته : واين رسمة كرداسة قال : « لا يوجد رسمة مختصة بكرداسة فانا انقل هذه الرسوم من جلاليب مستجلبة من البلاد المختلفة واول من احضر جلابية ـ وكانت فتحة خير على كرداسة الحاج عبد الحميد عيسى. وقد احضرها من الاقصر برسمة زهرة اللوتس .. وانتشرت واشتهرت كرداسة بدقة اشغالها الفنية .

قلت « ولكننا لا نجد اى دقة .. فى جميع هذه الجلاليب التى رأيناها .. فقد اختلف الشغل اختلافا جذريا واصبح تجاريا ١٠٠٪ من حيث الصنعة واللون والشكل .

قال : « اننى ارسم فى اليوم خمس عشرة جلابية واكسب فى الجلابية ٢٥ قرشا تشتغلها البنت التى ارسلها اليها بالخيط بمبلغ ٥٠ قرشا واولئك الفتيات والسيدات اللاتى يتعاون معى هن سيدات بيوت وراءهن واجباتهن الزوجية ويشتغلن فى اوقات فراغهن فقط فهن لا يتوخين الدقة .. ويطلبن منى ان اخفف عليهم الرسم .. مع العلم اننى انا الذى اتكفل بها من القماش

الفن الشعبى فى قرية سياحية

والخيط والمرسم وتتكلف ٣٥٥ قرشا وابيعها بمبلغ ٣٨٠ قرشا ويبيعها التاجر للزبون بمبلغ خمسة جنيهات !!
والمهم ان يباع اكبر قدر ممكن باقل سعر هكذا يقول ، والوقت الذى استغرقه فى الجلابية ساعة واحدة •• واشتغل فى اليوم خمس عشرة ساعة بالطبع هذا على حساب الجودة •• والمحلات تطلب كثرة الانتاج حتى تبيع، ولكننى الاحظ ان حركة البيع قد هبطت فى جميع منتجات كرداسة •• يوجد كساد عام ، ولا اعلم السبب !!
وبالطبع يوجد عدة أسباب :



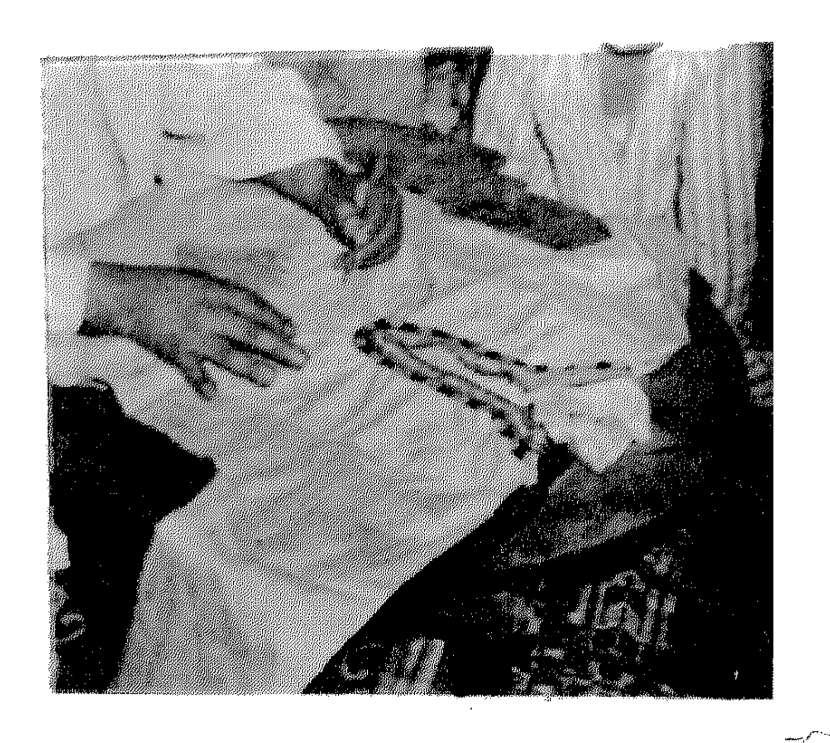
صانع الحصر ...
بريشة : تماضر تركى

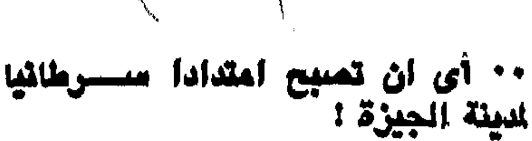
● هبوط مستوى الصنعة •
● هبوط حركة السياحة •• واذا وجد السائح فهو لا يقبل على شراء صنعة هابطة ولو كانت رخيصة الثمن
● ثم هذا التوسع السرطانى فى فى عدد المحال •
● دخول الميكنة الى القرية ـ ثلاث ورش لصناعة الجلابية ـ وهى تناقض الفكرة الاساسية لكرداسة •• وهى الحرفية الفنية •
وهذا ينطبق على جميع الصناعات ناخذ مثلا صناعة النسيج ، مازالوا يصنعونها بالشكل البدائى ـ وهذا شىء عظيم •• مازالوا يستخدمون « السدرة » وهذه تستخدم من عصر قدماء المصريين مثل النورج والشادوف والساقية •
تنظم الخيوط على السدرة فى نظام محكم حتى يمكن وضعها على النول ويتوقف على الخيوط سمك القماش •
ويقول العامل عبد الرحمن عبد الحميد « وانه يقوم بتنظيم الخيوط على السدرة حسب عدد الخيط الذى يتطلبه القماش يبدا من خمسين خيطا الى الف خيط او اكثر من الخيط الخام ويتطلب تنظيم السدرة اربعا وعشرين ساعة•• ثم يقوم بعد تجميع الخيط ولفه بعملية الصباغة • ويضيف عبد الرحمن ان هذا العمل متوارث من الجدود •• انها عملية دقيقة ومنظمة •

● على حدود المدينة ●

ان بائع كرداسة بائع ماهر ذو كياسة وادب ولان هذه القرية تقع على حدود المدينة فان اهلها يتميزون باخلاق ابن القرية وشطارة ابن المدينة ، فهم « دبلوماسيون » بطبعهم ، التجارة دمهم ، يتطلعون الى اليوم الذى تصبح فيه هذه القرية « مدينة كرداسة » !!

التفصيل والرسم ..
خطوتان اساسيتان
لعمل الجلابية ، يستغرق
عمل الجلابية ساعتين





•• أى ان تصبح امتدادا سرطانيا لمدينة الجيزة !

واخذت هذه الاسئلة تدور بين ثلاثتنا فى طريق العودة لماذا لا تحاول الدولة ان تخلق من كرداسة بلدا سياحيا من الدرجة الاولى ؟ ان النواة موجودة ولكن المهم التوجيه للحفاظ على البقية الباقية من مواهبهم الفنية

لماذا لا تقام فىكرداسة مدرسةتدرس بجانب المواد الدراسية العادية دراسة للحرف المختلفة الموجودة فى البيئة بالفعل لخلق مراسم من الفنانين والمحافظة على المستوىالفنى الذىكان ٠

ان كرداسة بلد غير مبتكر ٠ فهم لم يبتكروا الفنون التى يبيعونها ولكنها بلد متذوق للفن ولها قدرة عالية وموهبة فى تقليد متقن ٠

واذا استمرت كرداسة فى«التطور» على النحو الذى شاهدناه ، فستضطر بعد زمن قصير الى البحث عن مورد آخر للرزق غير مورد الفن الشعبى السياحى ! ••

رائد الواقعيّة بين النهاية والبداية

بقلم : مصطفى درويش

شاء اصحاب قاموس لاروس ((١٩٨٦)) ان يكون نصيب السينما العربية من بين الالفي وواحد فيلم التى وقع عليها اختيار ثلاثة نقاد حكماء ، باعتبارها أحسن ما أخرج لدنيا الناس على مدى تسعين عاما ـ هي عمر اطياف السينما ـ ان يكون هذا النصيب سبعة عشر فيلما فقط لاغير ، والا يكون لما جرى اخراجه على أرض مصر ، من بين هذا العدد القليل المختار سوى عشرة افلام .. ثلاثة منها لرائد الواقعية فى الوطن العربى ، وهي ((بداية ونهاية)) (١٩٦٠) و ((القضية ٦٨)) و ((السقامات)) (١٩٧٧)

وهنا ، قد يكون من المناسب التوقف قليلا عند فيلم « القضية ٦٨ » وحده ، لا لانه يفضل الرائعتين « بداية ونهاية » ، و « السقا مات » فى شىء ، ولا لانه « اخطر » افلام الرائد كما وصفه الناقد « سعد الدين توفيق » فى كتابه « فنان الشعب .. صلاح أبو سيف »

وانما لسبب آخر متصل بآخر افلام الرائد والمسمى « البداية » .

بادىء ذى بدء ثمة بحث فريد للاستاذ الامريكى « ريموند ويليم بيكر » (كلية ويليمز) تحت عنوان « مصر فى الاطياف ـ الافلام والنظام

السياسى » استهله صاحبه بالكلمات الآتى ذكرها :

« صلاح ابو سيف عميد مخرجى افلام مصر ، هكذا وصف ليلة افتتاح عرض فيلمه « القضية ٦٨ » .

كانت السينما محاصرة برجال الشرطة ليلة العرض الأول له .. كانت الشرطة السريه منسلة بين صفوف المشاهدين ، وبعد انتهاء العرض حاولت جاهدة أن تضربنى .. أنا بشر .. كان كل يوم من أيام عرض الفيلم امتحانا قاسيا لى .. كان عندى الاحساس بان اولادى هم الذين سيجرى تحميلهم عبء أفعالى » !!

● صمت البحر ●

وفى تعليل رد الفعل هذا ـ وهو رد فعل لا مثيل له من قبل ـ يقول الاستاذ الامريكى قريبا من نهاية بحثه المنشور فى مجلة « اميريكان بهيفيرال ساينتيست (مجلد ١٧ رقم ٣ يناير ـ فبراير ١٩٧٤ » ان فيلم « القضية ٦٨ قد كشف عن عيوب الاتحاد الاشتراكى العربى ، عراه تماما عندما سلط

البداية .. بعد السقوط





الاضواء على بنـــائه البيروقراطى
اعتمـــاده على الوسائل القـــانوني
والادارية والتفضيل لها على الانشط
السياسية ، انفصاله عن الجماهير
قيامه على طقوس وشكليات ليس له
من هدف سوى تضليل تلك الجماهير
وهنه الذى مبعثه انتهازية وفسا
مبيت .

وبدات اللعبة .. بدعابة عابرة

ومن ثم فليس غريبا أن يصبح العرض الاول للفيلم بالقاهرة حدثا سياسيا وفنيا ، وأن يكون رد فعل تلك الجماعات السياسية محل الانتقاد فى الفيلم ، ردا مباشرا ، عدوانيا ، كاد ان ينحدر الى مستوى العنف الجسدى المكشوف ٠

● صرخات وهمسات ●

ومهما يكن من أمر هذا الكلام ، هل هو صحيح أم بعيد عن الصواب ، فالاكيد أن المخرجين الكبار يلدغون من جحر الابداع اكثر من مرة ، بل قل مرات ٠

والاكيد ٠٠ الاكيد ان صلاح ابو سيف لم يع درس الليله الاخيرة من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ ٠

فها هو ذا يعود بعد غياب عن ساحة الاخراج على ارض مصر دام تسعة اعوام أو يزيد بفيلم مغرق فى السياسة، يقطرها فى كل لقطة من لقطاته ، يقطرها من الفه الى يائه ٠

وها هو ذا من جديد يبدأ بالبداية فيلما يسخر فيه بالديكتاتورية دون ان يهاب ٠

وفى ظنى ان صلاح ابو سيف قد بلغ قمة نضجه السينمائى فى «البداية» حيث طرح التساؤلات بعد التساؤلات فى طبيعة السلطة والتسلط ، ثم قدم الاجابات التى تحمل معنى التحدى لحكم الفرد المطلق ٠

● البيان ●

وفى الحق ، فعين « ابو سيف » السينمائية لم تترك صغيرة او كبيرة فى النظام الاقتصادى والسياسى ، وفى طبائع الاستبداد المعاصر الا واحصتها فى شىء يشبه اسلوب الكاريكاتير المعتمد على المبالغات او المفارقات او على ما اسماه صاحب « البداية » ـ قبل ظهور عناوين فيلمه ـ بالتخاريف ٠

وقائع « البداية » تبدأ بحادث طائرة تسقط فى صحراء ، لا ماء فيها ولا شجر ٠

ويشاء كاتبا السيناريو « صلاح أبو سيف » و « لينين الرملى » ان تكتب النجاة لاثنى عشر شخصا يمثلون شرائح مختلفة من المجتمع بينهم رجل الاعمال والفنان والعامل والفلاح والعالمة والصحفية والراقصه وقائد الطائرة المتزن ومساعده المتردد ، والمضيف المتشائم والمضيفة الودود ، وفوق ذلك طفل « وسام حمدى » يمثل امل المستقبل ٠

وهذه النماذج البشرية يحملها ابو سيف بمهارته المعهودة سلوكيات المجتمع وأوهامه ، يضع على اكتافها تناقضاته وأوزاره ٠

● صوت الموت ●

فـ « نبيه بيه » (جميل راتب) فى البداية نموذج لأصحاب الملايين الذين أفرزهم الزمن الوغد ، فهو سريع البديهة ، حازم عازم على الثراء ، شديد المضاء ٠

انه الشخصية المحوريه التى يدور الفيلم من حولها وجودا وعدما ، يبدأ بها وينتهى ٠

فما أن تصل المجموعة الناجية الى واحة مهجورة ، قطوف نخيلها دانية ، حتى يقترح « نبيه بيه » على زملائه الناجين معه أن يلعبوا معه لعبة « ملك ولا كتابة » ابتغاء امتلاك الواحة ومن عليها ٠

وفى البدء يأخذ الجميع الامر بشىء من الدعابة ٠



رائد الواقعية

ولكن سرعان ما تنقلب الدعابة الى كابوس مروع ٠

فاذا بالواحة ملك « نبيه بيه » الذى يفرض سلطانه على كل شىء فيها حتى الماء والهواء ٠

ثم لا يلبث أن يتهيأ حاكما لدولة لهـا علم وعملة من البلح ، واسم مشتق من « نبيه بيه » بحيث أصبح يطلق عليها دولة « نبيهاليا » .

وهو يبلغ كل ما يريد من أبهة وفخـامة واستغلال بفضل سياسة فرق تسد ٠

● طبائع الاستبداد ●

لقد خدع الفلاح « حمدى أحمد » بأن جعله يتنازل عن حقه فى المشـاركة مقابل دولارات معدودات ٠

وجند العامل « صبرى عبد المنعم » ليكون بفتوته وضيق أفقه أداة ارهاب وبطش ٠

واستعمال الصحفيه « شهيرة » ـ صفية العمـرى ـ لتكون وسيلته فى التضليل بفضل جرائد حائط تعلق على جذوع النخيل ٠

وسخر العالمة فى الكيمياء العضوية الدكتورة سميحه « نجاة على » لتكون طوع أهدافه وغاياته ، مستغلا فى ذلك سـذاجتها وانهماكهـا فى البحث والتنقيب ٠

ولكن أمام جبروته واستبداده يقف صامدا الفنان عادل « أحمـد زكى » وحبيبته المضيفة آمال « يسرا » التى تعلق قلبه بها تحت ظلال النخيل ٠

وبعد أحداث طريفة لا أقصهـا ، فذلك شىء يطول ، نراه وقـد ازداد انعزالا ، والكل من حوله مبغض له ، ساخط عليه يريد أن يصيبه بالمكروه ٠

ولكنهم لا يبلغون مما يريدون شيئا، لانه دائم الاجهاض لمحاولات التخلص منه بفضـل الارهاب والمحـاكمات الصورية ، وفوق هذا بث روح مسخرة قوامها اللهو واللعب ٠ والاستهتار بكل المقدسات ٠

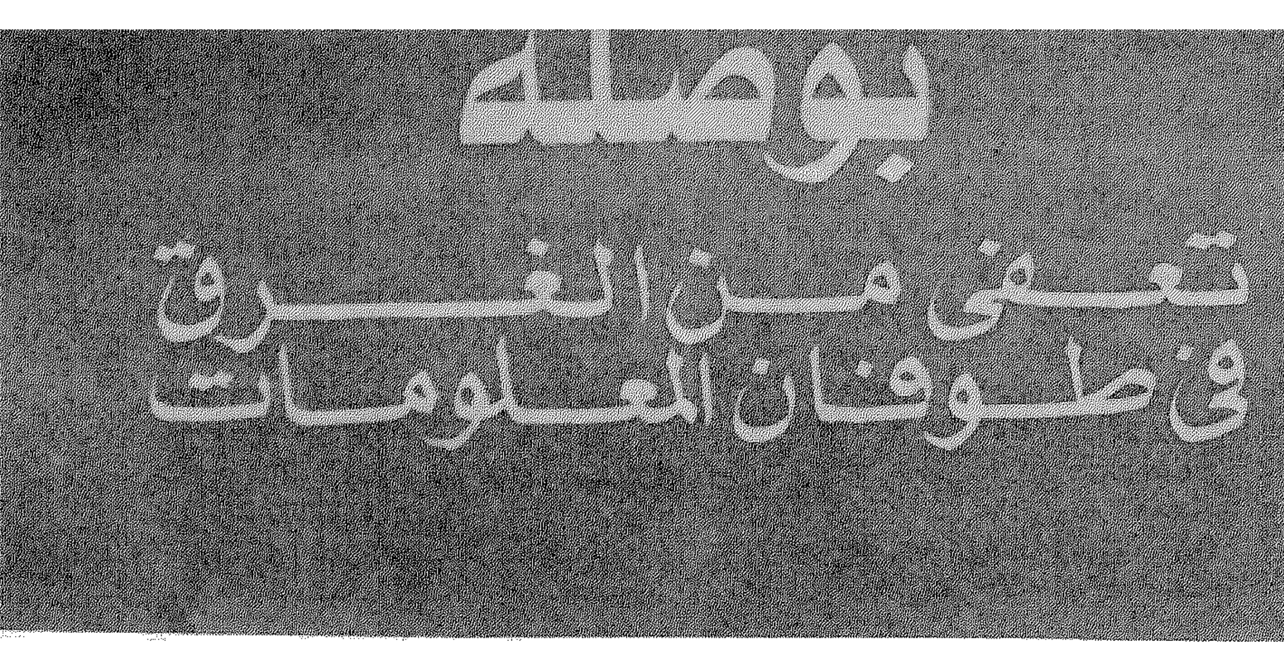
ولعـل مشهد العروض التليفزيونية بتفاصيله الكثيرة التى تموج بالحركة وتضج بالاصوات العالية فى تمجيـد ديكتـاتـور نبيهاليا ودغدغة حواسه المريضة ، لعـل أجمل مشـاهد « البداية » وأكثرها بلاغة وبيانا للدور الذى تلعبه أجهزة الاعلام فى الافساد العام ٠

● أغنية ووصية ●

وفى الختـام ، غنى عن القول ان الفيلم لا ينتهى بانتصـار ديكتاتورية « نبيهاليا » ، وانما ينتهى باندحارها أمام الديمقراطية ٠

وكأن المخرج الرائد يريد أن يذكرنا فى « البداية » ـ هذا الفيلم الوصية ان المساواة والعدالة بين النـاس ، حقيقة واقعة تريدها الجماعة كلها ، وأن هذا لن يتحقق الا بالديمقراطية٠

وعندى أنه قد صور من ذلك مـا اراد تصويره بفضل حوار ذكى شيق وديكور مبتكر « محمود محسن » ، فبلغ من هذا التصوير ما احب ، وما نحب ٠



بقلم : محمد فتحى

● صارت المعلومات ، مع ماوصل اليه الانسان من تقنيات ، طوفانا يتيح لمن يعى نواميسه، ويتمكن من ركوب اعاصيره ، ان يدخل مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضارى .. ذلك بينما يهدد ـ الطوفان ـ بطى صفحة من يتوه بين امواجه ، وبجعله فى خبر كان .

ومن هنا ضرورة ان يمتلك الانسان ((بوصلة)) تستنقذه من التحول الى عود هش ، تتقاذفه امواج الطوفان . بوصلة تساعد الانسان على ركوب الاعاصير واستخدام طاقتها فى اعلاء درجة حريته ، وفى اختبار حاضره ومستقبله ، وامتلاك ناصيتهما ، على اساس من الفهم الاعمق المبنى على المعرفة ●

منذ اللحظة الاولى التى سكن فيها الانسان الارض ، وسط غيره من الكائنات بدات محاولته فى اختزان ما يحصله من خبرات ـ معلومات ـ خلال تعامله مع الطبيعة ، حتى يستفيد منها فى تجارب حياته التالية .

وقد ساهم انتشار الناس فى بطائح كوكبنا ، مع تباين طرق حياتهم وبالتالى خبراتهم ـ معلومات ـ ومع ما فطر عليه الانسان من حب للاستطلاع ، ومن جنوح الى المحاكاة .. ساهم ذلك كله فى نشأة الحاجة الى تبادل المعلومات .

وادى تطور الحياة ، وتزايد درجة تعقدها ، الى تحولات متتالية فى كيفية تحصيل المعلومات وتسجيلها ، كما غير من وسائل نقلها ، وكيفيات تخزينها واستدعائها وتناولها .

فواسطة تبادل المعلومات وبث مـــن

بوصلة

تعفى من الغرق في طوفان المعلومات

الاشارات والمقاطع الصوتية في مرحلة الى اللغة الانسانية في مرحلة اخرى ، ثم الى لغة الحاسبات الالكترونية في مرحلة ثالثة .

ووسائل حمل هذه الواسطة كفزت. من سرعة سيقان الانسان « سنتيمترفي الثانية » ، الى سرعة الخيل والحمام الزاجل « متر في الثانية ».. ثم طفرت الى عشرات الالاف من الكيلومترات في الثانية « سرعة الضوء » ، مع الكهرباء والتليفون واللاسلكي والحاسبات الالكترونية والاقمار الصناعية .

وبعد ان احتكر دماغ الانسان تخزين المعلومات وحفظها وتناولها ، فترةطويلة ظهرت وتطورت وسائل اخرى . لتخزين المعلومات ، من الرسم على الجدران ، الى الكتابة على الرق ، الى .. ومع الطباعة وظهور الكتاب حدثت ثورة هائلة زلزلت عالمى المعرفة والمعلومات . وتربع الكتاب دهرا ،على عرش تخزين المعلومات الى أن أطاحت به بلا رحمة ذاكرة الحاسب الالكتروني ، التى جعلت بالامكان تحويل مقتنيات أعظم المكتبات واضخمها الى معلومات مشفرة معلبة ، تشغل « في ذاكرة الحاسب » بضعة امتار مكعبة تقل كثيرا عن حجم الصالة التى تحوى فهارس المكتبة في الاساس !

وبعد بنوك المعلومات الكمبيوترية وقعت الواقعة ، اذ جاءت الاقمار الصناعية ، التى تتيح الاتصال اللحظي بين بنوك المعلومات هذه وبين أي نقطة من نقاط عالمنا !

وبعد أن كان الكبار يقومون بها دون الى ما سبق ، نقل المعارف بصورةمنظمه وفق قواعد محددة ، في معاهد متخصصة هي المعاهد التعليمية على أيدي محترفين..

بعد أن اكتمل هذا الاطار انفتح باب هائل لتحصيل المعرفة لايتطلب اكثرمن أن يقتنى الانسان شاشة صغيرة في بيته حتى يمتلك « بواسطتها مع خط الهاتف» كل مقتنيات المكتبات المعلبة ، العادية والصوتية ، المرئية ، في كل انحاء العالم بما فيها من موسوعات وكتب ودوريات وافلام . تصبح كلها تحت أمر الطالب في أي لحظة ، بمجرد ان يدق رقما كوديا ويضع كلمات علي الالة الكاتبة المرفقة بالشاشة ..

● الخطورة شهدها الانسان ●

هكذا دار الزمن دورته ، ودارتمعه مجلة الحياة» ، وتطورت سبل اكتساب وتخزين ونقل ومعالجة المعلومات ، ومع تطورها وقعت « الثورة » التى لا يمكن لاحد ادعاء انه يعيش العصر مالم يدركها ..

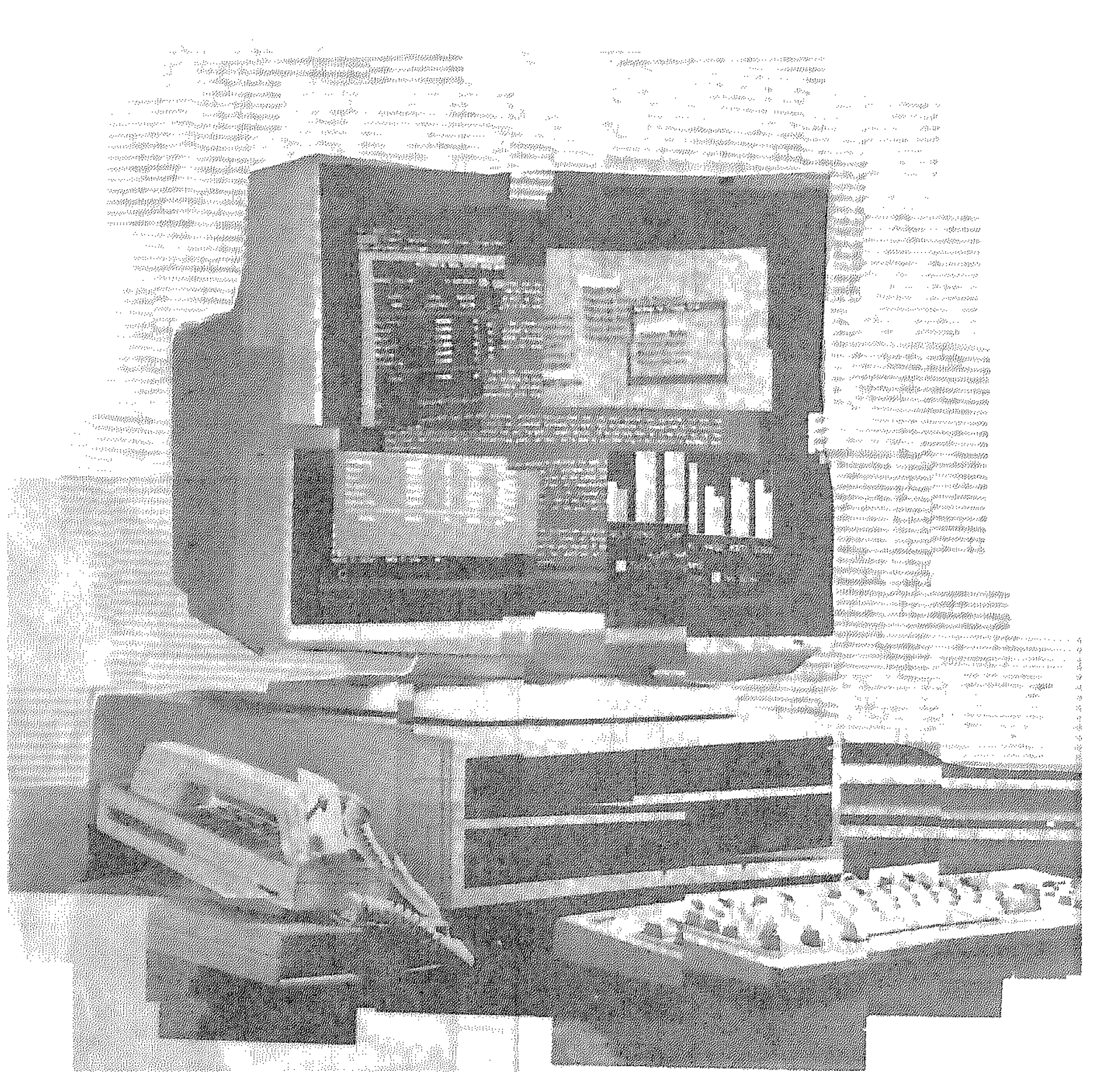
ولا باس عند هذا الحد من بعض الامثلة التطبيقية ، التى نلمس من خلالها كيف يمكن لهذه « الثورة » أن تغير حياة الانسان . وليكن مدخلنا الى هذه الامثلة نسخة المجلة التى تقرأها الان وقد ادركتها تقنيات ثورة المعلومات ..

انئذ سيدق كل كاتب من كتاب المجلة مقاله في بيته ، على جهاز يشبه الالة الكاتبة ، يتصل بشاشة «تليفزيونة» تساعده على معالجةما كتب .وساعةيتوقف الكاتب ، راغبا في التاكد من معلومة ما، فلن يكون عليه الا ان يدق رقما على نفس الجهاز ، ليأتيه البند الذى يريد من الموسوعة العربية الكبرى ، او الموسوعة البريطانية الميسرة ، أو .. بل وبستطيع ان يصل عبر الجهاز الى أى كتاب ،في مكتبات العالم الكبرى ليستشيره او الى اى مشهد من فيلم محدد ليدقق تقويمه ..

وبعد ان ينهى الكاتب مقاله لن يكون عليه الا أن يدق رقما كوديا آخر ليكون المقال ، في نفس اللحظة ، أمام رئيس التحرير ، سواء كان في مقر عمله !! او في منزله ، أو في أى مكان اخر . وما ان تودع أسرة التحرير العدد الجديد من المجلة — بعد توليفه على شاشة

شبية ـ بنك المعلومات ـ المعنى ،حتى يعود في مقدور القارىء ان يدق رقما كوديا على جهاز من نفس النوع في بيته ، ليظهر امامه فهرس العدد ، ويدق رقما تاليا ليظهر الموضوع الذي يروقه .. هذا كما سيكون بمقدور القارىء ـ مثله مثل الكاتب ـ استشارة اى كتاب واى موسوعة واى فيلم يريد ، من اى مكتبة يريد في اللحظة التي يريد ..

ولا يقتصر تأثير ثورة المعلومات ـ كما قد يتبادر الى الذهن من المثال السابق على الشئون المعرفية والثقافية .. فالكمبيوتر القادر على اختزان ملايين الكتب قادر على اختزان ملايين الملفات والتصميمات والكتالوجات والوثائق الخاصة بفروع العمل المختلفة . وهكذا فان كل ما يحتاج اليه الانسان ليؤدى عمله سيكون رهن اشارته على شاشة شبيهة اينما تواجد الانسان . هذا كما سوف تمكنه الالة الكاتبة المعنية من ارسال تعليماته وتوجيهاته ، الى اى مكان ، دون ان يتجشم عناء الانتقال والمواصلات



بوصلة

تعفى من الغرق في طوفان المعلومات

وزحام الطريق . .

هذا كما أن الامر لا يقتصر على الامكانيات التى تتاح لشخصى او شخصك الكريم ، ولا على مجالات المعرفة والعمل فامكانيات هذه الثورة تبشر بالأثر مذهلة على كافة انشطة الانسان .. ونخص بالذكر منها الانشطة التى تطفر بقدرات المجتمعات واداتها من التعليم ، الى البحث العلمى ، والى اتخاذ القرارات السليمة ..

فمع الوتائر السريعة لتكاثر المعرفة ، صار على المتخصص ان يواصل التعلم طوال حياته وامكانيات هذه الثورة تسهل على المتخصص ، كثيرا ، تحصيل كل ما يستحدث فى تخصصه ، كما انها كفيلة باتاحة فرصة لاتبارى للبحث العلمى الكفؤ الفعال ، اذ تتيح للباحث الا يكرر جهدا قام به غيره ، لكونه لم يعرف به، وتتيح له أن ينطلق - فى بحثه - من ارقى ما توصل اليه الاخرون ، اذ تضع يده على كل ما يمكن أن يخطر على البال من مراجع . ذلك بالاضافة الى ان وفرة المعلومات تفتح آفاقا جديدة أمام عملية اتخاذ القرار ، لانها تحولها ، من فن قائم على الخبرة والحدس ، الى عملية شديدة التشابك ، والترابط بين الجوانب المختلفة للقضايا المطروحة ، مما يكشف عن البدائل المختلفة ، وييسر الاختيار بينها ، كما يتيح الفرصة لتحليلات نافذة وتقديرات سليمة لصاحب القرار على مختلف المستويات ، وفى كل الاجهزة والمؤسسات ..

ولعله صار واضحا أن المشكلة مع التطورات التى طرأت على عالم المعلومات ، لم تعد نقص المعلومات او غيابها ، اذ ربما كان العكس هو الصحيح ، فماذا يفعل الانسان بمقتنيات مكتبة الكونجرس « ١٠٠ مليون كتاب » ، ودار الكتب ، و ..

وهنا نكون قد وصلنا الى واحد من أهم ملامح عصر المعلومات ، ذلك ان الوتائر التى تتحرك بها هذه الثورة جعلتها اشبه بانفجار بركان يمكن ان يقف الانسان مبهورا أمامه ، دون أن يكون قادرا على الانتفاع به ، ناهيك عن احتمال الضياع بين مخلفاته

ولا بأس من ان نلجأ - عملا بميكانيزم ثورة المعلومات - الى تجارب الاخرين تستقرئها هذه البوصلة ، ولاباس من أن نشرع البصر تجاه اليابان صاحبة التجربة الاكثر انجازا لهذا الصدد ،ولا بأس من أن يكون دليلنا فى هذه الرحلة عالم الاجتماع الامريكى عزرا فوجل ، الذى يرى انه اذا كان للدارس تفسير النجاح اليابانى بعامل واحد فلابد أن يكون هذا العامل : « السعى الجماعى الموجه الى المعرفة »

● بوصلة من اليابان ●

وجوهر قصة اليابان مع المعلومات بعيد تماما عما يشاع عن النقل والسرقة الذكية .. الخ اذ أنها عمل ، يستند الى استراتيجية متكاملة ، للاستفادة

الفعالة ، من الجهد الابداعي للانسان الياباني ، ولهذا كان لابد لها من مراحل متداخلة ، أولها تحصيل ما هو موجود من معارف . فمنذ حكم الامبراطور ميجي « المستنير » ، حول عام ١٨٦٨ ، رأى قادة اليابان القوميون ، تجنب امتهم التصدع ، تحت ضغط تيار المؤثرات العربية بفتح الباب واسعا أمام الاستفادة من دروس البيض ووسائلهم ، وعن طريق اقتناص اسلحتهم ذاتها .

واذا كان الثابت أن كمية المعارف والمعلومات ، التي سجلت باليابانية ، في العصر الحديث ، تزيد كثيرا . عما تم تسجيله بأي لغة اخرى ، فان معظم ما يندرج تحت هذا البند يحتوى اساسا على مناقشات تحليلية للمعلومات ، وعلى افكار تستوعب تلك المعلومات وتستند اليها . ووفق منطق العمل الابداعي، الذي لابد وان يعتمد على أخر المعارف ، شاعت في اليابان حركة، واسعة النطاق، تسعى الى تعويد كل مواطن على ان يبدي رأيه في المعلومات ، المتصلة بمجال تخصصه والى أن يضيف اليها بعد استيعابها .

واذا كانت اساليب جميع المعلومات وتحصيل المعارف ليست موضوعنا هنا الا انه من الضروري التاكيد على ان عملية اكتساب المعرفة في اليابان عملية شاملة ومستمرة تبدأ بالتعليم الالزامي ، في المدارس التي تشرف عليها الدولة ، وتجرى في تكافؤ تام للفرص ، يسقط الحواجز الاجتماعية، ويتيح امكانية التقدم امام الجميع ، مما يؤدي الى الاستفادة من افضل العناصر البشرية دون تمييز .

ويستمر ذلك حتى المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هي الاخرى دون حواجز اجتماعية .. لكنه لايقف ولا يتناقص عند نهاية سلم المؤسسات التعليمية ، فهناك اشكال للتعلم بعدما ترتبط ارتباطا وثيقا لجمع المعارف والخبرات بصورة جماعية . ثم توظيفها لخدمة الانتاج والعمل ، والتطور الشامل للمجتمع ..

وقد ساعد ذلك كله ، الى جوار تربية استعدادات الياباني على تقبل التغيير ، وتهيئ نقاط قوة الاخرين ساعد على ان يمتص النسيج الاجتماعي الياباني عناصر جديدة دوما جعلت اليابانيين اقدر على التوازم مع العصر ، وعلى مسايرة لغاته وهضمها وتمثلها ، في سلوك عملي تطبيقي ، يتكيف مع الواقع ويطوره باضافات ابداعية .

● بضاعتنا ردت الينا ●

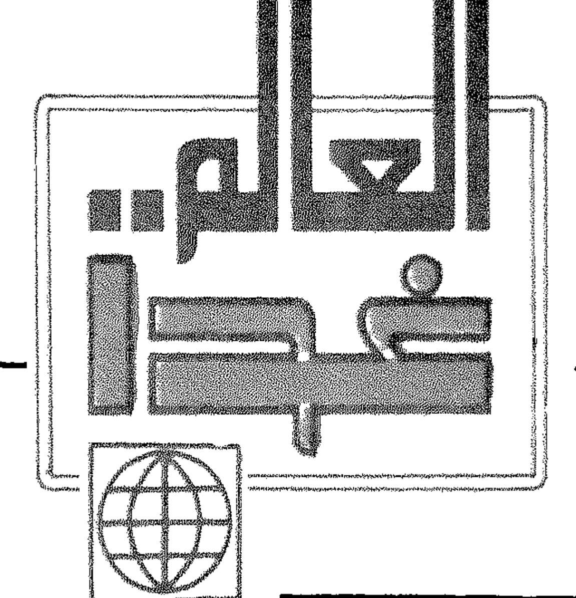
مجمل القول أن المعلومات يجب ان تتحول الى واقع يومي معاش ، وتتجاوز مرحلة « اكسسوارات» الزينة ، ومواد التراشق الخطابي المفرغ من المعنى والفعل كما أن المعلومات لابد وان ترتبط ارتباطا جدليا بنوع من الوجود الذي يدفع الانسان للسعي الى عالمها ، والولع به ، لتكون النتيجة اثراء هذا الوجود وترقيته .

بقيت في النهاية اشارة الى ان هذا المنهج ، رغم تجشمنا عناء « الرحلة » الى اليابان هو نفس المنهج الذي يدعونا اليه تراثنا الروحي العظيم ، فها هو أبو عبد الرحمن السلمي يقول :

« حدثنا الذين يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل .. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

أى منهج عظيم تنطوى عليه هذه الكلمات على قلتها ؟ على هذا النحو العبقري كان الربط بين التحصيل والعلم والعمل في ايام الاسلام الاولى . وبين هذا الربط وبين اطلبوا العلم ولو في الصين ، تمتد مساحة المنهج الذي يقف وراء كل نهضة ، حتى اذا كانت تجرى وسط طوفان وأعاصير عصر المعلومات

نعم المعلومات وحدها لاتكفي ، لان حجر الزاوية هو العمل بها ، وهو ان تتحول الى طاقة عظمى في التعلم والتثقيف وترقية الحس ، ورفع مستوى المشاركة في حياة المجتمع .



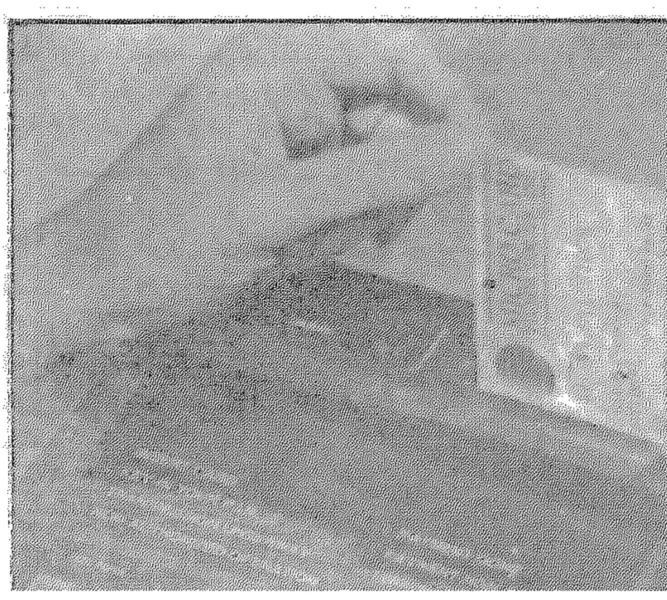
العالم في طريقه للاستغناء عن النقود

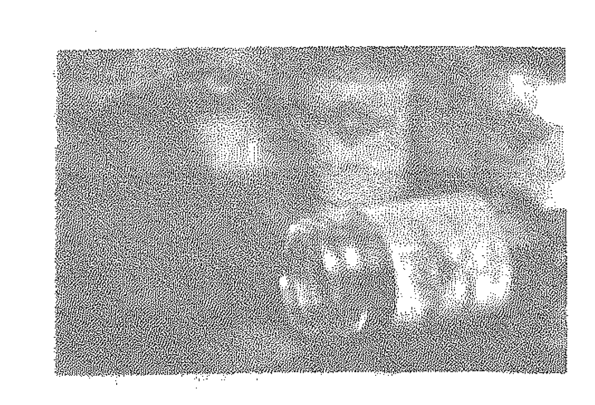
فى السنوات القادمه سيستغنى الفرنسيون عن استخدام العملات النقدية وسيستخدمون بدلا منها بطاقة الكترونية لدفع النقود بدءا من البضائع الاستهلاكية الى المكالمات التليفونية • ومع عام ١٩٨٨ سيصل عدد هذه البطاقات نحو ١٢ مليون بطاقه فى فرنسا وسيصدر نحو ٣ ملايين بطاقة منها مع نهاية العام القادم • وللبطاقة القدرة على تخزين معلومات فى شرائح الذاكرة يعادل حجمها ضعف قدرة البطاقات المغناطيسية العادية نحو مائة مرة

ومن جهة اخرى ستستخدم هذه البطاقات الالكترونية كبطاقة شخصية• اما فى الولايات المتحدة الامريكية فسيتم اختبار نحو ٥٠ الف بطاقة العام القادم • وكما هو الحال فى فرنسا ستستخدم هذه البطاقات فى تسجيل المعاملات التجاريه أساسا الى جانب استخدامها كبطاقة طبية يسجل عليها التاريخ الطبى للانسان • أما اليابان فقد اختبرت بالفعل نظام استخدام البطاقات الالكترونيه فى العمليات الشرائية • وستكون لهذه البطاقات القدرة على تخزين حساب العميل فى البنك ورقم جواز سفره ورخصة القيادة والتاريخ الطبى له •

استخدام الموجات الصوتية لحفظ الاطعمة

وسائل حفظ الاطعمه كثيرة ومتنوعة منها التجميد والتجفيف والتعليب وغيرها ولكن لون الطعام ومذاقه وقيمته الغذائيه غالبا ما يتأثر باستخدام هذه الوسائل • تقوم هذه الايام مجموعة من العلماء باجراء تغييرات جوهرية فى مجال حفظ الاطعمة تتمثل فى تعريض الاطعمة المراد حفظها لتيارين متلازمين من الهواء الساخن والموجات الصوتية



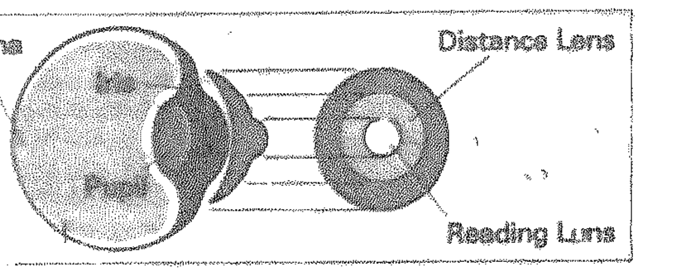


المنخفضة المتردد • وبالتالى تفقد جزيئات الطعام نسبة من المياه الموجودة بها بشكل أسرع من وسائل الحفظ التقليدية • وتتميز هذه العملية انها تحفظ للاطعمة مذاقها الطبيعي كما أن تكلفتها الاجمالية ارخص بكثير

الجدير بالذكر ، أن العلماء تمكنوا من تطبيق تجربة استخدام الموجات الصوتية بنجاح على الاطعمة التى يصعب حفظها مثل البرتقال والطماطم

عدسة لاصقة ثنائية البؤرة متعددة الاغراض

ابتكر خبراء طب العيون نوعا جديدا من العدسات اللاصقة المتعددة التدرجات ، والذى يمكن ضعاف البصر من مشاهدة الاشياء البعيدة والقريبة على حد سواء • تتجاوب هذه العدسة الجديدة مع رد فعل العين للضوء ، وهى تتكون من بؤرة صغيرة للقراءة فى المنتصف تحوطها عدسات اخرى على شكل دوائر لتحديد ابعاد المسافات • فعندما ينوى الشخص الذى يرتدى العدسة استخدامها فى مجال القراءة تنكمش حدقة العين ويتجمع كل الضوء ليتخلل عدسة القراءة وعندما يحول الشخص نظره عن الكتاب ويحملق من خلال النافذة على سبيل المثال يتحول الضوء الى عدسة المسافات • ينصح الاطباء الاشخاص الذين سيستخدمون العدسات الثنائية البؤرة بارتداء نظارات الشمس فى الضوء الساطع لحماية العين •

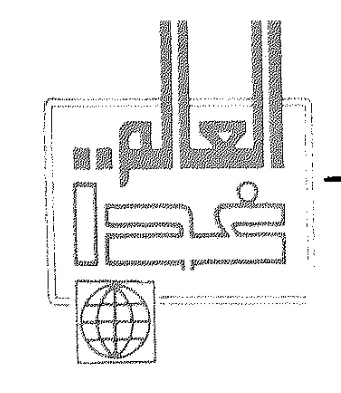


قذائف موجهة من السماء للنباتات

هذا الاختراع المصرى سيكون حديث العالم اجمع عندما يتم توسيع استخدامه ••

جاء الاختراع من شرق الدلتا •• من الشرقية •• حين تمكن الفلاح المصرى محمد الغريب من صنع أول مدفع من نوعه فى العالم يستخدم لرش الاسمدة والمبيدات الحشرية وذلك بأن تملأ خزينته بالمواد المراد استعمالها سواء كانت مبيدات سائلة أو أسمدة عضوية او كيماوية • ثم يتم اطلاقه على النباتات •

وقد ثبت نجاح هذا المدفع الاول من نوعه فى عمليات الزراعه والتسميد وهو يصنع محليا ولا تتجاوز تكاليف



صناعته خمسة وعشرين جنيها .

يمكن لهـذا المدفع أن يكون نواة لاختراع أكبر يمكن مقـاومة فلول الجراد التى تهدد خضرة العالم وتكاد تلحق به مجاعه كبرى . وذلك بـدلا من استخدام طائرات الرش التى بدت عاجزة حتى الآن عن مقـاومة هذه الفلول .

جبال الجليد تضيف نكهة جديدة للمرطبات الغازية

قرر أحد رجال الاعمال البلجيكيين اسـتثمار أمواله فى مشروع غريب وجديد من نوعه فيخطط جيلبـرت كينث فى استغلال جبال الجليد حـول جرينلاند وتقطيعها الى مكعبات ثلجية لاستخدامها فى تبريد المرطبات الغازيه بعد أن اكتشف أنها تعطى نكهة جديدة للمرطبات تختلف عن مكعبات الثلج العادية ، وقد قرر جيلبرت اختيـار الجبل الجليدى الذى يطلق عليه اسم جاكسون فى شمال شرق جرينـلاند والذى يصل وزنه الى ١٤٠ الف طن ويرجع تاريخه الى اكثر من مائة ألف عام . يتم استخراج الثلج من عمق ١٢٦٠ مترا فى درجة حرارة تصل الى ٢٣ درجة مئوية تحت الصفر . وتتكون جبال الجليد من طبقات متعددة مـن الثلوج المضغوطة والتى تجمدت وهى تمتلىء من الداخل بملايين من الفقاقيع الهوائية الصغيرة حتى انها عنـدما تسقط فى السائل تنفجر الى فتـات صغيرة لتعطى مزيدا من الانتعـاش لمحبى المرطبات الباردة .

محركات المستقبل بلا أصوات مزعجة

تمكن الباحثون فى جامعة اسكس البريطـانيه من ابتكار جهاز صـغير يثبت بجوار المحركات ذات الاصـوات العالية ويصدر عنه ترددات مضادة لذبذبات المحرك تقضى على أصواتهـا المزعجة ، يصلح الجهـاز لجميـع الادوات والأجهزة التى تعمل عن طريق محرك سواء كانت سيارات أو طائرات وكذلك ناقلات البترول العملاقة .. ويتكون الجهاز من عدة محولات للطاقة تقيس حجم موجات الذبذبات بالاضافة الى مجسات حساسه تثبت بجـوار عمود الكرنك لتعمل فى التوقيت المناسب .. يمكن لهذا الجهاز أن يخفض قوة الذبذبات بمقدار ٤٠ ديسيبل .

والديسبل وحدة لقياس مقـدار التفـاوت بين طاقتين » لتصـبح قوة الذبذبات $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ من الاصل . ومن المتوقع أن يتم استخدام الجهاز بشكل موسع فى مجـال التطبيق العسكرى لضمان أكبر قدر من السريه .

الصيف أكثر سخونة فى الاعوام القـادمة

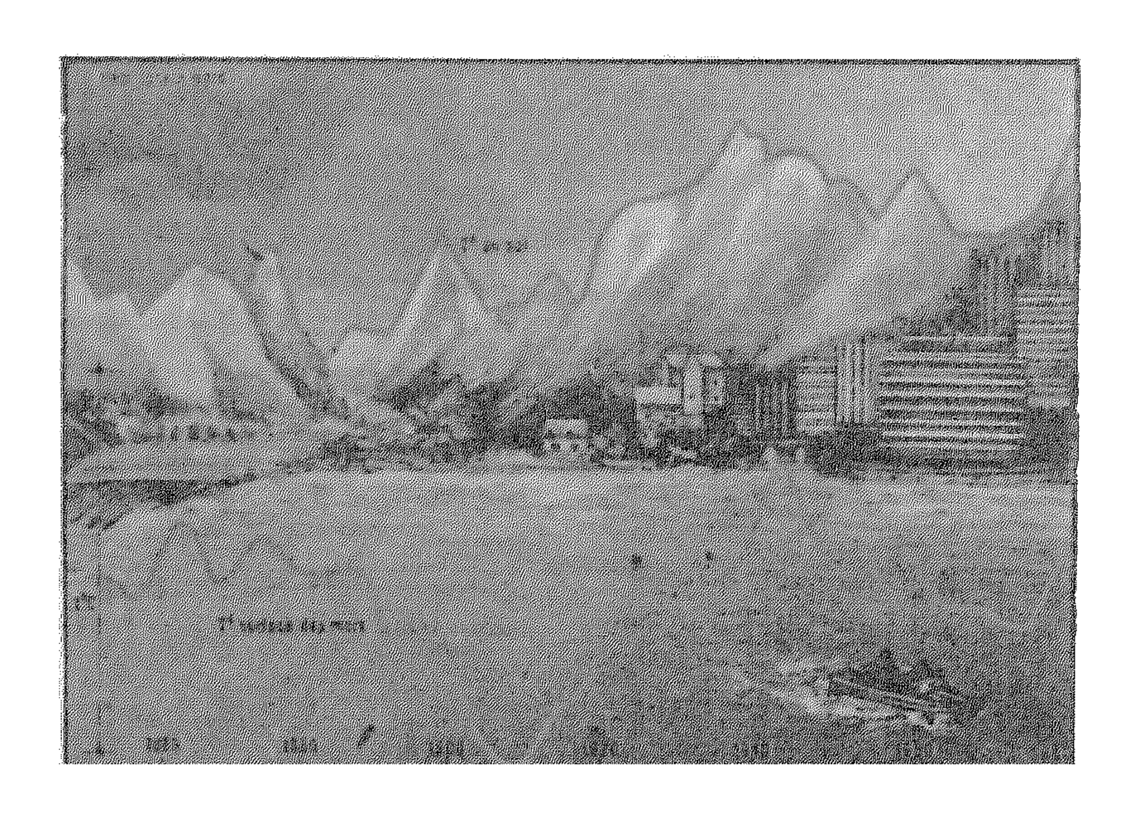
كان صيفا ساخنا بلا شك ذلك الذى شهدناه هذا العام . ارتفعت درجـة الحرارة تلهب الاجسـاد . وارتفعت

نسبة الرطوبة تخنق الانفاس .. لذا فان الدراسة التى نشرتهـــا مجـلة « العلم والحيــاة » .. الفرنسية فى عددها الاخير تؤكد بالارقام والرسوم البيانية ان الصيف سيزداد لهيبا مع السنوات القادمه ومع تطور التقنيات .

تقول الدراسة ان ارتفــاع نسـبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو يلعب دورا فى زيادة درجة الحـــرارة . وتؤكد ان النسبة ارتفعت فى الجـو من ٢٨٠ جزيئا فى المليون الى ١٨٠٠ جزىء . وتقول ان الارض لم تعرفـذلك المستوى من ارتفاع هذه النسبة منذ ٢٤٠ مليون سنة .

كما تذكـــر المجله ان البحــار اصبحت اكثر برودة فى عصرنا . فمن المعروف ان مياه البحر تخزن الطاقة الشمسية وتشعها ببطء فى الليل على المناطق المجاورة لها فتدفئها قياسا الى المدن البعيدة عن البحــر والتى تكون شديدة البرودة فى الليـــل . وتعنى برودة البحار ان نسبة التدفئة ستكون اقل . اما ارتفاع مستوى مياه البحر فقد ارتفعت الى اعلى من ١٠٠ م فى عشرة الاف سنة . ومن المعروف انه عندما ينهار الجليد ويذوب فان البحر يرتفع اكثر . وقد انخفضت نســـبة الجليد فى العالم التى تلعب دورا فى تحسين ظروف الجو بينمـــا ارتفع مستوى البحر . أى ان الخطر اصبح مضاعفا . ولذا فان درجة حـــرارة الجو فى صيف مماثل كانت منخفضـة بمقدار ١٥ درجة مئوية عـن مثيلتها اليوم منذ ثمانيه عشر الف عام .

وتقول الدراسة ان معدل ارتفـــاع نسبة ثانى اكسيد الكربون فى القرن العشرين قـــد نتج من اســـتخدام الانسان لاشياء عديدة تنتج كمـــا هائلا من هذا الغاز سواء فى البحـر او البر أو الفضاء .. اى ان هناك اختلالا فى نظام الطبيعة الذى خلقـه الله . كمـــا لعب تقطيع الاشـــجار وزحف الصحراء علىالمدينة الخضراء دورا فى ارتفاع درجاتحرارة الجو . والمتوقع الان ارتفــاع نسبة درجـة الحرارة فى السنوات القادمة .. مع انخفاض نسبة الرطوبة .



عسل النحل
في مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

● المصريون اول شعب استانس النحل وتعامل معه . فقد عرف المصريون القدماء عسل النحل منذ عصور ماقبل التاريخ وقدس الفراعنة ملكة النحل فوصفوها فى برديات العقيدة بانها ملكة من ملائكة الجنة تحمل رسالة إلى أهل الارض مع هدية من خيراتها وهى رحيق زهورها . والعسل الذى وصفته متون العقيدة بانه يجرى على شكل نهر فى الجنة بجانب نهرى الخمر واللبن ●

وقد قدسوا ملكة النحل عندما اكتشفوا مابها من صفات تميزها عن بقية الكائنات والمخلوقات الارضية .. وصفوها بانها خالدة لاتموت ، فهى وحدها التى تنجب جميع أفراد مجتمعها المكون من مئات الحراس (الذكور) وعشرات الالاف من مختلف فئات مجتمع الخلية سواء الشغالة او جامعات العسل او عمال الهندسة وبناء الخلايا ... تنجب الملكة كل يوم مئات من البيض لتعوض مايموت من أفراد مجتمع الخلية ، حيث يبلغ متوسط عمر النحلة اربعة اسابيع ، بينما يصل عمر الملكة إلى سبع سنوات او اكثر ...

كما وصفوا حياة مجتمعها بانه يخضع لتسريعات سماوية تنظم دورة عملها ، فلها طقوسها الدينية الخاصة ، فذكروا ان طنينها الجماعى الذى يبدا مع شروق الشمس ، قبل خروجها لجمع العسل ويتوقف عند غروبها ما هو إلا ترانيم صلاتها وعبادتها للاله الخالق ولذا فكانوا يوجهون خلايا تربيتها بحيث تتجه فتحاتها من الشرق إلى الغرب ، وكان النحل يهجر الخلايا ، اذا تغير وضعها ..

● النحلة المقدسة ●

كان ملوك وحكام ماقبل الاسرات بالوجه القبلى ينسبون انفسهم إلى النحلة تبركا بقدسيتها فاطلقوا على انفسهم القابا تقربهم من النحلة كلقب (بى تى) اى رجل النحلة او غيره من الألقاب كروح النحلة وقرين النحلة وحامى النحلة ... كما احتلت النحلة مكانا مرموقا فى متون العقيدة ونصوصها ، كما وضعها بعضهم فى مصاف الآلهة والمعبودات .

كان الملك مينا موحد القطرين ومؤسس الأسرة الاولى اول من اتخذ من النحلة شعارا إشارة للملك ، ورسمها فوق "خرطوشة" اسمه بعد ان اضاف إليها رمز الجنوب ، واطلق عليها اسم (سوتن بات)

أى ملك الشمال والجنوب ... واتبع ملوك جميع الأسرات ذلك التقليد فوضعوا رسم النحلـة فوق "خـرطوشـات" اسمائهم والقابهم الملكية حتى نهاية الأسرات الفرعونية .

وحافظ الاسكندر الأكبر على ذلك التقليد فتوج "خرطوشة" اسمه بشعار النحلة . كما ظهر رسم النحلة فوق اسماء بعض اباطرة الرومان من بينهم يوليوس قيصر ومن بعده الامبراطور تيبريوس .

وقد ظهرت النحلة فى الدولة القديمة فى الأختام الرسمية للدولة التى استبدل بها فى الدولة الحديثة خاتم الصقر حورس او خاتم النسر الذى ظهر فى مصر الحديثة ـ وقد صنعت عدة انواع من خاتم النحلة لمختلف المناسبات او الاستعمالات . ومنها

واحتلت النحلة مكانا مرموقا فى متون العقيدة ووضعها البعض فى مصاف الآلهة

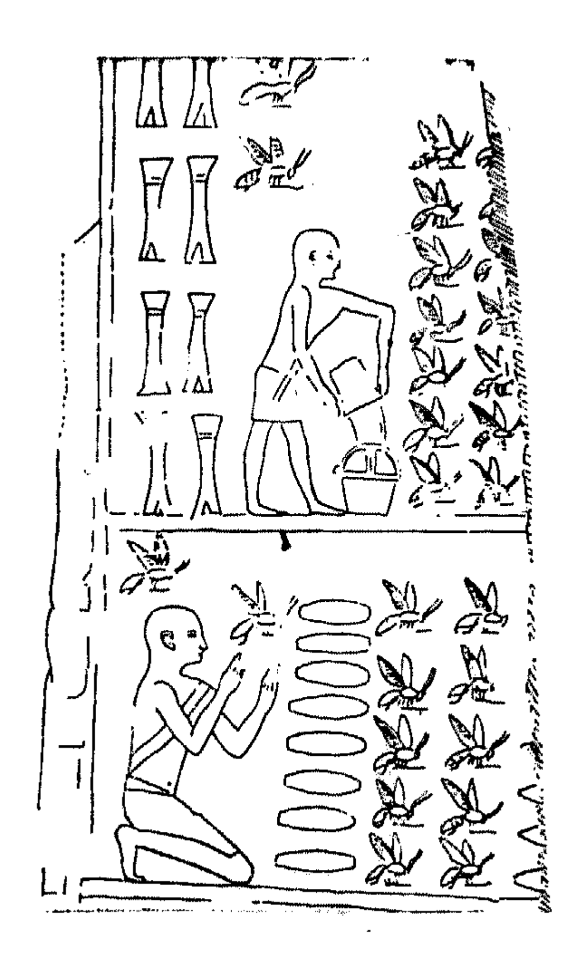


عسل النحل
فى مصر الفرعونية

ما كان يحمل صورة نحلة واحدة او نحلتين بينهما علامة الحياة (عنخ) او اربع نحلات بينها صورة احد المعبودات التى توثق بها تشريعات العقيدة ، كما ظهرت النحلة فى التمائم التى تبارك الإخصاب او التى تحمى المولود فى بطن الأم ، أو لحماية الرضيع من الأمراض ، وظهرت النحلة وصورها فى برديات السحر الأسود ، وكانت ترسم صورها فى احجبة السحر مقطعة الأوصال او مفصولة الرأس ليحل الشر على من تعمل لاجله .

وفى الدولة الحديثة استعملت صورة النحلة كرمز للشجاعة والبطولة التى تختم بها شهادات التقدير العسكرية والانتصارات الحربية ، ثم انتقلت لتستعمل فى إشارات الرتب العسكرية ، حيث يزين صدر الجندى بنحلة او اكثر او قلادة من النحل يتوسطها الصقر حورس للقادة وكبار الضباط ، وهو التقليد الذى انتقل من مصر القديمة إلى العصر الحديث ، وما يطلق عليه اسم "الدبورة" والتاج فى الرتب العسكرية .

واطلق المصرى القديم على النحلة اسم "بى" وهو الاسم الذى انتقل من مصر إلى اللاتينية ومنها إلى مختلف اللغات الحية سواء الانجليزية BEE او الالمانية BIENE او الفرنسية ABEILLE واطلق المصرى القديم على نفسه لقب "بى تى" اى صديق النحلة او رجل النحلة ، رمزا للسمو ، ولما كان المصرى القديم اول من استأنس النحل فكان أول من بنى بيوت



النحل التى تأوى خلاياه ، صنع اقدمها فى الوجه القبلى والواحات من جذوع النخيل وأشجار السنط بعد تجويفها ، مازالت تلك الطريقة متبعة إلى الآن فى كثير من البلاد العربية والآسيوية والواحات ..

وكانت أقدم الخلايا او بيوت النحل التى صنعها فى الدلتا وعلى شواطىء النيل من غاب النيل (البوص) ، التى كان يشكلها على شكل اسطوانات بتثبيته فى بعضه البعض بواسطة خيوط زعف النخل وتطلى بطمى النيل على شكل مواسير تثبت فوق بعضها فى صفوف متراصة ، اطلقوا عليها اسم مدينة النحل او مستعمرة إسكانه ، ومازالت تلك الطريقة مستعملة فى بعض القرى فى



العسل .. من قرابين للآلهة
.. إلى أطعمـــة للعبـــاد

شمال الدلتا إلى اليوم .

● تزيين مقابر الدولة الحديثة ●

ومن أقدم مناظر تربية النحل فى الخلايا الأسطوانية ماسجلته النقوش الموجودة فى معبد الشمس للملك (نو اوسر رع) فى "ابوصير" (الأسرة الخامسة ٢٤٠٠ ق . م) ويمثل النقش رجلا راكعا يحمل أناء يجمع فيه العسل من الخلايا الأسطوانية المتراصة فوق بعضها ويناولها لعامل آخر لتفريغها في وعاء كبير . يتلوها مختلف مراحل معالجته وفرزه حتي يصل إلى آخرها لتعبئتها فى الأواني الخاصة الكروية الشكل التى تغلق وتحزم وتختم بخاتم خاص لتحفظ فى مخزن خاص .

وتوجد لوحة آخرى مماثلة ضمن اللوحات تزين ممرات هرم الملك آوناس بسقارة (٢٣٥٠ ق . م) .

وفى الدولة الحديثة ظهرت أنواع اخرى من الخلايا صنعت على شكل آنية مستطيلة من الفخار ترص فوق بعضها البعض على مسطبة كالمنضدة ، وكانت بعض الأوانى المختلفة الأشكال يطلي بعضها من الداخل بمختلف المواد العازلة ، وقد وجدت فى بعض المقابر الملكية آنية للعسل للاستعمال اليومى صنعت من المرمر الشفاف او الديوريت والرخام .

وقد زين كثير من مقابر الدولة الحديثة بنقوش تمثل خلايا النحل ومراحل تربيته وجمع العسل ومختلف الأوعية والآنية المستعملة لحفظه والعناية به ، من بينها النقوش التى تزين مقبرة الوزير (رخمى رع) بمقابر طيبة (١٤٥٠ ق . م) وزير الملك تحتمس الثالث .

كما ظهرت نماذج اخرى في نقوش مقابر العصر المتأخر من بين آمثلتها النقوش التي تزين مقبرة (ياباسا) فى طيبة مدير أعمال الملك بسماتيك الثانى (الأسرة ٢٦ - ٦٦٠ ق . م) والتى ترص فيها آوعية الخلايا في صفوف مواجهة بعضها للبعض على شكل طرقة مستطيلة او مستعمرة مقفلة .

لقد ظهر العسل وخلاياه ضمن القرابين المقدمة للآلهة سبواء فى المعابد او التى تحفظ فى المقابر فى العديد من مقابر الدولة الحديثة ويرمز لعسل النحل المقدس بالآنية المحورية الشكل المميزة ، ومن بين أمثلتها صورة لوحة القرابين بمقبرة (من نا) وزير الملك تحتمس الثالث وتمثله جالسا امام مائدة القرابين التي تحوى مختلف الأطعمة التى تعلوها آنيتان من اواني العسل .

عسل النحل في مصر الفرعونية

وفى مقبرة (تى انرو) وزير الملك امنحتب الثانى يقدم احد الكهنة القرابين حاملا فى يده اليمنى وعاء به اقراص من عسل الخلايا والنحل يطير فوقها ، وعلى ذراعه قنينة من الغذاء الملكى ، وفى يده اليسرى وعاء من العسل مغطى بزهور اللوتس التى تدل على نوعيته

● دور مهم لعسل النحل ●

لعب عسل النحل دورا مهما فى مختلف نواحى حياة المجتمع المصرى فتصدر مائدة الطعام كاول مادة سكرية عرفها الإنسان فى تاريخ الحضارات ... صنعوا منه سكر الطعام بتجفيف العسل وطحنه . فصنعوا منه مختلف انواع الحلوى المعروفة اليوم من مختلف انواع الفاكهة المجففة التى تعامل بالعسل ، وصنعوا مختلف أنواع الفطائر خاصة فطائر الأعياد المحشوة بعسل النحل ، وهو كعك العيد بمختلف انواعه واشكاله وغيره من الحلوى التقليدية التى امتدت من مصر القديمة الى تقاليدنا المعاصرة ، كما احتل عسل النحل مكانة فى صناعة مختلف انواع عصير الفاكهة والمشروبات وصناعة الخمور بعد اضافته إلى البيرة والنبيذ لسرعة تخميرها وحمايتها من الفساد .

وفى مجال الطب لعب عسل النحل دورا مهما فى اعداد العقاقير لمختلف الأمراض وتحوى برديات ايبرس وهيرست وكاهون وغيرها من موسوعاتهم الطبية المعروفة دور عسل النحل فى شفاء كثير من الامراض ، وقد اطلق على عسل النحل فى البرديات الطبية العديد من الأسماء من بينها دواء السماء ، وصديق المعدة ، وراحة الصدر ، وحامى الجنين فى بطن امه ... وترتبط جميعها بفوائده الطبية التى اكتشفوها .

فوصفوا عسل النحل بعد خلطه بخميرة البيرة وعجائنها لعلاج قرحة المعدة ، كما اكتشفوا قدرته العجيبة على شفاء الجروح المتقيحة ، كما وصفوه بعد اضافته إلى الحلبة ومسحوق حبوب الترمس لعلاج الكبد والقنوات الصفراوية ، كما وصف لعلاج الأمراض الصدرية بعد إضافة عصير انواع معينة من الأعشاب ، كذلك لعلاج الأمراض الروماتزمية مع تعريض المريض للدغ النحل نفسه ، كما وصفوه لعلاج التوتر والأمراض العصبية ، وقد عرفوا ابتداء من الدولة القديمة غذاء ملكة النحل او "الغذاء الملكى السماوى" وهو الاسم الذى اطلقوه عليه فى احدى بردياتهم الطبية ، وعرفوا طريقة استخلاصه وجمعه ، كما اكتشفوا احتواءه على بعض الهرمونات المنشطة للنمو بجانب اثره الفعال كمضاد حيوى ، لذا فكان الكهنة يحتفظون بمزارع خاصة لتربيته فى حدائق المعابد ، كما عرف عن بعض الملوك فى الدولتين الوسطى والحديثة اهتمامهم بتربية النحل فى حدائق قصورهم والعنايةبها .

● علاج بعسل النحل ●

ونظرا لاهتمام الفراعنة بالعسل فى الطب فقد صنفوا العسل لتحديد استعمال انواعه فى العلاج ، فمن بين الأسماء والأصناف التى اطلقوها على العسل اسم (بى ستف) اى العسل الرائق او الشفاف و(بى دشرت) اى العسل القاتم ، كما صنفوه بالنسبة لمذاقه وقيمته الغذائية ، ومن اشهر أنواع العسل عسل الواحات ،

ومزارع النخيل ، وعسل مزارع الحبوب ، وعسل زهور اللوتس . ويعتبر من أرقى أنواعها ، ثم العسل البرى الذى كانوا يجمعونه من مناطق المناجم فى سيناء والصحراء الشرقية .

ونظرا لاحتواء العسل البرى على أنواع مختلفة من العناصر المعدنية فكانت له أهميته الخاصة فى علاج أمراض العظام والنمو وتغذية الجنين ، وغيرها من الأمراض التى وصفوها بدقة فى بردياتهم الطبية .

● دواء السماء ●

ومن المعروف أن عسل النحل كان من العناصر الأساسية فى عملية التحنيط وهو ما يفسر ما ذكره المؤرخون عن وصية الاسكندر الاكبر التى طلب فيها أن يغطى جسمه ويحفظ داخل سائل العسل حتى ينقل إلى مقره الاخير الذى حدده فى معبد امون فى سيوه .

ونظرا لشهرة عسل النحل عند الفراعنة بانه "دواء السماء" ـ كما وصفوه ـ فقد كشف كثير من البرديات والوثائق التاريخية القديمة عن اهتمام البلاد الأجنبية بعسل النحل المصرى ، فقد وجد ضمن رسالة أحد ملوك البلاد الآسيوية للملك امنحتب الثالث انه يطلب أن يرسل له كمية من الذهب وعسل النحل الملكى ، كما وجدت رسالة مماثلة ضمن رسائل العمارنة المشهورة التى كانت تصل لاخناتون من ملك متيانى ، وورد فى سفر الأنبياء أن النبى يعقوب عليه السلام عندما عاد أولاده من مصر حملهم النبى يوسف قدرا من عسل النحل هدية لأبيه .

كما وصف سفر الخروج نصيحة سيدنا موسى إلى اليهود أن يحملوا معهم من الزاد مايمكنهم جمعه من القمح وعسل النحل ، وذكرت مصر فى إنجيل بالأرض المزهرة بالحليب والعسل ، كما ورد فى انجيل لوقا أن السيد المسيح عندما ظهر بين اتباعه قبل صعوده طلب سمكا وعسلا وأكلهما امامهم ليثبت لهم وجوده حيا ... وقد فسر ذلك المؤرخ كليمندس فى كتابه عن تاريخ مصر أن السمك والعسل اللذين يظهران معا على موائد القرابين فى كثير من لوحات القرابين الفرعونية كما هو واضح فى لوحة قرابين (من نا) قد ورد ذكره فى أكثر من بردية من برديات الطب لعلاج بعض الأمراض المستعصية وخاصة المرتبطة بالقلب الذى ينبض بالحياة ... كما رمزوا بالسمك والعسل إلى الوجود الإنسانى وهو ماقصده السيد المسيح فيما يروى انجيل لوقا . ولم يغفل القرآن الكريم مكانة عسل النحل فورد فى قوله تعالى "وفيه شفاء للناس" .





رأى / فى الثقافة

ضرورة القراءة ضرورة الثقافة

قد لا يكون مهما فى بلدان العالم "المتقدم" أن تتدخل المؤسسات الرسمية التى يمولها دافع الضرائب فى مجال تشجيع الثقافة ونشرها ، بنفس القدر من الأهمية التى يحتاج إليها الوضع فى بلدان "العالم الثالث" .

لأنه من المفترض فى الناشر الغربى - مثلا - درجة من الوعى تمكنه ، على الأقل أن يعرف ماذا يريد ، والمستوى الثقافى على العموم مرتفع ، بدءا من المدرسة والعادات التى يكتسبها الطفل من البيت عادات تدخل القرّاءة فى صلبها .

ومع ذلك فإن الدولة فى هذه البلدان المتقدمة تتدخل بقوة من أجل دعم الثقافة وتوفيرها للمواطن بكل الطرق الممكنة .

والمتأمل للوضع الذى يعانيه الشبان والشابات فى بلد كمصر الآن ، خاصة فى الأقاليم ، يجد هؤلاء وقد تربصت بهم عوامل الضياع من كل جانب . هنا تصبح مسئولية وزارة الثقافة مسئولية خاصة .

لأن الثقافة تصبح فى حالتنا ضرورة مباشرة من ضرورات التنمية ، ضرورة من ضرورات تماسك الأمة عبر إنتشال طاقتها الشابة من طريق الفساد والإنحراف الشامل .

والآن ، وعلى رأس وزارة الثقافة مثقف وأديب ، تصبح المطالبة حقا مفهوما . فمسئولية الدكتور أحمد هيكل مزدوجة بحكم كونه رجلا من رجالات الثقافة قبل أن يكون وزيراً .

لذلك نطالبه بأن يبحث مسألة دعم الكتاب ويعمل على تذليلها . نطالبه بأن يعمل على إحياء المكتبات العامة لتعود كما كانت فى الماضى ، محجا للشبان والشابات ، وتزويدها بالكتب الجديدة .

وفى هذا الإطار هناك طرق عديدة يمكن اللجوء إليها فى سبيل إحياء المكتبات القديمة التابعة لدار الكتب ، وتلك التابعة لوزارة التربية وتلك التابعة للثقافة الجماهيرية ، وأحد هذه الطرق أن تبدأ الوزارة حملة لجمع الكتب من دور النشر ومن كل متبرع لتوضع فى هذه المكتبات .

ولانعتقد أن أى ناشر سيبخل على وطنه بعدد من النسخ من أى كتاب

يطبعه مادام يتم هذا فى إطار حملة قومية هادفة ، وشرط أن تذهب هذه الكتب بالفعل إلى المكتبات دون حواجز بيروقراطية .

والثقافة الجماهيرية ذاخرة بمثقفين شبان على درجة كبيرة من الوعى والإحساس بالمسئولية ولاعمل لهم : لتكن عملية إحياء المكتبات العامة مسئوليتهم بجمع الكتب وبالدعوة للقراءة ، وبجمع التبرعات من أجل مكتبة فى كل حى ، ومكتبة فى كل قرية .

عبده جبير

اثار

المسافر خانة : بيت الفنانين يتساقط

جزء كبير من المبنى الأثرى العريق الذى إتخذ الفنانون قاعاته منذ ١٨ عاما مراسم لهم بدأت الشروخ تدب فى أوصاله حتى أصبح مهدداً بالسقوط .

وحكاية المبنى بدأت بعملية إحياء تمت بالإتفاق بين إدارة الفنون الجميلة (وزارة الثقافة) وهيئة الآثار ، حيث كان المسافر خانة ، هذا الأثر الإسلامى الفريد فى تنوع زخارفه وتشكيلاته الفنية بيتا مهجوراً تعبث الحيوانات والكلاب الضالة والهاربون من العدالة فى أرجائه .

وتمت عملية الإحياء بتعاون الجهتين وسلمت قاعاته لعدد من الفنانين لتكون مراسم لهم .

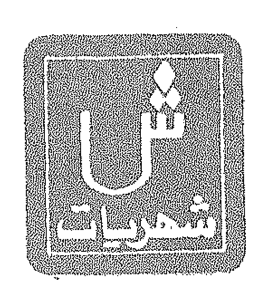
عام ١٩٧٦ حدث تصدع فى البيت على هيئة شروخ طولية فقام مديره بإبلاغ هيئة الآثار التى طلبت بدورها إخلاء المبنى ، وبالفعل ، تم إخلاء الجزء المتصدع وباشرت الآثار عملية ترميمه طوال خمسة أعوام .

لكن - يقول زهران سلامة المدير الحالى للمسافر خانة . إن عملية الترميم هذه لم تكن جادة ولم يتم إعتماد ميزانية كافية لها . الأمر الذى دفعنى لكتابة العديد من المذكرات بعد أن لاحظت أن المرمم رجل حرفى بسيط ، مجرد مقاول ، وأن الترميم لم يتم بناء على الأصول العلمية المفروضة .

وفى ديسمبر ١٩٨٥ بدأت الشروخ القديمة تظهر مرة أخرى ، فقام المدير بإبلاغ الجهات المسئولة وقامت هيئة الآثار بإرسال أحد بيوت الخبرة وتم عمل « مجصات » خارجية وداخلية للبيت ، فتوقفت الشروخ مرة أخرى .

ومن يومها (ديسمبر ٨٥) وهيئة الآثار تطالب الفنانين بإخلاء المكان ، ويقول الفنان سلامة أنه قد أخلى الجزء المتضرر ، وأن الفنانين الباقين يتواجدون فى أجزاء بعيدة عنه وأنه إستعان برأى خبراء أكدوا له بأن إستعمال الفنانين ليس هو السبب فى الضرر الحاصل بل إكتشفوا أن البلدية غرست ماسورة مياه فى جانبه المتضرر ، ومع تكرار إنفجار الماسورة تسربت المياه إلى أسفل المبنى من هذه الجهة .

والمشكلة الآن تتلخص فى إنقاذ هذا الأثر الفريد ، وبيت الفنانين الذى



شهد إبداعات هامة طوال ثمانية عشر عاما هي عمره بعد أن تم إنتزاعه من أنياب الحيوانات الضالة .

فهل سنتركه على أى حال ، وتحت أية حجة لينهار إنهيارا كاملا لايعود الندم بعده مجديا ؟! .



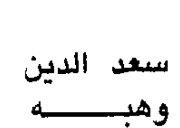
مهرجان المسرح المصرى حلم تأخر عشرين عامـا

فكرة إقامة مهرجان مسرحى فى مصر فكرة قديمة تعود إلى الناقد المسرحى الكبير الدكتور على الراعى عندما كان رئيساً لهيئة المسرح وكان يزمع إقامته فى يوليو ١٩٦٧ على مسرح "أبو الهول" ، وكانت الهزيمة وراء تلاشى الفكرة التى عاشت ضمن أحلام العاملين فى المسرح منذ هذا التاريخ وحتى الآن .

مؤخراً أعلن الأستاذ سعد الدين وهبه بصفته رئيساً لإتحاد النقابات الفنية عن إحياء الفكرة مجدداً .

والعاملون فى الحقل المسرحى ، كتابا ونقادا وفنانين ، والأمل يحدوهم بأن يتحقق مهرجانهم بالشكل الذى يليق بمكانة مصر ، وبمكانة المسرح المصرى يرجون أن يتم فى الموعد





الذى حدده سعد الدين وهبه فى إعلانه (فبراير القـادم) ، ولكن المهرجان المصرى سيكون الخامس بعد مهرجـانات دمشق ، والأردن (جرش) وتونس ، وبغداد ، لذلك فإن المسئولية تقتضى دراسـة هذه المهـرجانـات ، وحشد الإمكـانات الكفيلة بأن يكون المهرجان المصرى إضافة وليس تكرارا ، مخططا وليس عشوائيا ، والدعوة إلى الاتقان هى المسألة الأولى التى يجب أن توضع موضع الاعتبار الأول ، والاهتمام بكل التفاصيل منذ الآن هو الهم الذى يجب أن يكون الشاغل الأكبر لأنه لن يكون مقبولاً أن يكون المهرجان المصرى أى مهرجان ! .

رسائل جامعية

صحافـة اليهـود الفرنسية فى مصر

هذا عنوان رسالة الدكتوراة التى تقدمت بها الباحثة سهام عبد الرازق عشرى إلى كلية الإعلام جامعة

القاهرة وأشرف عليها الدكتور خليل يوسف صابات وهو مشهود له بالعلم والخبرة فى مجال الصحافة . كما شاركه فى مناقشة الرسالة الدكتور مختار التهامى عميد كلية الإعلام والدكتور عبد العزيز نوار عميد كلية الآداب جامعة عين شمس .

ومن الواضح أن هذا الموضوع يثير عديداً من التساؤلات والاستفسارات التى يهتم بها كل باحث فى مجال الصحافة على وجه الخصوص ! هل كان لليهود صحافة فى مصر ؟ ومنذ متى ؟ وإلى متى ؟ وهل كانت واضحة الأهداف والمعالم أم كانت تستتر وراء منظمات أخرى ؟ وماهذه المنظمات ؟ وهل تورط فيها أحد من كبار الشخصيات الوطنية .. إلى آخر هذه التساؤلات وما يتفرع عنها من قضايا ومايتصل بها من موضوعات أخرى .

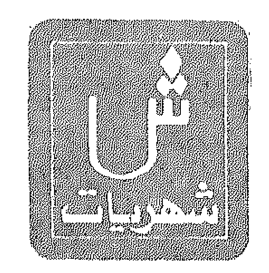
ذلك ماحاولت الباحثة سهام عبد الرازق أن تجيب عليه من خلال رسالتها التى نحن بصددها . وهى محاولة جادة ومضنية فى نفس الوقت لأن الباحثة أضطرت إلى تعلم اللغة الفرنسية أولا حتى تستطيع أن تقرأ وتحلل وتنقد وتقارن الموضوعات الصحفية الملتوية التى كتبت باللغة الفرنسية فى تلك الفترة وحتى تصل إلى هدف البحث وهو هل فعلاً قامت الصحافة اليهودية الناطقة بالفرنسية بالدعاية الصهيونية لإنشاء وطن قومى فى فلسطين لليهود ؟ وإلى أى مدى كانت هذه الدعاية تلقى استجابة بين الجاليات الأجنبية والطوائف اليهودية التى تتحدث الفرنسية .

والرسالة تحتوى على شقين : شق تاريخى يتضمن محاولة تتبع الصحف الناطقة بالفرنسية من سنة ١٨٩٧ حتى اعلان اسرائيل سنة ١٩٤٨ ورصد الظواهر والموضوعات والتطورات التى طرأت عليها فى تلك الفترة حتى تستخرج الباحثة أهداف هذه الصحف ومن هنا احتاجت الى المنهج التاريخى .

وشق إعلامى يقوم بالكشف عن أهداف تلك الصحف من خلال تحليل الموضوعات التى كتبت فيها ومعرفة محتواها والتعرف على اليهود فى مصر ونشاطهم الاقتصادى والاجتماعى وعلاقاتهم بالماسونية والقوى السياسية واتصالهم بالجماهير بوسائل متعددة منها الاتصال الشخصى والكتب والمجلات واستخدام كل الأساليب للترويج والدعاية الصهيونية واقناع اليهود فى مصر بالهجرة إلى فلسطين ولإقامة الدولة اليهودية ، كما استخدم اليهود اسلوب التأثير النفسى والإحساس بالقلق واستغلال الدين والتاريخ ، والتشكيك فى قدرة العرب واعلاء الكيان اليهودى والدعاية لهم .

كما أبرزت الباحثة فى رسالتها الأهمية التى علقت عليها الصحافة اليهودية اختيار مصر دون الوطن العربى ، وذلك لأن مصر أولا كانت بها جالية يهودية كبيرة منها ماهو أجنبى وماهو عربى يتكلمون اللغة العربية وبإمكانهم مساعدة الحركة الصهيونية فى تنفيذ استراتيجيتها بوسائل الاقناع المختلفة وقدرتهم على فهم العقلية العربية اليهودية وبذلك يسهل اقناعهم للهجرة إلى فلسطين .

ثانيا وضع مصر السياسى والاستراتيجى وتأثيرها على كل اليهود الموجودين فى الدول العربية وقدرتها على كسب الرأى العام



وقدرتها على الأتصال بالمنظمات الصهيونية وقد كانت الصحافة هى أفضل الوسائل للقيام بهذا الدور لما لها من قدرة على مخاطبة الجالية الفرنسية واليهود الناطقين بهذه اللغة وقد وصل عدد الصحف اليهودية فى هذه الفترة إلى ٣٤ صحيفة .

وقد أبدى الدكتور "نوار" ملاحظة عن المنهج التاريخى الذى لجأت إليه الباحثة وتساءل عن قصدها من ورائه فأوضحت بأنها قد إستخدمته لتتبع الصحف الصادرة فى فترة البحث ومن هذا التتبع إستطاعت رصد الظواهر والموضوعات والتطورات حتى وصلت إلى هدف البحث وهو أن هذه الصحف كانت فى خدمة الحركة الصهيونية .

كما أبدى الدكتور التهامى ملاحظة عن انه كان على الباحثة أن تهتم بالجانب الإعلامى أكثر من الجانب التاريخى ، وإنتقد عدم تعرضها للشخصيات الصحفية الهامة التى عملت فى الصحافة اليهودية فى مصر ، وقال إنها كان من الواجب أن تكتب فصلا كاملا عن الموضوع . كما بين أنها لم تهتم بمسألة الإخراج الفنى للصحافة فى هذه الفترة ، وقال إن هذا نقص فى الرسالة .

وفى نهاية المناقشة نالت الباحثة درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى .

قطب بسيونى

ذكـــرى

على قنديل : إحتفاء ودعوة لطبع أشعاره

فى مدينة كفر الشيخ وفى الرابع عشر من أغسطس إعتادت كوكبة من الشعراء والنقاد ولاحدى عشرة سنة مضت الإحتفال بذكرى الشاعـر الموهوب « على قنديل » الذى أودت بحياته عربة طائشة وهو الذى كان واعدا بعطاء متميز أثبت جدارته بل وتفرده بين نتاج الشعراء الجدد .

ولأن الشعراء يعانون أكثر من غيرهم من المبدعين ، إن يكن على مستوى النشر أو على مستوى التناول النقدى فإن إحتفال هذا العام تميز بنغمة يسودها الأسى لوضع الشعر والشعراء الأمر الذى دفع الشاعر "محمد عفيفى مطر" للتعبير عن هذا الحال فى كلمته التى إفتتح بها مهرجان على قنديل ، وجعلها مناسبة للتأكد على حماية الإبداع الحقيقى ، فى مواجهة النشر الردىء .

محمد عفيفى مطر



وتجيء كلمة القاص والكاتب خيرى شلبى لتؤكد من ناحية أخرى على أن تجربة على قنديل وإن كانت قصيرة إلا أنها من وجهة نظرى قد أدت دورها ، وأكبر دليل على ذلك هو هذا التجمع الذى ضم أكثر من عشرين شاعراً وكاتبا ، ليصبح على قنديل مصدراً للتواصل فى حياته وبعد مماته ، وهذا فى حد ذاته قيمة لابد من أن نحافظ عليها .

وتحدث خيرى شلبى عن دور مجلة "سنابل" التى كانت تصدرها كفر الشيخ والتى كان على قنديل واحدا من ثمارها ، حيث إستطاعت تلك المجلة أن تلعب دوراً كبيراً فى تنمية مواهب عديدة تتواجد الآن بقوة فى الساحة الأدبية .

كثيرون هم الشعراء الذين تداولوا شعر على قنديل وألقوا الأشعار بالمناسبة ، أحمد الحوتى ، وأمجد ريان ، وسهير عوض ، وعزة موسى ، وأحمد سماحه ، وعلى عفيفى ، وغيرهم وقد قرأ حلمى سالم دراسة سيد حجاب عن الشاعر الراحل ، كما أختتم المهرجان بدعوة للإكتتاب من أجل نشر أشعاره التى لم تنشر وإعادة نشر ديوانه الذى نفد منذ سنوات .

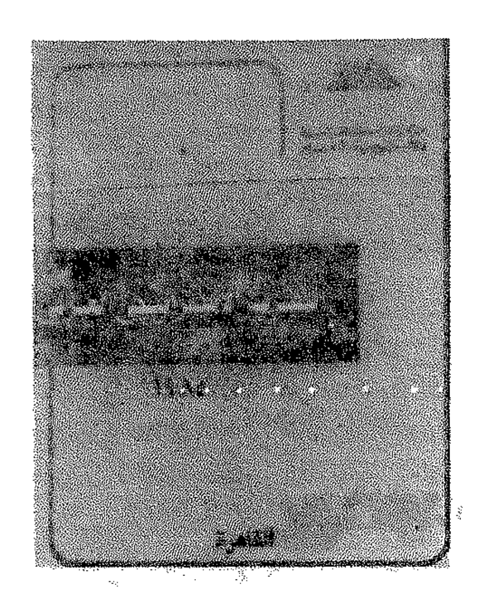
من اجواء على قنديل نسوق ختام أخر قصائده عن « القاهرة » التى يقول فيها :

ساعة تدق
الوقت متأخر والسماء تترك الغرفة
للأجنحة السوداء ينثرها طائر الرعب
الأليف
....
آه ، شريط القطارات/ يخرجون للشوارع نزفا/ من جرح أبله/ يسابقون الضوء الخائب
ويقدمون من سقطة إلى أخرى كالديدان المشرقة .

عبد الدايم الشاذلى
كفر الشيخ

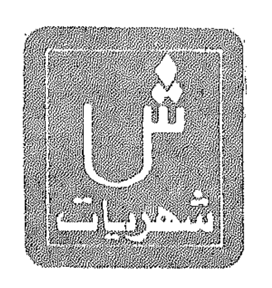
استراتيجية

التقرير الاستراتيجي العربي حدث فكرى هام



يعد صدور « التقرير الإستراتيجي العربى الأول » حدثا فكريا هاما قامت به مجموعة من الباحثين الجادين من خبراء مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام بقيادة مديره المفكر المعروف السيد ياسين .

فهو أول تقرير إستراتيجى يصدر عن رؤية عربية للنظام الدولى والنظام الإقليمى العربى والمجتمع المصرى وهو بذلك يجمع بين دفتيه خلاصة خبرة باحثى مركز الدراسات الذى انشىء عام ١٩٦٨ ، وتطور عبر الزمن ، حيث لم يعد ومنذ عام ١٩٧٢ يقتصر على دراسة الصهيونية



والمجتمــع الإسرائيلى والمشكلــة الفلسطينية والإستراتيجيــة بشكل متكامل .

وقد أنبنى التقرير على جانب نقدى تجاه النموذج الأســاسى الغربى للدراسات الإستراتيجية الذى أصبح موضع شك وتساؤل من قبل الباحثين العرب وباحثى العالم الثالث ، وقام على أساس الطموح إلى "صياغة مفهوم جديد للإستراتيجية والدراسات الإستراتيجية ، ينهض على السمات المتميزة للمشكلات التى تجابهها دول العالم الثالث" التى يعد من أبرزها خاصية أن مصادر التهديد للأمن تأتى من مصادر مختلفة بعضها داخلى (وهى التى يضعها التقرير فى المقدمة) وبعضها خارجى ، ثم تبرز عوامل الإفتقار إلى التكامل القومى ، والإجمــاع القومى حــول تعريف المصالح والأهداف وترتيب أولوياتها على المدى القصير والمدى الطويل .

هذا بالاضافة إلى ضعف معدلات المشاركة السياسية ، الذى هو ـ كما يقول التقرير ـ أصل المشكلــة . فالإنقسامات الحادة بين الجماعات السياسية والترديد اللفظى للشعارات الأيديولوجية يؤدى إلى ظاهرة عدم الإستقرار السياسى الذى يستدعى فى كثيــر من الأحيــان تــدخــل العسكريين مما من شأنه أن يعوق التنمية السياسية .

وبالإضافة أيضا إلى أن شرعية جهاز الدولة تصطدم بـالأساليب المتخلفة عن نظام الدولة الحديث ، وقد أدى هذا إلى أن هذه الدول تكاد تكون معوقة بالنظر إلى قدراتها فى التعامل الفعال مع النظام الدولى .

بالإضافة إلى عاملين أساسيين يدوران حول مسألة الصراعات غير المحلولة ، وآثار الميراث الإستعمارى ومسائل الفقر وإنخفاض مستوى التنمية وندرة الموارد .

وقد تركز التقرير حول محاور ثلاثة ، إنطلاقا من محور « النظام الـدولى » الإقليمى ، ثم « النظام الإقليمى العربى » ثم إستطرد فى الأبعاد الخاصة بمصر ليخصص جزءا هاما من البحث .

إن هذا التقرير الهام يستحق أن يضعه الجميع فى الاعتبار كخطوة علمية رائدة فى سبيل صياغة نموذج جديد للتفكير الإستراتيجى يصلح لتناول مشكلاتنا الأساسية بأبعادها المرحلية والمستقبلية .

مجــــلات

أوراق عربية

نشاط ملحوظ تقوم به عدة دور نشر مصرية خاصة فى مجال إصدار مجلات فكرية وثقافية متخصصة .

فبعد صدور "قضايا فكرية" و "الغد" و "فكر" أصدرت دار المستقبل العربى العدد الأول من "أوراق عربية" برئاسة تحرير محمود المراغى .



ويكتب الناشر محمد فائق إجابة عن السؤال : أوراق عربية لماذا ؟ قائلاً :

كان أمامنا ذلك الواقع المتردى على طول الساحة العربية ، وكانت أمامنا تلك الحيرة التى تنتاب المواطن العربى بحثاً عن إجابة السؤال الخالد . ماالعمل ؟ .

وكانت أمامنا خريطة الواقع المصرى . خمسون مليونا من البشر وبما يجعلهم أكبر كتلة سكانية فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، وهى كتلة ينظر لها البعض من زاوية انها ثروة بشرية وفنية وعلمية ومهنية ضخمة ، وينظر لها البعض من زاوية ماترتبه من أعباء لأزمة توفير حياة كريمة يعيش فيها الإنسان ويتنفس .

وكانت الخريطتان معا .. تشيران إلى حقيقة تقول أننا نملك موارد ضخمة ، ومشاكل اضخم ، ومهمتنا إستخدام الموارد وإدارة المشاكل .

من هنا فإن أوراق عربية هى للحاضر والمستقبل والبحث عن طريق وهى تخاطب عموم المثقفين كما تخاطب متخذي القرار والباحثين عن معرفة أعمق ورأى أشمل .

يضم العدد نصوص المداخلات التى تقدم بها عدد كبير من الكتاب والمفكرين العرب فى ندوة (٢٣ يوليو) قضايا الحاضر وتحديات المستقبل ، التى اقامتها الدار نفسها .

ونقرأ لاحمد بهاد الدين الإستقلال والتبعية ، ومحمد حستين هيكل "الناصريون" ومحمود المراغى "فى الأزمة المصرية" وأمين هويدى "الشرق الأوسط فى الثمانينيات" وسامى منصور "إنهيار القانون الدولى" ، وغيرهم كما يضم العدد وثيقة هامة تنشر لأول مرة عن "الثورة الإيرانية وعبد الناصر" .

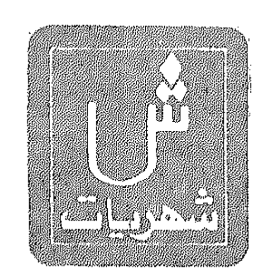
اشارات ثقافية

بعد محمود درويش سميح القاسم وعبد الرحمن منيف فى طبعات مصرية



سميح القاسم

بعد آن أصدرت دار الكلمة للنشر (فرع القاهرة) مجموعة محمود درويش "هى أغنية هى اغنية" كأول



نشاط لها فى مصر ، تصدر الدار المذكورة مجموعة شعرية أخرى للشاعر الفلسطينى البارز سميح القاسم أول مجموعة تصدر له ، أيضا فى مصر .

المجموعة ستحمل عنوان "شخص غير مرغوب فيه" وستكون بين يدى القراء فى نوفمبر القادم .

ويبدو أن عدداً كبيراً من الكتاب العرب المعروفين بدأوا يتوجهون بعد إنقطاع دام سنوات ، لنشر أعمالهم فى مصر مجدداً .

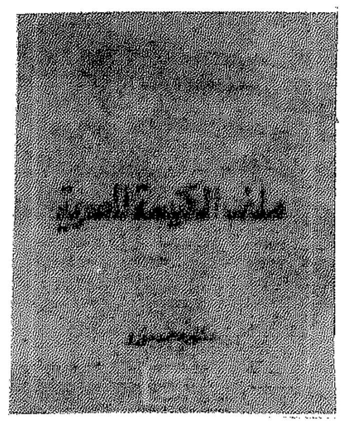
فقد تم الإتفاق بين دار الهلال والكاتب السعودى الأصل "عبد الرحمن منيف" ، المقيم حاليا فى باريس لإصدار طبعة جديدة من روايته "النهايات" ستصدر فى روايات الهلال .

وهى أول عمل للكاتب المعروف يصدر له فى مصر ، منذ آثار إهتمام قراء الرواية فى نهاية الستينات بروايته "الأشجار وإغتيال مرزوق" .

كذلك بدأت الهيئة المصرية العامة للكتاب فى تنفيذ مشروع نشر مشترك مع مؤسسة النشر الوطنية العراقية لتصدر طبعات للقارىء المصرى لكتاب عراقيين وتصدر الدار العراقية لكتاب مصريين .



الكتاب : ملف الكنيسة المصرية .
المؤلف : د . محمد مورو
الناشر : كتاب المختار
٢٤ ص . ٢٥ ق م

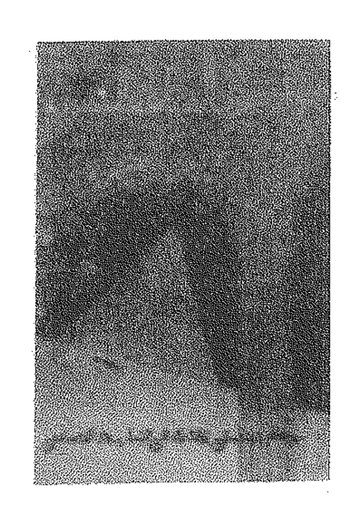


يستعرض المؤلف بكثير من الموضوعية ورحابة الصدر تاريخ "الكنيسة المصرية" ، ويرى أن خطها الرئيسى يتميز بأنها كنيسة عريقة ، أقدم من كل الكنائس الأوربية ، مستقلة فى عقائدها ، تختلف إختلافاً كاملاً عن الكنيسة الأوربية .

وهى ذات تراث محدد فى الإبتعاد برعاياها عن الصراع السياسى ، كما أنها عانت من الإضطهاد ومحاولات التذويب على يد الرومان والصليبيين والإستعمار ، وهو يرى ان ذلك الخط الهامشى الذى أراد الخروج عن الإجماع القبطى سرعان ماكان يذوب دوما فى الجسد السليم

المعافى ، وتصبح المخاوف التى يبديها حول من أسماهم "الإنتلجنسيا القبطية" الجديدة مخاوف يمكن وضعها فى نفس هذا الإطار : إطار سلامة الجسد القبطى الكبير من داء الطائفية والنزعات الإنعزالية .

والرجاء أن تكون هذه الملاحظة ، مقصود بها التأكيد على التحالف الوطنى كما جاء على لسان المؤلف ، ويبقى أى خروج على ذلك من أى من الأطراف هو خروج على العقد الإجتماعى الذى إرتضاه أعضاء المجتمع المصرى عبر تاريخهم الطويل .



الكتاب . فى أصول السياسة المصرية
المؤلف : سعد زهران
الناشر : دار العربى
٢٥٦ ص ، ٤٥٠ ق م

بعد عودته للعمل الفكرى يكتب سعد زهران وهو الذى عرف كواحد من رجال العمل السياسى منذ قيادته للإضراب الكبير للمعلمين عام ١٩٥١ الذى مهد لإنشاء نقابة المعلمين ، يستخلص فى كتابه هذا الذى وصفه بأنه "مقال تحليلى نقدى فى التاريخ السياسى" خبرة فكرية عميقة كانت ابنة للتعامل المحسوس مع الواقع من جهة ، وحصيلة للخبرة الثقافية عبر مراحل عمله فى الحياة العامة ، الأمر الذى يجعل الأساس التاريخى لهذا الكتاب يقوم على عوامل موضوعية مستمدة من الاعماق الحضارية لمصر كبلد متميز عبر العصور ، مر تطور تاريخه السياسى بمراحل متداخلة ومعقدة يستحيل معها اللجوء إلى أى تحليلات نظرية قائمة على أسس أوربية لتكون أداة تحليل لوقائع التاريخ .

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من مشروع فكرى للمؤلف يؤمل أن يتبعه جزء عن الناصرية ثم عن عصر البترول .



الكتاب : احتضار قط عجوز
(مجموعة قصص)
المؤلف . محمد المنسى قنديل
الناشر : الهيئة المصرية العامة
سلسلة مختارات فصول
١٢٨ ص ، ٥٠ ق م

على الرغم من أن محمد المنسى قنديل كاتب غزير الانتاج عرفه قراء القصة فى مصر والعالم العربى عبر عشرات القصص المتميزة إلا أن هذه أول مجموعة تنشر له فى كتاب .

تضم هذه المجموعة ثلاث قصص طويلة أحداها هى

عنوان الكتاب يتبعها قصتا "عصر الحديد والخردة" و"الفتاة ذات الوجه الصبوح" .

تتميز المجموعة بتلك النكهة المميزة لعوالم الأشخاص الذين ساقتهم الأقدار للدخول فى معركة مع أدغال المدينة المتوحشة ، بأسلوب بسيط جذاب يتميز به هذا الكاتب الذى يبدو أنه إستفاد كثيراً من تعامله مع التراث .



الكتاب : كيف يصنع القرار فى الوطن العربى

المؤلف : د . ابراهيم سعد الدين

د . محمد السيد سليم

د . وليد خدورى

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الأمم المتحدة

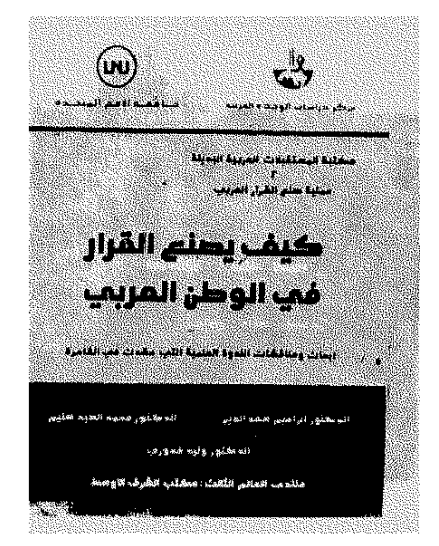
٢٦٠ ص . ٦٠ ل ل

هذا هو الكتاب الثانى من سلسلة "مكتبة المستقبلات العربية البديلة" التى يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ، وقد ضم بين دفتيه خلاصة لأعمال ندوة صنع القرار فى الوطن العربى التى أقيمت بالقاهرة يومى ٢٤ ، ٢٥ نوفمبر عام ١٩٨٤ ، وحضرها عديد من الباحثين والمفكرين وبعض صناع القرار أو الذين كانوا بالقرب من عملية صنعه إبان حدثين تاريخيين :

الأول قرار تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، والثانى قرارات حظر تصدير النفط العربى والحد من إنتاجه فى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد قام الدكتور إبراهيم سعد الدين بصياغة خلاصة الندوة التى إنبنت على ورقة نقاش قدمت للمناقشين ، وقام بإبراز أهم مادار فيها من مناقشات وإتجاهات مع الحرص على عدم إسناد قول لقائل أو إستبعاد أى رأى أو مداخلة ، ومع السعى لأن يعكس الملخص بقدر الإمكان الروح المفتوحة للنقاش والتجربة الغنية للمشاركين فيه .

أما الدراستان اللتان يضمهما هذا الكتاب فقام بأولاهما الدكتور محمد سليم عن قرار تأميم القناة والدكتور وليد خدورى عن قرار حظر البترول .



وكان المقصود بالندوة والدراستين والمناقشات التى دارت حولهما وحول ورقة النقاش هو محاولة استيضاح اسلوب صناعة القرار فى الوطن العربى فى ضوء الخبرة الغنية للمشاركين ، وأستخدمت الحالات موضع الدراسة كخلفية لإرشاد وتوجيه المناقشات .

ويأتى هذا العمل الجاد

فى إطار مشروع بحثى حول المستقبلات العربية البديلة يستهدف تحريك إهتمام الباحثين وصانعى القرارات فى الوطن العربى تجاه إيضاح أن المستقبل العربى ليس قدرا محتوما يتوجب علينا التسليم به بل هو الحصيلة التراكمية لما يتتابع من الأحداث وعمليات التغيير النابعة من المجتمع أو الوافدة عليه ، وإبراز قدرة العرب على الإمساك بمستقبلهم فى أيديهم وبناء نموذجهم الحضارى والتنموى المستقل .

ويضم الكتاب أيضا نص الفرمان الخاص بإمتياز إدارة مرفق المرور بقناة السويس وبتأسيس الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وقانون تاميم القناة ، الأمر الذى يضفى بعدا وثائقيا متزايدا للكتاب .

الكتاب حجر دافىء

(رواية)

المؤلف . د . رضوى عاشور

الناشر : دار المستقبل العربى

٢١٨ ص . ٤ ج م



هذه الرواية أشبه بلوحة زيتية من تلك الرسوم الواقعية التى تهتم بكل التفاصيل والدندشات : أغصان الأشجار وأوراقها وقد أوضحت خطوط الطبيعة عليها ملامح الوجه المتعب لأمراة عجوز مرهقة ، أو مدرسة شابة تمشى فى الحقول ، أو أيدى وقبضات "الثائرين" ترتفع مضمومة ومع أفواههم المفتوحة تبدو بقع اللون وقد تناثرت علي خلفية اللوحة رمزاً مباشراً للأمل .

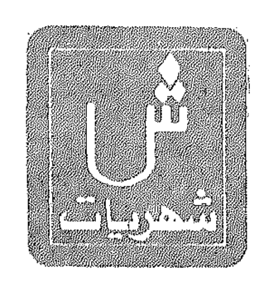
لوحة واقعية طبيعية تهتم "بكرنشات" الملابس ، ثنايا الستائر ، وتلك التفاصيل الصغيرة التى يهتم بها الفنانون الطبيعيون .

ونقرأ : وجه أبيض مستدير وجسد ممتلىء وشعر مصبوغ بالحناء وحاجبان رفيعان مقوسان كأنهما خطا بقلم ونظرة فاحصة فى العينين المكتحلتين ..

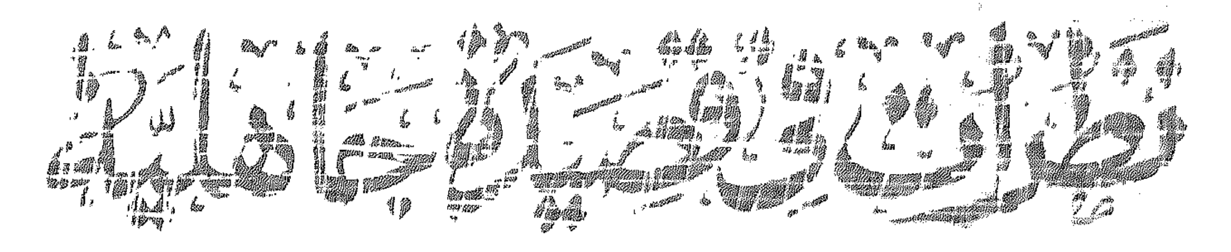
ونقرأ : ثم أتت "الستات" سنية التى تلبس الباروكة وتوصلها إلى منتصف جبهتها وعليه التى تلبسها وتترك شعرها مشعثا بشكل لافت .. بعدها أتت الدكتورة .. ممتلئة الوجه والصدر والأرداف تماما كالناظرة وشعرها مثلها أيضا مصبوغ بالحناء ولها نفس العينين المكتحلتين والنظرة الفاحصة .

وتمشيا مع سياق هذه النظرة الواقعية ـ الطبيعية ، التى تتراوح بين التحيز لهذه المدرسة أحيانا وتلك المدرسة أحيانا أخرى تدور الرواية حول آمال وآلام أسرة متوسطة تكاد تكون نموذجاً مدرسيا لها : طرف منها يتمسك بالوضع القائم حاملا كل معتقدات الطبقة الوسطى ، وطرف آخر ينمو نحو الخروج من الأزمة : بالعلم أو الإحتجاج الطلابى ، أو الخروج إلى الغرب ، بغية التحرر من القيود والآفاق المحدودة التى تميز رؤية هذه الشريحة .

ويبقى أن نذكر بأن ممارسة الكاتبة لشكل القصة القصيرة قد أثر فى أول عمل روائى لها ، الأمر الذى يعطى الإحساس بإقتراب هذا العمل من منهج الدوائر القصصية المتلاحقة



الرمز الشعرى وتجربة البحث عن الحقيقة عند زهير بن أبى سلمى:



بقلم: د. السيد ابراهيم محمد

هذه جملة من الملاحظات حول قصيدة جاهلية معروفة لشاعر جاهلى معروف ، وهو الشاعر زهير بن أبى سلمى صاحب القصائد التى كانت تعرف بالحوليات . وقصيدته هى القصيدة الهمزية التى على بحر الوافر ، وأعنى بها القصيدة التى أولها : عفا من آل فاطمة الجواء .

وقد بدت لى هذه التأملات أثناء نظرى فى الشعر الذى قاله الشعراء فى حمار الوحش ، فراعتنى الأبيات التى قالها زهير فيه ، ثم استطردت منها الى سائر أبيات قصيدته ، فرأيت بينها اتصالا ، ووحدت المعانى ينعكس بعضها على بعض ، بحيث انك لاتكون قد تعرفت على طبيعة الفن وطبيعة العمل الشعرى إذا أنت تصورت أن كلام زهير عن الحمار الوحشى لاصلة له بما يتناوله فى القصيدة من قضايا كبحثه لقضية " الحق " الذى جعل له محكات ثلاثا ، أو أنه لاصلة له بتجربة الشاعر مع المحبوبة أو تجربته مع الخمر وغير ذلك .

وسوف يرى القارىء لونا من فهم الشعر العربى قد يظن به السوء إن هو لم يعاود النظر فيه مرة بعد مرة حتى يصير له به ألفة يعادل بها ماعنده من ألفة لألوان اعتادها من التفكير والنظر الى الشعر .



وينبغى ان ننتبه أولا إلى أن موضوع الحمار الوحشى يتناوله شعراء العربية على أنحاء شتى ، وليس الأمر على الغفلة الظاهرة فى قراءة الشعر العربى القديم . ولزهير خمسة عشر بيتاً فى الحمار الوحشى يظهر عند قليل من النظر أنه أنما يعنى فيها بفكرة محددة ، هى فكرة " الاباء " أو المنع أو مايصور هذا المعنى مما تختار من ألفاظ . فزهير يقول عن الحمار : " له من كل ملمعة إباء " وهو يتعقب هذه الفكرة من خلال تصوير العلاقة بين العير (= الحمار) والأتان (= أنثى الحمار) وهو محدود بفكرته وببحثه عن الصور الفنية الملائمة للتعبير عنها ، وليست المسألة مفتوحة لكل مايقال عن الحمار الوحشى . وفى رأينا أن هذا هو المحك بين الشاعر الفحل وسواه من ناظمى الكلام. .

وسوف يبدو الكلام عن الحمار الوحشى ثرثرة خالية من المتعة العقلية والشعورية مالم نعاود النظر مرة بعد مرة وتجريب الأبيات فى كل مرة على مانصل إليه من أفكار عند تحليلها ومظاهرتها بعضها ببعض . ولابد من قراءة أبيات القصيدة بعضها فى ضوء بعض ، فإن ذلك يميط اللثام عن كثير من الأبيات التى يبدو أمرها ملغزا . خذ لذلك مثلا قول زهير :

فإنكـــم وقومـــاً أخفروكـــم
كالديبـاج مـال بـه العبـاء

قال ابن قتيبة : " أخفروكم : جعلوكم خفراء . وكالديباج مال به العباء أى غلب عليه . ولم أرهم يثبتون البيت لزهير . وقد سألت عنه فلم أرد على هذا التفسير . ثم

يظل أمر البيت بعد ذلك ـ بل بسبب ذلك ـ محيرا .

ان زهيرا يستخدم قصة الحمار الوحشى فى قصيدته ليخدم الفكرة التى يعالجها فى القصيدة ، وهى فكرة " انكشاف الحقيقة " ان العلاقة بين الحقيقة وطالبها علاقة مثيرة قائمة على الانكشاف التدريجى القائم على الاجتهاد المستمر والنشاط الدائب الخلاق الذى يبذله الطالب ، فهى لاتكشف عن نفسها لمجرد طلبها ، ثم هى لاتكشف عن نفسها لكل طالب ، بل تظل العلاقة قائمة على التوتر والمراوغة . والنتيجة متوقفة أساسا على أهلية الطالب واستحقاقه . وأنا أقرأ التجربة الابراهيمية فى إطار تجربة الحمار الوحشى عند زهير فتزداد كلتا التجربتين ثراءً وخصوبة وإشعاعا بالمعانى . والذى يسوغ لى ذلك أن زهيرا كان ـ على وجه اليقين ـ مشغولا بهذه التجربة ، فقد كان ذلك معروفا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ولزهير خاصة . فنحن نعرف أن زهيرا كان على الملة الحنيفية ، ولابد أنه عرف شيئا كثيرا عن تجربة ابراهيم الخليل . إن هذه التجربة فى الاتجاه الى الحقيقة وطلبها وتلمسها فى مظانها لمما يحتاج اليه هنا فى فهم مايريد زهير ان يبثه فى قصيدته من خلال تجربة الحمار والأتان . والحمار الوحشى هنا طالب للحقيقة المراوغة " الملمعة " فالأتان الرافضة هى نفسها الحقيقة الممتنعة : " له من كل ملمعة إباء " .

وفى المعانى الأولى ـ التى هى مادة للنشاط الشعرى ـ الملمعة هى التى أشرق ضرعها للحمل . والأتان اذا وسقت ـ أى جمعت ماء الفحل فى رحمها ـ آرتجت ، أى أغلقت رحمها على الحمل فلا يستطيع الفحل أن يصل إليها . وهذا المعنى كثير فى الشعر ، ومنه قول الشماخ عن الحمار

شــج بالريق أن حرمت عليه
حصان الفرج واسقة الجنين

أى شجى الحمار بريقه لأنها صارت حراماً عليه بسبب حملها . والالماع فى الأصل صفة الضرع ، فإشراقه من امتلائه باللبن ، أى له من كل ملمعة الضرع اباء . ولكن يمكن أن يقال ان المعنى انتقل فصارت الصفة للأتان ، وصار الالماع نوعا من الوعد بالثمرة المتحصلة من اتصال الطالب بها . ثم أنه يمكن أن يجر المعنى بعد ذلك الى الوعد أو التخييل للطالب بامكان الفوز أو الاتصال . وهذا جائز وله أمثلة كثيرة فى الاستخدامات اللغوية التى تنتقل فيها الدلالة من معنى الى معنى : فالالماع من الأتان وعد أو إيماض بالاتصال وإلماع الحقيقة إشارة الى انكشافها وإغراء للطالب بمواصلة السعى والطلب . ولكنه إذ يجد فى طلبها تجد هى كذلك فى الهروب :

فليس لحاقــه كلحاق إلف
ولا كنــجائهـاً منــه نجــاء

اى لايباريه أحد فى الطلب ولايباريها شىء فى الهرب . ولكن هناك مايومىء إلى ان هذه المراوغة سوف تنتهى بفوزه لأنه مؤهل لذلك :

يفضلـه إذا اجتهـدت علـــيه
تمـــام السن منــه والذكــاء

وقد قيل فى تفسير الذكاء إنه السن ومنه قيل : جرى المذكيات غلاب . والمذكيات من الجياد : المسان اى التى بلغت تمام السن فهى أجدر بأن تفوز وكان ابو عمرو ـ وهو من كبار العلماء باللغة والشعر ـ يقول : ذكاء النفس فى هذا البيت أحب الىّ ، يذهب الى حدة نفسه وذكائه ـ كما يقول الشراح . وأنا أميل إلى ماكان يميل اليه أبو عمرو ، فالصفتان ثابتتان له . اما عن تمام السن فقد جاء فى القرآن : ولما بلغ أشده واستوى أتيناه حكما وعلما » فقرن الحكمة والعلم إلى النضج والاستواء . وقد ذكرت فى صدد كلام زهير كلاما لبعض الفلاسفة ، وأعني به صاحب كتاب « هكذا تكلم زرادشت » وأظن الرجوع الى كلامه مفيدا فيما نحن بصدده ، فقد قرن النضوج الى تمام السن واستنكف أن يأتى النضوج قبل أوانه . ومن هذه الجهة كان المسيح ـ بزعمه ـ قد مات ولم يبلغ النضوج قال : « المسيح قد مات قبل أوانه ، ولو أنه بلغ العمر الذى بلغت ـ والكلام هنا على لسان زارا او زرادشت الذى انطقه المؤلف بكلامه ـ لكان جحد تعاليمه . وقد كان له مًن النبل مايكفيه لاقتحام العدول عنها ، ولكنه لم يبلغ النضوج ونحن وإن كنا لانوافقه فى كلامه عن المسيح ، فإنا لانستنكر كلامه عن تمام السن والنضوج ، فذلك شرط الحكمة على أى حال .

● دلالات مرادة ●

وفى مطاردة الحمار والأتان يرتفع ماتثيره بحوافرها من الأرض أثناء الجرى ، فتلقيه على وجه الحمار ، ولكن ذلك لايبلغ ـ فى قصيدة زهير ـ مبلغ الغطاء الذى يحجب الرؤية :

يخـر نبيثهـا عـــن حاجبيه
فليس لوجهـــه منـــه غطــــاء

وللكلمات هنا دلالات مرادة ، وليس الأمر ثرثرة تقال عن الحمار او تسجيلا لماتقع عليه عين الشاعر ـ كما يريدنا على ذلك أصحاب مذهب « الكسل العقلى » فى فهم الشعر ، ولنفصل الأمر فى هذه المسألة حتى نكون أمام مثل لما نريد أن نبينه فى هذا الموضوع . لقد تحدث غير واحد من شعراء العربية عما يثيره جرى الحمار والأتان أو الأتن من تراب ، فجعله بعضهم كالملاءة التى يلتف فيها الحمار تارة ثم يلقيها الى صاحبته تارة أخرى : « يتعاوران من الغبار ملاءة » وجعله الأخطل قريبا من ذلك حين شبهه بهداب الملاء حيث قال عن الحمار :

يتبعه مثـل هـداب الملاء له
منهــا أعاصير مقطوع وموصـول

وجعله الشماخ كالسرادق فى قوله :

وهن يثرن بالمعزاء نقعا
تـرى منه لـهـن سرادقـات

وكالنار التى تشب فى قوله :

فولت وولى العير فيها كأنما
يلهب فى آثارهن ضريم

وهذا كقول لبيد يصف الغبار المتصاعد منها :

... ...
كدخان مشعلة يشب ضرامها

وكقول بعض شعراء هذيل يصف الجرى نفسه ـ وقد تكرر هذا المعنى فى أشعارهم : « كوقع الحريق بيبيس الأباء » (يعنى بالقصب اليابس) . ولو شاء زهير أن يجعل التراب كالملاء أو السرادق أو دخان النار المشعلة أو غير ذلك لفعل ، فهذه كلها صور من الممكن أن تكون مختزنة فى خياله . أما أن يقال إنه يصف فى القصيدة صورة بعينها رآها فى حياته ، ولأن التراب في هذه المرة ناشىء عن حفر الأتان بحوافرها فلا يبلغ التراب فى ارتفاعه أن يكون كالسرادق أو الدخان لأن الأرض ليست بالسهولة المناسبة لذلك ، فهذه سذاجة بالغة وسوء فهم لطبيعة الفن . ولكن زهيرا لايستطيع أن يجعل التراب كالملاء إلا لو أراد أن يجعل طالب الحقيقة فى عماية تامة تلفه كالملاءة ، أو ما إلى ذلك من المعانى التى يمكن أن يمثلها الملاء . ولايستطيع أن يجعله سرادقا إلا لو التفت إلى معنى يشير اليه السرادق . ومثل ذلك يقال فى الباقى .

ولكن ما الذى يعنيه الملاء أو السرادق أو النار المشعلة أو الدخان .. هذه اسئلة ليست الاجابة عليها هينة ، ولايستطيع أحد الادعاء بمعرفة ذلك دون الاستعانة بجميع ابيات القصيدة التى يقع فيها ذلك والنظر فيها نظرا مستمرا ، فإن للتراب الذى تثيره الحمر فى جريها معنى عند لبيد غيره عند الشماخ وغيره عند غيرهما من الشعراء .

أو قد يقال ان الشعراء يكررون المعانى أو التشبيهات بهيآتها . وهذا أيضا من فساد النظرة السطحية الى الشعر ، إذ كيف يعمد الشاعر الى ان يقول ماقد قيل من قبل دون أن يكون له من وراء ذلك مقصد . إن عبقرية الشاعر قد تظهر من خلال فعله ذلك ، لا من خلال تركه . إنه يلجأ الى مادة قد تكون مطروحة من قبل او متداولة ، ولكنه يعيد تركيبها فى سياق جديد ومختلف ، لقد شاع القول بأن شعراء العرب يكررون انفسهم ويعيدون ماسبق ان قيل . وهذا الكلام انما نشأ من عدم الالتفات الى اسرار كل عمل شعرى ومحاولة فتح مغاليقه والولوج الى عالمه والاغترار بالتشابه الظاهر فى الألفاظ والمعانى . مثل ذلك بالمادة التى يحتاج اليها المهندس

فى بنائه . إن هذه المادة لاتدل على عبقرية المهندس إلا بعد أن توضع فى شكل وقد يمكن ان يسوى هذا الشكل الذى يقال له طراز من المعمار ـ من اى مادة كالحجر او الخشب او غير ذلك ، وكلها لايلتفت اليها اذا وجه البحث الى عمل المهندس . والى طريقته فى البناء . وقد يصنع طرازان مختلفان من البناء من حجر واحد !

ولنعد الى كلام زهير مرة اخرى ، فقوله :

يخر نبيثها عن حاجبيه

فليس لوجهه منه غطاء

قصد فيه إلى مسألة سقوط التراب وانهزامه عن عينى الحمار : « يخر » . فلولا ان كان الحمار مؤهلا لهذه المواجهة ، ولولا ان كان طالب الحقيقة بحيث يؤهله استعداده لما هو بسبيله ، لجاز ان يلبسه ثوب تام من التية والعمى والضلال .

والنبيث : تراب الحفرة اى ماتحفره الأتان بأرجلها فتلقيه على وجه الحمار ، وهذا كله رغبة منها فى التعمية عليه وصده ، فان لم يقل الشاعر ذلك صراحة ، فقد قاله فى بيت آخر ـ فى الكلام عن البقر الوحشى :

يشمن بروقه ويرش أرى

الجنوب على حواجبها العماء

اى ينظرن الى البروق فيرش العماء ـ وهو السحاب الرقيق ـ المطر الذى تثيره ريح الجنوب على حواجبها .

● ضرورة القافية ●

ولا يذهبن بك الظن الى ان الشاعر ينتقل من موضوع الى موضوع لاصلة له به . فان تجربة البقر والبروق انما هى صورة اخرى من صور الطلب والضن بالمطلوب ، لأن البقر اذ يشيم البروق لايستجيب له الا العماء الذى يرش على حواجبه من عنده ، فكأن العماء يرش عليه من « العمى » ليحجبه عن الرؤية . ولنلخص الموقف بعبارة اخرى : هناك رغبة فى الرؤية وتطلع ، وهناك رغبة تعاند ذلك ... هناك مايريد أن يثنى هذه الرغبة فى الرؤية او الاجتلاء ويكفها ويمنعها . هناك رغبة فى رؤية البروق التى تظهر وتختفى وكأنها الأتان الملمعة ، وإلماعها كالماع البروق ، ثم هناك الاعماء ، هى تنظر وشىء مايريد ان يعميها عن النظر . هذا موقف ينبغى لك ان تطيل تأمله جدا .

واختيار كلمة « العماء » لمناسبة ، فان الكلمة مقصودة لذاتها ، لما فيها من الاشارة الى حجب الرؤية ، وليس الأمر على ماذهب اليه الأعلم الشنتمرى ، حيث قال : « ولم يقصد ! ! » إلى العماء لمعنى ، انما اراد السحاب ، فاضطرته القافية الى العماء » . اما نحن فنقول : انه اراد العماء لمعنى لا لضرورة ، وكلام الأعلم منقوض من اساسه ، فان « العماء » مقصود اليها قصدا ولايقوم سواها عنها ، بل هى اساسية فى بنية القصيدة . ويمكن ان تكون هى المفتاح الذى يتوصل به ناقد الأدب الى فك مغاليق العمل الأدبى والكشف عن خباياه ـ على نحو مابينا فى كتابنا

« الضرورة الشعرية » ، فان فكرة العمى وحجب الرؤية والكف والمنع ، وغير ذلك فكرة سائدة فى القصيدة كلها .

ثم ان الطالب يتقلب فى مظان الحقيقة وبعضها خادع يعود منه صفر اليدين ، كما قال الشاعر عن الحمار والأتان :

فأوردها حياض صنيبعات

فالفاهن ليس بهن ماء

وصنيبعات : أسم ارض . وهذه بعينها تجربة الخليل مع الشمس والقمر والكواكب : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفل قال ياقوم إنى برىء مما تشركون » هذه هى حياض صنيبعات التى وردها الخليل من قبل « فالفاهن ليس بهن ماء » .

ومن الكلام الرائع الذى قاله زهير فى الحمار بيته :

كان سحيله فى كل فجر

على أحساء يمؤود دعاء

ويمؤوده : أسم أرض . والأحساء جمع حسى وهو موضع فيه ماء . وهذا ـ عندى ـ بيت يفيض بالمعانى والدعاء لون من نشدان الضالة وفيه أحزان مستورة · الحمار يمد عنقه بالصوت ، يدأب على ذلك ساعة الفجر من كل يوم (وأكثر مايكون الحمار نهيقا فى تلك الساعة) كأنه فقد شيئا فهو يطلبه . ولسنا نميل الى كلام الشراح فى تفسير صوت الحمار بأنه كدعاء الرجل لصاحبه ، بل نرى ذلك كقول الشاعر الهذلى فى الحمار أيضا :

... ... كأنه

إذا اهتاج فى وجه من الصبح ناشـــد

والناشد الذى ينشد شيئا ضل له فهو يطلبه .

ثم تحدث الاستجابة الصادقة ، وينكشف السعى والدعاء عن الثمرة المرجوة حين يصل الحمار الى غدران الماء الصافية البكر التى لم يصل اليها أحد قبله :

يغرد بين خـــــرم مفرطات .

صواف لم تكــدرها الدلاء

والخرم المفرطات هى الغدران المملوءة والدلاء : جمع دلو ، وهو مايستقى به الماء أما أن هذه الأماكن بكر فلقوله : لم تكدرها الدلاء ، فهذا الطالب إنما يقع على مالم يقع عليه أحد من قبل .

والشاعر يقول فى صفة الحمار : « عليه من عقيقته عفاء » والعفاء ماعليه من الوبر . وما يرادف العفاء فى قصيدة زهير خاصة أشياء كثيرة ونعنى بالمرادفة هنا

ان هناك تجارب مختلفة فى انحاء القصيدة تنكشف عند تحليل الشعر عن أمر واحد . وهذه هى حقيقة الفن . فمن ذلك : الغطاء والعماء والأباء ونفى العلم فى قوله وما ادرى . وربما يضاف إلى ذلك الأفراس « الملجمة » (لاحظ هذه الصفة جيدا) التى يصب على رءوسها الخمر ، وكأنها صورة أخرى للبقر التى يرش ماء المطر على حواجبها :

وأفراس تجاوب ملجمات

تصب على جحافلها الطلاء

(تجاوب : تتجاوب بحذف احدى التائين ، كقوله تعالى : نارا تلظى أى تتلظى . والجحافل : جمع جحفلة وهى بمنزلة الشفة للانسان والطلاء : الخمر) .. ثم ماالديباج الذى مال به العباء فى قوله :

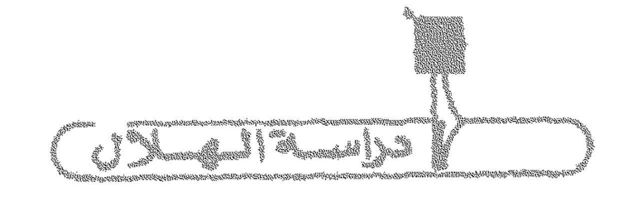
وانكم وقوما أخفروكم

لكالديباج مال به العباء

ومعروف ان الديباج الحرير ، والعباء كساء من الصوف يلبس فوق الثياب . فماذا يكون المعنى إذن ؟! المعنى أن الشىء الخسيس هو المانع الذى يحول دون ظهور الجوهر النفيس فالديباج يحجبه العباءة أى أن الحرير وهو الجوهر النفيس يحجبه الصوف . (ولاحظ أيضا أن نقض العهد ـ وهو تفسير قوله أخفروكم ـ إنما هو إخفاء)

هذه كلها صور مختلفة للحجاب الذى يحجب الحقيقة عن طالبها . وهنا مسألة لطيفة فقد جعل الشاعر هذا الحجاب أمرا ثابتا للحمار بحكم مولده . فالعقيقة وهى





شعر الولادة . إنما تؤدى هذا المعنى . ولست أفهم ذكر العقيقة هنا إلا على هذا .

وقد حاولت أن أحدد مصدر فهمي للمسألة علي هذا النحو ، فجاءت الى ذهنى فكرة أفلاطون التى قرأتها منذ وقت مبكر . وأنا أشير هنا الى أسطورة الكهف التى عمد بها الى تصوير مايشبه هذا المعنى . وقصة الكهف تصور مجاهدة الفيلسوف للوصول الى عالم الحقيقة ، ففيها نرى جماعة من البشر ولدوا فى كهف-مظلم وأعناقهم مشدودة بالسلاسل والأغلال وكذلك أرجلهم وهم لايرون فى كهفهم هذا من حقائق العالم شيئا إلا ماينعكس على الحائط أمامهم من أشباح وصور لما يمر من خلفهم من كائنات لايرونها ولايعلمون عنها شيئا إنهم مقيمون على الظن بأن الحقيقة هى مايرون ثم لاشىء وراء ذلك . ثم أنهم قد تفنى أعمارهم وهم على هذا الظن ، إلا أن يسعى بعضهم من أجل أن يخلص نفسه من الأغلال والقيود ، وذلك بالمجاهدة المتصلة ، وحينئذ يستطيع أن يدرك حقيقة الموقف . وعالم الحقيقة ـ وهو عالم المثل عند افلاطون ـ لايصل إليه إلا طالب الحكمة أو الفيلسوف .

وأنا لا أقول بعالم المثل كما قال أفلاطون . ولا أذكر هذه القصة هنا لتصوير فكرته وإنما أردت أن أظهر القارىء على نظير آخر لزهير فى أن قرن الأغلال أو الحجب الى الميلاد . وقد يستنكر القارىء أن تكون لزهير معرفة بافلاطون وإن كان كلا منا لايتضمن هذا المعني ، فإن البحث في قضية المعرفة أقدم من أفلاطون . والنبوات قديمة قدم الانسان نفسه . ولكنا مع ذلك لانستبعد أن يكون بين العالم القديم اتصال فى المعارف والثقافات نحن هنا لانثبت شيئا ولاننفيه ، فلسنا بصدد الكلام عن ذلك ، وانما كلامنا فى مسألة بعينها هى هذا الميلاد المقترن بالسلاسل والأغلال .

ثم يقول الشراح إن زهيرا إنما وصف الحمار بذلك لأنه حين بدا فى السمن انجرد من عفائه فتطاير عنه وبره . وانجراد الحمار من عفائه آية من آيات التحرر والانعتاق وهذا معنى لطيف يجعل حرص الشاعر على تصوير اجتهاد الحمار فى رعى مايجود به الربيع أمرا مفهوما . فهو قد تربع صارة ، أى أقام فى هذا المكان الذى يسمى صارة وقت الربيع يرعى الكلأ الى أن فنى مابه من الكلأ والماء ، فانتقل الى مكان آخر هو القنان والى كل مكان يدعوه إليه للكلأ الذى به وخلوه من الناس :

تربع صارة حتى اذا ما
فنى الدحلان عنه والاضاء

تربع بالقنان وكل فج
طباه الرعى منه والخلاء

وانجراد الحمار من عفائه لرعية الكلأ وسمنه أمر معروف مشهور فى الشعر العربى .

والى هذا المعنى يتجه زهير ـ عندى ـ فى قوله :

فاض كأنه رجل سليب

على علياء ليس له رداء

والرداء والعماء سبيلهما واحد ، أعنى من جهة فكرة الحجاب . وللأعلم قول فى الرداء يشبه قوله فى العماء من حيث اضطرار القافية اليهما بزعمه . ولكن طالب الحقيقة إذ يستلب عنه مايحجبه مما يشبه عرض الدنيا ، أو إذا جاز لنا التحدث بلغة أهل الحقيقة ، إذ يتجرد من عالم " الظاهر " الذى يتمثل فى الرداء إنما يكتسب صحوة تقرنه الى العلو (وذلك قوله : على علياء) ويبدو هذا الاستلاب نوعا من الاكتساب ، إذ يلوح كأنه ولادة جديدة ، ويبدو الحمار كأنه خارج مما يشبه الأدران حيث يقول الشاعر :

كأن بريقه برقان سحل

جلا عن متنه حرض وماء

والسحل : الثوب اليمانى الأبيض .

والحرض : مادة تستخدم لتنظيف الثياب . يقول كأن بريق .

الحمار بريق ثوب أبيض مغسول .

واتصال الطالب ـ هنا ـ بالحقيقة أكسبه شيئا من خواصها ، كالبريق الذى ظهر من قبل فى البروق وفى إلماع الاتان . وقديما شبه الفلاسفه ذلك ـ أو ماهو قريب من ذلك ـ بالمغناطيس والحديد . فالحديد قد يكتسب خاصة المغناطيس فى الجذب إذا هو أدنى منه إدناء شديدا على نحو معروف . وكذلك يقال فى الحقيقة وطالبها .

فاذا انتقلنا من كلام زهير عن الحمار الوحشى الى كلامه عن صاحبته وجدنا كذلك فكرة المطالبة والاباء ولكنه ـ هنا ـ اباء صريح لاينصاع للمحاورة ، بل يجعل من المطالبة أمراً عقيماً ، على خلاف مارأينا فى تجربة الحمار الوحشى ، حيث تلمع المطالبة بالاستجابة (ولا يتوقف بك الذهن عند حقيقة أن الاتان لاتستجيب لمطالبة الحمار وهى حامل ، إذ للمعانى الشعرية حركة مستقلة) . هناك على أى حال صور ثلاث للمطالبة ، هذه أحداها ، أعنى مطالبة الشاعر المحبوبة ، وهى المطالبة التى لاتثمر شيئا . ولذلك قال إثر رحيلها :

... ...

على آثار من ذهب العفاء

يدعو عليها بالهلاك

وقد عن لى وأنا أقرأ البيت أن أقرأ : على آثار ما ذهب العفاء ، ثم وجدت ذلك ثابتا فى بعض النسخ ، فيكون فى البيت تعميم بعد تخصيص ، ويكون فى " ذهب " معنى الاستعصاء على المنال ، أى ماذهب ذهابا ليس معه عودة أو وصال . وهذا كما قلت الاباء الصريح الذى لاينفعل مع المحاورة ، كما قال :

لقد طالبتها ولكل شيء

إذا طالت لجاجته انتهاء

ومرة أخرى نقول ان المطالبة من الحقائق الأساسية فى القصيدة . والمذموم هنا اللجاجة التى يناصبها الشاعر العداء ، وهى الاباء الذى ذهب به هو آيضا الى مواطن الشر في موضع آخر من القصيدة حيث قال :

... ...

وشر مواطن الحسب الاباء

★ ★ ★

وفى قصيدة زهير تجربة ثالثة ليست هى المنع الصريح ولا هى الاباء الملمع بفوز ، وإنما هى " الوجدان " الصريح . وهذه هى تجربة الخمر التى يجد شاربها ما يشاء :

وقد آغدو على شرب كرام

نشاوى واجدين لما نشاء

وينبغى لك ان تتامل لفظ " واجدين " كثيرا ، فهو اهم لفظ فى تجربة الخمر فى قصيدة زهير . واهميته تاتى من خلال الأفكار السابقة عن المطالبة والاباء .

هذه التجارب الثلاثة اراد زهير أن يجعلها مقاطع " الحقيقة " وان يناظر بها قوله :

فأن الحق مقطعه ثلاث

يمين أو نفار أو جلاء

فالجلاء أن يظهر الحق ظهورا ساطعا لايحتاج الى دليل . والنفار أن يتنافر الخصمان الى حكم بينهم ، فيلبس الحق لباس التردد بينهم وبين سواهم ، هنا مرة وهناك مرة الى أن يبرح الخفاء . أما اليمين فهو فى ظنى إلواء بالحق ، فإنك قد تحلف على الكذب ، فهم يحلفون على براءتهم ثم يلوون بالحق ويخفونه ويأبون الاستجابه الى " مايطالبون " به . وهذه هى المقاطع الظاهرة فى تخييره القوم بين ثلاثة أمور :

إما أن يقولوا نحن براء مما تنسبون الينا ـ وهم فى حقيقة الأمر ليسوا كذلك :

وإما ان يقول بنو مصاد

إليكم ، إننا قـوم بـراء

وإما أن يظهروا إباء ، وهذا شر مواطن الحسب لأنه يستخرج الحق منهم بالطريقة المناسبة وهنا إشارة الى الحرب :

وإما أن يقولوا قد آبينا

وشر مواطن الحسب الاباء

او يقولوا قد وفينا وتلك عادتنا .

وإما ان يقولوا قد وفينا

بذمتنا وعادتنا الوفاء

وانت تستطيع آن تقرا بيتى زهير فى هجاء آل حصن فى ضوء تجربة البحث عن الحقيقة .

وما آدرى وسوف - إخـــال - آدرى

آقـــوم آل حصن آم نســـــاء

فإن كـــن النساء مخبـــآت

فحـــق لكل محصنـــة هداء

لتتجلى لك المعانى على نحو مختلف ، فأن الاستفهام ها هنا ليس إلا استفهاما حقيقيا يعبر عن حيرة الشاعر حيرة مطلقة ، فإنه لايعرف علامة يحكم بها على هؤلاء الناس .

فهي حيرة طفولية كحيرة الفيلسوف ، فلو كانوا رجالا لفعلوا فعل الرجال . ولكنهم ليسوا نساء ولو كانوا كذلك لوجب ان يزفوا كما تزف كل امرأة . ولو قد فعل ذلك لتبين للشاعر الحقيقة ، وانجلت عنه العماية وهو قد علق ذلك على ماتاتى به الأيام من آفعالهم وحينئذ يعرف الاجابة . إن زهيرا لا يهجو بل يقول : إن هؤلاء القوم ليسوا نساء واية ذلك ان النساء تزف الى ازواجهن ، ولو قال زهير : فلو كن النساء مخبآت . لحق .. الخ ، لأجرى الكلام على وجهه ، إلا أن الشعراء يتسعون فى وجوه التعبير لوجوه من الدلالات ولو كان هذا هجاء مقذعا ، ولجر إلى غير ماجر اليه من التصالح بين القوم ، فنحن نعرف أنه لما بلغهم قول زهير بعثوا اليه بالابل وأرسلوا اليه يخبرونه خبر صاحبه ويعتذرون اليه ولاموه على مافرط منه

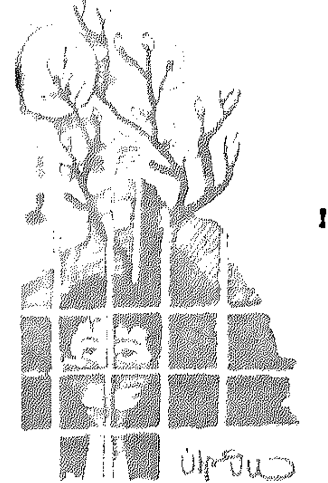
وتلخيص القصة - كما جاء فى شرح القصيدة - آن رجلا من بنى عبد الله ابن غطفان وكانوا حلفاء لزهير بن ابى سلمى ، او كان هو حليفا لهم - نزل فى هؤلاء القوم الذين جاء ذكرهم فى قصيدة زهير فاكرموه واحسنوا جواره وواسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار فنهوه عن ذلك فابى إلا المقامرة . فقمر - أى خسر - مرة ، فردوا عليه ماله ، ثم قمر اخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه ، فرحل من عندهم وشكا ماصنع به الى زهير . وهناك رواية آخرى للقصة رواها الأعلم فى شرحه للقصيدة .

وفى نهاية كلامنا نقول إن الشعر إنما تثريه التحليلات المختلفة والرؤى الجديدة وقصيدة زهير مازالت تحتمل كثيرا من التحليلات التى تجعلها اكثر اشراقا واكثر نبضا بالمعاني ومن الممكن ان تقدم تحليلات اخرى لقصيدة زهير تدعم هذا التحليل ولكن من جهات آخرى .

وفى ظنى ان الثقافة الجاهلية مازالت ميدانا بكرا ، ومن آجل ذلك كنا فى حاجة ملحة الى تلك الجهود التى تكشف النقاب عن طبيعة العمل الفنى فى شعر الشعراء . فهذا هو المجال الذي يمكن انكشف من خلاله عن طبيعة الثقافة الجاهلية



● أردنا .. ولكن !! ●



وقلت اريد الحياة جديدة
حياة سعيدة ..
يغرد فيها ربيع الأغاني
وتثمر في ضفتيها الاماني
ويضحك في الشفتين المطر
فقالوا : تعذب اذن وانتظر !!
وقلت اريد السماء جميلة
سنين طويلة ..
فلا السحب تسكن احضانها
ولا الليل يقتل احلامها
ولا الناس تزرع فيها الخطر
فقالوا : تعذب اذن وانتظر !!
وقلت اريد انتصار الامان
بكل مكان ..
فلا القيد يخرس فينا الكلام
ولا السجن يجلد فينا السلام
فقالوا : أردت صعود القمر
تعذب .. تعذب اذن وانتظر

محمد اسماعيل مرسال
قويسنا

● النثر الفنى ●

ارسلت الى « الهلال » مقالة صدرتهـــا بعبارة « من النثر الفنى » لكن محرر الباب الجليل فى زحمة الردود ، وضياع الحدود ظن ان مرسل الخاطرة من اولئك الناشئين الذين يريدون حب الظهور ولو بمواقع الخسوف !! بيد انى اردت بما كتبت النثر المحض الذى يعلو على شـــــعر التفعيلة ويرقى الى الصنعة العربيـــة ناهيك اعترافى سلفا بعدم قول الشعر!!

وبكل اسف سأترك الرد على ما يكتب ضدى فلى شئونى الفكرية ما هو اجـــل واولى وعلى عهد ان ادافع عن نفسى وابرر موقفى لهؤلاء الذين افسدوا حياتنـــا الثقافية بالاقطاع الفكرى والتسلط الوظيفى والانتماء المشبوه !! ولله در القائل :

قـــوم نصـــيحتهم غش وحبهـــم   بغـــض ونفعهـــم آن حرفوا ضرر
يميز البغض فى الالفاظ ان نطقـــوا   ويعرف الحقد فى الالحاظ .انظروا
ان يحـــرق القـــلب نفث من مقالهم   فانمـــا ذاك من نـــار القـــل شرر

عبد الجواد محمد الخضرى ـ شربين

● تعليق ●

ـ اجتزانا من خطابك الغاضـــب هذه السطور ، ولكنا لاندرى ماذا اغضبك .. فانت تسمى كلامك نثرا فنيا ، ونحن لم ننكر ذلك ، فكل كتـــابة ادبية يمكن ان

نسمى كذلك ، غير اننا اعتـذرنا من عدم اتساع المجال لهذا اللون فى هذه المجلة ، وهو عذر كنا نظن انكم تقبلونه ٠

● أنت ●

● الى الشاعر رضا ابراهيم عبد المعطى ــ ميت الحلوج ــ دكرنس :

ــ قصيدتكم التى عنوانها « انت » التى تقول فى بدايتهـا : « انت والنور الذى يزهو رويدا » ٠٠ لم نستطع قراءتها لغموض الخط ، نرجو ان تكتب إلينا بخط واضح او على الآلة الكـاتبة ، وفى وجه واحد من الورقة ٠٠

● النقد والهدم ●

● طالعت مجلتكم الغـراء « الهلال » وعلى وجه الخصوص باب « انت والهلال » ثم « حوار مع الاصدقاء » كى اعرف راى سيادتكم فى قصيدتى « تمزقنا » فوجدت الآتى : اولا الاسم مكتوب خطا « مصطفى ابو كحيلة » والصح هو « مصطفى ابو كحله » ٠

ثانيا كان الرد «الاوزان الصحيحة ليست كافية لاجازة نشر القصيدة فلابد من ان يكون فى الشعر رائحة الشعر ولو من بعيد ٠٠ فاذا كان ما كتبته انا بعيدا عن الشعر كما تقولون فتحت أى لون من الوان الادب تضعونه الاوزان والحمد لله موجودة ــ الاخطاء النحوية واللغوية لا يوجد الموضوع موجود والهدف منه واضح ومحدد وفى نهاية القصيدة وضعت الحل والعلاج الامثل لحل المشكلات التى سردتها فى القصيدة ٠٠

★ فبالله عليكم الم تقابلكم فى القصيدة ولو استعارة واحدة ان ما تكتبونه فى باب حوار مع الاصدقاء ليس من اجل النقد البناء ولكن الهدم من اجل الهدم ٠٠ اتقوا الله فيما تكتبون ولنا الله فيما نكتب ٠

مصطفى ابو كحلة
كفر الزيات

● تعليق :

ــ نعم يا عزيزى ٠٠ ان الشعر ليس مجرد اوزان صحيحة ولغة سليمة ، واذا كنت لا توافق على ذلك فهذا رايك لاننازعك فيه ٠٠ ونحن مع الادباء والشعراء فى هذا الباب نحاول البناء لا الهدم ، الا ان بعض الفضلاء يرون انفسهم فوق الحوار وفوق النقد ، ومعذرة من الخطأ الذى وقع فى اسمك ، وها نحن اولاء ننشره على صحته ٠



● تصويب ●

وقع خطأ مطبعي في قصيدة أوسكار وايلد ، التي ترجمتها قديما للمقتطف ، ونقلتها « الهلال » في عدد أغسطس الفائت ، حيث وردت كلمة « الغريب » في ثلاثة مواضع « طبعة » الهلال ، وصححتها في المواضع الثلاثة « الضريب » ، بالضاد ومعناها الثلج •

محمود محمد شاكر

● حرارة الصيف في قنا

● لم تنشروا قصيدتي التي تحدثت فيها عن حرارة الصيف في مدينة « قنا » على أساس ان ابياتي تحدثت عن قنا باعتبارها منفى للموظفين لتعذيبهم بحرارتها ، وهذا ما أعتبرتموه امرا عفاه الزمان ، وفكرة قديمة جدا •• وهذه الفكرة لم ترد بتاتا في النص كما اني است موظفا منفيا الى قنا – كحفني ناصف – ولكني قنوى أقيم في قنا مع اسرتي واقاربي منذ اجيال ، والامر لا يعدو ان يكون تعبيرا عن احساس بواقع •• ولو كنت معنا في قنا واكتويت بنار حرها لغيرت من رايك ولعذرتنا •• اما طلاب الرزق بالخليج فقد ذهبوا الى تلك البلاد طواعية ، ليطلبوا ثراء فكان عليهم ان يدفعوا الثمن المناسب •• واما نحن القنويين فضحايا سكنى اجدادنا لهذا البلد، وعلى هذا الاساس عاتبت جدي رحمه الله ! ••

ان الدعوة الى عدم القول في موضوعات قيل فيها من قبل ، هي في الحقيقة دعوة الى توقف الحياة الادبية ، فلكل تصور واحساس وتعبير ، والناس منذ القدم يشكون الزمن وجوره فهل يتوقف الاخرون عن الشكوى ؟!

وواضح انكم لن تنشروا هذا الرد – وهذا شان معظم المحررين – يحبون ان تكون كلمتهم هي الاخيرة • وغفر الله لكم حدة كلماتكم •

احمد قاسم احمد
مدير الثانوى بمديرية تعليم قنا

● تعليق :

– لم نستطع لضيق المقام نشر رسالتكم كلها ، ولكن هذه زبدتها واهم ما فيها •• ومن الواضح لنا انكم متمكنون في العربية وعلومها وآدابها ، واما قصيدتكم عن حرارة الصيف في مدينة قنا ، فكانت ملاحظتنا عنها انها ذكرتنا بقصيدة حفني ناصف الظريفة التي يقول فيها غارقا في البديع الذى تعرفونه : « قالوا قنا حر أقلت •• وهل يرد الحر قنا •• وليس في قصيدة حفني لناصف – في الحقيقة – هجاء لقنا ، بل مداعبة ، اما قصيدتكم ففيها تبرم واضح وسخط حقيقي ، وهذا ما ادهشنا من قنائي او « قنوى » مثلك • ورحم الله استاذنا الشيخ عبد الله حسين الذى كان آخر مدرسي اللغة العربية المعممين ، وكان مدرسا لنا في السنة

الخامسة الثانوية بمدرسة قنا الاميرية ـ التي علمت انهم اغتصبوا مبناها الرائع وحولوه الى كلية ـ فقد كان يصر على ان نقول : « عبد الرحيم القنوى » بدلا من القول الشائع « عبد الرحيم القنائى » ..

لقد عشت فى قنا خمس سنوات بين ١٩٣٧ و ١٩٤٢ طالبا بمدرستها فاشهد انها كانت أنظف المدن ، مع ان شهرتها كانت حينذاك انها مدينة « العقارب » .. واشهد ان جوها احسن الاجواء شتاء وربيعا وخريفا ، أما فى الصيف فهو الطف الاجواء ليلا .. وليست حرارة قنا أسوأ من حرارة القاهرة التى قال فيها اديب كبير اظنه المرحوم محمد اسعاف النشاشيبى أديب فلسطين ـ رحمه الله :

أيها السائلون عنا بمصر كيف نضحى بها وكيف نبيت
نحن في هذه المدينة نحيا حين نمسي وفي النهار نموت

وخلاصة القول ان التبرم بالجو الحار احساس طبيعى ، ولكن قنا مظلومة بالشهرة فيه كشهرة سيبيريا بالجو الشديد البرودة، غير ان سيبيريا تجد من اهلها من يملؤها عملا وتعميرا .. ولك يا عزيزى تحيات قنائى او قنوى مثلك ! ..

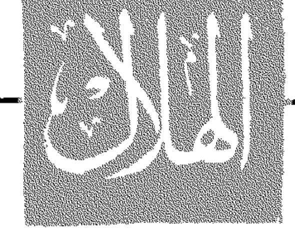
ملاحظات على الاشواك

● يقول د. شكرى محمد عياد فى مقالته القيمه : « الديك المغترب » : « حسبنا الآن ان نزرع، ما نأكله ونصنع مانستهلكه! فنحن مغتربون فى عالم ، لا نملكه » ـ هل لى ان اقول ، رايى ـ لماذا هذه الاستكانة .. والضعف ونحن الذين ، عبرنا المستحيل فى اكتوبر الخالد . فى الناحية الاقتصادية ، السياحة فى مصر منجم ذهب ومع ذلك تكسب البلاد التى فى مرتبة اقل منا اضعاف اضعاف ما تكسبه فلماذا ؟! لم مصر تعتبر جزيرة تحيط بها المياه من جميع النواحى فعندها البحر الابيض والأحمر والنيل العظيم وبحيرة ناصر .. وهنا يبرز سؤال اين ثروتنا السمكية لتاخذ بيدنا فى هذه الفترة .. لم فى يدنا الضعف ، والقوة فايهما نختار ؟! ـ وختاما ، فى بابنا العزيز : « أنت .. والهلال » وتحت عنوان « حوار مع الاصدقاء » كتب : « .. بعيداً عن القصص القصيرة جدا التى ننصحكم بالا تشغلوا قلمكم ، بها .. » ـ ولكنى لن اياس لانى تعلمت الامل من مجلتنا المحبوبة : « الهلال » ، القراء ـ « عصفورة » ـ قصة قصيرة جدا :

×××

دخلت حجرتى فوجدت ، عصفورة تتعارك مع صورتها فى المرآة .. ثم لم تلبث ، ان يئست وخرجت من النافذة .. وتبعتها بنظرى وانا اضحك ، من صغر عقلها ثم استدرت ورأيت صورتى فى المرآة فقلت لنفسى : الا يحدث احيانا ان يتصرف ، الانسان بعقل اصغر من عقل العصفورة ؟! ـ هل هناك تقدم ؟..

عاصم فريد البرقوقى
الاسكندرية



● احمد محمود كرار ـ الموظف المؤقت بادارة المطابع :
ـ تقول فى قصيدتك التى عنوانها « مصر أمى » :

في حبك انت يا مصر
فيافة كحب الرمال
وانت فى حلق السماء
بدرا خفقت له الابصار

وهذا ياعزيزى نثر لا شعر ، لانه خال من الوزن ، فضلا عن الاغلاط النحوية التى تكثر فى القصيدة ..

● عبد الله السمطى ـ اداب عين شمس:
ـ انتم وصلتم الى مرحلة اقامة الاوزان الصحيحة ، وبقيت امامكم مرحلة اجادة التعبير الشعرى ، لان الشعر ليس مجرد اوزان صحيحة .

● شحاته فرهود :
ـ قصيدتاك الزجليتان لا تصلحان للنشر في الهلال ، لاننا ننشر الشعر العربى فقط حتى يفهمه كل من يعرف اللغة القومية ـ وهى اللغة الفصحى ـ فى جميع الاقطار العربية .. حاول أن تنشر ازجالك فى مجلة اسبوعية أو جريدة يومية ..

● محمد العائش آللونى ـ تونس:
ـ نشكركم على حسن ظنكم بالهلال . ونحن نحاول بقدر الامكان استكتاب ادباء وشعراء من البلدان العربية الشقيقة .. وننشر لك آنت باللذات من وقت الى آخر .

● عبد الرحيم الماسح :
ـ قصيدتاك فى هذه المرة اقل من مستوى قصائدك السابقة التى نشرناها .. خملوة ! ..

● احمد صبرى ـ مشتول القاضى ـ الزقازيق :
ـ قصيدتك « أيمان » .. تقول فيها:

جف النوم والنبع بى حلم
قد عاش يواسى اجفانى
القرب يزيد باشواقى
والبعد يزيد بادمانى
قدرى فى هواه احيا اسقى
مر فى كاس حانى ..

وهذا الكلام خليط من الاوزان الصحيحة، وغير الصحيحة ، والاغلاط النحوية وغيرها .. ولم نفهم معنى الشطرة الاولى من هذا الكلام ، وهى غير موزونة ..

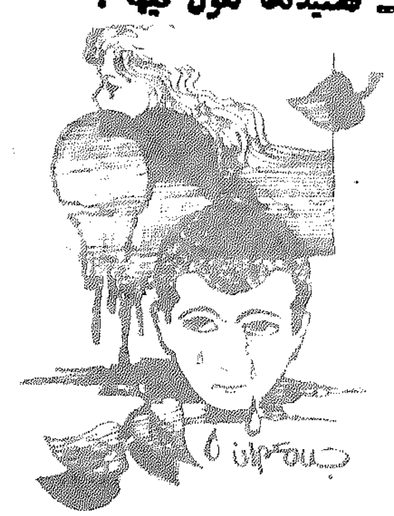
● عبده محمد سلطان ـ صقيل ـ أوسيم :
ـ قصيدتكم التى عنوانها « مصر قلب العروبة » صحيحة الاوزان ، ما عدا قولكم:

فيا ابناء قومي هذا صوتي
اذا دام الفراق مابقينا
جميع العرب ان يدنوا كجسم
ومصر القلب ان يحيا حيينا ..

فالشطران الاول والثاني مكسوران. وتستطيع أن تراجع تفعيلات بحر «الوافر» وتقطيعها ، وان كنت لا اومن بهذه الطريقة الحسابية واقول دائما : اذا لم تكن موسيقى الاوزان في طبع الشاعر ، فلا فائدة فيه ولا في شعره ..واماالشطران الثالث والرابع فيعيبهما الخطأ النحوى في قولك : « ان يحيا » فالفعل المضارع هنا مجزوم ولا تبيح الضرورة علم جزمه ..

● اشرف مناع ـ حقوق الزقازيق :
ـ قصيدتك تقول فيها :

دارت السنوات حولى
ولاذ بالفجر السكون
نزف القلب دماه
وكثر دمع العيون
وكيف لا ؟ ..
وانت كالقيد لعمر
تعشق الهجر .. تخون
كالاعداء أصبحت جافي
كيفما لا يرحمون ! ..
فبعثت « بجهلا » تودع
« تملق » الحب بخلدى
لتحطم قلبي الحنون
آه .. قل بربك من تكون



هذا يابنى خليط من الاغلاط النحوية واللغوية ولا وزن في الكلام الا في شطرتين أو ثلاث في القصيدة التي لم نستطع نقلها كلها هنا .. ولا ندرى كيف تقول « بجهلا » فتجعل ما بعد حرف الجر منصوبا .. وكيف تكتب كلمة « تمزق » بالذال وهي بالزاى ؟! ..

يابنى .. تعلم اللغة والادب قبل أن تنتدب نفسك لقول الشعر ونشره في الصحف .. هذا نداء اليك والى كل الشبان الذين يتصدون للشعر بغير سلاح ! ..

● سعيد بكر ـ الاسكندرية :
ـ قصيدتك « يا نهر » .. تنقصها الاوزان: ، وفيها اغلاط نحوية كقولك : « يانهر مال ماؤك قد اسن » .. والحقيقة ان القصيدة من اولها الى آخرها نثر لا أثر فيه لاى وزن ! ..

● لتحية سعيد على .. السيد ابراهيم عطية .. رمضان الهجرسى .. رجب عبد الشافى :
نعتذر اليكم من ضيق المجال عن نشر قصصكم ونشكركم ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

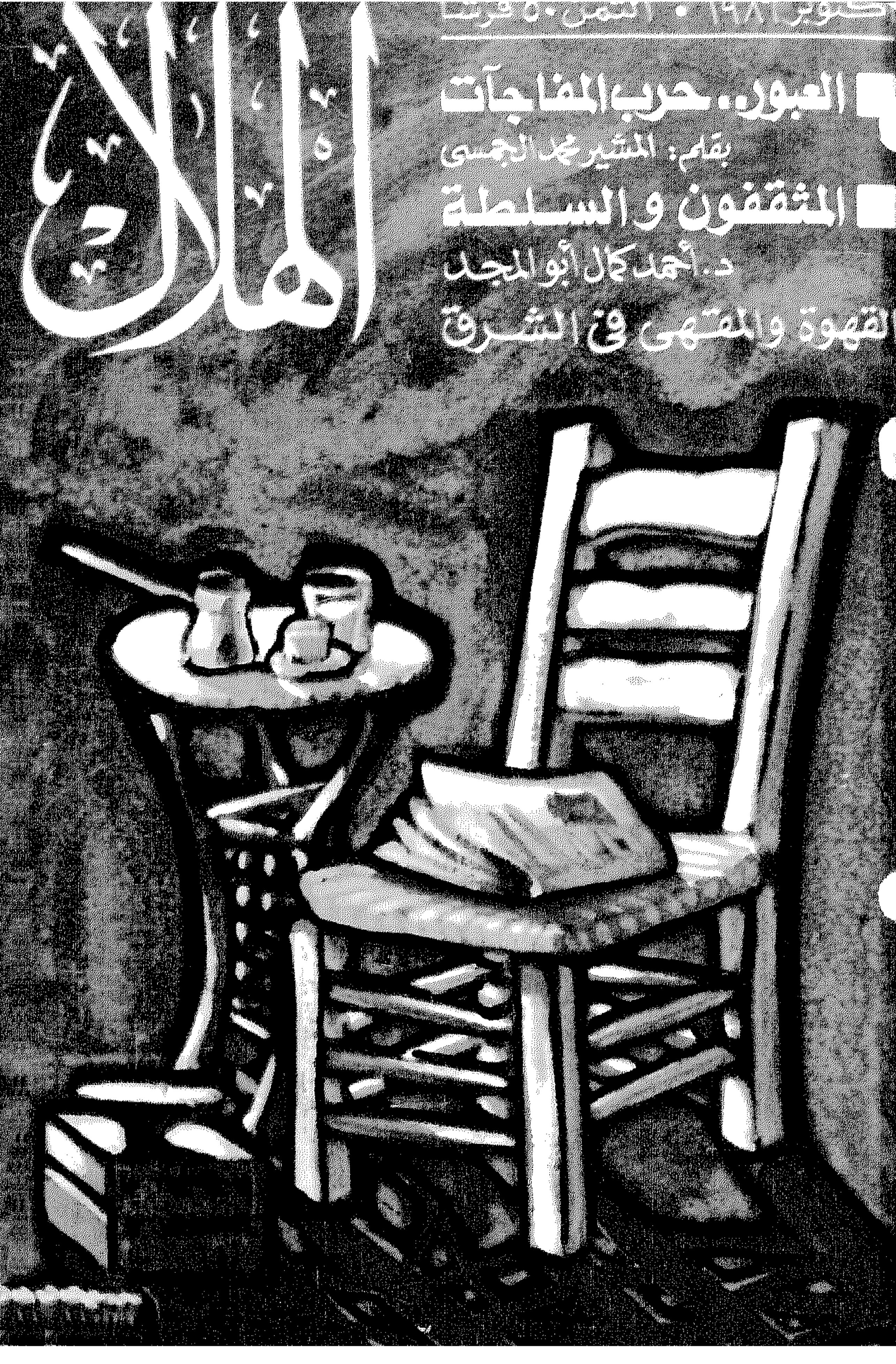
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدأ أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

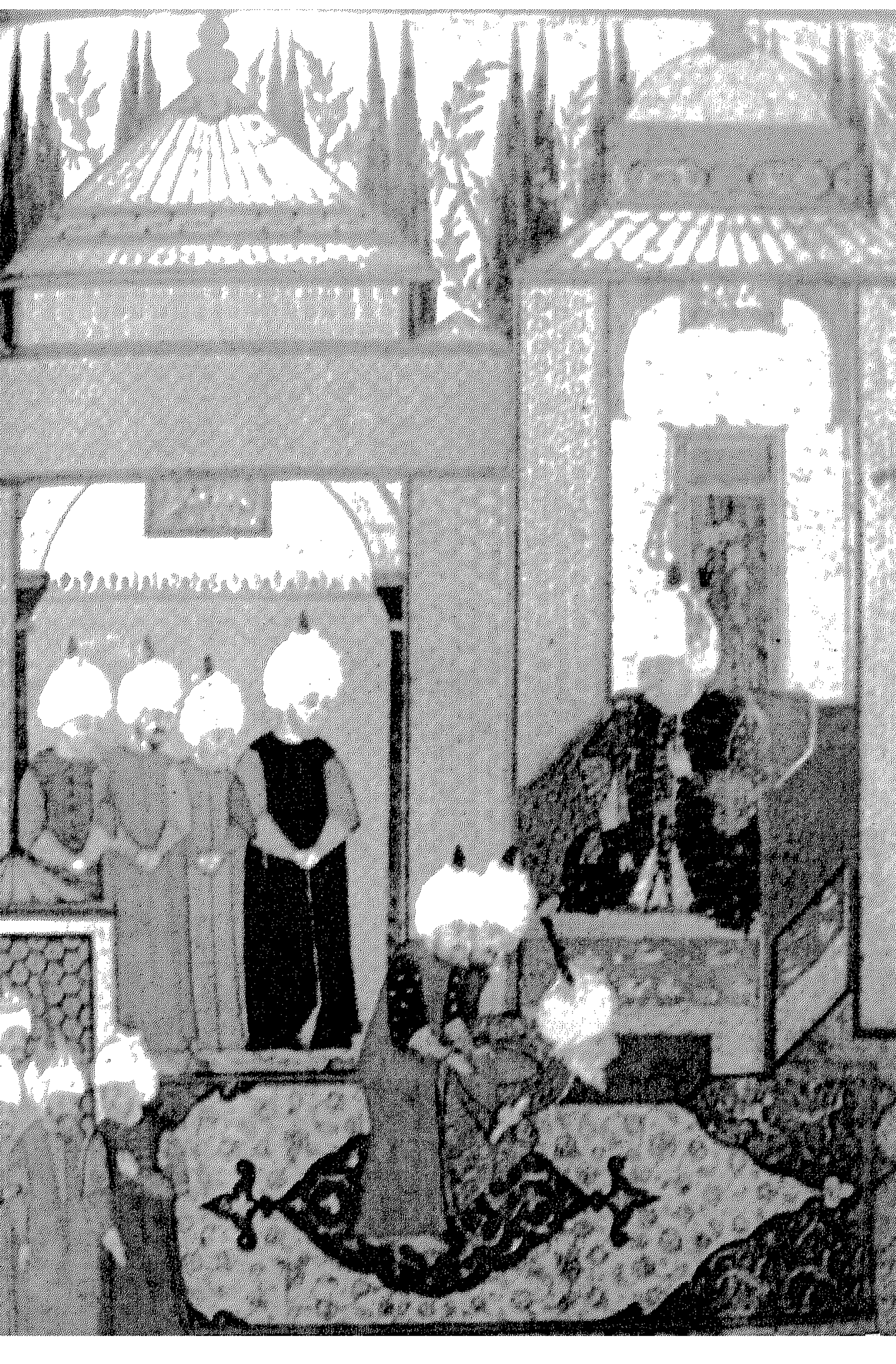
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنس
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


الهلال
العبور. حرب المفاجآت
بقلم: المشير محمد الجمسى
المثقفون و السلطة
د. أحمد كمال أبو المجد
القهوة والمقهى فى الشرق



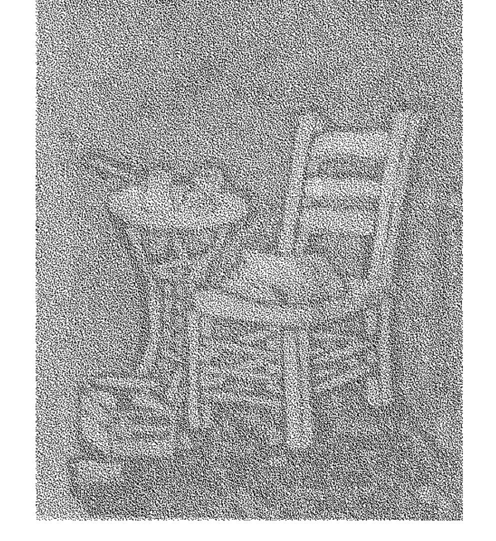
من روائع الفن الإسلامي

احدى اللوحات المحفوظة فى متحف قصر طوب كابى باسطنبول ، وتمثل السلطان سليم الثانى اثناء استقباله لاحد السفراء الاجانب قام برسم اللوحة احمد فردون باشا .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ، اول اكتوبر سنة ١٩٨٦ م ، ٢٧ محرم - سنة ١٤٠٧ هـ



الغـلاف : للفنان
حلمـى التـونـى

في هذا العدد

□ فـكر وثقافـة □

ص

●● كتاب الشهر

● رسائل صحفية فنية ●

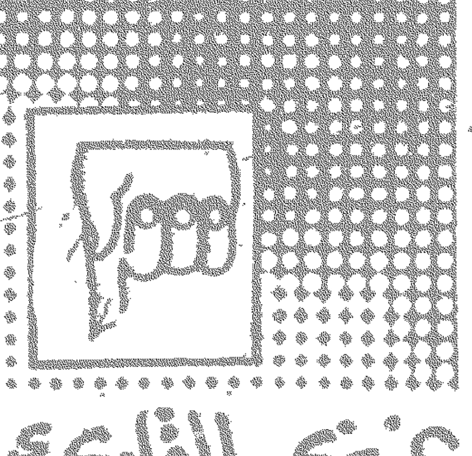
● قصة وشعر ●

● علوم ●

● شخصية العدد ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



مسألة الجمارك.. ومسألة الأحبار

من الطبيعى أن تحاول الدولة منع السيل الجارف من الواردات السلعية الطفيلية التى تدخل بلادنا بتحويل عملة ، أو بدون تحويل عملة .. فإذا لم تستطع الدولة صد هذا السيل الجارف ، فلا أقل من أن تحاول كبح جماحه وحماية الاقتصاد القومى من أخطاره ، وبخاصة بعد أن صارت الأزمة الاقتصادية شبحا واضح الملامح فى عيون الجميع ..

لهذا لقيت القرارات الاقتصادية التى صدرت أخيرا ، تأييدا ظاهرا من الجماهير التى لا مصلحة لها فى اغراق البلاد بالبضائع الترفية التى لايخطر بعضها على بال أحد ، مثل لحم الطاووس ، والحساء المجمد ، وشحم الخنزير وأشياء أخرى عجيبة !

ولكن الذين طالعوا القرارات الاقتصادية أو سمعوا بها توقفوا عند بعض الأمور ، ومن أبرزها فى رأينا نحن المشتغلين بالصحافة منع استيراد الأحبار الطباعية أسوة بمنع استيراد الأحبار العادية التى تملأ منها خزانات أقلام الجيب !

إن القرار ينص على منع استيراد « حبر الكتابة ، وحبر الطباعة ، وأصناف الحبر الأخرى ، وحبر الرسم العادى ».

وذلك هو البند الثامن والخمسون من الفصل الثانى والثلاثين من القرارات الاقتصادية .. وهذا الفصل يشمل محضرات عطور ومياه مقطرة عطرية وأنواعا من الصابون ومحضرات تلميع ومعاجين للأثاث والأرضيات والمعادن ..

ويمكن أن يقال إن منع استيراد أحبار الأقلام العادية ، لن يحدث ضررا لأحد ممن يقرأون ويكتبون ، ومن المشتغلين بالأدب والصحافة ، ومن المدرسين والطلاب وسائر المواطنين ..

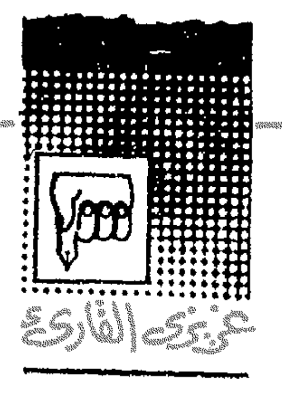
ولكن منع استيراد أحبار الطباعة يضرب صناعة الصحافة المصرية ضربة لا تطيقها ، ولا داعي لها ، لأن صناعة الأحبار الطباعية المصرية لم تستطع بعد أن تلبى احتياجات المطابع ، لا فى النوع ولا فى الكمية ، وهذا ما لا ينكره حتى القائمون على صناعة هذه الأحبار .

وسينجم عن منع الأحبار الأجنبية الجيدة تدهور فى الطباعة المصرية كلها ، وبخاصة فى الصحافة ، وسيزداد عدد الكتب والمطبوعات التى تفضل مطابع قبرص ـ مثلا ـ على مطابع القاهرة .

إن الواقعية كانت تقتضى التريث فى منع هذه المادة الضرورية التى لايوجد عندنا مثيل لها .. والبديل الموجود لايصلح مع الأسف ، وسيزيده اشتداد الطلب عليه ، عدم صلاحية وعجزا عن تلبية احتياجات الطباعة المصرية .. وهذا بدوره سوف يزيد الطباعة المصرية تدهورا وتخلفا عن مثيلتها فى قبرص ودول الخليج الناشئة فى هذه الصناعة .. ولا نظن أن الذين وضعوا أخبار الطباعة فى قائمة الممنوعات كانوا يقصدون الوصول إلى هذه الأهداف الضارة بصناعة الطبع والنشر فى مصر .

ويكتمل « بند الأحبار » بالبند الذى يليه وهو بند المطبوعات المستوردة .. ولعله من أعجب البنود « الاقتصادية »

والمطبوعات المستوردة تشمل جميع الصحف وجميع الكتب وكل ما هو صادر عن مطبعة كبيرة أو صغيرة فى أى ركن من أركان العالم بأية لغة من اللغات !



وبند المطبوعات لايمنع استيرادها .. بل يكتفي بزيادة جماركها أضعافا .. بحيث يصبح ثمن المجلة مائة قرش بدلا من عشرين قرشا .. مثلا ..! ومعنى ذلك أن تخلو اكشاك الصحف عندنا من الصحف الأوروبية والأمريكية ، فضلا عن العربية .. وقد بدأ الناس يلاحظون انكماش مايعرضه باعة الصحف من مجلات مستوردة ، عربية وغير عربية .. وسوف يزداد المعروض من هذه الصحف انكماشا على مر الأيام ..

وقد نستطيع بطريقة من الطرق أن نفهم بند الأحبار ، ولكنا لن نستطيع بأية طريقة أن نفهم هذا البند المتعلق بزيادة الجمارك على الصحف الأجنبية والعربية هذه الزيادة الهائلة التي تجعل وصولها الى القارىء المصرى مستحيلا أو شبه مستحيل !

هل الصحف والمجلات بضاعة ترفيه كلحم الطاووس ، والعطور ، والمياه المقطرة ؟!

هل يمكن اغلاق بلد من البلاد على مطبوعاته الخاصة .. فلا يقرأ شيئا من مطبوعات البلاد المجاورة أو البلاد البعيدة ؟

وماهى الفائدة المادية التي ستدخل خزانة الدولة من وراء هذه الخطوة غير المفهومة ؟!

ستمتنع الصحف عن الورود الينا .. ولن يدخل خزانتنا قرش واحد من وراء البند العجيب الذى كان السبب فى منعها !..

وماذا يحدث اذا عاملتنا الدول العربية والأجنبية بالمثل فمنعت مطبوعاتنا ، وفرضت عليها جمارك باهظة تعجزها عن دخول اى بلد عربى أو أجنبى ؟!..

أنكون عندئذ قد استفدنا وملأنا خزائننا من بند المطبوعات السالف الذكر ، أم نكون قد فعلنا عكس ما أردنا أن نفعل ؟!..

ويتصل بهذا قرار عجيب ، هو منع الكتب المصرية من التصدير الى الخارج إلا بعد عرضها على لجنة تجيز تصديرها أو تمنعه ! ما الحكمة هنا ؟!..

إن الكتب المصــرية تقرأ فى مصــر ، ولا رقابة عليها ، فما الحكمة فى منع قراءتها خارج مصــر ؟!.. هل نخاف على مشاعر القارىء العربى أو غير العربى من قراءة كتب قرأناها نحن ولم نخش منها شيئا على مشاعرنا أو على عقولنا ؟!

هذا قرار غير مفهوم ، ولاثمرة له إلا المزيد من الكساد للكتاب المصــرى بعد أن سمعنا مرارا وتكرارا من كافة المسئولين عن الكتاب أن جميع العوائق سوف يتم استبعادها عن طريق تصديره وتسويقه !..

إن النتيجة المؤكدة فى هذا هى أن تتلقف المطابع خارج مصــر ، جميع الكتب المصــرية ذات المستوى ، فتصورها وتطبعها وتوزعها لحسابها وتكسب من ورائها ماتشاء ، بينما يقبع مؤلفوها وطابعوهاوناشروها فى مصــر عاجزين عن اتخاذ أى اجراء يمنع تزويد كتبهم واستباحتها !..

أفهذا مانريد أن نبلغه من وراء لجنة تصدير الكتب الموقرة ؟!

إن صناعة الطباعة المصــرية بفروعها المتنوعة تمر بأزمة شديدة ، وكنا نأمل أن تأخذ القرارات الاقتصادية بين هذه الصناعة المكافحة التى تحمل اسم الوطن الى كل بلد عربى وغير عربى ، ولكن يبدو أن صناعة الأحبار أهم كثيرا من صناعة الطباعة والنشر نفسها .. وأن المطلوب هو ازدهار صناعة الأحبار ، وليس ازدهار صناعة الطبع والنشر !.. وليت صناعة الأحبار تستطيع أن تزدهر !..

أما مضاعفة الجمارك على المطبوعات العربية والأجنبية فهو أول قرار من نوعه صدر فى مصــر منذ عرفت أول مطبعة عربية فى عهد نابليون بونابرت ، أو عهد محمد على باشا على الأقل !.. وهو مخالف لكل معانى الانفتاح الثقافى والانفتاح الاقتصادى .

ولانريد أن نقول إن تصدير الكتب المصــرية من خلال « لجنة » هو ثالثة الأثافى ، فلسنا نحب استعمال التعبيرات القديمة ، ولكنا نريد أن نقول إنه لاتوجد كتب ذات مستوى رفيع يمكن أن تمنعها لجنة أو تسمح بها لجنة ! وستكون هذه اللجنة سببا فى ازدهار حركة الطبع والنشر فى بيروت وقبرص وسنغافورة !..

وبعــد ...

فنحن نأمل ونطلب اعادة النظر فى كل هذه الأمور التى تحار فيها الأنظار !! وحسبك منها مسألة جمارك المطبوعات ومسألة الأحبار !

« المحــرر »

المثقفون والسلطة

بقلم : د . أحمد كمال أبو المجد

في منطق العقل وبداهة الأشياء ، أن الناس يحتاجون الى « السلطان » كما يحتاجون الى « العلماء » .. وانهم يكونون اسعد ما يكونون . وأوفر نصيبا من الخير والصلاح حين يلتقى فى حياتهم عزم السلطان وعدله بحكمة العلماء وعلمهم .

وفى تراثنا ، ان اصحاب الحكم والسلطان مسئولون أمام اللـه عما استرعاهم من امر الناس .. وان العلماء ـ كذلك ـ مسئولون امامه عما حملهم من امانة البحث عن الحقيقة ونشرها بين الناس وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : ان الامام الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته .. وفيها أيضا ان العلماء ورثة الأنبياء وان مدادهم يوزن يوم القيامة بدم الشهداء .

وفى تاريخ الانسان الثابت والموثق ان الصالحين من الحكام كانوا لا يبرمون امرا ولا ينقضوه الا اذا استرشدوا بعلم العلماء ورأى اهل الرأى وأصحاب التجربة .

● نور العلم ●

وفى الزمن القديم السحيق يحدثنا القرآن الكريم عن ثمرة التعاون بين أهل " العلم " وأصحاب « السلطان " حين يروى لنا قصة سليمان وملكة سبأ ..

فيقول : « قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى » .. ويروى لنا على الجانب الآخر من القصة - ان ملكة سبأ وقد كانت وقومها كما يقول القرآن « يسجدون للشمس من دون الله » كانت تحرص هى الأخرى على أن يكون قرارها مستنيرا بنور العلم ، مهتديا بنصيحة العلماء : " قالت يا أيها الملا افتونى فى امرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون " والملأ هم خاصة القوم وأهل الرأى والمكانة فيهم وفى تراثنا الاسلامى - بعد ذلك كله إشارات واضحة بالدعوة الصريحة وبالتقرير الذى يستفاد منه الرضا والاستحسان - الى ضرورة تعاون العلماء والحكام .. فأبوبكر رضى الله عنه كان إذا عرض له أمر جمع رءوس الناس وخيارهم قال " اشيروا علىّ أيها الناس " وعلى رضى الله عنه يفسر العزم فى قوله تعالى : وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله .. بأنه مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم .

هذا كله لاخلاف حوله ولامماراة - من احد فيه ..

ولكن هل سار التاريخ على هذا النحو من التعاون الهادىء بين الطائفتين وهل اتسعت صدور الحكام لنصائح العلماء .. وهل تجاسر العلماء - دائما - على بذل النصيحة وقول الحق واعلانه بين يدى السلطان ؟؟

● صدام ومواجهة ●

تقول شهادة التاريخ فى ذلك إن السلطة كثيرا ماتكون مفسدة وإن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة ، وأن اكثر الناس ينسون الحكمة الخالدة عن السلطة وانها " لودامت لغيرك ماوصلت اليك " وان مقاعد الحكم تصور لكثير منهم ان لهم على الناس حق الطاعة المطلقة ، وأنهم - بما يحملون من مسئولية وما يبذلون من جهد - جديرون بأن يسلم الناس لهم قيادهم بغير مناقشة فلا راى بعد رايهم ، ولاقرار الا قرارهم ، ولا وجهة للجماعة الا الوجهة التى يختارونها هم ، ويستحسنوها لهم .. وهى حالة يكشف عنها ويصورها أدق تصوير قول القرآن الكريم على لسان فرعون ، " ما اريكم إلا ما أرى و ماأهديكم إلا سبيل الرشاد " .. فهذا الفرعون لا يتصور لقومه حقا فى أن يكون لهم راى غير رأيه .. وهو من جانبه لا يطلعهم الا على مايراه هو . مقررا فى ثقة عجيبة أنه بهذا يهديهم سبيل الرشاد .. ويتكرر هذا الموقف - على اختلاف المرحلة وتباعد الزمان - حين يقول حاكم ينتسب للاسلام ولرعيته : من قال لى اتق الله بعد مقامى هذا ضربت عنقه .. ويتراجع الى الوراء - مع حركة التاريخ قول الذى قال لعمر وهو امير للمؤمنين ، " والله ياعمر لو راينا فيك اعوجاجا لقومناه بهذا » ، ويشير إلى سيفه .. وتتكرر فى تاريخ أمتنا كما تكررت فى تاريخ الأمم والشعوب .. مواقف الصدام والمواجهة بين السلطان والعلماء .. فنقرأ عن محنة أبى حنيفة مع الخليفة وما تعرض له من الأذى حين رفض تولى القضاء .. ونقرأ عن محنة احمد بن حنبل مع الخليفة العباسي المأمون حين أعلن فى مسألة خلق القرآن " رايا يخالف راى

المثقفون والسلطة

السلطان " .. كما نقرا عن محنة ابن تيمية حين قال فى امور فقهية اجتهادية اقوالا لا يرضى عنها علماء السلطان .. حتى سجن ومات مسجونا فى قلعة دمشق عام ٦٢٨ هـ .. ذلك ، واكثر منه بكثير وقع فى أوروبا حين اصطدمت اراء العلماء مع مصالح الحكام ، ملوكا كانوا او أباطرة او بابوات .. فسجن من سجن وشرد من شرد ، واثر الصمت وكتمان الحقيقة من عجز عن المواجهة وتحمل تبعات الصدام .

وتعاقبت حلقات التاريخ .. ولم تعد القضايا الفقهية او الفلسفية محورا لصراع يذكر او ازمات حقيقية فى علاقة المثقف بالسلطة كما نقول هذه الايام .. وانما صارت القضايا السياسية والاجتماعية هى محور المد والجزر فى علاقة المثقفين بالسلطة ..

ومع الثورات السياسية والاجتماعية الحديثة ، وتطور وظائف الدولة الحديثة دخلت العلاقة بين المثقفين و « الحكام » مرحلة جديدة حددتها بشكل اساسى متغيرات اربعة :

● ترغيب وترهيب ●

١ ـ ان الحكم فى اكثر دول العالم لم يعد حكما « فرديا » خالصا تستقر فيه سلطة الامر والبت بين يدى حاكم فرد يرضى عن المثقفين فيامنون ، ويسخط عليهم فيخافون .. وانما صار « الحكم » مؤسسة او مجموعة من المؤسسات ، تراجع معها الى حد كبير الدور الشخصى للحكام .

٢ ـ ان مهمة الدولة الحديثة قد تعقدت الى درجة لم تكن تخطر على بال الحكام الاوائل .. وصار الهم الحقيقى الذى يواجه الحكومات المختلفة هو البحث عن حلول عملية للمشاكل المعقدة التى تواجه المجتمعات .. وبذلك عظم الاحساس بالحاجة الى « ترشيد » قرارات اجهزة الحكم .. كما عظمت المسئولية الملقاة على عاتق العلماء والمثقفين فى المعاونة على هذا الترشيد .

٣ ـ إن وسائل الترغيب والترهيب التى يلجا إليها الحكام لمواجهة المثقفين أو احتوائهم أو إبعادهم عن طريقهم قد تعددت واتسع نطاقها .. فلم يعد الأمر مقصورا ـ على تقريب هذا من بلاط الحاكم .. أو إبعاد ذلك أو حرمانه من العطاء .. وانما صارت " مؤسسات الدولة " واجهزتها وتنظيماتها السياسية بؤرة جذب وإغراء شديدين لكثير من المثقفين تستهويهم للاقتراب منها أو الارتباط بها ، والافادة من جاهها ومالها فى الارتفاع بالمستوى الاجتماعى للمثقف وتامين حياته الخاصة والأسرية .. وهذا منزلق شديد الخطورة .. لأن خطواته الأولى تصل بصاحبها إلى نهاية الطريق .. فاذا به يتخلى ـ شيئا فشيئا ـ عن امانة الجهر بالحق واعلان الراى .. ثم إذا به ـ شيئا

فشيئا ـ يرى الأمور كلها بعين السلطة ويزنها بميزانها .. ويفقد بذلك دوره فى التنبيه الى الرأى الآخر ، والقيام بحق العلم الذى تعلمه والحكمة التى أوتيها .. وكلما انزلق فريق من المثقفين إلى ان يكونوا جزءا من حاشية السلطان . وابواقا من ابواقه ، كلما تعرض فريق آخر منهم لمزيد من الضغط والترهيب .. وصار من اليسير اتهامهم بانهم يسرفون فى النقد ويشتدون فى المعارضة .. وان ولاءهم للحكم القائم ولاء منقوص .. وربما حيل بينهم وبين المشاركة بالرأى ، وممارسة الاجتهاد وبذل النصيحة فحرموا بذلك حقا طبيعيا لهم ، وحرمت الجماعة من رايهم وخبرتهم وثمرات علمهم واستغنت عن ذلك كله بموافقة الموافقين ، وتاييد الممالئين ، ممن لايخلصون نصيحة ولا يجهرون براى .

● سلطة الفرد الواحد ●

ان الحقائق المقدمة تاخذ فى عالمنا العربى المعاصر صورة ازمة حقيقية تحتاج إلى مواجهة عاجلة .. وذلك لسببين رئيسين :

أولهما : ان نظم الحكم فى الكثرة الغالبة من الدول العربية لاتزال ـ فى جوهرها ـ نظما فردية رغم الواجهات الدستورية التى تنسبها الى الديمقراطية .. ومعنى هذا ـ من الناحية العملية ان سلطة البت والتقرير فى كبريات المسائل السياسية والاجتماعية تستقر بين يدى فرد واحد ، تحيط به ـ فى احسن الفروض ـ حاشية محدودة العدد من الاعوان والمستشارين .. وهذه الصيغة من شانها ان تجعل مصير الشعب كله معلقا بمدى الخطا والصواب فى القرارات الفردية التى تعالج بها الامور .. وفى ظل هذه الأوضاع كلها تشتد الحاجة الى اسهام المثقفين ومشاركتهم الحقيقية بالراى والاجتهاد والنصيحة .. وتشتد الحاجة تبعا لذلك الى خلق الظروف السياسية والاجتماعية التى تشجع المثقفين والعلماء على ممارسة هذا الدور .

ثانيهما : إن اسلوب اتخاذ القرار السياسى والاجتماعى ، بالاضافة الى فرديته لا يزال اسلوبا عشوائيا فى اغلب الاحيان ولايزال كثير من الحكام العرب غير مستوعبين تماما لطبيعة العصر ، ودقة المشاكل التى يتصدون لعلاجها .. ولا يزال بعضهم يتصور أن الفطنة الموروثة وسلامة النظر تكفيان لمواجهة أعقد المشاكل وتغنيان عن الدراسات المنهجية التى يقوم بها المتخصصون .. ولهذا قل ان تقوم الى جوارهم هيئات متخصصة للدراسة والبحث والمشورة مع ان هذه الهيئات والمراكز قد اصبحت جزءا اساسيا من جهاز « الفكر » الذى يرشد اكبر الحكومات واوفرها حظا من الكفاءات المتخصصة .

لقد كان لهاتين الظاهرتين آثار مؤسفة للغاية على مستوى كفاءة الحكم من ناحية وعلى موقف العلماء والمثقفين من « الحكم والسلطة » من ناحية اخرى :

المثقفون والسلطة

أ - فقد تراجعت كفاءة اكثر الحكومات العربية .. واعجزتها ضخامة المشاكل ، وانتشر في كل مكان احساس بانها غير قادرة على الامساك بزمام الحوادث او ممارسة التخطيط الضرورى لاخراج المجتمعات العربية من " عنق الزجاجة " الذى تمر به .. والوصول بها الى مرحلة الاقلاع الحضارى " التي بدت في وقت ما قريبة وعلى مرمى البصر ، ثم اذا بها تبتعد وتبتعد ، ولايكاد أحد يراها او يتوقع حصولها في الغد المنظور .. وتجاوز مظاهر هذا التراجع حدود الأوضاع الداخلية للمجتمعات العربية لتصل إلى قضايا وأوضاع وثيقة الصلة باستقلال تلك الدول وسيادتها وسط أطماع دولية تحيط بها من كل جانب وتهدد امنها في صميمه ، وتوشك ان تردها إلى حالة من الهوان والتبعية والتخلف تتسع معها الفجوة بينها وبين العالم المتقدم .

● إحباط .. وتحذير ! ●

ب - ونتيجة لذلك كله تصاعد إحساس المثقفين بالازمة واشتد شعورهم بالاحباط وساء ظنهم بالحكام .. وارتفعت اصوات بعضهم محذرة ومنذرة .. وداعية في حدة وشدة احيانا - الى ضرورة تغيير اسلوب الحكم وضرورة تخليه عن عشوائيته وبدائيته ووجوب استعانته باهل الخبرة والعلم ، القادرين وحدهم على ترشيد مسيرة العمل الوطنى .. وانقاذها من عثرات قد تدفع بها الى كارثة يفوق حجمها كل تصورات العاجزين عن مد أبصارهم وراء الحدود الضيقة لاهتماماتهم المحلية الخالصة .

وقد كان الحكام جديرين بأن يحسنوا استقبال هذا النقد وان يرحبوا به وان تتسع صدورهم لما قد يشوبه من حدة او مبالغة في وصف النقائض والافكار ولكن الاحساس بالازمة ، والشعور بالضائقة جعل كثيرا من الحكام - ومن حولهم من بطانتهم يتصورون أن توجه النقد في الساعات العصيبة مقامرة بالامن وتهديد للاستقرار ، ومدخل لاشاعة روح الياس والقنوط في وقت يحتاج معه الناس الى التفاؤل وبعث روح الامل ..

إن الطريق المسدود الذى وجد فيه المثقفون انفسهم قد دفع كثيرا منهم إلى صور من العزلة الحزينة .. ومن الاكتفاء بالشكوى والقناعة بترقب وقوع الكارثة .. وذلك - في ذاته - كارثة ، فالحكام يرفعون شعارات للتفاؤل ليس لها شاهد مقنع .. والمثقفون يرفعون شعارات التذكير بسوء الحال ويعلنون قرب وقوع الكارثة .

والجماهير التى هى اداة التغيير الحقيقى ، بالعمل والانتاج والابداع والارادة .. موزعة المشاعر ، تقتلها

الحيرة ، وتستغرقها الهموم ويزداد ياسها من الغد يوما بعد يوم .

والتراجع الشامل فى مستوى الأداء العربى تتاكد مظاهره يوما بعد يوم ، ويتعامل معه الآخرون على انه حقيقة قائمة بينما اكثر نظم الحكم مشغولة بالتعتيم عليه ، والمكابرة فى وجوده ، واصطناع تفاؤل كاذب قد يحول دون احساس الناس بحجم الأزمة فى المدى القصير .. ولكنه يمهد الطريق لكوارث حقيقية فى المدى البعيد ، الذى قد لا يكون فى حقيقته بعيدا كما تتمنى اكثر النظم والحكومات .

فهل لهذا كله من مخرج ؟؟

إن احدا لا تبلغ به السذاجة أو القدرة على خداع النفس أن يزعم ان المخرج يسير او قريب ..

ولكن له ـ فيما نرى ـ مداخل اساسية .. لابد من توفيرها بغير تراخ ولا ابطاء ..

● لاخطر منهم ! ●

● المدخل الأول :

المسارعة الى علاج ازمة الثقة والتصديق بين الحكام والمثقفين .

أ ـ بأن يدرك الحكام أن المثقفين فى النهاية ليسوا خطرا على أحد فهم اصحاب رأى وفكر ، اقصى ما يملكونه ان يعبروا عن هذا الفكر باقلامهم والسنتهم .. وحتى حين يجنح القلم أو يشتط اللسان .. فهو شطط المخلص الذى تقض مضجعه هواجس الأشفاق من غد مجهول محمل بالأخطار الكبار .

ب ـ وان يدركوا فوق ذلك ان استيعاب جماعات المثقفين داخل تيار العمل الوطنى العام جزء اساسى من مسئوليتهم ! يقتضيهم ان يتوجهوا فى صدق وامانة ومسئولية الى الاستفادة بعطاء العلماء والمثقفين .. بدلا من الحرص على اسكاتهم او احتوائهم او شراء موافقتهم المزيفة على ما تتخذه الحكومات من قرارات وما تتبناه من سياسات .

ج ـ وان يدركوا ـ فى النهاية ـ ان بقاء المثقفين خارج دائرة اتخاذ القرار ورسم السياسة ! ينطوى عل خسارة فادحة .. ويترك « السلطة » مهما بلغ صلاحها ، تواجه الوانا من المشاكل والتحديات لا يصلح لمواجهتها اسلوب التجربة والخطا والعمل العفوى الذى تتحكم فيه اختيارات ذاتية لحكام افراد .

● المدخل الثانى ●

ان يذكر المثقفون وهم المبصرون لحقيقة الواقع العربى ، والمدركون لحجم التحديات القائمة ، وفداحة الأخطار القادمة فى خطى متسارعة .. ان دورهم فى وقت الأزمة يقتضيهم أن يقدموا ماهو أكثر من النصيحة المجردة التى يلقيها صاحبها من برجه العاجى ثم يمضى وهو يقول الا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد .. إن البلاغ فى هذه المرحلة يقتضى عملا دءوبا والحاحا على الاقتراب من مواضع صنع القرارات ، واستعلاء على كلمات

المثقفون والسلطة

التجريح واتهامات الجرى وراء المصالح الذاتية ..

ان المثقف الفرد لايمكن ان يصل صوته لحاكم .. او محكوم وفرض عين على المثقفين العرب فى هذه المرحلة ، ان تكون لهم لقاءات ومنتديات .. يشيع فى اجوائها الاحساس بالأزمة ، والشعور الغامر بالمسئولية ، والاستعداد للبذل .. والاصرار على كسر حاجز الثقة واختلاف منهج التفكير والعمل بينهم وبين كثير من الحكومات . وعليهم وهم يفعلون ذلك ، ان يصيخوا السمع جيدا الى همس الجماهير وشكاياتها ، وهمومها .. حتى لا يكون جهدهم حرثا فى البحر ، ورجع صدى لأفكارهم هم .

وغنى عن الذكر ان ذلك كله يحتاج الى قدر ادنى من احترام حرية الرأى والتعبير عنه .. فليس كل صاحب فكر مجاهدا مقاتلا او صاحب عزم .. وليس كل مثقف - بالضرورة - سياسيا يحسن الكر والفر .

وجو الحرية وتامينها هو الضمان الكبير لانطلاق هذه الجهود الخيرة التى يتقارب بها الحكام والمثقفون .. ويلتقى فى ظلالها سيف الحكم وميزان العدل والحكمة

المدخل الثالث :

ان ينتبه المثقفون الى حقيقة بالغة الأهمية ، وهى ان علاقتهم بالسلطة تحددها - جزئيا على الاقل - علاقتهم بالجماهير .. فالمثقف المنعزل المتباعد عن الجماهير ، لاتقيم له السلطة وزنا ، ولاتحسب له حسابا ..

ولاتحرص على سماع ما يكتب او يقول .. أما حين يعبر المثقف وصاحب الرأى عن هموم حقيقية للناس ، وحين تحمل كلماته نبض أولئك الناس ، فان « السلطان » يتعامل معه على هذا الاساس ، ويحسن الاستماع له ، ويحرص على الحوار معه لأنه يجد فيه - عندئذ - قناة تواصل فعال مع الجماهير ، ولأنه يدرك - بعد ذلك - ان المساس به وبحريته يستثير الجماهير ويحرك غضبها ويفسد علاقتها به .. ولذلك يتردد طويلا قبل ان يقدم على هذا المساس ..

ان الثمرة العملية لادراك هذه الحقيقة تتمثل فى حرص المثقف على ان يظل عقليا ووجدانيا موصولا بالناس معبرا عن مطالبهم وتطلعاتهم ومدافعا عن مصالحهم وحقوقهم .. وبذلك يؤدى دوره الرائد فى المجتمع .. وهو دور تنوير الناس وتبصيرهم .. كما يفتح امامه بابا واسعا لترشيد قرارات السلطة ومواقفها وسياساتها ..

هذه - فيما أرى - بعض الخيوط الأولى لعلاج ازمة العلاقة بين المثقفين والسلطة .. بغيرها لن يتحقق شىء وبها يهون كل شىء .. وتلوح - ولو من بعيد - انوار فجر جديد .

أقوال معاصرة

● « مصالح شعبنا لا يخدمها أولئك الذين يقولون آمين كلما صلت واشنطن »

فيلى برانت المستشار الاول لالمانيا الغربية سابقا

● « الديمقراطية تعنى المشاركة ، وعلى الشعب أن يشاركنى فى المسئولية » .

الان جارسيا رئيس جمهورية بيرو

● « ما أكثر الذين يملكون أذواقا جميلة ، أما انا فاملك احلاما » .

مصمم الازياء الامريكي رالف لورين

● « الفنان الذى يخاف الحياة لا أمل فيه »

السينمائى الامريكى « جون هوارد لوسون »

● « يجب الا يفوز المرء بالشهرة والثروة فى سن مبكرة » .

الاديب اليابانى يوكيو ميشيما

● الاختبار الذى يواجه العالم اليوم ليس بين الحرب والسلام ولكن بين الحياة والموت .

من بيان مؤتمر دول عدم الانحياز الاخير

● « اسرائيل هى صمام الامن الذى يتحكم فى المساعدات الامريكية للدول العربية » .

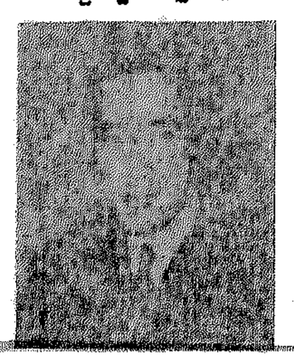
حمدى فؤاد بالاهرام

● « لا شىء دائم حتى على ضفاف النيل ، وتحت ظلال أبى الهول والاهرام .

الكسى فاسيلييف ـ دكتوراه فى التاريخ



فيلى برانت



يوكيو ميشيما

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

الاقتصاد من مقاعد المتفرجين

عذرى حين أكتب في الاقتصاد أنى اجلس فى مقاعد المتفرجين . وكيف يمكن ، وانى يكون ، وهل يعقل أو يجوز ، ان ياتى كاتب لا يعرف إلا شيئا من اللغة والأدب ، ولايحمل درجة جامعية واحدة فى الاقتصاد ، ليحدثكم عن اقتصاد بلد يقل ترابه خمسين مليونا من النفوس ، وتبلغ ميزانيته كذا ألف مليون من الجنيهات ، وديونه كذا ... من الدولارات ، واقداره ـ تعلمون ـ هى الآن فى أيدى افذاذ من علماء هذا الاقتصاد ، لايبخلون علينا بالبيانات والاحصاءات ، التى تطمئن النفوس ، وتنسج خيوط الأمل ، وتمد حبال الصبر ؟

اللهم إنا نعلم قدر انفسنا ، وما منا إلا له مقام معلوم ، ومجلسنا فى لعبة الاقتصاد هو مقاعد المتفرجين . وقد قال طيب الذكر « شكسبير » إن الحياة مسرح (يعنى خشبة مسرح) ونحن عليه ممثلون ، ونسى أنه لا مسرح بدون متفرجين ، وأننا نحن المتفرجون ، ولكننا ـ كما ترى ـ منسيون حتى من شكسبير .

وقد زعموا أن المسرح الحديث أسقط الحائط الرابع ، ودخلت خشبة المسرح فى صالة المتفرجين ، وزحفت صالة المتفرجين إلى المسرح ، ولكن لا تظنوا أن المسرح لم يعد له ضابط ، وأن المسألة أصبحت سداح مداح ، فهذا أيضا تمثيل . وانكم لتعلمون ياسادة أنى وإياكم كالطرشان فى الـزفة ، أو



كالمشاهدين فى مسرح العبث ، نرى ولا نفهم ، ونسمع ولا نعى ، ونخرج بعد أن تطفأ أنوار المسرح ، لم نستفد إلا اليقين بأننا حقا بلهاء .

● سلطة القرار لمن ؟! ●

تريدون بعض الأمثلة ؟ ... حسنا ... هذه « التسهيلات المصرفية » التى نراها ، بهذا اللفظ أو قريب منه ، ضمن بنود الواردات فى الميزانية ... هل تعنى قروضا من المصارف الوطنية ، وهل تظهر فى ميزانيات هذه المصارف ؟ ... من منكم يعرف ؟

هذه الملايين المملينة ، بل البلايين المبلينة التى نرزح تحتها ... من الذى ربطنا بهذه الديون ، أعنى من الذى كان يملك سلطة القرار ، ومن الذى يملكه الآن ؟ إننا نرى ، من مقاعد المتفرجين ، ناسا جالسين على المسرح ، يوقعون اتفاقات ، أو يعقدون صفقات ، وزير كذا مع ممثل هيئة كذا ، أو رئيس هيئة كذا مع وكيل شركة كذا ، وكل اتفاق أو صفقة من هذا النوع يشتمل بالضرورة على تسهيلات والتزامات وائتمانات . فهل يملك أى وزير كذا أو رئيس كذا أو مدير كذا أن يضيف إلى « مواردنا » من الديون بضعة ملايين من الدولارات ؟

● إيضاح على الهامش ●

معظم القراء ، فوق سن العشرين ، يتذكرون أن أحد عباقرة المالية والاقتصاد ، الذين تولوا هذه الوزارة فى وقت من الأوقات ، وشبهه رئيس الدولة آنذاك بالخواجة فلان الذى بنى اقتصاد ألمانيا الغربية من الصفر ، هذا الاقتصادى النبيه بشرنا ذات يوم أو ذات عام بأن الميزانية قد حققت وفرا لأول مرة منذ أعوام ! وعندما أبى بعض الناس أن يصدقوا هذا النبأ السعيد ،

التـفـرعــــات

الأشواك

وراحوا يتقصون الأمور ، تبين ان الاقتصادى النبيه المذكور يتبع مدرسة فى الاقتصـاد تعد السلفيـات من الواردات .

● ويرجع مرجوعنا إلى المسرح والمتفرجين ●

فأنا يا سادتى امتاز عن اكثركم بأنى اجلس فى الصف الأخير ، وأنتم تعرفون مزايا الصف الأخير . فالجالس فى هذا الصف يمكنه أن ينام بشرط الا يصدر أصواتا تزعج المتفرجين او النائمين . أما جلوسى فى الصف الأخير فلأنى خرجت إلى « المعاش » منذ سنين ، ثم زدت فقطعت نفسى عن أسباب الاكتساب ، مكتفيا بصحبة الآداب ، وهكذا يمكننى ان اتحدث عما جرى أو يجرى على مسرح الاقتصاد دون أن يتهمنى أحد بأننى أرنو إلى مكان على الخشبة (خشبة المسرح أعنى ، لا الخشبة الأخرى) ، أو حتى اطمع أن أتقدم صفا أو صفين فى مقاعد المتفرجين . ويحسن أن أعترف أيضا بأنى لم أعد اتحمس لما يجرى على خشبة المسرح ، ، ولا أميل بعواطفى نحو أحد من الممثلين . الاشتراكية ؟ اهلا وسهلا . الاقتصاد الحر ؟ ولم لا ؟ ولنفرض أننى اشتراكى صميم ، فهل أنا احسن من لنين الذى كافح حتى فرض « النب » أو السياسية الاقتصادية الجديدة ، سنة ١٩٢١ ، ورعاها حتى مات ، موسعا مجالات العمل والاستثمار فى الصناعة والزراعة والتجارة للقطاع الخاص ، وأنوف رفاقه الشيوعيين فى الرغام ، لينعش الاقتصاد الروسى الذى خرج متهالكا من سنوات الحرب العالمية الأولى ثم الثورة وحروب التدخل ؟ او لنفرض أنى أدين بالولاء للاقتصاد الحر ، فهل أنا اكثر حرية من روزفلت ، الذى فرض بعض القيود على رأس المال حتى يخرج بالولايات المتحدة الامريكية من أزمتها الاقتصادية الخانقة فى أوائل الثلاثينيات ؟ الذى أعلمه علم اليقين اننا بلد متخلف « ميم تاء خاء لام فاء » . وأن التخلف يعنى أشياء كثيرة : منها ما يتعلق بالبشر ، ومنها ما يتعلق بالثروة ، وأن علاج التخلف لا يكون إلا بشىء يتعلق بالبشر ، والثروة معا ، واسمه التقشف . « تاء قاف شين فاء » . ولكن التقشف والتخلف كلمتان يمنع النطق بهما على مسرحنا الاقتصادى بمقتضى قانون الآداب .

● استطراد لا محل له ●

ذات ليلة كنت اشاهد مسرحيـة (حقيقية هذه المرة ، أعنى أنى كنت فى مسرح حقيقى ، لأن المسرحيات الحقيقية لا تمثل على خشبة المسرح) . وكان ابنى يجلس بجانبى ، وحدث ـ أقولها بصراحة ـ أنى نمت أثناء العرض ، فلما أضيئت أنوار الصالة عند انتهاء الفصل انتبهت فجأة ، وهززت ذراع ابنى بشدة ، وأمام دهشته

لهذه الحركة اضطررت أن أشرح له الموقف : لقد خيل إلى أن المسرح يحترق ، فلكزته لنسرع بالفرار .

ألم أقل لكم إنه استطراد لا محل له ؟ ولكن ادعوا الله معى ألا يحترق بنا المسرح .

● استطراد آخر يمكن ان يكون له محل ●

ربما كانت تربيتى اللغوية هى السبب فى أنى أحشر اللغة فى كل شيء حتى الاقتصاد فهناك نوع من الجبن اللغوى ، يقترن دائما بالجبن الفكرى ، وليس هذا ولا ذاك صالحا للأكل منه ، واجتماعهما يؤدى إلى اختفاء كلمتى التقشف والتخلف من قاموسنا المعاصر .

وقد كنت عالجت بعض هذه الأمراض اللغوية فى كتاب لى جعلت عنوانه « اللغة والحياة » ، وقدمته إلى « كتاب الهلال » منذ اكثر من عام . فأنا أنتهز هذه الفرصة لأشكو إليكم رئيس التحرير .

● وما زلنا فى المسرح ... ●

ولا تصدقوا اننا نستطيع أن نغادره ، فنحن أصحاب مصلحة فيه ، وإن كنا لا ندرى بالضبط ماهى . حتى أنا الجالس فى الصف الأخير ، صف المعاشات ، لى مصلحة ، وإن حاولت أن أوهمكم غير ذلك

قال لى أحد دكاترة الاقتصاد ، والعهدة عليه ، وإن لم أكن فى حل من ذكر اسمه ، إن صندوق التأمينات ، الذى يفترض أنى أقبض معاشى من أرباحه ، هو مصدر مهم من مصادر الاقتراض الداخلى التى تقوم بها الدولة فى السر . ولكن الحكومة تحاسب الصندوق - أى تحاسب نفسها كوكيلة عنى - على نسبة ربح بخسة جدا - لا أدرى ذكر ٤ ٪ أو ٥ ٪ . فهى إذن تقاسمنى فى أرباح المبالغ المودعة باسمى ، وتمن علىّ كل عيد بمنحة صغيرة ، أو تزيدنى عشرة فى المائة حين ترتفع تكاليف المعيشة مائة فى المائة ، أى « جوعان ياكل من زادى ويطعمنى » . ولكننى والله ، أنا وكل أرباب المعاشات ومنهم الدكتور المذكور ، لا نحقد على الحكومة لهذا السبب أو لغيره ، بل نتمنى لو نستطيع أن نعطيها أكثر . إنما يؤلمنا ألا تثق بنا وهى منا .

● مشهد يستحق الاهتمام ●

مع أنى أصبحت كثير النوم فى هذا المسرح ، فقد انتبهت جدا حين عرض المشهد التالى :

صحفى : هل تتوقعون أن يتأثر وضع الجنيه المصرى بعد خفض سعر الفائدة على الدولار ؟

مصرفى كبير : بكل تأكيد سوف يتعزز وضع الجنيه المصرى . والملاحظه فعلا أن كثيرا من المدخرين بدءوا يحولون ودائعهم من الدولار إلى الجنيه .

الصحفى : ولاشك أن هذا سيؤدى إلى انتعاش الاقتصاد المصرى ؟

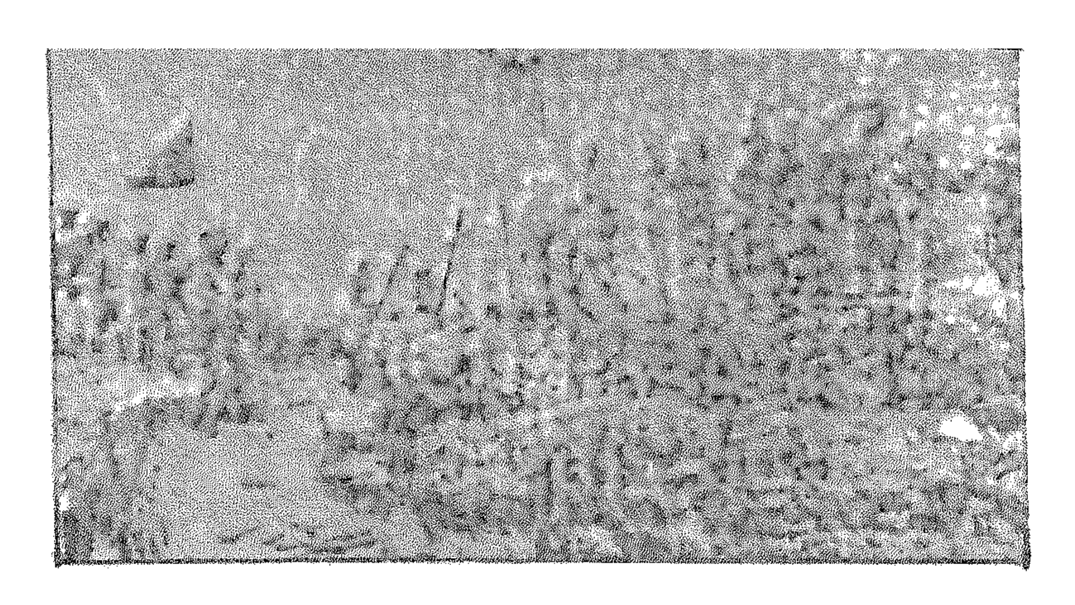
المصرفى الكبير : ليست المسألة بهذه السهولة . الودائع المجمدة فى البنوك لا تساعد على نشاط الاقتصاد ، وإن كانت تقلل من كمية العملة المتداولة فى السوق وبذلك يمكن أن تقلل آثار التضخم . النشـاط الاقتصادى يتطلب تحـويـل المدخرات إلى رأس مـال . ومعظم المدخرين ليست لديهم الشجاعة لهذا ، أو أن الظروف لا تساعدهم . فالذى يحول مدخراته إلى وديعة فى البنك يختار الطريق الأسلم فى نظره ، لأنه يقرأ ويسمع أن كثيرا من الشركات الجديدة تعانى مصاعب ، فالمسألة ترجع أولا إلى سوق المال .

قلت لنفسى حين سمعت هذا الحوار : تاهت المسألة إذن بين البنوك والبورصة وسوق المال وهيئة الاستثمار . لدينا اذن مدخرات ـ مدخرات مصرية ـ لا ندرى ماذا نصنع بها . لا الأفراد ولا البنوك . وكانت المسألة أسهل حين كانت معظم الودائع فى مصارفنا الوطنية والمشتركة بالدولار الأمريكى . كانت توضع فى صناديق وتشحن إلى أوربا وأمريكا لتغذى الاقتصاد الأوربى والأمريكى . هذا غير ودائعنا التى توجد أصلا هناك ، وهى بالتأكيد أضعاف ما يرحل من هنا .

فكرت ، وانا فى مقعدى فى آخر الصالة : هل يمكن أن يبنى اقتصاد وطنى بهذه الصورة ؟ هل يمكن أن يبنى اقتصاد بغير جيش من المديرين الأكفاء المتحمسين وجيوش من العمال المهرة المخلصين ؟ والكفاءة و المهارة يمكن أن تكتسبا مع المثابرة والرغبة الصادقة فى التعلم ، ولكن الحماسة والاخلاص يجب أن يوجدا من الأصل . حقا إنهما يوجدان بوفرة فى أغانينا الوطنية ، ولكن متى يوجدان فى العمل ؟ لاشك أن هذا يحتاج إلى شجاعة أيضا ، إلى شجاعة الأفراد وشجاعة الملايين .

المشكلة الآن كما تبدو لى هى : هل يبنى الاقتصاد من أعلى أو من أسفل ؟ هل يبنى بالبورصة وسـوق المال والمؤسسات العامة ، التى لابد أن تقع ، وهى طرية العود ، فى قبضة مؤسسات عالمية عملاقة ، أم يبنى بألوف المشروعات الصغيرة ، التى تشبع أولا سوقنا المحلية الجائعة ، ويتخرج فيها الـوف المديـرين وملايين العمـال المهرة ؟

ومن الذى يمكنه أن يصنع ذلك ؟ نحن الجالسين فى الصالة !



●● المشير محمد عبد الغنى الجمسى واحد من أبرز القادة الذين شاركوا في الاعداد والتخطيط المحكم لحرب اكتوبر التى حققنا فيها الأنتصار على اسرائيل .

ويسعد « الهلال » أن تكون اول مجلة عربية يكتب فيها المشير الجمسى عن ملحمة العبور وشجاعة الجندى المصرى ●●

مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

بقلم : المشير / محمد عبد الغنى الجمسى

● كانت حرب أكتوبر على النقيض تماما لحرب يونيو ١٩٦٧ .. فنتيجة لما حدث فى حرب يونيو ، وهى الحرب التى انتصرت فيها اسرائيل على الدول العربية المحيطة بها ، لأخطاء ارتكبناها ، وليس لعمل غير عادى قامت به ، أصبحت اسرائيل فى الوضع السياسى ، والوضع العسكرى الاستراتيجى الاقوى ، خاصة بعد أن وصل الجيش الإسرائيلى إلى الضفة الشرقية لقناة السويس فى الجنوب وإلى نهر الأردن فى الشرق ، ومرتفعات الجولان فى الشمال .

ومن هنا تملكها الغرور ، وأصبحت تنتظر مكالمة تليفونية للاستسلام .

مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

وحتى أوائل عام ١٩٧٣ ، كنا قد وصلنا إلى طريق مسدود لحل أزمة الصراع العربي الإسرائيلي بالوسائل السلمية ، وكان من المحتم أن تشن مصر وسوريا الحرب ضد إسرائيل لتحرير سيناء والجولان .

وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجهنا ، هي الحاجة إلى الأسلحة التي تمكننا من القيام بهجوم ضد القوات الإسرائيلية المتمركزة في سيناء ، خاصة وأن أمريكا قد ضمنت لإسرائيل التأييد السياسي ، والتفوق العسكري على الدول العربية المجاورة لها ، وزودتها بالأسلحة الحديثة والمتطورة بالكميات والأنواع والتوقيتات ، التي تضمن لها التفوق الدائم !

وكان الاتحاد السوفييتي يزودنا - في المقابل - بكميات وأنواع من الأسلحة في التوقيت الذي يناسبه كدولة كبرى لها سياستها ومصالحها في المنطقة ، وبما يضمن عدم الاخلال بتوازن القوى المعلنة رسميا بواسطة امريكا ، تحت شعار توازن القوى في المنطقة .

ومما زاد الموقف تعقيداً أمام المقاتل المصري ، الذي كان يستعد لخوض حرب جديدة ، يرد فيها اعتباره ، بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، أنه كان يتحتم عليه عبور قناة السويس للالتحام بالقوات الإسرائيلية ، خاصة وأن قناة السويس لها مواصفاتها الفنية الفريدة ، من حيث المد والجزر ، الذي يختلف من شمال القناة بين الإسماعيلية وبورسعيد ، عنه في الجنوب من الإسماعيلية إلى السويس ، فضلاً عن اختلاف سرعة التيار من شمال القناة إلى جنوبها ، وبالإضافة إلى السواتر الجانبية على حافتي القناة ، المصنوعة من الأسمنت المسلح .

لذا كانت عملية العبور من النواحي الفنية والهندسية في غاية الصعوبة ، من حيث عبور المقاتل ، واقتحامه لحصون العدو الإسرائيلي ، خاصة إذا عرفنا ان إسرائيل قد أقامت ساتراً ترابيا عاليا إرتفاعه يبدأ من ١٢ إلى ٢٠ مترا على الضفة الشرقية للقناة ، مما يمنع إستخدام المعديات وإقامة الكباري ، إلا بعد عمل فتحات في هذا الساتر

ولكي تزيد إسرائيل الأمر تعقيدا أمام قواتنا المسلحة ، فقد أقامت التحصينات على الضفة الشرقية للقناة ، والتي عرفت بأسم « خط بارليف » . زودتها بالأسلحة المتطورة التي تمكنها من تدمير القوارب التي تحمل قوات العبور المصرية إلى سيناء ، كما وضعت خزانات من النابالم والوقود على الضفة الشرقية للقناة ، تخرج منها مواسير إلى سطح القناة ، يتم إشعالها كهربائيا ، من داخل الخط الإسرائيلي ، لمنع أية محاولة للعبور من جانب قواتنا المسلحة .

● دور بارز للمقاتل المصري ●

وكان على المقاتل المصري عند عبوره لقناة السويس ، أن يواجه كتلة من نيران النابالم فوق مياه القناة ، ونيران المدافع التي تطلق عليه من المواقع الحصينة ، وهو في أضعف حالاته أثناء ركوب قوارب مصنوعة من الخشب والمطاط ، وكانت عليه أيضا عند وصوله إلى الضفة

الشرقية أن يتسلق الساتر الترابى ، ومعه أسلحته الشخصية التى يحملها فى مواجهة دبابات العدو الإسرائيلى ليهاجمها ، ويقتحم حصون خط بارليف بشجاعة نادرة ، ولينفذ مهاما غير تقليدية فى ثمان ساعات ، ليوقف أى هجوم مضاد من القوات المعادية بجسمه فقط ، حتى تنشأ المعديات والكبارى ، لتعبر عليها دباباتنا ومدفعيتنا وباقى الأسلحة .

وخلال سنوات ماقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ عكفنا على تذليل كل المشكلات والعقبات التى واجهتنا ، لضمان نجاح العملية الهجومية ، فقد قمنا بتعطيل وإبطال مفعول خزانات الوقود والنابالم الإسرائيلية ، وفوجىء العدو بعدم قدرته على إستخدامها عند نشوب الحرب ظهر ٦ أكتوبر ، ووقع المهندس الإسرائيلى المختص بتشغيلها وصيانتها أسيراً فى أيدينا فى أولى موجات الهجوم ، وتمكنت قواتنا من عمل فتحات فى الساتر الترابى خلال ساعات قلائل ، بواسطة مضخات مياه قوية التأثير ، وكانت كل فتحة تحتاج إلى إزالة ١٥٠٠ متر مربع من الرمال ، وجاءت فكرة إستخدام مضخات المياه ، من خبرة العمل فى السد العالى ، ولأول مرة تستخدم مثل هذه الوسيلة أثناء اقتحام مانع مائى فى الخطوط الأمامية ، وتحت نيران العدو .

وقد أقام المهندسون المصريون الكبارى فى الوقت المحدد لها ، برغم كل الظروف الصعبة ، وأمكن إنشاء ثمانية كبارى فى وقت قياسى لايزيد على ثمانى ساعات ، وتحت نيران العدو ، وبدأت الدبابات المصرية تعبر إلى سيناء ، خلال ست ساعات ونصف فقط من بداية الحرب ، لتؤدى مهامها القتالية .

ومما يجدر ذكره أنه فى يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، أرادت مسز مائير رئيسة وزراء إسرائيل أن تطمئن أننا غير قادرين على اقتحام وعبور قناة السويس فأستدعت الجنرال اليعازار رئيس الأركان لتتأكد منه أن المصريين غير قادرين على عبورها ، وكان رد اليعازار عليها كما جاء فى مذكراته التى نشرها "من المعروف دولياً أن أصعب الموانع المائية فى التاريخ ، إثنان لاثالث لهما ، وهما قناة السويس وقناة بنما ، وذلك لطبيعة المياه والعمق والعرض ، وإذا أضفنا لذلك كله ، المواقع الحصينة فى خط بارليف ، ومواقع الإشعال البترولى ، ثم سمك الساتر الترابى ، فإن ذلك كله بدون أى تفكير كاف للدلالة على استحالة عبور المصريين لقناة السويس" .

ولو عدنا إلى الساعات الأولى قبيل بداية الحرب ، فنجد أن "ديان" قد وصل ومعه جموع القادة الإسرائيليين فى صباح ٦ أكتوبر ليطمئنوا على الموقف ، بعد أن أصبح الشك يراودهم أن هناك شيئاً مايحدث فى مصر وسوريا وشاهد "ديان" بنفسه بعض أفراد قواتنا على الضفة الغربية للقناة يلهون ويمرحون ، فبعضهم يلعب الكرة ، والبعض الآخر يسبح فى مياه القناة ، ومعدات الشركات المدنية تعمل كالمعتاد .

وقد كانت خطة الخداع التى صممتها القوات المسلحة المصرية بالكفاءة والدقة ، التى جعلت إسرائيل تقتنع بأن القوات المصرية تقوم بعمل مناورة تدريبية كالمعتاد سنوياً ..

وكانت هذه المناورة هى ستار للحرب الفعلية .

مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

كانت قواتنا المسلحة على استعداد تام لاقتحام قناة السويس بالجيشين الثانى والثالث ، لتنفيذ مهامها القتالية ، وكانت القوات الجوية على أهبة الاستعداد للإقلاع لتنفيذ الضربة الجوية الأولى ، ضد أهداف العدو الرئيسية فى سيناء وكانت مدمراتنا قد وصلت على الفور ، بعد زيارات ودية لمينائى الخرطوم وصنعاء إلى مضيق باب المندب ، وتمركزت فيه لقطع خطوط الإمدادات الإسرائيلية .

● ملحمة قتالية فريدة ●

وفى الساعة (١٤٠٥) الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الموافق ١٠ رمضان ، وهو يوافق فى إسرائيل يوم عيد كيبور ، حدث الإنفجار ، قامت القوات الجوية المصرية بأكثر من مائتى طائرة تهاجم بكل دقة ومهارة أهدافها فى سيناء ، وحوالى مائة طائرة سورية تهاجم أهدافها أيضاً فى الجولان ، كما فتح أكثر من الفى مدفع نيرانها المركزة على حصون خط بارليف ، وماخلفه من مواقع تمركزت فيها قوات العدو الإسرائيلى .

كانت ملحمة قتالية رائعة تعزفها القوات المصرية والسورية طبقاً لتنسيق تام ، وخطة عسكرية محكمة ..

استمر قصف قواتنا لمدة ٥٣ دقيقة ، دكت فيها التحصينات الإسرائيلية المعادية ، وقامت القوات السورية بنفس الدور ، ضد أهداف العدو لمدة ستين دقيقة .

وبدأ عبور القوات المصرية فى موجات متتالية إلى سيناء الحبيبة ، وفى أولى الموجات نجح رجال المهندسين فى إقامة الفتحات فى الساتر الترابى ، واستمر القتال بضراوة على الضفة الشرقية للقناة ، وأقيمت الكبارى فى زمن قياسى وعبرت دباباتنا ومدفعيتنا وبقية الأسلحة المعاونة ، وليصل عدد جنودنا إلى ٣٠ ألف مقاتل عبروا إلى الضفة الشرقية خلال ثلاث ساعات ، كانوا يقاتلون بشراسة ضد تحصينات خط بارليف ودبابات العدو .

وبدأ السلاح الجوى الإسرائيلى ـ وهو القوة الضاربة الرئيسية لديهم ـ فى التدخل فى المعركة لمنع عبور قواتنا وتعطيل إنشاء الكبارى .

فتصدت لها قوات الدفاع الجوى ، وأصبح مجموع ماسقط لهم من طائرات حتى الساعة العاشرة مساء ٢٥ طائرة ، وصدرت الأوامر الإسرائيلية لطائراتها ، بالابتعاد عن منطقة القناة بمسافة ١٠ ـ ١٥ كيلو متراً .

وعلى الفور ظهرت إحدى مفاجآت حرب أكتوبر .. الصواريخ المضادة للدبابات التى يحملها الأفراد ، لقتال الدبابات وتدميرها ، وحتى مساء يوم ٦ أكتوبر حسمت معركة العبور لصالح القوات المصرية ، ولو أنها كانت الخطوة الأولى على الطريق ، لكنها كانت بداية طيبة لافتتاحية الحرب .

ويهمنى أن أوضح أن خسائرنا فى الضربة الجوية الأولى كانت قليلة ، وتعد على أصابع اليد الواحدة ، ووصلت

خسائرنا فى الأفراد إلى أقل من ٣٠٠ مقاتل ، فى الوقت الذى كنا نقدر فيه خسائرنا بأكثر من ذلك بكثير ، فى الوقت الذى بلغت فيه خسائرهم فى الأفراد فى يوم واحد ، ماخسروه خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، كما وصلت خسائرهم فى الدبابات فى يوم واحد أيضا مائة دبابة .

ويهمنى أن أذكر أيضا أن كثافة نيران مدفعيتنا كانت شديدة جدا ، بحيث سقط على العدو الإسرائيلى فى الدقيقة الأولى ١٠٥٠٠ دانة ، بمعدل نحو ١٧٥ دانة فى كل ثانية ، وبذلك استهلكت المدفعية نحو ٣٠٠ طن من الدانات فى التمهيد النيرانى لعبور قناة السويس ، والتى تم فيها اقتحام القناة تحت ستر هذه النيران الكثيفة .

● اروع الأمثلة ●

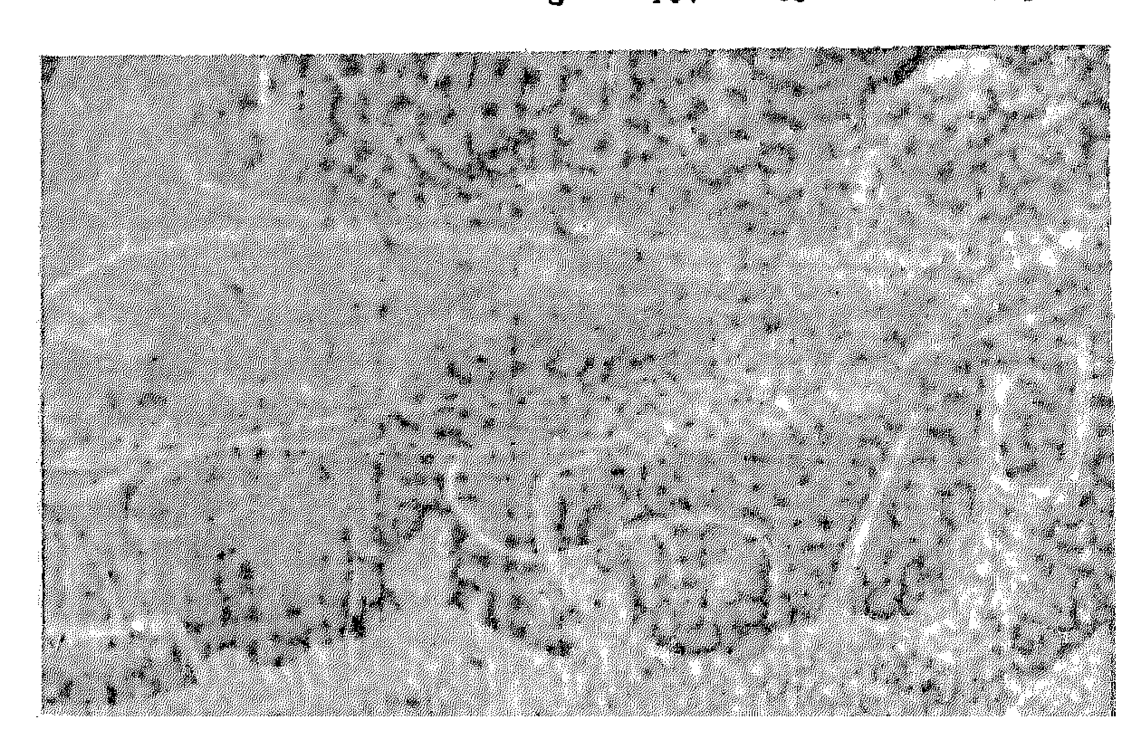
ولقد ضرب القادة القدوة والمثل لرجالهم ، فقد تقدموا جنودهم يقاتلون معهم فى الخطوط الأمامية ، ويستشهدون بينهم ، ويكفى أن نعلم أن الضباط قادة الفصائل والسرايا ، عبروا فى الدقائق الأولى مع موجات الأقتحام ، وعبر قادة الكتائب مع قواتهم خلال خمس عشرة دقيقة من بدء القتال ، وهكذا عبر قادة الفرق خلال ساعة ونصف ، لذلك كانت نسبة الخسائر فى الضباط والقادة عالية عن معدلها الطبيعى ، إلا أن الإصرار على تنفيذ المهام ، كان يتطلب منهم ذلك ..

وفى سبيل النصر وتحرير الأرض ، هانت الأرواح .

● حرب المفاجآت ●

وهذه الحرب يمكن ان أسميها حرب المفاجآت ، فقد اشتملت على مفاجأة استراتيجية وتعبوية من جانبنا للعدو الإسرائيلى ، ومفاجآت تكتيكية باستخدام الصواريخ المضادة للدبابات بواسطة رجال المشاه لقتال الدبابات ، وهذا عمل غير تقليدى فى الحروب ، كما اشتملت على مفاجأة فنية ، وهى الطريقة التى اتبعناها لعمل الفتحات فى الساتر الترابى ، حيث تم إقامة عشرة كبارى عبر القناة فى ظروف فنية ومواصفات غير تقليدية خلال ثمانى ساعات .

دايان .. داخل حصون خط بارليف التى تحطمت



مفاجآت العبور في حرب أكتوبر المجيدة

كما اشتملت خطة المفاجأة لإسرائيل على نواح كثيرة أقنعتهم قبل نشوب الحرب أننا نتخذ الدفاع ضد نوايا هجومية منهم ، وأننا نقوم بمناورة تدريبية كالمعتاد سنويا ، وليس هذا مجال لشرح هذه النواحي حالياً .

وعندما نشبت الحرب كانت مفاجأة للجميع في مصر والوطن العربي وإسرائيل ، بما في ذلك أمريكا التي اعترفت على لسان "كوانت" مساعد مستشار الأمن القومي الذي قال "لقد كان نشوب حرب اكتوبر مفاجئا لإسرائيل والدول العربية والعالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث لم تتوقع أغلب دول العالم نشوبها" .

وقد رفعت الأعلام المصرية على أرض سيناء الحبيبة بعد غياب حوالي ست سنوات ، وعلى أنقاض حصون العدو الإسرائيلي ، التي كانت رمزا لمناعة الجانب الإسرائيلي ، وإهانة للجانب المصري ..

وكما عبرت بعض الكتب الإسرائيلية : "لقد سقط الخط ، وبقي الرجل" .. أي سقط خط بارليف ، وبقي بارليف نفسه صاحب فكرة إقامة الخط .

وكانت حرب أكتوبر هي الرد الطبيعي لكرامة وشرف المقاتل المصري ، الذي أتقن فنون القتال ، واستعد استعدادا كاملاً ، وبذل الجهد والعرق لرد اعتباره ، ولم تكن هناك مشكلة على الاطلاق تواجه المقاتل المصري إلا وانتصر في حلها ، برغم صعوبة الموقف الذي وضعنا فيه ، وبذلك حققنا النصر العظيم .

● ونجح العبور ●

كان اليوم الأول من أيام الحرب (٦ أكتوبر) يوما صعبا قاسيا ، فالبلاغات لاتنقطع والانفعال شديد ، وفي نهاية اليوم الأول للقتال ، أصبح واضحاً لكل من القيادة المصرية والقيادة الإسرائيلية أن المعركة قد حسمت لصالح مصر فقد كانت البداية طيبة وناجحة .

فالقوات البرية تسيطر على حصون خط بارليف ، وتمنع الدبابات الإسرائيلية من الإقتراب من خط القناة .

والكباري والمعديات تعمل بكفاءة ، حيث تتدفق عليها الأسلحة الثقيلة والدبابات المصرية شرقاً .

وقوات الصاعقة تبث الذعر في عمق مواقع العدو الإسرائيلي في سيناء ، وعلى الشاطىء الشرقي لخليج السويس تدميراً وعرقلة لمنع وصول قوات العدو الإحتياطية للجبهة .

وقوات الدفاع الجوي تقف صلبة لحماية القوات والأهداف الحيوية بالدولة ، وأرغمت الطيران الإسرائيلي على عدم الاقتراب من القناة .

والقوات الجوية قامت بضربة جوية ناجحة ، وتتصدى بالقتال الجوي ضد السلاح الجوي الإسرائيلي .

وفي الطرف الجنوبي من البحر الأحمر ، تعمل البحرية المصرية في منطقة باب المندب للتعرض لخطوط الملاحة البحرية الإسرائيلية إلى إيلات .

ورفعت الأعلام المصرية على أرض سيناء .

وحتى صباح اليوم التالي (٧ أكتوبر



الكبارى .. انشئت خلال وقت قياسى لتعبر قواتنا لسيناء

كان الهجوم قد نجح مع الاقتحام المدبر لقناة السويس بواسطة خمس فرق مشاه أمكنها إنشاء خمسة رءوس كبارى فى الخمس مناطق فى سيناء بعمق خمسة كيلو مترات ، فى خمس معارك هجومية ناجحة .

وكان واضحاً أننا نخوض حرباً تختلف عن الحروب السابقة بين العرب وإسرائيل .

فهى الحرب التى بدأناها بمبادأة منا بالتعاون مع سوريا وكانت المبادأة دائماً فى يد إسرائيل .

وهى الحرب التى بدأناها بالهجوم ، بعد أن كنا دائماً فى موقف الدفاع ، وأصبح العدو فى موقف الدفاع لأول مرة . بعد أن كان دائماً هو المهاجم .

وهى الحرب التى حققنا فيها المفاجأة ، بعد أن كانت إسرائيل تفاجىء الدول العربية بعملياتها العسكرية .

وهى الحرب التى تخوضها دولتين عربيتين - مصر وسوريا - على جبهتين فى وقت واحد بتنسيق وتعاون بينهما ، بينما كانت إسرائيل تهاجم كل دولة عربية فى حده .

لقد قدر العدى قبل حرب اكتوبر أنه يصعب علينا عبور القناة ، إن لم يكن مستبعداً ، وقد سأل "ديان" عن إحتمال قيام قواتنا المسلحة بعبور القناة ، وكان رده "إن المصريين يحتاجون إلى سلاح المهندسين الامريكى والسوفييتى لتنفيذ العبور .

وفى أثناء الحرب ، وكلما مر الوقت وإزداد تدفق القوات المصرية شرقاً لتعميق مواقعها فى سيناء ، وإزدادت الخسائر الإسرائيلية ، صرخ "ديان" كما جاءت فى مذكرات اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلي قائلاً : "لو لم اكن متأكداً أنه لم يبق خبير سوفييتى واحد فى مصر لقلت إننا نحارب روسيا نفسها"

وحينما اشتد القتال بين المقاتل المصرى والمقاتل الإسرائيلى ، ظهرت القدرة القتالية للجندى المصرى ، الأمر الذى أثار الجنرال اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلي وسجل فى مذكراته التى قال فيها "إن المصريين يفجرون أنفسهم أمام وفوق مدرعاتنا ، وكان ذلك يعنى قبل كل شىء أن تقديراتنا السابقة حول الجندى المصرى . وقدرته القتالية . والفرق النوعى الذى يفصل بينه وبين الجندى الإسرائيلى .. كانت خاطئة" .



بقلم: د. فؤاد زكريا

●● كانت مبادرة ذكية من « الهلال » أن تعرض مقالي الذى ظهر في عدد أغسطس ١٩٨٦ بعنوان « ٥ يونيو في فكرنا السياسى » على ثلاثة من المفكرين المصريين ليبدوا رأيهم فيه ، وأن تنشر تعليقاتهم على هذا المقال في العدد التالى مباشرة ، ثم تطلب الىّ أن أقدم الى القراء ردود فعلى على هذه التعليقات . ذلك لأن هذه المتابعة ، على مدى ثلاثة أعداد متوالية ، تعكس اهتماما بالموضوع المطروح على بساط البحث ، واقتناعا بأن فكرنا السياسى ينبغى عليه الا يتهرب من مناقشة ماحدث في هذه اللحظة الفاصلة من تاريخ مصر والأمة العربية ، مهما كانت اليمة وموجعة ، لا بهدف تصفية حسابات قديمة او كسب نقاط في جدل سياسى معاصر ، بل من أجل فهم أعمق للعوامل الحقيقية التى أدت إلى تراجع الأمة العربية كلها تراجعا شاملا عند نقطة التحول الحاسمة تلك . وهذا الفهم ، في رأيي ، هو أقصى ما يتسنى للمثقفين المصريين القيام به في مسألة كهذه ، فمهمة المثقف هى التفكير والتحليل وايقاظ الوعى ، وتبقى بعد ذلك المهمة السياسية فى استخلاص النتائج العملية التى تترتب على هذا الفهم الاعمق .

ولقد أدلى الأستاذ الكبير فتحى رضوان برأيه حول هذا الموضوع ، وأضاف الى مقالى مجموعة من الاجتهادات فى تفسير أسباب الهزيمة . واعتقد ان أستاذنا الكبير يسعده أن نواصل مناقشة القضايا الهامة التى

طرحها ، وان كل كلمة تقال - بروح موضوعية - حول هذه القضية تسهم فى تعميق وعينا بجذور الهزيمة ، وفى الحيلولة دون تكرارها .

● استبعاد فكرة الشماتة ●

وفى اعتقادى أن من واجبنا ، حين نحلل أسباب الهزيمة ، أن نستبعد من اذهاننا تماما فكرة شماتة الأعداء - اعداء الثورة أو أعداء مصر - وسعادتهم بالانهيار الذى حدث فى يونيو ١٩٦٧ . فالسرور والشماتة لم يكن لهما مجال إلا بعد أن وقعت الهزيمة بالفعل . استاذنا الكبير قد وصف ما حدث فى يونيو بأنه « من ناحية الحجم والضخامة ، كانت هزيمة منكرة بالمعنى الحرفى لهذا اللفظ » ، فإن واجبنا هو أن نحصر تفكيرنا فى العوامل التى أدت إلى هذه الهزيمة المنكرة ، لا فى الانفعالات التى ولدتها فى نفوس الأعداء أو الأصدقاء ، فالهزيمة تظل هزيمة ، سواء سعد بها بعض الناس ام لم يسعدوا .

ومن هنا فإنى سأناقش ثلاث قضايا هامة طرحها المناضل الكبير فى تعليقه وكلها تتعلق بجوانب أساسية فى المسألة المطروحة للبحث .

القضية الاولى : هى القول بان الهزيمة « كانت مفاجاة للجميع » . هذه مقولة شائعة ، ولكنها تقبل فى رأيى قدرا كبيرا من النقاش . فالهزيمة كانت بالفعل مفاجاة لمن يـاخذ الأمـور بظواهرها ، ويتاثر بكل كلمة تنقلها اليه أجهزة الاعلام حول القوة الهائلة للجيش والتدريب الشاق للمقاتلين واليقظة التامة للمدافعين عن البر والبحر والسماء . ولكن كل من عرف شيئا عن تصرفات مسئولين كبار مثل شمس بدران أو على شفيق ، الخ ... كان يستطيع بسهولة أن يتنبأ بما سيحدث . ربما فاجأته سرعة الهزيمة أو فداحتها ، ولكن نتيجتها العامة لم تكن تخفى على عين من ينظر الى ماوراء السطح الظاهرى للدعاية الاعلامية .

والواقع أن مسار الأحداث كان يدل على أن عنصر المفاجاة لم يكن له دور لدى الطرفين . فالطرف الاسرائيلى كان قد رسم خطته على اساس معلومات معينة عن التسيب والتهاون فى الدفاع - وخاصة فى سلاح الطيران - وقد اثبت مجرى القتال أن هذه المعلومات كانت تفصيلية ودقيقة الى ابعد حد . ومن هنا فان هذا الطرف لم يهتز ولم يتراجع على الاطلاق من المحاولات التى بذلناها نحن لتخويفه ، كحشد القوات بسرعة فى سيناء بعد ١٥ مايو ، واتخاذ مظهر التشدد والقوة والباس فى المؤتمر الصحفى الشهير . بل إن العدو استغـل محاولات التخـويف هـذه لصالحه ، واعتبرها جزءا لا يتجزأ من خطته فى دفع مصر الى حرب كان واثقا من نتيجتها مقدما ، فضلا عن انها مفيدة غاية الفائدة فى إقناع الراى العام العالمى بانه لم يبدأ القتال إلا دفاعا عن النفس . أما الطرف المصرى فيبدو انه كان يغامر على اساس أن خطة التخـويف ستنجح ، وأن العـدو سيتراجع بغير قتال ، وعندما بدأت تظهر علامات تدل على أن العدو سيقاتل بالفعل ، كان الوقت متاخرا لاتخاذ

حوار جديد

حول ٥ يونيو

التدابير الكفيلة بالتصدى له على مستوى معقول من الندية .

اما القضية الثانية التى أود أن اناقشها ، فى تعليق الأستاذ الكبير فتحى رضوان ، فهى التى يعبر عنها بقوله : « وقد تضاءلت (يقصد الهزيمة) عقب حدوثها الى الحدود الدنيا ، إذ لم يترتب عليها شيء مما كان يمكن أن يبنى عليها . فالنظام الذى تمت الهزيمة فى عهده لم يسقط ، ولم يشرع أحد فى الانقضاض عليه . والنظام الذى كان يحكم فى مصر لم يغير شيئا لا فى أسلوب ولا فى منهج ولا فى الخصائص الكبرى التى عرف بها » .

والحق أن هذه مقولة ترددت مرارا ، على ألسنة الرسميين من أعلى المستويات إلى أدناها ، وعلى ألسنة الاعلاميين الذين كانوا يساندون ويبررون سياسات الدولة الرسمية : وأعنى بها أن إسرائيل كانت تريد من الحرب إسقاط النظام المصرى القائم عندئذ ، أو إسقاط عبدالناصر على وجه التحديد . ونظرا الى أن هذا الهدف لم يتحقق ، فمعنى ذلك أن النصر الاسرائيلي لم يحقق أغراضه ، أو لم يحقق غرضه الرئيسى على الأقل .

● تخفيف وقع الكارثة ●

واعتقد أن هذا موقف فكرى ربما كانت له فائدته فى الفترة التى أعقبت الهزيمة مباشرة ، لأنه يساعد على رفع المعنويات وتخفيف وقع الكارثة العسكرية ، فضلا عن انه يعطى دعما وسندا للنظام الذى وقعت الهزيمة على يديه ، ويعفيه من قدر كبير من المساءلة ، ويجعل مجرد التفكير فى تغييره ضربا من الخيانة ولكن هذا التفسير لا يصمد على الاطلاق أمام التحليل العلمى الموضوعى الذى يستهدف كتابة التاريخ وفهم العناصر المتحكمة فى مساره ، وخاصة إذا تم هذا التحليل بعد أن تغيرت الظروف ومضى زمن يكفى للابتعاد عن حرارة اللحظة وتوترات الحدث وحيرة العقول فى اعقابه .

فالدول التى تخطط سياستها بعقلانية باردة وحسابات دقيقة - وأعتقد أن إسرائيل كانت ولاتزال تفعل ذلك فى تعاملها مع العرب - لا تستهدف بسياساتها وتحركاتها العسكرية أشخاصا ، أو حتى نظاما بأكمله ، وإنما تستهدف فى المحل الأول تغيير مجمل الأوضاع - عسكريا وسياسيا واقتصاديا - لصالحها ولا جدال فى أن إسرائيل حققت هذا التغيير بصورة لم يكن يحلم بها أشد الناس فيها تفاؤلا ، حين استولت على أراض تعادل أربعة أمثال مساحتها الأصلية ، وأمّنت حدودها الجنوبية والشرقية والشمالية على حساب مصر والأردن وسوريا ، وأصابت استراتيجيات دول المواجهة واقتصادياتها فى الصميم . والأهم من ذلك تلك النقلة النوعية الحاسمة فى أهداف الصراع العربى ضد إسرائيل

قبل ٥ يونيو وبعدها : فقد هبطت تلك الأهداف هبوطا شديدا إلى مستوى السعى من أجل استرداد الأرض الجديدة التى احتلت فى الحرب ، والقبول الضمنى (كما يقضى القرار ٢٤٢) بحق إسرائيل فى الوجود ، وكلها أهداف كانت ـ قبل ٥ يونيو ـ تعد خيانة كبرى للقضية . بل إن حرب ١٩٧٣ ذاتها ، بعد أن بدأت بداية تبشر بكسر الإطار الذى فرضته الهزيمة ، قد انتهت نهاية تدخل ـ فى تواضع شديد ـ ضمن هذا الإطار ، وأصبح التركيز فيها ينصب على محاولة استرداد الأرض التى احتُلت بعد ٥ يونيو ، أى أنها تحولت إلى تابع يدور فى فلك كوكب ثابت راسخ ، هو الوضع الجديد الذى خلقته حرب ١٩٦٧ .

إزاء مثل هذا المكسب الاستراتيجى الهائل ، والتغيير النوعى الحاسم الذى طرأ على القضية ، ومازال يصبغها بصبغته الخاصة حتى اليوم ، يكون من قبيل التبسيط الشديد أن نقول إن إسرائيل لم تحقق أهدافها بعد الحرب ، أو لم تحقق منها إلا الحد الأدنى ، مادامت قد عجزت عن إسقاط النظام أو القائد الذى يقف على رأسه . إن هذه ، فى رأيى ، مقولة استنفدت أغراضها بعد أن ساعدت على رفع المعنويات فى الفترة العصيبة ، ولكن تكرارها اليوم ، ونحن نتأمل الأحداث من منظور أبعد وأهدأ ، لايساعد الإنسان المصرى أو العربى على فهم ماحدث ، بل ربما أدى الى تكثيف الضباب الذى غشى على أبصارنا ، وقتا طويلا ، بعد ١٩٦٧ .

إن التحركات الاستراتيجية الكبرى ، كحرب يونيو ، تستهدف سياسات وأوضاعا شاملة ، لا أشخاصا . ومادامت هذه السياسات والأوضاع قد تحققت بأحسن مما كان يخطط له أصحابها ، ففيم يهم الأشخاص إذن ؟ وعلى أية حال ، فإن القضاء على النظام ، وعلى شخص الحاكم الذى كان يناوىء إسرائيل ، قد تحقق بالفعل ، كنتيجة ثانوية ، مؤجلة قليلا ، للهزيمة . فكلنا نعلم أن ضربة يونيو كانت بداية النهاية فى حياة عبدالناصر كإنسان ، وأن نظامه ذاته قد طرأ عليه تحول يكاد يصل إلى درجة "الانقلاب" بعد أشهر قليلة من وفاته .

● حقيقة اليمة ●

أما القضية الثالثة التى طرحها أستاذنا فتحى رضوان ، فلن أتوقف عندها طويلا . فرأيه فى تعليل الهزيمة هو أنها ناجمة عن "عجز إدارى متوارث" ، ينحصر فى أننا لا نطيق النظام ولا نتقن العمل الذى نتصدى له ولا نصبر على التدريب الشاق ... الخ . وقد يكون هذا الرأى معبرا ، بالفعل ، عن حقيقة اليمة ، ولكن يظل السؤال الحاسم هو : هل أتيحت لنا ، كشعب ، الفرصة فى أن نسهم فى شئون بلادنا إسهاما حقيقيا قبل حرب ١٩٦٧ وأثناءها ؟ هل كان التسيب الفاضح الذى كشفت عنه تلك الحرب من صنع الشعب المصرى ككل ، وامتداداً



حوار جديد

حول ٥ يونيو

لتاريخ طويل من الافتقار إلى الجدية والتنظيم ، أم أن الذين صنعوه ينتمون إلى فئة محدودة لم تحاول أن تشرك الشعب معها فى تحمل أية مسئولية جادة ؟ هذه ، على أية حال ، مجموعة من القضايا التى أثارها التعليق الخصب لأستاذنا الجليل فتحى رضوان ، قد نتفق فى البعض منها وقد نختلف فى البعض الآخر ، ولكن يظل له علينا فضل الاجتهاد والتفكير الجاد فى هذا الموضوع الحيوى .

● النظرية الثالثة ●

كانت معالجة الأستاذ محمد سيد احمد للموضوع جادة وخلاقة ، أضافت أبعادا خصبة الى المناقشة . ولقد كانت مساحة الاتفاق بيننا فى الرأى واسعة ، وإن كان قد أشار الى جوانب أخرى لم يكن من الممكن لدراسة استطلاعية تريد أن تكشف الأبعاد العامة للموضوع ، كتلك التى قدمتها ، أن تغطيها .

ولعل قدرا كبيرا من التساؤلات النقدية التى وجهها يسهل الاجابة عنه لو أمكن الاتفاق حول المقصود « بالنظرية الثالثة » فى مقالى السابق فقد تصور الاستاذ محمد سيد احمد أننى أخذت على عاتقى تقديم نظرية ثالثة ، بالمعنى المتكامل لهذه الكلمة ، بعد نقد نظريتى المؤامرة الخارجية والبناء الداخلى فى تفسير هزيمة ٥ يونيو ، ونظرا إلى أنه لم يجد فيما كتبت عرضا يمكن أن يرقى الى مرتبة النظرية الثالثة فى تفسير هذه الهزيمة ، فقد أعرب عن شكه فى هذه المسألة ، وكان قطعا على حق فى ضوء المقدمات التى بدأ منها .

ولكن العبارة التى عرضت فيها هذه الفكرة كانت ـ بنصها ـ كما يلى : « وهكذا فان هناك حاجة حقيقية الى مناقشة مفصلة لأخطاء هاتين النظريتين وعرض معالم نظرية ثالثة » . ومعنى ذلك أن ما أخذت على عاتقى القيام به ، هو أن أناقش أخطاء النظريتين المطروحتين بالتفصيل ، وأعرض بإيجاز الخطوط العامة لنظرية ثالثة . وبالفعل كان هدفى الاساسى هو أن أقدم تحليلا نقديا للطريقة التى تفسر بها التيارات السياسية المختلفة هزيمة ٥ يونيو ، أما الجانب الايجابى ، أعنى تقديم نظرية جديدة بصورة متكاملة ، فيحتاج بطبيعة الحال الى جهد يفوق بكثير ما يسمح به مقال أو دراسة كهذه .

ولكن ، يظل السؤال الذى طرحه ، الأستاذ محمد سيد احمد قائما ، وأعنى به : « هل يجوز القول بأن العملية التركيبية التى ضمت النظريتين معا قد أسقطت عنهما صفة الذاتية واكسبتهما صفة الموضوعية ؟ هل حولتهما من نظريتين أحاديتى الجانب ، الى نظريتين تناولتا كل الجوانب وعالجتا الوضع الداخلى والخارجى

معا فى نظرة جامعة مانعة وشاملة ؟»
وبطبيعة الحال فإن السؤال ، بهذه الصيغة ، لابد أن تكون الاجابة عنه بالنفى .

ولكن المسألة فى حقيقتها ليست على الاطلاق « عملية تركيبية ضمت النظريتين معا » ، أعنى أن الجهد الذى ينبغى أن يقوم به من يريد أن يقدم تفسيرا موضوعيا لهزيمة ٥ يونيو لا يصح أن يتخذ شكل الجمع بين نظرية المؤامرة الخارجية ونظرية البنية الداخلية للنظام ، أو الجمع بين جوانب من هذه وجوانب من تلك ، والاعتقاد بان هذا الجمع أو التركيب يخلق نظرية جديدة تتجنب عيوب النظريتين معا . وحقيقة الأمر ، فى رأيى ، هو أن الواقع الأصلى الذى حدثت الهزيمة فى ظله ، وبسببه ، كان هو ذاته واقعا مركبا تتشابك فيه العوامل الداخلية والخارجية وتتفاعل معا بطريقة جدلية ، هذا الواقع المركب هو الذى اختزله البعض ، لأسباب ذاتية هى الرغبة فى إعفاء النظام القائم عندئذ من مسئولية الهزيمة ، الى بعد واحد أو جانب واحد ، هو تآمر الامبريالية الأمريكية ، عن طريق مخلبها الاسرائيلى ، على التجربة المصرية التقدمية وهى لم تزل فى مهدها . وهذا الواقع هو نفسه الذى اختزله البعض الآخر ، لأسباب ذاتية أيضا هى تبرير السير فى طريق الانفتاح من جهة ، أو الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية من جهة أخرى (أو كليهما معا !) ، إلى بعد واحد ، هو انهيار البناء الداخلى ، مع تجاهل البعد الخارجى أو العالمى تجاهلا تاما ، وتشويه للبعد الداخلى ذاته .

وعلى ذلك فان الوضع الصحيح للمشكلة لا يتمثل فى وجود نظريتين تركز كل منهما على جانب واحد ، ومحاولة التركيب بينهما بصورة خارجية آلية سعيا وراء نظرية ثالثة . بل إن الوضع الأصلى الذى كان قائما ، عندما حلت الهزيمة ، هو الذى ينبغى أن يكون نقطة البدء الحقيقية فى أية معالجة سليمة للموضوع . وفى هذا الوضع كانت العوامل الداخلية والخارجية تتضافر معا لكى توصل الى نتيجة لا مفر منها ، هى الهزيمة ، أما الموقف الذى تعبر عنه كلتا النظريتين ، الخارجية والداخلية ، فهو موقف لاحق ، يعمل على اجتزاء هذا الواقع المركب وانتقاء عنصر واحد من عناصره . ولما كانت الأسباب التى تدعو كل فريق الى انتقاء هذه العنصر أو ذاك أسباب ذاتية ، ترتبط بالمصالح التى يمثلها كل فريق ، فإن عملية الاجتزاء والاختزال هذه تجعل النظرية ذاتية بالضرورة ، على حين أن الرجوع الى الواقع المركب ، فى تعقيده وتشابكه الأصلى ، يمثل موقفا موضوعيا بلا جدال .

● تداخل العوامل ●

وهكذا يبدو أن الاختلاف بينى وبين الأستاذ محمد سيد أحمد ، فى هذه



حوار جديد حول ٥ يونيو

النقطة على وجه التحديد ، هو اختلاف فى الترتيب : لأنه تصور أن النظريتين الجزئيتين هما الأصل واننى احاول التركيب بينهما لكى آتى بجديد ، على حين أن فكرتى تنحصر فى أن العوامل المؤدية الى الهزيمة كانت تشكل كلا معقدا تتشابك فيه عناصر داخلية وخارجية ، ولم تظهر النظريتان الجزئيتان إلا فيما بعد ، كمحاولة لتشويه هذا الواقع الموضوعي او طمس بعض ابعاده لأغراض ذاتية .

اما هذا الواقع الموضوعى الجامع بين البعد الداخلى والبعد الخارجى فى مركب واحد ، فإن اهم سماته ، فى رأيى ، هو انعدام المشاركة الشعبية وانفراد الحاكم باتخاذ القرارات ثم قيام مجموعة كبيرة من الأجهزة والتنظيمات المدربة بتقديمها الى الشعب بعد ذلك على سبيل التفسير والتبرير . فى هذا الوضع تتداخل العوامل الداخلية والخارجية تداخلا عميقا ، إذ أن النتيجة الحتمية المترتبة على ذلك هى العجز عن الوقوف بصلابة فى وجه الامبريالية العالمية ، والعجز عن السير فى التجربة الاشتراكية بخطوات جادة اصيلة ، والعجز عن تعبئة القوى الشعبية (وليس الجيش المحترف فقط) من أجل معركة البناء فى الداخل والتصدى للعدو فى الخارج . وفى هذا يكمن الفارق الأهم بين تجربتنا وبين التجربة الفيتنامية ، وليس فى العوامل الجغرافية وتضاريس الأرض ، أو فى زهد الشعب الفيتنامى وتقشفه ، كما جاء فى تعليق استاذنا فتحى رضوان .

ولاشك أن هناك حاجة الى دراسات اكثر تفصيلا وتاصيلا ، لهذا الواقع الذى تفاعل فيه أسلوب الحكم الداخلى مع طريقة التصدى للأخطار الخارجية فى مركب واحد ، والذى تشابك فيه ، بطريقة جدلية ، الأسلوب الفردى فى اتخاذ القرار ، مع الافتقار الى الحسم فى مواجهة الامبريالية العالمية . واحسب أن التحليل الذى قدمه الأستاذ محمد سيد احمد ، فى نهاية تعليقه ، هو اسهام مفيد فى هذا الميدان المعقد الذى يحتاج الى تضافر جهود الكثير من الباحثين والمفكرين الجادين .

● نزاع شخصى ! ●

وأخيرا ، اصل الى تعليق الأستاذ محمد عودة ، الذى اصابنى بقدر كبير من خيبة الأمل ، لا لأنه تضمن إساءات الى شخصى ، بل لأنه حول موضوعا على هذا القدر من الاهمية والخطورة الى نزاع شخصى لم يكن له ، منذ البدء ، اى داع . فحتى لو كنت شخصا يتسم بكل السيئات التى نسبها إلىّ الأستاذ عودة او باكثر منها ، فإن هذا لم يمنع من أن تظل الانتقادات التى قدمتها قائمة ، ولا يمكن أن يحول دون وجود جوانب النقص التى اشرت اليها موضوعيا ، بغض النظر عن شخصية من اشار اليها

وهكذا فلا مفر فى مسالة كهذه من معالجة القضية موضوعيا ، وطرح

الاشارة الى شخصية الكاتب وماضيه جانبا .

والحقيقة الموضوعية الوحيدة التى تضمنها رد الأستاذ عودة ، هى ان كثيرا من الناصريين قد نبهوا الى العيوب الداخلية فى النظام الناصرى . ولكننى اود ان اضيف إلى ذلك ايضا ان كثيرا من الناصريين يكتفون ، كلما وردت اشارة إلى حرب ١٩٦٧ ، بالحديث عن وقوع النظام فريسة لمؤامرة إمبريالية خارجية ، كما فعل الأستاذ عودة فى مقال « نذابات ٥ يونيو » ، وكما فعل عدد لا يستهان به من اقطاب الناصرية فى ندوة ٢٣ يوليو التى عقدت فى وقت اسبق من هذا العام . ولكى أميز بين هؤلاء وأولئك ، استخدمت تعبير « الناصريين المتشددين » فى وصف اولئك الذين لا يرون فى ٥ يونيو إلا مؤامرة خارجية .

وعلى أية حال ، فاذا كان الأستاذ عودة يعتقد أن الناصريين قد انتقدوا العوامل الداخلية المنتمية الى بنية النظام ، بوصفها سببا اساسيا للهزيمة ، فقد كان من واجبه ، منطقيا ، ان يخفف من قبضته على « نذابات ٥ يونيو » ، لأن هؤلاء الأخيرين لم يفعلوا إلا ذلك ، واذا كان يستشهد بما كتبه الفريق محمد فوزى من نقد مرير لأوضاع الجيش قبل الحرب وأثناءها ـ وهو نقد يمثل شهادة تارخية عظيمة القيمة ـ فقد كان من واجبه أن يدرك أن الاستشهاد بهذه الكتابات ، التى وصفها أستاذنا فتحى رضوان بانها تقدر صورة « قاتمة ومخزية » لما كانت عليه الأوضاع عندئذ ، تؤدى إلى نتائج ليست فى صالحه على الاطلاق :

١ ـ إذ إن من حقنا ان نسال : اى نظام هذا الذى سمح لبرجوازية وبيروقراطية عسكرية ، على حد تعبير الأستاذ عودة نفسه ، بان « تستولى على قيادة القوات المسلحة وتحاول ان تجعل من نفسها فئة حاكمة ومالكة ... وتتواطا مع العدو ... وتقف عقبة امام تطور التنظيم الشعبى وقيام منظمة الشباب ... وتعرقل تطبيق التجربة الاشتراكية . » هذه الجرائم ، التى تشمل الفساد وخيانة الوطن والاستبداد والوقوف فى وجه المشروع المصرى القومى فى الستينات ، صدرت كلها ـ حسب كلام الأستاذ عودة نفسه ـ عن قيادة القوات المسلحة ، فكيف سمح النظام بذلك ؟ الرد الجاهز هو ان الجيش كان يمثل مركز قوة لا يمكن التغلب عليه . ومعنى ذلك أن التوازنات التى كان يقوم عليها النظام هى توازنات القوة ... وهنا بالضبط يكمن الضعف القاتل الذى نبهنا اليه : فلو كانت ديمقراطية ، ومشاركة شعبية حقيقية ، لما اضطر النظام الى ترك أهم مؤسسة فى الدولة تخضع لفئة باغية وخائنة .

٢ ـ وإذا كان الوضع فى قيادة القوات المسلحة عندئذ على هذا القدر من السوء ، فكيف جاز للنظام أن يعتمد على قيادات كهذه فى خوض معركة يتوقف عليها مصير الامة العربية كلها ، لا مصر وحدها ؟ إن كان النظام لا يدرى ، فتلك مصيبة ، وإن كان يدرى فالمصيبة أعظم !

٣ ـ ولنسأل أنفسنا : لماذا لم تظهر هذه الانتقادات المخلصة ، للأوضاع

حوار جديد حول ٥ يونيو

السائدة فى القوات المسلحة إلا بعد الهزيمة ؟ الم يكن في وسعنا أن نتجنب الكارثة لو كان المناخ السائد فى البلاد يسمح بالتنبيه الى هذه العيوب القاتلة ، كما يحدث بالفعل فى أية دولة لديها حد ادنى من الديمقراطية ؟

٤ ـ وإذا كان الفريق فوزى ، بكل ما كان لديه من ثقل ونفوذ ، لم يتمكن من أن يدلى بشهادته الكاملة عن الأوضاع السائدة عندئذ إلا بعد سنوات طويلة من زوال هذه الأوضاع ، الا يعطى ذلك عذرا للصف الطويل من الكتاب ، الذين ادرجنى الأستاذ عودة من بينهم بغير وجه حق ، والذين لم ينتقدوا التجربة الناصرية إلا بعد زوالها ، ومنهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ إلخ ؟

تبقى ، فى النهاية ، تلك الشتائم التى وجهها الأستاذ عودة إلى شخصى ، والتى يستحيل أن ارد بمثلها لعدة أسباب ، منها اننى لا أنتمى إلى المدرسة التى تخرج من المازق الفكرية بتجريح الأشخاص ، ومنها اننى لا أحتاج إلى توجيه الفاظ جارحة إلى الغير مادام فى جعبتى عقل ومنطق استخدمه فى الرد .

● تصحيح ●

ولكن بعض الوقائع التى وردت فى تعليق الأستاذ عودة تتعلق « بمجلة الفكر المعاصر » فى الفترة التى كنت خلالها رئيسا لتحريرها ، ولما كانت تلك وقائع تنتمى إلى تاريخنا الثقافى فى الستينات وأوائل السبعينات ، فلابد لى من أن اقول كلمتى فيها حتى أصحح معلومات الأستاذ عودة من جهة ، وأساعد شباب بلادنا على الوصول إلى الحقيقة فى هذا الموضوع الهام من جهة أخرى .

فقد جاء فى مقال الأستاذ عودة : « وقبل ذلك كان السيد الدكتور نجما مميزا من نجوم الرقص ، وقد ظل عدة سنوات رئيسا لتحرير مجلة ايديولوجية ناصرية ، كانت تصدر عن وزارة الثقافة والاعلام فى مصر وفى كنف راعى الفكر وحامى الفن زميله د . عبدالقادر حاتم » .

وقال فى موضع آخر : « ولم يتحرج من انه كان فى نفس الوقت رئيسا لتحرير مجلة تعبىء العقل والفكر المصرى للايمان بالنظام » .

واخشى أن يكون الكاتب قد ارتكب هنا سلسلة من الأخطاء : إذ أن مجلة الفكر المعاصر لم تصدر فى كنف الدكتور عبدالقادر حاتم ، وإنما اغلقت على يد الدكتور عبدالقادر حاتم عندما كان وزيرا للثقافة فى السنة الأولى من حكم الرئيس السادات . اما الوزير الذى اختارنى رئيسا لتحرير هذه المجلة فهو الدكتور ثروت عكاشة ، الذى كان ولايزال عاشقا اصيلا للثقافة الحقة . وقد اختارنى لرئاسة التحرير لأنه كان

يعتقد - صوابا أو خطأ - باننى جدير بذلك ، لا لأننى كنت من الدعاة الناصريين .

وللتاريخ ، أود أن أشير إلى أن أول مقال كتبته فى مجلة الفكر المعاصر بعد اختيارى رئيسا للتحرير كان بعنوان : « نحو عالم يحكمه الفكر » ، وقد انتقدت فيه أنواع الحكم المختلفة التى جربتها الشعوب ، كحكم أصحاب الثروات

المبنى على القوة الاقتصادية وحكم الجيوش المبنى على القوة العسكرية ، ودعوت إلى تجربة نوع جديد من الحكم يرتكز على قوة الفكر ... وكانت الرسالة التى أريد أن أنقلها واضحة ، وقد أدهشت الكثيرين ممن كانوا يتوقعون أن أقدم فى أول عهدى مقالا يعبر عن الشكر ، لا عن النقد ، ولكنى كنت أريد أن أقدم نفسى على ما أنا عليه ، فإما أن أقبل كما أنا أو يستعاض عنى بغيرى . وقد علمت فيما بعد أن الدكتور ثروت عكاشة ، الذى كان يكن للمثقفين المتعاونين معه فى وزارته تقديرا بالغا ، كان يصد عنى وعن غيرى هجمات كثيرة من أجهزة الرقابة والأمن ، الخ .. دون أن يخبرنا بشىء ، حتى نمضى فى طريقنا بهدوء . وكم أتمنى أن تسمع شهادة هذا الرجل الكبير حول هذا الموضوع .

ويواصل الأستاذ عودة كلامه قائلا : « وكم أتمنى لو يملك الدكتور حقيقة شجاعة الأسود التى يتباهى بها الآن ، وينشر دراساته وافتتاحياته ونظرياته التى زين بها مجلة « الفكر المعاصر» فى ذلك الحين ، واقترح لو سمح لى الدكتور عنوانا باسم رقص الفلسفة أو فلسفة الرقص » . وأخشى أن أخيب ظن الزميل الكريم حين أقول له إننى نشرت بالفعل معظم هذه الدراسات والافتتاحيات ، منذ أحد عشر عاما ، فى كتاب اخترت له عنوانا لا صلة له - للأسف - بالرقص ، هو : « آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة » ، وأصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ .

وأمل أن يتفضل الأخ عودة بقراءة الكتاب ، أو بالعودة الى أعداد الفكر المعاصر « نفسها فى الفترة التى كنت خلالها رئيسا لتحريرها ، لكى يتأكد بنفسه إن كانت تلك مجلة ايديولوجية جندت نفسها لخدمة النظام ، أم كانت مجلة علمية موضوعية تترفع على الكتابات الدعائية الرخيصة .

وبعد ، فان الأستاذ عودة يدعونى ، فى آخر تعليقى ، إلى أن أرفع يدى عن ثورة يوليو ، وأخشى أن أقول إن أحدا لايملك أن يطالب الناس ، فى أى بلد يحترم نفسه ، ويسعى إلى معرفة تاريخه ، وتعلم الدروس من هزائمه ، بأن يرفعوا أيديهم عن خمسة وثلاثين عاما من تاريخهم . وإنى لأؤكد للزميل الكريم أن دافعى الوحيد إلى الكتابة فى موضوع ٥ يونيو ، ليس إلا الرغبة فى فهم الماضى القريب من أجل استخلاص دروس نستعين بها فى مواجهة المستقبل ، وليس على الاطلاق ثأرا شخصيا ، أو تصفية لحسابات خاصة ، أو دفاعا عن أية ارتباطات شخصية سابقة . فلا زال هناك - لحسن الحظ - من يستطيعون أن يحللوا وينتقدوا دون أن يكون للاعتبارات الذاتية الخاصة أى دور فيما يفعلون .

التيارات الفكرية في مصر في القرن العشرين (٤)

الاتجاه التغريبى العلمانى والنزعة المصرية

بقلم : حسين أحمد أمين

كانت الغاية الرئيسية للمدارس التى انشاها ولاة مصر فى القرن التاسع عشر على غرار النماذج الاوروبية ، وتحت اشراف الاوروبيين فى اكثر الاحيان ، هى تخريج الاطباء والمهندسين والموظفين والخبراء المهنيين من كل نوع ، وذلك من اجل النهوض بالمشروعات التى اختطها هؤلاء الولاة ، واذا ادرك هؤلاء الخريجون ان الالمام بالمعارف الاوروبية هو سبيل الترقى فى الوظائف العامة ، كان طبيعيا، ان يتطلعوا ، هم واعضاء البعثات المصرية فى اوروبا ، الى التزود منها ، ثم ان يشرعوا بعد ذلك فى المقارنة بين مختلف النظم الغربية التى قراوا عنها او عاينوها وبين النظم السائدة فى بلادهم . وقد كان موقفهم من تلك النظم الغربية خلال القرن التاسع عشر يتسم بقدر كبير من الاتزان والوقار الخليقين بالاعجاب . وهما اتزان ووقار لانجد تفسيرا لهما غير ايمان لم يزعزعه شيء بتفوق العقيدة الاسلامية ، وبان الاوروبيين مهما بلغوا من تقدم مادى حضارى هم من اهل الضلالة .



احمد لطفى السيد



الخديو اسماعيل



د . طه حسين

ومع اشتراك المحافظين ودعاة الاغتراف من الحضارة الغربية فى هذه الثقة فى الاسلام ، فان هذا لم يحل دون انشطار الدوائر الفكرية فى مصر الى شطرين متنافرين ، تفصل بينهما هوة سحيقة ، وينظر كل منهما الى الاخر نظرة الاستخفاف · فالجامدون أنصار القديمكانوا بمنأى عنالتطورات التى تهز الفكر المعاصر من جذوره ، لا يلقون القبول الا لدى فئة محدودة ممن يماثلونهم فى الروح والنزعة · لذلك كانوا فى واقع الحال انما يخوضون معركة خاسرة · أما دعاة التغريب فقد انساقوا فى تيار الحركة الجديدة مجاوزين الحدود المعقولة · وهو مايعكس ميلا ملموسا الى المبالغة، وميل مفكريهم الى ان يخلقوا من النقطة الصغيرة الصحيحة التى بدأوا بها ، نظاما شاملا لكل ما فى السماء والارض جميعا ! وهم حين حاولوا أن يجذوا صلتهم بالماضى كله عدا الدين ، فانما كانوا يقطعون جذورهم ذاتها ، بحيث تأثرت العقيدة الدينية هى الاخرى بهذا الجحد · وما كان ليرتجى من هؤلاء فى تلك المرحلة الاولى أن يخرجوا بأى اثر فكرى يتسم بالابتكار ، وهم الذين ظلوا يتخبطون فى حيرة واضطراب نجما عن هذه الثورة المفاجئة ، وكان انتحالهم لافكار الغرب وقيمه أسرع من أن يسمح بتجاوز السطح الى ما هو أبعد من السطح ·

● تمجيد الغرب ●

ومذ قال الخديو اسماعيل أن مصر أضحت قطعة من أوروبا ، نهضت نخبة من المفكرين بمهمة التعبير عن استقلال الفكر المصرى عن التقاليد الاسيوية والافريقية · بدأوا بتمجيد مظاهر المدنية الغربية القائمة على العلم ، وأثنوا على مصر اذ أثبتت استعدادها للاخذ بأساليب الارتقاء من دون جلبة ، وقبول الخير لا تسأل عن مصدره ، والدخول فى طور النهضة التى دفعها الغربيون اليها · فأكثر

ما فى مصر والبلاد العربية الاخرى من أمارات النهضة هو من حسنات الغرب عليها • عرفنا منه فكرة مساواة الناس عامة امام القانون ، وحرية العمل وحرية الاعتقاد والفكر ، وحقوق الانسان والمعنى الحقيقى للاصلاح الاجتماعى والاقتصادى ، ومعنى الوطن والوطنية ، وفهمنا أن البقاء والتقدم منوطان بالتضامن والتكافل بين أفراد الشعب ، وأنه بقدر حظنا من الماديات تكون صحة المعنويات • ومن الغرب اقتبسنا اختراع الطباعة ، وأصول الصحافة وتعلمنا السفر فى القطارات ثم الطائرات ، وكيفية مكافحة الاوبئة ومقاومة الامراض ، وبناء الجسور وتوليد الكهرباء، وتنظيم المدن ورصف الطرق ، وتوصيل المياه النقية فى الانابيب ، وبناء الخزانات وادارة المصارف وانشاء الجمعيات الخيرية ، وتأسيس الاحزاب السياسية والشركات الصناعية ، ورعاية أصحاب العاهات وتحرير المرأة والرقيق • ونقلنا عنه المسرح فالسينما ، والراديو فالتيليفزيون • بل ان للغرب علينا فضل اماطة اللثام عن تاريخ مصر القديمة ، وتعريفنا بأمجاد اجدادنا الفراعنة • وله الفضل فى نهوضنا باللغة العربية، وبعث اهتمامنا بأمهات كتب تراثنا الاسلامى • فالاوروبيون هم الذين انشأوا منذ القرن الرابع عشر مدارس فى قارتهم لتعليم اللغة العربية، وتهافتوا على اقتناء مؤلفات علماء المسلمين • فما اخترعت الطباعة حتى كانت المخطوطات العربية من اوائل ما طبع فى أوروبا من كتب ، فى حين اصر المشايخ فى دار الاسلام على تحريم الطباعة • وقد عنى الاوروبيون بتحقيق المؤلفات العربية النفيسة فى الطب والطبيعة والفلسفة تحقيقا علميا نقلنا اصوله عنهم • فبفضلهم عرفنا تراث اسلافنا وطرق احيائه ، وعرفنا مزاياه • ووسائل الاستفادة منه • وهم الذين دربونا على العناية بالآثار فى بلادنا ، ونبهونا الى أهميتها فبدأنا ندرسها• وبدراستنا لامهات الكتب فى تراثنا ارتقت لغتنا العربية ، ونمت ملكات مؤلفينا ، ولولا الغرب لما نبغ لدينا شعراء او كتاب • واختصارا فانه ان كان الغربيون قد اخذوا عن العرب كل ما نفعهم يوم نهضتهم من ضروب المعارف البشرية ، فهم اليوم يعيدون الينا ، عن سماحة نفس ، شيئا مما تعلموه من أجدادنا ، بعد ان زاد بعلمهم وبارتقاء الزمن وتداول الايام فلا يشقن ذلك علينا ، فهذه سنة المدنيات التى درجت عليها البشرية ، ولا غضاضة على المتأخر اذا اخذ عن المتقدم • ولا أمل لمصر او لغيرها من الدول المتخلفة فى اللحاق بركب المدنية الا بتبنى المزيد من حضارة الغرب • فان كان فى مدنيته مساوىء ، فلكل مدنية مساوىء تندمج فى مطاوى الحسنات • وحيث أن المدنية وحدة لا تتجزأ ، من أخذ بخيرها لابد ان يستهدف لشرورها طوعا أو كرها ، فان امر الفصل فى الاخذ منها او

الازورار عنها يتوقف على نسبة حسناتها الى سيئاتها ٠

هذا الموقف لدى طائفة كبيرة من الكتاب تعبيرا أدبيا واعيا عن ظاهرة عامة متفشية بين الافراد العاديين من سكان المدن ، وبلورة لاتجاه متصاعد نحو تبنى أساليب العيش والسلوك والقيم الغربية ، ونظرة الى أبناء الحضارة الغربية على انهم من معدن نفيس ، وباعتبارهم السادة والمعلمين، واعتقادا بأن للقبعة فضلا على العمامة والطربوش لانها تغطى رأسا ممتازة اضحى لفظ « الخواجة » لدى الرجل العادى والمثقف على سواء مرادفا للجنس الاسمى ، وصارت محاكاته فى كل شىء ، من تبنى قيمه الى تقليده فى زيه ومسلكه العادى ، مقياسا للتقدم والرقى٠ وصحب ذلك بالضرورة موقف احتقار لكل ما هو « بلدى » ، وسخرية بالتقاليد ، واهمال للغة العربية ، وازدراء لتراث الاقدمين ، ووصف كتبهم بالكتب الصفراء ، ونسبة التخلف الراهن الى التعلق بهذا التراث وهذه التقاليد البالية ، وارتباط مصر بالشرق الهمجى ٠

والمصريون بالذات من اكثر الشعوب احساسا بنقائصهم ، ومرارة فى الحديث عن بلدهم ، وميلا الى التندر على أنفسهم ، والى المقارنة بين أحوالهم المتعثرة وبين أحوال الغرب ٠ اذا أراد مثقفوها اثبات قضية عززوا حجتهم برأى مفكر أوروبى ٠ وما من فنان او كاتب تثبت لديهم كفاءته الا اذا كان « عالميا » ، أى معترفا به من الغرب ٠ وهم يهللون تهليل الاحمق ان قرأوا ثناء من كاتب أوروبى على الاسلام ونبيه ، ولا يحدون ما هو أدعى الى الفخر من الاشارة الى تأثر دانتى فى كوميديته الالهية برسالة الغفران، وينعتون المعرى بلوكريتيوس العرب ، وابن خلدون بمونتسكيو العرب ، والجاحظ بفولتير العرب ، وكأنما فى هذه النعوت شهادة موثقة بفضلهم ٠

● وسائل النهضة ●

واذ رسخت فى النفوس عقيدة أن التغرب العقلى هو التفوق بعينه ، حدثت نقله أخرى حين اتجه بعض المفكرين المصريين ، مثل طه حسين (الذى التقط فكرته من كتاب لجورج ديهاميل الفرنسى !) ، الى التشكيك فى عروبة مصر وانتمائها الى الشرق ، ونفى أن يكون العقل المصرى شرقى التصور والادراك والفهم والحكم على الاشياء ، وتأكيد صلة مصر الوثيقة منذ فجر تاريخها بشعوب البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) وأوروبا ، لا بالعرب والاقارقة ، والقول بأن الوحدة الدينية واللغوية لا تصلح أساسا للملك وقواما للدولة٠ وقد كانت مصر من أسبق أقطار الدول الاسلامية الى استرجاع شخصيتها القديمة التى لم تنسها فى يوم من الايام والتاريخ يحدثنا بأن رضاها عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ، ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى ظل أحمد بن طولون ، وفى ظل الدول المختلفة التى قامت بعده ٠ فالسياسة شىء والدين شىء آخر ٠ وانما يقوم نظام الحكم وتكوين الدول على المنافع العملية والمصالح الاقتصادية والحضارية قبل أن يقوما على أى شىء آخر ٠ وكما أن أوروبا لم تصبح شرقية بانتشار المسيحية

التيارات الفكرية فى مصر
فى القرن العشرين (٤)

فيها ، فان مصر لم تصبح شرقية او عربية بانتشار الاسلام فيها · فالاسلام لم يغير العقل المصرى المتاثر اساسا بحضارة بحر الروم · ولا ينبغى أن يحسب المصرى ان بينه وبين الاوروبى فرقا عقليا او ضعيفا ، ولا أن يقلن الشرق الذى نكره كيبلنج فى قولته الشهيرة « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ، يصدق عليه او على وطنه ، ولا ان يحسب قوله الخديو اسماعيل التى جعل بها مصر جزءا من أوروبا فنا من فنون التمدح والمفاخرة ، وانما كانت مصر دائما جزءا من أوروبا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ·

« فان كان المصريون أجمعون يقرون بحاجتهمالى نهضة سياسية واقتصادية وثقافية ، فلابد من أن يقروا بحاجتهم الى وسائل هذه النهضة · ووسائل هذه النهضة هى أن نتعلم كما يتعلم الاوروبى ، ولنشعر كما يشعر الاوروبى ، ولنحكم كما يحكم الاوروبى ، ثم لنعمل كما يعمل الاوروبى ، ونصرف الحياة كما يصرفها · فهذه الوسائل هى التى مكنت للاوطان الاوروبية والامريكية من أن تكون حرة فى داخلها ، مستقلة فى خارجها ، كريمة فى نفوسها وفى نفوس الناس » ·

كان صاحب هذه النزعة المصرية أحمد لطفى السيد المدير السياسى لجريدة « الجريدة » التى تأسست عام ١٩٠٧ ، وأصبحت لسان حال حزب الامة ، والتى آزرها المستعمرون البريطانيون سعيا منهم الى مقاومة تيار الجامعة الاسلاميه ، والتمهيد لفصل مصر عن الدولة العثمانية ·

ونسجل فى هذا المقام ملاحظة طريفة· فمع ظهور الاتجاهات المتباينة فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، من وطنية واسلامية وعلمانية وعربية وتغريبية ، كان المفروض ان يتجهالافراد الذين يجمعهم فكر واحد ، الى تكوين حزب له برنامج صيغ على ضوء مبادئهم ، ثم يؤسس الحزب جريدة له تنشر هذه المبادىء ، ثم تجد الجريدة فى جهات عليا من يساندها ويمولها · غير أن الوضع فى مصر اتخذ صورة معكوسة : فالغالب أن تكون ثمة جهة عليا (الخديو او الانجليز) ، حريصة على نشر فكر معين ، فتختار لذلك رجلا مناسبا (مصطفى كامل أو لطفى السيد) ، فيؤسس هذا الرجل جريدة تحتضن هذا الفكر («اللواء» أو «الجريدة» ثم يتجمع حول الرجل والجريدة أفراد لهم مبادىء أو ميول مماثلة ، فيتكون الحزب منهم (الوطنى أو الامة) !

وقد التف حول لطفىالسيد وجريدته شباب جيل جديد نالوا من العلم الغربى حظا اوفى من حظ اسلافهم ، واستوعبوا قسطا كبيرا من روح الثقافة الغربية من خلال اتصالهم الطويل بها فى سنى الطلب ، خاصا فى فرنسا · ولم تكن امال هؤلاء مقتصرة على ان يروا بلادهم حرة من الناحية السياسية فحسب ، بل ان

تكون ايضا قادرة على ان تتبوأ مكانا لائقا بها في العالم المتحضر . وقد كانت غالبيتهم فى الوقت نفسه مسلمين ممن نفعتهم تعاليم الشيخ محمد عبده الى محاولة تكييف الاصول الاسلامية لتلائم المتطلبات الحديثة فى الحياة والفكر . ومع ادراكهم العميق للتناقض القائم فى مجتمعهم ، كانوا يؤمنون بأن ازالة هذا التناقض ممكنة وواجبة ، شريطة الا تتم هذه الازالة بالعودة الى القديم ، ولا بقطع كل صلة به ، وانما عن طريق التربية والتعليم والاصلاح المتدرج مهما بدا للبعض ابطأ مما ينبغى .

● اسهام حضارى ●

وقد بدا من هؤلاء ميل ملموس الى الحديث عن مصر لا عن العالم العربى . فهم وان اقروا بأن مصر جزء من ذلك العالم ، اكدوا ضرورة ان تسهم اسهامها الخاص فى الادب والفكر ، بل ورحب بعضهم بالتوسع فى استخدام العامية المصرية على حساب الفصحى فى المؤلفات الروائية والدرامية . واذ تميزت تلك الفترة بالذات ، فترة ظهور هؤلاء ، بكثرة الاكتشافات الاثرية الفرعونية ، وتدفق الكتابات عن تاريخ مصر القديم وأمجاد الفراعنة ، فقد صادف ذلك هوى فى نفوس افراد هذه الطائفة ، ورد اليهم الحديث عن عظمة الاسلاف الثقة فى انفسهم . ذلك ان فى ربط الهوية بالماضى السحيق سبيلا الى الهرب من ذكريات ماض قريب لا تشير الى غير تبعية مصر للخلافة الاسلامية أو السلطنة العثمانية . لذا انبرى هؤلاء يؤكدون أن لمصر ، منذ زمن الفراعنة ، عبقرية مميزة صبغت بسماتها كل مستورد حضارى . وبلغ الاعتزاز بمآثر مصر القديمة عند الدكتور محمد حسين هيكل بالذات حد الغيرة من مآثر العرب ، والتنكر الغريب للادب العربى القديم الذى اعترف بأنه كف عن الاكتراث به منذ عام ١٩١٠ .

ثم مضى سلامه موسى الى أبعد من ذلك . فالأدب العربى القديم عنده يفتقر الى المعرفة الصحيحة ، والى الاتصال بحقائق الحياة . وبعد ان كان فى البداية راضيا بأن يترك للتراث الاسلامى نصيبا ثانويا فى تكوين الثقافة المصرية الحديثة ، صار بعد ذلك يدعو الى قطع الصلة بالماضى على نحو بات ، والتركيز على تشرب الفكر الغربى . ومع ان الآراء التى انبرى سلامه موسى فى حرقة للدفاع عنها ، كنظرية التطور مثلا او العدالة الاجتماعية ، لا تتميز فى كثير او قليل عن الآراء العادية لأى مثقف أوروبى ، فقد اتهم فى مصر بالجرأة الزائدة ، وبانه يمثل الجناح المتطرف فى حركة المجددين المصريين ، لمجرد انه كان يتناول تناولا صريحا موضوعات لا يدنو المسلمون المجددون منها الا بشعور من الحذر والرهبة .

على اى حال ، فقد كان لهؤلاء التغريبيين العلمانيين فضل لا ينكر فى هدم جانب كبير من التأثير الضار للمحافظين الجامدين ، وفى تعويد الجيل الجديد على التفكير على خطوط وانماط جديدة لم تكن شائعة من قبل ، وفى ترويج مناقشة موضوعات حيوية كالمحافظة والاصلاح ، والدين والعلم ، والجمود والاجتهاد ، والاتوقراطية والحكومة النيابية ، وموقف مصر من دول الفرنجة .

التيارات الفكرية فى مصر فى القرن العشرين (٤)

ولم يكن دعاة التغريب ليفرقون فى الواقع بين دول الفرنجة حتى تبنى بعضهم مبادىء الماركسية . غير أن هؤلاء الاخرين ظلوا امدا طويلا عاجزين أو عازفين عن تقديم فكر جديد مستقل نابع عن الواقع المصرى . فهم رغم انشغالهم أساسا بقضية العدالة الاجتماعية فى مصر وتصفية الاستعمار والقضاء على الاستغلال ، والربط بين الثورة الوطنية والتحول الاشتراكى ، ظلوا فى فكرهم وتنظيمهم عالة على الاتحاد السوفييتى ، خاضعين خضوعا شبه مطلق لتفسيراته النظرية ، ومواقفه السياسية التكتيكية ، ان رأى فى فكرة القومية العربية خطرا حاربوها ، وان دعا الى مصالحة عربية اسرائيلية دعوا اليها ، حتى اذا ما عاد يهاجم اسرائيل هاجموها . وكان هذا التذبذب والتناقض ، والخشية من الاجتهاد ، واهمال استلهام الواقع المحلى ، اسبابا رئيسية فى ضعف اجتذاب فكرهم للجماهير العريضة ، حتى من العمال والفلاحين ، وذلك بالرغم من احجام غالبيتهم عن الدخول فى معارك صريحة ضد التراث والدين ، مع ايمانهم القطعى بانهما لا يصلحان اساسا لتنظيم اجتماعى ، او رابطة سياسية . والملاحظ بوجه عام انه رغم انتشار الالحاد بين كثرة من المثقفين المصريين ، فانه نادرا ما جرؤ كاتب من بينهم على التعبير فيما يكتب عن آرائه بصدد الدين .

● مستقبل الأمة ●

ما من شك فى أن مستقبل الأمة يتوقف بصفة أساسية على قدرتها على التوصل الى مفهوم ايجابي يساعدها على مواجهة التوترات الناجمة عن تغييرات هائلة طرأت على المجتمع المصرى فى القرنين الماضيين ، والتغلب على القوى المخربة التى تدفع المجتمع دفعا الى المزيد فالمزيد من التفكك والتحلل .

كذلك فانه ما من شك عندى فى أن كافة الحلول التى طرحت خلال المائة سنة الأخيرة ، والتى عرضنا لها فى هذا البحث ، معيبة قاصرة :

● فالمحافظون الرافضون لكل تجديد ولكل مساس بالأفكار والمعتقدات الموروثة ، قد فقدوا صلتهم بالعصر واحتياجاته ، ولم تعد حججهم بالقادرة على اقناع المثقفين ، وهى التى يصوغونها دوما فى قوالب فكرية شكلية تستند استنادا كاملا الى اقوال السلف ، مما لا يمكن أن يتجاوب المحدثون معه . بل انهم حتى فى اللغة التى يستخدمونها ، بل وفى طريقة نطقهم لها ، يوحون على الفور بخلو جعبتهم من رسالة لعصرنا الذى نعيش فيه . ففكرهم تستغرقه التكاليف الشرعية، وجهودهم تكاد تكون مقصورة على مراقبة نشاط المصلحين والمجددين ثم الوثوب عليهم والاخذ بخناقهم ، بحجة أنهم حماة الدين والاخلاق ، خاصة ان كان المجدد من علماء الدين مثلهم ، كالشيخ على عبد الرازق الذى دعا عام ١٩٢٥ لفصل الشئون المدنية عن التشريع الدينى ، والشيخ محمد

أبوزيد الذى نشر عام ١٩٣٠ تفسيرا للقرآن يفسر فيه الظواهر الخارقة تفسيرا طبيعيا حتى يشجع الجيل الجديد على العودة الى الاهتمام به وما من أحد فيهم حاول أن يوجه الاسلام فى قنوات خلاقه ، وانما قيدوه بنظرة رومانسية درامية لتاريخه ، أساسها أحكام مطلقة على شخصياته وأحداثه ، وانتقاء تحكمى للمادة ، واستبعاد لكل ما ينقض الصورة التى يفضلون أن تكون أحداث الماضى قد تمت عليها • وهم بهذا أغلقوا الباب فى وجه أهم عامل كان بوسعه أن يحفظ على الفكر الاسلامى مرونته ، الا وهو المنهج التاريخى العلمى ، والنظرة التاريخية الى الأمور • فبالرغم من ايمانهم بأن التاريخ هو مظهر الارادة الالهية فى المجتمع البشرى ، لم يكن فى وسعهم أبدا أن يفرقوا بين الحقائق والأوهام التى هى من صنع مخيلتهم ، ولا أن يدركوا أنه ما دامت الارادة الالهية قائمة فى التاريخ ، فان رفض استقصاء الحقائق التاريخية فى أمانة مطلقة ، والعبث بها من أجل ادخالها فى اطار محدد سلفا ، لا يعنيان غير عدم اكتراثهم بمعرفة كنه هذه الارادة • فان دفعوا بأن الاسلام كان دائما مع العلم والبحث العلمى ومواجهة الحقائق دون خوف ، أجبناهم بأن نعم فمن المسئول اذن غيركم مما يعانيه البحث التاريخى الموضوعى فى الاسلاميات اليوم من اختناق ؟

● وأما المصلحون الاسلاميون التوفيقيون ، فموقفهم فى جوهره مشابه لموقف دعاة التغريب العلمانيين، وبالتالى فانهم لم يطرحوا بديلا حقيقيا للقيم الغربية ، اذ انبروا لمؤازرتها ببيان شبهها بالاسلام • فان كان دعاة التغريب قد أعلنوا أن « القيم الغربية شبيهة بالقيم الاسلامية . فلنتبناها ! » وقد ظل هؤلاء دوما يلهثون فى عدوهم وراء التغريبيين كى يبرروا كل جديد ، ولكى يوجدوا الأسس الدينية لتبنى المفاهيم الغربية • فان كان العلمانيون قد نادوا بأن العلم والعقل هما مفتاحا التقدم والحضارة ، فقد تركوا للمصلحين الاسلاميين مهمة اثبات أن الاسلام يقر هذا الموقف•أو على حد تعبير الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر وأحد التلاميذ المخلصين للامام محمد عبده •

« لا يمكن أن يكون ثمة صراع بين الدين والحق والعلم والحق • فان نحن وثقنا بصحة نظرية علمية تبدو مناقضة لتعاليم الاسلام . فانما سبب ما يبدو لنا من تناقض هو اننا لم نفهم القران والحديث فهما سليما • والقاعدةالمتفق عليها فى الاسلام هى انه كلما خالفت شواهد علمية نصا قرآنيا، فعلينا ان نعتبر النص رمزيا • هذا علاوة على أن القران هو بلسان عربى ، والعربية كما تعرفون شديدة المرونة » !

وقد اتسم معظم هؤلاء المصلحين الاسلاميين بالافتقار الى احترام الرجل العادى فى مجتمعهم ، والى الثقة فى قدراته واستعداده الروحى •

● وأما دعاة القومية العربية والوطنية المصرية ، فلم تكن ثمة صلة حقيقية بينهم وبين الجماهير •

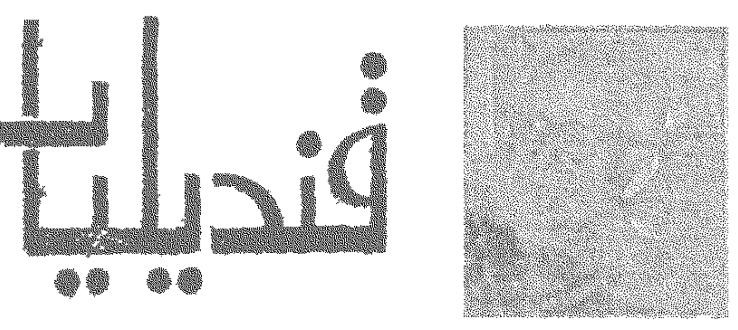
والفكرتان ليستا عميقتى الجذور ، ان كان بامكانهما وأن توحدا الناس ضد الأجنبى حتى ينالوا استقلالهم ، أو يحققوا وحدة بينهم ، فانهما سرعان ما يذبلان بعد ذلك حين تتضح خيبة الامل خرافة الاكتفاء ، ويبرز استمرار الحرمان والظلم والتخبط بعد

نيل الاستقلال مسئوليتنا الكاملة عن هذه الشرور ٠

● وأما عن دعاة التغريب والعلمانية فانهم مع كل تحمسهم للديمقراطية والمساواة وغيرهما من المفاهيم الغربية ، لم يكن بوسعهم قط الادعاء بأنهم يعبرون عن ارادة الشعب ، وانما أفصح لسان حالهم عن أنهم يسعون للصالح العام باعتبارهم الصفوة ، ولأنهم أدرى من الشعب باحتياجات الشعب ومصلحته ، وقد يقرون أحيانا بضرورة الهبوط الى مستواه ٠ فهم صفوة حسنة النية ، غير أنهم دائما صفوة ، مباينة للجماهير فى عقائدها وطريقة تفكيرها ٠ صحيح أن المفهوم العلمانى والاتجاه الى محاكاة الغربيين كانا قد انتشر فى صفوف الجماهير من جراء التعليم المدنى ، ، ووسائل الاتصال والاعلام المتزايدة ، والتصنيع والحياة فى المدن ، وانماط الاقتصاد وغيره ، وأن تأثير الفرنجة انما كان ضخما بقدر ما كان الفراغ فى الساحة المصرية ضخما ٠ غير أن الثابت الواضح الآن أن الولاء الأول لدى الجانب الأعظم من الجماهير فى مصر هو للاسلام دون غيره ، وأن الفكر الاسلامى لا يزال له بعد اربعة عشر قرنا سلطانا عليها تصعب زعزعته . وقد تعاظم تأثير فكر الجماعات المتطرفة فى العامة نتيجة لتدهور مستوى التعليم بعد ثورة عام ١٩٥٢ ٠ وبالتالى فقد ضعف تأثير دعاة التغريب فيها ، خاصة أن القليلين منهم فحسب هم الذين تأثر فكرهم بالاسلام ، لا يعرفون تعاطفا مع غيرهم من المسلمين الا ان كانوا عربيا ، ولا يتحمسون لاقامة روابط اقوى مع المسلمين الا ان كانوا عرباء، ولا يتحمسون لاقامة روابط اقوى مع المسلمين فى تركيا مثلا أو فى ايران او باكستان ٠

وسيظل الحل دائما كامنا فى العقيدة الدينية ٠ وهو حل لا يمكن تأجيل توفيره زمنا أطول دون حلول كارثة تتمثل فى اصابة مجتمعنا بالتحلل ٠ غير انه لن يكون حلا حقيقيا الا بصياغة علمية تتفق مع العلم الحديث وما لم نعد تقييم المادة التاريخية بنفس الدرجة من الامانة التى ظلت قائمة لدى المسلمين حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم هدمها بعض علماء الدين حتى لا يكون للتاريخ من غرض غير الدروس الأخلاقية والعبرة الدينية ٠ فمثل هذه الأمانة التاريخية هى وحدها القادرة على أن تعيد الى الاسلام مرونته المطلوبة لمواجهة مشاكل الوجود ، ومسايرة احتياجات العصر٠ أما التطلع الرومانسى الى الماضى من أجل ان نخفى عن أعيننا مسئوليات الحاضر وضرورة التأهل للمستقبل ، فلا يعنى غير تكييف هويتنا على ضوء ذكريات مزيفة ، ذكريات فى بطون كتب لا تقرؤها الغالبية ، وتقرؤها الاقلية ، أما للافتخار ، أو للاحتجاج باطروحات قررتها تطلعاتها وكبرياءها

والحل على اية حال لن يتأتى الا بصراع ٠ وما من احد يتوقع للحق ان يثبت ذاته فى سهولة ويسر ٠ كما انه من قبيل الغفلة والافراط فى التفاؤل ان نثق بان النصر سيكون حتما حليفه٠



بقلم: يحيى حقى

سهرانية فى الفن

الخطوة الأولى للفن إليك ليست لتحريك الذهن بل لتحريك فيض من الشعور في أغلب الأمور غامض مبهم عائم غير مستقر .. عسير تعليله عسير تفسيره بل حتى الابانة عنه عسيره . هو قد يتعدد بتعدد الاشخاص الواقفين امام اللوحة ، ويختلف باختلاف ملابساتهم الزمانية والمكانية ، أى اختلاف لحظتهم التاريخية أو الحضارية ، والفن فى خطواته الاولى اليك يتجاوز هذه الملابسات الزمانية والمكانية ، ويعلو عليها ، وهى عوارض ليصل الى عنصر « الانسان » فيك ولايجد الفن امامه الا مجال الشعر لكى يبلغ غرضه الاول وهو ان يحدث تلاحم بينك وبينه .

فتنتقد مأساة شعور الانسان الدفينة بأن حياته عابرة تمر مر السحاب على سماء ثابتة ومع ثباتها تظل مجهولة الاسرار ، شعوره بأن التراكمات التى غلفت عنصره الفطرى اصبحت من ورائها فى وحدة وعزلة وأمنة فى الغفلة لا فى الانتباه ..

ان الفن اول شىء ينقصه هو ثيابك التى نسجتها ملابسات الزمان والمكان ، والفن يهب الراحة السمحة للقبيل الاول ، والقلق للمريض الثانى فالفن رحمة وعذاب ..

يحدث هذا لأن اللوحة فى خطواتها الاولى اليك ، توحى بأنها من صنع انسان يستمد مبدئيا من معين شعوره لا من معين فكره ، واستمداده من معين الشعور هو وسيلة للنفوذ الى عصر الانسان فى نفسه وفيك انت متحررا ما أمكن من ملابسات الزمان والمكان .

واقف هنا لأقول ان التصوير هو عالم الالوان ، فى الضوء قبل عالم مضامين أو اشكال أو خطوط أو نبض أو تناسق الاجزاء ، اذا لم نركز اهتمامنا باللوحة على الالوان أولا فقد أهدرنا فن التصوير أو نسخناه ، تنوع هذا اللون وثراؤه ، واتساع رقعة حركته بل قوامه المادى وصفة استخدامه بالفرشاة ، بالسكين ، باللمس أو بالتراكم طبقة . فوق طبقة .. ان فن التصوير هو منفذنا ، ودليلنا الى عالم الالوان فى الطبقة ، وليس لكل الناس عين قادرة على الانتباه أولا الى اللون والاستجابة له .

ان الجمهور الحق لفن التصوير هو معن لهم مثل هذه العين ، اما الباقون فيخرجون من المعرض وكانهم لم يروا مايريد لهم أن يروه .. حديثهم بعيد كل البعد عن الحقيقة ، اذا اقتصر عن المضمون والشكل والخط ... الخ .

ظاهرة الخلاف

حول الدولة العثمانية

بقلم : فتحى رضوان

غادر منذ اسابيع دنيانا العالم المؤرخ الاستاذ عبدالعزيز محمد الشناوى استاذ التاريخ ورئيس قسمه بالجامعة الازهرية ، واظنه توسد مثواه الأخير ، قرير العين كعالم فقد فرغ قبل ان تفرغ ايامه فى هذه الدار ، من وضع موسوعة كبيرة ضمنها تاريخا كاملا ، واسع النطاق ، متعدد المصادر ، للدولة العثمانية منذ نشاتها فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى حتى أخر ايامها فى القرن العشرين ، فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ، التى انتهت فى الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادى عشر من العام الحادى عشر فى القرن العشرين .

المدرسة العثمانية فى القاهرة



وقد تألفت هذه الموسوعة من أربعة أجزاء تم طبع ونشر الثلاثة أجزاء الأولى ، التى بلغ عدد صفحات كل جزء منها نحو سبعمائة صفحة . وكان يخشى أن يغمض الموت عينه أو يسقط قلمه من بين يديه قبل أن يتم هذه الموسوعة العظيمة ويضعها بين يدى الشباب العربى يرى فيها جانبا كبيرا وعظيما من تاريخ أمته الوسيط والحديث ، وتقف بعضها على جهاد أجداده وأبناء عمومته فى ميادين السياسة والحرب ، والبناء والتأسيس والتعليم والتثقيف ، ونشر الفنون ، واتقان الصنائع من عمارة ونجارة ، وحدادة وصنع السلاح وصقله، وتربية الجياد ، وتدريبها ، وإقامة المعاهد والمساجد ، وبناء السبل والتكيات ، وإقامة الحصون والقلاع . ونحن جديرون ، ونحن نستمطر شآبيب الرحمة ، على جثمان هذا الاستاذ المجاهد ، الذى لقى وهو يضع موسوعته ، ويجمع لها المعلومات ، ويطالع من أجلها المراجع فى اللغات العربية والانجليزية ، والفرنسية : وكتب أخرى باللغات الالمانية والروسية ، ترجمت إلى الانجليزية والفرنسية ، نحن جديرون ونحن نودع هذا المعلم الجليل والباحث النبيل إلى العالم الآخر ، أن نشعر بالسعادة وطمأنينة النفس ، لأنه لم ينفض يده من دنيانا إلا بعد أن أدى الرسالة التى ناط به نفسه ، وأثقل كاهله ، وهى رسالة تجلية تاريخ أعظم الدول الاسلامية ، والشرقية خلال ست قرون متصلة . اتسعت خلالها املاكها فى آسيا وأوروبا وافريقية ، واذعنت لسلطان جيوشها وأساطيلها الامم والشعوب ، وقد عبر عن خوفه من أن يعاجله الأجل قبل إتمام تلك الرسالة

● تحية واجبة ●

فى مقدمة الجزء الاول قال مانصه رحمه الله رحمة واسعة . «من حقى أن اذكر أنى كتبت معظم فصول هذا الكتاب وأنا أجتاز ظروفا صحية بالغة الخطورة ، وكان قيامى بهذا العمل نوعا من المخاطرة بحياتى ، إذ كنت ممنوعا من بذل أى مجهود عقلى ، وكان مطلوبا منى أن أعيش حالة استرخاء ذهنى كامل ، وكان مما قض مضجعى أن يدركنى الموت قبل أن افرغ من وضع هذا الكتاب ، وشاء الله تعالى أن تسعنى رحمته فأعاننى على اختيار هذه الفترة الصحية العصيبة ، وعلى أن أمضى قدمافى استكمال الكتاب ، ولهذا استغرق وضع الكتاب وطبعه سنين عددا .

وارى انى قد يكون من المستحسن ، تحية الاستاذ الجليل الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى ، واعلانا عن سر الامتنان لجهته فى وضع الموسوعة التى كان مكانها شاغرا فى المكتبة العربية حتى سنة ١٩٨٢ (تاريخ صدور الجزء الثالث) أن أعيد نقل ماجاء فى مقدمة كتابه العظيم بيانا لغايته من وضعه وتأليفه ، وفى الوقت نفسه جعل هذه السطور المنقولة عن المقدمة المشار اليها مدخلا للبحث الذى انا بسبيل تناوله فيماياتى قال :

« على مبلغ علمى لم تتعرض دولة فى العالم لمثل ماتعرضت له هذه الدولة

(الدولة العثمانية) من حملات عنيفة ضارية استهدفت التشهير بها ، والنيل منها ، وقامت بهذه الحملات المكثفة قوتان عالميتان عاتيتان ، هما الاستعمار الأوربى والصهيونية واتخذت هذه وتلك من المؤلفات التاريخية والبحوث والتصريحات الرسمية ومن مجموعات الوثائق التى نشرتها بعض الحكومات الأوربية مجالا رحبا لاذاعة ماراق لها أن تنشره عن الدولة تحاملا عليها . وقد رد بعض المؤرخين والباحثين العرب عن جهالة أو تجاهل أو حقد تلك الآراء الخاطئة والظالمة معا ، فى مؤلفاتهم واستقرت فى أذهان الأجيال المتعاقبة من رجال الفكر العربى الإسلامى صورة حالكة الظلام عن الدولة العثمانية ، واقترن ذكرها فى افئدتهم بمظالم ومحن تكدست على رعاياها من استغلالهم بطريقة تعسفية وجزافية ومن مصادرة أموالهم وأراضيهم ومحاصيلهم وماشيتهم ، ومن تخلف ومن إجراء مذابح عامة ، ومن عزلة عن العالم فرضتها الدولة على ولاياتها العربية مما أدى إلى نشر الفقر والجهل والمرض . وغفل أولئك المتحاملون عن الخدمات التى أسدتها الدولة لولاياتها العربية بوجه خاص ، وهى خدمات يجب أن تذكر لها وتشكر عليها . وتناسوا أيضا أن الدولة العثمانية واجهت أخطارا دولية جسيمة كانت تهدد العالم العربى بأفدح الأخطار . وكان منها وصول البرتغاليين إلى البحار الشرقية ومحاولاتهم المكررة ، وصول البحر الأحمر من منفذه الجنوبى للاستيلاء على جدة والزحف منها على مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة ثم موالاة الزحف على المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الغزو البرتغالى لشرق الجزيرة العربية هو أول غزو أوربى عسكرى صليبى فى التاريخ الحديث لاقاليم عربية .

وفى حياة الأمم تحدث ظواهر تكاد لاتعرف لها تفسيرا ، ولكن ماتكاد الأيام تمضى فى سبيلها ، حتى تبدو جذور هذه الظواهر ، ومن هذه الظواهر أن يصدر أول كتاب ضخم وشامل عن تاريخ الدولة العثمانية من أقدم عصورها إلى آخر مراحلها ، فى الوقت الذى ينشط فيه الكتاب على اختلاف نوازعهم إلى التحدث عن الدولة العثمانية فقد حدث أن نشر الهلال مقالا عن الدولة العثمانية ، ومدى ماتعرضت له من تجنى ثم نشر الهلال ثلاث مقالات فى ثلاثة أعداد من الهلال منها مقال للدكتور محمد أنيس فى هلال مارس هذا العام (ص ٥٤) بعنوان الاتراك فى نهاية الدولة العثمانية ، كما نشر مقال للأستاذ الدكتور محمد نور فرحات فى هلال شهر يوليو . (ص ٧٢) بعنوان ملاحظات منهجية فى مسألة تقويم الامبراطورية العثمانية ، ثم نشر الهلال فى عدد شهر أغسطس مقالا بعنوان الدولة العثمانية والصراع المعاصر (ص ٥٦) للأستاذ احمد عباس صالح وإذا تصفحت

الهلال منذ خمسة وعشرين سنة مضت ، كما تصفحت الدوريات المصرية من صحف ومجلات اسبوعية وشهرية فى تلك المدة ، لم يقع نظرك على هذا الحشد من المقالات فى هذا الموضوع ، اما الكتب فهى اقل من الكبريت الأحمر فى مجال الحديث عن الدولة العثمانية ، فما سر الاهتمام المفاجىء بهذه الدولة ؟! .. يسوق الدكتور محمد نور فرحات فى مقال الهلال (شهر يوليو) مانصه : «الحديث عن الدولة العثمانية هو نموذج للأحاديث التى تحيط بها توهجات العاطفة والانفعال فتكدر صفاء العقل ، وتعوق صدق اليقين . وقد رد ذلك إلى أسباب منها ما يرتبط بالمشاعر الوطنية ، حيث ارتبط النضال الوطنى ضد الاحتلال الأوربى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعواطف الشوق إلى الكيان السياسى السابق على هذا الاحتلال وهو الكيان العثمانى . واغلبها يرتبط بالمشاعر الدينية الاسلامية التى يرى أصحابها أن سبب تلقائيتها التى تحيط بنا اليوم ، خروجنا عن أحكام الشريعة الاسلامية التى ظلت الدولة العثمانية تطبقها قرونا .

• التطلع للأفضل •

فالمصريون يتصلون بالدولة العثمانية ، ويعلون من قدرها ومن أعمالها طوال حكمها لسببين عاطفيين : إما لتعلقهم بالكيان السياسى القائم قبل الاحتلال البريطانى لمصر ، واما لأن فريقا آخر يرى أن الدولة العثمانية التى طبقت الشريعة الإسلامية طوال ستة قرون هى عمرها الطويل فى الحكم ، هى تجسيد يتطلع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية باعتبار أن هذا التطبيق هو السبيل الوحيد للخروج مما نعانى منه من مصائب وكوارث . فهل هذا التعليل صحيح . وهل الدولة العثمانية لاتستحق من المصريين والعرب الإجلال والتقدير ، إلا إذا كانوا من إحدى الطائفتين الأولى التى تؤمن بأن الدولة العثمانية هى رمز الاستقلال المصرى أو العربى ، السابق على الاحتلال ، أو الطائفة المؤمنة بأن تطبيق الشريعة هو السبيل للخروج من مصائبنا وكوارثنا .

الواقع أن هناك طائفة ثالثة تتوجس خيفة من كل مايقال أو يعمل ، ويظنون أنه يقرب من تطبيق الشريعة الاسلامية . والواقع أن الدولة العثمانية ، هى دولة ضخمة كأعظم ماتكون الدول الضخمة بصرف النظر عن علاقتها بالعرب ، او بالمسلمين ، فقد بقيت فى الوجود ستة قرون ولم تنعم امبراطورية آخرى بهذا العمر الطويل فى القديم أو الحديث .

• نموذج يحتذى به •

ولو سلمنا جدلا بأن الباعثين الوحيدين للارتباط بتركيا ، وللإعجاب بها وبتاريخها هما باعثان عاطفيان أولهما النظر إلى تركيا كتجسيد للاستقلال العربى او المصرى ، قبل الاحتلال البريطانى . أو النظر إلى

تركيا ، باعتبارها الدولة التى طبقت الشريعة الإسلامية ، حتى القرون الحديثة . فهى بذلك نموذج يتطلع إليه المشتاقون لهذا التطبيق والراغبون فى نظرة ملؤها الحب والاعزاز ، لو سلمنا جدلا بهذا فما العيب فى ذلك .

وبادىء ذى بدء ليس من حقنا ان نتصور أن الباعث العاطفى هو باعث يحسن أن يرفض ، فحب الرجل لأمة وهو حب باعثه عاطفى وحب الرجل لزوجه وهو حب باعثه عاطفى ، حب كذلك يجب التبرء منه ، وأخيرا حب الانسان لوطنه معادله هو حب عاطفى ، يجب ان نتخفف منه ، حتى تتم لناصفات وخصائص العقلانية ، وننجو من مهالك المشاعر المتاججة .

بل إن رجال التربية وعلم النفس يرون أن إثارة العواطف والنوازع النفسية نحو الفضائل الخلقية كالتضحية وإنكار الذات والهيام بالبطولة والابطال ، اسلوب للتربية محمود . فإذا كانت تركيا تجسيد لاستقلالنا القومى الضائع ، فما الغريب علينا أن نحب هذا الرمز ونتعلق به . مادام الباعث هو حب الاستقلال والتشبث به ، ولكن يبدو أن وراء هذا القول أن تركيا حرصت على تطبيق الشريعة ، وقد اصبح هناك وسواس يتملك فريقا منا ، يخاف من هذا التطبيق ، يحملهم على تصور أن كل كلام أو تصرف يبدو أن له صلة ولو من بعيد بهذا الشأن ، يخيف هذا الفريق وهو حال يحتاج إلى علاج وضبط نفسى . فمثلا المرحوم الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى الف كتابا من اربعة اجزاء تضم ٤ آلاف صفحة عن الدولة العثمانية ، ووصل إلى ماوصل إليه من المناصب العلمية والجامعية ، دون أن يقول حرفا واحدا فى تطبيق الشريعة الإسلامية لا معها ولاضدها بل إنه قال فى نهاية مقدمة الكتاب فى الجزء الأولى ، أنه كان قد كتب فصلا عن موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة اى من الأقليات غير الإسلامية كالمسيحية واليهود ، ولكنه ارجأه ولم يضمنه كتابه ، الضخم مع أن الحديث عن هذا الجانب ، هو كلام فى صميم موضوع تطبيق الشريعة ، مما يدل على أن الاعجاب بالدولة العثمانية ليس وقفا على الذين يعجبون بها كدولة أسلامية ، بل يصح أن يعجب بها المصرى والعربى والأوربى أيا كان دينه ومذهبه لأنها لم تستطع أن تصل إلى ماوصلت إليه من سلطان وسؤدد ، إلا بما تصل به الدولة الكبرى من ذلك اى بالعلم والنظام وإقامة قواعد القانون ، وحماية رعاياها من كل دين وعقيدة . وإذا كانت قد تحللت وزالت فى العقد الثانى من القرن العشرين فذلك لأن قيام الدول وزوالها سنة الحياة ، وتطبيقا لقول الله «وتلك الأيام نداولها بين الناس» فليس الضعف الذى دب إلى تركيا ، بدعا فى التاريخ ولا أحد ينكر أن أوربا



السلطان عثمان الاول
مؤسس الدولة العثمانية



محمد على

كلها قد اجتمعت ضد تركيا التى كانت تحكم عدداً ضخما من الدول الأوربية فى شرق أوربا كالمجر ورومانيا ، واليونان وبلغاريا ، وكان عهد التحرر القومى ، قد بزغ نوره ، وكان يجب أن تزول الامبراطورية العثمانية لأن هذه الدول يجب أن تستقل وتنعم بالاستقلال ، وقد كتب فى صحف التاريخ أن الكثير من رعايا امراء الاقطاع الأوربى كانوا يفرون إلى تركيا ، ويلتمسون الملجأ فى ظل الخليفة وهم يقرون أن الحكم العثمانى إن كان على غير دينهم أعدل من الحكام الاقطاعيين المستبدين والظالمين . ولاننسى أن دولة الخلافة الإسلامية استطاعت بعدد كبير من رعاياها المسيحيين تعينهم وزراء ورؤساء مصالح ، وهؤلاء قد خدموها بإخلاص بقدر ماتعددت مواهبهم وإخلاصهم وتفانيهم فى خدمتها .

ولكن الحرص على التجنى على تركيا بلغ إلى حدّ إنكار أنها طبقت الشريعة ، اعتمادا على قانون واحد فى ستة قرون وهو منهج فى التدليل والمحاجة لاأحسبه منصفا ولا عادلا .

وأخيرا لسنا من الذين يقولون او يتصورون أن الذين حكموا تركيا خلال عمرها الطويل ، كانوا جميعا ، وفى كل المناسبات ملائكة متصوفين فقد كانوا بشرا يخطئون ويصيبون .

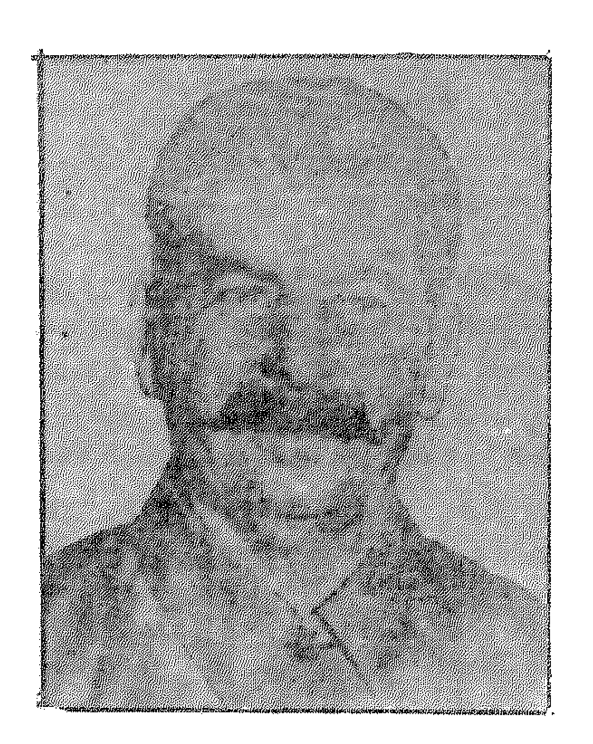
الثورة الروسية ومكانتها فى التاريخ

بقلم: عبد الرحمن شاكر

بالرغم من الاهوال التى صاحبت الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر. إلا أن العالم كله تقريبا يحتفل بذكرى ١٤ يوليو ١٧٨٩، يوم سقوط الباستيل باعتباره عيدا للحرية. أما الثورة الروسية فى أكتوبر ١٩١٧، فلا يزال الفكر الرسمى فى كثير من بلدان العالم، إن لم يكن معظمها، يتلقى ذكراها بالصمت والتجاهل، وينظر إليها كانها رجس من عمل الشيطان!

ولكن دخول هذه الثورة عامها السبعين فى هذا الشهر، يوحى بانها قد أصبحت جزءا راسخا من التاريخ، لا يفيد من يتجاهل امرها شيئا، إلا أن يحكم على نفسه بالجهل والعماية وضيق الأفق.

وإذا أردنا أن نصل بالمقارنة مع الثورة الفرنسية إلى مداها، فمع التسليم ببشاعة بعض أحداثها، خصوصا فى عهد إرهاب روبسبير، فإن العالم كله قد تأثر بمبادئها فى "الحرية والإخاء والمساواة"، بالرغم من هذا الارهاب، بل - على نحوما - بفضل هذا الارهاب! فقطع رقبة الملك لويس السادس عشر وزوجته أنطوانيت، ومئات الأرستقراطيين وأتباعهم والمتعاونين معهم وبغض النظر عن بعض حالات الظلم هنا أو هناك قد ساعد على تقويض فكرة الأرستقراطية فى حد ذاتها، والحق الإلهى للملوك والأشراف فى أن يستعبدوا شعوبهم بغير حدود، فشرعت كثير من النظم الملكية إلى التحول سلميا فى أحيان كثيرة إلى نظم دستورية، الملك فيها يملك ولا يحكم والسيادة



ستالين

للقانون وحكم الأغلبية ، فلولا الثورة الفرنسية ومافعلته ، ماكان العالم ليشهد النظم الملكية المهذبة ، كالتى تقوم حاليا فى بريطانيا العظمى ، التى سبق لها إعدام شارل الأول ، وفى السويد وهولندا وغيرها .

كذلك الحال بالنسبة للثورة الروسية ، التى تجاوزت قطع رقبة الملوك والأرستقراطيين ، إلى مايمكن وصفه بأنه قطع رقبة الملكية الفردية لوسائل الانتاج . فهى بهذا قد وضعت حدا لطغيان تلك الملكية فى معظم أرجاء العالم ، وألقت الرعب فى قلوب من يملكون الأرض والمصانع ورءوس الأموال فى مختلف المجتمعات البشرية ، إنهم عرضة لأن يلاقوا المصير ذاته ، لو لم يبادروا إلى رعاية الحقوق الاقتصادية لشعوبهم ، وبالتحديد عمالهم وفلاحيهم . إن النظم الاصلاحية التى تسود حاليا بلاد الغرب الصناعية المتقدمة هى نتاج مباشر للثورة الروسية ورد فعل طبيعى لها ، حتى ولو لم يعترف القائمون عليها بذلك . فالنظريات الاقتصادية التى بشر بها جوك ماينار دكينز وسواه فى الدول الرأسمالية المتقدمة ، عن ضرورة رفع أجور العمال لزيادة الطلب على المنتجات الصناعية ، إنما كان لتجنب أزمات الانتاج وبالتالى احتمال لجوء عمال تلك المجتمعات الى الثورة على غرار مافعل عمال روسيا . أضف إلى ذلك إعانات البطالة والتأمينات الاجتماعية والصحية . الخ ، مما يجعل الغرب يتباهى حاليا بأن وضع الطبقات العاملة فيه قد يفوق مثيله أحيانا فى "وطن الاشتراكية" ويعنون به الاتحاد السوفييتى . ولكن هذا التفاوت مصدره إن وجد ، هو أن الاتحاد السوفييتى قد بدأ من اقتصاد متخلف جدا فى عهد القيصرية ، حتى وصل إلى مصاف الدولة الثانية فى العالم ، وأن اقتصاده كان ولايزال مثقلا خلال السبعين عاما الماضية بأعباء الحروب المتوالية ، بدءا من الحرب العالمية الأولى التى سبقت الثورة وكانت حالة الجنود فيها واحدا من أسبابها ، حيث كان فريق منهم يموت جوعا قبل أن يقتله الأعداء ، ثم حرب التدخل التى شنتها الدولة الرأسمالية للقضاء على الثورة وفشلت فى ذلك ، والحرب العالمية الثانية ، التى أعلن مفجرها أدولف هتلر ، أن هدفه الرئيسى فيها هو القضاء على الشيوعية ، وإذا كانت الأسلحة الأمريكية قد لعبت دورا فعالا فى دحر النازية والفاشية وانقاذ العالم منها ، فقد لعبت الدماء الروسية التى أريقت فى تلك الحرب والدمار الشامل الذى اصاب الاقتصاد السوفييتى ابانها ، هو الثمن الاكبر الذى دفعه "وطن الاشتراكية" نيابة عن العالم كله فى دحر تلك القوى العدوانية . وبعد انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء ، أصبح سباق التسلح مابين المعسكرين يمثل عبئا جديدا رهيبا على الاقتصاد السوفييتى ، يمنع شعوبه من جني كثير من ثمار الاشتراكية ، والتقدم العلمى والصناعى الذى تحقق فى ظلها .

● بين عالمين ●

وإذا كان تأثير الثورة الروسية ، على

الثورة الروسية ومكانتها فى التاريخ

المجتمعات الصناعية المتقدمة ، او "العالم الاول" كما يحبون هناك أن يطلقوا عليه ، هو التخويف من الثورة ، بحيث اضطرت تلك المجتمعات إلى إدخال كثير من الاصلاحات الاجتماعية تجنبا لها ، فإن تأثير تلك الثورة على المجتمعات "المتخلفة" اقتصاديا ، التى يسودها الاقتصاد الزراعى وانتاج المواد الخام اساسا ، او مايطلق عليه الآن العالم الثالث ، كان مختلفا . كان الأغراء باتباع طريق الثورة الروسية او بعض هذا الطريق واردا من أجل تحقيق التقدم السريع فى تلك المجتمعات وخاصة فى المجال الصناعى ، عن طريق التخطيط الشامل من ناحية ، ومن ناحية اخرى عن طريق تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية يتيح لأغلبية المواطنين أن يكونوا هم السوق الرئيسية لاستهلاك منتجات الصناعة المستحدثة ، حيث أن البناء الصناعى الجديد فى تلك المجتمعات يتم فى عالم اكملت فيه الرأسمالية العالمية السيطرة على أسواقه ، ومن الصعب منافستها فى الأسواق الخارجية ، مالم يكن السوق المحلى هو مجال التعريف الرئيسى للمنتجات الصناعية ، وفى ظل قدر أو آخر من الحماية الجمركية او حتى حظر استيراد مايمكن انتاج بديله محليا .

وفى مقدمة الدول التى اتبعت طريق الثورة الروسية ذاته الصين ، بحيث تعتبر ثورتها التى اتمت انتصارها فى نهاية الأربعينيات ، مكملة للثورة الروسية ، على نحو ماتعتبر الثورة الفرنسية مكملة للثورة الانجليزية ، بالرغم مما وقع بينهما بعد ذلك من خلاف ليس هذا موضع تفصيله . وإلى حد ماينطبق هذا القول على دول أوربا الشرقية ، وإن كان من المستحيل تصور تحولها الى الاشتراكية بتجاهل دور الجيش الأحمر فى تحريرها عن ربقة النازى . **على أن المساعدة السياسية والعسكرية من جانب السوفييت لم تكن بعيدة عن الثورة الصينية ، ولا عن الثورات الوطنية عموما فى أرجاء العالم الثالث ، بما فى ذلك ثورة ١٩٥٢ المصرية ، فقد كان "التحالف مع الثورة الوطنية فى المستعمرات" جزءا من استراتيجية الثورة الروسية ، لتقويض سيطرة الامبريالية على العالم .**

وبعد انتصار الثورة الصينية ولد فى العالم الثالث ، الطريق "غير الرأسمالى" الذى سارت فيه مستعمرات حديثة التحرر مثل الهند ومصر وآندونيسيا ، وهو طريق تم تصنيفه باعتبارها تطورا معتدلا نحو الاشتراكية ، يأخذ ببعض طرائقها فى الملكية العامة لجزء رئيسى من وسائل الإنتاج وخاصة الصناعى ، ولكنه يترك للقطاع الخاص خطا موفورا من النشاط الاقتصادى وخاصة فى مجال الزراعة

وواضح أن هذا الطريق الثالث ، كان دافعه مزيجا من إغراء الثورة الروسية ، والخوف من تطور الأمور إلى حد يجعل الحل الروسى لا مفر منه ! والبلدان التى سارت فى هذا الطريق هى التى أوجدت مايسمى بالعالم الثالث وحركة عدم الانحياز ، وإن كان هذا الطريق قد تعرض لهجوم واسع النطاق من جانب الامبريالية العالمية من آجل تقويضه ، فى ظل السيطرة الاقتصادية المتفوقة التى تمارسها الشركات متعددة الجنسية ، والتى شكلت مايعرف باسم "ظاهرة الاستعمار الجديد" ، الذى يقوم على أساس المبادلة غير المتكافئة مابين المواد الخام التى تنتجها البلدان النامية ، والمنتجات الصناعية ، التى ينتجها الغرب المتقدم ، والتى خلقت مشكلة الديون الضخمة لبعض

البلدان النامية ، وجعلت من استقلالها السياسى الشكلى فى مهب الريح .

● آفاق المستقبل ●

لقد انطلقت الثورة الروسية من واقع متدهور فى ظل القيصرية اصطلح على شعوبها فى ظله الاستبداد الداخلى والقهر الوطنى والاستغلال الاقتصادى ، وكان سلاح الثورة هو أنكار فلاسفة الغرب الذين لم يقنعوا بمجرد الحرية السياسية التى ولدتها الثورة الفرنسية وانما انطلقوا يطاردون حلما تصبح فى ظله الجماعة الإنسانية اسرة واحدة يتمتع فيها جميع الأفراد بحقوق اقتصادية متساوية ، ويتعاونون من أجل الرفاهية المشتركة .

وإذا كانت الأوضاع الاقتصادية قد جعلت تحقيق مثل هذا الحلم عسيرا فى مختلف المجتمعات ، حتى اضطر المجتمع الروسى إلى خوض بحار من الدماء فى ظل ماعرف بالطغيان الستالينى للاقتراب منه ، فإن آفاق المستقبل الذى بدأته الثورة الروسية تنطوى على كثير من الاحتمالات :

★ فى مقدمة هذه الآفاق الجديدة سقوط الطغيان الستالينى وادانته على يد خلفائه ، والتقدم تدريجيا على طريق الديمقراطية السياسية فى المجتمعات الاشتراكية ، بحيث تصبح الديمقراطية الاقتصادية مكملا وليس نقيضا لها . ولكن اكتمال هذا الهدف يحتاج إلى مزيد من الجهد لرفع مستوى الانتاج من ناحية ، والتربية السياسية للجماهير من ناحية أخرى ، بحيث لا يعود القهر الذى تمارسه "الدولة" ، بعنف أحيانا ، ضرورة لمجرد وفاء المواطن الاشتراكى بالتزاماته الانتاجية والاجتماعية .

إن الطبيعة الإنسانية فى التواكل والكسل فى حال الأمن الاقتصادى ، تتيح لدعاة الملكية الفردية رفع اصواتهم ، بأن حافز الربح الشخصى لا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق التقدم الاقتصادى ، ويضربون المثل على ذلك بتخلف الزراعة الروسية ، وعدم وصول المنتجات الصناعية الاستهلاكية أساسا إلى مستوى مثيلها فى الغرب . بغض النظر عن كون العالم بأسره اليوم يدخل مرحلة الثورة التكنولوجية ، التى يتمتع الغرب بها ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية واليابان ، بالقدح المعلى فيها ، ومن شأن تلك الثورة أن تحدث تطورا فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، على مستوى البنية الداخلية للمجتمعات ، وفى العلاقات الدولية مابين مختلف المجتمعات والنظم ، ولا يمكن حصر مداه الآن . على أن آخر أخبار العلاقات الاقتصادية بين الكتلتين تفيد أن الاتحاد السوفييتى على وشك الدخول فى مشاريع اقتصادية مشتركة مع الغرب ، وذلك للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة المتقدمة فيه ، وبالطبع فإن الشركات المتعددة الجنسية التى تملك هذه التكنولوجيا ، لا تستطيع تجاهل سوق واسعة مثل السوق السوفييتية ودول الكوميكون والصين ، ويكفى أن واردات القمح السوفييتية من الولايات المتحدة هى وسيلة لحل مشكلة فائض انتاج القمح الأمريكى تغضب من اجلها حليفات أمريكا مثل كندا واستراليا التى كانت تمنى نفسها بالاستئثار بهذه السوق فى فترة المقاطعة التى ثبت لدى الساسة الأمريكان أنها اكثر الحاقا للضرر باقتصادهم منها بالاقتصاد السوفييتى .

إن مثل هذه الصور من التعاون الاقتصادى تفتح الآمال امام الشعوب فى أن يصبح ذلك هو الطابع الرئيسى للعلاقات بين المعسكرين بدلا من سباق التسلح ، الذى لا يلقى باعبائه على اقتصاد كلا المعسكرين فحسب ، والاشتراكى منهما فى المقام الأول ، بل هو يحرم البشرية باسرها من قدر كبير من طاقاتها الاقتصادية بصفة عامة ولا يستفيد منه فى واقع الأمر إلا قلة من منتجى السلاح ، اساسا من الاحتكارات الكبرى فى الغرب ، وهو المسئول عن سياسة

الثورة الروسية ومكانتها فى التاريخ

الاستقطاب الاستراتيجى التى تتبعها الدولتان العظميان ، والسعى إلى الاستحواز على أوسع نطاق من مناطق النفوذ ، وهو الذى يهدد سياسة عدم الانحياز التى تحرص عليها دول العالم الثالث بالتصفية ، ومحاولة جرها إلى نطاق التبعية من جديد ، لهذا المعسكر أو ذاك .

★ بيد أن دول العالم الثالث فى مجموعها تشعر بأن الجماعة الانسانية ، وخاصة القوى الاشتراكية فيها ، مسئولة عن إيجاد مكان لها تحت شمس التقارب المحتمل بين المعسكرين ، خلاف تقسيمها إلى مناطق نفوذ تابعة لأى منهما ، والحق التاريخى لبلدان العالم الثالث فى التطلع إلى نظام اقتصادى جديد ، يرفع عنها أعباء الديون الباهظة المتزايدة باطراد ، لا يستمد فقط من حقيقة كونها قد تعرضت فى الماضى لأضخم عملية نهب شهدها التاريخ من اجل بناء الامبراطوريات الصناعية الكبرى ، بل أيضا من رؤيتها المستقبلية لمصير الجنس الانسانى فى عمومه ، فالمتقدمون صناعيا واقتصاديا وتكنولوجيا لا يستطيعون أن يضعوا أيديهم فى أيدى بعضهم البعض وينظروا باستخفاف إلى المشاكل التى لايزال العالم الثالث يعانى منها المزيد كل يوم سواء فى ذلك تدهور الأوضاع الاقتصادية أو مايقع على مختلف الشعوب من قهر واضطهاد عنصرى من نوع ماهو حادث فى فلسطين أو جنوب إفريقيا . إن من شأن هذا الموضوع الداعى إلى اليأس أن يجعل من ابناء هذه الشعوب أو جزء منها ، أداة نقمة على الجنس الإنسانى فى عمومه . **فما نسمع عنه كل يوم من حوادث الارهاب الدموية ، إنما هو وليد مباشر لأفكار حق الشعوب المغلوبة والمضطهدة فى المساواة وتقرير المصير ،** والمشاركة فى حياة إنسانية على مستوى القهر ، وليس الحصول على تكنولوجيا الدمار المتوفرة ، والتى تتولى إنتاجها وبيعها ذات الاحتكارات الكبرى التى تحكم العالم بالأمر العسير ، مادام العالم فى مجموعه لم يصل إلى درجة من العقلانية تتيح له التقدم إلى نظام سياسى واقتصادى جديد يكفل لمختلف شعوب الأرض حقها الطبيعى فى حياة حرة كريمة

اذا كان الغرب قد أمكنه تحاشى أن يحيق به ماحاق بالإستقراطية والراسمالية الروسية ، عن طريق الاصلاح على مثل مبادىء كثيرة ، فإن نوعا من الكينزية الدولية ، قد أصبح مطلوبا الآن لتجنب تحول مجتمعات بأسرها إلى عدو لسائر الجماعة الانسانية وما أمكن لها تحقيقه من تقدم ، ليس على الأرض وحدها ، بل فى الفضاء أيضا . لقد كان التنافس بين المعسكرين على غزو الفضاء هو أحد الآثار الهامة للثورة الروسية التى بدأت باطلاق أولى الأقمار الصناعية ، فاستحثت بذلك الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة إلى مجاراتها فى هذا المجال ومحاولة التفوق عليها فيه ، وقد وصل المعسكران إلى طريق مسدود ، إما إلى التعاون ، أو الدمار المشترك من خلال حرب الكواكب التى يمهدون لها ، أو على الأقل ينهكون اقتصادهم من خلال تكاليفها الفلكية .

على أن هذا التعاون إن تحقق ، فلا يتصور له نجاح إن لم يضع مصير الجنس الانسانى نصب عينيه ، ويساعد الجماعة البشرية على التقدم كاسرة واحدة .. وكان ذلك بعض أحلام الفلاسفة الذين الهمت كتاباتهم الثورة الروسية !



تحقيق سريع جدًا

شعر: عزت الطيرى

أى النساء تحــبُ ؟
ـ مُــنى ...
وأىِ البنات تود صداقة أرواحهنَّ ؟
ـ مُــنى ...
وأىِ الفصــول ؟
ـ مُــنى ...
وأى المواســم ؟
ـ ....
وأىِ البلاد تود النزوح إليها ؟
ـ مُــنى ...
وأى العواصم ؟
ـ ....
أنــت أتعبــتنا ..
أنــت أتعبــتنا ..
أُقفل المحضر الآن فى الساعة العاشرة ..
بغياب القتيلْ ...
وحضور مُــنى ..





هذا الثائر المحافظ والعلمانى الورع

بقلم : د . جلال أمين

من اكثر مايلفت النظر فى شخصية احمد امين وفى انتاجه الفكرى ، ذلك التركيب الفريد بين العاطفة الدينية البالغة القوة ، والنزعة العقلانية البالغة الاستنارة ولاأظن ان احدا من مفكرى جيله قد اجتمعت لديه هاتان النزعتان بمثل هذا الانسجام والتوافق ، إن من المستحيل على من يقرأ لأحمد امين ان يشك لحظة فى عمق ايمانه وصدق اسلامه ، ولكن من المستحيل ايضا على من يقرأ له ان يشك فى عقلانيته واستنارته

لقد أعدت قراءة كتاب "حياتى" (وهو سيرته الذاتية) من هذه الوجهة من النظر فاذا بى اكتشف من جديد الدليل بعد الدليل على هذا التوافق الرائع من عقلانية أحمد أمين وتدينه ، وتحمست لأن اقدم لقارىء اليوم ، الذى يشهد المعركة الحامية الدائرة بين مايسمون "بالعلمانيين" ومن يسمون "بالسلفيين" ، هذا المثال الحى لرجل استطاع أن يتجاوز الموقفين تجاوزا

طبيعيا لايشوبه تكلف ، لايتنكر لدينه وتراثه ولكنه لايضيع اية فرصة تتاح له للاصلاح ، ولايجمح جماح العقل فى أى موضوع يعرض له مهما كانت خطورته وجرأته .

إن الشيق حقا فى موقف أحمد أمين ، الشخصى والفكرى ، هو أن الموقف الدينى عنده لايحل محل التفسير العقلى بل يكمله ، والعاطفة الدينية لاتضيق بالانتصارات المتتالية التى يحققها العقل ، كما أنها لاتحاول منافسة العقل فى ميدانه ، بل هى تتوج عمله وتعطيه معناه . العقل والدين يتعايشان عنده تعايشا سلميا رائعا ، وكأنهما يعكسان ذلك الامتزاج الغريب فى الطبيعة الانسانية بين المحدود واللامحدود ، بين المعرفة اليقينية والحدس ، بين الحب الغريزى للاستطلاع والاكتشاف وبين الحيرة أمام المجهول ، بين الشعور بالقوة المستمد من المعرفة والسيطرة على الطبيعة وبين الشعور باعجز امام المجهول منها وامام الموت .

هكذا كان موقف أحمد أمين الصادق دائما مع نفسه ، المعتد برأيه دون غرور ، الشغوف بالاصلاح دون شطط ، المتفائل بالمستقبل دون غفلة عن حدود الطبيعة الانسانية وأوجه عجزها ، المفتون بحضارة الغرب دون انهيار نفسى امامها ، المؤمن بحتمية التطور دون تنكر للثابت من نوازع الانسان وحاجاته ، أو بكلمة موجزة : أحمد أمين الثائر المحافظ ، أو العلمانى الورع .

● قوة عاطفته الدينية ●

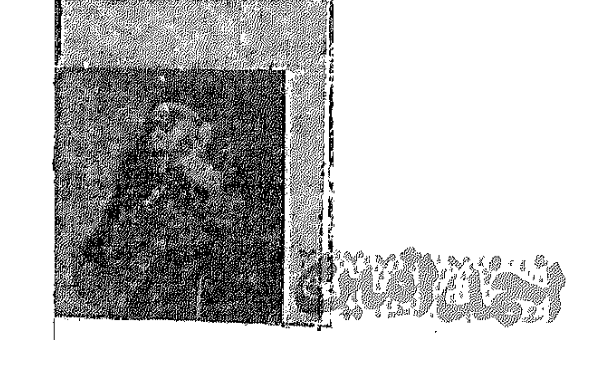
يصف أحمد أمين قوة عاطفته الدينية فى طفولته بقوله :

"كنت أقوم الليل وأتهجد ... وتنحدر الدموع من عينى أحيانا فى ابتهالاتى ... ومن شدة فكرى فى الله رأيته فى منامى مرة ، على شكل نور يغمر الغرفة ويخاطبنى قائلا : اطلب ماأدلك به على قدرتى ، فطلبت أن يعمل من قطعة حديد سكينا ، ومن قطعة خشب شباكا ، ففعل ، فآمنت بقدرته ، وحكيت المنام لأهلى ففرحوا به فرحا عظيما وزادوا فى محبتى"

ثم فى شبابه :

"اذا كنت فى مقهى انتقلت من بين من أجالسهم الى أقرب مسجد ، فإن كنت فى حى أفرنجى بعيدا عن المساجد تلمست عمارة كبيرة فيها بواب نوبى أو سودانى وطلبت منه أن يحضر لى حصير صلاته لأصلى عليها بالقرب من الباب ، فاذا لم أجد استنظفت أى مكان مستتر وخلعت جبتى وفرشتها وصليت عليها ثم نفضتها ولبستها"

وهو أثناء دراسته بمدرسة القضاء الشرعى من اكثر طلبتها تدينا ، حتى ليسميه الطلبة « السنىّ » بينما يسمون غيره « الفيلسوف » أو « الزنديق » وهو إذ يصيبه المرض فى عينه وهو فى الستين من عمره لايجد لنفسه عزاء الا فى



الايمان ، وإذ يكتب مقالا فى وصف نفسه بقوله انه « ان طاف طائف الالحاد بفكره لم تطاوعه طبيعته ، وان شك حينا عقله آمن دائما قلبه » .

● تضييق دائرة الصدفة ●

ولكن قوة إيمان أحمد أمين بالله لم تقف قط عقبة امام تفسيره الأشياء تفسيرا عقلانيا صرفا ، ولم تدفعه قط الى استبدال التفسير الدينى بالتفسير العلمى . **فهو لايتناول ظاهرة او فكرة قط كمسلمة أو بدهية ، بل يحاول دائما فهمها بردها الى أسبابها الطبيعية أو الإجتماعية . بل انه يحاول ذلك حتى فى تفسير شخصيته ودوافعه النفسية وتقلبات حياته التى قد يميل اكثر الناس عقلانية الى ردها يائسين الى محض الصدفة .**

إن أول فقرة فى كتاب "حياتى" تفصح عن هذا الاتجاه العقلانى الصرف افصاحا تامًا : « ما أنا إلا نتيجة حتمية لكل مامرّ علىَّ وعلى آبائى من احداث ، فالمادة لاتنعدم وكذلك المعانى .. فكل مايلقاه الانسان من يوم ولادته ، بل من يوم ان كان علقة ، بل من يوم أن كان فى دم ابائه ، وكل مايلقاه فى حياته يستقر فى قرارة نفسه ويسكن فى أعماق حسه ... كل ذلك يتراكم ويتجمع ويختلط ويمتزج ويتفاعل ثم يكون هذا المزيج وهذا التفاعل أساسا لكل مايصدر عن الانسان من اعمال نبيلة وخسيسة ... ولو ورث أى انسان ماورثت ، وعاش فى بيئة كالتى عشت ، لكان إياى أو مايقرب منى جدا » .

بل إنه ليحاول أن يفسر مايلاحظه فى نفسه من ميل دفين الى الحزن ، اذ يجد نفسه لايفرح كما يفرح الناس ولايبتهج بالحياة كما يبتهجون ، فيدور فى ذهنه احتمال أن يكون ذلك بسبب وفاة أخت له وهو حمل فى بطن امه ، فلعل السبب أنه « تغذى دما حزينا ورضع بعد ولادته لبنا حزينا واستقبل بعد ولادته استقبالا حزينا » . ومع ذلك فهو ليس واثقا تماما من هذا التفسير فيردف قائلا إن « علم ذلك عند الله والراسخين فى العلم » .

ويحاول أيضا تفسير قوة عاطفته الدينية وما استقر فى قلبه من ايمان عميق بالله « لاتزلزله الفلسفة ولاتشكك فيه مطالعاتى فى كتب الملحدين » فيردها الى ظروف نشأته وتربيته الأولى « فأنت اذا فتحت باب بيتنا شممت منه رائحة الدين ساطعة زكية » ، ولكنه لايطمئن الى هذا التفسير اطمئنانا كافيا فيقول :

« نعم انى لأعرف من نشأوا فى بيت كبيتى تغمره النزعة الدينية كالنزعة التى غمرت بيتى ، ومع هذا ثاروا على هذه النزعة فى مستقبل حياتهم وانقلبوا من النقيض الى النقيض ... فلماذا كان موقفهم غير موقفى ؟ ... هل كان ذلك لأنَّ الدين يتبع المزاج الى حد كبير ، أو لأن

شخصية ابى كانت قوية غرست فى مالم يستطع الزمان اقتلاعه ، أو أن عوامل البيئة زادت هذه النزعة الدينية نموا فلما جاءت العاصفة جاءت متأخرة ؟ لعله شىء من ذلك أو لعله كل ذلك أو لعله شىء غير ذلك » .

إن ارادة الله قائمة وحاكمه لتطور الأحداث ولكنها تتحكم فى تطورها من خلال قوانين الطبيعة والمجتمع :

« لقد عمل فى تكوينى الى حد كبير ماورثت عن آبائى ، والحياة الاقتصادية التى تسود بيتنا ، والدين الذى يسيطر علينا ، واللغة التى نتكلم بها ، وادبنا الشعبى الذى كان يروى لنا ... فانا لم أصنع نفسى ولكن صنعها الله عن طريق ما سنه من قوانين الوراثة والبيئة » .

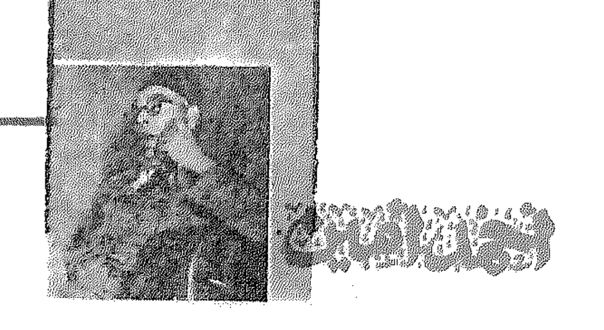
● البركة تمنع العدوى ●

لم يكن هناك بد من أن تؤدى هذه اليقظة العقلية الباهرة بأحمد أمين الى أن يكون مصلحا بل وثائرا على كل مايرفضه العقل من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره . إنه لايقبل اعتقادا شائعا لمجرد أنه شائع ولايرضى عن مسلك لمجرد انه مسلك الجميع . لقد عاصر فى طفولته نظام "الميضأة" فى المساجد وهى حوض يملأ من الماء من حين لآخر من بئر بجانبه ، يتوضأ فيه المريض والصحيح ، والمتوضىء يغسل وجهه فى نفس الماء الذى غسل فيه من قبل قدميه ، فلما عرفت القاهرة انابيب



المياه والحنفيات لم تعد حاجة الى الميضأة ، ولكن يلاحظ أحمد أمين بأسف اصرار الناس على الميضأة وثورتهم على الشيخ محمد عبده لأنه أبطل الميضاة من الأزهر وأحل محلها الحنفيات ، ويعلق على ذلك بقوله « وهكذا يالف الناس القديم الضار ويكرهون الجديد النافع ويدخلون فى الدين ماليس من الدين » .

وهو يتعلم أول مايتعلم فى الكتّاب فتثور نفسه ثورة عارمة على طريقته فى التعليم التى تميت الروح وتفسد العقل والجسم معا : « إذا جاء وقت الغداء اخذ سيدنا من كل ولد قرشا أو نصف قرش أو مليما حسب مقدرته ، وبعث سيدنا العريف فاحضر له ماجورين أخضرين : فى أحدهما فول نابت ومرقة وفى الآخر مخلل ومرقة ، والتف التلاميذ حولهما بعد أن أحضروا خبزهم الذى جاءوا به من بيوتهم ، وأخذت ايديهم تغوص باللقمة فى مرقة الفول أحيانا وفى مرقة المخلل أحيانا ، ولاباس أن يكون فى الأولاد مريض وصحيح ، وقذر ونظيف ، وملوث وغير ملوث ، فعلى الله الاتكال والبركة تمنع العدوى . واذا قرانا وجب أن نهتز ونصيح ، فمن لم يهتز أو يصيح لم يشعر إلا والعصا تنزل عليه فيصرخ ويصيح بالقراءة والبكاء معا ... فلا



تعجب بعد ذلك اذا وجدت أرواحا ميتة ونفوسا كسيرة » .

ثم يرسله ابوه الى الأزهر فتثور نفسه ايضا على طريقة التدريس فيه والامعان فى التعليق على العبارة الواضحة والافاضة بالحواشى فى تفاصيل لافائدة منها حتى يصبح الواضح مبهما والمفهوم غير مفهوم ، ويرى الطلبة يقومون بعد انتهاء الدرس الذى لم يفهم منه شيئا يحيطون بالشيخ يسلمون عليه ويقبلون يده فلا يسلم أحمد أمين ولايقبل . وينتقل الى دروس الشيخ محمد عبده فيفتن ببساطته وعقلانيته ويفهم منه ما لم يفهم من شيوخه الأزهريين ، ويعتنق رأيه فى وجوب إصلاح التعليم من أساسه .

● اسباب ضعف المسلمين ●

وهو فى شبابه يرفض تفسير أبيه للاحتلال الانجليزى فانه مجرد نتيجة لعصيان المصريين لله فى أوامره ونواهيه ، وان الله لهذا السبب سلط الانجليز على المصريين يسومونهم سوء العذاب فيسأل أباه « وهل هؤلاء الانجليز مطيعون لله حتى ينصرهم علينا ويمكّن لهم فى بلادنا ؟ » فيزجره أبوه ولايجيب ، وينصرف أحمد أمين إلى التفكير فى الأسباب الحقيقية التى مكنت الاستعمار من بلاد المسلمين ، فاذ يدعى لإلقاء محاضره فى مدرسة القضاء الشرعى وهو طالب بها ، فيختار موضوع « أسباب ضعف المسلمين » ويلخصه فى كتاب حياتى بقوله :

« بنيت محاضرتى على أن أسباب ضعفهم ترجع الى شيئين أساسيين : الأول فساد نظام الحكم فى البلاد الاسلامية وماجره ذلك من ظلم للرعية وعسف بحريتها ، واستغلال الحكام لمالها وتسخيرهم قواها لملاذهم الشخصية ، والثانى رجال الدين فقد شايعوا الحكومات الظالمة وأيدوها وتآمروا معها وبثوا فى نفوس الشعب الرضا بالقضاء والقدر والاعتماد على نعيم الآخرة اذ حرموا نعيم الدنيا ـ كل هذا أضعف المسلمين وأذلهم وأنهك قواهم ولا أمل فى صلاحهم الا بصلاح رجال الحكومة ورجال الدين » .

على أن « أسباب ضعف المسلمين » ليست مجرد محاضرة ألقاها أحمد أمين وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، بل هى شغله الشاغل طوال حياته فلعله لم يكتب شيئا أو اضطلع بعمل أو اشترك فى لجنة الا وهو يبحث فى « أسباب ضعف المسلمين » أو يساهم فى القضاء عليها . كانت أول وظيفة تقلدها بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعى هى وظيفة قاض فى الواحات الداخلة (١٩١٣) فيقوم بتدوين مذكراته طوال الرحلة ويورد منها بعض المقتطفات فى كتاب حياتى ، فاذا

بالذى يستدعى انتباهه وهو فى القطار فى الطريق بين الواحات الخارجة والداخلة هذا المنظر :

« مررت على مركز لشركة انجليزية أنشئت لتستغل أرض الواحات ، فرأيت انجليزيين يقفان فى الشمس يشرفان على العمال ، فقلت فى نفسى أتأتون من انجلترا الباردة الى الواحات المحرقة طمعا فى الكسب وأملا فى النجاح ، ويعيشون عيشة فرحة مستبشرة ، وتأتى أنت من بلدة فى مصر الى بلدة أخرى فى مصر ليس بينهما الا اقل من يوم ، ثم تحزن وتبكى ؟ فخجلت من نفسى وتبين لى سبب من اسباب نجاحهم وإخفاقنا . وغناهم وفقرنا »

ويذهب لصلاة الجمعة فى الواحات الخارجة فيروعه أن موضوع الخطبة « الحث على الزهد والتحذير من السفر الى أوربا لقضاء الصيف » اذ يرى أن أهل الواحات « زهّاد بطبعهم لايجدون مايأكلون الا بعد العناء ، وما سمعوا قط باسم أوربا الا من الخطيب ، وماحدثتهم انفسهم حتى ولابالسفر الى الصعيد . ولكن لاعجب ، فالخطيب يحفظ خطبته من ديوان مطبوع من غير نظر الى مايلائم وما لايلائم » واذ يطلب منه أن يلقى درسا بعد انتهاء الصلاة يقرأ على المصلين درسا موضوعه « الحث على العمل » ، ولكنه يستدرك فيكتب فى مذكراته « واعتقادى أن لاقيمة لهذا الحديث وهذا الدرس فهم لايصلحون الا باصلاح بيئتهم » .

ويعود أحمد أمين من الواحات ليصبح مدرسا فى مدرسة القضاء الشرعى ، وكان

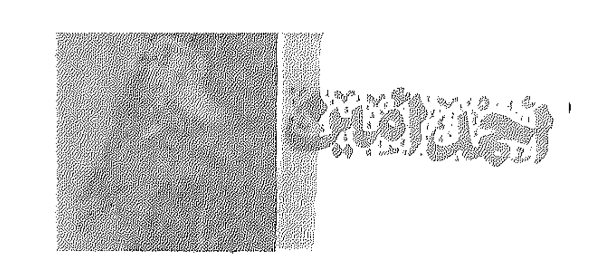


قد علم نفسه الانجليزية ، فيقوم بتحضير دروسه فى علم الاخلاق من الكتب العربية والانجليزية معا ، ويقرأ فى نظرية النشور والارتقاء لدارون ، وتطبيقاتها على الأخلاق فيشغف بها لبعض الوقت شغفا شديدا ويلقى عنها محاضرتين فى مدرسة القضاء فتحدث المحاضرتان دويا عظيما ، ويرسل شيخ الأزهر الى ناظر المدرسة (عاطف بركات) يسأله كيف أباح لمدرس فى المدرسة أن يلقى محاضرات فى مذهب الزنديق دارون ، فيهمل الناظر السؤال ولايرد عليه .

● السفور وتحرير المرأة ●

وهو فى نفس الوقت (١٧ ـ ١٩١٨) يقبل عرضا من جريدة "السفور" ، وهى جريدة أسبوعية كانت تدافع عن رأى قاسم أمين فى تحرير المرأة ، ليقوم هو وزملاء له بتحرير الجريدة والاشراف عليها ، فيكتب فيها مقالا كل أسبوع ويشترك معه فى ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق ، الذى أصبح شيخا للأزهر فيما بعد ، ومحمود تيمور وأحمد زكى وكامل سليم .

ثم تقوم ثورة ١٩١٩ ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره ، فيتصل بصديقه كامل سليم الذى كان حينئذ سكرتيرا لسعد زغلول ، فيعهد اليه بمهمة كتابة التقارير الى سعد زغلول فى باريس عن تطورات



الأحوال فى مصر ، ويتلقى منه الشفرة لتسليمها الى بعض أعضاء الوفد فى مصر ، إذ كان أحمد أمين مازال شيخا معمما يدرس فى مدرسة القضاء فلا تحوم شبهة أن يكون هو الذى يتولى هذه المهمة ويشترك فى مظاهرات ١٩١٩ ، وخاصة تلك التى ترمى الى التقريب بين الأقباط والمسلمين : « فاركب عربة وانا بعمامتى اصطحب فيها قسيسا بملابسه الكهنوتية ونحمل علما فيه الصليب والهلال » .

● بيت الطاعة ●

ثم يحدث ، وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعى ، أن يحال ناظرها عاطف بركات الى المعاش لوقوفه مع سعد زغلول فيغضب أحمد أمين غضبا شديدا ويقاطع الناظر الجديد ، فيذهب الناظر الى رئيس الوزراء (عدلى يكن) ليطلب منه نقل أحمد أمين من المدرسة فيصدر أمره بنقله الى القضاء . واذ يتولى أحمد أمين القضاء الشرعى مرة اخرى تثور نفسه على مايجبره عليه القانون من الحكم بالطاعة على الزوجة ، فيقول :

« ظللت أحكم بالطاعة وانا لاأستسيغها ولاأتصورها ، كيف تؤخذ المرأة من بيتها بالبوليس وتوضع فى بيت زوجها بالبوليس كذلك ؟ وكيف تكون هذه حياة زوجية ؟ إنى أفهم قوة البوليس فى تنفيذ الأمور المادية كرد قطعة أرض الى صاحبها ووضع محكوم عليه فى السجن ... أما تنفيذ المعيشة الزوجية بالبوليس فلم أفهمه مطلقا الا اذا فهمت حبا بإكراه أو مودة بالسيف . ولهذا كنت أصدر هذه الأحكام بالتقاليد لا بالضمير ... وكنت اشعر شعور من يمضغ الحصى أو يتجرع الدواء المرّ » .

● الدين فى القلب لا فى العقل ●

فى سنة ١٩٤٤ يدعى أحمد أمين ، وقد صار الآن استاذا للأدب العربى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) لالقاء محاضرة فى دمشق فى مهرجان أبى العلاء المعرى ، فيختار موضوع « سلطان العقل عند ابى العلاء » . وفى المحاضرة لاينتقد أحمد أمين عقلانية أبى العلاء الا عندما يقتحم موضوع العقيدة الدينية ، فيختتم محاضرته بقوله « نقد (ابو العلاء) المجتمع فنجح ، ونقد الأخلاق فنجح ، ونقد الأخبار فنجح ، ونقد الدين فى صميمه فلم ينجح » ذلك أن الأمر عند أحمد أمين لايعدو أن :

« الدين فى القلب لا فى العقل ، واذا بحث الدين بالعقل المجرد لم يكن دينا ولافلسفة ، وإنما شىء تافه اسمه علم الكلام » ولكن الدين بدوره لايجب أن يقتحم دائرة العلم « فإذا اعترض رجال الدين على ذلك كانوا قد تجاوزوا حدودهم وتحدثوا فيما ليس من شأنهم » .

● سمعت الواعظ المشهور الشيخ الشعراوى يقول فى التليفزيون إن كلمة « ريح » لاتجىء فى القرآن الكريم إلا دالةً على الهلاك او الشر .. بعكس جمع هذه الكلمة « رياح » فإنه يجىء للخير .. فما رأى الشيخ فى الآية : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف » إلى آخر الآية الثانية والعشرين من سورة يونس ؟!..

فالريح فى هذه الآية تجىء طيبة ، ثم تجىء عاصفاً .. فهى ليست للشر فقط !..

● قرأت فى كلمة صحفية نقدا لمذيعة تليفزيونية أو اذاعية تنطق حرف « الطاء » كحرف « التاء » .. فتقلب كلمة « الأقطار » إلى « الأقتار » والناقد على حق من حيث يطلب عدم الخلط فى النطق بين الطاء والتاء كما تفعل بعض المذيعات الآن .. ولكن « الأقطار » و« الأقتار » هما لفظان صحيحان بمعنى واحد .. والأقتار جمع « قتر » بضم القاف وتسكين التاء ، كما أن الأقطار جمع قطر .. قال المتنبى فى مدحته لسيف الدولة التى أولها : « إذا كان مدح فالنسيب المقدم »

تساوتْ به الأَقْتَارُ حتى كأنه
يُجَمِّعُ أشتاتَ الجمال وينظمُ ..

والأقتار هنا هى الأقطار ، ولم يكن المتنبى يعجز عن وضع الطاء بدلا من التاء !

● قول العامة : « غُمِيَ على الرجل » بضم الغين وكسر الميم وفتح الياء ، قول فصيح مثل قول المتأدبين : أُغْمِيَ عليه !

● هناك فرق بين « غَرِقَ » و« أَغْرَقَ ».. تقول : « غرق الشىء فى الماء ».. ولا تقول : أغرق .. وتقول : « أَغْرَقَ الأديبُ فى التفكير أو فى الكلام ».. أى أكثر من التفكير أو الكلام .. وإذا قلت : « غرق فى التفكير » خرجت إلى معنى آخر ولون من المجاز ..

● نسمعهم أحيانا يهتفون : « حنكمل المشوار ».. يقصدون انهم سيواصلون مسيرتهم الظافرة !.. والمشوار كلمة فرنسية معناها « المنديل ».. وفى العربية « المِشْوَارُ » هو الالة التى يُشَارُ بها العسل ، اى يؤخذ من خلايا النحل .. والمشوار أيضا مكان للدواب .. ومن معانى المشوار « المنظر الجميل » ويقال للخيل ذات المنظر الحسن : « أخذت الخيل مشوارها ».. أى زينتها .. ومعذرة للهاتفين بتكملة المشوار ، فليس لمشوارهم مكان فى اللغة !.. والله أعلم !..



وتزييف التاريخ الأدبى

بقلم : سليمان فياض

عمل جدير بالتقدير ، ذلك الجهد الذى قام به ، وقدمه لمصر ، وللعالم «المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية» . فقد نشر هذا المركز ، وفى صمت تام ، دون ضجة إعلامية ، أربعة عشر مجلدا ، تحت عنوان «المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى : ١٩٥٢ - ١٩٨٠» .

وهذا المسح يشمل مجالات الانتاج والخدمات : السكان ، الاسرة ، التدرج الاجتماعى (الطبقى) . البناء السياسى البناء الاقتصادى . النقل والمواصلات . الاسكان . الخدمات الدينية . التعليم . الصحة . الأمن . العدالة . الاعلام ، والفنون والآداب .

وقدم المركز فى المجلد الأول ملخصا بانوراميا مركزا ومكثفا لهذه الموضوعات الثلاثة عشر التى فصلتها توصيفيا المجلدات الأخرى ، وبمسح وصفى مزود بالأرقام ، وبالاحصائيات ، ومستوف لكافة النقاط في توصيف واقع كل من هذه الموضوعات فى الواقع المصرى ، فى السنوات التسع والعشرين الأولى من عمر الثورة ، وفى العهدين الناصرى والساداتى . وقد جاء هذا المسح الوصفى الشامل لتطور المجتمع المصرى فى سنوات الثورة ، مرآة صادقة ، قدر المستطاع ، للواقع المصرى ولسياسات الثورة ، وإيجابيات هذه السياسات وسلبياتها فى هذين العهدين .



يوسف ادريس نجيب محفوظ

نقطة الضعف الوحيدة فى هذا المسح الوصفى ، التى تصدم من يبتغى الواقع والحقيقة كانت فى هذا الجزء الأخير من المجلد الأول ، والمكرس لموضوعه المجلد الرابع عشر . والخاص بالاعلام والفنون والآداب .

ومصدر الضعف فى تقارير هذا الموضوع يكمن فى قلة الأرقام ، وفى فقد المقارنة بينها إحصائيا ، وبالتالى فى فقد السمة الأولى للوصف فى المسح ، سمة صحة الرصد للواقع المصرى فى الفنون والآداب والاعلام . فوقعت تقارير هذا الموضوع ، بدرجة أو بأخرى ، فى إطلاق الاحكام العامة ، والآراء الشخصية ، حسب أهواء كاتبى هذه التقارير . ومواقفهم الحياتية المختلفة فى مجالات الاعلام والفنون والآداب .

لقد كتبت هذه التقارير بتعجل ، ودون جمع وتصنيف للاحصائيات فى موضوعاتهم ، لكى يتاح كتابة التقارير بصورة تحقق الغاية من المسح ، غاية الرصد الوصفى لا أكثر ولا أقل ، ثم يترك التحليل والتقييم لمن يتجاوزون غاية المسح ، كل حسب موقفه ، ووجهة نظره ، ورؤيته لمسيرة الواقع المصرى الكائنة . ومسيرتها التى ينبغى أن تكون عليها فى مختلف الرؤى .

وكانت أمام كاتبى التقارير ، بشىء من الصبر فى جمع المعلومات ، الحصول على الأرقام الاحصائية ، التى تشكل فى مجموعها وجوه العطاء الثقافى وحصاده فى الفنون والآداب ، من منابعها المباشرة ، وغير المباشرة من الأجهزة المختصة ، ومن الوزارات المختلفة ، وخاصة وزارتى الاعلام والثقافة ، ومن التعبئة والاحصاء ، ومن هيئة الكتاب (قسم البطاقات) . ومن الفهارس

أوهام "الحلقة المفقودة"

البيليوجرافية ، ومن .. إلى أخره . حتى يتسق الجهد المبذول فى تقارير الاعلام والفنون والآداب وحتى يرقى إلى مستوى الجهد المبذول فى التقارير التى كتبها الباحثون الآخرون ، كل فى موضوعه ، فى الموضوعات الأخرى لهذا المسح الاجتماعى الشامل .

● قصور واضح ●

واضعف جانب فى تقارير الباحثين فى الاعلام والفنون والآداب ، كانت فى هذا القسم الأخير ، الخاص بالآداب والترجمة ، والتي بدت لي وكأنها كتبت للصحافة الأدبية ، وليست لتكون تقريرا علميا ، وبالوسع رؤية هذا القصور بوضوح ، فى هذه التقارير المزاجية ، عن : القصة القصيرة ، والرواية ، والشعر ، والنقد والحركة الادبية . فهى تفتقر الى الاحصائيات الوافية ، وتفتقد بالتالي «منهج الوصف» ، ولذلك وقعت فى القصور والابتسار والمغالطات ، والآراء الشخصية .

ولنأخذ واحدا فقط من هذه التقارير ، كقضية ، بل كقضايا للمناقشة ، هذا التقرير الشخصى والانطباعى ، المبتسر ، المليء بالمغالطات ، عن : الاقصوصة (والقصة القصيرة) والذى كتبه جارى وصديقى النقادة : الدكتور صبرى حافظ أحد أعضاء اللجنة الخاصة بالفنون والآداب ، والتى كان يراسها الفنان الراحل بدر الدين أبو غازى .

قسم كاتب هذا التقرير تقريره إلى رؤية لثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٠

ب ـ المرحلة الثانية من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٧٠

جـ ـ المرحلة الثالثة من عام ١٩٧١ حتى عام ١٩٨٠

وفى كل ماكتبه كاتب التقرير ، عن هذه المراحل ، لم نجد رقما واحدا يشير الى الانتاج القصصى القصير عامة فى هذه المرحلة ، وفى كل مرحلة على حدة ، ومانشر منها فى دوريات ، ومانشر منها فى مجموعات مجرد أرقام ـ او يشير إلى حصر أحصائى لعدد القصاصين فى هذه المراحل الثلاث ، وكمّ ما أنجزوه من قصّ ، تمهيداً لرصد التيارات والاتجاهات فى حصاد القصة القصيرة عبر تسع وعشرين سنة ، كرؤى فكرية أولا ، واتجاهات أدبية ثانيا .

كل ما وجدناه فى هذا التقرير عن القصة القصيرة فى مصر ، فى هذه الفترة ، والذى لم يزد عدد سطوره عن ثمانية وسبعين سطرا ، بها الف ومائة كلمة «ذهبية» هو ذكر أسماء عدد من كتاب القصة القصيرة فى مصر ، ممن خطرت اسماؤهم بذكراة الكاتب ، ساعة كتابة التقرير ، أو ممن سمح لنفسه أن يذكر اسماءهم «كرماً منه ومنة» ، والله عليم

بالسرائر والضمائر ، وسوى تقييمات الكاتب لهم ، وتصنيفه لحصادهم ، فى احكام عامة وبصورة انطباعية ، غير موضوعية ، ولا عادلة ، عن تيارات القص القصير فى مصر واتجاهاته ، وعن أجيال كتاب القصة القصيرة (؟!) ، وعن تتويجه لبعضهم ، وجعله البعض الآخر ذيولا وأتباعا .

فكاتب التقرير يرى أن القصة القصيرة فى مصر قد « تبلورت ـ منذ الثلاثينات ـ (صحتها الثلاثينيات) فى ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الواقعى الذى اسسته المدرسة الحديثة (يحيى حقى وزملاؤه) (من هم هؤلاء الزملاء ؟ واى اتجاه واقعى يقصده بين اتجاهات الواقعية ؟ وماذا يعنيه بالمدرسة الحديثة ؟ وهل كانت هناك فى القصة مدرسة قديمة) » والاتجاه الرومانسى الهروبى » (اصطلاح عجيب يثير الدهشة والخوف من الاتهام بالخيانة ولم يذكر لنا الكاتب من هم ممثلوه) ، « ثم اتجاه خارج عنهما » (لعله أراد منهما) يجمع بين الواقعية والنزعات التجديدية (اى واقعية يعنيها ؟ وماذا يقصد بالنزعات التجديدية) ومثله : بشر فارس وعادل كامل (لم نعرف عن عادل كامل قط انه كاتب قصة قصيرة ، وقصته الوحيدة القصيرة الطويلة ، والمنشورة بمجلة المقتطف هى قصة : (ضباب ورماد) وفتحى غانم ويوسف الشارونى ويوسف إدريس . وهذا الاتجاه هو الذى برز فى الصدارة مع مجىء ثورة ١٩٥٢ ، فهذا الجيل أحس نفسه مؤهلا للتعبير عن صوت مصر ادبيا . فإن هذا الجيل ومعه اسماء اخرى مثل مصطفى محمود (؟!) وصلاح حافظ ولطفى الخولى واحمد رشدى صالح ومحمد يسرى أحمد (هذا الأخير توقف عن كتابة القص كلية قبل قيام الثورة) ، حاول التعبير عن جماعات المقهورين من العمال والفلاحين وصغار الموظفين .

● امتياز خاص ●

ومن بين هؤلاء جميعا ، يتوقف كاتب التقرير عند يوسف إدريس ليمنحه امتيازا وشرفا خاصين ، بقوله « لقد كان عالم يوسف إدريس واسعا يشمل القرية والمدينة ، وكان كابوسا يحلم شىء اساسى هو التغيير »

ثم « صعد تيار آخر يمكن تسميته بالرومانسية الاشتراكية عند عبد الرحمن الشرقاوى ومحمد صدقى وزكريا الحجاوى (لا صلة لزكريا بهذا التيار ، ولقد توقف زكريا عن كتابة القصة القصيرة قبل الثورة) ومحمود السعدنى يفيض بروح التفاؤل وبالحل التالفى للصراع الطبقى (وهل كانوا ارهاصا ونواة وطليعة لتحالف قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى ؟) وبجمال البطل الايجابى .. ومع هذا التيار ظهر تيار اخر امتدادا لرومانسية محمود كامل (لعله المقصود بانه رائد الرومانسية الهروبية) ، مع مزج بعض العناصر الواقعية عند سعد مكاوى وصلاح ذهنى وعبد الرحمن فهمى ويوسف السباعى وامين يوسف غراب وإحسان عبد القدوس ومحمود تيمور وعبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جوده السحار (عجبى لدس النقادة لأسماء سعد مكاوى وصلاح ذهنى



وعبد الرحمن فهمي في هذا التيار) .

وهذه التقسيمات لاتجاهات وتيارات خمسة ، سادت القصة القصيرة في رأى الكاتب ـ تثير عددا من الأمور :

فالاتجاه الرومانسي معروف فيه تياران : الرومانسية المتفائلة ، ولعلها هي التي يسميها الكاتب بالرومانسية الاشتراكية . والرومانسية المتشائمة ، ولعلها هي التي يسميها الكاتب بالرومانسية الهروبية . ولا نعرف قط أن الوصف بالهرب كان جزءا من أى اصطلاح أدبي إلى إن كان الكاتب يبتدع اصطلاحا ، وله الحق في ذلك ، إن كلف نفسه مشقة تعريفه ، أوجد له تعريفا .

والاتجاه الواقعي نعرف من تياراته واصطلاحاته : الواقعية الطبيعية ، والواقعية النقدية ، والواقعية الاشتراكية ، فأيها كان يعنيه الكاتب لهذا التقرير عندما تحدث عن « **الاتجاه الواقعي الذى اسسته المدرسة الحديثة** » ، وعندما ذكر الكاتب هذا الاتجاه الذى « **يجمع بين الواقعية والنزعات التجديدية** » .

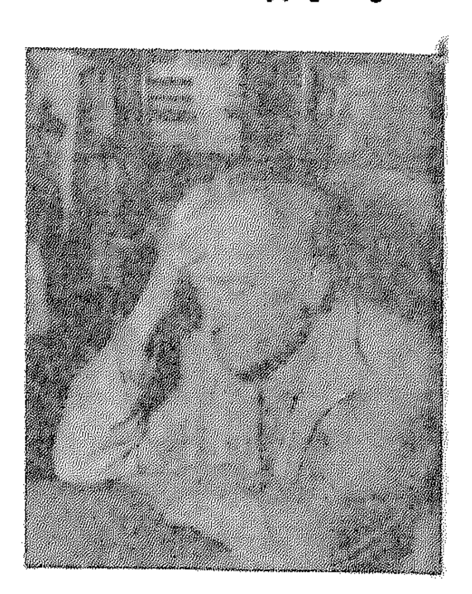
وكاتب التقرير تجاوز في هذه الاتجاهات جميعا ـ في رأيه الشخصي عن المرحلة الأولى ـ اسم نجيب محفوظ ككاتب قصة قصيرة ، اكثر من ثلاثين قصة قصيرة منذ الثلاثينيات الى قيام الثورة ، ونشر بعضها في « همس الجنون » وبعضها الآخر لم يجمع من مجلة « الرواية » في كتاب ، وتجاوز اسم : المازني ـ رائد الواقعية الأول ، في اللغة على الأقل قبل يحيى حقي ويوسف إدريس ـ في مجموعته : « الطريق » وتجاوز اسم الحكيم في مجموعته : « أرني الله » . واسم علم من أعلام القصة القصيرة في الاربعينيات هو : محمود البدوي ، صاحب « الدانوب الأزرق » والذى ترك بصماته على القصة القصيرة في مصر ، وعلى القصاصين من بعده ، ومن بينهم يوسف إدريس .. وغيرهم كثيرون ممن حفل « دليل القصة القصيرة في مصر » لسيد النساج بأسمائهم وبأسماء أعمالهم ، مانشر منها في مجموعات ، وماظل منها الى يومنا ، حلقة مفقودة ، حبيس الدوريات ، ولم يذكر كاتب التقرير اسم نجيب إلا عند تذكره له في تقريره عن المرحلة الثانية ، مرحلة الستينيات واكتفى عنه بالقول إنه « عاد إلى كتابة القصة القصيره بعد توقف » .

● تجاوزات واضحة ●

وكاتب التقرير سوى في العطاء القصصي كما وكيفا بين من ذكر أسماءهم كلا في اتجاهه وتياره ، بدون تفريق بين من استمر منهم في كتابة القصة القصيرة ومن توقف منهم عن الاسهام في نشر دوريات ، ومن ذكر منهم اسمه ، مثل : زكريا الحجاوى ، ويسرى أحمد ، ومن لم يذكر اسمه مثل : محمد عفيفي ، واحمد عباس صالح ، وهم حقا قصاصو « الحلقة المفقودة » في تاريخ القصة المصرية القصيرة ، والتي يجهلها الكثيرون من النقاد ، لأن أحدهم لم يكن كاتب قصة

يوما يبحث ويتابع رفاقه على درب القصة ، ويمكن أن تضاف إليهم أسماء اخرين في المراحل الثلاث ، ممن مارسوا كتابة القصة القصيرة ، ثم توقفوا عن الاستمرار فى كتابتها ، وكان لهم فيما كتبوه وجه من وجوه الامتياز القصصى .

محمود تيمور



محمد عبدالحليم عبدالله



وكاتب التقرير كان جديرا به ألا يضع كل كتاب القصة القصيرة ـ المتميزين منهم على الاقل فى سلة واحدة مع غيرهم ـ فلكل منهم مستــواه الفنى الخاص ، ونهج وأسلوبه ، حتى وإن انتمى فكريا وفنيا إلى تيار بعينه ، واتجاه بذاته ، فلكل منهم عالمه الخاص ، ورؤيته للعالم ، وفنه المتميز الملامح والسمات .

● راى شخصى ●

وبحسب أن كـل هـذه الاخطـاء والمغالطات ، وقع فيها كاتب التقرير ، لانه خرج عن حدود الوصف ، إلى حدود الرأى الشخصى ، ولأنه لم يجهد ليعرف ويجمع تاريخ القص القصير ، الخطوة الأولى لأى نقد يحاول التحليل والتقييم ، من تواريخ النشر ومن دليل النساج ، ولديه منه نسخة باليقين ، ولأنه ليست لديه معرفة واضحة بتيارات واتجاهات القص ، والفرق بينهما ، والتداخل بين بعضها البعض ، فى هذا الشكل الأدبى الفنى الوافد القصير العمر فى الآداب العربية ، حتى فى الأعمال القصصية لكتاب الحقبة الواحدة ، بل وفى أعمال الكاتب الواحد ، ولأنه وقع أسير تقييمات صباه كناقد غض العود ، على صفحات مجلة "المجلة" فى سنوات الستينيات ، ولم يسمح لنفسه بمراجعتها ، وإعادة النظر فيها ، لأنه وقع أسير دعوى الانتماء لجيل جديد من المبدعين والنقاد وفى سنوات الستينيات ، حريص على القول بأنهم جيل بلا أساتذة ، وحريص على إخلاء الساحة من سواهم من الكاتبين ، ممن سبقوهم فى تاريخ القص ، أو فى تاريخ الميلاد ، وهى

أوهام "الحلقة المفقودة"

آفة ابتليت بها مصر ، منذ عصر الفراعين .

ويختم كاتب التقرير تقريره عن المرحلة الأولى من عمر القصة المصرية القصيرة العمر ، والذى لاتتجاوز أسطره سبعة وعشرين سطرا "ذهبيا !!" فى اربعة كلمات. ، بحشده لأسماء اثنى عشر كاتبا للقصة القصيرة ، ووضعهم جميعا فى سلة "يوسف إدريس" وقال عنهم : فى أواخر الخمسينات (صحتها الخمسينيات) حيث لم تكن تناقضات الواقع قد تبلورت بعد ، ظهر جيل ضائع (!!) سار على درب يوسف إدريس (!!) ، فسقط بين يوسف إدريس والجيل التالى (لم سار فقط على درب يوسف إدريس ، ولم يسر ايضا ، بعضهم على الأقل ، على درب نجيب محفوظ ، وعلى درب يحيى حقى ؟) ، وقال عنهم : "فهذا جيل بلا قضية أو رؤية محددة المعالم" (مصادرة لا دليل عليها ولا برهان سوى مشيئته) ، ثم لم يحرمهم من إنجاز ما ، فقال : "ولكنه هذا الجيل الضائع أنجز ترسيخا لطرق الاقصوصة لدى القارىء المصرى (فضلا نقادتنا ونعمة)، كما رسخ طريقة الكتابة الادريسية الواقعية" مصادرة اخرى جار فيها ليس على حق هؤلاء الكتاب الاثنى عشر فحسب ، وانما ايضا على تأثير نجيب محفوظ ويحيى حقى ومحمود البدوى) .

أصحاب هذه الأسماء اذن قد خلقهم الله جميعا وليس أحدهم أو بعضهم ، فيما يبدو ولترسيخ "طريقة الكتابة الادريسية الواقعية" فلم يحرمهم النقاد ، تماما من انجاز ما ، لترسيخ "طريق الاقصوصة لدى القارىء المصرى" وترسيخ "الطريقة الادريسية مثلما رسخ مريدو سيدى احمد الرفاعى "الطريقة الرفاعية" .

واصحاب هذه الاسماء الذين "لم يمتلكوا دوافع مثل دوافع يوسف إدريس وحساسيته" والذين "ساروا على دربه" فكانوا جيلا ضائعا هم عند كاتب التقرير : "سليمان فياض وأبو المعاطى ابوالنجا وعبدالله الطوخى وفهمى حسين (توقف هذا عن كتابة اى قص تماما) وصبرى موسى ، وفاروق منيب (يرحمه الله) ومحفوظ عبدالرحمن (لم ينشر سوى مجموعة قصصية واحدة فى الستينيات ، ثم صار واحد من أهم كتاب المسرح العربى) وفاروق خورشيد وعبد الغفار مكاوى وبدر نشأت (توقف عن كتابة القصة القصيرة) وياسين العيوطى ومحمد كامل محمد" .

هؤلاء جميعا يرى النقادة أنهم خرجوا من معطف "الطريقة الادريسية" وحدها واى قارىء لأعمالهم مجتمعين ، ومتفرقين ، ليس بوسعه أن يرى اى ملمح إدريسى فلكل منهم ملامحه وطريقته حتى وإن اندرجوا جميعا بدرجة أو بأخرى فى تيار الواقعية ، حتى وإن تأثروا جميعا بطريقة أو باخرى بالرومانسية ، أو بالواقعية الطبيعية أو النقدية ، أو الاشتراكية ، وبوسعى البرهان على ذلك فى قص يوسف أدريس نفسه .

وينسى كاتب التقرير ما كتبه عن هؤلاء الاثنى عشر كاتبا فى تقريره عن القصة القصيرة ، فيصف هذا الجيل ب : « عدم تميزه الواضح ، ونظرا لنشأته فى ظل ظروف غير مواتية (لم هم بالذات ، وقد نشأ الأخرون من بعدهم فى نفس الظروف ، وفى أسوأ منها ؟) لم يعرف ، ولم يشتهر جيدا (لم يتوقف النقادة ليسأل نفسه : كيف يعرف ، أو يشتهر جيدا من عدم تميزه الواضح) ولم يأخذ حظه من الدراسة والاهتمام ، وسمى جيل الحلقة المفقودة » ويضيف إليه اسما كان قد أدرجه فى تقريره عن القصة القصيرة) فى تيار الرومانسية الهروبية ، هو اسم « سعد مكاوى » دون أن يفطن لحظة إلى أنه قد تداخلت التصنيفات تحت يده للاسم الواحد .

ولا أعرف أحدا وصف هذا الجيل بالجيل الضائع مرة ، وبالحلقة المفقودة مرة سوى عند كاتب هذا التقرير فالأخرون من نقده الستينيات وصفوهم بأنهم جيل الوسط .

واذكر أن كاتب هذا التقرير ، جيء به مرة فى ندوة تليفزيونية ، معى ومع أبى المعاطى أو النجا ، وكان يدير الندوة الكاتب الأديب « بدر الديب » فلم يخف النقادة رايه العجيب فى اننى وأبى المعاطى وقعنا ، على جودة ما نكتبه فى ظل شجرة وارفة الظلال (هكذا قال) هى شجرة يوسف إدريس (ولله فى امزجة نقادة شئون) ، وحاوره أبو المعاطى ، ليعرف براهين قوله ودعواه فتحير فى الكلام ، فلا دليل لديه ولابرهان سوى انه يرى ذلك .

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع ، إذا كان اكثر من ذكرهم لايزالون مستمرين فى الكتابة ، فى المجلات ، والدوريات ، ويصدرون بين عام وأخر مجاميع ، وروايات ، بعضها من أجمل وأجود ما نشر من مجاميع وروايات ، على مدى يزيد عن ثلاثين سنة .

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع واتحدث هنا عن نفسى ، فهذا ما أملك البرهان القاطع عليه ، وقد كتب عن اكثر ما نشرته عشرات النقاد من المحيط الى الخليج ، وبين تعليقات ومقالات ، لو جمعتها ونشرتها فى كتاب ، لملأت مجلدين ، اى ضعف ما كتبته من صفحات ؟

وفيم الفقد إذن وفيم الضياع ، واكثر أسماء من ذكرهم منا ، لكل منهم خصائصه القصصية ، وامتيازه ومنحاه ؟

ويمضى كاتب التقرير ، فى مواصلة أرائه الشخصية عن المرحلتين : الثانية ، والثالثة من مراحل القصة القصيرة حسب تقسيمه ـ الثلاث ، فيضعف يوسف إدريس (قصاصه الاثير) بأنه تختر فنيا واجتماعيا (هكذا : واجتماعيا) وتسطح حمله (لم افهم معنى هاتين الكلمتين معا) ، ويصف الجيل الضائع بأنه :

« مضيع كشوفه الفنية والمضمونية » (لاحظوا معى : ما هو يعترف بأنه ثمة كشوف « فنية » و « مضمونية » ، ولم يتحدث قط عن هذه الكشوف ـ فى تقريره ـ لافنا ، ولا مضمونا ، بل انه قد أنكرها ضمنا من قبل ، حين قال : هذا « جيل ضائع سار على درب يوسف إدريس بدون دوافعه وحساسيته » ، وحين قال : « هذا جيل بلا قضية أو رؤيه محددة المعالم » .. وليرحم الله أدبنا من مصادرات قلم النقادة ، وتناقضاته .

أوهام الحلقة المفقودة

● تساؤلات محيرة ●

ويواصل كاتب التقرير تقريره ، فيطلق هذا التعميم على جيل الستينيات فيصفه بأنه « جيل الفنتازيا » فى القصة القصيرة ، لأنه « حاول تحطيم الحواجز الفاصلة بين الواقعى والخيالى (كيف ؟ لم يقل لنا النقادة) ، وتحولت الفنتازيا الى جواب حاسم لكثير من التساؤلات المحيرة » . (يا الطاف الله : ما الجواب الحاسم المقصود هنا ؟ وما هذه التساؤلات المحيرة ؟ » ومين أبناء هذا الجيل : بهاء طاهر ، عبدالحكيم قاسم ، وابراهيم أصلان ، ومحمد البساطى ، ويحيى الطاهر عبدالله ، وجمال الغيطانى ، واحمد هاشم الشريف وجميل عطية ابراهيم وضياء الشرقاوى ومجيد طوبيا وعزالدين نجيب ومحسن ابراهيم مبروك وغيرهم ، اثنا عشر اسما أخر فى عقد كامل ، قولبهم النقادة فى « الفنتازيا » بين كل منهم والآخر ، مابين السماء والأرض : رؤية وفنا ، ولغة . وقد نسى من بينهم اسم محمد روميش وإمامهم عند كاتب التقرير هو : محمد حافظ رجب ، فهو عنده « اكثر ابناء هذا الجيل تجددا » .

ويسوق كاتب التقرير اسماء أخرى من قصاصى المرحلة الثالثة وقد « سكتت » فيما يزعمه النقادة « الاصوات الباقية من جيل الستينيات » ويصفهم بأنهم « لم يستطيعوا أن يخلقوا تيارا قصصيا بسبب محدودية إمكانياتهم الفنية » وأصحاب هذه الاسماء هم « عبدالعال الحمامصى ، وزهير الشايب ، وصبرى العسكرى ، وفخرى فايد » . ثم يعود ليستثنى أسماء عدد من كتاب السبعينيات أستطاعوا أن يتبلوروا « استمرار لتيار الحساسية الجديدة ليست هناك من قبل اشارة فى التقرير لتيار الحساسية الجديدة و تفسير لماهية هذا الاصطلاح ، ولا ذكر لأحد من سدنته مثل : محمد المنسى قنديل ، وسعيد الكفراوى ، وجار النبى الحلو ، وابراهيم عبدالمجيد ومحمد المخزنجى ، ومحمود الوردانى ، وعبده جبير ، ويوسف أبو رية ، ومحسن يونس ، ونسى اسم يوسف القعيد فى تقريره عن المراحل الثلاث فى القصة المصرية القصيرة ، ليعود ليذكره فى تقريره عن الرواية ويصفه بأنه « التزم فى البداية طرائق فى معالجة الواقع متأثرا بالاساليب الغربية ، ثم عاد إلى لغة مباشرة اقرب الى لغة الصحافة (راجع رحلته من « الحداد الى « يحدث فى مصر الآن » الخ ..

فى كل ما كتبه كاتب التقرير ، عن المراحل الثلاث ، كان اسم يوسف إدريس هو محور الرحى فى يد النقادة ، وكانت الموجات الجديدة من الاقصوصة تتركز دائما فى كل مرحلة وتبدأ « بإدريس ، والخراط ، وبنجيب محفوظ » و « أيضا : بيوسف الشارونى » . وكان اسم ادوار الخراط (نشر مجموعته الأولى حيطان عالية : ١٩٥٨ خارج التيارات وربما خارج المراحل فقد راى « أن الحل ليس فى مواصلة الطريق ، وتغيير الادوات

والمضامين ولكن فى رفض كل المسارات القديمة ، والبحث عن طريق جديدة ، وعن رؤى طازجة بكر ، فادوار عند نقادتنا ، مثل الكواكب السيارة ، والكون كله فلكه وليس له جيل ينتمي اليه ، ولا مرحلة تشده ولا تيار يندرج فيه ، مثلما يدرج الآخرون .

وهنا ينتهي العرض المحنة وينتهي التعليق المحنة ، واسأل نفسي واسالكم : هل المحنة فى هذا التقرير فى امانة ، ام فى عجلته ، ام فى مدى معرفته بتاريخ القصة والقصاصيين ، ام فى مدى معارفه النقدية ، ام فى قبول « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية » نشر هذا التقرير ، مع تقاريرها الاخرى التي تزيد عن المائة عدا ، وقد عرى من القاعدة فى « المسح الاجتماعي » قاعدة « الوصف » والوصف لاغير للواقع الممسوح .

وتبقى بعد ذلك قضية الاجيال بين الكتاب ، وقد سايرن القول بها فى هذا المقال ، لمناقشة كاتب التقرير ليس غير تبقى قضية مطروحة للمناقشة ويبدو لنا أن هؤلاء النقاد المحدثين ، لا يعرفون الحياد فى الرؤية ولا الجدية فى البحث ، ويفتقدون الموضوعية فى المنهج ، وفى طرائق البحث الاكاديمي ، قبل التمرد عليها ، او الخروج عنها ، جيل شللى ، منحاز ومجامل ، حين يؤرخ ، حين يكتب تقريرا او بحثا ، جيل شعاره : « كله عند العرب نقد »

ولا بأس عند هؤلاء النقاد ، دائما من القول ، بأوهام « الحلقة المفقودة » و « الجيل الضائع » و « الجيل الوسط » ، ولا من « تزييف التاريخ الادبى » . وكأن تاريخ الأدب لا يكتب بأقلام المبدعين ، وإنما يكتبه النقاد كيفما يشاءون .

ولا بأس عند هؤلاء النقاد من تقسيم الحياة الادبية الى اجيال ، كل جيل عمره عشر سنوات لاتزيد (من بعض الاستثناءات الضرورية للزوم المهنة) . ولهم الحق ، مع هذا التسيب الفكرى ، فى أن يجعلوه كل اربع أو خمس سنوات ، مثل أجيال الكومبيوتر ، التى راينا منها ، حتى الآن ، خمسة اجيال ، فى عشرين سنة لاتزيد .

ولاباس عند هؤلاء النقاد ، المحدثين ، ورافعى شعار التمدد ، من وضع غطاء رأس هذا على رأس ذاك ، ولامن العودة ، ومواصلة العودة ، الى خلق « اصنام » من البشر ، فى الفنون والآداب ، فالعقلية الوثنية القديمة ، لاتزال تسعى فى عصرنا ، وتجد من يقبلون ان يكونوا « اصناما » ومن يقبلون ان يكونوا لها « كهنة » ، يخدعون الناس ، ليكونوا لها ، معهم ، من « العابدين »

■ ■

عندما يجيء.. ستزدهر السنابل

بقلم: محمد محمود ريان
بريشة: عادل ثابت

في طرقات المدينة انتظروه .. وضعوا باقات الورد على منافذ الطريق المفتوح للافق..خرجت النسوة والاطفال ورجل عجوز بعكازه المتآكل . ينظرون الى الافق بشغف شديد .. الطرقات التى انتظرت سنوات وعلى جانبيها جماهير الارض والفقراء تنتحب .. القلب لا ارادة له .

انتظروه كثيرا فحين كان بينهم علمهم الكثير من شئون الحياة

قال الطفل : يا امى اين العجوز الذى اعطانى كراسة وقلما وقطعة من الشيكولاته

قالت : لا ادرى .. لكنه سيأتى وما هو الا فى غياب عجيب .

عندما كان يعلمهم ادرك أن جزءا من مهمته قد انفتحت ابوابه .. وايقن أن المهمة نفسها لن تأخذ باعا طويلا .

قالوا له : الا تنتظر حتى يدركنا الصباح ؟

قال : ومالى انتظر وانتم امامى وكل شىء على مايرام

« قال الصوت الذى لا تعلم مصدره » : والدنيا رغم انها واسعة يا عجوز الا انها مثل خرم ابرة

قال : هى حياتى وحياتكم .. الا تدرون ؟

عندما علمهم الحساب .. والفلك.. اندهشوا ... قال لهم كلاما منغمسا لانت له العقول نظروا اليه باعجاب شديد .. قال يا فتى أسمعنى من علوم الطبيعة

قال الفتى : ما انا بعارف ؟

قال : أسمعنى

قال له مرة اخرى : ما انا بعارف

قال : اذن انت من الخاسرين

غاب العجوز .. انتظروه وفى ايديهم اسواتهم وكتبهم واقلامهم . ودموع الاشتياق .. فقد طال الغياب طويلا .

حين هطلت الامطار ..كانوا ركعا سجدا يبتهلون للسماوات بحق المطر والاضواء والميلاد آن يهديه الطريق ويرجع اليهم .. الطفل المسكين جالس القرفصاء وفى عينيه دموع لم تر طريقها الى الارض .. لكنها مازالت على خديه تتحرك ببطء شديد .. اما الام فهى واجمة ساكنة تنظر الى طفلها والحشد الموجود على قارعة الطريق. الطريق المفتوح والذى تحدق فيه



لعيون كان مسار العجوز الدائم فحين كان يذهب الى البحر يمشى بعل، مهـل يردد مقاطع من أناشيده الفلكية بعض طقوس الميلاد التى توارثها عن جده العالم ٠٠ اخذ عنه الـكثير من علمه وأساليب المخـاطبة والمحـاورة ولذلك فانت حين تراه تشعر أنك امام فيلسوف أو عاشق للحـكمة ٠٠ قالوا له فى بداية الامر :

ـ انت مشعوذ !

ـ بان القلق على وجهه وطفح الحزن علامات غريبة ٠٠ قال : انا من نبـع الارض جئتكم للامانه وعلينا ان نفتح طلاسم الزمان ٠

قالو : اذن أنت من الساحرين

قال : ليس لى فى علم السحر ولكن أؤمن بالعلم المبين ٠٠ وقد ورثتـــه عن جدى العالم الامين وها انا امامكم ٠٠ أود مساعدتكم لتبقوا من الفائزين

وعلمهم بداية بعض الحســابت والحروف والقراءة ٠٠ عشقوه وكانو من الفرحين ٠

اما العجوز فقد بقى صورة جميلة لا تفارق خيالهم ٠٠ ومالى اراكــم

يافتية الامس واجمين هاتوا ما عندكم .. لنجلس سويا واجعلوتا نستبشر خيرا فالدنيا ذاهبة والارض فى سبات عميق .. اذن من يحدثنى ؟ .. هل انت جدى العجوز ؟ .. لا .. ليس هذا صوته .. ظل الفتى حائرا مترددا ، تلفحه رياح الاشتياق ويجذبه واقع الامر الذى يتواجد فيه .. العجوز الذى غاب ترك علامائه وروحه بين الاهل والخلان ولذلك فالعجز يراهم ركعا سجدا حين تهطل الامطار فابواب السماء ربما تكون مفتوحة فيستجيب الرب للبشر ، الفتى الذى تفتح عقله وقلبه مشى الطريق ونقش بأظافره كلمات متفرقة على جدار الطريق .. أما الجدار فقد كان قديما عليه كلمات كثيرة ونقوش ورسومات تنتهى عند اول البحر .. يا شجر الطريق لقد مر العجوز من هذا المكان يتكىء على عصاه وها انا أجيء اليك على اراه لم يسمع الا خرير الماء هادئا وصوت الدنيا من بعيد يعوى .. وطيور لا تستقر فى مكان .. جلس كعادته وظل يناجى البحر والسماء وعيناه على الجدار والنقوش .

قال له العامة : هل أصبحت من الزاهدين ؟

قال : انى ابحث عن جدى العجوز

قالوا : لقد بحثنا قبلك

بان الحزن علية كثيرا .. قالوا ننتظرك فى الغد كى تعلمنا بقية الاشياء والعلوم .

قال الطفل لامه : يا أمى لم يعد العجوز من رحلته ؟

قالت الام وعلى وجهها قلق

لا ادرى .. لا ادرى

أيقنوا أن للعجوز الهاما يفوقهم فيه .. وأنه من النابهين الذين يرتقون الى مرتبة العلم والحكمة .. ورغم كبر سنه قد استطاع التأثير فى هذا الحشد .. لذلك فقد ظل الفتى واجما سارحا فى ملكوت جده العجوز ينصت باذان صاغية وقلب مفتوح وعقل مضيء .. يالك من جد ... أنك قاموس .. هز الجد رأسه وقال :

انه نبع الحياة ومنه آخذ ما يملأ رأسى

قال الصوت الخارجى : يا عجوز .. أنت تنهل من الحياة بنهم ما فيها من علم واجتماع .. لكنك يا عجوز ... هجرت الطريق ولم تكمل لاهلك وخلانك ما اخذته من الحياة .

وعندما سكت الصوت .. كان الطريق خاليا الا من خطوات ثقيلة .. وعباءة رجل نهر الحياة وما فيها وعصا قديمة وسبحة بيضاء وشعر غزير .. هات ما عندك يا عجوز .. اسمعنى جيدا مازالت الخطوات بعيدة والطريق مفتوح .. أخبرنى بما تحمل فى رأسك المواسع المدرك لحياتنا .. لا تنس ما تركته فينا ولم تستكمله حرام عليك يا عجوز حرام عليك يا عجوز .. قالوها بعد ان ثارت نفوسهم حبا لا حقدا .. لقد وعدتنا وعلمتنا وأنقذتنا من ورطة الجهل والخراب .. انك يا عجوز رمز فى ضمائرنا وحياتنا ـ قالوها وقد ابتعدت المسافة .. قربت .. تاهت الموازين .. انها مشكلة يا اقربائى تركها لنا وقد عشنا فيها بين مؤيد ورافض نحاول تلمس اثاره ومنهجه .. لعل .. !





شعار وملصق المعرض العالمى للفنون رقم ٤٢ (بينالى فينسيا)

• رسالة فينسيا •

بينالى فينسيا يجدّد شبابه فى سن التسعين

بقلم : صبحى الشارونى

المعرض العالمى للفنون ((بينالى البندقية)) او بينالى فينيسيا هو اشهر واعرق المعارض الدولية فى العالم .. فهو يقام مرة كل عامين منذ عام ١٨٩٥. وقد احتفل فى دورته الحالية بمرور ٩٠ عاما على اقامته لاول مرة .

افتتح البينالى فى آخر يونيو الماضى واقتصر لمدة اسبوع على الصحفيين ورجال الاعلام والدعوات الموجهة للمشاركة فيه من الفنانين والممثلين الرسميين للدول المختلفة .. ثم فتح ابوابه للجمهور ليستمر حتى ٢٨ اكتوبر



• رسالة فينسيا •

طوال ايام الاسبوع بدون اجازات •

تشارك فى المعرض الحالى ٤١ دولة •• وهو البينالى رقم ٤٢ ، وليس رقم ٤٦ اذا كان انتظم طوال هذه السنوات، قد توقف أثناء الحرب العالمية الثانية وتغير موعده من السنوات الفردية الى الزوجية والغى عام ١٩٧٤ نتيجـــة احتجاجات شباب الفنانين وحملتهم عليه ، ولهذا اصبح يضم قسما خاصا لشباب الفنانين الاقـــل من ٤٠ عاما تحت اسم « ابيرتو ٨٦ » •

كلمة بينالى تتكون من مقطعين b-lennale •• المقطع الثانى يعنى معروضا دوريا أما حرف B فهو الحـــرف الثانى فى الابجدية اللاتينية ، وهـذا للدلالة على انه يقام دوريا مرة كل عامين •

وقد ترجم اتحاد الفنانين التشكيليين العرب هـــذه الكلمة الى « معرض السنتين » واستخدم هذا التعبير لاول مرة عند اقامة «معرض السنتين العربى الاول » فى بغداد : مارس ١٩٧٤ •••

وهناك معـــارض تقام كل ثلاث سنوات وتسمى « ترينالى » وهـو لفظ ايطالى ايضا ، ومثاله هـــو معرض « ترينالى نيودلهى » الذى يقام كل ثلاث سنوات بالهند •• وهناك معارض تقـــام كل اربع ســـنوات وتسمى « كوادرينالى » ••

المبنى الرئيسى لبينالى فينســـيا واجنحة الدول مقامة على جزء من حدائق جزيرة « كاستيلو » احـدى جزر مدينة فينسيا العائمة والمشهورة بطرقهـــا المائيـــة •• حيث تملك كل دولة مبنى خاصا او جناحا لعرض فنونهـــا . ومساحة المعرض الحالى الكلية ٣٠ الف متر مربع ، هناك اماكن اخرى فى وسط مدينة فينسيا يمتد اليها نشاط البينالى مثل قاعات المعارض الاكاديمية والمركز الرياضى والجامعة •

ومصر هى الدولة العربية الوحيدة التى تمتلك جناحا خاصا فى حـــدائق كاستيلو التى تضم أجنحـة ٢٩ دولة بينما بقية الدول تستضيفها ايطاليـــا بقاعات العرض فى الاكاديمية •

ادارة البينالى تغيرت عـــدة مرات منذ عام ١٩٧٢ ، ومنذ اربع ســـنوات تشرف على الاعداد للمعرض لجنة ذات فكر جديد يرأسها المهندس المعمـــارى « باولوبورتجيزى » •• وقـــد وضعت خطة طويلة المدى تتحاشى اخطـــاء اللجان السابقة • وعلى سبيل المثـال فالبينالى الان له موضوع بعد ان انتهى عصر « الجائزة للتجـديد والابتكار » ليحل مكانه عصر التنافس حـــول موضوع كبير بين فنانى الدول المشتركة بينما تعمل لجنة الاعداد للبينالى لمدة عامين كاملين ووراءهـــا جيش من النقاد والباحثين لاعداد معرض شامل حول الموضوع تجمع مادته من المتاحف والمجموعات الخاصة فى ايطاليـــا وخارجها •

وتعتذر ادارة المعرض لانهـــا لم تستطع ان تجمع كل انشـــطة البينالى فى مكان واحد لان التوسع سيكون على حساب المساحات الخضراء فى حـديقة كاستيلو ، ولهذا قدمت بلدية فينســـيا المركز الرياضى حيث يقام به معـــرض الشباب تحت اسم « ابيرتو ٨٦ » •

موضوع البينالى الـــماضى رقم ٤١ الذى اقيم عام ١٩٨٤ هو الفن التذكارى او الصرحى، واثر التراث فى الحاضر « حضور الماضى » ، وقد خصص المبنى

الرئيسي للمعرض لتقديم صور شاملة للفن فى مدينة فيينا خلال العصور الوسطى ، وقد نجح هذا الغرض نجاحا واضحا تمثل فى عدد زواره الذى بلغ ٢٠٠ الف زائر دفعوا فى تذاكر الدخول ما يساوى نصف مليون جنيه استرلينى، وهذه الاحصائيات تمثل مؤشرا لارتفاع درجة اهتمام الجمهور بالفن التشكيلي

« اثراء الثقافة »

القضية الرئيسية فى البينالى الحالى (رقم ٤٤٢ هى قضية العلاقة بين الفن والعلم وقد التزمت به معظم الدول المشتركة عدا بضعة دول تلتزم بالموضوع ومن بينها مصر .

وتعلن ادارة البينالى ان ارتفاع عدد الدول المشتركة الى ٤١ دولة يسمح باثراء الثقافة بالروافد الثقافية المختلفة القادمة من مختلف انحاء العالم .

اما خطة السنوات الاربع التى وضعت عام ١٩٨٣ فقد اتخذت شعارا عاما لها هو « الثقافة فى ظل السلام»

وقد اعلن عن موضوع الفن والعلم عام ١٩٨٣ ليكون محورا للبينالى الحالى فهو معروف منذ ثلاث سنوات بالنسبة لجميع الفنانين والدول المشتركة فى المعرض لكن الفنانين المصريين لم يسمعوا به . هذا الموضوع العام لم يمنع ادارة البينالى من تقديم انشطة اخرى تبرز صفات الحضارة الراهنة لان العنوان واسع ويسمح بالكثير من الاجتهادات .

وقد تضمن الاسبوع الاول قبل افتتاح المعرض للجمهور اقساما للسينما والموسيقى والفيديو بالطبع لم تشارك فيها مصر .

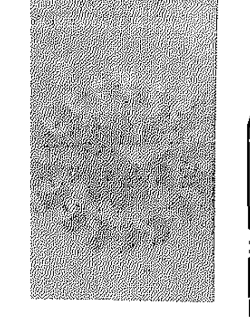
فى المبنى الرئيسى للبينالى عرض شامل ، مع أبحاث ودراسات عن قضية الفن والعلم والعلاقة بينهما ، حيث يستطيع المشاهد تتبع هذه القضية فى سبعة اقسام تناقش الفضاء والابعاد التى يتصدى لتصويرها العمل الفنى ، واللون ، والتكنولوجيا وعلم الكمبيوتر ، والفن والبيولوجيا أى علم الحياة ، والفن والكيمياء، باضافة الى قاعة المدهشات او البدع فى الفن ثم العلم فى خدمة الفن .

« قبة جاليليوشينى »

يقدم البينالى مفاجأة لزواره فى هذه الدورة هى اكتشاف قبة «جاليليوشينى» وهى قبة القاعة التالية للمدخل فى المبنى الرئيسى للمعارض بحدائق البينالى .. كان قد رسمها الفنان جاليليو البينالى ١٩٠٩ باسلوب الرسم الحائطى « الفرسك » وبتكليف من قسم الفنون المرئية ، وطبقا للتصميمات التى وضعت عام ١٨٩٥ . وقد تم الكشف عنها خلال شهر ابريل ومايو عام ١٩٨٦ .. لقد كانت الرسوم قد اختفت وتم تغطيتها عام ١٩٢٨ بسقف اضافى من الخشب والجبس . ولحسن الحظ كان السقف الاضافى بعيدا عن رسوم القبة فلم يدمرها . لقد تم حجب هذه الرسوم خلال

الفن والعلم و ٢٠٠ ألف زائر للمعرض

القسم المصرى يتجاهل موضوع المعرض

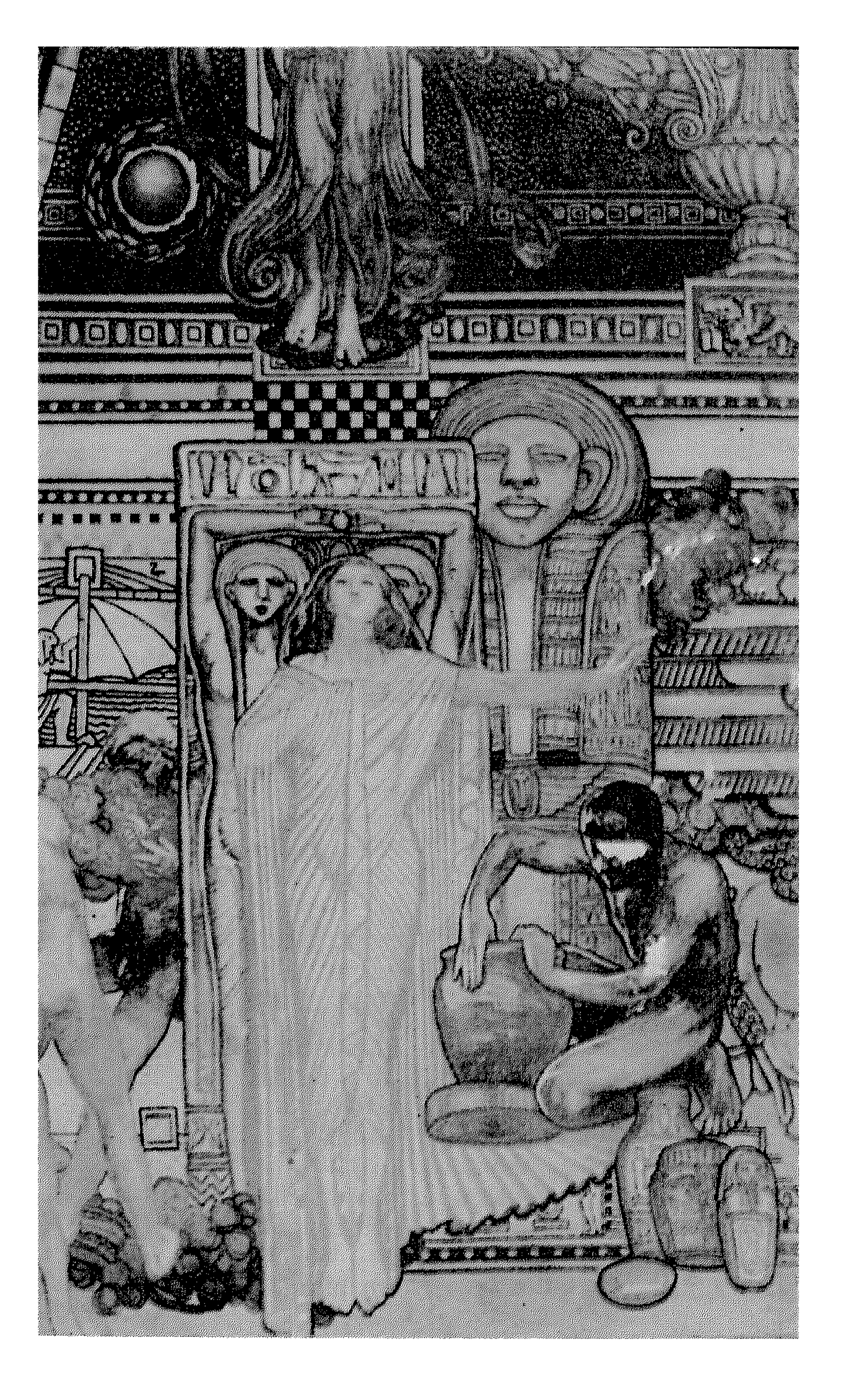


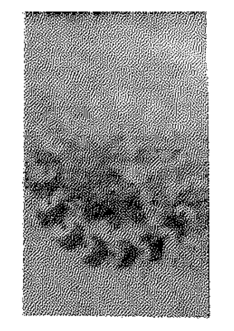
• رسالة فينسيا •

"بناء ثلاثي الابعاد" اقامه في قاعة خاصة الفنان الفائز بجائزة نوبل "كارلوروبيا"

سنوات تسلط اتجاهات الاغتراب وانتشار الاحتقار للاعمال التشخيصية ·· لكن ادارة البينالي الحالية التي تستطيع ان تعطي لجميع الاتجاهات ما تستحقه من تقدير اعادت هذه القبه الى النور وهي التي اهداها جاليليوشيني لمدينة فينيسيا في مطلع القرن الحالي ·

الحضارة المصرية كما رسمها الفنان الايطالي ، جاليليوشيني ، عام ١٩٠٩ على قبة المبنى الرئيسي للبينالي





• رسالة فينسيا •

والقبة تتضمن ٨ لوحات تشغل كل واحدة مقطعا من المقاطع المعمارية للقبة وتعالج كل لوحة موضوعا من التاريخ الحضاري للانسانية هي العصر الذهبي البدائي ، الحضارة المصرية ، الحضارة اليونانية الحضارة الرومانية، العصور الوسطى والحضارة البيزنطية ، حكومات المدن والفن الانساني ، عصر النهضة، عصر الباروك ثم العصر الحديث ونلاحظ ان هذا التطور الحضاري من وجهة نظر ايطالية •

« الفضاء نحو البعد الثاني عشر »

نحن نعرف ان البعد الاول هو الطول والبعد الثاني هو العرض والبعد الثالث هو العمق •• وعندما وضع « اينشتين » نظرية النسبية اعلن ان هناك بعدا رابعا هو الزمن باعتبار ان أي جسم له حجم لابد من تحديد الزمن الذي يوجد فيه لان الاجسام تتغير اشكالها من وقت لاخر •• وقد فتحت ابحاث اينشتين الباب لاكتشاف ابعاد جديدة عندما اعلن ان الضوء الذي يسير في الخط المستقيم يغير اتجاهه في الفضاء عندما يقع تحت تأثير جاذبية او قوة طرد الاجرام السماوية الكبيرة وانه يسير في خطوط منحنية والتواء في الفضاء الخارجي ••ومع دراسة القوى الجاذبة والطاردة ،وقوة الطاقة الكهربائية والميكانيكية والحيوية فقد اكتشفت ابعادا اخرى حددتها الابحاث بسبعة ابعاد بعد البعد الرابع، كما اتجه خيال الفنانين الى افتراض وجود ذي بعد واحد فقط وهو الخط المستقيم ، ثم افتراض وجود بلا ابعاد •• ثم اتسع خيال الفنانين بعد تحقيق رحلات الفضاء وما يتطلبه الاعداد لها من حساب مختلف الابعاد والسرعات وما يمكن ان تقابله سفن الفضاء من قوى او اجسام متحركة ••

لكن هناك مشاكل علمية في هذا الميدان تصدى الفن لايجاد حلول لها، واوضح مثال لذلك هو خريطة الكرة الارضية التي نرسمها على مساحة مسطحة ، وهناك عدة تجارب لتحقيق الصدق في مقياس الرسم عند رسم القطبين الشمالي والجنوبي على خريطة مسطحة••حتى انتهى الامر بالاصطلاح على « فرطحة » القطبين والاجزاء القريبة منهما وترك الامر للعين الانسانية لتصحيح هذا الوضع غير المطابق للنسب الحقيقية •

وعلى العموم يقدم البينالي عرضا لاحد اعمال الفنان السويسري « كارولورربيا » الفائز بجائزة نوبل عن بحثه في تشكيل الاتجاهات والابعاد بالاضواء الملونة المتحركة في غرفة خاصة •

« الفن والكيمياء »

العلاقة بين الفن والكيمياء لا يمكن تغطية جميع جوانبها في مثل هذا المعرض فهي علاقة متشبعة ومعقدة تتصل احيانا بالفلسفة وموقفها من الكيمياء وتتصل احيانا اخرى بالدين ثم تتصل بالمعتقدات المتداولة حول مختلف العلاقات بما فيها العلاقة بين الرجل والمرأة عندما كانت المعتقدات الشائعة تفسرها بوجود مواد كيمائية متجاذبة واخرى متنافرة عند مختلف الاشخاص

تتحكم فى تحقيق التوافق والغرام او الكراهية والخصام •

والمعرض يبدأ بمجموعة من المخطوطات التى ترجع اقدمها الى القرن الثالث قبل الميلاد ،وهو مكتوب فى مصر على ورق البردى ومحفوظ جزء منه فى « لايدن » والباقى فى « استوكهولم » ويتضمن وصفات كيميائية لتحضير الطلاءات الخاصة بالرسم •

مثل هذه المخطوطات تغطى تطور الافكار المتعلقة بالكيمياء فى الغرب ، وكيف رسمها الفنانون ابتداء من الثقافة المصرية القديمة ومرورا بالثقافة اليونانية السكندرية ، ثم الكيمياء عند الرومان ، مع أثر المسيحية على هذا الفرع من خلال العصور الوسطى بجانب تأثير العرب خلال الفترة من القرن الثانى عشر وحتى الخامس عشر فى اسبانيا •• ثم يستعرض هذا القسم العلوم القديمة فى العصر البيزنطى عندما نقل البيزنطيون الى اوربا الكيمياء اليونانية السكندرية •

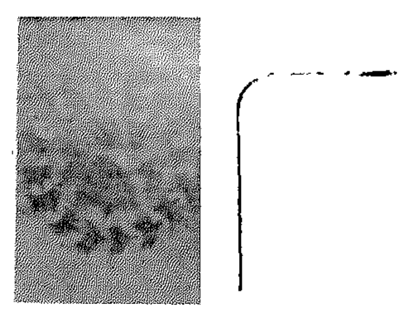
اما علم الكيمياء الحديث فقد بدأ فى القرن السادس عشر وثبتت اقدامه خلال القرنين التاليين •• هذا العلم لم ينعكس فقط فى كتب الكيمياء المصورة وانما كان له تأثيره الواضح فى تكنولوجيا الرسم مثل «فن الجرافيك» او « الاستنساخ » عن طريق حفر الرسم على رقائق المعدن باستخدام الاحماض ، او طبعه اعتمادا على ظاهرة التنافر بين الماء والزيت ••وما الى ذلك •

هذا الجزء من المعرض يتيح خلال تتبعه فهما افضل واوسع لاعمال فنية تتصل بالكيمياء بعضها عملى نفعى وبعضها رمزى يعرفنا باتجاهات خيال الفنانين وتصورهم للكيميائيين فى شتى العصور •

يحكى هذا القسم من المعرض قصة الادهاش أو « البدع » فى الفن من العصر الكلاسيكى وحتى العصر الحاضر • لقد كانت فكرة الادهاش والابهار والعمل على صدمة المتفرج واثارة دهشته هى ركيزة المذهب « السيريالى » •• لكن البدع والرغبة فى اقتناء الاشكال الغريبة هو موضوع قديم •• وهذا ما أوضحه قسم « خزانات » أو دواليب المدهشات فى البينالى ، فنحن نعجب باحدى التحف الصغيرة او التذكارية ونلتقط حجرا شكلته عوامل التعرية فنحمله الى منازلنا ، ولا نلبث ان تخصص خزانة زجاجية لهذه الطرائف حتى نستطيع الفرجة عليها نحن وضيوفنا ، وتكون فى نفس الوقت بعيدا عن متناول الاطفال ، البعض يقتنى طائرا أو حيوانا محنطا ، مع اشكال صنعت من اصداف البحر أو الشعب المرجانية ثم اجزاء من هيكل عظمى لحيوان منقرض ، وتحفة أثرية او قدر قديم ••

ولقد خصص البينالى قاعة وضع فيها خزانات ودواليب بعضها يضم مقتنيات طبيب عاش فى القرن السابع عشر عندما كان الطب يختلط بالسحر، وفى الحديقة التى تطل عليها هذه القاعة مجموعة من الاشكال المبهرة من بينها تمثال لرأس صبى تنبت من اعلاه نباتات الصبار ، وصندوق احد جوانبه من السلك الشبك تنحدر عليه المياه من اعلى بينما ترتفع من اسفل هذا السلك السنة اللهب فيجتمع فى هذا العمل المدهش الماء والنار •

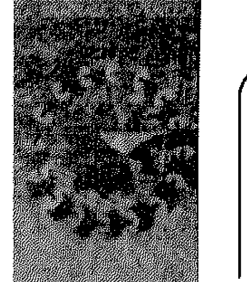
ويدخل فى هذا الباب اعمال « التجميع » او « الكولاج » والقص واللصق ، التى انتجها « بيكاسو و « جورج براك » فى المرحلة التكعيبية من فنهما فيما بين عامى ١٩١٢ ، ١٩١٤



وهو الاتجاه الذى يتبعه عندنا الفنان الكبير منير كنعان ·· ان فن البدع يتضمن ايضا استخدام الخامات المختلفة والكراكيب ويصل الى الاضواء الملونة مع الموسيقى مع الخامات الشفافة الملونة ، فى هذا الميدان تختلط الحدود بين الرسم والنحت ··

هذا القسم من البينالى اسند الى الناقد «جيورجيو شيلى » ·· فأقام فى الحديقة امام المبنى الرئيسى قاعة خشبية لها نوافذ صغيرة جدا يفتح بعضها ويغلق من حين لاخر اوتوماتيكيا لجذب التفات الرواد ·· وداخل القاعة عرض بالصوت والصورة لشرائح ملونة على اربع شاشات عبارة عن محاضرة مدعمة بالصور الميكروسكوبية والعملية مع ما يشابهها ويماثلها من اعمال الفنانين ، وهو عرض شيق ·· وقد تضمن المعرض صورا تكاد تكون متطابقة لاعمال رسمها الفنان « بول كلى » عام ١٩٣٤· الى جانب صور ميكروسكوبية لجناح

العلم فى خدمة الفن رأس تمثال اثرى اثناء تنظيفه وترميمه فى احد معامل روسيا

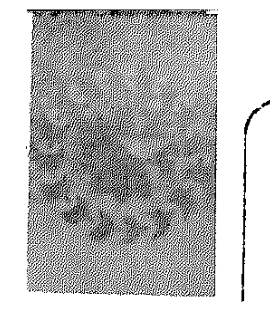
فراشة ملونة تكاد تطابقها » ثم اشكال عظام حيوانات بحرية تشبه بوضوح تصميمات لاوانى بعضها منفذ فى البرونز وبعضها من الزجاج ·· ثم صور لمجموعات من الشعب المرجانية والى جانبها رسوم الفنانين المشابهة لها ·· فمثلا عرض الناقد صورا للمجالات الالكترونية وامامها رسوم « لجاكسون بولوك » الفنان الامريكى الذى ابتدع « الفن الحركى » العشوائى وهناك لوحة للفنان « فرانشيسكو مارتينى » تكاد تطابق صورة ميكروسكوبية لجدار لمعدة ويستمر العرض فى تقديم عناصر من رسوم الفنان التجريدى « فاسيلى كاندنسكى » لها مايشابهها فى الصور الميكروسكوبية لحيوان الاميبا الوحيد الخلية ··

« اليونان تخسر الجائزة »

قدمت احدى واربعين دولة اعمالها للتنافس حول موضوع الفن والعلم ·· ومن الملاحظات اللافتة ان جميع الاعمال المقدمة لها اسماء ، بينما الشائع عندنا فى مصر ان الاعمال الفنية فى عصرنا الحاضر « بلا اسماء » فمعظم الفنانين المصريين يتصورون ان اطلاق اسماء على الاعمال الفنية هو من مظاهر التخلف التى عفى عليها الزمن ولاتتناسب مع العصر الحديث، لكننى تبينت ان جميع معروضات دول العالم لها اسماء، وعرفت ببساطة ان تسمية العمل الفنى له دلالات واضحة هى وجود هدف من اقامته فالتسمية تحدد هذا الهدف وعدم اطلاق اسم على العمل الفنى اول دلالاته ان هذا العمل بلا هدف ، لاشكلى ولا موضوعى وفوجئت ايضا بوجود اسماء على البينالى (وعددهم تسعة) ومعظمهم عندما يعرضون فى مصر لا يضعون اعمال الفنانين المصريين المشاركين فى اسماء على اعمالهم ·· وخرجت من ذلك ان فنانينا يتعمدون تدويخ المشاهد المصرى وكأنهم يدفعونه بعيدا عن مناقشة انتاجهم ·

ولا يتسع المجال هنا لاستعراض ما قدمته جميع الدول لكننا سنكتفى باستعراض ثلاثة اقسام هى اليونان وفرنسا ومصر فالقسم اليونانى اعلنت لجنة التحكيم انها كانت تعتزم اعطاء الجائزة الكبرى للفنان المشارك فيه (اليونان مثلها فنان واحد) ، حتى شاهد المحكمون القسم الفرنسى الذى تفوق عليه بوضوح ففازت فرنسا بالجائزة الكبرى وجائزة افضل الاجنحة

يعرض فى الجناح اليونانى فنان واحد هو كوستاس تسوكليس الذى عرض ١٣ لوحة منهم ٦ لوحات لاشخاص واقفين مرسومين بالالوان الزيتية على مشمع ، ومساحة كل صورة ضعف الحجم الطبيعى تقريبا (٣٠٠ × ٢٢٠سم) كل لوحة تصور شخصية حقيقية من مهن مختلفة : عالمة نفس ، مهندس معمارى ، طبيب ، مغنى ، صاحب جالارى ، رجل اعمال ·· هذه اللوحات الست غطت الجزء العلوى من جدران القاعة الدائرية المظلمة ، بينما الاضاءة تاتى من الوسط بواسطة ستة كشافات ضوئية كل منها مسلط على جزء من لوحة ، فيضىء هذا الجزء اضاءة قوية وبقية اللوحة خافتة الاضاءة ·



• رسالة فينسيا •

الجناح له « قوميسير » اى المسئول الرسمي عن الجناح والتنسيق المعمارى للجناح قام به مهندس ، بينما تقديم الفنان واعماله فى الكتالوج كتبه ناقد متخصص يعمل مشرفا فنيا ، ونحن لا نعرفه فى مصر مثل هذه الوظيفة .. لكن كلماته تدل على انه ناقد فنى متابع لاعمال الفنان متابعة دقيقة .

يقول المشرف الفنى عن «تسوكليس» انه ولد فى اثينا عام ١٩٣٠ ولكنه عاش ٢٥ عاما خارج اليونان ، فى روما وبرلين ونيويورك وباريس .وربما تكون هذه الظروف جعلته غير متعلق بالاساطير (والكلام هنا للمشرف الفنى) وانما يشكل عالمه من الواقع ليحقق اسطورة فنيه جديدة فيها رقة وشاعرية من خياله .

« القسم المصرى »

الفنان الفرنسى « دانيل بيرون الفائز بالجائزة الكبرى ولم يكن الفنان الفرنسى الوحيد فى البينالى .. لكنه كان الفنان الوحيد فى الجناح الفرنسى (بقية الفنانين الفرنسيين وعددهم ثلاثة عرضوا اعمالهم فى مبنى الاكاديمية البعيدة عن حديقة كاستيلو حيث اجنحة الدول المختلفة).

لكن الجناح المصرى ضم أعمال تسعة فنانين هم : حامد ندا ـ صبرى السيد ـ صالح ـ رضا ـ مصطفى عبد المعطى ـ احمد فؤاد سليم ـ مريم عبد العليم ـ حسن الاعسر ـ فرغلى عبد الحفيظ .

وهم لا ينتمون الى اتجاه فنى واحد ولا الى جيل واحد ، فليس هناك اى منطق واضح للاختيار أو منظور شامل يمكن تتبعه فى أعمالهم .. والمشاهد الذى يصل الى الجناح المصرى بعد مشاهدة العرض الموسوعى لقضية الفن والعلم ، وبعد مشاهدة

أجنحة الدول المختلفة ، لا يستطيع ان يخرج بأى فكرة محددة عن الفن المصرى برؤيته لهذا المعرض الجماعى ، الذى قد يكون مفيدا اذا قدم ضمن الاسابيع الاعلامية عن مصر الى جانب أنشطة أخرى كالغناء والرقص الشعبى واعمال الاسر المنتجة ، فيقوم بدور اعلامى حول مختلف المستويات التكنيكية التى وصل اليها جانب من الفنانين المصريين .. ولكن فى مثل هذا البينالى يكون هذا الحشد منفرا للمشاهد الاجنبى الذى لا تبقى فى مخيلته اى ذكريات عن الفن المصرى بعد خروجه من هذا المعرض الكبير .. واعتقد ان الحكمة من تقديم فنان واحد فى اجنحة الدول الكبرى الراسخة فى ميدان الفنون الجميلة هى نتيجة دراسة متعمقة لطبيعة المشاهد لهذا المعرض ولطبيعة تشكيل لجان التحكيم وتوجهاتها ، وليست صدفة ان يضم الجناح الفرنسى الفائز بالجائزة الكبرى فنانا واحدا ونفس الامر فى الجناح اليونانى الذى استحق تقدير لجنة التحكيم .

من جانب اخر جميع المعروضات المصرية لا علاقة لها بموضوع المعرض وهو « الفن والعلم » الوحيد الذى اطلق على لوحاته الست التى شارك بها اسم « الفن والعلم » هو حامد ندا ولكنه رسم نفس عناصره التى اشتهر بها والتى تستلهم الحياة الشعبية المصرية ، وتذكرنا بالرسوم الصخرية فى منطقة « تاسيلى » فى قلب الصحراء

الافريقية الكبرى من عصور ما قبل التاريخ ، وهى لهذا تعتبر الاعمال ولنه رسم نفس عناصره التى اشتهر صدفة أون يضم الجناح الفرنسى الوحيدة فى جناحتنا التى تنتمى الى موضوع المعرض بالاسم فقط •

بقية أعمال المصريين العارضين لا علاقة لها بالموضوع ولا اسما ولافعلا فهم يعرضون « ديالوج » ، « قصيد شرقى » ، « باب الكعبة » ، « مسرح الانسان » ··· وامثال ذلك من موضوعات لا تعبر من قريب أو بعيد عن علاقة الفن بالعلم •

وقد نشر بالصحف المصرية تبريرا لذلك أننا نشارك فى المعرض العالمى من باب « التواجد » فقط ، وليست هناك أية نية لمحاولة التنافس على الجائزة •

ومن الملافت غياب دور النقد تماما عن الجناح المصرى بينما جميع الفنانين المشاركين فى البينالى من الدول الاخرى وكذلك معروضات الجناح الرئيسى حول الفن والعلم تعتمد اعتمادا رئيسيا على كلمات النقاد والباحثين التى تشرحها وتوضح جوانبها وتوسع امام المشاهدين فرص التعرف عليها ·· اما جناحنا : فقيما عدا كلمة تقديم مختصرة من الفنان فاروق حسنى بالكتالوج الخاص بالجناح ، لا نجد اية كلمات تقديم أو نقد فى الكتالوج الشامل تعرف المشاهدين بالفنانين المشتركين فى المعرض واهدافهم التى يعملون على تحقيقها •

ولا يتسع المجال لاستعراض اعمال الفنانين التسعة المشتركين باسم مصر، فالحديث عنهم له مجالات أخرى غير هذا المعرض العالمى • وليس امامنا الا ابداء بعض الملاحظات على النواقص التى تقلل من ثقل جناحنا وتعصف حتى بالتواجد الذى اكتفى به منظمو المعرض هدفا • فرغم التنسيق الجيد للجناح كمعرض جماعى يضم اتجاهات مختلفة ، ورغم جودة تنسيق وطباعة الكتالوج المصرى الا أن اعمال الفنان صالح رضا المعروضة فى فينيسيا ليست هى المنشور صورها فى الكتالوج المصرى ولا الكتالوج الشامل للبينالى ، الصور المنشورة لتماثيل من البرونز والاعمال المعروضة من الخشب ، وتختلف تماما فى فكرتها واسلوب تنفيذها عن الاعمال المنشور صورها •

الفنان حسن الاعسر نشرت صور لوحاته ولكن لم تنشر أى معلومات عن حياته وفنه ، ونشر اسمه فقط فى صفحة كاملة من الكتالوج ، بينما الفنان صبرى السيد لم تنشر أية صور لاعماله وبقيت الصفحة المخصصة للصورة بيضاء من غير سوء •

كل هذا يدل على فشل السياسة الحالية لمشاركتنا فى المعارض الدولية وهو فشل يرجع بالدرجة الاولى الى التجاهل مع الموقف العدائى الذى يتعمده الموظفون الرسميون فى وزارة الثقافة عندنا من نقاد الفن التشكيلى، والحرص على استبعادهم عن كل نشاط رسمى بما فى ذلك الاعمال التى تقع فى دائرة اختصاصهم مثل تقديم وتقييم المعارض العامة واختيار وتقديم من يمثل مصر فى المعارض الدولية ·· ان غياب الرأى المتخصص والرؤية الشاملة التى يتميز بها الناقد الذى لا يمارس الانتاج الفنى الى جانب الكتابه • (فى تقديرى) هو مفتاح القضية •

COFFEE AND COFFEEHOUSES

The Origins of a Social Beverage in the Medieval Near East

RALPH S. HATTO





القهوة والمقهى في الشرق

عرض وتقديم : مصطفى نبيل

« فنجان القهوة » الذى يقدم تعبيرا عن الود والكرم .. أصبح قصة طويلة شيقة ، تبدأ من القرن السادس عشر ، عندما عرف الشرق شراب القهوة لأول مرة ، ومأحدثه دخول تلك العادة الجديدة من آثار على نسيج الحياة الاجتماعية ، ثم ، كيف خرجت القهوة من القاهرة إلى كل أنحاء العالم .. ؟ !

وكيف قام المقهى كمؤسسة اجتماعية عتيدة عكست العادات والتقاليد .. ؟ ولماذا جذب أنظار الرحالة الذين تناولوا الشرق ، وحرصوا على تقديم عالمه الرحيب بكل ملامحه الانسانية ..

هذا ماتقدمه أحدث دراسة أمريكية لمؤلفها رالف هاتوكس ، بعنوان « القهوة والمقهى فى الشرق » ، ومن مطبوعات جامعة واشنطن .

والكتاب الذى نقدمه رواية تاريخية حضارية ، اعتمدت

على المخطوطات العربية وكتب الرحالة ، وهى مصادر تكاد لاتتوفر للباحث العربى ..
واهتمام الغرب بالشرق اهتمام قديم ، احيانا بسبب جاذبية الشرق وولع بقيمه وعاداته ، وفى اغلب الأحيان للوصول إلى أحسن الوسائل للتعامل معه .

قفز إلى ذهنى بعد قراءة الكتاب .. تلك المقارنة التى ذكرها رفاعة رافع الطهطاوى ، فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » بين مقاهى فرنسا ومقاهى مصر .

« القهاوى عندهم ليست مجتمعا للحرافيش ، بل هى مجتمع لارباب الحشمة ، .. فلا يدخلها إلا اهل الثروة ، أما الفقراء فيدخلون قهاوى فقيرة او الخمارات او المحاشش ! »

وربما لم يكن يعلم أن المقهى قد انتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن مصر إلى الحجاز وتركيا ، ونقله الأرمن واليونانيون الى بقية الدول الأوربية ولكنه تدهور عندنا وتطور عندهم .. !

تبدأ القصة بمحاولة الاجابة على سؤال : متى وكيف ظهرت القهوة .. ؟ وإلى أى عمق تاريخى يمتد المقهى الشرقى .. ؟

وقد مضى وقت طويل قبل أن تستقر القهوة كشراب معترف به . فلم يقبلها المجتمع إلا بعد صراع حاد ، ونظر لها البعض باعتبارها تهديدا للقيم العامة ، وأدخل الصوفية شراب القهوة فى القرن الخامس عشر ، فهى ليست مسكرة أو مغيبة ، وتساعد على السهر وتمكن شاربها من استمرار الذكر وتلاوة الأوراد ..

ويورد هاتوكس ماذكره شهاب الدين ابن عبد الغفار وجاء فى كتاب « عمدة الصفوة فى حل القهوة » للفقيه اليمنى عبد القادر بن محمد الأنصارى الحنبلى فى القرن العاشر الهجرى .. أن الأخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن ، بأنه قد شاع فى اليمن شراب تقال له القهوة تستعمله شيوخ الصوفية للاستعانة به على السهر فى الأذكار والأوراد ، وكان ظهورها وانتشارها على يد الشيخ جمال الدين بن أبى عبد الله محمد بن سعيد الذبحانى وسبب اظهاره لها ، أنه كان قد عرض له أمر اقتضى الخروج من عدن إلى الحبشة ، فأقام بها مدة ، فوجد أهلها يستعملون شرابا اسمه القهوة ، وعندما احتساها اكتشف ماتحدثه من يقظة ونشاط ، وقال فخر الدين بن ابى يزيد المكى انه يقال أن أول من أنشأها وأشاعها بأرض اليمن الشيخ على بن عمر الشاذلى .. ولذا سميت القهوة فى بعض المناطق « الشاذلية » !

وإذا كان أحد أبناء اليمن هو أول من قدم القهوة ، إلا أنهم لايشربون القهوة ، وإنما يكتفون بغلى « قشر البن » ،فذكر فخر الدين بن ابى يزيد المكى .. أن قشر البن انتقل إلى مكة فى القرن الخامس عشر ، ولكن القهوة عرفت وانتشرت بها بعد مايزيد على القرن ..

أما القهوة كما نعرفها الآن ، فقد نقل عن شهاب الدين بن عبد الغفار متى وكيف دخلت إلى القاهرة ، والذى يحددها بالسنوات العشرين الأولى من القرن العاشر الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى ، فى عام ٩١٧ هـ ـ ١٥١١ م ، **حينما كانت تشرب فى رواق اليمن بالأزهر الشريف ، فى ليلتى الذكر ـ الأثنين والخميس ـ ويضعونها فى إناء كبير من الفخار الأحمر ، وتبدأ طقوسها عندما يتولى الشيخ تقديمها لاتباعه الأيمن فالأيمن .. » .**

● حانات بلا خمر ●

وانتقلت من الأزهر إلى بيوت المتصوفة ، ومن أوساط المتصوفة إلى غيرهم من الأهالى ، وبدأ بيعها فى محال محيطة بالجامع الأزهر ، وسرعان ماأدى انتشار هذه العادة الى اقامة المقاهى ، والتى كانت فى البداية حانات بلا خمر .. !

وبعد شيوعها فى القاهرة انتقلت إلى الأراضى الحجازية مع قوافل الحج ، وانتقلت مع التجار الى الشام ، ومن الشام انتقلت الى تركيا بواسطة اثنين من أبناء الشام هما حاكم وشمس ، اللذان حققا مكاسب طائلة من تجارة البن ، واقتحم المقهى الحياة الاجتماعية التركية ، وفى ظل الدولة العثمانية نقله الأرمن واليونانيون الى بقية الدول الأوربية ..

وتحفل المخطوطات العربية والتركية التى اعتمد عليها هاتوكس بجوانب الصراع الحاد بين القديم والجديد الذى قام على اشلائه المقهى .. فعندما يرتضى أو يقبل مجتمع ما عادة جديدة ، فإنما يتم ذلك بناء على القيم السائدة فى هذا المجتمع .

والمجتمع الطبيعى يختبره ويقيسه بمعاييره ثم يحدد موقفا منه .

وهذا ماحدث عند دخول القهوة إلى الشرق ..

اختلف العلماء حولها ، وكان معيارهم الحلال والحرام ، وكان أول من نادى بإباحتها لأسباب دينية هم المتصوفة ، وحرمها البعض الآخر لما تصوروه من اضرارها ، واستندوا إلى انها تحاط عند شربها بطقوس كالتى تحاط بها الخمر ، وقال بعضهم ، إذا كان الخمر يقضى على شهية الأكل ، فالقهوة تقضى على الرغبة فى النوم ، كما ان القهوة احد أسماء الخمر كما جاء فى المحيط للفيروزبادى ..

ويقدم الكاتب حجج كلا الطرفين كنموذج للمعارك الضارية والقيم السائدة فى القرن السادس عشر ، وتدور هذه الحجج على فهم كل جانب لأحكام الشريعة الاسلامية ، وتركز الجدل حول ثلاث قضايا :

● أن القهوة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . (رغم أن البدعة المرفوضة تتعلق بالعبادات ، ولاتتناول المعاملات) .

● مايمكن أن يصيب المجتمع من



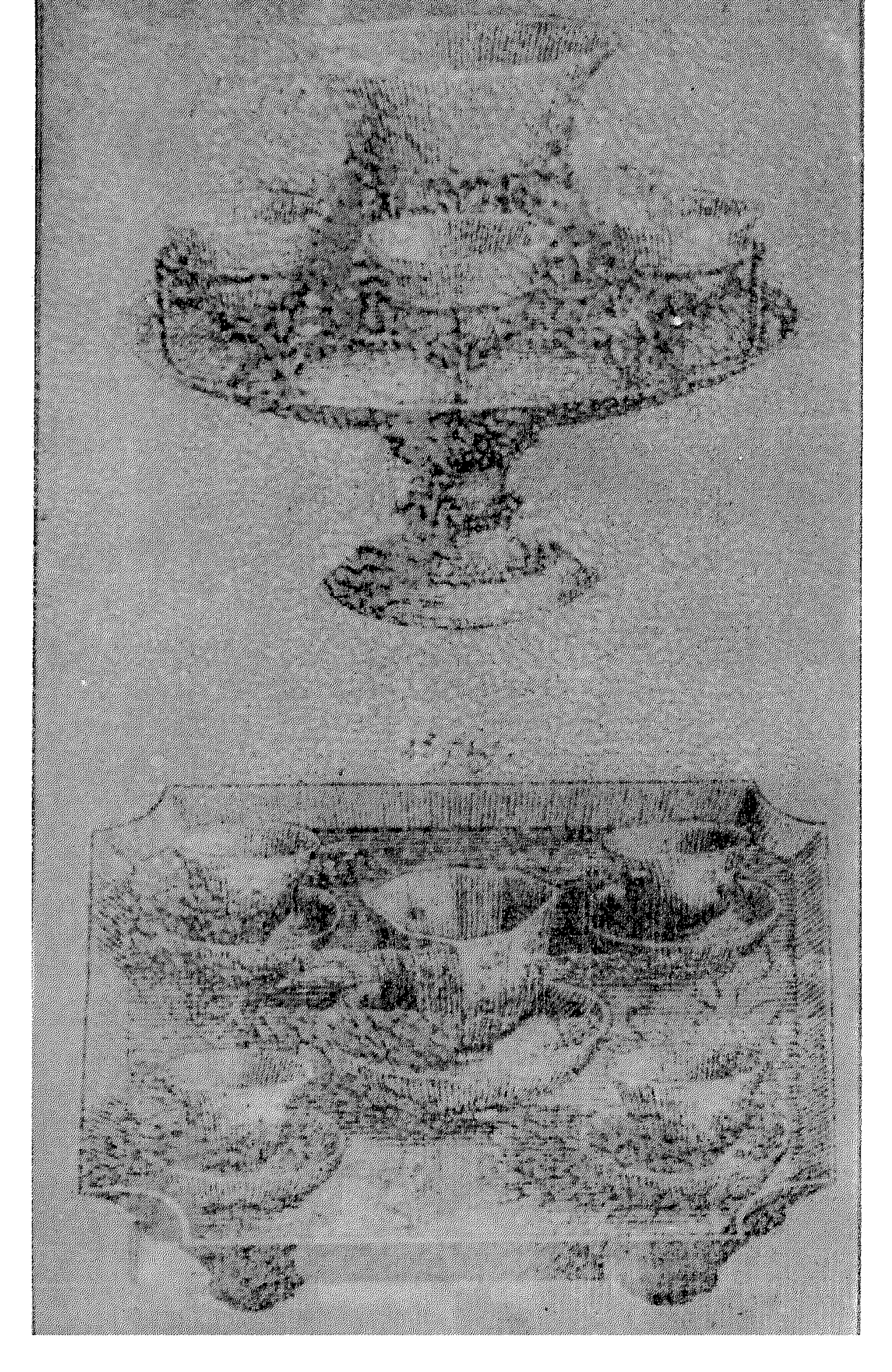
بائع القهوة القديمة بالعمامة

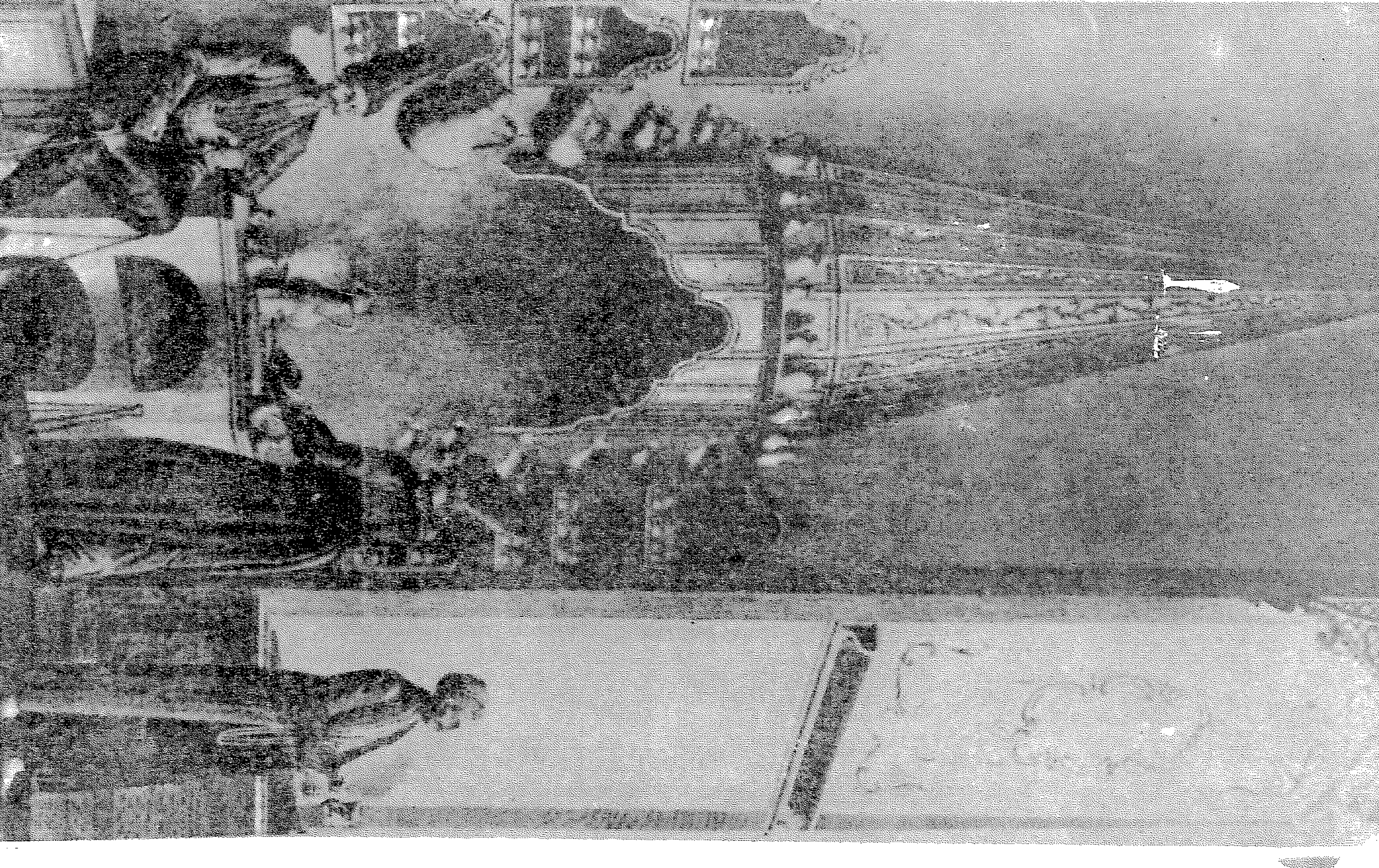


بائع القهوة المتجول في فلسطين

مقهى على البوسفور

رسم لآنية القهوة القديمة مع الصينية



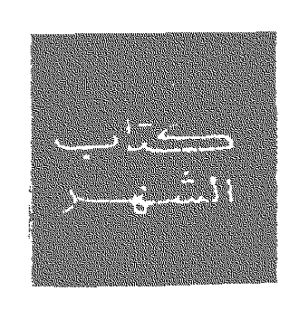


مقهى فاخر فى بلاد الشام



اعداد القهوة فى احد المقاهي الفاخرة فى تركيا

مقهى مصرى قديم



تهديد ، من التجمع داخل المقهى والذى يمكن أن يتحول الى نشاط سياسى يهدد الأوضاع القائمة .

● مايقع فى المقهى من آثام مثل لعب الميسر ، وتعاطى المخدرات وقذف المحصنات ، واضاعة الوقت فى لعب الشطرنج والقهوة ! ، وقيام مجتمع للرجال بعيدا عن الجامع ، وبعيدا عن الأسرة .

● وقوع الفتنة ●

ويستشهد الكتاب مرة أخرى بعمدة الصفوة فى حل القهوة .. حدث عليها الانكار بمكة الشريفة عام (٩١٧ هـ - ١٥١١م) فقام خير بك (العثمانى) بتشجيع من الشيخ شمس الدين الخطيب باصدار فتوى بابطالها ، وعندما وصلها القاضى محمد بن الوراق (٩٣٢ هـ ١٥٢٥ م) وسمع بالمنكرات التى ترتكب فى مقاهى المدينة ، أشار على السلطات باغلاق المقاهى ، ولكنه لم يقل ببطلان القهوة ذاتها ، ولما توفى ابن الوراق فى مكة رجع الحال لما كان عليه ..

أما ما جرى فى القاهرة ، فكما انتشرت القهوة من الأزهر ، جاء تحريمها من الأزهر ، حيث انقسم شيوخ الأزهر ، وشهدت شوارع القاهرة فتنة كبرى عندما اشتد الخلاف .

وافتى عام ٩٣٩ هـ الشيخ شهاب الدين السنباطى الشافعى بتحريمها ، وفى عام ٩٤٥ هـ فى إحدى ليالى شهر رمضان عندما يحلو السهر فى المقاهى قام صاحب العسس (الشرطة) . والقى القبض على كل من صادفهم من رواد المقاهى ، وجلد كلا منهم سبع عشرة جلدة ، وقضوا ليلتهم فى الحبس ثم افرج عنهم فى اليوم التالى ..

ولم يمض يومان .. وعادت المقاهى تستقبل روادها !

وأكد عام ٩٥٤ هـ الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطى ماسبق وذكره والده ، عندما سئل عن القهوة وما يرتكب فى المقهى من الآثام ، وأصدر فتوى جديدة بتحريمها ، وعندما لم يتخذ اى إجراء ضد المقاهى ، قام الأهالى بالهجوم على عدد منها واخذوا يحطمون محتوياتها ويضربون روادها ، ووضعت المسالة من جديد بين ايدى قاض حنفى هو محيى الدين محمد بن الياس ، الذى تقصى الأمر ، بل وعقد مجلسا قدمت خلاله القهوة ، وعندما لم يجد لها اية آثار ضارة عقلية أو جسمية افتى بإباحتها ، وأصبح لدى الأهالى حكمان متضاربان أحدهما شافعى يحرمها ، والآخر حنفى يبيحها .. !

ولايفوت الكاتب أن يلاحظ الاخفاق المتكرر فى منع القهوة وإغلاق المقاهى ، بعد أن رسخت عادة الجلوس على المقهى واحتساء القهوة مع الخلان والأصدقاء . وفى أحد فصول الصراع ، عاد مرة أخرى خير بك عام ٩٥٠ هـ وأصدر مرسوما بمنع القهوة ، ورغم ذلك تعددت المقاهى وشربت القهوة بلا مبالاة فى تلك الفترة جهارا فى الأراضى الحجازية ..

وقد صدر كتاب « الرسالة فى أحكام القهوة » استعرض كاتبه المناقشات الفقهية والصحية ، والتى تقوم على أن الأصل هو الاباحة ، وأنه لاتحريم إلا بنص ، وأن هناك فارقا جوهريا بين ماهو ضار وما هو محرم ، ويمكن القول أن الضار مكروه !

وصاحبت المعركة الفكرية معركة أخرى علمية تدور حول أثر القهوة الطبى على من يتناولها ، وتكونت لجنة من المتخصصين ، وقدمت وصفا دقيقا لأثر القهوة على الجهاز العصبى لمن يتناولها . وأثرها على وظائف الجسم المختلفة ، وقد قارن هاتوكس هذا التقرير بآخر التقارير الطبية عن القهوة ، والذى صدر عن احد المراكز العلمية الأمريكية ، وأدهشه قلة الفروق بين التقريرين ، اللذين يتفقان فى خطوطهما العريضة رغم صدور تقرير علماء المسلمين فى القرن السادس عشر ، وقبل التطور المذهل فى أدوات البحث والتحليل .

وقد أقرت هذه اللجنة شرب القهوة من الناحية الصحية ..

وتناولت المناقشات أيضا الجانب الاجتماعى للقهوة والمقهى ، فالمقهى يجمع صغار القوم وكبارهم والأرزال الذين يروجون الأكاذيب ، ويغتابون الناس ، ويلعبون الشطرنج والطاولة . ووصل البعض إلى أن ارتياد المقاهى يخل بالمروءة ويسقط الشهادة .. !

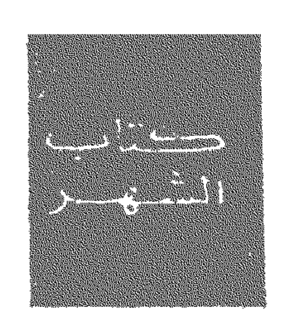
وذكر مؤيدو القهوة بيان منافعها وذكروا أن شجرة البن فى الجنة غرسها سبعون الف وتسمى شجرة السلوان ، لأنها خرجت من آدم ليتسلى بها عما فاته من النعيم ، وذكروا أن مداومة أكل البن يقوى النظر والفهم ، ويدفع الجدرى والحصباء والسحر ، وفى أكل سبع حبات منه دعوة مستجابة ! !

● طقوس المقهى ●

واستقر المقهى ، واحتل مكانا بارزا فى الحياة الاجتماعية ، وأصبح يقوم فى أهم مكان فى المدينة الشرقية ، وجذب اهتمام أولئك الرحالة الذين تجولوا فى الشرق ، مدركين أهمية المقهى فى الحياة الاجتماعية العربية ، ولم يفوتهم طقوس اعداد القهوة ، وطقوس تقديمها ، فهى تقدم ساخنة وتعطى الحق لشاربها فى الجلوس والسمر ..

وتقوم المقاهى فى كل من سوريا والعراق وسط الحدائق تحيطها المناظر الخلابة ، ويصف جون توفنت Geon Thevenot المقهى الشامى فى كتابه رحلة الى الليفانت بقوله « .. يقع المقهى فى أجمل البقاع ، ويتفنن صاحبه فى تأثيثه ، ويحيطه بالنافورات ، وكثيرا مايشرف على نهر بردى ، ويقوم تحت ظلال الأشجار الوارفة ، يستنشق رواده أريج الأزهار والورود .. »

ويصف مقاهى بغداد الرحالة البرتغالى بدرو تكسييرا Pedro Teixeiraفى مطلع القرن السابع عشر (١٥٧٥ - ١٦٤٠م) .. يطل المقهى البغدادى على نهر دجلة ، ويتكون من مبنى متعدد النوافذ والقاعات ، ويعد من أكثر الأماكن بهجة فى بغداد ، تمتد الأرائك خارج المقهى لمن يرغب فى مراقبة الطريق ، ومن يسعى للتمتع بدفء الشمس فى الأيام الباردة ، أو فى ليالى بغداد الحارة وخلال شهر رمضان .. »



أما الرحالة البريطانى إدوارد لين Lane الذى وصف مقاهى القاهرة فى مطلع القرن التاسع عشر وقبل أن يلحقها التغيير .. يقول « المقهى هو المجتمع الأدبى للعامة وهى بصفة عامة حجرة صغيرة ذات واجهة خشبية .. يقوم على طول الواجهة ماعدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ، ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثا .. وجمهور المقاهى من الطبقات الدنيا والحرفيين وصغار التجار ... الذين يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ، ويحمل كل منهم شُبُكه الخاصة وتبغه ، ويقدم القهوجى القهوة بخمس فضة « للفنجان الواحد » .. »

● المقهى والمجتمع الشرقى ●

إذا كان من الممكن تبين معالم المجتمع ، من خلال المناقشات الحامية التى جرت بين المؤيدين للقهوة والمقهى والرافضين لهما ، فهى تكشف أيضا دور الفرد فى هذا المجتمع وفى العالم من حوله .

فالمقهى أساسا مؤسسة إسلامية ، تختلف كثيرا عن الحانة التى تقدم الخمر ، لذا سيطر العرب والمسلمون على تجارة البن ردحا طويلا من الزمن .

فما هى صورة المجتمع الشرقى من خلال المقهى .. ؟

ومن هم رواده .. ؟ ومتى ولماذا يترددون عليه .. !

وكيف يجذبهم صاحب المقهى .. ؟

وما الذى قامت « مؤسسة » المقهى لتحل محله فى الحياة الاجتماعية .. ؟

أم أنها قامت لتشبع حاجات جديدة ظهرت فى المجتمع .. ؟

ولعل المؤسسة التى تاثرت اكثر من غيرها بظهور المقهى ، هى الحمامات العامة ، التى كانت تقدم لروادها فرصة للتواصل الاجتماعى ، يختلط رواده بانواع مختلفة من البشر ، ولكن يبقى الفارق بين الحمام والمقهى ، فى أن المقهى يقدم لروداه اشكال التسلية المتعددة ، وهذا ينقضى بانتهاء الاستحمام ، فيمكن أن يتحول الجلوس على المقهى إلى عمل يومى .

وإذا كانت هناك ثمة ملامح مشتركة بين كل من المقهى والحمام والحانة ، إلا أنه يوجد أيضا بينهم فروق جوهرية ، أما المطاعم ، فقد كانت القيمة السائدة تقلل من احترام من يتردد عليها ، وكانت تقضى بضرورة أن يتناول الفرد طعامه فى منزله ومن اعداد أهل بيته ، (وهى قيمة مازالت سائدة فى بعض قرى الصعيد) ، فكان ظهور المقهى نقلة هامة فى العلاقات الاجتماعية ، بما قدمه من مكان مقبول لقضاء أوقات الفراغ ولقاء الأصدقاء ، وساعد رواده على السهر ، بعد أن كانت النشاطات الاجتماعية خارج البيت تنتهى بعد صلاة العشاء .

ويذكر ابراهيم باسيفى .. « أنه إذا كنت تنفق عددا من الدينارات من أجل دعوة بعض الاصدقاء إلى البيت ، فلا تنفق سوى بضعة دراهم حين تدعوهم إلى



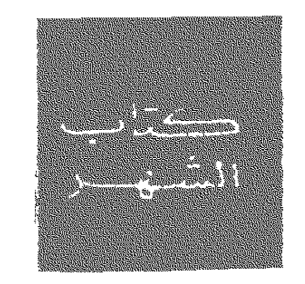
مقهى الفيشاوى ايام العز اشهر مقاهى القاهرة

المقهى ، وهناك لن تكون محاطا بالحريم ، بل بمجتمع يقتصر على الرجال ! » .

● تبادل المعلومات ●

لم ترحب السلطات بتجمع الأهالى فى المقاهى ، لما يحتمل أن يقع من آثار اجتماعية مع تبادل الافكار والمعلومات وتأثير ذلك على مجموع القيم السائدة ، فى عصر لم تعرف فيه الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ويظل قائما احتمال أن تبدأ التغييرات السياسية من رواد المقهى

وقد ذكر الرحالة التركى تايتز **Tietz** عن مقاهى القاهرة فى القرن السادس عشر ... « إذا تصورت المقهى كتجمع يضم الغوغاء والسوقة ، يصبح الأمر مخيفا حقا ، خاصة إذا علمت أن فى هذه



المقاهى يؤكل الأفيون ، وتزدحم المقاهى بالعديد من الجند الذين يسخر منهم روادها ! » ..

وكثيرا ماينتهى الحديث الى السياسات القائمة ، خاصة وقد بدأ أكثر من انقلاب سياسى من المقهى ، أو رسمت خطوطه داخله ، مما أدى مرة الى اغلاق جميع مقاهى اسطنبول أيام السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ م ـ ١٦٤٠ م) ، بعد أن أصبحت مكانا لتجمع الجنود المتمردين ورجال السياسة الساخطين ، وبقيت المقاهى مغلقة طوال الربع الأخير من القرن السادس عشر .

وكان محمد على باشا أذكى من تعامل مع عناصر المعارضة التى بدأت فى المقاهى ، عندما أدرك امكانية أن يتحول الحديث الذى يبدأ همسا إلى انفجار سياسى كبير ، فأطلق العسس والبصاصين على هذه التجمعات ، حتى يواجه تلك المعارضة قبل أن تتصاعد .

● رواد المقاهى ●

أما عن رواد المقاهى فتخبرنا المصادر المتاحة بمعلومات متناقضة فمثلا يذكر لين

مقهى مصرى قديم يجمع كافة الفئات والطبقات أزهرية وأفندية وحرفيين

أن الذين كانوا يترددون على مقاهى القاهرة فى القرن التاسع عشر من سفلة القوم والغوغاء ، ويخبرنا الكسندر راسل أن الحرافيش والزعر هم المترددون على مقاهى حلب فى القرن السابع عشر ..

ويصف خطيب صليبى المترددين على المقاهى بأنهم بعيدون عن التهذيب ، ولكنه يقول أن من بينهم الأمير والغفير والجميع يستمتعون بالطعن فى الآخرين ، وفى نفس الوقت يذكر ديفور **Dufour**

« أن الفئات العليا من البكوات والنبلاء والضباط والقضاة يترددون على المقهى » ، ويتعجب ذيفونت **Thevenot** ، من عالمية المقهى التى تجمع بين كل أنواع البشر من غير تمييز دينى أو اجتماعى ، ولا يشعر أحد بالخجل أو الغربة عند ارتياده » .

وينتهى الكاتب الأمريكى إلى أنه ربما يكون سبب التناقض الذى يظهر فى هذه المصادر يعود إلى اختلاف المراحل التاريخية الذى كتب فيه كل منهم شهادته ، فيقدم كل من لين وراسل المقهى فى مرحلة زمنية متأخرة ، عندما ساءت ظروف الشرق ، وتردت الأحوال العامة ، وبرزت التناقضات الاجتماعية وقامت الحواجز بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، وربما أقلع فى هذه الفترة كبار القوم عن ارتياده ، وربما أصبحت لهم مفاهيمهم الخاصة » .

● الفن فى المقهى ●

وبظهور المقهى انتعش فن الكلام ، بالفرصة الذى قدمها اتاحت الفرصة للحديث الجاد أو حتى مجرد الثرثرة والسمر ، وهذا السمر لايليق فى الجامع ، وفى المقهى إذا كان لديك ماتقوله ، فتعثر على من ينصت اليك ، ولن يوجد ذلك الحوذى فى قصة تشيكوف ، الذى لم يجد سوى حصانه يشكو اليه أحزانه وهمومه ، ويمكن ان تتبين هموم الناس ومشاغلهم من الكلمات المتناثرة من أفواه رواد المقاهى . واظهرت صاحب موهبة الحديث الحلو الطلى الذى يسعده اقتناص مستمعين جدد ! !

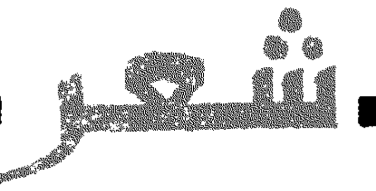
كما قدمت المقهى منبرا لأصحاب المواهب الأدبية ، وعرفت بعض المقاهى بالشعراء والأدباء المترددين عليها ، وقدمت صورا مبتكرة للتسلية ، مثل الراوى أو العازف الذى يتقاضى أجرته من الرواد ، وأدت الى انتعاش القصص الشعبية ، وسجل « إدوارد لين » و« كريستين نيبور » الوصف التفصيلى للفن الذى يقدم فى مقاهى القاهرة ..

وأكد الرحالة أن الموسيقى كانت تقدم فى كل من مقاهى مصر والحجاز والشام والعراق ، وكان الغلمان الحسان يقدمون القهوة فى المقهى البغدادى بملابس جميلة خاصة فى القرن السابع عشر .

وها هو عالم المقاهى الرحيب يوشك على الاندثار ، امام الحياة الحديثة ، وامام النوادى والمحال التى تقدم المشروبات ووجبات الطعام السريعة ..

فهل ستختفى المقاهى التاريخية التى شهدت العديد من الاحداث السياسية والفنية .

وهل آن الوقت لكى يقدم باحث عربى تاريخ المقاهى ، أى تاريخ الحياة الاجتماعية للشرق .



الناموس



شعر : يحيى الدين عطية

أَلاَلَيْتَ شِعْرى هَلْ منَ الضّيق مَخْرَجُ
وَهَلْ لِلكُروب المُحْدِقَاتِ مُفَرِّجُ
فَطَوْراً أرانا كالثكالى بِمَأْتَم
وُقوفاً على الأَطْلالِ نَبْكى وَنَنْشِجُ
وَطَوْراً نباهى العالَمينَ بمَجْدِنا
وَنَشْدوا بآثار الجُدودِ وَنَهْزِجُ
كَأَنَّ اجْترارَ الأَمْسِ يَكْفى ليَوْمنا
غِذاءً ، مِنَ المَعْسولِ وَالمُرِّ يُمْزَجُ
وَنَزْهو بدينِ الله حَتَّى كَأَنَّنا
لَمِنْ عِشْقِه أَرْواحُنا تَتَوَهَّجُ
وَلَكِنَّنا لَمْ نَشْتَمِلْ بردائه
قديماً ، وَلا مِنْ خَيْطِهِ اليَوْمَ نَنْسِجُ
وَأَمَّا الغَدُ المَظْلومُ ، فَالأُفْقُ تائهٌ
لِعَجْزِ بِعَيْنَيْنا ، أو الدَّرْبُ أَعْوَجُ
لَعَمْرى لَئِنْ لَمْ يُدْرِك الأَمْرَ أَهْلُه
شَبَابٌ بِسَيْفِ العَصْرِ دَوْماً مُدَجَّجُ
وَشيبٌ بِمِحْرابِ الرسولِ قُلوبُهُمْ
وَأَلْبابُهُمْ فى مَوْكِبِ العلْمِ هَوْدَجُ
فَإِنَّ الرحَى لَنْ يُخْطِىءَ الحَبَّ طَحْنُها
وَ لِلهِ نامُوسٌ ، مِنَ العَدْلِ ، أَبْلَجُ

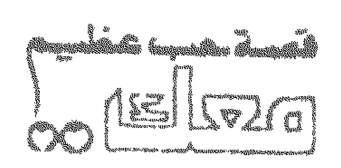
قصة حب عظيم

معك ..

تأليف : سوزان طه حسين • تقديم : د. توفيق حنا

●● بمناسبة مرور ثلاثة عشر عاما على وفاة الدكتور طه حسين عميد الادب العربى ●●

فى الجزء الثالث من كتاب ((الايام)) يحدثنا طه حسين عن زوجه ورفيقة حياته سوزان . يقول : ((.. وكان ذلك الشخص الحبيب اليه ، الكريم عليه ، هو الذى اخرجه من عزلته تلك المنكرة ، فالقى فى رفق وفى جهد متصل ايضا ، ما كان منصوبا بينه وبين الحياة والاحياء والاشياء من الحجب والاستار. كان يحدثه عن الناس ، فيلقى فى روعه انه يراهم وينفذ الى اعماقهم ، وكان يحدثه عن الطبيعة فيشعره بها شعور من يعرفها عن قرب ، كان يحدثه عن الشمس حين تملأ الارض نورا ، وعن الليل حين يملأ الارض ظلمة ، وعن مصابيح السماء حين ترسل سهامها المضيئة الى الارض وعن الجبال حين تتخذ من الجليد تيجانها الناصعة وعن الشجر حين ينشر من حوله الظل والروح والجمال ، وعن الانهار حين تجرى عنيفة ، والجداول حين تسعى رشيقة ، وعن غير ذلك من مظاهر الجمال والروعة ومن مظاهر القبح والبشاعة فيمن كان يحيط به من الناس ، وفيما كان يحيط به من الاشياء ، فكان يخيل اليه انه يكشف له عن حقائق كانت مستخفية عليه ، ولم تكن غريبة بالقياس اليه ، فكانه قد عرفها من الزمان الاول البعيد ، ثم نسيها دهرا ، فهو يذكرها بعد ان طال ((عهده بها)) .



ويعد عامين من رحيل طه حسين فى ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣ ·· وبالتحديد فى ٩ يوليو ١٩٧٥ بدأت سوزان طه حسين كتابها واختارت له هذا العنوان الدال والعميق المدلالة : « معك » وكأنها تقيم من هذه الحروف الثلاثة هذا الحديث الشخصى ·· وفي هذه الحروف يكمن هذا المعنى الرائع للوفاء ·· هذا الوفاء ·· الخلاق الذى يستحيل به الموت حياة ويصير فيه الغياب حضورا ·· وجاء هذا الحديث الشخصى فى شكل ادبى فريد تمتزج فيه الذكريات والاعترافات واليوميات والرحلات ، كما تنتشر فيه صور ومشاهد الطبيعة واصواتها ، كما تملؤه نغمات الموسيقى الكلاسيكية وبخاصة موسيقى العملاقين باخ وبيتهوفن ·· كما تلونه الوان الغروب ·· المليئة بالحزن والحنين والشجن ··

وهذا هو كتابها الاول ، كتبته بناء على رغبة بعض الاصدقاء ·· كتبته باللغة الفرنسية ·· وقام بدر الدين عرودكي بترجمة المخطوط ، وراجع الترجمة محمود امين العالم ، وصدر الكتاب عن دار المعارف عام ١٩٨٣ ·

ولا ادرى هل نشر النص الفرنسى ام لا يزال مخطوطا ·· وكم كنت أود ان اقرأ الاصل الفرنسى ، فالترجمة مهما بلغت من الدقة والامانه والجمال ، لن تتمكن من ان تحمل الينا روح النص وجوه الخاص ، او جرس الكلمات وموسيقى الحروف فى لغة النص التى سجلت به ··

بدأت سوزان طه حسين كتابها « معك » وهى تعيش بكل قلبها وكيانها لحظات الفقد ·· بكل ما فيها من عذاب ومن حنين ومن حنان ومن دموع ايضا وهكذا تبدت لنا الاحداث والاعترافات والذكريات عائمة ·· وكأننا نشاهد حديقة جميلة باشجارها وازهارها عبر زجاج نافذة فى يوم شتوى مطير ، وقطرات المطر تتساقط على هذا ·· كأنها دموع ·

● اعزاز ومودة ●

نلمس فى هذا الكتاب حب سوزان للطبيعة وقدرتها على وصف مشاهدها واشجارها وأزهارها واطيارها وصفا جميلا يكاد يصبح احيانا اقرب الى الشعر ، كما يتضح لنا حبها للموسيقى وعمق تذوقها لها ·· وقدرتها على ان تسمع فى هذه الموسيقى الكلاسيكية ترجمة لحياتها مع طه حسين ·· تقول فى احدى يومياتها : « كنت وحيدة فى ذلك المساء الاخير ، ولكن لم اكن فى « رامتان » بل فى المعادى ، وكنت اصغى الى ريختر يعزف «الاباسيوناتا» كنت اعرف انى وحيدة فى غرفة كانت تبدو لى غريبة ، ولكنى احسستك قريبا منى فى هذا التدفق من الضربات العنيفة المنتزعة من رقة بالغة الموهبة، فى هذه الصدمات كانت حياتنا تبدو لى وهى تجهد فى التقدم بمشقة وشجاعة كانت ثمة ومضات ساطعة تضىء فجأة مناطق الظل · كنت ضائعة ضالة · واستمرت هذه الحالة الغريبة حتى تمكن النوم منى » ·· كم هو رائع وعميق هذا التصوير التشكيلى لموسيقى حياتها مع طه حسين ·

وفي يومية اخرى تحدثنا سوزان عن رامتان : ··

« ·· رامتان » ·· حلم قديم لم نستطع تحقيقه الا فى عام ١٩٥٦ عندما كان لطه حسين من العمر ستة وستون عاما · رامتان ·· هذه الكلمة الغريبة

***

بدأت سوزان كتابها « معك » يوم

٩ يوليو ١٩٧٥ ٠٠ لماذا ؟ تقـــول فى احدى يومياتها تحت هذا التاريخ

« اليوم التاسع من يوليو٠٠أى بعد ثمانية وخمسين عاما على اليوم الذى وجدنا فيه حياتنا ، وبعد مضى ما قبل من العامين على رحيلك عنى سأحاول ان اتحـــدث عنك ، مادام قد طلب الى ذلك اولئك الذين يعرفون حياتك العامة، ويعرفون حياتك عالما وكاتبا اكثر مما اعـرف عنهـــا انا نفسى كتبـــــوا وسيكتبون مؤلفات جميلة وعميقة عنك٠ اما انا فاننى اريد بكل بساطة ان اخلد للذكرى مستعيدة ذلك الحنان الهـائل الذى لا يعوض » ٠

وكانت سوزان وهى تكتب « معك » بكل بســـــاطة ٠٠ فى الثمـــانين من عمرها ٠٠ ويشعر القارىء ان القلب الذى املى كلمات « معك» قلب زوجة فى الثلاثين ٠٠ لا تزيد ٠

فى ٢٤ يونيو ١٩٧٥ كانت ســوزان بمفردها ـ فى جاردونيه (ايطاليـا) ٠٠ حيث اعتاد طه حسين قضاء الصيف، ارهقت الوحدة والذكرى قلب سوزان٠ كتبت تحت هذا التاريخ :

« لماذا لا تكلمنى يا حبيبى ؟

منذ صباح امس وانا اناديك بيأس

لقد قمت ثانية ، عنـدما كنت قادمة من فيرونا ، بالسير على هـذا الدرب من فيسنتزانو وسالو ، وان لم نكـــن نسير فيه ابدا خلال السنوات الاخيرة فقد اتينا اليه وسرنا فيه غالبا قبـــل ذلك ٠

امس مساء فكرت طويلا فى مجيد ، وانا انظر الى البحيرة ليلا٠٠البحيرة بحيرتك ٠٠ ما اكثر ما احببتها اومع كل هذاالحزن وهذا الحنين الدامــــع نلمس قدرة ســـوزان على الدعـــابة والسخرية الهادئة الرقيقة ٠ تقول فى احدى يومياتها :

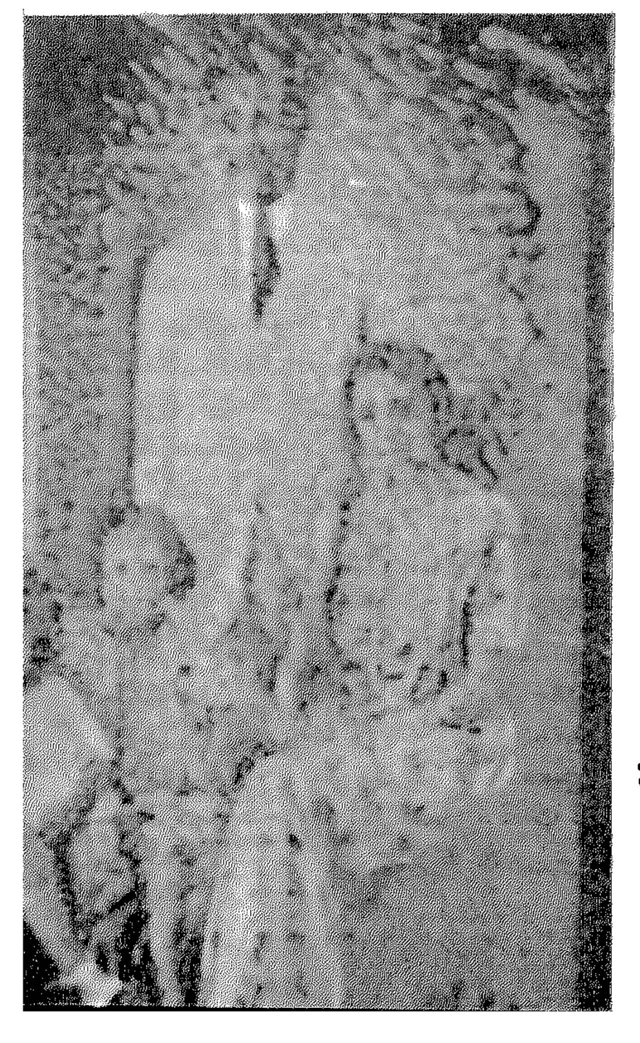
« جاء توفيق الحكيم ليقضى معنـــا عدة ايام فى سالانش وليمـــــــارس على شاطىء البحيرة الصغيرة الصـــــيد بالسنارةلم يكن يصيد اية سمكة،وانما

تقول سوزان « هاانذا من جديدعندما يعلق الشص فى عروة سترته معلقـات لقد اصطدت نفسى »

● ذكريات قديمة ●

ابنتى فى المعادى ٠ اريد ان اكـــــون شجاعة ، كمــــــا كنت فى ايطاليا ، ومادمت اتذكر ، مادمت أحاول التحدث عنك فسنبقى معا » وتقول ايضا « وقد اصبحت اليد التى كانت تمليل طـــــه فارغه ، وقد بات من المستحيل عـــلى ان استند على ذراعه ، وقد انهـــــار

د . طه حسين وزوجته وابنائه فى لقطة نادرة



الصمت الحاسم ، احاول رغم كل شيء ان اتحدث » .

وتحدثنا سوزان عن رسائل طـــه حسين .. ولا ادرى لماذا لا تجمـــع رسائل الادباء والشـــعراء الراحلين وتصدر فى كتب كما يحـــدث فى كل اركان الدنيا .. انها من اهم الوثائق الادبية التى تلقى الضـوء على اركان يغمرها الظل فى حياة صاحب الرسائل .. تقول سوزان « حمــلت الى منزل ابنتى فى المعادى رسائلك التى اريـد ان اقرأها بهدوء كلما اســتطعت الى ذلك سبيلا » .

ومع كل هموم طه حسين واحداث الحياة القاسية التى واجهته وبخاصة فى عام ١٩٢٦ (محنة « الشـــــعر الجاهلى ») وفى عام ١٩٣٤ عنــدما عزل من الجامعة ايام اسماعيل صدقى الاول رغم كل هذا لم يفكر طه حسـين لحظة واحدة فى الاغتراب والبعد عن الوطن .. وعندما نصحه صـــديقه المستشرق المعروف لوى ماســبتيون صاحب الدراسات المتعددة عن الحلاج ان يهاجر الى امريكا .. أو على الاقل يسافر اليها للعمل فى جامعاتها عنـد عزله من الجامعة عام ١٩٣٤ .. يقول طه حسين فى احدى يوميات « معك » .

انني استاذ معزول وعالم ممنـوع من العمل ، ومن واجبى الا اشتغل فى السياسة ، انما أؤلف الكتب واسـعى وراء الرزق . اما فى امريـــكا فاننى ساكون اجنبيا وسانظر الى حيــــاة البلد دون ان اشارك فيها ، ولن يكون على ان اقوم فيها الا بواجب محـدود وتعلق سوزان على موقف طـه حسين قائلة « نعم » ايها المناضـل ، فانت لم تكتف ابدا « بواجب محدود » .

وفى احدى اليوميات تعــــود الى رامتان بعد رحلتهـــا ـ وحيدة ـ فى ايطاليا .. تقـــول فى مايو ١٩٧٦ : رامتان .. هذه العودة .. انمـا هى عودة اليك ، فغيابك رهيب ، ولكن اريد ان اتألم من هذا الغياب هنـــا ، فى الوقت الذى اكون فيه فى مصر .. » ثم تقول مفتقدة حضور طه حســـين « اقول .. اريد ان اعيد الحيـــــاة لرامتان ، انه وهم ، فقد كنت ســـبب جهودى ، ومن اجلك انما جعلت الشمس تدخل والورود تزدهر . كل خطوة .. كل باب مفتوح .. كل نظرة على قطعة اثاث تستدعى ماضيا لا اريد ان اصدق انه ماض : » .

وتقول سوزان معبرة عن هذا الوفاء الخلاق الذى تعيشه وتمارسه : « اننا نبكى على الذكريات ، اذا لما كنــــا نستشعر حاجة عميقة لئلا يمـــوت اولئك الذين احببناهم فاننا نبعثهـــم عبرها ثانية ، ولكى لا يتخلوا عنـــا فاننا نجعلهم يشـــاركوننا حياتنـــا المستمرة » .

***

تقول سوزان :

« ذراعى لن تمسك ذراعك ابدا . ويداى تبدوان لى بلا فائدة بشـــكل محزن ، فاغرق فى اليأس .

وفى احدى اليوميات تحدثنا سوزان عن موقف طه السياسى ومدى نفـــاذ بصيرته الى المستقبل .. تقول :

« فى نوفمبر ١٩٤٥ ، فى مجـــلة « ايماج دى موند » (صــور العالم) قال طه حسين بشـــكل حزين « لقـد انتهت الحرب بالقنبلة الذرية ، ولكنها تركت قنبلة زمنيـــة هى فلسـطين » ثم تتذكر سوزان ليلتها الاخيرة مـــع طه حسين .. فتكتب : « تابعنـــا فى

غرفة طه حفلاتنا الموسيقية وقراءاتنا حتى الليلة الاخيرة تقريبا ، تلك الليلة الفظيعة التى كانت تقطعها اصوات وكلمات واعترافات لم افهمها تماما حتى الان .

وفى احدى المرات التى كنت انام فيها قليلا على الرغم منى،حلمتبحلملم افهمه على الفور ايضا فقد رأيت فيما يرى النائم ان خاتم زواجى قد تحطم بطريقة لا تفسر ، وانفى اذ كنت انظر اليه حزينة لاحظت أنه كان ثمة داخل الدائرة المكسورة شىء من السواد ، كما لو كان غبار فحم » .

وفى كلمات « معك » الاخيرة .. تقول سوزان :

«هاانذا على نهاية طريق ،ذلك الطريق الطويل الذى اجتزناه معا وحدنا . وها نحن قد اجتزناه معا مرة اخرى، لكن الدرب لا يمتد اكثر من ذلك ،ولابد من الوقوف ، فهو درب لا يمكننا ان نجتازه ثانية ، لابد من وداعه ، وانى لاوجه له نظرة عرفان اخيرة..حبيبى»

وفى نهاية الجزء الاول من كتاب الايام » يحدث طه حسين ابنته ــ امينة ــ وكانت فى التاسعة من عمرها .. عن امها :

« .. فان سألتنى كيف انتهى الى حيث هو الان ، وكيف اصبح شكله مقبولا لا تقتحمه العين ولا تزدريه وكيف استطاع ان يهىء لك ولاخيك ما انتما فيه من حياة راضية ، وكيف استطاع ان يثير فى نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقد وضغينه ، وأن يثير فى نفوس ناس اخرين ما يثير من رضا عنه واكرام له وتشجيع .

ان سالت كيف انتقل من تلك الحال الى هذه الحال ، فلست استطيع ان اجيبك !

وانما هناك شخص اخر هو الذى يستطيع هذا الجواب .. فسليه ينبئك اتعرفينه ؟ انظرى اليه !

هو هذا الملك القائم الذى يحنو على سريرك اذا امسيت لتستقبلى الليل فى هدوء ونوم لذيذ ، ويحنو على سريرك اذا اصبحت لتستقبلى النهار فى سرور وابتهاج .

الست مدينة لهذا الملك بما انت فيه من هدوء الليل وبهجة النهار ؟!

لقد حنا يا ابنتى هذا الملك على ابيك فبدله من البؤس نعيما ، ومن اليأس املا ، ومن الفقر غنى ، ومن الشقاء سعادة وصفوا .

ليس دين ابيك لهذا الملك باقل من دينك ، فلتتعاونا يا ابنتى على اداء هذا الدين ، وما انتما ببالغين من ذلك بعض ما تريدان » .

وفى احدى يوميات « معك »تسجل سوزان كلمات من خطاب تلقته من طه حسين « انى بحاجة للقول انى احبك، انى لاقولها لك مع ذلك ، وانه لعهد لك من جديد .. » ثم يقول « ولما كنا متحابين ، فاننا سوف نسير منجديد، اقوياء بهذا الحب ، نحو المستقبل الذى ربما سيشبه الماضى ، او لعله سيكون افضل منه ، او ربما سيكون اسوأ منه ، ولكن ماهمنا ؟ سوزان . لنتابع المسير .. اعطنى يدك » .. ثم تقول سوزان معلقة على هذه الكلمات الاخيرة :

« اعطنى يدك ، لقد طلبها منى ايضا فى الليلة الاخيرة ، يدى ، ولكنى لم اذهب معه » .

فى ذكرى رحيله الثامنة

نجيب سرور بين الشعر والمسرح الشعرى

بقلم : حلمى سالم

ارتبط صعود نجيب سرور ، كشاعر وكمسرحى ، بصعود ثورة يوليو ١٩٥٢ والارتباط المقصود ، هنـــا ، ليس الارتباط الميكانيكى الصـــارم ، بين الاداب والتغيرات الاجتماعية ، ولكنه ارتباط التفاعل والتجادل المتبادلين . فقد تبلور مع المد الوطنى الاجتماعى لثورة يوليو ـ وعبره ـ عدد من ألمع الكتاب والفنانين والشعـــراء ، فنبضت فى أشعارهم وفنونهم وأدبهم الآمال الوطنية والشعبية التى كانت الثورة تعد بها ، أو تسعى لتحقيقها حسب ما ارتأته من طرائق ومناهج .

وعلى هذه الأرض الواســـعة من الحلم ، تجســـدت قيم العـــدالة الاجتماعية والأشواق الثورية للتغيير والتقدم ، فى أعمال الكتاب والأدباء ، الذى كان نجيب سرور واحدا بارزا فى طليعتهم فأنتج ، فى هذا المناخ الحار ، أعماله الشعرية والمسرحية الملتزمة .

ولقد وجه معظم هذا الرعيل المتقدم جل اهتمامه وهمه صوب التعبير عن « المضمون الاجتماعى » للقضايا التى كانت تشغل انسان تلك الفترة الموارة ، فظهرت المؤلفـــات ذات الطـــابع « الرومانسى الثورى » عند عبدالرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور فى (الناس فى بلادى) وعبد الرحمـــن الخميسى وكمـــال عبد الحليم ونجيب سرور ، ووظفوا شعرهم وأدبهم فى خدمة الهدف الاجتماعى المنشـــود ، دفاعا عن المكتسبات والخطـــوات السياسية للثورة ، أو دفعا لهـــذه المكتسبات والخطوات الى مدى أبعـــد وأعمق .

على ان الاحوال مالبثت ـ بعد بضعة سنوات ـ ان تقلبت بالشاعر والمسرحى ، سواء من الناحية السياسية او الناحية الفنية او الناحية الثقافية المؤسسية ـ أو من الناحية النفسية الذاتية • فكان موته (فى خريف ١٩٧٨) نهاية مأساوية لشوط طويل من الحرب المتواصلة ونهاية حية لاسطورة حية من أساطير الفنانين الشهداء فى الحياة والشهداء فى الموت •

فما كان أعرض وأخصب وأقسى من الحياة التى عاشها هذا الفنان ـ الانسان •

رحلة طويلة جسدت عناقا حيا مع الفن ، وارتباطا ناصعا بين الكلمة والموقف • رحلة تأرجحت بين قمة الشهرة حين كان سرور الورقة الرابحة لاغلب مسارحنا القومية ابان عرض « ياسين وبهية » و « اه ياليل ياقمر » ، وبين التشرد فى الشوارع ضائعا ، ابان فترات الاضطهاد السياسى والضغط النفسى للقتل البطىء ، حينما تجلت النوازع البيروقراطية المطعمة باهواء الارهاب الفكرى والجسدى ، هذه النوازع التى انتهت بشاعرنا ضيفا مرات عدة على المصحات العقلية والنفسية ، وبين الانخلاع من أى دور والطرد من كل ممارسة صحية وسليمة ، اذ اغلقت المسارح ـ التى كان نجمها المفضل يوما ـ ابوابها فى وجهه الفنى الملتزم ، فحرم من التمثيل او الاخراج ، وباعة فيهما طويل ، وحرم من عرض مسرحياته ـ وهو من اخصب الكتاب المسرحيين ـ وطرد من التدريس فى معهد الفنون المسرحية ـ وهو بيته الاول الحنون ـ ليجد نفسه فى نهاية المطاف وقد صار ظهره للحائط وصدره ازاء سيف القهر والاقصاء ، وحيدا الا من المرض ، فقيرا الا من حب الفقراء •

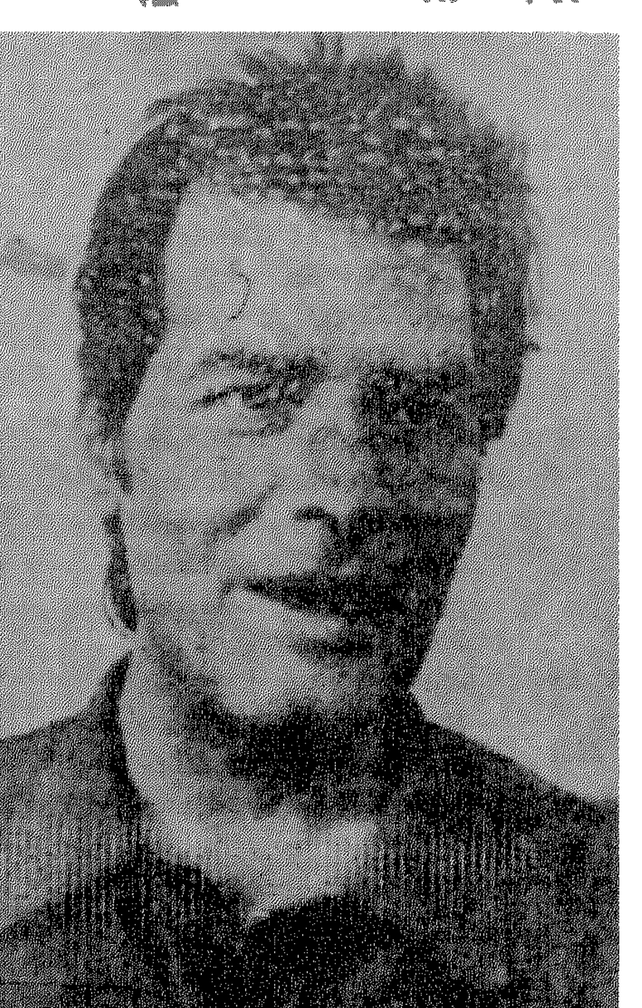
اخرج نجيب سرور أربعة دواوين شعرية ، هى : التراجيديا الانسانية ، بروتوكولات حكماء ريش، لزوم ما يلزم ، رباعيات •

خرج « التراجيديا الانسانية » ـ وهو ديوانه الاول ـ ابان مناخ التحولات الاجتماعية والسياسية والوطنية التى شهدها المجتمع المصرى فى بداية الستينات • وهو المناخ الذى انعكس على الفن فى اعلاء «المضمون» الثورى على اى عنصر اخر من عناصر العمل الابداعى ، فجاء الشعر خطابيا زاعقا مباشرا ـ فى معظمه الغالب ـ يتغنى بالام الفقراء واحزان البسطاء فى رومانسية انسانية عامة •

تقول قصيدة « لهذى الجموع » •

افاتنتى ••

فى احمرار الورود على وجنتيه



نجيب سرور

نجيب سرور

رايت الدماء
دماء المساكين فى قريتي
يعيشون كالدود فى مقبرة
هم الدود والميت يافتنتى !
افاتنتى فى اختناق السواد على مقلتيك
رايت الشقاء
يلف بأذرعه الهاصرة
جسوم الملايين من أمتى !
افاتنتى فى انسياب الحياة على شفتيك
رايت الجفاف
رايت سراب الحياة الشحيح
تصوره لهلة الظامئين
وهذى النجوم عيون العبيد تطل علينا
وقد جحظت بالعذاب المقل
افاتنتى ورايت الجموع
تسير مصباحها المختنق
لتبحث عن لقمة ضائعة
ويأتى المساء
فتاوى الى جحرها جائعة
وفى كلها حسرة ضارعة
وتطوى على جوعها يأسها
كما تنطوى فى الثرى قوقعه
ويسدل ستر الظلام الكثيف
على مشهد من صراع الحياة
ليبدا فى الصبح فصل جديد
فتمضى الجموع بمصباحها
لتبحث عن لقمه ضائعه
فهل اهب الكاس الحانية
وقد زرعوا أرضنا بالعذاب ؟
فتاتى ٠٠ ماغيرتنى السنون ولاغيرتك
احبك مازلت لكننى
وهبت النشيد لهذى الجموع

● ايقاع مميز ●

وتتضح فى القصيدة معظم ملامح الاداء « الرومانسى الثورى » ، فهناك اسقاط العام على الخاص بطريقة مباشرة أولية ، حيث يسرى المحب (الملتزم) دماء مساكين قريته فى احمرار خدود محبوبته ٠ وهناك التقرير المحدد والمحدد ، الوصفى الشرحى ، حيث يرى الشاعر الشقاء يلف بأذرعه الهاصرة جسوم الملايين من أمته ، وحيث الواقع الاجتماعى المعاش هو سوق كبير يباع بها عرق الكادحين « بسعر التراب » ٠ وهناك اعراض المحب عن محبوبته ، ليس عن بغض وكراهية ، ولكن لانه نذر نفسه للكفاح ووهب نشيده للجموع ٠

على أن هذا النوع من الشعر ، على الرغم من رومانسيته المباشرة الثورية، وربما بسبب منها ، قد شكل ـ مع غيره مما شاع من شعر جماعى وجموعى (لا فردى ـ ذاتى) ـ ايقاعا جديدا فى ساحة القصيدة الشعرية العربية انذاك ، فى الخمسينات ، وانتقالة لا ريب فى خطورتها : من النواح الفردى » الى الغناء الجماعى المرتبط بواقع الناس والطامح الى حياة افضل ٠

ولهذا ، فهو ـ فى التراجيديا الانسانية يقول :

قدر الانسان ان يفرح ٠٠ ان يصنع عرسا
قدر الانسان ان يخلق فوق الارض جنـا
بل وان يخلق نفسه
قدر الانسان ان ارادة الانسان فى الارض قدر
ما السما ٠٠ ما قمة الاولمب ٠٠ ما الاقدار
ما كل اكاذيب العبيد ؟
نحن لا نصبح اربابا اذا متنا ٠٠ ولا نبقى بشر
نحن ارباب على الارض نريد
ثم ندرى ما نريد
ثم اصرار ٠٠ ونملى ما نريد

● مرارة ويأس ●

على ان هذه الروح المتوهجة بالامل والارادة ، اختلف عليها الدهر ، حتى

تبدل الحال ، وسرت فى الروح نغمة من حزن وأنين . فمنذ ديوان « بروتوكولات حكماء ريش » وحتى « الرباعيات » مرورا « بلزوم ما يلزم »، سيصبح لابى العلاء المعرى سطوة كبيرة على روح وقلم شاعرنا الملتزم . سنجده دائم الاقتباس والتضمين من ابى العلاء ، وسنجد روح أبى العلاء ترفرف على دواوينه بالحكمة المريرة والسخرية السوداء والتشاؤم الكونى .

فاذا كنا رأينا الشاعر فى « التراجيديا الانسانية » نابضا بالحرارة مفعما بالامل ، فاننا نراه فى الدواوين التى تلته ، وخاصة « لزوم ما يلزم » وقد اكتنفته روح اليأس والمرارة . يقول :

قد آن يا كيخوت للقلب الجريح
ان يستريح
فاحفر هنا قبرا ونم
وانقش على الصخر الاصم :
يانابشا قبرى حنانك ، ها هنا قلب ينام
لا فرق من عام ينام والف عام
هذى العظام حصاد ايامى فرفقا بالعظام
انا لست احسب بين فرسان الزمان
ان عد فرسان الزمان
لكن قلبي كان دوما قلب فارس
كره المنافق والجبان
مقدار ما عشق الحقيقة

والملاحظ ـ فى لزوميات نجيب سرور غناها بالتضامين والاشارات الاسطورية والتاريخية والشعبية والدينية ، فى سياق هو اشبه بسيرة ذاتية لرحلة حياة الشاعر وخوضه فى العالم الدنيوى . فالشاعر يتنقل بين كيخوت وبهية واخطاب ، وبين دانتى وفرجيل وهاملت وديموقليس والمعرى وسيزيف والمسيح ، وغير ذلك من اساطير واديان وتاريخ مما وعت ذاكرة الشاعر الثقافية .

ولعل هذا الاكثار من الاشارات والاحالات الثقافية والتاريخية قد اثقل ـ فى بعض الاحيان ـ على جسم العمل الشعرى ، وشتت تركيزه الفنى فى مسارات متشبعة متفرقة ، مما يقلل من قدرة القصيدة على ان تصبح مكثفة مشحونة .

على ان السمة الرومانتسية كانت هى القاسم الاساسى ، بين مرحلة (التفاؤل) ومرحلة (اليأس) ـ ان صحت هذه التسميات السريعة اصلا .

ففى الحالتين نجد التقرير الذى يقترب ـ فى بعض الاحيان ـ من النثر المبذول ، من مثل :

لكن قلبي كان دوما قلب فارس
كره المنافق والجبان
مقدار ما عشق الحقيقة

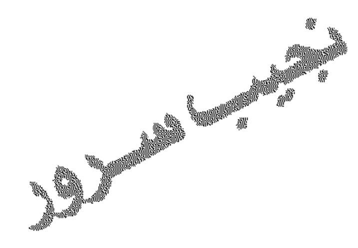
وفى الحالتين ، هناك الانطلاق المبدئى من الاعتقاد بأن الشعر من الشعور هذا الاعتقاد الذى ترجمه سرور نفسه فى بيتين شعريين يقولان :

« الشعر مش شعر لو كان مقفى وفصيح
الشعر لو هز قلبك وقلبى شعر بصحيح »

وصحيح ان هذا المفهوم ـ المتضمن فى هذين البيتين ـ يقف فى مواجهة الافكار النقدية السلفية التى كانت ترى ماهية الشعر فى كونه « كلاما مقفى وفصيحا » ، الا انه ـ من جهة اخرى يربط ماهية الشعر بالوجدان فحسب وهذا الربط هو ربط رومانتى فى الاساس ، يرجع نجاح القصيدة الى تأثيرها النفسى على المتلقى او المستمع ، بصرف النظر عن احتيازها على مقومات العمل الفنى الناجح ـ من الناحية التشكيلية او خلوها من هذه المقومات .

ربما يرصد الناقد المدقق ـ والحريص على المستوى الفنى والمتقى للشعر ـ عددا من المآخذ الفنية على عمل نجيب سرور الشعرى ، فى قصائده التى ضمتها دواوينه .

لقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا ، هذا الصوت المباشر الذى لا يخلو من نبرة



عائلية ، وما يتصل بهذه النبرة العالية من اهتمام بتقديم المضمون الاجتماعى والسياسى على حساب المستوى الفنى

وقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا ، افراطا فى استخدام الالفاظ والجمل والتراكيب العامية » ، فى سياق قد لا يكون دائما موفقا ، فتصبح هذه الالفاظ والجمل والتراكيب عاملا من عوامل اضعاف القصيدة لا من عوامل قوتها .

وقد يلحظ هذا الناقد ، مثلا ،اكثارا من التعبيرات والصياغات النثرية التى تقلل من فرص حضور الصورة الشعرية التخيلية فى النص الشعرى.

المحصلة ، ان عمل سرور الشعرى، ربما يكون موضع ملاحظات عديدة . الا ان عمله المسرحي الشعرى هو ـ فى الحق ـ الانجاز الجوهرى والاضافة الكبرى التى قدمها نجيب سرور لحياتنا الادبية والثقافية والفنية .

● علامات فارقة ●

فيما يتصل بالجانب الخاص بالمسرح الشعرى ، فان سرور كان ـ بحق ـ واحدا من اوائل الكتاب المصريين المحدثين الذين قدموا نموذجا ، اقرب الى النضب والعلو للمسرحية الشعرية ، متخطيا كثيرا من عيوب السرد والحوار «القصائدى» المطول ، التى حفلت بها المسرحيات الشعرية عند شوقي وعزيز اباظة وباكثير ومطران وغيرهم ، والمسرحيات الاولى لكل من عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوى

المسرحية الشعرية عند نجيب سرور مختلفة

انها ليست مسرحية « نثرية » مكتوبة بالشعر او بالوزن والموسيقى ويمكن ـ بالتالى ـ اعادتها الى ما كانت عليه من نثر ـ بتجريدها من وزنها وموسيقاها ـ بدون ان تنقص شيئا كبيرا او جوهريا ، اذ ستظل هناك الحكاية ـ الرواية ، من الاصل

ان دخول الشعر على المسرحية ليس مجرد عملية خارجية يمكن الباسها فى المسرحية ويمكن خلعها عنها ، وتبقى فى الحالتين المسرحية مسرحية .

دخول الشعر على المسرحية هو عملية كيفية كاملة ، تتعدل وتتغير على ضوئها الكثير من المعطيات المسرحية الدراما ، الحدث ، الذروة .

هذا هو ما نجده فى مسرحيات نجيب سرور الشعرية .

فمن الصعب عليك ان تعيد مسرحيته الشعرية الى روايتها الاصلية كحكاية يمكن ان تسردها ، بتسلسل الحكاية القصصى المعروف ، أو على الاقل لا يمكنك ان تفعل ذلك بدون ان يفقد العمل كثيرا من اسباب وجوده الفنى

كتب الدكتور محمد مندور عن « ياسين وبهية » يقول :

« وهكذا استطاع شبابنا ان يقدم بنجاح رائع قصيدة شعرية قصصية طويلة فى صورة درامية جديدة ؛ لا أظن انها مسبوقة فى بلادنا او غيرها من بلاد العالم » (روزاليوسف ١٩٦٤)

ان هذه الخاصية بعينها ـ التى رصدها الدكتور مندور ـ هى احدى العلامات الفارقة فى مسرح نجيب سرور الشعرى ، وهى تتلخص فى ان الدراما فى النص المسرحى الشعرى ليست هى الدراما الروائية الحكائية المألوفة ، والتى اعتدناها فى المسرح

النثرى التقليدى بعامه •

الدراما ، هنا ، هى دراما شعرية اساسا، لا دراما وقائعية او حوادثية، وان لم تخل هذه الدراما الشعرية بالطبع - من الوقائع والحوادث وجسم الحياة الحية •

وهكذا كانت مسرحيات نجيب سرور كلها : ياسين وبهية ، آه ياليل ياقمر، قولوا لعين الشمس، منين اجيبناس، صورا من الدراما ذات الطابع الشعرى قبل الطابع الحكائى القصصى، فى اطار من استلهام الموروث الشعبى وقصص المأثور من حكايا الناس •

وفى هذا السياق ، بالمثل ، كانت مسرحية « آه ياليل ياقمر » التى كتب عنها جلال العشرى فى مقدمة طبعتها الاولى عام ٦٨ يقول :

« اذا كان مسرحنا المصرى المعاصر يمر بمرحلة هامة من مراحل تطوره الفنى ، هى المرحلة التى يؤرخ لها بالمسرح الشعرى فان مسرحية (آه ياليل ياقمر) هى البلورة الكاملة لهذا المسرح ، فبعد المسرح الشعرى التقليدى ، وبعد المسرح الشعرى الجديد يجىء المسرح الشعرى الشعبى عند الشاعر المصرى الاصيل ، نجيب سرور » •

● دراما متكاملة ●

والواقع ان المتامل لشعر سرور القصائدى ولمسرحه الشعرى ، سيجد مفارقة هامة كبيرة ، هى ان معظم ما يمكن ان يشوب شعره القصائدى من عيوب يتحول فى مسرحه الشعرى الى خصائص مميزة ومزايا ملحوظة •

ان اختلاف السياق الذى توجد فيه هذه العيوب، يجعل لها وظائف جديدة، ويجعلها تقوم بدورها فى اطار اشمل منها كجزئيات • هى فيه جزء من كل عريض •

ان المباشرة الزاعقة او النثرية، او التوسل الزائد بالعامية ، او اضطراب الصور وتأرجحها وتشتتها وغيرها مما يمكن ان يكون عيوبا فى قصائده الشعرية ، تأخذ فى مسرحه الشعرى دورا فى دراما متكاملة ، فلا تصبح مفردة هى بذاتها ، بل تصبح خيطا من خيوط لنسيج عريض •

وهى ، هنا ، تنجح فيما اخفقت فيه هناك •

والحق ، ان هذه المسالة تستحق درسا متانيا ومفصلا ، يميز بين وجود هذه العناصر فى الشعر القصائدى وبين وجودها فى المسرح الشعرى • وخصوصا ان هذه المفارقة لا تكمن فى نجيب سرور فحسب بل انها تتواجد عند شعراء مسرحيين آخرين ، لعل ابرزهم - مع نجيب سرور - الشاعر الفلسطينى الراحل معين بسيسو ، وغيرهما من شعراء المسرح البارزين••

كان رحيل نجيب سرور مناسبة اخرى جديدة ومجددة لكى نفهم ان الفنان الذى لا يرتبط بالقوى الصاعدة والناهضة فى امته ، ولا يرتبط بقضايا شعبه المصيرية وهمومه الحقيقية ،هو فنان يبقى فى ذاكرة وطنه الحية •

ولقد كان نجيب سرور واحدا من الذين وهبوا حياتهم وفنهم للدفاع عن قضايا شعوبهم واشرافها صوب مستقبل عادل ، ولسوف يعيش فى ضمير امته - لهذا - كواحد من ابر الابناء •

كما كان رحيله مناسبة مجددة لكى نفهم ان الفنان الذى لا تتطابق كلمته مع موقفه،هو فنان منافق او مزيف او خائن لمعنى الابداع الحق • ولقد ضرب نجيب سرور مثالا ناصعا لعناق الكلمة والموقف ، ونموذجا للفنان الذى يحيا بالفن وبالفن يموت ، ليصير واحدا من عشاق الفن الحق المتفانين فيه ، والخالدين به •



سيد قطب

وثلاث رسائل لم تنشر من قبل

بقلم: الطاهر أحمد مكي

● **كانا زميلى معهد ، ورفيقى درب ، جمعت بينهما قاعات الدرس فى دار العلوم ، وتوثقت بينهما الصلة على درب الكفاح الطويل .**

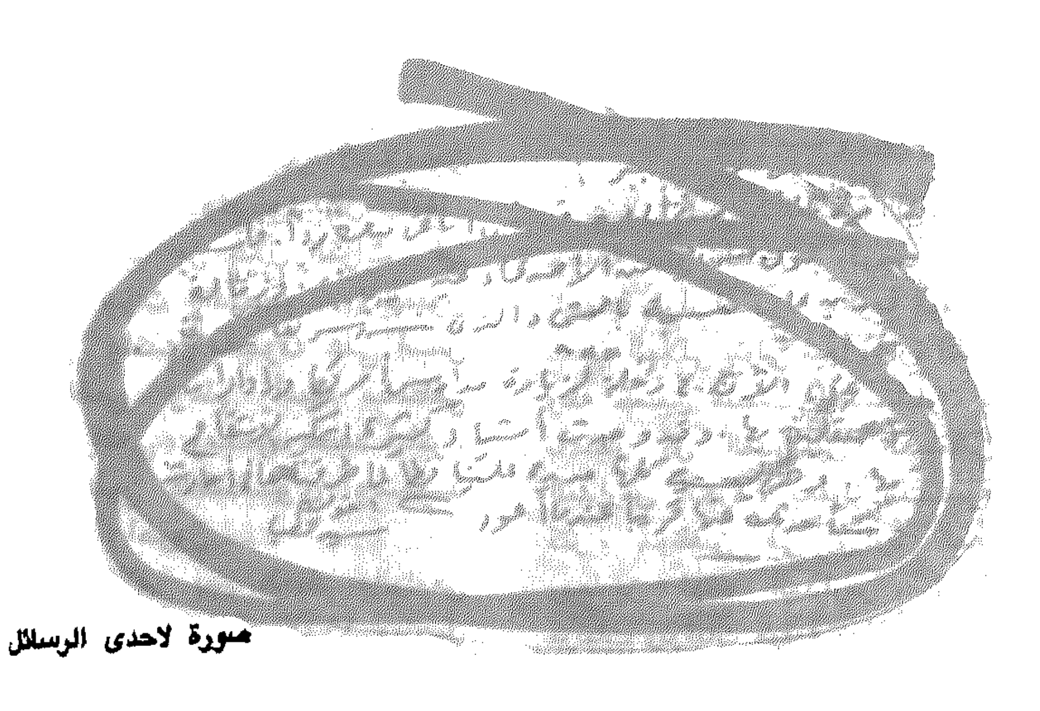
كلاهما كان قادما من الريف ، أحدهما من المنوفية والثانى من الصعيد ، ومع اتفاقهما فى الغايات الأخيرة ، تباينت وسائلهما بحكم الطبيعة ، والمزاج ، والنشأة ، والمناخ .

أما سيد قطب فلم يكن بعد الداعية الاسلامى الكبير، وإنما ذلك الأديب المتوهج، يقرض الشعر، ويؤلف فى النقد، ويمضى مع حركات التجديد الوافدة من الغرب، فى حذر تمليه طبيعة الدراسة، وتؤكده اخلاق القرية. وأما محمد جبر فاختار مجالا مختلفا، أن يشارك رفاقه فى «جماعة دار العلوم» فى الدفاع عن اللغة العربية من حيف المتغربين والمستعمرين، وعن مستقبل الخريجين من الهوان المقصود الذى كان يعد لهم وينتظرهم!

كانت جماعة دار العلوم، وتكونت عام ١٩٣٣ - نفس العام الذى تخرجا فيه - تضم خريجى دار العلوم على مستوى القطر المصرى كله، ويمثلون كتلة متراصة، ذات تأثير بالغ فى الحياة الثقافية والاجتماعية، ولعبت دورا بالغ الأهمية والأثر فى الدفاع عن اللغة العربية متطورة، والاسلام مجددا، ولها صحيفة تصدر كل ثلاثة أشهر، وواصلت الصدور على امتداد أربعة عشر عاما كاملة لم تتوقف، ١٩٣٤ - ١٩٤٧، وقدمت خيرة شعراء تلك الفترة وباحثيها وقصاصيها على صفحاتها.

هذه الفترة من حياة سيد قطب، ١٩٢٥ - ١٩٣٩، يمكن أن نطلق عليها مرحلة الضياع، فقد كان هذا الشاب الذى سوف يدخره القدر ليلعب اعظم دور إسلامى، وليجىء فى القمة مع كبار دعاة الاسلام ومفكريه فى عصرنا الحديث، غارقا أيام الطلب، وبعد تخرجه فى المذاهب والتيارات الثقافية الأوربية التى اخذت تتدفق على مصر مع الاحتلال والبعثات والترجمة، تقبل عليها صفوة المثقفين بحسن نية أحيانا، وفى غفلة أحيانا أخرى، ويُدفعون إليها دفعاً فى أحايين كثيرة.

كان الاقبال على هذه الافكار يبدأ إعجابا، ثم يتحول إلى ادمان مقدر،



صورة لاحدى الرسائل

وبعدها تبدو أوربا وكأنها الكعبة التى يجب ان يحج اليها المصريون ، ونبع التقدم الذى يجب أن ينهلوا منه ، وفى تلك الأيام كتب طه حسين «مستقبل الثقافة فى مصر» ورأى وطنه قطعة من حوض البحر الأبيض المتوسط ، عليه إذا اراد أن يتقدم أن ينهل من الثقافتين الاغريقية واللاتينية ، وان يدير ظهره لما عداهما .

وكان العقاد فى آخر مراحل تمرده ، تجاوز الشك الذى تجلى فى قصيدته «الشيطان» ليتصل بالدراسات الاسلامية ، بعد أن تجاوز نجاح محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» ما كان متوقعا ، وفتح امامه ابوابا كانت مغلقة ، وبداهة كان فهم العقاد للاسلام ، وحتى إيمانه ، عقاديا خالصا - أن صح التعبير - صنعه لنفسه وضمنه خلاصة فكره ، وجاءت كتاباته الاسلامية وليدة هذه الفلسفة الخاصة .

وفى الجبهة المقابلة كان الاسلاميون لايقلون تحمسا وليسوا اقل عنفا ، يفهمون الأدب من خلال التراث ، فى ضوء منجزات العصر ، لايهملون الحاضر ، ولكنهم يقيمونه على أسس من الماضى ، وعلى رأسهم مصطفى صادق الرافعى ، ومحمود محمد شاكر ، وفيهم على الطنطاوى وسعيد العريان ، وآخرون .

كان الخلاف بين العقاد والرافعى قديما ، ويعود الى عام ١٩١٧ ويتصل بإعجاز القرآن الكريم ، ويقول سعيد العريان : «كان بدء هذه المعركة .. حديثا خاصا بين الرافعى والعقاد فى دار المقتطف حول حقيقة إعجاز القرآن ، وكتاب (الرافعى عن) إعجاز القرآن ، وكان للعقاد فيهما رأى غير رأى الرافعى ، فكانت غضبة الرافعى الأولى لكرامة القرآن ، والعقاد ينكر إعجازه ، والثانية لكتابه إعجاز القرآن والعقاد ينتقده .. فثمة سبب عام أنشأ هذه الخصومة هو إيمان الرافعى بإعجاز القرآن إيمانا لا يتناوله الشك ... والرافعى يقول فى كتابه «على السفود» «إنها غضبة لله والقرآن»

اتخذ سيد قطب جانب العقاد منذ البداية ، حتى أن الاستاذ محمود شاكر عاب عليه موقفه هذا ، ويرى «أن انتقاد سيد قطب لادب الرافعى معناه مجانبة للدين والتقوى والحياء» . ورد سيد قطب على ناقديه ، والمشككين فى صدق إيمانه بأن «الأدب والشعر كالفنون مترجمة عن النفس الانسانية وأحاسيسها وآمالها ، ولادخل للدين فيه .. لأننى أدرى من غيرى بحقيقة الدين»

● مكانة اللغة العربية ●

وخلال الحرب العالمية الثانية نشطت جماعة دار العلوم ، وتوجت إنجازاتها المهنية بقرار أصدرته حكومة الوفد ، وكان نجيب الهلالى يتولى فيها وزارة المعارف ، وطه حسين منصب المستشار ، يقضى باعتبار كل المدرسين العاملين فى المدارس الحرة ، بعقود شخصية وهم كثر ، موظفين فى وزارة المعارف ، ومعارين لهذه المدارس ، ويعاملون مرتبات وترقيات كبقية زملائهم . وكسرت

الطوق الذى اقامه الاستعمار البريطانى وذيوله حول مدرسى اللغة العربية فى مجال الترقيات ، فاصبحوا كبقية زملائهم .

وفى المجال القومى ردت الى اللغة العربية مكانتها فى المدرسة المصرية ، فزيدت ساعتها ، وبدأ تدريس التربية الدينية جديا ، وعملت على ترقية المادتين كتابا ومنهجا . وهى أشياء لم تتحقق بسهولة ، فبعض أعضاء الجماعة فصلوا ، وآخرون اعتقلوا ، أو شردوا فى نواح قصية ، ولكن روح النضال من أجل الاستقلال والعروبة والاسلام كانت فى أوجها .

ومن الواضح ان سيد قطب كان عضوا فى الجماعة ، ومشاركا فى كل نشاطها ، كاى درعمي عادي ، ولم يكن من النخبة القائدة ، إذ كان الأدب والنقد يملآن عليه حياته ، ويشغلان جل وقته .

وبعد الحرب العالمية الثانية تفجر الموقف فى مصر ، وكان الجديد الذى تعهده من قبل واضحا يتمثل فى أمرين : أن التيارات الاجتماعية التى تكونت تحت الأرض خلال الحرب بدأت تظهر علانية ، وتعبر عن نفسها صراحة ، وبدأ عامة المثقفين المصريين يعرفون الأدب الروسى على نحو واسع ، ويقرءون جوركى ، وبوشكين ، وتشيخوف ، فى اللغات الأوربية الأخرى ، أو مترجما الى اللغة العربية فى بيروت غالبا ، ويومها لمع جامعى شاب ، وناقد ادبى مرموق ، عائد من بعثته فى فرنسا ، ويكتب فى لهجة لم تعرفها الحياة الأدبية من قبل ، فهو يدعو الى ربط الأدب بالحياة ويتحدث عن رسالة الفن الاجتماعية ، وكان ذلك الشاب هو الدكتور محمد مندور ، فأثار العقاد ورفاقه ، وبدأت المعركة بين الفريقين ، قوية وعنيفة وصاخبة .

وكان الأمر الثانى سياسيا بحتا ، إذ ألقت الولايات المتحدة الامريكية بثقلها كلها فى مصر ، ترقب الأمر بعناية ، وتعد نفسها لترث الاستعمار البريطانى (فى شكل جديد طبعا) ، وفى تخطيط علمى دقيق وفعال لم تعرفه المنطقة من قبل ، بدأت تهتم بالصحافة والمثقفين وكل العاملين فى أجهزة الاعلام ، بأسلوب خفى وغير مباشر ، وفى تلك الاعوام ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه بين السياسة والصحافة ، صدرت جريدة أخبار اليوم ، غير بعيد من التخطيط الأمريكى ، وعنها صدرت مجلة المختار الأمريكية فعلا .

وإذا بحثنا عن سيد قطب فى تلك المرحلة نجده استقل عن العقاد ، وأنشأ لنفسه مذهبا خاصا فى النقد ، وبدأ يتجه نحو الدراسات الاسلامية ذات الصبغة الأدبية ، فأصدر فى عام ١٩٤٥ كتابيه : « التصوير الفنى فى القرآن » ، و « مشاهد القيامة فى القرآن » وتقدم بالأمر خطوة ، فأصدر كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » عام ١٩٤٨ ، وأهداه إلى شباب الاخوان المسلمين دون أن يكون قد انضم إلى الجماعة بعد .

يمثل هذا الكتاب الأخير خطا فاصلا ، وذا أهمية قصوى ، فى تحديد المرحلة الجديدة لسيد قطب ، وجاء ردّ فعل للدراسات الاشتراكية والتقدمية التى بدأت تأخذ طريقها الى الفكر المصرى واضحة ومتميزة ، ومع أنه تناول القضية من منظور دينى ، فقد كان شيئا جديدا فى

هذا المجال ، وهو فى الكتاب أقرب إلى الاشتراكية منه إلى الرأسمالية ، وكان ممكنا أن يتعمق تفكيره ويتطور فى هذا الطريق ، فهو طبقيا ينتمى الى « الناس الذين تحت » وكان عباس العقاد هو الذى حال بينه وبين أن يأخذ الاتجاه ، فقد كان سيد قطب معجبا به ، منذ أن التحق بندوته عام ١٩٢٧ ، ويحمل له إجلالا عميقا ، حتى بعد أن انفصل عنه فكريا .

لقى كتاب « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » إقبالا وترحيبا ، وكان من الكتب التى تركت تأثيرها واضحا فى فكر الضباط الأحرار ، ومن أوائل الكتب التى قرءوها قبل أن تقوم الثورة نفسها ، أو بالدقة عام ١٩٥١ ، فقد طلب منى الكتاب صديق له قريب ضابط فى الجيش ، ثم عاد ورجانى أن أدله أين يباع فهو بحاجة إلى أكثر من نسخة ، وكان هذا الضابط هو البكباشى ابراهيم عاطف ، الذى انتخبه الضباط سكرتيرا لناديهم ، مع محمد نجيب رئيسا ، إبان تحديهم للقصر الملكى .

● لماذا أمريكا ●

بعد قليل من صدور كتاب « العدالة الاجتماعية » سافر سيد قطب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص فى التربية وأصول المناهج ، وكانت سنه إذ ذاك ثنتين وأربعين عاما .

وأول ما يلفت النظر فى هذه البعثة أنها جاءت فجأة وشخصية ، فلم يعلن عنها ليتقدم لها من يرى نفسه كفئا ، وأن المبتعث تجاوز السن التى تشترط إدارة البعثات توفرها بكثير ، وأنه نقل عند تخصيصها له مراقبا مساعدا بمكتب الوزير .

من الذى أوحى بالبعثة ؟ وفكّر فيها ؟ ودفع سيد قطب إليها ؟ وماذا كانت الغاية الحقة من ورائها بعيدا عن الظاهر غير المقنع ؟ .

لم يقف أحد عند هذه النقطة ، ولم يتناولها أحد ممن عرضوا لحياة سيد قطب ، ولم يشر هو إليها فيما كتب وخط ، وفى عام ١٩٥٤ كنت طالبا فى شعبة التاريخ ، فى معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وكان المرحوم محمد شفيق غربال يدرس لنا التاريخ الحديث .

كان أستاذا مهيبا وعالما جليلا ، خفيض الصوت ، واضح النبر ، مقنع الفكر ، يقول رأيه دون خوف ، ويذكر الحقيقة بلا تردد ، وفى غير تحمس أو تهجم على أحد ، ولم يكن يقف عند التاريخ مادة مقررة جامدة ، وإنما كان يطوف بنا العالم العربى الحديث فى حاضره ، موضحا ومعللا ، وفيما عرضنا له يومها رأيه فى سيد قطب .

كانت المناسبة جملة من المقالات كتبها سيد قطب فى مجلة « روز اليوسف » ، إذا لم تخنى الذاكرة ، حمل فيها على قادة وزارة المعارف ، وأنهم يدورون عميا فى فلك الغرب ، وأسرى فلسفة دنلوب ، وهو قس اسكتلندى ، جىء به زمنا مستشارا

لوزارة المعارف ، وكان استعماريا قحا ، ومتعصبا بغيضا ، فأفسدها طرقا ومناهج ، وأنهم زيفوا التاريخ مجاملة للعائلة المالكة ونفاقا ، وهى إشارة تنطلق الى شفيق غربال إذا جاءت مرسلة ، إذ كان أستاذ التاريخ الحديث ووكيلا لوزارة المعارف ، ولم يكن احد فى حاجة الى هذا الاستنتاج ، لأن سيد قطب سوف يذكره أيضا صراحة ، ويهاجمه مباشرة .

ولم يتردد شفيق غربال فى أن يجيب ، ولايزال صدى كلماته ترن فى أذنى كأنما قيلت بالأمس ، قال : إن سيد قطب كفاءة عالية ، ويرجى منه خير كثير ، ولكنى آسف لأنه غير وفى ، وناكر للجميل ، فقد توسمت فيه أنا وإسماعيل القبانى المستشار الفنى للوزارة الخير والنفع فوفرنا له بعثة غير عادية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليتصل بالحضارة الغربية ، وتقع عينه على مافى العالم الجديد ، فيعمق فكره ، وتتسع نظرته ، فلم يكمل البعثة ، وهاهو الآن يشتمنا .

وما قاله شفيق غربال لاغبار عليه ولكن ، لماذا الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، وانجلترا أقرب لنا ، وأرخص تكلفة ، وكلاهما غربال والقبانى ـ درسا فيها ، والمعهود ، إن يميل المرء ، إن لم يتعصب الى البلد الذى درس فيه ؟



● إغراء للسفر ●

واضح أن ذهاب سيد قطب إلى الولايات المتحدة كان وليد تخطيط أمريكى خفى ، بعيد عن سيد قطب نفسه بداهة ؛ ولم يعرفه أكيدا ، فمن الغريب ، والعصبية المعهدية على أشدها فى تلك الأيام فى وزارة المعارف . ومن إسماعيل القبانى بالذات ، أن تخصص بعثة لموظف من دار العلوم ، وفى مثل هذه السن ، ولايرد عليه أن إسماعيل القبانى سجل تقديره لسيد قطب رسميا حين قدم هذا استقالته من عمله مراقبا مساعدا بالبحوث الفنية والمشروعات فى ١٨ اكتوبر ١٩٥٢ ، فقد



د . طه حسين



عباس محمود العقاد

حاول أن يثنيه عنها ، ويقول فى المذكرة التى تقدم بها الى مجلس الوزراء بعد ذلك بعام ، أى فى ١٩٥٢/١٢/٣٠ : **«ولما كنت بالرغم من هذا أعتقد أن به بعض النواحى الطيبة التى يمكن الاستفادة منها ، وان له من قوة تفكيره وكفايته ما يجعله قادرا على الانتاج فقد حاولت أن اثنيه عن عزمه ، وان اقنعه بالعودة الى عمله ، وكانت آخر محاولة لذلك فى الأسبوع الماضى ، ولكنه أصر على طلبه وكان طوال هذه المدة ممتنعا عن العمل»**

وطلب القبانى ، فى المذكرة نفسها ، أن يضاف إلى مدة خدمته عامان حتى تكمل المدة القانونية لمعاشه . وفى تلك الفترة كانت العلاقات قد تازمت بين الحكومة والأخوان فقبلت الاستقالة من تاريخ تقديمها وهو ١٩٥٢/١٠/١٨ ، لا من تاريخ تقديم مذكرة الوزير ، ودون إضافة يوم واحد إلى مدة خدمته .

كان ذلك استطرادا لبيان رأى إسماعيل القبانى فى سيد قطب ونعود الى بعثته فى أمريكا ، والدوافع وراءها ، وانها لم تكن خالصة لوجه العلم ، وفيما بعد سوف يعترف سيد قطب نفسه لرفيقه فى النضال سيد سالم ، حين التقيا فى السجن : «إنه وقع تحت إغراء هذه الاوساط (الامريكية) بكل الوسائل ، ولكنه لم يسقط فى شباك أى منها»

ولم يفصل القول فى وسائل الاغراء ، والوان الشباك ، وطبيعتها وماذا كانت تريد منه .

وصل سيد قطب الى الولايات المتحدة بعد شهور قليلة من مأساة فلسطين واستيلاء الصهيونية على الجانب الاكبر منها ، وخلال العامين اللذين قضاهما هناك تدفقت فى نهر السياسة المصرية أحداث كثيرة وخطيرة .

فى ١٩٤٨/١٢/٨ حل الحاكم العسكرى ورئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى جماعة الاخوان المسلمين ، وأغلق صحفهم ، واعتقل البارزين منهم ، وصادر أموال الجماعة وصفى شركاتها .

وفى ١٩٤٨/١٢/٢٨ أطلق شاب من الأخوان المسلمين النار على النقراشى باشا فى وزارة الداخلية فأرداه قتيلا .

وفى ١٩٤٩/٢/١٢ اغتالت الحكومة السعدية برئاسة إبراهيم عبد الهادى المرشد للأخوان حسن البنا فى شارع الملكة نازلى (رمسيس الآن) .

وبينما لم يثر اغتيال رئيس وزراء مصر اية اهمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، قابلت الاوساط المهتمة بشئون الشرق الأوسط فيها اغتيال البنا بشىء من الغبطة والابتهاج مما جعل سيد قطب يدرك أهمية الدور الذى قام به البنا والأخوان المسلمون فى مواجهة الفكر الغربى ، ولعله فكر لحظتها أن ينضم إليهم حينما يعود .

كيف رأى سيد قطب الولايات المتحدة بعد أن وصل إليها ، وكيف كان يعيش ، لقد كتب خلال إقامته الى صديقه ، وزميل دراسته ، محمد جبر (رئيس جماعة دار العلوم الآن) عددا من الرسائل ضمنها رأيه واضحا فيما رأى ، وعثرنا من جملة

الرسائل على ثلاث نورد نصها كاملا فيما يلى :

ـ ١ ـ

اخى الأستاذ جبر

تحية وشوقا ومودة . وبعد ، فقد شغلتنى (دوشة) السفر عن إخبارك بموعده . ثم شغلنى إجهاد البحر واستقبال الحياة هنا عن الكتابة إليك أو إلى احد حتى استجم بعض الشىء .

والآن كيف انت وكيف احوال الجماعة ؟ هل لك ان تكلف نفسك الاتصال بى دائما واطلاعى على شؤوننا التى تعلم أنها تهمنى حيث كنت ؟

ثم هل لك أن تكتب الى بعنوان الاستاذ الكبير سعد بك اللبان لأكتب اليه ، إذ اننى اجهل عنوانه .

ولست فى حاجة أن اذكر لك انك تستطيع تكليفى بأية مهمة هنا لك . كشراء أشياء أو السؤال عن أشياء أو مايعن لك ان تصنعه عن طريقى !

والآن هل تستطيع عند وصول هذا اليك أن تتصل بمحمد قطب فى دار الكتب تليفون ٨٤٠٧٤ لتسأله لم لايكتب إلى منذ ثلاثة أسابيع ، ولم يدعنى قلقا عليه وعلى من فى القاهرة معه ؟

١٩٤٨/١٢/١٩

سيد قطب

ـ ٢ ـ

اخى الاستاذ جبر

أبطأت فى الرد عليك . إنها زحمة العمل ، وسوء طريقة الدراسة . فليس أبعد عن الافادة من الجهد فى تعلم اللغة الانجليزية من الطريقة الامريكية ! ولكنك كمدرس تملك بجهدك الخاص أن تتلافى عيوب الطريقة . وقد انقلبت وظيفتى فى «المركز الدولى لتعليم اللغات» من مجرد طالب يتعلم اللغة الى مدرس يعلمهم كيف يدرسون اللغة ، ولقد أفلحت طريقتى ونجحت شيئا ما فى تعديل طريقتهم فى كثير من الأحيان !

إن امريكا هى أكبر اكذوبة عرفها العالم !

نستطيع أن نفيد من امريكا فى البعثات العلمية البحتة : الميكانيكا والكهرباء ، والكيمياء ، والزراعة .. وما اليها . فاما حين نحاول ان نستفيد من امريكا فى الدراسات النظرية ومنها طرق التدريس فأحسب اننا نخطىء أشد الخطأ ، وننساق وراء الطريقة الامريكية فى الاعلان . ومع هذا فلا احب أن اتعجل فقد تكون هناك أشياء لم أعلمها بعد . وأن كان المفروض أن طريقة هذا المركز الدولى هى انجح الطرق الامريكية !

لقد تقدمت فعلا فى اللغة الانجليزية تقدما ملحوظا . ولكن ذلك بجهدى الخاص ، وبتعديل الطريقة الأمريكية وتلقيحها . وأحسبنى لو كنت ابذل عشر هذا الجهد فى مصر لبلغت مابلغت إليه فعلا باستثناء المرانة على الحديث فهى هنا أحسن بطبيعة الحال .

أما أولئك الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثون عن الاعاجيب السبع (فهم) يحاولون أن يستمدوا لهم قيمة جديدة لانفسهم من وراء هذا التهويل !

أتعرف أولئك البحارة القدامى الذين كانوا يجوبون البحار ثم يتحدثون عن أهوال البحر وعن المردة والعمالقة

والعجائب المثيرة .. إنهم كانوا يصنعون مايصنعه المتأمركون اليوم . ولا ادرى ماذا فى اوربا ولكن قياسا على ماكنا نسمعه عن أمريكا وعما رأيته فعلا استطيع ان آخذ صورة عن المبالغة والتهويل ...

تجد الاجابة على أسئلتك على جناحى هذا الخطاب

١٢/ ٢/ ١٩٤٩

سيد

١ ـ لا أملك أن أكتب لك بالتفصيل عن الحياة الأمريكية فهذا يتطلب وقتا وجهدا لست أملكهما اليوم . وسيكون هذا موضوع كتيب فى سلسلة "اقرأ" ولكن أحسبنى ألخصها لك حين أقول : إنها حياة عمادها اللذة والنجاح العملى . وأنه لاحساب فيها لأى خلق من الأخلاق التى تعتز بها الانسانية ، وأن كل القيم الخلقية هى موضع السخرية عند الأمريكان !

٢ ـ مستوى الحياة هنا مرتفع وغال . ولكنه ليس بالصورة المهولة التى يتحدثون بها فى مصر . فالطالب العادى يستطيع أن يعيش فى حدود ١٨٠ دولارا عيشة راضية ، أما أنا شخصيا فأضطر الى إنفاق مايقرب من ٢٥٠ ـ ٢٨٠ وذلك بسبب اضطرارى الى حياة مريحة كل الراحة والى قيمة غذائية مرتفعة كذلك . والى شىء من المظهر فى بعض الاوساط كرجل زائر لا طالب .

٣ ـ نفقات السفر الى هنا فى الدرجة الثانية حوالى ٩٠ ـ ٩٦ جنيها ، أما أنا فقد سافرت فى الدرجة الأولى حسب درجتى فى الكادر !

٤ ـ أحسبنى الآن فى مستوى السنة الثانية الثانوية ، أما فى الحديث فقد أكون فى مستوى "الثقافة" .

٥ ـ وجودى فى واشنطون بالذات سهّل لى كثيرا من الصعاب لأنى بجوار المكتب وكلهم أصدقائى .

أكتب الىّ بالتفصيل عن أحوالكم وأخباركم وموقفكم فى الوزارة فإنه يهمنا أن أكون على تمام الصلة بالاخر وبحركتهم أوّلا بأول مدة وجودى هنا ولايهمك أن تتأخر رسائلى فى بعض الأحيان .

سيد

٢٢ / ١ / ١٩٥٠

أخى الأستاذ جبر

مرة ثالثة اكتب اليك قبل أن أتلقى منك ردّا . فلست ممن ييئسون سريعا من الأصدقاء حين يقصرون . وزمالة عشرين عاما ليست بالشىء الذى ينسى سريعا !

لابد أن أشياء كثيرة عوقتك عن الكتابة إلىّ . لست أدرى أنا ماهى هذه الأشياء ، ولكن من حقى أن أعرفها .

وأحوال الجماعة ـ ودعك من أحوالك أنت الخاصة وحقى الشخصى فى الاتصال بها ـ كيف تسير . ثم هل لى أن أطمئن اليوم على صلاتك بالوزارة فى عهد الدكتور طه حسين ؟ أرجو أن تكون خيرا وأن يكون فيها جديد .

أنا أعرف أنك أنت لايهمك لشخصك

شيء ، ولكن للجماعة طرفا آخر ومصالح عامة .

ثم ماهى أحوال الجماعة اليوم . من هم أعضاء مجلس إدارتها ؟ كيف تسير الأمور داخلها وخارجها ... كل أولئك من حقى أن أعرف عنه شيئا .

★ ★ ★

أنا الآن فى رحلة لزيارة مدارس أمريكا وادارات التعليم بها . وقد وجدت اشياء كثيرة يمكن الانتفاع بها . وهى ليست كلها جديدة علينا ، فطالما طرقناها فى احاديثنا ، وسأحدثك عنها قريبا عندما أعود .

اخوك

سيد قطب

يلحظ القارىء لهذه الرسائل الثلاث :

١ ـ أن هناك رسائل أخرى توجه بها للأستاذ محمد جبر نفسه ضاعت ولم نعثر عليها ، وأنه كان يكتب لزملاء آخرين من بينهم سعد اللبان ، وكان رئيسا لجماعة دار العلوم ، وأصبح وزير المعارف فى وزارة على ماهر التى تألفت عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

ونعرف أنه كتب أكيدا رسالة لتوفيق الحكيم من كاليفورنيا يهاجم فيها الحضارة الامريكية التى لاتأبه بالقيم الروحية ، وينتقد مسرحية "أوديب الملك" ، متمنيا لو عالج الموضوع بروح اسلامية لا اغـريقية ، ويـأمل منـه أن يستقى موضوعاته مستقبلا من الاسلام الذى يتميز بفلسفة مستقلة خاصة عن الكون والحياة والانسان .

إن نشر مثل هذه الرسائل بالغ الأهمية فى القاء الضوء على تطور حياة سيد قطب الادبية والفكرية ، لأن صاحبها كتبها وهو فى قمة الصدق مع نفسه ، ولايدور بخاطره انها ستنشر يوما .

٢ ـ أسلوب الرسائل عربى فصيح ، حريص على استخدام علامات الترقيم ، والفقرات ، فى موضعها ، وحتى الشدة لايهملها ، واللفظة العامية الوحيدة التى جاءت فى احدى الرسائل وضعها بين قوسين .

٣ ـ توجه الكاتب بالرسالة الأولى والثالثة الى "الاستاذ الكبير محمد بك جبر ، ناظر مدرسة راتب باشا الابتدائية ، لاظوغلى قرب المالية" ، أما الثانية فأرسلها اليه على نادى دار العلوم ـ ٧٧ ـ شارع الملكة نازلى"

٤ ـ فى الرسالتين الأولى والثانية لم يكن سيد قطب قد وعى تقاليد الرسائل الاوربية ، فهو يكتب كلمة مصر ـ القاهرة باللغة اللاتينية فى المكان المخصص لاسم المرسل وعنوانه ، ولكنه فى الثالثة انتبه الى هذا التقليد .

٥ ـ أشار فى رسالته الثانية الى أن فى نيته ان يؤلف كتيبا عن رحلته ينشر فى سلسلة "اقرأ" التى تصدرها دار المعارف ، كما أشار فى كتابه "خصائص التصور الاسلامى ومقوماته" الى أنه الف كتابا عن "أمريكا التى رأيت" **ويبدو أن المقالات التى نشرها فى مجلة الرسالة ، الاعداد ٩٥٧ و ٩٥٩ و ٩٦١ ، كانت صفحات مما انتوى ، أما الكتاب نفسه فلم ير النور كاملا لا فى "اقرا" ولابعيدا عنها ، لأن الأحداث المتلاحقة شغلت صاحبه عن الكتاب وعن امريكا .**

صورة الريفية المصرية فى السينما

ما ابعد الفرق بين المراة كما هى في واقع الحياة ، وبين صورتها كما تعرضها السينما على الشاشة فى الاصل هى مجاهدة فى كل ميدان امتدادا من البيت الى الغيط .

اما في الصورة فدنياها ليست هى دنيا الناس من علم وعمل ، وفن وادب ، وفكر وراى .. انها باختصار دنيا فارغة .

بقلم :

مصطفى درويش

فاتن حمامة فى فيلم الحرام



وهذا الانفصال بين الواقع والخيال نراه ظاهرا فى السينما العربية منـــذ ميلادها عـــلى أرض القـــاهرة فى ١٦ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٢٧ بفيلم « ليلى » انتاج وتمثيل الرائـدة « عزيزة أمير » •

فهى فى الفيـلم قـروية او بدويـة ســـاذجة يراودها عن نفسها ثـرى « رؤوف بك » ، تعرض عنه لان قلبها يميل الى شاب شهم من قريتها «أحمد» يعمل دليلا للسياح •

تمر بالقرية امرأة أجنبية متحـررة فتهيم بأحمد ، تغريه على الرحيل معها بعيدا الى البرازيل •

والان ليـــلى مشردة مطرودة مـن القرية لانهــــا حامل من احمد فى الحرام •

فى الطريق ينتشلها رؤوف بك، تذهب معه فى عربته الفارهة الى قصره حيث تزف اليه فى الحال •

هكذا كان التصوير للمرأة فى مصر منذ كانت السينما ، وهو تصوير يكاد لا يختلف كثيرا فيما جاء بعد «ليلى» من ركام الافلام •

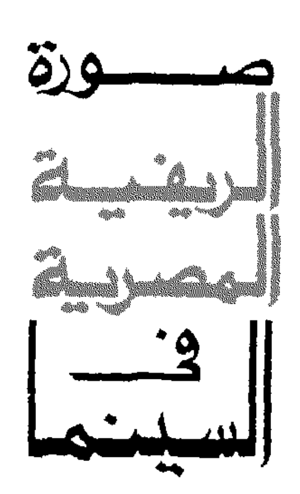
فالمرأة كما نراها فى السينما عندنا عبارة عن كائن ســـاذج ، أو ابله ، ضعيف ومعتدى عليه ، اشبه بالطفـل الكبير •

والغـريب أن هـــذه الظاهرة ظلت ـ والى زمن قريب ـ محاطة بهـــالة من التمجيد والتعظيم •

حقا كانت هناك محاولات لفك هـذا الحصار عن طريق الدراسة الجـــادة للظاهرة لمعرفة أسباب هذا التحقير ،

فردوس محمد فى فيلم رد قلبى





وهذه الاحاطة له بالتمييز والتكبير

ولكن ما كان من الدراسات متعمقا فى البحث نافذا الى حقائق الظاهرة ـ وهو القليل ، القليل ـ لم يكن له تاثير فى الحد من بدعة التشهير بالمرأة .

● السقوط .. اولا !

ومن هذا القليل ثلاث دراسات ، اولاها للباحثة الاجتماعية الدكتوره « منى الحديدى » تحت عنوان « صورة المراة عبر السينما » .

وفيها خلصت ـ بعد حصر نشاط الشخصيات الرئيسية فى الافلام المنتجة خلال الستينات ـ الى أن ٤ر٥ ٪ فقط من هذه الافلام كان للفلاحة دور رئيسى فيها .

وأن المرأة الساقطة كان لها نفس النصيب ، اى ان الفلاحات اللاتى يمثلن ٦ر٦٢ من نساء مصر (احصاء سنة ١٩٦٠) لم يكتب لهن الظهور الا فى ٤ر٥٪ من افلام تلك الفترة ، شانهن فى ذلك شان الساقطات !

وليس من شك ان هذا النوع من المساواة بين الاغلبية الفالحة والاقلية الساقطة ، فيه الغناء كل الغناء عن اى تعليق او بيان .

أما الدراسة الثانية « صورة المرأة فى السينما المصرية» فللباحثة «صفية اسماعيل مجدى» بقسم علم النفس ـ جامعة القاهرة .

وهى قد تقدمت بها الى حلقة بحث عقدت بفضل المجلس الاعلى للثقافة فى القاعة الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية تحت شعار « الانسان المصرى على الشاشة » .

وفيها توصلت الى أن ادوار المرأة فى السينما ، وبغض النظر عن الموقع الذى تشغله فى الحياة الاجتماعية انما تنحصر اولا وقبل كل شيء فى اطار علاقتها بالرجل .

فهى فى عدد لا حصر له من الافلام انثى ليس الا ، ينظر اليها باعتبارها تابعة للرجل ، وليست مكملة له ، باعتبارها كائنا يدور فى فلكه بغرض الارضاء له بحكم أنه المولى والسيد المطاع فى الحق والباطل .

فاذا ما انتقلنا الى الدراسة الثالثة صورة الريفية فى السينما المصرية ، للدكتورة « ماجدة واصف » لوجدنا أنفسنا أمام رسالة تقدمت بها صاحبتها الى جامعة السوربون للحصول على درجة الدكتوراه (فى يناير ١٩٨٣) .

● طريد .. لماذا ؟ ●

ولاكتشفنا اثناء الرحلة الممتعة مع هذه الرسالة النفيسة ، ان السينما التى بدأت فى مصر ، بل قل فى الوطن العربى على يد امرأة « عزيزة أمير » بفضل « ليلى » ذلك الفيلم الذى يدور جزء كبير من احداثه فى الريف ـ هذه السينما قد أعرضت عن اتخاذ الريف اطارا لاحداث افلامها ، لا لشيء سوى ان الريف المصرى فقير بائس ، والمرأة الريفية لاتتوافر فيها بالتالى مواصفات « النجمة السينمائية » حسب مصنع الاحلام فى هوليوود هذا المصنع الصاخب الذى لا تزال له السيادة فى عالم الاطياف .

ولذا فان صاحبة الرسالة لم تعثر من بين الالفى فيلم او يزيد التى جرى انتاجها طوال ستين عاما من عمر السينما فى الوطن العربى ، الا على ثلاثين فيلما تدور احداثها فى الريف.

ومن ملاحظاتها أن ثلث هذه الافلام التى اسمتها بالافلام الريفية ، وذلك لانها تصور حياة أهل الريف ، وليس حياة الباشاوات والملاك الكبار ، قد تم انتاجها خلال الستينات ، أى خلال الفترة الناصرية ذات التوجهات الاشتراكية .

اما ما قبل هذه الفترة الاستثنائية وما بعدها فالريف فيها كان على حاله دوما مجرد خلفية رومانسية يلتقى الابطال من ملاك الارض الاثرياء فى اطارها حيث يتصارعون ، يتعذبون ، ويتعذب الجمهور مع الامهم المفتعلة عذابا شديدا .

ولا يغير من هذا التصور ذلك القدر الضئيل من التطورالذى مس هذا النوع من الافلام مسا خفيفا عقب انهيار النظام الملكى .

فالريف بموجب هذا التطور ، قد استحال فيها الى مكان تصفية للحسابات بين السادة القدامى « الاقطاعيين » والسادة الجدد « الضباط الاحرار » .

على وجه مؤداه المصالحة التى تنتهى بالضابط الشاب ذى الاصل الريفى المتواضع متزوجا من بنت الاكابر (رد قلبى .. لعز الدين ذو الفقار عن قصة للاديب الراحل يوسف السباعى) .

ومهما يكن من الامر ، فقد حصرت صاحبة الرسالة بحثها فى افلام الستينات وهى « الحرام » (١٩٦٢) ، « البوسطجى » (١٩٦٤) ، « جفت الامطار » ، (١٩٦٧) « الزوجة الثانية » (١٩٦٨) ، « شىء من الخوف» (١٩٦٨) « يوميات نائب فى الارياف » (١٩٦٨) ، « الارض » (١٩٦٩) ، « حكاية من بلدنا » (١٩٦٩) و « حادثة شرف » (١٩٦٩) .

وأضافت اليها استثناء من عندها فيلما يرتد انتاجه الى الخمسينات قريبا من نهايتها «دعاء الكروان» (١٩٥٩) ، ملتمسة بهذه الحيلة المقبولة الوصول بالعدد الجارى عليه البحث الى عشرة افلام .

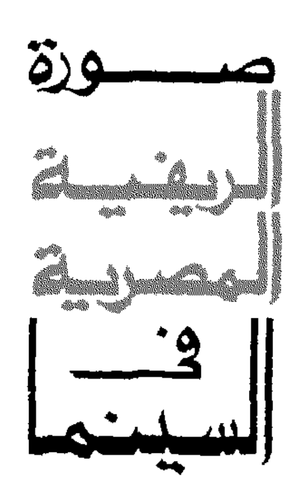
وعلاوة على هذا ، فقد راعت - وهى تختار تلك الافلام ، انها جميعا فيما عدا الفيلم العاشر المستثنى من انتاج القطاع العام ، هذا الى انها فى معظمها (سبعة افلام) تتناول بشكل مباشر قضايا تخص المراة ، فضلا عن ان موضوعاتها تغطى فترات تاريخية مختلفة تمتد من الثلاثينات حتى نهاية الستينات ، وفوق هذا فاحداثها تدور فى مناطق جغرافية متنوعة على امتداد البلاد من اقاصى الصعيد جنوبا حتى اقاصى الدلتا شمالا .

● شهود ●

ومن منطلق أن الفيلم الروائى يعتبر وثيقة شاهده على عصرها استنادا الى ما ذهب اليه « جارفى » فى كتابه القيم « نحو علم اجتماع خاص بالسينما » من انه « باستثناء الاعمال الميدانية المتعلقة بعلم وصف الانسان ، فهو لم يسمح ، فى مجال الغوص فى اعماق مجتمع ما وصولا الى أبعد غور فيه ابتغاء استكشافه ، عن عمل معادل فى القيمة لهذه الاعمال ، سوى مشاهدة الافلام المنتجة من أجل استهلاك السوق المحلى .

والمرء ليس فى وضع يؤهلة للحكم على مدى اقترانها بالصدق .

غير أن الادعى للاطمئنان ، الانتباه



الى القول بانهـــا تنتج لجمـاهير المتفرجـــين .. وبهم تشاهد . وهى باعتبارها كذلك تصلح نقطة بدايـــة للبحث لها دلالتها الكبرى ، فضلا عن كونها مصدرا للمعلومات » .

من هذا المنطـلق تعاملت صـاحبة الرسالة مع افلامها العشرة .

وهى فى سبيل معرفة وضع المرأة الريفية ، كمـــا كشفت عنه الافـــلام المختارة ، كان لابد لها بادىء ذى بدء ان تقوم بتحليل علاقة الريفية بكل من

اولا : النظام الاخلاقى السـائد أى العرف .

ثانيا : النظام الاجتماعي المعمـول به .

ثم تعرض لموقفها فى حالة عـــدم اذعانها لاى من هذين النظامين .

وفى رأى صاحبة الرسالة ان ثمـــة مجموعة من القيم الاخلاقية تعـــارف المجتمع على احترامها بحيث أصبحت راسخة فى الوجدان على مر الزمان .

وان المرأة تخضع منذ طفولتها لهذه القيم التى تلقنها اياها الام باعتبـــارها الحارسة والحامية للتقاليد، والحريصة الاولى على التصدى للخارجين عليها بالعقاب ، حتى ولو كـــانوا اقــرب المقربين اليها .

وترتبط تلك القيم بمفهـوم معـين للشرف يدور وجودا وعدما حول قدسية جسد المرأة ، وضرورة الحفاظ عليـه كاملا سليما لم يمسسه . بشر حتى يكتب له بفضل رباط الزوجية ان تفض عذريته بالحلال .

ومن هنا الاهمية البالغة للعـذرية كما تصورها افلام « دعاء الكروان » ، « البوسطجى » و « حادثة شرف » .

فمفهـــوم الشرف فى الريف يرتبط بما يسمى العرض "و عذرية الفتاة قبل الزواج ، واخلاصها لشريك حيـــاتها بعـده .

فاذا ما فقدت البنت عذريتها لأى سبب كان استحالت الى امرأة بغـير شرف وحل سفك دمها .

وقد تناولت الافلام الثلاثة هـــذه القضية بشكل مباشر .

● ضحية ومتهمة ●

و « الحرام » عند صاحبة الرسالة واحد من أهم الافلام الفاضحة لحـال الريفية فى هذا المجال .

فبطلته « عزيزة » مسئولة عن كل ما يمس جسدها حتى فى حالة الاعتداء عليه بالاغتصاب ، مثلها فى ذلك مثل الخـــادمة الصـــغيرة « مريم » فى « البوسطجى » فكلاهما ضحية جريمة اغتصاب ، ومع ذلك فهما موصومتان، ملفوظتان من مجتمع القرية الى يـوم الدين .

والموت فى كلتــا الحـالتين هـو المخلص من العار الذى حاق بهمـا ، وبما قد يكون لهما من اهل .

والموت هنا ليس معنويا ، وانمـــا جسديا فالاهل يتولون امر المرأة التى لوثها الاغتصـــاب بتصفية لا ترحـم

تصل فى أغلب الاحوال الى حد الاجهاز عليها بالقتل .

وثمرة الخطيئة فى حالة « عزيزة » هو ذلك المولود الذى يعثر عليه سكان القرية ميتا ، فيفجر العثور عليه الموقف .

● الجذور ●

انه جسم الجريمة ، والتحقيق الذى يقود الى هذا المولود ، لا يبتغى معرفة ظروف الحادث والظروف المحيطة به ، بقدر ما يبتغى اثبات مسئولية «عزيزة» ومعاقبتها على فعلتها التى ترى من منظور أخلاق القرية فعلة مؤثمة تملأ الارض هولا .

وانتماء « عزيزة » الى عالم «عمال التراحيل» ـ أولئك الريفيون الذين لا يملكون أرضا ، ويتنقلون بين القرى حسب المواسم الزراعية واحتياجات ملاك الارض الى قوة عملهم ـ هذا الانتماء يضاعف من شعور العداء لها بين سكان القرية .

فهى غريبة تجرى وراء لقمة العيش، مقتلعة من جذورها ، ومن لا جذور لها لا تملك ذات القيم السائدة فى القرية .

ولا عجب اذن اذا استبان انها امراة زانية وقاتلة للمولود المخنوق فى ان واحد .

فمن كان على شاكلتها لا يرجى منه خير فسكان القرية يرون الشر كل الشر ، والنكر كل النكر فى كل ما يصدر عن أمثالها من عمل .

ويرون فى الحمى التى أصابتها وأودت بحياتها عقابا عادلا من السماء، غسل به العار .

وبعد ، فغنى عن البيان أن الرسالة أغنى من أن يكون محورها الشرف والعذرية والاغتصاب .



سهير المرشدى فى فيلم البوسطجى

ثمة موضوعات أخرى فريدة ومفيدة، بعضها يتناول علاقة الريفية بالنظام الاجتماعى من خلال مظاهر الزواج بوصفه تكريسا لهذا النظام ، والامومة بوصفها اداة استمرار العائلة والعقم والعزوبية بوصفهما خطرا على هذا الاستمرار والبعض الاخر يعرض لمظاهر المقاومة التى تمارسها الريفية فى مواجهة القمع والاضطهاد كالهروب الى الحلم والتسلح بالمعرفة أو بالعمل أو بالاثنين معا .

وكم كنت أود أن اتوقف عارضا لكل واحد من هذه الموضوعات المشيقة .

ولكنى آثرت الاكتفاء بالتوقف عند باب العذرية والشرف والاغتصاب ، وذلك لان صاحبة الرسالة قد استطاعت فيه بصدق لهجتها من جهة ، وببراعتها الفنية من جهة أخرى ان تملأ القلب روعا وجزعا .

ولان التوقف عند هذا الباب قد يساعد فى رفق على تفهم الاسباب التى وراء ارتداد قطاعات كبيرة وسكان المدينة الى اخلاق القرية .

أعلام الفكر المعاصر

برتراند راسل

شيخ الفلاسفة المعاصرين

بقلم : فؤاد كامل

«برتراند رسل» هو شيخ الفلاسفة المعاصرين بلا منازع .. آتاه الله بسطة فى العمر والفكر ، اذ امتد عمره قرنا من الزمان لاينقص سوى عامين ،وانبسط فكره الخصب ليشمل مجالات شتى من المعرفة ، بل نستطيع ان نقول مطمئنين انه لم يترك ميدانا او مشكلة من مشكلات حياتنا المعاصرة الا وادلى فيها بدلو، او اسهم فيها بحل مبتكر او راى شائق . واهتماماته الرحبة تبدا بالرياضة وتمر بالمنطق والفلسفة ونتائج العلوم الفزيائية والفلكية وتنتهى بعلم النفس والاجتماع والتربية والسياسة .

ولد رسل عام ١٨٧٢ وتوفى عام ١٩٧٠ ، وهو ينحدر من أسرة أرستقراطية من ناحية أبيه وامه على السواء . فأبوه هو « الفيكونت امبرلى » الذى كان الابن الاكبر للسياسى المشهير لورد « جون رسل »، وامه ابنة « اللورد ستانلى » ، وكان ابوه فى العماد الفيلسوف الانجليزى الكبير « جون ستيوارت مل » .

وقبل أن يبلغ الرابعة من عمره ، كان قد فقد أباه وامه ، فكفلته جدته لامه « ليدى رسل » ، وكانت اسكتلندية

الاصل ، تعتنق المذهب الكنسى ، كما كانت ليبرالية في معتقداتها السياسية والدينية، وغاية فى الصرامة فى كل ما يتعلق بالاخلاق .

وتلقى رسل فى طفولته وصباه تعليما خاصا كما تقضى بذلك تقاليد الطبقة الارستقراطية فى انجلترا . وفى عام ١٨٩٠ تلقى منحة لدراسة الرياضيات فى كلية ترينيتى بجامعة كمبردج . وظهر تفوقه فى هذا الميدان فكان السابع من طلاب الامتياز فى دفعته عام ١٨٩٣ .. ولكنه لم يلبث ان تحول عن الرياضيات الى الفلسفة، وحصل على مرتبة الشرف الاولى فى الجزء الثانى من العلوم الاخلاقية فى اجازة الترايبوس عام ١٨٩٤..

ونشر بعد ذلك بعامين أول بحث له وكان « عن الديمقراطية الاجتماعية الالمانية » . وانضم زميلا بكلية ترينيتى من عام ١٨٩٥ الى عام ١٩٠١ ، ومحاضرا فى الفلسفة من عام ١٩٠١ الى عام١٩١٦.وقد ورث عن جده لورد جون رسل الذىرأس الوزارة الانجليزية ثلاث مرات ، والذى قدم أول لائحة لاصلاح البرلمان الانجليزى فى ١٨٣٢ ـ ورث عنه اهتمامه بالسياسة ، فتقدم فى عام ١٩٠٧ للانتخاب الفرعى فى ويمبلدون مرشحا عن الاتحاد القومى لجمعيات النساء المطالبة بحق الانتخاب ولكنه أخفق فى هذه المحاولة . ولما نشبت الحرب العالمية الاولى جاهد للدعوة الى السلام ، ففصلته كلية



برتراند راسل

برتراند راسل

ترينيتى عام ١٩١٦ بعد محاكمة قضت عليه بالفصل والغرامة لانه أصدر كتيبا وصف فيه حالة معارض للحرب يقظ الضمير • وفى هذه الفترة كلها كان منشغلا بكتابه عن المنطق الرياضى وفى عام ١٩١٨ حوكم للمرة الثانية بتهمة التشهير بالحكومة البريطانية والجيش الامريكى ، فارسل الى السجن لمدة ستة شهور الف فيها كتابه : «مدخل الى الفلسفة الرياضية» وشرع فى تأليف كتابه : « تحليل العقل » •

وفى الاعوام التى أعقبت الحرب العالمية الاولى عمل أستاذا زائرا بجامعة بكين من ١٩٢٠ الى ١٩٢١ ، وقام بزيارة لروسيا ، فانجابت عن عينيه الغشاوة بالنسبة لنتائج الثورة الروسية التى كان قد رضى عنها فى بادىء الامر ولكنه ظل على تأثره الشديد بحضارة الصين القديمة • وفى عام ١٩١٩ أعادته كلية ترينيتى الى وظيفته ، ولكنه قدم استقالته قبل أن يباشر عمله ورشحه حزب العمال البريطانى مرتين عامى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ عن دائرة شلسى، ولكنه باء بالفشل •

• نظريات فى التربية •

وفى عام ١٩٢٤ بدأت رحلاته الى الولايات المتحدة الامريكية حيث ألقى محاضرات فى جامعة هارفارد • وفى عام ١٩٢٧ أسس بالتعاون مع زوجته الثانية « دورا بلاك » ، التى أنجب منها طفلين — مدرسة تقدمية فى « بيكون هيل » بالقرب من «بيترسفيلد» موضع وضع نظرياته فى التربية موضع التنفيذ ، وتسببت اراؤه التربوية والاخلاقية فى فصله من عمله أستاذا لكرسى الفلسفة فى سيتى كولدج فى فى نيويورك • وكان قد حصل على مناصب الاستاذية فى جامعتى شيكاجو وكاليفورنيا ، ولكن حدث فى عام ١٩٤٠ — نتيجة للتعصب الدينى والاجتماعى — أن أعلنت كلية«نيويورك سيتى » أنه ليس جديرا بعمله فيها ، فعين محاضرا فى مؤسسة بارنز فى فيلادلفيا التى كان قد طرد منها عام ١٩٤٣ فى ظروف هيأت رفع أمره الى القضاء ، فقضى له بتعويض عن ذلك الطرد الجائر • وفى عام ١٩٤٤ عاد الى انجلترا ، وكان قد أعيد انتخابه زميلا فى كلية ترينيتى •

وظل فترة من الزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية محبذا لاستخدام القنبلة الذرية حتى تكون رادعا للاتحاد السوفيتى ، ولكنه أصبح فيما بعد فى طليعة الدعاة فى الحملة من اجل نزع السلاح النووى ، بل دخل السجن وهو فى التاسعةوالثمانين منعمره، وقضى اسبوعا فى مستشفى السجن بتهمة العصيانالمدنى تاييدا لحملة نزعالسلاح النووى وكان ذلك فى عام ١٩٦١ •

وكان « رسل » يحمل لقب « ايرل » بعد وفاة أخيه الاكبر الذى كان يحمل هذا اللقب قبله فى ١٩٣١ ، وقد تزوج « رسل » أربع مرات ، وانجب من زيجاته ثلاثة أبناء ، وعين عضوا شرفيا فى الاكاديمية البريطانية فى عام ١٩٤٩ ، ومنح فى هذا العام نفسه نوط الاستحقاق • وفاز بجائزة نوبل

فى الادب عام ١٩٥٢ عن كتـــابه : « الزواج والاخلاقيات » · وجاء فى تقرير لجنة الجائزة « ·· انه قـــد استحق هذا الشرف تقديرا لانتـاجه العظيم ذى الجوانب المتعددة، واعترافا بما قام به دائما من دفاع عن الانسانية وذود عن الحرية الفكرية » ·

وفى أعوامه الاخيرة تزايد اهتمامه بالمسائل الاجتمـــاعية والســياسية ، فاشترك مع الفيلسوف الفرنسى « جان ـ بول سارتر » فى محاكمة مجرمى الحرب فى الولايات المتحدة واعمـــاله تزيد عن ستين كتابا ·

● البحث عن المرفة ●

وقبل أن نخوض فى عرض فلســفة رسل يحسن بنا أن نبين الدوافع التى تحكمت فى حياته ، وكان لها أكبر الاثر فى صياغة شخصيته ، وقد كفانا هو نفسه مئونة البحث عن هذه الدوافع ، التى بينها أجـلى بيـان فى مســتهل سيرته الذاتية ، اذ يقول :

« تحكمت فى حياتى انفعالات ثلاثة بسيطة بيد انها متناهية فى القــوة : الحنيـــــن الى الحب ، والبحث عن المعرفة ، والاشفاق الشديد على الذين يقاســون ويتعذبون · ولقد تقاذفتنى هذه الانفعالات ، كالرياح العاتية فى طريق غير مستقيم فوق بحر عميــق من العذاب يصل الى حافة اليأس ذاتها ·

« تلمست الحب ، أولا ، لانه يجلب النشوة ، وهى نشوة بلغت من العمق حدا كان يمكن معه أن أضحى بمـــا تبقى من الحياة من أجل بضع ساعات من هذه السعادة · ثم تلمسته ، ثانيا، لانه يخفف الوحدة ، هذه الوحـــدة الرهيبة التى يشرف فيها الوعى الراجف على حافة عالم يدلف الى هوة باردة سحيقة ، لا يسبر لها غور ، ولا حياة فيها · ثم تلمسته ، أخيرا ، فى الرؤية التى تتمثل للشعراء والقديسين حينما ينظرون بعين الخيال الى الفردوس ، وذلك عن طريق الحب الذى يربط بين قلبين ربطا كاملا ، فيستشعران تجاوب العشاق الالهيين · هذا هو ما سعيت اليه ، وبالرغم من أنه قد يبدو أفضل مما تمنحه حياة الانسان ، فقد كـــان ـ فى النهاية ـ هو ما وجدته ·

وبنفس الدافع سعيت الى المعرفة · كنت أرغب فى فهم قلوب النــــاس ، ومعرفة السبب الذى يجعل النجـــوم تضىء · كما حاولت أن أتبين القــوة التى قال بها فيثاغورس والتى بمقتضاها يسيطر بها العدد على فيض الكائنات وقد حققت شيئا من ذلك ، ولكنى لم أصل الى الكثير ·

وقد أدى بى ذلك الحب وتلك المعرفة، بقدر ما توفر لى منهما ، الى التسامى الذى بلغ بى عنان الســـماء · ولكن عاطفة الاشفاق كانت تعيدنى ثانية الى الارض · ان صرخــــات الالم تتردد أصداؤها فى قلبى · ان وجود أطفال يتضورون جوعا وضحايا يتعذبون على أيدى الطغاة ، وشيوخ عاجزين قـد أصبحوا عبئا ممقوتا عـلى ابنائهم ـ ان وجود عالم من الوحدة والبؤس والالم لما يحيل الحياة الانسانية كما ينبغى أن تكون ـ الى سخرية للساخرين اننى أتوق الى تخفيف وطـأة الشر ، ولكنى لا أستطيع ، فاننى أعانى منـه أنا الاخـــر ·

« تلك كانت حياتى · لقد وجدت فيها ما استحق أن أعيش من أجله ، ولو منحت الفرصة لاسعدنى أن أعيشها مرة أخـرى » ·

وقد نلتمس دافعـا آخـر فى حيـاة « رسل » لا يقــل عن تلك الدوافع الثلاثة أساسية وجوهرية ـ وذلك فى مقال شائق آخر يضمه كتابه « العقل

برتراند راسل

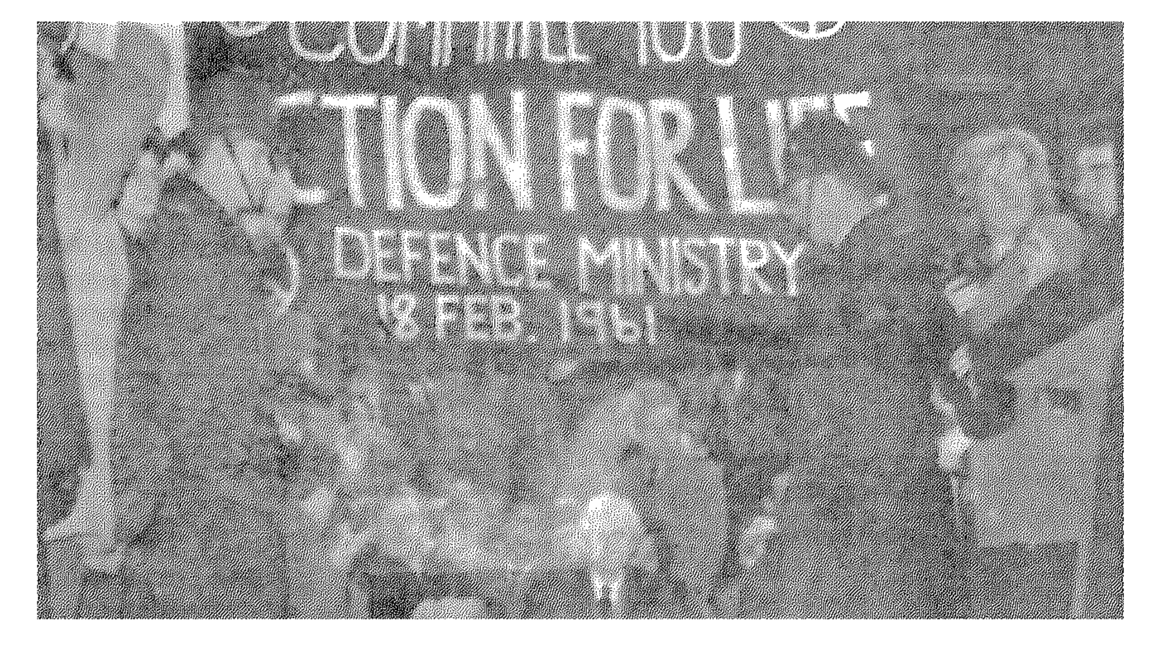
والمادة » جعل عنوانه : « لماذا تعلقت بالفلسفة ؟ » • يقول رسل انه الى جانب البواعث التقليدية التى هدته الى طريق الفلسفة ، كان منهما اثنان هما اللذان كان لهما اكبر الاثر عليه : أحدهما وأولهما وابقاهما أثرا هو الرغبة فى ان يجد معرفة يمكن قبولها على انها يقينية ، واما الآخر فكان رغبته فى ان يجد شيئا يشبع نزعاته الدينيــة •

ومهما يكن من أمر ، فاننا نستطيع ان نقول ان فلسفة رسل مرت بثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الاولى هى تأثره بالنزعة المثالية كما ظهرت فى انجلترا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على يد « ماكتجارت » واتباعه ، والمرحلة الثانية هى اهتمامه بالرياضيات وتحولهالى المنطق الرياضى بحثا عن اليقين ، وفى هذه المرحلة جاهد لاثبات أن الرياضة تقوم على المنطق وانها ليست سوى امتداد له ـ فلما بلغ هذا الهدف انتقل الى المرحلة الثالثة التى أراد فيها اختبار المشكلات الفلسفية الاساسية من خلال تطبيق مناهج المنطق الرياضى • وفى غضون هذه التجربة كان يؤمن بأن هذا المنطق قادر على حل كثير من المشكلات التى حيرت الفلاسفة على مر الزمان •

بيد أن « رسل » لم يتجاهل اثناء اجتيازه لهذه المراحل الثلاث المشكلات الاجتماعية والسياسية التى يحفل بها عصرنا الراهن ، ولم يتوان عن المشاركة فى هذه المشكلات بالكتابة حينا وبالنضال العملى حينا آخر ، ولهذا نستطيع ان نقول ان هذا الجانب العملي التطبيقى من حياته لا يؤلف مرحلة قائمة بذاتها من نشاطه ، وانما هو يتخلل حياته كلها ، ويسرى فى مراحل تطوره جميعا •

وقبل أن نتعرض بالتفصيل لتطوره الفلسفى نود أن نعرض اولا لرؤيته العامة للفلسفة ولمنهجه فى التفلسف•• فنقول بداية ان « رسل » يعد من اكبر دعاة « الفلسفة العلمية » فى عصرنا الراهن ، كما انه سمى بحق ـ من حيث المنهج الذى اتبعه ـ « امام التحليل المنطقى » •

والفلسفة عند « رسل » تتجول فى منطقة حرة بين الدين والعلم ، فهى تشبه الدين فى كونها مؤلفة من تأملات فى موضوعات لم نبلغ فيها بعد علم اليقين ، ولكنها كذلك تشبه العلم فى انها تخاطب العقل البشرى اكثر مما تستند الى الارغام سواء أكان صادرا عن قوة التقاليد أو صادرا عن قوة الوحى • ولهذا كانت الفلسفة عرضة لهجمات رجال الدين من ناحية• ورجال العلم من ناحية أخرى• والفلسفة يمكن ان تسمى علما بالقدر الذى به تفترض العلوم مقدما ، ولا تقوم للفلسفة قائمة خارج العلوم وبمعزل عنها • وعلى الرغم من ادراك الفلسفة لخصائصها المستقلة المتميزة ، فانها لا تنفصل عن العلم • وكل من يشتغل بالفلسفة أو يتفلسف لابد له ان يكون على معرفة بالمنهج العلمى • وأى فيلسوف لم يدرب على المنهج ويخفق فى متابعة الاطلاع العلمى باستمرار لابد ان يكون عمله ناقصا ، ولابد ان يتعثر وان يخلط



برتراندراسل اثناء اعتصامه سنة ١٩٦١

بين المعرفة الصحيحة النهائية وبين التخطيطات الغليظة غير النقدية · واذا لم تمتحن الفكرة امتحانا علميا دقيقا نزيها خاليا من الانفعال ، فانها سرعان ما تحترق فى نار الانفعالات والعواطف ، والفيلسوف يعلم تمام العلم انه بدون العلم فان مجهوداته تذهب سدى ·

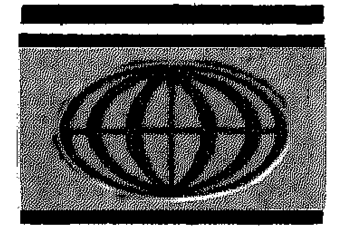
● علمية المنهج ●

بيد ان الفلسفة تفسد على نحوين : اذا انقطعت عن العلم ، واذا استغرقت نفسها فى العلم · وعلى الفلسفة ان تعرف حدودها ، وعلى العلم ايضا ان يعرف حدوده ، وتجاوز الحدود فى كلتا الحالتين غير مشروع على السواء ·

وهكذا كان « رسل » ينظر الى الفلسفة بنظرة علمية المنهج ، وكان يرى ان التحليلات المنطقية للعبارات العلمية ، بل للعبارات اللغوية بصفة عامة ، هى وحدها المجال المشروع للفلسفة والفيلسوف، واتخذ « رسل » المنطق الرياضى أداته فى هذا التحليل، فهو يتناول مشكلة جزئية واحدة لينتهى فى تحليلها الى نتيجة ايجابية ، يصح أن يأتى بعده سواه فيبنى عليها عمله ونتائجه وبهذا تصبح الفلسفة ـ كالعلم ـ صرحا يتعاون عليه السابق واللاحق فيزداد بناؤها طابقا فوق طابق ، ولا تعود ، كما كان حالها على مر القرون السالفة عملا فرديا ·

ويتحدث « رسل » عن منهجه فيقول : « منهجي على الدوام هو ان ابدا بشيء ما ، فيه غموض ولكنه باعث على الحيرة ، شيء يبدو قابلا للشك ، ولا استطيع ان اعبر عنه على نحو محدد، ومن هنا أمضى فى عملية شبيهة برؤية العين المجردة لشيء ما للوهلة الاولى ، ثم التعقيب على ذلك برؤية ذلك الشيء نفسه خلال المجهر ، فيبدو فيه عندئذ من تمايز الاجزاء ما لم يكن قد ظهر عند رؤيته بالعين المجردة اول الامر ، تماما كما يحدث حينما نستطيع رؤية الجراثيم فى ماء عكر خلال المجهر مما لا يمكن للعين المجردة ان تراه ، ان من الناس كثيرين يندسون بالتحليل ، لكننى أرى فى جلاء ـ كما هى الحال فى الماء العكر ـ ان التحليل يقدم لنا معرفة جديدة دون ان يمحو شيئا من معارفنا السابقة ··· » ·

العالم في سطور



يوركشاير :

● هنرى مور .. عبقرية الفراغ ●

توصل الفن الآشورى اكثر من غيره فى التعبير عن نقل حس الانسان من خلال النحت على الحجر أكثر من فنون أخرى عديدة .

يعتبر البعض ان هذه المقولة هى مفتاح الدخول الى النحات العالمى هنرى مور الذى توفى فى الشهر الماضى ـ أحد زعماء الحركة السريالية العالمية .. مور هو أحد أوراق شجرة وارفة الظلال تتساقط يوما وراء يوم لكنها ستظل ابدا مورقة .. ولد فى مدينة يوركشاير عام ١٨٩٨ فى أسرة فقيرة يعمل افرادها بالمناجم ومثلما هرب د . هـ لورانس الى الأدب اتجه هنرى الى دراسة الفن التشكيلى حتى أثناء فترة تجنيده ابان سنوات الحرب العظمى .

كان جل اهتمامه ان يبعث الحياة فى قطع الأحجار الصماء .. وفى كتل الخشب الصلدة ..

سافر الى فرنسا وايطاليا لدراسة كافة المدارس الفنية القديمة والمعاصرة . وفى عام ١٩٣٨ قدم معرضه الأول ثم انضم الى السرياليين واصبح واحدا منهم يدافع عن مبادئهم وكان مميزا وسطهم خاصة ان قلة



هنرى مور

من السرياليين قد اتجهت الى النحت

نال مور العديد من الجوائز الهامة منها الجائزة الدولية للنحت التى منحت فى بينالى فينسيا عام ١٩٥٣ ثم جائزة النحت التى منحها بينالى سامو باولو عام ١٩٥٥ .

وتتميز أعمال مور بالاهتمام بعنصر الفراغ أكثر من التكوين نفسه . لأن الفراغ ـ حسب رأى الفنان ـ تكوين أكثر ابداعا من الجسد الصلب .. من أهم أعماله العذراء والمسيح .. (خشب) » وثلاثة راقصين « ، » جلسة عائلية « اما تمثاله الشهير »الهيكل النائم« فقد أهداه لمنظمة اليونسكو عام ١٩٥٨ وهو يرمز الى اصرار الانسان على النهوض مهما اشتدت الاسباب التى تدعو الى الركود ..

من أبرز سمات هنرى مور انه كان يدقق ـ الى حد كبير ـ عند اختيار الحجر والنموذج عند النحت .

الرباط

● التاليف على كبر .. ليس كالنقش على الحجر ●

هل يمكن ان تتصور أن شخصا عاديا يعيش بعيدا عن الأدب سنوات طويلة ثم تنتابه - فجاة وبدون مقدمات - صرعة الابداع فيؤلف اولى رواياته وهو فى الثالثة والستين .

حدث هذا للكاتب المغربى اومون عمران المالح - ٦٨ عاما - الذى نشر خلال السنوات الخمس الأخيرة ثلاثيته الروائية التى كان أخرها رواية "الف عام ويوم" باللغة الفرنسية تتناول كلها أحوال اليهود والمغاربة وعلاقتهم بالآخرين من حولهم ..

فنسيم بطل الرواية الأخيرة هو أوليس العصر - كما يصوره الكاتب - انه أحد اليهود الذين آثروا البقاء فى المغرب وعدم الهجرة الى اسرائيل .. فاليهود المغاربة يعيشون فى وئام أو كما يقول الكاتب « لا يقوم هذا الكتاب على تعريف الشباب اليهود بما لا يعرفونه من تاريخ التوافق العنصرى فى المغرب . ولكنه يقوم على تعريف كل شباب المغرب" .

رحل نسيم - والكاتب - مثل الكثير من الشباب المغربى الى فرنسا بحثا عن فرص للعمل ولم ينقطع أبدا عن مدينته الإم انه أوليس دائم للتنقل بين الموانىء الصغيرة والجزر المترامية الاطراف لذا فإن الكاتب يقول فى نهاية روايته « لم يكن نسيم تائها قط حسبما أعرف . ولم يكن تائها حيث توجد رمال المنفى ولكنه اهتم بسحابة تكشف عن نصاعة الاشياء تسير بخطى متساوية . وهى تغنى أنشودة تعبر عن كل ذكريات الماضى ..

وعلى لسان بطله نسيم يقول الكاتب . « آه من حرب لبنان ! من أيام يونيه ، من ايام الصيف تحت شمس باريس الساخنة التى أصابتها الزرقة من جراء العنف الحار . ثم علينا أن نتساءل هل هناك جدوى من هذه الحرب ؟ »

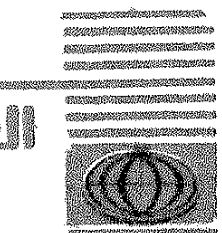
تيرانا :

● اسماعيل قدرى .. قائدا للسلاح الميت ●

احتفلت البانيا فى الشهرين الماضيين بكاتبها المعروف اسماعيل قدرى بمناسبة بلوغه سن الخمسين .. انه أحد الكتاب

مشهد من فيلم قائد السلاح الميت





الشموليين الاكثر قراءة خارج بلاده .. وهو الاسعد حظا في الفترة الاخيرة من كل ابناء جيله فمنذ ثلاثة اعوام انتجت له السينما الايطالية احدى اشهر رواياته « قائد السلاح الميت » بطولة مارشيللو ماستروياني وميشيل بيكولي .

اسماعيل قدري شاعر روائي .. وناقد أدبي من أهم رواياته "طبلة الشتاء" ، "يوميات مدينة الحجر" "الشتاء الطويل" "سقوط الالهة" "جسر الاقواس الثلاثة" كما اصدر مجموعة قصص هي "مدينة الجنوب" ثم "من جلب دورنتين" التي صدرت في يناير الماضي ..

« يقول قدري في الحديث الذي اجرته جريدة لوموند « عرفت دائما ما كنت اصبو اليه ، ففي سن العاشرة قرأت "ماكبث" واحببت حكايات الاشباح ، نشرت اعمالي في سن مبكرة فعندما بلغت السابعة عشرة كنت قد نشرت اول دواويني ، أنهيت دراستي في مدينتي جيروكسترا الاكثر شهرة من العاصمة تيرانا . ثم التحقت بالجامعة التي ارسلتني الى معهد ادب كجوركي في موسكو » .

ويقول : « كانت موسكو مدينة كبيرة ، لم ار لضخامتها نظير . وسبحت في لغة قومها .. وفي الآداب المكتوبة بهذه اللغة »

وتنبع أهمية قدري عند القارىء الغربي في أنه شن هجوما ضاريا في رواياته ـ ضد النظم العسكرية الفاشية والدكتاتورية . ورغم ذلك فانه لم يقترب من نظام الزعيم الالباني أنور خوجا بالمرة .. واذا سأل عن وضعية الأديب في بلاده يرد بحذر :

« يجب أن تطور البانيا قوانينها وادارتها وسجونها ومحكمتها . وكل الأجهزة الادارية . وهذا ماحاولت أن أكشفه في كتابي الأخير » .

بكين :

● الثورة الثقافية بعد رحيل ماو ●

السؤال الذى تردد في التاسع من سبتمبر الماضي هو : هل تلك الاحتفالات لصالح الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج .. أم ضده ؟

تضاربت الأقوال والآراء حول أهم شخصية حكمت الف مليون نسمة قرابة نصف قرن بمناسبة الاحتفال بعشر سنوات على رحيله .. ماوتسي تونج .. زعيم سياسي .. اكتسب اهميته من نظرياته السياسية والاقتصادية والثقافية التي سجلها في العديد من الكتب . فلم يعد مجرد زعيم بلا نظرية .. كان شاعرا وفنانا . وصادق العديد من ادباء الصين والعالم مما اكسبه أهمية أكثر .. كتب عن هان سوين مجموعة من الكتب والروايات وعن المسيرة الطويلة التي قام بها مع زملائه عام ١٩٣٤ كتبت سيمون دى بوفوار كتابا ضخما بنفس العنوان حاولت فيه تحليل افكاره وتجربته الثورية .

ولد ماو عام ١٨٩٣ في اسرة قروية فقيرة درس في جامعة بكين حلم دوما بمجتمع يقوم على النظام الاشتراكي . كان أول

اعضاء الحزب الشيوعى الصينى الذى اقيم لاول مرة فى شنغهاى عام ١٩٢١ .
فى أواخر العشرينات جهز الجيش الاحمر الذى جذب اليه ابناء الفلاحين وعرفت حركته بمسيرة الفلاحين فى الحرب العالمية الثانية على التعاون مع الكومنتانج ولكنه استأنف الحرب الأهلية بعد انتهاء القتال عام ١٩٤٦ ، اختير رئيسا لمجلس الحكومة المركزية لجمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ داخل اطار مايسمى بالثورة الثقافية ترك رئاسة الدولة عام ١٩٥٨ ليظل زعيما صينيا أبد الحياة .. من أهم كتبه "الممارسة" .

من جديد فان البعض يسعى الى تحطيم الهالة التى صنعها ماو لثورته ولنفسه وتنجح وسائل الاعلام الغربية فى احداث هذا التحطيم يوما وراء آخر ويبقى ماو مجرد تمثال مغلف بورق "سلوفان" .

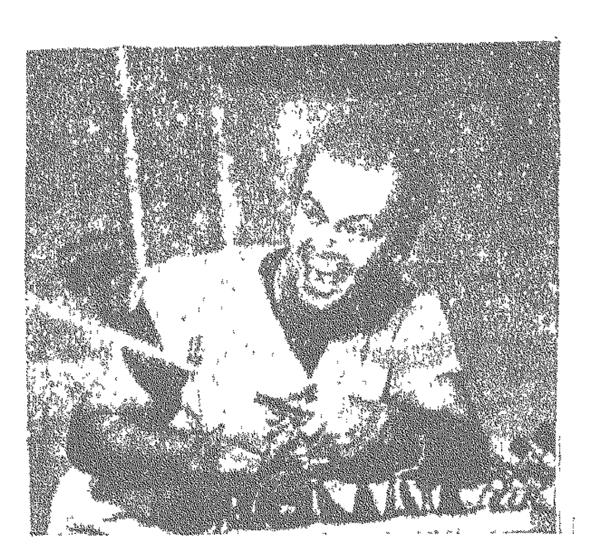
واشنطن :

● وأصابت الكاتب عقدة مكمورفى ●

حين يفشل اديب يتحول الى كاتب مقال ..

يمكن لهذه المقولة أن تثار .. ليس فقط بالنسبة لبعض أدبائنا الذين تحولوا عن الابداع الى كتابة المقال .. بل انه ينطبق تماما على كين كيزى .. الذى قيل عنه فى عام ١٩٦٢ حين نشر روايته المشهورة "طار فوق عش الوقواق" ان هناك كتبا تجىء مبكرة عن زمانها فى عالم لم ينضج بعد لاستقبالها ..

وبالفعل فقد كان على العالم أن ينتظر كيزى لمدة خمسة عشر عاما باكملها حتى



طار فوق عش الوقواق

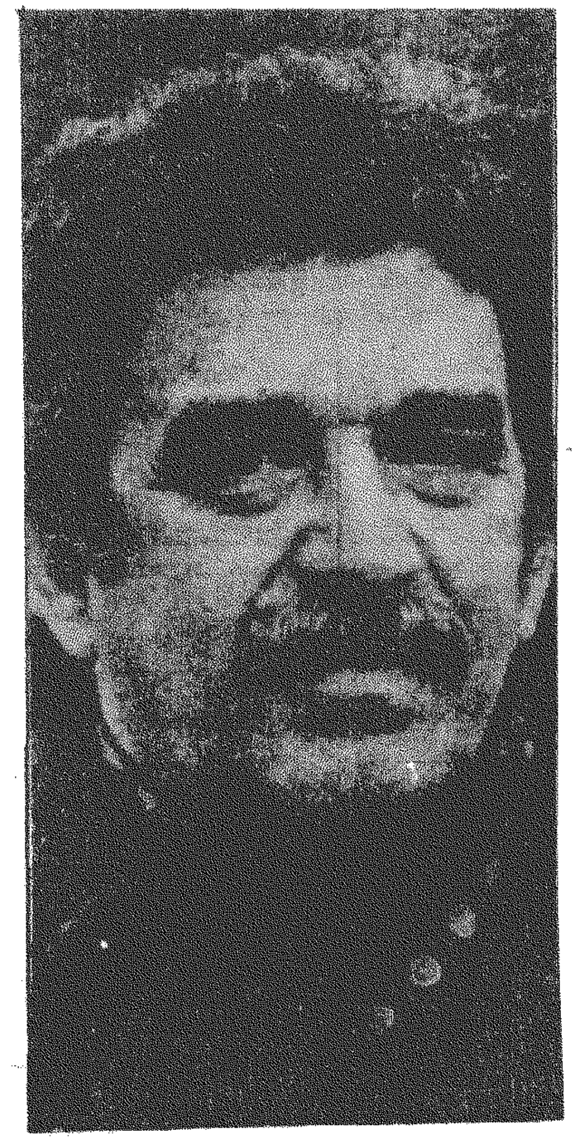
يمكنه أن يفهم موقف مكمورفى بطل الرواية الذى دخل مستشفى المجانين وكان أكثر عقلا من الآخرين .. ولو أن المخرج السينمائى ميلوس فورمان لم ينتبه الى عبقرية هذه الرؤية لأمكن تأجيل الانتظار الى أجل مسمى .. فكيزى هو أحد الادباء الأمريكيين الذين يعيشون فى الظل .. فهو أقل انتاجا وشهرة .. من رواياته الأخرى "أحيانا فى أمة عظيمة" عام ١٩٦٤ والتى أخرجها بول نيومان للسينما عام ١٩٧٢ ..

أين اختفى كين كيزى . هل لم يعد لديه الجديد ليقدمه لقارئه خاصة أن فترة توقفه عن الابداع قد طالت .. أحس الكاتب أن عليه أن يفعل شيئا مابعد أن ثقل ظل النسيان عليه ، فقام بجمع مجموعة من المقالات التى نشرها ـ فيما قبل ـ فى مجلات عديدة فى كتاب "صندوق الشيطان" تحدث فيه عن ذكرياته الخاصة ـ بادباء وفنانين مثل جاك كيرواك .. كما تحدث عن رحلاته الى مدن عديدة منها القاهرة وبكين .. لكن هل يكفى مثل هذا الكتاب ـ حتى وإن كان ضخم الحجم ـ أن يعيد الى الاذهان اسم كيزى .. ويغفر له أنه أجدب تقريبا ولم يعد فى مقدوره أن يقدم روايات من طراز "طار فوق عش الوقواق" .. ربما اصابته عقدة مكمورفى ..

ماركيز يدافع عن العرب

المهاجر.. الفنان.. الديكتاتور

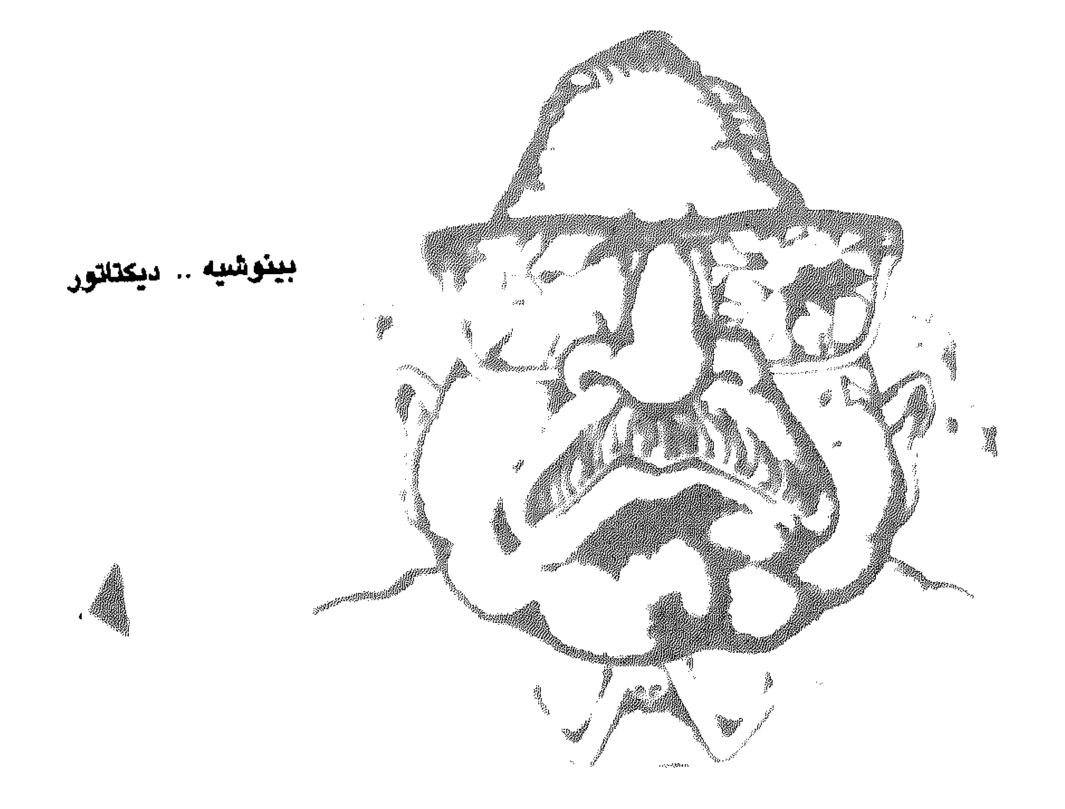
بقلم: محمود قاسم



ماركيز المهاجر ..

انهم قوم طيبون .. يعيشون فى سلام ويحترمهم ابناء القرية.

بهذه الجملة القصيرة عبر الاديب الكولومبى جابرييل جارثيا ماركيز عن شعوره النبيل تجاه الشخصية العربية فى رواية ((احداث موت معلن عنه)) التى يخرجها الان سينمائيا المخرج الايطالى فرانشيسكوروزى فى احد اصعب وامتع النصوص الادبية التى اخرجها على الاطلاق كما يقول .. هذه الشخصية التى اصبحت محور هذه الرواية وبالتالى الفيلم الذى سيكون حديث كل الاقلام مع العام القادم ..



بينوشيه .. ديكتاتور

واذا كان ماركيز قد كتب روايتــــه منذ ست سنوات ، فان احــدث اعماله « مغامرة فى شيلى » تتحدث ايضا عن العرب بنفس الصورة .. بل ويحــــب اكثر واحترام العمل من خلال الفيـــلم السينمائى الذى قدمه ميجيــل ليتين .. فسنتياجو نصار فى « احــداث موت معلن عنه » هو احد العرب المهـــاجرين الى أمريكا اللاتينية واقاموا فيهـــا ثم اصبحوا من ابنائها وهو كما يصـــفه الكاتب « صاحب رموش عربية وشعر مجعد ورثه عن ابيه » أسرة عربيــــة صغيرة عمادها الاب ابراهيم نصار الذى وصـــل الى كولومبيا « مع مجموعة من العرب بعد نهاية الحرب الاهليه » .وهذا النصار ـ كما جاء على لسان الخادمة دينا فلور ـ « رجل لن يولد مثله بعــد الان » . وقد بنى ابراهيم بيتهالصغير المطل على البحيرة على الطراز العــربى كى يسمع هدير امواج البحر ، وقد مات ابراهيم قبل ان يقتل ابنه سنتياجو فى الحادية والعشرين عاما بثلاث سنوات ، وحول حدث القتل المعلن عنه يصـــوغ الكاتب روايته عن احد اقرب صـــداقة الصبا اليه. انها اذن روايةلتكريم صديق مات غدرا . حين ادعت عروس القرية ليلة عرسها ان سنتياجو هو الذى فض بكارتها .. ودفع الشاب العربى ثمن هذهالكذبة الملفقه ، وراح ماركيز يفتش طوال ربع قرن عن ملابسات الجريمة واسبابهـــا وابعاد الصلق فيها .. لرجع الى دفاتر التحقيق لتاكيد براءة سنتياجو منالتهمة التى الصقتهــــا به العروس ثم سرد التفاصيل التى ارتبطت بمجموعة القتل .. من خلال اقوال الشهود ومواقفهــم حيث كانوا يعرفون ان الاخوين بيـكارو سيقتلان سنتياجو ولم يســع اى منهم لاطلاق صيحة تحذير واحدة ..

سنتياجو نصار رمز الشخصية العربية عند ماركيز هو شاب ملىء بالحيـــاة والحيوية والعطاء تحبه بنات القـــرية ويطلبن وده . كان يحتفظ بخفة روحه. وقد اشار الجميع انه كان يبدو اقــل تكلفة حين كان يـبدو فى غاية الاناقة .. هو « الابن الوحيد لثمرة زواج عرف لم يعرف لحظة سعادة واحـدة . لكنه كان يبدو سعيدا مع ابيه حتى اخر لحظـــة فى حياته .. وقد تعلم من ابيه منذ ان

ماركيز يدافع عن العرب

كان طفلا صغيرا .. القدرة على استخدام الالعاب النارية وحب الجياد . وشموخ الطيور التي تحلق في اعلى السماء .وتعلم منه ايضا قيمة الفنون الجميلة وضحكة كبار السن كانا يتحدثان اللغة العربية فيما بينهما . لكن هذا لا يحدث امام بلائين الينيرو حتى لا تشعر انها منعزلة منهما » .. وكما جاء في تقرير الطبيب الشرعي فان الاب اامادور قد قال « ان سنتياجو نصار كان يتمتـــع بذكاء حاد وعزيمة قوية ..

وتقول الرواية عن سنتياجو فيمكان اخر من الرواية « كان اكثر سموا من انيفكر في فتاة كهذه .. كان رجلا قوى الحس .. يسير وحده مثل ابيه ولا يعير بخيلائه مثل هؤلاء الفتيات العذارى ، ولم يحدث ان كانت بينه وبين فتاة علاقة تقليـدية سوى علاقته بفلورا ميجيل خطيبته .

اما اخر رواية دفع بها ماركيز الى المطبعة تحت عنوان « مغامرة في شيللى » فهى عن شخصيه حقيقية اخرى عنالمخرج ميجيل ليتين . وهو صديق اخر لماركيز سبق له ان اخرج احدى قصصـــــه القصيرة في فيلم يحمل عنوان « الارملة مونتيل » عام ١٩٧٩ . وميجيل لم يمت رغم انه تجاوز السن الذى قتل فيـــه سنتياجو نصار . لكنه فنان يعانى من المنفى حين نفاه نظام الجنرال بينوكيـه بعد الانقلاب الدامى في شيللى عام ١٩٧٣ ومنذ ذلك الحين وهو يناضل ضده . ووجد ماركيز ان كتابه عن ليتين يجبان يكون على نفس مستوى كتابه عن صديقه نصار .

وينتمى ميجيل ايضا الى الاســـرات العربية المهاجرة الى امريكا اللاتينية . فأبوه ارنستو هو احد اليونانيين ذوى الاصل التركى الذى وجد نفسه تقـــله سفينة لا يعرف اتجاهها وفوق ظهـــرها كانت تبحر اربعين فتاة فلسطينيـــة في طريقهن الى امريكا اللاتينية . للحـــاق بازواجهن ان اسرهن فاحب احــــداهن وقرر الزواج بها . وكان ميجيل هو ثمرة هذا الزواج الذى ولد في باميللا في ١٩ اغسطس عام ١٩٤١ . وقـــد عرف ان ارنستو قد غير اسمه الى سليمان، وكان حريصا ان يتعلم اللغة العربية منزوجته لذا فان ميجيل قد تربى في جو يتـــكلم اللغتين العربية واليونانية معا . انهاقرب الى الجو الذى عاشفيه سنتياجو نصار.

وقد ظلت طفولة الفنان مصدرا خصبا دوما في كل اعماله .. ولاحـــظ النقاد مدى اهتمام ميجيل بعالم الطفولة في هذه الافلام دون استثناء .. هذا الطفلالابدى الذى يعيش في مزيج اجتماعى غير متـاصل .. فاما عليه انينحرف او يغدو عبقريا.

اخرج ميجيل ستة افلام روائيـــة في ســـــبعه عشر عاما . نالت جميعها كما هائلا من الجوائز في كافة انحاء الاركان التى عرضت بها على المستوى الرســمى والشعبى . واغلب هذه الافلام تماخراجها في المنفى عدا فيلمه الاخير حين تسلل ـ بطريقة غير قانونية ـ الى سنتياجـــو ليصوره بالكامل مثلما فعل زميـــــله التركى يلماظ جوناى في اخر افـــلامه « الحوارى » . وهما فيلمان ضـــــد الديكتاتورية والحكم العسكرى ومساوئه.

من أهم الافلام التى قدمها ميجيل : « ابن اوى في مدينة فولتيرو » ١٩٦٩ ، « الســيد الرئيــس » ١٩٧١ ، « ارض الميعاد » ١٩٧٣ ، « رسائل من ماروسنيا » ١٩٧٥ ، « استجماع الاساليب »١٩٧٧

« الارسلة موثديل » ١٩٧٨.. و «السينو» وطائر الكوندور » .

يقول ميجيل فى الحديث الذى اجرته معه مجلة اكران فى نوفمبر ١٩٨٠ حول الاسباب التى دعته الى اخراج احدى قصص ماركيز : « كمؤلف فى المنفى . حاولت ان اجد عالما اكثر رحابه من ذلك الذى بلغته انذاك . فعند هذا الحد كنت قد قرات واعدت قراءة كل الادبيات الكلاسيكية فى امريكا اللاتينية ومحاولة اكثر للفهم اننى أعيش او اعرف . ومن هنا رأيت ضرورة نقل مثل هذه الاقصوصة الى السينما .. وهذا الفيلم — حسبما جاء على لسان مخرجه — يشير الى واقع نضالى ضد نظام قهرى عندما يكشف فساد السلطة وآلية الديكتاتورية السياسية فى امريكا اللاتينية . « الفيلم عنصر سياسى مساعد وانا أشير فيه الى الشعر والامل لان نكون بشرا . فيلم شاعرى .. يتناول الظروف الانسانية والحياة وهكذا اصبح فيلما سياسيا ..

من المهم ان نشير ان ميجيل ليس فقط مخرجا صاحب موقف سياسى واجتماعى بل ان موهبته البالغة التوقد تساعده فى ان يكسب لهذه القضايا شكلا فنيا رائعا وقيمة نضالية . ففى فيلم «رسائل من ماروسيا » يسيطر تماما على حركته من مجاميع الاهالى فى ايقاع متصاعد . وكأن بركانا يثور ليغمر كل شيء . وقد استعان بأبناء قرية صغيرة أجرى فيها التصوير كى يقوموا بدورهم الحقيقى . لان القرية قريتهم وليست خاصة بمجموعه من الكومبارس كان عليه ان يستعين بهم لو شاء صنع فيلم على الطراز الامريكى .

يؤمن ليتين بأن السينما — شأن اغلب الفنون — جذور قوية فى علاقته بالسياسة ومحاربة الديمقراطية . ففى شيللى تسعى السلطة الى اقتلاع جذور البشر . وعلى السينما ان تظل رسالة حب يمكن ان يسطرها — بين الحين والحين الاخر — الى بلاده . هذه البلاد التى عاد اليها متخفيا لاخراج فيلمه الأخير . وهى وهى نفس البلاد التى ذهب اليها ماركيز ليعد روايته عن هذه المغامرة البالغة الجساره .. وفى هذه الرواية التسجيلية يقول ان ميجيل قد تغير فى اشياء كثيرة عدا لون عينيه الشرقيتين مثلما تحدث عن عينى سنتياجو نصار .. فعيون ميجيل تنظر الى الاشياء من خلال كاميرا بوجهة نظر مليئة بالصدق . تتطلع الى الاخاديد فى وجوه الاخرين تتساءل كيف تحملت هذه الوجوه ديكتاتورية بينوشيه كيف رضخت او ثورت . مما زاد من كثافة تجاعيد ابناء المدينة .. واكتست ابتسامات الصغار صفرة باهتة .. بل بدت بنايات المدينة المزدحمة خاوية من الحياة .. وامتلات المقابر بدماء جافة لاكثر من اربعين الف متمرد ضد نظام الديكتاتور . فغدا هؤلاء الناس اقل كلاما . وتحجرت عيونهم بتطلعها بعضها الى السماء . يخترق البنايات نحو الافق . وهذا حسب تعبير الفنان — هروب من الواقع الى طوبوبة مزيفة .

يقول ميجيل فى العدد رقم ١٥٩ من مجلة « جون سينما » التى صدرت فى يونيه ١٩٨٤ « من حقى ان اعود الى شيللى . ولم اتخذ اية اجراءات تجاه العودة بصفة رسمية الى هناك فالعودة الان الى شيللى لن تسمح لى فى الاشتراك باى مساهمات فى الحياة الثقافية . لان شيللى التى نعرفها من خلال البطاقات السياحية لاتهمنى .. ولكن ترابها . والعطور التى تنبعث من هذا الاديم الذى مات فوقه سليمان ليتين » .

وفى الوقت الذى نشر فيه هذا المقال كان ميجيل يتسلل خلسة الى بلاده بجواز سفر مزيف وهو يردد . ليس من حق احد ان يمنعنى من العيش فى بلدى باسمى الحقيقى وبوجهى الحقيقى .

مسلسل اكتشافات هرم خوفو

● معلومات ودراسات أجراها الفرنسيون قبل عودتهم فى ديسمبر القادم

بقلم : أحمد أبوكف



فجاة أصبح الهرم الاكبر حديث الناس ..
الصحافة العالمية ومندوبو الاذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء ، رابطوا عند صخور الهرم .. انتظارا لما ستسفر عنه اعمال البعثة الفرنسية ، التى جاءت أصلا لدراسة معمار هرم خوفو .. فتطورت الدراسات إلى محاولات لفك الكثير من الألغاز ، ولازاحة الستار عن مجموعة من الاسرار .

المهندسان الفرنسيان اللذان اكتشفا الفراغات والدهليز الجديد

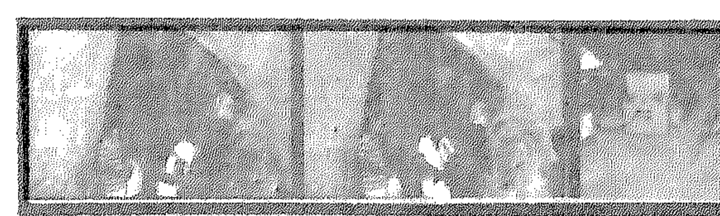
والحكاية انه منذ ٣ سنوات ـ كما يروى د احمد قدرى رئيس هيئة الأثار ـ عرض عليه الفرنسيون دراسة معمار الهرم الاكبر من الداخل وترميم مايمكن ان يوجد به من شقوق . وقدموا مشروعا متكاملا لرئيس هيئة الأثار . واكدوا له ان المهندسين والجيولوجيين وغيرهم ممن سيعملون فى الهرم ، عكفوا على دراسته لمدة ثلاث سنوات . قرءوا أغلب ماكتب عنه وهو كثير .. واهتموا اكثر ما أهتموا بتلك الدراسات والقياسات التى سجلها فى عام ١٨١١ الايطالى كافيجليا . ثم فى عام ١٨٣٧ قام اثنان هما فيز وبرنج بفحص شامل للهرم وكتبا عنه تقريرا بعد أن سجلا مقاييس صحيحة له تعتبر مرجعا هاما حتى الان .

درس الفرنسيون ايضا ماكتبه فلندر بترى عام ١٨٨١ ، واهتموا بما سجله فى كتابه ، بعنوان : « اهرامات ومعابد الجيزة » ، كذلك درسوا ماكتبه وسجله سليم حسن ، وبعثات كثيرة اهتمت بعضها بالقياسات واخرى بالتاريخ والآثار .

● غموض الهرم الاكبر ●

وقبل ان نتناول التجربة التى بداها الفرنسيون منذ ٢٨ اغسطس الماضى نقول : أن هرم خوفو هو احدى عجائب الدنيا السبع وبرغم جاذبية الهرم كاكبر مقبرة عالمية ، واهم معمار فى التاريخ فإن صاحبه خوفو لايعرف المؤرخون ولا الاثريون عنه إلا القليل . فهو ابن سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة الفرعونية « ٢٦٨٠ ق . م . » وامه هى الملكة حتب حرس التي كان دمها ملكيا واسبغت على سنفرو شرعية ولاية العرش بزواجه منها وقد عثرت بعثة متحف بوسطن على مخبا اثاثها الجنائزى فى جبانة الجيزة عام ١٩٢٦ ويحتل هذا الأثاث الجنائزى حجرة كاملة بالمتحف المصرى .

ومن المؤكد ان خوفو قد تزوج كثيرات



مسلسل اكتشافات هرم خوفو

وانجب بناتا وبنين . وهو ليس اول بان للاهرامات فهرم ابيه سنفرو كان قبله ، ويكاد يكون نسخة غير مطورة من هرم خوفو . وقبلهما كانت هناك مشروعات اهرام كثيرة وقد عنى خوفو باستغلال مناجم سيناء والنوبة ، والصحراء الشرقية واستخراج مافيها من ثروات معدنية . وكانت الناس تتبرك به ، وتعتقد ان مجرد نقش اسمه على تميمة يحملونها ، فإن الارواح الشريرة لن تصل اليهم . ولقد اكتشفت كثير من الجعارين المنقوش عليها اسم خوفو .

ولاشك كما يؤكد الكثيرون ان خوفو كان حاكما قديرا ونشيطا ازدهرت مصر في عهده ووصل الفن والعمارة الى اعلى درجاتهما . وكان ملكا مقدسا يعشقه شعبه برغم محاولات البعض تشويه سمعته ، والقول بانه سخر الناس في بناء هرمه . والحقيقة انه كان اول من قضى على البطالة من الحكام في العالم .. فهو كان يتيح فرصا للعمل في وقت الفيضان في هرمه لمدة عشرين سنة . وكان وقت الفيضان بطالة اجبارية عند الفلاحين المصريين .

● دراسات مقارنة ●

ما الذي فعله الفرنسيون ؟!

الفرنسيون الذين عملوا في الهرم كثيرو العدد منهم المهندس المعماري ، والمهندس الانشائي ، ومنهم عالم الميكروبيولوجي ومنهم خبراء الأجهزة مثل الميكروجرافي والاندوسكوب واجهزة شفط الهواء وثقب الصخور ، ومنهم مؤرخ وعالم اثار . والاخيران انضما للبعثة الفرنسية في وقت لاحق .

منذ بداية العلم وحين وافقت هيئة الاثار من خلال لجنتها الدائمة للاثار المصرية القديمة ، والتي تضم مجموعة من كبار اساتذة الاثار في الجامعات المصرية وخبراء الاثار والمرممين والمهندسين من هيئة الاثار . هذه اللجنة وافقت في البداية على ان يجرى الفرنسيون قياسات وفحوص لقلب الهرم . شهدوا مناطق بها شروخ ، كما شهدوا مناطق جرداء . اجروا دراسة معمارية وقارنوا بينها وبين الدراسات المعمارية القديمة ، والدراسات التي اجريت داخل الأهرامات الأخرى ووجدوا في بعض المناطق طريقة بناء تخالف تلك الطريقة التي بني بها الهرم كله .. وهي طريقة طوبتين ، ثم طوبة واحدة . وكان الفراعنة لديهم مقياس الذراع ويساوى ٥٥ سنتيمترا . فكانوا يضعون « طوبة » طولها ذراعان ، وبجانبها « طوبة » طولها ذراع واحد في بعض المناطق ، لكن داخل الهرم ، وفي مناطق معينة لم يكن المعمار بمثل هذه الطريقة التقليدية .

اجرى الفرنسيون قياسات ، بجهاز الفوتوجرامترى .. وهو ادق اجهزة القياسات ، وقارنوها بما لديهم من دراسات اتضح ان الفراغات للتخفيف هي عبارة عن غرف صغيرة او كبيرة ، استخدمها المصرى القديم لهدف خاص . ايضا قالوا إن اختلاف المعمار لابد ان يكون له سبب .

فحصوا الشكل الجمالوني لمنطقة قمة الهرم ، كما فحصوا مايسمى بالعمارة

المنزلقة واجروا قياسات من مركز الهرم إلى المحاور ، فوجدوا ان كل شيء يجرى بتنسيق تام ، وان التعامد يكاد يكون منطبقا على كل الزوايا .. وأن الفراغات لها منطق .

بعدها طلب الفرنسيون من هيئة الاثار ، ان تسمح لهم بمزيد من القياسات والدراسات .. كما تسمح ببعض اجهزة الاشعة الترددية لمعرفة عما اذا كان قلب الهرم مصمتا ام به غرفا او فراغات وقالت الاشعة انه توجد فراغات لكن هذه الاشعة لم تقل كم عددها . إنما حددت مواقع بعضها ..

وهنا جاءت فكرة ثقب الهرم بعدة ثقوب وقد قال الفرنسيون بان تكون هذه الثقوب فى طريق الممر الصاعد إلى الغرفة المعروفة ، باسم غرفة الملكة ، وكان المؤرخون والمعماريون من قديم يقولون انها غرفة خوفو ، لانهم وجدوا فيها تابوتا كبيرا من الجرانيت فقط ، ولم يجدوا فيها شيئا غير ذلك .

قال الفرنسيون إن فتحة المامون او قل الثقب الكبير الذى وافق المامون العباسى على إحداثه بالهرم اعتقادا منه ان به كنوزا من الذهب .. هذا الثقب الكبير ليس هو مدخل الهرم الأصلى ، وإنما المدخل فى منطقة اخرى فوقه إلى اليسار . بل قال الفرنسيون إن هذا المدخل الاصلى يؤدى إلى غرفة اخرى هى غرفة خوفو ، والتى لم يكشف عنها ..وهى ـ كما قالوا ـ انها فى نهاية دهليز جديد غير معروف يؤدى إلى هذه الغرفة الملكية التى لم يكشف عنها بعد .

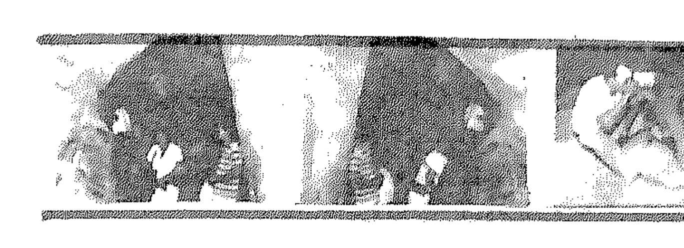
وقالوا ايضا إن نهاية الدهليز تاتى إلى قلب الهرم ، وإلى المنطقة التى اجروا فيها قياسات ودراسات ، وتختلف عمارتها عن باقى عمارة الهرم . بل إن نوعية الطوب فيها غير نوعية طوب بناء الهرم . فهذا الجزء وجد الفرنسيون ان الطوب فيه من محاجر طره . وقال المؤرخون والاثريون نتيجة لذلك إن هذه النوعية من الطوب مخصصة للمبانى الملكية كالدهاليز والغرف الملكية . وطوب طره يمكن تشكيله بسهولة ، كما يمكن نقشه ايضا وتلوينه .

بعد قياسات .. للمرة العشرين ودراسات .. بدأ الثقب فى الجانب الايمن فى نهاية الدهليز المؤدى لغرفة الملكة ـ تجاوزا ـ ثم حددوا اكثر فقالوا ليس على الجانب الايسر غرف او فراغات ثقبوا فى الجهة اليمنى ثلاثة ثقوب صغيرة فى منطقة طولها ٢٥٠ سم . كل ثقب يبعد عن الاخر مترا وربع المتر . وجدوا فى الثقب الأول ، ان المثقاب يمر بحجارة سمكها ذراعين . ثم يمر بطبقة مونة عرضها ٢٥ سم ، وبعد طبقة رمال عرضها ٢٥ سم . الثقب الثانى لم يسفر عن وجود مونة كالثقب الاول .

اما الثقب الثالث فاسفر عن صخر ، ثم طبقة رمال كثيفة جدا لونها اصفر .. وتصل إلى حوالى ٢١٢ سم .. وتوقف الثقب عند هذا الحد ، حتى لايغوص الفرنسيون فى مجرى الرمال .

الحقيقة ان البعثة الفرنسية ـ وحتى الاثريين المصريين ـ ذهلوا لوجود الرمال التى اتضح انها رمال ناعمة ، وتختلف عن رمال هضبة الهرم . وهذا يعنى ان الرمال جلبت إلى الهرم من نقطة نائية لهدف ما .. ليس هو الهدف الذى قاله البعض بان قمة الهرم ـ ثلثه الاعلى تقريبا ـ مملوءة بالرمال فقط .

وقد ادخل الفرنسيون جهاز الاندوسكوب (وهو مثل المنظار الكهربائى) ليحاولوا اكتشاف طبقة الرمال وملحولها . لكن المونيتور (أو شاشة المنظار) لم تدل على شيء .. هذا مع العلم ان كل ثقب من الثقوب الثلاثة كان بزاوية ميل تختلف عن الاخرى . فالأول بزاوية ميل ٤٠ درجة .



مسلسل اكتشافات هرم خوفو

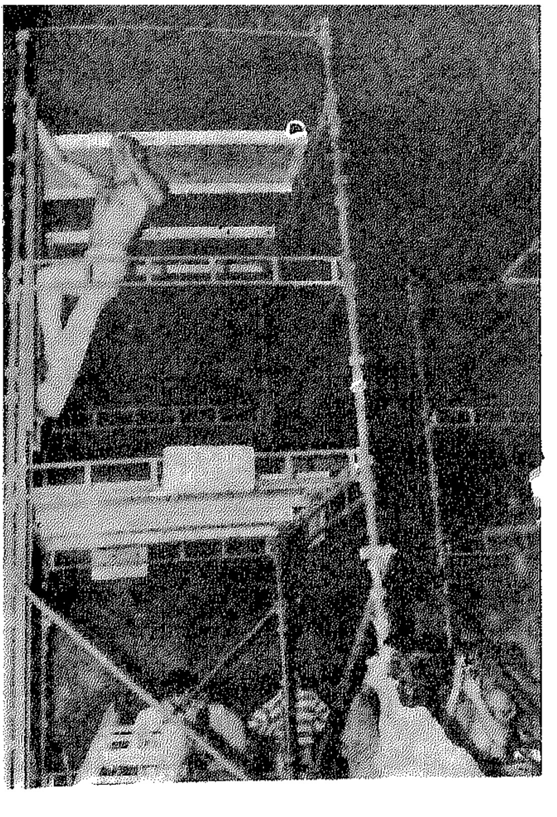
والثانى بزاوية ميل ٣٠ درجة ، والثالث بزاوية ميل ٣٥ درجة .

والواقع انه فى فترة الـ ١٥ يوما الاخيرة التى عملت فيها البعثة الفرنسية .. كانت الدراسات والقراءات وحتى الثقوب تنقل اداء البعثة الفرنسية من لغز إلى اخر .. ومن محاولة إلى محاولات اخرى وهكذا .

لكنهم قبل ان يتوقفوا عن العمل يوم ٨ سبتمبر الماضى لالتقاط الانفاس ، ولمزيد من الدراسات حاولوا وضع نقاط على الحروف سيجرى بحثها فى فرنسا من خلال الاجهزة المتقدمة .

من هذه النقاط بالطبع ان الثقوب دلت على شىء هو ان الرمال والمونة .. اثبتا ان هناك فراغات كبيرة لم يتحدد عددها . وأن هناك سردابا اخر للهرم وقالوا ايضا ان احد الفراغات الاكيدة قد تكون غرفة خوفو بها مومياته وان الفراغات الاخرى احتمال انها تحوى اثاث الفرعون الجنائزى .

ايضا فإن مايهم الفرنسيين كذلك هو اخذ عينة من الهواء الغلاف الجوى القديم ، واثر البيئة القديمة فى تلك الفراغات لمحاولة معرفة تكوينات البعثة القريبة على الانسان وعلى الاثار .. وكيف تطور الغلاف الجوى وإلى اى مدى زادت نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو .. ونسبة الجير فى قيعان المحيطات .



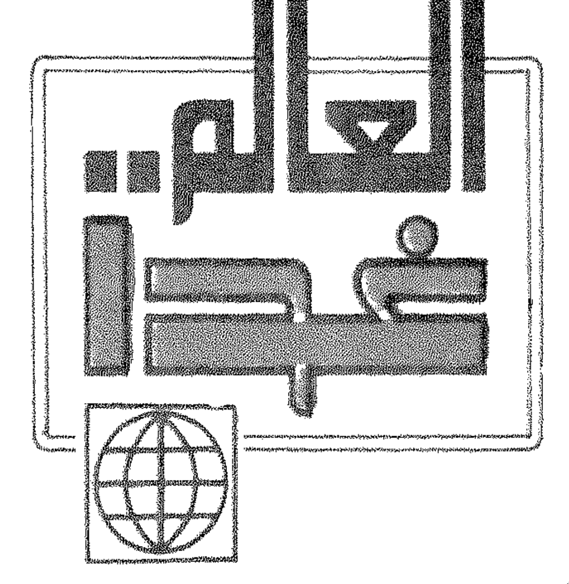
السقالات داخل غرفة الدفن المعروفة باسم غرفة الملكة

المعروف ان الثقوب اذا ماجرى حسابها بالنسبة لحجم الهرم فهى كما يقول د . احمد قدرى رئيس هيئة الاثار ١ إلى ٩٠٠ مليون . اى انها لاتذكر وتدحض الرأى الذى يرى ان هذه الثقوب تضر بالهرم معماريا .

اخيرا ، فالفرنسيون ايضا حطموا نظرية الفراغات القديمة .. وقالوا انها ليست فراغات لتخفيف الاحمال .. واكدوا ان هذه الفراغات كانت لمنطق يعرفه قدماء المصريين ، ويجرى الكشف عنه من خلال الاجهزة والثقوب .

إن الفرنسيين .. عادوا إلى بلادهم ومعهم كم هائل من الدراسات والقياسات سيجرى تشريحها فى معامل البحث . ليعودوا إلى مصر فى ديسمبر القادم بطلبات محددة من هيئة الاثار ، وهى التى ستعرض على العلماء من خلال اللجنة الدائمة للآثار المصرية القديمة .


كتاب الهلال
يقدم :
محمد على الكبير
تأليف : شفيق غربال
يصدر
٥ أكتوبر
١٩٨٦
روايات الهلال
الهلافيت
تأليف : محمود دياب
تصدر في
١٥ أكتوبر ١٩٨٦



الغواص .. « روبوتا »

لاشك ان عمليات الغطس التى يقوم بها العلماء الى اعماق سحيقة من المحيطات والبحار تشكل خطورة علي هؤلاء العلماء .. خاصة ان نسبة ٩٧٪ من هذه المحيطات لم تكشف بعد ولم يطأها انسان .. مما يشير الى المشوار الطويل امام رجال العلم فى هذا المضمار .. وخاصة ان تدريب جيل من العلماء يمكنه الغوص يستغرق زمنا طويلا .. وتكاليف باهظة

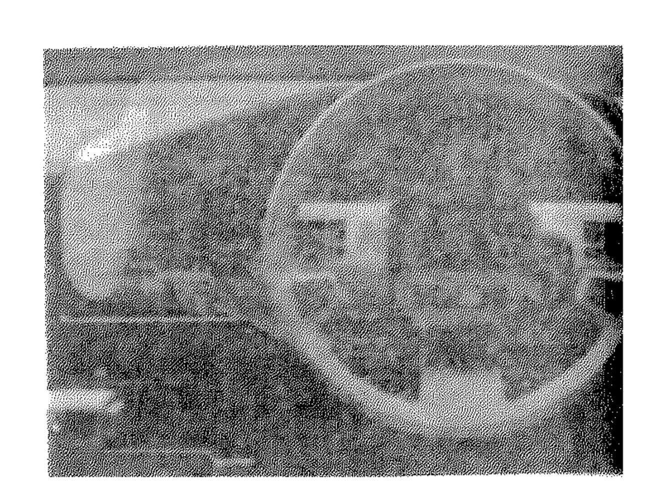
غواصو المستقبل سيكونون بالضرورة من الروبوت .. وقد بدأ هذا الروبوت فى ايجاد مكان له فى الغوص الى اعماق سحيقة لم يصل اليها البشر حتى الان .. فمن المعروف ان الجسد البشرى لا يمكنه الغوص عند اماكن محددة خشية ارتفاع الضغط المائى على جسده .. كما أن مساحة كبيرة من أعماق البحار قاحلة السواد أو مليئة بالاسماك المتوحشة كل هذه المخاطر يمكن للروبوت ان يتغلب عليها . فهو يصور كل الاماكن التى يصل اليها كما أنه يتحمل كل الضغوط المائية التى يمكن أن يتعرض لها .. وبالطبع لن يكون لحمه الحديدى مستساغا بالمرة لاى أسماك متوحشة .

ذكرت مجلة « العلم والحياة » الفرنسية فى عددها قبل الاخير أن انتشار أجهزة الروبوت فى المستقبل يرتبط باسعار البترول بثبات وجوده فكلما ارتفعت الاسعار كلما زاد من تكلفة هذا الروبوت .. كما أن نفاذ الاحتياطى العالمى سيحوله الى هيكل حديدى لا قيمة له .

رادار .. ضد حوادث السيارات

ظلت الفكرة تطارد جورج رشيد ــ وهو من اصل مصرى ــ الاستاذ بجامعة ميتشجان





فى اختراع جهاز ينبه السائق للحوادث ويمكنه به ان يتلافى وقوع أى صدام مهما كانت الاسباب .. طاردت هذه الفكرة رشيد طوال ثلاثين عاما .. لكن من الصعب تطبيقها فى الظروف المعاصرة له .. لكن اختراع الترانزستور مكن ابنه شارل رشيد من اختراع اول جهاز رادار ضد الحوادث

والجهاز عبارة عن وحدة استقبال فى حجم الصندوق الصغير يمكن بها استقبال اقتراب اى مواد معدنية ، ويعطى اشارات تحذير تتباين فى درجاتها حسب الخطر القادم ، يمكن رؤيتها على شاشة امام مقود السائق من خلال رسم بيانى يرتفع وينخفض تبعا للوضع الراهن .. مما يمكن السائق من ضغط الفرامل عند الوقت المناسب .. كما يمكن لنفس الشاشة المتصلة بالمقود أن تخفف من سرعة السيارة ذاتيا دون الرجوع للسائق فى حالة انهماكه فى الحديث مع احد مرافقيه بالسيارة ..

خطوة جديدة لتطور صناعات الصلب

عندما تزدهر احدى الصناعات ، فلابد أن تزدهر الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة

.. مثلما حدث أخيرا فى صناعة الحديد والصلب بمصر بعد افتتاح مصنع المكس حيث يقوم بأحدث الابحاث المتعلقة بهذه الصناعة على « تحسين اداء طريقة .. الصهر باستخدام الخبث الصناعى المكهرب اعد البحث الدكتور يحيى شاش بهندسة القاهرة .

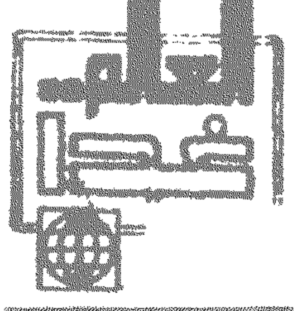
وتهدف هذه الطريقة الى تنقية المعدن من بعض العناصر التى تؤثر على خواصه الفيزيائية والميكانيكية بالاضافة الى خفض نسبة التاكسد لبعض مواد التسابك فمن المعروف ان نتائج الدراسات والبحوث المماثلة اظهرت أن النسبة المفقودة من الطاقة الكهربائية المستخدمة لصهر المعدن تقدر بحوالى ٧٠٪ من الطاقة الكلية لكن الدراسة الحالية تسعى الى رفع الكفاءة الحرارية لعملية الصهر باضافة قطع صغيرة « رايش » من معدن القطب المستهلك اثناء عملية الصهر داخل القالب او باضافة حبيبات من مواد تسابك بغرض التحكم فى التركيب الكيمائى والصفات الميتالورجية للمنتج .

وقد اظهرت النتائج النظرية والعملية لهذه الدراسة زيادة كبيرة فى معدل الانتاج بالاضافة الى التحكيم فى شكل بركة المعدن ، وزيادة الكفاءة الحرارية لعملية الصهر . كما امكن الحصول على مصبوبات داخل تركيب كيميائى فى خطوة واحدة اثناء تنقية المعدن بالخبث ..

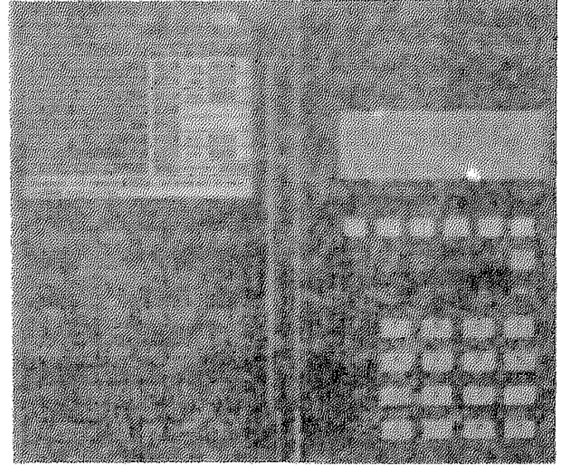
كما تنبع أهمية نتائج البحث فى ترشيد استهلاك الكهرباء داخل الوحدة المنتجة وبالتالى تخفيض التكلفة الكلية للمنتج

مفكرة تليفونات المكفوفين

اصبح اليوم بامكان المكفوفين أن يحملوا مفكرة اليكترونية للجيب تعمل بطريقة برايل لتسهل عمل الطلاب والمحامين والصحفيين تتكون المفكرة من بطاقة مستطيلة يصل سمكها الى ربع بوصة



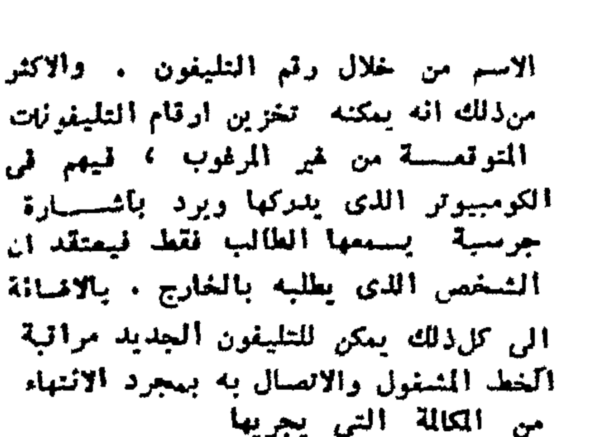




وتعمل بالبطارية تحمل البطاقة ستة ازرار اساسية توضح الاحرف الرئيسية للكتابة بطريقة برايل.تسع مذكرة برايل الخاصة بالمكفوفين لكتابة ٢٠ كلمة ويمكنها ان تضم ارقام تليفونات ٨٠٠٠ شخص. يصل سعر المذكرة ٢٣٠ جنيها استرلينيا

التليفون الجديد بدون ازعاج

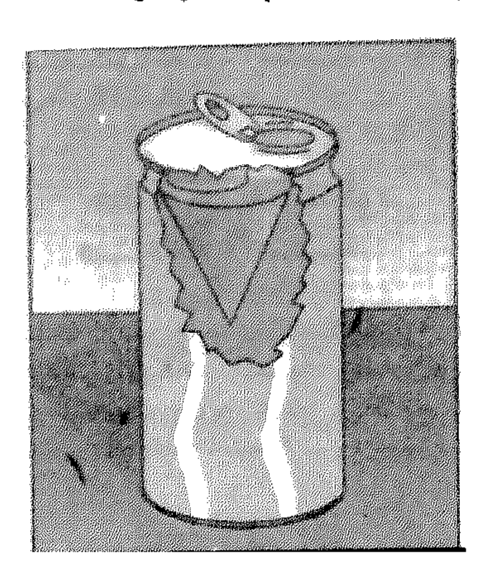
يمكنك الان التخلص من المكالمات التليفونية غير المرغوبة دون التعرض لاى موقف محرج .. فقد انتجت احدى الشركات الكندية تليفونا جديدا باللمس يمكنه عرض رقم تليفون الطالب على شاشته المصنوعة من الكريستال السائل بمجرد ان يتم الاتصال وقبل رفع السماعة ، كما انه من خلال تخزين مائة من الاسماء وارقام تليفوناتها فى ذاكرته يمكن ان تظهر معا على الشاشة دون الحاجة الى ادراك



الاسم من خلال رقم التليفون . والاكثر من ذلك انه يمكنه تخزين ارقام التليفونات المتوقعة من غير المرغوب ، فيهم فى الكومبيوتر الذى يدركها ويرد باشارة جرسية يسمعها الطالب فقط فيعتقد ان الشخص الذى يطلبه بالخارج . بالاضافة الى كل ذلك يمكن للتليفون الجديد مراقبة الخط المشغول والاتصال به بمجرد الانتهاء من المكالمة التى يجريها

علب مرطبات ذاتية التبريد

قريبا سيمكنك الاستغناء عن الثلاجة فى تبريد علب المشروبات مثل الصودا ، فقد توصل الباحثون الامريكيون الى انتاج علب ذاتية التبريد لهذه المشروبات وهو اكبر تقدم تكنولوجى فى صناعة العلب منذ عام ١٩٦٢ . وتحتوى العلبة الجديدة على كبسولة من ثانى اكسيد الكربون المضغوط ، تتصل بصمام بالمقبض الصغير المخصص لفتح العلبة . وعند جذب هذا المقبض يفتح صمام كبسولة ثانى اكسيد الكربون ويخرج الغاز الذى يتمدد وتنخفض درجة حرارته بشدة مما يؤدى الى انخفاض درجة حرارة الكبسولة الى ناقص ستين درجة فهرنهايت تتحول معه الكبسولة الى مكعب من الثلج . وفى ٩٠ ثانية تنخفض درجة حرارة محتويات العلبة الى نحو ٤٠ درجة فهرنهايت .





الكومبيوتر يخزن دائرة المعارف فى ثانية

بنت احدى المؤسسات الامريكية كومبيوتر دقيق الحجم يمكنه اخـزين دائرة المعارف المكونة من ٧٥ جـزءا فى ذاكرته فى ثانية واحدة .. والكومبيوتر الجديد له ذاكرة قدرتها ٣٢ كيلـوبايت ويمكنه ارسال اشارات كل ثلاثة عـلى بليون من الثانية . وتنبع فكرة تشغيل الجهاز اساسا من الاطار المصـنوع من مادة البوليسيليكون الذى يحيط بمعدات الكومبيوتر .. فهو يساعد فى عـزل الاشارات الكهربائية ويمنعها من الانحراف عن اتجاهها . كما انه يسهل عمليـة تشغيل وايقاف الكومبيوتر ويعد واقيا لاجزائه الدقيقة .

هندسة وراثية جديدة فى عالم الزراعـة

منذ عشر سنوات تقريبا والعلماء يتنبئون بثورة تحدثها الهندسة الوراثية فى مجال الزراعة . فتلقيح الجينـات يمكـن ان يساعد الباحثين على التوصل الى انواع جديدة من المحاصيل الهـامة والاساسية مثل الذرة ذات القيمة الغذائية المرتفعة او القمح الذى يتحمل الفيضان أو الادر الذى يتمتع بالحصانة ضـد الامراض وقد توصل العلماء فى جامعة ستانفورد « الامريكية الى اسلوب جديد لنقـل الصفات الوراثيـة عن طريق استخدام الكهرباء خلق فتحات دقيقة فى غشـاء النبات يدفع الباحثون من خلالها العناصر الوراثية الجيدة من اصنـاف اخرى الى النبات . ويتميـز الاسلوب الجديد بأنه لا يسرع من انتاج الاصناف الجـديدة من النباتات فقط ، ولكنه يسـاعد الباحثين على نقل الجينـات بين الانواع المنفصلة ، ويأمل علماء الوراثة فى تغيير بعض الصفات مثل مقاومة الحشـائش من خـلال التحكم فى الجينات كما يأملون فى التوصل الى انتاج محاصيل اساسية مقاومة للعديد من الامراض .

سيارة ١٩٩٠ من البلاستيك

تقوم اكبر شركات الكيمـاويات فى الولايات المتحدة بتركيز اعمالها لانتاج اول سيارة فى العالم من البلاستيك القـوى المشابه للمعدن ، خصصت الشركة مليون دولار سنويا لهذا المشروع الذى سيحدث ثورة فى مجال صناعة السيارات يتوقعون تخرج اول سيارة من هذا النـوع الى السوق العالمية مع حلول عام ١٩٩٠ ويقول المسئول عن المشروع أن نجاحه سيعتمد على مدى تقبل اصحاب السيارات لفكرة استخدام السيارات مصنوعة من البلاستيك مع العلم أن البلاستيك سيخفض مـن قيمة السيارة عند انتاجها بشكل كبير

●●●

زينة الحياة الدنيا في أنابيب

والعلاج الفعال لحالات العقم عند الرجل والمرأة

بقلم : د. حسام عبد الله (لندن)



في العلم يبدأ كل شيء غريبا .. ثم يتحول الى أمر مألوف عندما نمارسه ويدخل بيوتنا .. وفي هذه البيوت كم يعانى ازواج وزوجات من عدم وجود طفل يملأ المنزل بهجة وحركة .. ويتحول الى سند عندما تحل سنوات الشيخوخة .. ولأن هذه المشكلة قد أرقت بيوتات عديدة . فإن العلم قد فتش فى دهاليزه لمعالجة مشكلة العقم خاصة عند المرأة ، وكانت تجربة أطفال الأنابيب التى شهدت نجاحات مؤكدة فى الغرب .. وانتقلت فى الفترة الأخيرة الى الوطن العربى .. فأصبحنا نجد نساء عديدات اصاب اليأس منهن مقتلا يذهبن إلى عيادات الاطباء .. وعما قريب يمتلىء البيت بصراخ الوليد القادم ..

العقم إذن هو السبب الأول فى عدم الانجاب عند المرأة .. ويجب ان نتحدث كيف يتم الاخصاب واسباب العقم قبل الدخول فى التفصيلات المتعلقة بأطفال الانابيب . فمن المعروف أن الأنثى تنتج بويضة واحدة كل دورة شهرية . وتخرج هذه البويضة فى منتصف مدة الدورة تقريبا من أحد المبيضين الأيمن والأيسر ، وتلتقط هذه البويضة بواسطة قناة فالوب ، ثم تتحرك البويضة داخل هذه القناة فى اتجاه الرحم . فاذا ما حدث اتصال جنسى فى هذا الوقت فإن الحيوانات الذكرية تندفع فى المهبل وتتحرك منه إلى عنق الرحم ثم إلى قناة فالوب لتلتقى بالبويضة داخل قناة فالوب ويكون الاخصاب بحيوان منوى واحد من بين ملايين الحيوانات المنوية المنتجة من الذكر عن طريق اختراق جدار البويضة ، بعد ذلك يبدأ الجنين أو " البويضة المخصبة " بالانقسام عدديا الى خليتين ثم اربعة ثم ثمانية . الخ وفى نفس الوقت تستمر فى التحرك فى اتجاه الرحم ، وفى اليوم الرابع يصل هذا الجنين الى الرحم ليزرع فى الغشاء المبطن للرحم ويبدأ فى النمو حتى يكتمل خلال تسعة أشهر ..

● وللعقم اسباب عديدة ●

وعلى هذا الأساس وببساطة فان أى عائق يمنع هذه الدورة الطبيعية يؤدى الى العقم ، وهنا يجب ان اشير الى انه من الخطأ أن ننظر الى موضوع العقم على انه من الزوج او من الزوجة فإن هذه النظرة احادية الجانب ، ولكن يجب النظر اليه

زينة الحياة الدنيا في أنابيب

باعتباره حالة تشمل الزوج والزوجة باعتبارهما شريكين حتى فى العقم .

ويمكن ان نعدد حالات العقم ببساطة شديدة واختصار فى النقاط التالية :

اولا : ان تكون الزوجة غير قادرة على انتاج البويضات .. بمعنى وجود خلل شديد فى الدورة الشهرية او انعدامها وتسمى هذه الحالة بالامينوريا او تنتج المراة بويضات قليلة ومتباعدة المدة ، والجدير بالذكر ان حدوث الدورة الشهرية ليس شرطا لحدوث التبويض ، ويحدث ذلك بشكل طبيعى فى مرحلتين رئيسيتين من العمر ، الاولى فى بداية نزول الطمث على الانثى حيث لا يوجد فى الاغلب تبويض منتظم فى اول سنتين . والحالة الثانية فى مرحلة ما يسمى بالشائع ما قبل سن الياس " او " مرحلة عدم القدرة على الانجاب " حيث تحدث الدورة الشهرية ولا يحدث تبويض .

اما فيما عدا هاتين الحالتين فهى حالة مرضية تستدعى العلاج .

ثانيا : الا تلتقى البويضة بالحيوان المنوى ، ويحدث هذا نتيجة لعدة اسباب نوردها فى الآتى :

١ ـ أن يكون هناك انسداد في قناتى فالوب بسبب حدوث التهابات شديدة فى هاتين القناتين او التصاقات بهما ، وللاسف ولابد من ان نقول هذا ـ بسبب تدخلات بعض أطباء النساء والولادة بإجراء عمليات متعددة ليس لها داع تؤدى فى النهاية إلى انسداد هاتين القناتين ، ولابد من التركيز على هذه النقطة حيث ثبت ان حالات عديدة تم فحصها كان هناك أمل فى الاخصاب وعن الطريق الطبيعى لولا هذه التدخلات غير الضرورية والتى قد تزيد من الاتصال .

٢ ـ الحيوانات المنوية للرجل وبويضة المراة : ينتج الرجل فى القذفة الواحدة ٥٠٠ مليون حيوان منوى فى حوالى من ٣ الى ٥ سم مكعب من السائل المنوى ، والحد الأدنى او العدد الطبيعى الذى يجب توافره فى السنتيمتر المكعب هو من ٢٠ الى ٤٠ مليون حيوان منوى ، ولابد ان يكون ٧٠ ٪ منها متحركا وبسرعة جيدة ، وأن يكون عدد الحيوانات المنوية المشوهة اقل من ٢٠ ٪ ، فلو ان عدد الحيوانات المنوية اقل من هذه النسبة او ان قدرتها على الحركة وسرعتها غير كافية فان هذا يؤدى الى فقدان الكثير من القدرة على الاخصاب ، هذا بالاضافة الى العديد من العوامل التى تؤثر على الحيوان المنوى من اهمها :

ـ العدد الكبير الذى يموت فى المهبل فى بداية الرحلة .

ـ الرحلة الطويلة التى يقطعها حتى يصل الى البويضة .

ـ مقاومة الغشاء المخاطى الموجود عند عنق الرحم .

وفضلا عن ذلك فإن هناك بعض الحالات النادرة التى يفرز فيها الرجل اجساما فى سائله المنوى تقتل حيواناته المنوية ، كما انه فى بعض الاحيان الأخرى تكون الحيوانات المنوية للرجل سليمة وطبيعية ولكنها تقتل عند محاولتها اختراق عنق الرحم الذى يفرز أجساما مضادة لتلك الحيوانات . وهناك عدد اخر من الاسباب مثل مرض الاندو ميتروزنس -EN DONETRIOSINS وهو وجود اغشية شبيهة بالاغشية المبطنة للرحم خارج الرحم تؤدى الى العقم .

تمثل كل هذه الأسباب حوالي ٧٥ ٪ من اسباب العقم ، ويبقى بعد ذلك ٢٥ ٪ من هذه الاسباب تسمى حالات العقم غير المفسر .. ولا تعني كلمة " غير مفسر " انه لا سبب له ولكن لا نستطيع ان نؤكد اسبابه ، بعض الحالات يمكن تفسيرها بعد عمل ما يسمى بالتلقيح فى الزجاج I·V·F والباقى لا نستطيع تفسيره . ومن المهم جدا ان نركز على هذه النقطة لأنها تسبب الاجهاد للمريض والطبيب معا . فيذهب المريض لعديد من الاطباء ويجرى العديد من الفحوصات ، وفى النهاية يقول ان الطبيب غير ماهر ولا يعرف شيئا ، اما بالنسبة للطبيب فإنه يبقى عاجزا عن تقديم اى مساعدة لهذا المريض ، وينبغى ان تعرف هذه النوعية من المرضى انهم ليسوا حالة نادرة ولكنهم يمثلون ٢٥ ٪ من حالات العقم غير المفسر كما سلفنا .

● لاتراجع الطبيب قبل عامين ●

وعند الحديث عن نسبة نجاح الحمل الطبيعى فى الحالات الاعتيادية . فلو اخذنا مائة زوج وزوجة يتوفر فيهم كل عوامل القدرة على الانجاب وحدث بينهم اتصال جنسى فى توقيته الصحيح أى فى فترة منتصف الدورة الحيضية فإن من ٢٥ ـ ٣٠ ٪ منهن فقط سيحدث بينهن الحمل فى أول محاولة أى فى الدورة الشهرية الأولى ، ثم من ٢٥ ـ ٣٠ ٪ من السبعين الباقين سيحدث لهم حمل فى الشهر التالى وهكذا ، ودائما ننصح كقاعدة عامة أن الازواج يجب عليهم عدم مراجعة الطبيب فى موضوع عدم الانجاب قبل سنة أو سنتين من الزواج ، لأن هناك احتمالات عالية جدا لمجرد الصدفة بعدم حدوث حمل قبل هذه الفترة .

يتم فحص الزوجة للتأكد من حدوث التبويض . وذلك بقياس درجة حرارتها يوميا عقب الاستيقاظ ، حيث أنه عند حدوث التبويض ترتفع درجة حرارة الانثى بمقدار نصف درجة مئوية ويطلب تسجيل ذلك لمدة شهر أو شهرين ، ويجب الاشارة الى ان ارتفاع درجة الحرارة درجة أو انتظام الدورة ليس دليلا على أن التبويض صحيح ولكنه شاهد من الشواهد .

كما تستعمل الموجات الفوق صوتية للتأكد من حدوث التبويض . وعلى ضوء نتيجة هذه الفحوص تحدد خطة العلاج ، فإن لم يكن هناك تبويض تعطى السيدة بعض الأدوية التى تساعد على التبويض . **ويجب أن نؤكد أن اى فحص لحالات العقم بدون منظار يعتبر فحصا ناقصا خاصة أن هناك الكثير من السيدات يرفضن عمله . كذلك هناك فحص للغشاء المبطن للرحم . وبعد التأكد من سلامة كل هذه الفحوصات ونتائجها الايجابية ، فانه يستعمل التلقيح من خارج الرحم . I·V·F.**

● ولانخفاض نسبة النجاح ●

تنمو البويضة ـ فى الحالات الطبيعية ـ فى المبيض وحولها كيس من الماء وينفجر هذا الكيس عادة فى منتصف مدة الدورة الشهرية ولذا كان الطبيب المعالج يقوم بسحب الماء الموجود داخل الكيس وبداخله البويضة فى وقت حرج للغاية . وهو قبل انفجار الكيس بحوالى ساعة أو ساعتين وتوضع البويضة بعد سحبها فى محضن خاص له درجة حرارة ورطوبة وغيرها من الظروف الملائمة لحياة البويضة ثم نأخذ الحيوانات المنوية للزوج ونعدها اعدادا خاصا ونضيفها الى البويضة للتأكد من حدوث الاخصاب من عدمه ، وعند التأكد من ذلك يحدث الانقسام الخلوى داخل

زينة الحياة الدنيا في انابيب

البويضة . نعيد الجنين (البويضة المخصبة) الى الرحم من خلال المهبل وننتظر قدوم الدورة الشهرية فاذا لم تحدث تكون احتمالات الحمل عالية لأن كل ماقام به الطبيب تجاوز الانسداد فى قناة فالوب . وذلك مثل حالة الطفلة " لويز براون " أول طفل انابيب فى العالم .

وعند الحديث عن نسبة النجاح فانها منخفضة حيث لا تتعدى حتى الآن من ١٥ - ٢٠ ٪ فى كل محاولة . حيث انه فى بعض الاحيان يتم الاخصاب ولكن يفترض ان يكون نمو الجنين غير طبيعى . فالجسم يتخلص منه بشكل فورى وتلك احدى ايات الله سبحانه وتعالى .

ويعطى العلماء لانخفاض هذه النسبة عدة تفسيرات منها توقيت زرع الجنين لأن العلاقة بين مجىء الجنين (البويضة المخصبة) ودخوله الى الرحم يتم بشكل دقيق للغاية كتوقيت الساعة ، ولاننا فى كثير من الاوقات ليس لدينا تصور كامل عن افضل اللحظات لوضع الجنين ، وبالتالى فان هذا يؤدى الى عدم حدوث الحمل ، إضافة الى حدوث بعض التغييرات الهرمونية والتى تؤدى كذلك الى عدم حدوث الحمل ، وبالتاكيد هناك اسباب أخرى عديدة لا يتسع الحديث عنها الآن .

● تكلفة عالية ●

وكما قلنا فى بداية المقال . فان مرحلة التجريب فى اطفال الأنابيب قد انتقلت الى الممارسة وعليه فقد بدأت اول وحدة لاطفال الانابيب فى الوطن العربى بجدة فى السعودية ثم فى مستشفى الملك فيصل بالرياض . وكذلك فى القاهرة . لكن المشكلة أن التكلفة المادية لهذه العملية مرتفعة فقد تصل الى اكثر من الفى جنيه استرلينى بالاضافة الى الاقامة بالمستشفى . لكن فتح هذه المراكز فى الدول العربية سيوفر الكثير من التكاليف المادية خاصة ان تكاليف العلاج لا تمثل اكثر من ربع المصاريف أو أقل . ولا ننسى انه فى بعض الأوقات لا تسمح حالة السيدة بأخذ البويضة منها فى هذه الدورة ويطلب منها العودة بعد شهر مما يزيد من تكلفة العلاج للمسافرين الى اوربا .

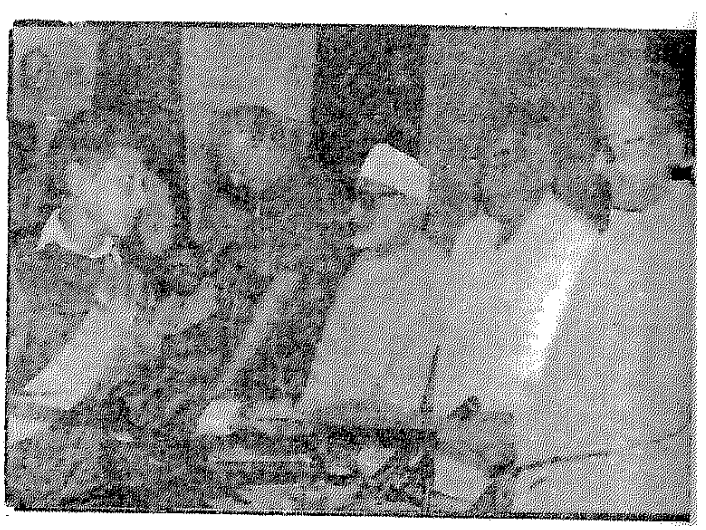
ويبقى تساؤل هام حول اخلاقية التعامل فى مثل هذه الاعمال الحساسة ومدى ملاءمته لكل مجتمع وعرفه ودينه . وفيما هو مسموح به وماهو غير المسموح به . والخوض فى مثل هذه المسائل - حسب رايى - له محاذيره الشديدة . فكل دور الطبيب هو التحايل على الشىء غير الطبيعى وهو عدم حدوث حمل ومحاولة تلافيه . أى معالجة العقم ليحدث كما يحدث فى الطبيعة دون التدخل اطلاقا فى المسائل الوراثية او بنوع الجنين .. وعليه فإنه لا حرج أن تتم عملية أطفال الانابيب بين الزوجة والزوج .. لان معالجة الأمر لا يعتبر تدخلا فى مشيئة الله سبحانه وتعالى . لا شفاء الا بيد الله سبحانه وتعالى . **والهدف أولا واخيرا هو إدخال السعادة على الأسر وتلافى كل الآثار الاجتماعية المترتبة على عدم الانجاب كزيادة المشاكل اليومية بين الزوجين وارتفاع نسبة الطلاق .. وقد صدق الله عز وجل فى آيته الكريمة " المال والبنون زينة الحياة الدنيا "** ..



● مهرجان ●

الدقهلية تحتفل بالفنان مختار

فكرة الاحتفاء بالادباء والفنانين الذين رحلوا عنا ، تستحق الاشادة ، خاصة وأن جيلنا الحالى لا يعرف عنهم إلا القليل .



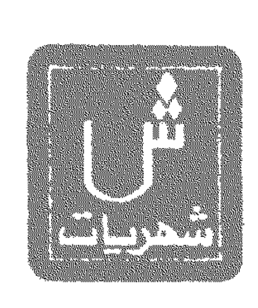
شيخ الازهر ووزير التربية ومحافظ الدقهلية وانيس منصور يكرمون اوائل الدقهلية

ولقد كانت مبادرة محافظة الدقهلية فى إقامة مهرجان للفنان التشكيلى محمود مختار ، باعتباره من أبناء الاقليم ، وبعد مرور اكثر من خمسين عاما على وفاته ، لفتة كريمة ، خاصة إذا علمنا بأن مختار ، هو ذلك الفنان الموهوب فى عصره ، الذى تحمل العناء ، ولاقى الصعاب الكثيرة فى رحلته إلى فرنسا ، وبكل الاصرار ، لينهل من ينابيع الفن الأصيل ، وليعود إلى مصر عملاقا ، وليحقق ثورة فى الفن بأزميله .

لقد أحيا مختار الفن الفرعونى بعد مرور قرابة عشرين قرنا ، فضلا عن مزج جماليات الفن الفرعونى بالجماليات الحديثة فى الفن الفرنسى ، وتوظيف ذلك اجتماعيا من خلال تماثيله « الفلاحة » « ونهضة مصر » وغيرها من أعماله .



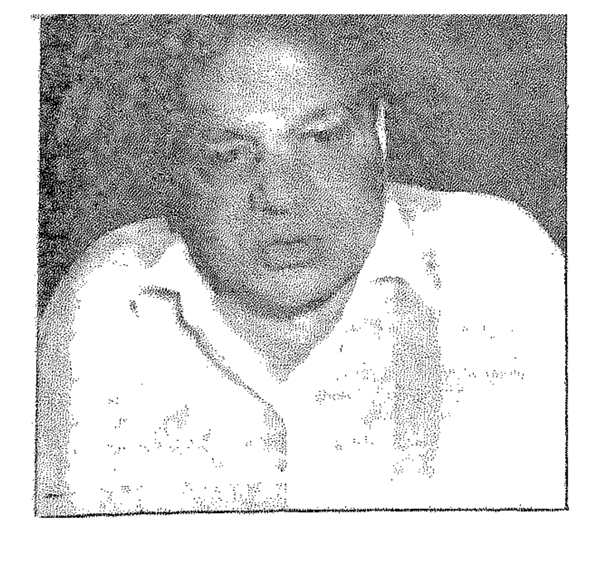
الفنان الراحل محمود مختار



حقق مختار بعد عودته من فرنسا ، مالم يستطع أن يحققه الكثيرون ، ووقف فى وجه الطغيان السياسى فى ذلك الوقت ، ويشهد بذلك إصراره على إقامة تمثال « نهضة مصر » الذى دعى فيه إلى اكتتاب المصريين فى إقامته ، فى الوقت الذى رفض فيه أن يصنع تمثالا للملك فؤاد أو الخديو عباس أو محمد على .

إننا فى هذه العجالة لا نستطيع ان نوفى هذا الفنان العظيم حقه ، بل نطلب من جيلنا أن يقرأ سيرة حياته ، ليعرف كيف عانى من أجل تحقيق ذاته حتى وصل إلى القمة .

وإذا كانت الدقهلية ومحافظها النشط اللواء سعد الشربينى قد كرمت مختار فى حفل كبير ، كرمت فيه أيضا أبناءها من المتفوقين فذلك ليس جديدا عليها ، فقد احتفلت من قبل بذكرى رائد القصة الدكتور / محمد حسين هيكل ورائد العلم والهندسة الدكتور محمد عبده الشرباصى ، وهى سنة حميدة نرجو أن تستمر ، وتكون حافزا للابداع الفنى والفكرى لدى أبناء هذا الجيل .



محمد أنيس عاشق مصر .. وداعا

مات شيخ المؤرخين المصريين ، بعد عطاء لم يتوقف للحظة واحدة على مدى خمسة وثلاثين عاما ..

مات الدكتور محمد أنيس بأزمة قلبية وهو يعمل ، ويعطى من فكره لكل محبيه ، بلا توقف ، مهما اختلف الرأى ، وجنح الفكر ..

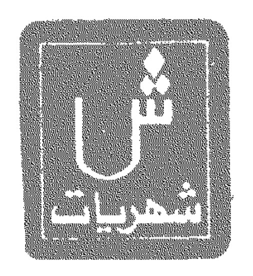
كان محمد أنيس ثائرا منذ صباه .. أحب ثورة يوليو واعتنق مبادئها ، وعشق جمال عبدالناصر ، برغم أنه كان يختلف فى الرأى مع سياسته ، وكان ينتقده علناً ،حتى فى محاضراته بالجامعة .

ومحمد أنيس باحث له باع طويل ، وتشهد بذلك مؤلفاته ، خاصة تلك التى قرأناها له بعد تولى مسئولية مركز الدراسات الاستراتيجية والتاريخية والاقتصادية بالأهرام ، ومن بين

تلك المؤلفات أسرار حريق القاهرة ، وحادث ٤ فبراير ، وألقى فيهما الضوء على الصراع الذى كان دائرا بين القصر والوفد ، وأكد على أن حادث ٤ فبراير لايمكن تفسيره ضد الوفد وزعيمه مصطفى النحاس ، بل يجب تفسيره على أنه الاتجاه الديمقراطى المناوىء للفاشية ، وهو اتجاه الوفد بزعامة مصطفى النحاس .

وكان الدكتور محمد انيس من الذين نادوا بفتح الجامعة على مصراعيها ، وضد الذين يريدون إغلاقها فى وجه أبناء مصر ، بحجة أن إمكانياتها تعجز عن الاستيعاب .

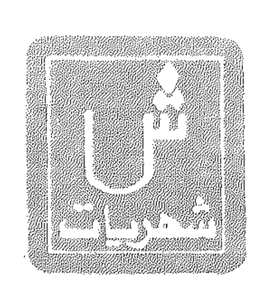
لعب دورا بارزا إبان هزيمة ١٩٦٧ ، ولم يرض واقع الهزيمة ، إلى درجة جعلته ينضم إلى صفوف المقاومة ، وكان مؤمنا وقتها بأن الشعب يستطيع أن يحول الهزيمة الى نصر ، وتألم كثيرا من الظروف والملابسات التى تسببت فى هزيمة يونيو ، خاصة وأنه شاهد بنفسه إلى أى حد كانت الاستهانة بأصول وقواعد الاستعداد ومواجهة الأعداء كان عربيا فى اهدافه واتجاهاته ، ولكنه كان يؤمن بأن مصر هى الثقل فى عالمها العربى ، وهى القلب من هذا الجسد الكبير ، وأنها بإمكانياتها الثقافية والفكرية ، وثقلها الحضارى قادرة على الريادة .



وأن أى إصلاح جذرى لابد أن ينبعث من مصر ، كما ان اى حركة ثورية فى العالم العربى ، لايمكن أن يكتب لها النجاح ، مالم تمر بمصر ، وأن مصر حتى فى أوقات الأزمات قادرة بأبنائها على تجاوز أزماتها ، وأخذ زمام المبادرة من أجل استعادة الشمل ، وأن علاقة مصر بأمتها دائمة ومتجددة .

ولم يكن محمد أنيس ـ رحمه الله ـ مجرد جزء من الذاكرة الحية لتاريخ مصر والعالم العربى ، بل كان عطاء على رأس مدرسة فى قراءة وتفسير تاريخ مجتمعاتنا الحديثة التى انحازت الى القوى الاجتماعية الساعية الى التقدم والتحرر الوطنى فتسلحت بالعلم منهجا والوطنية دينا ، والجدية والاخلاص خلقا كى يكتب رؤية الشعوب ، رؤية تسعى إلى تحرير وقائع حركة القوى الاجتماعية ونضالها ضد الاستعمار والاستغلال والاستبداد من منفى قهرى أراده لها مؤرخو الاستعمار وبلاط السلطان .

ورغم اهتمامه بتاريخ مصر المعاصر ، الا ان صلته بالتاريخ العثمانى لم تنقطع ، وكان ممن يرون فى الحكم العثمانى للبلاد العربية نوعا من الاستعمار المرفوض ، خلافا لعدد من المؤرخين الذين أعادوا أخيرا تقييم الحكم العثمانى باعتباره مرحلة كان من الضرورى أن تمر بها البلاد العربية ، لتتحد فى وجه الأطماع الأوروبية .



ولم يتبين د . محمد أنيس هذا الرأى طبقا للنظرة التقليدية التى تربط مابين الحكم العثمانى ، وبين الجنس التركى ، باعتباره جنسا غريبا سيطر على بلاد الشرق العربى وقهرها بقوة السلاح ، بل بنى حكمه من منظور اجتماعى يقوم على اساس أن العهد العثمانى يطابق العصر الاقطاعى

إن عطاءه لم يتوقف أبدا .. فى مصر ، وفى اليمن وفى الامارات العربية فهو ينشىء قسما للتاريخ فى جامعة ، ويسهم هناك فى إنشاء مجمع ثقافى أو إصدار مجلة علمية ، أو يكتب عددا من الدراسات والمقالات . ينبه فيها الى ضرورة تجاوز الخلافات الإقليمية والوقوف فى وجه المستعمر أو مقاومة المشروعات الاستعمارية ، لتفتيت وحدة العرب .. وخلال جولاته وابتعاده عن مصر فى الأونة الأخيرة ، كانت عينه على مصر ، وكل نبضة لمصر .. كتب فى « الهلال » وبدأ التواصل معه من جديد وكتب فى المصور حتى توقف النبض . نبض الحياة التى حولها الى عمل دائب ودائم . وهدأت نفس الرجل العظيم .. ليعود إلى الأرض الوطن الحبيب .. وليوارى جثمانه الطاهر فى أحب أرض إلى نفسه وإذا كانت الشعلة المضاءة قد خبت إلا أن فكر الرجل وأعماله التى تركها ، ستكون الرمز المضىء لقصة كفاح طويلة ، وشجاعة لايقدر عليها إلا الرجال من أمثاله

وبقى دور ينتظر تلاميذ ومحبى الدكتور محمد أنيس .. وهو مواصلة رحلة البحث التى بدأها . لإعادة تاريخ مصر الحديث . وإنشاء مركز لحفظ وثائقه .

عاطف مصطفى

● مؤتمر ●

التحديات التى تواجه المراة العربية فى نهاية القرن العشرين (القاهرة ١ - ٣ سبتمبر ١٩٨٦

تحب الدكتورة نوال السعداوى ان يكون إنتصارها مدويا فى اى من النشاطات التى تقوم بها . وقد حققت من قبل عبر كتاباتها عن قضية المراة العربية انتشارا واسعا جعلها تتبوا بين قطاعات عريضة من الفتيات العربيات موضع الداعية المؤثرة المقروءة كثيرا والنافذة الراى فى اوساطهن .

اما فى المجال الادبى فقد إحتلت مرتبة ثانوية بالمقارنة بما حققته اعمالها من رد فعل نقدى فى مجال الدراسة الادبية . وإن حظيت هذه

الاعمال القصصية بقدر غير قليل من الدرس بإعتبارها وثائق إجتماعية تعكس مشكلات المراة كما تراها محبة للادب .

ولقد قاتلت نوال السعداوى بضراوة تثير الاعجاب من اجل إنتزاع حقها مع عديد من السيدات العاملات فى حقل النضال النسائي لاقامة مؤسسة نسائية تدافع عن حقوق المراة المهضومة فعلا وقولا فى بلادنا ، بل اصبحت مهددة فيما إكتسبته من حقوق طوال تاريخ نضالها . تحت تاثير دعوات سلفية واضحة .

واخيرا إستطاعت مع عدد من القيادات النسائية تاسيس جمعية تضامن المراة العربية ، كمؤسسة مستقلة تعمل على مستوى البلدان العربية بالتعاون مع افراد احيانا ، ومؤسسات مشابهة احيانا اخرى ، وبقوة النفوذ الذى إكتسبته طوال تاريخها إستطاعت ان تتوج الاعتراف الذى اكتسبته مؤسستها من جهة دولية لها وزنها ، فحصلت الجمعية على وضع إستشارى لدى المجلس الاقتصادى الاجتماعى بالأمم المتحدة .

وعلى الرغم من قصر فترة إنشاء الجمعية ، ثلاث سنوات فقط ، إستطاعت الجمعية ، إنتزاع وجود محسوس لها ، على الرغم من انها عملت خارج الاطر المنبثقة عن الجمعيات الرسمية القائمة ، حزبية كانت او حكومية ، وتوجت هذا التواجد بمؤتمر حاشد ، لا يستطيع احد ان ينكر انه كان اشبه بالمفاجاة من ناحية عدد الحاضرات والحاضرين من بلدان عربية عديدة ، بل ومن ممثلات لجماعات نسائية فى بلدان اوربية مختلفة .

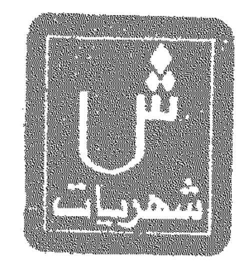
تخطيط جيد وابحاث جادة :

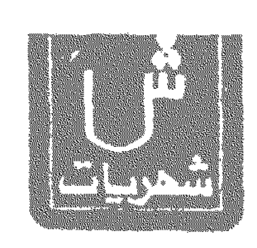
نقول كان المؤتمر اشبه بالمفاجاة ليس فقط للعدد الكبير الذى لبى دعوته من فعاليات نسائية مختلفة ، بل ولأنه كان على درجة لم تكن متوقعة من جمعية وليدة ان تقوم به فى مجال التخطيط للدراسات والاوراق التى نوقشت بجدية بالغة فى لجانه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، كما الجدية الفائقة التى بدت عليها جميع الحاضرات والحاضرين من ناحية وضوح الهدف بإعتبار ان قضية المراة لم تطرح بمعزل عن قضايا المجتمع واعضائه جميعا وإن كانت خصوصيتها تقتضى نضالا نوعيا مشروعا .

المفاجاة الاخيرة :

وقد استطاع المؤتمر حتى المفاجاة الاخيرة » ان يستقطب حتى اللواتي جئن وفى جعبتهن اهدافا ترمى إلى تخريبه ، بإعتباره منبثقا عن جمعية مستقلة عن الاحزاب والاتحادات النسائية القائمة وهى المنافس الآخر على نفس الجبهة .

إن جميع المشاركات والمشاركين فى أعمال المؤتمر ظلوا طوال اليومين المخصصين للنقاش يتعالون على المشاكل الطارئة بمشاركة ايجابية . وبدا ان المؤتمر يكتسب اطرافا جددا كل جلسة عن الاخرى متى كانت المفاجاة الاخيرة





بتسرب الانباء ، فى الكواليس اولا ثم علنا عن مصادر التمويل ، الامر الذى فجر الموقف ودفع عددا من المنظمات والاتحادات النسائية المشاركة للانسحاب ، وبدت الفرقة وقد اطلت لتمزق المؤتمر وتبدد الجهود .

كانت المفاجاة ان مصادر التمويل جاءت من مؤسسة فورد فونديشن ، ومؤسسات دولية اخرى إشتهرت بمعاداتها لحركات التحرر ، حتى اضحت فى موقف العداء من الهدف الاصلى الذى كان الجميع متحمسين للدعوة له والاستمرار فى النضال من اجله .

وكان إعتراف إدارة المؤتمر بقبول هذا التحويل مفاجئا لان الجميع كان يعمل وهو تحت إحساس من الاستقلال الكامل ، بل منطلقا اساسا من العداء لهذه الجهات ومن تمثلهم ، وكان الماخذ ـ المدخل لادانة منظمي المؤتمر منصبا على نقطتين .

اولاهما قبول هذا التمويل ومن هذه الجهات الاجنبية بالذات .

وثانيهما عدم الاعلان عن ذلك ، لا قبل المؤتمر ، ولا اثناء إنعقاده ، حتى ان الخبر عرف بالصدفة المحضة . وحينما طرح على هيئة تساؤل ، لم تستطع الدكتورة نوال إنكاره ، لانه قد إتضح ان ممثلين لهذه الهيئات الممولة كانوا متواجدين طوال الوقت ، يسمعون ويسجلون ويتابعون كل صغيرة وكبيرة

وقد حاولت الدكتورة السعداوى تبرير هذا التصرف بانها قامت به على اسس شخصية من بعض العاملات فى هذه المؤسسات ممن تربطها بهن صداقات شخصية . ولكن هذا لم يقنع العدد الاكبر من المحتجات على هذا التصرف ، فاعلنت عدة منظمات وإتحادات إنسحابها من المؤتمر ، بل إن عددا من عضوات الجمعية نفسها قررن الانسحاب منها .

وهكذا يمكن القول ان المؤتمر كان مفاجئا ، فى بدايته ، كما كان مفاجئا بنهايته الماساوية ، ومع ذلك فلم يمنع هذا قيادة الجمعية من إصدار مقررات المؤتمر وتوصياتها

هذا وقد قامت قيادة الجمعية بإجراء إنتخابات جديدة لمجلس الادارة وتم إختيار خمسة عشر عضوا لقيادة الجمعية فى مرحلتها التالية ، كما إتخذ قرار بإنشاء دار النشر التي ستعمل على نشر إبحاث المؤتمر بمنحة من إحدى المؤسسات الكندية !

المسرح الصوتى
سعدالله ونوس وعبدالمعطى حجازى فـــى عرض تجريبى

خلال فترة لم تزد على شهرين إستطاع هناء عبدالفتاح ان يكون فرقة مسرحية شابة ، بذر فيها من البداية بذرة الجدية ، والايمان بالهدف الواضح الذى هو ان الفن قادر على صياغة الانسان صياغة جديدة تدفعه لامتلاك ابعاد متنوعة

ربما لم يكن يظن انه يمتلكها بل تتفجر داخله من خلال العمل والمران المستمر الدعوب ، والاصرار على التعلم .

من بين الطلاب والعمال وبعض الذين مارسوا العمل فى المسرح ، بعضهم هواة ، وقلة من المحترفين

وخلال ايام معدودة ، ولكن بتدريب شاق كان يستغرق عشر ساعات فى اليوم قامت فرقة منف المسرحية .

وفى قاعة مسرح الطفل الصغيرة ، وبإمكانيات زهيدة لم يزد مجموع ما تكلفته عن خمسمائة جنيه ، تقوم هذه الفرقة بتقديم عرض مسرحى جاد يضم عملين :

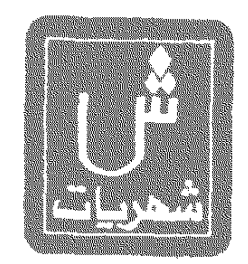
احدهما مسرحية الفيل ياملك الزمان للكاتب العربى سعدالله ونوس ، والأخر اللوحة الدرامية « مذبحة القلعة » لشاعرنا الكبير احمد عبدالمعطى حجازى .

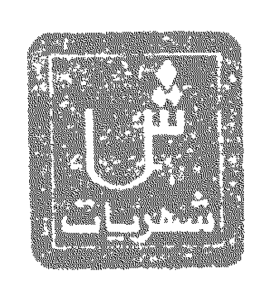
إن هذه الفرقة التى تسعى إلى ادباء تقاليد التجريب فى فنون المسرح - كما يقول مديرها عبدالرحمن الشافعى - منهجها هو محاولة تقديم كل ماهو جديد واصيل فى عالم التاليف والاخراج والديكور والأزياء والاطار الخارجي ، وفى التجارب المسرحية الموسيقية ، وقبل كل شىء فى عالم التمثيل .

الممثل الشامل !

ويقول المخرج هناء عبدالفتاح عن العرض « إنها تجربة تحاول تدريب مجموعة من الممثلين الشباب حيث يقومون بتادية عرض مسرحى فى قاعتهم التى يتدربون فيها فالعرض المسرحي ماهو إلا تطبيق لهذه التدريبات الصوتية والبدنية والادائية ، وتحاول التجربة ، أن تقدم نفسها بابسط الوسائل معتمدة اعتمادا رئيسيا على الممثل بعد إعداده إعدادا خاصا متميزا يجعل منه ممثلا شاملا ، مستخدمين فى ذلك مختلف الوسائل والمناهج التعليمية كمناهج ستانسلافسكى وجروتوفسكى وباربا وجان لوى بارو وغيرها من مدارس التمثيل الحديثة ، فضلا عن إستخدام الاساليب الصوتية والموسيقية التى تحتاجها الة نطق الممثل وحسه الفنى ، عدا منهجنا الخاص الذى سيكون عونا لنا فى إعداد ممثلنا ، ليتمكن من ممارسة اللعبة المسرحية بدرجة عالية من الكفاءة .

فالاضاءة والديكور والملابس والاكسسوار هنا هى عناصر مكملة للممثل وليست اساسية ، حتى الموسيقى يعاد إستكشافها من جديد ، فتوظف من اجل ان تصبح اداة من ادوات الممثل ، كما أن وجود المتفرج قريبا من الممثل يجعل هذا التقارب فاعلا بالنسبة لكليهما : فصدق اداء الممثل ضرورى فى تمكنه من اساليب تعبيره وهيمنته على متفرجه ، ولمشاركة المتفرج هنا دور اساسى ، هو أن يصبح متواجدا فى قلب الاحداث متابعا وملاحظا بل وشريكا فى اللعبة ، وبالمقابل فإن الممثل لا يسعى للبحث عن إيهام أو زخرفة مسرحية ، بل عليه ان يوصل كلمة المشاركين فى العرض المسرحى فى إطار تدريباته .



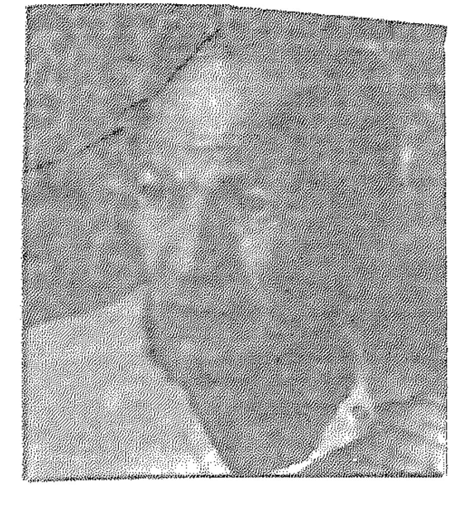


مذبحة القلعة :

يقدم الجزء الاول من هذا العرض قصيدة مذبحة القلعة للشاعر احمد عبدالمعطى حجازى ، وهى إحدى قصائد ديوانه الأول مدينة بلا قلب وتحمل تاريخ ١٩٥٥ ، ويقول المخرج انه يؤكد بتقديمها على أن الشاعر فى هذه القصيدة انما يكتب دراما شعرية قصيرة بكل ما يحويه العمل المسرحى من أسس درامية ، وبهذا نحن نعيد اكتشاف الشاعر ككاتب للدراما الشعرية محاولين كسبه إلى ميدان المسرح الشعرى .

اما الجزء الثانى من العرض فيقدم المسرحية القصيرة الفيل ياملك الزمان لسعدالله ونوس ، وهى واحدة من اهم مسرحياته القصيرة ، لانها تقدم تساؤلات تشير إلى بعض قضايانا العربية المصيرية .

والرابط بين العرضين هو التعرض للتاريخ وإنعكاسه على الحاضر ، فالأولى ـ كما يقول المخرج ـ هى إستقطاب للخطة الحضارية بكل ما فيها من تناقضات لحظة مولدها بكل مافيها من جديد ، والثانية هى محاولة للبحث عن البطل الجماعى المخلص ، فابطال العرض هنا هم مجموعة الفتيان والفتيات الذين يسعون لاثبات ان العمل المسرحى عمل جماعى خلاق وليس عملا فرديا .



احمد عبدالمعطى حجازى

يشارك فى التجربة الفنان الشاب النابغة إنتصار عبدالفتاح بمسرحه الصوتى والموسيقى الذى يقدم داخل نسيج العرض المسرحى .

يقول الفنان الشاب ان فكرته تنبع من إعتقاده بان للانسان مستويين من الصوت ، صوت خفى هو صوته الخاص الذى يعيشه وحده اثناء صمته ، والصوت الذى يتعامل به فى ادائه الحياتى او الفنى ، والمحاولة هنا هى كيف يظهر صوت الممثل الخفى ويتفاعل ويتصارع مع صوت ادائه ، حتى يستكشف مابداخله ويحس بصوته الخفى .

اما شاعرنا الكبير احمد عبدالمعطى حجازى فيصرح للهلال بانه سعيد بهذا العرض ، لانه يدل ـ على الرغم من الامكانيات المتواضعة ، وان اغلب الممثلين ليسوا محترفين ـ على انه قد آن الأوان بعد فترة من هبوط العروض المسرحية المصرية لمثل هذا العرض النظيف الذى يدل على فهم عميق ومتابعة دقيقة للحركة

المسرحية .. وهو مفرح لانه يدلك بالفعل على وجود روح جديدة فى مصر ، نوع من طموح غير معلن لكنه ملموس : إنه لابد ان تعود مصر كطليعة للحركة المسرحية ، وانـه قد آن الأوان للظـواهر المريضة فى الحياة ان تنقشع لتحل محلها هذه الروح الجديدة

ويكفى شهادة على جدية هذا العرض ان المخرج الكبير يوسف شاهين وقف بعد مشاهدة العرض رافعا يديه حول راسه كمن يحس غليانا وقال : .. انا حاروح اشتغل .

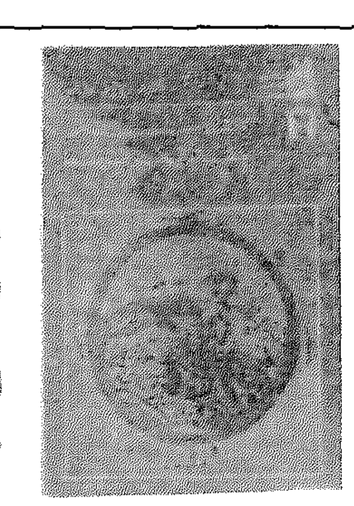
وفي اليوم التالي ارسل زهورا مع بطاقة تحمل كلمات تعبر عن اعجابه !

● إشارات ثقافية ●

آخر روايات ماركيز تترجم للعربية

آخر رواية للكاتب الكولومبى الشهير جابرييل جارثيا ماركيز المعنـونـة « الحب فى ازمنـة الكوليرا » ترجمت الي العربية وستصدر قريبا عن إحدى دور النشر اللبنانية .

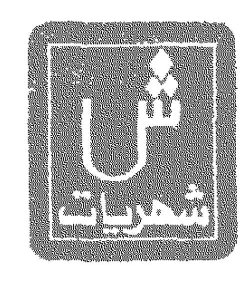
سبق وترجم لماركيز للعربية اهم اعماله مائة عام من عزلة فى ترجمتين واحدة فى القاهرة واخرى فى بيروت ، وخريف البطريرك وكتب أخرى . الغريب ان روايته الاخيرة تدور فى زمن الكوليرا فى كولومبيا كما يدور فيلم يوسف شاهين الآخر « اليوم السادس » فى زمن الكوليرا فى مصر .

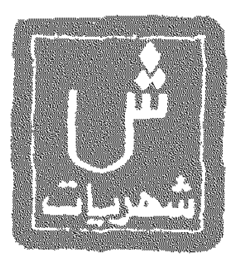


مكتبة انهلال
الكتاب : مصر وعالم البحر المتوسط
تاليف : رؤوف عباس وآخرون
الناشر : دار الفكر للدراسات والنشر
٣٢٨ص ، قطع كبير
٥٠٠ ق م

يتضمن هـذا الكتـاب مجمـوعة من الـدراسات الأكـاديمية التي جـاءت نتيجة لجهد كاتبيها من الأساتذة الجامعيين الذين اشتركوا بها فى سمنار التـاريخ - كليـة آداب القاهرة - بمناسبة العام الخامس لتاسيس السمنار .

يقول الدكتـور رؤوف عباس مقرر السمنار ان التفكير فى إختيار هذا الموضوع جاء بقصد إتاحة الفرصة لدراسات اكاديمية دقيقة حول العلاقة بين مصر ودائرة واسعة من دوائر التاثير الحضارى شاركت مصر فى رسمها ، وتلاقت كثيرا من دائرة العالم العربي الذى تنتمى مصر إليه إنتماء لاشبهة فيـه ، ولم يجىء هذا الاختيار ، كما قد يتبادر للذهن لأول وهلة ، من قبيل إحياء دعوة قديمة تنكر على مصر عروبتها وتدير ظهرها لحضارة عظيمة





لعبة مصر الدور الهام في صياغتها ، فمثل هذه الدعوة حكم التاريخ عليها بالبوار .

وقد جاءت بحوث الكتاب في قسمين ، الاول يضم الأبحاث المتصلة بمرحلة العصر القديم وحتى العصور الوسطي ، والثاني خصص للبحوث التي تعالج اطرافا من مصر وعالم البحر المتوسط في العصر الحديث .

فكتب سيد أحمد الناصري عن « التأثير الرومانسي للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط ، محمود السعدني عن العلاقات المصرية اليونانية القديمة ، ورافت عبدالحميد عن الممتلكات المصرية في اسيا الصغرى وبحر إيجه في عصر البطالمة ، والدكتور رافت عبدالحميد محمد عن مصر والعريش البيزنطي ، وعطية القوصي عن مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط ، ومحمد بركات البيلي عن مدرسة مصر الدينية وصلتها بالاندلس ، وعبادة عبدالرحمن كحيلة عن مصر ومشروع عبدالرحمن الداخل في بعث الخلافة الاموية بالمشرق . وعبدالعزيز محمود عن الصراع بين القوى الأوربية المسيحية ودولة المماليك الجراكسة ، وسعيد عاشور عن مصر معبرا للثقافة الاسلامية في حوض المتوسط ، وحامد زيدان عن الاسكندرية منارة للعلم في البحر المتوسط ، وصبحي لبيب عن الفندق كظاهرة سياسية إقتصادية ، قانونية ، ومحمد أمين عن معاهدة تجارية بين مصر والبندقية .

والحقيقة ان خوف القارىء من مثل هذه الدراسات الأكاديمية سيتبدد بمجرد الانتهاء من هذا الكتاب ، إذ يبدو ان السادة الدارسين ، او ربما المحرر ، بذلوا جهدا كبيرا في صياغة موضوعاتهم بشكل متقن وفيه الكثير من اللمسات الابداعية بعكس كثير من الدراسات الأكاديمية التي تتسم بالجفاف .

الكتاب : الحشاشون
تاليف : برنار لويس
ترجمة : محمد العزب موسى
الناشر : مكتبة مدبولي
٢٧٠ ص ، ث متوسط ، ٣٠٠ ق م

هذا كتاب عن واحدة من الفرق العديدة التي ظهرت بين ظهراني الاسماعيلية وواضعه هو المؤرخ والمستشرق الانجليزي الشهير البروفيسور برنار لويس الذي كتب عدة كتب عن « جذور الاسماعيلية » و « العرب في التاريخ » و « ظهور تركيا الحديثة » و « استنبول وحضارة الامبراطورية العثمانية » و « الشرق الأوسط والغرب » وكان قبل وفاته مؤخرا استاذا لتاريخ الشرق الادني والأوسط بجامعة لندن .

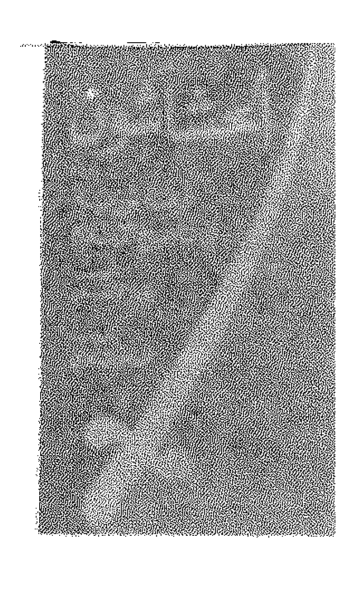
اما كتابه هذا فقد ظهر عام ١٩٦٧ في وقت إتجهت فيه انظار العالم بشدة للشرق الأوسط نتيجة لتفجر الصراع العربي الاسرائيلي ونشوء ما عرف بازمة الشرق الأوسط .

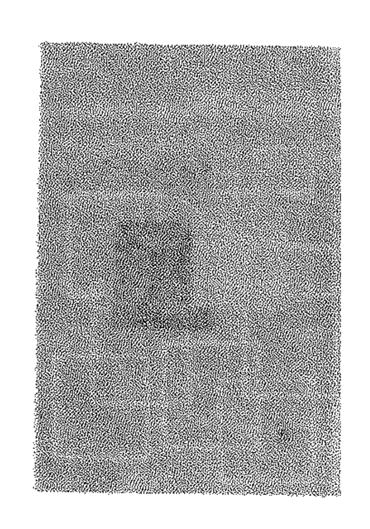
وفيه ـ يقول المترجم ـ يفتح برنار لويس صفحة هامة غامضة في تاريخ المنطقة ويجلوها جلاء بينا حتى ليخيل للقارىء كان

الاحداث والشخصيات تقفز مجسمة من بين سطور الكتاب .

وقد تتبع المؤلف في كتابه تاريخ فرقة الحشاشين الاسماعيلية منذ بدايتها الأولى إلى نهايتها ، وهي فرقة لعبت دورا غريبا ليس بالقصير في تاريخ المنطقة ونسجت حولها الخرافات والأساطير وأعطت إسمها لفن القتل و « الاغتيال السياسي » ، في اللغات الأوربية الحديثة .

ويستعرض في بحثه الشيق هذا تطور فرقة الحشاشين في التاريخ والاساطير ومعتقداتها ووسائلها في الانتقام من خصومها واهدافها الدينية والسياسية كما يبحث مغزاها في تاريخ الاسلام وتاريخ الحركات الثورية والارهابية .





الكتاب : الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر المسرحي .
تأليف : مصرى حنورة
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٤٨ ص ، ق كبير ، ٣٠٠ ق م

بعد دراساته السابقة عن الرواية والشعر والمسرح يقدم لنا الدكتور حنورة ، وهو واحد من تلاميذ الدكتور مصطفى سويف رائد الدراسات النفسية في مجال الابداع الروائي هاهو يتقدم بدراسة جديدة تتخذ من المسرح الشعرى موضوعا رئيسيا لها .

وهو يرى ان هذه الدراسة تضيف جديدا لدراسته السابقة عن القصيدة ، من زاوية ان إبداع القصيدة متعلق بإنتاج عمل قد يستغرق جلسة اوجلستين ، فضلا عن انه لا يتعامل مع العديد من العناصر كالشخصيات والحوار والحدث والمؤثرات المسرحية ..

ومن هنا فإن الشاعر حين يعمل في المسرحية فهو ، كما يقدر الكتاب انفسهم ، انما يعمل في عالم متشابك معقد يقتضي الاقتراب منه ببطء ومعايشة عناصره بعمق .

ينقسم الكتاب إلى قسمين : الاول يتضمن اربعة فصول ، فصل تمهيدى عن الابداع ، وفصل ثان عن الحوار المسرحي بإعتباره اداة الكاتب او وسيلته لعرض افكاره ، وفصل ثالث عن مشكلة الدراسة والمنهج ، ثم فصل رابع يبسط فيه النتائج التي توصل إليها .

إما القسم الثاني فبه لقاءات مثيرة مع الشعراء صلاح عبدالصبور وفتحي سعيد وفاروق جويدة وشوقي خميس واحمد سويلم ومحمد مهران السيد ومحمد إبراهيم ابوسنة .

بنازير بوتو.. ثأر الزعماء

بقلم: فيليب جلاب

يقول بعض انصار الجنرال ضياء الحق إن الآنسة بنازير بوتو يحركها شيء واحد ضد راس النظام في باكستان وهو الثار لأبيها الراحل ذو الفقار على بوتو الذى قتله ضياء الحق بعد محاكمة هزلية وبحكم "قضائي" تم اعداده سلفا ونطق به "قاض" لوث سمعة القضاء في باكستان وفى اسيا كلها .

والثأر لأب او أخ او زوج خاصة اذا كان في مستوى زعيم شعبى لامع مثل ذو الفقار على بوتو من طبائع الأمور لكنه لا يصنع زعيما او زعيمة . فالثار لزعيم المعارضة الراحل أكينو في الفلبين لم يصنع وحده زعيمة من زوجته . والثار لشقيق لينين الذى قتله القيصر لم يصنع وحده من لينين زعيما .

وللزعامة بالنسبة لفتاة مثل بنازير بوتو وغيرها مقومات كثيرة لا تخطئها العين ولا تفوت كل من يتابع ملحمة الصراع الدامية بين الجنرال المدجج بالسلاح وقوات الأمن ، وبين فتاة رقيقة في أجمل سنوات العمر تحمل أرقى الدرجات العلمية من جامعات بريطانية وأمريكية وتنتسب لأعرق الأسر ثروة ونفوذا في باكستان .



وفي مجتمع تعامل فيه المرأة بوصفها "عورة" ، لا يمكن أن يحتشد مئات الألوف من الرجال والنساء في مواجهة القوة الغاشمة وراء فتاة لا تملك كل مقومات الزعامة الحقيقية .

وبينما يهرب رجال كثيرون من المواجهة بحجة احناء الراس حتى تمر العاصفة أو لأن "الحظ" وضعهم خارج البلاد قبل أو بعد الانقلاب العسكرى ، تناضل الزعيمة "الصغيرة" لتعود من "المنفى" رغم الحياة الناعمة التي تتيسر لأمثالها في اوربا والولايات المتحدة الأمريكية .

وتقود بنازير بوتو المظاهرات وتقتحم حواجز الأمن وتدخل السجن وتخرج منه دون أن تفقد اصرارها أو تنسى أنها اصبحت رمزا لحركة استعادة الديمقراطية ووضع نهاية لحكم الجنرالات .

واستعادة الديمقراطية هو ثار ملايين الباكستانيين من أولئك الذين حكموا عليهم بالتخلف والاستبداد .

والثار لفرد مهما عظم شانه ربما ينجزه قاتل أو ارهابى . لكن الثار لملايين الناس يقوده وينجزه الزعماء فقط !

● مصريون فى بلاد العرب ●

على الجارم
سفير مصر فى محافل العروبة

بقلم: د. محمد رجب البيومى

اواجد أنا من يصدقنى حين أقول أن الشعر العربى قد بلغ أوج ازدهاره فى النصف الأول من هذا القرن ثم اخذت شمسه تنحدر نحو المغيب ؟

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول إن الذين وصموا هذا الشعر ظلما بالخطابية والتقريرية قد عجزوا عن ان يأتوا بما يسدّ الفراغ الموحش بعد حملتهم عليه ، فانصرف الجمهور عن الشعر والشعراء ، وأخذ الديوان الشعرى فى هذه الحقبة الحاضرة يتوارى فى المنحنيات والسراديب !

أواجد أنا من يصدقنى حين اقول إن قصائد شوقى وحافظ ومطران ومحرم كانت تتصدر الصحف الأولى من الجرائد اليومية فتجذب الانظار أكثر مما تجذبها خطبة زعيم سياسى تنشر معها فى عدد واحد ! ويظل الجمهور مشغولا بما ابدع الشعر مابين نقد وتقريظ ، حتى تاتى قصائد جديدة لتلقى كل احتفاء !

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول ان زيارتى شوقى لبيروت ودمشق كانتا عيدين سعيدين فى ديار الشام ، فالحفلات تقام والندوات تعقد ، والتصفيق يدوى ، وكذلك كانت زيارة حافظ ، وسفارات على الجارم المتعددة فى ربوع الضاد ! فهل تغير الشعر وتغير الناس !؟

أواجد أنا من يصدقنى حين أقول ان فريقا من نقاد اليوم خافوا على انفسهم أن يتهموا بالقصور فاندفعوا إلى تأييد من يقول الشعر الآن ، فيأتى بالرموز المفتعلة ، والخيالات المغتصبة من فتات



الغرب ، والشذوذ المضطرب فى نشاز التفعيلات ، ليصبحوا بعد هذا التأييد معاصرين مواكبين ، وشاركوا بما يصنعون فى انصراف الجمهور عن كل قصيدة تقال وإذا احتفى فريق من هؤلاء بانفسهم ، فهو احتفال المسجونين فى حجرة ضيقة يتحدثون لانفسهم دون ان ينتقل الصدى إلى سامع ذوّاق .

قد يقال إن القصة والمسرحية قد انتشرتا فأخذتا الانتباه ! ولكن انتشار هاتين ، لايمنع أن يزدهر الشعر كما كان ، ولكل كوكب افقه الفيّاح !

نترك هذه الخواطر لنتحدث عن سفارة الجارم فى ربوع العربية ولنتفجَّع على مجد ادبى قد ازدهر فينانا ثم عاجله الذبول !

على الجارم



احمد شوقى



حافظ ابراهيم



تقدم على الجارم إلى الأمة العربية بعلمه قبل أن يتقدم بشعره ، فقد عرفته ربوع الضاد بمؤلفاته الرائعة ذات الأجزاء المتعددة فى البلاغة والنحو ، لأن ماكتبه الجارم فى هذين العلمين كان فتحا جديدا جعل الصعب سهلا ، والبعيد قريبا ، لذلك تعددت طبعات (النحو الواضح) حتى بلغت الخمسين ، وقررت أجزاؤه فى مدارس الشام والعراق والأردن والسعودية حينا طويلا من الدهر ، وليت هذا الكتاب الرائع فى منهجه العلمى وأسلوبه التربوى ظل مقررا للآن فى مصر ، ولكن الذين خلفوا الجارم فى التوجيه الفنى أرادوا أن يؤلفوا كما الف ، فحجبوا شمسه ، ولم يسدّوا مسدّه ، وحين أنتقل شوقى إلى دار الخلود تألق الجارم شاعرا ، كما تألق عالما . فصار ممثل مصر فى محافل العروبة ، والجارم قوى البيان ، مكتمل الأداة . بارع الالقاء ! كان الجارم أحد الفرسان الصائلة فى ميادين الفصاحة الباهرة ، حين كانت البلاغة مهوى النفوس ، وحين كان الجمهور ذواقا يلم بشذور من روائع الأدب فى القديم والحديث ، فلما مثل مصر بشاعريته الحافزة ، وديباجته العربية الناصعة ، جذب الأسماع لما يقول ، لقد كان الحفل الجهير يضم أفذاذ الشعر من كل وطن عربى ، ولكل شاعر منزلته الرفيعة دون ريب ، ولكن الجارم يقف فى الطليعة بين شعراء كبار فتكون قصيدته مجال التقدير والملاحظة ، ويعود إلى مصر وكأنه عاد من فتح حربى بعد أن سجل بطولة الانتصار ، وإذا كان المصريون قد تعودوا حينئذ سماع روائعه بالاذاعة المصرية إلقاء وترجيعا ، فإن بغداد وبيروت والخرطوم عرفت الجارم الشادى المغرد حين هتف فى ربوعها كرة بعد كرة فأوقد جذوات الحماسة ، وأشعل حمية العروبة وأعاد مجد السابقين من فرسان البيان ! وكان صادقا حين افتخر بوحيه الشعرى فقال مخاطبا بلدته المصرية (رشيد) .

هذا وليدُكِ جاء يُنشدُ شعره
ما كلُّ ماتحوِى الخيوطُ نِظامُ
اصْغَى له الوادى وغنَّتْ باسمه
بغداد ، واهتزت إليه الشام

والوادى يشملُ مصر والسودان ، وبغداد عاصمة العراق ، وبيروت إحدى حواضر الشمام، وكان الشاعر مجلجلا بصوته فى محافل هذه البلاد ، وإليك بعض ماكان فى بغداد فحسب ، إذ لايفى مقال واحد بحديث لغير بغداد .

● الجارم فى بغداد ●

للقصيدة العربية موسيقى أسرة تهز من يصغى اليها ويشعر بها كل سامع على قدر استعداده ، مهما كان غريبا عن تعمق المعانى ، واستشفاف الخواطر ، فإذا كان من ينشد القصيدة عالما بفن الالقاء ، وتجويد الكلام وكان ذا صوت لؤلؤى الايقاع فإنه يبلغ بتاثيره النفاذ مالا يُبعد وراءه من التأثير وكذلك كان الجارم ، وقد لقب (بالصناجة) لموهبته الالقائية ، فاذا جمع إلى هذا التغريد الساحر ، عذوبة البيان ووضوح الديباجة ، وملك التعبير عن الخواطر المكظومة ، والهواجس الدفينة حتى كأنه ينطق عن أغوار الناس فى



موقفه الالقائى فإنه يهز الحفل هزا ، والذين ينكرون ارتياح السامعين لما يبهرهم من الشعر ، ويعدونه من قبيل الخطابيات ينكرون الشعر العربى منذ وجد إلى عصرنا هذا ، وعليهم أن يقطعوا الصلة بين الطريف والتليد حين يأتون بضباب حائر تبدده الريح .

لقد زار الجارم عاصمة الرشيد ثلاث مرات ، فكانت كل زيارة له موسما شعريا لاينقطع صداه عدة شهور ، زارها ممثلا للمجمع اللغوى فى المؤتمر الطبى ببغداد سنة ١٩٣٨ فأنشد قصيدته الذائعة .

بغداد يابلد الرشيد
ومنارة المجد التليد

وفيها تحدث عن سجل المجد الخالد ، إذ كانت بغداد مضرب المثل الشرود ، وأنصع سطر للعروبة خط فى لوح الخلود ، ولاينبيك عن بغداد مثل الجارم حين أخذ يناديها متسائلا :

بغداد يادار النهى
والفن يا بيت القصيد
نبت القريض على ضفا
فك بين افنان الورود
سرق التدلل من (عنان)
والتفنن من (وحيد)
بغداد أين البحترى
وأين أين ابن الوليد ؟
ومجالس الشعراء فى
بيت ابن يحيى والرشيد ؟
أين القيان الضاكا
يَمسْن فى وشى البرود
الساهرات مع النجوم
الانفات من الهجود
يخطرن حتى تعجب الأ
غصان من لين القدود
وإذا سفرن فاين ضو
ء الشمس من شفق الخدود
يعبثن بالأيام والأيا
م أعبث من وليد

خبا الجمال لهن كنزاً
بين سالفة وجيد

ويترك الشاعر مظاهر الترف والنعيم إلى مواقف القوة والسلطان فيتحدث عن الجيش الزاخر بالاساد ، والبهو الفسيح الحافل بوفود الدول ، فالرسل تتلو الرسل من بيض صقالبة وسود ، والجو يسطع بالسيوف ، والأرض تزخر بالجنود

حتى إذا رجعوا بدا
بجباههم اثر السجود

أما عواطف الشاعر الذاتية فهى عواطف كل عربى مثقف شاعر ، يقرأ التاريخ ، ويجمح بالخيال الى أبعد مراميه ، فيجوز القرون النائيات ، ويفك أسرار العقود ، ويهتاجه الطيف البعيد فيصبو إلى ظل الجاه والعزة فى زمان المجد الغابر ، وينادى أمة اليوم أن تعيد مجد الأمس . فاليوم يوم السباق والعدو ، لا التقهقر والنكوص ، والمجد يدعو ذوية للصعود فلا نكول ، كل هذه المعانى وجدت متنفسها العاطر فى قول الجارم .

أما اثر القصيدة فى الحفل الحاشد بعلمائه وأدبائه ومفكريه ، فقد عبر عنه الدكتور زكى مبارك ، ولم يكن صديق الجارم إذ كانت بين الرجلين شوائب العمل المشترك ، ولكن المبارك خلص للحق حين قال فى كتابه (ليلى المريضة فى العراق) مخاطبا الجارم .
"أيها العُدوّ المحبوب ، تذكر أنك كنت حقا وصدقا شاعر مصر فى المؤتمر الطبى العربى وستمر أجيال واجيال ولاينساك أهل العراق .
هل تعرف مصر أنك رفعت رأسها فى العراق ، وأنك كنت خليفة شوقى فى المعانى ، وخليفة حافظ فى الالقاء ، إننى أطلب المستحيل حين أطلب من مصر إنصافك ، وهل انصفتنى مصر حتى تنصفك ؟
يرحمنى الله ويرحمك ، فعنده وحده جزاء المجاهدين !"
وكلام زكى مبارك اعتراف تقريرى تجرد من الوصف التصويرى ، ولكن الأستاذ عبد المنعم خلاف وكان احد شهود الحفل أجاد الوصف الدقيق الشامل حين قال نقلا عن مجلة الرسالة .

«ثم وقف الجارم يرسل قلبه فى صوته المعهود ، الذى يخيل إلى انه كله آهة عميقة ، من فرط الشجو وإثارة النفس ، واستحضار المعانى الكامنة التى لا تظهر وتستعلن إلا إذا تلاّ لَهَا ساحر رقية ، أو عزف لها عازف برنة ، أو شدا لها شاد ، أو خيل لها مخيل بريشة .

وقف ــ الجارم يقلب وجهه فى السماء والأرض والجهات الأربع ، فى قلق وغيبوبة شاعر ، ويمسح على أبصار الجمع بحركاته ، ويرسل نشيده ، فيخيل إلى من سحره أن كلماته أجسام تسعى ، أو أمواج تطغى على قلوبنا فتملؤها بالذكرى الحادة ، ثم بالفخر النافخ ، ثم بالضحك المرسل ، ثم بالعزم الدافع ، ثم بالأمل القريب ، وكنت أرقب خلسة

وجهي طبيبين أوربيين أخذا مجلسهما بجانبي يستمعان في غيرفهم الى مايقال ، ويريان صداه ، صفق كف بكف ، وتلاقى هتاف بهتاف فأعرف مايقولان»

● زيارة تالية ●

أشتعلت الحرب بين قبائل شمر والعبيد في بادية العراق ورأى شيخ العرب المصري ، والمجاهد السياسي المعروف حمد الباسل باشا أن ينهض بالصلح بين القبيلتين العربيتين وبذل من الجهود المباركة ما كُلل بالنجاح فأحتفلت السفارة المصرية ببغداد بهذه المناسبة الرائعة ، وتصدر حمد الباسل مجلسه بين شيوخ القبيلتين وأعيان الدولة من الوزراء وذوى الشأن ، وكان الجارم حينئذ ببغداد ، ينوب عن وزارة المعارف في حفلة تأبينية كبرى لراحل عظيم ، وأتيح له أن يشهد مع حمد الباسل الجلسات الأخيرة للصلح ، حتى إذا اثمر المسعى ، وقامت السفارة المصرية بحفلتها المهنئة ، كان الجارم شاعر الحفل ، فدعا للسلام ، وطاف بذهنه زهير بن أبي سلمى حين هنأ العرب مباهيا بالصلح السعيد بين عبس وذبيان ، فأشاد به وتمنى أن يكون بين القوم ببغداد .

فليت زهيرا بيننا بعد ماخَبتْ
لظى الحرب وانجابت غيوم القساطل

على أن الجارم في قصيدته كان موهوبا ملهما إذ استهول أن يقتل الأخ أخاه ، وهو درعه الواقي في النوائب وإذا مسه الخطب فداه ، دمه من دمه فياويل ما صنعت يده إذ همت لترميه ! ولعلنا في مآسي العرب والمسلمين اليوم بلبنان وخيام الفلسطينيين وبالعراق وإيران نردد ما قال الجارم ، إذ صاح .

أخى انت درعى إن ألمت ملمة
وإن فدحتنى عابسات النوازل
أخى انت من نفسى ، دماؤك من دمى
«فإن كنت ماكولا فكن خير آكل»
ارمى أخى ياويل ماصنعت يدى
فياليتها كانت بغير انامل
إذا مسنى خطب فأول راكب
يخوض لى الجلى ، واسرع نازل
اكلت دما إن لم ازد عن حياضه
كريما ، وأدفع عنه كيد الغوائل
وأبسط كفى نحوه غير جافل
ويبسط نحوى كفه غير جافل

إذا البيد لم تنبت نباتا فحسبها
فقد أنبتت فينا كريم الشمائل
السنا الكرام الغر من آل يعرب
لدى الرّدع أو عند التفاف المحافل

وقد انتهى الحفل وخرج المجتمعون يرددون شعر الجارم ، حتى الأميين الذين لايقرءون ولايكتبون من شيوخ العرب فى شمر والعبيد طربوا للشعر ، وطلبوا عدة نسخ من القصيدة ليقراها الأولاد فى المدارس وما كان لديهم من المدارس حينئذ إلا مدرستان ابتدائيتان تعلمان عددا محدودا من التلاميذ فى بيدائهم المترامية ، ولكن نفاذ الشعر وقوة تاثيره مما لايرد !

● فى تابين الزهاوى ●

ذهب الجارم أول ماذهب الى بغداد مشتركا فى تأبين الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ، وللزهاوى منحى فى الشعر يخالف منحى الجارم ، كما أن تهجمه فى بعض شعره على الغيبيات مما يرفضه شاعر محافظ متشدد كالجارم ، وكأنى به وقد حار فيما يقول ، او فيما ينبغى أن يقول ، ليوفق بين اتجاهين يكادان يتعارضان ، لذلك كان الجارم ذكيا غاية الذكاء حين رثى الشاعر بالمعنى العام لكل سباح فى أجواز القريض لا بالمعنى الخاص الذى ينحصر فى شخصية الزهاوى فقد بدأ القصيدة بما يقرب من ثلاثين بيتا يتحدث فيها عن روض باسم غادره طائره فاقفر ، وارتمت مصوّخة أزهاره فذوى نبته بعد البشاشة وانقطعت ترانيمه المشجية فوق الأغصان وكانت .

إذا أرسلت الحانها فى خميلة
تواثب زهر الروض واهتز عاطره
وإن هتفت بالدوح مال كأنما
يسايرها فى لحنها وتسايره
أولئك أوتار الإله وصنعه
إذا عزفت فليسكت العود واتره
ألمت باسرار النفوس فترجمت
كما فسر الحلم المحجب عابره

هذا ماكانت ، أما بعد أن رحلت ، فقد مضى الغدير العذب ، وجف الروض المزهر ، وأصبح قابضا موحشا .



ثم انتقل الجارم الى الأوج الفسيح حين ترك الزهاوى الى العراق وماضيه الزاهر ، ولايبدع فى هذا المجال غير شاعر كالجارم ملىء الصدر بتاريخ العراق سياسة وحضارة وادبا وعلما وفنا وثقافة ، وإنه ليتحدث عن بعض ذلك فيقول .

سموت الى بغداد والشوق نحوها
يساورنى حينا وحينا أساوره
كلانا نأى عن اهله وعشيره
ليلقاه فيها اهله وعشائره
حبيب إلى نفسى العراق وأهله
وسالفه الزاهى المجيد وحاضره
ديار بها الاسلام ارسل ضوءه
فسار مسير الشمس فى الافق سائره
ومدت بها الآداب ظلا على الورى
تساوت به آصاله وهواجره
إذا شئت مجد العرب فى عنفوانه
فهذى مغانيه ، وهذى منائره

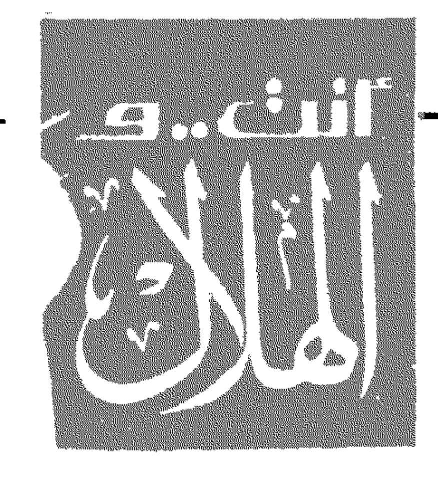
وقد كرمت العراق شاعر مصر الكبير على الجارم فمنحته وسام الرافدين ، كما كرمه لبنان فمنحه وسام الأرز ، أما مصر فقد منحته وسام النيل ثم اهدته الرتبة الثانية وذلك بعض مايستحق .

● ديوان الجارم ●

ظهر اخيرا ديوان على الجارم محتفلا بطبعه واخراجه فى أجمل مظهر ، وقد قام نجله الكريم بمجهود مشهود فى جمع ماتناثر ، وإذا شاء ان يتصل بى فأرسل له عدة ملاحظات نقدية على بعض الشروح المدونة للأبيات ، كما أرسل إليه قصيدة ممتازة نسى أن يلحقها بالديوان كانت مدحة صادقة لزعيم مصر الخالد مصطفى النحاس ومطلعها .

أبت أعلام مجدك أن تسامى
وعزت همة لك أن ترامى

لتكون إلى جوار أختها التى صدرت بالد يوان ص ٥١٥ وهى من عيون الشعر العربى الأصيل .



● ٥ يونية ●

● قرأت في عدد اغسطس من الهلال مقال الدكتور فؤاد زكريا « ٥ يونيو فى فكرنا السياسى » وبعد مقدمته التي تناول فيها التداعيات والراقصات خلص بالتحليل الذى اورده على لسان الناصريين واليمينيين والاسلاميين ٠

وإننى اتفق مع الدكتور فؤاد زكريا على ان اسباب الهزيمة ترجع الى عدم المشاركة الشعبية الكاملة فى حكم الشعب نفسه بنفسه ٠٠

ولكن الدكتور خلط بين جماعات الاسلاميين وقدمهم كشريحة واحدة يرتكز رأيها فى أسباب الهزيمة على الدين وان الدولة هزمت لانها سلكت مسلكا علمانيا يخالف الدين ٠

واذا كان المقصود بكلمة العلمانية مخالفة الدين فهذا قول مغلوط واذا كان « العلم » فنقول نعم ان العلم هو الرافد الوحيد الذى ينبع من معين هذا الدين الذى يروى الحياة بكل روافدها التي تنبع من تجارب البشر وتطلعاتهم ٠

ولا يستطيع أحد أن يزعم ان الدين عدو للعلم ٠ بل ان العلم هو الرافد الذى لا ينضب مجراه (علم الانسان ما لم يعلم) ٠٠ وتحدى الدكتور زكريا أن ياتى هؤلاء الاسلاميون بما يثبت تاريخيا ان الدين كان سبب الهزيمة ٠٠ وقد جاءنا بأمثلة لحرب الهند وباكستان واسرائيل والعرب ، مع ان هذه الحروب لم تكن دينية فى رأينا ٠٠ وجميع الحروب للتى وقعت فى التاريخ كانت ترتكز أساسا على الحرية او الدين وهما منحتان الهيتان ما لم تتوفر احداها فى شعب فلن يكتب له النصر مهما بلغ من القوة ، والتاريخ القديم والحديث شاهد على ذلك ٠

ويتساءل الدكتور فؤاد زكريا : هل الدين هو المحور الرئيسى لوجود الانسان والتحكم فى كل نشاط يمارسه ، أم انه احد المحاور الهامة فى هذه الحياة الى جانب محاور أخرى لها الحق فى ان تسير فى طريقها المستقل وتعالج بأساليب مستمدة أساسا من تجارب البشر وخبراتهم ؟

ويقول أن العلمانية تمثل البديل الاخير وأن هذا البديل ليس على الاطلاق كفرا ولا زندقة ولا خروجا متعمدا عن الدين ٠

انني أعجب كيف جعل الدكتور من تجارب الحياة ندا للدين ، كأنما

هذا الدين الذى أنزله الله لا تكمل به الحياة الا ومعه محاور اخرى تضاف أليه ..

من الذى خلق السموات والارض ؟ من الذى قدر أقواتها ؟

وهل للعقل أن يخرج على خالقه ويدعى ان تجاربه محاور تضاهى أمر الدين الذى أنزله الله ؟!!

ان الله أرسل الرسول (ص) بهذا الدين ليعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا ويرفع عن أبصارنا الغشاوة ، وعن عقولنا الضلالة فكيف يرى الدكتور أن دين الله أحد الروافد مع تجارب البشر ؟!!

ورغم ان كاتب مقال ٥ يونيو قال ان الدين ضرورى وخاصة الدين الاسلامى لانتصار الجيوش أنه عاد وطالب الاسلاميين بأن يقدموا دليلا على ان الهزيمة سببها البعد عن الدين .

وسأسوق تجربة بسيطة مع الاسرائيليين لقد حاربنا نحن المتطوعين من الاخوان المسلمين اسرائيل سنة ١٩٤٨ بالبنادق الايطالية والفرنسية ولم تكن معنا مدفعية ميدان ثقيلة ولم نكن جيوشا جرارة فأخذنا من اليهود ثلاثا وعشرين مصفحة ومدرعة ودبابتين « شيرمان » كانتا لدى اليهود من الحرب العالمية الثانية فى معركة العوجة العريش ، وقمنا بتموين قوات الفالوجا المحاصرة بالمؤن والعتاد والذخيرة مما شهد به اللواء فؤاد صادق واللواء المواوى فى المحكمة ابان حكم الملك فاروق

ومن هنا أدرك الاسرائيليون أنهم لا قبل لهم بهذا المد الجديد الذى يفوقهم عقيدة واستبسالا واستخفافا بالموت فعملوا على ان تكون معركتهم مع الجيوش وليس مع الفدائيين العقائديين .

وأذكر الدكتور بحرب الفدائيين فى لبنان ، فانهم حاربوا الاسرائيليين مدة أطول من أى مدة خاضتها الجيوش العربية مجتمعة ضد اسرائيل .

ان الحرية أساس الحياة والدين أساس أعظم للحياة ، وبدونهما لن تكون هناك حياة .

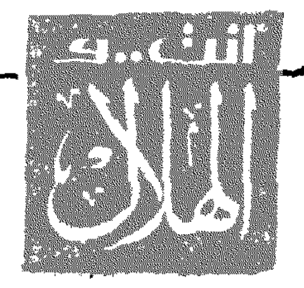
واذا أرادت الامة العربية ان تحيا فليس لها من سبيل الا الدين وليس لها من عدو الا اسرائيل وليس لها من معين الا أهلها أبناء الوطن الذين هم وحدهم يصنعون الحياة !

على نعمان

● العقاد والنقد ●

● كانت أكبر معارك العقاد النقدية ضد شوقى .

ومن وجهة نظرى كانت هذه المعركة لازمة فى وقتها مع حدتها وقسوة عبارة العقاد فيها ، لانها كانت تهدف الى التجديد والخروج بفن الشعر



عن الاطار المحدود المعروف

أكان يمكن ان يدور الشعر العربي في قوالبه الموروثه سواء صدق الشاعر مع نفسه فيما يقول أم كذب ؟

لقد كان لابد من ثورة نقدية قادحة ، فجاء كتاب « الديوان في الادب والنقد » حيث وضع العقاد شوقيا أمام أخطائه ، وانتقد طريقته في النظم .

ولا أظن أن ما أورده العقاد من مبادرات نقدية قد رد الى نحره ، وانما سار به الشعراء والنقاد . فقد تغيرت مقاييس النقد من وحدة البيت الى وحدة القصيدة ، ومن شعر المناسبات الى شعر النفس والطبيعة، ومن المراثي والتهاني الى استظهار دخائل الشعور والفؤاد ، ومن القصيدة الخطابية الرنانة الى القصيدة التي تناجي الوجدان ، وهذه آثار واضحة لما قاله الشعراء المجددون عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازني .

لم يتفرد العقاد في انتقاد شوقي على نحو ما يقال ، فما اكثر النقاد الذين تصدوا لشوقي وعرضوا بأشعاره ، ونذكر من هؤلاء طه حسين ، والمازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، وميخائيل نعيمة ، ومحمد مندور ، ومن قبلهم انتقده المويلحي وابراهيم اليازجي ، وحافظ ابراهيم وغيرهم ، وكل من ذكرناهم من أعلام الفكر وأعيان الادب ، ولا يتسع المجال لاثبات ما أوردوه في نقده .

وفي محاولة استفزاز عواطف القراء ضد العقاد ، عاب ناقد قول العقاد : « فلم اعثر على شاعر واحد انبتته مصر كي يذكر بين اعاظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب او مقلدون للعرب » .

وعبارة العقاد ـ على ما فيها من حدة ـ سليمة صحيحة فكل شعراء مصر الاسلامية اما من أصل عربي أو مقلدون للعرب ، ومادام الشاعر المصري ينظم بالعربية ويستخدم أوزان الخليل فهو عربي او شبيه به في هذا المجال ، وهل يمكن ان يقال ان الفراعنة كانوا يشعرون بالعربية ؟ ومن هم شعراء مصر القديمة ؟ وما مكانتهم في عالم الفن الشعري ؟ واضح أن من ينتقد أقوال العقاد تلك لا يبتغي الا استدرار تعاطف القراء مع تهجمه على العقاد ..

احمد حسين الطماوى

● الى الهلالى ●

● يبدو أنك اقتنعت تماما بأنك وصي على الادب فامتدت مظلة وصايتك الى القانون لنسمعك قائلا : « انك بهذا التفكير ستضيع القانون والادب » .

ويبدو ان الامر خطير ولكن نقول : ياعم سيد استرح ونم فى العسل ولاتقلق على القانون والادب فلهما رجال ٠٠ وفرسان !!

ودعنا من هذا لاذكرك بأصل الموضوع وهو افترائك على العقاد فلماذا تجاهلت فى ردك ذكر العقاد وأمسكت بالعسل والطحينة ؟! ٠٠

وقد هجوتنى فى كلامك متمثلا قول الخطيئة :

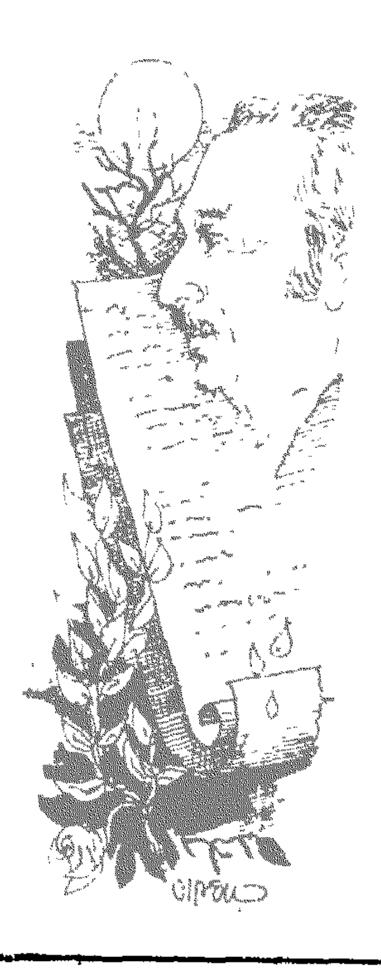
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

فدعنى أنشد على مسامعك قول المتنبى :

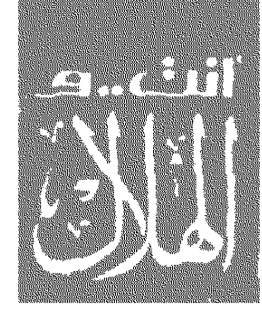
واذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بانى كامل

رمضان الهجرسى

● الى روح الشاعر صلاح عبد الصبور ●



كانت تضمنا رهافة المساء
اصغيت لك
والصوت قادم من الفلك
والثمر الحديث فى النخاع غاية العبق
وعبر شدقيك اطل الشعر بالابناء
يلبس ثوبا من الق
وعندما ارتديت دمعتين
من حزنك المضناء
وجدتنى اسبح فى مناسك الشفق
لا تقف الليلة ساكنا
انت هنا
انا هناك
فى واحة الشعر الطليق
الرجفة الهابطة الودود
عالقة فى ضوء مصباح وحيد
والزهرة الحزينة
جالسة خلف لظى لبلابة عطشى
عاتبة على صدى الموج البعيد





في رعشــة اخـيرة للفــارس القـديم
تدحرج الليــل مجلجــلا
يلمـلم البــواكير جريحــة الســوداء
ينـزع منهــا رغبــة الضــيــاء
تبــكي الريــاح في خواطـري
خواطـرك
ويستقر الليـل عقيمــا في الدماء
انــت هنــــا
انــا هنـــاك
وبيننــا قوافـل الصـخب
داميــة مجنحــه
والصــمت راحـل الى اللهــب
والزاد في عشــب الريــاح
والنـورس الطليق ينطوى بــلا رؤى
يمــوت دونمــا نداء
صــوت الكمــان يرتــدى الوشــاح
ويختفى مؤرقــا
انــت هنــا
انــا هنــاك
والشــعر في جــداول المأســاة
يــدمى
ويدخـل التــابوت مطــرقا
والطيـف عــاد للرحيـل ظامئــا ممزقــا
يكتب حلم الشفق المهيب
والصلوات في الدجى تدفق شعرا محــرقا

عبد الشافى داود

● تقع احيانا اغلاط مطبعية في بعض المقالات ·· والاغلاط المطبعية هي البلاء الذى ابتليت به الصحافة العربية والمصرية بوجه خاص ـ ونحن نعترف بذلك ـ في هذا الزمن الاخير ·

ومن ذلك خطأ وقع في كلمة « عزيزى القارىء » في العدد الماضى ، في قول المجلة : « فكيف لو نفذ البترول » ·· فقد ظهرت كلمة « نفـد

وفوق الدال نقطة فصارت ذالا ، وهذا خطأ فاحش من اخطاء ايامنـا هذه ، يريد الكاتب ان يقول « نفد » فيقول « نفذ » ·· ونحن لم نخطيء بوضع النقطة على الدال ، بل اخطأ في ذلك قسم التصحيح مع الاسف ·· كذلك اخطأ هذا القسم في حذف الالف الاولى من كلمة « خضراوات » فصارت « خضروات » مع ان الكلمة جاءت في سياق « لغويات » التي شعارها تصحيح اللغة !·· وهناك اخطاء اخرى نرجو الاغضاء عنها ··

وقد « نفد » صبرنا « بالدال لا بالذال » من هذه الاخطـاء ولكن لا فائدة !·· ونرجو الا يقع خطأ ايضا في هذا الاعتذار ·

● الهلال ●

● نظرات في شعر العقاد ●

● نظم العقاد قصيدة طويلة في رثاء السلطان حسين كامل ، ولم يترك منقبة من المناقب الا اسندها الى السلطان مع انه لم يكن يملك من الامر شيئا ، بل كان الحكم كله في يد سلطات الاحتلال · ولكي ندرك ما في هذا الرثاء من كذب ونفاق يحسن بنا ان نقدم المامة موجزة عن الحالة الاقتصادية في تلك الفترة المظلمة ، فترة الحماية البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى ··

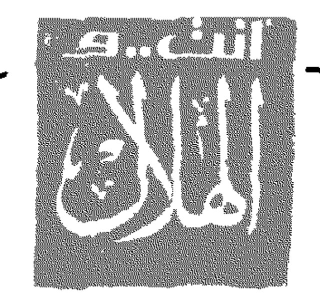
فما كادت الحرب تنشب حتى توقفت حركة الوارد والصادر ، فهبطت ايرادات الجمارك وظهر عجز خطير في الميزانية ، فصدر قرار بفصل عدد كبير من الموظفين والعمال · كما توقفت حركة الشركات والبنوك ، فاضطرت الى فصل موظفيها وعمالها · وتوقفت حركة البناء · وهكذا وجد الاف الموظفين والعمال انفسهم وقد فقدوا مورد رزقهم وأصبحوا هم وأولادهم عرضة للموت جوعا وهبطت اسعار القطن وعجز أصحاب الاراضي عن دفع الضرائب ، ولم ترحمهم الحكومة ، بل وقعت الحجز على مواشيهم وما في منازلهم من أمتعة بسيطة · ووضع البنك العقارى يده على مساحات واسعة من الارض الزراعية · ومع كل هذه المصائب والالام والفواجع نرى العقاد يسفر شاعريته الضحلة في التحدث عن الرخاء والرفاهية التي أوجدها السلطان · قال :

وادى الكنانة زال عنه همامه وخباسناه ونكست اعلامه
ومضى مضى الغابرين حسينه سبحان من يفني الدهور دوامه

وقوله : سبحان من يفنى الدهور دوامة ، اشبه بكلام عامة الناس منه بكلام الشعراء ·· وقال :

واوى الى اخرى المضاجع في الثرى جسد تضمخ بالثناء رغامه
وهي المنيـة ليس يعصي حكمها من ليس تعصى في الورى احكامه

فهذا شعر خلو من العاطفة ومن الاحساس الذى بدونه لا يكون الشعر الا مجرد لغو ويكون العقاد هنا كندابة المآتم لا اكثر ولا اقل · وقال :



مرت ثلاث سنيه وهي كأنها صبح غداة الامس هل قدامه
مرت مخففة الصروف سريعة وكذا الرخاء سريعة أيامه

وعجيب ان يخالف العقاد ضميره ويجرؤ على الكذب بشكل يدل على استهانته بالرأى العام الذى كان يحقد على السلطان بدليل المؤامرات التى دبرت لاغتياله ، عجيب ان يقف العقاد موقف المتنكر لوطنه . الخارج على الامة .. وقال أيضا :

واقام فى كنف الرفاهة شعبها وافاق من غفلاتهم نوامه

ان الذى دفع العقاد الى هذا النوع من الكذب والتملق والنفاق هو ابتهاجه بنفى احمد شوقى وكانت العلاقة سيئة جدا بين الامير حسين كامل وبين شوقى الذى هجا الامير هجاء مرا ، وعرض به تعريضا قبيحا فى قصيدته التى نظمها حين غادر كرومر مصر الى غير رحمة فقال :

فى ملعب للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لعن اصوله وتصدر الاعمى به تطفيلا
جهل اقل وحط من قدريهما والمرء ان يجبن يعش مرذولا

وكان حسين كامل رئيسا لحفلة وداع اللورد كرومر عدو مصر والمصريين .. ومنها :

ومضى على السنن القويم رجاله ونساؤه ورعاته وسوامه

وقوله « رعاته » لا تضيف جديدا الى المعنى بعد ذكر « رجاله » . اما كلمة « سوامه » فهى مجلوبة للقافية . والبيت كله تافه المعنى . وقد ختم القصيدة بمدح السلطان فؤاد .

فالعقاد مقلد ، لا مبتكر ولا مجدد ، والا فأين مظاهر التجديد فى هذه القصيدة ؟

واستخدم كلمات غريبة تدل على فساد ذوقه وجهله بطبيعة العصر الذى يعيش فيه مثل المشمخر ، تأطر ، سمادير ، مؤرب ، المتاشب وغيرها كثير .

ومن قوله الذى يدل على سوء تفكيره وعمى بصيرته ، واستهتاره بالقيم الدينية :

واحسب لو انا حللنا بجنة خلودا لشاقتنا هناك جهنم

وهذا كلام لا يصدر من عاقل ، لان من يكرمه الله ويدخله جنة تجرى من تحتها الانهار ثم تشتهى نفسه ان ينتقل الى جهنم فلابد ان يكون معتوها . وله من قصيدة تحت عنوان « على النيل » :

وحدا الخرير بنا فكان حداؤه نعم الغناء لنا عن المجذاف

والخرير هو صوت انسياب الماء . ويقول العقاد ان هذا الصوت

اغناه عن استخدام المجذاف وهذا كلام فارغ من المعنى ٠ ومنها :

والبدر منفرد الجلالة سادر   متنقل كالناعس الطواف

فكيف يكون ناعسا اى نائما ويكون فى نفس الوقت طوافا وهى صيغة مبالغة ، اى كثير الطوف ٠ ومنها :

فالذكر والنظر العيان كلاهما   حلم بها متشابه الافواف

والمعنى كله تافه يدل على ان العقاد لم يمتزج بالطبيعة ولم يتفاعل معها ٠ ومنها :

لو كان يدفع بالتوقع حادث   لرايت فى تنبؤ العراف

اى انه كان يضرب المندل ويحرك الودع ويقرأ الفنجان ويشوف ! ٠٠ ومنها :

دهر قد انبسطت عليه ساعة   فاستانفته احسن استئناف

واحسن استئناف لا يكون الا فى محكمة الاستئناف ثم فى النقض !٠

ومع انه من اهالى اسوان فقد هجا بلدته قائلا :

فليس باسوان من طلعة   يسر برؤيتها الشاعر

وليس على افقها كوكب   يرامقه النظر الساهر

متى ايها النجم يوما ارا   ك وانت على غيرها دائر

فيا عقاديون الا تخجلون من الدفاع عن الباطل ؟؟

محمد سيد كيلانى

● حوار مع الاصدقاء ●

● **احمد نفادى ـ العباسية ـ القاهرة :**

ـ فى قصيدتك « لا تخجلى » التى مطلعها : يا فتاة الحسن لا تخجلى » ٠٠ أبيات موزونة جيدة ، وأبيات أخرى مهتزة الوزن ٠٠ وشاعريتكم واضحة ، ولكن خلل الاوزان فى بعض ابياتكم ـدعو للحيرة !

● **رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :**

ـ وصلت الينا عدة قصائد منكم ، وهى طيبة ، ونراكم الآن احسن حالا فى الشعر مما كنتم منذ عامين ، فقد استقامت الاوزان لديكم مما يدفعنا الى تهنئتكم بحرارة ٠٠

● **عزت الطائر ـ فرشوط :**

ـ قصيدة محمود عبد الحفيظ عبد العزيز التى ارسلها الينا وأرسلها فى الوقت نفسه الى مجلة اخرى فنشرناها نحن وتلك المجلة ٠٠ دليل جديد على تلهف الشبان على النشر لمجرد النشر !٠٠ وانت ايضا ارسلت الينا نسخا من قصائد كنت قد ارسلتها من قبل الى مجلات خليجية

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

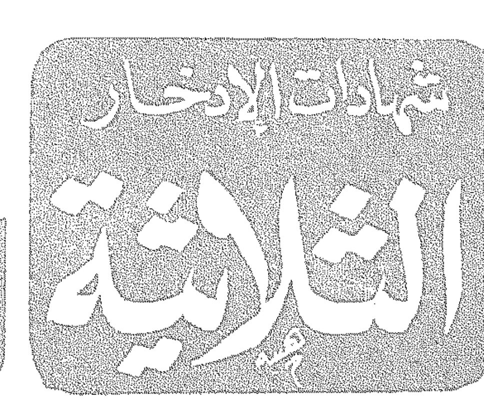
سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			

بنك الإسكندرية التجاري والبحري

ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK

خدمات مصرفية متكاملة — مراسلين في جميع أنحاء العالم





ذات الدخل الربع سنوى

- حسابات جارية بالعملات المصرية والأجنبية
- تسهيلات ائتمانية للأنشطة الاقتصادية المختلفة
- حسابات توفير وودائع بالعملات المصرية والأجنبية
- إدارات لدراسة الجدوى وأمناء استثمار
- فتح اعتمادات مستندية وإصدار خطابات الضمان
- شهادات إدخار بفائدة مجزية

★ ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك وفروعه

الإسكندرية : المركز الرئيسي : ٨٥ طريق الحرية ت : ٤٩٢١٥٥٦/٤٩٢١٢٣٧/٤٩٢٩٢٠٣

تلكس : ٥٤٥٥٣ - العنوان البرقي : كومارت - ص.ب ٢٣٧٦

القاهرة : ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة الفرجيني .

فرع الإسكندرية : تحت التجهيز

٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب .

وفمبر ١٩٨٦ • الثمن ٥٠ قرشا

الهلال

- مستقبل الثقافة بين:
طه حسين
وسيد قطب
- ظرفاء مصر

ذهب.. وقصة الحضارة





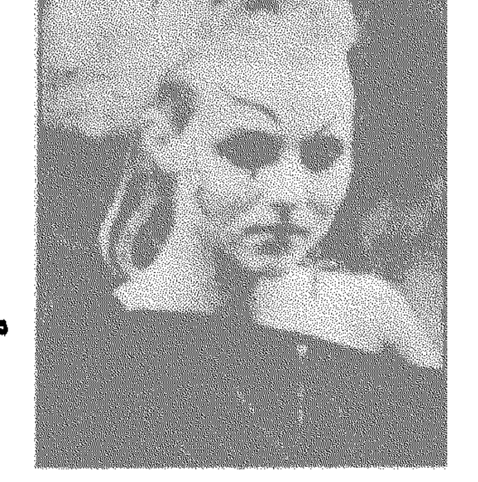
من روائع الفن الإسلامى

يقدم الفن الاسلامى فى تركيا سجلاً بالأحداث الهامة فى حياة الدولة العثمانية ، وهذه اللوحة تسجل إعدام من حاول إغتيال السلطان بايزيد الثانى ، خلال عبوره البوسفور .. وهذه اللوحة يحتفظ بها متحف طوب كابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ ، أول نوفمبر سنة ١٩٨٦ م ، ٢٨ صفر ، سنة ١٤٠٧ هـ



البانكس قبائل
مابعد الهيبس
«رسالة لندن»
ص ١١١

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● معارك ثقافية :

● كتاب الشهر :

عزيزى القارئ

١٣ نوفمبر
عيد الجهاد الوطنى

هل لك - عزيزى القارىء - فى وقفة عند اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر ؟! ..

كان من عادة الصحف المصرية ان تحتفل بيوم ١٣ نوفمبر من كل عام . بوصفه عيدا للجهاد الوطنى فى طلب الحرية والاستقلال .. وكانت تخصه بصفحات طوال من الشعر والنثر لكبار الشعراء والكتاب ..

وقد عادت الصحف المصرية الى الاهتمام بهذا اليوم الذى لايمكن ان يسقط من تاريخ مصر ، والذى اطلق عليه الشعب المصرى « عيد الجهاد الوطنى » .. لأنه كان الخطوة الأولى الى ثورة ١٩١٩ الشعبية العظيمة التى ايقظت مصر وأخرجتها من كهفها ورقيمها اللذين ألجاها إليهما عنف الاحتلال البريطانى وقبضته الحديدية من بداية الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨

فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى التى انتصرت فيها بريطانيا ، وحلفاؤها على المانيا والدولة العثمانية .. وكانت مصر أيامئذ

تحت « الحماية العسكرية » التى فرضتها عليها بريطانيا طيلة سنوات الحرب .. ولما كانت مصر ـ رسميا أو شكليا ـ من أملاك الدولة العثمانية حينذاك ، فقد أجمع المصريون على ألا تضيع بلادهم فى التقسيم الذى أزمع المنتصرون إجراءه فيما بينهم لأملاك الدولة العثمانية المهزومة ، فيضم البريطانيون مصر الى املاكهم وتصبح فى مستوى مالطة وجبل طارق وجزر الفوكلاند وهنج كونج وأمثالها ..

لهذا تألف بسرعة وفد من ثلاثة زعماء هم : سعد زغلول باشاوعبد العزيز فهمى بك وعلى شعراوى باشا .. والتقى هذا الوفد فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ـ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بيومين فقط ـ بالمعتمد البريطانى السير ريجنلد ونجت ممثل الحماية البريطانية فى القاهرة ..

وبدأ سعد زغلول باشا فقال للسير ونجت :

ـ ان الهدنة قد عقدت ، وللمصريين الحق فى القلق على مستقبلهم ! ..

رد ونجت بكبرياء :

ـ لاتتعجلوا .. ان المصريين لاينظرون الى العواقب ! ..

قال سعد متعجبا :

ـ هذه عبارة مبهمة .. لا افهم المراد بها ! ..

قال ونجت يوضح عبارته :

ـ أريد أن أقول إن المصريين ليس لهم « رأى عام » بعيد النظر ! ..

قال سعد فى لهجة احتجاج :

ـ لاأستطيع الموافقة على ذلك ، فإنى إن وافقت انكرت صفتى ، فأنا منتخب فى الجمعية التشريعية فى قسمين من اقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض إرادة « الرأى العام » مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى ..

قال ونجت منددا بالمعارضة والمقاومة الوطنية قبل الحرب وخلالها ، داخل مصر وخارجها :

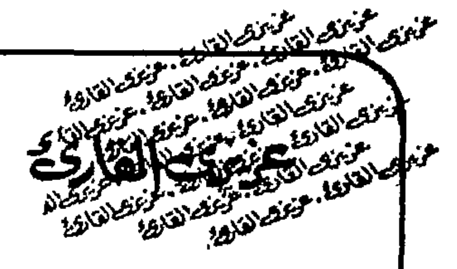
ـ إنه قبل الحرب حصل كثير من الحركات ، وكتابات محمد فريد وأمثاله فى الحزب الوطنى وكان ذلك بلا تعقل ولا روية ، فما هى أغراض المصريين ؟!

قال على شعراوى باشا :

ـ نريد ان نكون اصدقاء الانجليز ، صداقة الحر للحر ، لا العبد للحر ! ..

صاح ونجت فى لهجة بين الغضب والسخرية :

ـ إذن أنتم تطلبون الاستقلال !



انبرى له سعد باشا :

ـ ونحن له اهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة ؟! ..

قال المعتمد البريطانى مستهزئا :

ـ ولكن الطفل اذا اعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم ! ..

فازداد عبد العزيز بك فهمى توترا ، وهو بطبعه كثير التوتر ، وقال مغتاظا محنقا :

ـ نحن نطالب بالاستقلال التام .. وقد ذكرتم الحزب الوطنى ، فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال ، وكل البلد كانت تطلب الاستقلال . ونحن فى طلب الاستقلال لسنا مبالغين ، فإن أمتنا أرقى من الصرب والجبل الأسود وغيرهما ممن نالوا الاستقلال ..

قال ونجت :

ـ ولكن نسبة الأمية فى مصر كبيرة ! ..

قال عبد العزيز فهمي :

ـ هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فإن لمصر تاريخا قديما باهرا وسوابق فى الاستقلال التام ، وهى قائمة بذاتها ، وسكانها عنصر واحد ، ذو لغة واحدة ، وهم كثيرو العدد ، وبلادهم غنية .. وبالجملة فشروط الاستقلال متوافرة فى مصر ..

قال ونجت فى ازدراء :

ـ كانت مصر عبدا لتركيا .. افتكون أحط منزلة لو كانت عبدا لانجلترا ؟! ..

رد شعراوى باشا فى هدوء :

ـ لا تسرنى الحالتان ، لأن العبودية لا أرضاها !

واخيرا قال سعد زغلول باشا :

ـ نحن نعترف لانجلترا بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر ، فنطلب باسم هذه المبادىء أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها ، صداقة الحر للحر ! ..

هذا الحوار السياسى غير المسبوق فى تاريخ مصر كله ، والذى يبدو لنا الآن لفرط دقته وبلاغته كأنه حوار فى إحدى مسرحيات شكسبير ، كان بداية نهوض الشعب المصرى للجهاد فى سبيل حريته واستقلاله ! ..

فلم يكد وفد الزعماء الثلاثة يبارح قصر الدوبارة - دار المعتمد البريطاني - حتى بدأت مؤامرات السياسة البريطانية لوأد الحركة الوطنية المصرية الناشئة ! .. ولكن الغليان الشعبى فى مصر كلها سبق هذه المؤامرات ، فلم تمض اربعة اشهر على لقاء قصر الدوبارة ، حتى اندلعت ثورة مصر فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ تهتف فيها ملايين الحناجر بالاستقلال التام او الموت الزؤام ، ويسترخص المتظاهرون والثائرون دماءهم وأرواحهم ، وقد انبعثت فى الأمة كلها روحها القومية ووحدتها الوطنية .

ذلك هو باختصار تاريخ « عيد الجهاد الوطنى » أو يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، نرويه للأجيال الجديدة التى لاتعرفه ، وللأجيال القديمة التى كادت تنساه .. كان هذا اليوم أول طرقة عنيفة على باب المحتل البريطانى فى طلب جلائه عن بلادنا جلاء ناجزا يترتب عليه الاستقلال التام ! ..

وقد أذهلت المفاجأة المارد البريطانى الثمل بالنصر فى الحرب العالمية ، والمدجج بالسلاح ، والقابض على الكرة الأرضية من مشرقها الى مغربها ! ..

كانت ثورة ١٩١٩ وليدة ذلك اليوم ، يوم ١٣ نوفمبر الذى تحاورت فيه قمة الزعامة المصرية مع قمة رموز الاحتلال البريطانى ، فلما فشل الحوار ، انفجرت الثورة الشعبية ، فكانت من اعظم الثورات فى تاريخ الأمم الشرقية ضد الاستعمار الأوربى ، ووجدت فى سعد زغلول باشا ومجموعة الباشوات والبكوات والأفندية وهم رجال وزعماء تلك المرحلة ، قادة من طراز رفيع ، اجتمعوا فى الايام العصيبة الفاصلة على الهدف الواحد الكبير ، فاجتمعت عليه طبقات الأمة ، من افقر الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين ، الى اغنى التجار والملاك العقاريين والباشوات والأمراء ! ..

وكانت ذكرى ١٣ نوفمبر تجىء كل عام ، لتذكر المصريين جميعا بهذه المعانى ..

ونحن الآن نتذكر ١٣ نوفمبر وقد تبدلت الدنيا ، وكرت الايام الطوال ، واتسعت اهداف الشعب ، من الحصول على الاستقلال ، الى بناء المجتمع الحديث المتقدم العادل الذى نرجو ان نتمكن من بنائه وتطويره بلا انقطاع وسط عالم لايكف عن التقدم والتطور ونشدان العدالة ! ..

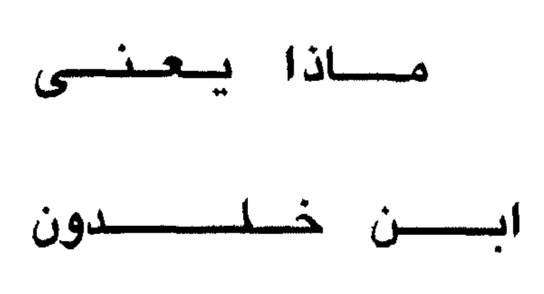
عزيزى القارىء ....

بهذا المعنى الجديد ، يبقى ١٣ نوفمبر رمزا متجددا لبداية الجهاد الوطنى ، ولايتحول الى نصب تذكارى مطمور فى زاوية منسية من زوايا التاريخ ! ..

حينما تكره الشعوب ذاتها

بقلم: فتحى رضوان





ماذا يعنى ابن خلدون بقوله



وماذا يعنى سعد زغلول بقوله

هل العرب حقا متقاعسون ومقصرون .. وهل المصريون شعب متواكل يعتمد على الغير ، وخاصة بعد حصولهم على الاستقلال ؟

إن ابن خلدون يتهم العرب بذلك ، حيث يقبلون على السهل من الأمور ، ويهربون من الشاق والصعب ، وعلى نفس الوتيرة يشير سعد زغلول إلى تقاعس المصريين وتواكلهم بعد حصولهم على الاستقلال .

يتناول الكاتب الكبير فتحى رضوان هذه القضية الهامة بالمناقشة والتحليل .

- « العرب إذا تغلبوا على منطقة أسرع إليها الخراب » ؟

- « العرب يقبلون على السهل من الأمور ويهربون من الصعاب » ؟

- « إن مصر لا يمكن ان تعيش مستقلة ، فإن حصلت على استقلالها ، فإنها لن تلبث حتى تضيّعه » ؟

من مشكلات الأدب العربى ، ما كتبه الفقيه والمؤرخ واللغوى ورجل السياسة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المولود فى تونس سنة ٧٣٢ هجرية (١٣٣٢) ميلادية ، والمتوفى فى مصر والمدفون بها سنة ٨٠٨ من هجرة الرسول (١٤٠٦ م) .

وابن خلدون الذى يعد أكثر أهل الفكر ذيوعا من العرب مثله فى ذلك مثل المتنبى بين الشعراء ، هو عربى قح ، يتكلم العربية كأفصح كتابها ، وينطق بها كأبلغ المتكلمين بها ، وقد ترك فى مكتبتها كتبا لا يبلى لها ذكر ، ولا ينقطع لها أثر ، مادام فى الدنيا علماء يبحثون عن الحقائق ، ويذيعونها ، ومادام هناك طلاب معرفة ، يبحثون عن الكتاب الجيد ، والفكر المثير .

إلا أن هذا العالم المؤرخ الفقيه والامام ، ترك لقرائه من قومه ،



حينما تكره الشعوب ذاتها

وللآخرين فى مختلف اللغات ، مشكلة اختلفوا فى تفسيرها أول الأمر ، ثم فى ردها إلى أسباب تخيل كل منهم شيئا منها ، ونحن اليوم ندلى بدلونا فى هذه المعضلة التى تستاهل الدراسة والتامل . وجملة الأمر أن مؤرخ العرب العظيم ، وواضع أسس علم الاجتماع كما يروى العلماء المستشرقون فى العرب رأى فى كتابه الذائع الصيت والمعنون . « المصير وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ومقدمة هذا الكتاب البديع الرائع ، التى أخملت ذكر الكتاب ، وتفوقت عليه ، فلم يعد أحد يذكر الكتاب بقدر ذكره للمقدمة ، وقد أفرد صاحب المقدمة والكتاب فى المقدمة عدة فصول لا توحى فقط بأن ابن خلدون هاجم العرب ، وأنتقصهم ، وحط من مروءاتهم ، وأنكر شمائلهم . وحسبك أن تعلم أن من بين هذه العناوين « العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب » و« العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك . »

وقد حير الناس واذهلهم أن ابن خلدون العربى ، لغة ونشأة ، وتعليما والذى وصل بحذقه ، ومواهبه التى لا تنكر ، وعلمه الذى لا يحد ، الى أكبر مناصب السياسة والحكم التى تساوى الآن رئيس الديوان ، وكبير الأمناء ، والوزير ، ومستشار الأمير ، ورئيس كتابه ، ولم يبد عليه طوال اضطلاعه بهذه الوظائف المهمة ، وتلك المراكز العظيمة ، أنه ضيق بأهل البلد الذى يسعى الحكم فيه ، أو يدير دفة السياسة له .

● تحقير العرب ●

وقد أثار هذا الموضوع الدكتور مصطفى الشكعة عميد كليات الأداب فى الدول العربية ، وصاحب المؤلفات الرضية الكثيرة ، التى تبلغ مبلغ الموسوعات احيانا فى كتاب له حديث اسمه « الأسس الاسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته » والكتاب جدير بان يختص به ، اساتذة التاريخ والاجتماع فى كلياتنا ، وصحفنا ومجلاتنا ، فضلا عن أساتذة الأدب ، فقد بسط حياة هذا العالم العظيم ، فى عبارة يترقرق على سطح ألفاظها معانيها ، فتكون سهلة التناول ، قريبة الأهداف ، وقد وقف وقفة غير قصيرة فى الباب السابع من كتابه الذى عنونه (ابن خلدون والعرب) . فجدد الاهتمام بهذا الجانب من حياة هذا الانسان النابه والرائد .

وقد قال الدكتور مصطفى الشكعة أولا فيما قاله ابن خلدون فى هذا الباب المحير والمربك ما ألخصه لك فيما يلى :

لقد ذهب الدارسون فى قضية ابن خلدون والعرب مذهبين متباينين ، وشكلوا فريقين متناقضين ، فريقا يرى ابن خلدون يقصد العرب جملة ، وفريقا

يرى ابن خلدون يقصد الأعراب البدو دون غيرهم .

ويرى طه حسين أن ابن خلدون يقصد تحقير العرب وأن حافز ابن خلدون على ذلك الموقف من أهله العرب ما وصلوا اليه من ضعف وتدهور وتفسخ فى العصر الذى عاش فيه ابن خلدون وربط بين حالهم آنذاك ورأى ابن خلدون فيهم ونقل عن طه حسين قوله فى هذا الصدد . ليس غريبا أن يزدريهم ابن خلدون ولاسيما انه عاش فى ظل الأسرة البربرية المجاهرة بعدائها للعرب الذين خربوا إفريقية الشمالية فى القرن الخامس وخلص الدكتور طه حسين ان حملة ابن خلدون الظالمة كانت موجهة ضد العرب .

ويشاطر هذا الرأى الاستاذ محمد عبدالله عنان الذى يعتبر مؤرخ المغرب فى كتبه العظيمة والعديدة ، ويقول الدكتور عن الأستاذ عنان ورأيه بأنه يعتقد اعتقادا جازما بأن ابن خلدون يقصد إهانة العرب انفسهم ويعنى بذلك سكان الجزيرة العربية وليس الأعراب أو البدو ويبرر اعتقاده هذا بان ابن خلدون وهو يشرح نظريته .. فى ان العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ، يذكر ابن خلدون ان العرب حينما تغلبوا على العراق والشام تقوّض عمرانها كذلك خربت إفريقية لما جاء اليها بنو هلال وبنو سليم ، ويرد عنان على هذا الاتهام الظالم بقوله : إن العرب هم الذين افتتحوا منافذ الأناضول وارمينية وتوغلوا فيما وراء فارس وافتتحوا شمال افريقيا حتى المغرب الأقصى ثم اسبانيا وعبروا جبال البرينيس الى فرنسا ، وهذه كلها أقطار وعرة النيل من البساط التى يسهل غزوها ، وقد افتتحها العرب جميعا فى اقل من قرن . وكان ابن خلدون قد ذكر من بين مثالب العرب هو اقبالهم على السهل من الأمور وهربهم من الشاق والصعب منها .

ثم اورد الدكتور مصطفى الشكعة فى القسم الذى يرى نقيض رأى طه وعنان والقائل بان ابن خلدون لم يقصد العرب فى حملتهم بل قصد الاعراب كلّ من الدكتور على عبدالواحد وافى ، والاستاذ ساطع الحصرى ومن المؤرخين الاجانب المؤيدين هذا الرأى الأخيرة البارون دوسلان الذى ترجم مقدمة ابن خلدون الى الفرنسية . أما الدكتور الشكعة نفسه فمع الرأى الذى يقول ان ابن خلدون لم يقصد سوى الأعراب والدليل عنده على ذلك ما قاله ابن خلدون فى الباب المعنون « العرب لا يتغلبون إلا على البسائط » انهم بطبيعة التوحش الذى فيهم أهل انتهاب وعبث ، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون الى منتجعهم . ويرى الدكتور ان هذا الكلام لا يمكن أن ينطبق إلا على الاعراب لأن العرب قبل الاسلام وقبل قيام دوله الزاهرة ، وحضارتهم الباهرة فى دمشق وبغداد والقاهرة مثل مكة والمدينة والطائف وصنعاء ومارب ، اى كانهم أهل حضر وليسوا أهل قفر . كما أن ابن خلدون حينما قال إن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب والسبب فى ذلك أن العرب أمة توحش

حينما تكره الشعوب ذاتها

باستحكام عوايد التوحش فيهم فصار لهم خلقا وجبلة ، وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة فيه ، وهو كلام بدوره لا ينطبق إلا على الأعراب ، لا على العرب كل ذلك من شأن الأعراب ولاسيما أن هذه العبارة جاء فيها من الألفاظ الخيام والأوتاد والحجر والأثان .

فما هى حقيقة الأمر فى هذه المشكلة ؟

الرأى عندى أن ابن خلدون كان يعنى العرب ، العرب أصحاب الحضارة الرفيعة التى امتدت من المحيط الأطلسى حتى اقصى حدود المحيط الهادى حينما التقى بأرض آسيا عند الصين .. وهى حضارة صنعها العرب بطرق عديدة تدل على أن العرب أمة حضارة وعلم وبناء وعمران .

فقد استمدت أصولها الأولى من القرآن وأحكامه التى قالت فيما قالت : إن الانسانية أمة واحدة ، يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ثم حينما اتسع مكان هذه الحضارة أفسحت صدرها ، لكل صاحب موهبة أو قدرة أو طاقة أو تاريخ ، ليساهم فى بنائها ، فترجم لها المسيحيون واليهود ، واحتلوا مكانة رفيعة بين رجالات الدول الاسلامية ، واحتفى بهم زملاؤهم من العلماء المسلمين ، وناظروهم ، وحاجوهم ، وقرأوا لهم ، وترجموا عنهم ، وحسبك ان تذكر أن الذى ترجم الفلسفة اليونانية هم العرب ، وآن العرب أخذوا هذه الحضارة عن كتب العرب ، وان العرب اسموا أرسطو المعلم الأول واسموا فيلسوفهم (ابن رشد : المعلم الثانى ، وان نبيهم يقول : اطلبوا العلم ولو فى الصين » والذى قال « ساعة علم خير من عبادة سبعين سنة » كما قال .

فهذه الحضارة العربية التى شادها العرب هى فى الواقع حضارة انسانية ، وكان عند ابن خلدون وقائع تدل على ان العرب أو الاعراب أو كليهما معا ميل الى التخريب والنهب والسلب فان تاريخ هذه الحضارة التى استمرت اكثر من عشرة قرون ، فيها من آلاف الدلائل والشواهد ، ولست أستطيع أن أتصور أن مؤرخا عظيما كابن خلدون الذى تعمق التاريخ ووقف على فلسفته وجوهر حكمه أن يخلط بين العرب والاعراب ، وان تعوزه العبارة فيقول عن شيئين جد مختلفين ، ومعنيين جد متباينين لفظا واحدا وعبارة واحدة ، فالعرب والأعراب ، لا يخلط بينها إلا امى لا يقرأ ولا يكتب ، وحينما يجلس عالم كابن خلدون ليؤلف كتابا فى مثل خطر كتابه وعمقه ودقته وكثرة ما فيه من الحقائق والأفكار والخواطر ، فيقع فى هذه الهفوة الكبيرة فيسب أهله وآباءه وأجداده ، ويرميهم باقبح النعوت ، وينسب إليهم أشد المثالب ، فماذا إذن التعليل لهذه الظاهرة الغريبة تفسيرها أمر من عنصرين :

العنصر الأول اختلاط فكرتين ، أو

إجتماع شعورين عند العرب منذ ذالة دولة الاسلام الكبرى التى قامت فى المدينة فدمشق فبغداد فالقاهرة ثم فى مدن الأندلس وجنوب أوربا ، وصقلية ،

الشعـور الأول : شعـور الفخـر والاعتزاز والمباهاة . والشعور الثانى شعور بالنقص . يبلغ بهم الى درجة المرارة .

أما العنصر الثانى فهو ثمرة الشعورين معا ، وهو رغبة مرضية تدفعهم الى النيل من أنفسهم ، والحط من أقدارهم ، والسخرية بماضيهم والأعجاب الذى لا حد له باوربا وأهل حضارتها ونظامها وفنها . والعربى ، وربما الشرقى كله ، بقدر ما يعجب بالحضارة الغربية ، ينسى مكاسبها وعيوبها وما يصاحبها من فساد وظلم وعدوان وفسق ودعارة بل قد يعجب بهذه كله ولا يراه عيبا ، ولسنا ننسى ما قاله الدكتور طه حسين فى كتابه :

« مستقبل الثقافة فى مصر » الذى قال فيه إن مستقبل النهوض ببلادنا هو الأخذ بالحضارة الأوربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، وقد سبقه الى هذا القول قاسم أمين بالنص .

نحن الآن نرفض أن نهزم ونرفض أن نتاخر ، ونرفض أن يحل بنا الفقر والضعف ، فنحاول أحيانا أن نصلح من أمرنا ، ونحن نتسلح بماضينا الفاخر والباهر ، وأحيانا أخرى نصاب باليأس ، ونعتقد أن ما نحاول هو عبث ، ومنذ ايام قال لى طبيب كبير (لا أمل لنا) وهو طبيب ناجح ماديا ومعنويا ، تعلم فى مصر ، وتعلم فى اوربا ولكن نوبات اليأس هى نوبات نفسية يصاب بها كل من يمر فى محنة .

ولقد ذكرت وأنا أكتب هذه السطور ، ما سجلة سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ والذى عرف بأنه رمز المصرية لكونه (باشا) ابن فلاح بين باشوات ينحدر أكثرهم من أصول تركية وشركسية . فقد قال سعد فى مذكراته الخاصة ما يلى عن كل طوائف المصريين :

« قال عن الفلاحين » والمزارعون أبعد الناس عن الأشتغال بالسياسة ولا تثور لهم ثائرة الا اذا مست الجهة الضعيفة فيهم وهى الجهة الاقتصادية فهم منصرفون عن كل عمل عام إلا اذا وسوس لهم وسواس فى صدورهم بالدين وأحكامه . وذوو الوجاهة والنفوذ فهم يشتغلون بالأمور العامة بقدر ما يكسبون بسبب الأشتغال بها من السلطة والنفوذ من العامة فاذا آنسوا من الاشتغال ومباشرة ما يبتغون من سلطة وجاه انصرفوا عنها وتبرأوا منها . والموظفون لم يبحثوا عن الوظائف ولا الترقى فيها لكى يفيدوا الأمة باعمالهم فيها ويستفيدوا هم منها ببسطة فى المال وفى الحياة ، بل لكى يستفيدوا الفوائد المادية فقط ، وهم الواحد منهم فى وظيفته بأن يرضى ذمة رئيسه صاحب الكلمة النافذه ولو أغضب رئيسه لنقله من مكانه .

وقليل منهم من يعرض مصلحته الخاصة فى حق ينصره أو باطل يخذله ، وترى الواحد منهم وهو خال من الوظيفة يشخص العلة ويصف الدواء ، وينتقد على العاملين أعمالهم ، ويقبح كل عمل مخالف للعدل أو الذمة ، حتى يخيل لسامعه أنه إذا تولى الاحكام انصلحت الاحوال ، وصارت على أحسن نظام ، فإذا دخل



حينما تكره الشعوب ذاتها

فيها ، انعكست الآية ، وصار ذلك الحر فى القول رقيقا فى العمل ، وذلك المستقل فى الفكر ، آلة صماء يحركها الرئيس كيف شاء وذلك الغيور على الحق فى مقدمة العاملين على إخفائه ، يسير على هذا حتى إذا تغير رئيسه عليه ورأى المستقبل مظلما فى عينيه عدل الى حالته الأولى واخذ يسخط على الزمان والمكان وانتظم فى سلك الأحرار .

وعن التجار قال سعد : والتجار لا يشتغلون بالأمور العمومية الا على مقدار ما تروج به بضاعتهم عند العامة لا يهمهم بعد ذلك شكل الحكومة ان كانت مقيدة أو مطلقة .

وقال عن العمال والصناع والفعلة لا يهتمون الا باعمالهم وقبض اجورهم ولا يتحركون لعمل عام الا اذا حركته عوامل الدين ، أو رأوا فى الثورة ما يسهل عليهم عمل السلب والنهب (مذكرات سعد زغلول كراسة ٩ ص ٤٠٠ ـ كما يراجع كتاب دور سعد زغلول فى السياسة تأليف دكتور عبدالخالق لاشين) .

ثم يحمل سعد حكمه على الأمة كلها فيقول بالجملة فليس فى جميع هذه الطبقات قوة الاعتماد على النفس التى هى منبع الحياة فيه ، ثم فهى دائما تسعى بالحاجة الى الغير للاستعانة به ولا تحس من نفسها القدرة على الوصول إلى الغاية معملها الذاتى ولأنها مكثت فى الذل والاستعباد أجيالا عديدة فانها تبحث دائما عن سندها لدى الحاكم فاذا لم تجد منه ندا لها ضعفت ، وان وجدته تقوت وسلمت لهم الأيام .

فان قرأت هذا الكلام لوجدته كرجع الصدى من كلام ابن خلدون وحكمه على العرب ، فالمصريون والعرب ، كلاهما شيء ، لا يعتمد على نفسه ولا يهتم بالشئون العامة ، إلا إذا كانت مصلحة خاصة فى هذا الاهتمام .

وقال سعد « إن مصر لا يمكن أن تعيش مستقلة ، فان حصلت على الاستقلال فإنها لن تلبث حتى تضيعه . »

ولا يمكن أن يكون هذا حكم سعد على أمته وشعبه الذى أيد ثورة سنة ١٩١٩ ، واضطلع باعبائها واصطلى نارها ، انما هو حكم لحظة اكتئاب وضيق ، وعدم رضا عما يجرى ، والشعور بأن الطريق مسدود نحو الجهاد والمقاومة . الخلاصة أن الأمم التى تمر بالمحن والمصاعب ، والشدائد والمصائب يحس مفكروها ودعاتها أحيانا بالياس يفجر نفوسهم ، والقنوط يسود حياتهم . فاذا هم فى لحظة او وقت ، يحملون على أوطانهم ، ويلعنون أهليهم وذويهم ، وينسبون إليهم كل نقيض ويسندون اليهم كل رذيلة ولكنه قول الى حين

أقوال معاصرة


د اسامة الباز

● "يرى الرئيس حسنى مبارك ، أنه لا يصح أن يصادر على حرية الجماهير فى أن تشكل وتصوغ العقيدة التى تحكمها"
" ولدى الرئيس مبارك ، إعتقاد راسخ بأن الاسلام قيمة فوق كل القيم ، ويجب أن توضع القيم الإسلامية فى الحسبان عند تحديد العلاقات فى هذه المنطقة ، وفى تشكيل رؤيتنا"

الدكتور أسامة الباز


كينوك

● "فليطمئن الذين صدموا لفشل قمة ريجان ـ جورباتشوف ، فحتى لو اتفقوا فسيكون الاتفاق مجرد محاولة لتهدئة التوتر بين الشرق والغرب !
ومازال الباب مفتوحاً لقمم مقبلة" .

مجلة التايم الأمريكية


محمود درويش

● "سأموت من أجل وطنى ، ولكنى لن أسمح أبداً أن يموت وطنى من أجلى" ..

كينوك
رئيس حزب العمال البريطانى

● "قد يكون المستقبل فى الهند معلقاً برصاصة !!"

الجارديان البريطانية

● "التطرف دفاعاً عن الحرية ليس خطيئة"

السناتور بارى جولدووتر
رئيس لجنة الدفاع

● "لا عمل لنا سوى تحويل الوجع إلى طاقة ، قد تصل وقد لا تصل إلى القادرين اليوم وغداً"

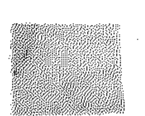
محمود درويش

القمة زعـــــــــى

الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

السطح.. وماتحت السطح



لم أكن يوما من الأيام معروفا بالتفاؤل . ولكن يبدو أن تفاؤلى مصبوغ أبداً بلون من العناد . فأنا لا أتفاءل الا عندما يكون التشاؤم هو القاعدة ، ولا أضحك الا وسط الكوارث والمحن أخشى أن أكون ذلك الانسان ـ فى قصة لنجيب محفوظ ـ الذى انفلت عياره من الضحك حتى اضطر أن يذهب الى الطبيب ليجد علاجا لحالته ، ولكننى لا أشعر بالحاجة الى زيارة أى طبيب ، إما لأن الحالة تمكنت منى بحيث لا أشعر بالمرض ، وإما لأن "حالتى" لا غبار عليها فى الحقيقة ، ولا تدعو الى الانزعاج مطلقا واليكم الأسباب :

أصبحت المودة البشعة فى هذه الايام أن تلقى الواحد منا فتراه إما حائرا بائرا ، وإما ساخطا ناخطا (لا أدرى ما ناخطا) ، وكأنه لا يجد سبيلا للتدليل على قيمته الشخصية سوى اظهار الاشمئزاز من كل ما حوله . هذا هو المناخ النفسى فى بلادنا فى الوقت الحاضر . والصحافة اليومية على الخصوص ، والأسبوعية الى حد ما (الشهرية مثلنا لا) تنشر هذا المناخ وتؤكده بمختلف السبل ، وربما كان لها بعض العذر فى ذلك ، فهى تتابع الأحداث يوماً بيوم ، أو أسبوعاً بأسبوع ،

أى أنها تنظر الى ما يطفو فوق السطح ، ولا يطفو الا القش ، والقاذورات ، وجثث الحيوانات الميتة . أما التيار العميق فلا أحد يراه أو يسمعه . واذا سألتنى : واين هو ذلك التيار العميق ؟ أحلتك الى ماتعرف : أحلتك الى الثروة البترولية التى جعلت نسبة الدخل فى بعض الأقطار العربية أعلى نسبة فى العالم ، وأحلتك الى الأعداد الهائلة من الخريجين العرب الذين يدخلون سوق العمل كل سنة ، والى النخبة من الخبراء والأساتذة العرب الذين اثبتوا وجودهم فى أعظم مراكز العلم والحضارة فى العالم .

الثروة والخبرة : اليس هذان هما العمودين اللذين ترتكز عليهما كل حضارة ؟ ولكن هناك رداً أعرفه جيدا : فستقول إن "الفاقد" من هذين كبير جدا ، بل هائل ومفزع : أموال العرب المخزونة فى بنوك العالم أضعاف أضعاف تلك المستثمرة فى بلاد العرب ، والنخبة التى هاجرت الى مراكز الحضارة فى الخارج حيث التقدم والعلم واحترام الانسان لا تعود أبداً الى الداخل . واذا كنت مصرياً فستقول أيضا إن نصيب مصر والمصريين من هذه الثروة ضئيل جداً ، ونصيبهم من نزيف العقول كبير جدا . وأنا معك فالأمور حقا نسبية . ولكن انظر الى العمارات الجديدة الشاهقة فى مدينة القاهرة وحدها . أنظر الى التقديرات المعتدلة لعدد أصحاب الملايين فى مصر

أنظر الى الأعداد الهائلة والمتزايدة من السيارات التى تزحم شوارع المدن ، وسوف تسلم بأن الأمور حقا نسبية . وأن ما جرى حولنا - إن خيراً وإن شراً - قد عم علينا .

● لحظة من فضلك ●

نحن نتكلم الآن عن تجميع الثروة ولا نتكلم عن توزيع الثروة . وبناء على ذلك فالعمارات الشاهقة - وبعضها مقام من الألومنيوم والزجاج على احدث طراز ، مع التكييف المركزى وجميع لوازم الرفاهية - تدخل فى حسابنا ، ولكن المساكن التى تشتمل عليها المقابر لا تدخل فى الحساب . وهلم جرا

● ورجع الكلام الى التفاؤل والتشاؤم ●

يبقى أن نسبة الفاقد مرعبة فعلاً (لا يحتاج الأمر الى احصاءات . معذرة ، يكفى أن تمسك ورقة وقلما وتحسب مثلا : عدد ساعات العمل المفقودة فى المواصلات أو فى البحث عن أشياء تائهة . عدد أرغفة الخبز المرمية فى الزبالة . عدد أمتار المياه وكيلوات الكهرباء المفقودة بلا جدوى - يمكنك أن تقوم بهذا الاحصاء من واقع خبرتك الشخصية - ولامؤاخذة - فى بيت جنابك مثلا كما قمت بها فى بيت جنابى) . **والفاقد بسبب عدم الحرص يمكن حسابه بأبسط طرق الحساب ، ولكنه لا يعد شيئا بجانب الفاقد الذى سببه الحرص ، والذى لا يمكن حسابه الا بالتخمين : الأرصدة الضخمة . الخاصة والعامة . المجمدة فى البنوك**

الأجنبية (أصبح معروفا أن كثيرا من هذه الأموال يجمع من أصحابها السذج تحت اسم "المعاملات الاسلامية" وهو تصرف مهما يكن معيبا وغير اسلامى ، يفضل المضاربة بأموال هؤلاء المدخرين المساكين فى أسواق البورصة العالمية) .

● تنبيه ●

نسبة الفاقد لا تدخل فيها الرشوة والاختلاس وخراب الذمة . فنحن الآن نتكلم عن الاقتصاد ولا نتكلم عن الاخلاق او القانون . عندما يستولى احد الناس على مال عام أو خاص ويضمه الى ممتلكاته بطريقة غير شرعية ، فإن المال يظل موجودا ، ويمكن ـ نظريا على الأقل ـ أن يستخدم بطريقة أفضل لانتاج ثروات جديدة . ومعلوم أن أعظم الرأسماليات العالمية قامت أولا بطريق الاغتصاب . بريطانيا اغتصبت ثروات الهند . وأمريكا اغتصبت ثروات الهنود الحمر . وليس هذا دفاعا عن المختلسين والمرتشين وخريبى الذمم ، ولكنه تمييز ضرورى بين واقعتين احداهما اقتصادية والأخرى أخلاقية قانونية . والملاحظ على كل حال أن الثروات المغتصبة فى بلادنا قلما تستغل بطريقة اقتصادية . فالغالب عليها اذا كانت صغيرة أن تذهب الى جيوب تجار المخدرات وسائر الموبقات ، أى أنه تدخل فى أشنع أبواب الفقد الناشىء عن عدم الحرص : واذا كانت كبيرة أن تهرب الى الخارج مع سائر الأموال التى تنقل بسبب الحرص لتساعد فى تدعيم اقتصاد أوربا وأمريكا . وهذا التصرف السيىء فى الأموال المنهوبة هو الجريمة الحقيقية بالمقياس الاقتصادى .

● اذن فمن أين يأتى التفاؤل ؟

هكذا سمعتك تسأل فالذى قرأته يدعو الى أشد التشاؤم . ولكننى عنيد كما قلت لك . وأنا أيضا مغرم بقياس أشياء على أشياء . كم كان يبقى فى أرض مصر من طمى النيل (عندما كان هناك طمى ؟) اسألوا الدكتور جمال حمدان ، أظنه ذكر ٢ ٪ أو نحو ذلك . ما عدد الحيوانات المنوية التى يفرزها الذكر عند التلاقح ، وهل يلزم أكثر من حيوان منوى واحد ليتم الاخصاب ؟ ستقول لى هذا قياس فاسد ، وأقول لك بل قياس صحيح ، لأن العلة واحدة فى هذه الأمثلة الثلاثة : هناك فورة فى العالم العربى كفورة الجنس أو فورة الفيضان . بعضهم يسميها فوضى ، وبعضهم يسميها ثورة ، فاختر الاسم الذى تفضله ، ولكن دعنا نتفق على المعنى المراد :

طاقة مادية وبشرية هائلة ، تندفع بلا ضابط هنا وهناك . هذا الوصف لا يمثل لنا تيارا عميقا يمضى على سننه ، ولكنه يمثل طفولة نهر كميات هائلة من المياه تندفع فوق سطح الأرض ، تقتنصها بعض السدود هنا ، تعترضها بعض الجنادل هناك ، كأنما يخطر لها خاطر بلا سبب فتغير مجراها ، وربما اكتسحت بعض الحقول أو خربت بعض البيوت .

من الواضح أننا ، مهما كنا متفائلين ،

لا يمكننا أن نرقد ونحلم باليوم الذى يكتمل فيه شباب النهر ، وتعمر ضفتاه بالحقول والمصانع ، لأن التشبيه هنا هو مجرد تشبيه ، واذا كانت هنالك حتمية جغرافية تجعل للنهر أدوار حياة ، فليست هناك حتمية اجتماعية تجعلنا نبصر بعد عمى ، ونهب بعد رقاد ، وننشط بعد خمول حتى الذين يؤمنون بالحتمية التاريخية يربطونها دائما بوعى الانسان ، وما لم نتدبر ما نصنعه بثرواتنا المادية والبشرية فسيكون سبيلها الضياع .

هذا التدبر هو عمل الباحثين والمفكرين .

● واين هؤلاء المساكين ●

إنهم أيضا مغمورون فى طفولة النهر ، محاطون بالفوضى فى كل مكان . تجدهم فى الجامعات والأكاديميات والمكتبات ، وفى مراكز البحوث فى مختلف الوزارات والمؤسسات ، وفى منظمات الجامعة العربية ، يعملون غالبا بتوجيه "القرار السياسى" **والقرار السياسى فى أوطاننا العربية قلما يعنى شيئا سوى هيبة الحكم ، أو يستجيب لشىء سوى الحاح اللحظة ، أما "التخطيط" فكلمة تقال بعفوية وبراءة ، يراد بها اقناع المتشككين ، واستكمال شكل الدولة العصرية ، وآخر ماسمعناه عن هذا التخطيط المحزن أن مؤتمر وزراء التخطيط والاقتصاد العرب شرع فى بحث امكانيات التنمية الاقتصادية فى العالم العربى حتى سنة ٢٠٠٠ . أسمعتم بأخطر من هذا البحث ؟ ولجأ المؤتمر الى مجموعة من الخبراء . فأعدت تقريراً مبنيا على ثلاثة احتمالات مرتبطة بسعر البترول ، أى أنها اتبعت ما يسمى فى مبادىء الاحصاء بالمنحنى الطبيعى ، حيث يوجد دائما متوسط وأعلى وأدنى . ولكن الوزراء الذين لا يريدون أن يزعجوا شعوبهم ، أو الذين يرون قلة المال من خوارم المروءة ، قرروا شطب الاحتمال الثالث كأنه غير موجود ، ومواجهة المستقبل حتى سنة ٢٠٠٠ إما بوجه مستبشر ضاحك ، واما - وهذا أضعف الايمان - بوجه باسم مطمئن .**

هذه هى "السياسة" كما يراها أكثر الساسة عندنا : أن تحافظ على هيبتك حتى تسلس الشعوب قيادها لك والمحافظة على الهيبة تستلزم أن تكون قادرا على النفع والضرر ، قادرا على البذل والحرمان . أما أن تكون سياسة مبنية على علم ، فهذا آخر ما يفكر فيه الساسة . والكلام على « ... حتى سنة ٢٠٠٠ » لا يعدو أن يكون لعبة مسلية يشارك فيها الشعب أحيانا .

قد تقول اننا فى مصر أسعد حالا على الأقل لا نفكر أن مستقبلنا كله مرهون بالبترول ولكن الهزة التى أصابت أسعار البترول أثرت فى اقتصادنا من طريق بترولنا وبترول جيراننا أيضا ، واذا كان اقتصادنا لا يشكو من قلة التنوع كجيراننا فإنه يشكو من الضعف الشديد . ولا ينقذه من هذا الضعف وزارة واحدة ولا وزارات متتابعة ، لا ينقذه الا بحث وفكر فى أسباب هذا الضعف ، ما ظهر منها وما بطن ، ما يبدو على السطح ، وما يكمن فى الأعماق .

واذا تركنا السطح الى الأعماق ، عرفنا أن المشكلة الاقتصادية فى مصر هى مشكلة انسانية أولا .

هناك أرقام معلنة تقول إن حجم الودائع

السائلة فى البنوك المصرية بالعملة الأجنبية يتجاوز عشرة آلاف مليون دولار (هذا غير الودائع فى الخارج) . وديـن مصر الباهظ كان خطأ من أول الأمر ، لأنه أسلمنا الى عبودية جديدة يسمونها خدمة الدين ، ولكن أين هو من ثروة مصر الزراعية والصناعية ؟ انما المطلوب للسيطرة على الدين هو رفع الانتاج الكلى وهو ناتج عمل الانسان .

والانسان ليس كائنا اقتصاديا فقط ، ليس مجرد آلة ، فرفع انتاجيته يستلزم رفع انسانيته . والانسانية فكر وشعور كما هى مهارة وعمل وفى كل واحد من هذه الأربعة تحتاج الى خبرة ، والخبرة لدى الخبراء !

● لهذا يمكننا أن نتفاءل ●

فالخبراء من العرب ، ومن المصريين خاصة ، أصبحوا أكثر بكثير ، وأوفر تخصصا مما كانوا قبل ثلاثين سنة أو أربعين ، قبل أن تبدأ المرحلة الحاضرة من تاريخ العالم : مرحلة السباق التكنولوجى والكيانات السياسية والاقتصادية الكبيرة . والخبراء فى علوم الانسان بالذات ، وهى التى أعرفها أكثر من غيرها ، موجودون فى كل بلد عربى بأعداد تصلح لتكوين مجموعات عمل مهمة . وأهم من ذلك أن مثل هذه المجموعات بدأت تتكون فعلا . لم يعد العمل الفردى هو السبيل الوحيد لانجاز أى بحث أو أى مشروع حقا هناك محاولات عشوائية ، وهناك ضجيج كثير ، وهناك نشاط يبذل من أجل الظهور أو التسلق ، أو الكسب المادى . ولكن أى عمل يخلو من هذه ؟ هذه هى الشوائب التى لابد منها . هذا هو "الفاقد" فى العمل الفكرى . ولكن النواة المخصبة هناك .

بقى شىء واحد مهم لتصل هذه النواة المخصبة الى مكمن الحياة الجديدة : أن تلتحم بجسم الأمة ذاته . بعيدا عن لغة المجاز ، إن المفكرين والعلماء والتكنولوجيين اذا لم تصل أفكارهم وعلومهم ومبتكراتهم الى الجماهير العريضة فسوف تظل دائما عرضة لتقلبات القرار السياسى . والفكر والعلم والتكنولوجيا منه ما لا يحتاج الى أكثر من أن يتبناه الشعب ليصبح قوة فعالة فى التطور ، ومنه ما يحتاج الى أن يقتنع به الشعب ويطالب به ليصبح قوة مؤثرة فى سياسة الحكومات . وعندما نتكلم عن "الشعب" أو "الجماهير العريضة" فنحن نعنى الجماهير الواعية التى تعرف مصلحتها وتعمل لتحقيقها ، مهما يكن حظها من العلم و الثروة ولا نعنى الجماهير السريعة الانفعال الضعيفة الادراك التى يمكن أن تقع فريسة سهلة لأى مغامر .

إن عالمنا العربى ، والمصرى خاصة ، ملىء بالثروات الصغيرة والكبيرة التى لا يعرف أصحابها أين يوجهونها ، ملىء بالعقول والأيدى التى تتشوف الى لذة الانتاج والخلق . وأهم من ذلك أنه ملىء أيضا بالافكار التى نحتاج اليها لنصحح منهج حياتنا ثم لننطلق من بعد نحو تحسين اقتصادنا وترقية أحوالنا فى مدننا وقرانا . اننى أعرف عشرات من الدوريات الفكرية والعلمية والتكنولوجية التى تصدر

فى شتى أنحاء العالم العربى (وخارجه أيضا بالعربية !) حاملة بجانب الغثاء الكثير خلاصة أفكار قلة من المفكرين والعلماء والخبراء عما يمكن أن ينير حياتنا

ينبغى البحث عن وسيلة لجعل هذه الثروة فى متناول كل من يتطلع اليها ويستطيع الانتفاع بها . لقد بدأ العالم العربى يبحث عن حلول لمشكلاته ، ابتداء من مشكلة وجوده نفسه الى مشكلات حياته اليومية . **وعندما يسقط "الحائط الرابع" بين التقارير الرسمية وشبه الرسمية وبين القارىء الواعى ، وعندما يسقط الحائط الرابع بين الخبراء والمثقفين العاديين ، سنحصل على فكر أدق ، وعلم أدق ، وتكنولوجيا مناسبة لامكانياتنا . عندئذ سيكون النهر قد أدرك شبابه ، وسيمضى على سننه ، ولن يضيع الماء ، ولن تموت البذور !**

وأكاد أومن بأن هذا كله سوف يحدث قريبا ، ولعله بدأ يحدث الآن .

ولهذا انا متفائل !

الهوى.. والمشيب!

شعر سالم حمى

مصـرّيـة الـعينيـن ! كيـف هـو الـهـوى ؟
كيف ابتـدا يـومـاً وكيف هـو استـوى ؟!
قمحيـة الـوجـه الصبيـح .. سخيـة الإغـدا
ق كـالنيـل إذا يمشـى .. روى !
لـم يَنْـو قلبـى الحـب .. حتـى إذْ تـلا
قينـا .. تمنـى فتـوضـأ .. فنـوى !
يممـت شطـرك طـائعـا ومـلبيـا
والـى ضفـافـك طـائـرى السـارى أوى
قـدُر علينـا أن نحـب ونكتـوى
مـاعـاش قلـب مـا أحـب ومـا أكتـوى !!
عبسيـة[1] الشفتيـن ! مـن ذاق اللّمـى
هيـهـات إن كبـح الجمـاح .. أو ارتـوى !
لمـا تسـاقيـت السـلاف علـى ظمـا
أيقنـت ضـاع الـعمـر قبلـك وانطـوى
فـوددت أنـوى فـى رحـابـك عـاكفـاً
حتى المنـون .. فـإن قضى قلبى .. ثـوى !!
قـالـوا : علـى شيب تـدلـه فـى الـهـوى !
أقسمـت : مـا ضـل المشيـب ومـاغـوى
والـعمـر حتـى المـوت إن لـم تقضـه
عشقـا وتشبيبـا .. فـلا كـان الـهـوى !!

---

(١) الشفاه العبسية نسبة الى قبيلة عبس ـ أجمل شفاه العرب



د. فؤاد زكريّا وهزيمة ٥ يونيو ■

دفاع نبيل عن قضية باطلة !

بقلم : د. جلال أمين

احترت حيرة عظيمة إذ قرأت المناقشة التى بدأها الدكتور فؤاد زكريا على صفحات الهلال عن هزيمة ١٩٦٧ في عدد أغسطس ٨٦ ، واشترك فيها الأساتذة فتحى رضوان ومحمد سيد أحمد ومحمد عودة فى عدد سبتمبر ، ثم عاد إليها الدكتور زكريا فى عدد أكتوبر ، فالدكتور فؤاد زكريا يكتب كعادته بمنطقه السلس ، ومدفوعا كعادته أيضا بأنبل الدوافع ، ولكنه ينتهى الى نتيجة تكاد تكون هى النقيض التام لما ظللت اعتقده (ولا أزال) منذ وقوع كارثة ١٩٦٧ وحتى اليوم ، وهو أن هذه الهزيمة فرضت علينا فرضا بتدخل قوى خارجية عاتية لم نكن نستطيع لها رداً ولأسباب تكاد تكون خارجة تماما عن سلطاننا . ولكن ها هو الدكتور زكريا يقول العكس بالضبط ، وهو أننا ، والنظام الناصرى بوجه خاص ، نتحمل المسئولية الأولى عن الهزيمة ، وأنه كان من الممكن تجنب وقوعها لولا نقائص هذا النظام ومثالبه ، وعلى الأخص لولا ما اتسم به النظام الناصرى من حكم فردى وغياب المشاركة الشعبية الحقيقية . ثم جاءت التعليقات إما متفقة مع جوهر ما قاله الدكتور زكريا ، أو منتقدة إياه دون أن تنجح فى رأيى ، فى حسم القضية لصالح الرأى الآخر الذى أعتقد بصحته ..

● ● ●



لا يمكن طرح الأمر برمته جانبا بالقول بأننا في الحقيقة متفقون ، رغم الاختلاف الظاهرى ، فالدكتور زكريا يعترف للعامل الخارجى بدور ما وأنا اعترف لنقائص النظام الناصرى بدور ما ، فما جدوى أن يقول أحدنا أن سبب الهزيمة ليس هو ضراوة الاعتداء بل ضعف المعتدى عليه ، وأن يقول آخر بعكس ذلك ، طالما أن من البدهى أن أية معركة تحسمها فى النهاية القوة النسبية لكلا الطرفين (بكل أبعادها العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية) ؟ ومن ثم يستوى القول بأن سبب الهزيمة هو قوة المعتدى أو ضعف المعتدى عليه ، وتصبح القضية غير ذات موضوع .. لا يمكن إنهاء النقاش على هذا النحو إذ أن الدكتور فؤاد زكريا يذهب بالطبع إلى أبعد من هذا ، إذ يرمى إلى بيان أنه كان باستطاعة نظام عبد الناصر ، لو كان قد تجنب عددا من الأخطاء (وبالذات خطأ الحكم الفردى) أن يتجنب الهزيمة . وهذا هو بالضبط ما أختلف معه فيه أشد الاختلاف . نعم إنى أعتقد أن للنظام الناصرى أخطاء كبيرة ساهمت بلا شك فى أن تكون هزيمة يونيو بهذه الفداحة وهذا الحجم وهذه السرعة ، ولكنى أعتقد أيضا أن من الخطأ تحميل هذه النقائص بأكثر مما تحتمل ، وأن من شبه المؤكد أن الهزيمة كانت واقعة حتى لو كان النظام الناصرى ، قد نجح فى إقامة حكم ديمقراطى حقيقى .

عاودت إذن قراءة مقالى د . زكريا بعناية ، فإذا بى اجد أن مابدا لى فى اول الأمر منطقا صارما لم يكن فى الحقيقة بهذه الصرامة ، وأن الأدلة التاريخية التى يستعين بها لتأييد رأيه لا تحسم الأمر لصالحه ، وأن هناك من الأدلة التاريخية الأخرى ما يدحض رأيه ، وأن ما لمقاليه من جاذبية تعود فى الواقع الى جاذبية موقفه الأخلاقى والسياسى وليس إلى أنه أصاب كبد الحقيقة .

● الاعتراف بالخطأ ●

ذلك أن هناك بلاشك جاذبية خاصة لكل رأى يحاول أن يتجنب إلقاء المسئولية على الغير ويتصدى للمشكلة قائلا بشجاعة .. دعونا نعترف بخطئنا ولا نفع يعود علينا من ترديد أن الاستعمار هو دائما المسئول .. هذه الجاذبية ترجع أولا الى ما توحى من شجاعة الاستعداد للاعتراف بالخطأ ، فالقاء المسئولية على الغير يبدو وكأنه اكثر الحلول كسلاً ، أساسه محاولة تبرئة النفس وتبرير القعود والانتظار حتى يغير الغير ما بنفسه ، بحجة أنه ما باليد حيلة ولا أمل فى الخروج من الورطة طالما ظلت القوى الخارجية متربصة بنا هذا التربص وقد يقول الدكتور زكريا فى نفسه (وأغلب الظن أنه يقول ذلك لنفسه بالفعل) : « إنه حتى لو كان الرأى الآخر صحيحا ، ذلك الذى يلقى بالمسئولية على القوى الخارجية ، فإنه من الأفضل أن

أؤكد على نقائص النظام الناصرى ، التى ما يزال الكثير منها قائما حتى اليوم ، حتى استثير همة الشباب للاصلاح . دعني أؤكد على ما بيدنا تغييره ولا أضيع جهدى فى القاء اللوم على ظروف لا سلطان لى عليها » وفى مقال الدكتور زكريا ما يؤكد أن هذا الاعتبار حاضر فى ذهنه حضورا قويا ، إذ يقول فى ختام مقال أغسطس : « إن من واجب كل حريص على وطنه أن يتذكر الهزيمة كيما يدرك النتائج المأساوية التى يؤدى اليها الحكم الفردى مهما كان نجاحه فى غير ذلك من الميادين ، وكلما أمعن المرء فى التفكير فى الأمر .. ازداد إصراراً على الكفاح من أجل مزيد من المشاركة الشعبية الحقيقية فى صنع القرار وتنفيذه والرقابة عليه » .

الهدف إذن نبيل بلاشك ، ولكنى لا أظن أن د . فؤاد زكريا يحب أن تناقش كتاباته على أساس أخلاقى أو سياسى ، بل الأرجح أنه يحب أن تناقش بمعيار الصواب والخطأ ، المنطقى أو التاريخى ، فهو يحاول أن يتناول الأمر وكأنه قضية منطقية وتاريخية بحتة ، وكأنه على استعداد لتجاهل أية اعتبارات عملية في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وهو بالفعل ما يجب علينا أن نصنعه وهنا أعتقد أنه جانب الصواب بدرجة كبيرة ، فالهدف النبيل ، تماما كالهدف الحقير ، يمكن أن يلوى عنق الحقيقة ، ويقدم تفسيرات خاطئة للتاريخ ، ويضحى بموضوعية النقاش ..

يبدأ الدكتور فؤاد زكريا بالوقوع فى خطأ شائع ، وهو عرض الرأى الذى يريد انتقاده فى أسوأ أشكاله وأكثرها تهافتا حتى يتسنى له بذلك هدمه ، فهو إذ يريد أن ينتقد التأكيد على العامل الخارجى فى الهزيمة يدعوه أولا بنظرية « المؤامرة الدولية » ، مع أن من الممكن جدا أن يقبل المرء التأكيد على دور القوى الخارجية الحاسم دون أن يعتقد بالضرورة بوجود « مؤامرة » بكل ما تحمله الكلمة من معان ، كما أشار بحق الأستاذ فتحى رضوان .. ثم يذهب الدكتور زكريا فى تلخيصه لهذا الرأى الذى يريد انتقاده فإنه يذهب إلى « تفسير حرب ١٩٦٧ عن طريق البعد الخارجى وحده » (ص ٢٢) ، مع أن من الصعب أن نتصور طفلا صغيرا يمكن أن يذهب فى حماقته إلى هذا الحد ، فينفى عن نظام عبد الناصر أى شبهة للخطأ أو التقصير .

بناء على هذا أصبح من السهل على د . زكريا أن يوجه اتهاما قاسيا وظالما للكل من يحاول أن يحمّل العامل الخارجى المسئولية عن الهزيمة ، فينعتهم جميعا ، وقد وضعهم جميعا فى هذه السلة الواحدة البائسة ، فإنهم يتبنون هذا الرأى مدفوعين بمصلحة شخصية ، فيقول :

« أصحاب النظرية الأولى ، أعنى نظرية المؤامرة الخارجية ، يهتمون فى واقع الأمر



بتبرير ارتباطاتهم القديمة بالعهد الناصرى خلال فترة الهزيمة ، أكثر مما يحرصون على الحقيقة الموضوعية ، وهكذا لا يسمح د . زكريا لأحد أن يعتقد بأن العوامل الخارجية هى المسئول الأول عن الهزيمة دون أن يصمه بأن له مصلحة شخصية فى التغاضى عن نقائص عهد عبد الناصر ، وهو موقف لا يتجاهل فقط إمكانية الاعتقاد بأن العامل الخارجى هو العامل الحاسم دون السكوت عن أخطاء النظام الناصرى ، بل ويتجاهل أيضا أن كثيرين ممن يتخذون هذا الموقف سجنوا أو شردوا فى عهد عبد الناصر ولم يحققوا فى حياته نفعا شخصيا يذكر .

● تجربة فيتنام ●

يلجأ الدكتور زكريا بعد هذا الى الاستشهاد بالتاريخ ، ويقول أنه سيكتفى بمثلين : فيتنام ونيكاراجوا ، للتدليل على أن هناك من الدول ما تتعرض للأطماع والمؤامرات الأمبريالية العالمية ومع ذلك نجح فى صدها ولم ينهزم أمامها .

على أنى أزعم أن هذه الطريقة من طرق الاستدلال هى من أشد الطرق خطراً وأقلها يقينا ، ويكاد ويستحيل أن تحسم الأمر على أى نحو كان . إذ ما الذى يريد د . زكريا أن يستدل به من تجربة فيتنام ؟

هل يريد أن يقول : إنه لو كانت مصر قد اقتدت بفيتنام من حيث الاعتماد على المشاركة الشعبية الشاملة لكانت انتصرت على الولايات المتحدة واسرائيل ؟

كيف يمكن له أن يكون واثقا من ذلك ؟ إن هناك عشرات الفوارق الأخرى (الجغرافية والتاريخية والأجتماعية والنفسية وتلك المتعلقة بمواقف الدول الكبرى الأخرى) بين تجربة فيتنام وتجربة مصر ، غير غياب أو تحقق المشاركة الشعبية ، التى يمكن أن يرد اليها الانتصار والهزيمة لقد أشار الاستاذ فتحى رضوان إلى اختلاف التضاريس وطبيعة الأرض والى الاختلاف فى الميل إلى التقشف والقدرة على احتمال الحرمان ، ولكن الا يجوز أيضا أن يكون مجرد وجود الادارة الجاهزة (وهى اسرائيل) لتوجيه الضربة إلى مصر .. دون حاجة الى تدخل مباشر من الولايات المتحدة ، سببا كافيا لاختلاف نتيجة المعركة فى حالة مصرعنها فى حالة فيتنام ، بكل ما استتبعه التدخل الأمريكى المباشر من مقاومة عنيفة داخل المجتمع الأمريكى وانهيار الروح المعنوية للمقاتلين الأمريكيين فى فيتنام ، بصرف النظر عن مدى تحقق أو غياب الديمقراطية والمشاركة الشعبية .. ؟

● تجربة نيكاراجوا ●

أما مثال نيكاراجوا فقد كان د . زكريا أقل توفيقا فى اختياره . فالأمر هنا لا

يقتصر على الشك فى درجة التشابه بين تجربة مصر وتجربة نيكاراجوا فيما عدا تحقق أو غياب المشاركة الشعبية ، بل يثير أيضا التساؤل عما إذا كان يحق لنا أن نعتبر أن تجربة نيكاراجوا قد بلغت بالفعل نهايتها بحيث يمكن مقارنتها بتجربة مصر التى انتهت فى ١٩٦٧ . إن قول د . زكريا إن نيكاراجوا بلد صغير « يقف حتى الآن وبعد سنوات من ثورته صامداً فى وجه الجار الشمالى الجبار.. » وقوله إن نيكاراجوا «لاتزال تقف على أقدامها ولاتزال تبنى نفسها فى الداخل وسط أصعب الظروف » كان من الممكن جدا أن يستخدم فى وصف مصر بعد أكثر من ١٤ سنة من قيام ثورة ١٩٥٢ أى بعد ضعف الفترة التى أنقضت على ثورة نيكاراجوا ، بل وكان يستخدم بالفعل ، فيوصف نظام عبد الناصر بأنه صمد فى وجه العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ ، ومؤامرات الاستعمار ضده منذ ذلك الحين بما فى ذلك انفصال سوريا وحرب اليمن وقطع المعونات الغربية .. الخ فقد استمرت مصر هى الأخرى تبنى نفسها « وسط أصعب الظروف » حتى وقعت الواقعة فى ١٩٦٧ . فالعبرة إذن ليست هى بمدى قدرة دولة صغيرة على الصمود بضعة سنوات أمام قوة عظمى ، وإنما العبرة فيما نحن بصدده الآن هى بما إذا كان الذى أنقذ نيكاراجوا حتى الآن هو خلو نظامها من الاخطاء (وهو أمر مشكوك فيه على أى حال) أم مدى ضراوة العدوان الخارجى ، وملاءمة أو عدم ملاءمة الظروف الدولية بوجه عام ، وعلى الأخص موقف القوة العظمى الأخرى من العدوان الأمريكى .

● عندما تنتصر الديكتاتورية ●

ثم فلنفرض أننى جئت للدكتور فؤاد زكريا بأمثلة يزيد عددها على أثنين ، لبلاد كانت محكومة حكما بوليسيا وتخضع لأشد أساليب الحكم ديكتاتورية ، واستطاعت مع ذلك أن تنتصر انتصارا باهرا فى الحرب وتهزم أعداءها ، هل أكون بذلك قد دحضت حجته و « أثبت » أن المشاركة الشعبية ليست عاملا حاسما فى الانتصار والهزيمة ؟

ما رأى د . فؤاد زكريا مثلا فى انتصار الاتحاد السوفييتى على ألمانيا بقيادة ستالين فى ظل نظام من أقسى النظم بوليسية وديكتاتورية ؟ وما رأيه فى انتصار ألمانيا بنازيتها على فرنسا بديموقراطيتها والتى كانت هزيمتها تضاهى « فى حجمها وسرعتها » الهزيمة المصرية فى ١٩٦٧ ، مع أن الهجوم هنا كان أقل مباغتة وأكثر احتمالاً من هجوم اسرائيل على مصر ؟ بل ما رأى .. د . زكريا فى انتصار الجيش المصرى فى ١٩٧٣ ؟ هل يستطيع حقا أن يرى فى هذا الانتصار نتيجة لتغير فى أسلوب الحكم فى مصر نحو مزيد من المشاركة الشعبية والتقليل من الحكم



الفردى ؟ أم أن الآمر يجب أن يفسر تفسيرات أخرى ؟

● عبد الناصر لم ينهزم وحده ●

ثم ألا يلفت نظر د . زكريا وجه الشبه الشديد بين تجربة الناصرية وتجربة محمد على فى القرن الماضى دون أن يكون لانتصارات محمد على العسكرية والأقتصادية علاقة بمدى تحقق المشاركة الشعبية فى عصره ولا أنكساره راجعا إلى غياب هذه المشاركة ؟ وألا يلفت نظره أيضا أن أنكسار الناصرية قد عاصره انكسار مماثل فى كثير من دول العالم الثالث ، التى تتفاوت ظروفها وأسلوب الحكم فيها تفاوتا عظيما وأجبرت جميعا على الخضوع لارادة الدول العظمى حينما أصبحت الظروف الدولية غير مواتية لاستقلالها وحيادها ؟ هل يريد أن يقدم نفس التفسير (غياب المشاركة الشعبية) لانكسار تجربة نيكروما فى غانا وسوكارنو فى أندونيسيا وبن بيللا فى الجزائر وجولان فى البرازيل بل واحتواء تجربة تيتو فى يوجوسلافيا ونهرو فى الهند ، فى فترة واحدة لاتزيد على الخمس سنوات ؟

● صياغات متعددة لنظرية واحدة ●

لم يكن من الممكن أن يغيب عن د . فؤاد زكريا قلة ما بيده من أدلة يمكن أن تحسم الأمر لصالحه ، وضعف دلالة الشواهد التاريخية التى تقدم بها .. فهو يتسلح اساسا ، كما قلتُ ، بقوة الاعتبار السياسى والاخلاقى المرتبط بموقفه وليس بصحة هذا الموقف وسلامته المنطقية لم يكن من الغريب إذن أن نلاحظ ما صادفه من صعوبة بالغة فى التعبير الدقيق عن رأيه دون أن يقع فى الخطأ ، فإذا بتعبيراته عن رأيه ووصفه للآراء الأخرى تتردد ترددا واضحا بين مستويات بالغة التفاوت فى القوة والضعف ..

فهو مرة يقول فى عبارة كاسحة « إن مشكلة غياب المشاركة الديمقراطية تعود لتؤكد نفسها بوصفها السبب الحقيقي للهزيمة » (ص ٢٩) ، وهى عبارة يكاد يفهم منها أن العامل الخارجى كان سببا زائفا أو موهوما .. وهو فى عبارة أخرى أقل قوة يقول إن غياب المشاركة الشعبية كان « أهم أسباب الهزيمة » (ص ٣٠) ، وهى عبارة يفهم منها أن العامل الخارجي لعب دوراً لا يمكن إنكاره وإن لم يكن أهم العوامل . ولكنه فى عبارة ثالثة يبين أنه ليس واثقا حتى من أن العامل الخارجى ليس أهم العوامل فيقول « إن تفسير هذه الهزيمة على أساس عامل التآمر الخارجى ..

يتجاهل عوامل أخرى قد تكون أقوى أثرا فى إحداث الهزيمة من أى عوامل أخرى (ص ٣٤) وإذا بالأمر إذن لا يتعدى أن يكون اعترافا بأهمية كل العوامل فى إحداث الهزيمة دون إمكانية الجزم بأيهما كان أهم من الآخر ..

بل إن من تعبيرات د . زكريا ما يوحى بأن الأمر يتعلق بحجم الهزيمة اكثر منه بوقوع الهزيمة نفسه ، فهو عندما يحاول التقليل من أهمية العامل الخارجى يحرص على أن يقرن الهزيمة بأوصافها ، فيقول مثلا « إن تآمر القوى الامبريالية وان كان حقيقة لا ننكرها ، لا يكفى على الاطلاق لتفسير الانهيار السريع والشامل الذى حدث فى ٥ يونيه (ص ٢٧) فلا ندرى بالضبط هل المقصود نفى المسئولية عن « الانهيار » أم عن « الانهيار السريع والشامل » .

كذلك يصف الدكتور زكريا نظرية المؤامرة الخارجية مرة بأنها « نظرية باطلة من أساسها » (ص ٢٦) ولكنه بعد ذلك بسطرين فقط يقول إنها :

« تفسير جزئى يبرز بصورة مبالغ فيها جانبا واحدا من الظاهرة » ، ثم يكتفى بعد ذلك بقليل بحكم أكثر تسامحا إذ يقول : «أن التفسير الخارجى لابد أن يكمله تفسير لخر داخلى » (ص ٢٧) وينتهى الأمر بأن نظرية المؤامرة الخارجية لا تقدم « التفسير الوحيد الكافى للحرب » وهو حكم إذا وضع بهذه الصيغة المتواضعة لا يمكن إلا أن يقبله أى شخص عاقل لأنه لا يكاد يتعدى البديهيات الواضحة بذاتها .

لاشك أننا نرحب أشد الترحيب بحماس الدكتور فؤاد زكريا لقضية المشاركة الشعبية ، ولكننا لا نستطيع أن نطاوعه وهو يحاول أن يرد الهزيمة والانتصار إلى غياب أو تحقق هذه المشاركة ، ولو على حساب إنكار حقيقة ناصعة وهى أن حجم الاعتداء الخارجى وقوة المعتدى وتصميمه على إجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الأخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعل عن سلطان الأرادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحديد النتيجة .

● « تراث عبد الناصر » ●

بل إنى أجد نفسى ، مع كل تأييدى له فى التأكيد على ضرورة الديمقراطية والمشاركة الشعبية ، غير قادر على الاتفاق معه على أن غياب الديمقراطية هى بمثابة

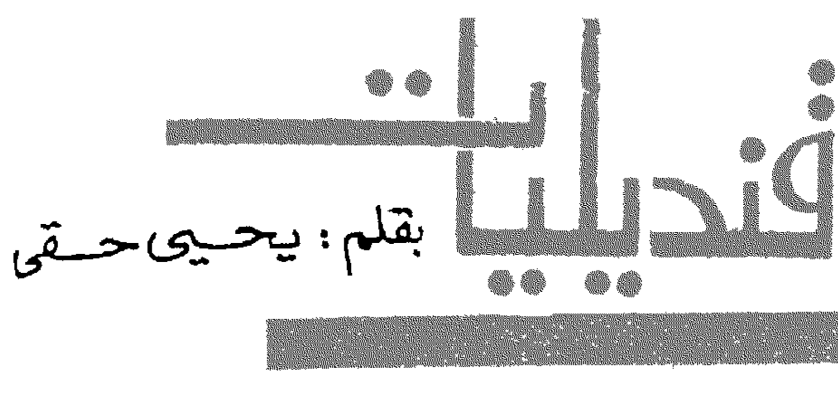
الثقب فى الوعاء الذى تتسرب منه كل ايجابيات النظام ، بمعنى أن كل إيجابيات العهد الناصرى تبدو وكأن لا قيمة لها إذا تخلف شرط المشاركة الشعبية فى الحكم ، وأن غياب هذا الشرط هو « عنصر سالب يهدد جميع العناصر الأيجابية الأخرى بالخطر ويجعلها كلها معرضة للانهيار عند أول هزة .. وهذا ما أثبته بالفعل مسار المعركة فى ١٩٦٧ ، وما ظهر بالدليل القاطع بعد أن اختفى الزعيم الذى كان يمسك فى يديه جميع الخيوط » (ص ٢٩ ـ ٣٠) .

لا أظن ذلك صحيحا بالمرة . فهل يستطيع د . فؤاد زكريا ، حقا أن ينكر ان كثيرا مما حدث من تقدم فى عهد عبد الناصر فى ميادين التصنيع والزراعة والتعليم و إعادة توزيع الدخل سوف يبقى على الزمن أيا كانت الآثار المترتبة على الهزيمة ؟

إن تجربة محمد على رغم بعد الزمن بها ، تؤيد ما اقول ، فمع كل ما أحدثته ضربة الاستعمار من تخريب بالاقتصاد والجيش المصرى فى ١٨٤٠ ، ألا تزال مصر حتى الآن مدينة لمحمد على باصلاح نظام الرى ، وإرساله البعثات التعليمية الى اوربا ، وبتفتيح أفق العامل المصرى على الصناعة الحديثة والجندى المصرى على اساليب القتال العصرية ؟ وبالمثل هل يمكن أن نتصور أن مصر بعد نصف قرن أو قرن من الزمان لن تكون مدينة لعبد الناصر ببناء السد العالى ووصل الصناعة المصرية من جديد بالصناعة الحديثة وإطلاق شرائح واسعة من الطبقات المغبونة من عقالها ، والسماح لها بالتطلع الى مستقبل أفضل كان يعتبر قبله من قبيل المستحيل ؟ كل هذا رغم انه خرج مهزوما فى حرب ١٩٦٧ ؟ بل ألن يعتبر مجرد إقدامه على دخول معارك ضارية مع الاستعمار القديم والجديد ، رغم انهزامه فى النهاية ، جزءا ثمينا من خبرة الشعب المصرى وذاكرته ، وسوف يظل مع الزمن قادرا على استثارة حماس الأجيال القادمة من الشباب الذى سوف يجد دائما فى هذه الحقبة ، أيا كانت كآبة خاتمتها العسكرية ، تذكرة له بأن الشعب المصرى لم يلجأ دائما الى الاستكانة ، وكان يؤدى فى حقبة تاريخية معينة دورا رائدا لكل شعوب العالم الثالث ؟

هل يعتقد الدكتور فؤاد زكريا حقا أن كل هذه المكاسب قد قضى عليها تماما ان عبد الناصر كان يحكم حكما فرديا ؟ إذا كان يعتقد ذلك حقاً فاغلب الظن أن شغفه بالديمقراطية يكون قد طغى على ما عرف عنه من حب خالص للحقيقة .





هذه الحضارة

حضارة الغرب الحديثة أفضل أن اسميها حضارة الرجل الابيض لكى اتمكن من الامساك بتلابيبها حين تتشخص فى انسان نراه رأى العين، ونحكم عليه من أفعاله ..

ربما أتهمت بالعنصرية، ولكن أليست هى الحضارة التى صنفت البشر حسب الوانهم بين اسود واصفر، وسقطنا نحن من قعر القفة فاقترحنا على الرجل الأبيض ان يسمينا بالرجل الاسمر !

وهذه الحضارة تصيبنى وخاصة حين أزور بلادها بحيرة لها فى الروح ذبذبة وطنين كأنى أهبط من صحو الى ضباب .. ولن اضرب فى متاهات التاريخ والفلسفة وعلم الاجناس، بل اكتفى بمثل واقعى صغير ..

عرض علينا التليفزيون الفرنسى اثناء اقامتى الاخيرة فى فرنسا فيلما تسجيليا عن استعمار الرجل الابيض لقارة افريقيا، فكأنى ارى وحشا إنقض على فريسة ضعيفة دعكها، فركها، فرتكها، ومزق أوصالها بأنيابه ومخالبه .

استعبد أهلها جميعا، ونزح ثرواتها، ومن المؤسف والمؤلم انه ضحك على اتباع دين هو فى قمة من الحب والانسانية والتسامح، فكأن

المستعمر الابيض وفي يده اليمنى بندقية وفي يده اليسرى كتاب مقدس ، لانه اراد أن يقضي اولا على جميع ديانات افريقيا لان الديانة هي اساس استقرار مجتمعاتها واستمرار تقاليدها . تحس ان الدافع لهذا الوحش ليس هو الجوع وحده ، بل وراء الجوع حقد وضغينة ، وحب للشر والأذى ، فكنت أقول في سرى : هذه الحضارة ما ألعنها ، الله يحرقها ، الله يجحمها ، ثم انتبه لنفسي فإذا بي أقول لها : أليست هي التي صنعت لك هذا الجهاز العجيب "التليفزيون" الذي جعلك تعاصر تاريخ هذا الاستعمار وانت مستريح في بيتك بفيلم ملون بلغ فيه فن التصوير أعلى مستوى ، وبلغ فيه الاخراج والمونتاج والاضاءة الحد الاعلى ، لان الذين قاموا به جعلوا الاتقان شرطا لشرفهم بل ربما لحياتهم ، فاقول هذه الحضارة ما أعظمها ، بارك الله فيها .. ثم اعود فاقول : ألا ترى هذه الحضارة لا تخجل من نشر غسيلها القذر امامك ، اذا سألتها عن السبب قالت : نحن نؤمن بالحقائق ، لسنا من أهل الانتخابات الـ ٩٩٪ أو اذا سُئلنا من انتم لم نقل كان أبي فارس الفرسان ، ومع احترامنا للحقائق فإنها لا تستعبدنا لاننا نعلم ان حقائق كثيرة في الماضي ثبت الان كذبها ، فالحقائق هي علامات طريقنا ولكنها لا تستعبدنا ويظل ذهننا مفتوحا متوثبا للكشف عن آخر وجه للحقيقة ، فأقول ما اعظم هذه الحضارة بارك الله فيها ..

الا ترى حيرتي ، وكيف انتهى الى وصف يليق بها . أقول : انها عقل بلا قلب أو مادة بلا روح كما تعودنا على اتهامها بهذه الصفات ، ثم انتبه واقول لنفسي : هل يمكن لحضارة ان تقوم وتستمر دون دعامة من قيم روحية ، والكنائس غاصة بالمبتهلين من قلوبهم ، ومن ينابيع التصوف التي نهلت منها ، وجدته في بلاد الثلوج في شمال السويد ، اليست هي التي امدتنا بهذه النشوة الروحية السامية لمختلف فنونها في الموسيقى والتصوير والنحت .. الى اخره .. الى اخره .. ويبقى اخيرا امامي هذا السؤال الذي يلح علينا ، ماذا نفعل ازاء هذه الحضارة ، هل من المستطاع ان نفضل بين فضائلها فنقتبس ، وبين عيوبها فنتجنبها .. يبدو أنه لا مفر من أن نرفضها بتة واحدة أو نقبلها كلها بعبلها .

والذي يسبب لي هذه الحيرة هو حالة التخلف التي نعاني منه فلا نستطيع الا أن نمد لهذه الحضارة يداً سفلى كانها يد شحاذ ولكن حين نستثمر ثرواتنا الروحية والمادية ونرفعها الى مستوى لا أقول مماثل بل يقارب مستوى هذه الحضارة ، فاننا نستطيع اذن ان نملك حق الخيار في معاملتها ..

فشــل قمــة ريجــا ن - جورباتشوف
إعلان بداية انهيار النظام الدولى

بقلم: مصطفى الحسينى

●● كتب فشل "القمة التحضيرية" بين الرئيس الأمريكى رونالد ريجان والزعيم السوفييتى مخائيل جورباتشوف ، عنوانا بارزا فوق ظاهرة تتكون وتتبلور داخل النظام الدولي منذ فترة غير قصيرة .

الظاهرة الجديدة هي دبيب عوامل الضعف والتفكك في هذا النظام الدولي الذي تأسس عقب الحرب العالمية الثانية وقام على نتائجها . واتخذ من "منظمة الأمم المتحدة" إطارا له .

فقد انتهت هذه الحرب إلى عالم مغاير للعالم الذى كان قائما قبلها . فعالم ما قبل تلك الحرب كان يتوزع ما بين "الدول" و "الأراضى" التى وضعت تحت تسميات عديدة : المستعمرات ، الممتلكات فى ماوراء البحار ، ممتلكات التاج ، المحميات ، الأراضى الخاضعة للإنتداب ، الأراضى الخاضعة للوصاية ، والدول المنقوصة السيادة أما بعد تلك الحرب فقد امتلأت الصورة بالمفارقات :

روسيا السوفييتية التى عاشت زمن مابين الحرب بثورتها البلشفية فى حدود الإمبراطورية القيصرية، وبقيت عضوا منبوذا فى نادى الدول ، خرجت من تلك الحرب عضوا كاملا فى هذا النادى ، حيث يجلس جوزيف. ستالين فى يالطا وبوتسندام على قدم المساواة مع ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت ، ويشارك من موقع قوى فى إعادة رسم خريطة أوروبا ، وتتحرك حدود سيطرة موسكو إلى قلب أوروبا فتفرض تقسيم ألمانيا مرتين ، مرة بتوزيع قسم من آراضيها بينها وبين بولندا ، ومرة بشطر الدولة الالمانية الى قسمين لكل



ريجان



جورباتشوف

منها استقلاله و "سيادته" فتلقى ظلالا كثيفة من الشك حول فكرة الوحدة القومية الألمانية ، قبل أن تكتمل ثلاثة أرباع القرن على تجسدها .

ولا يجوز غض الانتباه هذا عن كون روسيا شاركت بهذا القدر وبهذه القوة فى هذين المحفلين المهمين ، بينما غابت عنها فرنسا ، إحدى الدولتين الكبريين فى عالم ماقبل تلك الحرب .

ولقد وضح بعد ذلك ، أن يالطا وبوتسدام ، لم تكونا مجرد جلستى اقتسام الغنائم بين المنتصرين ، وانما كانتا عنوانا دائما لطبيعة علاقة المشاركة والصراع بين حلفاء الحرب الذين أصبحوا خصوما فى زمن السلم .

كما وضح بعد ذلك ، أن "زمن السلم" هذا كان فى الحقيقة زمن هدنة مسلحة دخلت عليها أطراف عديدة آخرى ، وأنه يقترب من أن يكون زمن حرب جديدة ، منتشرة ، محصورة فى بقع متفرقة على خريطة العالم ، لكنها غير منقطعة ، إذ لم يكد عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية يشهد يوما واحدا دون قتال .

وبريطانيا العظمى ، كانت المفارقة التى أصابتها ، تشبه مآسى الهزل أو مهازل الأسى ، فقد خاضت بريطانيا الحرب فى سنواتها الأولى بمفردها تقريبا ، بعد أن خرجت منها فرنسا مهزومة وهى بعد فى بدايتها ، بينما كانت روسيا تراقب الحرب وترصد ألمانيا التى تربطها اليها معاهدة عدم اعتداء ، وبينما كانت الولايات المتحدة تتردد بين تقاليد العزلة وبين الانغماس فى الحرب ، وفى هذا الانغماس بدوره كانت مترددة بين ما يعد به من جوائز وما ينذر به من أهوال ، وفى الوقت ذاته كانت ترقب الحرب من منظور سياسة تقليدية استنتها لنفسها منذ أن أطلت على معترك الصراع الدولى (الذى كان أوروبيا فى الحقيقة) وهى السياسة التى كانت تقوم على الحيلولة دون أن تتوحد مقدرات أوروبا تحت سيطرة دولة واحدة . فكانت تخشى انتصار بريطانيا بقدر يقرب كثيرا من خشيتها انتصار ألمانيا .

● اقتسام الغنائم ●

خاضت بريطانيا تلك الحرب على هذا النحو كى تحافظ على مستعمراتها كحد أدنى ، طامعة فى أن ترث مستعمرات إيطاليا وألمانيا ، كثمن معقول "للعرق والدم والدموع" التى تحدث عنها ونستون تشرشل .

- وخرجت بريطانيا من الحرب منتصرة . لتخسر بعد ذلك تلك المستعمرات التى خاضت



فشل قمة ريجان - جورباتشوف

الحرب كي تحافظ عليها وقد تضيف اليها .

أما فرنسا ، فقد كان حصادها من الحرب نوذجا لسخرية التاريخ . ففي تلك الحرب ، اثبتت فرنسا ـ مرة اخرى . أنه منذ ان هزم نابليون بونابرت فى "ووترلو" ، لم تعد فرنسا تملك من القوة العسكرية أو المجد العسكرى الذى اسسه لويس الرابع عشر ، سوى الادعاء والغرور الفارغين ، فهى منذ "ووترلو" لم تكسب حربا ، بل ولا معركة . ورغم ذلك بقى بوسع شارل دى جول ان يقف فى مواجهة العالم بانف أشم ، لا يثير لدى حليفه اللدود ونستون تشرشل سوى الاشفاق الساخر .

ومع ذلك ، فقد أعادت تسويات مابعد الحرب الى فرنسا مستعمراتها ، ربما لأنه تعذر على المنتصرين ـ روسيا وبريطانيا وأمريكا ـ الاتفاق على اقتسامها ، وبذلك دخلت إلي سياق التاريخ ظاهرة بل ظواهر غير مسبوقة : المهزوم يعامل معاملة المنتصر ، الخاسر فى الحرب يحتفظ بنصيبه من غنائمها ، اقرار الاستعمار باسم الحرية "فرنسا الحرة" . دولة مهزومة تملك المستعمرات . وربما أيضا ، وبعقد الضعف والهزيمة ، تعاملت فرنسا مع تلك المستعمرات بوحشية ، إلى أن هزمت مرات أخرى ، من الهند الصينية الى الجزائر .

وفى حصيلة تلك الحرب العالمية الثانية ، خرجت الولايات المتحدة الرابح الأول والرابح الأخير مع روسيا ، رغم أن الحرب لم تكد تقترب من أراضيها أو مياهها أو أجوائها فإذا كانت بريطانيا قد خاضت الحرب كما خاضتها روسيا بـ "العرق والدم والدموع" فقد خاضتها الولايات المتحدة بالقليل من هذه الأعراض بتضحية الانسان ومعاناته وبالكثير من الأموال . وفي نهاية الحرب حصلت على صك ارتهن لها ما تبقى من أوربا بما فيها الدولتين الكبريين ومستعمراتها التى كانت تحمل تسميات عديدة .

فى هذه الحصيلة للحرب العالمية الثانية انقسم المنتصرون فى الحرب ، وهم ـ نظريا على الأقل بسبب فرنسا ـ أربعة ، الى فريقين متساويين عددا : رابحين هما أمريكا وروسيا ، وخاسرين هما بريطانيا وفرنسا .

● نظام جديد ●

وعلى هذه المعادلة قام النظام الدولي الجديد فى جوهره : الرابحان الكبيران ، أصبحا القطبين الكبريين ، الدولتين الكبريين ، العملاقين الدوليين ، الجبارين الغدارين . أما الخاسران ، بريطانيا وفرنسا ، فقد التحقا بالنادى الداخلى لهذا النظام ، بحكم ماتبقى لهما من ثروة الماضى وبقايا النفوذ المترتب عليها ، كما التحقت به الصين ، بحكم حجمها الجغرافي والبشرى ، وبحكم موقعها ، ولأن كلا من الرابحين الكبيرين كان يراهن على أن حصيلة ثورتها ستضعها فى صفه .

لذلك ، كان الثقل فى النظام الدولى الجديد الذى انتجته تلك الحرب ، ممثلا فى "منظمة الأمم المتحدة" هو مجلس الأمن الدولى ، الذى تمتعت فيه تلك الدول الخمس بحق الاعتراض على مايقره بالأغلبية ، وهو مايعرف باسم "الفيتو" .

وعلى نحو ما كان مجلس الأمن الدولى ، هو التقنين لما اتفق عليه روزفلت وستالين وتشرشل فى يالطاويو تسدام .

ولكى لا تصبح أيدى الأقوياء وأنصاف الأقوياء ظاهرة ، احيط مجلس الأمن الدولى بغلاف كثيف ، هو الجمعية العامة ، التى تضم "الدول المستقلة" جميعا ، "وعلى قدم

المساواة" . إنما بقيت قرارات نادى الاقلية فى مجلس الأمة اكثر قوة وحجية من قرارات منتدى الأغلبية فى الجمعية العامة .

لم يكد النظام الدولى الجديد المتمثل فى الأمم المتحدة على قاعدة من "يالطا وبوتسدام يستقر ، حتى بدأت تدب فيه عوامل الخلل ، فقد كشفت الممارسات الدولية فى ظله عن "أغلبية اوتوماتيكية" فى الجمعية العامة للمنظمة الدولية ، لصالح الولايات المتحدة والدول الغربية ، وعن عزلة سوفيتية فى مجلس الأمن عبرت عن نفسها بتواتر لجوء موسكو الى استخدام حق الاعتراض . الفيتو .

غير أن الخلل فى هذه الحدود لم يكن باعثا على قلق من أرسوا هذا النظام الجديد ، لأنهم كانوا يدركون أنه مازال فى طور التكوين ، فالنتائج الحقيقية للحرب العالمية الثانية لم تتبلور بعد . وقد بدأ تبلور هذه النتائج بداء من منتصف عقد الخمسينيات وفى عقد الستينيات فى ما عرف باسم "صعود حركة التحرر الوطنى" .

فقد كانت الجمعية العامة عند نشأة الأمم المتحدة تضم ٤٦ دولة تنقسم الى طبقات ثلاث ان جاز التعبير ، فهناك الدول الكبرى الخمس . تليها مجموعة الدول الأوربية الاستعمارية الصغيرة من أمثال هولندا وبلجيكا والبرتغال ، تليها مجموعة الدول التى تتمتع باستقلال منقوص حققته عبر نضال مبتسر ضد الاستعمار على قاعدة استبقت الاسم الذى صكه لها الحبيب بورقيبة خذ وطالب ، وكانت بالتالى دولا مستقلة دائرة فى فلك الغرب ، هى التى شكلت له "الاغلبية الأوتوماتكية" فى الجمعية العامة .

ومع ظاهرة "صعود حركة التحرر الوطنى" زحفت الى الأمم المتحدة موجات متتالية من الدول حديثة الاستقلال ، التى حققت استقلالها فيصلب النتائج الفعلية للحرب العالمية الثانية ، أى على انقاض الامبراطوريات القديمة على جانبى خندق تلك الحرب : من مشروع الامبراطورية الألمانية ، الى الامبراطورية الايطالية من ناحية ، ومن ناحية أخرى الامبراطوريتين الكبريين بريطانيا وفرنسا التين أدت اعباء الحرب الى افلاسهما ، وفرضت عليها الديون وتكاليف اعادة البناء تبعية نسبية للولايات المتحدة ، دائنهما الاكبر ، وصاحبة الآلة العسكرية التى قويت بتجربة الحرب التى انهكت ما عداها من الات عسكرية .

كما أن هذه الدول حديثة الاستقلال ، حققت استقلالها أيضا عبر نضال لم يصبه الكثير من داء المساومة والابتسار ، فشارفت استقلالها بتراث من العداء للامبراطوريات الاستعمارية القديمة وبتوجس عدائي تجاه الولايات المتحدة ، راعية بقايا تلك الامبراطوريات وسندها ودرعها الأمنى .

أدى دخول هذه الدول الجديدة الى النظام الدولى ، الى خلل آخر فى هذا النظام يمكن تسميته "خللا باتجاه الاستواء" ، اذ تحولت وجهة الأغلبية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تدريجيا نحو "أغلبية اوتوماتيكية" من نوع آخر تقف ضد الولايات المتحدة والغرب فى غالب الأحيان ، وإلى جانب السوفيت فى الكثير منها ، وامتد هذا التحول الى مجلس الأمن الدولى فانتقل تواتر اللجوء الى حق الاعتراض ـ الفيتو ـ على قرارته من السوفييت ، حتى كاد يصبح نمطا للسلوك الامريكى .

● بداية الوفاق الدولى ●

وإذا كان من الممكن القول أن كلا الخللين ـ "الأغلبية الاوتوماتيكية" الموالية للغرب ، ثم "الأغلبية الاوتوماتيكية" المناوئة له ، كانا وجهى عملة النتائج الأولية ، ثم النتائج المستقرة للحرب العالمية الثانية ، فإن خللا ثالثا نما بعدهما بدأ يصيب صلب نظام "يالطا" و "بوتسدام" .

لقد أدى الخلل الأول ثم الخلل الثانى الى



فشل قمة ريجان - جورباتشوف

أن لكتشف من صاغوا للنظلم للدولي الجديد ، إن دوران اراداتهم على قاعدة من الصراع ، بدلا من الوفاق الذى كان أساس "يالطا" و "بوتسدام" يؤدى الى نحو ارادات أخرى خارج ارادتهما ، مما أدى الى تحركهما باتجاه استعادة ذلك الوفاق ، فعرف العالم الفترة التى عرفت باسم "الوفاق الدولى" ، وهى الفترة التى بدأت تبلورها بأزمة الصواريخ الكوبية فى ١٩٦٢ ، وسادت علاقات القوتين الكبريين - دون أن تخلو من المشاكل - حتى بداية أعادة البناء العسكرى الأمريكى فى النصف الثانى من ولاية الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر فى عام ١٩٧٨ .

ولقد شهد عصر الانفراج الدولى ، تطبيقات عديدة لروح يالطاوبوتسدام : تجميد المشكلة الكورية عند خط العرض ٣٨ ، تجميد المشكلة الألمانية والاقرار بانقسام المانيا ، احتواء نتائج الحرب العربية الاسرائيلية فى ١٩٦٧ فى نطاق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . احتواء الحرب الهندية - الصينية ، والحرب الهندية الباكستانية ، الاتفاق على بقاء النظام الشيوعى فى كوبا مع الاتفاق على عزلته ، التدخل الأمريكى غير المباشر ، وباستهداف الهزيمة فى انغولا . وغير هذا من الأمثلة ، التى كان أبرزها إعلان هلسنكى حول الأمن والتعاون الأوربى فى ١٩٧٥ ، والذى قام على قاعدتين متقابلتين :

الأولى : أن يقبل الغرب ، بصيغة أدنى من الاعتراف القانونى ، ما استقر فى أوروبا من حدود جديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وابرزها خط أودر - نييس بين المانيا وبولندا ، وبأن لموسكو قولا مشروعا فى شئون أمن أوربا الوسطى والغربية .

والثانية : أن يقبل الشرق ، وبصيغة ادنى من الاعتراف القانونى ، بشرعية التسلل الأيديولوجى والدعائى الغربى الى معسكره تحت عنوان "حقوق الانسان" .

وكان يمكن أن يكون اعلان هلسنكى قاعدة لاستقرار نظام يالطا وبوتسدام . غير أن تطورين بارزين اقنع كل منهما على حدة ، طرفا الوفاق بأنه لا يعمل لصالحهما .

كان التطور الأول هو الهزيمة الأمريكية فى فيتنام ، الذى اقنع الولايات المتحدة ، بأن ما استخدمته من قوة عسكرية ، لم يحفز السوفييت لفرض إرادة الوفاق على الفيتناميين ، إما لأنهم غير قادرين على ذلك أو غير راغبين فيه ، وقد فضلت واشنطن التفسير الثانى .

أما التطور الثانى ، فهو أحداث بولندا ، التى أقنعت موسكو أن الولايات المتحدة تستخدم وفاق هلسنكى لمحاولة تقويض منظومتها ، واعادتها الى عزلة "الاشتراكية فى بلد واحد" .

وفى ما وراء رؤية كل من واشنطن وموسكو لهذين الحدثين ، كان عمقهما أن إرادات دولية أخرى ، على قدر من الاستقلال عن الارادتين الدوليتين الحاكمتين ، تتكون وتعبر عن نفسها .

مضت ظاهرة الارادات الدولية - الثانوية - غير ملحوظة أو غير معترف بها ، الى أن أعلن عنهما حدثان كبيران تربطهما صلة وثيقة ، هما الثورة الإيرانية والحرب العراقية - الايرانية التى أعقبتها وترتبت عليها .

فمنذ بداية "صعود حركة التحرر الوطنى" ، كان انحسار الاستعمار القديم يمضى فى ما يشبه النمط المقرر : تنتصر "حركة التحرر الوطنى" فى بلد ما ، فيحصل على استقلاله ، تنتهج الدولة الجديدة سياسة تتراوح بين التوجس من للغرب أو مناوءته أو

العداء له ، لكى تحمى هذه السياسة فإنها تحتمى بدرجة أو بأخرى بالشرق بأشكال متعددة : موالاته سياسيا فى المجال الدولى ، الاعتماد عليه فى التسليح والتدريب ، اللجوء اليه للحصول على معونة اقتصادية تعينها على التنمية ، يتوازى مع هذا سياسة غربية تجاه ذلك البلد الحديث الاستقلال تتراوح مابين العداء ومايترتب عليه ويتخذه من وسائل الضغط حتى التآمر ، وما بين الاستدراج والتسلل كى يستعيد المصرف مافقده الجيش .

أما فى حالة ايران ، فقد انكسر النمط ، فهذا بلد خرج من حلقة الغرب ولم يقترب من الشرق . ولا يبدو فى افقه ايذان واضح بأىٍّ من معالم النمط المستقر .

امتدادا للظاهرة نفسها ، أو عرض من اعراضها ، ما ميز الحرب العراقية ـ الايرانية ، فهى أول الحروب المحلية أو الإقليمية أو الصغيرة التى تخرج عن ارادة "يالطاوبوتسدام" . سواء كان تعبير هذه الارادة عن نفسها صراعا أم وفاقا .

ولعل ما يوضح هذا مقارنتها بالحرب الهندية الباكستانية فى ١٩٦٦ . فقد بدأت تعبيرا عن الصراع داخل ارادة "يالطا ـ بوتسدام" ، وانتهت تعبيرا عن الوفاق فى هذه الارادة .

• • •

مايشهده عالم اليوم اذن بدءا من فيتنام الى بولندا ، صعودا الى الثورة الايرانية والحرب العراقية ـ الايرانية ، هو الكلمات الأولى فى اعلان انهيار النظام الدولى الذى قام على علاقة الوفاق والصراع فى بالطاوبوتسدام .

فالارادتان الدوليتان المهيمنتان ـ صراعا ووفاقا ـ تواجهان ضعف قبضيتهما على ارادات الدول الأصغر .

وإن كانت هذه الكلمات الأولى لاتعبر بعد عن معالم نظام دولى جديد فضلا عن وجهته ، فإنها تساعدنا على فهم فشل قمتين بين مادرجنا على التسليم بأنهما القوتان الدوليتان اللتان تتحكمان بمصائر العالم .

الفيلسوف الكامل !

ذكر المعلم الثانى الفارابى ، أن من يشرع فى النظر الفلسفى "يجب أن يكون له بالفطرة إستعداد للعلوم النظرية ، وهى أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون محباً بالطبع ، للصدق وأهله ، والعدل وأهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدينار ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عن الناس ، وأن يكون ورعاً سهل الأنقياد للخير والعدل ، عسر الإنقياد للشر والجور ، وأن يكون قوى العزيمة على الصواب .. وأن يكون صحيح الاعتقاد لآراء الله التى نشأ عليها ، متمسكا بالافعال الفاضلة ، غير مخل بكلها أو بمعظمها" ..

الثالث الأعظم على الطريق:

روسيا وأمريكا في بلاط الصين!

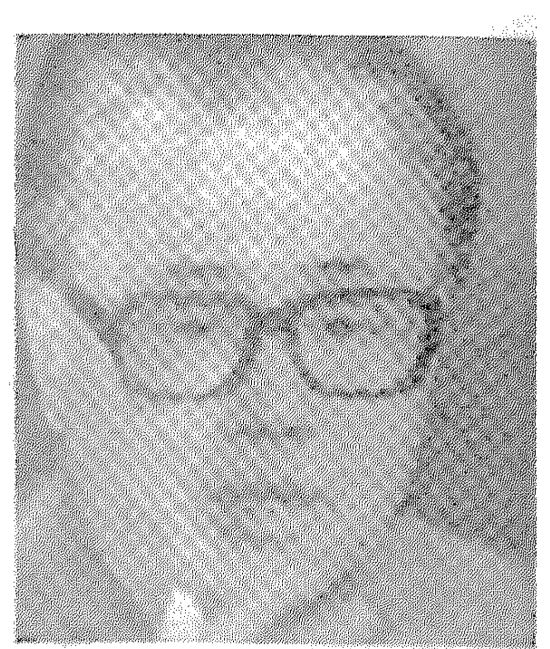
بقلم: عبد الرحمن شاكر

في مظاهرة دبلوماسية قل ان يكون لها مثيل الا في الافلام السينمائية ، تشهد احدى العواصم وجودا مكثفا لممثلين لكلا القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية، في وقت واحد كل منهما تحاول ان « تبييع » لتلك العاصمة « صداقتها » على نحو او آخر .. حتى يكاد يبدو ان تلك العاصمة هي « الاعظم » حقا وصدقا ، والا لما تسابق الآخرون الى بلاطها على هذا النحو المكشوف كما كان الحال في الماضي المجيد لتلك الامة الضخمة ذات الحضارة العريقة، التي لم تكن تسمح لاجنبي الحضور اليها الا على ظهر سفينة تابعة لها ! .

واضح آنني اتكلم عن الصين، وعاصمتها بكين . اما المتسابقان الى بلاطها فاولهما هو « ايجور روجاتشيف » نائب وزير الخارجية السوفييتي ، الذي توجه للعاصمة الصينية على رأس وفد كبير لاجراء الجولة التاسعة من المباحثات من اجل ما وصف بانه محاولة «تطبيع» العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والصين، والثاني ، او المتسابق الاخر ، هو « كاسبر واينبرجر » وزير الدفاع الامريكي الذي هرع الى الصين ، بعد منافسه بيوم واحد لاجرآء مباحثات فيها تستهدف تذليل الصعوبات التي تعترض تنمية التعاون العسكري بين الصين والولايات المتحدة الامريكية !.

وتجرى هذه المسابقة بين الدولتين «العظميين» على كسب ود « الثالث الاعظم » قبل أيام من اللقاء بين زعيميهما ريجان وجورباتشوف على ارض جزيرة ايسلندا التي تقع على بعد جغرافي متوسط بين دولتيهما . وواضح انهما في لقائهما يحتاجان كثيرا الى معرفة ردفعل الصين ازاء جهود ممثليهما فيها ، حيث كل نجاح لايهما هناك يعد ورقة ناجحة في المساومة مع الطرف الاخر منهما .

وللحقيقة والتاريخ .. فالصين ليست اول دولة تحاول اللعب على التناقض والصراع ما بين القوتين العظميين او



زهاو زيانج رئيس الوزراء

المسكرين الدوليين فى التاريخ المعاصر ، بل لقد حاولت ذلك كثير من دول العالم الثالث بما فيها بعض بلادنا العربيـــة على سبيل المثـال ، وأفلح من تلـك الدول من أفلح ، وخاب منها من خاب..! ولكن الصين بضخامتها - ربع الجنس البشرى صينيون-ووحدتها- كانت مرشحة فى أوائل القرن العشرين للتقسيم ما بين الدول الاستعمارية الاوروبية ، وقدرتها الهائلة على التنظيم ، وصـــلابتها ، ونفسها الطويل ، واعتدادها الشـديد بعراقة حضارتها والمرونة السياســـية الهـــائلة فى التحـول من النقيض الى النقيض... كل ذلك قد جعلهـا الاقدر والاقـوى على الاستفادة من تنـاقضات الاخرين .. دعنا من حكاية أنهمـــــا « العظميان » بحكم مالديهما من تفوق تكنولوجى مثلا ، أو اكداس من أسلحة الدمار - الصين صنعت قنبلتها النووية وانتهى الأمر ، ليس من المستغرب أن تثبت أنها « الاعظم » حقا على المدى الطويل وتفرض فى النهاية على الاخرين التعامل معها بشروطها ، بما فى ذلك اعادة ترتيب الاوضاع العالمية بالاتفاق معها وطبقـــا لما يرضيها .. كل ذلك غير بعيد .

فى البداية كانت الجمهورية الصينية، التى ولدت عام ١٩١١ ، بعـد القضـاء على الحكم الامبراطورى لاسرة «المانشو» الصديق الاول وربما الوحيد ، للثـورة الروسية عام ١٩١٧ . كان الزعيم الاول « للكومنتانج » ، الذى كان بمثابةالحزب الوطنى التقليدى فى الصين ، مثل حزب المؤتمر الهندى ، وحزب الوفد فى مصر، هو نفسه رئيس الجمهورية الصـــينية الاول أيضا « صن يات شن » وكانيعتبر صداقة الاتحاد السوفييتى جزءا لايتجزأ من مبادئه ، ولم يقصر السوفييت فى امـــداد الجمهورية الصينية بكل مــــا يستطيعون من مساعدات وخاصـــة من الناحية العسكرية فى وجهمن كانوايحاولون نقلها سواء من بقـــايا الامبراطورية أو القوى الإستعمارية الطامعة فى السيطرة على الصين بل أن« شيان كاى شيك » ذاته الذى خلف صن يات شن فى رئاسة الصين وزعامة الكومنتانج تلقى تعليمه السياسى والعسكرى فى الاتحاد السوفيتى .. ولكن حينما بدأ الجناح اليسـارى « للكومنتانج » فى بلورة ارائه وتنظيـم صفوفه باعتباره الحـزب الشـــيوعى الصينى ، أصبح هـذا الاخير أقرب الى الاتحاد السوفييتى ، الذى اختصه بتأييده فى الثورة على الجناح اليمنى للكومنتانج بزعامة « كاى شيك » حتى لقد أصبحت المناطق الشمالية منالصين، المجاورة للاتحاد السوفييتى والتى لجأ اليها هذا الحزب فيما يعرف باســـم المسيرة الطـويلة يطلق عليها اســـــم الصين السوفييتية ! وبعد دحر الغـزو اليابانى وانتهاء الحرب العالمية الثـانية عام ١٩٤٥ ، ساعد الاتحاد الســـوفييتى الحزب الشيوعى الصينى فى حربهالاهلية ضد شيان كاى شـــيك ، الـذى بذل الامريكان كل مالى وسعهم - دون جـدوى لتأييده، حتى انتهى الامر بانتصارالحزب الشيوعى فى عام ١٩٤٩ ، واتمام سيطرته على الصين كلها ، فيمـــا عـدا جزيرة فرموزا وتايوان ، التى لجأ اليها شيان كاى شيك واطلق عليهـــا اسم الصين

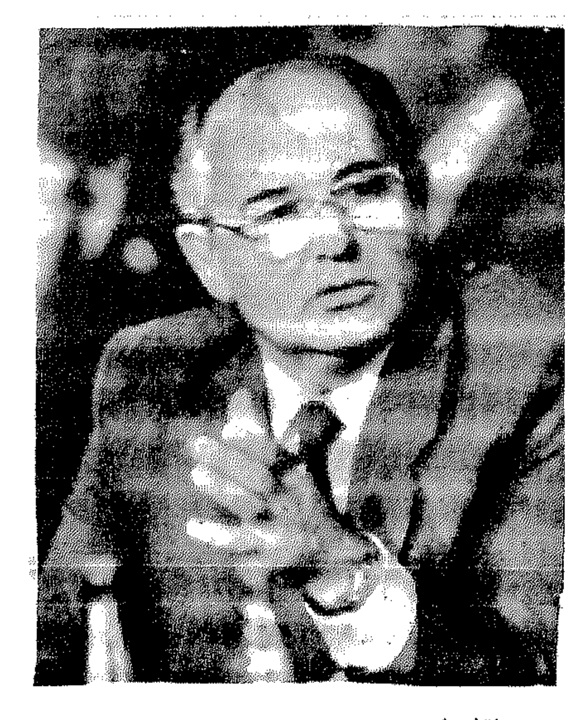


روسيا وأمريكا
في بلاط الصين!

الوطنية وبقيت الولايات المتحدة الامريكية ردحا طويلا ، لا تعترف بدولة الصين الشعبية ، ولا تسمح لها باحتلال مركزها كعضو دائم في مجلس الامن ، وانما يجلس في مقعدها ممثل جزيرة فرموزا باعتباره ممثل الصين الوطنية !.

وبالرغم من ذلك اي من الانحياز الكامل من جانب السوفييت للشيوعيين الصينيين ، والامريكان لاعدائهم ، فقد كانت هناك بذور للشقاق ما بين الشيوعيين الصينيين والسوفييت من أيام ستالين وكان ستالين يرفض نظرية ماوتسي تونج زعيم الحزب الشيوعي الصيني التي عرفت باسم « الديمقراطية الجديدة » . والتي يذهب فيها الى ان القوة الرئيسية للثورة هي الفلاحون ، اغلبية الشعب الصيني ، وليس الطبقة العاملة كما يريد ستالين ! وكان «ماو» يعتبر القيادة الشيوعية لتلك الثورة ممثلة للبروليتاريا العالمية » وليس للطبقة العاملة الصينية الضعيفة العدد والتكوين! وبالتالي كان يدعو الى تجنيد الاعضاء الجدد في الحزب الشيوعي من جمهور الشباب المتعلم وطلبة الجامعات وليس بالضرورة العمال! كان هذا الصراع مابين القطبين الشيوعيين مكتوما ، وان كان الصينيون قد قالوا فيما بعد ان ستالين كان يصر على ان يتقاضى ثمن الاسلحة الروسية ذهبا صينيا ، وانهم فعلوا مثل ذلك مع ثوار اسبانيا في الحرب الاهلية التي انتهت بانتصار فرانكو قبل الحرب العالمية الثانية! كان الفريقان يحافظان على مظهر وحدة الطبقة العاملة العالمية حتى مات ستالين عام ١٩٥٣ .

ثم جاء خروشوف الذى خلف ستالين في سكرتارية الحزب الشيوعي السوفييتي .. فالقى بقنبلته المدوية عام ١٩٥٦ في



جورباتشوف

المؤتمر العشرين للحزب المذكور ، وهو التقرير السرى الذى أدان فيه « عبادة الفرد » وكشف عن الكثير من الفظائع التي اوقعها ستالين ليس بالمواطنين السوفييت فحسب ، بل بالشيوعيين منهم على وجه أخص ! واستاء الصينيون اشد الاستياء لمسلك خروشوف ، وكان لسان حالهم يقول : لقد سكتنا نحن على كثير من أخطاء ستالين ازاءنا حرصا على الكرامة الشيوعية في مجموعها ، فكيف يجرؤ خليفته على فضح الامور على هذا النحو !! ان خروشوف انما يلعب بذلك على أيدى تيتو وأمثاله المنحرفين المنشقين على الاصولية والشيوعية ! أو المراجعين والمرتدين .

وبدات مسيرة الانشقاق الكبير ، مابين الحزبين الشيوعيين الكبيرين الصيني والسوفييتي ، والدولتين اللتين يحكمانهما : الصين والاتحاد السوفييتي وكان موضوع السلاح النووى واحدا من اهم عناصر هذا الشقاق ومظاهره ،حيث رفض خروشوف امداد الصين بالقنبلة الذرية أو وسائل صنعها ، بدعوى أنها يكفيها أن يكون تحت مظلة الحماية النووية السوفييتية ، والتزاما بمعاهدة



ماونسى تونج

الحد من الاسلحة النووية ، وكان رد الصينيين عليه أنه يمارس نوعا من غطرسة الامة الكبرى يتناقض مع مبادىء الدولية الشيوعية وانه يعطى للامبرياليين مهابة لا يستحقونها ، بينما هم مجرد نمر من ورق ! وبلغت تلك الغطرسة مداها حينما سحب خروشوف خمسة آلاف من الخبراء السوفييت كانوا يعملون فى المصانع الصينية الجديدة مما هدد معظمها بالتوقف ! وكان رد فعل الصينيين هو اتهام السوفييت ، أو حكامهم بأنهم امبرياليون شانهم شان الامبريالية الراسمالية ، الا انهم اشد خطرا فى تدليسهم سياستهم باسم الاشتراكية ! وراحوا يشهرون بالسوفييت ويناوئون سياستهم فى كل مكان ، فاذا تعاون السوفييت مع الهند مثلا مدوا أيديهم الى خصمها باكستان ، وهلم جرا

وكان من طبيعة الامور ان يتلقف الامريكان هذا الشقاق ما بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين ، ويحاولوا استغلاله بالتقارب مع الصين ، التى زارها الرئيس الامريكى الاسبق ريتشارد نيكسون ، ثم تلا ذلك الاعتراف بها واعطاءها مقعدها الشرعى فى مجلس الامن وان بقيت الحماية الامريكية على تايوان حتى الان ، والتعامل معها فى مختلف المجالات وخاصة الاقتصادية ، مع تحفظ خاص فى الناحية العسكرية ! الا فى الاونة الاخيرة بعد أن بدات ملامح التقارب مع السوفييت تلوح من جديد !

● حرب الرفاق ام الوفاق ●

الا أن ذروة الصراع ما بين الصين والاتحاد السوفييتى أو الحضيض الذى وتحدرنا اليه فى الواقع كانت فى السبعينات حينما وقع صدام على الحدود بينهما ، استخدم فيه السوفييت صواريخهم فى تدمير الدبابات الصينية ، وقد ظل أمر هذه الموقعة المخزية مكتوما لا تذكره اى من الدولتين ! ثم تلا ذلك اجتياح الجيوش الفيتنامية ذات التسليح السوفييتى لدولة كمبوشيا التى تساندها الصين وما تزال تحتلها حتى الان ، بل لم يتردد الفيتناميون فى محاولة اذلال الجيش الصينى ذاته بحكم ما لديهم من سلاح سوفييتى متطور فى صدام على الحدود بينهما كل ذلك تعتبره الصين مضافا اليه غزو السوفيت لافغانستان فى نهاية السبعينات جزءا من السياسة الامبريالية الاشتراكية التى يمارسها الاتحاد السوفييتى بقيادة الحزب الشيوعى المرتد عن مبادىء الدولية الاشتراكية ! وهى الصورة التى يحاول تغييرها حاليا الزعيم الجديد « الشاب » لهذا الحزب ميخائيل جورباتشوف ، الذى دعا فى المؤتمر الاخير للحزب البلشفى الى ضرورة تحسين العلاقات مع « الجارة الاشتراكية العظيمة » ـ وعلى حد تعبيره ـ جمهورية الصين الشعبية !

وتقوم مبادرة جورباتشوف لهذا الغرض والتى يحملها الى الصين نائب وزير خارجيته على أساس الانسحاب المتبادل للقوات الصينية والسوفييتية من الحدود بينهما ، وسحب جزء من القوات السوفييتية فى افغانستان ، ولكن الصينيين يطلبون أن تنسحب الفيتناميون من كمبوشيا ، ويعتبر زعيمهم ولج شياو بنج تنفيذ ذلك شرطا للموافقة على لقاء جورباتشوف .



روسيا وأمريكا في بلاط الصين!

ان دواعي التقارب والوفاق ما بين الدولتين الاشتراكيتين كثيرة متعددة ، ليس أقلها انهاء « حرب الرفاق القذرة المستمرة في كمبوشيا . ولكن من أهم عناصرها ، ان كلا من دنج سياوبنج زعيم الصين ، وجوربا تشوف زعيم الاتحاد السوفيتي يسلمان بان الثورة التكنولوجية في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية واليابان ، قد وضعت الدول الاشتراكية بعامة موضع التخلف ازاء منجزات تلك الثورة والحاجة الى اكتسابها من طريق التعاون الاقتصادى مع الامبرياليين » ، وذلك وضع يملى عليهم أولا أن يستجمعوا طاقاتهم التكنولوجية المحدودة ويستخرجوا منها أقصى ما تطيق قبل محاولة اكتساب ما لدى الاخرين ومن أجل الاستفادة الحقيقية مما لديهم . وفي هذا الاطار تدخل زيارة « ياروزلسكى » زعيم الحزب الشيوعى البولندى للصين ، وبدء سياسة جديدة في التعاون الاقتصادي ما بين الاتحاد السوفيتي والصين كخطوة أولى في تحسين العلاقات أو تطبيعها قبل حل المشاكل السياسية الشديدة التعقيد بما في ذلك «حرب الرفاق» في كمبوشيا والاحتلال السوفيتي لافغانستان .

ويحاول الامريكان بطبيعة الحال قطع الطريق على هذا التقارب المحتمل بين الدولتين الشيوعيتين الكبريين ، عن طريق ازالة الصعوبات التى تعترض التعاون العسكرى مع الصين كما قدمنا فى أول المقال . وهذا العرض من جانبهم ينطوى على احتمال تعزيز قدرة الصين العسكرية على مواجهة السوفييت فى موضوع الحدود بينهما من ناحية ، ومن ناحية أخرى امكانية تأديب الفيتناميين واجبارهم على الانسحاب من كمبوشيا ان تباطأ السوفييت فى حثهم على ذلك ! ولكن البوادر الاولى للصينيين تدل على انهم زاهدون فى العرض الامريكى الذى جاء متأخرا ، فيما صرح به زعماؤهم من أن الصين تعمل حاليا على تخفيض الانفاق العسكرى ، وتوجيه المصانع الحربية لانتاج السلع المدنية من أجل تحقيق مزيد من الرفاهية الاقتصادية للشعب . وربما تكون هذه التصريحات نوعا من « الدش البارد » يلقونه فى وجه وزير الدفاع الامريكى كجزء من فن المساومة لاجباره على تقديم مزيد من عروض التعاون العسكرى !

على أن الكرة الان هى فى الملعب السوفييتى كما يقال . ان استجابتهم لمطالب الصين السياسية قد يمكنهم من احراز السبق على خصومهم الامريكان فى البلاط الصينى ، بل قد يفتح الطريق أمام القطبين الشيوعيين الكبيرين للقاء المنشود . وفى هذا الصدد كانت هناك تصريحات اخرى من جانب بعض زعماء الحزب الشيوعى الصينى قالوا فيها انهم اذا كان يعملون على تطبيع العلاقات بين دولتهم والدولة السوفييتية فان ذلك لايعنى تطبيع العلاقات بين الحزب الشيوعى السوفييتى والحزب الصينى المماثل ! ومعروف أن كلا الحزبين هو بمثابة المجموع العصبى فى كلا الدولتين .

قد يكون هذا التصريح الاخير هو بدوره ضربا من فنون المساومة مثل ما ألقى فى وجه واينبرجر وزير الدفاع الامريكى ، وقد يدل على مخزون الغضب الهائل فى نفوس الشيوعيين الصينيين ازاء رفاقهم السوفييت ، وقد يشير هو وسابقه الى ان الصينيين يعتبرون أن مفاتيح اللعبة الدولية الكبرى قد أصبحت فى ايديهم يصرفونها كما يشاءون !

على انه يبقى ان تقارب الصين والاتحاد السوفييتى ، قد يفتح الطريق لاعادة وحدة القوى الاشتراكية فى العالم بأسره ، وهو شرط أساسى لكى تنجح فى محاصرة « الامبريالية » واجبارها على توظيف ما تحت أيديها من قوى تكنولوجية جبارة فى حل المشاكل الاقتصادية المعقدة للجنس الانسانى بدلا من التفنن فى انتاج وسائل تدميره وابادته !


كتاب الهلال
يقدم:
دور الأزهر
فى السياسة المصرية
بقلم: د. سعيد اسماعيل على
عدد خاص
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨
روايات الهلال
تقدم:
فرعان من الصبّار
تأليف
خيرى شلبى
تصدر فى
١٥ نوفمبر ١٩٨٦

الزنوجة
بين الأدب والسياسة

بقلم : محمد جلال عباس

الزنوجة حركة نبعت عن المواجهة التاريخية بين الشعوب الزنجية أو الشعوب السوداء من جهة والشعوب الأوربية الاستعمارية من جهة أخرى . ونتيجة لهذه المواجهة كانت هناك انعكاسات على مختلف فروع الأدب . كما كانت لها انعكاسات سياسية على العلاقات بين الشعوب الأفريقية مع بعضها وبينها وبين شعوب العالم الأخرى . ونظرا لأننا فى العالم العربى نشارك شعوب أفريقيا فى الأرض والجوار فإن موضوع الزنوجة يستحق منا نظرة استجلاء لنشأة الحركة ومفاهيم الزنوجة .

إستمرت العلاقات بين أفريقيا واوروبا خلال القرون الثلاثة الأولى للأمبريالية فى صورة تبادلية مضمونها تطلعات الافريقيين لحياة أفضل . وأطماع الأوربيين فى سيطرة سياسية واقتصادية وأجتماعية على مقدرات هذه القارة .

وكان للأوربيين اهداف متعددة أولها أستغلال ثروات القارة من السلع الثمينة مثل العاج والذهب والجلود . وثانيها الحصول على القوى البشرية اللازمة لتعمير العالم الجديد . وثالثها بسط النفوذ والتوسع وتكوين المستعمرات . ورابعها نشر ثقافة الرجل الأبيض وديانته فى محاولة لتأكيد دور الرجل الابيض فى نشر الحضارة أو ما كان يسمى الرسالة الحضارية للرجل الأبيض .

انتهى الأمر فى أواخر القرن التاسع عشر إلى تشكيل جديد لأوضاع الشعوب الافريقية يتمثل فى قارة خضعت للأستعمار . وامتداد لشعوب القارة فى وطن جديد لهذه الشعوب فى امريكا ممن كانوا عبيدا ثم حررتهم التشريعات وأتخذ

الوضع من الناحية الثقافية صورة مأساوية بالنسبة للأفريقيين فى القارة وفى خارجها فقد ادت الهزائم التى تعرضوا لها والقهر والاضطهاد الذى أنزل بهم سواء كمواطنين فى المستعمرات أو كعبيد فى مهجرهم إلى فقدان ثقتهم فى أنفسهم وفى قيمهم وتقاليدهم . وأصبح الأفريقى ينظر إلى نفسه على أنه إنسان من الدرجة الثانية أو شبه أنسان تصديقا لما أراده الرجل الأبيض .

كان لهذا التوجه السلبى أثره الواضح على الكتاب الأفريقيين سواء فى داخل القارة أو فى مواطن الزنوج فى العالم الجديد ، فظهرت الكتابات التى تصور الزنجى بصورة باهتة مظلمة كانسان لا أمل له فى الحياة مثل قصائد جوبيتر هامون المتوفى عام ١٨٠٠ والذى ملأ أشعاره باستعطاف الرجل الأبيض على الزنجى المقهور وبالمثل امتلأت كتابات الأفريقيين فى وطنهم خلال فترات الاستعمار الأولى بالنفاق : نفاق الرجل الأبيض كصاحب حضارة ، ونفاق الكنيسة ، ونفاق الادارة والأعلان عن الخضوع

● التوجهات الجديدة ●

بدات تلك التوجهات الجديدة فى بداية القرن العشرين مع أنتشار التعليم فى أوساط الأفريقيين وتكوين طبقة من صفوة المثقفين وأنصاف المثقفين أرادوا أثبات ذاتهم الأفريقية فى مواجهة الأزدراء الذى يقابله بهم الأوروبيون وكان أهم ما شغل الكتاب الأفريقيين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو محاولة الرد على التهمة الشنعاء التى الصقها الأوروبيون بالزنوج وهى انهم لم يضيفوا شيئا الى الحضارة العالمية وانهم لم يسهموا بشىء فى بناء الانسانية . والى جانب الرد على هذه التهمة قام السود بمحاولات للخروج من وضع التبعية والسلبية والأغتراب الذى فرضته عليهم قرون الأمبريالية والرق والاستعمار .

سنجور رئيس السنغال





جوليوس نيريرى

الزنوجة
بين الأدب والسياسة

وساعد على ذلك انتشار الفكر الأنساني وتكوين قاعدة من المثقفين الأفريقيين ثم تبع ذلك قيام الحرب العالمية الأولى ومشاركة الأفريقيين فيها مشاركة فعالة اعادت اليهم بعض الثقة في انفسهم وفي دورهم العالمي ، واخذ الأفريقيون الذين يعيشون في غربتهم بامريكا وجزر الهند الغربية يتجهون بعواطفهم وامالهم الى ارض افريقيا ، وطنهم الأصلي ، ودعا الزعيم الزنجي الأمريكي « ماركوس جارفي » الى فكرة العودة الى افريقيا وتوحيد الشعب الزنجي في حركة الجامعة الافريقية Pan-Africanism كما ظهر في أوساط المثقفين بالمستعمرات الافريقية دعوة تسمى « الأثيوبية » باعتبار أن أثيوبيا تمثل رمزا أفريقيا للاستعمار لأنها كانت الدولة الوحيدة التي لم تخضع للحكم الأستعماري .

ولقد عبر « جارفي » في كتابه الفلسفة والرأى الذى صدر في نيويورك عام ١٩٢٦ عن إسهام أفريقية في الحضارة العالمية ، ومكانة شعوبها في تاريخ الانسانية بقوله : في الوقت الذى كان فيه سكان أوروبا يعيشون في مرحلة البدائية عراة متوحشين بلا عقيدة أو فكر كانت افريقية ماهولة بأناس هذبتهم الحضارة وكانت لهم ثقافتهم وحضارتهم التي نشروها في أنحاء العالم .

وجاءت نفس الفكرة على لسان الشاعر المارتينيكي كلود ماكاى في مقطوعة بعنوان « افريقيتي » يقول فيها مخاطبا أفريقيا:

أيقظتك الشمس من سباتك
غمرتك بالضياء
رضع العالم البائه من اثدائك
حينما كان العالم صغيرا في
رحم الظلام
كان ابناؤك يكدون
في بناء صروح أحسن الأثار
ويأتي الناس اليك اليوم
وتمضي الأيام والسنون
وابو الهول ذو الأعين الجاحظة
الساهرة
يرقب العالم المجنون

ومن الواضح في شعر كلود ماكاى وجود فكرة التفاخر بالحضارة المصرية القديمة التي سارت جنبا الى جنب مع فكرة التفاخر بالأثيوبية التي تبناها المسيحيون بالقاهرة في أول الأمر ولقد بالغ « شيخ أنتاديوب » الكاتب السنغالي في فكرة مصرية الحضارة الأفريقية والتفاخر بالحضارة المصرية كحضارة منسوبة الى إفريقية في كتابه بعنوان « الشعوب الزنجية والحضارة » لدرجة أنه اطلق فرضية بأن الحضارة المصرية إفريقية الأصل او بالتحديد زنجية الأصل اقامها شعب من السود ، وأتى بأدلة كثيرة على هذه الفرضية .

● تشكيل حركة الزنوجة ●

لئن كانت الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى هي فترة التمهيد الفكرى لدعوة الزنوجة فقد كانت الفترة الواقعة بين الحربين هي فترة التشكيل المبدئي للحركة فقد بدأت باكورتها في باريس حيث دعا أحد المحاربين السنغاليين القدامي ويدعى الأمين سنجور الى تكوين لجنة للدفاع عن الجنس الزنجي ودعت هذه اللجنة الى عقد مؤتمر ضد الامبريالية والسيطرة الاستعمارية انعقد عام ١٩٢٩ وحضره

بعض الزعماء السياسيين من أسيا مثل « السيدة سيون بات سن » من فيتنام وجواهر لال نهرو من الهند ، ثم تكون في عام ١٩٣٤ اتحاد الطلبة السود في باريس وكان من طليعتهم أيمي سيزار من المارتينيك ، وليون داماس من مستعمرة جويانا الفرنسية ، وليوبولد سردار سنجور من السنغال ، وغيرهم ، كما تكونت ايضا جمعيات للطلاب الناطقين بالانجليزية الذين يدرسون في لندن .

ولم تكن كلمة الزنوجة معرفة انذاك ولكن مفهومها ومضمونها المبدئي ظهر في أهداف تلك الجمعيات الطلابية التي تكونت بقصد اثبات هوية الأفريقيين في مواجهة الأجناس الأخرى وبخاصة الرجل الأبيض ، واتخذت دعوتهم شكل توعية بلون البشرة واعتراف بها دون خجل ونشر الاحساس بالوضع الانساني المتكامل للزنوج ليحل محل الشعور السائد بأنهم بشر من الدرجة الثانية أو اشباه للبشر ، وعبر أيمي سيزار عن تلك الظاهرة التاريخية التي تمثل تخلف الزنوج بقوله :

« مرحى لهؤلاء الذين لم يخترعوا شيئا ، مرحى لهم إذا لم يخترعوا البارود ، مرحى لهؤلاء الذين لم يرتادوا الأرض ولم يستعمروها ، مرحى لهؤلاء الذين لم يسخروا البخار والكهرباء ولم يستخدموهما » .

ووصف چان بول سارتر هذا القول بانه « دعوى التفاخر بعدم التقنية » واعتبره منطلقا واقعيا لشعب أو لشعوب تريد إثبات ذاتها وتحقيق وجودها الانساني يتضح ذلك في ان أيمي سيزار لم يقف عند هذا الحد من التعبير عن ادراك الزنوج لوضعهم الواقعي بل قارن بين الطبيعة المعنوية لكل من الرجل الأبيض والرجل الأسود بقوله « أن البيض غزاة وعلماء ولكنهم سذج فالرجل الأبيض يعرف كل شيء عن التكنولوچيا ، ولكن معرفته سطحية فهو لايدرك جوهر الاشياء وما بداخلها من حياة ، بعكس الزنجي الذى يدرك ويفهم من منطلق الوجدان » .

وبقيام الحرب العالمية الثانية ومشاركة الشعوب الأفريقية فيها أيضا مشاركة فعالة وفي ظل الحركات السياسية التي دعت في أول الأمر الى الحكم الذاتي ثم إلى الاستقلال ، وفي ظل الأفكار الاشتراكية الجديدة التي انتشرت في العالم ، وبتاثير انتصارات فيتنام على الحكم الفرنسي . وثورة مصر واستقلال غانا ودعوة عدم الانحياز تبلورت فكرة الزنوجة وتحولت إلى حركة أدبية ثقافية وايديولوچية اصبح لها مكانتها في الثقافة العالمية ، وقد اتجهت حركة الزنوجة إلى إكتمال تبلورها الفكرى من خلال مؤتمرات الكتاب الأفريقيين التي عقدت في باريس وروما وكمبالا ولندن وغيرها ، وانعكست أيضا في مؤتمرات الكتاب الافرواسيويين في القاهرة وطشقند وبغداد .

● تبلور مفهوم الزنوجة ●

ولقد كان أول تبلور لفكرة الزنوجة في تكوين جمعية الثقافة الأفريقية وحركة الوجود الأفريقي— PRESENCE AERICAINE في باريس وواضح من اسم الجمعية أنها تهدف الى اثبات كيان الشعوب الأفريقية ووجودها كجزء من الحضارة العالمية ومن المعروف أن حركة الوجود الأفريقي هذه تعتبر تطورا راديكاليا لحركات الطلاب ، كما أنها كانت الداعية إلى مؤتمرات الكتاب الناطقين بالفرنسية .

ولئن كانت مرحلة التوجه السلبي في الفكر الزنجي تمثل انعكاسا للقهر والهزيمة كما تمثل التوجهات الجديدة في الثلاثينيات والأربعينيات مرحلة التعبير عن الشعور بالأغتراب ومحاولة البحث عن الذات والشخصية . فإن فترة الخمسينيات



الزنوجة
بين الأدب والسياسة

والستينيات هى التى تمت فيها بلورة فكرة الزنوجة وايديولوچيتها .

ويمكن أن نعتبرها مرحلة الثورة الثقافية التى أجتاحت القارة وانتهت بتحقيق الاستقلال ودخول الدول والشعوب الى مرحلة جديدة من حياتها ، ولقد اتخذت الزنوجة بذلك شكلا خاصا هو كما يقول سارتر فى مقاله « أورفيوس الأسود » الذى قدم به أحد كتب « ليوبولد سنجور » هى كفاح لتحطيم سجن المنزل الذى وجد الافريقيون أنفسهم بداخله فى محيط من عناصر ثقافة أجنبيـة فرضهـا عليهم الأوربيون رغم أنها ثقافات لايمكن أن توفر للرجل الزنجى وسائل التعبير عن نفسه وعن أهتماماته ، وعن اماله .

وحيث أدرك الأفريقيون المتكلمـون بمختلف اللغات الأجنبية انهم جميعا فى مواجهة ثقافة مضادة لثقافتهم وأنهم ايضا فى مواجهة القوى الاستعمارية المضادة لمصالحهم ، فإن الأمر قد اقتضى توجها إلى التضامن أو اتجاها للوحدة الأمر الذى رأى رجال السياسة من أمثال جوليوس نيريرى وكوامى نيكر وغيرهم أن تحقيقه يقتضى خلفيات ثقافية تؤكده ، كما وجدوا أن الدعوة الى الاشتراكية والأفريقية وسيلة لتحقيق هذا التضامن ، لأن الاشتراكية كما يقول سنجور « عميقة الجذور فى ماضى القارة وموجودة حية فى مجتمعـاتها التقليدية ، ولذا فلابد أن تكون دعوة الاشتراكية الجديدة فى افريقية مستمدة من التراث التقليدى الذى يعترف بوحدة المجتمع وبتقسيمه العضوى المترابط والمتمثل فى الأسرة الممتدة أو الكبيرة التى هى الخلية الأولى لهذا المجتمع الاشتراكى » .

وارتبط الكفاح من أجل الاستقلال والاشتراكية والوحدة بجهود الكتاب لتأكيد الشخصية الأفريقية المتميزة عن شخصية أصحاب الحضارة الغربية ، وقد عبر ليون داماس فى احدى قصائده عن هذا التميز بقوله :

الأبيض لن يكون زنجيا
لأن الجمال زنجى
والزنوجة حكمة
لأن الصمود زنجى
والزنوجة شجاعة
لأن الصبر زنجى
والزنجى قوى حديدى
لأن الرقة زنجية
والزنوجة سحر
لأن السرور زنجى
لأن السلام زنجى
لأن الحياة الحقة زنجية
فلن يكون الأبيض زنجيا

واقتضى الأمـر لتأكيـد الشخصيـة الأفريقية الثقافية التقليدية للشعـوب الأفريقية . او بمعنى اخر العودة الى الماضى الذى كاد يندثر فى معرض الزحف الغامر لعناصر الثقافة الغربية وكان نبض الشعر الأفريقى معبرا عن هذه الدعوة .

وفى ذلك يقول ليوبولد سنجور أيضا « إذا أردنا تحرير أنفسنا سياسيا فلابد لنا من التعبير عن زنوجتنا أو عن حقيقة قيمنا كشعب أو كشعوب بشرتها سوداء مختلفة بذلك عن الشعوب » ، وهو يقصد بذلك عنصر أحياء الشخصية الأفريقية من خلال التقـاليد والثقـافة الاصليـة للشعوب الزنجية .

ويتفق الكتاب السياسيون مع ادباء الزنوجة فى الاتجاه نحو الوحدة الافريقية فيقول جوليوس نيريرى « تعتبر الوحدة اساسية من أجل السلامة والتكامل والتنمية الأفريقية . ولابد ان تتخذ هذه الوحدة شكلا يؤمن هذه الاشياء ، وإلا كانت وحدة لامحل لها » .

ولئن كان جوليوس نيريرى يتحدث عن الوحدة السياسية فى هذا القول فإن هذه الوحدة السياسية لا تحقق إلا باكتشاف وحدة الثقافة ، وهو ما عبر عنه الكاتب المالجاشى چاك رابيما ننجارا فى خطابه الذى القاه فى مؤتمر الكتاب الافريقيين فى روما عام ١٩٥٦ بقوله « أرى أن الهدف من تجمعنا فى هذا المؤتمر هو اولا وقبل كل شىء أن نجمع ونختار المواد والمحاور التى يدور حولها الحوار بيننا بهدف معرفة أنفسنا من خلال اختلافات اقطارنا وعاداتنا وعقلياتنا الأصلية والتوصل من ذلك الى الدفء الانسانى الذى يوحد بيننا »

وهكذا كانت الزنوجة انعكاسا نفسانيا للأحوال الاجتماعية والثقافية التى سادت عهد الاستعمار ، وادراكا لتلك الأحوال ، وتعبيرا عنها ، ثم بحثا دءوبا عن توجهات أصيلة وجديدة ، وتعود بالزنوج إلى رصيدهم الفكرى وتتجه بهم نحو كشف الأنتماء الى الوطن الأفريقى بكل ما تحتويه من قيم وتقاليد ودفاع عنها ، وعمل على احيائها وتطورها من خلال التعمق فى الأعمال الفنية والأدبية التى هى أصدق تعبير عن الذات من خلال الصورة والايقاع والرمزية والجمال .

● الارتباط بالوطن ●

يبقى أمامنا فى ختام الحديث عن الزنوجة وتطورها قضايا أولها : هل يتساوى عمق حركة الزنوجة فى المناطق الناطقة بالفرنسية والمناطق الناطقة بالانجليزية ؟ ، وهل تتشابه دعوة الزنوجة فى القارة معها فى مهجر الزنوج بامريكا وجزر الهند الغربية ؟

الاجابة طبعا لا ، فإن ظروف الارتباط بالوطن الام افريقيا وبإرضها وبنائها التقليدى والعقائدى يختلف بالنسبة لمواطنى القارة عنه بالنسبة للزنوج فى مهاجرهم كما أن عمق الحركة بالنسبة للناطقين بالفرنسية يختلف عنه بالنسبة للناطقين بالانجليزية ، فان اختلاف سياسة الحكم الاستعمارى قد أدى إلى شعور أعمق بالاغتراب لدى الناطقين بالفرنسية ، حيث كان الاستعمار الفرنسى يتبع نظام الحكم المباشر ، ويطبق سياسة الامتصاص أو الهضم فى الثقافة الفرنسية بينما كان فى نظام الحكم المباشر الذى اتبعته بريطانيا فى مستعمراتها عاملا مساعدا لاستمرار العمل بالنظم والتقاليد المحلية مما خفف من عمق الدعوة الى الزنوجة .

والسؤال أو القضية الثانية ترتبط بمدى استمرارية حركة الزنوجة بعد تحقيق الاستقلال ، هل ضعفت الحركة ؟ هل تغيرت اتجاهاتها ؟ لاشك أن الأمر قد اختلف فهى كحركة عنصرية مضادة لعنصرية البيض قد ضعفت حدتها نتيجة لاستعادة الأفريقيين الثقة فى انفسهم وتحقيق ذاتهم بالاستقلال السياسى ، كما أن اتجاهاتها قد بدأت تتغير نحو مزيد من محاولات الكشف عن الشخصية الأفريقية فى أصولها المتعددة المتمثلة فى مصرية الحضارة الأفريقية أو افريقية الحضارة المصرية والكشف عن الصفحات المشرقة فى تاريخ ما قبل الاستعمار وتأصيل حركات مقاومة الاستعمار والتركيز على التراث الفنى والفولكلور الأفريقى ، والبحث عن فلسفة افريقية من خلال الاساطير وحكمة القدماء .

معارك ثقافية

سيد قطب يرد على كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

بقلم : د. سعيد إسماعيل على



سيد قطب تناول العمل بالتحليل والنقد



د. طه حسين .. أفكار ثقافية جديدة

كعادة طه حسين عندما يطرح افكارا جديدة ، تهتز الحياة الثقافية، فينبرى الكتاب والنقاد للتحليل والتعليق بين مهاجم شديد العنف عليه ، وبين مؤيد يشرح ويزيد على ما قال اوكتب.

وفى عام ١٩٣٨ ، اصدر طه حسين كتابه الكبير « مستقبل الثقافة فى مصر » ، فجاء توقيته مناسبا حيث قد مر على مصر عامان اثنان على توقيع معاهدة ١٩٣٦ التى سميت معاهدة « الشرف والاستقلال » .

كان هو الكتاب الاول بعد الاستقلال الذى يرسم سياسة كاملة للثقافة النظرية ، ابتداء من التعليم الاولى ، الى نهاية التعليم الجامعى ، ملاحظا ما يجب ان يتوفر لخطوات التعليم المتوالية من التناسق والانسجام ، متمشيا فى مراحله كلها بروح واحدة وعقلية واحدة تصل الى غاية ، ولم يكن هذا بالعمل اليسير .

ولم يرسم هذا الكتاب الهام سياسة التعليم فحسب ، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب ، ولكنه تجاوزها الى ما بعد مراحل التعليم كلها ، الى ثقافة المجتمع وعواملها : الى المسرح والسينما والاذاعة والصحافة ، وتجاوزها الى الادب والادباء والجو الادبى ، والى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمى والنشاط الفكرى والى كل ما يتصل بكلمة « ثقافة » باوسع معانيها ، وفى اوسع اوسع حدودها ، ملائما بين كل مرحلة وما قبلها والتى تليها مما جعل هذا المؤلف دستورا جامعا للثقافة فى مصر كما ارادها مؤلفه .

ولم يكن هذا الكتاب جديدا بموضوعه ومادته بقدر ما كان جديدا بشكله وتنسيقه ، فقد اعتاد الكتاب والباحثون أن يبحثوا فى كل مرحلة من مراحل التعليم على حدة ، وأن يفصلوا بين الحديث عن الثقافة فى المدرسة والثقافة فى المجتمع ، واعتادوا ان يبحثوا كل لون من الوان الثقافة منفردا ، والا يرسموا وجهة محددة ، وغاية أساسية من هذه الثقافات جميعا ، واعتادوا كثيرا من الفوضى ، وكثيرا من التخبط وكثيرا من التعارض وكثيرا من التناقض بين غاياتنا القريبة من كل برنامج لانها غايات متنافرة لم تضمها غاية واحدة واضحة مرسومة للجيل كله ، أن لم تقل للاجيال كلها .

● استقلال الفكر ●

وقد حرص سيد قطب على ان يتناول هذا العمل الكبير بالتحليل والنقد ، وتم ذلك فى سلسلة من المقالات فى الدورية التى كانت كلية دار العلوم تصدرها باسم « صحيفة دار العلوم » . ويحرص سيد قطب منذ البدية ان ينبه قراءه الى انه آثر هذه المجلة لا لانها مجلة الطائفة التى ينتمى اليها ، او لانه متأثر فيما يبديه من آراء بآراء طائفة بعينها ، متجه الى عقليتها العامة ــ او ما يظن انه عقليتها العامة ــ حين هاجمها طه حسين فى هذا الكتاب :

لقد حرص سيد قطب على أن يؤكد « انى مستقل الفكر عن كل عقلية عامة او خاصة ، وانى لا اعيش ، ولا أستطيع ان أعيش فى جو الطوائف » ، ومن ثم فان





معارك ثقافية

مدار حكمه على الاشياء ، وما يحميه عليه مذهبه الخاص في الحياة ، هذا المذهب الذي عبر عنه اوضح تعبير فيما كتب في الصحف من اراء في الادب والنقد ، واخيرا ما نشر في مجلة « الرسالة » طوال سنة الشهر « بين القديم والحديث » ، وما نشر في عددين من صحيفة دار العلوم عن « الدلالة النفسية للالفاظ والاساليب العربية » . وان كلا البحثين ، تظهر فيهما هذه العقلية المستقلة ، ويبدو هذا المذهب الخاص

ويبقى السؤال : ولماذا اذن اثر سيد قطب « صحيفة دار العلوم » ؟ يجيب عن ذلك ، لانها مجلة اساتذة كانوا يشتغلون بالثقافة في المدارس ، خاصة .. فالكتاب يهمهم اول مايهم احــــدا في مصر ، وبالاضافة الى ذلك فهي في راى سيد قطب « صحيفة هادئة الطابع ، رزينة الاتجاه » ، وهي صفات لا يراها مع الاسف متوافرة في صحيفة او مجلة من الصحف والمجلات التي كانت قائمة !!

ويقرر سيد قطب ، ان كتاب طه حسين فيه ما يوافقه عليه اشد الموافقة ، وفيه ما خالفه فيه اشد المخالفة وكان فيه ايضا ما احتمل الاخذ والرد والزيادة والنقصان

● ثقافتنا اوربية خالصة !

ومن العسير بطبيعة الحال ان نعرض لوجهة نظر سيد قطب في كل القضايا التي عرض لها طه حسين في كتـــابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، وسوف نكتفي هنا بالقضية الكبرى والاساسية التي اثارت عليه ثائرة الكثيرين ، الا وهي مناداته بان تكون ثقافتنا في المســـتقبل ثقافة اوربية خالصة ، وان يكون اتجاهنا في الحياة اتجاها اوربيا خالصا ، وان نتاثر باوربا كما تاثرتها اليابان في غير تردد ولا تلكؤ » ، وبلا انتقاء او تمحيص او اختيار . ويقرر طه حسين في نحو ســـبعين صـــفحة من كتـــابه هذه النظرية : ان مصر امة غربية وليست امة شرقية ، وانها كانت غربية منذ عهــــد الفـــراعنة حتى وقته ، ولم تكن يومـــا شرقية ، ولم تخلق ان تكون يوما مـــا شرقية .

وهو يعني بالغرب هنا اوربا ، ويعني بالشرق الهند والصين واليابان . وهنا يمسك ســـيد قطب بالخيط ليلاحظ كل مهارة طه حسين في المناقشة وكيف يعرض المسالة عرضا يكاد « يجر » القارىء الى التسليم بالنتيجة التي يرجوها هو دون فرصة مايتركها للقـــارىء للتفكير المتروى

فهو قد قســـم الدنيا قسمين اثنين لا ثالث لهما : قسم تمثله الصين واليابان وان شئت فضم اليهما الهنـــــــد واندونيسيا ، وقسم تمثله فرنســــا وانجلترا ، وان شئت فضم اليهـــا كل دول اوربا وامريكا . فلابد للاجابة عن سؤال الدكتور في هذا الوضع ان تكون مصر امة غربية ، لانها ــ بلا تردد وبدون شك ــ تفهم الانجليزى والفرنسي اكثر مما تفهم الصيني والياباني في هـــذا الزمان ، وهذا ما قصد اليه طه حسين من توجيه السؤال على هذا المنوال .

وهنا ينبه سيد قطب ان وجه المسالة لابد ان يتغير لو كان الشرق الـــذى « واجهـــك به طه حسين غير الصـــين واليابان والهند واندونيسيا » ، اى لو كان هناك قسم ثالث للدنيا يمثـــله الشرق المصرى والغرب العربي ومصر بينهما حلقة اتصال .

ثم يزداد وجه المســــالة تعقدا لو كانت الدنيـــا اكثر انقساما حســـب ثقافاتها المختلفة ــ وهو الواقع ــ فكانت اوربا وامريكا تنقســـمان حســـب الطاقة المدمرة الطبيعية والعقلية الدكتــاتورية ــ وبينهما خلاف اساسي لا شك فيه ــ وكان الشرق ينقسم بحسب اجناسه وهي كثيرة وحسب طبيعة بلاده وهي متغايرة ..

الى آخر الاقسام التي لابد أن يفطن اليها ويدقق في تمحيصها من يريد وضع مناهج الثقافة حسب العقليات .

وعلام يبنى طه حسين نظريته في ان مصر امة غربية ؟ لقد اقامها على حقيقة تاريخية معروفة تؤكد اختلاط الثقافة المصرية بالثقافة اليونانية وتأثير كل منهما في الاخرى . ويشير طه حسين كذلك الى ان مصر لم تذعن لسلطان الفرس « الشرقى » الا كارهة ، وظلت تقاومه بالاستعانة بمتطوعين يونانيين واحيانا بالتحالف بين المدن اليونانية .

وهنا يقف سيد قطب ليبين الخطأ الذى وقع فيه طه حسين فجعله يقع في سلسلة من الاخطاء الاخرى والذى يقرأ وجهة نظر سيد قطب هذه يستطيع أن يلمس مدى ما قامت عليه من « حجية » بعيدة عن زخرف اللفظ والموسيقى البلاغية التي يحيط بها طه حسين كتابته لتتيح لها التسرب الى عقل القارىء على ما قد يكون بها من ثغرات .

فكما يقول قطب ـ وبحق ـ فان النزاع السياسى والوفاق السياسى لا يعنيان دائما نزاع العقليات ووفاقها ، لافي القديم ولا في الحديث ، وانه اذا صح ـ الى حد كبير ـ إنه كان هناك اتصال بين العقلية المصرية والعقلية اليونانية . وكان هناك افتراق بين العقلين المصرى والفارسى . فليست الامثلة التي ذكرها هى التي تثبت هذا أو ذاك .

ويلتقط قطب من وقائع واحداث العالم السياسية في اوخر الثلاثينات واول الاربعينات مايدلل به على صحة رأيه ، وخطأ راى طه حسين ، وهو اذ يسوق ذلك نجده ايضا عف القلم ، لا ينجرف الى مهاوى التفكير والاتهامات الجارحة الحادة التي تعود عليها كثيرون ممن نقدوا طه حسين ، فالرجل لا يتأخر عن المدح في بعض المواضع ، واذا صادف ما يخالف رأيه ، استعان بالحجة والدليل .

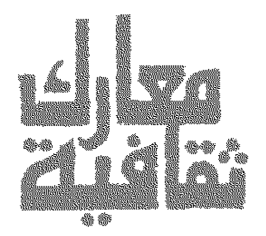
فلقد كانت اليابان والصين في حرب طاحنة ، وهما فريق واحد في رأى الدكتور ، وكانت ايطاليا تعادى فرنسا ، وهما امتان لاتينيتان ـ فوق انهما اوربيتان من فريق عقلي واحد في رأيه كذلك

ولا يكتفى قطب بهذا الدليل « المعاصر » ، بل يكذب بعض ما ادعاه طه مؤكدا ان المستعمرات اليونانية في مصر القديمة لم تكن مرضية من المصريين وانما كان يسمح بها بعض الفراعنة المكروهين من الشعب للجنود اليونانيين المرتزقة ، لتحميهم من غضب الشعب . وكان المصريون ينقمون على هؤلاء الفراعنة تقريبهم للاغريق ويأنفون من الاختلاط بالمرتزقة ، ويصفونهم باقبح الصفات .

لكن ما راى المورخين فيما يقول به قطب ؟

بالرجوع الى الجزء الذى كتبه الدكتور / ابراهيم نصحى ، في المجلد الثانى من « تاريخ الحضارة المصرية والعصر اليونانى والرومانى » والعصر الاسلامى » الذى اصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومى نجده يقول في صفحة ٧٢ ما نصه : « ولا جدال في ان اولئك الاجانب « اليونانيين » ، الذين وفدوا على مصر افواجا تلو افواج في خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، كانوا يكونون طبقة منفصلة من سكان البلاد ، تفصلهم فوارق شاسعة عن أهليها ، فقد كان مركز هؤلاء الأجانب الاجتماعى والسياسى والاقتصادى مختلفا عن مركز المصريين واكثر منه امتيازا . وحين كان الاغريق في القرن الثالث يؤلفون الطبقة العليا في البلاد ويقبضون على ارفع المناصب ، ويستمتعون بخيرات مصر ويعتبرون انفسهم اهل حضارة رفيعة دونها كافة الحضارات الاخرى ويعيشون في اوساط خاصة بهم ويحيون حياتهم التى اعتادوا ان يحيوها في بلادهم ، كان المصريون يؤلفون الطبقة السفلى ويشعرون انهم سلبوا خيرات بلادهم .





واذا كان هـــذا هو رأى المؤرخ فى الشطر الاول من حكم البطالمة ، فهـل اختلف الامر فى الشطر الثانى بحيث تتحقق وجهة نظر طه حسين ؟

يقول مؤرخنا فى نفس الصفحة بنفس المصدر : « .. اذا كان الشطر الثانى من عهـــد البطالمة قد شهد تقـــاربا بين المصريين والاغريق ، فقد شهد ايضـــا ثورات المصريين القـــومية على البطالمة والاغريق ، ولابد من ان تلك الثورات قد حدث من اثر ذلك التقارب » .

بل اننا نستطيع ان نقـول ان المسالة ليست « رأيا » يختلف فيه ، وانما هى حقيقة تاريخية ينبغى الاذعان لها وعدم معالدتها من اجل اثبات رأى .

ويؤكد قطب كذلك ان بعض الاغريق كانوا فى جيش فارس كما كانوا فى جيش مصر سواء بســواء !؟ بل الاهم من ذلك انه لم يمهد لاحتلال مصر كما مهدت لها خيانة « فانيس اليونانى الذى أطلع ملك الفرس على بعض أسرار الهجوم وقـدم الرشوة لعرب الصحراء ، وأرشد الملك الى رفع بعض الحيوان الذى يقـــدسه المصريون على دروع الجنود .

وهـــكذا لا يرسل قطب القول على عواهنه ، وانما يستند فى نقـــده على حقائق التاريخ ووثائقه حتى يأتى بالحجـة القوية والبرهان الساطع الذى يســـتند اليه فى رفضه . وهـذا الذى ذكره عن مساعدة احد اليونانيين للفرس فى غزوهم لمصر ، وقد رجعنا فيه الى المجلد الثالث عشر من موسوعة « سليم حسن » المؤرخ الكبير ، المعروفة باسم « مصر القديمة » ، ص ٢ .

ومع كل هذا ، فان قطب يفترض ان المصريين اذا كانوا قد رضوا بمستعمرات يونانية فى مصر ، وثاروا على استعمار فارس ، فان هذا لا ينبغى ان ينسبنا ان القياس مع الفارق ـ كما يقولون ـ ، وان مصر قد تصبر على مستعمرات صغيرة لها فيها مصلحة سياسية وهى سيدة نفسها متبرعة بهذه المستعمرات ، ولكنها لاتصبر على استعمار كامل يفقدها سياستها العامة وسيادتها الكاملة ، وان هـــذا وذاك لا يدلان على توافق عقل ولا اختلاف ، لانه يقع فى كلتا الحالتين على السواء . ان الحروب قديما وحديثا لا تثبت النزاع العقلى ولا تنفيه ، وان الثـــورات على المستعمرين لا ينظر فيها الا الى الحـــرية والسيادة قبل كل اتفاق عقلى او اختلاف والا ففيم كانت ثورة مصر على الحمـــلة الفرنسية ؟ وفيم كانت ثورتها على الاحتلال الانجليزى فى العصر الحـديث ؟ اكانتا للاختلاف العقلى كما ثارت على فارس أم هى الحرية تحركها فى كل حين » ؟

● الدين واللغة ●

وقد اراد طه حسين ان يمضى بعد هذا فى نفى الوحدة العقلية بين مصر والامم


سيد قطب

الشرقية حتى تلك التى تتكلم اللغـــة العربية ، وتدين بالاســـلام ، فذكر أن الدين واللغة لا يخلقـــان وحدة ، وأن المسلمين منذ اقدم العصور الاســـلامية فطنوا الى هذا بدليل ان الدولة الاموية فى الاندلس ، كانت تخـــاصم الدولة العباسية فى العراق

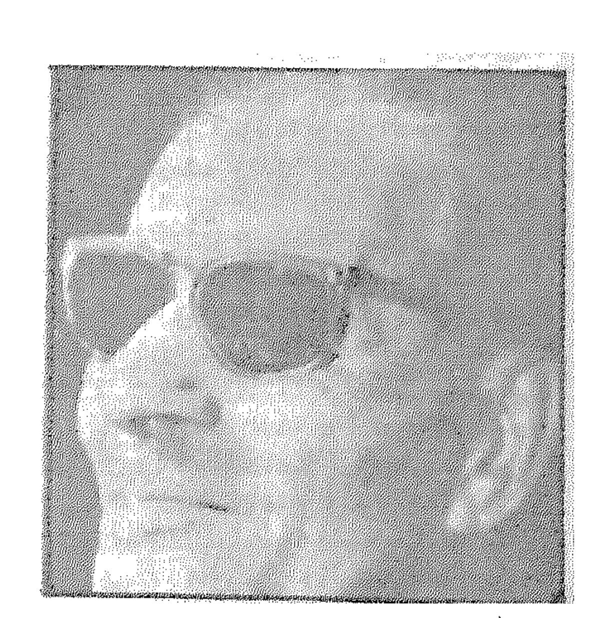
هنا يلفت قطب انظارنا الى ان الوحدة السياسية هى التى برهن عليها هذا المثال الذي ساقه طه حسين وبديهي ان الوحدة العقلية هي التي يعنيها كل من قطب وطه حسين ، وهي غير الوحدة السياسية بلا جـــدال ، والا (قـــد كانت الاندلس والعراق على مابينهما من نفور ، تعيشان بعقلية واحدة او بعقليتين متقـاربتين ، يظهر ذلك فى اتـجاهما الادبى والعلمى ، بل يبدو فى ان ، ادب الاندلس تاثربادب المشرق تأثرا ظاهرا ـ على الاقـل فى بعض صوره ـ فلم ينتفع بالبيئة الجديدة الا انتفاعا محدودا ، فى الشكل اكثر منه فى الموضوع . ويؤمن قطب بان طه حسين من غير شك يعلم جيـــدا هذه الحقيقة الادبية التاريخية « ولكنه يعرق من هذه فى رشاقة وخفة الى نتيجة قاطعة هى :

« ان من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءا من الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهنـــد والصين .. » .

ويتساءل قطب عمن هو ياترى الذى اعتبر عقلية مصر كعقلية الهند والصين ؟ ذلك أنه يعلم ان مخالفى طه حسين يرون لهذه العقلية المصرية خصائص تميزها عن العقلية الاوربية ، كما تميزها عن عقلية الشرق الاقصى سواء بسواء .

ونحن نتســـاءل مع سيد قطب : وفيم هذا العناء ؟ ومتى كان لاوربا عقل واحد ؟ وللشرق الاقصى أو الادنى عقل واحـــد كذلك ؟ ولم لانقول ان لكل أمة عقلاخاصا يتطلب ثقافة ، وان هذه العقول قد تتقارب وتتباعد ولكنها لا تتحد ابدا ، والا فما بال البرنامج الدراسى الانجليزى ـ فى ذلك الوقت ـ قد امتاز بالتخفيف والتـربية الرياضية عن البرنامج الفرنسى ، وتوسط البرنامج الالمانى بينهما ؟ ـ وهذه أقـل مظـــاهر الاختـــلاف ـ وما بال الادب الانجليزى غير الادب الفرنسى والامريكى مع ان هذا مكتوب باللغة الانجليزية ، وما بال الفن الروسى غير هؤلاء جميعا فى القديم والحديث ؟ بل ما بال ايطاليـا والمانيا فى نفس الفترة تنحـوان منحى الدكتـاتورية فتتابعهما فيها اليابان فى أقصى الشرق) وتلتزم انجلترا وفرنسـا الاوربيتان أيضا الديموقراطية على اختلاف المصالح فيها وتؤمن بها معهما امريكا ، وهى أقرب فى الواقع ـ وقتئذ ـ واحتكاك المصـــــــالح الى اليابان منهمـا ، والديمقراطية والديكتـــاتورية اتجـــاهان عقليان متقابلان ، ويكفى لتقابلهمـــا ان « الدولة للفرد » فى الاول و « الفـــرد للدولة » فى الثانية ، وتبع هذا الوضع كل برامج التعليم وكـل مناهج الثقافة وكل الشرائع والقوانين ؟

ويستشهد سيد قطب كـــذلك ببعض الامثلة من التاريخ القديم ، فالعقليـــة الرومانية قديما كانت تخـــالف العقليـــة اليـــونانية وهما متجاورتان ومن حـــوض



د. طه حسين





معارك ثقافية

البحر الابيض المتوسط الذى افترض طه حسين له عقلية متحدة . والاساطير اليونانية والاساطير المصرية لم يلتقيا الا فى مشابه قليلة ، وكانت القصة تنبت وتترعرع بل تزدهر فى بلاد الاغريق ثم لاتكون فى مصر القديمة الا اقصوصة ساذجة .. الى غير ذلك من الامثلة التى يحفل بها التاريخ الثقافى قديمه وحديثه، وكلها تنتهى الى : « ان التعميم فى النظم العقلية لا يؤدى الى نتائج مضبوطة ، يمكن ان تبنى عليها توجيهات حاسمة فى الثقافة العامة » .

وهناك ادلة وامثلة اخرى عرضها طه حسين كى يدلل بها على صحة ما يذهب اليه ، اذ يقول ان الاسلام لم يغير العقلية المصرية لانه اختلط بالفلسفة اليونانية ، فاصبح بهذاالاختلاط عنصرا موافقا للعناصر المكونة لهذه العقلية لا مضادا لها ، ولان الاسلام شأنه شأن المسيحية ، والمسيحية لم تغير العقلية الاوربية حينما عبرت اليها فما بال الاسلام يغاير المسيحية فى هذه الخلة ، مع ان القرآن جاء مصدقا للانجيل ؟ ويناقش سيد قطب هذين الدليلين :

فاما ان الفلسفة اليونانية امتدت الى الاسلام فهذا ما لاشك فيه ، ولكن قطب ينكر ان الاديان تطبع الشعوب بفلسفتها وقضاياها المنطقية ، مؤكدا انالمؤثر الاول للاديان هو نظامها الروحي ، وهوتبشيرها وانذارها ، وهو الصورة الغامضة التى تنطبع فى نفوس اتباعها ، ثم هو بعد هذا شرائعها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ان كان فيها « كما فى التوراة والقرآن » مثل هذه النظم .

وبطبيعة الحال فان طه حسين كما يتوقع قطب ، يمكن ان يقول ان شيئا من هذا كله فى الاسلام قد اتفق مع الفلسفة اليونانية لكن لا ينبغى ان ينسى ان الخاصة وحدهم تأثروا بهذه الفلسفة ، اما الشعب المصرى فقد اثر فيه الاسلام بخواصه تلك وطبعه بطابعها ، بل اثر فيه بروحه العربيه الخالصة « والروح العربية من اقوى الارواح فى أمم العالم » وهى عبارة طه حسين نفسه كما نقلها عنه سيد قطب فى احدى محاضرات العميد من محطة لندن الاذاعية . ولم تمد الفلسفة اليونانيه مدينة الاسكندرية الا فى احيان قليلة وظلت « منف » محتفظة بفرعونيتها ، حتى جاء الرومان فكرهتهم واعرضت عنهم ما وسعها الاعراض ، ثم جاء الاسلام فاعتنقته راضية ، وتاثرت به مع سائر البلاد .

وانتقد سيد قطب ذلك القياس الذى ساقه طه حسين من انه ما دامت المسيحية لم تؤثر فى طبيعة العقل الاوربى ، فقد وجب ان يكون الاسلام كذلك ، ففى هذا القياس توسع نضفاض فى التفسير ،لماذا؟

يجيب قطب على ذلك بان الاديان قد تتفق فى ناحية او نواح ، ولكنها تختلف من حيث طبيعة عقليتها فى نواح ، وكل دارس للقرآن وللانجيل يدرك هذا الفرق بل هذه الفروق : يدركها فى طبيعة الاله كمايصورها القران وطبيعته كما يصورها الانجيل ، وفى العلاقة بين الاله والنبى وقومه فى الاول ، وبينه وبين النبى وقومه فى الثانى ، وهذه وتلك من أهم اسس الاديان .

وقد توسع قطب فى بيان الفروق هذه . ويشرحها شرحا ينبأ بمقدار ثقافتهاالواسعة، ونكتفى بفارق واحد اساسى يشير اليه بين الانجيل والقرآن ، بل بين الانجيل فى ناحية ، والتوراة والقران فى ناحية، فهذان يحويان بعد اللاهوت نظما وشرائع وحدودا دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، بينما الانجيل يكاد يخلو من هذا كله . فالمسيح عليه السلام انما جاء داعية للصفاء الروحى والرحمة واللين والتسامح والعفة والزهد ، ولكنه لم يظهر الا اشارات عارضة للنظم الاجتماعية او

الاقتصادية او السياسية ، بل كان يلمح من تصرفاته وتصريحاته انه لا يستريح الى القيود والتقاليد من الكهان اللاويين والكتبة ، لانها اعمال ظاهرية ، وهو كان موكلا بالبواطن والارواح .

ومن هنا يستنتج سيد قطب ان المسيحية حينما امتدت الى أوربا وصلت اليها نظاما روحيا وارشادا خلقيا ، ولكنها لم تضع لها اسسا للتشريع والاقتصاد والسياسة كما وضع القران .. حينئذ بقي العقل الاوربي يسيطر على الحياة الدنيوية ويشرع لها ويتصرف فيها ، فلم يتغير منه شيء هام مع المسيحية ، اما القرآن فقد وضع العقل المصرى والعقول التى خضعت له فى نطاق معين ، هو نطاق التشريع القرانى والنظام الدنيوى القرآنى ومن هنا كان لابد ان يؤثر فى هذا العقل مالا يؤثر الانجيل ، وان يبقى دائم الاثر حتى تتحلل منه الدولة بالتشريع الرومانى والقوانين الفرنسية منذ قرن وهو - مع هذا - لايزال شديد الاثر فى عقلية التشريع المصرى .

● التفسير المادى للتاريخ ●

ومن الطريف حقا اننا نفاجأ باستخدام سيد قطب للتفسير المادى للتاريخ لبيان الاختلاف الشديد بين العقلية المصرية والعقلية الاوروبية على عكس ما ذهب طه حسين . صحيح انه ينفى بصراحة اتفاقه مع كارل ماركس فى نظرية التفسير الاقتصادى للتاريخ « لكنى لا اغفل الاعتراف بأثر السياسة والاقتصاد فى عقليات الامم » فاذا اضفنا الى ذلك طبيعة بلادنا وطبيعة البلاد الاوربية ، كان لابد من الاختلاف العقلى . وتطبيقا لذلك يذهب قطب الى ان الطبيعة فى اوربا قاسية شحيحة بالقياس الى الطبيعة المصرية الوديعة الكريمة ، فالطبيعة هناك تخزى أهلها وتنبههم فى كل لحظة الى العمل المتواصل ، وقسوتها وشحها يوحيان اليهم ان يدخروا من ايام الرخاء لايام الاعسار ، وان يكونوا على اهبة فى كل وقت لمقاومة الطبيعة الطاغية ولا يقتصر الادخار على الماديات ، فان توالى الاجيال فى هذه البيئة يمدها باعصاب يختزن فيها قدر من الطاقة الضرورية للتحمل والمقاومة ، وضبط النفس والوقوف للصدمة على تفاوت الاجناس والبيئات ، بينما الطبيعة الهينة اللينة فى مصر ، لاتدع المصرى يدخر من الطاقة شيئا لانه قادر على لقاء الطبيعة كل آن بقوته الحاضرة بلا تحفظ ولا ادخار، ومن هنا يسرف المصرى فى قوته وصحته وماله لان الطبيعة لم تعوده ان يحتاج لادخار شيء من القوة او القوت: البرد محتمل ، والحر محتمل ، والنهر اليف وديع ، وفى لاهله فى كل عام ، والارض خصبة غنية المظاهر ، داجنة البقة الباطن ، لا زلزلة ولا بركان ، ولا جدب ولا حرمان .

وفى هذا الجزء بالذات يستفيض سيد قطب ليقدم لنا دراسة ممتعة غنية النظرات فيما يمكن تسميته بدراسات « الشخصية القومية » ، بيد اننا ونحن نقرأها لابد ان نربطها دائما باطارها المرجعى من حيث الزمان أى فى اواخر الثلاثينيات ذلك ان التقدم العلمى والتكنولوجى الذى شهدته دول الغرب فى العقود القليلة الماضية ، لم يجعل للطبيعة سطوتها التى كانت عليها ، واصبح الانسان الغربى يعيش عالما « صناعيا » صنعه بعمله وتطبيقاته ، حقق فيه الكثير من مظاهر الترف والرفاهية مما جعله لا يكترث كثيرا **بعوادى الطبيعة وتقلباتها . وحدث العكس فى مصر ، تآكلت الارض الزراعية ، وتراجعت المساحات الخضراء وادى طول النهب والقهر والاستغلال ، ان يفقد المصرى الكثير مما عرف به من الهدوء والوداعة لقد فقد الثقة فى غده من طول ما عانى من الكلب وسميا ، واصبح الجدب والحرمان من قسمات حياته ، جدب فى الثقافة التى يعيشها ، وحرمان من ابسط المقومات الاساسية للحياة ، فى وقت اصبح يرى فيه اساليب اخرى هى التى تنجح مما لم تكن تعرفها قيمه واخلاقياته .**

محمد أنيس
مؤرخاً ومناضلاً

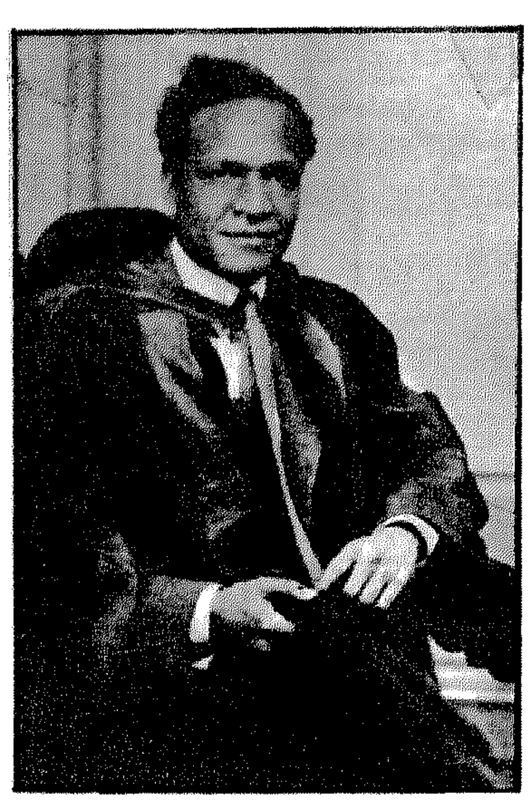
بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لفت الدكتور محمد أنيس الأنظار منذ الخمسينات بسبب طرحه القضايا التاريخية والقومية على الرأى العام مما ادى إلى اخراج الدراسات التاريخية من حيز اهتمامات الخاصة والدارسين إلى حيز اهتمام المواطن العادى ، وبذلك حول الدراسات التاريخية من مستواها الأكاديمى الصرف الى حيز الاهتمام الجماهيرى العام مما أدى الى التحام التاريخ بقضايا الساعة بصورة لم يسبق لها مثيل . ومما ساعد على ذلك أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد سايرت المد القومى العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص وقامت بأعمال سجلت منعطفا جديدا فى التاريخ العربى والمصرى وهيأت الأذهان لطروحات جديدة ترتبط بالأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كان العرب يتطلعون الى تحقيقها . وكان انيس فى طليعة مؤرخى مصر الذين تجاوبوا مع التيارات الجديدة وفسروا التاريخ تفسيرا يتواءم مع المنطلقات القومية والاجتماعية التى تبناها عبدالناصر والتى آمنت بها قطاعات واسعة من الجماهير العربية بوجه عام والمصرية بوجه خاص . وظل أنيس حتى نهاية حياته متمسكا بقناعاته القومية والاجتماعية التي جعلته يخوض سلسلة من المعارك الفكرية كان لها صداها العميق فى حقل الدراسات التاريخية والقومية .

وإذا كان أنيس من المفكرين الذين انجبتهم الحركة القومية العربية والنضالات الجماهيرية من أجل العدل والحرية فمما لاشك فيه انه تأثر بتفسيرات المؤرخ المصرى الكبير محمد، شفيق غربال الذى كان بدوره متأثرا بنظريات استاذه البريطانى أرنولد توينبى المتعلقة بقيام الحضارات واضمحلالها ولو آن أنيس قد زاوج بين آراء توينبى وبين قناعاته الجماهيرية والاشتراكية وبذلك تجنب الانزلاق إلى مستوى أفكار توينبى وغربال الأرستقراطية والرجعية الى حد

ما . وهكذا لفت أنيس الأنظار خلال الخمسينات بمقالاته التى كان ينشرها في جريدة « المساء » وحاول فيها أن يفسر تاريخ مصر تفسيرا يركز على نضالات الشعب المصرى فى سبيل الحرية والديمقراطية . وقد اهتم فى سياق هذه المقالات بوجه خاص بالمؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الجبرتى الذى كان فى نفس الوقت موضعا لاهتمام توينبى وغربال ، وسلط الأضواء على موضوعيته وشجاعته فى نقد محمد على مؤسس الأسرة العلوية ومصر الحديثة وصوره باعتباره ضحية لاستبداد الباشا الذى اتهمه انيس بالتحريض على قتل خليل الابن الوحيد للجبرتى الذى قيل انه فقد بصره لكثرة نحيبه على وحيده وتوقف عن استكمال تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » هذا برغم أن بعض الدراسات الخاصة بالجبرتى تذهب الى انه لم يفقد بصره والى انه تابع كتابة تاريخه بعد مقتل ابنه الذى لايوجد دليل قاطع على ان محمد على قد حرض على قتله . **وظل أنيس مولعا بالجبرتى فأفرد له مكانة خاصة فى سلسلة المحاضرات التى القاها بمعهد الدراسات العربية العالية عن المؤرخين المصريين فى العصر العثمانى ، وهى المحاضرات التى نشرت تحت عنوان « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى »** .

وقد التقيت بأنيس للمرة الأولى فى أوائل الستينات حين انتدبت للتدريس بقسم التاريخ بجامعة القاهرة فى الوقت الذى أقعد فيه المرض أستاذنا الدكتور محمد فؤاد شكرى . وسرعان ما توثقت علاقاتنا خاصة وأننا كنا متقاربين فى



محمد انيس

السن والتفكير والرؤيا الثقافية والوطنية وأننا كنا ننتمى الى جيل جديد من المفكرين الذين تجاوبوا مع التيارات المحلية والعالمية وكانت قضايا الساعة شغلهم الشاغل بحيث آثروا الخروج من البرج العاجى الذى انحبس فيه كثير من رجال الجيل السابق علينا من المؤرخين فوقعوا دراساتهم فى اطار الدراسات الأكاديمية . وهكذا كنا نتدارس القضايا العامة والتاريخية فى لقاءات مفتوحة خارج الجامعة مع نفر من الشباب والدارسين الذين قاربوا بيننا وبين ما كان يطرح فى الشارع والمنتديات الخاصة من اخبار وتعليقات تتعلق بالأوضاع العامة والقضايا العامة والتاريخية . وأهم ماتمخضت عنه هذه اللقاءات السعى الى التعرف على بعض الشخصيات التى

محمد أنيس

أضواء جديدة على كفاح هذا الزعيم المصرى فى سبيل الحرية والاستقلال .

● مقالات رائدة ●

عاصرت الأحداث أو اسهمت فى مجرياتها .. وهكذا تعرفنا على الأستاذ حسنى الشنتناوى احد مناضلى ثورة ١٩١٩ الذى راح يروى لنا أطرافا من كفاحه وكفاح جيله ضد الاستعمار البريطانى ، ويوجهنا الى من يحتمل أن تكون لديهم أوراق خاصة تتعلق بالحياة السياسية وبالنضال الوطنى . وكانت النتيجة هى العثور على المراسلات السرية المتبادلة بين سعد زغلول ، خلال إقامته فى باريس ، وبين عبد الرحمن فهمى زعيم المقاومة السرية ضد الانجليز فى مصر ورئيس اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة . وطرح أنيس على الراى العام المصرى محتويات هذه المراسلات فى مقالات نشرها فى جريدة الأهرام ثم مالبث أن اخرجها فى عام ١٩٦٣ فى كتاب عنوانه **« دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى »** . وهذا الكتاب يحتوى على تعريف بعبد الرحمن فهمى (ص٧ - ص٥٧) كما يحتوى على كثير من التحقيقات والشروح التى القت كثيرا من الأضواء على تفاصيل الكفاح المصرى ضد الوجود البريطانى فى مصر . وكان أنيس قبل ذلك قد قام بتحقيق ونشر بعض المراسلات المتبادلة بين الزعيم المصرى مصطفى كامل وبين رفيق كفاحه عبد الرحيم أحمد تحت عنوان **صفحات مطوية عن كفاح الزعيم مصطفى كامل »** ، وهى مراسلات القت

وفى عام ١٩٦٣ آثار نشر سلسلة من المقالات فى جريدة "الأخبار" كانت مستقاة عن مذكرات الزعيم سعد زغلول ردود أفعال قوية مبعثها ناحيتان : (أ) أن مذكرات سعد ظلت بعيدة عن متناول الباحثين لأسباب تتعلق "بملكيتها" - وقد اطلع عليها الصحفى مصطفى أمين واستعان بها فى كتابة مقالاته فى جريدة "الأخبار" لكونه يمت بصلة القرابة لسعد زغلول . (ب) أن المقالات كانت أشبه ماتكون بالقصص أو المسلسلات السينمائية بحيث حجبت العمل الثورى الذى قام به آلاف المصريين . لهذا استشاط كثير من الوطنيين والمهتمين بتاريخ مصر غضبا ، وبادر أنيس الى الدعوة الى ضرورة أن تكون المذكرات الخاصة وغيرها من الوثائق فى متناول الباحثين بدل كونها ملكية خاصة وكان من وراء صدور القرار الخاص بجعل مثل هذه الأوراق والوثائق ملكية للدولة التى عليها ان تسهل مهمة الاطلاع عليها ، ولكى يعيد الى ثورة ١٩١٩ جلالها نشر أربع مقالات فى جريدة الجمهورية حول الطبقات الاجتماعية فى تاريخ هذه الثورة وهى مقالات رائدة فى مجال تأصيل تاريخ مصر الاجتماعى الذى أهمله المؤرخون المصريون حتى ذلك الوقت الى حد كبير لحساب التاريخ السياسى . وقد أردفت مقالات انيس بمقالات أربع أخرى حول « أزمة القيادة فى ثورة ١٩١٩ » ، وتلت ذلك مقالات أخرى فى نفس الجريدة حول

ثورة ١٩١٩ وحول ضرورة خروج المذكرات الخاصة والوثائق الى حيز النور - فكانت حملة شدت الانتباه الى القضايا الوطنية والتاريخية واثارت وعيا قويا .

وقد أثارت الحملة التى استهلها أنيس ما عرف باسم السعى الى اعادة كتابة للتاريخ القومى على ضوء المادة الجديدة المستقاه من المذكرات والوثائق . وفى تلك الاثناء حصلت الجامعة الأمريكية فى القاهرة بوسيلة أو بأخرى على مذكرات الزعيم محمد فريد وعرضت على أنيس أن يتعاون معها فى سبيل الحصول على وثائق ومذكرات أخرى تنتقل الى جامعتى القاهرة وعين شمس . ورفض أنيس

العرض رفضا باتا وشن حملة **ناشد فيها الحكومة المصرية ان تبادر الى جمع مثل هذه الوثائق وغيرها وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها** وقد قمت

معه بكتابة مذكرة بهذا الشأن الى وزير الثقافة فى ذلك الوقت - الدكتور ثروت عكاشة - الذى خصص لنا دقائق قليلة لمناقشة فحوى المذكرة متصورا اننا من طلاب المال فسألنا : « كم تريدان ؟ » ثم انهى المقابلة القصيرة هذه بقوله : ان **تاريخ مصر الحديث يبدأ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - وكان مصر ليس لها تاريخ حديث سابق على ٢٣ يوليو ١٩٥٢ !**

وحين نما الى انيس أن الموظفين المشرفين على الوثائق المصرية لم يكونوا يسهلون عمل الباحثين المصريين فى الوقت الذى كانوا فيه يقدمون شتى التسهيلات للكتاب الأجانب ومنهم المؤرخة الأمريكية هيلين رفلن بادر الى حث الحكومة المصرية من جديد على ضرورة

اعادة تنظيم هذه الوثائق بعد ان امتدت اليها يد العبث . وكانت الحكومة المصرية قد افردت للكثير من هذه الوثائق وغيرها من الوثائق الاجنبية مبنى خاصا بقصر عابدين يطل على شارع حسن الأكبر ، **وحين تولى صلاح سالم وزارة الثقافة والاعلام فى اعقاب ثورة ١٩٥٢ امر باخلاء المبنى من هذه الأوراق المرتبطة "بالعهد البائد" والقائها فى اى مكان آخر وتخصيص المبنى لأغراض أخرى - وظلت الوثائق منذ ذلك الوقت موضعا للاهمال الى ان انشئت دار الوثائق القومية بعد وقت ليس بالقصير** . وجدير بالذكر ان مخلفات وأوراق العهد الملكى لها أهميتها بالنسبة الى تاريخ البلاد وليست خاصة بالنظام الملكى البائد - وأذكر بهذا الصدد أن الزعيم السوفييتى فلاديمير لينين قد اصدر فى اعقاب ثورة اكتوبر حكما بالاعدام على كل من يعبث بالتراث القيصرى وان آثار العهود البائدة وأوراقها لاتزال موضعا للاهتمام فى بلدان عريقة مثل فرنسا وايطاليا وغيرها .

وحين علم انيس فى عام ١٩٦٣ أن جامعة لندن قد دعت الى مؤتمر خاص بتاريخ مصر الحديث اعتبر هذه مؤامرة « امبريالية وصهيونية » ووجه اليها هجومه ونقده على صفحات جريدة "الجمهورية" مركزا على كون تاريخ مصر هو فى المحل الأول مسئولية ابنائها رغم ان مثل هذا المنطلق بعيد عن روح البحث العلمى وأقرب مايكون الى الشوفينية . حقيقة ان ابناء البلاد ادرى بشعابها الا ان ذلك لايحول دون اسهام الآخرين فى كتابته وبخاصة اذا ماتوفرت لهم ادوات البحث العلمى . وعلى اى حال فقد انعقد



مؤتمر جامعة لندن فى عام ١٩٦٥ ، وحين تقرر اشتراكى فيه مع مؤرخين مصريين آخرين ابدى لى الاساتذة الانجليز استنكارهم لحملة انيس واكدوا أن المؤتمر ليس سوى احدى حلقات البحث التى تقررها الجامعة دوريا بصدد تاريخ احدى المناطق « Area Stadies » ولقد ثبت ان الابحاث التى قدمت للمؤتمر قد اضافت الكثير الى تاريخ مصر الحديث .

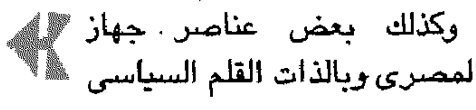
ومهما كان الامر فقد اثمرت الحملات التى تبناها انيس فى لفت انظار المسئولين المصريين الى اهمية الوثائق والمذكرات بالنسبة الى تاريخ البلاد بحيث تقرر انشاء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الذى أشرف هو عليه فى البداية واشتركت معه فى العمل به بعض الوقت عقب انشائه . ورغم أن المركز بدأ بداية متواضعة فان الباحثين من خريجى اقسام التاريخ الذين عملوا به تحت اشراف انيس قد بذلوا جهدا طيبا فى محاولة رصد مظان الوثائق المصرية : فى دار القضاء العالى ورئاسة مجلس الوزراء والقصر الجمهورى ووزارة الداخلية وغير ذلك . وكانت بعض هذه الوثائق ركيزة لبعض دراسات هؤلاء الباحثين الذين مالبث بعضهم أن انضموا الى هيئات التدريس بالجامعات المصرية واسهمت دراساتهم فى إلقاء اضواء جديدة على تاريخ مصر الحديث . كما حصل المركز على بعض المذكرات الخاصة التى قام على نشرها ومنها مذكرات الزعيم محمد فريد ومذكرات عبد العزيز على ومحمد على علوبة وغير ذلك . كما ان انتعاش اهمية الدراسات التاريخية فى اعقاب تلك الحملات التى طرحت الموضوع على الرأى العام قد أدت الى خروج دراسات ومذكرات اخرى منها مذكرات الاستاذ محمود سليمان غنام احد اقطاب حزب الوفد القديم وكتاب « **الكفاح السرى ضد الانجليز** » الذى أصدره المناضل وسيم خالد قبيل وفاته .

وفى اعقاب صدور "ميثاق العمل الوطنى" فى عام ١٩٦٢ اشترك انيس فى تأسيس معهد الدراسات الاشتراكية الذى ألهمه ، بمحاولة رصد تاريخ مصر الاجتماعى على ضوء النظريات الاشتراكية . ولما كانت الدولة قد اخذت حينئذ بالتفسير الاشتراكى للتاريخ فقد تصدى انيس مع من تصدوا لتعميق الفكر الاشتراكى ، فاشترك فى حلقات الدراسة التى كانت تعقد فى مدينة السويس وأثار فى جريدة الجمهورية حملات عدة ترتبط بالقضايا القومية والاجتماعية . إلا ان كل هذا الزخم قد تزعزع فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ التى كان من اهدافها ضرب الحركة القومية العربية والقضاء على كل ما كان عبد الناصر يسعى الى تحقيقه وحينئذ دب اليأس فى قلوب الكثيرين مما مهد للكثير من التطورات المعاكسة على الساحتين المصرية والعربية ـ فخرج انيس من مصر للعمل بجامعة قسطنطينة ثم بجامعة بغداد فجامعة صنعاء . **على انه فى كل تلك الاثناء كان حساسا لكل مايحدث فى مصر وعلى استعداد لأن يعود الى الحياة العامة حين تلوح أى بارقة امل . وهكذا قطع اقامته فى بغداد**

حين تأسس حزب الوفد الجديد وعاد الى مصر لينخرط فى نشاط الحزب ، ولو انه لم يلبث ان انسحب منه على اثر تحالف قياداته مع جماعة الاخوان المسلمين . وكان موقفه هذا منسجما مع تعاطفه مع حزب الوفد القديم باعتباره نصيرا للعلمانية والديمقراطية ، وهو التعاطف الذى سبق أن اتضح لديه فى سلسلة المقالات التى نشرها فى جريدة "الأهرام" حول حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ وحول حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وكانت هذه المقالات هى الأساس الذى قامت عليه دراستاه حول هذين الموضوعين .

● جهد علمى بارز ●

- ففى كتاب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ على ضوء وثائق تنشر لاول مرة (بيروت ١٩٧٢) يتهم انيس المخابرات الانجليزية بتدبير الحريق دون ان يتوفر له دليل مادى ، سوى مجموعة تقارير من مصلحة الرقابة المصرية كتبها الى محطة الاذاعة البريطانية مندوبها بمصر باتريك سميث . وهو يبنى اتهامه هذا على أساس أن السلطات البريطانية سعت الى اجهاض الكفاح الوطنى المصرى فى منطقة قناة السويس على اثر الغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ وتجاوبها مع حركة الفدائيين المصريين . كما يستبعد (ص ٥٤) احتمال قيام حزب مصر الاشتراكى وزعيمه أحمد حسين وحدهما بتنفيذ الحريق ، ويتهم السراى بالتواطؤ وكذلك بعض عناصر جهاز البوليس المصرى وبالذات القلم السياسى



محمد انيس . كان شعلة من النشاط والعمل الدءوب



لايشك فى تبعيته للانجليز فى ذلك الوقت وعلى اى حال فحتى الآن لم يمط اللثام نهائيا عن دوافع الحريق والمحرضين عليه ، ان كان ثمة تحريض .

- اما كتاب **٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى** (بيروت ١٩٧٢) فاننا نلمس دفاعا عن حزب الوفد وتبريرا لقبول النحاس باشا الحكم على أثر حصار القصر الملكى المصرى بالدبابات البريطانية - ومن ذلك قوله (ص ٩٠) : "فعلى المدى البعيد فإن" بقاء المبادىء الدستورية التى وقف الوفد مدافعا عنها لايمكن أن يتحقق الا بهزيمة المحور . وعلى المدى القصير فإن امكانية عودة الوفد السريعة الى الحكم كانت عن طريق توسيع الهوة بين فكرة الحكومة الائتلافية وبين السلطات البريطانية ... وهذا هو المضمون الحقيقى لموقف الوفد ومسئوليته فى حادث ٤ فبراير وكذلك قوله (ص ٩٠) : « ان الاستعمار البريطانى حقيقة لاريب فيها . لكن الأمر على وجه التحديد فى ظروف الحرب العالمية الثانية ... خصوصا بعد دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ، كان بالنسبة للوفد المفاضلة بين أن يلقى بثقله فى تأييد قضية الحلفاء أو قضية المحور ... ولم يكن من الطبيعى أن يقف الوفد الذى خاض مع القصر المعارك منذ ١٩١٩ فى سبيل قضية الديمقراطية (كما يفهمها الوفد طبعا) ... أن يقف فى جانب المحور - وبالتالى فان ماحدث فى ٤ فبراير كان تعبيرا عن دخول الصراع بين الوفد والقصر فى اطار الصراع العالمى بين القوى الديمقراطية والقوى الفاشية » .

ولاأظن أن موقف الوفد يرقى الى مثل هذا المستوى الذى اشار اليه المؤلف . فعلى حين ان الدراسات الموثقة التى تناولت هذه الفترة ومنها « **يوميات كيلرن** » و « **المانيا الهتلرية والعالم العربى** » **تبرز اتصالات الملك فاروق وبعض الساسة المصريين بدولتى المحور مما حتم على السلطات البريطانية ان تهدد الملك وترغمه على قبول تأليف النحاس باشا للوزارة . ولما كان النحاس مؤمنا بانه يمثل الأغلبية الجماهيرية فانه لم يتردد فى قبول الحكم ، وهوما حاولت دوائر القصر وجريدة "اخبار اليوم" ابرازه على انه قبول للحكم على أسنة الحراب البريطانية" ! ومهما كان الأمر فقد كان هذا القبول فى مثل هذه الظروف من الاسباب التى ادت الى زعزعة شعبية حزب الوفد والتمهيد لظهور قوى أخرى على ساحة السياسة المصرية** ، وأيا كانت لبرالية الوفد وديمقراطيته فان ظروف الحرب قيد قيدت تحركاته وجعلته يرضخ لمطالب السلطات البريطانية التى قام الوفد الاصلى فى عام ١٩١٩ على اساس مكافحتها وتحقيق استقلال البلاد واما دراسات انيس التاريخية الأخرى فقد ارتبطت بتدريسه فى الجامعة ومنها « **محاضرات فى تاريخ اوربا الحديث** » و« **التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث** » بالاشتراك مع الدكتور السيد رجب حراز و« **الدولة العثمانية والشرق العربى** » : ١٥١٤ - ١٩١٤ الذى ظهرت

منه طبعتان آخرهما فى عام ١٩٨٤) والذى ضمنه بحذافيره ـ باستثناء الفصل الأخير ـ فى كتاب أصدره مع الدكتور حراز تحت عنوان « **الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر** » ولو أنه لم يحدد فى الكتاب الأخير القسم الذى كتبه هو والقسم الذى كتبه زميله .

ويبدو أن كتاب « **الدولة العثمانية والشرق العربى** » قد بنى على اساس محاضرات القيت على الطلبة وجرى طبعها دون مراجعة ومن ثم عدم التناسق بين محتوياته وكثرة تفاصيله فى مواضع عدة . ورغم ذلك فالكتاب مليء بالايحاءات واهمها الاهتمام بأوضاع العالم العربى الاجتماعية فى ظل الحكم العثمانى ، ولو انه يأخذ بالرأى القائل بمسئولية العثمانيين عن تخلف العرب وعزلهم عن إنجازات النهضة الأوربية الحديثة . ورغم اتهام انيس للدولة العثمانية بعزل العالم العربى عن التيارات الأوربية الحديثة فانه يسجل انها حمته من الاستعمار الغربى . على انه ليس من السهل التحكم فى تاريخ الشرق العربى خلال أربعة قرون فى كتاب عام ، ولو ان هذا الكتاب لايزال يوفر مرجعا للطلبة text — book فى موضوع لم يلق اهتماما من المؤرخين العرب حتى وقت قريب . وقد اشرت على انيس مرارا عدة بان ينتهز فرصة اعادة طبع الكتاب لكى يجرى عليه التعديلات التى تتواءم مع سيل الابحاث والدراسات الخاصة بالعصر العثمانى التى ظهرت فى الآونة الأخيرة ـ ولكن يبدو ان مشاغله المتعددة لم تتح له فرصة لذلك .

أما كتاب « **التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث** » فهو من الكتب القليلة التى اهتمت بتاريخ مصر الاجتماعى وتناولت تطوره منذ العهد العثمانى حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ . ولما كان من المحاولات الأولى بهذا الصدد فان مؤلفيه لم يستطيعا تجنب كثير من التعميمات ، وان يكونا قد بذلا جهدا يشكر لهما فى هذا المضمار البكر . على انهما لم ينجحا كل النجاح فى المزاوجة بين المجالين الاجتماعى والسياسى فى تاريخ مصر الحديث ، ان انيس كان اميل الى التحليل والأخذ بالتفسير الاجتماعى للتاريخ ، فى حين ان حراز كان اميل الى رصد الاحداث التاريخية من حيث هى احداث لا اكثر ولا اقل . ولو كان انيس قد سطر هذا الكتاب وحده لربما امكنه ان يسجل فيه افكاره الخاصة التى عرضها فى مختلف المجالات شفاهة وكتابة . ويبدو ذلك واضحا فى الفصل الرابع الخاص بثورة ١٩١٩ الذى لاشك ان انيس قد انفرد بكتابته وعنوانه : الانتماء المصرى الى الأمة العربية ، تبدو بصمات انيس الذى كان شديد الايمان بانتماء مصر الى امتها العربية ، ومنددا بكل ما من شأنه ان يباعد بين مصر وبين اخوتها العربيات .

على أن استعراضنا لاهم مؤلفات أنيس ونشاطاته لايجب ان يحجب تاثيره فى عدد كبير من الشباب الذين انجذبوا اليه واحبوه وتأثروا بافكاره وألمعيته فى التفسير والتحليل خلال المناقشات التى كان يجريها ويتصدرها ولولا اتساع دائرة اهتماماته ومزاجيته وتقلبه لكان اكثر تاثيرا ، ولو أن تراثه لايقدر بعدد مؤلفاته ، بل بالاثر الذى تركه لدى تلامذته ومحبيه .

قصة قصيرة

صندوق الدنيا

بقلم : محمد السيد سالم

ـ صحيح انه ليس ابنك ولكنه ابني ولايمكن لي ابدا ان اتخلى عنه نفض رماد سيجارته وصرخ .

ـ قلت لك اما انا واما هذا الطفل .

ـ بالله عليك اين القيه ؟

ـ هذا شيء لا يخص الا من خلقه ثم رماه على اكتافه غيره .

ـ لك حق فيما تقول . ولكن اين المفر ان كنت لا اعرف لابيه عنوانا ؟

ـ كلمة واحدة اقولها لك ، لا اريد هذا المخلوق في بيتي هل تسمعين ؟

تتقيأ كلماته الصارخة واستدار يركض للخارج في عنف ، ازاح بخروجه ظلا قاتما اخاف توترا غامضا ترسب حول حدقتي صغيري الذى انكمش بجانب المقعد كتلة ترتعد بين خرائب تتصيدها الامطار والريح

اقترب من (نادر والالم يعتصرني ، ومن عيني الباكيتين تتراقص السنة لهب يتصاعد من حرائق امسي في ضراوة وفي لحظة يفتح لي ذراعيه الصغيرتين في تردد مرتجف ، اركض

الى صدره الصغير كمجنونة ، ولكن سرعان ما يسلخني القلق من دفء العناق ، ليعيدني الى نفسي المهتزة :

(.. اعرف يا نادر ما سوف يقولونه عني لو انني .. ولكن رغم كل شيء لابد لي ان اعيش فما تحملته ايام صقيع الطلاق الطويل يجعلني اتشبث بهذا الرجل حتى لو كان الثمن كما يريد قطعة حية من لحم نهدى



٠٠ نادر بربك لا تنظر لى هكذا ، فانت تعرف كم قاسيتا فى سراديب الايام الراحلة بين الطرقات الباردة وبيوت الاقارب المقفرة ٠ حتى اتى هذا الرجل وانتزعنى من غابة النظرات الدنيئة، واشباح الجوع المتحفزة ، ثم اذاب من جسدى الذى كاد يتخشب ثلجا تراكم حتى راسى ٠٠)

تمسكت بوعيى ، تشبثت به ، وانا اغوص باعياء فى دوار اصفر ظل يحاصرنى فى دائرة الغثيان ، ولكننى افقت وانا اهز رأسى ٠٠ ولكن اين القى بنادر هذا الذى اتى من جدران بطنى ٠ وعروق قلبى ٠ اين ؟ أين القيه فى غابات الزحام اللاهث ، وطوابير كعوب الاحذية المسنونة ؟ وكيف لى ان افعل بيدى ذلك وهو

صندوق الدنيا



لازال يخطو فى ربيعه الخامس .. اندهش (نادر) وانا البسه الحلة الجديدة قبل ان ياتى . وحين انتهيت وقف مشرق الجبهة ، دافىء النظرات فى زهو طفولى :

– الى اين يا ماما ؟
– ساخذك الى ابيك
– من ابى ؟

هربت به اغطس فى الطرقات وانا اعض اصابعى واشهق ، والاسى يتكدس وحولى تنتقيا الارصفة زحاما معربدا يلتف امام دكاكين العيش ومحال الاحذية .

نادر يتعلق باصابعى، يندفع باضطراب خلف خطواتى المتارجحة ، لا فائدة من التردد . سوف اتركه فى ميدان السيدة زينب حيث يموج بقلوب الصالحين ومحاسيب أم هاشم ، ولعله يجد من بينهم من يحنو على طفولته المنكسرة ، ونظراته الباكية .

لابد ان انتهى الليلة من مهمتى حتى اعود لاغسل وجهى واجهز طعام العشاء واعيد ترتيب الفراش المبعثر منذ الظهيرة .

امضى فى تخبط ، ونادر بين لحظة واخرى يرفع عينيه الواسعتين ليسالنى عن ابيه ، وانا فقط اجره نحو خطواتى المتوترة .

وصلت الميدان الكبير .. ودرت اتخبط بلا وعى تحت بيوت كثيرة .. وزحام هائج واعمدة كهرباء بلا اضواء .. وعويل سيارات هادرة تكنس الطرقات من ناس يهجمون من عتمة الازقة الى الميدان الصاخب ، وفجاة صرت اجرى حتى اصابنى اللهاث وتصبب العرق قطرات صغيرة لامعة على وجه (نادر) وفى لحظة احسست بالبيوت تختفى ثم تطل . واعمدة النور تدور فاغمضت عينى . وفى احدى المنحنيات صعوت على ضجيج اطفال يتكتلون ويلتصقون فى عيون (صندوق الدنيا) بينما وقف صاحب الصندوق ممسكا جرسه الزاعق وهو يتلوى فوق رءوسهم وهو يصرخ بالحكايات الغريبة والبطولات المجنونة ، لاحت فى عينى (نادر) القسيمتين ظلال دهشة ورغبة وهو يرى ذلك الشىء المثير الذى لم يره قط ، ولكنه لم يكلمنى ، كانت ثمة خطوط رفيعة من هم غامض تلتف حول جبهته المبللة بقطرات العرق ، وارتباك يهز اقدامه المتعبة .. اما انا فقد احسست فجاة بوميض فرصة سانحة .

– خذ ذلك القرش يا نادر واذهب مع الاطفال لتشاهد صندوق الدنيا، لمعت عيناه امام بريق القرش ، ثم اختطفه ومضى يهرول دون وعى حتى كانت سيارة جانحة أن تسحقه ، اسرعت اليه وسط الطريق وقد انتابنى الفزع ، وبكل دموعى ضممته الى صدرى وكدت اعتصره ، وفى لحظة تراءى لى سواد الارض الاسفلتية ، وجهامة الوداع المؤلم ، وبرقت حولى اضواء السيارات المارقة فى بلاهة .

(.. لابد أن احيا رغم كل شىء يا نادر ، لم يبق فى عمرى يا

ولدى الا سنوات قليلة لاصل بعدها لايام مالحة بكماء حيث يأتى الخريف فتتجعد الجبهة ، ويتجلد الانف ، ويبيض الشعر، ويبهت لون العينين • • بربك يا نادر اغفر لى تشبثى باليوم ، فلو لم افعل ذلك فلن يعود ابدا ••) •

انزلقته للارض وانا انظر اليه ، احدق فى ملامحه الهادئة كنسائم الربيع •

ـ اذهب يا نادر •• وتفرج كما يحلو لك على صندوق الدنيا •

هزنى الرعب وانا امد يدى الى ظهره لادفعه نحو الصندوق واتكفاء الاطفال ، ومضى (نادر) مندفعا ، وحين استقر بجسده الخشن على المقعد الخشبى ، وانكفأ يرى ما فى الصندوق ، غابت الدامى المرتعدة فى حنايا الزحام اللاهث •

وبعد ايام جلس المزوج يلهله على مائدة الافطار حين لمح فى جريدة الصباح صورة النادر متقلصة الملامح وتحتها سطور تقول :

ـ •• عثر امس على هذا الطفل ضالا بميدان السيدة زينب وهو يرتدى حلة جديدة ساعدونا فى البحث عن اهله •• الطفل المذكور يقيم حاليا فى حى قلعة الكبش لدى اسرة لها ۷ ابناء •

وفجاة انخطف صوته •• فاغمضت عينى ، والقيت راسى على ظهر المقعد ، وتنفست جميعا وانا احس بمطرقة ثقيلة تغرز مسمارا فى صدرى، اراقب يده وهى تعود للطعام من جديد فى شراهة ، مشى الامتعاض الى وجهى ، احسست بالغثيان وهو يهمس وبقايا الطعام المضوغ تتطاير من فمه :

من يدرى ، لعلك تفعلين غدا لو انجبت منك طفلا ، ما فعلته بالامس مع نادر •

جمدت برهة وانا احملق فى كلماته ، تشبثت بحافة المقعد ، انتزعت بعينى عن صحن اكدره لاغرز قطعة مسننة فى جلد وجهه ، ليتدفق الدم قانيا ، ولكننى قمت على الفور ، واستدرت اركض نحو الخارج بقميصى الحريرى وانا احبس فمى بكفى واكاد اختنق •

وفى منتصف الميدان الصاخب ، وقفت باكية كطفل ضال • اسأل الناس فى مرارة عن الطريق الى (قلعة الكبش) •



موهبة جديدة من الإسكندرية

الأشرعة الرمادية..
وبدايات كاتب جاد

بقلم : د. سيد حامد النساج

● بعض الكتاب الشباب في مدينة الاسكندرية يرتاحون الى مقولة انهم أدباء غير ((عاصميين)) ، أو انهم اقليميون ماداموا قد ابتعدوا عن العاصمة ـ القاهرة ، حيث الاضواء ، والنقد ، والاعلام ، والاعلان
وانطلاقا من هذه الرؤية راحوا يثرثرون ويلقون اللوم على نقاد العاصمة وكتابها واجهزة الاعلام فيها، ونسوا انهم يمثلون ثقلا فنيا وادبيا لو انهم توفروا على الابداع وحده ، ولو انهم خلقوا من بينهم النقاد الذين يتابعونهم ويفهمونهم ويوجهونهم . عندئذ سوف تتحول اليهم حركة النقد ووسائل الاعلام والشهرة التي يبتغون ●

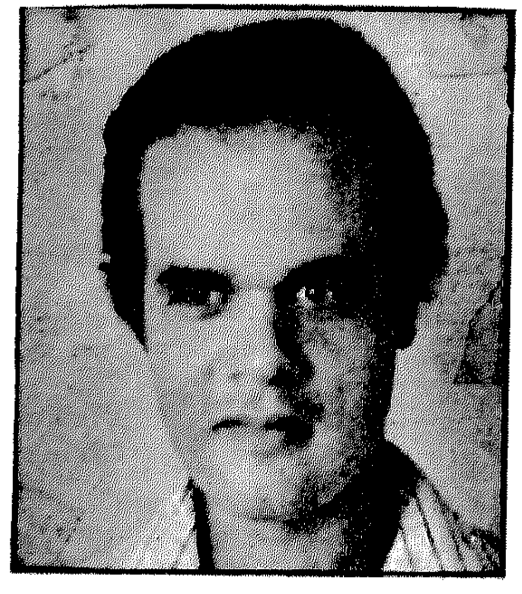
لكن هذا البعض يكتفي بالصراخ ، والتهديد ، واللوم، والعتاب ، فلا يعكف من اجل التجويد الفني والتطوير في ادواته ورؤيته وثقافته . وهؤلاء هم ناقصو الموهبة .

هناك مجموعةاخرى يكتفي اعضاؤها باستضافة احاد من صغار كتاب الصحف اليومية او الاسبوعية او من محرري الصفحات الادبية، لنشر الاخبار عنهم ، او لنشر صورهم ، وربما للتعريف السطحي السريع بكتاباتهم . ويقنعون من الادب بهذا الغنم البسيط، ويتصورون انهم ـ بذلك ـ اصبحوا ادباء لهم حقوق على الحياة الادبية والنقدية ، دون اداء واجب من واجباتها الاساسية الاولى ، وهي

الإبداع الجاد المسئول الذى لا يخضع الا لقواعد الفن •

وهناك من يلجا الى الشهرة وذيوع الصيت ، عن طريق آخر ، بعيدا عن العاصمة ـ القاهرة ، بل وبعيدا عن الاسكندرية المدينة المصرية ، وبعيدا ايضا عن كل الدول العربية • بمعنى ان يتحدى الكاتب الشاب ـ ان كان حقا فى مستوى يجعله كاتبا ـ شعور قومه ووطنه ، ووحدة الفكر التى تجمع كتابه ، ووحدة المعاناة التى استشعرها ـ من قبل ـ عشرات من رواد الادب والفكر والفن والسياسة والاجتماع ، فان هذا امر غير مقبول ـ وطنيا وقوميا ـ وغير مبرر ـ ادبيا وفنيا • وبخاصة انه لم يسبق ذلك موقف سياسى او عقدى معلن • انها نقطة وسيلة رخيصة ومشبوهة بحثا عن شهرة ما•والمؤسف انها جاءتبنتيجة عكسية على غير ما كان الواحد منهم يتوقع • فما اكثر ما رفضت لقاءات كتاب مصر فى الاقاليم هذه الوسيلة وذلك الطريق • غير ان المؤلم فى الامر كله انه صدر عن بعض كتاب الاسكندرية •

وثمة فريق رابع من الكتاب الشباب ـ فى الاسكندرية ـ ياخذ الكتابة ماخذ الجد ، ويحرص على ان يجود فيما يكتب ، وعلى ان يكون له وجود ادبى ملحوظ ، فى الساحة الادبية والفنية ، بالوسيلة الوحيدة التى يتقنها ويجيدها، وهى الكتابة الجيدة ، والاستمرار الواعى المسئول ، والاحساس الجاد بان تكون لكل كلمة قيمة ، ولكل عمل فنى دور ، ولكل كاتب موقف •



رجب سعد السيد

وهذا الفريق ـ فى ظنى ـ لم يسع الى الشهرة بالطريقة التى ذكرناها ، ولم يثر فى الجو زوابع واعاصير ، ولم يطارد النقاد برسائله اللا مسئولة التى تتوسل اليهم كى يكتبوا عنه • ان كتاب هذا الفريق ـ وهم بالفعل كتاب واعدون ـ يعكفون على القراءة والاطلاع ، ويحتكون بواقعهم اليومى احتكاكا مباشرا ، ويتابعون حركة الادب والنقد على المستوى العربى والعالمى ، ويجتهدون فى ان يقدموا اعمالا ترضى ضمائرهم الادبية اولا وقبل كل شىء •

ومن حسن الحظ ان الدعايات الصاخبة للفريق الاول ، والابتذال المصنوع للفريق الثانى ، والهروب المجنون للفريق الثالث ، لم تؤثر ـ مجتمعة ـ فى مسيرة هذا الفريق الذى يتزايد يوما بعد يوم •

ومن بين كتاب هذا الفريق الاديب الشاب رجب سعد السيد «١٩٤٨/٥/٨» •• وهذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها معقارىء القصةالقصيرة بالذات من خلال اول مجموعة قصصية له « الاشرعة الرمادية » التى صدرت



الأشرعة الرمادية..

من سلسلة « كتاب المواهب » ١٩٨٦ ·
وكان قد قدم وجهه العلمي للقارىء العربي حين نشر كتاب « الحرب ضد التلوث » ، ثم كتاب « البحر ·· اسرار وكنوز » مما يدل على انه ذو ثقافة علمية ، لانه متخرج في كلية العلوم ١٩٧٠ ، كما انه يعمل باحثا في معهد علوم البحار والمصايد باسكندرية وهو ما يذكرنا بالدكتور حسين فوزى احد رواد القصة القصيرة في مصر وواحد من اعلام المدرسة الحديثة ، الذى اقتحم عالمها باسلحة وادوات وثقافة علمية ، وبخبرة معمقة في عالم البحار ·

ولما كانت هذه المجموعة القصصية هي اول مجموعة ادبية يلتقي فيها مع القارىء ، فانه ـ فيما يبدو ـ كان حريصا على أن تضم عددا كبيرا من القصص التي سبق له ان كتبها في الفترة بين ١٩٧٠ ـ ١٩٨٤ · ومن ثم ضمت خمس عشرة قصة قصيرة · وكنت افضل لو انه اختار عددا محدودا من قصصه التي تمثل تيارا واحدا ، ورؤية واحدة ، بدلا من هذا العدد الذى اصبح مرهقا للقارىء والدارس معا · ان عملية الانتقاء والاختيار عملية ضرورية ·

ومع ذلك فان قصص : اختطاف ، فعل ايجابي ، النزل ، بلاغ عن مقتل البهجة، صورة من قريب لوجه حبيبتي، فانتازيا الفئران الجبلية ، الفشل ، تكفي للدلالة على ان هذه المجموعة تبشر بكاتب جاد ، يعرف أصول الفن، ويعي ما الذى كتبه الرواد الذين سبقوه ، وما الذى يكتبه ابناء جيله ·

ومنذ البداية ، فان عناوين قصصه تكشف عن معاناته في تركيبها ، وفي جعلها لافتة للنظر ومثيرة : « سياحة في غابة الاشجار المتحجرة » ، «الرياح تملأ الاشرعة الرمادية » ، « العزف على الاوتار المرتخية » ، « نقش على جدران كهف الخوف » ، « بلاغ عن مقتل البهجة » ، « صورة من قريب لوجه حبيبتي » · فكل عنوان يحمل في طياته صورة ، وحركة ، وفعلا· والمسالة ليست وقفا على مجموعة من الصفات والنعوت ، ولكنها دلالات موحية ركبت تركيبا فنيا ، لتثير في القارىء الرغبة في معرفة ما وراء كل عنوان ، ولتدفع الباحث الى جلاء العلاقات ، وكشف سر عملية الاختيار والتوليف·بالاضافة الى العناوين الاخرى واضحة الدلالة على مضمون القصة ، مثل : الفشل ، عن ازالة السواتر ، النزل ، اختطاف·

بعدئذ يمكن أن نلاحظ ان الكاتب يستخدم ضمير المتكلم بشكل لافت ، في الاغلب الاعم من قصصه · في محاولة منه لكي يدخلنا عالم الشخصية المحورية لديه · لكنه سرعان ماتخفت حدة التكلم ، لتتنوع الضمائر · وهي حين تتنوع تعطي للقصة نكهة خاصة، لانه يجعلها تتداخل في توافق وانسجام ·· فالقصص الاولى : « الفشل » و « سياحة في غابة الاشجار المتحجرة » و « فانتازيا الفئران الجبلية » و « نقش

على جدران كهف الخوف» تقدم من وجهة نظر الراوى ـ البطل ، بينما نجد ان قصته « عن ازالة السواتر » تتعدد فيها الضمائر ٠

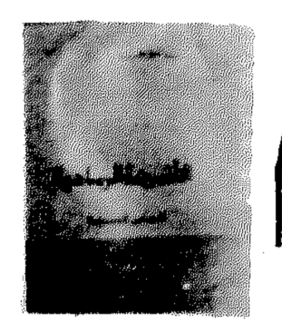
فالفقرة الاولى ص ٦١ تقدم بضمير المخاطب ، فى حين ان فى الفقرة الثانية ياتينا صوت الكاتب المحايد الموضوعي الذى يصور من الخارج ، اما الفقرة الثالثة فى نفس الصفحة ، فانها حديث نفسى بضمير المتكلم ،ثم المخاطببضمير المخاطب،وبعدها ياتى التصوير من الخارج ص ٦٢ وهكذا ٠ ولقد كان موفقا فى احداث هذا المزج بين الاصوات والضمائر ، ليعكس ذلك التوافق بين المشاعر الذاتية الداخلية، والمشكلة الانسانية الخاصة، بالمشاعر الوطنية العامة ، وحالة الاستعداد للحرب ٠

ويمثل ما يوفق الكاتب فى انتقاء عناوين قصصه ، ويمثل ما انه يقترب من النجاح فى استخدام الضمائر، فانه يبدا قصصه بداية جيدة،تحدد العلاقات وتجسد الجو العام ، وتوحى بالانطباع المقصود ، وتضع القارىء فى الموقف مباشرة : (الراس الاصلع يواصل افراز الاحاجى ويبثى لى المتاهات الشفتان تنفتحان وتنطبقان ٠ هل يتحدث منخلف حاجز زجاجى؟ حريص ذلك الشىء الابيض النظيف ٠ عرف لنفسه تركيبا بللوريا تشرنق داخله ، ياكل ويشرب ويتنفس علم طبيعة الجوامد ٠ رجعت الى داخلى ٠ كنت قد خرجت فى محاولة للاتفاق ٠ كانت اجنحة وحدتى ، لكنها لم تستطع ان تحط ٠ لا ارجل لها ٠ تحوم ـ كطائر خرافى ـ ليل نهار ٠ مضى ما يقرب من نصف المحاضرة ولم تزل صفحتى الاولى غارقة فى بياضها٠ ثبتت عيناى على بعض الحروف اللاتينية والخطوط البيضاء المرسومة على السبورة الخضراء ٠ ثم مرقت المساحة فى يد عصبية دقيقة فازالت كل شىء » ص ٧

القصة بعنوان « الفشل » ، والبداية تكشف عن طبيعة هذا الفشل ، وعن العلاقة بين البطل والاستاذ المحاضر ، وموضوع المحاضرة ، والجو النفسى الذى يخضع له البطل ، وموقفه الكلى الذى يبدو من اختياره للكلمات والصفات التى يصف بها استاذه ، مما يفضى فى النهاية الى الفشل الحقيقى ، ليس على المستوى العلمى وحده ، ولكن كل المستويات ٠ ومع ان الكاتب انتقل بشخصيته فى اكثر من جو نفسى ومادى ، فانها انتهت الى الفشل ٠ وقد التقط الكاتب لحظة حاضرة فى حياة الشخصية ، بكل ما يعتمل فيها من صراعمع الخارج ومع الداخل ، ومع عناصر متنوعة تدخل جميعا فى الاطار المرسوم والمقنع ٠ وهذا يقودنا الى الحديث عن مسمات البطل فى قصص الكاتب التى تضمها هذه المجموعة ، وهى ملامح تكاد نتلمسها فى معظم القصص ٠

انه ـ اى البطل ـ شاب فى الثلاثين دائما ٠ ادى الخدمة الوطنية فى الجيش ، او يؤديها بالفعل ٠ اشترك فى حرب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، او كان واحدا من الجنود الذين تاثروا بهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠ عاش الهزيمة وما بعد النصر ٠ احساسه حاد بمشكلات الشباب فى مثل سنة ٠ وطنى الى ابعد الحدود ٠ مثقف ثقافة علمية « تجاهلت كل ما درسناه من نظرية الاحتمالات » ص٢٤ ، « ياكل ويشرب ويتنفس علم طبيعة الجوامد ٠ عرف لنفسه تركيبا بللوريا تشرنق داخله »





الأشرعة الرمادية..

ص٧ • يطل قصة « صورة من قريب لوجه حبيبتي » باحث في معمل يتهيأ لاعداد رسائل علمية • وبطلا قصة « بلاغ عن مقتل البهجة » استاذان في الجامعة • وهكذا •

لكنه في معظم الاحيان سلبي ، حزين ، متشائم ، ينتهي الى الفشل غالبا ، اللهم الا في قصتي : « فعل ايجابي » و « النزل » •

يقول الاخ الاصغر لاخيه الاكبر في قصة « العزف على الاوتار المرتخية »: (ان ابطال قصصك لم يكونوا سوى اولئك المهزومين) ص ١٠٦ ، ويقول : (انه يفضل او باخر الرت ان تلقى السيف جانبا وان تلجا الى القلاع تلوذ باسوارها المنيعة التي تحجب عنك ايضا ضوء الشمس والهواء الطلق • فضلت الدفاع من الثبات مع انك تعلم جيدا ان الهجوم خير وسيلة للدفاع) ص ١٠٥ ، (كان يمكنك ان تخرج من ايام الفقر والجنب والمعاناة الطويلة • القول كان يمكنك ان تخرج ـ بالمقارنة بما كنته قبل الحرب ـ اكثر قدرة على الابداع المؤثر) ص ١٠٤ •

● ايجابية البطل ●

واحيانا يكون البطل في عمق الفعل، وفي قاع الواقع المادي الذي لا يرحم ـ صياحة في غابة الانبهار التحجري لكنه ـ مع ذلك ـ يعيش على ايجابية الاخرين • رغم ان كل شيء يحيط به لا يرحم ، بل انه يدفع الى ضرورة الحركة ، والفعل ، والتاثير ، حيث مشكلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وحيث الناس والعلاقات والقيم • وحيث الصخب والضجيج واللا حلم واللا عاطفة •

والغريب ان تكون « البطلة » ـ وهي ذات ملامح محددة ـ هي الايجابية ، وهي الواقعية ، وهي التي تفعل او تدفع الى الفعل • تقول له في « الرياح تملأ الاشرعة الرمادية »: (انت لا تساعدني فقط تهرب • كاني لست انا • كانك لست انت) ص ٧١ ، و (كانك تبيغ مهزوم) ص ٧٤ • وفي صفحة ٨١ « اكتشف انه دائرة ناقصة » • انه يهرب هناك ، ويهرب هنا • وكل شيء مبرر بالنسبة له ، لكنه غير مقتنع بالنسبة للاخرين : (اعرف ما اريد ان اقوله • اعرفه جيدا • ولكني لا اقول • فقط افكر في قدرتي على تنفيذ خطتي • لم اناقش هذا من قبل• وما هو كل شيء يتعرى : يدي ترتعش• قلبي يرتعش • ساقاي ترتجفان• لساني ملجوم • شفتاي تمارسان البلاهة الالية • عيناي تائهتان في مخروطين هلاميين) ص ٩٣ •

وبطله قانع بالخوف حتى اصبح الخوف قيمة من القيم التي يتمسك بها• ففي قصة « صورة من قريب لوجه حبيبتي » ، وهي قصة تبدا بداية واقعية ، وتجسد الاثار السلبية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، مما يجعلها واحدة من القصص الواقعية الجيدة لولا نهايتها الخطابية المباشرة ، الا اننا نجد هذا الشعور بالخوف يصل الى درجة فلسفته والاقتناع به اقتناعا كاملا : (ان

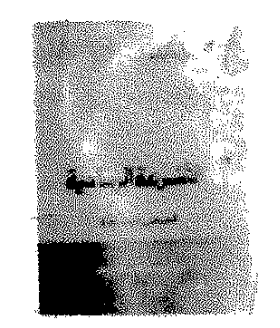
الخوف ليس وصمة عار • بل انــه احيانا يمثل قيمة حضارية عظيمة) ص ١١٧ ، (ان الخوف ـ الاسف ـ هو ما يمكنني فعله) ص ١١٨ ، (ليس وحده الخائف ، انا ايضا خائف) ص ٤٤ • والخوف متضافر مع السلبيــة الاصيلة يؤديــان الى الاخفــاق فى الوصول الى تحقيق اى هدف • بل ان الاهداف غائمة وغير مبلورة فى فكر الشخصية او فى احلامها • ومـن ثم يصبح « الحزن » اساسا فى تـكوين الشخصية ، ويغدو الفشل شيئا طبيعيا عاديا • فى قصة « دعوة الى حفــل رقص جماعي فى ميدان الرمل » يقـول البطل : (لم يكن الحزن غريبا عـلى انه ترنيمة حياتى) ص ٨٥ • وفى قصة « فانتازيا الفئران الجبلية» نجد الاحساس بالاخفاق : (وفى منتصـف الطريق يجىء الاخفاق) ص ٣٢ •

غير ان السلبية والخوف والاخفـاق تذوب جميعها فى القصص التى يـكون البطل فيها فى مواجهة قضية وطنية او قومية • عندئذ نجده اكثر ايجابيـة ورفضا وتمردا • والكاتب يفعل ذلك من خلال مواقف انسانية ، اجاد حبكهــا فنيا ، بلا خطابية او زعيق او مباشرة •• مثال ذلك قصة (فعل ايجابى) • ولعل فى اختيار هذا العنوان بالذات دلالة على وعى الكاتب بان شخصياته لم تكن تقدم من قبل على « فعــل ايجـابى » •

شاب فى الثلاثين اعير للعمل فى بلد عربى شقيق ، بسبب عوامل كثيرة جدا ، تفرض عليه الاستسلام والخضوع لمـا يصدر اليه من اوامر • لكنه فى موقف ما يرفض الاهانة ، ويدخـل فى معركة غير متكافئة مع الشرطة بلاسبب ودون مبرر ، فيكون الفعل الايجـابى الوحيد الذى يقوميه وهو فى المستشفى، هو تقديم استقالته • دفاعا عن كرامة شخصية هى جزء من كرامة الوطن • ومن خلال بناء فنى جيــد واستبطان للمشاعر الذاتيــة ، وتصوير جيـد للحظة ، جاءت هذه القصة واحــدة من القصص النــادرة التى عالجت موضــوع المصريين الذين يعملون فى بعض البلدان العربية الشقيقة •

وقصة (انزل) لا تقل مـن حيـث المضمون والبناء الفنى عن تلك القصة• كما أن اختيار العنوان فعل امر «انزل» له ارتباط قوى بالمضمون ، ويوحى بالايجابية والقوة •

البطل شاب خرج من الجيش بعـد حرب ١٩٧٣ • وكابد السنوات الطوال كى يحمل فى يده رخصــة قيادة مـن الدرجة الاولى ، ليعمل عند اصــحاب السيارات سائقا ـ وبعد كفاح اشترى سيارة بالتقسيط ، على ان يدفع كل شهر مائتى جنيه • بينما هو يعمل فى الصباح موظفا عاديا بسيطا • ولم يكن القسط الشهرى قد اكتمل بعد فى هذه الليلة ، التى حفلت بحلم استكمال رغم انهمــار المطر الشــديد وخـلو الشوارع من الركاب • ويلتقى باحد الزبائن الذى يعرف الاسكندرية ، ويريد ان يحيى بعض الذكريات بالتجـول فى احيائها وازقتها وشــوارعها • ودار حـوار فنى بين الراكـب والسـائق ، ادرك منه السائق المصرى ان الراكب من هذه النوعية التى تريد أن تعـرف كل شىء ، وانه تخلف عن وفد سياحى وصل متاخرا الى الفندق ، فتركه والمر هو ان يتجول فى الاسكندرية ويتحدث مع واحد من اهلها ، وتبين السـائق انه يعرف الانفوشى وراس التين وتريانو والازاريطة وكامب شيزار •



الأشرعة الرمادية..

وفي محاولة من السائق للتعرف على كنه هذا الراكب الذى اصبح عامل قلق بالنسبة له ، اعلن انه اسر في حرب ١٩٧٣ (كنت انقل الذخيرة في منطقة وسط القناة ، وكنت راجعا لاحمل شحنة جديدة فوجدت دباباتهم تحيط بي ، اسروني واحرقوا العربة) ص١٧٨ .. عندئذ فقط اخذ الراكب يتحدث عن السلام وكيف انه نعمة كبرى • فسأله السائق المصرى عن سر معرفته المنطقة والبلدة كواحد من ابنائها ، اجابه الراكب : لكي لا تجهد نفسك انا اسرائيلي) ص ١٨١ ، وننقل هنا كيف ان الكاتب صور الموقف بعدئذ :

(في لحظة واحدة خاطفة استوعب الامر ، وتحركت دماه ، وصرخت عجلات السيارة المتوقفة تنزلق على الاسفلت المبتل • دارت السيارة دورة• وكادت تصطدم - قبل ان تتوقف - بعمود انارة بعد ان صعدت مقدمتها الرصيف الوسط بطريق الكورنيش • كان الراكب يتساءل مذعورا ، وكان السائق يفتح الباب بجانبه ويسرع - في المطر - الى الباب الاخر ليفتحه صامتا مكفهر الملامح مشيرا للراكب ان يخرج• ارتفع صوت الراكب مستنكرا ومحتجا .. ابتل شعر السائق ووجهه وملابسه بالامطار الغزيرة• كان يرتعش كمحموم وكانت عيناه تبرقان بحدة • امتدت يده وقبضت على كتف الراكب تشده ، وكان يامره بصوت صارخ رافض : « انزل » ص ١٨٢ .

لقد ضحى السائق بحلم كان يتمنى لو انه تحقق • لقد كلفته الجولة كثيرا من الجهد والوقت والاجر الضائع الذى كان يتهيا له كي يستكمل القسط الشهرى • لكنه القى بكل ذلك عرض الحائط • واقدم على فعل ايجابي جرىء يعبر عن موقف رافض بالوسيلة الوحيدة التي يملكها • ولاشك ان هذه واحدة من القصص الجريئة التي تجسد مشاعر اصحاب المصلحة الحقيقية من ابناء الشعب المصرى ، في الامور السياسية ، والعلاقات الدولية ، والقضايا الوطنية • في القصة السابقة اختار عنوان « فعل ايجابي » لمن يتصورون انهم ينبغي ان يكونوا سلبيين تماما في الدول التي يعارون اليها بحثا عن عمل وعن مصدر رزق، فتكون الاستقالة صرخة واحتجاجا ورفضا وفعلا ايجابيا •

وفي هذه القصة « انزل » رغم انى كنت في حاجة الى نقودك • ورغم انى كنت احلم بتلك اللحظة • ورغم انك تتحدث العربية بطلاقة • ورغم انك عشت في الاسكندرية عشرين عاما• ورغم انك تحب عبد الحليم حافظ ، وتتحدث عن العادات الشعبية الاصيلة في الاسكندرية • ورغم ان وجهك لا يحمل اية ملامح اوربية غربية ، رغم كل ذلك فاني آمرك : انزل •

واذا كان موقف الكاتب هنا واضحا، فانه في قصة «اختطاف» كان منبعثا من الموقف الدرامي المشحون بعوامل الصراع والتوتر ، لاعلان صرخة احتجاج فنية ضد تلك الجرائم الاخلاقية التي انتشرت

فى منتصف السبعينيات ، انعكاسا لقيم النهب والسلب والخطف والاقتناص التى سادت العلاقات الاقتصادية فى المجتمع المصرى .. افعل ما تشاء ، وما يحلو لك ، فى اية لحظة ، وفى اى مكان ، وبالوسيلة التى تروق لك .

مهندس شاب كان قائدا لاول فصيلة فتحت ثغرة فى بارليف ، فى لقاء مع خطيبته ، قبيل سفره الى الرياض ليعمل هناك . فى لحظة لقاء مفعم بالتوتر والقلق والعاطفة والحب ، مغلف بالصمت ، حالم بالمشاعر ، يختطف اربعة من الشباب اللاهى العابث خطيبته ، فيقاوم ، ليضربوه ضربا مبرحا ، حتى تنزف منه الدماء ، ثم يحملونه مع خطيبته فى سيارة فارهة الى مكان مجهول ، والمطر غزير والمكان موحش والصراخ متواصل من الفتاة على مصيرها ومصير خطيبها . وفى اثناء انشغال الشبان بالفتى تهرب الفتاة مذعورة محمومة ، بينما يتعرف واحد من الشبان على شخصية خطيبها ، وقد فقد الوعى تماما ، بل انه فقد الحياة .

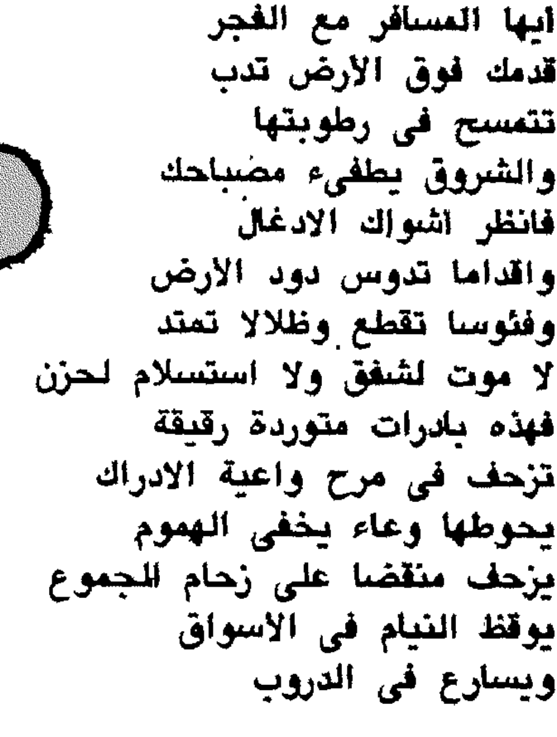
هذا هو الجزاء . وتلك كانت المكافأة .. وهذه هى الاثار الاخلاقية السلبية التى ترتبت على الانفتاح الاقتصادى الذى كان نتيجة للحرب . بل ان هذا الذى شارك فى الحرب ذاهب الى بعيد حيث الرزق والامن والثروة . واولئك الذين لم يشاركوا فى الحرب يغتمون ويفتنون وينتهكون الاعراض ويقتنصون الشباب .

والذى لاشك فيه ان الكاتب حبك قصته حبكا فنيا، جعلها حافلة بالحيوية والحركة والصراع ، كما لعب الحوار دوره الفنى المعبر . وقد وصل الينا الانطباع الذى اراد الكاتب توصيله ، من خلال تصوير لحظة الاختطاف ، والصراع غير المتكافىء بين الشاب وبين الاربعة الاخرين ، ومن خلال موقف خطيبته منه ، واكتشاف واحد واحد من الشباب ـ ممن كانوا معه فى الحرب ـ انه سوف يغادر البلاد التى دافع عنها واحبها فى الثامنة من صباح الغد .

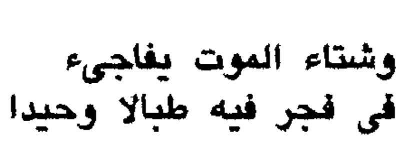
وجدير بالذكر ان اثنين فقط من الكتاب الروائيين والقصصيين فى مصر ، هما اللذان استطاعا مواجهة هذه الظاهرة اللا اخلاقية ذات الابعاد الاقتصادية ، هما حسن محسب فى روايته (الاختطاف) ورجب سعد السيد فى هذه القصة القصيرة ! تلك القيم الهابطة هى التى تحول بين المرء وزوجه ، وبين الحبيب وحبيبته . هى التى تجعل العلاقة العاطفية مبتورة ومهددة باللاتواصل : (زوجتى التى لم اتزوجها بعد) ص ١١٥ ، (انثى اعرف زوجتى من ثلاث عشرة سنة واننا نفقد الشباب يوما بعد يوم دون ان نضع من بذورنا طفلا نربيه كما حلمنا) ص ١١٨ .والكاتب الشاب يقول ذلك بفن دون ان تفقد قصته واحدا من اسسها البنائية ، وفى لغة دالة ، وحوار فنى جيد . كما هو بين فى قصة « بلاغ عن مقتل البهجة » وفى غيرها من القصص المحكمة البناء التى اشرنا اليها ، وهى فى مجموعها تدفعنا الى الاعتقاد بانه كاتب يملك الادوات التى تؤهله لان يجود ، ويطور فنه ، كى يحتل مكانة لائقة بين كتاب القصة القصيرة ، لو انه توفر على كتابتها وحدها دون غيرها .

موت فى الفجر

شعر : وولى سوينكا
الكاتب النيجيرى الفائز بجائزة نوبل سنة ١٩٨٦
ترجمة : محمد جلال عباس



ايها المسافر مع الفجر
قدمك فوق الأرض تدب
تتمسح فى رطوبتها
والشروق يطفىء مصباحك
فانظر اشواك الادغال
واقداما تدوس دود الأرض
وفئوسا تقطع وظلالا تمتد
لا موت لشفق ولا استسلام لحزن
فهذه بادرات متوردة رقيقة
تزحف فى مرح واعية الادراك
يحوطها وعاء يخفى الهموم
يزحف منقضا على زحام الجموع
يوقظ النيام فى الأسواق
ويسارع فى الدروب



وشتاء الموت يفاجىء
فى فجر فيه طبالا وحيدا



يدق دقات متصلة منسابه
يرش شنظايا من ريش أبيض
يؤكد ألا جدوى للطقوس

تخطو القدم اليمنى للسرور
واليسرى تخطو نحو الموت
والأم اندفعت تبكى وليدها
تقول : ألن تمشى ابدا ؟
فوق الارض الممهدة لك .

أيها المسافر ارحل مع الفجر
وعد فى ساعة مقدسة رائعة
وصياح الديك يبشر .. ينذر
من ذا يجرؤ ؟
السلاح فى يد ذلك الشبح
يتقدم نحوك رجل مجنح
صورة شبح آخر يأخى
فى صمت يعانق خيالك المبدع
يكشر عن أنياب
من ذلك الوجه المشوه
هل هو أنا ؟

تجربة جديدة فى الشعر ●●●

قراءة فى ديوان "المتصوفون الشعراء"

بقلم: د. السيد ابراهيم محمد

مازال الشعراء فى مصر قادرين على اثبات قدرتهم على الاستمداد من ينابيع موهبتهم الذاتية الخالصة وتفجير طاقات جديدة فى مجال اللغة والشعر، ليس وراءها الا الهوس النبيل الذى يذهب بصاحبه الى آماد لاتنتهى من المغامرة فى آفاق الشعر .

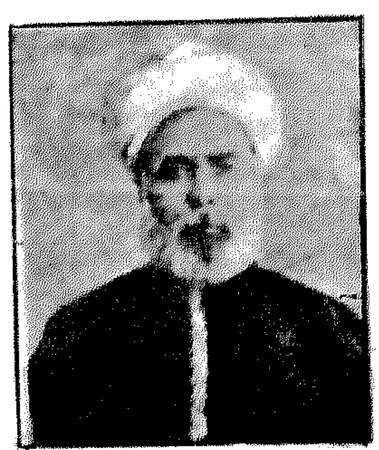
ونحن نقدم للقراء تجربة جديدة فى الشعر تكشف فى جوهرها عن الموهبة الكامنة التى يتمتع بها ابناء العربية، لولا ان كل تجربة صادقة فى بلادنا تبدو كالوميض الذى فى الافق ثم يضيع، لان هذه البيئات التى نحيا فيها لم تعرف بعد كيف تحافظ على مكاسبها سواء فى مجال الفكر او الادب او السياسة او اى مجال.

فأين النهضة الفكرية التى شق طريقها فى بلادنا رجال ظهروا فى القرن الماضى ومطلع هذا القرن . وأين ما كان تركه فى النفوس والضمائر رجال من امثال جمال الدين الافغانى ومحمود سامى البارودى ومحمد عبده ومحمد حسين هيكل وغيرهم كثيرون قامت جهودهم على العرق والتفانى واستخلاص ثمرات العقل الانسانى العربى الاوربى فى دأب واخلاص . اين جمال عبد الناصر فى العهد القريب ــ وهو الذى ملا الأسماع والابصار ــ أيا كان الراى فيه . اين ذلك الجوهر الذى انطوى على الرغبة فى خلق شخصية مستقلة للبلاد ــ منذ سعد زغلول وقبل ذلك . اين تلك « اللطيفة الموسوية » التى رأى جمال الدين الافغانى أنها تمثلت فى مصر كرة اخرى ــ كما فى رسالته للاديب محمد المويلحى (اقرأها فى أول كتابه حديث عيسى بن هشام) .

ترك ذلك كله نهبا للاهواء .ولاتزال تعاودنى هذه الكلمة المزعجة : ضيعه المصريون ، وهى كلمة قالها الشافعى عن المفكر المصرى الفقيه الليث بن سعد



جمال الدين الافغانى



محمد عبده

سعد زغلول

الذى ضيع تلاميذه علمه · ولو كانوا اهلا له لكانوا قادرين على صـــونه واحتضانه كما يحتضن الطائر بيضه فيطيل المكوث عنـده الى الزمن الذى يخرج فيه الى الوجود وكائنات جديدة تجدد فيه دورة الحياة · اكبر الظن اننا اشبهنا الطائر الاخر الذى يضرب به المثل فى الحماقة ، فيترك بيضه فى العراء نهبا لاعدائه ثم يحتضن بيض غيره !!

واخشى أن تكون كلمة الشافعى تعبيرا عن سلوك ثابت فينا · فمازلت ارى حالة اليأس والاحباط والعزوف التى تحاصر الصادقين من اهل الفكر منا ، فأجد لسان حال الواحد منهم ينطق بهذا البيت الذى قاله الغزالى او تمثل بـه :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد
لغزلى نساجا فكسرت مغـزلى
وما اشبه الليلة بالبارحة !

● علاقة مقطوعة ●

ولكن لنترك هذا الحديث الذى يثير الاشجان ولندخل فى موضوعنا · من المســائل الواضحة التى تظهر على الساحة الادبية الآن خصوصا فى مجال الشعر ، أن العلاقة قد صارت مقطوعة بين القراء والنصوص الشعرية التى يقدمها ابناؤنا الشبان · ومرجع ذلك بصفة عــامة الى غموض اللغة التى يكتب بها هؤلاء « فلم تعد القصـيدة توصل للقراء شــيئا · ومعروف ان القصـــيدة الجيدة هى التى توصـل للقراء كل بحسب عقله وثقافته · هذه حقيقة لا ينبغى أن يمارى فيها أحد ·

ولكن شعراء الغموض ـ وللغموض معان متعـــددة ـ يدافعون عن ذلك باتهـــام ذوق المتلقى أو القــارىء ، « فهو تذوق بنى على أن الفن نشاط يؤدى مهمة تسرية الوقت وازجــائه بطريقة لطيفة ، لا على أنه جهد أبداعى متشعب يتطلب شيئا من الجهدكذلكفى تلقيه » · وهم ينعون على النقاد الذين فيرون القصيدة غامضة ان لم تعطهم يتلقون الشــعر على نحو تقليدى ، كل ما تعــودوا على ان تعطية لهم القصائد اى كل ما ينتظرونه من افكار مستقرة فى قراراتهم وينتظرونها نائبة من العمل الفنى · وهذا كلام الاستاذ

قراءة في ديوان "المتصوفون الشعراء"

حلمي سالم » في مقالة له جيدة عن شعر السبعينات في مصر : مجلة فكر عدد أغسطس ١٩٨٦) الذي عاد فقال عن شعراء السبعينات الذين يتسم شعرهم بالغموض : أن هؤلاء الشعراء ينطلقون من مبدأ أساسي هو ان الفن معرفة نوعية تختلف عن المعرفة الفكرية او الفلسفية او التاريخية ، وتأتي هذه النوعية التي تختص بها المعرفة التي يقدلهــا الفن من كونه « يجســد » هذه المعرفة بعناصر وأدوات محــددة ذات طبيعة خاصة .

وهذا كلام جيد ، ولكنه لا يشرح الظاهرة التي نحن بصــددها ، فهو ينطبق على الفن عموما .. اذ الفــن الصادق لابد أن ينبنى على جهد ابداعي متشعب ، ولابد أن يقدم نوعا من المعرفة لا يتيسر الا على نحو غــير مباشر ، فالأدب الذي يعتمــد على التقــرير والمباشرة والخطابة لا يــكون أدبا . كل ذلك صــحيح اذا ، ولكنـــه لا يفسر لماذا يدير الأدباء الجدد ظهورهم لكل شيء . هــذا موقف ربمــا كانت تشرحه ظروف نفسية خاصة ، ولكنني اخشى ان يكون ذلك في النهاية اهدارا للموهبة من جهة وحيلولة بين الثقافة العربية العظيمة وافادتها من المواهب الشــابة المتجددة القــادرة على مد جسور الفكر العربي الى الاجيــال الحديثة والحياة المعاصرة من جهــة أخرى . وحينئذ ستقاس عظمة الشاعر بمقــدار قدرته على طمس الثقــافة العربية ووضع العراقيل في طريقها .

انك لا تكاد تقرأ شاعرا قديما الا وتجده ـ اذا كان حظك من التأمل ومحصولك من التفكير الحديث وافرا ـ شاعرا مجددا ، على الرغم من أن الشاعر القديم يتناول المادة الشعرية نفســها التي تراها عند غيــره من الشعراء . غير أن آفة الثقافة العربية أنه لم تظهر بعد الحركة النقدية التي تعيد فهم التراث العربي وقــراءته . لأنه لم تظهر للآن العقول الجبارة التي يواكبها الضمير العلمي الصادق .

وهل تفهم التجديد على أنه ضربة لازب وخلق على غيــر مثال كخلق السماوات والأرض ؟! هذا مخــالف لطبائع الاشياء .

تجربة فريدة

ثم ان الكشف عن الطرق العظيمة في الفكر والادب هو الذي يتطلب مواهب عالية واســتعدادات عقلية خاصة ، وليس العــكس . وصــاحب الموهبــة العظيمة هو الذي يشــق طريقا يغرى الآخــرين بالسير فيه وتوطئته ومد جوانبه وارساء معالمه .

على انى لا أريد ان اصدر احكاما عامة . وفي نيتي ان اتابع هذه الاعمال الشعرية لاختبار موقعها من الثقــافة الحقة . وها نحن بإزاء تجربة لهــا معــالمها ولها نصيبها من الثقــافة والعــمق يدور صاحبها حول اتجاه بعينه في التفكير الحديث ، هو الاتجاه « الترنسندنتالي » الذي يجعل «الاعلى» أو ما فوق الحسى موضوعه . ويدور شعره على الصراع بين قطبين : بين الارضــي او الترابي الفــاني وبين الاعلى الخــالد الباقي . وقد

سجل ذلك صراحة في قوله :

بين ذاك السامق الاعلى وهذا الدرك المظلم يصاعد شعرى .. وكذلك قوله :

بين ذاك الهادىء الاعلى وهذا الشبق السافر تحتار المماسات .. بين ذاك الغائب الاعلى وهذا الاسفل الهابط انى عالق بين ممات ونجاة مستحيلة.
(انظر ديوان «المتصوفون الشعراء» ص ١١ ، ١٤ على التوالى) .

ولما كان فعل « العلو » أو التسامى نحو ما يتجاوز هذا العالم المألوف يعتمد ـ كما يقول فلاسفة العلو ـ على المجازفة ، اذ يشعر الانسان ـ على حد تعبير بعضهم ـ بأن ما يمتلكه ينزلق منه ، أو يشعر بأنه يقتلع من العالم فقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة مصورا فعل المقاومة الذى يتمثل فى الخروج عن جاذبية الوجود الارضى المتمثلة فى الغرائز والشهوات وايثار النفس البشرية للراحة وللمألوف ، فقال : (ص ١٣) .

اننى جازفت فاصاعدت فى هذى الفراغات ـ المعانى خارجا عن قوة وحشية يتبعها ان اتسامى ، وهى تقعى فى قوانين الحضيض . (الاقعاء: نوع من الجلوس كجلسة الكلب)

ولذلك يتجه بالخطاب الى الجماعة التى تحاصره برغبتها فى الحفاظ على مكاسبها المزعومة وعلى الأمن الزائف الذى تشعر به بعيدا عن المغامرة وارتياد الآفاق غر المألوفة :

ها أنتم على الشاطىء تخشون المحيط .. اذا رحتم تلاشيتم خلال السدمات السود فى أقصى المحيط .. سحقا لكم ان لم تموتوا فى المحيط .
(ديوانه ص ٧) .

وكما يذهب فلاسفة العلو فى وصف هذه التجربة ، كذلك يذهب الشاعر .
هم يقولون : كل ما يملكه الفكر بازاء العالى هو ان يصطدم به ، وانه لايستطيع ان يصل اليه الا من خلال حركة تؤدى به حتما الى نوع من الاحتكاك .. ولكن هذا الاحتكاك لا يكون الا شيئا خاطفا كالبرق الذى يلمع فى الأفق لحظة واحدة . ويقولون : ان الملموس يرد على الفور من يلمسه ويلقى به بعيدا عنه .. ذلك هو نص ما يقولون . اما الشاعر فيقول :

ان المرتبك الاعظم والمطلع الاعظم يلتقيان لثانية كشعاعين من النور ـ هنا نجد الشاعر يصدر عن الافكار نفسها التى يصدرون عنها .

ثم انظر الى قول الشاعر :

كيف الوصول اليك يا أنت الذى .
يا أنت يا .. .. كيف الوصول ؟

على أى معنى نفهم سلوك الشاعر هنا وقد حذف صلة الموصول : يا أنت الذى ، ثم هذه النقط الدالة على حذف المنادى اسمه أو صفته أو ما يتعلق به . لماذا يفعل الشاعر ذلك والى أى شىء يشير ؟ أن حذف صلة الموصول وحذف ما بعد « يا » التى للنداء شىء قصد اليه الشاعر قصدا ولذلك دلالة فى التجربة الصوفية التى يعبر عنها، ذلك انه يشير بوضوح الى محاولة الشاعر الوصول الى كنه هذا الذى يخاطبه والسعى الى وصفه وتسميته ، ثم النكوص عن ذلك لشعوره بأنه يعلو على كل تسمية . فكل ما يمكن تسميته والتعبير عنه هو شىء متعين وذو شكل والعلو فوق كل ما يوجد معناه العلو فوق كل متعين وذى شكل » يترتب على هذا أن ما أصل اليه من وراء هذا العلو لا يمكن أن يكون شيئا يقبل التسمية والتعبير » . (راجع فلسفة العلو ترجمة د . عبد الغفار مكاوى) .

قراءة في ديوان "المتصوفون الشعراء"

واحيانا يلجأ الشاعر الى تسميته باللفظ الصريح ، فيطابق بين « لفظ الجلالة » وبيته ، كما يفعل فلاسفة اللاهوت · يقول الشاعر : (ص ٢٧)

وأنا انساب شوقا حاصرتني
وسوسات التربة القاسية الملمس ،
والله استوى ياقوته في قلبي ·

ولعلك ايها القارىء تلحظ في قوله « انساب شوقا ـ فكرة الشوق او الوجد ، وهي فكرة صوفية خالصة ، ويقابلها في الاصطلاح الاحنبي كلمة · وقد استخدم الشاعر كلمة « الوجد » صراحة في قوله :

اه والوجد رسول النجم للنجم ·· ·· الخ ·

ومن التعبيرات الجميلة التي صور بها الشاعر فكرته عن النفس البشرية واضطرابها بالغرائز والشهوات واحتياجها الى دليل يهديها قوله

هيا فلتاتوا بالقنديل الى اعماق البحر ، فان الحيوانات المرجانية راحت تتلوى في نشوات ماجنة حيرى، والاصداف انتثرت في ترتيب فوضاوي كنجوم شتى · ستروعكم نار الرغبات بقاع البحر ، ولو اشعلتم قنديلا في النفس تميتون سنينا من جدل أعمى·

فالبحر هنا ليس الا صورة من النفس البشرية التي تموج بالرغبات التي تشبه الكائنات الاسطورية التي تتلوى في نشوة ماجنة ·

وفي قول الشاعر : حاصرتني وسوسات التربة ·· الخ ، يظهر قطبا الصراع ممثلين في قوله « التربة القاسية » اشارة الى الاصل المادي للانسان الذي يحاصره بالشهوات والغرائز ، وقوله « والله استوى ياقوتة في قلبي » اشارة الى الاصل الروحي كذلك ، وبينهما تقع تجربة الصراع في نفس الشاعر ·

والوسوسة من الالفاظ الاثيرة عنده ولها مرادف آخر في تجربته كالهمس والهمسيس · ويقع الهمس على مشارف الهابط والصاعد معا ، على مشارف الاسفل والاعلى ـ الطيني والمتسامي ·

والشاعر يستخدم العتمات بمعنى الجانب المادي المظلم في الانسان ، في مقابل الاصل النوراني · وفي قوله :

قد تصاعدت أشق العتمة الغضبى فينشق عن الازرق أنغام وصمت ، تربط الصفة وهي قوله « الغضبى » بين الطين حيث يقول في «احشائه الغضبى» وبين العتمات حيث يقول : اشق العتمه الغضبى . وهنا تلتقي افكار الشاعر على تباين ما بين التعبيرين ، وتظل معالم تجربته الشعرية ، ماكثة في ذهنه ، وهذا من سمات القوة فيها · ولذلك نظائر أخرى في ديوانه ·

ومن باب العتمة كذلك الظلام والغيوم والسديم ·· الخ ، غير ان الشاعر كثيرا ما يستخرج النور من الظلمات والنيران من العتمات ، على حد قوله :

شعرت الله قنديلا تخفى في الغيوم

وقوله :

عتمات تخرج النيران منها ·

اما قوله :

قد تصاعدت اشق العتمة الغضبى
فينشق عن الازرق انغام ، فان الازرق عنده والزرقة ، مثلها في ذلك مثل

النار والنجوم والمحيط والبحر احيانا وكذلك الريح ، كلها رموز على «العلو» والاعلى • وجميع استخداماته للزرقة تدل على ذلك • ومن امثلتها قوله :

انني في حضرة النور خلال الزرقة العلوية القصوى تشهيت اراها .ثم لم تأبه وولت كالهباء •

وقوله : وانا حيث ازرقاق النار انهار فتنهارين •

اما استخداماته للفظ « النار » ففيها دلالة صارخة على هذا المعنى • والنار من الرموز الاثيرة عنده التي يكثر استعمالها • يقول :

يا بلاد البرق في ارواحنا هيا فان الغاية القصوى لدينا النار أن نمسي نارا ، نحرق الاشياء شوقا ودخولا للوجود •

ويقول في موضع آخر :

والام النار اشتاق اليها •

واشتياقه الى النار كاشتياق الفراشات اليها :

يطير فراش تجذبه قهقهة الصاعقة الى النار النار النار •

على انى ألمح في كلام الشاعر ما يشبه أن يكون تأثرا بالفيلسوف الاغريقى القديم الذى كان يعد النار أصل الوجود ، حتى انه القى بنفسه في فوهة بركان ظنا منه انه يكون بذلك قد اتصل بهذا الاصل الخالد الباقى !

● ميزة اساسية ●

ولننظر الان في قيمة هذه التجربة التي يقدمها ديوان « المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب » • واذا كان الشاعر قد الى ان يكد ذهن قارئه قبل ان يتمكن من الدخول الى عالمه فان لذلك ميزة أساسية ومعنى لا ينبغى ان يغيب عنا ، وهو المعنى الذى نصه عليه الاستاذ حلمى سالم ونوافقه فى ذلك تمام الموافقة : أن طريق نقد الشعر لابد له ان يمر بالكد الدائم والتطلع المستمر الى الفهم وشحذ الذهن لاقتناص المعانى جهدا بجهد •• جهدا فى الفهم موازيا لجهد الشاعر فى صوغ الفكرة وبثها فى العبارة • ولا شك أن تجربة عادل عزت وضعت ناقد الشعر امام مهمة اساسية : ان يكون ذا المام واسع بمصادر الثقافة المختلفة ، حتى يكون له رصيد فى الفكر يعول عليه فى فهم التجربة التى يتصدى لها وادراك مراميها والا بقى الشعر امامه طلسمات واشباحا لفظية بغير دلالة • ولكن ماذا بعد ذلك ، ما الذى تقدمه هذه التجربة ! اين هى من الشعر ؟

وفى مضمار الاجابة على هذا السؤال ، هناك امران لابد من الخوض فيهما • أولا : وهذا اهم ما يؤخذ على هذه التجربة ، انها جنحت الى التقريرية والمباشرة اكثر مما جنحت الى التعبير الشعرى المغلف بالغموض — اذا فهمنا الغموض فهما صحيحا •

وقد اتفقنا فى صدر هذا المقال على القول بان الشعر لون من الوان المعرفة كالمعرفة الفلسفية سواء بسواء، ولكنه لا يشبهها ، اذ ان طريق الشعر الى المعرفة مختلف عن طريق الفلسفة وسواها • وفيما يتعلق بتجربة العلو، هناك كلام للمفكر الالمانى شتروفه أود أن تلتفت اليه اذهان شعرائنا بقوة ففيه الدلالة على مرادنا • وهو وان كان فى سياق تجربة العلو الا انه يصدق على الشعر بعامة • يقول شتروفه : « كل كلام عن العلو او تفكير



قراءة فى ديوان "المتصوفون الشعراء"

فيه سيظل بغير التجارب التى تعززه مجرد شطحات فكرية غير ملزمة . ولابد ان تكون لدينا القدرة على الحديث عن هذه التجربة الحية المباشرة حديثا طبيعيا حرا . وهو يلجأ فى هذا المقام الى قطعة من كلام جيته الشاعر الالمانى يقول فيها : « ان كل ما يعبر عنه الانسان تعبيرا طبيعيا حرا هو فى حقيقته علاقة بالحياة » .

وقد لجأ الفيلسوف الالمانى الى تحليل قصيدة للشاعر الامريكى والت وايتمان الذى يعد من جماعة «الترنسندنتاليين» فى الادب الانجليزى الامريكى . وقد عده الفيلسوف مثالا طيبا على هذا الاسلوب الطبيعى الحر فى التعبير عن تجربة العلو . وارجو أن يرجع شعراؤنا الى تحليل هده القصيدة ففيه شرح لكل ما نود ان نقوله فى هذا الصدد . ليس فى القصيدة كلمة واحدة عن العلو ، بل هى تتحدث حديثا يمكن ان يستجيب له الخاص والعام وكل قارىء للشعر على اى مستوى من مستويات القراءة . ومن منا لا يتأثر ولا تنفعل نفسه لصورة أب يقف مع ابنته الصغيرة على شاطىء البحر يرقبان قدوم السحب السوداء وهى تزحف مهددة بابتلاع السماء وكل النجوم التى كانا يتطلعان اليها ، وفيها المشترى والكواكب السبع الخالدة .. أما الفتاة الصغيرة فقد غلبها التأثر لانتصار السحب التى تشبه المقابر فراحت تبكى فى صمت . وأما الاب فقد أخذ يواسى طفلته بالامل فى ظهور النجوم مرة أخرى ، لان السحب لا تبتلع النجوم الا فى الظاهر . ثم ينهى كلامه بقوله :

شىء ما أخلد من النجوم نفسها .

شىء سيدوم اطول مما يدوم المشترى المتالق نفسه .

اطول من الشمس او اى تابع سيار .

او الاخوة المتلالئات نجوم الثريا السبعة .

هنا يلقى قوله او تعليقه الاخير : شىء ما اخلد من النجوم نفسها ، على القصيدة كلها ظلا جديدا وتتحرك المعانى فى اطار تجربة العلو ، ويكتسب الحس المأساوى مكانا أصيلا فى وجدان القارىء ، لان هذا الاحساس فى حقيقة الامر هو ما تريد القصيدة أن تعزينا عنه . (راجع القصيدة وتحليلها فى كتاب فلسفة العلو ص ١٨٨ وما بعدها ـ ترجمة د. عبد الغفار مكاوى) .

هذا هو الاسلوب الطبيعى الحر الذى يعبر عن علاقات بالحياة . ومن العجب أن شعرنا العربى القديم وبخاصة الشعر الجاهلى يعتمد على هذا الاسلوب ، بل يفوق كل شعر سواه فى هذا الجانب . ومع ذلك فانه لم يلق فى عصرنا من التقدير ما هو جدير به ، أو ما هو قريب من ذلك ، وفهمه ادعياء النقد على انه يمثل الجانب الحسى الغليظ ـ هكذا ! وانه بزعمهم ليس شعرا عظيما ! وان الشاعر الجاهلى لم يرق الى المستوى الذى يصبح فيه قادرا على التجريد ! وخسئوا ، فجوهر الشعر العظيم هو

هذا .. هو فى وقوعه على العلاقات الحسية المتشابكة .

الامر الثانى : يظل يحاصرنا هذا السؤال بازاء كل جهد ابداعى مبذول فى مجال الفكر والفن ، اين يصب هذا؟ أين هو من التراث العربى ، أو اين هو من الشعر العربى ، وهل يمكن ان يكون الشاعر قد أجاب عن هذا السؤال حين قال فى ديوانه (ص ٢٢) .

فبدا كل تراث العرب فى قلبى صمغا ومديحا .. الخ .

لقد اثر الشاعر أن ييمم وجهه صوب التصوف المسيحى الغربى ، على الرغم من كونه مسلما عربيا . ولسنا نلتفت الى هذا . وانما نتساءل : أين التجارب الشعرية الواسعة فى التراث العربى ، أين هى من شعر عادل عزت؟

وفى الحق نحن نثير قضية واسعة بهذا السؤال ، فان هذه الاجيال التى نحن منها انما ابعدت عن الشعر العربى ابعادا . وحسبك ان يقال أن الشعر العربى الجاهلى مثلا ليس شعرا عظيما ، ويشبه أن يكون المرحلة البدائية الفجة للشعر العربى لاعتماده على الصور الحسية .

وقد تولى ذلك اجيال من النقاد احاطوا الشعر العربى بما يشبه أن يكون دعاية اعلامية كثيفة حجبت عن الانظار جماله ونفرت عنه وحسمت فى أعين الاجيال الحديثة الرأى فيه .

ومرجع الآفة فى ذلك الى فساد الذوق من جهة ، والى ان الانسان عادة يبيع ضميره وعقله ورأيه واستقلاله عن وعى أو عن غير وعى ـ والمصيبة هاهنا أعظم ـ الى ما يمده أولا بطعامه وخصوصا اذا كان الطعام الامراء ، ثم من بعد ذلك الى ما يحيطه بالابهة والمجد وان كان زائفا ، والى ما يشبع فيه ألوانا من الاهواء والغرائز يحتقرها دائما ويزدريها اهل الرأى من الحكماء واصحاب الفكر الاصيل . ولا تصدق انه قامت فى بلادنا حركة نقدية نزيهة كالتى قامت فى بلاد الاوروبيين يدفعها الرغبة فى خلق شىء باق أو ترك شىء أصيل .

ولو تركت الاجيال الحديثة وشأنها، لربما وجدنا من يتجه الى تجارب الشعراء الاقدمين فيفجر من طاقاتها الكامنة ويمد الحياة الحديثة بما يربطها بحياة الاقدمين ، خصوصا اذا كان الاحتكام فى الادب الى سلامة الفطرة والذوق الصحيح .

وفى نهاية هذا المقال لا يسعنى الا ان اشيد بالمجهد الذى بذله صاحب الديوان وبتمكنه من الاساليب العربية ومقدرته على التنويع فى الاوزان الموسيقية وسلامة لغته الا من هنات لا تذكر كتشديده الواو فى «أبو نواس» وجمعه سماء على سموات بحذف الالف (انظر ديوانه ص ١٨ ، ٧٢ على التوالى) . وفى ظنى أن هذه الموهبة لو كان تعهدها صاحبها بالدأب المستمر والنشاط الذهنى الفعال فى قراءة التراث الشعرى والفلسفى ، لكان لها اليوم شأن آخر . وهذا يضعه منذ اليوم أمام واجباته ، حتى وان ووجه بفظاعة الواقع الذى أصبحت طبيعته منافية لطبيعة الشعر . ولمسيح الحياة فى مصر الان قد صيغ بحيث يعلو الطبع الحيوانى ـ أو ما دون الحيوانى ـ ويحط الفكر ومن ورائه الفنون والآداب وما يتميز به الجوهر الانسانى .. وفى هذا باعث كاف وتحد للهمم الانسانية على ان تنهض برسالتها .


عبد العزيز البشرى

حافظ ابراهيم

ظرفاء مصر بين الإبداع والنقد الاجتماعى

بقلم: محمد أمين العيسوى

●● كانت مصر ولم تزل منبعا للنكتة التى جرت على السنة الظرفاء مثلما يجرى ماء النيل خلال واديها الخصيب، فيفيض على جانبيه بالخير والبركة كذلك كانت النكتة فى مصر — ولم تزل — ثروة ذكية تروى البعيد والقريب .

واذا كان لنا ان نعقد صلة لا تنفصم بين النكتة كفن قولى وبين الكاريكاتير « الرسم الهزلى » فان الصور والرسومات التى عثرنا عليها بمقابر المصريين القدماء تؤيد القول بانهم كانوا يميلون للهزل بقدر ما كانوا يميلون

الجد ومن الغريب ان هذه الصور لاتختلف كثيرا فى شكلها المضحك عن الرسوم الكاريكاتورية المصرية التى نراها منتشرة فى كثير من مجلاتنا وصحفنا خاصة الصورة التى وجدت باحدى مقابر طيبة وتمثل اسدا وحمارا يقتيلان على القيثارة

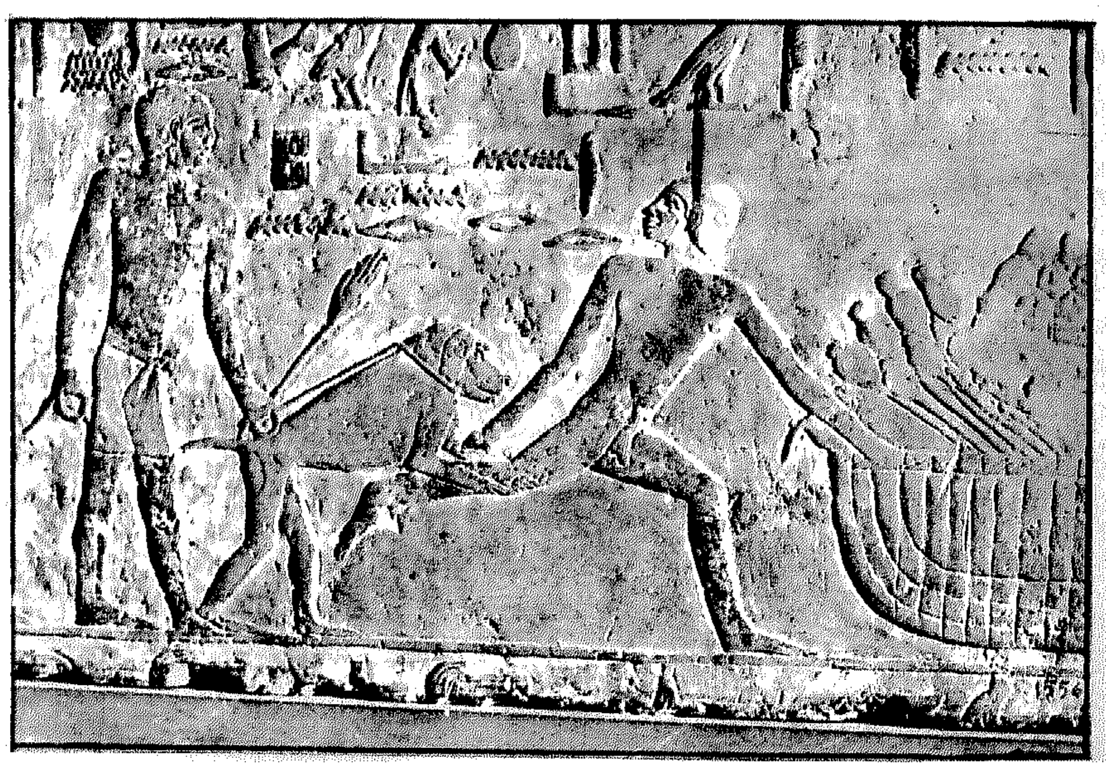
والنهر .

وتوجد مجموعة كبيرة من الصور الهزلية المشار اليها ، يظن انها من اعمال الاسرة ١٩ وفيها نرى بوضوح روح الرسام الساخرة المرحة وكان جل قصد المصريين من هذه الصور ، على ما نظن انتقاد الحكام ورجال الدين . ويؤيد هذه الدعوى ، الصورة الموجودة بمتحف « تورين » وهى تمثل أربعة حيوانات ، حمار واسد وتمساح وقرد تضرب كلها على الات الطرب ، ووراءها حمار يرتدى ملابس فرعون الحربية وفى يده صولجان الملك

كما كانت للفكاهة فى مصر منذ عهد المماليك والاتراك قدم راسخة وباع طويل .. ومنذ أكثر من مائة عام كانت تعقد فى قصور البكرى وال المويلحى ودار اسماعيل صبرى وفى المقاهى مثل مقهى « متاتيا » و « البورصة » و « الصبهن » و « باب الخلق » التى اشتهرت بمن كان يقصدها من شعراء وأدباء وكتاب وصحفيين وسياسيين ، فكانت بمثابة حلقات للدرس والمعرفة ..

وربما كان للكبت فى عهد الاستعمار والاستبداد فضل كبير فى براعة المصريين فى اخراج النكتة واطلاقها ، وكان أصحاب النكتة فى مصر ينقسمون الى فريقين : فريق من المحترفين وهم محررو الصحف الفكاهية كالسيف والمسامير والشباب ، وفريق من الهواة وهم الادباء والشعراء والوجهاء أمثال عبد الله النديم وعبد العزيز البشرى وحافظ ابراهيم وحفنى ناصف وعثمان جلال ومحمد البابلى ، وكان أحمد شوقى واسماعيل صبرى ينظمان فكاهاتهما شعرا ، وفى عصرنا الحالى ظهر العديد ممن ارتجلوا النكتة واختاروا الادب الساخر طريقا لهم

استخدم قدماء المصريين النكتة فى حياتهم . وهو مايشبه الكاريكاتير المعاصر



ظرفاء مصر

منهم زكريا الحجاوى وعباس الاسوانى وفكرى اباظه ومحمد عفيفى وأحمد رجب وغيرهم ، ومن شعراء الفكاهة برز منهم بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى وسعيد عبده وحسين الطنطاوى وهؤلاء الشعراء تاثروا بمن سبقهم امثال عبد الله النديم وأمام العبد ويعقوب صنوع .

فعندما نفت السلطات فى مصر فى عهد الخديو اسماعيل يعقوب صنوع لجأ الى فرنسا واصدر مجلة « ابو نضارة » من باريس ، وعلى يد حسين شفيق المصرى شاع الشعر الحلمنتيشى الذى كان من فرسانه عبد السلام شهاب وحسين الطنطاوى . ومن الصحف والمجلات التى ظهرت فى مصر بعد صنوع والنديم وامام العبد مجلة « الكشكول » التى اصدرها سليمان فوزى ، و « خيال الظل » التى اصدرها احمد حافظ عوض كما صدرت مجلات أخرى مثل السيف والمسامير والصاعقة وغيرها .. ومن أعلام الفكاهة فى مصر من اجمعت الاقلام على ظرفهم وخفة ظلهم يأتى على رأسهم هؤلاء :

ذكاء القلب :

● عبد العزيز البشرى .. اجتمعت لديه ميزة الفكاهة المكتوبة والمنطوقة أما النكتة المباشرة فقد تبرأ منها وقال عنها انها لا تدل على أعمال الفكر أو ذكاء القلب او عمق النظرة لكنها تعتمد على سرعة الخاطر

وللبشرى أسلوب جمع بين لغة الجاحظ الذى تاثر به وبين البليغ من نغمة أهل زمانه، أما فكاهاته المكتوبة فقد أوردها فى كتبه «قطوف» و «المختار» وفى المرآة ، اما فكاهاته المنطوقة فلم يكن البشرى يستقر بمكان بل كان سريع التنقل وقد قال عنه الدكتور طه حسين فى مقدمة كتاب قطوف : كان أقل الناس حبا للاستقرار وميلا الى الامعان فى طريق واحد فطر على حب التنقل المادى والمعنوى معا .. وقد اتاح له حب التنقل حسن الاستماع والاحاطة والتعليق على ما يرى ويسمع بما فطر عليه من روح مازحة ساخرة وذوق سليم قويم .. » كان البشرى يخص بار الانجلو بالتردد عليه وإيثاره على غيره من المنتديات التى كان مرتادا بكل الاتجاهات الفكرية .

ومما يروى عن البشرى أن أحد جيرانه قال له : ان المحروسات بناته الصغار يلبسن البرانيط فى ذهابهن للمدرسة الفرنسية فقال له البشرى : « أمال عايزنى البسهم عمم » ومما رواه البشرى ان الدكتور محجوب ثابت قال يوما لحافظ ابراهيم : حلمت بالامس انى أركب ثورا قويا ويجرى ورائى نحو مائتى حمار فاذا بالثور يجمح بى ولكنى استطعت ان أوقف ثورته وهنا صحوت من النوم فقال له حافظ : ان الثور فى المنام يرمز الى القوة وقد رشحت نفسك فى الانتخاب لمجلس النواب وانتصرت على حكم القوة بايقافك للثور فقال الدكتور محجوب ثابت : وما معنى المائتى حمار قال حافظ : « ماهم دول اللى انتخبوك يا دكتور » .

وروى البشرى عن امام العبد قال: لما ضاقت بهالاحوال يوما لجا الىصديق يرجوه ان يقرضه عشرين قرشا الا أن

صديقه لم يجد معه الا عشرة قروش فاخذها امام وقال : « معلش يبقى لى عندك عشر قروش وانت لك عندى عشر قروش نبقى كده خالصين » .

ومن فكاهات البشرى انه خلع جبته ذات يوم وكان مدعوا على الغداء فذهب ليغسل يديه ولما عاد وجد رسما لحمار على الجبة فقال : من الذى جفف وجهه فى الجبة .

وذات مره كان يزور حديقة الحيوان مع حافظ ابراهيم وعند خروجهما قال له حافظ : حاسب احسن حد يحوشك على الباب فقال له البشرى : اما بالنسبة لك فلا خوف ولا حذر لأن منك فى الجنينة كتير ويناقص واحد ! .

● حافظ ابراهيم والفكاهة ●

● حافظ ابراهيم .. عاش حياة بائسة شقية فقد احاطته الشدة منذ مولده وطوقه البؤس طفلا وصبيا ورجلا هرب من بيت خاله الذى نشأ فيه وترك له هذين البيتين :

ثقلت عليك مئونتى انى اراها واهية
فافرح فانى ذاهب متوجه فى داهية

وقال عندما لم يفتح امامه باب واحد من أبواب الرزق .

سعيت ان كدت انتعل الدما
وعدت وما أعقبت الا التندما

ولما اشتدت عليه الايام وانطوى على الطوى فقال فى أسى : نحن نرضى بالقوت فى هذه الدنيا وان بات دون قوت النعام .. ومن العجيب أن قائل هذا الشعر الحزين هو نفسه زينة المجالس وبهجة المنتديات الذى يفيض على النفوس من أنسه وأدبه ورائق سحره هو شاعر النيل وبلبله الصداح الذى يرسل شعره جادا سخيا نديا داعيا الى اقوم السبل ، ولا عجب فقد اسبغ الله على أهل الادب والظرف باكثر من شخصية .. سأله أحد الوجهاء وهو فى لبنان : ما السر فى ان خليل مطران يحبه كل الناس قال حافظ : لانه كالمعصية ..

حدث مرة ان كان يصحب صديقا له يعمل بوزارة الاوقاف ثم أحيل الى التقاعد لضعف بصره وكان يحصل



رسم فرعونى اسد يقود طيورا الى اعشاشها



ظرفاء مصر

على معاش شهرى فصادفهما احد المتسولين وقال لصديقه « حاجة لله ربنا ينور لك عنيك » فقال له حافظ : انت عايزهم يقطعوا عيشه ·· واثناء فترة البؤس التى مر بها صادفه سائل فقال له : قرش صدقه يا بيه فقال له حافظ : عمرك أطول من عمرى ·· ومما يروى عنه انه ذهب ذات يوم الى حديقة الحيوان مع خليل مطران وعند دخولهما قال للحارس وهو يشير الى مطران خاللى بالك احسن وانا خارج بيه تفتكرنى لطشت حاجة من الجنينة» وحدث مرة أن سأله احد المارة وهو فى طريقه الى دار الكتب عندما كان مديرا لها : « الشارع ده رايح‌فين فقال له حافظ : لا رايح ولا جاى طول عمره هنا » قصد حافظ مرة الخديو عباس لامر هام وقبل انصرافه دعاه الخديو ــ وكان شحيحا ــ لتناول الغداء فقبل حافظ الدعوة لكنه وجد الطعام فقيرا قليلا فسأله الخديو مبسوط يا حافظ ، فرد عليه : الحقيقة يا فندينا انا حاسس كانى باتغدى فى بيتنا ·

● حفنى ناصف ·· لم يكن بحكم وظيفته فى القضاء يتردد على المقاهى والمنتديات رغم حبه لمرتاديها وميل نفسه الى مجاراتهم فيما ياخذون فيه من التندر والمجون وحديث الشعر والادب ذات يوم كان يرأس جلسة فى احدى المحاكم وبعد قليل من افتتاح الجلسة نام العضو اليمين فرآه حفنى ولم يتكلم ، وبعد قليل سمع غطيطا عاليا فالتفت الى العضو الشمال فوجده مستغرقا فى النوم فوكزه حفنى فصحا العضو مذعورا فقال له حفنى : « اذا كان من حقك ان تنام فليس من حقك أن توقظ النائمين » ويروى عنه أنه مرض مرضا خطيرا فأمره الطبيب بالاقلاع عن أى عمل فكرى ولا سيما القراءة ولما عاد اليه بعد يومين رآه يقرأ فى كتاب « روح الاجتماع » فغضب وقال له : الم انهك عن القراءة فقال حفنى : لا تغضب فقد كنت أطالع فى الروح ·· دعى حفنى مرة لزيارة حديقة أحد اصدقائه فأعطاه برتقالة وقال له : ده برتقال بدمه ولكن حفنى وجدها برتقالة عادية ولا اثر لاى حمرة بها فقال لصديقه : يظهر ان عندها انيميا حادة ··

● امام العبد يمثل فى ظرفه وسرعة خاطره ورقيق شعره شعراء الدولة العباسية وكان اسمر سمارا داكنا سئل ذات يوم : لماذا لم تتزوج فأجاب ·

انا ليل وكل حسناء شمس
فاجتماعى بها من المستحيل

سمع ذات يوم من بعض اصدقائه انهم يتاهبون للذهاب الى حفل زواج نجل الشاعر حفنى ناصف فطلب اليهم ان يصحبوه معهم فقال له أحدهم . أنت ترانا نلبس الحلل السوداء فكيف تحضر معنا ببدلتك العادية فقال لهم : اذا خلعت كل ملابسى لاصبحت فى الزى المطلوب ·· ومما يروى عنه انه كان يكتب رسالة لاحد معارفه فسقطت نقطة حبر من القلم فقال له صديقه نشف عرقك ·

● مقبرة ترد الروح ●

● محمد البابلى ·· سليل عائلة عريقة تملك المال والجاه كان



مبذرا لا يبقى على مال لديه حتى انتهى به المطاف الى بيع ورهن معظم ما يملك وذات مساء كان يستمع الى صالح عبدالحى وهويغنى دور : « أهل السماح الملاح دول فين أراضيهم » فما كان من البابلى الا ان قال فى حسرة : فى البنك العقارى يا بو صالح ٠ كان يسير فى جنازة فساله احدهم : كم تكلفت هذه الخشبة العظيمة المغطاة بالحرير الفاخر فقال له البابلى : جاليت تلاتين جنيه ٠٠ كان والده قد أعد حوشا ومدفنا واخذه ليشاهده ثم ساله عن رايه فيه فقال : دى حاجة تسرد الروح ٠٠ وذات يوم كان فى زيارة أحد معارفه فوجده يزرع حوله نباتا شوكيا ولما ساله البابلى عن السبب فى ذلك قال : ده يمنع دخول الثعابين فقال له البابلى : ومفيش زرع يمنع دخول المحضرين ٠٠ وذات مساء كان فى بار اللواء برفقة بعض الاصدقاء فاخرج صديق علبة سجائره وراح يوزع منها على الحاضرين ونسى البابلى فتدارك الامر صديق آخر فاخرج علبة سجائره وقدم منها للبابلى فقال البابلى وهو يشير الى من اغفل تقديم سيجارة له : دخانك حامى انا عايز من البارد ده ٠

● حسين الترزى ٠٠ اسمه حسين فهمى أما صفة الترزى فقد لحقته على أثر مساهمته فى محل للتفصيل وكان وجهاء القوم وأبناؤه وشعراؤه يتشوقون الى مجالسه ويتحرون مكانه ليصحبهم فى سهراتهم وكانت مجالسه زاخرة بأرقى طبقات وصفوة أهل الادب ٠٠ عندما كان شريكا فى محل الترزى حضر اليه احد الزبائن يسال عن بذلته وكان معروفا عن هذا الزبون عدم اهتمامه بنظافة ملابسه فقال له حسين : « البدلةجاهزةبس لسهحانركب لها البقع » ٠ كان يركب الاتوبيس ذات يوم فاعطى المحصل ورقة من فئة الخمسة قروش فاعطاه الرجل التذكرة ومعها اربعة قروش فساله حسين : هى التذكرة بكام فقال المحصل : بقرش صاغ فقال له حسين : دى رخيصة قوى هات كمان واحدة ٠٠ وذات مساء كان مع بعض اصدقائه فى احد المقاهى وكان صاحبها يضع فى الاشجار لمبات كهربائية وكانوا يجلسون تحت احدى هذه الاشجار فقال لهم حسين : « ياجماعة نقوم من هنا احسن لمة تكون استوت تقع علينا ٠٠ قابل مرة أحد

ظرفاء مصر

أصدقائه وكان يسير برفقة شخص قصير نحيف فقال له صديقه : اللهم لك الاستاذ حسنين فقال له حسين حسنين اتنين ده حسن واحد كتير عليه .. وبعد أن تعرف على حسنين روى عنه أن المانولى دق باب منزلهم وقال لاهل البيت : مش سى حسنين خلاص ـ يقصد أنه مات من ضعفه ـ فقالوا له : لسه شوية فوت بكرة فقال هاتوه بقى امر كريس كده .. وذهب مرة لزيارة صديق له عرف عنه ادمانه شرب الخمر وكان يرسم صورة فسأله صديقه : « تعرف صورة مين دى فقال به حسين : الحقيقة مش عارف قال صديقه : دى صورتى انا قال حسين انت عايزنى اعرفك ازاى من الصورة لا فى كاس ولا عينيك حمرا ولا بتطوح» .. وروى يوما قال : كانت العمارة التى فيها منزلى يسكنها عفريت وبعد أن تقدم به العمر شاهدته ذات يوم جالسا على الارض وقد اسند ظهره للحائط وقال لى : والنبى يابنى خد بايدى علشان اخوفك .. ومن تعليقاته الظريفه : ان العادة جرت فى مصر على فرش الرمل فى ثلاث مناسبات عند ذهاب الملك لافتتاح البرلمان وعند ذهاب سفير لتقديم أوراق اعتماده وعند مرور وابور الزلط عند تبليط الشارع .. اعطاه صديق له دواء جديدا واخبره انه ينبت الشعر فى الراس الصلعاء وكان حسين ذا صلعة ناصعة فقال لصديقه : عندى منشة شعرها وقع ما نجرب فيها الاول ومن مفارقات المضحكة المبكية قوله : الناس جاكتاتها تدوب من الكوع أو الياقة وأنا لا يدوب منى الا كم الجاكتة من



قرد يعزف والرجل يرقص

كثرة ما كان الناس يأخذون بيـدى بعد ضعف بصرى .

● احمد رامي .. شاعر الشباب وامام الغزليين والغنائيين وهو فى خفة ظله نغمة تسعد النفوس .. شعره الفكاهي قليـل على عكس فكاهاته المنطوقة فقد كانت تحضره النكتة فى أى مناسبة .. مما يروى عنه يوم كان يعمل فى دار الكتب أن اختلف مع شاب ضايقه بتصرف صدر منه فتدخل احد اصدقاء رامي وقال له : لاتغضب منه فهو شاب احمق ورامي فقـال له رامي : امى دى شويه عليه ده لازم ستى وكان يسكن بجواره أحد المحبين للشعر وكان كلما قرأ له قصيدة من نظمه يقول له رامي . دى قصـيدة مكسورة يا استاذ فقال له : انت كل مرة تقوللى مكسورة فقال له رامي : انا ٧٠ وزن كده ان مكانش عاجبك روح اوزن برة . ويروى رامي هذه القصة : كنت فى صدر الشـباب اغادر دارى بعد الغروب واعود اليها قبل الشروق وكنت الاحظ كلما هممت بالانعطـاف من الحاره التى اسكن بها ان راسـا صغيرا يطل وهو يلتفت بغلالة بيضاء ناصعة من وراء المشربية وظننت انهـا تنتظرنى لترانى ولم تـسكن نفسى ولا التقاليد يسمحان لى حتى برفـع النظر الى ابعد مما يحميني من مزالق الطريق فقلت عنها :

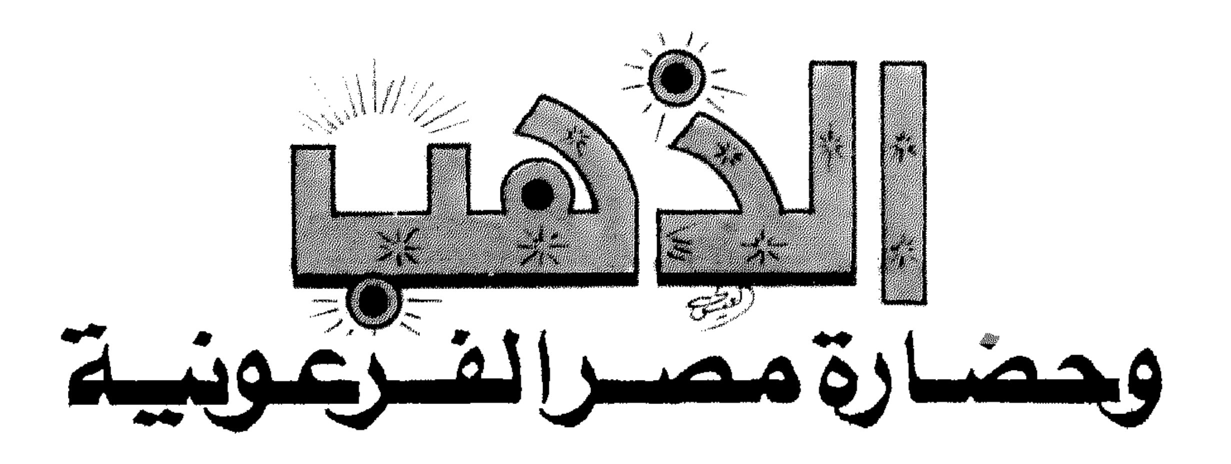
والى لاستحيـيه حتى كأنما
على بظهـر الغيب منه رقيب

ورحت انظم فيها شعرا يحوى المعانى التى تثيرها مشقة النوى، وذات يوم خرجت من دارى قبـل الغروب واذا بعينى تلفت منى وترمق حبيبة خيالى لاكتشف انهاقلة تلتف فى شاش ابيض رقيقمبتل ليبترد الماءوفتحليلاءيوافلت من حلم جميل .. لقد كان المجتمـع الانفصـالى الذى عاش رامى جزءا كبيرا منه هو السبب فى تعلقه هـو ومن عاصره من شعراء زمانه باى قشة يجدون فيها سبيلا للغزل والرومانسية

وبعد فاذا كان كل فـن ينضـوى على اطـــار ومحتـــوى وعلى شـــكل ومضـــمون وعلى مظهر وجوهر يستوى فى ذلك الشعر والتمثيل والرسم والنحت الى غير ذلك فان الفكاهة هى الاخرى ينطبق عليها هذا الكلام لانها فن من فنـون القول الجميل فاللوحة اذا خلت مـن محتوى الجمال الفنى الذى يبثه الرسام من ذات نفسه وروحه ومشاعره وينقله الى لوحته لينفذ به الى قلب واحساس ومشاعر المشـاهد فانه لن يبقى من اللوحة الا قطعـة من قماش ومزيج من الالوان، والتمثيل اذا خلا من مضمونه وهدفه من البناء والتوجيه اصـبح شـيئا لا يـزيد عـلى مشـاهد تتوالى وافراد يذهبون ويجيئون على خشبة المسرح ويتحدثون حديثا اكثره ثرثرة لا تطرق الى السمع ولا تنفـذ الى الحس والعقل والخاطر وقيل عن الشـعر :

والشاعر الفذ بين الناس رحمنى
والشاعر الفذ بين الناس رحمن

فالشعر اذا خلا من هذه القدسية ومن معانيه السامية ومن مشـاعره النبيلة فانما هو تفاعيل وقوافى لاروح فيها ولا حس .. والفكاهة هى الاخرى تتضمن اطارا ومضمونا وفيها تمثيل واخراج وفيها تصور وخيـال وتقـد وترفيه فاذا خلت من المضمون والجوهر غدت شكلا لا روح فيه وعبثا لا طائل من ورائه .. انالفكاهة بسموها تمسح كربة المكروب ولا تتـرك النفس حتى يعود اليهـا الامن والامـــان



الذهب وحضارة مصر الفرعونية

بقلم: د. سيد كريم

● وصف مؤرخو الحضارات حضارة مصر الفرعونية بانها حضارة الذهب ووصفها مؤرخو الاغريق القدماء ، بارض ذهب الآلهة ، وكتاب الرومان بانها ارض السحر والذهب كما وصفها الاسيويون والفينقيون بانها منجم الذهب الذى لاينضب ولايفنى .

ففى تاريخ البشرية وقبل ظهور الحضارات كان المصرى القديم أول من عرف الذهب فى عصور ما قبل التاريخ ، وكان اول من توصل الى اكتشاف مناجمه . وعرف كيف يستخرجه من باطن الأرض وكيف يستخلصه ويتعامل معه ويصنعه . واكتشف المصرى خواصه وخصائصه الوحيدة فاستغلها فى مختلف العلوم والفنون ، وصاغه ليعلم العالم صناعة المصاغ .

وكان المصرى القديم اول من صنع النقود من الذهب الذى لايبلى ولايفنى وقدمها للعالم ولازال العالم يعمل بنظامها الى اليوم وهو ماطلق عليه غطاء الذهب الذى لم يجد له العالم بديلا الى اليوم كما كان اول من تعامل مع الذهب بالسباكة فحدد وزنه ونقاوته وابتكر نظام دمغه .

فقصة الذهب هى قصة الحضارة المصرية والتى ساهمت فى تسجيل تاريخها الواقعى . وقد اطلق على كل عصر من عصور ازدهارها العصر الذهبى - وهو الاصطلاح الذى استعاره العالم على كل جانب من جوانب الازدهار فى الفنون والاداب والرياضة والموسيقى ومختلف نشاطات المجتمع .

● كان اكتشاف مناجم الذهب وتحديد مواقعه وطرق استخراجه وتصنيعه يخضع لتجارب ونظريات علمية متطورة يقوم بها العلماء والباحثون من رجال المعابد . ومازال معظمها من الاسرار التى اشتهر بها خبراء الكهنة فى مختلف علوم المعرفة المقدسة . التى ارتبط تفسيرها بكثير من اساطير السحر ورموزه السرية وطلاسمه الغامضة التى يحاول العلماء والخبراء فى كثير من المعاهد العلمية الحديثة تفسيرها من منطلق تعريف كلمة « سحر » عند



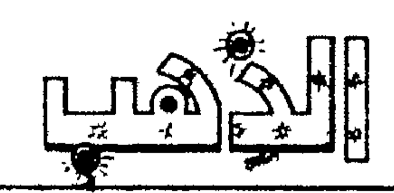
المعبود حور يحمل تاج الآله (تسى حور) رمز إقليم البحر الأحمر وقد أطلق اسمه على البحر الأحمر والصحراء الشرقية التى بدأت منها حضارة مصر .

الفراعنة على ضوء التكنولوجيا الحديثة على انها معادلات رياضية ونظريات علمية مؤكدة وقابلة للحل والتفسير والتصديق .

● لقد اقتصر وجود الذهب فى أرض مصر على الصحراء الشرقية ، وتركزت مناجمه فى سلسلة الجبال المطلة على البحر الأحمر والتى تمتد الى بلاد النوبة التى اتخذت اسمها من اسم الذهب « نوبت » . وقد وصفت احدى برديات اساطير المقدسات السحرية سر وجود الذهب فى تلك المنطقة بقولها ـ « الذهب هبة الاله رع رب السماء» ـ ويرمز اليه بقرص الشمس ـ « هبة الاله الى ابناء ارضه المقدسة » « جب بتاح » الذين آمنوا بوحدانيته ـ تلك الهبة يمنحها عندما يشرق بنوره ويلقى باشعته الذهبية الى ارض الشروق التى تواجه اشراق نوره وتتقبل خيوط اشعته التى تتلقاها جبال البحر الأحمر وتحتضنها فى باطنها حيث تتجمد وتتحول الى ذهب تحتفظ بـه فى خزائن من البللور » .

لقد ثبت تفسير تلك البردية علميا بوجود مناجم الذهب جميعها فى الصحراء الشرقية من وادى النيل سواء فى مصر او فى بلاد النوبة . كما وجدت عروقه دائما بين طبقات حجر الكوارتز الشفاف الذى يوصف بالحجر البللورى

كما وصف الفراعنة الذهب فى متون سحر العقيدة بأنه من لحم جسد الاله الذى لايبلى ولايفنى ولاينطفىء نوره . وهى الخصائص الفعلية لعنصر الذهب الذى لايصدأ ولايتحلل ويحتفظ بلمعانه وبريقه الذى لايخبو لانه يتخذ لونه من النور فلا يدخل ضمن ألوان الطيف المعروفة بل يتكون من اندماجها مجتمعة



لقد قدس المصريون القدماء الذهب واتخذوا منه رمزا للخلود فوصفوه فى متون العقيدة بانه يحمل صفات الكائنات السماوية التى تعبر عن الخلود . وصفوه بانه الكائن الوحيد على الارض بين الكائنات الحية والجامدة الذى لايخضع لسنة التحلل والفناء . لذا فلم تكن اهمية الذهب عند الفراعنة عند اكتشافه واكتشاف خصائصه التى تخفى اسرار الوجود ، من ناحية قيمته الاقتصادية بل من ناحية قدسيته السماوية التى ترمز وتعبر عن الخلود والايمان بالبعث . اقتصر استخدام الذهب فى صناعة تماثيل الاله فى مختلف صوره التى تصنع من الذهب الخالص - كما كسوا الرءوس الهرمية للمسلات بالواح من الذهب لتعكس نور الاله او اشعة الشمس طوال النهار على مختلف اسطحها المتجهة الى الجهات الاصلية الاربع كما نقل بلوتارخ عن احدى برديات « اون » القديمة ان كهنة معبد « اون » اكتشفوا معدنا من سبائك الذهب يطلق عليه اسم « اوريلخوص » له خاصية امتصاص اشعة الشمس بالنهار ثم اشعاعها فى الليل من غروب الشمس حتى شروقها لاتغمض عيون الاله عن مقدسات المعبد وارضه المقدسة

● الذهب المقدس ●

● وبينما كانت تماثيل الاله تصنع من الذهب الخالص رمز الخلود فقد اكتفى او سمح للملوك - انصاف الالهة . بصناعة اقنعة الموتى فقط من الذهب لتحفظ صورة الملك فى شبابه خالدا ابد الدهر كقناع توت عنخ آمون الذهبى وغيره من اقنعة المومياوات الملكية .

وقد استعملت الواح الذهب ورقائقه فى كسوة التماثيل واقنعة التوابيت والموميات فى الدولة الحديثة لكبار الشخصيات وكهنة المعابد بعد ان كانت مقصورة على الملوك .

● وكان استعمال الذهب فى صناعة المصاغ يرتكز على خصائصه كمعدن مقدس يوظف الفن الجمالى فى خدمة العقيدة التى يعبر عنها فلذا بروائع قطع المصاغ الفرعونى العالمى يمثل كل منها لوحة فنية تعبر عن العقيدة فى اطار جمالى احتلت فيه التمائم محل الاحجار الكريمة او صنعت منها تبعا لالوانها التى تتفق مع الالوان المطلوبة لكل تميمة سواء تمائم الدعاء او الوقاية من اعمال السحر والعين الشريرة او الحسد والغدر والمرض او تمائم حفظ الصحة والقوة والشباب والجمال .

● خرج الذهب من اقتصار تداوله واستعماله على المعابد والملوك ومطالب العالم الآخر من قرابين ومقدسات جنائزية الى التداول العام والشعبى فى اواخر الدولة الحديثة وبداية العهد المتاخر ، وانتقل الى التداول الشعبى فى صناعة المصاغ ومختلف ادوات الزينة واعمال الاثاث والفنون الزخرفية . فقدرت له ولاول مرة قيمة رسمية للتعامل فتظهر لأول مرة فى تاريخ البشرية استعمال النقد فى التداول كوسيلة للتعامل صنعت مصر

اول قطع للنقد على شكل حلقات دمغت تبعا لأوزانها ودرجة نقاوتها .

وهكذا اصبح الذهب وسيلة لتداول النقود . انتقلت من مصر الى مختلف الحضارات المعاصرة . ولازالت الى يومنا هذا وسيلة تداول النقد العالمي .. وما أطلق عليه « غطاء الذهب » .

● المصريون يحددون المناجم ●

● لقد ترك المصريون القدماء بعض الخرائط الجيولوجية والجغرافية التى تحدد مواقع بعض المناجم وتخطيط مناطقها والتى وضح منها ومن دراسة المناطق المحيطة بها انهم كانوا يحددون موضع المناجم التى كانوا يكتشفونها واماكن وجود عروق الذهب وخاماته بدقة متناهية وانها لم تكن تخضع للبحث والتنقيب من مكان لآخر . ويروى أحد علماء الاثار الالمان انهم كانوا يعتمدون على البندول والتأثيرات المغناطيسية والذبذبات التى يطلقها كل معدن لاكتشاف اماكن وجوده . كما هو الحال فى اكتشافهم لمواقع المياه الجوفية لحفر الآبار اللازمة لتزويد العمال ومستعمراتهم بالمياه والتى حددوا مواقعها فى خرائطهم . كانوا يقيمون فى كل منطقة من مناطق مناجم الذهب بجانب مستعمرة العمال ورجال البعثات خزانات لحفظ مياه الآبار ومخازن للتموين . وبنوا بالقرب من بعضها حصنا لحمايتها من المغيرين وحراسة الطرق المؤدية اليها . كما اقاموا بكل مستعمرة معبدا للمعبودة حتحور « حامية المناجم والعمال وسيدة الذهب » وقد وجد على احجار احد المعابد النص التالى « **الذهب معدن الاله المقدس** ولحم جسده فمن يحاول العبث به او سرقته أو غشه تنزل عليه لعنة الآلهة » .

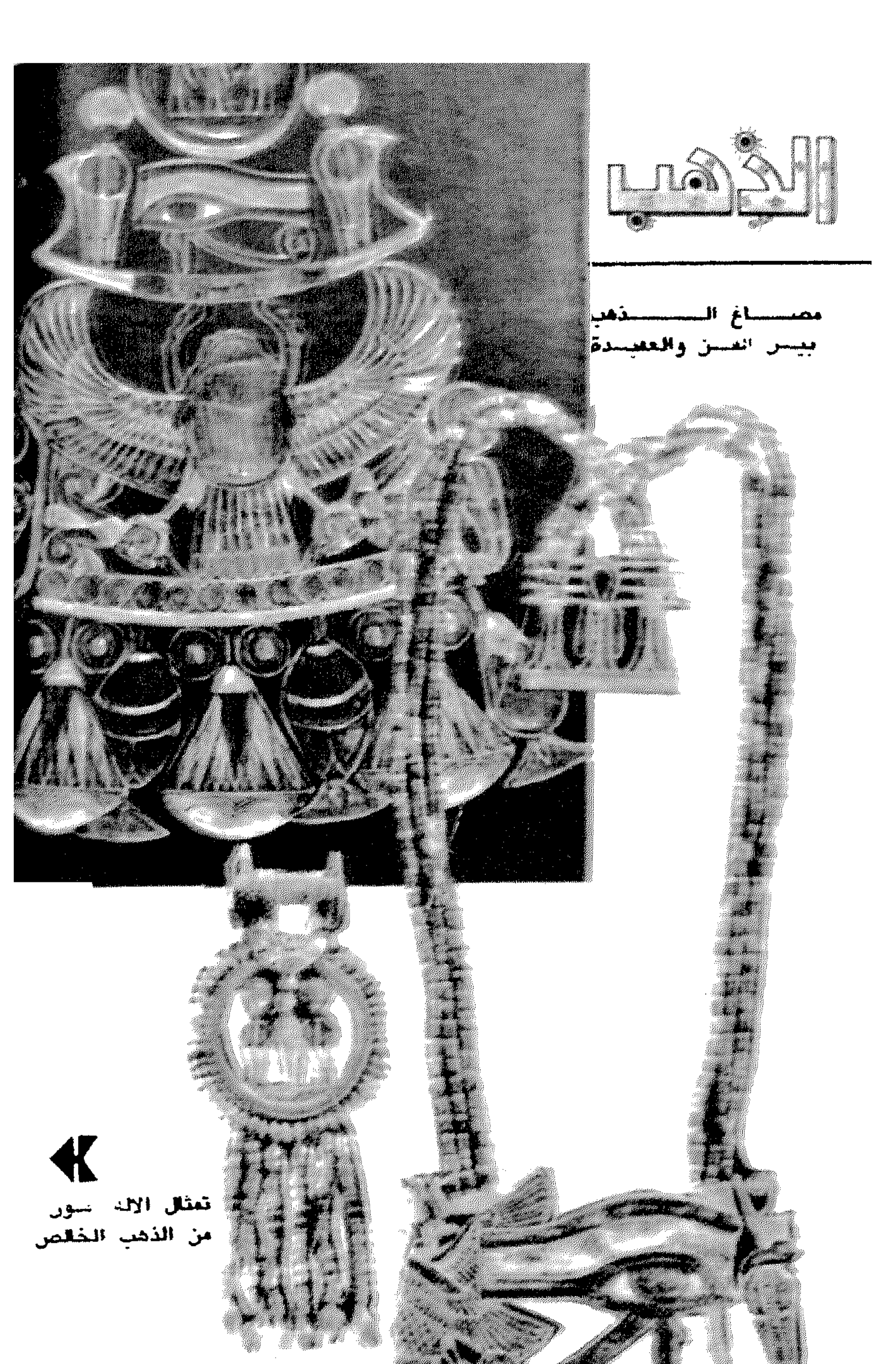
● وكانت مناجم البحر الأحمر وخاصة فى الدولة الحديثة تدل على قوة الملوك فكانت تنسب اليهم وتحمل اسماءهم ، كمناجم رمسيس الثانى وامنحتب الأول وسيتى الأول فوصفها بعضهم بأنها هبة الاله لابنه الملك حارس مقدساته . ومن أشهر مناجم الذهب التى زودت مصر الفرعونية بذهب حضارتها ابتداء من بدء عصر الأسرات والدولة القديمة حتى نهاية عصر البطالسة . كما يرجع بعضها الى عصر ماقبل الاسرات :

● **وادى الحمامات** : جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشرقية ويمتد من شاطىء البحر الأحمر عند مدينة القصير الى شاطىء النيل عند مدينة ادفو . وترجع شهرته انه كان طريقا للتجارة منذ اقدم العصور ويصف علماء الانثروبولجيا ومؤرخو تاريخ الاجناس البشرية ذلك الدرب بأنه الطريق الذى سلكه المصريون الأول الذين أتوا من الشرق والجنوب عبر البحر الأحمر ووصلوا عن طريقه الى شواطىء النيل بالقرب من الأقصر .

وكان لهذا الطريق أهمية خاصة عند المصريين وكانوا يسمونه « طريق الالهة » لأنهم ذكروا ان اجدادهم اتوا الى وادى النيل فى هذا الطريق تتقدمهم آلهتهم الذين قادوهم الى نهر النيل نهر الحياة » . فبدأت حضارتهم أو حضارة مصر باكتشافهم مناجم الذهب والنحاس ومختلف المعادن والاحجار الكريمة عند قيامهم بحفر آبار المياه فى اراضى المناجم فساعدتهم تلك المعادن

الذهب

مصاغ الذهب بين الفن والعقيدة



تمثال الإله حورس من الذهب الخالص

على تطوير الزراعة وتصنيع آلاتها ومعداتها عندما وصلوا الى شواطىء النيل واقاموا أول مجتمع زراعى متطور فى تاريخ البشرية .

● الأرض المقدسة ●

لذلك كان اقليم البحر الأحمر عندما وضع المصريون القدماء اول خريطة للتقسيم الادارى وتقسيم الدولة الى محافظات فى الدولة القديمة كانت محافظة البحر الأحمر اول محافظة فى التقسيم الاقليمى والادارى فى مصر واطلق عليها اسم « تسى حور » اى تاج الاله واتخذت المحافظة من صورته وهو يحمل التاج علما ورمزا لها . كما اطلق على البحر الأحمر اسم بحر حور وارض الاقليم اسم الارض المقدسة « جورجت » وهو الاسم الذى لازالت تحتفظ به عاصمة المحافظة التى يطلق عليها فى جميع اللغات الاجنبية HURGHADA والذى تحور الى اسم « الغردقة » .

وفى منطقة المناجم القديمة فى وسط طريق وادى الحمامات توجد مئات من النقوش على واجهات صخور المناجم منذ أيام الاسرة الخامسة حتى الأسرة الثلاثين . تركها اعضاء البعثات التى ذهبت للحصول على الاحجار اللازمة لتماثيل الملوك وتوابيتهم ومعابدهم وهى فى جملتها من المصادر الهامة فى التاريخ المصرى وامدت الخبراء بكثير من المعلومات . كما تركوا مجموعة من الخرائط الهندسية لبعض مناجم الذهب وتخطيط مواقعها ، من بينها خريطة مناجم الملك سيتى التى تبين تخطيط موقع المناجم ، والطرق المؤدية إليها ومساكن العمال والخبراء وآبار المياه ومخازن المئونة وقلاع الحراسة الخاصة بحماية المنجم والطرق المؤدية إليه والتى ينقل





الذهب خلالها الى الوادى وهى موضحة فى البردية المحفوظة بمتحف تورين ـ كما توجد خريطة اخرى لاحد مناجم رمسيس الثانى بالمتحف البريطانى .

وميناء القصير اقدم موانى بحر حور وجدت قبل فجر الحضارة نفسها . اطلق عليها من عصور ماقبل التاريخ اسم « تاعو » ميناء الالهة الذين وطأت اقدامهم خلالها ارض مصر ليسيروا بالمصريين الاول عبر طريق وادى الحمامات « طريق الالهة » ليصلوا بهم الى نهر الحياة فى وادى النيل ثم اطلق على الميناء اسم « اينوم » خلال العصور الفرعونية ثم تغير الى « فيلوتراس » فى عهد البطالسة وفى العصر الرومانى « لويكوس ليمن » ثم اطلق عليه العرب اسم « عيذاب » وانتهى فى العصر الحديث الى اسم « القصير » .

٢ ـ وادى العلاقى : احد وديان الصحراء الشرقية فى جنوب مدينة الدكة وقد اشتهر منذ عصر الدولة الوسطى بمناجم الذهب التى تقع فيه واستغل المصريون القدماء مناجمه حتى نهاية الدولة الحديثة . واقام ملوك الدولة الوسطى حصنا عند « كوبان » لحراسة الطرق المؤدية إليه ، كما قام رمسيس الثانى بحفر بئر فيه لتزويد بعثاته ومستعمرات عماله بالماء اللازم لها ، ومن أشهر الملوك الذين سجلوا اسماءهم على مناجم ذهب وادى العلاقى كل من حتشبسوت وتحتمس الثالث وسيتى الأول ومرنبتاح كما اقام ارجامون معبدا للمعبودة حتحور حامية المناجم فى العهد البطلمى .

٣ ـ وادى الهودى : يقع بالصحراء الشرقية جنوب شرق أسوان وبه آثار عدة مناجم قديمة لاستخراج الذهب والنحاس ، وترجع شهرته الى وجود محاجر الاماتيست « حشمت » الذى كان قدماء المصريين يفضلون استخدامه فى حليهم وفى صناعة التمائم . **وقد ترك ملوك الدولة الوسطى الكثير من النقوش الهامة والعديد من اللوحات التذكارية التى أمدت المؤرخين بالكثير من المعلومات عن بعثات البحث عن الذهب وعلاقة الذهب بالتطور الاقتصادى والسياسى فى تاريخ الحضارة .**

● ارض الذهب ●

● وقد اشتهرت منطقة النوبة بالذات بمناجمها الغنية بالذهب ولما كان الذهب يسمى باللغة المصرية القديمة « نوبت » فقد اطلق نفس الاسم على بلاد النوبة « نوبت جت » أى أرض الذهب واشتهرت فى الدولة الوسطى باسم ارض الذهب والجنود . وقد سجلت اقدم مناجم الذهب بالنوبة اسماء كل من حونى وسنفرو من ملوك الأسرتين الثالثة والرابعة ـ كذلك اسم « حوف حر » حاكم أسوان الذى قاد حملات بعثات الذهب فى الأسرة السادسة واتخذ المصريون القدماء من الآلهة والمعبودات المعروفة حراسا على الذهب ومناجمه والعاملين على استخراجه . وكانوا يقيمون للمعبود الحارس محرابا أو معبدا صغيرا على ارض المنجم ويقيمون له التماثيل وصنعوا لكل من تلك المعبودات تمثالا من الذهب الخالص بالحجم الطبيعى

يحتفظ به فى المعبد الخاص بالاله ونموذج مصغر يضعونه فى محراب المنجم اثناء العمل .

ومن اقدم المعبودات التى اتخذوها حراسا على المناجم من قبل عصر الاسرات المعبود حورس الذى صور وهو يتوج رأسه بقرص الشمس « رع » واهب الذهب . الذى كلف المعبود حورس بحماية الصحراء الشرقية . وهو الذى ارشد المصريين الاول الى مواقع مناجم الذهب عندما سار بهم فى طريق وادى الحمامات .

ثم اتخذ المصريون المعبودة حتحور « سيدة الذهب والفيروز » لحماية مناجم الذهب والعاملين بها ابتداء من أواخر الدولة القديمة وكانوا يقيمون لها التماثيل وكانوا يحتفظون بتمائمها « ليعودوا سالمين بالذهب الوفير » .

واتخذت مناجم النوبة المعبودة ايزيس لحمايتهم وحماية مناجمهم وصنعوا لها تمثالا من الذهب الخالص وتمائم الحفظ التى تمثلها وهى تجلس على عرش الذهب وهو على شكل كلمة « نوبت » أى الذهب والذى اتخذت منه النوبة اسمها .

وفى اواخر العصر العتيق صنع ملوك الاهرامات تمثالا من الذهب الخالص للاله بتاح (اله الخلق والتكوين) حامى مناجم الذهب ورجال البعثات . ويقال ان الملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة هو الذى اختار المعبود بتاح ليكون حاميا لمناجم الذهب التى اكتشفتها بعثاته فى ارض نوبت .

● براعة الصانع المصرى ●

● برع الفراعنة ابتداء من الدولة القديمة فى صناعة الذهب وفاق الصانع المصرى كل وصف بما أبدعت يده فى صناعة الذهب وصياغته . وقد خلف ضمن ماخلف مناظرشتى تصور أعمال صناعة الذهب بما يعطى من صوره للأدوات التى استخدمها .

● الذهب بين الخلود والفناء ●

وصف احد حكماء الفراعنة الذهب بقوله « للذهب وجهان ، وجه الخير ووجه الشر ، فوجه الخير يعبر عن الخلود ووجه الشر ، يعبر عن الفناء » .

وجه الخير الذى تزدهر به الشعوب وتبلغ أوج حضارتها هو الوجه الذى بنت به مصر حضارتها الخالدة وبلغت به اوجها فيما اطلق عليه المؤرخون « العصور الذهبية » وهى العصور التى ارتبط فيها الذهب بالعقيدة وقدسوا التعامل به فى حياتهم .

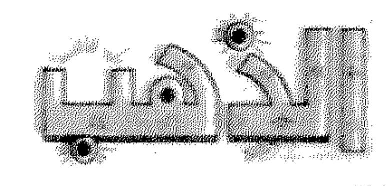
ووجه الشر الذى يجذب الغزاة والطامعين من الخارج ويفسد قلوب الطامعين فيه من الداخل فيرتدون بحضارتها الى ماوصفه التاريخ بعصور الاضمحلال .

فبالذهب سادت حضارات .. وبالذهب بادت حضارات .

لقد ورد ذكر ذهب مصر فى كثير من الكتب السماوية ووثائق المؤرخين القدماء التى وصفت ارض مصر بانها « منجم الذهب » الذى كان يجذب على الدوام انظار الغزاة والمغيرين والمغامرين . فذهب قارون وكنوزه الذى ورد ذكره فى التوراة والقرآن والكتب السماوية ، وصفه احد المؤرخين بأن قارون كان يحتفظ به فى قصر اللابرانت السحرى الذى شيده الملك امنحتب الثالث بالقرب من الفيوم وبحيرة قارون التى سميت باسمه ـ وكان



القناع الذهبي لتوت عنخ امون



القصر يحوى مئات الحجرات والقاعات والمخازن السرية - وقد تحول القصر خلال الدولة الحديثة الى خزائن لذهب الدولة في عهد رعمسيس الثانى الذى عين قارون نائبا للملك واميناً على خزائن الدولة فاحتفظ بأحد أجنحة القصر السحرية لحفظ كنوزه وذهبه المشهور - بينما

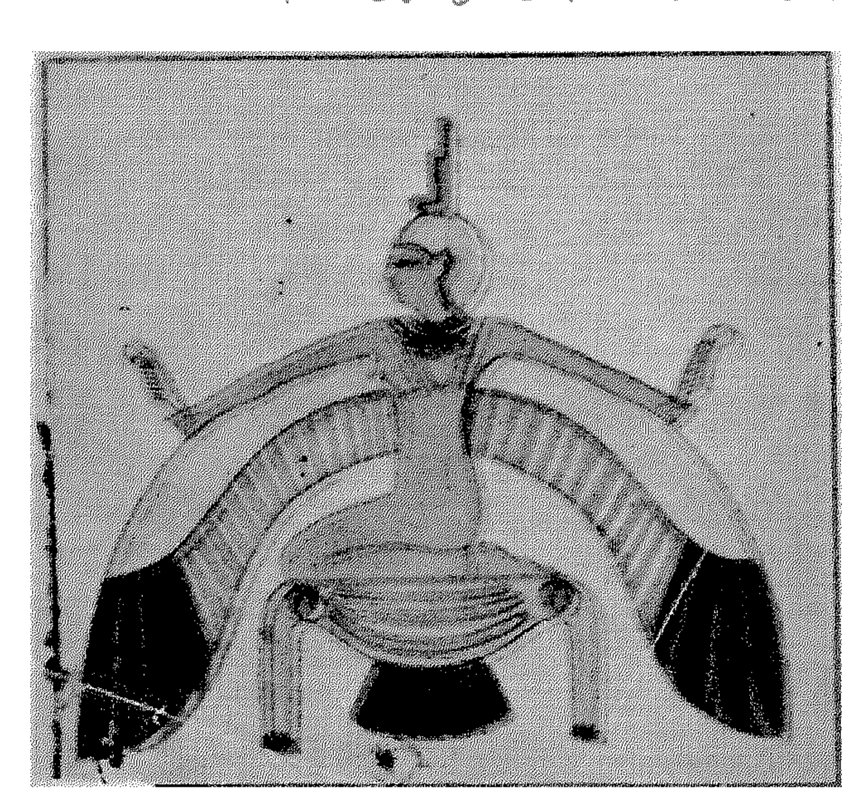
يضيف المؤرخ ايرمان ان خزائن قارون الحقيقية لم تكن فى قصر اللابرانت بل فى المبنى الذى يطلق عليه حاليا اسم « قصر الصاغة » بالقرب من بحيرة قارون وهو عبارة عن معبد يقع شمال البحيرة بالقرب من ديميه وهو معبد حجرى قديم يتميز بفناء طويل يحوى سبع كوات كبيرة كالمخازن كانت فى الاصل مغلقة بابواب متينة لاتزال محاور اعقابها ظاهرة حتى الآن .

كما وصفت بعض الاساطير ان قارون كان يخفى خزائن الذهب وكنوزه تحت قاع البحيرة داخل سراديب سرية تصلها بقصر اللابرانت .

● اليهود يسرقون الذهب ●

وقد ورد ذكر ذهب قارون فى اساطير الاسرائيليات خاصة وان قصة ذهب قارون عاصرت تاريخ خروج اليهود من مصر . وهى قصة الذهب الذى هربه اليهود من مصر عندما دبروا مؤامرة سرقته من مخازن الدولة وخزائنها التى كانوا يقومون بحراستها وحوانيت الصاغة التى كانوا يقومون بادارتها وجمع مصاغ المصريات بحجة استعارته للتزين به فى عيد الفصح الذى هربوا خلاله من مصر ولما اكتشف فرعون أمرهم ، جمع جيوشه وطاردهم بعد أن كان قد صرح لهم بمغادرة البلاد والخروج مع موسى الى ارض الميعاد . وهو الذهب الذى صنعوا منه «عجلا ذهبا له خوار» لعبادته او عبادة الذهب بدلا من إله موسى ، فنزلت عليهم لعنة السماء وتشردوا اربعين عاما فى صحراء التيه . وتفسر سنوات التيه الاربعون بانها المدة

ايزيس سيدة نوبت حامية كنوز الذهب وحارسه مناجمه . تجلس على عرش الذهب







التى قدرت لفناء جيل الذين كفروا بالاله بعبادة عجل الذهب ووصول جيل جديد الى لرض الميعاد يؤمن برسالة موسى ولم يشترك فى مؤامرة الكفر .

وتبرر تعاليم التوراه سرقة الذهب بقولهم «اذا انصرفتم فلا تنصرفوا وانتم فارغون بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها ذهبا وامتعة لتجعلوها على بنيكم وبناتكم وتسلبون المصـريين» ويطلها سفر الخروج بقوله لقوم اسرائيل «كل شيء لا تملكه هو وديعة عند غيرك . وكل الناس لصوص لأن كل ما يملكه الناس يجب ان يكون ملكا لليهود» .

وقصة قمبيز بن كورش ملك الفرس الذى قام بغزو مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد . توضح أمنيته فى الاستيلاء على ذهب مصر الذى تحدثت عنه اساطير الفرس وملوكهم الذين كانوا يستوردون الذهب من مصر لتدعيم ملكهم وزخرفة قصورهم . فعندما دخل قمبيز مصر توجه بجيشه الى مدينة اون «هيليوبوليس» لاعتقاده بأن خزائن ذهب مصر يتحفظ بها كهنة المعبد فى خزائنهم السرية ،، فما كان منه إلا أن هدم المعابد وحطم مسلات أون المشهورة ظنا منه انها شواهد تخفى تحتها مخازن الذهب . ثم اتجه قمبيز بجيوشه التى لاتقهر الى الصحراء الغربية عندما سمع من عرافيه بأن ذهب مصر محفوظ بخزائن معبد آمون الذى يحتفظ بتمثال زيوس آمون العملاق الذى صنع من الذهب الخالص والذى تحدث عنه مؤرخو الفرس والرومان . **فكانت نهاية** مطامعه بفناء جيشه الذى واجه غزو الرمال المتحركة وعواصفها التى دفنت جيشه واسراره فاختفى من الوجود وهو ما نسبه مؤرخو الفرعونيات الى «لعنة الفراعنة» .

● الطامعون فى الذهب ●

وتاتى غارات الليبيين على مصر فى عهد الملك مرنبتاح فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو فرعون موسى الذى طرد اليهود من مصر ثم اتجه الى الغرب لمحاربة الليبيين وقد اطلق عليهم اسم «جرذان الصحراء» لتسللهم عبر الصحراء ، وقيامهم بنهب ما تصل إليه ايديهم من خيرات البلاد وتهريب الذهب الى خارج الحدود وكانت معركة مرنبتاح المشهورة التى هزم فيها جيوشهم واسر ملكهم وزوجاته .

ويصف المؤرخ كليما تدرس كيف كبل مرنبتاح ملك الليبيين وزوجاته بسلاسل وقيود من الذهب واستعراضهم فى عيد النصر بمنف وهو مايفسر ماذكره احد مؤرخى الاغريق القدماء ان الفراعنة كانوا يقيدون عظماء اسراهم بسلاسل من الذهب الخالص الذى كانوا يطمعون فى الحصول عليه فى حملات غزوهم لأرض الذهب . وهناك كثير من البرديات التى تشير الى كميات ذهب مصر الذى كانت تصدره الى البلاد الاجنبية فى المعاملات التجارية سواء ماكان يصدر الى البلاد الاسيوية لاستيراد الاحجار الكريمة والخيول او الى فينقيا وشواطىء البحر الأبيض لاستيراد خشب الأرز اللازم لصناعة السفن واساطيلها الحربية أو

صناعة الاثاث والتوابيت او ما كان يصدر عبر البحر الأحمر الى بلاد بونت لاستيراد العاج والحيوانات والاشجار الاستوائية والعطور والبخور بجانب ما كان يرسل كهدايا لملوك البلاد الآسيوية وبلاد الاغريق والرومان .

وقد وجد ضمن برديات العمارنة رسالة يطلب فيها أحد الملوك الاسيويين الذهب من فرعون مصر بقوله «لاتنسى ان ترسل لى كميات الذهب من ارض مصر المقدسة التى كان يرسلها والدك الفرعون العظيم امنحتب الثانى» ومن الرسائل الطريفة التى يحتفظ بها المتحف البريطانى رسالة من احد ملوك بابل يطلب فيها من فرعون العظيم ان يسلم الذهب الى اخيه الذى ارسله شخصيا لمقابلة فرعون ويسمح له بمراجعة الاختام التى تدل على انه من الذهب الملكى الخالص ليحمله اليه بمعرفته لأن الذهب الذى وصله فى الرسالة السابقة لم تكن اختامه سليمة ولاتتفق درجة نقاوته مع الاختام التى تحملها .

وقد عرف عن المصريين انهم قسموا الذهب الى درجات تبعا لمستوى نقاوته واستعمالاته فى التداول والتعدين وتحمل كل درجة خاتما رسميا تدمغ به السبائك كما هو الحال الآن .

● أغنى بلاد العالم ●

لما كان قدماء المصريين قد عرفوا من اقدم العصور بالعمل الجدى فى أمور المعادن واسرار التعدين ـ كما تخصصوا فى الكيمياء التجريبية التى نسبها مؤرخو الاغريق والرومان الى اعمال السحر ، فقد شاعت الاقوال عن سر معرفتهم تحويل المعادن غير الثمينة الى الذهب وهو مايفسر وفرة وجود الذهب فى ارض الفراعنة الذى اصبحت مصر بفضله اغنى بلاد العالم القديم . وقد وصف احد الرحالة الاغريق أن كهنة الفراعنة يحولون تراب ارض مصر الى تبر باعمالهم السحرية .

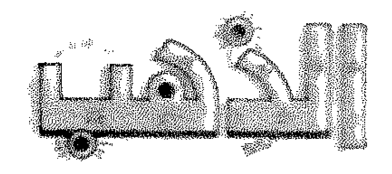
فلما انتشرت الاشاعة فى روما امر الامبراطور « دقليان » فى القرن الثالث باحراق كل كتب السحر والكيمياء الموجودة بخزائن مقدسات المعابد ومكتبة الاسكندرية المشهورة حتى لاينتشر المصريون سر صنع الذهب ظنا منه ان غزو الاسواق بالذهب المنتج بالسحر سيخلق المشاكل للرومان ويهدم إمبراطوريتهم الذهبية لما أصر على تسميتها ، ولكن محاولاته لم تكلل بالنجاح .

وعندما دمرت مكتبة الاسكندرية عام ٦٤٢ م بما كانت تحويه من نفائس الحكمة .. ارجع الفلاسفة الى هذا التدمير ضياع اسرار تحول المعادن الرخيصة الى الذهب .

ومنذ ذلك الوقت والكيميائيون فى عمل دءوب لاكتشاف «حجر الفلاسفة» وهو الاسم الذى اطلقوه على المادة التى ترجع إليها القدرة على التحويل المنشود والتى كان كهنة الفراعنة يحتفظون بأسرارها .

ويقول المؤرخ بلوتارخ الرومانى ان كهنة الفراعنة الذين وصفهم بأنهم علماء المعرفة المقدسة والخبراء بأسرارها هم أنفسهم الذين أطلقوا تلك الإشاعة ليشغلوا بها العالم القديم عن اسرار معرفتهم فى اكتشاف مواقع مناجم الذهب





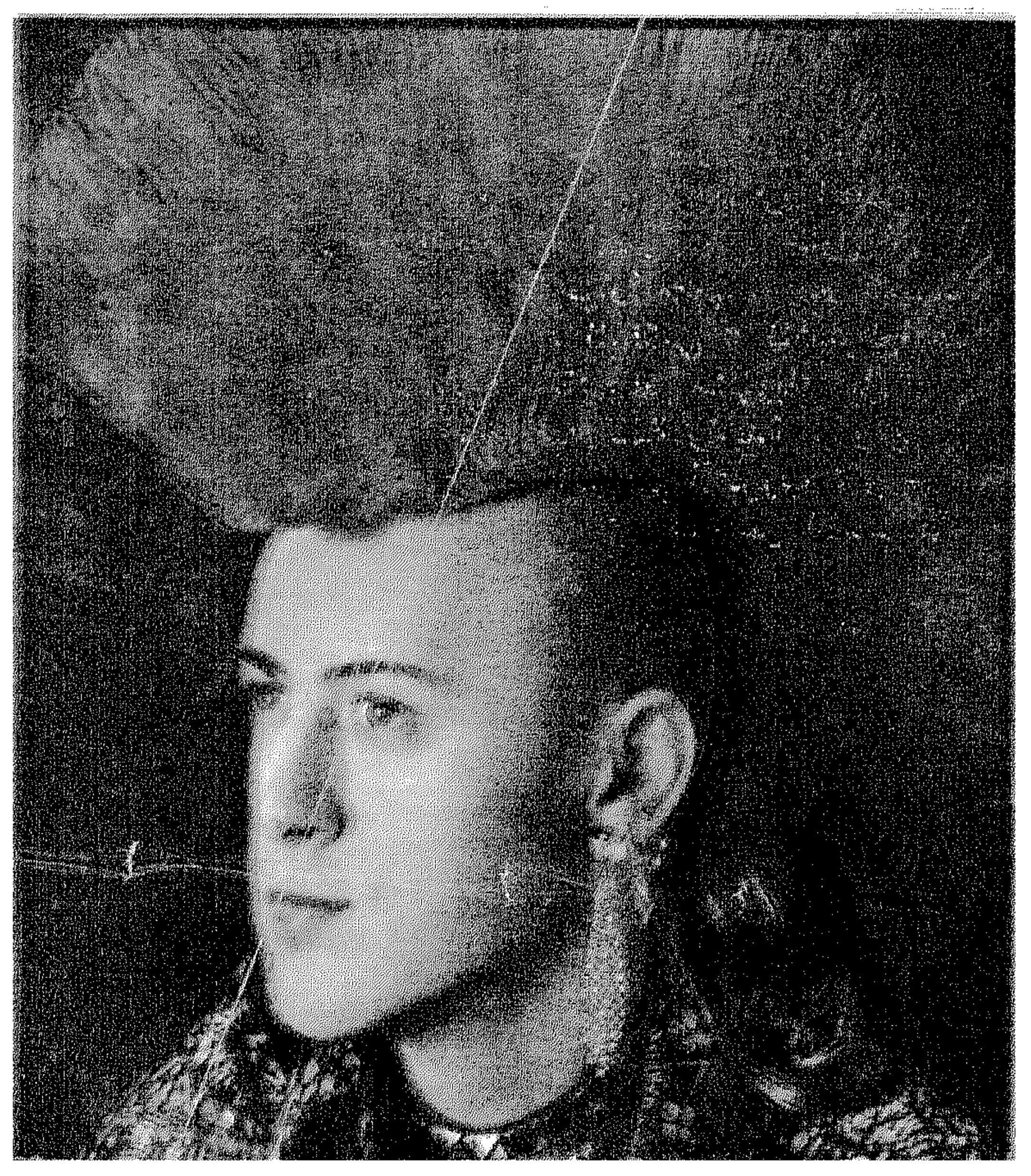
وطرق استخراجه واستخلاصه ووسائل معاملته وتصنيعه .. ذلك المعدن المقدس الذى ساهم فى بناء حضارة مصر واصبح بفضله اغنى بلاد العالم القديم فاطلق المؤرخون القدماء على حضارة مصر اسم « حضارة الذهب » .

رسالة لندن يكتبها
يوسف القعيد

الخراب الجميل

البانكس:

قبائل ما بعد الهيبيز



عندما يتحول راس الانسان الى صخب من الالوان والزركشات . ماذا يجعل هذا الراس من فكر اذن

البانكس:

●● كنا فى حى البيكاديللي الشهير ..

مسارح ودور سينما وعالم من الفن ومن اهل الفن ، وعندما شاهدنا جماعة او قبيلة من شباب البانكس ، يستمتعون بالفراغ اللذيذ والكسل الجميل. ذهب اليهم صديقي ورفيق رحلتي ودليلي فى لندن الواسعة الهادرة: حبيب طلعت .

قال لهم : انني ارغب فى التقاط صورة معهم . تقدم منه شخص يبدو انه زعيمهم . واشار باصبع واحدة وقال :

ــ جنيه واحد .

استفهم منه حبيب ، الشاب الذى حمل الشرق كله بداخله، وسافر لكى يقابل ذلك الغرب العجيب .

فرد عليه الشاب الغريب اللامح :

ــ جنيه واحد فقط .

ساله من جديد عن حكاية الجنيه .

فقال له الشاب ببساطة

ــ اجر الصورة .

ومجموعة الشباب الذين كانوا حوله استبشروا خيرا ، عند الحديث عن الجنيه ولكنهم غضبوا بصورة مفاجئة ، عندما شكرهم حبيب وانصرفنا معا .

ظلت اعينهم تطاردنا بنظرات نارية غاضبة حتى غبنا عن انظارهم فى حى البيكاديللى

كان الوقت هو لحظة الغروب، ولكنه ليس غروبنا نحن ، فهناك تهجم عليك الانوار ، خاصة فى هذا الحى . أضواء صاخبة زاعقة مثيرة للأعصاب مرتعشة وليست ثابتة . تصرخ فيك فى كل لحظة تمر .

● حديث باجر رمزى ●

وقبل ذلك حاول مجدى نصيف الصحفى المصرى الذى يحيا فى لندن بصورة مؤقتة من أجل العلاج ، والمحرر العلمى لمجلة « المصور » . حاول أن يجرى حوارا معهم . مع شباب « البانكس » فاشترطوا عليه أن يقدم لهم مشروبا، قبل أن يقولوا له كلمة واحدة . ومن جانبه قدر لهم المشروب ، ومن جانبهم تحدثوا معه عن انفسهم وعن حركتهم .

« والبانكس » كلمة جمع مفردها « بانك » وهى من كلمات اللغة الانجليزية التى تعنى شتيمة من الصعب اثباتها فى هذه الاوراق . ولذلك فهم لايطلقونها على انفسهم ، والاخرون لا يجهرون بالكلمة فى وجوههم وان كانوا يعرفون بهذه الكلمة فى انجلترا الآن .

وملابسهم دائما سوداء ، وهى

ملابس قديمة ومستعملة « ومقطعة » من أكثر من مكان وفيها «رقع» كثيرة .
وعلاوة على اللون الاسود . هناك الوان أخرى مثيرة .
والبنات منهم لا يضعن رقعا فى اماكن الخرق ، بل يتركن اجسادهن تطل منامكنة الرقع. والملابس سوداء كانها قطعة من الليل اللندنى ، تركها هنسا ومضى والاجساد بيضاء ، مثل الثلج الابيض المندوف . ولذلك تبدو الفتاة كرنفالا غريبا من الالوان المتنافرة .
وشباب الباتكس يحلقون شعر الرأس بالموس ويتركون بعض الشعيرات فى تشكيلات شاذة وغريبة والبعض منهم يرسم مكان الشعر الحليق رسومات غريبة . والفتاة تلون حاجبيها ورموش عينيها بلون احمر . ولكن الروج الذىتضعه على شفتيها لونه اسود وشعر الرأس لونه أحمر أو اخضر وهناك فتيات يطلقن على شعر الرأس الواحدة لونين : لونا اصفر والاخر اسود . واللونان يتداخلان بصورة غير عادية .. وفى آذانالشبان حلقان واقراط والكل، فتيان وفتيات، يلصقون نجوما على وجوههم وصدورهم. لدرجة أنه من الصعب تمييز الفتى من الفتاة .
و«الباتكس» قبائل أو جماعات جاءت فى زمن ما بعد الهيبز فى أوروبا. وان كانوا يختلفون عن الهيبز فى كل شيء تقريبا فالهيبز كانوا يرتدون الجينز . أما هؤلاء فملابسهم مستعملة وسوداء وقديمة و « مرقعة » . والهيبز كانت لهم فلسفة واضحة فى رفض المجتمع القائم ومحاولةهز كافة مسلماته الاساسية سواء فى مفهوم العائلة والمدرسة ومكان العمل وكذلك رفضمفهوم الدين السائد .
أما « الباتكس » فليست لديهم . اى فلسفة واضحة ، خاصة أو ليسواجزءا منفلسفة عامة . أنهم جماعة تقدسالبطالة وهم ليسوا من قوى اليساراو من قوى اليمين فى المجتمع البريطانى .
والثرثرة مع بعضهم هى الهواية والعمل والدور الاساسى لهم فى الحياة ، وهى ثرثرة لا تتناولاى موضوع محدد . وهم ضد جهاز الدولة القائمة . وضد مفهوم الاسرة دون أن يكون هناك اى بديل لذلك . ولهم الانفىانجلترا .. صحف ومطبوعات ومجلات وان كانت محدودة الانتشار .. وهم يستفيدون من ان الهيبز قد انقرضوا تماما . ولا يوجد منهن الان سوى البقايا فقط .
والمخدرات ليست هى السبب فى حالتهم هذه . فالمخدرات هى مشكلة كل شباب أوروبا الان .

البانك هو تعبير الفرد من البانكس ولانعرف في اي الامور نظر هذه الواقفة بمفردها على الرغم من انها جزء من حركة جماعيه

ماذا يجمع بينهما الان اكثر من هذا الجو الغريب وموسيقى الالوان النحاسية

البانكس:

سواء من الباتكس أو من غيرهم . والكل يعيش فى مجموعات ومن المستحيل أن تشاهد فردا منهم بدون الاخرين. ويحتفلون بيومى السبت والاحد من كل أسبوع ومعظم اعمارهم من سن ١٦ الى سن ٣٠ سنة .

ومن الصعب معرفة عددهم الان . فالحركة فى فترتها الاولى وهم يتجمعون فى قلب مدينة لندن بصورة مكثفة وفى بعض المدن الاخرى الكبيرة .

والناس تنظر لهم بدهشة وهم يعيشورن فى بيوت فقيرة يستولون عليها بالقوة . والفتى والفتاة ما ان يرتبط بقبائل الباتكس حتى ينفصل عن اسرته. وقد يستمر فى العمل . ولكنه يفصل من العمل بعد قليل وهناك الان قضية مرفوعة فى القضاء من شاب مفصول من عمله بسبب التحاقه بقبائل الباتكس ولم يفصل فى القضية بعد . ومعظمهم من خريجى الجامعات .

● دستور خاص ●

وقبائل الباتكس ليست مركزة الان فى الانجليز فقط . بل وصلت الى القوميات الاربعة التى تشكل سكان الجزيرة البريطانية سواء من الايرلنديين أوالويلزيين أو ابناء اسكتلندا. وهم يعيشون بدون زواج ومن يتزوج ينفصل من القبيلة فورا.

والباتكس ليسوا فرعا من قبائل الفجر . فالفجر موجودون فى احزمة لبؤس التى تحيط بالمدن البريطانية ولهم نظام حياة كامل يحكمه دستور خاص غير مكتوب وقد تخلصوا من الخيام القديمة وهم يتحركون الان فى سيارات « كرافان » خاصة بهم .

الحكومة البريطانية لم تأخذ موقفا من الباتكس حتى الان والاحزاب السياسية لم تهاجمهم وان كانت فيما يبدو ليست مستعدة للدفاع عنهم . فى حالة حدوث ازمة ما .

والمسألة كلها مازالت مرتبطة بفكرة الحرية . حرية الفرد المطلقة حتى لو تناقضت هذه الحرية مع العرف العام . ومع ذوق المجموع . وقبائل الباتكس من جانبهم ليسوا اعضاء فى اى حزب سياسى .

صحيح أن هناك رغبة فى الدفاع من حرية الفرد ولكن هناك شروطا تحكم ذلك . فلا يجب ان تؤذى حرية الفرد الاخرين . والا تتم على حساب حرية باقى المجتمع والا تخدش الديمقراطية. والذى يحدد كل هذا . ليس الملكة ولا رئيسة الوزراء . ولا الحكومة نفسها ولا الحزب الحاكم . . . ولكن المجتمع ككل . .

صورة أدبية

من الرواد

مفيد الشوباشى

بقلم: نعمان عاشور

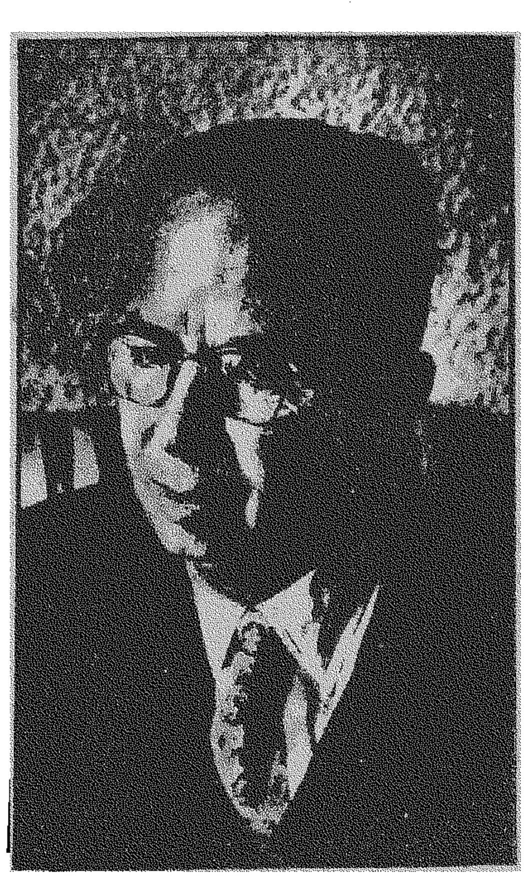
تعرفت على استاذنا مفيد الشوباشى فى لحظة من احرج لحظات حياتى فقد كنت مقدما للمحاكمة عن فقرة فى مقال كتبته فى مجلة الفجر الجديد . وكانت الفقرة متهافتة رأى فيها المحقق دعوة الى العنف والحض على كراهيــة الطبقات فى فترة من اعسر فترات نضالنا السياسى.. وكان هذا الاتهام موضع تندر المثقفين ايامها نظرا لما فيه من عنف بالغ وتاويل للمعنى لا تحتمله الالفاظ ذاتها .. وظلت القضية معلقة لمدة سنوات حتى فصل فيها بالبراءة بعد اعوام طويلة ..

كان ذلك عام ١٩٤٧ .. وكان من اكثر المتهكمين على هذه التهمة العجيبة الصديق المرحوم مصطفى كمال صادق .. وصادق ان كنت أزوره ذات مساء فاذا بى اجده يدعونى الى العشاء فى بيت خاله الاستاذ مفيد الشوباشى .. وكان البيت على بضع خطوات هكذا قابلت مفيد الشوباشى لاول مرة .. كنت أسمع عنه من ابن اخته ومن غيره من المثقفين على انه شاعر واديب اسكندرانى

« من الاسكندرية » ولم اكن اعلم انه انتقل وجاء يعيش في القاهرة بعد ان عين في وظيفة مدير الادارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم « المعارف ايامذاك » .. وطبيعي ان ينصب حديثنا على العشاء ويدور حول هذه الجملة والاتهام الموجه الى بشأنها ، ولان مفيد الشوباشي في الاصل محام فقد راح ينقب ويبحث ويراجع الوضع القانوني للاتهام .. واخذ الموضوع بجدية لم اكن اتوقعها مؤكدا انه يعتبر من اهم مايجب الدفاع عنه لان السكوت على مثل هذا الاتهام معناه القضاء على حرية الفكر بالنسبة لجميع الكتاب .

وشيئا فشيئا اكتشفت انمفيد

مفيد الشوباشي



الشوباشي اكثر من شاعر فهو اديب وباحث ودارس ومفكرواسع النظرة .. وهكذا بدأت خيوط الارتباط بيننا فكنا فى كل اسبوع نعقد ندوة منتظمة في بيته كانت تضم العديد من أهله ومعارفه الى جانب أصدقائه من الشعراء والكتاب . وتوثقت العلاقة بيننا فأصبحت علاقة شبه عائلية ، فقد كانت صداقتى للمرحوم مصطفى صادق عميقة جمعت فيها بيننا أواصر الفكر مثل أواصر الود . وفى هذه الندوةالمسائية الاسبوعية تعرفت على الاستاذ جميل الشوباشى شقيقه الاصغر وكان بدوره يميل الى الادب ولايشتغل به . بل أنه كان كثير السخرية منا جميعا ومن خيالاتنا الوهمية وكنت أوافقه على الكثير من سخرياته اللاذعة التي جمعت بيننا فى صداقة والفة متناهية واحيانا ما كان يفاجئنا فى حضور هذه الامسيات العديد من اصهار عائلة الشوباشى الدكتور زهير جرانه المحامى الكبير والوزير فيما بعد والنائب الوفدى الشاعر المرحوم عبد الحميد السنوسى وغيرهما ، وهنا يرتد بنا مفيد الشوباشى بدلا من النقاش الفكرى ليأخذنا الى ما يؤلفه من قصائد الشعر الجديدة يقرؤها فى حماس مصرا على أن يأخذ رأينا فيها ثم نتابع الامسيات ..

● صديق لأبنائه ●

كان اهم ما يميز بيت الشوباشى وبالذات مفيدالشوباشى نفسه العلاقة المتحررة السمحة القائمة بينه وبين أولاده . فقد كان يعاملهم وكأنهم أصدقاؤه بل أكثر من ذلك وكأنهم انداد لهم فى السن . ولهذا السمت تربيته لهم بما لايمكن أن يحظى به ابن

صفحة ادبية

من الرواد

من والده وهو ان يكون الوالـد بالنسبة له صديقه الاكبر. ولذلك كان يشركهم وهم مازالوا صبية او في المارح الاولى من شبابهم.

كان يشركهم معه ومعنا فى مثل هذه الجلسات الثقافية بنين وبنات ويسمح لهم بممارسته بل انه كان يتحمل تقدمهم لاشعاره التي يتلوها .. اذكر مرة ان قبله الصديق على الشوباشي ـ طرحه في بيت من قصيدة وقال انه يتمثل فيـه بتقاليد بالية واحتدم الخلاف .. ومفيد الشـوباشي يضرب كفا على كف ضاحـكا تحكته الميزة الصـادرة من اعماق قلبه دائما لان ابنه الذى « لم يقلع من البيضة » على حد تعبيره يتهمه بالجمود لانه استعمل صورة شاعرية مكررة فى الشعر العربى القديم ولا تتفق مع فكره المصرتى .. وعبثا حاول ان يقنع ابنه على فتشبث الابن بموقفه فى مواجهة والده .. وكأنه ليس والده وانما منافس يناجزه .. اذ لولا الطاقة التي جبل عليها والده وهى طاقة تأدب لا طاعة خوف لامسك مفيد الشـوباشي بخناقه .. من بعدها بدأت تتكشف لعيني صورة مضيئة عن هذا الرجل فى سماحة وسعة صدره ورحابة افقه واحترامه لاولاده وعقولهم واحترام اولاده بل وتبجيلهم » ..

على أن هناك نوعا من التناجز كان ينشأ كثيرا بين مفيد وشقيقه جميل فقد كان الاخير دائم السخرية من كثرة تفاخرنا ومن الاشعار الحماسية التي يطلقها علينا شقيقه فى كل جلسة ولا نسفر عن شيء .. اذ كان يرى اننا وشقيقه مفيد جماعة من المثقفين الفارغين لا نصلح الا للمناقشات العقيمة .. نتحدث من الاصلاح فى اشعارنا ومقالاتنا التى لا تقرؤها الا انفسنا بانفسنا .. ذات ليلة قرأ مفيد الشوباشي قصيدة من الشعر تحمل هذا المعنى .. فهو يلوم نفسه فيها لانه يتقاعس عن الكفاح وقد ختمها بشطرة اخيرة مرددا .. « انزلوني فى الصباح انزلوني للكفاح » ..

وهنا علق جميل الشوباشي ساخرا .. « طب وما تنزل يااخى .. حد حايشك » فانطلقت ضحكاتنا جميعا لهذا التعليق .. وقال مفيد بعد ان خفت حدة الضحك .. « انتوا مش مصدقين .. بكره تشوفوا » .. كان كل ما يعوقه حتى الان انه مقيد بالوظيفة وفى نهاية هذا العام بالذات عام ١٩٤٨ على حد ما تعى الذاكرة انطلق مفيد الشوباشي ليحقق رغبته الكامنه فى ان ينزل الى معترك الحياة الادبية . وبدأ يهاجم كتاب الابراج العاجية وشعراء العزلة .. وفى هذه الفترة ازداد اهتمامه بدراسة الاقتصاد والسياسة فراح يقتنى الكتب ويقرأ كل ما تقع عليه يده من المذاهب الاشتراكية وبالذات فى نظرتها الى الادب والفن وفى مضامينها الفكرية المطلقة . وكانت حصيلة ذلك كتابه المعروف الذى اصدره فيما بعد « الادب ومذاهبه من الكلاسيكية الى الواقعية » .

● ندوة عائلية ●

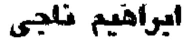
امتدت جلساتنا الاسبوعية





زكريا الحجاوى





ابراهيم ناجى

المسائية فى بيت الشوباشى لاكثر من عامين كانت اشبه بندوة من تلك الندوات التى يتكاثر وجودها فى القاهرة فى تلــك الايام .
« طوال الاربعينيات » ولكنها كانت ندوة خاصة او على الاصح ندوة عائلية .. يحضرها الاصدقاء المقربون من مفيد واهله .. ذات ليلة اصطحبت اليها معى من ندوة « عبد الله » الشهيرة بالجيــزة الصديق زكريا الحجاوى رحمه الله .. وكان ذلك بناء على طلب مفيد نفسه الا انه كان قد قرا له بعض قصصه فى جريدة المصرى واعجبته . وسارع « ابو الزيك » ليتقبل تهانى مفيد الشوباشى وراح يشكو لنا الصعوبات التى يلاقيها فى سبيل نشر قصصه . وكنــا كلنا فى نفس الموقف .. نكتب كثيرا ولا نكاد ننشر شيئا ممــا نكتبه .. وفجاة قال زكريا فى شبه تنديد بشخصى .. « طب وانت بتشتكى ليه .. ما انت بتنشر كل اسبوع فى « الميزان » وكانت الميزان مجلة يصــــدرها

النادى النوبى بعابدين وتصدر متقطعة ويحررها صـــديق نوبى وكان يستعين بى فى الكتابة فيها . واهتم مفيد الشوباشى بهــذا الموضوع ولم تنته الليلة الا وقد اتفقنا على ان نحاول استئجــار هذه المجلة من النادى النــوبى لتصدرها بانتظام بمعرفتنا ..وفى اليوم التالى وكانت المجلة بالفعل على وشك الاغلاق قصدنا النادى النوبى وكان بيننا مفيد الشوباشى وعباس صالح والحجاوى وغيرهم وعرضنا على اعضاء النــــادى مشروعنا . نتعهد بدفع مبــلغ شهرى للنادى ونستقل بتحرير المجلة واصدارها ويشرف عليها الاستاذ مفيد الذى كان شرطــه الوحيد تغيير الاسم .. وفى اول الامر لم يقبل اعضــاء النــادى خوفا من ان ينتهــى الوضــع باستيلائنا على المجلة .. ولكننــا اثلجنا فى طمانتهم .. سنبقى على اسم « الميزان » فوق غــلاف المجلة بخط صغير ثم نرســـم للمجلة غلافا جديدا باسم جديد

صورة أدبية

من الرواد

.. كان الاستاذ مفيد قد اختاره الفعل وهو « الاديب المصرى ».

● ولع بالادب ●

وهكذا صدر العدد الاول من « الاديب المصرى » بعد أسبوعين من الاتفاق وتحمل الشوباشى الجزء الاكبر من المصاريف وهو ايجار المجلة الشهرى وقدره عشرون جنيهاالدفع لخزينةالنادى النوبى . وثلاثون جنيها يدفعها لتكاليف العدد الاسبوعى .. اى نحو ١٢٠ جنيها فى الشهر .. مبلغ كبير بعملة تلك الايام سيعادل حاليا فى قيمته ما قد يزيد على ١٥٠٠ جنيه .. وكان مفيد رحمه الله شديد الحماس لهذا المشروع وعلى استعداد لتقديم اى تضحية فى سبيل تحقيقه .. ولهذا اخذ على عاتقه دفع هذا المبلغ بينما قسمت بقية التكاليف على اعضاء التحرير. كل يساهم على قدر طاقته ولا اقل من ثلاثة جنيهات .. واتفقنا مع مطبعة مجاورة وكنا نظل ساهرين حتى الصباح نساعد فى جمع ومراجعة البروفات لتصدر المجلة فى موعدها .. وظلت المجلة تصدر قرابة عام تقريبا .. أحد عشر شهرا ..وننشر فيهامختلف الموضوعات اسبوعيا .. ما بين قصص قصيرة وقصائد شعر وبحوث ودراسات فكرية وفلسفية ومقالات فى النقد .. هذا عدا الافتتاحية الصارخة التى كان يكتبها مفيد الشوباشى ـ مهاجمة الادب الرسمى السائد داعية الى ضرورة احلال ادب متحرر حديث محله .. ومن اجل ذلك صفها العقاد « المجلة الهوجاء »

وبعد ثلاثة او اربعة اعداد بدات المجلة تاخذ مكانها كمجلة ثقافية واضحة الاتجاه وموحدة الفكر .. وكان الكل يسعى الى الكتابة فيها ..كافة الكتاب والنقادوالادباء الجدد بل والقدامى ايضا اذكر منهم مصطفى السحرتى رحمه الله وعلى الراعى وعباس صالح والعديد من الزهور المتفتحة ايامذاك .. لكننا فوجئنا فى الشهر التالى للصدور بزيادة التكاليف وانه لا يعقل ان يظل الحمل كله واقعا على اكتاف مفيد الشوباشى .. وابتكرنا وسيلة .. كل من يكتب فى المجلة لابد وان يدفع اشتراك عضوية قدره خمسة جنيهات ثم اصدرنا دفاتر تبرعات كنا نحملها من معارفنا ومنهم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى الذىدفع اشتراكا عشرة جنيهات وظل يدفع بانتظام خمسة جنيهات شهريا .. وكل ذلك لاننا نشرنا له اكثر من قصيدة وكان طبيعيا ان تقنع الاستاذ مفيد الشوباشى بالاكتفاء بدفع ايجار المجلة لا تكاليفها الاسبوعية ولكنه صمم على دفع خمسينجنيها وتعهد بسداد اى عجز مالى يواجهها ..

● مزار ثقافى ●

هكذا نزل مفيد الشوباشى الى ميدان الكفاح عملا بقصيدته .. وكان فرحا ايامها ممتزا بكل تضحية يقدمها وبكل جهد يبذله لدرجة انه اقسم ايامها وكان على

مشارف الستين انه يشعر بانه عاد شابا في الثلاثين من عمره . ولا داعي الى القول باننا اضطررنا لإغلاق المجلة في نهاية الامر بسبب العجز عن متابعة تغطية تكاليفها .. وعدنا الى الندوة المسائية في بيت الشوباشي من جديد .. وعاد هو للاهتمام بجمع قصائده في اكثر من ديوان شعر ثم اصدر روايته «الخيط الابيض» ورواية أخرى شعرية عن «حرب البسوس» محللا مدلولها كحرب سياسية .. ثم انساب كل منا في طريقه وان ظل بيت الشوباشي مزارا ثقافيا تتردد عليه جميعا من حين لآخر للقاء الاستاذ مفيد . .

ولما قامت الثورة كان مفيد اكثر الناس حماسا رغم تحفظه الدائم بالنسبة لطابعها العسكري والحق انه كان صاحب متناقضات كثيرة .. فهو رجل عاطفي « يندلق بـرمة » كما كان يصفه الحجاوي ولكنه كان شديد الذكاء .. صبور وحريص على عكس ما يبدو عليه من للقائية واندفاع .. وكـان صاحب عقلية متفتحة ولكنه احيانا ما يتشبث بمواقف جامدة تدعو الى الاستغراب .. وكان شديد الاعتداد بكرامته ويحمل في داخليته قوة معنوية ضخمة ركيزتها التفاؤل الدائم مهما صادف من عقبات .. ولعل هذه القوة وهذا التفاؤل الدائم الى جانب الصبر والمثابرة وصلابة العزم والحب الجارف للحياة والتمسك بها هي ما حفظ عليه كيانه وجعله يعيش شيخوخته التي امتدت قرابة ربع قرن وهو في شبه عزلة عن الناس بسبب المرض دون أن تتأثر معنوياته او يهتز تفاؤله .. ذلك انه كان شديد التعلق بالمستقبل .

اذكر انني لقيته من سنوات غير قليلة فنظر في وجهي مستغربا .. « انت عجزت كده ليه !! دا انت بقيت اكبر مني » وتركته وانا اهز رأسي معجبا به ... لقد كان مفيد الشوباشي يعيش شبابه في شيخوخته .

● الاعـرج و الاعـور ●

● كان تيمور لنك أعرج ، فلما انتصر في معركة "انسير" على سلطان الاتراك الأعور وأسره ، مثل بين يديه ، فلما شاهده استولت عليه نوبة ضحك شديدة ، فوبخه السلطان على استخفافه واهانته ، فأجابه تيمور : انني لا أهزأ بلقائك ، ولكنني لم أتمالك نفسي من الضحك ، عندما فكرت كيف يمسك زمام الممالك رجل أعرج مثلي ورجل أعور مثلك ؟!

وبألف ألف نرزق الأموات

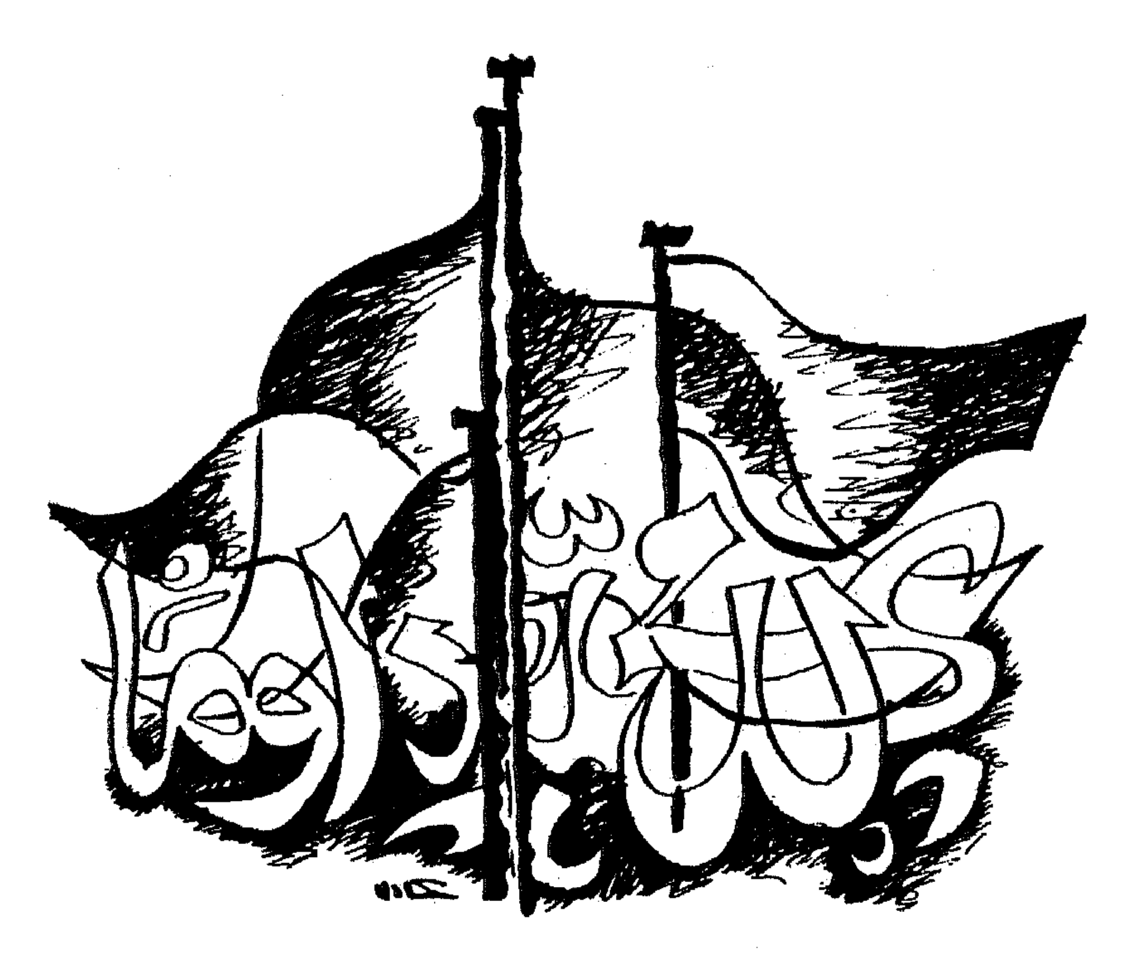
بقلم : محمد سيد كيلاني

قال الغزالي في كتابه «الدرة الفاخرة» ما نصه اعتبروا بعيسى المسيح عليه السلام فقد قيل عنه انه كان لايملك الا ثوبا واحدا لبسه عشرين سنة . ولم يلازمه في كل سياحاته الاكوزا ومسبحة ومشطا . وذات يوم راى رجلا يشرب من نهر بحفنتيه فطرح الكوز . ثم راى رجلا يمشط لحيته باصابعه فطرح المشط . وكان يقول دائما « حصاني قدماي وبيوتي مغائر الارض وطعامي خضرتها ، وشرابي من ماء انهارها ، ومقري بين بني آدم»

لقد جهل الغزالي او تجاهل ان الاسلام دين عمل وجهاد ، وانه يأمر بالاستحمام والاغتسال .. وهل من النظافة أن يرتدي الانسان ثوبا لمدة عشرين سنة دون ان يغسله ! ولو ان الناس اتبعوا ما ينادي به الغزالي كما صوره لاضحت الارض خرابا ولهلك الحرث والنسل وانقرض الجنس البشري من الوجود

وقد تناول الصوفية شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فذكروا أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه» ويربط حجرا على بطنه ليخفف عنه آلام الجوع التي تمزقه من نقصه ، وأن جبال الذهب دعته ليأخذ منها ما يشاء فأبي كل الاباء . ومن المعروف ان هذه الصورة غير صحيحة . ولو صحت لكان الرسول مخالفا لامر ربه لأنه عرض نفسه الى التهلكة ، والله ينهى عن ذلك .

ولقد كانت اراء الغزالي وبالا على المجتمعات الاسلامية ، لانه هون من شأن العقل وحط من قيمة التفكير جاهلا او متجاهلا أن التفكير فريضة اسلامية وأن القرآن يدعو في آيات كثيرة الى اعمال العقل والنظر في الكون . وكان احمد البدوي في مصر يدعو الى التشبه بعيسى المسيح كما صوره الغزالي . قيل عنه



انه كان يلبس الملابس فلا يخلعها حتى تبلى ومن الطبيعى ان تمتلىء ملابسه بالقمل والبراغيث وتفوح منه الروائح الكريهة ، وهكذا يكون قد ابتعد احمد البدوى عن روح الاسلام ، وقد اضرت الدعوة الى الزهد والاعراض عن الدنيا بالشعوب الاسلامية ضررا بليغا وانزلتها دار الذل والهوان ، وكستها لباس الجوع والعدم والخوف ، ونشرت بين المسلمين داء الكسل

وبعد انتهاء الخلافة الفاطمية من مصر وزوال الخلافة العباسية من بغداد راى ملوك الدولة الايوبية ومن بعدهم الدولة المملوكية لاسباب سياسية ان يشجعوا التصوف بانشاء التكايا ورصد الاوقاف لها مما نكثر دخول الناس فى الطرق الصوفية . ورأينا نتيجة ظهور كبار المتصوفة امثال ابى الحسن الشاذلى المتوفى بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦ هـ وعبد الرحيم القنائى المتوفى بقنا سنة ٦٥٢ هـ ، وأحمد البدوى المتوفى بطنطا سنة ٦٧٥ هـ وابراهيم الدسوقى المتوفى بدسوق سنة ٦٧٦ وابو الحجاج الاقصرى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ، وعبد الغفار القوصى المتوفى سنة ٦٧٠هـ وابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢ وابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ■

● احتقار العقل ●

وهكذا اصبحت الشعوب الاسلامية لا تعرف سوى المسابح واللحى والرقص فى حلقات الذكر .. وتقهقر دور المفكرين والفقهاء وأصبحت السيادة لرجال

وبألف ألف نرزق الأموات

التصوف الذين تطرفوا فى احتقار العقل وفضلوا عليه الجنون ، لان الجنون فى زعمهم يوصل الى معرفة الـذات الالهية اكثر مما يوصل العقل . وقد افتخر ابن عربى فى مقدمة كتابه « الفتوحات المكية » بانه اصيب بالجنون وانه لما دخل مكة راى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام جالسا على سرير تحف به الملائكة . وتلقى الامر منه بان يبحث فى الاسرار الربانية . وكان الصوفية او المجاذيب حينما يعقدون حلقات الذكر يدعون انهم غابوا عن الوعى ، فيصرخون ويتجردون من ثيابهم ويهيمون على وجوههم وهم عراة . وكان الناس يحتملون سخافاتهم اعتقادا منهم ان هؤلاء العراة اصحاب كرامات لايجوز ان ينتقدهم احد او يعترض عليهم فى افعالهم معترض .

لقد ولى عصر الظلام الذى كانت تجوز فيه مخاريق ابن الفارض وابن عربى وامثالهما ولو فرض وبعث اليوم ابن الفارض ؟ هل يكون فى مقدوره ان يتجرد من ثيابه ويخرج صارخا فى الشارع !

وقد لعب الغزالى وابن عربى دورا عظيما فى نشر الهوس الدينى الذى يتمثل فى ادعية طويلة يرددها الانسان فى شتى المناسبات حين يخرج من بيته وحين يقترب من المسجد ، وحين يدخل للصلاة وحين يغادر المسجد ، علاوة على الثواب العظيم الذى يلقاه من يصلى على النبى بعدد الحصى والرمال ، أو بعدد ذرات الماء والهواء والتراب ، أو بعدد انفاس ما خلق الله من البشر والحيوان والطيور من يوم بدء الدنيا الى يوم القيامة ، الى جانب وضع الفضائل لبعض الشهور ، وخاصة شهرى رجب وشعبان . وهكذا لم يبق للمسلم وقت للتفكير فى امور معاشه ؛ لان وقته كله موزع بين الصلاة والصيام وذكر الله والصلاة على رسوله . ومن الهوس الدينى قول الامام فى الصلاة « ال ال ال الله اكبر »

قال الحافظ الذهبى فى كتابه « ميزان الاعتدال » ما نصه « عمر بن على المعروف بابن الفارض ينعق بالاتحاد الصريح فى شعره ، وهذه بلية عظيمة فتدبر ولا تستعجل ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم الا زى الصوفية واشارات مجملة وتحت الزى فلسفة وافاعى ، فقد نصحتك والله الموفق » .

والقول بالاتحاد يعنى اتحاد اللاهوت بالناسوت . والحلول أى أن الله يحل فى المخلوقات وكل هذا غريب عن الاسلام وهذا هو السر فى اهتمام المستشرقين بدراسة تصوف ابن الفارض وابن عربى وغيرهما ممن ذهبوا مذهبهما .

● تغير صورة الصوفى ●

ولما احتل العثمانيون مصر راوا ان يكسبوا الى جانبهم شيوخ السادة البكرية فمنحوا كبيرهم اقطاعا فى ناحية الخانكة يستغله لحسابه مع اعفائه من الضرائب ، وجعلوه ناظرا على اوقاف الاضرحة والمساجد . فاستطاع محمود البكرى الكبير المتوفى سنة ٩٩٢هـ ان يعيش — كما ذكر الشعرانى — عيشة الملوك فى مسكنه ومأكله وملبسه ومركبه وجواريه وعبيده .

وكان الناس ينكرون عليه الجمع بين الغنى وحياة التصوف التى الفوها من زمن بعيد والتى ظل يتابعها راسخا فى الاذهان وهى حياة الزهد والتقشف والبعد عن زخارف الدنيا والعزلة ولبس المرقعات ، ولكن البكريين لم يروا تناقضا بين الغنى والتصوف واحتجوا بقوله تعالى — قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق — وبقوله صلى الله عليه وسلم « كل طيبا والبس طيبا واعمل صالحا »

وهكذا تغيرت صورة الصوفى واصبح التهالك على حطام الدنيا وزخرفها هو

السمة الغالبة على رجال الطرق الصوفية الذين اتخذوا التصوف والدروشة وسيلة لمكسب الحرام ، فكانوا ينتقلون من مدينة الى اخرى ومن قرية الى قرية يقيمون الحضرات ويعطون العهود والمواثيق فيضطر هؤلاء الى اقامة الولائم للمشايخ وتقديم الهدايا لهم من سمن وزبد وجبن وحبوب والغنام وفواكه ليجمع المشايخ مقادير كبيرة من هذه الاشياء ، وبذلك يعيشون عالة على المجتمع ويستحلون اموال الفلاح الفقير المسكين وقد عرض الشعرانى لهؤلاء المحتالين فى بعض كتبه

● طراز فريد ●

وفي العصر الحديث كان الشيخ عبد الرحيم مصطفى الدمرداش شيخ الطريقة الدمرداشية يمثل طرازا فريدا بين رجال الطرق الصوفية فقد سافر الى أوربا مرارا . وساح فى بلاد الشام وكان يجيد اللغة الانجليزية ، وكان شديد الايمان بالحضارة العربية ، ينزل فى أفخم الفنادق ويرفل فى الترف والنعيم ، وله اصدقاء كثيرون من كبار الانجليز يتبادل معهم الرسائل من حين الى حين

ولد جده الاكبر محمد الدمرداش فى توريز من بلاد العجم حوالى سنة ٨٥٨ هـ ولما بلغ السادسة عشرة من عمره اختطفه بعض تجار الرقيق وحملوه الى مصر وباعوه للسلطان قايتباى لضمه الى مماليكه . ودمرداش اسم معرب عن الفارسية وأصله « دميرطاش » ومعناه الث جديد واليه تنسب جهة المحمدى بالعباسية

وقد قيل عن الشيخ عبد الرحيم « انه حاز من الوجاهة اسماها ، ومن المراتب اعلاها وارقاها ، فاختير عضوا فى مجلس شورى القوانين ، ثم عضوا فى الجمعية العمومية . وكان اول المطالبين باصلاح الاوقاف . وقد انعم عليه السلطان حسين كامل برتبة الميرميران الرفيعة الشان لقب بصاحب الفضيلة والارشاد . وكان الشيخ عبد الرحيم من اكبر اغنياء مصر ، حاز الارض الواسعة فى العباسية وبنى العمارات الشامخة . وقد تبرع بمائة الف جنيه فى وقت الازمة المالية الطاحنة لعمل من اعمال البر . فبنى بهما المستشفى الذى يحمل اسمه والذى دفن فيه .

وكان الشيخ عبد الرحيم يرى أن راحة المصريين فى مصادقة الانجليز . وبعد هزيمة الجيش المصرى فى وقعة التل الكبير ودخول الانجليز العاصمة اعد الشيخ سيفا مرصعا بالجواهر واهداه الى الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال . ولما نقل الجنرال مكسويل قائد جيش الاحتلال من مصر فى مارس ١٩١٦ اقيمت له حفلة وداع خطب فيها الشيخ عبد الرحيم فقال : « ليس هذا الجمع الكبير المحتشد حولك فى هذا المكان هو وحده المحتفل بك ، بل الامة المصرية كلها من بلاد خط الاستواء الى الاسكندرية ومن السلوم الى العريش وجميع من تظلهم سماء مصر يقدمون لك احتراماتهم ويودعونك من صميم افئدتهم ويبدون الاسف الشديد لفراقك ، ويطلبون من الله ان يجعل ايامك كلها سعيدة مقرونة بالنجاح والفلاح » .

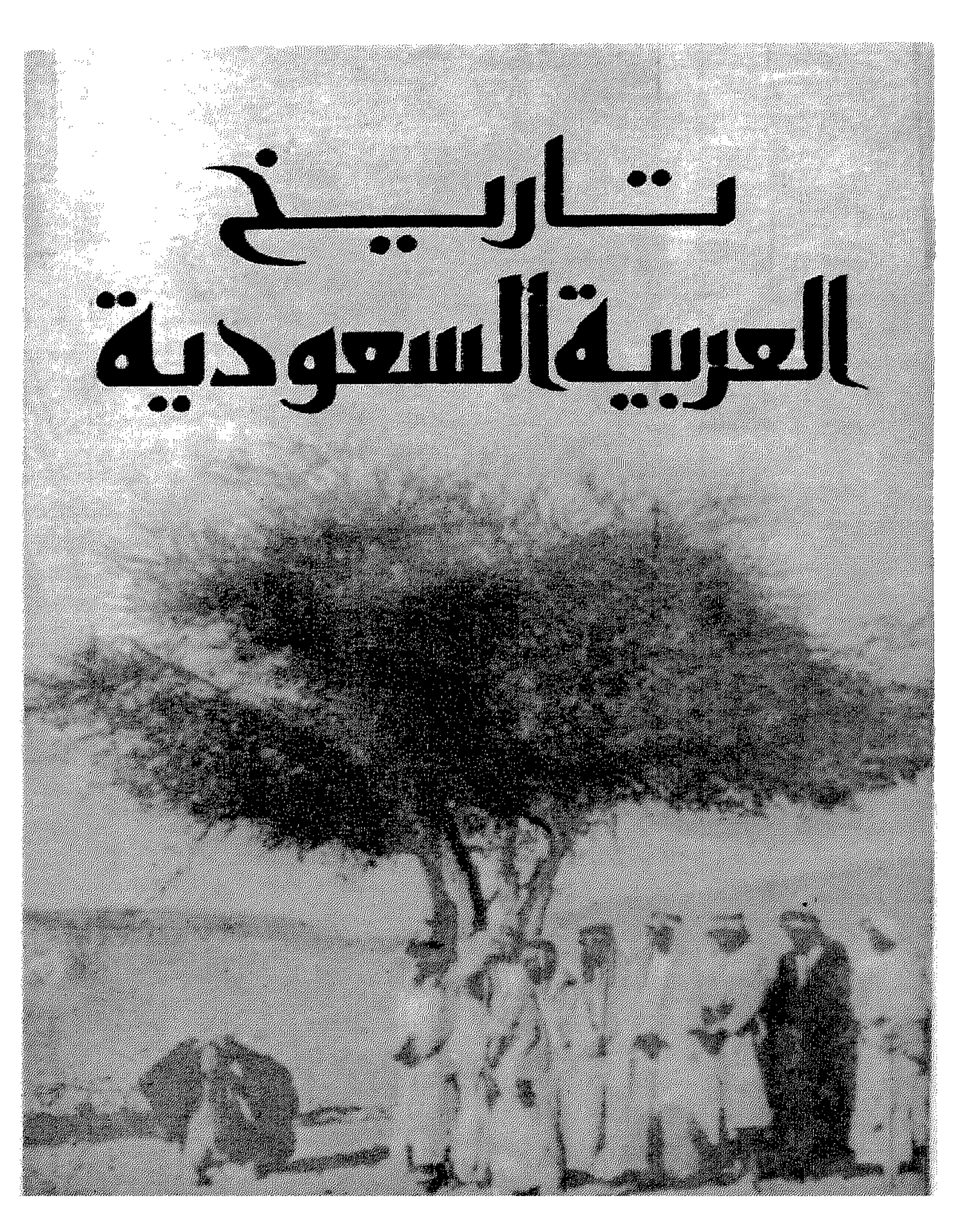
توفى الشيخ عبد الرحيم فى فبراير سنة ١٩٣٠ وكان فى منتصف العقد التاسع من عمره ، وقد رثاه الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى شيخ الطريقة التفتازانية فكان مما قاله « اقسم بالله ولدى شهود أن الدمرداش كان من الذين يقومون الثلث الاخير من الليل ويحيونه بورد السحر . واقسم لقد كان محافظا على صلواته وللطريقة الدمرداشية اوقاف كان ريعها فى الثلاثينات اربعة الاف جنيه .

●● اذا كان التصوف يهذب الاخلاق ويقوم السلوك ويدعو الى التحلى بالفضائل فاهلا به ومرحبا . اما اذا كان الغرض منه تزكية وترويج الاراء التى تتنافى مع الدين الاسلامى كآراء ابن الفارض وابن عربى فلا أهلا به ولا مرحبا . ان المجتمع الاسلامى يحتاج الى امثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبى عبيدة بن الجراح ، لا الى ابن الفارض وابن عربى وغيرهما من الضالين ..

كتاب الشهر

تاريخ العربية السعودية
تأليف : البرفيسور الكسي فاسيليف
الناشر : دار التقدم - موسكو

عرض وتحليل : جمال الغيطاني



● .. يعتبر هذا الكتاب من أهم ما صدر عن المملكة العربية السعودية ، ليس فى المكتبة الروسية فقط ، وإنما فى العالم ، خلال السنوات الأخيرة ، المؤلف ، البروفيسور فاسيليف ، واحد من أكبر المستعربين الروس ، عمل فى جمع مادة الكتاب حوالى عشرين عاما ، قضى معظمها فى مصر واليمن وبعض بلدان الشرق الاوسط كمراسل لجريدة البرافدا ، وتأتى اهمية الكتاب من عوامل عديدة ، اهمها انه الكتاب الوحيد تقريبا الذى يتناول تاريخ السعودية منذ بدء الدعوة الوهابية ، وقيام الدولة السعودية الأولى ، وحتى نهاية السبعينيات ، وكذلك تحليل الوضع الاجتماعى فى شبه الجزيرة ، والاعتماد على مراجع غير مطروقة من قبل ، ولكى نتخيل حجم الجهد المبذول فى اعداد المؤلف ، فان المراجع تعدت الالفى مرجع ، وفى لغات مختلفة ●

فى الاتحاد السوفيتى بدأ الاهتمام بالسعودية ، وخلال السنوات الاخيرة ظهرت عشرات من الكتب والكراريس والمقالات ، ولكن لم يكن هناك مؤلف شامل يحيط بمجمل تاريخ الدولة السعودية الى ان جاء كتاب فاسيليف هذا .

● توازن القوى ●

ومنذ عهد الرسول ، وحتى ظهور الوهابية لم تشهد الجزيرة العربية السلطة الموحدة والاستقرار ، وطوال القرون ظلت مجزأة الى دويلات ، واحات صغيرة او اتحادات لتلك الدويلات ، وكان التشتت الاقتصادى للواحات والقبائل التى هى وحدات اقتصادية مستقلة ، ومما اعاق التوحيد الفوارق القبلية والمحلية بين سكان الجزيرة ولهجاتهم وتنوع المذاهب الدينية ، وكان شيوخ القبائل مصلحة فى توسيع حدود سلطتهم ، وكان ذلك يتصادم مع مصالح جيرانهم ، وفى أوائل القرن الثامن عشر كان الوضع يتميز بتوازن القوى بين الخصوم الرئيسيين ، وفى العقد الثانى صار مؤسس الدولة السعودية سعود بين محمد بن مقدم أميرا لواحة الدرعية ، وهذا أول ظهور للعائلة ، ويعتبر بعض السعوديين أنفسهم من قبيلة بنى حنيفة ، بينما يعود بعضهم الآخر بنسبهم الى عنيزة اكبر قبيلة فى وسط وشمال الجزيرة ، لم يدم عهد سعود ، فقد توفى فى يونيو ١٧٢٥ ، قبل وفاته بحوالى ثلاثة وعشرين عاما كان قد ولد طفل قدر له ان يلعب دورا تاريخيا هاما فيما بعد ، اذ ولد عام ١٧٠٣ مؤسس التيار الدينى والاجتماعى والسياسى المعروف بالوهابية ، وكان والده عبدالوهاب بن سليمان قاضيا شرعيا فى بلدة العيينة وكان هو المعلم الاول لابنه محمد الذى كشف عن مواهب كبيرة منذ طفولته حتى انه حفظ القرآن وهو فى العاشرة وحج فى الثانية عشرة من عمره .



ويستعرض الكتاب ملامح الحياة الروحية في وسط الجزيرة ، ويلاحظ انتشار المذهب الحنبلي في واحات نجد ، ويقول ان وسط الجزيرة المعزول بحكم عدد من العوامل عن المناطق الاخرى الاكثر تطورا في الشرق الاوسط ، لم يبتعد كثيرا عن مستوى النظام الاجتماعي الذي كان قد بلغه الحجاز في فجر الاسلام ، ولما كانت الحنبلية تعترف من حيث المبدأ بفجر الاسلام فقط ، فقد كانت على العموم تستجيب لحاجات مجتمع وسط الجزيرة في القرن الثامن عشر ، وتشير كتابات الرحالة الاوروبيين (فولني - بور كهارديت - بلغريف) الى موقف البدو اللامبالي من الفرائض الاسلامية ، والى ضعف شعورهم الديني ، من هنا بدأ محمد بن عبدالوهاب يفكر في ضرورة العودة الى الاصول الاولى للاسلام ، وكانت اهم فكرة تدور في ذهنه ، التوحيد ، فلا يجوز اللجوء الا لوجه الله ، ولا يجوز طلب المعونة الا من عند الله ، وقد استمد الوهابيون تعاليمهم من الفقيه ابن تيمية وابن القيم ، لقد بعثت الوهابية في الاسلام النهج المتشدد الذي يرفض كل البدع . يقول الكتاب ان الوهابية لم تكن مجرد راية لحروب الغزو والفتح ، بل كانت تبريرا فكريا للاتجاهات التوحيدية في الجزيرة العربية ، وكانت تنطوي بالدرجة الاولى على افكار توحيد نجد ووجهائها في الصراع ضد خصومهم التقليديين اشراف الحجاز . لقد صارت الوهابية سلاحا فكريا لحركة التوحيد المركزية في شبه الجزيرة العربية ، وقد باركت نضال وجهاء نجد السياسي والعسكري من اجل السيطرة على الجزيرة ، وضد الحجازيين بالدرجة الاولى ، إلا أن المذهب الجديد وحده لا يكفي ، فلابد من قوة سياسية وعسكرية تؤيده وتعمل على نشرة . في عام ١٧٤٤ - ١٧٤٥ ، استقر محمد بن عبدالوهاب في الدرعية ، وكان له جماعة من الاتباع ، منهم اثنان من اخوان اميرها محمد بن سعود وكذلك زوجة الامير ، نزل عند احد تلاميذه وشرع فورا في الاتصال بالحاكم ، وساعد شقيقا الامير وزوجته على التقارب بينهما ، وكان محمد بن سعود الذي يعد خططا حربية طموحة مطلعا على مذهب الفقيه ولذا قدر للوهابية حق قدرها .

توافقت رغبة محمد بن عبد الوهاب الذي ينشد الدعم العسكري ، ورغبة الامير الطموح الذي ينشد الدعم الديني ، وهكذا بدأ التحالف التاريخي الذي مازال قائما حتى اليوم .

● شخصية بارزة ●

يعتبر الكتاب عام ١٧٤٥ ، بداية لقيام الدولة السعودية الاولى ، والتي استمرت حتى عام ١٨١١ ، وتم دحرها على يد ابراهيم باشا نجل محمد على باشا الكبير حاكم مصر . لقد بدأ التحالف الديني - السياسي يؤتي ثماره ، اذ تمكن حكام واحة الدرعية - آل سعود - من توحيد وسط الجزيرة بعد معارك عنيفة ، وادى تعزز سلطة آل سعود الى اتمام خطوة هامة ١٧٨٨ ، اذ امن الفقيه محمد بن عبدالوهاب لسعود حق ولي العرش بالوراثة ، واخذ على عاتقه مهمة جعل مدن ومناطق الدولة تقسم يمين الولاء ، واستمرت الفتوحات في الجزيرة العربية ، واثناء محاولات اخضاع

المنطقة الشرقية (الاحساء) لآل سعود ، عام ١٧٩٢ ، توفى مؤسس الحركة الوهابية ، ويقول المؤلف ، انه كان شخصية بارزة بالنسبة لعصره ، وقد غدا خمسة من ابنائه وكثير من احفاده فقهاء ، وصارت اسرته تسمى آل الشيخ ، وقد احتفظت بنفوذها ومكانتها فى الدولة السعودية حتى اليوم ، ولكن أحدا من احفاد محمد بن عبدالوهاب لم يرتفع الى منزلة مؤسس المذهب ، وخلال فتوحات الدولة السعودية الأولى فى الجزيرة العربية ، نلاحظ ان تقدمها كان يصطدم مع نفوذ الدولة العثمانية التى كانت تبسط حمايتها على الحجاز والعراق ، وقد حاول والى بغداد غزو الاحساء ، ووقف تقدم الوهابيين ، إلا أن حملاته العسكرية فشلت ، فى المقابل قام امراء الدرعية بهجوم صاعق على مدينة كربلاء ، فى ٢٠ إبريل ١٨٠٢ ، هجم فجأة ١٢ الف وهابى على كربلاء ، ودمروا ضريح الحسين ، واستولوا على غنائم هائلة ، ولعبت سيوفهم فى رقاب سكان المدينة ، ضريح الامام نفسه وحولوه الى كومة من الانقاض ، وكان تدمير كربلاء أفدح هزيمة لوالى بغداد العثمانى ، وتحد ايضا لهيبة الدولة العثمانية ، وبعد تدمير كربلاء اصبح الحجاز هو مسرح العمليات الجديدة للدولة السعودية الوهابية ، وفى اواخر مارس ١٨٠٣ توجه سعود مع قوات الوهابيين الرئيسية الى الحجاز ، وفى هذه الاثناء كان هناك حجاج مسلمون فى مكة من مصر وشمال افريقيا ، إلا انهم رفضوا الاشتراك فى القتال ضد الوهابيين ، وفى إبريل ١٨٠٣ دخل الوهابيون بانتظام الى مكة ، وبعد ان ادوا مراسم الحج راحوا يدمرون كل الأضرحة والمزارات التى أنشئت تكريما لأبطال فجر الاسلام ، ومسحوا من وجه الأرض كل المبانى التى لا تناسب مذهبهم ، ، والزموا اهل مكة بأداء الصلاة بانتظام وبدون البسة حريرية ، كما الزموهم بعدم التدخين ، ولقد اثار احتلال مكة ذعرا وصدمة فى الاستانة ، اذ اعتبر ذلك ضربة قاصمة ضد سمعة السلطان العثمانى الذى عجز عن حماية الحرمين ، الا انه فى عام ١٨٠٥ تم ضم الحجاز الى الدولة الجديدة ، وتوقف الحج من الدولة العثمانية ، اتسعت الغزوات السعودية ، حتى امتدت الى الشام نفسه ، وفى عام ١٨١٠ قام سعود مع بضعة آلاف من مقاتليه بغزو الشام ، ووصل تقريبا الى دمشق ، لقد بلغت الدولة السعودية ذروة قوتها فى هذه السنة ، ويفرد فاسيليف فصلا خاصا يستعرض فيه البنية الداخلية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة الأولى ، ويبين العوامل التى أدت الى تحللها ، سواء كانت داخلية أو خارجية ، حتى اندحرت تماما على أيدى القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا ، فى ابريل ١٨١٨ .

ويتتبع المؤلف ظروف الجزيرة العربية تحت الوجود المصرى ، فى ذلك الوقت ، كان الامير تركي ـ احد امراء السعوديين ـ قد تمكن من الهرب من عام ١٨٢٠ ، وظل مختفيا لعدة سنوات فى المناطق الجنوبية ، ثم بدا تحركات عسكرية انتهت باحتلاله للرياض ، ويعتبر بعض المؤرخين بداية حكم تركي هو التاريخ الحقيقى لقيام الدولة السعودية الثانية ،

لقد تمكنت الدولة السعودية الثانية من الانبعاث والنهوض بسبب توقف التدخل الخارجى فى نجد ، وكانت مصلحة قسم كبير من وجهاء وأعيان نجد وتجارها وصناعها وزراعها فى التوحيد وتأييد الفقهاء الوهابيين وارتفاع منزلة آل سعود قد مكنت فيصل بن تركى آل سعود من بسط سيطرة الرياض على قسم كبير من أواسط الجزيرة ، وشرقيها ، إلا ان علائم الضعف والخور وعجز السلطة المركزية والنزعة الانفصالية لدى الاقطاعيين ونزوات القبائل





البدوية كانت واضحة لدرجة كبيرة لا تجعل احدا من المعاصرين يتوقع لامارة الرياض عمرا مديدا . توفى فيصل فى عام ١٨٦٥ ، وسرعان ما بدات الخلافات داخل الاسرة ، وبدأ التدخل الانجليزى ضد امارة الرياض ، وادى ذلك الى سقوطها وزوال الدولة السعودية الثانية ، وحل محلها امارة شمر وبذلك بدأ نفوذ اسرة ابن الرشيد فى التزايد ، وبدأ الصراع المرير بين آل سعود وآل الرشيد هذا الصراع الذى قدر له الاستمرار حتى ظهور شخصية شبه اسطورية على مسرح الاحداث ، شخصية عبدالعزيز مؤسس المملكة العربية السعودية القائمة الآن .

يقول المؤلف :

كانت بريطانيا اقوى دولة استعمارية فى العالم قد استولت على مصر ، وسعت لبسط نفوذها على الجزيرة العربية كلها ، وكانت قد سيطرت على امارات الخليج العربي وسلطنة عمان . وفى لواخر القرن التاسع عشر بدات السياسة البريطانية الاستعمارية فى التغير ، فبعد ان كانت حريصة على وحدة الامبراطورية العثمانية بهدف استخدامها فى الصراع ضد روسيا ، انتقل مركز الثقل فى المصالح البريطانية الى مصر وبلاد الرافدين ، وبدأ الحديث فى لندن عن اقتسام الجزيرة العربية ، فى هذا الوقت كان شيخ الكويت محمد الصباح يوفر الحمايه لعبدالرحمن بن فيصل آل سعود المطالب بعرش الرياض ، لقد استقرت اسرة آل سعود فى الكويت وغدت بالطبع مركز جذب لكل المتذمرين من حكم آل الرشيد فى الرياض ، فى هذه الظروف يظهر على مسرح الاحداث الامير عبدالعزيز .

● مسيرة مؤسس السعودية ●

يقول فاسيليف :

« واقنع عبدالعزيز اباه بلن يسمح له مرة اخرى ان يجرب حظه فى الرياض ، فتوجه فى حملة على رأس لربعين محاربا فقط كما تفيد اغلبية المراجع ، وكان بينهم شقيقه محمد بن عبدالرحمن وابن عمه عبدالله بن جلوى ... »

لقد كانت بداية المملكة العربية السعودية الحالية على ايدى هؤلاء

الملك عبدالعزيز
مؤسس العربية السعودية



الاربعين ، استولى عبدالعزيز على الرياض ويقول فاسيليف :

« اثبتت جسارة عبدالعزيز في الاستيلاء على الرياض انه يتحلى بخصال الشيخ والامير ، البسالة والمهارة في القيادة والموفقية ، واثبتت الاحداث اللاحقة ان عبدالعزيز كان شخصية بارزة بدون ريب بمقاييس الجزيرة العربية ، فقد تمرس عبدالعزيز في المنفى وتضلع في اخلاق البدو وعاداتهم ونقاط ضعفهم وقوتهم ، وكان يجيد التحكم فيما عرفه عن البدو ، والى جانب ذلك كان يدرك بأن عليه ان يعتمد في الاساس على سكان نجد الحضر ، لذلك أولاهم عناية دائمة ، وكان يدرك قوة الدين فاقام علاقات طيبة مع علمائه منذ البداية ... »

عديدة وطويلة تلك التفاصيل والحروب المتعلقة بمسيرة عبدالعزيز منذ استيلائه على الرياض في ١٥ يناير ١٩٠٢ ، وحتى ١١ ديسمبر ١٩٢٥ ، عندما اتم غزو الحجاز ، واجتمع اشراف مكة وعلماؤها في الكعبة وبايعوه عند باب الصفا ملكا للحجاز وسلطانا لنجد ، في ١٦ فبراير ١٩٢٦ اعترف الاتحاد السوفيتي رسميا بحكومة الحجاز .

بعد تأسيس الدولة الجديدة ـ كما يقول المؤلف ـ واجهت عبدالعزيز ضرورة ادارة بلد بلغ من التطور شأنا يفوق بكثير شأن نجد ، بل وحتى الاحساء ، فقد تكون الجهاز الاداري في الحجاز وفقا للمعايير العثمانية ، وكان ارقى الاجهزة في الجزيرة ، وكان الملك عبدالعزيز يدرك اهمية التليفون والراديو ، واهمية السيارات ، غير أن البدو والعلماء السلفيين كانوا يعتبرون ذلك رجسا من عمل الشيطان ، ولكن المشكلة حلت بعد ان تليت آيات القرآن الكريم عبر الهاتف والمذياع ، كذلك اعتبروا السيارة بدعة ، وقد احرقت اول شاحنة ظهرت في مدينة الحوطة ، وكاد سائقها أن يلقى نفس المصير ، الا ان احتياجات المجتمع العملية كانت اقوى ، يقول فاسيليف « لذا فان السيارة والراديو والتليفون اخذت تنتشر على نطاق متسع في مملكة ابن سعود ، وبعد عقدين او ثلاثة بدأ علماء الدين انفسهم يمتطون الطائرات الا أن الحظر ظل مفروضا على الحاكي والسينما ، ورغم حظر استيراد هاتين الآلتين الا انهما انتشرتا في البيوت » في الوقت الذي حاول فيه الملك عبدالعزيز ومجموعة من مستشاريه المتنورين تطوير الجهاز الاداري في الحجاز ، كانت جماعة (الاخوان) المتشددة قد عقدوا العزم على تطهير الحجاز من البدع ، ازالوا الشاهد المقام في مكة عند موضع ولادة النبي ، وهدموا منزلي خديجة وابي بكر ، وينقل المؤلف عن فيلبي البريطاني قوله « ان ذلك سيجعل الاجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الاماكن » ، وانطلق « الاخوان » يحطمون المرايا ويستخدمون اطر النوافذ والابواب كوقود للنيران ، يقول المؤلف : رغم ان هذا واحد من طباع الغزاة المعتادة ، الا انه كان تعبيرا عن حقد البدو الدفين على ترف المدن ، في مطلع صيف عام ١٩٢٦ وصل الى مكة موكب المحمل المصري يحمل كسوة الكعبة ، وتصحبه الموسيقى ، وعند اقترابه سمع « الاخوان » الموسيقى لأول مرة في حياتهم ، فاعتبروا ذلك ضربا من الزندقة واستبد بهم الغضب ، فهبوا ليمنعوا تقدم الجمل الذي يحمل الكسوة ، وهنا امر ضابط مصري باطلاق النيران فقتل ٢٥ شخصا ، وعلى الفور أرسل الملك عبدالعزيز ولده فيصل لتهدئة ثائرة



• الاخوان • • وتلا ذلك قطع العلاقات مع مصر .

● بداية عصر جديد ●

ربيع عام ١٩٣٢ ، اكتشف تويتشيل ترسبات نفطية واعدة في منطقة الظهران ، وهكذا بدات تباشير عهد جديد سيحدث في مجتمعها تاثيرا هائلا ، لكن القوى المحركة لهذه التحولات من خارج الجزيرة العربية ، تمت الى اقتصاد القرن العشرين ، بدا استخراج النفط من الجبيل في سبتمبر ١٩٣٣ . وخلال الحرب العالمية الثانية تمسك الملك عبدالعزيز بحياد بلاده ، وعند انتهاء الحرب كان من الواضح ان شركات البترول الامريكية قد وضعت يدها على اكبر حقول النفط في العالم ، ومع بدء عصر النفط بدء عصر جديد ، يقول المؤلف :

• بفضل الزيادة السريعة في استخراج النفط وتعديل اتفاقيات الامتياز ، ازدادت عوائد السعودية . في السنوات الاولى التي اعقبت الحرب عشرات المرات ، ورغم ذلك ظلت المملكة بمثابة ضيعة اقطاعية عائلية كبيرة ، ويعتقد الحكام ان عوائدها يجب ان تنفق في المقام الاول على احتياجات العائلة المالكة ، بعد أن سافر اعضاء العائلة المالكة الى اوروبا وامريكا ، تاقت انفسهم إلى الأبهة المعقولة وغير المعقولة ، واقترن ذلك بالعجز التام عن التوفيق بين النفقات والمداخيل ، والعزوف على حساب المال وهو أمر تتميز به الارستقراطية والاقطاعية القبلية ، علاوة على السخاء وهو خصلة بشرية إيجابية تحولت عندهم إلى نقيضها حينما صارت إسرافا لم يسبق له مثيل وفي بلد غالبيته سكان شبه جياع يرزحون في لجة الفقر والمرض ، بدأ تصاعد مجنون في الانفاق على البلاط والفخفخة ، وتقاطر على الرياض شذاذ الآفاق ، والساعون الى الثروات ، وبدأ استشراء الفساد ، يقول المؤلف : « وأصبح الوضع الشاذ وخطره على النظام جليا لعدد من افراد العائلة الحاكمة البعيدة النظر ، لكن إجراءات الملك الرامية الى تحديث الدولة كانت ذات طابع شكلي بحت ، توفي الملك عبدالعزيز . ويقول المؤلف عنه : كان عبدالعزيز في شبابه وكهولة إنسانا قويا شجاعا ، رويت فيه الأساطير ، ونقل الزركلي عن طبيب ابن سعود الخاص رشاد فرعون اسطورة تقول ان عبدالعزيز اصيب رشاد في احد المعارك بجرح في بطنه وقد عرض فرعون عليه ان يحقنه بالبنج فأخذ عبد العزيز المبضع وشق موضع الاصابة وأخرج الرصاصتين . وامر بخياطة الجرح .

عندما توفي عبدالعزيز كان عدد ابنائه ـ كما يقول المؤرخ الزركلي ـ ٣٤ ولدا ، وبلغ العدد الاجمالي لأبنائه واحفاده وحفيداته ، عدا ابناء بناته ـ ١٦٠ .

تولى الحكم بعد وفاة الملك عبدالعزيز ابنه سعود المولود عام ١٩٠٢ ، وكان هناك تنافس بينه وبين اخيه فيصل المولود عام ١٩٠٦ ، كانت ام سعود من آل عريعر الاستقراطيين ، اما ام فيصل فكانت من ال



رقصة العرضة يؤديها من اليمين الملوك خالد وفيصل
وفهد بن عبدالعزيز والأمير عبدالله بن عبدالعزيز

الأمير سعود بن عبدالعزيز فى صباه



الشيخ ، وكان لسعود أربعون ولدا ، اما فيصل فكان له ثمانية ابناء بعث خمسة منهم للدراسة فى الجامعات الامريكية ، وواحدا إلى اكسفورد وآخر الى كلية سانت هيرست ، فى السنوات التالية اصبح الصراع بينهما على السلطة من العوامل الرئيسية فى سير الأحداث ، حتى تفجرت علنا ، وعزل سعود ولجوئه الى مصر ، واعتلاء فيصل العرش ، وحتى وفاة سعود فى عام ١٩٦٨ .

● تأثيرات ثورة يوليو ●

يركز المؤلف على تطور الحركة العمالية فى المملكة السعودية ، ويقول انه فى اواخر الأربعينيات لاحت بوادر تشير الى بروز قوى اجتماعية جديدة على المسرح



السياسى ، وذلك من خلال العمال ، فى عام ١٩٥٦ ، ادت الاحداث الثورية فى مصر الى تعاظم المد المعادى للاستعمار فى المشرق العربى ، واصبحت المنطقة الشرقية بؤرة للتحركات الجماهيرية ، وعندما وصل الملك سعود الى الظهران فى ٩ يوليو ١٩٥٦ ، استقبلته مظاهرات شعبية معادية للاستعمار ، بعد يومين فقط ، اصدر الملك مرسوما يمنع كل الاضرابات والمظاهرات ، وقد جرت اضطرابات عمالية عام ١٩٥٦ ، ولكن هذه الاضطرابات لم تتكرر على نطاق واسع حتى السبعينيات .

ينتقل المؤلف الى استعراض الاوضاع الداخلية تحت حكم سعود الذى لم يك يتمتع بهيبة ابيه ، ويقول ان الرشوة استشرت فى جهاز الحكم . وانه خلال فترة ١٥ ـ ٢٠ سنة الاولى من عصر النفط ، ادت الزيادة الكبيرة فى عائدات النخبة الحاكمة الى زيادة الطلب على العمال

ثم يركز المؤلف على السياسة الخارجية للمملكة ، وخاصة مع مصر التى تراوحت العلاقات بينها وبين المملكة من العلاقات الوثيقة الى البرود الكامل والقطيعة ، خاصة بعد إعلان قيام الوحدة بين مصر وسوريا واعتبار الملك سعود أنها الخطر الرئيسى عليه مما دفعه الى التامر على حياة عبدالناصر شخصيا ، وعندما كشف عبدالحميد السراج عن المؤامرة السعودية ارتفعت شعبية جمال عبدالناصر ، وادى اعلانها الى تأزم الوضع داخل السعودية نفسها .

يقول المؤلف : « جمع ولى العهد فيصل وهو سياسى محنك وذكى من حوله انصاره المستائين من تزايد نفوذ ابناء سعود فى البلاط ، وداب على تكوين انطباع بأن الملك غير مؤهل لمهمته ، وحاول فيصل الذى تربطه علاقات وثيقة وقديمة بالامريكان التظاهر بانه من انصار الاصلاحات والتقارب مع الرئيس عبدالناصر ، وبدأ يعد خفية للانقلاب فى القصر ، فى ٢٤ مارس ١٩٥٨ قامت مجموعة من الأمراء على رأسها فهد بن عبدالعزيز بتقديم إنذار الى الملك يطالب فيه بتسليم السلطة الى فيصل . كما طالب الامراء بحماية بيت المال من النهب وتنحية مستشارى الملك الضالعين فى محاولة اغتيال عبدالناصر » .

اضطر سعود الى قبول الانذار ، الا ان سعود لم يلق سلاحه تماما ، غير ان الامر الحاسم فى الصراع كان ظهور مجموعة من الأمراء السعوديين الشبان المتأثرين بالافكار الناصرية والداعين الى الاصلاحات ، وكان ابرزهم الامير طلال بن عبدالعزيز والامير نواف ، والامير بدر ، وقد وعدهم الملك خفية بمؤازرتهم ، فى يونيو ١٩٦٠ اقترح طلال إقامة نظام ملكى دستورى ، إلا أن فيصل رفض وأبعد طلال وجماعته ، وعندما عرض المشروع على الملك سعود رفضه ايضا ولكنه أبقى على صلاته بالجماعة ، استقال فيصل من رئاسة الوزراء ، واستعاد الملك سعود سلطاته . وظلت الانقسامات داخل الاسرة هى السمة الرئيسية طوال عام ١٩٦١ وتزايد نفوذ الامير طلال الا أن الاصلاحات التى حلول

القيام بها ووجهت بمقاومة كان يغذيها فيصل ، واضطر طلال الى الخروج من البلاد ، وفى ١٥ اغسطس عقد مؤتمرا صحفيا فى بيروت ، انتقد فيه النظام السعودى ، وقال ان هدف مجموعته هو اقامة نظام ملكى دستورى ، وخشية من غضب الرياض ، حاولت الحكومة اللبنانية التخلص من الامراء المتمردين فغادروا بيروت الى القاهرة (عبدالمحسن وبدر وفواز وسعد بن فهد) .

فى ٢٨ سبتمبر انفصلت سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، واعترفت الحكومة السعودية فورا بالحكومة السورية ، واستمرت الحرب الاعلامية بين مصر والسعودية ، فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ وقعت ثورة اليمن ، ودخلت المواجهة مع مصر مرحلة حادة ،خاصة بعد تدخل القوات المصرية في اليمن ، في ذلك الوقت كانت السلطة الفعلية بين فيصل واستمر الامر كذلك حتى عزل سعود فى يناير ١٩٦٥ ، وتولى الملك فيصل الحكم . لقد تصاعد الصراع بين النظام السعودى ، وبين الرئيس عبد الناصر ، الا ان وقوع هزيمة ١٩٦٧ ، كان إيذانا بتغيير امور عديدة فى الشرق الاوسط .

فى ٣١ اغسطس ١٩٦٧ ، وفى مؤتمر الخرطوم ، وقع الرئيس عبد الناصر ، والملك فيصل اتفاقية حول التسوية السلمية فى اليمن . ونصت الاتفاقية على أن تسحب مصر كل قواتها من اليمن خلال ثلاثة شهور ، وتعهدت السعودية بوقف المساعدات للملكيين ، الا أن التدخل السعودى فى اليمن لم يتوقف من الناحية الفعلية ، ويقول المؤلف ان النفوذ السعودى ظل هو السائد فى اليمن الشمالى خلال السبعينيات .

يقول المؤلف انه برغم الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ، الا أن عبد الناصر ظل هو الشخصية المحورية فى العالم العربى ، كما ان التناقضات بين القاهرة والرياض زادت مع تناملأ قدرة مصر العسكرية .

ويتتبع المؤلف تطور العلاقات المتنامية بين فيصل والسادات ، ويفرد فصلا لدور السعودية داخل الاوبك ، وفصلا اخرا للاوضاع الداخلية فى السعودية خلال السبعينيات وحتى مطلع الثمانينيات ، ويركز على الظروف التى أحاطت بمقتل الملك فيصل ، على الظروف التى احاطت ايضا بحادث الحرم الشهير وما رافقه من اضطرابات فى المدينة المنورة . وما جرى من اضطرابات اخرى فى المنطقة الشرقية ، ويفرد الفصل التاسع عشر لدراسة السياسة الخارجية للسعودية حتى اوائل الثمانينات والتى اصبح من طابعها الارتباط التام بالولايات المتحدة . اما الفصل العشرين فيخصصه لدراسة البنية الاجتماعية للسعودية فى عصر النفط بعد ازدياد مداخيل النفط ، ووصول ارقامها الى حدود اسطورية . إلا أن المؤلف لم يصل إلى السنوات الأخيرة لدراسة الانعكاسات المترتبة على انخفاض عوائد البترول على المجتمع السعودى والنظام السياسى فى السطور الاخيرة يقول الكس فاسيليف فى كتابه الذى استغرق سبعمائة صفحة .

« لقد اختل التوازن الاجتماعى القديم فى السعودية ، ولكن لم يقم توازن جديد رغم كل ما يبتدع من مرتكزات واجراءات جزئية ، وهذه حالة شحونة بانفجارات إجتماعية قد تتخذ اشكالا غير متوقعة على الاطلاق ، ونظرا لما للعربية السعودية من وزن فى عالم النفط والمال والاسلام ، فان الهزات والزلازل الاجتماعية فى هذا البلد ستكون لها عواقب دولية بعيدة المدى » .



بين "شديد" و"شاهين"

بقلم: مصطفى درويش



اندريه شديد

يوسف شاهين

● الكوليرا ، ام حسن ، والحفيد الصغير حسن ، هذا هو الثالوث الذى تدور من حوله قصة « اليوم السادس » لصاحبتها الاديبة العربية المستغربة « اندريه شديد » .

اما ما عداه من احداث وشخصيات اخرى ، فلا تعدو ان تكون تنويعات وتفريعات على لحن « اليوم السادس » الاساسى .. البعث .

فالقصة من أول صفحة ، ولا حديث فيها الا عن الوباء الذى نلقاه فى حوار يجرى بين « أم حسن » ، وهى جدة تقدمت بها السن ، وبين سائق العربة الكارو التى تحملها الى « بروات » قريتها الممتحنة بالكوليرا ، ذلك الوباء الذى اشتد فتكه واصبح امره شنيعاً •

وما أن تبدأ السطور الاولى من الصفحة الثانية (طبعة فلامريون ١٩٨٤) الا ويجىء ذكر الحفيد الصغير بفضل الشوق والحنين •

فهذه هى المرة الاولى التى تفترق فيها « أم حسن » عن ابن ابنتها المتوفاة ، عن ابن روحها وها هى على العربة تتذكر كيف شرحت له قبيل الرحيل لماذا هى فى أشد الحاجة لرؤية اهلها للاطمئنان عليهم •

لماذا كان من اللازم عليها ـ منذ أمد بعيد ـ أن تسافر اليهم •

ولماذا لم تستطع القيام بهذا الواجب حتى الآن •

وتتذكر كيف خففت من وقع الفراق ومرارته على الحفيد بوعدها له انها لن تغيب طويلا ، لن تمكث فى قريتها لاكثر من يوم واحد •

● كوليرا واشياء اخرى ●

وعلى كل فما أن ألقت نظرة طائرة على قريتها البائسة المعذبة بالوباء ، وتبين لها ما ألم بها وباهلها من أهوال ، حتى برت بوعدها ، اسرعت بالعودة الى القاهرة حيث زوجها العليل وصغيرها الوحيد •

ثم لا تلبث أن تعلم من حولها الخطوب ، فالصغير يصاب هو الاخر بالشر العام ، وهى لا تستسلم لليأس، تحاول أن تتجاوز محنتها بالتصدى للكوليرا انقاذا للصغير •

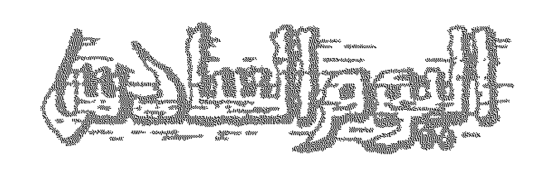
وهكذا ، طوال جريان أحداث القصة ، ونحن مشغولون بهذا الوباء ، وبهذه الجدة البائسة وبهذا الصغير المصاب بالمرض الخطير •

والسؤال الآن ، هل الكوليرا ، الجدة ، الحفيد ، محل تركيز فى رؤية « يوسف شاهين » السينمائية لليوم السادس ، بحيث تثير اهتمامنا بهذا الثالوث ، تجعلنا مشغولين به وحده لا شريك له ، كما كنا فىالقصة أم لا ؟

تبدأ رؤية « شاهين » لقصة « شديد » أول ما تبدأ بوجه « أم حسن » (داليدا) فى لقطة مبكرة سابقة على العناوين ، حينما نراها فى سيارة نقل عائدة من قريتها حيث لا شىء سوى الموت بالوباء يحصد بغير حساب ما يشاء من الاقرباء •

وما تكاد تنتهى العناوين ، حتى يبين لنا ان مصر موبوءة بالكوليرا ، وان هذا الوباء فيها ، كما الحديث عنه ، شائع مستفيض •

وما تكاد تنتهى المشاهد الاولى حتى نكون قد تعرفنا على شخصيات ثلاث رئيسية « أم حسن » والحفيد الصغير والمهرج والراقص والقرداتى المسمى باوكازيون أو « أوكا » او « عكا » (محسن محيى الدين) ومعه قردته « روز » ، التى هى له كظله ، ثم شخصيات أخرى ثانوية صاحب سينما ركس الفلسطينى « رفمى » (يلعب الدور يوسف شاهين) ،



ومدرس المفيـــد ، وزوج أم حسن المريض بالشلل (حمـــدى أحمـــد) وصاحبة المقهى الشهوانية (ســناء يونس) وممثلة السينما الفاجرة ، صاحبة البنسيون (شويكار) •

ويلفت النظر فى الشخصيات انهـا - وباســـتثناء المدرس والـزوج - مختلقة ، ليس لهـــا وجود فى قصة شديد •

● الغناء تحت المطر ●

ثم ما يكاد ينتهى « القرداتى » من نمرته فى حوش تطل عليه شـــواهد القبور حيث رقص وغنى أمام حشـــد من الصـــغار والـكبار « ماسمعتش يا غايب حدوتة حتتنا » ، حتى يتكشف لنا اننا بازاء عمل سينمائى جانح الى ان يكون فيلما غنائيا راقصا ، لاسيما أن صاحبه قــد أهداه بداءة الى نجم الرقص الامريكى ابـان الاربعينيـات « جين كيللى » الذى « ملأ ايام شبابنا بهجة » •

وما نكاد نفيق من هـــذه المفاجأة المذهلة ، حتى يتضح لنـــا من سير الاحداث فى الربع الاول من الفيلم ، أن صاحبه قد انتقل بمحور القصة من العجـوز « أم حسن » الى القرداتى الشاب •

فهو احيانا ينفرد فى الفيلم بمشاهد باكملها ، وفى حالة عـــدم انفراده بالمشهد ، ومشاركة « أم حسن » له فيه باستحياء شديد ، فهو لا يستطيع على ذلك صبرا •

وسرعان ما ينفرد بأغلب اللقطات ، كما فى المشهد الفريد الذى رقص فيه امام « أم حسن » وغنى « نركب سفينة من ميناء الى ميناء ، تحت المطـرة حركة خطرة » •

ظاهر اذا أن ثمة فروقا بين قصة شديد ، وبين رؤية « شاهين » لها فى فيلمه الروائى الاخيـــر والتـاسع والعشرين •• فما هى ؟

● هى وهو ●

« أم حسن » عنـد « شديد » كمـا الام الشجاعة فى مسرحية « برتولـد برخت » امرأة لها هدف وحيد كرست له حياتها ، وهو فى « اليوم السادس » انقاذ الحفيد المريض ، بالابقاء عليه حيا الى هذا اليوم ، ذلك أنها سمعت من الاستاذ معلم حفيدها قبل أن يحمل من المدرسة الى المنزل مصابا بالوباء ، أن من لا يموت به حتى اليومالسادس من ابتداء القىء ، تكتب له النجاة ، ويبعث حيا •

وهى « أم حسن » لا تحيد ، كما « أنتيجون » و « ميديا » فى مسرحيتي « سوفوكليس » و « اوريبيديس » عن هدفها الاوحد •

انها تحيا من اجله ، تكرس كـــل وجودها سعيا الى تحقيقه •

ولو شاءت لها الاقدار أن تفشل فى مسعاها هذا ، لفقدت ارادة الحياة ، ولما بقيت على قيدها يوما واحدا •

● سر البسالة ●

ومصدر هذا الوجد الذى يمـــلك على « أم حسن » كل شيء ، ويصرفها عن كل شيء آخر سوى انقاذ الصغير، مصـــدره كما الحال مع « أنتيجون » و « ميديا » وغيرهمـــا من النســاء

الباسلات ، ارادة قوية صامدة لاتنحنى امام النكبات والملمات ٠

ومنبع هذه الارادة بالنسبة لام حسن بالذات ، انها لم تذق للراحة طعما ، لم تستمتع بهــــا يوما ، فهى امرأة تعمل بساعديها ، بالتحديد غسالة ، نازحة الى المدينة البعيدة ، فرارا من الريف الحزين ، وفقره الفقير ، تعى حالها ، وظروف البؤس التى تحيـط بها ، مما يدفعها الى القول فى حوار مع النفس : « انا لم اخلق للراحة » اى لليوم السابع (ص ١٤٣ من نفس الطبعة) ٠

وبحكم حالهــــا هذا ، فهى لا تيأس ابدا من انقاذ حفيدها ، وذلك رغم ان الموت يطلبه قليلا ٠٠ قليلا ٠

● [illegible] ●

انه يقيم فى عقلها وقلبها ، تودعه خير ما فيها ، فهى اذن فى قلبه ، هى اذن تقــاسمه حياتهـــا ، ولذلك لن يموت ٠

ومن هنا هروبها به من دارها ، فى محاولة منهـــا لاخفــائه عن اعين البصاصين ، حمــاية له من الوباء وسوء المصير ٠

ومن هنا سيرتهـــا الملحمية ، وهى تحمله على عربة تجرها فى الحوارى والشوارع ، وهى تحتضنه صــاعدة درجات أدوار ستة الى حجرة الغسيل فوق سطح احدى العمارات ، وهى فى ظلمة الليـــل تستقل معـــه عربة « حنطور » تذهب بهما الى الفلك حيث تخفيه بين البالات ٠

فاذا ما رحل الفلك بهما شمالا الى حيث بحــار الدهشة والحــلم تعصم الصغير من الموت حتى اليوم السادس، اتت الرياح بمـــا لا تشتهى السفن ، انتــزع الموت الصغير انتزاعـــا من الحياة قبل اليوم الموعود ٠

وبموته ماتت العجوز ، او هـــكذا تصور القرداتى ، ولموتها بكى قلبـه لاول مرة ٠

● [illegible] ●

وهذا القرداتى « اوكا » له شخصية فى القصــة على النقيض تمــاما من شخصية « ام حسن » ٠

محسن محيي الدين



داليدا غسالة وبنت بلد





فهو أسير اللذات ، يحب النرجيلة والشاى الاسود والنساء والمال حبا جما ، متقلب ، مسرف فى التقلب ، ينفق حياته ملتمسا لمنفعته الخاصة القريبة الحقيرة ٠

وليس أدل على شرهه الى المال ، انه التمسه من غير وجهه الصحيح ، فهو يبلغ عن المصابين بالوباء ، ويتقاضى عن غدره هذا أجرا ٠

وهو يوفر مكانا « لام حسن » على ظهر الفلك مقابل وعد منها باعطائه نصف ما ادخرته من مال اكتسبته بالحلال ٠

وليس ادل على عدم ميل مبدعة القصة معه ، بل قل احتقارها لفلسفته وسلوكه فى الحياة ، انها لم تظهره على مسرح الاحداث الا مع ابتداء الجزء الثانى (ص ٧٥) ، وفى مناسبة كريهة ، استغل فيها ثقة المعجبين ببهلوانياته استغلالا منكرا ٠

فها هو ذا ساعة الغروب ، على سلم وزارة الصحة ، ممسكا بورقة جديدة ناعمة خضراء قيمتها عشرة جنيهات ، اعطيت له مقابل الكيد لاحد المبتلين بالوباء ٠

وها هو ذا يخاطب قردته منتشيا : « مانجة ابنتى ٠٠ فلتحيا الكوليرا ٠٠ خسارة ان الوباء قارب على الانتهاء ٠٠ لو كنا عرفنا مبكرين ، لاصبحنا الان من اصحاب الملايين » (يلاحظ هنا أن القردة اسمها « مانجة » وليس « روز ») ٠

أما فى الفيلم « أم حسن » و « أوكا » القرداتى كلاهما له تقدير اخر ٠

هى امرأة محبطة ، مكبوتة ، تعيش مع زوج مشلول لا يستطيع أن يعول ، خانها من قبل بالزواج من امرأة ثانية وعندما تفقد املها الاخير بموت الصغير قبل اليوم السادس تحاول الانتحار ٠

وهو قرداتى فلاتى ، ليس فى خصاله ما يغرى بالمكر والغدر ، ويدفع الى الخيانة والاثم ، والتورط فى اشياء كثيرة يأباها حسن الاداب٠

▬ ▬ ▬ ▬ ▬

وليس ادل على هذه الرؤية الجديدة له ، من مسلكه على ظهر الفلك قريبا من النهايات ٠

فهو الذى عقب اكتشافه الصغير ميتا ، ينكر الموت ، يتحداه ، يضع الجثة فى قفة يعلقها بحبل الصارى ، ثم يأخذ فى شد الحبل حتى ترتفع القفة فيرى الصغير البحر ويتحقق الحلم ٠

هذا المشهد السينمائى الجميل ، والذى فيه شىء غير قليل من شطحات الخيال المستحبة ، ما هو المقابل له عند « شديد » ؟

يكتشف القرداتى موت الصغير ، تطلب اليه « أم حسن » أن يتكلم ، يظل صامتا هامسا لنفسه « غلبانة مجنونة » (ص ١٨٢) ٠

فاذا ما قفز القرد « مانجة » من بين ذراعى « أم حسن » ، الى ذراعى « أوكا » ، انطلق الاثنان (القرد وصاحبه) فى صراخ وعويل ، من ذلك النوع الذى يصاحب عادة المجىء المفاجىء للموت ، والذى لا يرجى منه نفع ٠



داليدا مع سناء يونس في اليوم السادس

وفور سماع هذا الصراخ والعويل تسقط العجوز على الارض ، يذهب القرداتى اليها حيث ترقد ، يرفع رأسها ، يسندها اليه ، يتحسس وجهها المتجعد ، فيحس انها ماتت بموت الصغير ، بل يذهب الى أبعد من هذا، لا يتمنى لها حياة (ص ۱۸۳) .

● البحث ●

وهنا يتدخل « أبو نواس » (يوسف العانى فى الفيلم) « ريس » المركب . انه هو ، وليس القرداتى الذى ينادى العجوز بأعلى صوته قائلا :

ــ « أم حسن .. انت محقة .. الطفل حى » .

ومع تكرار هذا النداء من « ابى نواس » ومن « دسوقى » النوبى (محمد منير) المسك بالدقة ، ومع هذا الاصرار على أن الصغير حى يرى البصر ، يبدأ القرداتى فى المشاركة ، فينادى هو الآخر العجوز

هل تسمعينني يا أم حسن .. أزف اليك البشرى .. الطفل سيرى البحر» (ص ١٨٦ أو الصفحة الاخيرة) .

فترتسم ابتسامة على شفتى العجوز ، انها تسمع الاصوات ، ترى البحار وجنات تجرى من تحتها الانهار ويحملونها برفق دون أن تقاوم ، فالطفل فى كل مكان بالقرب منها ، أمامها ، موجود فى صوت وفى قلب هؤلاء الرجال ، لم يمت ، بل لايستطيع أن يموت .

وانن ، فالمبادأة لم تكن من القرداتى ، بل كان هو الاخير من بين رجال الفلك فى المشاركة .

والآن الى من ننحاز ؟ الى رؤية « شديد » الادبية أم الى رؤية « شاهين » السينمائية ؟ هذا هو السؤال ، والاجابة عليه قد تبدو يسيرة ولكنها فى حقيقة الامر جد عسيرة .



رأى فى الثقافة

● التمسك بالشكل ●

● فى واحدة من أهم المعارك النقابية التى شاركت فيها منذ وقت مضى قال أحد المخضرمين فى هذه المعارك : "علينا أن نتمسك بالشكل ، فبهذه الطريقة يمكننا أن نطبق "القانون" الذى هو الحكم بيننا جميعا . وكانت هناك لحظتان .

ـ لحظة تمسك فيها الطرف الذى كنت واحدا من ممثليه بهذه القاعدة ، وعند التصويت على نقطة أثارها الطرف الآخر ، وهى رفض أو قبول توكيلات الغائبين ، وكان هو قادرا على الاتصال بهم وإحضار التوكيلات منهم ، بدت الغلبة لطرفنا (الطالب للحق والعدل) وكانت هذه القاعدة البسيطة : التمسك بالشكل هى الإطار الذي حمى مبدأنا من محاولة الغلبة دون وجه حق .

ـ لحظة أخرى جاءت عندما قبل فريق من الطرف الذى كنت واحدا منهم التخلي عن هذه القاعدة المبدئية وقبل اقتسام المقاعد فحصلت الفرقة وتمت الهزيمة .

وفى حينها أثارتنى هذه "المقولة" فرحت أناقش النقابى المخضرم فى أصولها ، ثم إمتد بى البحث إلى كتابات تناولت الموضوع من أطرافه المختلفة ، فازداد يقينى بهذه القاعدة ، ووجدتنى أمد النظر والتفكير فيها أثناء عملى الابداعى والمشاكل النوعية التى يثيرها دوما .

وإذا جاز لنا أن نطبق هذه القاعدة على الأشكال الأدبية المختلفة فإننا نجد أنها ـ هذه القاعدة ـ تشكل الحد الفاصل بين الأنواع ، بين العمل المتقن والعمل الردىء ، بين الزائف والحقيقى ، المبدئى وغير المبدئى .

وفى ظل غيبة "القيمة" والتسيب السائد فى حياتنا الثقافية فإن طرح هذه

القاعدة للمناقشة ، خاصة امام الأجيال الشابة من العاملين فى حقل الكتابة سيكون فى تقديرى مفيدا للغاية .

إننا نزعم أن الفروق لم تعد واضحة بين الأشكال الأدبية المختلفة ، الأمر الذى أصاب الحياة الثقافية والعاملين فيها بنوع من فقدان الدافع المبدئى والمهنى للإتقان . كخطوة أولى ضرورية لمواصلة العمل والإحساس بجدواه .

وهذا مايقف وراء ظاهرة انتشار الكاتب الجوال والصحفى "أبو شنطة" الذى لشدة ضياعه (وبعضهم لا يخلو من الموهبة) يقوم يعمل كل شىء ، وأى شىء ، وتطالع النتيجة فتجد خلطا غريبا بين الأشكال : تقرأ موضوعا بإعتباره حوارا مع أديب أو مفكر فتكتشف أن الضياع قد أوصله الى حد أنه لم يقرأ شيئا مما كتبه الأديب أو المفكر ، وإن كان قد قرأ فهى القراءة السطحية السريعة : لزوم الشغل ، "وكله عند العرب صابون" . تقرأ كلاما آخر بإعتباره عرضا لكتاب فتجده تلخيصا فجا للمقدمة وأحد الفصول مما يدخل فى باب الثرثرة .

لذا فإننا نقول أن تطبيق قاعدة التمسك بالشكل هنا ضرورى للغاية ، كمرحلة هامة من مراحل الوصول إلى إبداع أشكال جديدة مبدعة خاصة بصاحب المحاولة .

إن علىّ حينما أجرى مقابلة أدبية ان أتمسك بكل الضروريات اللازمة ، أن أقرأ ماكتب الأديب ، وأن أحدد مواطن السؤال من هذه القراءة ، وسيكون مفيدا لو قرأت ماكتبه الآخرون عنه ، فلربما اكتشف الآخرون ماخفى علىّ .

وحينما أقوم بعمل عرض لكتاب فإن علىّ أن اتجنب المواقف الأخرى : مثلا موقف الباحث الأكاديمى الذى لا يهمه الكتاب الفرد ، بقدر مايهمه تأصيل الموضوع إستنادا إلى قاعدة موضوع البحث ، وأن علىّ ان اعرف أننى أتوجه إلى القارىء العادى الذى اقدم له معلومات ضرورية ، حول صاحب الكتاب ، وأعماله الأخرى ، حول أوجه الشبه بين هذا العمل ، وأعمال أخرى ، وحول ما إذا كان الكاتب قد تطور أو إنتكس ، تقدم أو تخلف .

انها دعوة لأن تتضح الفروق بين المقالة الأدبية وبين المقابلة ، بين الرواية وبين الريبورتاج الصحفى ، بين عرض الكتاب المقصود به القارىء العادى للصحف والمجلات وبين الدراسة الأكاديمية الموضوعية .. فبهذه الطريقة يمكن لنا جميعا أن نعرف مواطىء أقدامنا ، وأن نعمل ، وسوف يتضح لنا أن هذه "الزحمة" التى نحس بها ما هى إلا ابنة لهذا الخلط العجيب ، والتسيب الذى أصبح سمة غالبة .

إنها إذن ليست دعوة "شكلية" إنما هى دعوة مبدئية لملامسة جوهر وروح العمل الذى من أهم مقدماته أن أعرف : ماذا افعل ، وكيف ، ولمن أتوجه .

عبده جبير



● تليفزيون ●

الـرجل السمكة .. ومسلسلات الخيـال الامـــريكيـــة

□ بدا التليفزيون فى إعادة عـرض الحلقـات المتصلـة ، المنفصلة ، باسم (رجـل من اطلانتيك) او الرجل السمكة .. وهو مسلسل ينتمي إلى نوعية الخيال العلمي التي برع فيها مطبخ التليفزيون الامريكي منذ زمن طويل وشاهدنا العديد منها على شاشة التليفزيون المصرى مثل (رحلة فى اعماق البحار) (الغـزاة) فى الستينات ، ثم (رجل بستة ملايين دولار) و (مفقود فى الفضاء) و (المراة الخارقة) فى السبعينات وفـى الثمـانينـات جـاءنـا (جالاكتيكا) ، وهـذا المسلسل بالاضافة إلى مسلسلين آخرين يعرضان فى سهرة القناة الاولى ضمن برنامج (اخترنالك) مساء الاربعاء ، وعلى القناة الثانية فى السابعة مساء ، بالتناوب ، وهما (العربة) ، (نايت ريدر) ، وفى هذه المسلسلات اتجاهان ، الاول ان يتمتع بطله او بطلته بقدرات خارقة والثاني ان تتمتع الآلة بهذه القدرات التي تمكن صاحبها فى النهاية من القيام ، بالتالى باعمال خارقة .

والمسلسل الذى نراه الآن - بدا عرضه ٣١ اغسطس الماضي - يسير فى الاتجاه الاول ، فبطله يتمتع بقدرات خارقة فى البحر ، وفي الأرض ، واصل الفكرة بسيط جدا ، فنحن امام إنسان يتضح من متابعته انه نصف إنسان ونصف سمكة ، يتنفس على الارض وفى الماء ، ويحتاج للاثنين معا فيتقلب بينهما وبنفس الدرجة فبعد عدة ساعات على الارض لابد له من الغوص فى المياه والعكس ، وتخبرنا الحكاية - او على الاصح نستنتجها من النسيج الدرامي - انه جاء من كوكب آخر ، وانقطع اتصاله به وانه ، مثل اقرانه فى الكوكب البعيد ، يتمتع بقدرات خارقة فى السمع وفى القوة البدنية له ملامح جسمية كاى إنسان ارضي باستثناء الغشية بين الاصابع تميزه عن بني البشر (وهنا بالطبع تجتمع عدة اشياء خيالية .. ربما يكون من المستحيل عمليا تحققها معا فى شخص واحد .. لكن ما المانع مادام صناعها قادرين على اقناعنا بها فى إطار نظرية الاحتمالات) . ولكن الواضح ، والذى لم يعد غريبا ، ان هـذا الاتجـاه فى المسلسـلات الامريكية اصبح له متخصصون على درجة عالية من الكفاءة من الناحية التقنيـة فى فن الحيل السينمائية والتليفزيونية ، كذلك تلفت النظر فى هذه الاعمـال

خصوبة التاليف والتخصص العلمي القائم على نظرية الاحتمالات وهي مسالة .. يتداخل فيها الخيال والعلم معا ... وربما

الخرافة ايضا والمهم فيها هو تحويل المستحيل إلى ممكن الحدوث ومن ثم تحدث عملية الاقناع وبعدها تاتي الخطوة الثانية وهي عملية اقناعنا بالعناصر الاخرى المصاحبة للبطل الخارق (السمكة) وهي هنا سفينة الابحاث المتطورة التي تجوب البحار وتتبع مركز الابحاث العلمية للبحرية الامريكية ، تراسها عالمة في ابحاث البحار ، مسئولة عن السفينة ـ الغواصة ، وتقوم في الوقت نفسه بدور حلقة الوصل بين السفينة وبين هذا المخلوق (مارك) الذى تم ترويضه لخدمة الانسانية ، والابحاث العلمية .

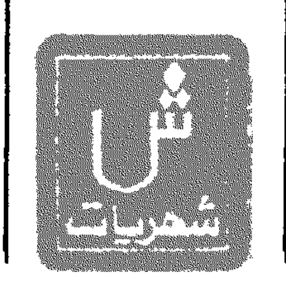
اما مشكلة الحلقات الثلاثة بعد الاقناع بالبطل وبما يحيطه فهي القصص التي يتم من خلالها استغلال الاثنين معا ، فلابد من موضوع جذاب يتناسب وبيئة المسلسل وهي البحر وكعادة افكار ومفردات كتاب هذه النوعية من الاعمال التي تعتمد على ابطال خارقين لهم علم إنساني ، فإن الافكار تحوم حول ظاهرة خطيرة يتخيلونها وهي محاولات قوى مختلفة لتدمير الولايات المتحدة .. أو السيطرة على الارض وتدمير البشرية ! في الحالة الاولى غالبا ما يكون البطل (المقابل) عالم عبقرى متخصص لكنه باع نفسه لدولة معادية لامريكا .. أو انه يريد ، بدافع تحول عبقريته إلى جنون عظمه ، السيطرة على العالم وفرض سيادته عليه وعلى امريكا ايضا ، اما محاولات تدمير البشرية فهي تاتي عادة من خلال مخلوقات أو كائنات مجهولة ، اتية من كواكب وعوالم مجهولة في الفضاء الخارجي ، وفي كل مرة ، نحن امام ديكورات رائعة ، شديدة الابهار ، وصراع وقتال وقنابل واسلحة عجيبة يستخدمها الطرفان في الفتك ببعضهما البعض . وعادة فإن هذا الرجل السمكة هو القوة الحقيقية التي تتصدى ، وتنتزع الاعجاب ، ولعله من اغرب حلقات هذا المسلسل حلقة ابطالها من الميكروبات التي جاءت مع قمر

صناعي أمريكي عائد من الفضاء ، ونزل في البحر (وبالطبع هبط بجانب السفينة حتى يقوم الرجل السمكة بدوره) الغريب أن هذه الميكروبات تبدو (بعد الفحص العلمي) على درجة هائلة من العقل والتقدم ، حتى كادت أن تفتك بالبشرية كلها لولا ان الله سلم ونجح (مارك) في ان يصل الى اقناعها بالعدول عن ذلك ، والاكتفاء باعادة أطلاقها إلى مواقعها التي جاءت منها في الفضاء والذى اقتحمه القمر الصناعي عليها خطا .



بالطبع فإن مطبخ التليفزيون الامريكي لا يكتفي بهذه المسلسلات الموجهة للكبار نظريا وعمليا هي اشد جاذبية للصغار ، وانما تمتد انجازاته إلى حلقات الكارتون المتخصصة لبرامج الاطفال والتي راى اطفالنا عددا كبيرا منها

ماجدة موريس



• مسرح •

محاولات فى "لعبة السلطان"

● على المسرح القومى بدأ مع مطلع الشهر الماضى عرض مسرحية "لعبة السلطان" التى كتبها د . فوزى فهمى واخرجها نبيل الألفى بعد غيبة خمسة عشر عاما عن المسرح ، ويلعب بطولتها نور الشريف ، عايده عبدالعزيز ، عبدالرحمن ابوزهره ، حمد وفيق ، اشرف عبدالغفور ، وفيها يناقش المؤلف قضية العدل والقوة او الحكمة والسيف ، وذلك من خلال اطار تاريخى ، اذ يعود ببطله صاحب صندوق الدنيا وزوجته والبلياتشو الذى يعمل معهما وينقلهم من زمان القاهرة القديمة الى عصر هارون الرشيد فى بغداد ، فى محاولة لكسر المسافة النفسية والجمالية وتحقيق جوهر الظاهرة المسرحية ، ويناقش المؤلف قضيته تلك - كما يقول [بتجاوز اضلاع مثلث العلاقة فى المعالجات الدرامية السابقة التى دارت حول الرشيد واخته العباسة ووزيره جعفر ، بإدخال شخصية (الاشرس) رجل الاعتزال لكى يتحول (المثلث) مربعا يلهث فى دورانه ، ولكى يشكل فى النهاية دائرة هى حلبة الصراع] وصمم الديكور والملابس صبرى عبدالعزيز ووضع الموسيقى جمال سلامه وصمم الرقصات عبدالمنعم كامل .. ومع بداية الشهر الحالى يعود الى خشبة المسرح القومى عرض (عجبى) الذى اعده واخرجه عصام السيد عن حياة الشاعر الراحل صلاح جاهين وهو العرض الذى اثار العديد من القضايا الفكرية والفنية حين عرض منذ شهرين بعد ان مزج بين مسيرة ثورة يوليو وحياة صلاح جاهين وافكاره ومعاركة الادبية والفنية ومواقفه السياسية ، وقد لعب دوره الفنان الشاب مؤمن البرديسى ، وقام بدور (درش) الشخصية الكاريكاتورية التى صاغها الراحل بريشته الفنان نبيل الحلفاوى ومعهما محسن حلمى وفاروق عيطه وامال الزهيرى وسامى مغاورى ومحمد على ، وصمم الديكور اشرف نعيم ووضع الموسيقى منير الوسيمى وصمم الرقصات على الجندى مع اضافات متنوعة لشرائح سينمائية وتعليقات صوتية لخطب عبدالناصر وانور السادات واناشيد مختلفة بأصوات عبدالحليم حافظ وماجده الرومى .

التهكم السلبى فى "العسل عسل .."

● يواصل مسرح الطليعة تقديم عرضه الناجح (العسل عسل والبصل بصل) الذى اعده واخرجه مدير المسرح سمير العصفورى عن مقامات ورباعيات بيرم التونسى فى محاولة لاستخلاص رؤية معاصرة عن واقع ماقبل ثورة يوليو ٥٢ ، وفى صورة تهكمية ساخرة وكاريكاتورية تخلط الماضى بهموم الحاضر ومشكلاته ، ويعلو فيها الموقف النقدى غير المنحاز والنبرات الملتاعة فتهتز الرؤية وتتفك وسط اهازيج الغناء الشادى لسهير طه حسين وممدوح قاسم والحان على سعد المعبره والقوية والمنسجمة مع تنويعات شعبية متباينة ، مع الاداء الهزلى لاحمد حلاوه ويوسف رجائى ورئيد فؤاد وشوشو سلامه وعبدالله الشرقاوى ومحمد الشرشفى .



نبيل الالفى

ولكنه فى النهاية عرض من فنون الغناء والكوميديا المبهجة التى تختلط فيها الدموع بالضحكات فلا يبعد المتفرج عن مشاركتهم جميعا فى التهكم السلبى !

المصريون فى "كوكب الفيران"

● ويقدم المسرح الحديث باكورة موسمه الشتوى هذه الايام فيعرض مسرحية (كوكب الفيران) التى كتبها محفوظ عبدالرحمن واخرجها د . محمد عبدالمعطى ويشارك فى تمثيلها نادية رشاد وشعبان حسين وعادل بدر الدين وفوزى امام وماهر لبيب . وكانت هذه المسرحية قد تأجلت موسمين كاملين بعد اسناد اخراجها تباعا لكل من محمد فاضل ، جلال الشرقاوى ، الراحل عبدالرحيم الزرقانى ، نبيل الالفى . والمسرحية تعالج قضية هامة وحيوية عن تغلغل العدو الخارجى فى جذور التربة المصرية ومحاولاته المستمرة فى تخريب الوجدان الشعبى والقومى ، ويتمثله المؤلف فى جرذان زاحفة الى وادى النيل تاكل الاخضر واليابس وتتكاثر وسط الاهمال والتسيب وتفشى السلبية . وتنذر المسرحية من الاخطار المترتبة من جراء كل ذلك ..

وبعد الانتهاء من عرض هذه المسرحية يبدأ العرض الجديد الذى كتبه محمد سلماوى تحت اسم (قاتل خارج السجن) ويخرجه سعد اردش .

● وفى المسرح المتجول يجرى العمل ، استعدادا لتقديم مسرحية (حلم يوسف) التى كتبها بهيج اسماعيل ويخرجها د . حسن عبدالحميد وتمثلها عزه بلبع مع خالد الذهبى وأحمد فؤاد سليم ومخلص البحيرى .

● وعلى مسرح الجلاء يستعد على سالم والمخرج هانى مطاوع لتقديم مسرحية (خشب الورد) الذى يشترك فى تمثيلها محمود عبدالعزيز فى اول تجربة له على خشبة المسرح ومعه عبدالمنعم مدبولى والهام شاهين ووحيد سيف .

● وفى الثقافة الجماهيرية اصدر د . عبدالمعطى شعراوى رئيس الجهاز قرارا باعادة تشكيل ادارة المسرح وذلك بتكليف الكاتب المسرحى يسرى الجندى برئاسة الادارة ومعه الكاتب ابو العلا السلامونى نائبا له وصبحى امين سكرتيرا والمخرج عباس احمد مسئولا عن المسرح فى محافظات الوجه البحرى وسيناء والقناة ، والمخرج سمير حسنى مسئولا عن المسرح فى محافظات الصعيد والكاتب امير سلامه عن لجنة النصوص ، والشاعر سمير عبدالباقى عن قسم البحوث والتوثيق والمخرج رؤوف الاسيوطى عن الخطة والانتاج ، والشاعر احمد الحوتى عن المتابعة ، وقد تم دمج فرقتى السامر والنموذجية فى فرقة واحدة باسم الفرقة المركزية ، وذلك ضمن اطار من النشاط المتنقل فى ربوع الجمهورية وفى وحدة متكاملة وبمفهوم جديد لمسرح الثقافة الجماهيرية .

محمد الشربينى





● مجلات ●

كراسات شبرامنت

نوعية مختلفة من المجلات الثقافية بدأت تترى في مصر ، هي اشبه بالرسائل الاخوانية من ناحية اهدافها وقصدها ، كما هي اشبه بمطبوعات الماستر التي اغرقت الساحة الثقافية في مصر في السبعينيات .

« كراسات شبرامنت » واحدة من هذه المجلات ، وهي تصدر باللغات الفرنسية والعربية وبعض موادها يترجم ايضا للايطالية . ولتسميتها قصة طريفة .

لقد إجتمع عدد من المثقفين المصريين المتكلمين بالفرنسية وعدد من الفرنسيين ممن يعملون في مجال المصريات أو مجال الترجمة من العربية إلى الفرنسية وبالعكس تحدوهم الرغبة في القيام بإصدار مطبوعة غير دورية لتعريف المتكلمين بالفرنسية بالأدب العربي والثقافة العربية ، وتعريف ابناء العرب بالثقافة الفرنسية ، وكان إجتماعهم في منزل سيدة منهم هي « جيلان الوم » بمدينة شبرامنت حيث تعيش لانها تعد رسالة دكتوراه بمنحة من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، وتداول المجتمعون عدة اسماء للمطبوعة إلى ان اقترح احدهم إطلاق إسم شبرامنت حيث يجتمعون عليها فحملت المطبوعة هذا الاسم .

صدر من هذه المجلة حتى الآن عددان ، ضم العدد الأول مجموعة من قصائد أمل دنقل ترجمت للفرنسية والعربية ، كما ضم هذا العدد ضمن مواده قصة المسلسل لسليمان فياض وترجمة جزء من فصل في الجحيم لآرثر رامبو من ترجمة الراحل رمسيس يونان وكان النص الكامل لهذه القصيدة الرائعة قد صدر في كتاب بالعربية منذ سنتين عن دار التنوير اللبنانية .

كما ضم العدد أيضا ترجمة قصيدة كفافي الشهيرة في إنتظار البرابرة من ترجمة مجدى وهبة .

من اجواء القصيدة الاخيرة نقرأ :

ماذا ننتظر ونحن مجتمعون في مجلس الشورى ؟

إن البربر قادمون اليوم .

ولماذا مات كل نشاط في دار الشيوخ ، وجلس الشيوخ وهم لا يعملون ؟

لان البربر قادمون اليوم .

وماهي القوانين التي يريد الشيوخ ان يسنوها ؟

متى قدم البربر ، سن الشيوخ القوانين .

ولماذا إستيقظ الامبراطور منذ الفجر ؟ ولماذا جلس امام باب المدينة على عرشه الرسمي ، وفوق راسه تاجه ؟ لان البربر قادمون اليوم .

مكتبة الهلال

الكتاب : بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ - ١٩٤٩ دراسة وثائقية
تأليف : د . أحمد عبدالرحيم مصطفى
الناشر : دار الشروق ، ٢٠٤ ص ، ق كبير ٣٠٠ ق م .

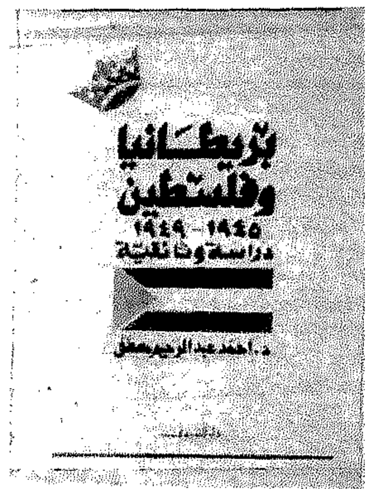
يحدد مؤرخنا النابه الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى موقفه من البداية من المادة التى يتناولها بالدرس فيعرض من أجل ذلك لموقف العرب الذين حملوا السياسة البريطانية مسئولية التطورات التى أدت إلى ظهور الدولة اليهودية وهزيمتهم فى حرب ١٩٤٨ ، ثم يعرض لموقف الصهاينة الذين إتهموا بريطانيا بالتنكر لوعودها والتحيز للعرب خدمة لأهدافهم النفطية والاستراتيجية ساعين إلى واد مشروع الدولة اليهودية .

ويستبعد مؤرخنا هذا وذاك متجردا من العواطف والنوازع والأحقاد التى تراكمت حول تفسير الأحداث ، ليقف موقف الدارس الموضوعى من السياسة البريطانية إزاء فلسطين فى الفترة موضوع البحث .

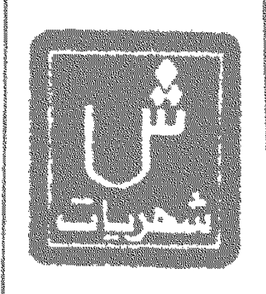
ولما كانت الحكومات العربية «لم تقم حتى الآن بترتيب اوراقها الرسمية والسماح بالاطلاع عليها» فإنه توفر على الوثائق البريطانية غير المنشورة بعد السماح للباحثين بذلك عقب إنتهاء فترة الحظر التقليدية ، ليجعل منها العمود الفقرى لهذا البحث .

ويقول : «ومن الطبيعى أن تصدم بعض الحقائق الواردة فى الكتاب بعض القراء العرب وبخاصة اولئك الذين يشككون عن جهل بطبيعة الوثائق ومن سطروها ، وأحب ان انبه هؤلاء إلى ان الوثيقة الرسمية غير موجهة إلى اى قارىء ، بل إنها تكتب فى وقتها لتبادل الراى والمعلومات بين مسئول وآخر حول قضية ما . ولاشك ان الأجهزة البريطانية فى المشرق العربى كان لها من الوسائل ماساعدها على الحصول على أدق المعلومات ..

وبهذا التجرد العلمى يدرس موضوعه الذى فصله فى عدة محاور أولها : توقف به عند «سياسة حكومة العمال» التى كانت فى الحكم اثناء هذه الفترة ، مبينا فشل السياسة البريطانية ، وعارضا لقرار إنهاء الانتداب . ثم محور «فلسطين فى إطار الدفاع المشترك» بعدها يعرض لموضوع «المشكلة فى المجالين العربى والدولى وينهى صلب البحث بدراسة عن «بريطانيا وحرب فلسطين .



اما ملاحق الكتاب فضمت عددا هاما من نصوص الوثائق وهنا تجدر الاشارة إلى ان بعض هذه الوثائق هى نفسها التى اعتمد عليها محمد حسنين هيكل فى دراسته الجارى نشرها عن حرب السويس ، وإن كان الدكتور أحمد مصطفى قد خصص موضوعه فى فلسطين . وسيكون من المفيد أن نتبين كيف تعامل الكاتبان مع هذه الوثائق كل من زاويته الخاصة .



الكتاب : سوسيولوچيا العلاقات الزراعية فى الشرق الأوسط - إستمرار الانتاج العائلى - نموذج مصر .
تاليف : كاثى وباندلى جلافانيس
ترجمة : سامى الرزاز
الناشر : دار البيادر - القاهرة ١٥٢ ص ، قطع متوسط ، ٣٥٠ ق م

على الرغم من ان المسالة الزراعية فى مصر قد حظيت بالعديد من الدراسات الجادة والمهمة ، وعلى راسها دراسات لباحثين مصريين فى مقدمتهم ، فتحى عبد الفتاح ، عبد الباسط عبد المعطى ، عاصم الدسوقى ، على بركات ، إبراهيم عامر ، رؤوف عباس ، وغيرهم ، إلا ان هذه الدراسة تميزت بتخصيصها لجانب هام من هذه المسألة التى تشكل العملية الانتاجية الرئيسية



فى المجتمع المصرى ، وهو جانب غلبة العائلة الفلاحية الصغيرة بإعتبارها الوحدة المحورية فى تنظيم العمل ، وما يواكبه من تولد للقيمة» .

إن الهدف لهذا البحث الجاد يتمثل فى محاولة فهم الآليات والاستراتيچيات المحددة التى يستخدمها هذا الشكل اللارأسمالى من الانتاج لضمان إعادة إنتاجه فى إطار عملية تحول سلعى متزايدة فى مصر .

وتتالف الدراسة من قسمين : الأول يطرح عرضا نقديا للنموذج السائد فى الأدبيات التى تتناول المجتمع الريفى فى الشرق الأوسط ، ويعيد القسم الثانى تفسير المجتمع الريفى فى هذه المنطقة كوسيلة لطرح نموذج جديد ، أو تفسير جديد . موسع للريف المصرى خاصة ، فى سياق النموذج القائم .

وتجدر الاشارة إلى أن المؤلفين يعملان فى جامعتى دوهام (بريطانيا) وبيرزيت بالضفة الغربية ، وقد أشرفا بنفسيهما على الترجمة العربية ، وزادا عليها ، ووضعا مقدمة خاصة لها ، وتميز الكتاب بكشاف مراجعه الموسع والذى يضم ٣٣٣ مرجعا عربيا وأجنبيا تدور حول المسالة الزراعية فى الشرق الأوسط

الكتاب : محمد التابعى
تأليف : صبرى أبو المجد
الناشر : دار التعاون ، ٥٧٦ ص قطع كبير ، ٦٠٠ ق م

هذا هو أول جزء من سلسلة أعلام الصحافة العربية التى تزمع دار التعاون إصدارها تباعا خصص لواحد من أعلام الصحافة المصرية هو الأستاذ محمد التابعى .

ومن الواضح أن الاستاذ صبرى ابو المجد قد بذل جهدا كبيرا فى قراءة ماخلفه محمد التابعى ، من قصاصات الصحف ، إلى رسائله الخاصة ، ورسائل

العديد من الشخصيات التى وجدتها السيدة هدى التابعى بين أوراقه ، هذا بالاضافة إلى مذكراته الشخصية ومؤلفاته العديدة وفى مقدمته التى جاءت أشبه بإستعراض ملخص لحياة وأعمال التابعى يصرح المؤلف بانه لم يكن يعرف التابعى شخصيا ، وأنه قبل مهمة الكتابة عنه كجزء من واجبه تجاه صحفى لامع ورائد كبير وبصعوبة شديدة يكتب عن بواكير الصبى والشباب والكتابة لدى التابعى نقول بصعوبة لأن التابعى لم يترك معلومات عن طفولته الا تلك التى حصلها المؤلف من إستمارات شهادات التعليم التى عثر عليها بين أوراقه ومقالات الأستاذ عباس خضر عن طفولة التابعى ، ثم يستعرض اول عمل له وهو ترجمة مذكرات اللورد سيسيل التى قصد بها التابعى فضح المستشار المالى للحكومة المصرية الذى سخر من المصريين وعاداتهم فى العمل والحياة .

ثم ياتى المؤلف إلى نشاط التابعى فى كتابه المتابعات المسرحية ويعده رائدا من روادها ، ثم يحكى قصة لقائه بالسيدة روزاليوسف ، وبداية كتاباته الصحفية ، وإنتقاله بالتالى من دولة المسرح الى دولة السياسة ، والمشاكل التى تعرض لها نتيجة لكتاباته الجريئة الامر الذى دفع به إلى قضاء أربعة أشهر كاملة فى السجن ، يستعرض معركة التابعى دفاعا عن الدستور ، وقصة أول مصادرة لروزاليوسف ، ثم إصدار التابعى لمجلة آخر ساعة التى كانت فتحا جديدا فى الصحافة المصرية ، ومشاركته فى إصدار جريدة المصرى .

ويقول صبرى ابو المجد فى نهاية الكتاب : على اننى وقد إتسع نطاق الكتاب .. أؤكد للقارىء اننى عازم على تقديم كتاب آخر عن التابعى فى آخر ساعة والمصرى ، وأوراق التابعى السياسية مع تحليل كامل شامل لشخصية التابعى الصحفى الفنان والانسان وهو مايفتقده القارىء بالفعل فى هذا الجزء

الكتاب القدس فى العصر المملوكى
تاليف : د . على السيد على
الناشر : دار الفكر ، ٣٣٨ ص قطع كبير ، ٥٠٠ ق . م

بقدر ما كانت القدس رمزاً وستارا للعدوان فى كل من الحركة الصليبية والحركة الصهيونية بقدر ماكانت المدينة المقدسة مركزا للبناء ، وبؤرة حضارية وثقافية هامة فى الحضارة العربية الاسلامية .

وهذا الكتاب يحدثنا عن القدس راسما صورة متكاملة وحية عن المدينة المقدسة خلال مايزيد على قرنين ونصف من الزمان ، يقدم لنا صفحة من صفحات تاريخ مدينة بيت المقدس ، حافلة بالمعانى والدلالات الهامة ، فهو كتاب يكشف عن القدس «المدينة الحضارة» .. يكشف عن القدس العربية فى حياتها السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية ويرسم صورة حية لمدينة السلام فى حياتها اليومية على حقبة غنية بالحركة من تاريخها الطويل .

والكتاب فى أصله أطروحة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراة من قسم التاريخ بآداب الزقازيق .

شخصية العدد

برنارد كالب: الأمـــة فـــوق الحكومـــة

بقلم: فيليب جلاب

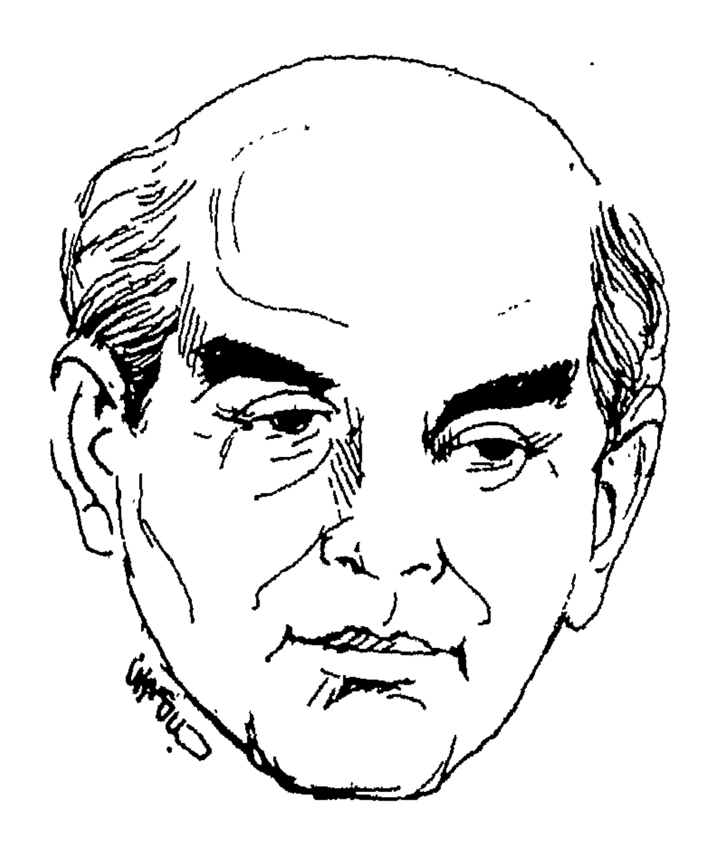
برناردكالب صحفي ومعلق امريكي بارز . وصل الى منصب رفيع يحلم به غالبية المعلقين الامريكيين وهو ان يتحدثوا باسم بلادهم سواء في البيت الابيض او وزارة الخارجية .

لكن كالب رجل من اصحاب الضمائر اليقظة رغم انه ينتمي الى ادارة وسياسات لا تعرف بالضرورة شيئا عن الضمير ، في خضم صراع الحياة والموت من اجل التفوق والسيادة على العالم.

ومع ان كالب ليس متيما بحب العرب ، والليبيين منهم خاصة، الا انه قدم استقالته من منصبه لان ضميره لم يعد يتحمل وسائل حكومته ورئيسه في الحرب ضد ليبيا .

لكن استقالة كالب لم تكن حبا في ليبيا بقدر ماهي حفاظا على مصداقيةالولايات المتحدة الامريكية كما يحبها وفقا للصورة التي يحددها لها .

فقد اكتشف ((كالب)) انه كان ينفذ دون ان يدرى تفاصيل حملة كاذبة مضللة تؤدى الى استخدام الارهاب ضد ليبيا بحجة محاربة الارهاب الليبي . ورغم ان اعلان الاستقالة وتحديد اسبابها اغضب الرئيس ريجان الذى يؤيد مجمل سياساته ، ورغم ان الاستقالة اضعفت كل



حجج ((بلاده)) امام أصدقائها الاوربيين الذين تحاول تعبئتهم ضد ((العدو الليبى)) ، فضلاً عن العدو السوفييتى ، الا أن برنارد كالب لا يعتقد ان الادارة الامريكية او الرئيس ريجان هو ((البلاد)) او ((الوطن)).

فالوطن فى البداية والنهاية هو اكبر كثيرا من اى رئيس او امبراطور او حكومة اوحزب. وهى الترجمة الامريكيـــة لشعارنا : الحق فوق القــوة والامة فوق الحكومة !

وبهـــــذه الاستقالة التي أضـــعف بها برنارد كالب حكومته ورئيســـه ، أعطى للولايات المتحدة الامريكيـة ، وللنظام الامريكي مصداقيـة وقوة لم يأت بمثلها الرئيـس ريجان طوال فترتى حكمه

هل هى مناورة ؟ هل هـــو تقســـيم للادوار بين الشرير والطيب ؟ هذا هـــو التفسير التآمرى للتاريخ والمجتمـع والناس .

وايا كانت المآخذ على النظام الامريكى والسياســـات الامريكية فمن المستحيل ان يخلو نظـــام من بعض ذوى الضمائر . وذوى الضمائر فى اطار مثل هذه النظم هم اذكى من يدافعون عنها بتمــردهم ورفضهم . وبدونهم يختــل توازنها وتترجح كفة سوءاتها وتذهب قبل اوانها .

وهذا ما يدركه ايضـــا ((عقلاء)) الانظمة حتى لو كانوا من الاشرار !

رسالة سويسرا

بقلم: جميل عطيه إبراهيم

● المؤتمر الرابع للفيديو تكست في مدينة بازل يناقش

تطور أجهزة الفيديو تكست

وأثره على النظام العالمي الجديد للمعلومات

عقد في منتصف شهر سبتمبر من هذا العام في مدينة بازل السويسرية مؤتمر خاص لمناقشة الآثار المترتبة على تطوير اجهزة « الفيديو تكست » وما يسمى بثورة الاتصالات ، وقد استمر المؤتمر يوما واحدا وقد حضره ٧٠٠ من المتخصصين في دول المجموعة الاقتصادية الأوربية على هيئة محاضرات عامة للمسئولين وللعلماء في هذه الدول وكذلك على هيئة مجموعات بحث للقضايا المطروحة .

وفي هذا التقرير من مدينة بازل نتناول اهم القضايا التي تناولها المتخصصون حول الموضوع الذي ينظر اليه حاليا كاحد ركائز النظام العالمي الجديد الذي يحكم العلاقات بين الدول ونحن على مشارف نهاية القرن الحالي

شاع أخيرا مصطلح « ثورة الاتصالات » دون فهم واضح لهذه الثورة ـ خاصة في الدول النامية وكذلك في أوساط كثيرة في الدول المتقدمة أيضا . وذلك لان هذه الثورة لها أركان متعددة ، بعضها تقني يتعلق بالوسائط والاجهزة وشبكات الاتصال وهذه جوانب فنية وتقنية معقدة ، وبعضها يتعلق بثورة المعلومات وتضاعف حجمها كل خمس سنوات تقريبا ، وللاستفادة من هذا الكم الهائل من المعلومات اصبح الفرد في حيرة من أمره ، كما انه بازدياد الفجوة بين الدول النامية والمتقدمة اتساعا ركنت مجموعة الدول النامية الى الكسل عن متابعة ما يدور حولها .

والمؤتمر الأخير الذي عقد في مدينة بازل هو المؤتمر الرابع من نوعه الذي يخصص لدراسة جانب من جوانب ثورة الاتصالات وهو جانب الاجهزة ـ خاصة جهاز الفيديو تكست ـ فهذا المؤتمر لم يكن مخصصا لدراسة ثورة الاتصالات ولكنه تمر على مناقشة الاثار الترتيبة على استخدام هذا الجهاز واثر ذلك على ثورتي الاتصالات والمعلومات . ولهذا يحسن قبل مناقشة الاثار الترتبة على

ادخـــال هذا الجهاز ان نقدم فكــرة مبسطة عنه ٠

اجهزة الفيديو تكست Videotext

جهاز « الفيديو تكست » هو جهــاز صغير الحجم يشبه فى حجمه الآلة الكاتبة وملحق به شاشــة تليفزيونية وبداخله كمبيوتر صغير ، ويمكن نقله بسهولة، وله رقم مثل رقم التليفون ٠٠ ويتصـــل بشبكة الاتصــــالات مثل التليفـــون ، ولهذا ، فهذا الجهـــاز الصغير الحجم له وظـائف متعـــددة ونوجزها فيما يلى :

● يؤدى هذا الجهاز وظيفة الآلة الكاتبة المعروفة ، وله لوحة مفاتيح مرتبة وفقا لترتيب مفاتيح الآلة الكاتبة المعروفة وهى نمطية التـــــــــرتيب فى اللغات المختلفة ، فترتيب الحروف فى الماركات المختلفة فى اللغة الواحدة متشابه ـ فمن يستخدم الآلة الكاتبة يمكنه استخدام كافة الماركات بسهولة ويسر ٠٠ وتزيد على مفاتيح الحروف بعض الرموز والعلامات المستخدمة فى الحاسـبات الآليـة المعـروفة بالاسم الشائع وهو اجهزة الكمبيوتر ٠

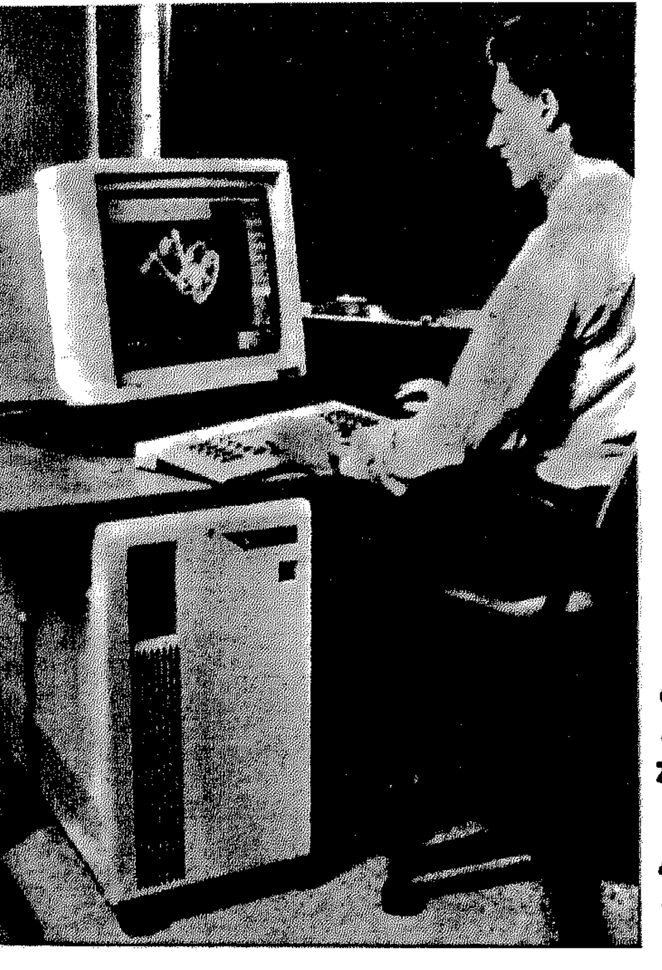
ومن هذه الناحية فهذا الجهاز يؤدى وظيفة الآلة الكاتبة ، ومستخدمه يكتب الرسالة التى يرغب فيها كما يستخدم الآلة الكاتبة ٠

● يؤدى هـــذا الجهاز وظيفـــة التليفزيون ، فله شاشة تظهـر عليهـا الرسالة الاعلامية التى يكتبها مستخدم الجهاز ، كما انه يستقبل الرســـائل الاعلامية والمعلومات من الجهات الاخرى وتظهر على الشــاشة ، واذا اراد صاحب الجهاز الحصول عليها مكتوبة عليه ان يضـغط على بعض المفاتيح فتخرج من جهــاز صـغير ملحق به مطبوعة وفقا لعدد النسخ المرغوبة ٠

والوظيفة الهامة هنا لجهاز « الفيـديو تكست » انه وسيلة اتصال مثله مثل جهاز التليفزيون الـــذى يســـتقبل الاخبار من محطة الارسال المخصصة له ٠

● يؤدى هذا الجهاز أيضا وظيفة التليفـــون ، فالتليفون هذا الجهـــاز الصـــغير يجمع بين وظيفتين همـــا الارســـال والاســـتقبال ، فمستخدم التليفـــون يوجه الرســـائل ويستقبل الاجابات عليها ، وكذلك جهاز « الفيديو تكست » يوجه الرسائل ويستقبلهاعلى الشاشة التليفزيونية كما ذكرنا ٠ فهو جهاز استقبال وارســـال فى الوقت نفسه ، ومن هذه الناحية يفوق جهاز

تطور مستمر للفيديو تكست



رسالة سويسرا

الفيديو تكست جهازى الراديو والتليفزيون فكلاهما مستقبل فقط للرسالة الاعلامية ، وهذه ميزة خطيرة يتميز بها هذا الجهاز وتترتب عليها نتائج خطيرة جدا فى عالم الاتصالات.

● لهذا الجهاز الصغير « الفيديو تكست » امكانية الكمبيوتر او الحاسب الالى وله ذاكرة يمكن تجميع المعلومات فيها ، ومن هذه الناحيةفهو يشبه الكمبيوتر الشخصى الذى شاع استخدامه فى البيوت والمكاتب .

وهذا شرح مبسط للغاية لوظائف هذا الجهاز التقنية او امكاناته العملية والتى اردنا ان نوجزها فى اربع وظائف مختلفة لتعطى للقارىء فكرة عن الجهاز واستخداماته ، ولا يغيب عن فطنة القارىء هنا ان قولنا ان جهاز التليفون هو جهاز استقبال وارسال لا يغنى عن دراسة الاثار التى ادخلها هذا الجهاز على حياتنا ، وكذلك بالنسبة الى جهاز الفيديو تكست ، فهو تقنية حديثة لها اثار خطيرة ، واذا كان فحص تطور هذا الجهاز وتطوره يدخل فى دائرة اهتمام رجال التكنولوجيا او المهندسين فان الاثار المترتبة على ادخال هذا الجهاز الى البيوت هى التى تهمنا بالبحث ، فهذا الجهاز الصغير يمثل ثورة فى عالم الاتصالات .

وهنا يجب الاشارة الى ان قطاع السياحة فى العالم كان اكثر القطاعات التى استخدمت هذه الاجهزة فى دوائر مغلقة صغيرة نسبيا منذ عدة سنوات لمعرفة حركة الحجز والالغاء التى تعتبر الممول الرئيسى لشركات الطيران والفنادق لكن هذه الاستخدمات كانت محدودة فى دوائر مغلقة كما قلنا .

ويحسن بنا بعد هذا الشرح لوظائف هذا الجهاز الصغير « الفيديوتكست » الانتقال الى المشاكل التى تصادف المسئولين فى الدول المتقدمة ومعرفة تصوراتهم حول هذا الموضوع كما عرضت فى مؤتمر بازل الاخير ، ولنستمع الى اقوال احد المسئولين الكبار فى مصلحة البريد والتليفون والتلغراف السويسرية وهى الدولة المضيفة لهذا المؤتمر .

أشار المسئول السويسرى الى مشكلتين اساسيتين تصادف مصلحة البريد والتليفون والتلغراف هما :

اولا : مشكلة ضخامة الاستثمارات المطلوبة لمد شبكات الاتصالات بالدول المجاورة لتعمل بكفاءة وبتكلفة معقولة ايضا ، ولان المعروض من الاجهزة والتقنيات يتطلب المفاضلة فهذه مسالة وقت بعد تدبير الاعتمادات اللازمة .

ثانيا : مشكلة التشريعات القانونية اللازمة لتقنين القواعد القانونية المطلوبة وقد اعلن المسئول السويسرى ان هذه مشكلة رئيسية وقد ترتب عليها تاجيل تنفيذ المشروع لبداية الربيع القادم ، فمصلحة البريد التليفون والتلغراف من مهماتها الرئيسية تامين نقل المعلومات وتوفير اقصى ضمانات الامن لها وفقا للقوانين المنظمة للعمل ، ولان المعلومات التى يمكن نقلها بهذه الاجهزة لها اهمية كبرى اقتصادية واجتماعية وسياسية فمن الواجب تحديد النقطة التى ينتهى

عندها دور الهيئة الحكومية ، وقد ثار خلاف حول سلطة الهيئة ومدى تدخلها فى عملية النقل للمعلومات - أى دور الحكومة ودور الافرادوحريتهم فى نقل المعلومات - وقد اعلن المسئول السويسرى ان هذه النقطة فى حاجة الى مزيد من البحث القانونى ٠

اما السيد هيربرت جراب من المانيا الاتحادية فقد قدم دراسة ممتعة للغاية عنوانها « وسيلة اتصالات من أجل المواطن الفرد - مجموعة خبرات من ألمانيا الاتحادية » وقد تناول فيها بعض النتائج المترتبة لصالح المواطن الفرد فى مواجهة سيطرة أجهزة الاعلام من صحافة وراديو وتليفزيون موضحا مزايا هذه التقنية الجديدة كوسيلة فى عالم الاتصالات ٠

اولا - تحرير الفرد من سيطرة الاجهزة الرسمية :

يقول السيد جراب ان جهاز « الفيديو تكست » يعتبر أكثر الوسائط المعروفة فى مجال الاعلام مثل الصحافة والراديو والتليفزيون قربا من يد المواطن الفرد لتلبية احتياجاته المباشرة ، فهو يمتلك هذا الجهاز فى بيته والذى يمثل نافذة له على مايجرى فى انحاء العالم من احداث دون تدخل أو رقابة او انتظار موعد نشرات الاخبار الخاضعة لاختيارات المسئولين سواء بالحذف او التأجيل أو بترتيب الاولويات ، فهذا الجهاز « الفيديو تكست » قريب من الفرد ويلبى احتياجاته التى يتطلع لاشباعها والتى قد لا تهم الاخرين ، ويضيف السيد جراب هنا قائلا : لقد مل الفرد أقوال أولئك الذين يدعون انهم معلمو الامة ، والفرد يود تلبية احتياجاته بنفسه دون وصاية منهم ٠

ثانيا - وسيلة مباشرة بين المستفيد ومقدم الخدمة :

يمثل هذا الجهاز « الفيديو تكست » وسيلة أو واسطة مباشرة بين المواطن الفرد وذلك الذى فى مقدوره تقديم خدمة له سواء كان فردا مثله أو مؤسسة ٠

ثالثا - ليس وسيلة انعزالية ولكنه وسيلة اجتماعية :

أشار السيد جراب لنقطة هامة ، وهى تتعلق بالحالة السيكولوجية للافراد نتيجة لانتشار أجهزة التليفزيون ، فقد ترتب على انتشار التليفزيون زيادة عزلة الفرد واتسامه بالسلبية نتيجة لاستقباله المستمر للمعلومات القادمة من منبع واحد لتصب فى رأسه ، فهو مستقبل دائم للمعلومات وليس له حق المناقشة أو السؤال أو الاختيار ، فكل شيء يصب فى رأسه ، اما جهاز الفيديو تكست فسوف يكسر هذه العزلة ويتيح له فرصة الاتصال بالاخرين ، ليغير موقفه من مستقبل فقط الى مشارك ايضا فهو يوجه الاسئلة ويتلقى الاجابات ويستفسر ويناقش ويوجه الاجابات ايضا للذين يسألونه عن موقفه المالى أو رأيه فى قضية ما ٠

هذه بعض الجوانب التى تتعلق بتطور هذه التقنية الجديدة « جهاز الفيديو تكست » ، والتى عقد من اجلها المؤتمر الاخير فى مدينة بازل ، اما اذا أردنا مناقشة ثورة المعلومات والاتصالات فيجب التصدى لعدة محاور اخرى تمثل اركان هذه الثورة مثل المعلومات وتضخمها وشبكات الاتصالات وتطورها ، فهذه الاجهزة « الفيديو تكست » تمثل عنصرا واحدا من هذه الثورة ٠

العالم في سطور


سوينكا

● لاجوس ●

جائزة نوبل ١٩٨٦

لماذا ينظرون الينا دائما على اننا يجب ان نكون « غريبين » .

« لماذا ينظرون الينا دائما على اننا يجب ان نكون « غريبين » » .

تلك هي العبارة التي اطلقها الكاتب النيجيري وول سوينكا في احد احاديثه الصحفية ذات يوم ..

بنفس الدهشة تطلعت الانظار الى ستوكهولم ولاجوس عندما منحت جائزة نوبل في الادب لهذا العام للشاعر الروائي والكاتب المسرحي والمخرج وول سوينكا .. هتف البعض « افريقيا اخيرا » وهتف الاخر « وزنجي ! » ، المشكلة في هذا الامر اننا كي نعرف شيئا عن سوينكا رحنا نبحث عنه في الكتب المترجمة الى لغات اوروبا .. وبدت الصلات مقطوعة من ابن قارتنا الاكثر قربا لنا من اوروبا .. لذا بدا انه بدلا من ان نلوم الغرب الذي ينتقي من ادبنا ما يتفق وافكاره .. ام نلق هذا اللوم على انفسنا للصلات المقطوعة تماما بين ابناء العالم الثالث ..

فسوينكا غير معروف في عالمنا العربي بالدرجة التي تليق به . رغم محاولات عديدة لتقديم مسرحه في دوريات ومطبوعات عربية .. ورغم ان هذا الابداع اقرب الينا .. ترجمت له في الكويت مجموعة مسرحيات .. وقالت عنه دائرة معارف الدراما العالمية : انه اهم كاتب مسرحي في افريقيا ..

ولد سوينكا في مدينة رديكوت بجنوب نيجيريا عام ١٩٣٤ . تعلم في جامعة ابيبرجان . عمل بالاخراج الاذاعي قبل ان يتفرغ للمسرح . في عام ١٩٦٠ قدم مسرحيته الاولى « رقصة الغابات » المكتوبة خصيصا للاحتفال باستقلال نيجيريا وهي تتناول اثر استقلال نيجيريا على ثلاثة اجيال من الافارقة . واكد ان لهؤلاء الافارقة جوانب قوتهم وجوانب ضعفهم . ويجب الا يتجاهلوا قوتهم . كما يجب الا ينسوا ضعفهم .

من مسرحياته الاخرى «سكان المستنقع» ، « العشيرة القوية » ، « الاسد والجوهرة » ، « الطريق » ، « مجانين والاخصائيون » ، « الموت وفارس الملك » .

في مسرحه يحاول سوينكا استخدام العديد من الطقوس الدينية ممزوجة باجواء الاساطير لمحاولة تفسير البعد الانساني . كما استفاد من الاقنعة الافريقية في العديد من المسرحيات التي كتبها واخرجها .

« اعتقد ان واجبي ككاتب مسرحي ان اقدم عملا مسرحيا مميزا . ولي فيه التزام واحد فقط هو التزامي تجاه الجمهور الا يتركوا المسرح لشعورهم بالملل . لست ملتزما ان اثير العقول. او اوجهها او اعلمها . وذلك عكس بريخت تماما . لان ما يعجبني في بريخت هو نوع مسرحه وحيويته » .

وعن حركة الادب في نيجيريا يقول الكاتب انه لا يوجد تيار أو اتجاه نموذجي للكتابة . هناك مجموعة من الافراد . لكل منهم مفهومه الخاص ويعمل به وتفتقر نيجيريا الى النقد . ليس لدينا نقاد مجيدون . بينما نجد ان النقاد الاوربيين يضعون مقاييس مختلفة عن الكتابة عندنا » .

هل ادب سوينكا اوربي .. ام افريقي مصبوغ باحمر الشفاه الاوربي مثل ادب سنجور . ام افريقي بالدرجة الاولى .. ذلك ما سوف تتناوله الهلال في دراسة قادمة .. ومهما كان شكل هذا الادب .. فاهلا بنوبل ـ الكثيرة الشبهات ـ في عالمنا الثالث .. بل وفي قارتنا السوداء .

● فرانكفورت ●

معارض الكتب .. هل هي مهرجان .. ام اسواق تجارية

انتهت في الاسبوع الثاني من اكتوبر المنصرم الدورة السابعة والثلاثين لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب . . . احد اكبر مهرجانات الكتاب في العالم كله .. حيث يشترك فيه اكثر من سبعة آلاف ناشر . ونحن نؤكد انه مهرجان وليس سوقا لانمباراة عالمية في الطباعة والتلوين والتغليف . ويعرض من كل كتابا نسخة واحدة بالطبع غير قابلة .. وذلك بعكس اسواق الكتب التي تعرض في بلادنا .

وهذا المهرجان مظاهرة ثقافية كبيرة .. يجتمع فيها اصحاب القلم ورجال الفكر من شتى انحاء العالم ، ويمنح جائزة ادبية سنوية لاحد الكتاب الهامين. مثلما حدث في العام الماضي عندما منح الجائزة للشاعر المكسيكي اوكتافيوباث. كما منحت هذه من قبل للكاتب البولندي شيزلوميلوش والروسي سولجنتسين. كما يتم في هذا المعرض الاتفاق على نشر ملايين الكتب الجديدة . وعلى ترجمة الاعمال العالمية . وعلى بيع حقوق طبع الكتب بين دور النشر وبعضها .

ومعرض فرانكفورت ليس مخصصا للثقافة الغربية وحدها . بل هو مفتوح لثقافات العالم اجمع . فهذا العام برز جناح الهند على العديد من الاجنحة .. وقد اشترك العديد من دور النشر المصرية في هذا المعرض .

تقول ماريا هولت احدى المهتمات بالنشر الخارجي في الولايات المتحدة : في العالم عدد كبير من اسواق الكتب ، لكن هذه السوق هي الوحيدة التي تجتذب الجميع على الاطلاق . هنا تولد الافكار الوجيهة ويلتقي كبار الوسطاء وهناك من يقول انك اذا لم تأت الى هذا المكان فانت غائب عن عالم النشر » .



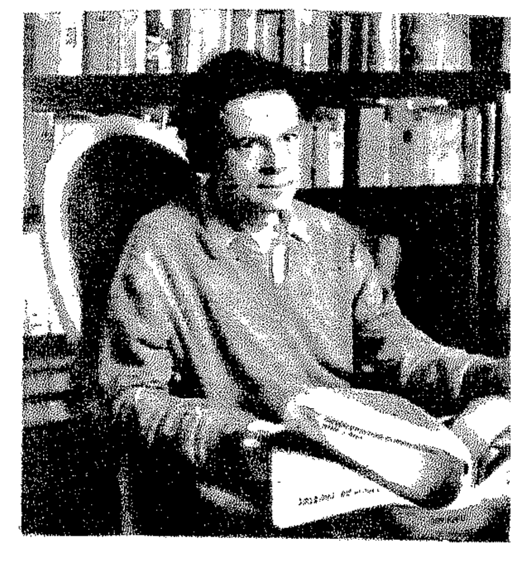
● باريس ●

ايام الاحاد .. على قمة المبيعات

كانت « الهلال » اول من يقدم باتريك موريانو الى القارىء العربي عام ١٩٨٠ .. هذا الشهر صعد موريانو كالعادة الى قمة المبيعات في فرنسا مع روايته الاخيرة « ايام الاحاد في اغسطس » .

تجيء اهمية هذا الخبر ان موريانو قد حظى بشهرة واسعة مع روايته«شارع الحوانيت المعتمة » ـ ستترجمها روايات الهلال كاملة خلال اشهر ـ وفاز عنها بجائزة جونكور .. وتصور البعض ان موريانو لن يقدم عملا جديدا اكثر اهمية من حوانيته المعتمة . خاصة ان روايته « شباب » المنشورة عام ١٩٨١ جاءت دون المستوى الذى يتمتع به الكاتب .. لكن « ايام الاحاد » تقفز الى اعلى سلم المبيعات .

فى الرواية الجديدة يلجأ الكاتب كعادته الى اسلوب الفيلم البوليسى لا ليكشف عن غوامض الجرائم . ولكن عن مكنونات النفوس . فابطاله دائما تائهون يبحثون عن هوية ضائعة وعليهم تصفح الوجوه كى يعثروا فيما بينها على ذكريات خفية تعيدهم شيئا فشيئا الى شخصهم الطبيعى .. وكما تتكشف الاسرار الغامضة فى الروايات البوليسية فان كل كوامن النفس تصعد على السطح فى نهاية روايته .



باتريك موديانو

يقول موريانو عن اسلوبه فى الكتابة: « عندما نكتب فاننا نضطر أن نقوم بدور المشاهد والمستمع .. ولا اقول التلصص .. ولكننا يمكن أن نلمس ما حولنا ونترقب . ونعيش فى أجواء تنقل ارتباكات الاخرين الى اضطراباتنا فتصبح شخصيات اكثر تعقيدا .

آخر اخبار رواية موريانو انها دخلت فى تصفية الجوائز الادبية التى ستعلنها الاكاديميات الادبية الفرنسية هذا الشهر « نوفمبر » وستفوز حتما باحدى هذه الجوائز ليست منها جونكور . لانه سبق للكاتب أن نال هذه الجائزة .



هل يعيش جولدنج لحفلة افوله

« وليام جولدنج » كاتب نادر . نادر لانه يكتب قليلا . نادر لانه بعيد عن

تيارات الادب الانجليزى المعاصر .. بهذه العبارة تحدث برنارجينيه في جريدة لوموند في ١٩ سبتمبر الماضى بمناسبة صدور الرواية الجديدة لجولدنج تحت عنوان « رجـــال من ورق » ويقول ان جولدنج سيظل شيئا غامضا غريبا .

اما بطل روايته الاخيرة ويلفريد باركلى فهو ايضا كاتب مشهور يعيش خريف حياته .. ولحظات أفوله .. يلتقى بطـــالب امريكى معجب باحدى رواياته . انه يحلم ان يكون « المنفذ الادبى » لاســتاذه .. وبينما يتكلم التلميذ مع باركلى عن الادب فان العجوز يجتر مجموعة من الـذكريات العاطفية لزمن ولى .

وكمـــا يؤكــد برنارجينيه فان رواية جولدنج الاخيرة بمثابة نص وثائقى حول وضعية الادب المعاصر .. هنـالك اشياء يبتدعها الروائيون . فيسمون البشر . ويشيدون البناء ويصنعون من انفســهم محللين نفسيين . ويجعلون الاشــــياء امامهم اشبه بعرائس يحركونها كمـــا يشاءون .. فارضين انها تعج بالحياة .

وليام جولدنج



● بكين ●

آخر الاباطرة جناينى

سيكون « آخر الاباطرة » حديث كل الاوساط السينمائية فى عام ١٩٨٧ .. واذا كان العالم فى ســطور قد صــدق حين تنبأ فى اكتوبر الماضى ان فيــلم تاريخ « لكومنشينى » سيكون حــديث عامنا هذا فانه يؤكد ان فيلم برتولوتشى سيكون بلا منازع فيلم العام القادم ..

بروتولوتشى صاحب « آخر تانجو فى باريس » ، و « القرن العشرين » ، و « القمــر » اختار هـذه المرة ان يرحل الى الصين لتقديم فيلمه الجديد من خلال اطار تاريخى فى عام ١٩٠٨ يتحدث فيه عن آخر اباطرة الصين « بووى » الذى تولى العرش وهو فى الثالثــة من العمر . وبعد ثلاثة اعوام فقط من توليه السلطة اعلنت الجمهورية فى البلاد .

فبعد ان يتم طرد الامبراطور الصغير من القصر يرحل مع وصيه الاسكتلندى ــ بيتر اوتول ــ الى مدينة صــغيرة تعيش على النظام الاوروبى . . ومــن خلال الامبراطور الذى ترك لعبة السياسة يتحدث الفيلم عن تاريخ الصين الحــديث حتى عام ١٩٥٩ يصبح فيها الامبراطـــور «جناينى» فى احدى حدائق بكين . ثم يصيبه مرض السرطان ويموت عام ١٩٦٧ .

ويقول المخرج عن الاسباب التى دفعته لاخراج هذا الفيلم : هى التحــولات التى لحقت بهذا الرجل عبر حياته . . لقد جلس على العرش عدة سنوات . عاش فى سجن ذهبى دون ان تكون لــه القدرة ان يمارس سلطاته حتى اذا قامت الثورة اجبرته أن يدفع اخطاء المــاضى ثم وبعد تسع سنوات من الحبس يصبح «جناينى» فى حديقة بكين . انها المرة الاولى فى حياته التى يصبح فيها حرا . هناك مســخ شامل ففى الصين شــعار الامبراطور هو التنين . اما فى قصة بووى فهى حول تنين اصبح انسانا .

كراهية العرب تحصل على جائزة عام ١٩٨٦

بقلم : محمود قاسم

اى سلام هذا الذى منح من اجله الكاتب الامريكى ايلى ويسل جائزة نوبل فى السلام ؟. اى سلام نادى به ويسل .. هل هو السلام الذى نادى به قبل مناحم بيجن ومنح نفس الجائزة منذ اعوام .. ام سلام آخر مصنوع على الطريقة اليهودية .

السلام يهودى .. والعلوم يهودية الجنسية بناءاً على ما اقرت به جائزة نوبل هذا العام ؟ حين منحت جائزة الطب والعلوم لكل من ستانلى كوهين وريتا ليفى .. ثم تمنح جائزة السلام لويسل .. وثلاثتهم من اليهود .. وتجىء غرابة منح ويسل الجائزة فى انها انتزعت من الزعيم الافريقى مونديلا الذى يستحقها .. لكن لو استعرضنا ادب ويسل وافكاره وتصريحاته .. لرأينا انها ابعد ما تكون عن السلام .. تعبر عن شخص ملىء بكراهية كل الاجناس بماقيهم العرب ـ عدا ابناء عشيرته .

واذا كانت الحجة التى قيلت حول منح اديب جائزة السلام ـ وليست الادب ـ ان الكاتب وقف ضد الرئيس ريجان فى برنامجه "حرب الكواكب" .. فان عشرات من رجال السياسة والفكر قد وقفوا ضد هذا البرنامج .. ولو كانت قد منحت لجوربلتشوف لانه وقف متشدداً ضدها ما اثارت مثل هذا الاستغراب بعد ان منحت لويسل ..

وقد زار ويسل ـ أوكاره العرب كما احب ان اسميه ـ مصر فى شهر فبراير عام ١٩٨١ وفد أدبى يهودى ضم كلا من آرثر ميللر ووليام ستايرون صاحب رواية "اختيار صوفى" . وقد طاف هذا الوفد جمهورية مصر العربية فوق يخت فاخر على ضفاف النيل لمدة اسبوعين .. دون ان ينتبه أحد الى نوايا أعضائه .. وقد تفضلت صحافتنا

الوصية فى شوارع تل أبيب

الأدبية ـ العلمية دائما ببواطن الامور ـ بتكريم ميللر وملأت صفحاتها بالحديث عن الزوج السابق لمارلين مونرو ولم تظهر صورة واحدة منشورة لاى من بقية اعضاء الوفد .

ويكفى ان نستعرض أسماء الروايات التى قدمها ويسل لنعرف اتجاهه قبل ان نلقى الضوء على بعضها .. من هذه الروايات : "شحاذ مدينة القدس" التى نالت فى فرنسا جائزة مدسيس عام ١٩٦٨ . وهى جائزة لاتمنح سوى للروايات التى تقدم ابداعات تجريبية جديدة اما اعماله الأخرى فمن اشهرها "وصية شاعر يهودى تم اغتياله" عام ١٩٨٠ ، "ضد الكابة" ١٩٨١ ، "الابن الخامس" .. ١٩٨٣ ، "علامات الخروج" .. ١٩٨٥ .

والغريب أن ويسل يهودى بولندى ـ مولود عام ١٩٢٩ ـ رحل من بولندا الى اوروبا الغربية ومنها الى الولايات المتحدة .. وهو بهذا يكون رابع اديب بولندى ـ امريكى (يهودى) يفوز بجائزة نوبل خلال عشر سنوات بعد صول بيللو ، اسحاق سنجر ، شيزلو ميلوش . وايلى ويسل .. وهو يكتب بالفرنسية والانجليزية على السواء .. عاش فى فرنسا سنوات طويلة قبل ان يرحل الى الولايات المتحدة فى اوائل السبعينيات ..

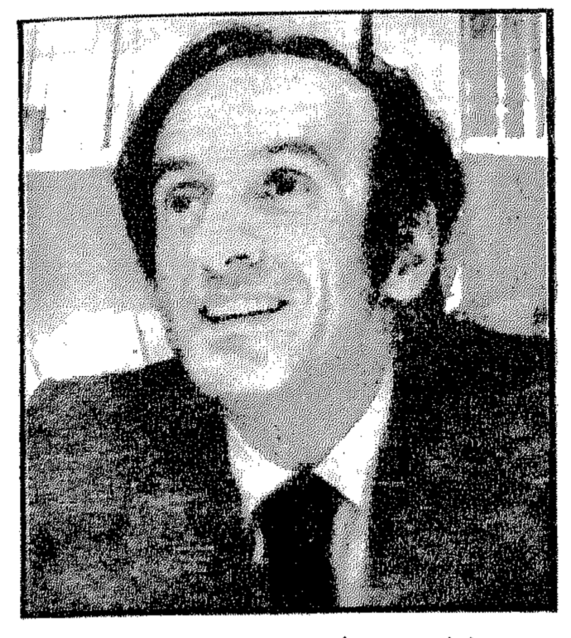


كراهية العرب

في روايته "شحاذ مدينة القدس" يتناول عدوان ١٩٦٧ على العرب .. ويجيء التناول مصبوغا بصهيونيته الشديدة التعصب . ويقول انه اراد ـ مثل الاف اليهود في العالم ـ ان يقاوم ببعض مما لديه . "كان على ان اقول اى شيء . ذهبت الى القدس" . ويشبه ذهابه الى القدس كانه رحلة حج . ويصوغ روايته بشكل تجريبي بالغ التعقيد يصعب عرضه . فهو يمزج بين احداث الماضي والحاضر .. يعود الى عصر السيد المسيح ويقارن هذه الحقبة التاريخية بما دار في الحرب العالمية الثانية .. ثم يجيء الى سنوات الستينيات ليمجد الجنود الاسرائيليين على بطولاتهم (!!) ضد العرب في حرب الايام الستة يدخل احد المعابد القديمة في مدينة القدس . هناك الامير الاسرائيلي دان الذى اكتشف إحدى المدن المجهولة . انه أحد الشحاذين الذين يقابلهم المرء كل ليلة منذ ان اندلعت الحرب . البعض منهم مجنون . والبعض اصابه داء ادمان الخمر . وحل العماء باخرين . هناك الراوية داقيد الذى عانى كثيرا في معسكرات النازية .. ويقول انه اثناء ايام الحرب الستة . كان من السعادة ان يحصل المرء على ضريبة الموت ..

● وصية شاعر يهودى ●

اما روايته "وصية شاعر يهودى تم اغتياله ـ أو "الوصية" كما ترجمت في الولايات المتحدة ـ فتروى قصة الشاعر



إيلى ويسل

الروسي بائييل كوسوفر الذى عانى الكثير من ديكتاتورية ستالين . ولد عام ١٩١٠ وتم اعدامه في احد اقبية السجون بكر انسوجراد في اوائل الخمسينيات .. لقد اكتشف ستالين ان هناك مؤامرة يدبرها بعض الكتاب والفنانين والصحفيين ومن بينهم كوسوفر .. تم القبض عليه في الثاني عشر من اغسطس عام ١٩٥٢ . وسقط تحت الارهاب الروسي الذى كان تعرض ـ حسبما يكتب رجل السلام ويسل ـ للناطقين باللغة اليديشية في الاتحاد السوفيتي .. ويخصص الكاتب فصلا للحديث عن محاكمة كوسوفر بصورة أقرب الى الشهادة والوصية والاعترافات .

في أمسية من شهر يونيه عام ١٩٧٢ . في مطار اللد القريب من تل أبيب . حطت طائرة حاملة فلولا من المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتي . نزل من الطائرة رجل قادم من كرانسوجراد يدعى جريشون .. اوجر يشاكو سوفر . انه الابن الوحيد للشاعر .. وجريشا ابكم نتيجة



صول بيللو

للهلع الذى اصابه وهو يرى الجنود يقبضون على ابيه . يقول ويسل أن الصغير قد قرر أن يلزم الصمت إلى الأبد .

تقول مجلة لونوفيل اويسرفاتور المعروفة بميولها الصهيونية فى عددها الصادر فى ١٤ أبريل ١٩٨٠ : "ان رواية ايلى ويسل أشبه بمياه عميقة . فكل كتاب جديد هو قطعة حجر فى مدح البحر الداخلى . وكل كتاب جديد يترك دائرة اكثر اتساعا . تندفع أبعد من المعرفة التى يقدمها لنا ويسل حول مصير الانسان . وعن تاريخه المركب واحلامه ومعاناته .. وتقول ان ويسل هو - بلاشك - أحد ست أو سبع من كبار ادباء القرن العشرين الذين على قيد الحياة الآن . ولكن "الوصية" هو بالتاكيد كتابه الاكثر نضجا واتساعا وتحديدا من خلال تعبيراته وقوة التحليل الاجتماعى . والشهادة التاريخية والسياسية .

وقد تم تصوير احداث هذه الرواية سينمائيا فى احد الاحياء الشعبية بتل أبيب وغير المخرج فرانك كاسينتى الكثير من احداث الرواية كى تتناسب مع السينما .

أما آخر رواياته التى صدرت له باللغة الفرنسية فى سبتمبر ١٩٨٣ فهى تحت عنوان "الابن الخامس" . وفيها يتحدث من جديد عن معاناة اليهود . فهناك شاب يهودى يبحث عن امه وابيه اللذين اصابهما الجنون . وعن اخيه أرييل أحد ضحايا معسكرات التعذيب المعروفة تحت اسم "هولوكست" . وهذه الرواية اقرب الى السيرة الذاتية للكاتب . فهو ينتقل مع انسايا من بولندا . الى باريس ونيويورك . وبعض المدن الامريكية الاخرى مثل بوسطن التى يعمل درسا بجامعتها : "قال كافكا انه يشعر دائما انه سائح فى اللغة الالمانية أما انا فعلى العكس . احس اولا اننى مواطن فرنسى .

يقول انه فى عام ١٩٤٥ او بعد انتهاء الحرب - وكان أنذاك فى السادسة عشر من العمر - "كنا اربعمائة صبى هارب من البشنوالد . استقبلنا ضابط شرطة وسألنا "اين تودون الذهاب" . قلنا : ليس الى منزلنا . فلم يعد هناك أحد ..

- حسنا من يود أن يكون فرنسيا فليتقدم خطوة !

"كنت بالغ الخجل . لم اتحرك . فكتب فى تقريرى : رفض أن يكون مواطنا فرنسيا" . وهذه المقاطع منقولة بالطبع عن مصادر فرنسية .. وفيها بالطبع يحاول الكاتب ان يؤكد ان هجرته الى الولايات المتحدة لم تنسه فرنسيته .. فهو يكتب كتبه باللغة الفرنسية اولا ثم يترجمها بنفسه الى الانجليزية لينشرها فى الولايات المتحدة .

ويؤكد الكاتب انه يكره كلمة "هولوكست" كراهية عمياء ، وان هذه الكلمة كافية لاحاث الرعب فيه اينما سمعها



كراهية العرب

"انا لا احتملها قط .. مثل المقارنة بيننا وبين الفلسطينين فى بيروت واليهود فى جيتووارسو .. هل يمكن ليهود وارسو ان يتركوا المدينة وهم يرفعون ايديهم باشارات النصر أو حرف " ٧ " الدال على النصر تحت حماية القوات الفرنسية - والايطالية والامريكية .. كما يقول فى جريدة لوموند ١٧ اكتوبر الماضى ان الصهيونية اتجاه مثل « العربية » و « الاسلامية »

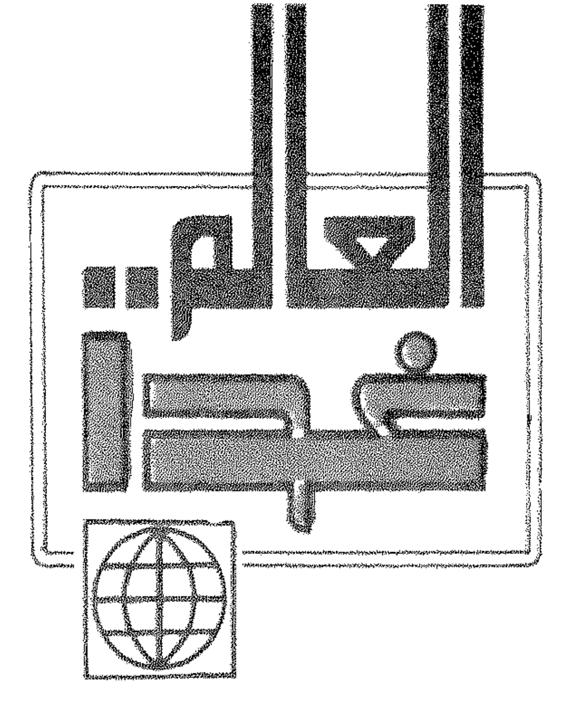
● نوبل .. و " الانحياز "

قد تبلغ حالة العصبية التى يصاب بها كاتب حدا لا نهاية له عندما يعرف ان ادباء مثل ويسل ينالون جائزة نوبل فى السلام .. فهل ناك تضارب بين ماقالته لو نوفيل اوبسرفاتور عن انه احد كبار ادباء العصر وبين جائزة " السلام " فهل منحه الجائزة هذا العام له مفس مقاييس منح ونستون نشرشل جائزة الأدب عام ١٩٥٣ لان من حيثيات الجائزة الا تمنح لشخص مرتين .. مما يعنى أن ادبه ليس مميزا كما ادعت المجلة .. فمن نصدق .. نوبل .. ام اوبزفاتور .. على كل فقد سبق نصلا الجهتين ان هللت لادباء اقل اهمية واكثر تعصبا خلال العشر سنوات ، فليس سنجر وبيللوو ميلوش خير ادباء الولايات المتحدة المعاصرين .. مع العلم ان الولايات المتحدة بها عشرات الادباء الذين لم يمنحوا الجائزة .. ببساطة لأنهم ليسوا من اليهود ..!

وعند قراءة روايات هؤلاء الادباء سنجد ان كلا منهم غارق فى ذاتية متضخمة .. غير قادرة على التسامح .. تنظر الى القوميات الاخرى بعلياء وعجرفة .. فاذا كان كافكا سائح فى اللغة الالمانية ، فان سنجر لم يكتب حرفا باللغة اليديشية .. وقد مارس كل منهم بصورة أو باخرى لعبة السياسة .. فقد كتب بيللو كاتبا عن رحلته الى القدس عام ١٩٧٦ .. نشره تحت عنوان " العودة من القدس " قال عنه فى جريدة لوموند - ١٧ يناير ١٩٨٢ - خطا الاسرائيليين انهم يودون أن يعيشوا بمنطق القوة فى الشرق الأوسط .. ومن المستحيل ان توافق الدول العربية على هذا كما ان القانون الاسلامى قائم لكل الحكومات وتظل اسرائيل دولة مستقلة بفضل دولة واحدة هى الولايات المتحدة وقد دخلت اسرائيل الان فى مرحلة عليها أن تختار بين الموضوعية السياسية الغربية وبين امتلاك عناصر العمل على اسرائيل مواجهة كل الاطروحات العربية والاسرائيلية والاوروبية والامريكية .

نحو جائزة عربية

سيظل العرب يستهجنون .. ويستهجنون جائزة نوبل .. وهناك حل فى منتهى البساطة وهو صناعة جائزة ادبية عربية "محلية لها نفس الاهمية .. يتم الاحتفال بها سنويا على كافة المستويات .. وتمنح لكاتب عبى .. وتغطى اعلاميا بما يليق بمقامها .. وهذه الفكرة غير صعبة التحقيق .. فقد تنبهت ايها دول اوروبا وصنعت فرنسا "جونكور" وايطاليا " مونديللو" واسبانيا "سرفانتس" وكل هذه الجوائز تمنحها اكاديميات ادبية عريقة او حديثة .. إذن فعلى العرب صناعة اكاديميتهم اولا .. ثم على هذه الاكادمية ان تمنح جائزتها السنوية فى "الابداع" الادبى لمن يستحق .



الزنك .. وفيتامين (أ) .. والبلهارسيا

حذار من نقص الزنك وفيتامين أ
ذلك هو العنوان الرئيسى الذى توصل اليه الباحث المصرى محمد عبد العزيز بطب القاهرة فى بحثه عن تليف الكبد وعلاقة اصابة الانسان به بنقص عنصر الزنك وفيتامين أ فزيادة أو نقص كل منهما فى جسم الانسان تؤثر على حيوانات التجارب التى تصاب بالبلهارسيا وهى الفار الابيض والهامستر . حيث يصابان ببلهارسيا الكبد وتلفه .. ويحدث نفس الشىء فى الانسان .

لذا فان أهمية استخدام الزنك تجىء لمحاولة ايقاف تطور مرض البلهارسيا فى الكبد وهو المرض الاكثر استشراء فى الريف المصرى . ويتطلب أن يؤخذ فى الاعتبار حجم الجرعة وطريقة اعطائها نظرا للتاثير المضاد للزيادة فى هذا العنصر على خلايا الكبد .

أما فيتامين أ فيؤدى الى زيادة المناعة الخلوية ـ كما تقول الدراسة ـ وتعطيل وصول بويضات البلهارسيا الى الكبد وتقليل ترسيب بويضاتها . ولكن زيادته بدرجة كبيرة تؤثر على خلايا الكبد تاثيرا مماثلا للالتهاب الكبدى الوبائى .

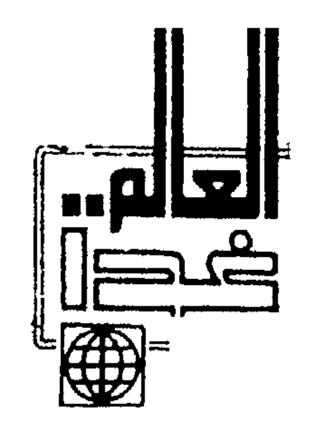
لمن الغلبة فى الفضاء ؟

رغم اللقاءات السياسية الحارة ـ الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة التي تمت في الاسبوعين الماضيين فان العلماء يعملون ـ كل من جانبه ـ بحرارة ليتفوق احدهم على الاخر .. وقد أشار « دليل جين للملاحة الفضائية » الصادر فى يونيو الماضى ان الاتحاد السوفييتى تفوق على منافسه في مجال الفضاء بمراحل عديدة .فقد أمضى ملاحو الفضاء السوفييت فى الفضاء اكثر من أربعة الاف يوم مقابل ١٥٨٧ يوما للامريكيين وان محطة الفضاء السوفييتية « مير » قد تم تركيبها فى الفضاء . بينما ان مشروع المحطة الامريكية لن يتحقق الا فى العشر سنوات القادمة .

أما عن سباق التسلح الذى طرح على مائدة المفاوضات فان الغلبة أيضا للسوفييت . لان محطة الفضاء ستعاون السوفييت كثيرا فى السيطرة على الجو ، وفى التجسس من الفضاء وكشف أية محاولة أمريكية للهجوم بالصواريخ على الاتحاد السوفييتى .

ورد فى التقرير أيضا ان الولايات المتحدة تسبق منافستها فى تقنيات الاقمار الصناعية والاقمار الكونية . وصرح اركان حرب الطيران الامريكى ان الولايات المتحدة تسبق الاتحاد السوفييتى بعشرة أعوام فى استعمال الفضاء عسكريا وتتفوق عليه فى مجال الطيران الحربى . مثلما حدث حين ضربت واشنطن المدن الليبية فى ابريل الماضى . لان وسائل الدفاع السوفييتية وقفت عاجزة عن الهجوم الامريكى .

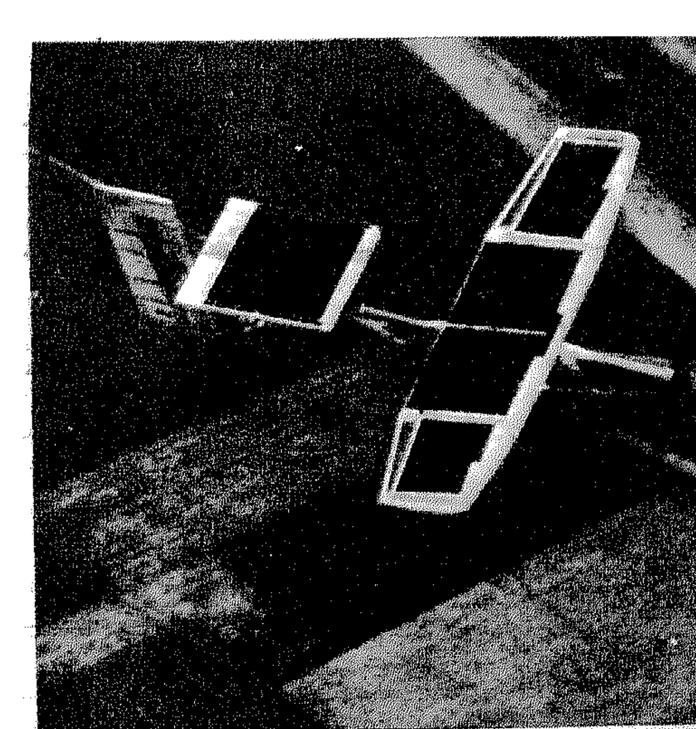






● القرن ٢١ .. يتحرك بالطاقة الشمسية ●

وسط اجتماع السياسيين في جنيف لبحث أسعار البترول • وبينما يجتمع الاقتصاديون في بلادهم لتدبير اعتمادات جديدة سواء لشراء البترول • او لتعويض المبالغ التي ضاعت لتذبذب أسعار بترولهم



فان العلماء يسعون الى أن تكون الكلمة الاخيرة في أيديهم • فمع بداية فصل الشتاء ومواسم الامطار والصقيع • تطلع العلماء من جديد الى الشمس التي بدأت تختفي خلف السحب وتحدثوا عن امكانات استخدام أكثر اتساعا في الطاقة ليست التدفئة الذاتية فقط مثلما يحدث في السخان الشمسي • ولكن في أوجه كثيرة من الحياة العملية •

بدأت الفكرة بالتطلع الى حشرات الارض التي تستمد طاقتها من الشمس طيلة الصيف ثم تخزنها طيلة البيات الشتوي • ولم تكن المشكلة قائمة فقط على تخزين الطاقة الشمسية • بل في اعادة استخدامها بالطريقة المثلى ودون أن تفقد أجزاء كبيرة منها • وبدأت تظهر محاولات لصنع أقدار معينة من الطاقة • بمعنى اعداد أجهزة تخزن الطاقة لأزمنة قصيرة وأخرى لأزمنة أكثر طولا • وبدلا من الاسلوب التقليدي في تخزين المياه من مواسير أسفل الارض بعد تسخينها من الشمس • فانه تم البحث عن معادن خاصة تستطيع الاحتفاظ بهذه الطاقة بالقدر المطلوب وذلك من خلال الواح معدنية لكل منها قدرة خاصة على الاحتفاظ بسعرات معينة • وتركيب هذه الألواح في الاجهزة التي سوف تستخدم في مد الطاقة .. وقد عرضت في الفترة الاخيرة نماذج أثبتت نجاح هذه الخزانات الشمسية ليس فقط فوق اسطح المنازل • بل في المباني الضخمة والسيارات • بل أن الامريكي مكريداي قد عبر المانش بواسطة طائرة تعمل بالطاقة الشمسية في عام ١٩٨١ بواسطة ألواح تم تخزين الشمس فيها وعلت ـ كما في الصورة ـ سطح الطائرة

رغم المحاولات العديدة في هذا المضمار الا ان التكلفة أعلى بكثير من أسعار البترول المتذبذبة .. ولكنها محاولات علمية قد تنجح تطبيقاتها على المستوى الاقتصادي وقد تتعثر •

● متوازى مستطيلات روبيك : لغز جديد يغزو العالم ●

لا يزال العالم يتذكر روبيك الشهير ذلك المكعب اللغز الذى أثار اهتمام الشباب والكبار على السواء لمعرفة سحره واليوم يقدم ايرنوروبيك المهندس المجرى العبقرى ابتكاره الجديد ايمانا منه « بأن أهم شيء فى العالم هو اللعب » .

الاكتشاف الجديد سمى بـ « سحر روبيك » وهو عبارة عن شكل هندسى محير يتكون من متوازى مستطيلات مصنوع من البلاستيك يضم ثمانية مربعات طول ضلع كل منها ٥ر٢ بوصة ، وعلى عكس المكعب الذى كان سر تصميمه الهندسى الفريد مختفيا فان المفتاح الاساسى لحل اللغز الجديد واضح وهو عبارة عن شبكة من الخيوط البلاستيكية . ويوجد على جوانب متوازى المستطيلات ثلاث حلقات متقاطعة لقوس قزح وحل اللغز يكمن فى تشابك هذه الحلقات . والسر الحقيقى لحل اللغز الجديد يتمثل فى المفصلات التى تربط المربعات بعضها ببعض فهى تختلف عن المفصلات التقليدية التى تدور حول محور واحد برغم ارتباط جميع المربعات بعضها ببعض الا أن كلا منها يمكن ان يتحرك فى جميع الاتجاهات . يقول ايرنو روبيك ان من يحاول حل اللغز سيواجه صعوبة تتمثل فى شدة تداخل الدوائر ومع ذلك فهو يتوقع أن يحققه لغزه الجديد نجاحا ساحقا يفوق المكعب الشهير .

● الجراد .. حير العلماء ●

ليس للجراد كبير ..

ذلك هو القول المطروح حاليا فى كل الاوساط العلمية فى العالم ازاء جحافل الجراد التى بدأت تغزو البقع الخضراء افريقيا وتزحف الان الى اوروبا ومناطق كثيرة من العالم . فالجراد الذى يتحرك فى جيوش هجومية قوية يختلف من حيث القوة والصفات الجسمانية المقدرة والدفاعية عن الجراد المعروف الذى سبق ان أجدب غابات وبلاد .. فهو أشد وخزا .. واكثر شراهة وتتحرك فى مجموعات كبيرة يمكنها التصدى .

وتجيء مخاطر هذه الجحافل من قدرتها على الطيران على المستوى الراسى والافقى وفى جميع الاجواء المناخية . وكذلك من عدد البيض الذى تضعه الانثى (يتراوح من ٦ ـ ١٠ الاف بيضة فى المرة الواحدة) . كما انها سريعة التأقلم مع البيئة التى تعيش فيها . فهى يمكن أن تعيش فى الاجواء الباردة والدافئة على السواء .

من هنا تجيء أهمية مقاومة هذه الجحافل فلم تجد حتى الان القنابل الكيماوية التى تطلقها الطائرات لان هذه الجحافل تتحرك فجأة الى أسراب صغيرة . لذا فان العلماء يفدحون معادلاتهم الكيماوية لانتاج مبيدات كيماوية تستطيع التصدى لهذا الغزو الجديد .



الكمبيوتر وثورة المعلومات

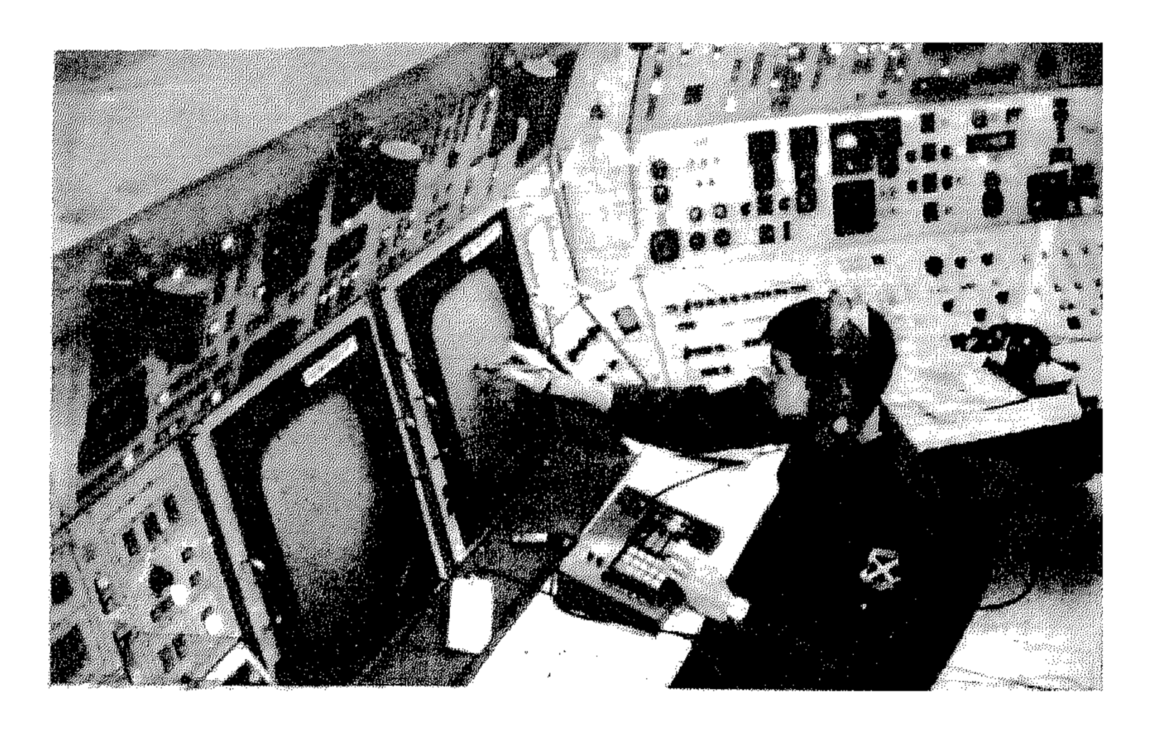
هل تقوم الجامعات بدورها في النهوض بنظم المعلومات ؟ !

بقلم : د. سامى فياض

اشفق على كل من يتولى مسئولية مافى عالمنا العربى ويتصور بصدق انه قادر على حل مشكلة مافى مجال التعليم او الصناعة تستفيد منه الاجيال المقبلة او كما كان العهد فى فترات نادرة من تاريخنا الطويل .

وثورة المعلومات والحاسبات فى العالم العربى لا تخرج فى حالتها كثيرا عن الحالة العامة فى مجالى الصناعة والتعليم ، وكانظمة المعلومات والالات الحاسبة ونظرية الالعاب ، وكذلك العلوم المرتبطة بها هى جزء من العلوم الحديثة وفروعها الكثيرة كالفيزياء والكيمياء والبيولوجى والوراثة والعلوم التطبيقية . ولنا ان نتصور وضعها الراهن فى حياة مجتمعنا والذى يفتقر الى الاتصال الواعى المدرب ، والمؤسسة التى يمكن أن ينتج فيها ، والخطة والاهداف للمؤسسة والظروف السياسية أو الاهداف الاستراتيجية التى تضمن استمرار المؤسسة فى تنفيذ اهدافها

ان تلك الظروف المفتقرة للغاية بالاضافة للاوضاع العالمية والتى تلعب عليها الدول المتخلفة والدول الفقيرة والدول النامية دورا هامشيا فى تطوير البشرية فى كافة المجالات ، لتضع امامنا مشكلة تنظيمية هائلة تتراوح بين مشكلتين اولهما بناء المجتمع ككل سياسيا واقتصاديا



اصبح الكمبيوتر عنصرا اساسيا فى مراكز القيادة المختلفة



واجتماعيا ، والذى تتجادل فى طرق بنائه المدارس المختلفة بدءا من التغييرات الجزرية وحتى الثورة الشاملة .

وثانيهما : تربية الانسان على اسس علمية نافعة لبناء المجتمع فى مستقبله وحاضره فى نفس الظروف القاهرة التى نتحدث عنها .

● استخدام الحاسبات ونظم المعلومات ●

ويقتصر دور العالم العربى على استيراد الحاسبات ونظم المعلومات واستخدامها مثلها مثل العربة والطائرة وغيرهما ويتسم استخدام الحاسبات فى المجالات المختلفة التى تستخدم فيها الحاسبات فى الخارج ، كلما كان المجال متواجدا لدينا وتتغير درجة الاستفادة من الحاسبات من مجال لآخر فهى عالية نسبيا فى مجالات الميكنة المالية والاحصائية والادارية ـ بالمعنى التقليدى وضعيفة فى مجالات ميكنة الانتاج ومنعدمة تقريبا فى مجال المعلومات والاتصالات .

وقد حاولت الدول العربية بطرق متعددة محاولة اللحاق بركب التطور العالمى فى مجال المعلومات وتتنوع مبادرتها من دولة لأخرى ، ومن مجال لآخر فقد بذلت دول مثل العراق ، مصر ـ المغرب ـ تونس ـ الجزائر كثيرا من الجهد لأكثر من عشر سنوات لانشاء شبكة معلومات خاصة بالدول العربية وتتصل بشبكات المعلومات فى العالم (الغربى)، وتحقق بعض الانجازات هنا وهناك ، ولكن لم توفق لتصبح جهازا فاعلا قابلا للتطور بل كانت « وصلات » لجلب المعلومات من الخارج

الكمبيوتر

وثورة المعلومات

واستخدامها داخليا مقصورا على مجالات الخدمات كالطيران والاذاعة والاتصالات التليفونية ..

وانحصار استخدامات الحواسب لمجالات الميكنة البسيطة وقصور استخدامها فى مجالات الانتاج والمعلومات يضيف اتساعا للهوة العلمية والصناعية بين دولنا والدول الصناعية ، ويحدد الدور الذى تلعبه فى التطور التكنولوجى ولا يضيق من تلك الهوة بعض الومضات التى تظهر من حين لاخر ، والتى تنحصر فى ثلاث نقاط أولها وجود كثرة من المتعلمين فى هذا الميدان فى مجالات التطبيقات المختلفة كالطب والهندسة ، وثانيها استيراد معدات حديثة تستخدم الحواسب مثل اجهزة التحكم فى قطاعات البترول والكهرباء .. وثالثها بعض المحاولات الجادة لتطوير المعدات لتناسب اغراضا محددة تخص ظروفنا مثل تعريب الحاسبات ، وتلك الومضات لا تؤثر فى استخدام اتساع الهوة العلمية والفنية بين الداخل والخارج ، انها تحدث بمبادرات فردية متفرقة من حين لاخر ولا تنتمى لمؤسسة محددة او طبقا لخطة محددة تعمل على تراكم تلك الانجازات بشكل كمى وكيفى وهو ما يصفها بالتدريج .

ورغم الانتقادات التى تبرز من حين لاخر ضد الميكنة واستخدام الحاسبات على أساس رخص اليد العاملة العربية مقارنة بتكلفة استيراد الحواسب الا أنها قضية ليس لها معنى حيث اصبحت الوسيلة الوحيدة لتشغيل الالات والمنشآت ونظمها . مثلما حدث فى عالم الطيران اليوم ومثل التحكم فى محطات الكهرباء وتشغيل بعض النظم الحديثة ، بالاضافة الى أن تشغيل النظم بالحاسبات أعلى عدة مرات عن تشغيلها بدونها مما يصعب علينا مهمة التنافس مع المؤسسات العالمية بدون تطوير آليات عملنا بواسطة استخدام الحاسبات .

ولا يعنى ذلك الدعوة لتوسيع استخدام الحاسبات حاليا فى العالم العربى ـ ليس بسبب التكلفة ، ولكن لأن قضية استخدام الحاسبات كعمال تشغيل ليست بذات أهمية حقيقية لمواكبة العصر ، وتطوير المجتمع أو حل أى من القضايا الاساسية ، حيث تتلخص القضية الاساسية فى مجال الحاسبات والمعلومات هى قضية التعليم وقضية الصناعة،والتى اعتقد انهما القضيتان المحوريتان الرئيسيتان فقط . فيما نتحدث عنه ـ وعليه لا يجب مضيعة الوقت أو الجهد أو المال فى القضايا الفرعية مثل استخدام الحاسبات وكيفية التدريب عليها وكفاءة تشغيلها وصعوبة استيرادها والمشاكل المتعلقة بأنواعها ومثل تلك القضايا على مسئولية المؤسسات التى ترغب فى استخدام الحواسب لسبب أو آخر وعليها دراسة مدى اهميتها وتحديد الوسائل لاستخدامها بعيدا عن اخضاع تلك القضايا الفرعية لأجهزة الدولة المركزية .

● الخبرة هى الاساس ●

على العكس تماما من قضايا تجارة الحاسبات واستيرادها والاعتماد على خبرات مورديها ووسطائها وضمان مستخدميها ، والتى تحدد بشكل أو آخر حدود نمو المنافسة العلمية

والتكنولوجية من الحاسبات ونظمها على العكس من هذا كله تقف قضايا التصنيع لتبرز خبرات صناعها وبالتالى معرفة أسرارها لتزيد من المعرفة عن هذا العالم الحديث والمشاركة فى بنائه .

وفى ظل الصناعة تكون الظروف مناسبة للتسلح بخبرة ، يمكن تراكمها كميا وكيفيا فى المجالات المختلفة بما انها توسع أيضا من المدارك حتى فى استيراد أجهزة اخرى من الخارج - وفى هذا الوضع فقط يصبح توسيع استخدام الحاسبات له معنى كسياسة مركزية ترتبط بتطوير تلك الالات وتطوير خبرات استخدامها .

وتختلف صناعة الحاسبات والمعلومات عن أى صناعة سابقة كصناعة الالات الميكانيكية والكهربائية. فهى تتمتع بصفات خاصة فأولها أن فترة نمو الصناعة قصيرة (اقل من خمسين عاما) وثانيها ان معدلات تطورها كان هائلا من الناحيتين النظرية والعملية الى درجة أن ما سبق صناعة من الحاسبات وبرامجها من عشرين عاما يعد تاريخا ليس له اى معنى لمعرفته،الا للمتخصص فى فلسفة الحاسبات وتاريخ تطورها ، وثالثها أنها تعتمد على البرمجة وتطورها وهذه الاخيرة نقطة هامة لدولنا حيث أن صناعة البرمجة يمكن آداء معظمها فى معمل صغير ذى تكلفة زهيدة لو وجدت العقول المناسبة أى أنها تخضع للامكانيات والخبرات المتوارثه - الا بقدر ضئيل - وهى فى ذلك صناعة مثلها مثل الادب والسياسة والفلسفة قد تعتمد على الظروف المناسبة لخلق العبقرى ولكن بلا ادنى شك لا تعتمد على خبرات متراكمة عشرات السنين مثل تلك اللازمة لصناعة عربة مثلا .

اما عن صناعة المعدات الحاسبة نفسها (وليس برامجها) فهى من الصناعات الالكترونية القليلة فى العالم التى يمكن للدول النامية تطويرها فى الوقت الذى تظل فيه الصناعات الثقيلة مشكلة حتى فى بدئها .

وبالطبع ترتبط قضية التصنيع العملية بأشياء اخرى مثل الموارد والسوق والخبرة ، ولكن كلا من هذه العمليات تعد أسهل فى تصنيع الحاسبات والالكترونيات عامة عن التصنيع الثقيل ، وهذا هو السبب فى دخول دول صغيرة - غير صناعية بالمرة - فى تصنيع الحاسبات الصغيرة وتسويقها ، نظرا لاعتماد الاخيرة على البشر اكثر من اى صناعة حديثة اخرى . - ودائما يوجد سوق يفى لتحقيق الفوائد من تلك الصناعة نظرا لقلة المستثمر الراسمالى فيها ، وبالتالى تظل الخبرة هى العنصر الوحيد غير المتوفر فى عمليات صناعة الحاسبات ولكنها ايضا من الخبرات المتواجدة فى اماكن مختلفة من العالم نظرا لاتساع تلك الصناعة فى اطراف الارض من جانب ونظرا لامكان صقلها محليا فى فترة وجيزة لسببين أولهما حداثة هذه الصناعة بشكل عام ، وثانيهما انها خبرة ذهنية لا تعتمد كثيرا على الممارسة من جد الى اب الى ابن . ولكنها تحتاج الى هذا الفرد من هنا أو هناك .

وتظل قضية التصنيع فى عالم الحاسبات مثل بقية الصناعات تحتاج ايضا للاتساع والتطوير والنمو الذى تعتمد عليه ظروف المجتمع ودرجة تطوره لمثل تلك الصناعة لتغذيتها والاستفادة منها .. وللاسف فان تلك العملية الصناعية تظل حلما بدون

الكمبيوتر
وثورة المعلومات

قاعدة علمية اكاديمية من الطراز الأول وهذا ما لا يحدث في العالم العربي اليوم ، حيث توجد عدة امثلة عن صناعة الحاسبات والالكترونيات تتلاقى جميعا في العجز عن النمو والتطوير بسبب عدم بناء قاعدة علمية وينطبق ذلك على الصناعة الاستهلاكية في الالكترونيات ، أو بعض الصناعات الوليدة للحاسبات أو أجزائها في القطاع العام أو الخاص أو صناعة البرامج ، والتي اتسعت نسبيا في عالمنا العربي دون ان يكون لها أي دور عالمي ، رغم وجود بعض المنتجات الجيدة المتفرقة في فترات زمنية مختلفة ولكنها صناعة تظهر وتموت سريعا .

● دور الجامعة ●

رغم اتساع قاعدة التعليم بما فيه التعليم الجامعي في مصر الا ان الظروف العامة اثرت سلبيا على أن تلعب الجامعة دورا رائدا في البحث العلمي واقتصر دور الجامعة في مجال الحاسبات والمعلومات على التعليم الاكاديمي خلال مرحلة التلمذة الجامعية ولم يمتد لتغطية البحث وحل المشروعات وظلت الجهود التي تبذل للحصول على الشهادات العالية بمنأى عن أن تكون اتجاها عاما للمعرفة والبحث العلمي في مصر واصبح حاملو الشهادات في جزر معزولة يعملون على حل المشكلات الفردية فقط دون أن تتضافر جهودهم لتحقيق هدف عظيم .

ان الجامعة المصرية لم تلعب دورا رائدا في المنطقة العربية في حل القضايا المتعلقة بالحاسبات والمعلومات وظلت عمليا حبيسة المنافسة البسيطة مع شركات القطاع الخاص في التدريب على البرمجة وتحليل النظم التجارية.

وعلى العكس من كل ما يجري بشكل تلقائي ويستنفد الجهد ويشتته فلابد للجامعة من تحديد أهدافها والعمل على خلق علماء في هذا المجال المحدد وأن تنظم الظروف الخاصة بها لتحقيق هذا الهدف والتركيز عليه .

وبالضرورة لابد من التعلم على يد أساتذة وعلماء ذوي خبرة في الفروع المتخصصة المختلفة يمكن احضارهم من الخارج لفترات قصيرة ولمدة ثلاثة شهور مثلا وتتكرر زيارتهم من حين لآخر يتم خلالها تدريب البعض في فروع المعرفة المتخصصة كأنظمة المعلومات وشبكاتها ونظرية الالعاب والحروب .. الخ ، ولابد من دعم النوابغ من الجامعيين في حياتهم العملية لتنشيط عملية انتاجهم الذهني بربط تطورهم بحل المشكلات الصناعية التي تستدعي مثل تلك العلوم على أن يقوموا بتعليم الطلاب خلال تنفيذ تلك المشروعات .

وتلك الوسائل ومثيلاتها ضرورة للتربية العلمية ، وخلق جو علمي عام على مستوى يتناسب مع العلوم التي نتحدث عنها ، ويحقق الاستفادة منها الى بناء المجتمع ويخرج الجامعة من دورها الحالي الهزيل التابع للسوق التجارية المحلية والمتخلف جدا أيضا ، عن السوق العالمية ، ناهيك عن دور البحث في العالم .

وبالطبع ستقودنا المسائل الخاصة بالجامعة في الظروف خارج الجامعة ودور الدولة وأثر السياسة العامة بالدولة عليها ونود التركيز في هذا

الميدان على النقاط الاساسيه الخاصة والمتسببة فى الاوضاع الراهنة بعيدا عن المشاكل العامة كنقص المواردوعلى اى حال فان تلك المشاكل العامة تدعو الى التركيز اكثر واكثر على النقاط الاساسية الخاصة بحل المشاكل الاكثر اهمية ، أى خلق جيل متعلم واع يضم صفوة من العباقرة والعلماء والباحثين القادرين على المساهمة فى حل تلك المشاكل العامة فى المستقبل ٠

ومن هنا لابد أن تكون الاشكال التنظيمية او القوانين العامة المعمول بها منسجمة مع الاهداف المحددة للمؤسسات بالدولة ومنها مؤسسة الجامعة، ضمن عملية متكاملة ، والحواسب والمعلومات تخضع لتلك الاشكال التنظيمية ، فالجامعة عليها أن تركز على التعليم الاساسى والمتخصص وعمليات التصميم والتطوير والمساهمة فى حل مشكلات الصناعة ، والمؤسسات الحكومية والشركات الخاصة عليها أن تقوم بالتدريب واكتساب الخبرة العملية بدلا من الوضع الحالى للجامعات المصرية حيث تقوم بكل شىء الا خلق جيل من العلماء بدلا من الاعتماد على كفاءة الشركات الخاصة التجارية التى تعد مرجعا فى الحاسبات الى اخر تلك الابنية المقلوبة رأسا على عقب ٠

● اخطاء تعوق التطور ●

ورغم ان مصر تعتبر اكثر الدول العربية تطورا فى استخدام الحاسبات فان النظم والقوانين المعمول بها لا تناسب حتى درجة التطور البسيطة فى هذا الميدان بمصر، وتنحصر تلك القوانين فى السيطرة على اليات السوق فى الشراء والبيع والتدخل فى نوع الحاسبات المختارة خاصة للقطاع العام دون أن يكون هناك مركز ذو أهمية لعمليات البحث والتطوير والتعليم والتدريب واكتساب الخبرة ويرجع ذلك للاسباب التالية :

● انحصار دور المؤسسات التعليمية والجمعية ومعاهد البحث فى تسيير ما هو قائم دون ان يكون لهما دور رسم سياسة أو وضع الخطة فى هذا الميدان وعلى الجهاز السياسى ان يعطى تلك السلطات للمؤسسات المتخصصة ٠

● ضيق الأفق وانحسار التفكير العلمى على المستوى العام وانحصاره فى قضايا فرعية مثل الحديث عن فائدة الحاسبات وهل لها ضرورة فى الاستخدام فى دولة فقيرة ٠٠ الخ دون أن تعطى المسئولية للجهات التعليمية والصناعية لتحدد ذلك مما يخلق ظروفا اقل للاستفادة والتطور من هذا العلم ٠

● عدم التصدى للقضايا الرئيسية الخاصة بهذا العلم ، وحل مشاكلها التربوية والتعليمية ، وخلق الظروف المناسبة لها ، فبناء الأطفال يحتاج الى منهج علمى لخلق العقلية المنطقية وتقويتها ضرورة فى سن الطفولة ، وتوجد علوم خاصة بذلك ، مثل الرياضيات الحديثة وعلم المنطق وبدون هذا الاساس يصعب التأهيل فيما بعد لاكتساب الخبرة المطلوبة ٠

● عدم التنسيق فى سياسة الدولة بين مصانعنا وجامعاتنا ودور البحث ولا يعنى ذلك ضرورة هذا التنسيق مركزيا بل قد يكون العكس هو الصحيح ، ولكن لابد من خلق الجو العام والظروف النفسية والشخصية المناسبة والثقة بالنفس ٠

دراسة الهلال

صالح رضا والحركة التشكيلية الحديثة

بقلم : أحمد فؤاد سليم

عندما نعرض لفنان مثل صالح رضا ، فإننا برغم زوايا عديدة سوف نمر عليها فى مجاله الفنى ، إلا أننا سوف نكون مدفوعين دفعا إلى التركيز على هذه الزاوية الصعبة التى تناولناها سالفا ، ونعنى بها ذلك الحائط القوى الذى استطاع صالح رضا أن يمتصه ، وأن يعبر من خلاله ، ثم يتجاوزه ومعه ذلك الرصيد من الذكريات العرقية والشعبية والحضرية ، .. إلى واقع كائن ، ثم إلى واقع مفترض ، ثم إلى مستقبل محتمل .

وايا كان الأمر . فإن صالح رضا نحات مقتدر فى الأساس . واقتداره يأتى من كونه قد نبذ الازاميل ، والفرُات ، ودواليب النحاتين ـ منذ نهاية الستينيات تقريبا ـ

على اعتبار أنها وسائط لحالة الابتكار تساعد أكثر ما تساعد على « تقليد » الصورة النحتية الجاهزة عند الفنان . فتلك الوسائط ليست إلا إحدى الوسائل التقليدية التى تعاون على تصعيد حالة « التمثيل » فى عملية الابتكار . ولكنها لا تفجرها . وتقلد الصورة الجسمية الجاهزة ، ولكنها لا تخلقها .

وإذا كانت تلك الوسائط نفسها ، هى بذاتها العنصر الرمزى لمكونات العمل النحتى عند شوامخ النحاتين العظماء منذ القديم وحتى نهاية الربع الأخير من القرن العشرين . فإن الأمر الآن ليس كذلك ـ على



من أحدث أعمال الفنان صالح رضا

الرغم من عنف الرأى المعاكس على طول الخطـ .. ذلك أن العمل الفنى عند صالح رضا هو « صورة عقلية» قبل أن يكون « صورة نحتية » . ومعنى ذلك أن العمل النحتي قد مضى عبر مجموعة من المكثفات الفكرية الخلاّقة قبل أن يتحول إلى عمل له صفة النحت . والحال ، هو أن الكيان النحتى عند صالح رضا هو فى معظمه « صورة مسبوقة » ، وتلك هى الصفة « التصميمية » ذات النطاق العقلى عند رضا ، وهى ميزته الخصوصية التى وضعته بطريقة شبه فجائية ، فى مقدمة النحاتين المصريين منذ أوائل الستينيات .

ثمة إذن ما يدعونا الى تجنب التركيز على ما انجزه صالح رضا فى الفترة التى تبدأ على وجه التقريب منذ عام ١٩٥٤ وحتى نهاية عام ١٩٥٨ ـ إلا على قدر ما يشير ذلك إلى بدايته المبكرة ، ثلاثة وعشرون عاما من العمر .. فى مجال النحت بالطينة الفخارية ـ وايضا على قدر ما يلقى ذلك من الضوء على طبيعة توجهاته ، وانتماءاته ، وربما انحيازاته الفنية بصورة ملائمة .

فقد قدم صالح رضا آنذاك أعماله التى ماتزال منحوتة فى الذاكرة حول الفقراء ، والجوعى ، والشحاذين ، والعمال ، والفلاحين ، والمظلومين ، والثوريين كذلك . كانت ثورة يوليو قد قلبت الأوضاع كلية ، ودفعت الجماهير إلى التعبير عن امانيها الذاتية ، وأحلامها الضائعة ... لم يكن هناك من سبيل للخلاص إلا « بالتغيير » ، وما كان يمكن أن يتم ذلك التغيير دون أن ينهض المطحونون للمطالبة بحقوقهم .. .. وكان طبيعيا حينذاك أن يقوم كتاب وفلاسفة ، وفنانون

صالح رضا

للتعبير عن الواقع ، وعن إمكانية الحلم .

وكان صالح رضا واحدا من أولئك الذين التحموا بالواقع فى سبيل الثورة على فرضيات هذا الواقع ذاته .. وبرغم أن رضا كان قد تناول خامة الطين الفخارى عندما انجز هذه الأعمال ، إلا أن الصيغة التقنية والفكرية التى خرجت عليها كانت تجعلها أشد قربا إلى العمل النحتى من العمل الفخارى ، حين تخلت نهائيا عن الحالة التقليدية التى تربى عليها العمل الخزفى باعتباره ـ فى ذلك الزمن ـ عملا استخداميا يوميا ، محدود الغرض .

انجز رضا مجسمات ذات صفات آدمية ، وعظام بشرية ، وأيد ممتدة مبالغ فى خشونتها ، وأرجل قوية كبيرة الحجم ، ووجوه ضامرة ، وأكتاف مستديرة بارزه الارادة ، وأشخاص محتجين ومعتلى الصحة ، وأجواف خاوية ، وعيون مفقوعة ، وحالات بشرية مهدرة ، .. وركز رضا على افتعال فراغات محاصرة داخل العمل حتى يضفى على الفكرة النحتية امكانية القراءة الفورية أمام الرمز المباشر .

● صياغة الفراغات ●

كانت فراغيات هنرى مور قد ألقت ظلالها الثقيلة على كثير من أعمال الفنانين المصريين آنئذ فى النحت والتصوير على السواء . فلم تنج حتى أعمال تصويرية لرمسيس يونان وفؤاد كامل ـ فى أواخر الاربعينيات والخمسينيات الأولى ـ من ذلك التسليط القوى للفراغيات التي تخترق الأجسام باعتبارها نوعا مثيرا من الارتياد الكشفى . غير أنها عند النحاتين لم تكن مجرد « مثير » ، وإنما ـ كانت أيضا ـ نوعا من الحلول الجاهزة التى تشكل بديلا مستعارا من صميم منطق الآخرين لمقابلة التراكيب الجمالية التى تفرضها كثافة الكتلة في العمل النحتى . وكان السجينى سباقا إلى ذلك بصورة تكاد تكون علنية ومباشرة ، على نحو ، جعل من الصعب على المتأمل المعتاد أن يقتفى أثر التجربة الذاتية للفنان ، .. وربما أيضا كان من العسير ـ لهذا السبب ـ تتبع عملية النمو الداخلى للكيان الجسمى للعمل فى بعض الحالات .

على أن صالح رضا ، برغم تسليمنا بفكرة التاثير هذه ، كان على خلاف ذلك .. إذ استطاع أن يعيد صياغة هذه الفراغيات بحيث صارت فراغياته هو ذاته ، كما أن « المعطى » الوظيفى لوجودها فى العمل النحتى كان يبدو عنصرا غير مختلق ، بل فرضته ضرورات الفكرة النحتية ككل .

فإن الرمز المباشر الذى تميز به رضا فى ذلك الزمن كان يدعونا إلى أن نتفهم ـ دون أى حذق ـ تلك الحاجة التى دعت الفنان إلى تفريغ منطقة البطن واختراقها أحيانا لترجمة الجوع ، أو الاحتجاج ، أو الصراخ ، أو الظلما ، أو حتى الارادة . على حين أننا لا نجد أنفسنا مدعوبين بهذا القدر ، أو حتى بأكثر من هذا القدر ، فى أعمال الفنانين الآخرين النحتية ، تلك التى كانت « تتميز » بطرح الفكرة « المثالية » على طول الخط ، مع وضعيات قصوى من التعميم الجاهز مثل « الأمومة » ، أو

البطولة . او الراحة ، أو العاتلة ، أو حتى النبل الوطنى ، وباستثناء نحاتين مثل هجرس وخليفة من هذا النطاق أيضا . ، .. إذ كان الأول برغم تشابهه إلى حد ملحوظ مع رضا إلا انه كان يستند إلى ركيزة « ايديولوجية » ذات انتماء واضح ، .. بينما كان كمال خليفة منفردا بخواص ذاتية واضحة فى تماثيله ، وإن كانت مرتكزة على قماشة من الشجن الوطنى ، وعلى مسحة ساخرة ، برغم قربها الشديد الى البناءات النحتية المرققة فى تماثيل « كنيث أرميتاج » .

كان صالح رضا إذن ثوريا على نحو عفوى .

ولذلك فإنه كان من اليسير تلمس انحيازاته للمفاهيم التى طرحتها « الثورة » حينئذ . كان « ليبراليا » من نوع « موليير » .. حين كان يقض مضجعه الظلم السائد ، ويؤرقه الإحساس بالآخرين ، .. ولذا فإنه كان ينحو نحو إلهاب المشاعر بتماثيله المعبرة آنذاك ، .. وبرغم أن والده كان قد أخذ يعده ليكون واحدا من مهرة شق الماس والألماظ ومختلف الأحجار الكريمة ، .. إلا ان رضا كان قد اختار طريقا مختلفا حين استقر عزمه على النحت .

● صالح رضا .. والتحول ●

فى العام ١٩٥٨ بدأت صورة المجتمع المصرى ـ برغم استمرار الغليان الحماسى العام ـ تتجاوز المرحلة الانقلابية للمفاهيم التى طرحتها الثورة ، .. وأخذت مختلف الشرائح الاجتماعية تمتص ردود الأفعال ، وتتجه نحو مؤشرات متفاقمة ـ كيفية وكمية على السواء ـ لتغذية النمو الشعبى كانت العواطف العمومية قد تهيأت كى تفسح المجال امام التعبير المنظم للتوجهات السياسية ، .. وبدأت المقولات الشعبية المكبوتة منذ زمن بعيد تعبر عن كيانها البنيوى « الجوانى » على الساحة .

حينئذ نشأت تلك الضرورات الملحة للبحث عن الهوية فى الاقتصاد ، وفى الفن ، وفى الثقافة . كانت معارك الفكر والتنظير ، وانحياز الانتماءات ، والولاءات كذلك ، قد أخذت تنمو على صورة مرادة ، وعلى صورة غير مرادة ، وكذلك على بنية منظمة ، وبنية عفوية فى نفس الوقت . غير أن التيارات جميعا كانت ترى ان « التراث » هو قضية « لزومية » لصنع الفن . قضية احتياج ضارب الجذور فى اعماق الناس .

كان المعيار هذه المرة هو إثبات الوجود أمام الذات ، .. وليس مقاومة المحتل كما كان الحال فى السابق . وكان صالح رضا إذ ذاك قد أنجز تمثال « عروس النيل » ، ورسم « عروسة المولد » ، .. ولم تكن عروس النيل إلا وجها مصريا مشربا بزرقة سماوية تفاؤلية ، وقد امتدت جدائل الشعر والضفائر على شكل أربعة أعمدة ترتكز عليها كتلة الوجه النيلى ، وتباينت أعمدة جدائل الشعر هذه بفراغات خصوصية للغاية ذات مسحة تبادلية وقورة بحيث تبدو على هيئة قدسية تقربها إلى حد بعيد من « البيضاويات » الفراغية ، الرأسية الطابع فى فتحات العمائر الاسلامية ، وبينما كان التعبير كثيفا والألوان موجزة فى عروس النيل ، كانت رسوم رضا تفصح عن جانب لا يستهان به من ارتباطه العميق بالألوان دون تحفظ تقريبا ، فإن « عروسة المولد » التى رسمها فى نفس زمن عروس النيل ، كانت محملة بمجموعة من الذكريات العميقة الجذور ، والتى تم اختزانها على صورة أكيدة فى وجدانه منذ الطفولة . فقد



صـــالح رضـــا

الكحل ما لم تكن هناك طبيعة نسقية للخامات التى سوف يقدر لها أن تحمل سمات العناصر الرئيسية لمثيرات الجمال والحس البلدى عند صالح رضا .

رسم رضا فتاة جالسة على مقعد متوسط الوصف بين « كوشة العروسة » وبين « مصاطب » الحضريين فى المدن ، .. وهى بذاتها تحتضن فوق الصدر والبطن عروسة المولد التى لا تخطئها العين حين نراها فى الاحتفالات الدينية ذات الايقاع الطقسى فى المولد النبوى ، بينما تبدو الخلفية مزيجا متألق الألوان من الصور المتواترة للفارس الشعبى ، وقباب الصوامع الاسلامية ، والمآذن ، ومقرنصات المساجد ، وقد نسقت فى نظام استقرائى ملحمى الطابع من أعلى إلى أسفل بحيث تذكرنا « بالحواديت » الشفاهية فى الساحات التى تعج بالموالد الشعبية .. .. فمن أين أتى صالح رضا بكل هذه الذكريات الدفينة للعذوبة الشعبية ؟! ومن أين أتى بكل هذا الشوق الحسى المجسد فى عيون فتياته البلديات ؟! .. هل كان مدفوعا تحت تأثير تلك الديون المتراكمة للصور الشعبية فى حى خان الخليلى الذى ولد فيه ، .. أم أنه كان احتياجا « استاتيكيا » لمنازلة الواقع الراهن آنذاك ؟! .. .. أكان ذلك كله عن عقيدة سياسية والتزام فنى ، أم كان مجرد تحصيل وامتصاص عشوائى لسنين الدراسة الفنية ؟! .. ..

إن الصور القديمة إذن ظلت عالقة تحمل البرهان ، وما كان لطفل آخر غير رضا أن يحتفظ بمثل هذه الصورة الطقسية لصناعه

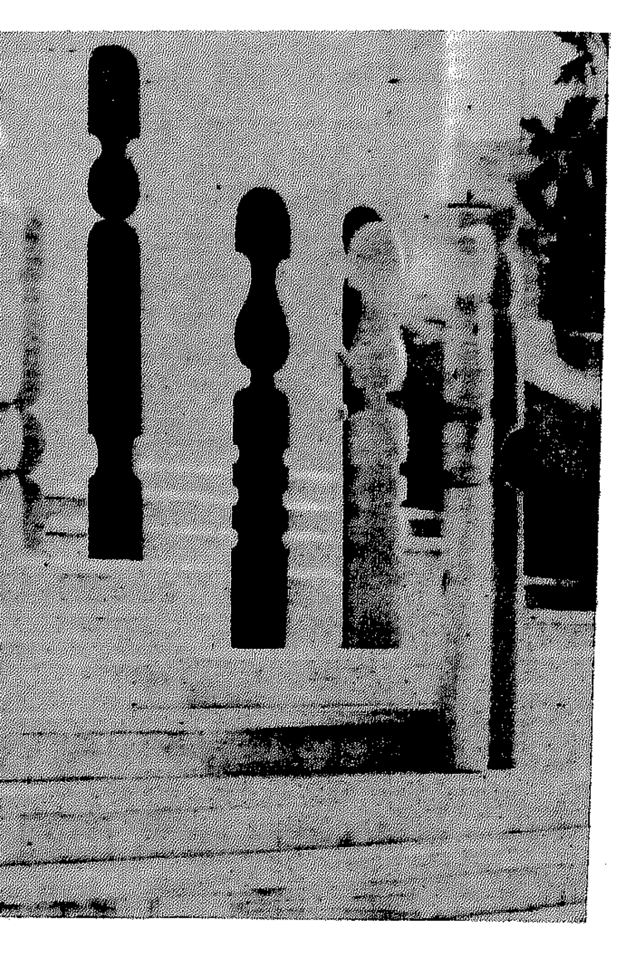
● شخصية حية ●

كان سيد عبدالرسول قد رسم عروسة المولد منذ زمن ، وتبعه إذ ذاك آخرون كثيرون ، .. وكان حامد ندا ، والجزار قد استقرا على ذلك العالم العجيب من الاسطح المليئة بتراث ريفى وافر من السحر والغيبيات ، وكان احمد عبدالوهاب قد قدم منحوتاته ذات العرائس التابوتية تحت مظلة من العقيدة الالزامية بصيرورة القديم فى النحت المصرى ، .. وبرغم ذلك كله فقد ظل صالح رضا مختلفا ، فان عروسته سواء كانت نحتا أو تصويرا ، .. لم تكن تلك العروسة الجاهزة للهيئات الكمية المتواترة منذ الفاطميين ، ولا هى استقراء ناموسيا لجماليات التراث القديم ، بل كانت عروسه على نحو تم انتخابه من بين مجموعة مواريث متعاقبة فى الزمن .. باستنباط بنائى وعقلى جعل منها عروسة على نحو مميز ، وبابا فى نفس الوقت لكثيرين ممن أخذوا على عاتقهم فكرة التعبير عن الشخصية الشعبية كقضية منتهية من بين خيارات الابداع المطروحة .

فإن عروسة صالح رضا كانت شخصية « حية » ، وليست توليفة « تميمية » . فيداها متصلتان ببعضهما ، وقدماها كذلك ، .. وصدرها رضاعى ممتلىء ، اما جذعها الأسفل فهو ليس منتفخا بفعل الهواء والفراغ على ملابس محنطة مستديرة من « السكر والورق » ، بل إن لها افخاذا تفصح عن العافية ، وأردافا تشكل ـ نوعا ما ـ

العواطف الحسية للجسد الأنثوى ووجها مستديرا له سمات الفلاحات حائز على تلك الشروط غير المحررة لجمال البنت البلدية - العيون الواسعة المكحلة ، والخدود الممتلئة ، وفم صغير ، وأنف دقيق ، وأذنان مختفيتان تقريبا وقد تحلت بزينات من الفيروز والأحجار الكريمة ، « إن الصورة كلها حية ومجسمة منذ طفولتى »

.. ويسترسل صالح رضا قائلا « .. .. كانت أمي تأخذنى إلى الحمام الهندى فى خان الخليلى . كنت بين الرابعة والخامسة حين كانت تحملنى معها ، فإن بقية الأخوة ، أشقاء وغير أشقاء كانوا يساعدون أبى فى قطع الأحجار الكريمة وصقلها . فإذا دخلت إلى ذلك الحمام المثير ، يلفح وجهك الحر الساخن ، واللحم الطرى ، والعرق الحلو ، وروائح أخرى لم أكن أعرفها .. بالاضافة إلى مجموعة من الاستدارات الجسدية . كنت أرى كل شيء . فلم يكن هناك من سبب للتحفظ على شيء قط ، فقد كنت صغيرا . ولسبب ما كانت تلقفنى أمى لزميلة لها فى نفس الحمام المزدحم ربما لكى تحرر كلتا يديها ، .. فاقع أحيانا على الصدر أو البطن كانوا جميعا يتصرفون كما لو كانوا يتبعون أسرارا مكتوبة وطقوسا مسيطرة . وكن يتناوبن الرأى والمشورة والنصيحة فى مواضع من اجسامهن ، ويتباهين بالأوصاف مهما كانت هذه الأوصاف « دفينة » ، ثم نخرج معا حيث تنتظرنا عربة « السوارس » الفاخرة ، تجرها أربعة جياد وهى مغلقة على من فيها . وتضع أمى « الحرام » وغطاء « الرأس والوجه حتى لا يرى احد غير عينيها . ونسمع صوت الشخاليل حول عربة السوارس ، فإن أمى زوجة لتاجر معروف ومرموق فى حى خان الخليلى .. .. والمظاهر الحاذقة جزء من الأبهة والمقام الرفيع ، .. فإذا عدنا إلى البيت كنت ألحظ ذلك الاستدراج البشرى والتلطيف الغريب بين أبى وأمى ، وأحس حينئذ بأننى طفل غير مرغوب فيه ..... »



تداخل الفن مع التطور المستمر للحياة

● الرصيد المرئى والذاكرة ●

... كانت علاقة « الحجم » بالفراغ إذن هى نوع من الالهام الغريزى للثقافات التصويرية المكنونة فى عالم صالح رضا . اذ التجاويف ، والفراغات ، والاستدارات ، والتكوير ، والتحوير ، والارتفاعات المعاكسة للأسطح ، واختراقات الاحجام ..

صالح رضا

.. لم تكن إذن صياغات مرسلة من قبيل الصدفة ، فإن الرصيد المرئى فى صميم الذاكرة الحية الحساسة قد تم تمريره عبر مكثفات الفنان الذاتية ، وخضعت فيما يبدو لنوع من التصنيف ، والتصحيف ، والتوليف والتاليف ، والاضافة والحذف والتوثيق .. بحيث خرجت على تلك السمات الشعبية الصافية . ولم يكن من المستساغ انئذ أن تجيء تماثيله وأعماله التصويرية فى رحلته هذه معبرة عن المشاكل الاجتماعية ، أو عن موقفه تجاه قضايا محلية راهنة كما كان الحال عليه فى السابق .. وإنما هى كانت تلخص بإيجاز قاطع انحيازه لفكرة « الشخصية المصرية » بصورة مؤكدة . فإن الحالة التى كانت تترجم التحامه مع معطيات الثورة قد تغيرت ، وأخذت تتجاوز الحقائق الكائنة إلى الحقائق الممكنة ، والواقع الراهن إلى الواقع المأمول ، أى أن « الصورة الثورية » ذات الطبيعة « العفوية » التى كانت تزاحم الطموح الجارف فى مرحلته الفنية الأولى قد تغيرت ، وبتعبير ادق ، قد « تحولت » عند صالح رضا إلى « صورة منظمة » . إلى صورة « عقلية » . إلى صياغة متأنية لعملية الفرز والابداع ، أى إلى صورة « جوابية » الطابع .

لقد كانت التجربة عند صالح رضا تقوم على خلق مصالحة معتدلة ، ووسطية بين الكتلة ، والفراغ .. ، إذ كان الفراغ النحتى مفهوما حتى ذلك الحين بالمعايير الكلاسيكية المعتادة ، وبالتبريرات الجمالية المسندة - بصورة أو باخرى - لمقولات عمومية بصدد فكرتى « التوازن » و « الرسوخ » ، .. أى أن الفراغ لا يكون فراغا نحتيا ما لم يكن جزءا من الكتلة ، وذلك بدلا من أن يكون الفراغ على حقيقته المفترضة معادلا للكتلة بالمفهوم الأخلاقى للجمال ، وموازيا للحجم بمفهوم النحت . اى أن النحت فى حقيقته هو نوع من اعادة صياغة الفراغ الكونى بإقحام الاحجام ، واحلال الكتل ، بحيث يصير الفضاء فراغا تنظيميا مرادا لمبدعه .

● صالح رضا ، بين التجديد والعالمية ●

اشتغل صالح رضا بالنحت ، والخزف ، والحفر ، والتصوير الزيتى ، واستخدام مجموعة متنوعة من الخامات خلال رحلته الفنية - التى بدأت فى منتصف الخمسينيات - من الطين الفخارى ، والنحت الخزفى ، والبرونز ، والنحاس ، والصلب ، والخشب ، والجبس ، .. ، .. وانجز مجموعات من الأوانى الخزفية الراقية محدبة وكروية الشكل ، واسطوانية القامة ، واستخدامية الطابع .. ، .. ومارس رضا الحفر على الزنك والنحاس والجلد والحجر والخشب ، .. ، وفى التصوير استعمل رضا الزيوت والأصباغ والبلاستيكات وبويات الطباعة ، .. والقطع والقص واللصق على الابلاكاج والكتان والقماش المعد .

وفى النصف الثانى من الستينيات كان رضا قد أحدث تفجيرا قويا فى العمل النحتى على وجه خاص . كان قد تخلص

نهائيا من مثيرات الاستعراض الكمى للجماليات الشعبية ، ولنظام التوافيق الفراغية ، .. وصار القضاء على قدر نسيجه الكونى هو الاشكالية التى تمثل تحديا حقيقيا للعملية النحتية ، كانت مثيرات الابداع عنده قد أصبحت علّة تبحث عن المعلول ، .. وليست مجرد علة للجمال الوصفى تبحث عن معلولها فى النحت . فهو لم يعد بحاجة إلى هذا الكيان من النسق الاستقرائى للتفاصيل العذبة لكى يضمنها فى عمل نحتى يكون على شكل إمراة ، أو رجل ، أو مقعد ، أو حصان - فإن الشخصية المصرية ماهى إلا سلسلة من الذكريات الجمعية ، والتقاليد الحية المدفونة ، والسعرات الروحية المرسلة ، وملاحم الأجداد ، والتاريخ .

كان صالح رضا يتحسس هذه المعادلة الصعبة حقا بين التراث والتجديد . فإن « اللطم عند أذن الميت .. وصراخ المحزونين لفراق الأحباب » على سبيل المثال ، .. لا يمكن أن يكون سلوكا مسندا إلى مجرد صورة وصفية حية « للحدث » ، بقدر ماهو مسند إلى تلك الدوافع الدفينة التى فجرت ينابيع التعبير عن « العلة » .

تطور الفن من سمات الفنان وهو ماتتبعه صالح رضا طوال رحلة الفن

ثمة إذن ما جعل صالح رضا بمضى الزمن يحمل المثير والدافع من « داخله » هو نفسه ، وليس من « خارجه » كما كان الحال عليه فى السابق . ولعل ذلك كان - أيضا - بسبب قدرته الطبعية على الامتصاص الغريزى للكيانات المحيطة به ، .. أيا كانت هذه الكيانات قوى ضوئية ، أو درجات ظلية ، أو حجمية ، أو زمانية ، إذ يتم اختزانها لمسافة تسمح بتنقيتها وانتخاب قواها الذاتية كما لو كانت هى عملية « تمثيل » من الطبيعة للطبيعة .

أما السبب الثانى فهو لكونه فناننا « أدرى » الطابع ، ولهذا فهو لا يستطيع أن يظل متواترا على طريقة نظامية ، نمطية - ماناززمية - فى العمل الفنى . ذلك أن رضا من هذا النوع الذى يحمل علة الثورة على القديم بالقديم ، وكذلك علة الثورة على الأنساق الخارجية بالأنساق الداخلية ، .. .. أى برصيده المخزون عميقا منذ زمن . وأما السبب الثالث . فهو لأنه فنان « شكل » . أى أن الشكل عنده « مسبوق » بالمقابلة لمعناه

فالمعنى عند صالح رضا يتداعى زمانيا فترة بعد فترة أثناء عملية الممارسة

صالح رضا

النحتية حتى يكتمل الشكل على النسق المنشود .

ومن هنا فقد اكتسب رضا خاصية التجديد ، .. لأنه « حر » بالمفهوم الغريزى للحرية أمام العمل .. ولهذا السبب فقد قدم صالح رضا تماثيله الراسخة الرصينة وهى تحمل اسم « الجنين » دون أن يكون هناك جنين .. و« الزعيم » دون أن يكون هناك زعيم ، .. و « الصلب » دون أن يكون هناك صليب .. و « الولادة » دون أن يكون هناك وليد . لقد اختفت الاشخاص ، والموائد ، والاحجبة ، والزخارف ، والفرسان ، والعرائس ، والعيون المكحلة ، .. وحلت مكانها معادلته الجديدة . هذه المعادلة التى تلخص « القديم » بعد التصفية ، والكشط ، والشطب ، والحذف ، والاضافة .

أى انه ذلك التجديد الذى يرتكن مع حسابات الفنان الذاتية ، وخبراته البصرية ، وقوى نفاذه الفنى ، إلى حجة قوية ، منساقة إليه بالشغف والقناعة من خلال تلك العلل الدفينة التى تؤلف الشخصية المصرية فى ذاتها ، وليست هذه الشخصية فى بنائها الوصفى .

وهذا هو ما يفرق بين فنان مثل صالح رضا وبين السلفيين من الفنانين بدعوى الحفاظ على « التراث » ، .. وهو نفس ما يفرق بينه ايضا وبين أولئك الذين سقطوا فى إطار النموذج الجاهز للفكرة التبعية ، بدعوى العالمية ، وتنتفى صفة « العالمية كجوهر » إذا كان سندها هو مجرد الاعتماد على اجهزة إعلامية قوية . فكذلك تكون معلبات السردين القادمة من اليابان وغيرها . ولكن العالمية هى ذلك الفن الذى يخلق « مشاركين » لإشكاليته المطروحة من مختلف شعوب الأرض حتى ولو لم يكن هذا الفن قادرا على أن يمارس هذه المهمة لأسباب قهرية لاتغيب عن البال .

★★ ★★

فى العام ١٩٦٨ قدم صالح رضا معرضه الهام فى فن « القطع والقص واللصق » ـ الكولاج ـ .. وكان عبارة عن مجموعة منتخبة ، مطبوعة جرافيكيا بنظام النسخة الواحدة « المونوتايب » ، قام بتقطيعها ، وقصها ، وتثبيتها على أسطح معدة بالألوان البلاستيكية ، .. وكانت جميعها على وجه التقريب تتالف من عدة شرائط وخطوط متجاورة ومتوازية ، ومنحنية الحواف ، بحيث تصنع عالما من الدوائر الكاملة احيانا ، .. والدوائر المقتحمة ، أو المُتقطعة ، أو المشقوقة ، أو المنقسمة ، أو المعاكسة ، أحيانا أخرى . كان التاليف رياضيا على نحو بليغ ، .. إذ كانت « الصنعة » التصميمية فيه هى محور العناصر ، والنسيج معا . جاءت هذه الأعمال وكأنها مقطوعة الصلة تماما بين الأفكار المتصلة لصالح رضا ، وبصماته المميزة .. ، غير أن أهميتها كانت تأتى من كونها تمثل أيقاعا عاليا للتمهيد لتوليفات محورية للغاية ، قادمة فى النحت .

وفى العام ١٩٦٩ أخذ رضا يفكر فى تلـوين أسطح منحـوتاتـه ، وخـلال السبعينيات كان صالح رضا قد أنجز مجموعة رائعة ، وعالية الأداء من النحت الخشبى ، وقد بدت الطاقة التصميمية فيه وهى تعادل دور البطل الأصيل بحيث تجاوز

العمل ذلك الاصطلاح التقليدى للنحت الى « مفهوم النحت » .

فلم تكن هذه المنحوتات الخشبية فى حقيقتها إلا تجسيدا للمعطيات التى فجرها معرضه الهام فى القطع واللصق الذى أقامه عام ١٩٦٨، .. إذ كانت أعماله النحتية هذه فى معظمها عبارة عن مجموعة دوائر مجسمة مرتكزة على عنق خشبى يضيق وينتفخ، ثم يستقيم حتى يلتقى بالقاعدة، .. وكانت النسبة عنده من نوع ذلك الميزان « الذهبى » الذى يقيس الجسم بسبعة أمثال الرأس . فلو تأملنا الأمر قليلا .. كنا قادرين على لمس الخط الفاصل وكذلك الخط المتصل الدقيق بين عروسته التى انجزها فى عام ١٩٥٨ ومنحوتته الخشبية ـ أو عمله الخشبى ـ التى أنجزها اعتبارا من عام ١٩٧٠ .. بعد أن قام بتخليصها من السمات الوصفية للنمط المكرر ، والتباديل المعادة ، .. واستعادها الى جوهرها الكلى ، وحقيقتها الكامنة . ولو قمنا بتصغير العمل الى عدة أضعاف فإننا سوف نجد أمام عيوننا قطعة من ذلك النوع الذى يقوم بمهمة « التثبيت والوصل » فى مجموعة منجزة لعمل « أرابيسكى » النسق .

إن رضا يحلل الأصل ليصل الى الجزء ، ويحلل الجزء ليصل الى العنصر ، ويحلل العنصر ليصل الى الوحدة » ، .. ثم يحلل الوحدة ليصل الى الحالة ، ثم يحيا فى الحالة ليصل الى الفكرة ، .. وحينئذ يفجرها ذلك التفجير النحتى « المسبوق » الذى تميز به رضا منذ بدأ حياته الفنية .

ويجتاز صالح رضا زمنا تركيبيا ، عقلى المنهج فى عملية الابداع ، .. ومع ذلك فإن مجسماته لايبدو عليها ذلك الاجهاد الذى نراه فى أعمال كثيرين ، ولا ذلك الظهور الاجوف على كبرياء ضائعة . ولذلك فإن منحوتاته تمتاز بالتلخيص ، والصرامة ، والحضور القوى ، ومسحة الروح فى ذلك الجمال القديم الشجى العواطف ، ولعل ذلك ظل سببا قويا لدوام أعماله زمنا يصعب محوه من الذاكرة ، .. وتبدو هذه الصفات على صورة أكيدة فى أعماله « البرونزية » الشديدة الحبكة واللمعان ، التى قدمها فى الثمانينيات الأولى ، وتظهر من جديد علامات شجنه القديم بقطع وشق الماس والألماظ فى حى خان الخليلى ولقد خرجت القواطع التى اقتحمت دوائره المجسمة رياضية الطابع ، ولكنها تبدو كما لو كان القطع قد جرى على حجر كريم . على أن صالح رضا عاد مرة اخرى ، وجعل من اعادة الوحدات صورة لتشديد زمن التركيز على الرمز الجوانى . فثمة ما دعاه الى فصل الوحدات عن بعضها فصلا مكانيا ، بحيث سمح ذلك للفراغ ، وبالتالى للفضاء ذاته ، أن يقوم باتصال غير مرئى ، وبالتالى باتصال زمانى النسق بين كل وحدة وأخرى فى العمل. لقد انقضى فعل « الشكل » على الصورة « الاليوتية » القديمة ، فإن البداية والنهاية فى الحجم لم يعد يعوزها « عقدة » محورية فى الوسط حتى تستبين وحدة العمل ، بل إن « الزمن » قد أخذ وضعا حلوليا فى العمل كبديل لهذه « العقدة » التى نتحدث عنها ، وذلك عن طريق ذلك التكرار المعاكس لفكرة النمط ـ فى نظام فصل الوحدات عن بعضها البعض ، .. هكذا لم يعد الفعل عند صالح رضا عملا نحتيا بقدر ما هو حجم مجسم ، ولا عملا جميلا بقدر ما هو نظامى الطالع ، ولا عملا مكانيا بقدر ما هو زمانى المدركات والصفات ، .. والذكريات كذلك .



● قصيدة مترجمة ●

● اشكر لكم الجهد الصادق الذى تبذلونه بمجلة « الهلال » .. كما أشكر لكم عنايتكم برسائل القراء ، وقد أثلج صدرى ردكم علىّ فى عدد سبتمبر عن القصة القصيرة التى ارسلتها لكم . وعرفت أنكم تهتمون بكل رسالة .

اقول أثلج صدرى ، لأنه كان يحزننى أن أسمع ما يقال من أن هناك « شلل » ومنافع فى مجلاتنا الأدبية ..

« الهلال » بالذات رائدة المجلات الأدبية فى العالم العربى .. لكن ردكم أثلج صدرى وأزال همى لأننى تعمدت أن أرسل رسالتى بالبريد العادى حتى أرى ..

وفى رسالتى هذه أرسل لكم قصيدة للشاعر الانجليزى جون كيتس ترجمتها الى العربية من تصرف طفيف ولك أن تطمئن يا سيدى الى الترجمة ، فأنا أعمل مدرسا انجليزيا بالتعليم الثانوى .. وازعم أننى أعلم من الانجليزية الكثير ..

السيد ابراهيم عطية
الموانسة / كفر صقر / شرقية

● **تعليق**

ـ نحن نثق بك وبقدرتك على الترجمة ، ولكنا تعودنا أن تكون الترجمة مصحوبة بنص مكتوب للأصل .. ومع ذلك نرجو أن نجد متسعا لنشر قصيدة جون كيتس المترجمة الى النثر العربى ، فى احد الأعداد القادمة ..

● الشعر التفعيلى والعمودى ●

● أنا شاعر ناشىء ، أنظم الشعر التفعيلى والعمودى فى وقت واحد ، إرسل اليكم نماذج من اللونين أم من لون واحد ، وأى الوان الشعر تفضلونها .. التفعيلى أم العمودى ؟ !

حسنين أبو وصفى حامد
الاسكندرية

● تعليق ●

● نحن منبر لكل ألوان الشعر .. التفعيلى والعمودى معا ، ولا نفضل لونا على لون إلا بالجودة ، فهناك شعر تفعيلى جيد وشعر تفعيلى ردىء وهناك شعر عمودى جيد وشعر عمودى ردىء ، ونحن ننشر الجيد من اللونين .. ولكننا نلاحظ آن الشعراء الصغار السن يجهلون حتى أوزان التفعيلة بسبب افتقارهم الشديد إلى التزود بتراث الشعر الكلاسيكى العربى الحديث والقديم ، وهذا خطر على شعراء التفعلية أنفسهم ، لأن الجيل القادم منهم سيكون جاهلا تماما بالأوزان ، ويتعذر عليه عندئذ آن ينظم الشعر بالتفعيلة أو بغير التفعيلة ، ولا يبقى لديه إلا الشعر النثرى ، أى الخالى تماما من الوزن .. ومن واجبنا آن ننبه دائما الى هذا الخطر الذى سوف يحول آوزان الشعر العربى بعد جيل واحد الى الغاز مثل أوزان الغناء العربى القديم التى ذكرها الاصفهانى ، أو مثل اللغة الهيروغليفية ، وأن كانت الهيروغليفية قد وجدت من يفهمها منذ قام شامبليون بحل ألغازها .. ولا تصدق يا أبا وصفى ما ذكرتموه فى خطابكم من قول بعض المتسرعين أو زعمهم بأننا لا نقبل الشعر التفعيلى ، فإن آكثر من نصف ما ننشره فى الهلال من الشعر هو من شعر التفعيلة ! ..



● صراع ●

(١)

تنازعنى هموم العيش احلامى
فياحلمى
تعالى نقتل الهما
ولا توجل
فليس لشاعر مثلى
سوى الأحلام كى يحيا



(٢)

تنازعنى هموم العيش احلامى
فاستسقى
سحابات المنى الشعرا
فتمطرنى
وتدفعنى إلى الأحلام ثانية
فاسترسل





تنازعنى هموم العيش احلامى (٣)
فياويلى
إذا جفت ينابيع المنى عندى
ستدهمنى
هموم العيش رافعة
لواء النصر والعزة

محمد ابراهيم المجريسى
أبو تيج

● قولوا للكيلانى ●

● إن مجال الأدب والنقد عظيم .. فلم لم تنتقد عبد الرحمن شكرى والمازنى .. بل أثرت العقاد دونهم جميعا .. وما لذلك من تفسير سوى الغيرة اللاذعة والخيبة الدامغة في الوصول لما وصل اليه العقاد عملاق الأدب .. وما أنزله الأدب من منزلة لولاها ما كان كيلانى ولا أمثاله فإن اردت الشهرة فى نقد العقاد والطعن فيه .. فلا تطرق بابها بعصا الهدم والتدمير .. فانصحك الا تتشبث باضغاث أحلامك ..

رجب عبد النظير عبد الشافى
سمهود - أبو شوشة - قنا

● كلمة هادئة إلى كيلانى ●

● هل تريد لنفسك شهرة :
وهل الشهرة تصنعها على حساب ظلم يقع على الآخرين ؟
ولماذا لم تظهر هذه الشجاعة الأدبية وكل هذه الأنتقادات فى حياة العقاد ؟
سيادتك تعلم أن القضايا التى تثيرها اليوم ليست جديدة بل نوقشت من

قبل ، وقتلت بحثا ، ولكن يبدو أن سيادتكم تحب العيش فى الماضى فكتاباتك ، وكتبك التى قرأتها لك معظمها يدور فى هذا الإطار ، دون إضافة أو نقد أو تحليل ، فجاءت كتبك تدوينا لتاريخ مثل « ترام القاهرة » أو تجميعا لمقالات الغير مثل « شارع قولة » .

وأنا أذا أردت أن أتناول كتبك وأسلوبك ، فأننى سأتبع المنهج العلمى فى التحليل ، وأبرهن بالشواهد والأدلة ، دون أن أدخل فى قضايا جانبية أتناول فيها شخص المؤلف بالتجريح ، ودون أن أسخر من أسلوبه بطريقة فيها تحامل ، يظهر فيها العداء وعدم الموضوعية .

أردت من هذا أن أوجه هذا الرد اليك ، فأنت حى ترزق تستطيع أن تدافع عن وجهة نظرك .

وكفى حديثاً عن العقاد ، أو قل ما تريده عنه ، ولكن دون تجريح ..

د . محمد وجيه الصاوى
كلية التربية - جامعة الأزهر



● أشعارى فى الظلام ●

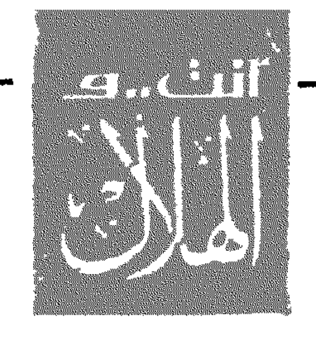
● أشكر لسيادتكم ردودكم الشافية على أشعارى ، وأرسل قطعتين من (بحر البسيط) ، فحصت فى الأولى نظرتى الى مجلتكم الغراء التى أعتبرها منارة تنير الطريق أمام أشعار الشباب من أمثالى ، فياحبذا لو نشرتم أفضل القطعتين

يالائمى لا تلم ما خطه قلمى .. فإننى مغرم بالشعر والحكم
ضللت دربى كشخص ضل وجهته .. والنفس تخشى من الأدلاج فى الظلم
فجئتكم أبتغى من نوركم قبسا .. ينير دربى ويهدى فى الدجى قدمى
فإن قضيتم لنفسى بعض حاجتها .. فإننى شاكر والشكر من شيمى
وإن قفلتم أمام الوجه بابكم .. فالحمد لله فى بخل وفى كرم .

عبده محمد سلطان
صقيل - أوسيم - جيزة

● تعليق :

- نشكركم على رقتكم .. وأما شعركم فيبشر بخير إن شاء الله .. وليس فى أبياتك



الخمسة هذه أى خطأ لغوى إلا قولكم فى البيت الخامس « قفلتم » أى « اقفلتم » بمعنى « أغلقتم » .. ولو جئتم بإحدى هاتين الكلمتين الصحيحتين لانكسر الوزن ، فكان من الممكن أن تقول « رددتم » لأن العرب تقول « رد الباب » أى لقفله أو أغلقه .. أما « قفل » ، الباب فغير صحيحة ، ومن هنا كان غير صحيح أيضا قولهم : « الباب مقفول » وصحتها « مقفل » .. وقفل معناها « عاد » و « القافلة » هى الجماعة العائدة من السفر ! .. وليس من المهم أن يذكر الشاعر حين يرسل الينا قصيدة أن يذكر لنا من أى بحر هى ، فالشعر الجيد يجىء من أى بحر ، والشاعر الحقيقى تنطبع موسيقى العروض فى وجدانه قبل أن يدرس حرفا واحدا من علم العروض ، ولم يوجد فى تاريخ العربية شاعر عظيم بدأ حياته الشعرية بدراسة العروض ، ولكن دراسة العروض الآن ـ من خلال نماذج الشعر الجيد ـ صارت واجبا بعد أن استعجم الشعراء وتكسرت أوزانهم وكثر صياح بعض الأغرار ، وبعض الذين يقولون ما لا يعلمون ..

● سيد قطب الاديب ●

● نشرت الهلال الغراء ، فى عدد سبتمبر ١٩٨٦ مقالا للاستاذ سليمان فياض تحت عنوان « سيد قطب بين النقد الأدبى وجاهلية القرن العشرين » .. قال فيه أن سيد قطب بدأ حياته شاعرا وناقدا وانتهى مفسراً للقرآن الكريم وكاتبا عدة مؤلفات دينية بلغت ثمانية وعشرين كتابا ..

ونسي الكاتب أن للمرحوم سيد قطب كتابا مهما فى النقد الأدبى عنوانه « النقد الأدبى نشأته وتطوره » .. وفيه يقدم كيف بدأت مناهج النقد الأدبى عند العرب وتقييم الاجناس الأدبية من شعر وقصة قصيرة ورواية ومسرحية وقواعد النقد الأدبى ومناهج النقد وكيف أنه يؤمن بالمنهج الفنى لتحليل العمل الأدبى والمنهج المتكامل فى نظره من ثلاثة : المنهج التأثرى والمنهج التقريرى والمنهج الجمالى لأنه أقرب المناهج الى طبيعة العمل الأدبى .

وقدم أمثلة لكتب الدراسات فى النقد الأدبى « مع أبى العلاء فى سجنه » للدكتور طه حسين وكتاب « ابن الرومى » للعقاد و« بشار بن برد » للمازنى و « رأى فى أبى

العلاء » للشيخ امين الخولى .. وللأستاذ سيد قطب كتاب اخر هو « مهمة الشاعر فى الحياة »

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم

● رسالة شاب غاضب ●

● قرأت فى الهلال سبتمبر ١٩٨٦ ردكم المهذب جدا علىّ وكان الرد فى سطرين .. فظننت خيراً . ولكن كان السطران أشبه بخنجرين يغوصان فى صدرى وكانت حروفها أشبه بالنار .. قلتم لى فى ردكم المهذب : « أنتم وصلتم الى مرحلة إقامة الأوزان الصحيحة ، وبقيت أمامكم مرحلة إجادة التعبير الشعرى ، لأن الشعر ليس مجرد أوزان صحيحة » .

فهل آنا أرسلت لكم من قبل قصائداً مكسورة الوزن ؟!

لقد تجاوزت مرحلة تعليم الأوزان أما عن التعبير الشعورى فإن جميع قصائدى تعبير شعرى .. إننى أقرأ كل يوم لجميع الشعراء العرب فآنا مهنتى الشعر ولست هاوياً ليقال لى هذا الكلام .. فمشكلة الشعر عندنا أن أغلب الذين يكتبونه أنهم هواة .. لا يهمهم سوى الوظيفة والمرتب ..



أستاذنا الكبير أعرف أن هذا الرد علىّ مجرد « سد خانه » .. أو مجرد آكلاشيه تردون به على الكثير من الأدباء الذين يراسلونكم ولكننى لن أحزن .. ولن آمل .. فأبو تمام يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت .. أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت .. ما كان يعرف طيب عرف العود .

وبعد .. أتساءل أين ننشر إنتاجنا إذا كان مصيره هذا الرد المهذب .. هل ننشره على حبل الغسيل .. ؟

وأخيرا أنا غاضب غضباً شديداً .. قد يصير جرحاً فى ذاكرتى . غاضب منك .. أيها الاستاذ الكبير المشرف على باب أنت والهلال .. غاضب إلى آخر مدى ، غاضب منك اشد الغضب .. فأكلى وشربى أصبح الآن غضبا فى غضب .. ولك الشكر على هذا الغضب .. المعبأ فى صدرى والمغلف فى لسانى .

عبد الله السمطى
آداب عين شمس



● تعليق

ـ فى البداية نعلق على لغة هذه الرسالة ..

فقولك : « ارسلت لكم قصائدا » .. خطأ .. والصواب « قصائد » بدون الف فى آخرها لأنها ممنوعة من الصرف .

وقد استشهدتم بشعر ابى تمام فجعلتم الكلمة الأولى من الشطر الثانى هى الكلمة الأخيرة فى الشطر الأول ، فقلتم :

وإذا آراد الله نشر فضيلة طويت

« اتاح لها لسان حسود »

وهذا خطأ فاحش ، وكان يجب أن تضع « طويت » فى أول الشطر الثانى . مما جعلنى اشك في أنك قد بلغت مرحلة .. إقامة الاوزان الصحيحة ، وكنت من قبل أظن انك بلغتها .. ووضعك ضمة على كلمة « عرف » في البيت الثانى خطأ والصواب فتح الفاء ، وهذه الكلمة معناها « الرائحة » اما « العرف » بضم العين فهوالجود والمعروف ..

وأخيرا ..

نرجو القراء أن يحكموا بأنفسهم على طريقة هذا الشاب الشاعر فى مخاطبة الناس .. فكيف تصبح عصبيته وشدة غضبه وطريقته فى الكلام بعد عشرين عاما إذا استمر فى « تطوير » لغتة « الشعرية » على هذا النحو ؟ ! ..

يابنى .. إذا كنت تريد ـ وأنت فى العشرين من عمرك الآن ـ أن تنضج وانت فى الثلاثين اوالأربعين ، فحاول أن تستفيد من النقد والنصح ، لا أن تثور عليه هذه الثورة التى نرجو أن تراجع نفسك في بواعثها ، فنحن لم نقصد إلا ان نربت كتفا ، ونقول لك كلمة نصح وإرشاد ، رجاء تبصيرك ، لا إثارتك وإغضابك .. وسامحك الله ياصغيرى العزيز .. ! وليس فى صدرنا ذرة غضب منك ، بل يملؤنا الإشفاق عليك ! ..

● ويبقى الله ●

وبالقلب الذى يهوى .. غدا الانسان إنسانا
وينسى الناس أن الحب .. قنديل بدنيانا

وأن العشق شوق .. أن يتم الخلق عرفانا
وقلبانا إذا التقيا .. تمام الخلق لقيانا
وسر الله نور الكون .. فى القلبين مذ كانا
ويبقى الله .. أقرب من .. وريد فى حشايانا
ويبقى الله .. يبقى الله .. .. يبقى الله رحمانا

د . أحمد عامر

● حوار مع الأصدقاء ●

● كمال محمد نصر الدين نادى ـ المنيا ::
ـ نشكركم على القصائد التى أرسلتموها إلينا ، ونعتذر إليكم بسبب ضيق المقام .. .
● م ـ محمد زهرى ـ الظاهر ـ القاهرة :
ـ سنحاول تلبية رغبتك بنشر المزيد من الموضوعات عن الفن والفنانين أما المجلات والأعمال الفنية التى تسألون عنها فليست مع الأسف فى متناول أيدينا الآن ...
● على حوم ـ إذاعة شمال الصعيد بالمنيا :
ـ قصيدتكم التى عنوانها « الحاج » تدعو للتفاؤل، ونعتذر إليكم بسبب ضيق مجال النشر .
● رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :
ـ قصائدكم التى أرسلتموها إلينا هذا الشهر ، تبشر بالخير ..
● عاصم فريد البرقوقى ـ شارع خليل مطران بالأسكندرية :
ـ نشكركم على تهنئتكم بالعيد الرابع والتسعين للهلال
● أحمد فؤاد ـ الاسكندرية :
ـ قصيدتكم التى عنوانها « حكايتى » قرأناها بصعوبة بسبب الخط ، وفيها بعض الأوزان التى تحتاج إلى مراجعة وبعض الهفوات النحوية واللغوية ..

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

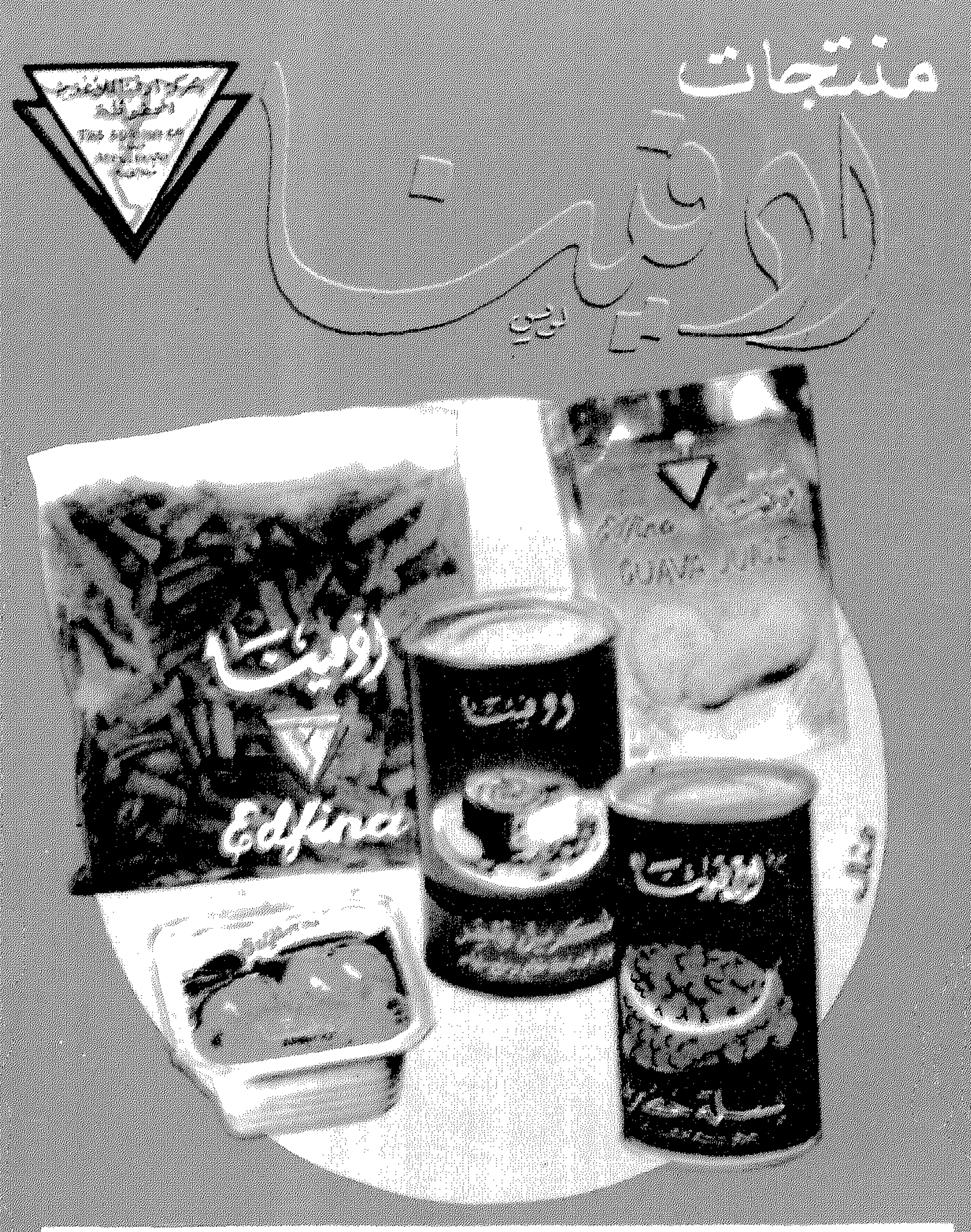
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


منتجات
Edfina





- الإرهاب وأثمان البشر
- التدخين وأمراض العصر

عالم الإسلام

ثار الماضى وحدود الحاضر



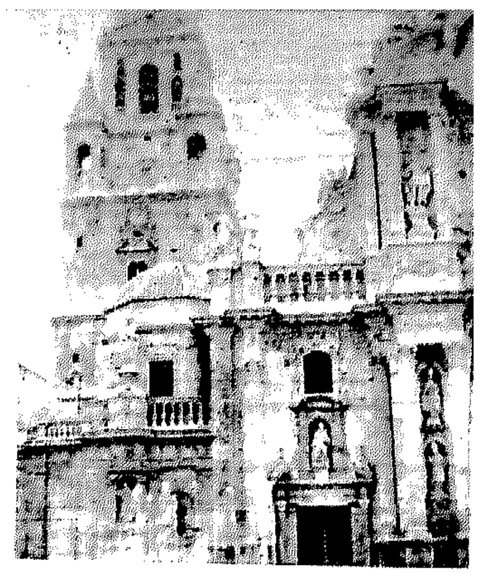
من روائع الفن الإسلامي

السلطان بايزيد الثانى ، يشاهد الاسد والثور اللذين قدمهما سلطان تونس ، يشاركه عدد من كبار رجال الـدولة العثمانية .. وهى احـدى لوحات متحف طوب كابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ أول ديسمبر سنة ١٩٨٦ م
٢٩ ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ



رسالة مرسيه :
ودرس الاندلس بدلا عن
البكاء على الأطلال ص ٦٠

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

ص

● حوار حول ٥ يونيو :

● كتاب الشهر

● وجهة نظر :

● عالم الإسلام : آثار الماضى وحدود الحاضر ●

● رسالة مرسيه :

● رسالة غرب افريقيا :

● دراسة الهلال ●

● قصة وشعر ●

● شخصية العدد ●

● الأبواب الثابتة ●



عالم الإسلام

آثار الماضى .. وحدود الحاضر

مواد هذا العدد من « الهلال » متنوعة كالعادة ، فلانخص بالذكر منها مادة دون مادة ، وانت وماتحب وتختار ..

ولكنا نتريث قليلا عند بعض المقالات التى يكمل بعضها بعضا ، وتتجه كلها إلى مصب واحد ، هو العالم الاسلامى ، فى أمسه ويومه وغده ..

إن الميراث التاريخى للمسلمين شرقا وغربا ، هو الميراث التاريخى للعرب أيضا ، فالعرب والمسلمون كانوا نسيج أمة واحدة حين بدأ الافرنج يشنون الغارة على العالم الاسلامى ، بادئين بالأندلس قبل تسعمائة سنة ..

وكان سقوط طليطلة ـ العاصمة الأولى للأندلس ـ فى أيدى الافرنج القشتاليين سنة ١٠٨٥ نذيرا بما أصاب العرب والمسلمين من نكبات طوال مئات السنين فى المغرب والمشرق ، فقد كانت طليطلة أول عاصمة عربية واسلامية تسقط فى أيدى خصوم العرب والمسلمين القدماء ، حتى سقطت غرناطة سنة ١٤٩٢ وتقدم سلطانها أبوعبد الله محمد ـ آخر سلالة بنى الأحمر ـ إلى الغزاة القشتاليين يسلمهم مفاتيحها ، وينحنى ملكهم « فرناندو » وملكتهم « إيزابيلا » ثم يعبر « العدوة » أو

« الزقاق » المائى الضيق لاجئا إلى المغرب ، يبكى كالنساء على أرض لم يدافع عنها كالرجال ! ..

لم تكن غرناطة آخر عاصمة عربية أو إسلامية تستسلم للغزاة الأوربيين ، فقد استسلمت بعد ذلك جميع العواصم العربية والاسلامية بين المحيطين الأطلنطى والهادى خلال أربعمائة سنة تقريبا بما فيها « استامبول » عاصمة آخر خلافة اسلامية .. حتى « صارت القضية أندلسية » .. على حد التعبير المشهور فى كل بلد عربى وإسلامى ، أى قضية فناء وزوال من الوجود .. وإنها لأعجوبة تاريخية فذة أن تسقط جميع عواصمنا ، ثم تتحرر كلها ، إلا عواصم الأندلس بطبيعة الحال ! ..

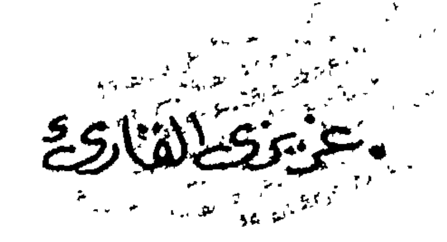
لقد بكى العرب والمسلمون طويلا على الأرض الضائعة ، حتى صار البكاء على الأرض عادة اسلامية عربية مزمنة ، وبابا رنانا مؤثرا من أبواب الشعر العربى ، ولكنه ينم عن عجز ، كما ينم عن نفاق وخداع للنفس . ومازلنا نرى الباكين فى أيامنا الراهنة يذرفون الدمع على كل أرض لم نستطع الحفاظ عليها فى تقلبات القرون الوسطى ! .. وأحرى بنا أن نلتفت الآن إلى الأرض السليبة التى مازال الأجنبى ينازعنا إياها ، وحسبك منها أرض فلسطين فى المشرق ، وسبته ومليلة فى المغرب .. فليس يصح فى الذهن والضمير أن نبكى على مافات ، وندع ما لم يفت بعد ، وهو تاريخنا الحى الذى ينزف دما حارا بين أيدينا ! ..



إن الفكر والعمل فى حاضر العالم الاسلامى وفى غده ، أجدر بهما أن يحتشدا للانبعاث الجديد المأمول الذى يواجه به العالمان العربى والاسلامى أمواج التفوق الأوربى الأمريكى الكاسحة الزاحفة بلا هوادة إلى القرن الواحد والعشرين ومايتلوه من آماد السنين ! ..

ففى أى سبيل يمضى العرب والمسلمون لتحقيق أهدافهم الحيوية التى سيأكلهم المستعمرون والصهيونيون إذا فشلوا فى تحقيقها ؟! .. إن تحقيقها هو الجدار الوحيد الذى يسند المسلمون والعرب ظهرهم إليه فى مواجهة المستعمرين والصهيونيين ، ففى أى سبيل هم ماضون إلى تلك الأهداف ؟! ..

الجواب عن هذا السؤال الخطير مازال مجهولا أو مختلفا عليه فى عالم العروبة والاسلام .. ويبلغ الخلاف حد التضارب ، بل التطاحن ، بل التراشق بكلمات التخوين والتكفير الطائشة ! .. والدنيا من حولنا



تتفكه بامورنا ، وتبتسم ضاحكة من سذاجة أقوالنا وأعمالنا !

وفي مصر نجد لزاما علينا تقليب وجوه الراى حول دورنا العربى ودورنا الاسلامي ، في الحاضر ، وإلى مائة سنة قادمة وأكثر .. ولكن متي يتاح لآرائنا أن تتضج فى هذا المضمار ، فنجاوز صوغ الكلام الى مباشرة التطبيق العملى ؟! .

الجواب هنا ايضا غير معلوم ، ومازال الاختلاف عليه شديد الاحتدام ! ..

إن مصر هى قلب العالم العربى الاسلامى ، ولو أنك الممت بالمتحف الاسلامي فى القاهرة ، لرايت تاريخ مصر والحجاز تاريخا واحدا يتمثل فى الآثار التى هى مصرية وحجازية فى وقت واحد ، لأن الحجاز ، وهو مهد العروبة والاسلام ، اتصل أرضا وبحرا وسماء بمصر طوال التاريخ ، وكذلك عالم الاسلام وعالم العروبة اللذان يمتدان فى آسيا وافريقيا ، ويصنعان معا حضارة ذات أصل واحد ، لاتناقض بين عناصرها الجوهرية ، فالاخاء الاسلامى يجمع العربي وكل ذى قومية أخرى فى اى بلد اسلامى ، كما تجمع القومية العربية أهلها العرب فى جميع أقطارهم ..

إن الاسلام هو دين القوميات المتعددة المتاخية ، يستقل كل شعب فيها بثرواته ومرافقه وأسباب حياته وعمرانه ، فالوطنية حق ، والقومية حق ، وهما لا تتنافيان الأخوة الاسلامية ، بل تستمد هذه من هذه ، قوة تجابه بها الخصوم ! ..

ويستطيع العرب والمسلمون الآن أن يحملوا أمانة ميراثهم المشترك عن الأجيال الماضية إلى الجيل الحاضر والأجيال القادمة ، إذا عرفوا حق انفسهم عليهم ، واستنبطوا القوة والتقدم من مائهم وهوائهم وترابهم ورمالهم ، واستغلوا الوقت فى العمل الصحيح للخروج من مازق حاضرهم الفاجع ، وبناء مستقبلهم الطيب ، بدلا من البكاء وعض الأنامل بالنواجذ ، اسفا على ما اضاعوه بتفريطهم وغفلتهم فى قديم الزمان ! .

المحرر

ثروة الأمم

بقلم: د. اسماعيل صبري عبدالله

●● تواضع الاقتصاديون منذ القرن الماضي على أن آدم سميث هو أبو علم الاقتصاد .. ويبدأ هذا العلم عندهم بنشر كتاب سميث الكبير " مبحث أسباب ثروة الأمم " في ١٧٧٦ أي قبل ٢١٠ أعوام .. وانفرد كارل ماركس في القرن التاسع عشر بعرض أعمال قيمة في الاقتصاد لمؤلفين عاشوا وكتبوا قبل سميث بكثير .. وبعد تجاهل طويل لامسوغ له اكتشف الاقتصاديون الأهمية العلمية لما نشره الانجليزى بيتى أو الفرنسى كاتنيون .. وقد توسع شومبيتر في كتابه الجامع " تاريخ التحليل الاقتصادى " في تقديم السابقين لسميث .. ورغم كل ذلك ظل الذائع في هذا المقام أبوة سميث .. ولكن " الأبناء " لم يأخذوا عن الأب إلا جانبا واحدا من فكره لم يكن المقصد الأساسى من مؤلفه المذكور : جانب حرية التجارة والصناعة .


أدم سميث

* د. اسماعيل صبرى عبد الله

من ابرز المثقفين المصريين ووزير التخطيط الاسبق وحاليا رئيس منتدى العالم الثالث التابع للامم المتحدة ..

ثروة الأمم

وحقيقة الأمر هى أن قضية " ثروة الأمم " كانت موضع اهتمام متزايد منذ ظهور الدولة القومية الحديثة المستندة أساسا الى أسلوب الانتاج الرأسمالى على أطلال العلاقات الاقطاعية .. لقد كانت الرأسمالية الناشئة تضيق بما سمى " المدن الحرة " أى المتحررة من سلطة الاقطاعيين ، وتطمع فى توحيد أرض الدولة فى سوق واحدة يتحرك فيها العمل ورأس المال والسلع من مكان لآخر بلا قيود .. وظهر فى بعض الاقطار الأوروبية (بريطانيا ، فرنسا ، أسبانيا) تحالف بين " البورجوازية " ـ ومعناها الحر فى أعيان المدن ـ والملك ، عمل على تحويل سلطات الاقطاعيين الى امتيازات ومخصصات مالية فى اطار حكم ملكى مطلق .. وكان الناس فى البداية لايميزون كثيرا بين خزانة الدولة وأموال الملك الخاصة .. ومن ثم كان الطبيعى أن يظن الكتاب فى تلك المرحلة البدائية أن ثروة الأمة تقاس بمقدار ما فى خزائن الملك أساسا ـ والناس عامة ـ من ذهب وفضة .. ولكن سرعان ماتنبه بعض الكتاب لقصور مثل ذلك التفكير .. فكتب الفرنسى بودان ـ واضع اسم الاقتصاد السياسى ـ أن ماكان الناس يعانونه فى أواسط القرن السادس عشر من غلاء متزايد يرجع الى كثرة الذهب والفضة فى غربى أوربا على اثر نهب مناجم العالم الجديد .. وكان أخطر ما تضمنه كلام بودان أن الذهب والفضة يفقدان من قيمتها اذا تزايدت الكميات المتاحة منهما فى الأسواق .. وهكذا بعد أن كان المعدنان الثمينان المقياس الأخير للقيمة هبطت الى مستوى أى سلعة تتراجع قيمتها بزيادة المعروض منها .. ومن ثم تعين البحث عن سبب آخر لثروة الأمم .. وبدأ الطبيب الفرنسى كيناى وأصدقاؤه المسمون بأنصار حكم الطبيعة (أو الفيزوقراط) بالقول بأن ثروة الأمم تقاس بحجم ماتنتجه من سلع ورأوا أن الزراعة وحدها تنتج سلعا جديدة تماما .. وذهب كتاب آخرون ـ فى ضوء تقدم العلوم الطبيعية ـ الى أن " المادة لاتفنى ولاتستحدث " أى أن الانسان لايخلق شيئا من لاشىء .. ولكنه يحور ويشكل مايحيط به فى الطبيعة ليصبح صالحا لإرضاء حاجات ورغبات المجتمع .. وبالتالى كان الانتاج بالمعنى العلمى خلقا للقيمة وليس خلقا للسلعة .. وفى ضوء هذه النظرة توصل عدد منهم الى فكرة أن العمل

وحده عصب الانتاج .. فالمواد الأولية موجودة فى الطبيعة ، ومستلزمات الانتاج وكذلك الآلات انتاج لعمل سابق .

● أهميـة العمـل ●

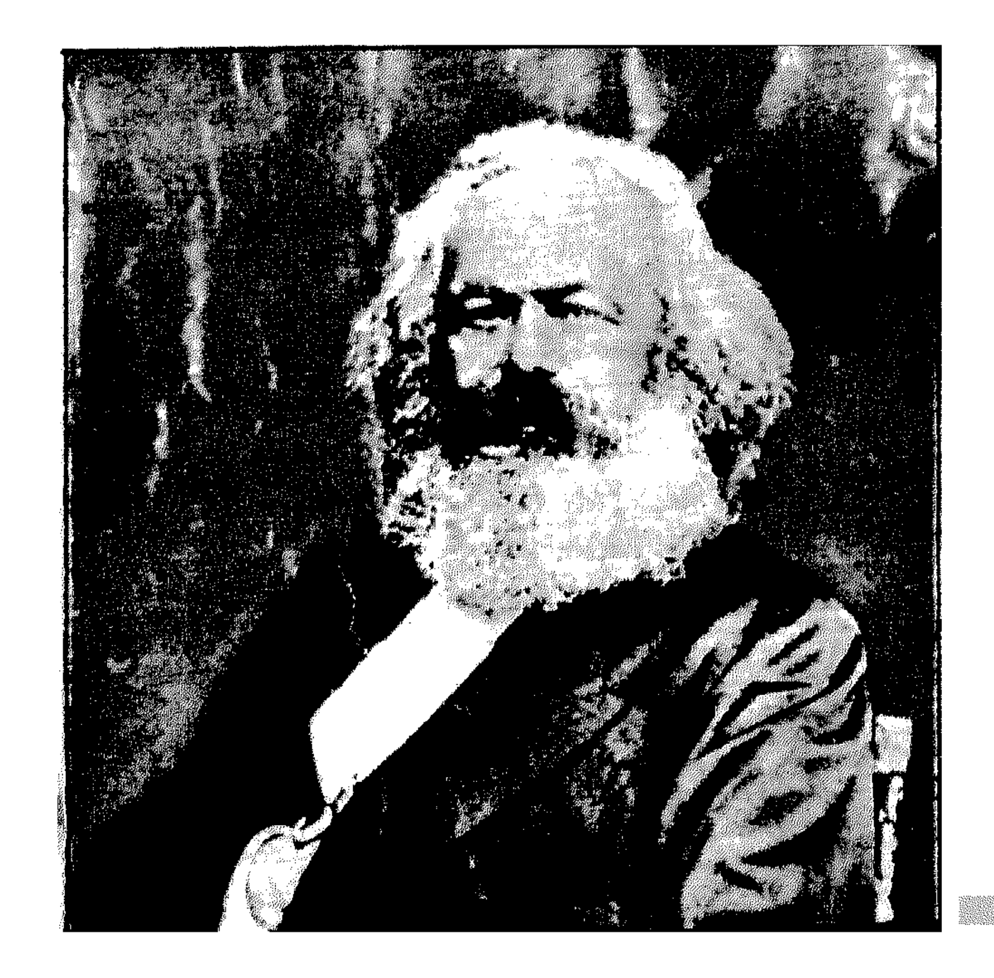
وكان لآدم سميث فضل العرض الأكاديمى المتكامل لنظرية " قيمة العمل " وكيف أن قيمة أى سلعة هى فى التحليل قيمة العمل الذى هيأها لاستخدام المجتمع .. ولم يكن عرض سميث لتلك النظرة مرضيا تماما .. فتولاه من بعده ريكاردو بالتمحيص والتحديد .. واكتملت النظرية تماما على يد ماركس .. ولذلك فإن أهم ماجاء به سميث كان أمرا آخر يتمثل فى بداية الاهتمام بمفهوم " إنتاجية العمل " فقد شرح سميث أهمية التقسيم الفنى للعمل ـ ومن المعروف أن التقسيم الاجتماعى للعمل يعنى قيام فئة معينة بأعمال معينة .. وقد عرفته كل المجتمعات ، وربما كانت صورته الأولى تقسيم العمل بين الرجل والمرأة .. ويعنى التقسيم الفنى للعمل أداء بعض الأفراد لجزء محدد من عملية انتاجية معينة .. فالصانع الحرفى ـ كالنجار مثلا ـ يصنع سلعة كاملة ، ولتكن فى مثلنا هذا مكتبا والعرفاء والصبيان يعاونونه فى عمله متنقلين من أداة الى أخرى دون تخصص ، حيث يرمى كل منهم إلى أن يكون نجارا يعرف الصنعة كاملة فى يوم ما فى المستقبل .. أما انتاج نفس المكتب فى مصنع للأثاث فإنه يقوم على أساس عدد كبير من العمال يؤدى كل منهم عملية واحدة كالنشر بالمنشار أو الدهان .. ثم فى مرحلة لاحقة يصل التقسيم الى وجود العامل الذى لايفعل شيئا إلا دق مسمار أو مسمارين فى موضع محدد من قطعة خشب تمر أمامه وهو ثابت فى موقعه .. وقد ضرب سميث مثلا من مصنع للدبابيس وأثبت أن هذا التقسيم الفنى للعمل يزيد الانتاج دون زيادة فى عدد العمال .. ومن ثم نقول إنه أدرك ما نسميه منذ بضع عشرات من السنين " انتاجية العمل " أى قيمة مايفعله العامل منسوبة الى أجره .

● مهـارة الإنسـان ●

وفى عصرنا الحالى أصبح معدل الزيادة فى انتاجية العمل المقياس النهائى لثروة الأمم ، أى لقدرتها على الانتاج .. فعصب الانتاج هو العمل



البشرى الذى يحول الرمال الى زجاج وبلور .. ولكن معدل انتاج العامل منسوبا الى أجره يختلف اختلافا عظيما من قطر الى قطر ومن جهة الى أخرى ، بل ومن فرد لآخر .. وحين ترتفع انتاجية العمل يكون ذلك نتيجة لعدة تغيرات اجتماعية تؤثر فى قدرة العامل : مستوى التغذية ، الحالة الصحية ، الحالة التعليمية العامة ، حالة التأهيل التخصصى ، دوافع اتقان العمل من مادية ومعنوية .. كما أن الآلات المستحدثة لاتحل محل العامل كما يقال ، لأن كل آلة مهما تكن متقدمة وقادرة على اجراء عمليات ذهنية تظل جثة هامدة مالم يحركها الانسان بعلمه ومهارته الخلاقة .. وكفاءة أداء أكثر الحاسبات الآلية تقدما تتوقف على جودة مايقدم لها من بيانات أعدها بشر .. وانما حقيقة الأمر هى أن الآلة تزيد من إنتاجية العمل .. والحاسبات الاليكترونية والأقمار الصناعية « والانسان الآلى » أو الروبوت هى أحدث الحلقات فى



كارل ماركس

سلسلة بالغة الطول من الأدوات التى اخترعها انسان ليزيد من انتاجيته .

ونود أن نقف قليلا عند تعبير " معدل الزيادة فى انتاجية العمل " ذلك أن عدم زيادة انتاجية العمل هو الجمود والتخلف ، بل والتراجع في جوهرها .. ولايجوز وصف مجتمع بأنه يتقدم الا اذا توالت الزيادة فى انتاجية العمل فيه من سنة الى سنة .. ومن ثم يفترض فى أى تنمية حقيقية لأى مجتمع أن تأخذ انتاجية العمل فيه فى الارتفاع وتستمر على منوال الارتفاع المطرد .. وهذا مايعنى توافر الظروف الاجتماعية التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة ، كما يعنى المواءمة الكاملة بين التكنولوجيا وقدرات العاملين على استيعابها .. وعندئذ تصبح المقارنة بين اقتصاديات الأقطار المتقدمة منصبة على المعدل السنوى لزيادة انتاجية العمل .. **ومايقلق الخبراء الأمريكيين حقا من اليابان ليس المنافسة فى مستوى سلع بعينها ، وانما حقيقة أن معدل زيادة انتاجية العمل أكبر فى اليابان منه فى الولايات المتحدة .**

ذلك هو المقياس الحقيقى للتقدم والازدهار .. **أما وفرة النقود فى جيوب الناس ، وزيادة السيولة لدى الجهاز المصرفى وكثرة الصفقات فانها تكون ظاهرة مرضية تهدد المجتمع كله بعدم الاستقرار وتصيب المستضعفين من أبنائه بأشق ظروف عيش** .. فوفرة النقود التى لاتواكبها زيادة مماثلة لا فى الانتاج وحده ولكن فى انتاجية العمل تشكل حالة التضخم .. والتضخم مرض اذا مانطلق من عقاله نما نموا مطردا وسريعا كالسرطان .. ومن طبيعة التضخم أنه يعيد توزيع الدخل القومى بين الطبقات لصالح الأغنياء وضد الفقراء .. فمن المعروف أن الأرباح تتزايد مع ارتفاع الأسعار .. وغالبا مايكون معدل الزيادة فيها أعلى من معدل زيادة الأسعار .. أما الأجور فهى أصلا ثابتة ، ولاترتفع الا متأخرة عن ارتفاع الأسعار وبنسبة أقل من معدل زيادتها . كما أن التضخم يخل بكل الحسابات الاقتصادية ويتنافى جوهريا مع التخطيط .. وكل ذلك صحيح فى قطر مثل السعودية تراكمت لديها الأموال نتيجة بيع اجزاء من رأسمالها العينى (البترول) .. فما أدراك بقطر مثل مصر توافرت فيه الأموال من قروض أجنبية يتعين سدادها ، ومن عمل أبنائه فى الخارج الذى لم يضف شيئا الى الانتاج المحلى ، **وليس ثابتا أن العاملين فى الخارج قد ارتفعت انتاجيتهم .. بل ان ثمة شواهد تدل على ان ارتفاع المرتب كثيرا مايدفع متخرجى الجامعات لقبول أعمال تهدر المهنة التى تعلموها لأنها لاتحتاج إلى تأهيل عال .**

بقلم: د. شكري محمد عياد

أثمــان البشـــر

عندما تصل إليك هذه الكلمات ، صديقي القارىء ، تكون قضية الرهائن الأمريكان قد وصلت إلى نقطة غير النقطة التى اراها الآن .

ولكن الحقيقة الثابتة ، والتى لم ينفع فى إخفائها لا تصنع الغضب ، ولا التخويف من العواقب ، ولا إظهار الحنان على المختطفين وأسرهم ، هى أن الولايات المتحدة الأمريكية تساوم على حياة بضعة أمريكان ، بحياة بضعة آلاف من الايرانيين والعراقيين .

ومانقول ذلك لأننا نستهين بأرواح بضعة أفراد أمريكيين أو غير أمريكيين . فنحن نعتقد أن الروح سر إلهى ، ويستوى أن يكون هذا السر فى واحد أو كثير . ونحن نؤمن بأن من قتل نفساً واحدة فكأنما قتل الناس جميعا . ولكن حين يصل الأمر الى مقايضة سلامة أفراد ، قد لا تمس أرواحهم ولا أبدانهم بسوء على كل حال ، رغم التهديد والإنذار ، بأسلحة فتاكة يعلم المقايض أنها سوف تزهق آلاف الأرواح فى حرب باغية ، فلابد أن يكون وراء هذه الصفقة اعتقاد ضمنى بأن هناك أكثر من معيار واحد للسلوك ، وأن الإنسان الأمريكى لا يلزمه أن ينظر إلى العراقى أو الايرانى على أنهما أخوان فى الانسانية ، بل على أنهما عراقى أو ايرانى ، « لا أكثر » .

وليس هذا الموقف جديداً على كل حال .. فالدول الغربية ، وفى مقدمتها أمريكا . تقاوم الارهاب بكل صرامة ، ولا تنحنى أبداً لمطالب



ريجان

الارهابيين ، بشرط أن تكون أرواح الضحايا أرواحا من الدرجة الثانية او الثالثة . وقد ساومت الولايات المتحدة الأمريكية على إطلاق ركاب طائرة الخطوط الجوية العالمية التى اختطفت فى بيروت ، لأن معظم ركابها كانوا أمريكيين ، ولكنها حرّضت وصفقت حين قتل عشرات الركاب المصريين والسودانيين واليونانيين (ليسوا أوربيين تماما !) على متن الطائرة المصرية التى اختطفت من مطار أثينا ، فأرواح هؤلاء عملة سهلة ، رخيصة ، يمكن أن تدفع بسخاء فى مقابل إرهابيين أو ثلاثة من الجنس نفسه . أما إن كان المحتجزون عملة صعبة فإن هؤلاء الإرهابيين أنفسهم يؤخذون بالرفق واللين ، ويعاملون بالطرق الدبلوماسية ، وتوسط لديهم الحكومات ، ورجال الدين ، والشيطان نفسه إن لزم الأمر لاطلاق سراح المحتجزين ، حتى يعودوا الى أسرهم وأحبابهم ، الذين أستبد بهم القلق والجزع .

● كيف حسبوها ؟ ●

هل حسبوا أثمان أرواحنا وأرواحهم بمتوسط دخل الفرد ؟ فهم يقولون ، « فلان يساوى مليوناً » إذا كان يملك مليون دولار . وهم تعودوا أن يحسبوا كل شىء بالأرقام ، فالأرقام هى لغة العلوم الطبيعية ، والعلوم الطبيعية تحاول أن تحتوى فى حضنها القاتل كل شىء حتى الكون والانسان اذن فالروح ليست من أمر ربى ، الروح كلمة تنتمى الى حفريات الثقافة ، اخترعها أناس لم يفهموا ، ولم يحاولوا أن يفهموا كيف يعمل عقل الانسان ، وكيف يستجيب للمؤثرات الخارجية ، وهذه أمور استطاع العلم الحديث أن يفسرها ، ويقيسها ، بل ويتحكم فيها . والمبدأ الأول فى تفسير سلوك الانسان وقياسه والتحكم فيه هو المصلحة . فالحقيقة ـ تلك الحقيقة التى تفرق بين صغير وكبير ، وقليل وكثير ، وأسود وأبيض ـ هذه الحقيقة هى أيضا حفرية من حفريات الثقافة ، يجب شطبها من القاموس ، ومن تعذر عليه التخلص منها فعليه أن يهمل صيغة المفرد ويتحدث عنها فقط بصيغة الجمع ، فليست هناك حقيقة

واحدة وانما هناك حقائق كثيرة ، والحقائق جميعها نسبية ، ومادامت كذلك فيجب أن ترجع الى ضابط متغير . وماذا يكون هذا الضابط سوى المصلحة ؟ اذن فلتنزل الحقيقة عن عرشها ، ولتسلم أمرها الى سلطان المصلحة ، هذه المصلحة التى يمكن تفسيرها وقياسها والتحكم فيها .

لهذا نحار أحيانا ـ نحن الشرقيين ـ فى سلوك أهل الغرب ، كما يحارون فى فهم سلوكنا . فعندنا أن هناك حقائق لا تقبل التغيير ، ولا تحسب بالأرقام ، ولا تمكن المساومة فيها لأننا ـ واعين أو غير واعين ـ ننسبها الى حقيقة واحدة عليا لها هذه الصفات . وعندما نخطىء نحو هذه الحقيقة نشعر بالندم ، وربما كرهنا أنفسنا ، وربما دفعناها نحو المزيد من الخطأ ، لنشعر بمزيد من الانسحاق . وعندما تمتلىء نفوسنا بهذه الحقيقة نصنع المعجزات . وعندهم أن الانسان يلبس لكل حالة لباسها : فتراهم فى أروقة الاجتماعات ، وحفلات الكوكتيل ، ناعمين مصقولين ، يمشون هونا ، ويتكلمون همساً ويفيضون عذوبة . وتراهم اذا تصادمت مصالحهم وحوشاً أو أشر من الوحوش ، يدب بعضهم الى بعض بالخديعة ، ويحيك المؤامرات ، ويسدد الطعنات فى الظلام . أما اذا أشعلوا نار الحرب فكل شىء عندهم مشروع اذا درأ الهزيمة أو حقق النصر ، وكل شىء ، عندهم مبرر فى حساب الأرباح والخسائر !

● تذكروا هيروشيما ! ●

ترومان حسبها أيضا حين محا هيروشيما ونجازاكى من على وجه الأرض وقتل الألوف من الأطفال والنساء والشيوخ وترك ألوفا أخرى يفتك بأجسامهم المرض وينتظرون الموت المخلّص بعد سنين تقصر أو تطول . قال وقال المدافعون عن جريمته : انه أنقذ بقتل هذه الألوف مليوناً أو ملايين كان يمكن أن تزهق أرواحهم لو طال أمد الحرب !

عمل لا غبار عليه ـ بل عمل انسانى عظيم ! ـ إن قبلت هذه الحسبة .

فالمعيار الأخلاقى فى النهاية لا يخرج عن واحد من اثنين : إما معيار الحقيقة وإما معيار المصلحة .

والحقيقة لا تنفى المصلحة ، ولكن المصلحة قد تنفى الحقيقة . لهذا نفهم الغربيين خيراً مما يفهموننا ، ونتعلم منهم دون أن نتخلى عن حقيقتنا ، ولا يتعلمون منا الا اذا تخلوا عن حضارتهم وهربوا الى أحضان حضارتنا .

ربما بهرتنا أخلاقهم العملية : أمانتهم فى معاملاتهم ومحافظتهم على مواعيدهم مع سرعة الانجاز واتقان العمل . هذه أخلاق يسهل اكتسابها لانها لا تنافى الحقائق الانسانية التى نحرص عليها قبل كل شىء ، بل انها يمكن أن ترسخ هذه الحقائق فى النفوس فلا تلعب بها الأهواء الوقتية . **ولكن الأخلاق العملية بدون الحقائق الانسانية تترك الحياة خواء وإن جعلتها سهلة . والخواء السهل هو آفة الحضارة الغربية** . وقد حاول بعض المفكرين الغربيين أن يعالجوه بإبقاء ركن صغير منعزل لأمور الروح ، وأخذ هذا الحل الساذج عنهم رجال من قومنا ندعوهم فلاسفة ومفكرين ، ولكنه حل لا يحل الا مشكلة هؤلاء الأفراد الذين يعانوا من انقسام الشخصية .

● الإرهابيون هم تلاميذ الغرب ! ●

نحن لا ندين الارهاب فقط لانه بشع وظالم ودنىء ، ولكننا ندينه ايضا لانه جزء من حضارة الغرب التى توشك أن تدمر العالم .

وأحيانا أسائل نفسى : لماذا لم أسمع بدراسة علمية فى تاريخ الارهاب ، شىء يشبه ماصنعه فوكو فى أركيولوجية المعرفة حول تاريخ السجون أو تاريخ الجنون ؟ وأجيب نفسى بأن مثل هذه الدراسات ، مع الأسف الشديد ، لا تزال تأتينا من الغرب ، ويظهر أن موضوعاً كموضوع الارهاب لا يسهل على كاتب غربى ، مع كل الحريات التى يتمتع بها ، أن يعالجه بأمانة وموضوعية . والخطوط الرئيسية للموضوع ماثلة أمام كل باحث يريد أن يتصدى لهذه المهمة . فالارهاب ، كمؤسسة اجتماعية ، وتكتيك حزبى ، يتميز عن "قتل الغيلة" الذى عرف منذ اقدم العصور ووجد فى جميع المجتمعات الصغيرة والكبيرة ، الشرقية والغربية . وتسمية الأعمال الارهابية "اغتيالات" تسمية تنطوى على خلط كبير . فالاغتيال عمل فردى لا يلزم أن يكون وراءه تنظيم ما ، والارهاب منظمة اجتماعية تستخدم الاغتيال كوسيلة واحدة من بين وسائل كثيرة . ويستطيع المؤرخ أن يلاحظ تطور هذه المنظمة من "الاغتيال" البسيط ، وأظن أن ذلك حدث قبيل الحرب العالمية الأولى ، بين فريق من الثوريين الروس ، ففى كتابات لينين كلام مهم عنه (وقد عارضه بشدة) . وأقترح على هذا الباحث أن يدرس العلاقة بين الارهاب والتقدم التكنولوجى من ناحية ، والارهاب وأساليب السيطرة السياسية من ناحية أخرى .

أما وأنا بصدد تشخيص الارهاب فقط ، باعتباره سلوكا عدوانيا فإننى أراه يقوم على نفس المبدأ الأخلاقى الذى تقوم عليه الحضارة الغربية : مبدأ المصلحة . فكل شىء مشروع فى السلوك الارهابى اذا حقق النتيجة المبتغاة . وكل الفرق بين هذه المنظمة الصغيرة والمنظمة ـ الأم ـ الحضارة



الغربية ـ أن المصلحة فى الحالة الأولى هى مصلحة فئة صغيرة مظلومة او مسحوقة .

الا تعجبون معى لأن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تجرى اتصالات مع فئات ارهابية صغيرة فى لبنان ، بينما ترفض بعناد أن تجرى اية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ولكن مهما يكن هذا الأمر غريبا فتفسيره واضح : أن حكومة الولايات المتحدة والارهابيين من كل جنس ولون يتكلمون لغة واحدة : لغة المصلحة ، لا شيء غير المصلحة ! ولا تعجبوا لهذا الاتفاق رغم التناقض الواضح بين الفريقين . فهو اتفاق فى اللغة فحسب ، اتفاق فى القانون الأخلاقى . والمصالح تتناقض وقد حارب الغرب نفسه قبل أن يحارب الإرهاب !

● وهؤلاء المعارضون ●

هؤلاء الذين عارضوا سياسة حكومة الولايات المتحدة ، داخل الولايات المتحدة نفسها : المشرعون ، والكتاب ، والناس العاديون الذين لم تنجح عبارات الحنان المصطنع على أسر المخطوفين فى تنويم ضمائرهم ... هل تنبهت "الحقيقة" الكامنة فى قلوبهم : الحقيقة التى لا تقبل الاعوجاج ، ولا تجعل الشر سبيلاً الى الخير ، ولا تفرق بين أثمان البشر ؟

دعونا لا نخدع أنفسنا . معظمهم ـ أيضا ـ جادلوا باسم المصلحة قالوا إن المساومة مع الارهابيين تشجع على مزيد من الارهاب . ولعل هذا صحيح . ولكن الأصح منه هو أن بواعث الارهاب كامنة فى النظام العالمى نفسه ، ولذلك فسوف تظل مصاحبة لهذا النظام الى أن يتغير من أساسه . وصحيح أيضاً أن فرص "النجاح" سوف تظل قائمة بالنسبة للإرهابيين ، سواء تحققت عن طريق التفاوض أم بدونه .

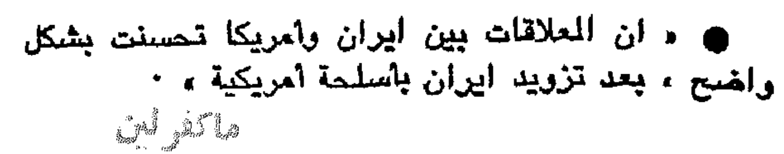
وأهم من هذا وذاك أن البشر لا تتفق مصالحهم جميعا ابدا فلابد أن تتغلب مصلحة الأقوى . وحب الحرية والأنفة من الظلم طبيعة فى البشر جميعا ، فقيرهم وغنيهم ، أسودهم وأبيضهم ، فلن يقبل الضعيف المظلوم أن يعيش أبداً فى عبودية القوى الظالم . ولكن البشر الذين تفرّقهم المصالح ، يمكن أن ينقادوا جميعاً لصوت الحق .



فإن كان بين المعارضين فى أمريكا من سمع صوت الحق ـ ولن يعدم صوت الحق مجيباً فى اى زمان او مكان ـ فهؤلاء هم اخواننا لا يفرق بيننا وبينهم لون أو جنس او ملة ، بل نتلقاهم جميعا بالأحضان !



أقوال معاصرة



● « ان العلاقات بين ايران وامريكا تحسنت بشكل واضح ، بعد تزويد ايران بأسلحة أمريكية » .

ماكفرلين

● « لا مصالحة بين ايران والولايات المتحدة فى ظل الظروف الحالية » .

الرئيس الايرانى على خامينى

● سنفرض عقوبات اقتصادية ضد سوريا لتورطها فى الارهاب !! »

ريجان

● « ريجان أقل الرؤساء الذين تعاملت معهم معرفة بشئون العالم » .

فيت اونيل رئيس سابق لمجلس النواب الامريكى



على خامينى

● « الانسان يستهلك وقتا طويلا حتى يصبح شابا » .

بيكاسو





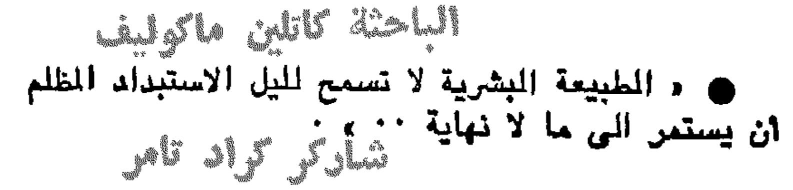
ريجان

● « أصوت دائما للمحافظين ، لانهم أحسن زبائن عندى ! » .

العاهرة البريطانية نورما ليفى

● القدرة على التعلم فى مرحلة متأخرة من العمر تعتمد على الاحتفاظ ببراءة الاطفال » .

الباحثة كاتلين ماكوليف

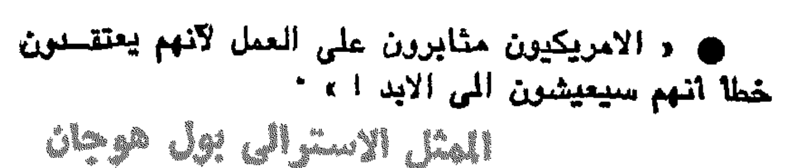


● « الطبيعة البشرية لا تسمح لليل الاستبداد المظلم ان يستمر الى ما لا نهاية .. » .

شاركر كراد تامر



بيكاسو



● « الامريكيون مثابرون على العمل لأنهم يعتقدون خطأ انهم سيعيشون الى الابد ! » .

الممثل الاسترالى بول هوجان

• في عام حقوق الإنسان •

حقوق الإنسان في هذه الأيّام

بقلم : فتحى رضوان

لا اظن ان هنالك لفظين يذكران هذه الايام ، ويذكران منذ بضعة سنوات ، كما يذكر لفظا ((حقوق الانسان)) . وقد تردد هذان اللفظان بصفة خاصة عندما تقرر انعقاد مؤتمر القمة في ركيافيك عاصمة ايسلندا بين عاهلى العالم ، العملاقين : جورباتشوف وريجان .

فقد اعلن الرئيس الامريكى ان من موضوعات القمة الاساسية هي حقوق الانسان ، ولا احد يستطيع ان يزعم ان هذه الحقوق التي ستشغل هذين الرئيسين اللذين لم يسبقهما حاكمان على مثالهما من سعة النفوذ ، والهيمنة على عالم في مثل غنى العالم السوفيتى وحلفائه واتباعه والمؤمنين بمبادئه ، وعالم الغرب الذى يشمل اغنى الدول واعلاها حظا في التقدم العلمى والآلى ، في كل من امريكا الشمالية ، واوربا .

ومع ذلك فهذان الزعيمان الغنيان ، بل المتخمان بالثروة من مختلف صورها : ثروات مادية ، وثروات ادبية وثروات اكتشفت وثروات في سبيلها الى الظهور ، ثروات تقى الانسان وتسعده في ايام السلام ، وثروات تسلحه وتعده للحرب والقتال هذان الغنيان - على غير عادة الاغنياء مشغولا البال بحقوق الانسان . ريجان يتخذ من الحديث عنها ، والتنديد بموقف السوفيت منها سبيلا للضغط على السوفيت ، والسوفيت بدورها تتهم

أمريكا بالعبث بحقوق الانسان ، وبالاتخاذ منها سبيلا لمواصلة الحرب الباردة ضد السوفييت ، في حين ان نظام السوفييت ، ومنهجه ، والمبادىء التي يروج لها هي السبيل الأقوم والمباشر الى احترام حقوق الانسان ، ورفع القسر والقهر عن البشر .

وبعبارة أخرى يقول السوفييت ان حقوق الانسان في أمريكا ، مجرد وسيلة لذر الرماد في العيون في حين ان الانسان يلقى في ظل النظام الراسمالى ، او في ظل الراسمال الحر ، من الام الحرمان ، والضيق ، ما لا يعرفه الفرد في ظل النظام السوفييتى ، حيث يجد الجميع ، قوتا كافيا وتعليما لكل طالب علم ، وراحة نفس لكل مواطن يعيش على أرضه .

● فلسفة حقوق الانسان ●

والخلاصة ان حقوق الانسان ليست شيئا معنويا ، يتحدث عنه أحد الفريقين ويزعم الطرف الثانى ان ما يقدمه للبشرية ، من حقوق ومزايا هو جوهر فلسفة حقوق الانسان في حين أن ما يقدمه النظام الغربى لا يعدو الاقوالا ، ومع ذلك فالحديث عن هذه الحقوق ، يملأ الصحف والمجلات وتقام له الندوات وتصدر من أجله القرارات ، ويستمر صراع يشغل له اقوام في الغرب ينتمون للمؤسسات القوية والغنية .

فما الذى رفع مقام حقوق الانسان الى هذه الدرجة ؟ في حين ان السنوات التى تلت الثورة الفرنسية أول من تحدث بشكل جماعى وعنيد وصاروخ عن حقوق الانسان في المعهد الحديث لم تشغل بهذه الحقوق بالقدر الذى نسمعه الآن . فالآن توجد هيئات ضخمة ، تتبنى هذه الحقوق وتطارد الذين يعتدون عليها ، وتندد بهم ، وتستثير الناس ضدهم وتنشر صور الذين اعتدى على حقوقهم بزجهم في للسجن ، بلا محاكمة ، ثم بتعذيبهم في تلك السجون ، وفي أماكن الاعتقال والحجز ، لم يسمع الناس من قبل عنها ، ولا عن خصائصها الحديثة من اتساع ضخم في مساحتها ، ووسائل لمنع الهروب منها ، مثل الاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ، والخنادق المليئة بالماء ، والحارس الساهرالحامل للاسلحة الخفيفة كالبنادق والمدافع الرشاشة الى جانب المسدسات ، مع وجود مصاطب للمدافع الثقيلة ، واجهزة للرادار وللاستشعار من بعد ،زيادة في الاحتياط ضد محاولات فرار المحتجزين فما الذى زاد من الحديث عن حقوق الانسان مع هذه الزيادة المفرطة في العدوان عليها بالكم والكيف ؟ أيكون شعور الانسان بالاثم لتورطه في الاعتداء على حقوق أخيه الانسان وربما زميله في الوطن الواحد اوالدين الواحد ، أو المذهب الواحد فيكفر عن

شعوره بفداحة الجرائم التى ارتكبها فى هذه الحقوق ، فيقوم بافعال ، وينشيء منظمات ويصـــدر مطبوعات تفيض بالحماسة لهـــذه الحقوق المنتهكة ، وبالتنديد العنيف ، بالمعتدين عليهـــا والمنتهكين لحـــرماتها ، أم ان هـــذا الانفعال الضخم بحقوق الانســـان ، وبوجـــوب الدفاع عنها ، وبالتظاهر المســـتمر بالسعى لحمـــايتها هو رد الفعل الطبيعى لضخامة الهجوم على نفس الحقـــوق ، ودوسها بالأحـــذية والمدافع ورجمها بالصواريخ والقنابل التى لم يسمع عنها من قبل •

ولنبدأ القصة من اولها :

● الاسلام وحقوق الانسان ●

بدات الدعوة لحقوق الانسان ببدء الدعوة الى الحقوق الانســـانية ببدء عهد الديانات الســـماوية ، فالاديان السماوية وان لم تذكر هذا التعبير ، فانها وضعت أساس الاخاء الانسانى، وتحدثت عن الانسان بتحريم المساس به ، وباحترام جسمه ونفسه • ولكن لم تفرد بابا مستقلا فى أى كتاب مقدس عن هذه الحقوق ، ولم تورد نصوصا خاصة بغرض تقديســـها ولعـــن من يمسها أو ينتهكها •

وبقى الحـــال على هذا الوضع ، حتى جاء الدين الاسلامى ، فأصبح له موقف خاص بحقوق الانســـان جعله اكـــبر دعوة للمحافظة على حقـــوق الانسان ، وتقديسها ، وتحريم العدوان عليها او المســـاس بها • وسنتناول هذا الموقف بشيء من التفصـــيل فيما بعـــد •

الا أن البداية النظرية الحـــديثة للدفاع عن حقوق الانســـان ، كانت مبادىء ثورة سنة ١٧٨٩ فى باريس ، فقد اعلنت تلك الثورة الشـعار الذى بقى الى اليوم مصدرا للوحى العالمى الى احترام حقوق الانسان ، والدفاع عنها ، وتبشير كل من يستهين بها أو يعتدى عليها باقسى العقوبات •

بدات ثورة سنة ١٧٨٩ بالشـعار المثلث الحرية والمساواة والاخـاء ، وجعلت هذه الثورة الحـــــرية والمساواة مترادفين ومع ذلك فقـــد لوحظ ان ثمة تناقضا بين الحـــرية والمساواة ، من حيث كونهما مبداين عامين • فالحرية هى اطـلاق ارادة ورغبات الانسان الفرد من كل قيد ، وفعل ما يخطر على باله ، او الجهر بما يوحى اليه • ولا شك فى أن هذه الحرية تتضمن فى ذاتها مســـاسا بحرية الاخرين • بما يتعارض مـــع المساواة • والمساواة هى ان يـكون حق كل فرد ، مماثلا لحق الافـــراد الآخرين فى القول والفعل • وهـــذا معناه استحالة المساواة ، وبالتالى استحالة الحرية فنحن لسنا متساويين فى القوة البدنية ، ولا فى الطـاقات الذهنيه ، فبعضنا اسرع من الاخرين فاذا سمح له ان يعدو بالقدر الـذى يرضيه ، لم يلحق به أكثر الاخرين ،

وبذلك تتوقف المساواة ومعهـــا الحرية ، فالاكثر سرعة يتصـــدرون صفوف المتســـابقين ، وسيتركون وراءهم فى ذيل الموكب اناسا طاقتهم فى العـــدو محدودة ، فاذا قيـــدنا سرعة السريع بالحد الذى يطيقـــه البطىء أو الابطأ ، زالت الحـــرية ومعها المساواة كما قلنا •

ولذلك كان لابد من أن يصـــدر قانون منظم لحدود الحرية والمساواة، وعند البدء فى وضـــع القـــانون أسدلنا الستار على هـــذا الشـــعار بشقيه واستبدلنا به الحرية المنظمـة قانونا ، والمساواة المقننة بالنظام •

● الارهاب حقيقة واقعة ●

ولقد نشأ من الصراع بين تطرف واعتدال المؤمنين بهذا الشـــعار بمصراعيه ، نشأت دواع للعـــنف والارهاب ، فقوم أرادوا المثل الاعلى ولو نظريا ، وآخرون طلبـــوه فى حدود القيـــود البشرية ، فبدأت النكسة ، واصبح الارهاب حقيقـــة واقعة ، فخصوم المثالية رأوا انهـم لن يدافعوا عن مثلهم الاعلى ، وهى الحرية الممكنة والمساواة العمليـــة ، لابد أن يلجئوا فيها الى السلاح ولجأ فى الوقت نفسه خصوم السلاح أيضـــا فغرقت الانسانية فى بحور من الدم ، وساد الارهاب ، فتأجلت الحـــرية كما تأجلت المســـاواة ، وكان لابـد من ان تقـــوم ثورات بعد ثورة سنة ١٧٨٩ ، وبعد يوم ١٤ يوليـــو من تلك السنة الذى فتح فيـــه الباستيل ، واطلق سراح المعتقلين ، وظن الثوار ، وهم يفعلون ذلك انه لن تقوم معتقلات بعد اليوم ، وانـــه لن توجد صعوبة فى تحقيق الشعار كاملا مع خلوص النية ، والقضاء على دعاة الاعتدال •

وفى ظل هذا الفوران ، نشـــأت نظرية من باطن فكرة الحرية ، وان بدت لبعض الوقت انها اجهـــاض لسفك الحرية ، تلك فكرة الـــدولة ، فقد رؤى أن ما يطمع اليه الانسان ، بعد أن تقرر مبدأ الحرية ، هو عبء ضخم وتخفيفه فوق طاقة الانسـان الفرد ، فلابد من انشاء كيـــان جديد يمتـــاز بقدرات لم يتمتـــع بها الانسان من قبل ذلك هـــو كيان الدولة ، الذى ابتكره الانسان ، وبدأ أنه مخلوق خارق القوة ، وانه قادر على أن يحقق للافـــراد من ضروب السعادة والثروة والحمـــاية داخل الـــوطن وبين الاوطـــان ، ما لا سبيل الى الظفر به بغير الدولة، ولما نشأت الدولة ، وراحت تنتـــج وتؤسس ، وتبنى وتشرع ظهر انهـــا حققت للمواطنين داخلها وللنـــاس على المستوى العالمى ، فرصا للتقدم العظيم ، ما لم يكن ممكنا توافـــره بغير هذا الكائن الجديد ، وقيـــل للناس لا تراعوا من هذا الكـــائن وكل ما تفعله الدولة ويبدو كانـــه من تصرفاتها ورغباتها الخاصـــة بها ، هو فى واقع الامر ثمرة رغبـة المواطنين وارادتهم ، فالفتوحـــات السياسية والعسكرية وانشاء المعاهد والجامعات وشق الطرق والميادين ورصد الملايين من الجنيهات للبحوث العلمية التى تعين على الوصـــول الى الكوكب والخوض فى اعمـــاق المحيطات هى فى الواقع فتوحـــات لحساب الفرد الذى اصبح اكثـــر غنى ، واعظم نفوذ واعظم حظـا من



لذائذ وضع الفن والعلم · فالانسان الخاضع للدولة البروسية بقيادة بسمارك رأى نفسه أقوى المواطنين في أوربا ، واكثرهم علما ، واقدرهم على تحقيق النصر في الحرب ، بفضل الدولة البروسية الواسعة الحدود والكثيرة الجنود ، فازدادوا بها ايمانا وحولها التفافا ، ولم تلبث هذه الدولة أن أصبحت خطرا على المواطنين في الدول الاخرى ، فدخلوا في تنافس لتكون بريطانيا اعظم من المانيا ولتكون فرنسا أقوى من الاثنين ·

وقد حدث شيء مناقض لتضخم الدولة واتساع نفوذها وطاقاتها ، أن امبراطوريات العهد القديم توارت وانهارت تباعا : انهارت في الحرب الاولى أضخم امبراطوريات عرفها التاريخ : الامبراطورية العثمانية التي حكمت لكثر من نصف أوربا ، ومناطق شاسعة في اسيا وشاطىء البحر الابيض الجنوبي ، وكل البحر الاحمر ، وزالت دولة النمسا والمجر أطول الامبراطوريات عمرا وامبراطورية روسيا الصقيلية أو الصرابية التي وصلت من شرق اوربا الى اقصى شرق اسيا ، كما زالت امبراطورية الامبراطور غليوم أقوى دول اوربا الوسطى وفي الحرب العالمية الثانية اختفت امبراطورية الانجلو سكسون وعاصمتها لندن ، والسلافية وعاصمتها باريس ، واليابان وعاصمتها طوكيو — فاصبح الفرد مسلحا بمبدأ الحرية والمساواة والاخاء ، الذي نجح في اسقاط النظام القديم كله ، ونشا على انقاضه نظام الفرد في صورة أخرى الفرد الذي لا يحكم الشعب ، بل الفرد الذي يصوغ القرارات الكبرى عن طريق تصويت يتساوى فيه الفقراء بالاغنياء والمثقفين بالجهال ، والعاملين بالعاطلين · ولما أحس العمال في ظل الدولة الضخمة ، ان هذه الدول لا تشركهم في رأى ولا تسألهم عن شيء ، انقلبوا ضدها ، واصبحت الدولة الضخمة أما دولة شعوب ، وأما دولة عمال ·

ونشأت فترة جديدة من التسابق على الظفر بتأييد العمال ، للتحدث باسمهم فعلا ، وعندما يكتشف العمال زيف هذا الادعاء ينقلبون خصوما للدولة ، فلا ترى سبيلا لوقفهم عند حد الا بالحديد والنار ·

من هنا اصبح الحديث عن حقوق الانسان ، هو مزاج العصر ، فالانسان الان هو الملك غير المتوج لانه صاحب الصوت الذي يحكم الحكومات ، ويسقطها فاذا لم تظفر الحكومة بتأييد هذا الانسان ، فلابد من استعمالها لاقصى العنف ، مع ادعاء انها حكومة الشعب او حكومة العمال ، والارهاب مستمر ··

هذا هو سر التناقض في كثرة الحديث عن الانسان وعن حقوقه ، وكثرة ما يصيب الانسان من الضرب والسحق والشنق ، والحرق ··

وهي مشكلة لا يمكن ان تستمر ، ولابد ان تنتهي قريبا الى الوضع الذي يتفق فعلا مع كرامة الانسان واحترامه ·

والى حديث نتناول فيه النظرية الاسلامية في حقوق الانسان ·



الهلال



هل تقرّ أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

خبران ، أو تقريران ، لا تكاد تكون هناك صلة بينهما ، إلا فى الشكل ، وهو صدور كل منهما عن أحد المعاهد العلمية فى الدولتين العظميين . ولكنهما يقفان ازاء بعضهما البعض كالمرايا المتقابلة ، التى تنعكس فيها الصور الى ما لا نهاية ، والانعكاس هنا يكشف عن كثير من الاحتمالات والتغيرات المنتظرة فى عالمنا المعاصر ، ونظامه الدولى الذى تقف هاتان الدولتان الكبريان : روسيا وأمريكا على قمته .

الخبر الأول منهما ، فى ٢٨ أكتوبر الماضى ، طيرته وكالات الأنباء فى واشنطون ، يتحدث عن دراسة جديدة أجراها معهد أمريكى لبحوث الأمن القومى ، تكشف عن أن مليارات الدولارات التى تنفقها الحكومة الأمريكية على برنامج الرئيس ريجان للدفاع الاستراتيجى فى الفضاء المسمى بحرب الكواكب ، تذهب لشركات لها صلات قوية بأعضاء فى الكونجرس الأمريكى من ذوى النفوذ الواسع !

وهم يعملون بصفة خاصة فى لجنتى

مجلس الشيوخ اللتين تقترعان على ميزانية ، البرنامج ، وهو ما وصفته الدراسة المذكورة بأنه "محسوبية سياسية" !

وتقول الدراسة أيضا انه نتيجة لهذا النفوذ ، فإن وزارة الدفاع الأمريكية المعروفة باسم "البنتاجون" ، تستطيع الحصول على مساندة الكونجرس للبرنامج رغم مايحيطه من شكوك فيما يختص بجدواه الاستراتيجية والفنية .

وطبقا لما أكدته الدراسة المذكورة ، فقد تلقت عشرون شركة كبرى متعاقدة على تنفيذ برنامج حرب الكواكب مبالغ تصل قيمتها الى خمسة مليارات وسبعمائة مليون ، وذلك منذ عام ١٩٨٣ ، وذلك يعادل ثلاثة أرباع ما أنفق حتى الآن على هذا البرنامج . ومن العجيب أن تلك الشركات التى حصلت مؤخرا على أكبر عقود برنامج حرب الكواكب ، هى ذات الشركات التى حصلت من قبل على أكبر العقود أيضا لانتاج الأسلحة النووية ، التى يفترض أن حرب الكواكب سوف تفقدها قيمتها !

● الديمقراطية ورأس المال ●

اذا كان اعداد مثل هذه الدراسة من جانب معهد أمريكى للأمن القومى ، بما تحتويه من بيانات غاية فى الخطورة من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، وكذلك نشرها على أوسع نطاق عن طريق وكالات الأنباء ، يعتبر شهادة ايجابية للديمقراطية الأمريكية ، بما يتيح للمواطن الأمريكى وللرأى العام داخل البلاد وخارجها الاطلاع على مثل تلك المعلومات الهامة ، فإن سطوة رأس المال على تلك "الديمقراطية" ، أو بالتعبير الذى كان مستخدما عندنا فى أول سنوات الثورة عن "سيطرة رأس المال على الحكم" ، تبدو ظاهرة للعيان لا لبس فيها من واقع تلك المعلومات ، حيث تعمد الشركات الاحتكارية الكبرى التى تصنع السلاح المتطور ، بل المتطور جدا ، الى شراء ذمم أعضاء الكونجرس الأمريكى ولجانه التشريعية ، وربما لا يكون الشراء واقعا بعد وصولهم الى تلك المواقع فى تمثيل الشعب الأمريكى بطريقة ديمقراطية ، بل ربما يكون قد بدأ بالنسبة لمعظمهم .

فى عملية الترشيح ذاتها ، وأن ضمانة وصولهم الى مواقعهم التى تتيح لهم اتخاذ القرار فى أخطر القضايا القومية ، انما كانت تكمن فى كونهم عملاء لتلك الشركات الكبرى ، أعانتهم بأموالها على خوض الانتخابات التى تصل تكاليف الدعاية فيها أحيانا الى أرقام فلكية ، لا تستطيع الموارد الخاصة لأحد من المرشحين ، أو لمعظمهم على الأقل تحملها على نفقتهم الخاصة .

وتكشف تلك المعلومات أيضا ، من بين ماتكشفه عن أن رأس المال على هذا المستوى الاحتكارى لا ضمير له ولا خلق ، ولا مبدأ إلا النمو الذاتى عن طريق تضخم الأرباح ، بأى ثمن وبأية وسيلة ، ولو كانت تلك الوسيلة هى انتاج أكداس من أسلحة الدمار الشامل . كالأسلحة النووية ، وبيعها بأضخم الأثمان الى "الدولة" التى تدفع ماتدفعه من حصيلة ماتجمعه من كل دافع



هل تقر أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها ؟

للضرائب فى تلك الدولة الكبرى ، لشراء مواد لو استخدمت لكان فيها هلاك البشرية . وبعد أن استبان استحالة استخدامها لمقدار خطورتها ، اذا بتلك الدولة تجد ذاتها مطالبة بأن تشترى مواد جديدة ، هى عناصر حرب الكواكب ، ومهمتها اصطياد امثال تلك الأسلحة من الصواريخ النووية وهى فى الفضاء وتدميرها بأشعة الليزر ، والبائع فى هذه المرة هو البائع الأول للصواريخ النووية ! ولا تتردد الشركات المنتجة لكلا النوعين من الأسلحة على أن تدفع عملاءها فى كل مرة ، أو تدفع لهم ، داخل أجهزة الديمقراطية الأمريكية ، من أجل اقرار الميزانيات ، التى تكفل لتلك الشركات ماخططته لحيازته من ارباح ، بغض النظر عن مغبة ذلك على السلام العالمى ، أو عدم امكانية استخدام ذلك السلاح ، أو حتى عدم فعاليته ، أو مايلقيه من أعباء على الاقتصاد القومى وينتقص من مستوى معيشة الشعب الأمريكى ورفاهيته .

ربما يكون فوز الديمقراطيين اخيرا فى انتخابات التجديد النصفى لكل من مجلسى الكونجرس الأمريكى - ومعروف أن الحزب الديمقراطى يعارض برنامج ريجان لحرب الكواكب ، نظرا لارتفاع اعبائها المالية - هو واحد من النتائج غير المتوقعة لنشر تقرير المعهد المذكور عن الأساليب الدنيئة التى لجات وتلجأ اليها الشركات الموردة للبرنامج ، للوصول الى أغراضها .

● راسمالية غير ضارة ! ●

وفى مقابل هذه الصورة التى رسمها تقرير المعهد الأمريكى عن تصرفات الرأسمالية الاحتكارية هناك ، وبعده بثلاثة ايام فقط ، كانت الأنباء الواردة من موسكو ، تفيد أن اقتصاديا سوفييتيا بارزا ، اسمه "ليونيد أبالكين" ، ويعمل مديرا لمعهد الاقتصاد التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية ، يدلى بتصريحات لمجلة اسمها "الحجة والحقيقة" ، يطالب فيها بادخال تعديلات جذرية على الاقتصاد السوفييتى ، بما فى ذلك تحرير كثير من الأنشطة الاقتصادية من سيطرة الدولة ، وخاصة فى مجال الزراعة والصناعات الاستهلاكية وتوزيعها ، على نحو ما فعل لينين عام ١٩٢١ فى سياسته المعروفة باسم "السياسة الاقتصادية الجديدة" مما يعنى السماح بنمو محدود لبعض قطاعات من الرأسمالية المحلية ، أو على حد تعبير "ونج شياوبنج" زعيم الصين الحديثة ، فى وصفه لسياسته فى "الانفتاح الاقتصادى" بأنه يعنى تعاطى "جرعة غير ضارة" من الرأسمالية !

ويقول الاقتصادى السوفييتى المذكور ، « إن بعضنا كان يرى الداء ويفضل الصمت ، وبعضنا الآخر همس بصوته فى أوساط المتخصصين ، ومن تحدثوا على الملأ لم يلفتوا النظر الى

التغيرات "الواجبة والضرورية" ولكن يبدو أن هذا الاقتصادى قد وجد الوقت ملائما ليعلن رأيه بكل هذا الوضوح ، ذاهبا الى أن ذلك يحقق ما دعا اليه الزعيم السوفييتى الجديد جورباتشوف من السعى الحثيث لتجديد نشاط الاقتصاد السوفييتى وشبابه ، ومستظلا فى الوقت ذاته بما دعا اليه جورباتشوف من حرية النقد . مما يعنى شهادة مقابلة للتوجه المتصاعد نحو الديمقراطية فى الاتحاد السوفييتى .

فإذا ما اخذ الاتحاد السوفييتى بآراء الخبير الاقتصادى "أبالكين" ، على نحو ما تفعل الصين حاليا ، وعلى نحو ماهو حادث فى بعض بلدان أوربا الشرقية مثل بولندا والمجر ، وسمح للملكية الفردية بالتحرك فى المجالات التى تثبت أنها أكثر كفاءة فيها من القطاع العام ، فمعنى ذلك أن تحولا تاريخيا على وشك الحدوث فى مختلف المجتمعات الاشتراكية .

إن ما أوصى به لينين ، من استئصال شأفة الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، بعد انتهاء فترة "السياسة الاقتصادية الجديدة" ، لأنها على حد ما ذهب اليه تولد الرأسمالية ، إنما كان من موقع الخوف على الكيان الاشتراكى الوليد ، الوحيد فى عصره آنذاك ، والذى كانت تحاصره القوى الرأسمالية فى الخارج ، ومن شأن أية عناصر رأسمالية تنمو داخله أن تصبح ظهيرا للقوى الخارجية المعادية له . ولكن البناء الاشتراكى حاليا فى الاتحاد السوفييتى ، وسائر المجتمعات الاشتراكية قد صار أرسخ من أن تزعزعه مخاوف من النوع المذكور ، فلا معنى لأن يستمر فى حرمان اقتصاده من أية مساهمة ايجابية يمكن أن يقدمها السماح بعودة الملكية الفردية لبعض وسائل الانتاج داخله .

نعم ، إن الرأسمالية لن تتغير طبيعتها ، ودافع الربح سوف يكون واحداً فى جميع الحالات ، ولكن هناك فرقا بين أن يعمل دافع الربح على انتاج المزيد من الحاصلات الزراعية ، ومن انتاج السلع الاستهلاكية ، ورفع مستواها وحسن توزيعها على نحو يلبى مطالب المستهلكين ويرضى أذواقهم .. وبين أن يعمل هذا الدافع على انتاج مزيد من أسلحة الدمار ، ثم لا يكون من شأنها غير إلقاء المزيد من الأعباء على الاقتصاد القومى لدولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى الاقتصاد العالمى برمته ، بحكم اضطراره الآخرين الى مجاراته وخاصة الاتحاد السوفييتى ، فضلا عن زيادة التوتر العالمى وتعريض السلام الدولى للخطر .

هل أصبحنا على أبواب عصر تقر فيه الولايات المتحدة الأمريكية ، بعيوب الرأسمالية حينما تنضخم وتتفاقم وتصبح احتكارا هائلا ؟ وفى الوقت ذاته يعترف فيه الاتحاد السوفييتى ، وسائر المجتمعات الاشتراكية بأن الرأسمالية لديها قدرات قد لا تتوفر لسواها لتطوير وسائل الانتاج فى مراحلها الأولى ؟ من يدرى ؟ على أن نظرية كارل ماركس الأصلية ، قامت على هذا



هل تقر أمريكا بعيوب الرأسمالية وتعترف روسيا بمزاياها ؟

الأساس . وكان من رأيه أن تطبيق الاشتراكية لا يفلح أو يتحقق تاريخيا الا بعد أن تفرغ الرأسمالية من تطوير قوى الانتاج ، على نحو يجعل من تطبيق الاشتراكية تقدما حقيقيا . ومن هنا كان توقع ماركس أن الثورة الاشتراكية سوف تقوم أولا فى البلدان الصناعية المتطورة ، ولكن النمو الامبريالى لتلك البلدان وهو التطور الذى لم يشهده ماركس ـ قد حول التاريخ بعيدا عن هذا المسار ، وقامت الثورة الاشتراكية فى بلدان أقل تطورا من الناحية الصناعية والاقتصادية ، لأنها عجزت عن اللحاق بركب التطور الصناعى على أيدى رأسماليتها المحلية ، وكان التخطيط الاشتراكى هو الطريق الوحيد المفتوح أمامها للتصنيع ، وهذا ماحدث فى معظم بلدان المعسكر الاشتراكى حاليا ، بدءا من الاتحاد السوفييتى ، وقد تلجأ هذه الدول الآن وقد لجأ بعضها بالفعل ، الى اعادة بعض الأساليب الرأسمالية واقتصاديات السوق ، من أجل تدارك مافاتها فى عملية بناء الاشتراكية ، التى تعنى اقتصاديا : قيام جهاز التخطيط الاشتراكى ، أى القطاع العام ، بالدور الأساسى الذى فشلت الرأسمالية المحلية فى القيام به فى ظل السيطرة العالمية للرأسمالية الاحتكارية الامبريالية للبلدان الصناعية المتقدمة .

• الشركات متعددة الجنسية •

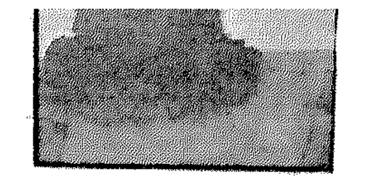
على أن الدول الاشتراكية لم تعد تعترف ، أو هى على وشك أن تعترف بحاجتها الى السماح بقدر من النمو للرأسمالية المحلية من أجل تطوير بعض جوانب اقتصادها فحسب بل إن حاجتها الكبرى فى عصر الثورة التكنولوجية هو الى التعامل مع الشركات المتعددة الجنسية فى الغرب ، التى تملك أسباب التكنولوجيا المتطورة ، وقد شرعت تلك الدول فى التعامل معها على نطاق واسع فى مجالات متعددة منها التعدين ، ومنها صناعة السيارات ، حيث انشأت شركة فيات خطين للانتاج فى كل من الاتحاد السوفييتى وبولندا ، وتعمل شركة فولكس فاجن على انشاء خط مماثل لانتاج سياراتها فى الصين . وفى أمثال تلك الحالات هناك مصلحة متبادلة بين الطرفين ، فالبلدان الاشتراكية بقدر ماتحتاج الى ادخال تكنولوجيا تلك الشركات ، فإن هذه بدورها تحتاج الى السوق الواسعة للدول الاشتراكية من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العمل الرخيص فى البلدان الاشتراكية ازاء مثيله فى بلدان الغرب الصناعية المتقدمة ، يتيح للشركات المتعددة الجنسية انتاج مصنوعاتها على نطاق واسع بتكلفة أقل ، وبيعها بأسعار أقدر على المنافسة فى السوق الدولية .

ومن شأن هذه الأشكال من التعاون

الاقتصادى مابين النظامين الرأسمالى والاشتراكى فى العالم أن يزيد فرص التقارب بينهما ويباعد شبح الصدام الرهيب الخطر على الحياة الانسانية برمتها ، ولكن التطور الجديد الذى نوهنا عنه فيما تقدم على كلا جانبى الانقسام العالمى ، قد يخلق فرصة أخرى لتضاؤل الانقسامات المذهبية : فاعتراف المجتمع الأمريكى بعيوب الرأسمالية التى بلغت الذروة فى تطورها ، مع اعتراف القوى الاشتراكية على الجانب الآخر بمزايا الرأسمالية فى تحقيق كثير من عناصر التقدم الصناعى والاقتصادى قد يعنى بداية تلاشى انقسام العالم على أساس مذهبى ، وهو ما يولد المبالغة والتطرف على كلا الجانبين ، ليحل محله التفهم من جانب الجميع للظروف التى أدت بكل مجتمع الى أن يتخذ فى تطوره مساراً مختلفا طبقا لظروفه الداخلية وأوضاعه الخاصة . وكل تقارب من هذا النوع من شأنه أن يباعد البرامج العسكرية الباهظة وأعباءها على الاقتصاد العالمى، ويتيح الفرصة لتوجه الجهود الاقتصادية والعلمية الى حل المشاكل التى تواجه الحضارة الانسانية فى مجموعها من نوع تلوث البيئة وآخرها ماتردد عن اختراق غلاف الأوزون فى القطب الجنوبى على نحو يهدد بانتشار أمراض مهلكة فى القارة الأمريكية بالذات .

تبقى مسألة نظرية قد تهم الاشتراكيين ، وهى أن لينين قد وصف الشركات المساهمة بأنها خطوة نحو الاشتراكية ، وذلك بحكم مساهمة عدد كبير من المواطنين فى ملكيتها ، بالرغم من سيطرة كبار الماليين عليها ، واستغلالهم مدخرات صغار المساهمين فى زيادة ثروتهم الخاصة ، ولكن لينين لم يعش ليرى عصر الشركات متعددة الجنسية التى تتجاوز ملكية الأسهم فيها الأفراد داخل مجتمع معين ، بل يساهم فيها الكثير من سكان العالم وبالمناسبة فمن المعروف أن الحزب الشيوعى الايطالى مساهم كبير فى شركة فيات العالمية ! وهذه الشركات تعمل الآن فى المعسكر الاشتراكى ، فهل ينتظر أن تسمح الدول الاشتراكية فى خطواتها الجديدة لتطوير اقتصادها بتداول اسهم تلك الشركات فيها ؟ على كل فقد ترددت انباء عن اعتزام الصين السماح باعادة فتح البورصة أو سوق الأوراق المالية فيها ، وربما كانت اسهم الشركات متعددة الجنسية هى من بين مايسمح بالتعامل فيه ممن يشاء من المدخرين الصينيين !

على أن "الحل الاشتراكى" لهذه المؤسسات الدولية الكبرى لا يبدو له شكل فى الأفق ، فإذا كان من الممكن تاميم الشركات المساهمة بحيث تؤول ملكيتها الى الدولة فى مجتمع معين ، فمن الذى يمكنه أن يؤمم شركة متعددة الجنسية ؟ لابد فى هذه الحالة من انتظار تطور العالم بحيث تصبح الأمم المتحدة حكومة عالمية لتتولى "تاميم" مثل هذه المؤسسات او تدويلها على الأصح .. وذلك كما هو واضح .. حلم او وهم بعيد !



حوار حول ٥ يونيو

عن الهزيمة والقدر المحتوم

بقلم : د . فؤاد زكريا

مرة اخرى ، لا أملــك الا ان اشيد بموقف مجلة ((الهلال)) فى اصرارها على مواصلة الحوار الذى اثاره مقالى الاول ((٥ يونيو فى فكرنا السياسى)) . فعلى الرغم من حساسية الموضوع ، وعلى الرغم من تهرب اكبر الكتــاب واشهر الاعلاميين من مواجهــة لحظة الهزيمة واكتفائهم باستعادة لحظات النصر واغراق الجماهير المطحونة فى نشوة امجاد ماضية لن تعود ، فان ((الهلال)) تأبى الا ان تواجهه الحقائق الاليمــة مواجهة مباشرة، وتواصل افراد صفحات طوال لهذا الموضوع الذى يتمنى الكثيرون او طويت صفحته الى الابد وانتزعت خلايا الذاكرة التى تختزنه من عقول النــاس اجمعين !

والحق ان مقال الدكتور جلال امين « دفاع نبيل عن قضــية باطلة » (نوفمبر ١٩٨٦) قد اضاف عنصرا جديدا الى هذا الموضوع الشــائك المعقد ، وفتح الباب - برغم تحفظاتى الكثيرة عليه - لمناقشة خصــبة حول قضية أعتقد انها جوهرية ، واعنى بها : هل كان من الممكن تجنب هزيمة ١٩٦٧ ، ام ان الهزيمة كانت محتومة ، مهما حدث فى جبهتنــا الداخلية من تغيرات ؟

● انحياز مطلق ●

ولقد عبر الدكتور جلال عن وجهة نظره بوضوح فى اكثر من موضع ، فقال ان « الهزيمة فرضت علينا فرضا ، بقوى خارجيــة عاتية لم نكن

نستطيع لها ردا ، ولاسباب خارجة عن سلطاننا ؟! ثم زاد موقفه ايغالا عندما اكد ان الحقيقة الناصعة هى « ان حجم الاعتداء الخارجى وقوة المعتدى وتصميمه على اجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الاخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعل عن سلطان الارادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحديد النتيجة » . والنتيجة الضرورية التى تترتب على هذا الرأى هى انه « من شبه المؤكد ان الهزيمة كانت واقعة حتى لو كان النظام قد نجح فى اقامة حكم ديمقراطى حقيقى » .

وهكذا فان الدكتور جلال أمين ينحاز انحيازا مطلقا الى الرأى القائل ان العوامل الخارجية ، وعلى رأسها دور امريكا واسرائيل ، كانت هى العوامل الحاسمة فى الهزيمة ، او على الاقل كان تاثيرها اهم بكثير من اى اخطاء داخلية فى أسلوب الحكم . وهو فى ذلك ينضم بشكل حاسم الى تلك الفئة التى سبق ان اطلقت عليها اسم « الناصرية المتشددة » ، تمييزا لها عن ناصرية أخرى معتدلة تعترف بأن الاخطاء الداخلية كان لها دور حاسم فى الحاق الهزيمة بنا .

ولكن الجديد الذى اتى به الدكتور جلال هو رايه القائل ان مجموعة العوامل الخارجية هذه قد جعلت الهزيمة امرا محتوما ، وان اى تغيير فى أسلوب الحكم الداخلى لم يكن من الممكن ان يغير من الامر شيئا . وعلى حين ان امثالى من الكتاب يقولون انه لو كان قد حدث اختلاف جذرى فى الاسلوب الذى كانت تحكم به مصر لاختلفت نتيجة الدرب ، فان الدكتو جلال يؤكد ، على عكس ذلك ، ان الهزيمة كانت واقعة لا محالة ، بالديمقراطية او بدونها ، وسواء اكان الحكم مرتكزا على مشاركة شعبية أم قائما على ارادة فرد واحد .

هكذا تنفتح أمامنا ، بفضل الدكتور جلال أمين ، قضية جديدة تستحق التفكير العميق ، هذه القضية تنتمى الى ذلك الميدان الذى يمكن تسميته « بالتاريخ الافتراضى » ، أى انها تقول ان التاريخ لو كان قد تغير بصورة معينة ، لترتبت على هذا التغيير نتائج معينة . وهناك كتاب يرفضون السير فى هذا الطريق من حيث المبدأ ، لان التاريخ فى نظرهم يتناول ما حدث بالفعل ، ولا علاقة له بافتراضات تتخيل ما كان يمكن أن يحدث لو كان اتجاهه ، فى مرحلة من مراحله ، قد تغير بصورة معينة ، ولكنى اعتقد ان هذا ميدان خصب للتفكير ، لان كل مرحلة من مراحل التاريخ تقبل اكثر من مسار واحد ، وكثيرا ما يحدث فى اللحظات الحاسمة اختيار لمسار خاطىء . واذا كنا نؤكد اهمية الوعى بأن البديل الذى اخترناه ، او الذى اختير لنا ، فى منعطف تاريخى حاسم ، لم يكن افضل البدائل الممكنة ، فليس معنى ذلك اننا نندب حظنا العاثر ونبكى على اللبن المسكوب ،او اننا نقوم بمحاولة يائسة لتحويل مسار تاريخ اصبح امرا واقعا لا رجعة فيه ، وانما تستمد هذه المحاولة مشروعيتها من فائدتها القصوى فى تنبيهنا الى الاخطاء الحاسمة التى ارتكبت فى تاريخنا



القريب ، وتسهم بذلك فى تكوين وعى يعمـــل على تجنب تكرارها فى المستقبل ٠

ان الدكتور جلال أمين يقدم ردا قاطعا عن السؤال الافتراضى : لو كانت هناك ديمقراطية فى مصر عندما قامت حرب ١٩٦٧ ، هل كـانت الهزيمة ستحدث ؟ وهذا الرد القاطع هو أن الهزيمة كانت ستحدث حتما بفعل عوامل خارجية أقوى منا ولا نملك حيالهـا شيئا ٠ والدليل « فى رأيه) على أن وجود نظام ديمقراطى لم يكن ليغير من الامر شيئا ، هو ان هناك انظمة دكتاتورية استطاعت ان تنتصر فى حروبها ، كما فعل ستالين (فى النصف الثانى من الحرب العالمية الاخيرة) وكما فعل هتلر (فى نصفها الاول) ٠ وربما قال البعض ، ردا على هذا الرأى ، ان من الصعب وضع ستالين مع هتلر فى فئة واحدة ٠ وقد يضيف هؤلاء حجة أخرى أهم ، هى ان ستالين لم ينتصر على نظام ديمقراطى ، وانمـا انتصر على دكتاتورية ابشع كثيرا من دكتاتوريته ، أما هتلر فقد هزم فى النهاية هزيمة لا نظير لها فى التـاريخ ، حين أطبقت عليه الجيوش السوفييتية من الشرق وجيوش الحلفاء من الغرب « وفعصوه » بيديهما فلم ينقذه من هذه وتلك الا الانتحار ٠ ولا شك ان هذه الردود الممكنة تضعف كثيرا من حجة الدكتور جلال أمين ٠ ولكن الاهم من ذلك هو اننى ، حين ربطت بين هزيمة ١٩٦٧ وانعدام المشاركة الشعبية ، لم اكن ادعى اننى أقدم نظرية شاملة فى تفسير التاريخ ، ولم اقل ان « كل » نظام دكتاتورى لابد ان يهزم فى اى حرب يخوضها ٠٠٠ اذ يســتحيل ان يقول بذلك شخص لديه ثقافة متوسطة ، يعلم أن الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصـر وهولاكو ونابليون ، كانوا جميعا من أبشع الحـكام الفـرديين ، وفى الوقت ذاته من أعظم الفاتحين المنتصرين ٠ فكل حالة فى التاريخ ينبغى ان تعالج وفقا لسماتها الفردية ، وما قلته عن ٥ يونيو هو رأى مواطن مصرى عاش هذه المرحلة بكل وعيه ، وفكر فيها كثيرا ، وانتهى تفكيـره الى أن أهم أسباب هزيمتنا ، فى هذه الحالة بالذات ، هو انعدام المشاركة الشعبية ، وقدم الى القراء اجتهادا بشأن هزيمة معينة حدثت فى بلده ، دون ان يجول بخاطره ان يعمم هذا الاجتهاد ويجعل منه نظرية شـاملة تفسر أسباب الهزيمة والانتصار فى الحروب ٠٠

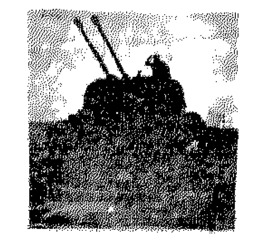
● سلطة القرار الفردى ●

ومن ناحية اخرى فان المشاركة الشعبية التى نقول انها لو كانت قائمة لاختلفت نتيجة الصراع العسكرى اختـلافا اساسيا ، لا تعنى مجـرد ديمقراطية شكلية ، ولا تعنى حالة مؤقتة نفترض وجودها خلال ايام حرب



١٩٦٧ وحدها ، وانما تعنى اسلوبا كاملا فى الحكم ، وطريقة مغـايرة فى تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم ، كان لابد ان تنعكس على كافة اجهزة الدولة ، وضمنها الجيش ، وعلى طريقة اتخـاذ القـرار السياسى والاقتصادى والعسكرى • هذه المشاركة الشعبية لو كانت قد تحققت منذ البـداية لكان الوضع فى امور كثيرة قـد اختلف بطريقـة جذرية ٠٠ **ولا أظن ان اى مفكر موضوعي يستطيع ان يستهين بالمتغيرات الهائلة التى كانت ستحدث فى حياتنا ، على كافة الاصعدة ، لو لم تكن قـد خضعت طوال الفترة السابقة على ١٩٦٧ لسلطة القرار الفردى ــ مهما كـانت وطنية صاحب هذا القرار • ولا اظن ان مثل هذا المفكر الموضوعي يملك ، ازاء مثل هذه المتغيرات ، ان يهز كتفيه باستخفاف قائلا : حتى لو حـدث هذا كله فانا واثق من أن الهزيمة كانت ستقع حتما !**

اننى أعتقد ان تاريخ مصر ، خلال حكم جمـال عبد الناصر ، قـد ضاعت منه ثلاث فرص كبرى لتحقيق حـكم ديمقراطى فى اطـار المتغيرات الجديدة التى ادخلتها ثورة ١٩٥٢ • الفرصة الاولى كانت فى عام ١٩٥٤ ، خلال أزمة مارس المشهورة • فالوصف الشائع لهذه الازمة هو انها كانت صراعا بين فريق ينادى بالعودة الى أوضاع ما قبل ١٩٥٢ وتسـليم الثورة للاحزاب القديمة التى كانت قد وصلت الى طريق مسدود ، وكان نفسها الثورى قد انقطع ، ان جاز هذا التعبير ، وفريق اخر يدعو الى فكر جديد وحياة جديدة ، ويتسم بصلابة وحماسة ووطنية تتجاوز بكثير كل ما كان سائدا قبل ١٩٥٢ • ولكننى اعتقد (وهذا اجتهادى الخـاص على اية حال) ان هذا التشخيص اكذوبة كبرى • فقد كان من المستحيل ، لو انتصر الفريق الاول ، ان تعود البلاد الى اوضاع ما قبـل ١٩٥٢ ، لسبب بسيط هو ان الاوضاع القديمة كانت ترتبط ارتباطا عضويا وجذريا بوجود الملك ووجود جيش ياتمر بامره • ومجرد اختفاء الملك وتغيـير طبيعة الجيش وانحيازه الى صف الامانى الوطنية كان كفيلا بأن يصبغ الحياة الديمقراطية فى مصر بصبغة مختلفة اختلافا بينا عما كانت عليه قبل ١٩٥٢ • فالقيود التى كانت تكبل حزب الاغلبية الشعبية ، وتجعـله يعمل حساب اقالة الملك له فى كل تصرف من تصرفاته ، كانت ستختفى ، ومناورات احزاب الاقلية التى كانت تستند الى تاييد القصر ورجـال الديوان الملكى ومساندة قادة الجيش الموالين للملك كانت ستغدو مستحيلة• بل ان الاحزاب القديمة نفسها كانت ستجد نفسها مضطرة الى ان تدخل تغييرات جذرية على برامجها وأسلوب عملها وقياداتها ، حتى تسـتطيع مسايرة الاوضاع الجديدة • وأغلب الظن ان التفاعل والتطور فى الحركة الشعبية كانا سيؤديان الى ظهور تكتلات سياسية من نوع جديد ، تكتسح العناصر الرجعية بسهولة بعد أن فقدت هـذه الاخيرة سندها الاكبر • والمهم فى هذا كله ان الطريق كان سيفتح امام اوضاع جديدة ، تتخلق فى اطار الوعى الشعبى الجديد ، وتتيح المجال لتجـارب خصبة تمارسها القوى الوطنية فى اطار اكثر حرية من كل ما كانت تعرفه قبل الثورة • **اما « الرواية الرسـمية » التى تقول ان الصراع كان يدور بين انصار**



الاوضاع البائدة وانصار الثورة الوليدة ، اى بين شيخوخة الماضى وشباب المستقبل ، فهى فى رايى رواية باطلة من أساسها ، تغفل تلك التطورات الضخمة التى حدثت ، والتى كانت تشكل اطارا جديدا كل الجدة لا يسمح بأى تكرار للتجارب الماضية • ومن هنا فان الصراع الحقيقى كان فى اعتقادى صراعا بين القوى الديمقراطية التى تريد ان تستفيد من جو الثورة الجديد لكى تفتح الطريق لتفاعلات تسفر عن ظهور تيارات شعبية قادرة على تشكيل مستقبل ديمقراطى جديد ، وبين القوى التى لم تكن تتصور التغيير الا فى اطار الانضباط العسكرى وسلطة الرأى الواحد والقرار الواحد ، وترى ان التعبئة الشاملة للمجتمع فى اطار نظام لا يسمح بأى نوع من التعددية ، هى الطريق المختصر والمضمون لتحقيق اهداف هذا المجتمع •

● مشاركة شعبية ●

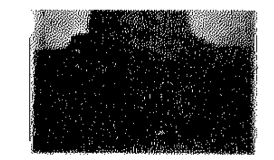
اما الفرصة الثانية التى ضاعت ، وكان يمكن أن يحدث فيها تحول نحو مشاركة شعبية حقيقية ، فقد سنحت بعد نهاية العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ • فقد اثبت الشعب المصرى فى هذه الحرب قدرة هائلة على الصمود ، وعلى التوحد مع الاهداف الوطنية لقيادته • وعلى عكس توقعات الاستعمار العالمى ، فان الشعب قد ازداد التفافا حول قيادته فى أحرج اللحظات • ويمكن القول دون مبالغة ان التحول الحقيقى فى مسار حرب السويس قد تحقق على يد شعب بورسعيد ، مؤيدا بكل القوى الوطنية المصرية ، لان كل يوم ، بل كل ساعة من الصمود ، كانت تسمح للقوى الدولية بأن تتفاعل وتحدث تأثيرها الذى كان بالفعل حاسما • ولو كانت بورسعيد قد استسلمت فى الايام الاولى للقتال ، كما أعلنت الاذاعة البريطانية كذبا ، لتحققت أهداف المؤامرة البريطانية الفرنسية الاسرائيلية ، ولما أتيحت الفرصة لانذار سوفييتى أو تحذير امريكى • وهكذا خرجنا من عدوان ١٩٥٦ بانتصار سياسى لا نظير له ، يرجع الفضل الاكبر فيه لذلك الصمود الشعبى الرائع فى وجه العدوان • وكان المتوقع ، بعد أن اثبت الشعب اصالته الى هذا الحد ، ان يعامل بعد الحرب بمزيد من الثقة ، وتتاح الفرصة لتحولات أساسية فى اسلوب الحكم تعطى السلطة لهذا الشعب الذى ساند الامانى الوطنية فى الوقت الذى كان فيه الجيش قد فقد كل فعاليته • ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، وجاءت اول انتخابات بعد ١٩٥٦ لكى يتدخل فيها « الاتحاد القومى » بقوة ، ويحذف من القوائم اسماء ويساند أسماء اخرى ، وتعود اجهزة الادارة والامن الى التدخل السافر فى الانتخابات ، فتضيع بذلك فرصة ما كان ينبغي لها أن تضيع •



لقد طرح احد الحاضرين فى الحوار الذى دار حول حرب السويس فى نقابة الصحفيين (انظر « الاهالى » عدد ١٩٨٦/١٠/١) سؤالا ذكيا على الاستاذ محمد حسنين هيكل ، هو : لماذا لم يطبق عبد الناصر الديمقراطية بعد حرب ١٩٥٦ ؟ فجاءت الاجابة بعيدة كل البعد عن الاقناع ، اذ اشارت الى أن الديمقراطية الغربية (التى لم يكن صاحب السؤال يقصدها بالطبع) هى « نتاج لعملية توازن طبقى ... وعندما لا يصبح هناك توازن اجتماعى تصبح المسألة غير منطقية » وهكذا عاد هيكل مرة أخرى ، وبعد مضى ثلاثين سنة على هذه الاحداث ، ليكرر الحجة القائلة ان الديمقراطية لم يكن من الممكن ان تطبق مادامت الشروط الاجتماعية والاقتصادية التى تفترضها لم تتحقق بعد . ولا تخرج هذه الاجابة ، فى رأيى ، عن نطاق مشكلة الدجاجة والبيضة : فاذا لم يكن من الممكن تحقيق الديمقراطية الا بعد الوصول الى توازن اجتماعى واقتصادى ، فلابد من أن نعترف فى الوقت ذاته بأن هذا التوازن الاجتماعى والاقتصادى لا يمكن ان يتحقق ، فى بلد يسوده التفاوت الطبقى الصارخ ، الا بالديمقراطية ... وحقيقة الامر ، فى رأيى ، ان الديمقراطية « ممارسة » قبل كل شىء ، وهى تجربة يمكن ان تخطىء كثيرا ، ولكنها تصحح نفسها على الدوام . وفى اعتقادى ان وقف الديمقراطية بحجة عدم تحقق شروط معينة هو قتل لها ، وحكم على الشعب بالعجز والقصور . ذلك لاننى أؤمن ايمانا راسخا بأن الشعب ، حتى لو كان جائعا عاريا اميا ، يعرف كيف يختار ممثليه الذين يحققون له هذا التوازن الاجتماعى والاقتصادى المطلوب . وقد اثبت الشعب المصرى ذلك بوضوح فى المرات القليلة التى أتيحت له فيها فرصة الاختيار بقدر معقول من الحرية . كما اثبتته شعوب كثيرة غيرنا فى ظروف حالكة من عدم التوازن والتفاوت الاقتصادى والاجتماعى الشديد . ولا أظن انه كان مما يعيب الاستاذ هيكل ، او ينقص من قدر عبد الناصر ، ان يرد الاستاذ هيكل عن هذا السؤال بقوله : لقد كان هذا خطأ من عبد الناصر ، وشاركته انا فى تبرير هذا الخطأ . فتلك كانت فرصة لا ينبغى ان تضيع ، ولو كنا قد اغتنمناها لادى ذلك الى خوضنا للمعارك التالية ، فى سلسلة صراعاتنا مع اسرائيل ، فى ظروف مواتية الى حد بعيد .

● تهدئة الجماهير ●

اما الفرصة الثالثة فجاءت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، التى كان ينبغى ان تؤدى الى مراجعة شاملة لجميع الاخطاء السابقة ، وعلى رأسها الانفراد فى اتخاذ القرار وتغليب السلطة العسكرية على المدنية ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث . وعندما صدر بيان ٣٠ مارس - الذى كان هو ذاته اقل بكثير مما كان مطلوبا فى تلك اللحظات الحرجة - تبين للجميع بعد وقت قصير انه لم يصدر لكى ينفذ ، وانما صدر لتهدئة الجماهير التى اعربت عن سخطها على الاوضاع المؤدية للهزيمة فى مظاهرات عارمة ، ولامتصاص غضب الشعب على الاهانة التى الحقتها به كارثة ١٩٦٧ .



والان ، لنتأمل المسألة من وجهها الاخر ، ذلك الوجه الذى يؤكد ان الهزيمة كانت واقعة لا محالة ، مهما فعلنا ، والذى تمثله عبارة الدكتور جلال أمين : « ان حجم الاعتداء الخارجى وقوة المعتدى وتصميمه على اجهاض التجربة الناصرية وغياب القوة الرادعة من جانب القوى الكبرى الاخرى ، وكلها عوامل كانت خارجة بالفعـــل عن سلطان الارادة المصرية ، كانت هى العوامل الحاسمة فى تحديد النتيجة » • هـــذه العبارة ، فى رأيى ، ليست اقل من كارثة • فهى ببساطة تلغى ارادتنا وتعبر عن نظرة استسلامية الى قدرتنا على مواجهة الاعداء الخارجيين ، بحيث لو هؤلاء الاعداء اذا « صمموا » على اجهاض تجربتنا فلابد ان ننهزم • والسؤال الذى يطرح نفسه على الفور ، ردا على هذا الرأى الغـــريب ، هو : لـماذا لا تصمم « نحن » على اجهـــاض هدف هؤلاء الاعداء ؟ هل كان الشعب المصرى ، بامكاناته الضخمة ازاء بلد صغير مثل اسرائيل ، عاجزا الى حد أنه لابد أن ينهزم اذا صمم الاعداء على ذلك ، وهاجموه بقوة اعتداء كبيرة ؟

الحق اننى لا أملك الا أن اشعر بدهشة واسف بالغين ، حين اجـــد مثقفا وطنيا لامعا كالدكتور جلال امين يتخذ مثل هذا الموقف « القدرى » ازاء قوة العدو ، ويراها « خارجة بالفعل عن سلطان الارادة المصرية »، وكأنه مضطر — لكى يثبت صحة نظريته فى تعليل الهزيمة بالعوامل الخارجية — الى أن يحكم على بلده بالعجز والسلبية وقلة الحيلة ، ويؤكد اننا لابد ان ننهار اذا صمم عدونا على ذلك • وحتى لو افترضنا جدلا اننا كنا ستنهزم حتما مهما ادخلنا من تغييرات على الجبهة الداخلية (وهو افتراض أرفضه بكل قوة ، لان من الجائز جدا ان ادخال بعض التغييرات الجذرية منذ البداية كان من الممكن ان يحول دون قيام المعركة اصلا ، او يجعلها تتخـــذ اشكالا مختلفة كل الاختـــلاف) — حتى لو افترضنا ذلك ، فان هذه التغييرات كان من شأنها ان تؤدى الى هزيمة اخف وطأة واضيق نطاقا • وكما حدث فى السويس ، فان كل يوم زائد من الصمود كان من الممكن ان يحدث متغيرات كبيرة فى العالم ، ويقلل من فداحة النتائج النهائية ••• اعنى ان الحرب كانت ستنتهى ، فى هذه الحالة ، الى هزيمة عادية ، لا الى انهيار فورى شامل !

فهل كانت العوامل الخارجية هى التى خلقت تلك البورجوازية العسكرية التى وصلت بعض تصرفاتها الى حد الخيانة ، على حد تعبير الاستاذ محمـــد عـــودة نفســه ؟ الم يـــكن وجـــود مثـــل هذه القيـــادات — التى لم يكن العدو ، على ما اظن ، هو الذى أصدر قرار تعيينهـــا فى مناصبها — على رأس قواتنا المسلحة فى ذلك الحين ، عاملا كافيـــا

لتحقيق هزيمة كبرى ؟ فاذا اعترضت قائلا : ولكن هذا شيء لا علاقة له بالمشاركة الشعبية .. كان ردى هو أنه وثيق الصلة بها ، لان هذه العناصر المتهاونة أو الخائنة ما كانت لتسيطر على أخطر مؤسسة فى الدولة لولا أن الحكم كان عندئذ مرتكزا على توازنات القوة المادية .

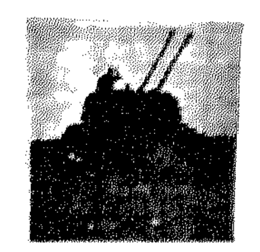
● خطأ منهجى ●

لقد وجه الدكتور جلال أمين انتقادات كثيرة الى المنهج الذى اتبعته فى معالجة هذا الموضوع ، ولم يتنبه الى أنه ارتكب منذ السطور الاولى فى مقاله اخطر خطأ منهجى يمكن أن يقع فيه الباحث ، وكان هو السبب الحقيقى لتلك النظرة الاستسلامية التى سيطرت على مقاله . فقد بدأ بحثه بفكرة مسبقة ، وراح بعد ذلك يحصر جهده فى محاولة اثباتها ، دون أن يعطى وجهات النظر الاخرى فرصتها الكاملة لكى تتفاعل فى ذهنه . ففى بداية كلامه وصف مقالى الاول بأنه « ينتهى الى نتيجة تكاد تكون هى النقيض التام لما ظللت أعتقده ، ولا أزال ، منذ وقوع كارثة ١٩٦٧ حتى اليوم ، وهو أن هذه الهزيمة فرضت علينا فرضا بتدخل قوى خارجية عاتية ، الخ ... » ثم انتقد التعليقات الثلاثة التى ظهرت على مقالى المذكور لانها « لم تنجح ، فى رأيى ، فى حسم القضية لصالح الرأى الاخر الذى أعتقد بصحته » .

وهكذا كان الدكتور جلال امين يقرأ مقالى ، وتعليقات الكتاب الثلاثة عليه ، لكى يجد فيها ما يؤيد الفكرة التى تكونت لديه من قبل ، ولم يكن يقرأ قراءة منفتحة ، أو يتيح للاراء التى يقرؤها فرصة التفاعل والتأثير فى ذهن متقبل للجديد ، وانما كان ما يريده منها هو أن « تحسم القضية لصالح الرأى الذى يؤمن بصحته » . وأظن أن من يرتكب هذا الخطأ المنهجى الاساسى منذ اللحظة الاولى ، يخوض المناقشة من مدخل لا يبعث على الاطمئنان الى ما سيطرحه بعد ذلك من آراء .

وفى سبيل اثبات وجهة النظر المسبقة التى كان يؤمن بها ولايزال ، أجهد الدكتور جلال نفسه فى تصيد عبارات لا يوجد بينها أى تناقض ، وانما تعبر كلها عن اختلافات هامشية فى درجة تأكيد الفكرة الرئيسية التى طرحتها ، ويجمعها كلها هدف واحد هو تأكيد أهمية العوامل الداخلية فى ايقاعنا فى الهزيمة ، ورفض النظر الى العوامل الخارجية بمعزل عن تفكك الجبهة الداخلية الذى أتاح للعدوان الخارجى نجاحا يفوق كل ما كان أصحابه يتوقعون .

وفى سبيل البحث عما يدعم الفكرة التى تكونت لديه سلفا ، راح الدكتور جلال يبحث عن اعتراضات بلغ بعضها حدا من التكليف يدفع المرء الى التساؤل عما اذا كان هذا الكلام جادا أم هو ضرب من الدعابة الساخرة . مثال ذلك قوله ان عدم تدخل امريكا مباشرة فى القتال ضد مصر ، واستخدامها اسرائيل اداة جاهزة ، جعل نتيجة المعركة تختلف فى حالتنا عما كانت عليه فى فيتنام ، لان « التدخل الامريكى استتبع مقاومة عنيفة داخل المجتمع الامريكى وانهيار الروح المعنوية للمقاتلين



الامريكيين فى فيتنام ، بصرف النظر عن مدى تحقق أو غياب الديمقراطية والمشاركة الشعبية » • وهكذا يريد الدكتور جلال أمين أن يقنعنا بأن من أسباب هزيمتنا الساحقة فى ١٩٦٧ عدم تدخل أمريكا فى الحرب تدخلا مباشرا ، بينما ادى هذا التدخل ، فى حالة فيتنام ، الى انتصار هذه الاخيرة ، لانه اثار حركة مقاومة ضد الحرب فى امريكا ، وادى الى انهيار معنويات الجيش الامريكى •• وبعبارة أبسط ، فان اسرائيل ـ تبعا لهذا المنطق ـ هزمتنا فى ساعات قلائل لان أمريكا لم ترسل معها جيوشها ، ولو كانت قد ارسلت جيوشها وطائراتها وأساطيلها ضدنا ، بدلا من أن تستخدم دويلة صغيرة كاداة جاهزة لها ، لكان من الجائز ـ كما حدث فى فيتنام ـ ان ننتصر !

● آراء غريبة ●

هذا نموذج للاراء الغريبة التى لابد ان يصل اليها المرء حين يبدأ بحثه وليس فى ذهنه من هدف سوى تاكيد فكرة كان يؤمن بها من قبل• وفى سبيل دعم النظرية العزيزة التى تقول اننا لم ننهزم الا بسبب تدخل القوى الخارجية ضدنا ، وان اى تغيير فى جبهتنا الداخلية لم يكن من الممكن أن يغير من النتيجة المحتومة شيئا ، يحكم الدكتور جلال على ارادتنا بالعجز عن مواجهة العدو مادام ذلك العدو مصمما على هزيمتنا ، ويكرر اكثر من مرة انه لا سلطان لنا على القوى المعادية ، ولا قدرة لنا على مقاومتها •

وفى سبيل تاكيد فكرته الغالية يتجاهل الدكتور جلال امين شهادات كبار العسكريين الناصريين عن التسيب والاهمال والتراخى الذى وصل الى حد الخيانة داخل الجيش ، ويتجاهل التاثير المدمر الذى الحقه بقواتنا المسلحة تحكم شخصيات على مستوى شمس بدران وعلى شفيق وسائر قادة الاسلحة الذين كانت كرة القدم تحتل من اهتمامهم اضعاف ما يحتله رفع مستوى قواتهم •

وفى سبيل تاكيد فكرته المفضلة ، يؤكد الدكتور جلال ان الانجازات الناصرية لا تزال تعيش بيننا ، وستظل كذلك لفترة طويلة ، قائلا : « كثير مما حدث من تقدم فى عهد عبد الناصر فى ميادين التصنيع ، والزراعة والتعليم واعادة توزيع الدخل سوف يبقى على مر الزمن ايا كانت الاثار المترتبة على الهزيمة » ••• هذا تاكيد لا أملك ردا عليه سوى ان أقول : انظر حولك ! وفى الوقت ذاته لا أملك الا ان أبدى تعجبى من طغيان النظرية على شهادة الواقع المباشر الملموس ، ودهشتى من انكار المرء لما يراه الجميع ويلمسونه ، منذ سنوات طوال ، من زوال اثار العهد الناصرى ، واحدا تلو الاخر ، طوال السبعينيات ، والشكوى التى

ترددت ، حتى لدى الدكتور جلال امين نفسه فى كتابات اخرى ، من أخطار الانفتاح الاستهلاكى وتخريب القطاع العام وازدياد التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية لامريكا فى العقد التالى لوفاة عبد الناصر ... كل هذا يتم تجاهله لصالح النظرية الاثيرة التى تقول ان الحكم الفردى لم يكن له أدنى تاثير فى وقوع الهزيمة ، وأن انجازات هذا الحكم لم تكن مرتبطة بشخص معين ، ولن تزول باختفائه .

● شماعة للكوارث ●

واخيرا ، فانى لا أملك الا التعجب من ذلك السعى الدائب الذى نلمسه لدى فئة كاملة من المثقفين ، لالتماس كل الاعذار الممكنة والمستحيلة من اجل القاء مسئولية هزيمة ألحقت أشد الضرر بأمانينا الوطنية والقومية ، على عاتق قوى خارجية لم يكن للنظام القائم عندئذ سلطان عليها . ولا أملك الا الشعور بالاسى حين اقارن بين هذا الموقف الذى تتخذه مجموعة من ألمع مثقفينا ، وبين عملية المحاسبة الصارمة التى مارستها اسرائيل ضد جميع قياداتها العسكرية والسياسية بعد حرب ١٩٧٣ . لقد حاكم الاسرائيليون من تسببوا فى هزائمهم الاولى فى حرب اكتوبر (على الرغم من انهم سجلوا تعادلا واضحا فى نهايتها) ، واطلقوا على تصرفاتهم اسم « التقصير » . أما نحن فمازال فينا من يصر على أن يطلق على الهزيمة التى ارجعتنا مائة سنة الى الوراء اسم « النكسة » ، ومازال فينا من يبحث حتى اليوم عن « شماعة » يعلق عليها مسئولية الكوارث العسكرية والسياسية والاقتصادية التى أسفرت عنها تلك الحرب .

ولست أدرى : هل هذه الظاهرة جزء من ذلك المناخ العام الذى ينزع الى التسيب فى كل شىء ، ولا يكترث بمبدأ محاسبة المخطىء على قدر حجم الخطأ الذى ارتكبه ، ذلك المناخ الذى تسوده مبادىء مسمومة من نوع « من لا يعمل لا يخطىء » ، ويدرج ضمن فئة الخطأ المباح والمستباح أبشع الوان الجرائم ؟ أم ان الظاهرة جزء من اعتقاد يسود فى العهود التى تفتقر الى الديمقراطية ، هو ان من حق الحاكم ان يرتكب أفدح الاخطاء ، ومن واجبنا أن نغفرها له وندافع عنه ، اذا كان قد حقق انجازات فى ميادين أخرى ؟

هذه عيوب فكرية كان لابد ان تختفى لو كانت الاجيال الحالية قد نشأت فى ظل مشاركة شعبية حقيقية ، تحاسب المخطىء وترفض التماس الاعذار والتهرب من المسئوليات .. ولكن كل ما أود ان اقوله ، فى نهاية حديثى ، هو انه اذا كان العالم قد سخر منا عندما حلت بنا تلك الهزيمة الملحقة فى سويعات معدودة ، فلابد انه يسخر من اضعاف مضاعفة حين يجدنا ، حتى اليوم ، متهاونين فى حق انفسنا ، متهربين من مبدأ المحاسبة ، باحثين لاخطائنا الفادحة عن أسباب « لا سلطان لنا عليها » فلا نملك لكوارثنا الكبرى دفعا ، ولا نستطيع – مهما فعلنا – الا ان نقف امامها عاجزين ، وكأننا شخوص فى مأساة اغريقية يتلاعب بها القدر المحتوم .



الرواية البوليسية ومكانتها في الأدب العالمي

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

● الرواية البوليسية احدث انواع الرواية ، واكثرها رواجا، ولو ان حظها من العناية في الادب العربي ، ابداعا وتاريخا ونقدا وتاصيلا ، قليل او معدوم .

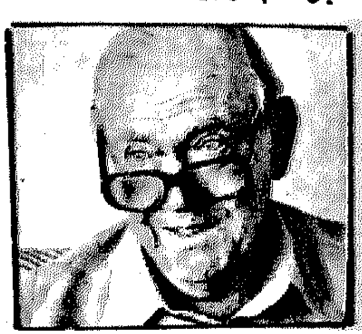
اكثرنا قراها في شبابه ، واستحوذت على اهتمامه، وتلقى النصح من ابيه او استاذه ان يبتعد عنها ، وان يستعيض عنها بغيرها من الادب الجاد ، ومع ذلك فان قراءها لم يتوقفوا ، واقبالهم عليها لم ينحسر ، ولا تزال اليوم ، كما كانت بالامس، تصدر في طبعات عديدة ، وتقوم على نشرها دور متخصصة ، وتحرص المكتبات العالمية على الا يفوتها هذا الخير ، فلكل واحدة كتابها ، ومسلسلاتها ذات الطابع المميز ، ولا فرق بين عندنا هنا، وعندهم هناك ، الا انهم في الغرب يبدعونها ، ويدرسونها ، ويؤلفون فيها الكتب ، ونحن هنا نقرؤها مترجمة حسب التساهيل في ترجمات دقيقة ، وطبعات جيدة احيانا ، وكيفما اتفق الامر شكلا ومحتوى احيانا اخرى ●

ينسبون نشاتها الى الكاتب الامريكي ادجار الان بو ، ١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ ، ولو انه كتبها قصة ، ثم جاءت الرواية فيما بعد ، ففي ابريل من عام ١٨٤١ م ، نشرت مجلة جراهام الامريكية قصة قصيرة تحت عنوان : « جريمة قتل في شارع مورج » ، ولم يكن جمهور القراء قد راى شيئا مثلها من قبل ، رغم انه كان يقرا قبلها قصص الجرائم خيالية او واقعية ، ولم يكن المرد

العنيف لمدام يوسبا ناى وابنتها ، او الاحتجاج على قسوة الجريمة وبشاعتها ، هو السبب فيما نالته القصة من أهمية ، وانما ترجع هذه الى الطريقة الجديدة التى عالج بها بو موضوعه ، وبها اصبح المبتكر لهذا اللون من الادب ، ومعه ولدت القصة البوليسية .

قلة سارت على خطاه ، والكثرة نقلتها الى عالم الرواية، وسادت عليه ، وتنوعت،

جراهام جرين





ادجار الان بو

اجاثا كريستى

وعرفت الوانا عديدة ، وكتابا يتفاوتون شهرة ، ومن ثم يمكن القول بان الرواية البوليسية ولدت فى القرن التاسع عشر .

○ بدايات فى الصين ●

لكن الباحث الهولندى فان جوليك أتى على هذه النظرية أرضا ، فقد اكتشف مخطوطة لصينى مجهول تعود الى القرن الثالث عشر ، بعنوان : « ثلاث جرائم حلها القاضى تى » ، وطبقا له فان هذا اللون من الرواية دخل الغرب فى القرن الماضى ، الى جانب أشياء أخرى كثيرة من الصين ، مزيدا من التوابل الشرقية ، ولكنها فى هذه المرة كانت أدبا .

وبعيدا عن النفى أو الاثبات ، لاننى لم أر المخطوطة ، ألحظ من خلال قراءاتى فى الادب العالمى لهذا النوع ، أن ثمة رابطة قوية بينه وبين الصين ، فقليلا ما تخلو رواية بوليسية فى الغرب من عنصر صينى أو شرقى على الاقل ، رغم أنهم يجهلون تماما رواية القاضى تى . والحق أن هذه الرواية الصينية ليست الوحيدة التى وصلت أوربا ، وانما توجد روايات أخرى ، فى الصين أيضا ، يتحدثون عنها ، وكلها مجهولة المؤلف .

لكن أحدا لم يبحث عن أصول هذا النوع الضائعة فى ضباب الزمن ، ولا يمكن الاطمئنان الى أنها تعود الى القرن الثالث عشر فحسب ، لاننا نجد لها ملامح عديدة فى الآداب القديمة ، فى خرافات ايسوب ، وحكايات العرب ، وكتابات هيرودوت ، وحتى فى التوراة ، وأما ألف ليلة وليلة فثرية بهذا اللون من القصص والحيل ، وكلها جديرة بأن تنسب الى شرلوك هولمز المعاصر . وتحدثنا قصص ألف ليلة وليلة ، والنصوص الصينية عن وجود الشرطة فى المدن الكبرى مثل بغداد ، والقاهرة ، وشنغهاى وبكين ، على حين أن الشرطة بمعناها الدقيق لم تعرف فى باريس مثلا الا فى القرن السابع عشر، أو بالدقة فى عام ١٦٦٧ عندما عينت الحكومة أول قائد لها .

على أن عددا من روايات القرن الثامن عشر الاوربية يمكن أن يقال عنها أيضا أنها تحمل بذور الرواية البوليسية ، مثل « أوليفر تويست » للكاتب الانجليزى شارل ديكنز ، وزاديج لفولتير ، وحلاق اشبيليه لبومرشيه ، واذا قلنا ان الرواية البوليسية فى جوهرها غموض يجد تفسيره، جاز لنا أن نعتبر من كتابها حتى جوته وشيللر ، وذلك يحملنا الى الحديث عن نوع قريب منها ، وهو رواية الرعب ، أو الرواية السوداء ، واسهم فى خلقها بقوة الكاتب الانجليزى والبول ، حين نشر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر روايته « قلعة أوترانت » ، وفيها توجد الابواب المسحورة ، والممرات الخفية ، ومداخل أخرى . واستغل الكتاب المحدثون تقنيته على أوسع نطاق . وبعده أخذت طريقها الى الذيوع والانتشار ، وسار على خطاه آخرون، وهى تبدأ بالخوف الخفى



الرواية البوليسية

وتنتهي بتفسيره ، وتلك هي التقنية التي تقوم عليها الرواية البوليسية ، وسوف تولد في اوروبا في القرن التاسع عشر .

● شهرة عريضة ●

نمت الرواية البوليسية بسرعة ، وبلغت شهرة مستفيضة ، وكونت واقعا ثقافيا ذا أهمية كبرى ، وغزت عقول الاطفال ، واستولت على مشاعرهم ، وهم أصلا لا يبحثون عن المتعة الفنية ، وارتبطت في أصلها بالمزاج الانجلو سكسوني ، وحققت اليوم بفضل رواية الجيب ، والسينما ، والتليفزيون ، نجاحا عالميا ، وهي تسمح بالتنوع في اشكالها ومحتواها، وتجيء الرواية السوداء بخاصة مختلطة بالجنس والسادية .

تدعو الرواية البوليسية الى التفكير بقوة ، وتهدف الى حل مشكلة تكاد تكون لغزا ، وتخضع لوهم معترف به عالميا ، وهو أن المجرم الذي يناهض المجتمع موجود بالضرورة ، ومن طريق الصدفة والفكاهة ، والاعجاب بذكائه ، تحاول أن تحطم هذا الوهم ، وأن تثير عطفنا عليه.

وهذا النوع من الرواية ثقافي ايضا ، فهي تقص التاريخ نفسه الذي تحكيه رواية المغامرة ، وعلى النقيض منها تمضي في طريقة الاكتشاف بمنهج عرضي ، وتبتدع باستمرار قواعد جديدة ، وتهدف قبل اي شيء الى ارضاء ذكاء القارىء ، وهكذا تزداد بعدا من الرواية لتزداد كل يوم قربا من الرياضيات ، وغايتها أن تبرهن لا أن توضح ، وأن تجعل من لعبة الذكاء اداة تقانية ، تنتج بهجة تجريدية ، ولكنها أيضا رواية تنضح بانسانية تمالى ، ولهذا تلجأ الى الرعب والقسوة والجنس .. وكل ذلك في خدمة واقع مقرر : أن القارىء لديه القدرة على تبين المخطىء ، وفي الوقت نفسه سوف يكون الحل النهائي مفاجئا ، وتهدف في العمق الى اكثر من أن تكتشف مخطئا ، وانما تزعم بأن تخضع مالا يقبل التفسير للتفسير ، وأن تصور المستحيل ممكنا ، والخوارق شيئا عاديا ، وهكذا تعرض للصراع الخالد بين عنصري الفوضى والنظام .

عوامل كثيرة ساعدت على نمو هذا النوع الروائي وانتشاره في القرن التاسع عشر ، فقد نظم نابليون الشرطة ، وانشأ وزارة خاصة بها ، وكانت في البدء تتكون من قطاع الطرق والمجرمين الذين انهوا عقوباتهم ، فارادت الدولة أن تفيد من تجاربهم ، ومن ثم أصبحوا رجال أمن بعد أن كانوا خارجين عليه ، وظل الامر كذلك حتى عام ١٨٣٥ ، حيث حلت هذه الفرقة ، وتكونت شرطة جديدة ، لا تضم بين صفوفها مجرمين سابقين أو معاقبين ، على أن يعمل رجال الفرقة المنحلة مرشدين ومخبرين سريين فحسب، وكان لذلك صداه في كل أوربا ، حتى أن روايات « ادجار الن بو » البوليسية تجري حوادثها في باريس ، ولو انها من صنع خياله، وبطلها دوبين فرنسي أيضا .

كذلك اتسع الاهتمام بتاريخ قطاع الطرق ، واثمرت التطورات الاجتماعية جمهورا جديدا ، له ذوق جديد ، وتطلب انواعا أصيلة من الادب لما تكن معروفة ، وفضلا عن ذلك فان التصنيع غير طبيعة الحياة في المدن ، واحدثت السكك الحديدية انقلابا في وسائل الاتصال ، وغذى نمو الصحافة ونشر الجرائم ، وتطور فن الطباعة ، وارتقاء صناعة الورق ، وانتشار التعليم العام ، ظهور الرواية البوليسية الحديثة وتوهجها .

● دور أساسي للكاتب ●

تقوم القصة البوليسية الكلاسيكية على دعائم ثلاث يجب أن تتوفر فيها لكي تكفل لها النجاح هي : الجريمة ، والمخبر السري الخاص ، والطريقة التي يتبعها في كشف الجريمة . ومهمة الكاتب الفنية أن يدمج هذه العناصر بعضها في بعض ، بشكل متماسك ، داخل نطاق قواعد

الكتابة ، كي تنال ثقة القـارىء وتحظى باحترامه .

وضـع ادجار الان بو ، وبقية الكتاب الانجلو سكسـون اللمسات الاخيرة في تقنية رواية الجريمة ، وما لبث هذا النوع أن احتل مكانا عريضا في الادب الانجليزي، فازداد كتابه عددا في انجلترا ، واخـذوا يقلون في بقية أوربا تدريجا ، وفي الوقت نفسه كانت القصة البوليسيـة ، والرواية القصيرة ، تتراجع لتحل مكانهـا الرواية الكاملة ، واصبحت هذه مباراة بين المؤلف والقارىء ، وبلغت اوجها في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وكان عصرها الذهبي بحق ، وتجاوز عدد ما يصـدر من روايات بوليسية بقية الانواع الادبية الاخـرى ، واحس كتابها بكرامتهم فنـانين ومكانتهم مبدعين ، وانهم كاي روائي آخر ،وكانوا يرون أن الرواية البوليسية أصعب ابداعا من اية رواية أخرى ، وشـهدت هذه الفترة عددا من كبارهم ، وترجمت رواياتهم الى العربية ، بل أن هذه الفترة نفسـها كانت في العالم العـربي أزهى فترات الرواية البوليسية المترجمة .

وقبيل الحرب العالمية الثانية شـهدت الاوساط الادبية الاوربية جدلا كبيرا حول اهمية هذا النوع ، ولكن كتـابه ، ومن سايرهم من النقاد ، أثبتـوا جدارتهم ، واقنعوا الناشر الفرنسي الشهير جاستون ان يصدر ابتداء من عام ١٩٣٦ سلسـلة « الجعران الذهبي » ، ووقفها على الرواية البوليسية ، لتكون على قدم المساواة مع بقية الانواع الادبية الاخـرى التي لها سلاسل مختصة بها .

وفي هذه الفترة عـرفت الـرواية البوليسية ما يمكن ان يسـمى بالرواية المشكلة ، وسيطرت على الرواية البوليسية منذ الاربعينيات ، ومع آخرها بدا عليهـا الانهاك ، ولو انهـا لم تختف من المسرح نهائيا ، وبقي من يعجب بهـا ، ولذلك حـاول كثيرون من المؤلفين ، شـيوخا وشبابا ، أن ينفخوا في النـوع روحا جديدة ، وان يلبسوه أردية مبتكرة .

وفي عام ١٩٤٧ حصل هيلين أوستيس على جائزة أدجارالن بو بروايته « الرجل الافقي » ، وفيها اضاف الى رواية المشكلة بعدا نفسيا ، وتجرى في مدرسة داخلية للبنات ، ويومها شدت انتباه النقاد والقراء على السواء ، وفي فرنسا اخذت تصـدر تحت عنوان « خفـايا باريس » ، وبلفت النظر فيها أن المخبرين السريين الكبـار بدأوا يختفون .

ومهما يـكن من شيء فلا يزال لرواية المشكلة أنصارها ، وانه لرائع احيانا أن يعود المرء ويقرأ من جديد رواية لشرلوك هولمز ، أو ارسين لوبين ، كما أنهـا في الحق لم تجمد جماليا ، وانها كبقية الفكر الانساني لا تزال تعاني من تطور مستمر ، وبدأت فعلا تتخلص من عناصرها القذرة ، لتختص بالغموض وحده . والخطر الوحيد الذي يتهددها ، وقد يدفع بها الى التوقف، أن القـراء تملحوا كل الحيـل التي تستخدمها .

• المخبر السرى .. بطلا! •

وفي الثلاثينيـات من هذا القرن نلتقي « بالسلسلة السوداء » ، نوع من الرواية البوليسية ، يقوم فيهـا المخبر السرى الكلاسي بدور البطـل ، يعيش عاطلام بلا عمل ، ويتحرك في مجالات الطبقة العليـا من المجتمع ، ويتوجه الى جمهور غني ، أو الى الطبقة الوسطى ، مثل شخوص الرواية المشكلة تماما ، وفيها ظهرت شـخصية «سام سباد» ، رجل من الطبقة الوسطى ، يتأمل بعيني رجل الشارع العادي والواقعي كل شيء ، بما في ذلك الخفايا البوليسية ، وككل العالم يمارس مهنة مخبر سرى خاص ليكسب لقمة العيش ، ومعه سوف يتوجه الكاتب الى جمهور أكثر اتساعا .

كان نجـاح هذا اللون من الرواية البوليسية مثار جدل شديد بين النقـاد ، فبرره بعضهم بانها تحرر عالم الخيال ممـا وراء التسور ، الى واقعيتها ، وانها تقدم للقارىء المشكلات المعاصرة ، على حين أن الاخرى تنقله في خيال أسطوري ينتزعه من نفسه ، وهنـاك من يراها ظاهرة غير صحية ، تناهض المجتمع ، والتعليل الذي أراه آنه مع النتـاج الوفير يحـدث لها ما يحدث لكل الانواع الادبيـة ، بان توجه



الرواية البوليسية

روايات جيدة ، وأخرى رديئة ، وعمل بالقاعدة الاقتصادية حين تزيد هذه الاخيرة تطرد الاولى من الواقع الادبي .

وسواء كانت رواية السلسلة السوداء جيدة أو رديئة فانها تفتح أمام القارىء باب الهروب ، لا تقدم له مشكلات ، ولا تخطط لها ، ولا تتعبه ، وفيهـا تمضي الاحداث بطريقة آلية ، وهي في الوقت نفسه مرآة جيدة تنعكس فيها صورة جانب من المجتمع ومن ثم فهي وثيقة صادقة ، وشاهد له قيمته . واذا أمكن القول أنها تؤذي أحدا، فاني أميل الى الاعتقاد أنها تؤذي مؤلفها ، فهو أول من يعاني تأثيراتها ، ونعلم من الصحف أن رايموند شاندلر الذي ابتكر المخبر السري فيليب مارلو حاول أن ينتحر قبل أن يموت بسنوات ، وعندما أخفق دخل مصحة نفسية .

ومهما تكن فضائل هذا اللون من الروايات البوليسية ، والتفسيرات الممكنة لصحة انتشاره في فترة معينة ، فمن الواضح انه بدا يفقد كثيرا من المساحة التي كان يتحرك عليها ، وانتبهت مؤسسة جاليمار الفرنسية لهذا الموقف ، فبدلك تفسح المجال أمام روايات بوليسية ذات طابع مختلف، ومن الحق أيضا أن كثيرين من مؤلفي هذا اللون حاولوا أن يجددوا انفسهم .

بدراسة الانتاج الروائي البوليسي في الاعوام الاخيرة ، يدرك الناقد مدى عمق التطور الذي أصابه ، فمن الرواية السوداء ،الى رواية المغامرة ، فرواية الرعب ، فالسلسلة السوداء ، مرورا بالرواية المشكلة ، ورواية التجسس أخيرا ، وسنعرض لها ، في دراسة مستقلة لاهميتها ، وثمة محاولات تجديدية أخرى ، قام بها كتاب مختلفون ، والغريب أن كل هذه الالوان بقيت ، وتعايشت على اختلاف بينها في الشهرة والذيوع .

ولكن الظاهرة الاكثر وضوحا فيما أرى تتمثل فيما يمكن أن تدعوه اللامركزية . ذلك أن الرواية البوليسية كانت في البدء ، ولفترة طويلة ، اضافة خاصة لبعض الاداب ، وبخاصة الانجليزي ، على حين أن بقية الاداب الاخرى تعيش على ما تترجمه منه ، ولكن منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية بقليل برزت عدة مدارس روائية في هذا النوع ، وازدهرت الى حد كبير ، خارج نطاق المجموعة الانجلو سكسونية ، فاسهمت فيها ابداعا كل من فرنسا وبلجيكا، وتلتهما المانيا، والسويد، وتميزت في الدانمرك بأن أحداثها كانت تدور حول التهريب في البلطيق وفي بحر الشمال ، وسارت ببطء شديد في كل من ايطاليا واسبانيا .

وهي تشق طريقها بسرعة في البلاد الاشتراكية ، ولم يعودوا يعتبرونها أدبا برجوازيا ، غير أنها عندهم تلتزم الواقعية الاشتراكية ، أو اذا استخدمنا تعبير الناقد الماركسي العظيم لوكاتش قلنا : الواقعية الناقدة .

وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت في الاتحاد السوفييتي روايات بوليسية ولكنها اقرب الى روايات التجسس ، وفيها يجلس في منصة المحكمة ضباط بدل القضاة العاديين ، وتدور حول تمجيد فرقة معينة من الجيش ، أخذت على عاتقها ان تفنى في سبيل تحقيق المهمة الوطنية التي كلفت بها . والشيء نفسه يمكن أن يقال عن بقية البلاد الاشتراكية .

● تطور مستمر ●

اما العالم العربي فلم يعرف الرواية البوليسية ابداعا ، وان كان شأنه كبقية العالم ، اقبل عليها مترجمة بنهم ، وبخاصة بين الحربين العالميتين ، فكانت هناك « مسامرات الشعب » ، و « رواية الجيب » وهذه الاخيرة كانت تنشر أسبوعيا من روايتين الى ثلاثة ، جانب كبير منها مخصص للرواية البوليسية ، وذاعت بين القراء أسماء شرلوك هولمز ، وارسين لوبين ، وبيري ماسون ، والمفتش ميجريه،

وغيرهم ، وربما الوحيـــد الذى حاول أن يكتبها محمد حسن المحامى ، وفعل ذلك فى أواخر العقد الخـــامس من هذا القرن ، فنشر رواية بوليسية مسلســـلة ، غير مترجمة ، وربما كانت مصرة ، فى جريدة الزمان ، ولكنه لم يواصـل الرحلة ، ولم يتبعه أحد فى هذا الطريق ، فيما أعلم .

بقى سؤال : هل الرواية البوليســية رواية حقا ؟ .

فلنتذكر أن جوهرها يقـوم على اثارة الخوف من خلال أسـلوب معين ، يكون تقنيتها ، غير أنها حين تستخدم الخـوف فانما تكسوه نموذجا معينا ، بوسائل فنية وعلى هذا المزيج من التقنية والفن ، ينهض غموض الرواية البوليسية ورعبها ، والقيمة الادبية لأية رواية ، انما يحكم عليها فى ضوء التزامها بالتقنية التى تحكم قالبها .

ومع ذلك فهناك من يرى انها ليست من الادب فى شىء . يقول جان كاســو فى كتابه « بانوراما الفن التشكيلى المعاصر » : الرواية البوليسية نوع محتقر ، وليس لها مكان فى الادب ، وكل ميزتها أنها تقترب من السينما ، وتستخدم من الخيال ما هـو فوقه ، ويسبقه ، ولا يدور بالخاطر .

غير أن الادب البـوليسى ، بكل أنواعه وأشــكاله ، عاش رغم كل النبؤات التى تتحدث عن قرب نهايته وموته .

ومنذ أرشميدس حتى أرمين لوبين ، ومن ألف ليلة وليلة حتى شرلوك هولمز ، فان الرواية البوليسية تشغل حيزا عريضا فى أكشاك بيع الصحف ، والمكتبات ، وأذكى من أن تجمد عند أسـلوب معين ، فهى لا تكف عن التطور ، وهذه علامة حيـاة ، وليس هنـــاك ما يشير الى أنها سـوف تتوقف .

ما الذى يسعدنا فى الرواية البوليسية؟

هناك قاعدة تقــول : يجب الا تقرأ أى رواية بولسية حتى النهاية . لان متعـة القارىء الحقيقية تبدأ فى التفتت لحظة أن تنفتـح له الحقيقة طريقــا بين مئة مطب ومصيبة ، وتنتهى تماما عندما تتكشف له فى الصفحات الاخيرة ، وعلى النقيض مما يظن الكثيـــرون ، نحن لا نقرأ الرواية البوليسية لمعرفة الحقيقة ، وانما لكى ندير لها ظهورنا ، خلال أطول زمن ممكن ، حبا فى الخيال ، وما هو مدهش ، ولكى نمتص تفاهاتنا اليومية ، التى تنعكس خلالها على مهل ، وبطريقة أفضل : افطار الصباح، زحام الشارع ، لقاء المقهى ، وغيرها .

فالرواية البوليسية مهما كانت طبيعتها ونوعها تفتح للقارىء طريقا للهـروب من مشـــاغله التى يريد أن يتخلص منها ، وطريقة جديدة لقتـــل الوقت ، والبعد عن الحياة النشطة والمنتجة ، والانعزال تماما عن صخب الحياة ، فلا تفكر فيما هو أبعد من الصفحات التى بين أيدينا .

فالهروب والراحة من العوامل الهــامة وراء نجاح الرواية البوليســية ، وخلال الحرب كانت توزع على الجنـــود المرضى ، ومن هم تحت العلاج ، أو فى دور النقاهة، ونمو الثورة الصناعية فى القرن التاســع عشر ، لان بعد المسافة بين السكن ومحـل العمل ، ينمى القراءة ، وليس أسهل من قراءة رواية بوليسية .

الرواية البوليسـية تجعل القلب يخفق وتأسر اهتمام القـــارىء تماما وهو فى انتظار حل العقدة ، أو يتـــابع صراعا ملتحما بلا هدنة بين خصمين يستخدمان كل الاسلحة ، فهى تصف المخبر يلاحق القاتل فى خبايا المدينة وأطرافهـــا ، وأزقتهـا الضيقة ، أكثر شجاعة من عنترة ، وأشـد دهاء من عمرو بن العاص ، وترسم بألوان خشنة لوحة كاملة عن المجتمع المعــاصر ، وتفصيلات دقيقة عن الحرب التى لا تهدأ ، ولا تتوقف ، بين الجريمة والقانون .

والى جانب ذلك فان تنفيذ جريمة مريعة يتطلب أكثر من عبيطين، القاتل والضحية، من سكين ، أو مسدس ، وطريق مظلم ، أو بيت خال ، يتطلب تحــــديد هدف ، وموقف ، وضوء وظل ، وشـــعر وشـعور وهى عناصر تبدو ضرورية كلهـا فى عالمنا المعاصر ، للقيام بمهمة من هذا الطراز .

ان جوهر الرواية البوليسـية يقوم على الارعاب ، وهذا الخوف الرفيع يحملنا من دنيانا المتواضعة الى عالم الشعر ، والخوف والشعر ينطـويان على شىء أبعد مما فى ظاهرهما ، كلاهما يقودنا الى عمق الكائن الانسانى ، وينقلنا الى الجـانب الاخر من المرآة ! .

بل الدرزية مستقلة

بقلم : د. عبدالهادى بن أوس القزوينى

● مقدمة لابد منها :

حينما أوسعت "الهلال" صفحاتها للتعريف ببعض المذاهب الدينية فى بلادنا العربية ، كان قصدها من ذلك هو مزيد من التعارف ما بين أبناء الطوائف المختلفة فى بلادنا ، التى كانت مهبطا للوحى ورسالات السماء ، وكان من طبيعة الأمور فيها أن تختلف التغيرات وتتعدد وجهات النظر ، وأن تولد المذاهب وتتشعب فيها الطوائف من داخل كل ملة عرفتها المنطقة فى عصورها التاريخية .

ولم يكن قصد "الهلال" من نشر تلك المقالات والبحوث هو الدعاية لهذا المذهب أو ذاك ، كما لم يكن من قصدها بالمقابل الزراية على أى منهما ، ولكن من طبيعة الأمور أيضا أن عرض معتقدات مذهب معين ، قد يحمل

تحت عنوان : (الدروز عرب موحدون أم عجم ملحدون) ، نشرت « الهلال » فى عدد يونيو ١٩٨٦ ، بحثا بقلم الدكتور محمود إسماعيل ، حاول كاتبه تمحيص حقيقة الطائفة الدرزية من ناحيتى العقيدة والانتماء السلالى وإذ يشكر المرء للهلال وللكاتب الكريم ، فتح صفحة البحث حول هذه الطائفة الغامضة ، فانه ـ وبكل التقدير ـ لايسلم بكل ما أورده الدكتور اسماعيل فى مقاله المذكور .

نحن لاننكر عليه حقه فى الدفاع عن أية فئة ، انما يتحفظ الباحث المنصف ، على الخلط بين الموقف الايديولوجى المسبق ، الذى يفتش عن مسوغات يدعم بها موقفه هذا ، وبين البحث العلمى الذى ينطلق من منهج محايد رصين ، دون أن يضع نصب عينيه أحكاما مستقرة فى ذهن الباحث من قبل .

هامش ● د . عبدالهادى القزوينى .. أستاذ بإحدى الجامعات السعودية

بصورة أو أخرى موقفا من تلك المعتقدات يوحى بالرضا أو الاستنكار ، هو فى النهاية مجرد وجهة النظر الخاصة للكاتب الذى تولى مسئولية العرض ، ويترتب على ذلك ، كما سوف يلمح مطالع المقال المنشور فى هذا العدد للدكتور عبدالهادى بن أوس القزوينى ، وقوع خلاف فى الرأى ووجهة النظر مابين مختلف الكتاب والباحثين .

ولا تقصد "الهلال" من نشر هذا الرد أو سواه ، بل ولا ترضى لنفسها ولا لقارئها أن يكون العرض والرد عليه مدعاة لنكء جراح تاريخية أو إثارة لنعرة مذهبية أو طائفية ، بل هى تنشر ما تنشره عملا بحرية الرأى أولا ، وحرية البحث العلمى ثانيا ، وتلتمس من كتابها الذين قد يختلفون على صفحاتها أن يكون شعارهم هو شعار السياسى الكبير الذى قال « لكى نتفق ومن قبل أن نتفق ، ينبغى أن نعرف الحدود الفاصلة بيننا » .

فما ترجوه "الهلال" فى النهاية من نشر هذه الموضوعات المحفوفة بالحساسية ، هو أن تؤدى المعرفة إلى مزيد من التعارف ، فالتقارب ما بين مختلف طوائف الأمة العربية ، من واقع أن جميع الناطقين بالضاد هم جمهور قرائها مهما تنوعت معتقداتهم ، وتباينت وجهات نظرهم ، واقتناع "الهلال" بأن مستقبل هذه الأمة رهن بوحدتها وقدرتها على تحمل مئونة الحوار الحر ، دون أن ينقص ذلك شيئا من شعورها بالوحدة وحاجتها إليها .

« الهلال »

إن الدكتور يعترض على المستشرق « كاراديفو » الذى قال : (إن الدروز مسلمون مع المسلمين ، ومسيحيون مع المسيحيين) كما اعلن الكاتب عن اتهامه لكاراديفو بالتحامل على الدروز ، الذين يصنفهم الدكتور اسماعيل فى فئة الشيعة الاسماعيلية . كما يدرج تحامل كاراديڤو المزعوم ضمن ماأسماه تحامل اهل السنة ضد الشيعة عموما والاسماعيلية بصفة خاصة .

وهذا غاية فى العجب .. ذلك ان الاستشراق - بوجه عام - يتحامل على القرآن ويفترى على السنة ، ويسعى الى اضفاء هالات المجد حول الاقليات والحركات الهدامة فى التاريخ الاسلامى .. اما ان يصبح كاراديفو من أهل السنة - باعتبار ما - فهذا مدهش حقا .

● بين الاعتدال والتطرف ●

وإذا كان أهل السنة متحاملين على



الشيعة ـ وهذا ليس دقيقا اذ ميز اهل السنة دائما بين فئات الشيعة المتفاوتة اعتدالا وتطرفا ـ ، أفلم يلمس مدى حقد معظم طوائف الشيعة على اهل السنة ؟ ..

ويواصل الدكتور دفاعه غير العلمي عن الدروز ، اذ يدخلهم في دائرة الاسلام ، برغم تأثرهم بالغنوصية واعتقادهم بالحلول والتجسد وبتناسخ الأرواح !! .. نحن اذن أمام ظاهرة توزيع مفاتيح الجنة مزاجيا ، مقابل ظاهرة التكفير الجزافي التي تفشت في عصرنا الراهن ..

فهل أدخال الناس في دائرة الاسلام واخراجهم منها ، يتم بحسب أهوائنا الشخصية ، ام ان هنالك موازين دينية تحكم هذه المواقف ؟ ..

فما قول الأستاذ محمود في أن الدروز يكفرون جميع الناس بمن فيهم المسلمون ؟ .. يقول بهاء الدين (أحد الحدود الخمسة التي يقدسها الدروز) في رسالة (السفر الى السادة) : ان النصارى والمسلمين واليهود والمجوس .. وكل من لم نسمهم باطلة دعاواهم مالم يؤمنوا بمولانا الحاكم !! .

أو لم يطلع على تصريحات حمزة بن علي (ويعده الدروز رسول الاله « اى الحاكم » اليهم) ؟ .. ففي رسالة التحذير والتنبيه يقول ـ بلا أدنى مواربة « أنا ناسخ الشرائع ومهلك اهل الشرك والبدائع ، انا مهدم القبلتين ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادتين » ! ..

وفي كتاب « حقائق مايظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل » ـ أحد كتب الدروز الدينية ـ : « واما السروج بلا ذهب ولافضة فدليل على بطلان الشريعتين : الناطق والاساس » .. والناطق والأساس ـ لدى معظم النحل الباطنية ـ هما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والامام على بن ابي طالب « رضي الله عنه » .. وفي الكتاب نفسه ، نطالع ان التزام الشريعة الاسلامية بلاء لايتخلص من شره الا من اختصه المولى (الحاكم) برحمته ، ويستشهدون لهذا الزعم الباطل بقولهم : « كما قال الناطق (أي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) في القرآن : وان منكم الا واردها ، وهذا الجزء من الآية القرآنية يتحدث عن جهنم كما هو معلوم للجميع فالدروز يجعلون الشريعة الاسلامية نارا كما انهم يتهمون النبي ضمنيا بانه مؤلف القرآن ـ كبرت كلمة تخرج من افواههم ـ ..

فكيف يتأتى لرجل يعرف اصول البحث العلمي ان يلصق قوما تلك عقيدتهم باسم الاسلام ؟!

ولكي لايسارع الدكتور الى التشكيك بتلك الكتب ، نقدم له ما أورده مصطفى غالب (وهو اسماعيلي معاصر) في كتابه « الحركات الباطنية في الاسلام » نقلا عن الأخرم ـ أحد الدعاة الدروز البارزين ـ اذ يقول : « وان من عَبَدَ الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لاروح فيه » !! ..

بل ان لدينا ادلة افصح على حقيقة

العقيدة الدرزية ، منها الحوار الذى اجراه مع كمال جنبلاط الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه « إسلام بلا مذاهب » ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ .. قال الزعيم الدرزى الأصل ان الشريعة الدرزية مأخوذة من القرآن ومن ستة عشر كتابا مخطوطة ، لايسمح لأحد بالاطلاع عليها . والدرزية ـ مازال الحديث لجنبلاط ـ تنهل تعاليمها ايضا من الفلسفة اليونانية (وخصوصا الأفلاطونية القديمة) والمسيحية والبوذية والفرعونية القديمة والاسلام !! ..

فما رأى الكاتب الكريم فى هذا الاعلان الذى لا لبس فيه ؟! ، وربما يحلو له التماس العذر لهم مادام انه يعدهم فى زمرة المسلمين ، برغم ايمانهم بالحلول والتجسد ..

واما العبادات الاسلامية فهى ساقطة عن الدروز ، يقول جنبلاط : ان شيوخ الطائفة كانوا يصلون فى المساجد ويصومون ويحجون البيت ولكن هذه الفرائض جميعا قد رفعت عنهم واستبدلت بها تكاليف أخرى !! .

ان الدرزية ـ نعود لكلام جنبلاط ـ مرت بالاسلام كمرحلة ثم تجاوزته واصبحت ديانة مستقلة !! .

• كفر واضح •

والدروز ايها الكاتب العزيز لايؤمنون باليوم الآخر فالأرواح تظل فى تقمص مستمر فلا تموت وتبعث ولاتزيد ولاتنقص (هكذا يزعمون وكأنهم لم يسمعوا بالانفجار السكانى المعاصر) !! ..

نقول ذلك معتمدين على وثيقة لايرقى اليها الشك ، الا وهى شهادة الاستاذ عبدالله النجار فى كتابه « مذهب الدروز والتوحيد » ص٨١ .. فالكاتب درزى بارز حاول تجلية المذهب لقومه وللآخرين فدفع حياته ثمنا لذلك (قتله الدروز غدرا عام ١٩٧٨م) ..

وأما زعم الكاتب ان الجماعة لايؤلهون الحاكم بأمر الله الفاطمى ، فإننا نضعه أمام شهادة النجار فى كتابه سالف الذكر (ص ١٠٥ ، ١٠٦) الذى سرد عتاب بعض شيوخ الطائفة له ، لأنه ذكر ان ام الحاكم بأمر الله كانت صقلبية .. قال له معاتبه : ان الحاكم لاأم له ، لأنه « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » !!! ... فهل ثمة كفر أشد صراحة من هذا النص ايها الباحث الفاضل ؟! ..

فإذا قال قائل : ان شهادات النجار مجروحة بوصفه درزيا عاقا خرج على مبدأ سرية العقيدة الدرزية ، فإننا نقدم له الشواهد من الضفة النقيضة تماما .. وهى كتاب « أضواء على مسلك التوحيد ـ الدرزية ـ للدكتور سامى نسيب وكارم ، وهو كتاب تم تاليفه بقرار من مشيخة عقل الدروز فى لبنان ، ردا على كتاب النجار .. وكتاب مكارم برغم انه ينضح بالتقية والمراوغة تند منه براهين عديدة .. فهو يقول : مولانا الحاكم ، وافلاطون عليه السلام (ص ٧٢ ، ٧٣) !! .

ونضيف ان مبتدأ التقويم الذى يستعمله الدروز حتى يومنا هذا ، هو سنة ٤٠٨ للهجرة ، وهى السنة التى جهر فيها حمزة بتأليه الحاكم بأمر الله . ولقد تعجل

الدرزية

الدكتور اسماعيل حينما جعل الدروز إحدى فئات الشيعة الاسماعيلية .. فها هو الزعيم الدرزى الراحل كمال جنبلاط (راجع كتاب الشكعة) يؤكد ان الفرق بين الدرزية والاسماعيلية شاسع كبير ..

كما ان الكرمانى (الداعية الاسماعيلى المعروف) الذى زار مصر سنة ٤٠٨هـ يتهم حركة تأليه الحاكم بالفساد وبالخروج على الدعوة الفاطمية (راجع : مصطفى غالب ص ٢٠٥) .

والاسماعيلية ـ كبقية فرق الشيعة ـ تقدس الامام عليا ، بينما الدرزية تكن للامام وذريته ازدراء شنيعا .. حتى ان حروف الكذب فى اعتقاد هذه الطائفة الضالة ستة وعشرون هى ابليس واولاده ورفاقه ، وهم محمد وعلى وأولاده ...

ولقد خلط الكاتب بين التقية والسرية كأصل من اصول الدين الدرزى .. فالتقية هى اظهار المرء خلاف مايبطن ، وهو مبدأ تؤمن به معظم فرق الشيعة ـ كما قال الدكتور فعلا ـ لكن الم يلاحظ الاختلاف فى التطبيق بين الشيعة والدروز .. فالشيعة يخفون احقادهم على السلطان السياسى الغشوم الذى يرونه قادرا على سحقهم اذا ما عزموا على التمرد ، فلم يؤثر عنهم انهم كانوا ـ فى لبنان بالذات ـ مسلمين مع المسلمين ونصارى مع النصارى .. هذا وينبغى لنا تذكير الدكتور محمود اسماعيل بالفرق الدقيق بين التقية وسرية الدين .. فالتقية هى اخفاء الاعتقاد حال الخوف والجهر به فى بقية الأحوال ، أما الدورز فانهم يجمعون الى التقية سرية تعاليمهم الدينية على الدوام ، ليس عن الطوائف الأخرى فحسب ، بل حتى عن جهال الدروز انفسهم ، وهم الكثرة الكاثرة منهم .

ومرجع ذلك ليس التقية بل لأن معتقداتهم غير عقلانية وتزدرى كل من خالفها .. فها نحن فى عصر العلم والتقنية ، وكمال جنبلاط السياسى المثقف يزعم ان الدرزية قائمة منذ ٣٤٣ مليون سنة ، قبل أن تحل الأرواح فى الأجساد !! فانظروا كم خرافة تتراكم فى حوالى عشر كلمات ليس غير .. فما بالك بالتقمص وبأن عدد البشر لايزيد ولاينقص ؟ ! ناهيك عن تأليه إنسان غير متزن مات مقتولاً !! .

ونقف مع الزميل العزيز عند توهمه بأن الدروز ـ كالشيعة ـ يؤمنون بالمهدى المنتظر ، فلنقرأ معاً قول حمزة فى الحاكم : «وهو العلى العظيم» أى العالى على كل من تقدم ذكره ومن تأخر ممن ينتظرهم الشيعة المشركون» .

ولقد كنت آمل الا يقع الدكتور فى أخطاء مكشوفة ، كما فى قوله إن اهل السنة يعتقدون بالمهدى حتى إنهم قالوا بمجىء امام على رأس كل قرية يجدد للناس أمر دينهم ودنياهم !!

● دعاية سياسية ●

ذلك أن أى طالب علم ، يدرك أن « المهدوية » شىء ، وتجديد أمور الدين

(ولست ادرى من اين جاء الدكتور بالدنيا هنا) شيء آخر .. فهذا الأخير ليس شخصا معروف الاسم والصفات ، بل أنه ليس شخصا واحدا (بل داعية مجدد مطلع كل قرن) ، بينما المهدى هو شخص بعينه (من آل البيت فى اعتقاد الشيعة) ويأتى قبيل قيام الساعة .. واما أن يقيس الدكتور تبجيل اهل السنة للنبى والصحابة على الاتحاد والحلول والتجسد فذلك مما يؤسف له .. ذلك ان اهل السنة لايؤمنون بعصمة الصحابى ، كما أنهم يؤمنون أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بشر رسول !! حتى انه يحرم عليهم الغلو بشخص النبى ثم من قال للباحث الفاضل ان الشيعة ـ كل الشيعة ـ يعتقدون بتجسد الخالق ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ فى شخص الامام على او سواه ؟ إن الشيعة الاثنى عشرية والزيدية (وتشكلان الغالبية العظمى من تعداد الشيعة) لايؤمنون بهذه المزاعم الفاسدة ، بل انهم يكفّرون معتنقيها .. ولو كان المجال متسعا لسردت له مئات الأدلة على هذا من كتب الشيعة بقسميها الكبيرين .

وما اضفاء الطابع التقدمى القومى على الدروز فى لبنان ، فهو ـ مع كل اعتبار لحسن النية ـ نوع من الدعاية السياسية الرخيصة التى ينقضها واقع يعرفه الجميع بحكم المعايشة ..

وقبل ان تقتد هذا القول الخطير نسأل الدكتور : هل جميع الدروز اعضاء فى الحزب المذكور ؟ .. وهل نسى الدكتور الفاضل ان الدروز هم الفئة الوحيدة من عرب الأرض المحتلة التى تتطوع فى جيش العدوان الصهيونى وتغزو معه أراضى الأمة العربية ؟

والدكتور الذى ينعم على الدروز بصفات التقوى والقومية وافساد المخططات الطائفية هل يتجاهل ان طلقة واحدة من بنادق الحزب التقدمى الاشتراكى لم تطلق على جيش الغزو الصهيونى عام ١٩٨٢ م ؟ أم ان الباحث الكريم لم تبلغه أنباء لقاءات وليد جنبلاط ـ زعيم الحزب المذكور ـ بشيمون بيريز وبغيره من قادة الكيان الصهيونى ؟ ..

مراجع للتوسع فى البحث

١ ـ بدوى ، عبد الرحمن : مذاهب الإسلاميين .

٢ ـ حسين ، محمد كامل : طائفة الإسماعيلية

٣ ـ حسين ، محمد كامل : طائفة الدروز

٤ ـ الخطيب ، محمد أحمد : عقيدة الدروز ـ عرض ونقض

٥ ـ الشكعة ، مصطفى : إسلام بلا مذاهب .

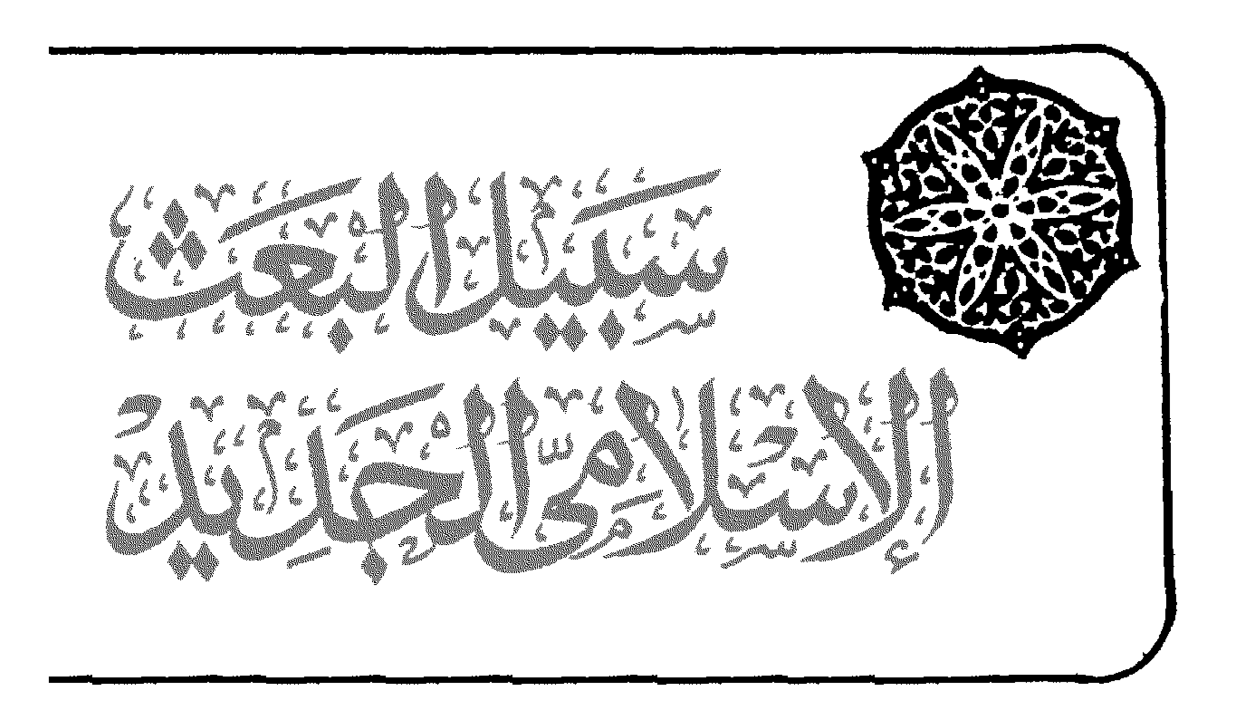
٦ ـ عنان ، محمد عبدالله : الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية .

٧ ـ غالب ، مصطفى : الحركات الباطنية فى الاسلام

٨ ـ مكارم ، سامى نسيب : اضواء على مسلك التوحيد «الدرزية» .

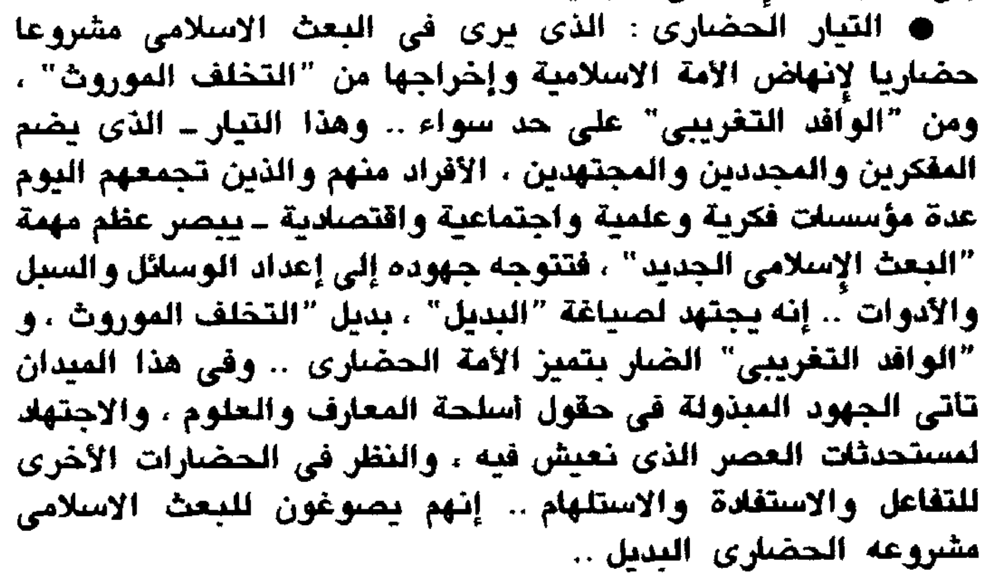
٩ ـ النجار ، عبدالله : مذهب الدروز والتوحيد .

●● بالاضافة الى كتب التاريخ العام مثل : صبح الأعشى للقلقشندى ، وكتب الملل والنحل ككتاب ابن حزم وكتاب الشهرستانى ..



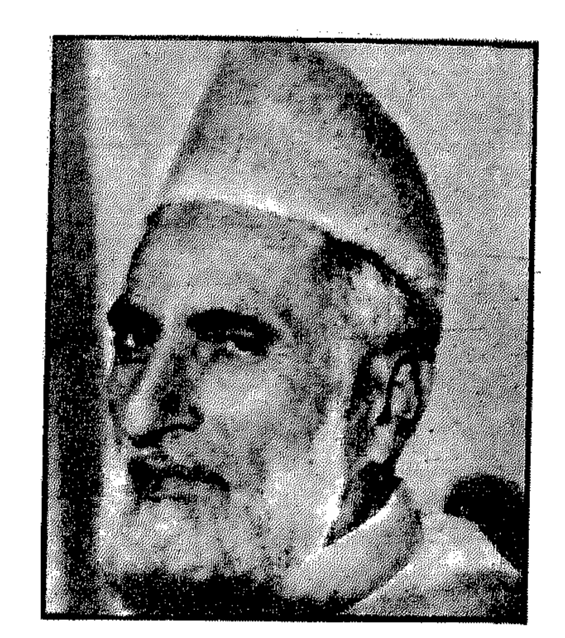
بقلم: د. محمد عمارة

في صفوف "الاسلاميين" ـ اليوم ـ تياران رئيسيان ، بصدد السبيل إلى "البعث الإسلامي الجديد" :



● التيار الحضاري : الذي يرى في البعث الاسلامي مشروعا حضاريا لإنهاض الأمة الاسلامية وإخراجها من "التخلف الموروث" ، ومن "الوافد التغريبي" على حد سواء .. وهذا التيار ـ الذي يضم المفكرين والمجددين والمجتهدين ، الأفراد منهم والذين تجمعهم اليوم عدة مؤسسات فكرية وعلمية واجتماعية واقتصادية ـ يبصر عظم مهمة "البعث الإسلامي الجديد" ، فتتوجه جهوده إلى إعداد الوسائل والسبل والأدوات .. إنه يجتهد لصياغة "البديل" ، بديل "التخلف الموروث ، و "الوافد التغريبي" الضار بتميز الأمة الحضاري .. وفي هذا الميدان تأتي الجهود المبذولة في حقول أسلحة المعارف والعلوم ، والاجتهاد لمستحدثات العصر الذي نعيش فيه ، والنظر في الحضارات الأخرى للتفاعل والاستفادة والاستلهام .. إنهم يصوغون للبعث الاسلامي مشروعه الحضاري البديل ..

● والتيار الانقلابي : هو ثاني التيارين الرئيسيين في حركة اليقظة الاسلامية المعاصرة .. يتعجل امتلاك "السلطة والدولة" ، ويسعى إلى ذلك ـ وخاصة جماعاته الشبابية الجديدة ـ بالثورة والانقلاب على "كل الواقع المعاش" .. فلديه من "الحماس والحركة والجهاد" أكثر مما لديه من "الفكر والاجتهاد ؟!



ابو الأعلى المودودى

ولهذا التيار الانقلابى ، بفصائله المتعددة ، أنساب وصلات فكرية بالأستاذ "أبو الأعلى المودودى" [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] .. الأمر الذى يجعل دراسة "سبيل البعث الإسلامى" عند المودودى قضية من قضايا الحوار الفكرى مع "الاسلاميين - الثوريين - الانقلابيين" .. فماذا لدى العلامة المودودى فى هذا الموضوع ؟؟ ....

إن بعضا من دارسى المودودى يرون أن حديثه عن "الانقلاب الاسلامى" - وله كتاب عنوانه : [منهاج الانقلاب الإسلامى] - لايعنى أنه كان "ثوريا" ، بل ولا حتى "انقلابيا" "بالمعنى الشائع ، أى الهيمنة على السلطة والعمل بوسائلها .. فاستخدامه - فى رأيهم - لتعبير "الانقلاب" - لم يكن موفقا ، والأجدر بالتعبير عن وسيلته مصطلح "التحول" .. فتركيزه إنما كان على التعليم والدعوة .. (١) وليس على وسائل "الثورة" وأدوات "الانقلاب" ..

وبعض من رفاق المودودى ، الذين عملوا معه ، يذهبون نحو هذا المذهب ، ويرون أنه كان "يرفض مايسمى بالأساليب الثورية ، ويؤكد أنه من الممكن تحقيق البعث الإسلامى من خلال تكتيك آخر .. أكثر تعقلا وأكثر ترويا ، تتم فيه دراسة النظام السائد بهدف استكشاف ماهو بغيض فيه ، ومن ثم فهو يستحق التغيير ، وما هو صحى ، ومن ثم فهو يستحق الحفاظ عليه ..(٢)

ورغم تقديرنا لوجهة النظر هذه ، فإننا نعتقد أن المهمة التى نهض لها الأستاذ المودودى ، ماكان يمكن لواع بخطرها وخطر أعدائها - ولقد كان الرجل واعيا بذلك كل الوعى - أن يظن أو يتوهم إمكان إنجازها بدون التغيير الجذرى والشامل ، أى الانقلاب العميق .. وذلك بصرف النظر عن التسميات .. انقلابا .. أو ثورة .. أو تغييرا جذريا وشاملا من الأعماق ! ..

ثم ، إننا نميل إلى التمييز ، فى مراحل دعوة الأستاذ المودودى ، بين المرحلة المبكرة - والتى نعتقد أنه كان فيها داعيا للثورة - وبين المرحلة المتأخرة ، بعد قيام باكستان ، وهى التى مال فيها إلى الطريق الإصلاحى ، سبيلا للتغيير الشامل والجذرى الذى لم يتخل عنه أبدا ..

● تغيير شامل ●

لقد كان الهدف واضحا ، لا مجال فيه لخلاف .. التغيير الجذرى والعميق والشامل .. ولم يتغير هذا الهدف طوال حياة المودودى النضالية .. كما كان مفهومه للانقلاب وللثورة متميزا عن مفهوم



الحركات الثورية الأحرى لهذه المصطلحات .. فهو يريده تغييرا جذريا عميقا وشاملا ، لكن فى تدرج وأناة تتيح لبذور التجديد أن تنمو نموا طبيعيا فتؤتى أنضج الثمار .. فعنده "أن كل انقلاب سياسى لاترسخ أصوله فى العقلية الاجتماعية والأخلاق والتمدن ، يكون كالنقش على سطح الماء ، ولئن قدر لمثل هذا الانقلاب أن يتحقق ويتم بأسباب مؤقتة وقوة عارضة ، فلا يمكن أن يبقى الى بعيد ، بل يمحى عن قليل ويزول ، وإذا زال لم يخلف وراءه من أثر يذكر" !(٣)

والإصلاحات الجزئية لن تقود إلى الهدف العظيم المنشود : تجديد الواقع الاسلامى بالاسلام .. ذلك "أن مشروعا من مشاريع الإصلاح الجزئى لايكاد يجدى شيئا فى هذا الشأن . وقصارى ما يمكنكم بإنشاء المدارس الدينية وتلقين الناس الشهادتين والصلاة ووعظهم بالاقلاع عن الفسق والعصيان ومحاربة الفرق الضالة ، أن تحولوا بعض الحيلولة دون مصير الدين الى الهلاك ، وتمسكوا بعنانه حتى ينسأ فى عمره قليلا ، وتحظى الحياة الدينية العامة بأنفس قليلة أخرى . ولكن كيف يرجى من مثل هذه التدابير ، أن تعلو كلمة الله وتذل بإزائها كلمات الجاهلية ؟ وذلك أن الأسباب والعلل التى مازالت الى اليوم تعمل على قهر كلمة الله واعلاء كلمات الجاهلية ، تبقى قائمة حية فى هذه الحال ، وكذلك إذا أردتم أن يبقى النظام الحاضر قائما على أسسه وقواعده الحاضرة ، ثم تصلحون مفسدة من المفاسد الموجودة اليوم فى أخلاقكم واجتماعكم أو عشرتكم أو إدارتكم أو سياستكم ، فإن ذلك لن يتحقق بحيلة من الحيل أبدا ، لأن كل شىء منها قد تولد من المفاسد الأساسية لنظام الحياة الحاضر ، ورضع بلبنها ، وتربى فى أحضانها ، وكل مفسدة منها مستندة إلى مفاسد كثيرة أخرى . فلابد لإزالة فساد شامل للحياة كلها من برنامج جامع يقوم بعمل الإصلاح من الجذر الى الفروع بغاية من الاتزان والتناسب .."(٤)

وهذا الاصلاح الجذرى والعميق والشامل ، ليس بالضرورة أن يكون "مسلحا .. وعنيفا" بل لقد مال المودودى الى الطريق "السلمى" لتحقيق هذا التغيير .. وضرب المثل بما أحدثه الاسلام الأول فى المجتمع العربى من تغيير عميق ، بالأسلوب السلمى .. فعنده أن المؤرخين قد غابت عنهم حقيقة الطبيعة السلمية للانقلاب الاسلامى فى عصر النبوة ، فظنوه ، بسبب الغزوات ، "قد حدث بالحروب والمعارك الدامية" .. لكن هذه الحروب التى لم تستمر إلا بضع سنين .. والمعارك التى لم يقتل فيها إلا ألف وبضع مائة رجل من كلا الجانبين ، ماكان باستطاعتها أن تحدث "هذا الانقلاب العظيم .. وإذا كان لك علم بتاريخ الثورات فى العالم ، لما وسعك إلا الاعتراف بأن هذا الانقلاب ، الذى ما أريق فيه الدم إلا تحلّة للقسم ! ، جدير بأن يسمى انقلابا سلميا !"(٥)

هذا عن أهداف الانقلاب الاسلامى .. وأسلوبه ..

أما قضية "الثورة" فى فكر المودودى ، المتعلق بأداة البعث الاسلامى ، فليست خاصة بعمق التغيير وشموله .. فموقفه من هذا الأمر لم يتغير ولم يطرأ عليه تبديل .. لكن الذى طرأ عليه التعديل هو إيمانه بالديمقراطية وأدواتها سبيلا لهذا الانقلاب ..

ففى المرحلة الأولى .. مرحلة المواجهة مع الانجليز والهنادكة .. وعندما كانت الأغلبية هندوكية ، لم يكن المودودى من أنصار الانتخابات ، سبيلا للتغيير ، لأن ثمرتها ، وهى سلطة الأغلبية ، كانت مرفوضة منه ، لأنها ذات "الحاكمية الجاهلية" .. فكانت نبرة الثورة ملحوظة فى أدبياته بذلك التاريخ .. فهو يدعو الى "خلق العقلية الثورية والفكر الثورى" ، وإن يكن بالتدريج ! .. ويقول : "إنه من الواجب مراعاة التدرج من أجل خلق العقلية الثورية والفكر الثورى . إن تقديم الغذاء الزائد عن الحد يحمل الضرر للناس ، كما أن إعطاء غذاء أقل من حاجته يحمل أيضا نتائج سيئة .." (٦)

وفى تلك المرحلة لم يكن المودودى يخفى عدم جدوى "التدابير القانونية" فى الإصلاح .. إذ لابدّ من "الأسلوب الثورى" .. "إنه لا وسيلة أمامنا سوى اتباع الأسلوب الثورى ، وذلك نتيجة لما وصلت إليه الظروف .. ولا مجال الآن لنجاح التدابير القانونية .. فليس أمامنا الآن سوى التضحية بالروح والمال لتغيير مسار الاحداث ... ومادمنا لا يمكن أن نوضح بسلوكنا وعملنا أن المسلمين لديهم القوة والشجاعة لأن يموتوا من أجل حياتهم القومية ، فلن تتغير أية كلمة فى الدستور عن مكانها ، ولن تتراجع سيطرة الدولة القومية الجمهورية ـ [الديمقراطية ذات الأغلبية الهندوكية] ـ العلمانية علينا .. فلو أراد المسلمون الحياة ، فيجب أن يكونوا ـ وخاصة الشباب منهم ـ على استعداد لتقديم دمائهم الزكية رخصية فى سبيل الحياة !"(٧)

وعندما عرض المودودى ، فى تلك الفترة لموقف الاسلام من "مشروعية الثورة" على أولى الأمر من الحكام الجائرين ، نهج "نهجا ثوريا" فى تفسيره للأحاديث النبوية التى رويت فى هذا الموضوع ..

ففى [صحيح مسلم] عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برىء ، ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع ؟!"

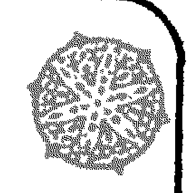
فقالوا ـ [أى الصحابة] ـ : "أفلا نقاتلهم؟!"

فقال صلى الله عليه وسلم : "لا ، ما صلّوا " !

وفى [صحيح مسلم] أيضا ، قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : "شرار أئمتكم : الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم" .. قلنا ـ [أى الصحابة] : يارسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟! " قال : "لا ، ما أقاموا الصلاة .. لا ، ما أقاموا الصلاة !!"

فلما عرض الأستاذ المودودى لتفسير هذين الحديثين الشريفين ، قال : ".. وقد يُظن من الحديث الأخير أو ماقبله أن ولى الأمر إذا أدى الصلاة فى حياته الفردية الخاصة فلا تجوز الثورة عليه لكن المراد بإقامة الصلاة ، فى الحقيقة ، هو إقامة





نظام الصلاة فى حياة المسلمين الجماعية ، فلا يكفى أولى الأمر أن يكونوا مصلين ، وإنما يتحتم عليهم ، إلى جانب هذا ، أن ينظموا إقامة الصلاة ، ويجعلونها قاعدة فى نظام حكمهم ، لأنها الدليل على أن حكومتهم حكومة إسلامية ، وإلا فقد انحرفت عن قالب الحكومة الاسلامية وهذا ما يتضح من رواية أخرى تقول : إن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد عاهدنا ـ من جملة ما عاهدنا عليه ـ ألا ننازع الأمر أهله "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان .." (٨) (٩)

ثم .. هل يتصور لفكر مفكر كالمودودى ، حكم على المجتمعات الاسلامية بأنها قد ارتدت عن الاسلام الحقيقى ، وعادت ـ منذ قرون ـ إلى الجاهلية ، التى زادت طامتها بجاهلية الغرب الحديثة ... وهو يسعى لمجابهة الكفر والردة والجاهلية .. هل يتصور منه ـ فى مرحلة انعدام إيمانه بسبل الديمقراطية وأدواتها ـ إلا أن يكون ثوريا ؟! .. وهل بالاستطاعة تخيل اعتقاد المودودى بإمكانية اقتلاع الجاهلية التى تعشش فى المجتمع منذ عهد عثمان بن عفان ، والتى زادتها جاهلية الغرب الحديثة دعما وخطرا .. إمكانية اقتلاعها "من خلال تكتيك غير ثورى" ؟! ..

صحيح أن المودودى قد تحدث فى كتابات كثيرة عن أن "التغيير ليس له من سبيل ، فى نظام ديمقراطى ، إلا الخوض فى معارك الانتخابات وذلك بأن نربى الرأى العام فى البلاد ونغير مقياس الناس فى انتخابهم لممثليهم ، ونصلح طرق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون أن ينهضوا بنظام البلاد على أسس الإسلام الخالص .." (١٠) .

لكن هذه الكتابات هى فكر المودودى فى مرحلة مابعد قيام باكستان .. المرحلة التى استقلت فيها القومية الاسلامية ، ولم يعد المسلمون فيها أقلية تخشى السيطرة الساحقة للأغلبية الهندوكية .. أما فى المرحلة الأولى ، فلم يكن الانتخاب ولا السبيل الديمقراطى هما طريق المودودى للتغيير ، لأنه كان رافضا للديمقراطية ، بسبب من خطر تكريسها سيطرة الهندوك المهددة لقومية المسلمين بالتشوه والذبول والزوال .. فعندما لم تعد الديمقراطية خطرا على المقومات القومية للمسلمين نهج المودودى نهجا ديمقراطيا إلى التغيير .. أما فى المرحلة الأولى فلقد كان ثوريا !

ومن الكتابات التى تعكس النهج الاصلاحى ، الذى تحول إليه المودودى ، فى مرحلته الأخيرة ، وتصور هذا "المزاج غير الثورى" ، تلك الرسالة التى كتبها أثناء سجنه بالسجن المركزى الجديد بملتان ، إلى السيد تشود هرى غلام ـ [فى رجب سنة ١٣٦٩ هـ ـ ٦ أبريل سنة ١٩٥٠ م] ـ والتى يقول فيها :

"إن مزاج الاسلام يختلف عن أمزجة الحركات الثورية فى العصر الحاضر ... فالاسلام حين يصل الى مرحلة النجاح (أى الحكم) فإنه يتبع سياسة العفو بدلا

من الانتقام والعنف والشدة والقهر والغدر الذى تتبعها الحركات الثورية المعاصرة ... وسياسة الاسلام فى سبيل تغيير النظام الفاسد السابق ، وإحلال برنامج إصلاحى بدلا منه ، هى سياسة تتصف باللیونة والهدوء والتدرج وعدم العنف ، وإنقاذ الحياة الانسانية ، بقدر الامكان ، من التغييرات المفاجئة والطارئة ... لكن ، ليس معنى هذا الامتناع عن رفع المظالم الصريحة الثابتة التى تسود نظامنا الاقتصادى والاجتماعى .. "(١١)

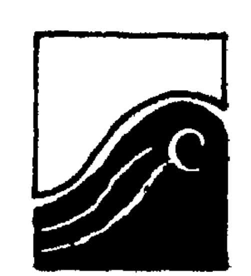
لقد كان قيام الوطن المستقل لمسلمى الهند ـ باكستان ـ حدثا جللا فى حياة المودودى تخيل به أن "الحلم" قد أصبح "واقعا" ! .. فبدأ مرحلة الحنو على هذا "الحلم ـ الوليد" .. ولقد كان يسميها : "بيت الاسلام : " .. وكتب عنها يقول : "إننى لا أعتبر هذه البلاد بلادنا ، بل هى بيت الاسلام . لقد واتتنا الفرصة لأول مرة ، بعد قرون لنقيم دين الله فى صورته الحقيقية ، ونقدم للعالم أجمع المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه . إنها نعمة كبيرة أنعم الله بها علينا ، ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن . إننى أتمنى أن يشعر كل باكستانى بعاطفة تجاه هذه النعمة ، وأن يقدرها حق قدرها ، وأن يحفظها فى قلبه وروحه ، وأن يشعر أنه لا توجد أية تضحية أعظم وأغلى من الحفاظ على هذه النعمة . (١٢) .

هذا عن أداة البعث الاسلامى الجديد ، فى الدائرة الأولى ، المحلية والقومية : .... "تنظيم" مناضل ، ينهض بالتغيير الجذرى والشامل لواقع الأمة ، فيجدد حياتها بالإسلام ، ويقيم الدولة الاسلامية ، التى تجسد هذا البعث الاسلامى الجديد ....

لكن المهمة لا تنتهى عند هذه الحدود .. فالإسلام عند المودودى ـ فكرة انقلابية ومنهاج انقلابى ، لا للوطن فقط ، ولا للقومية وحدها ، ولا للأمة فحسب ... وإنما للعالم بأسره .. و "الجهاد الاسلامى" ـ "بالمفهوم المودودى الخاص" ؟! ـ هو الأداة التى تحمل "الحاكمية الإلهية" و "البعث الاسلامى" إلى كل أرض الله وسائر أرجاء الكوكب الذى يعيش عليه الانسان ! ..

الهامش

(١) [الدعوات الاسلامية المعاصرة] ص ١٦٠ .
(٢) د . خورشيد احمد [نموذج المودودى للبعث الاسلامى] دراسة بمجلة "المسلم المعاصر" ص ١٢ عدد ٣١ ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان سنة ١٤٠٢ هـ .
(٣) [موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه] ص ١١٥ .
(٤) [واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم] ص ١٧٦
(٥) [منهاج الانقلاب الاسلامى] ص ١٢٠ ، ١٢١
(٦) [الأمة الاسلامية وقضية القومية] ص ١٤ .
(٧) [المسلمون والصراع السياسى الراهن] ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٨) رواه البخارى ومسلم .
(٩) [الحكومة الاسلامية] ص ٧٥ ، ٧٦
(١٠) [واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم] ص ١٨٨ .
(١١) [أبو الأعلى المودودى .. فكره ودعوته] ص ١٩٥ ـ ١٩٧ .
(١٢) المرجع السابق . ص ١٤٩ ، ١٥٠



رسالة مرسيه
من
مصطفى نبيل

درس الأندلس
بدلاً من البكاء على الأطلال

تجذب أسبانيا السياح ، لكي يستمتعوا بمناظرها الطبيعية ، تشدهم اليها مصارعة الثيران ورقص الفلمنجو ولكن شدنى إليها عبق الأندلس وريح الشرق ...

نطل على تاريخ العرب فى الأندلس من « مرسية » .. مدينة الزهور كما أطلق عليها ابن الوليد الشقندى .. وهى مدينة مثل غيرها من مدن الأندلس ، ليست قرطبة ، جوهرة مدن الاسلام ، وليست غرناطة ، آخر ما سقط من مدن الاسلام ، ولكنها المدينة التى سكنها المصريون ، الذين ساهموا فى فتح الأندلس تحت قيادة طارق بن زياد ، وجاء اختيارها نتيجة التشابه بينها وبين مصر ، ونقل إلينا المقرى التلمسانى فى كتابه نفح الطيب .. « ومن كور الأندلس الشرقية تدمير ، وتسمى مصر أيضا ، لكثرة شبهها ، لأن لها أرضا يفيض عليها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها كنيل مصر ، وتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبة بعد تدمير تسمى مرسية .. »

واختارها المصريون من جديد عندما شب نزاع بين الفرق العربية ، وأرسل الخليفة الأموى من دمشق الأمير أبو الخطار حسام ، ووزع هذه الفرق على مدن متباعدة ، فذهب المصريون الى مرسية .

وكانت واحدة من مدينتين استقر بهما المصريون فى الأندلس ، أما الثانية فهى مدينة باجه Beja فى الغرب والتى تقع حاليا جنوب البرتغال .

تصوير : فــاروق عبد الحميد

الرحاة تدور ، والأيام تتوالى وحان الوقت لبحــث الحاضر ، والاهتمــام بالمستقبـــل



ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يرحل بعض أبناء مرسية الى الأسكندرية ، عقب خروج العرب من الأندلس ، واليها ينتسب قطب أقطــاب الاسكنـدريـة سيـدى أبوالعباس المرسى ، الذى قضى فيها طفولته ، والتى لجأ إليها عندما فقد والديه خــلال رحلـة الحــج ، وعــاش فى الاسكندرية .

● ريح الأندلس ●

وبلدة مرسية مدينة وادعة ، مثل غيرها من المدن الأوربية البعيدة عن صخب العاصمة ، لاترى من الوهلة الأولى سوى المسحة الأوربية ، ويغلب على طراز مبانيها عمارة حوض البحر الأبيض ، فهى لاتبعد عن ساحل البحر سوى بضعة كيلومترات . تزين ميادينها النافورات والتماثيل وشوارعها فسيحة ، تلمح النشاط والنظافة فى كل ماحولـك ، ولاتستنشق عبير الأندلس ، إلا عندما تصل الى قلب المدينة وأسواقها القديمة ودروبها العتيقة . وتظن أنك فى طنجة أو الدار البيضاء ، فهذا هو المكان الذى شهد الاتصال بين العرب وأوربا والذى تغلغل الاسلام فى بيئتـه العرقيـة والاجتماعية والثقافية وامتزجت فيه الدماء



اللاتينية والجرمانية مع الدماء العربية الافريقية ، وقامت علاقات مصاهرة بين الفاتحين وأهل البلاد ، ونقل لنا التاريخ ، أنه منذ اللحظات الأولى بدأ الامتزاج ، فمثلا تزوج عبدالعزيز بن موسى بن نصير أرملة لزريق آخر ملوك القوط ، وهكذا فعل العديد من العرب فى الأندلس .

وعندما تجلس فى أحد المحال يدهشك ان ترى نقوشا من فن الأندلس مازالت قائمة ، وأبرز معالمها الخط العربى الذى يكرر الحكمة الأزلية « لاغالب إلا الله » .

وأخذت أبحث عن الحمامات الشرقية التى سبق وسجلها الأستاذ الكبير عبدالله عنان ، بعد أن أنجز عملا شاقا لتحقيق كل وقائع دولة العرب فى الأندلس ، ولم يترك قاعدة أو مدينة لم يزرها ، ويدرس آثارها الباقية ، ولكنى لم أجد لهذه الحمامات أثرا . وعندما ناقشت هذا الأمر مع رئيس البلدية أنطونيو بودالو ، قال .. لقد بدأنا الاهتمام بآثار الأندلس أخيرا ، بعد أن تداعى العديد منها ..

وقد اتخذت سلطات المدينة مجموعة من الاجراءات للحفاظ على ماتبقى مثل :

● حظر هدم البيوت الأثرية ، وإذا كانت هناك ضرورة لشق طريق ينحرف الطريق ويبقى المبنى الأثرى .

● الحد من ارتفاع المبانى الحديثة للحفاظ على الطابع الأندلسى التاريخى للمدينة .

● زيادة جهود البحث عن الآثار الأندلسية وترميمها ، وقد تم أخيرا اكتشاف بعض المقابر الاسلامية ، كما عثرنا على العديد من المنتجات الخزفية الاسلامية ، وأقمنا متحفا للخزف الأسلامى » .

● الفيل بين الغنم ●

نقترب فى جولتنا من كاتدرائية مرسية ، التى تظهر للقادم الى المدينة بضخامتها « كالفيل الواقف بين قطيع من الغنم » ، كما وصفها أحد الشعراء ـ وهى تقع فى ميدان صغير على مقربة من النهر .

المكان من حول الكاتدرائية مزدحم فسكان مدينة مرسية يبلغ عددهم ٣٠٠ الف نسمة ، وتصل مساحتها الى ١١ الف و٣١٧ كيلومترا ، وجاء الى مرسية بعد خروج العرب ابناء الشمال الذين ملكوا الأرض ، مشكلين ارستقراطية زراعية ..

أقيمت هذه الكاتدرائية على عدة مراحل ، بدأت منذ أواخر القرن الرابع عشر ، وهى تنقسم الى قسمين بطرازين متباينين ، برج الكنيسة وفيه يختلط فن العمارة الأندلسى بالفن القوطى ، أما التوسعات التى أضيفت فيغلب عليها طابع عصر الاحياء الأوربى ، وحافظت الكاتدرائية على الكثير من النقوش والأقواس والزخارف العربية ، ومازالت ترى بعض ابوابها النحاسية الضخمة

والأعمال الخشبية التى تشى بطراز وذوق عربى رفيع .

ولايفوتك ان تلحظ التضارب فى المنظر أمامك ، وكأنك تنصت الى تغم شاذ وسط سمفونية رائعة .. فقد تحول الجامع الى كنيسة عام ١٢٦٦ م ، أى بعد ٢٣ عاما من هزيمة عرب مرسية ، ثم هدمت أجزاء منها وأعيد بناؤها ، واستمر البناء يتعرض للاضافة والهدم حتى القرن السادس عشر اما الواجهة التى يغلب عليها طراز عصر الاحياء فقد شيدت فى القرن الثامن عشر ..

وأمام الكاتدرائية تتوالى صور التاريخ ..

● أكمل طارق بن زياد وموسى بن نصير فتح شبه الجزيرة ، وقام عبدالعزيز ابن موسى باستكمال الفتح ، فتوجه الى جنوب شرق أسبانيا ، وبدأ بمالقة ثم قصد غرناطة ، واتجه بعد ذلك الى مرسية التى كان يحكمها الحاكم القوطى الذى تطلق عليه المصادر العربية تدمير بن عبدوش .

● ويروى ستانلى لين بول قصة وصول العرب الى مرسية بقوله : « دافع أميرها عن المدينة فى شعابها ، ودمر جيشه تدميرا كاملا ، وفرّ مع خادمه الى مدينة اوريون ، وهناك فكر فى مواجهة المأزق عن طريق المكر والحيلة ، فجمع نساء مرسية والبسهن ثياب الرجال ووضع الخوذ على رءوسهن ، وأمرهن ان يضعن شعورهن كاللحى ، وحمل راية الهدنة ، وأحسن القائد استقباله ، وقال .. قدمت لأفاوض فى شروط تليق بعظيم تسامحك ، فعدنى ان يبقى ابناء المدينة احرارا ، اسلمها اليك ، فقبل القائد ، وعين الأمير حاكما فى مرسية ، التى أطلق عليها العرب هذا الاسم ، فالعفو عند المقدرة احد شعارات الفروسية العربية .

● وازدهرت احوالها مع ازدهار الأندلس وعانت ما عانته الأندلس من منازعات ايام ملوك الطوائف ، كما أصبحت امارة مستقلة يحكمها أمير ، وحكمها الشاعر أبوبكر محمد بن عمار الذى كان أديبا مثقفا ، والذى لم يغفل رغم ولعه بالشعر والأدب عن تحصين المدينة بجيش قوامه خمسة آلاف فارس .

● المتحف المسكون ●

اتجهت من الكاتدرائية الى النهر ، بعض الأماكن التى امر بها متحف مسكون يعود للعصور الوسطى ، وتلحظ على الضفة الأخرى من النهر بعض المبانى القديمة ، مبانى حجرية ذات طابقين أو ثلاثة ، والى جانب الجسر الحديث قنطرة حجرية اخرى اندلسية الطراز ، تصل المدينة بضاحية سان بنيتو التى بها مسرح مصارعة الثيران ، الذى يقوم على الطراز الرومانى ، فهنا ترى مراحل التاريخ جنبا الى جنب ، المسارح الرومانية والمعمار القوطى وعمارة الأندلس وعصر الاحياء الأوربى ، كأنها الطبقات الجيولوجية التى تجسد مراحل التاريخ ..



دروس الأندلس

وعندما تتجه الى الشمال الشرقى ، تجد اطلال حصن أندلسى قديم ، يطلق عليه حصن « مونتى اجورو » ويقع فوق ربوة عالية تشرف على الحقول ، وتدل اطلاله على أنه كان يوما احد المراكز الدفاعية الامامية لمرسية .

فهل هو الحصن الذى شهد حصار الوزير الشاعر ابن عمار حينما هاجم مرسية فى عصر الطوائف عام ١٠٨٧م ــ ٤٧١ هــ حاكمها أبو عبدالرحمن بن طاهر وانتصر عليه ؟

أم لعله الحصن الذى بويع فيه بالامارة محمد بن يوسف بن هود ، وخرج اليه ابوالعباس بعساكر مرسية ، فهزمه ابن هــود واعتقله ، ودخــل مرسيــه عام ١٢٢٨ م ، وهو يرفع راية سوداء عباسية ، ويعلن مسيرته لاسقاط حكم الموحدين ، وكانت هذه هى البداية ، واتسع نطاق حكمه وشمل اواسط الأندلس وغربها ، وكانت أخر محاولات توحيد سلمى للاندلس فى مواجهة الأعداء .

فبعد سقوط قرطبة هرع اليها ابن هود مع قواته لانقاذها ، ولكنه فشل ، فاذا كان قد نجح فى اسقاط حكم الموحدين فإنه عجز عن الحصول على ولاء ملوك الطوائف المختلفين ، وانتهى بــاغتيــالــه من أحدهم ! .

تشاهد من فوق التل حدائق البرتقال والليمون والزيتون الذى أدخله العرب ، وتقف اشجار النخيل شامخة بعد ان ادخلها العرب الى اوربا .

● الوجوه والكلمات ●

ومازالت اللغة الاسبانية تحمل بقايا الكلمات العربية ، فبلدة سيزارى التى زرتها هى القيسارة بالعربية ، والفندق الذى نزلنا فيه هو فندق الشورى ، ومن أثار اللغة العربية ألف لام التعريف فى العديد من الكلمات ، وحتى عندما يقولون فى مصارعة الثيران الكلمة الشهيرة « أوه ـ ليه » أصلها لفظ الجلالة « الله » الذى يطلقونه استحسانا .

فاذا كانت اللغة الأسبانية اشتقت فى اصولها من اللهجات الأيبيرية واللاتينية ، فإنها اضطرت حتى القرن التــاسع الميلادى ـ كما يقرر ليفى بروفنسال ـ الى ان تأخذ من اللغة العربية كل ماينقصها .

فمثلا تطلق كلمة الفارس Alfaraz العربية على الملازم ، ولايزال يطلق على مقدمة الجيش الطليعة Atalaya ، ويطلق على رئيس البلدية لفظ القاضى Alcaide ، ويطلق على الموظف المكلف بضبط المكاييل والموازين اسم المحتسب Almotacen ...

هذا علاوة على الأسماء العربية الأخرى المنتشرة ..

● دوران الرحى ●

وتقودنى جولتى الى منطقة لانورا ، التى يقصدها السياح لمشاهدة إحدى

الطواحين الكبيرة التى تنقل المياه الى المستويات العليا ، والتى تكشف الآثار الباهرة لقنوات الرى التى مدها العرب ، والتى اصبحت احد معالم المدينة ، والطاحونة تشبه ساقية الفيوم ، وهي مثل الرحى التى يدفع الماء عجلتها الضخمة وهى تعمل اليوم لفرجة السياح لا للرى ..

وأمام دوران الرحي تتداعى صور سقوط الأندلس ..

لقد سقطت مرسية بين عامى ١٢٣٨م و ١٢٦٠م ، فبعد أن استولت مملكة أرجون على بلنسية ودخلها ملكها فى التاسع من اكتوبر عام ١٢٣٨م ، تم الاستيلاء خلال أعوام قليلة على سائر القواعد القريبة منها ، ولم يبق من قواعد شرق الأندلس سوى مرسية .

وبعد مقتل ابن هود الذى كان قد جعل من مرسية مقرا لإمارته ، بايع أهلها ولده أبابكر ، وسرعان ماثار عليه عدد كبير من



تقع مقاطعة مرسية على البحر ، أما مدينة مرسية ففى الداخل ، وهذه لقطة لإحدى مدنها الساحلية



علماء مرسية ، وادرك أهل مرسية ، أن سقوط كل قواعد الشرق وضعها أمام قدرها المحتوم ، واتجه بعض شيوخها الى ملك قشتالة يعرضون عليه الصلح ودفع الجزية ، وتسلمها الفونسو ولى عهد قشتالة صلحا يوم ٢ ابريل عام ١٢٤٣ م .

ولكن سرعان ما أعلن الأهالى خلع طاعة ملك قشتالة ، وينقل لنا ابن عذارى هذه الفترة بقوله .. « إن أهل شرق الأندلس كانوا قد صالحوا الروم بمال معلوم ، يدفعونه فى كل عام ، وأعطى أهل مرسية قصبتهم للروم ، فلما ذاع فيهم ضرر الروم وأذاهم ، أخرجوهم بالقتال .. »

فعاد خايمى الأول ملك أرجون وضرب الحصار عليها ، وبذل كل جهد للتضييق على أهلها ، واستمر الحصار بضعة اشهر ، وبسقوطها فى فبراير عام ١٢٦٦م سقطت آخر قواعد شرق الأندلس ، **وانتهى حكم المسلمين لها ، واصبح حكم العرب محصورا فى غرناطة ، عندما استبد بالعرب شغف بالأنتحار ، فبدل أن يتجمعوا لصد الأعداء ، أخذوا يبددون قواهم فى محاربة بعضهم بعضا .**

● بين مشهدين ●

ويلخص تاريخ الأندلس مشهدان .. **بينهما تاريخ حافل بالمجد والصراع ، والذى تسمع فى كل صفحة من صفحاته قعقعة السيوف وصليل الرماح .. وترى فيه ازدهار أهم المنارات الثقافية فى القرون الوسطى .**

وبين المشهدين مساحة تاريخية تبلغ ٧٨٠ عاما ..

● المشهد الأول : طارق بن زياد يقود قواته القليلة العدد والعدة عام ٧١١م - ٩٢هـ ، قرب الصخرة التى حملت اسمه ، بعد أن عبر بحر الزقاق - مضيق جبل طارق فيما بعد - فى مواجهة الجيش القوطى بقيادة لزريق ملك القوط ، والذى تزيد قواته ستة اضعاف على قوات طارق ..

يتحدث طارق فى صوت هادىء .. «أيها الجند ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، وليس لكم سوى الجلد والصبر والقتال .. »

وسارت قوات الاسلام حتى تخطت جبال البرانس .

● المشهد الثانى أبو عبدالله آخر ملوك الطوائف يوقع مع الملك فرديناندو والملكة إيزابيلا فى ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١م - ٨٩٧هـ ، إتفاقية تسليم غرناطة ، ويسلم مفاتيح المدينة ، ويغادر غرناطة يترك قصوره متوجها الى الجبال ، وفوق حد التلال ... « رأى المروج النضر أبراج قصر الحمراء ، ومنائرها وبساتين غرناطة ، فأجهش بالبكاء ، عندئذ قالت له مه عائشة :

إبك مثل النساء ملكا مُضاعاً ..
لم تحافظ عليه مثل الرجال .



تنتشر النقوش الاندلسية فى مبانى اسبانيا الحديثة بعد
أن دخلت فى مكونات الحضارة الأسبانية المعاصرة .



وبين المشهدين ، عاشت الأندلس في صراع مع شمال أسبانيا ، بعد ان اقتصر الفتح على ثلاثة أرباع شبه الجزيرة الايبيرية ، واخذ الحكم العربي يتقلص حتى سقطت غرناطة ، وعاشت الأندلس مسرحا لحروب متصلة بين ملوك الطوائف ، تحالف خلالها البعض مع الأعداء لمواجهة المنافسين ! .

● الشرق والغرب ●

وماذا بشأن السياق التاريخي الذي تمت فيه هزيمة الأندلس .. ؟ لقد وقعت في ذروة للصراع بين الشرق والغرب ، الذي امتد على جبهة عريضة هي امتداد عالم الاسلام ، وقد تساقطت مجموعة من القواعد في أطراف العالم الاسلامي .

فبعد سقوط مرسية التي عشنا بين آثارها وقلبنا صفحات تاريخها ، اتجه الملك خايمي نحو الشرق منضما الى الحملات الصليبية عام ١٢٦٩م ، ووصلت قواته الى حيفا بفلسطين وانضمت إلى القوات الصليبية .

فبعد وصول الزحف الاسلامي آخر مداه خلال القرن الحادي عشر ، بدأت الحملات الصليبية تتجه إلى الشرق ، وتسهم في حرب «الاسترداد» الأسبانية ، وعلى جبهة أخرى بدأت جورجيا توسعها على حساب الامارات الاسلامية والتي سيطرت على القوقاز من البحر الأسود حتى بحر قزوين ، واستعاد الصليبيون سردينيا وصقلية واستولت الجيوش الصليبية على أجزاء من سوريا وفلسطين .

وجاء الرد من الدولة العثمانية التي اخذت تتوسع في شرق أوربا ، وكان أول هجوم جدي على القسطنطينية عام ١٣٣٧م ، وكان التقدم العثماني في البلقان يدفع البابا إلى إطلاق النداءات وتعبئة العالم المسيحي ..

وخلال هذه المرحلة تحقق التوحد والمركزية بين الصليبيين ، اما عالم الاسلام فقد كان يعاني من التشرذم والفرقة ، وبينما كانت الأندلس تتاكل ، كانت مصر تتصدى للخطر الصليبي ، ونجحت في إفشال الحملات الصليبية في الشرق ..

وانتقلت خلال ـ هذا الصدام ـ أراض واسعة بسكانها من طرف الى طرف ، بكل ما تحمله من آلام وتأثيرات ..

واستمرت ذات العوامل تدفع الدولة المسيحية لمواصلة الصراع ، وإن استبدل المخطط الواحد الهادف الى توسيع عالم أوربا المسيحي ، بمخططات سياسية تديرها كل دولة أوربية على حدة ..

وفي هذه الأثناء شهد الجانب العربي من حوض البحر الأبيض توازنا

مؤقتا بين الاسلام والمسيحية ، عاش خلاله المسلمون في وهم إمكان قيام تعايش سلمي ، ولكن سرعان ما تبدد الـوهم وتجددت الـروح الصليبية وغيرت التوازن .

وعاش خلال هذه الفترة المؤرخ الكبير ابن خلدون ، وخامره شعور جارف أنه يعيش نهاية العالم ، فأمامه دولة إسلامية تتصدع ، وزراعة تتقهقر، وتجارة تتوقف ، وحكام ينعزلون وينغلقـون في إمـاراتهم ، وكـان المسلمين يقدمون انفسهم للفاتحين ..

فاحتلت الجيوش الأيبيرية آخر مركز للقوة الاسلامية ، بدات الضربات تتوالى ، ونقل البرتغاليون الحرب الى افريقيا ، وبعد احتلالهم مدينة سبتة على الساحل المغربي ، استولوا على طنجة والدار البيضاء ، واوقف إنتصار المغاربة في معركة القصر الكبير عام ١٥٧٨م الزحف البرتغالي الذي سعى الى الالتفاف حول عالم الاسلام .

كما تعقب الأسبان المسلمين واحتلوا بين عامي ١٤٩٧م و ١٥١٠م سلسلة من المدن الساحلية في شمال افريقيا امتدت من مليلية حتى طرابلس في الشرق ، وادى ظهور القوة البحرية العثمانية في البحر الأبيض ، إلى تخلى الأسبان عن اية محاولة لغزو افريقيا ، واحتفظوا ببضع نقاط على طول الساحل المغربي التي مازالت خاضعة للاحتلال الأسباني حتى اليوم

● البكاء على الأطلال ●

ونتساءل .. هل حان الوقت لتقوم مدرسة تاريخية عربية ، لا تسمح بتفسير التاريخ بمعايير احادية تعبر عن الحضارة الاوربية .. ؟

فمعظم الأدبيات والدراسات التي تتناول الاندلس ، يغلب عليها البكاء على الأطلال ، وتتضمن بعض هذه الكتابات بصورة غامضة احيانا وسافرة احيانا اخرى ، المطالبة بالعودة إلى الأندلس كاحدى صور الهروب الى الامام ، وتجنب المعالجة الجادة لما يواجه الفكر العربي من قضايا ، تستغرقهم احلام مجد غابر ، ويعيشون اسرى أهداف مستحيلة لعصر مضى ، وبدلا من الدفاع عن ما تبقى لهم ، ومواجهة ما يتهددهم من تحديات ، وبدلا من مواجهة الصليبية في ثوبها الجـديـد ، التي تنـازع الشعـب الفلسطيني حقه في وطنه ، وبدلا من تحرير الاراضي العربية على طول الساحل المغربي والتي تمتد من سبتة حتى جزر الزعفران التي تقع على نهر الملويه عند الحدود الجزائرية فإنهم يستكينون للأوهام . !

فقد حان الوقت للتخلي عن تلك الأحلام الغامضة التي سبق أن دفعت الدوتشي إلى نهايته عندما استولى على ليبيا على أمل إحياء الامبراطورية الرومانية القديمة .



درس الأندلس

وعلى العقل العربى أن يستوعب عبرة الأندلس ، وكيف ازدهرت عندما تفاعلت مع من حولها ، وتآكلت بالعزلة ، مما يؤكد أن الفكر يزدهر بالحرية ، والعقل ينمو بالتفاعل الخلاق ، فقد ساهم فى حضارة الأندلس كل من العرب والبربر وسكان

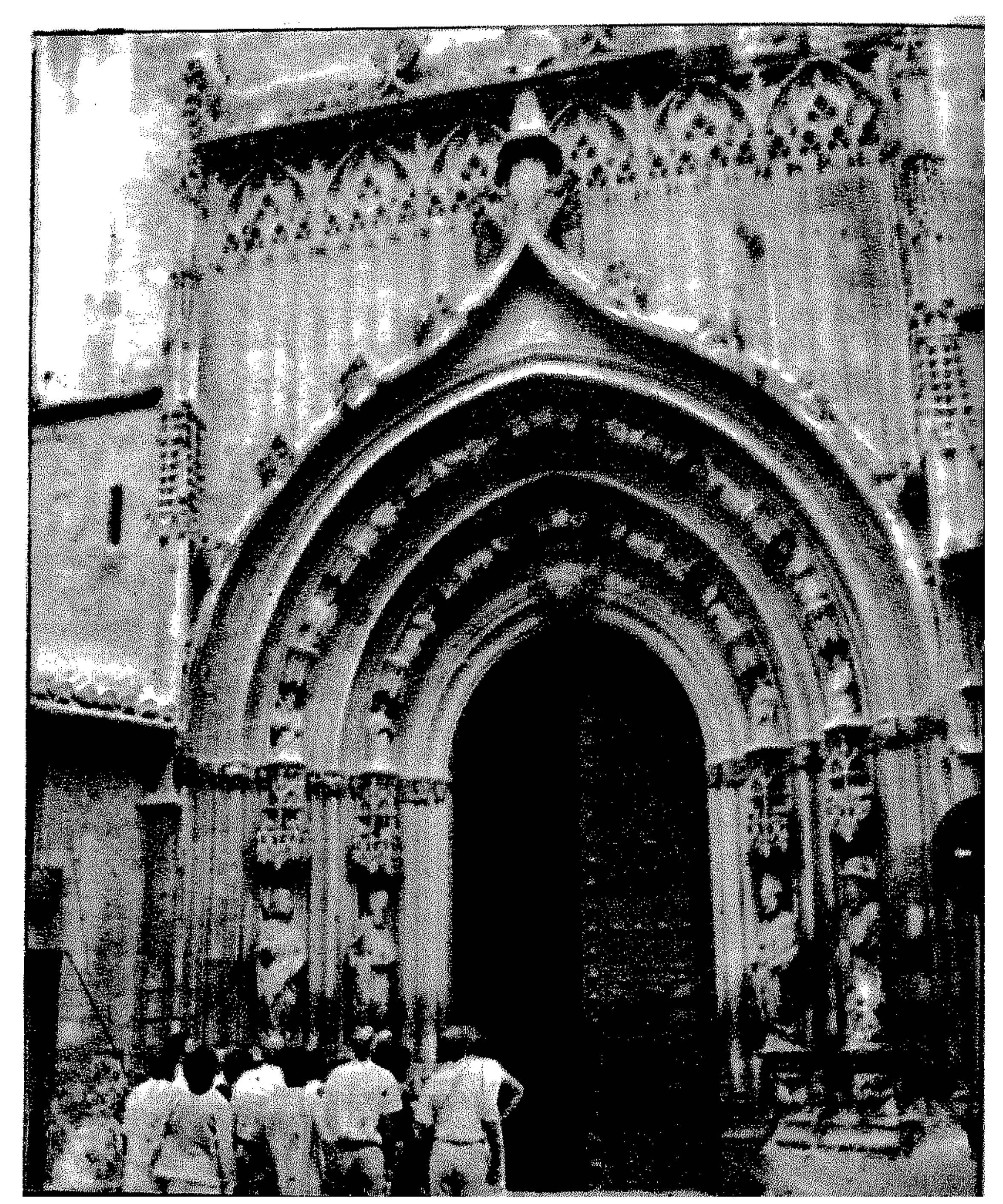
عثر علماء مرسية على مجموعة من الخزف الاسلامى ، واقيم لها متحف خاص .

البلاد الأصليين ، وتكاد تكون الحضارة الوحيدة التى ساهم فيها أبناء أسيا وأفريقيا وأوربا ، والحضارة التى عاشت

فى ظلها كل الأديان ، فى صداقة وحسن معاملة ، لم تعرفها أوربا القرون الوسطى .

وانهارت دولة الأندلس كأحدى نتائج التشرذم والفرقة أمام ملوك الطوائف ، يوم نشب الصراع بين القومية والدين ، بين المسلمين الأسبان وغيرهم من المسلمين ، يوم كانت معاول التعصب والتزمت ـ قبل الأعداء تساهم فى انهيار هذه الدولة .

زوار أسبانيا أمام إحدى كنائس مرسية



العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز

كما تعبر عنها كنوز متحف الفن الإسلامى

بقلم : أحمد أبو كف

فى ذكرى المولد النبوى الشريف ، عندما يذهب الكثير من المسلمين لأداء العمرة نقترب من العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز ، وهى علاقات مؤكدة ترويها كتب التاريخ ، كما يرويها امتزاج الدم بالحياة على الأرض المقدسة .

وإذا كانت العلاقة بين مصر والحجاز قديمة ، فالمؤكد أن المصريين هم الذين بدأوا بعبور البحر الأحمر ، الذى سموه « بحرحور » ، إلى الضفة الشرقية ، بحثا عن المراكز التجارية التى كانت محطات لمنتجات الشرق من البخور والعطور والعطارة ، وهى سلع دينية إن صح التعبير ، كانت المعابد الفرعونية فى حاجة إليها .

ومن المؤكد أن العلاقة كانت وطيدة قبل ظهور الإسلام ، ويدل على ذلك ماذكرته كتب التاريخ من أن نصرانيا مصريا ، نجارا ، اشترك فى بناء الكعبة ، بعد أن دمرها السيل ، وكانت الكعبة تتكون من أخشاب النخل وبعض المنسوجات . كما أن القباطى أو نسيج مصر ، استخدم فى بعض الفترات كسوة للكعبة .

أما فى العصر الإسلامى فلقد شملت وامتدت العلاقات المصرية والحجازية ، بل ان المنطقة دخلت فى فترات تحت الحكم المصرى .. وكان ولاة مصر وسلاطينها يحملون ألقاب حماة الديار المقدسة ، وكان الوالى أو السلطان يعتبرها من الفروض عليه أن يساهم فى توسعة وترميم المشاعر المقدسة . وكانت الكسوة ، تخرج من دار الكسوة كل عام فى احتفال مهيب على المحمل .. الذى كان ينتظره أهل المشاعر المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة من عام إلى عام .

وليست الكسوة وحسب هى التى تخرج من مصر إلى الحجاز ، فقد كانت مفاتيح الكعبة تصنع بعضها فى مصر .. كما كانت مصر ترسل « صرة » الحرمين ومواد التموين لفقراء الحرمين .. وتعتبر ذلك فرضا وزكاة ، لاتبتغى من ذلك سوى مرضاة الله .. ومازالت رموز هذا كله محفوظة فى متحف الفن الإسلامى .

وإلى عدة سنوات فقط ، كانت الكسوة تذهب إلى الحجاز .. إلى ان رأت السعودية أن تقيم مصنعا سعوديا للكسوة فى منطقة أم الجور على مشارف مكة المكرمة ، واستوردت له عمالا من باكستان والهند وجنوب شرقى آسيا لعمل الكسوة .

ولاشك أن متحف الفن الإسلامى يموج بالكثير من الآثار الإسلامية التى تعبر عن تلك العلاقة الحميمة والوطيدة بين مصر والحجاز . فهناك العشرات من قطع الكسوة ، على مدى أعوام طويلة .. وهناك الشمعدان والرسوم التى تعبر عن الأماكن المقدسة . وهناك الكثير من الفنون الإسلامية ، التى تعبر عن عمق الروابط .

● أغنى متحف فى العالم ●

فى هذا المتحف .. القطع تتكلم ، تحكى حضارة الإسلام منذ أيامها الأولى .. حين كان الإسلام إسلاما ، وحين كانت الدنيا غير الدنيا . كما تقول السجلات وصل عدد القطع الآن إلى حوالى ٨٠ آلف قطعة .. بينما كان فى سنوات المتحف الأولى حوالى سبعة آلاف قطعة .

المتحف الإسلامى هو أكمل وعاء يعبر عن الحياةاليومية للمسلمين ، حينما نزلت الرسالة على قلوب خضراء روتها



واحدة من القطع النادرة التى يضمها متحف الفن الاسلامى

بالعقيدة ، فأزهرت الصلاح والتقوى وأعلت صوت المسلمين فهزموا الامبراطوريات .

لكن هذه التحف .. إن لم يكن لها نفع الآن فهى تذكرنا بماضٍ ، بحضارة سادت .. ولكن أهلها هدموها بأنفسهم ، حينما تخلوا عن دينهم ، وأغواهم بهرج الحياة الدنيا .

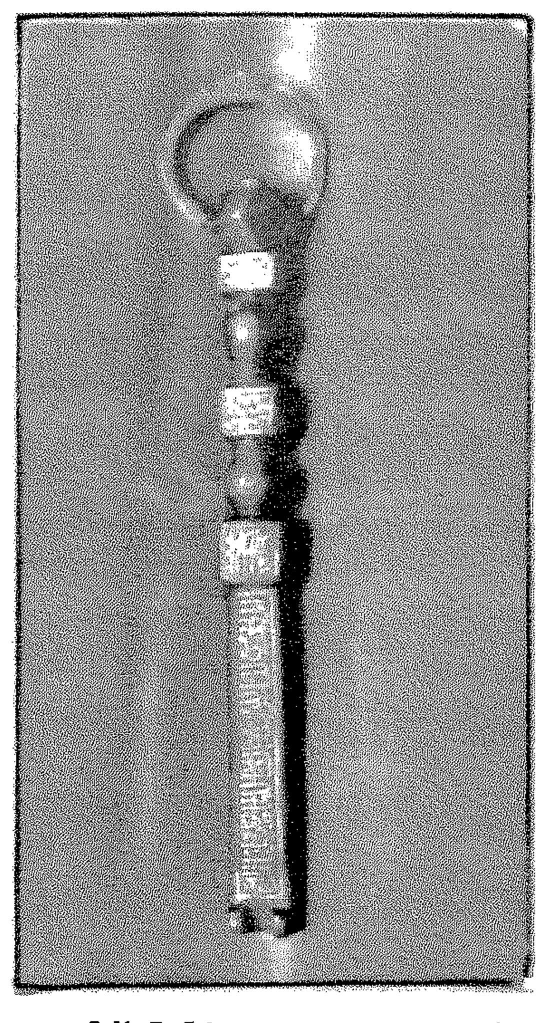
أغنى مجموعة تجدها فى هذا المتحف . بمعنى أن أغنى متحف فى العالم بقاعاته المتنوعة التى تمتلىء بالكنوز .. إنها ليست تحفا صماء .. هى تاريخ حى ينبض بالحياة والخلود .

وبداية التفكير فى اقامة المتحف الإسلامى ، كانت فى الستينيات من القرن الماضى .



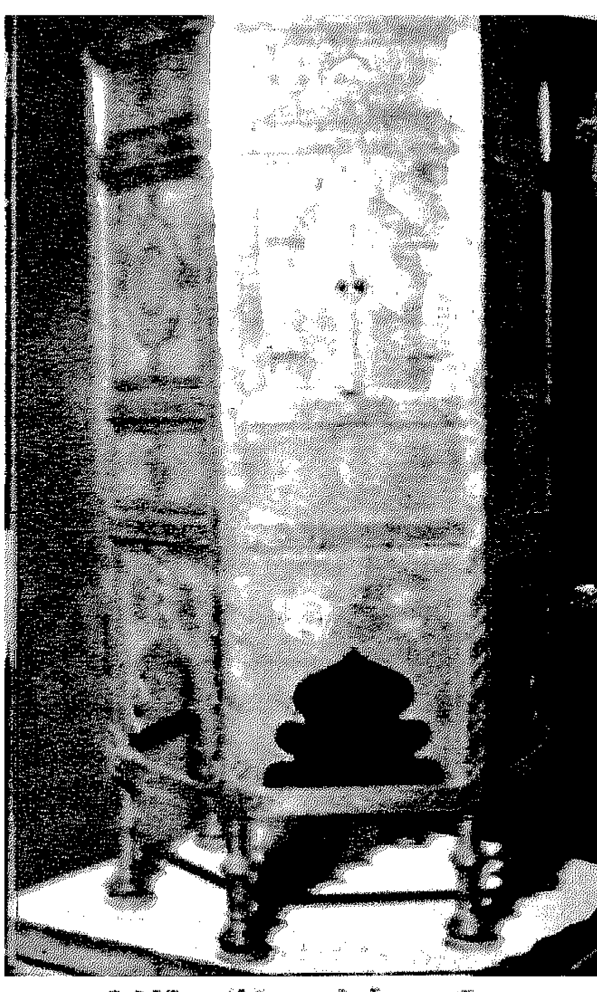
العلاقات التاريخية بين مصر والحجاز

كانت التحف الإسلامية منتشرة في المساجد والبيوت القديمة ، وكانت مصر حينئذ على وشك حدث كبير هو افتتاح قناة السويس .. وكان الخديو اسماعيل يريد واجهة أوربية لمصر . فبإضافة الى قصر الجزيرة ، الذى أقيم على أنقاضه « فندق ماريوت » عبد الطريق من الفندق إلى اهرامات الجيزة . وطوله حوالى ١٠ كيلومترات .. ثم رؤى أن تشاهد الامبراطورة أوجيني وضيوف من الملوك والأباطرة والقياصرة .. متحفا للفن الإسلامي وبالفعل أبدى الخديو موافقته ، وبدأ جمع التحف منذ بداية الستينيات ، من المساجد والبيوت والأسبلة بما فيها من نقوش وأبواب وشبابيك وثريات وقناديل ، وأدوات معيشة منزلية .. لكن التحف لم يتم جمعها إلا بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ . ولهذا صدر فرمان خديوى بعد ذلك عام ١٨٨٠ بإنشاء متحف لوضع التحف فيه تحت اشراف مهندس أجنبي اسمه « سالزمان » . ثم قام مهندس آخر اسمه فرانتز باشا بإعداد التحف وتنظيمها طبقا لتواريخها ، ووضعها في أحد أروقة جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي ، في نهاية شارع المعز عند باب النصر .. وأطلق على الرواق [illegible] دار الآثار العربية . لكن بعد ذلك تشكلت لجنة باسم « لجنة حفظ الآثار العربية » . صارت هي [illegible] عن التحف . فخصصت مبنى في صحن جامع الحاكم بدلا من الرواق للتحف . وسمحت لبناء متحف خاص بالتحف عام ١٨٩٩ في ميدان باب الخلق . وهذا المبنى افتتح عام ١٩٠٣ احتلت جزءا منه التحف والجزء الآخر ، الكتبخانة الخديوية .



مفتاح نحاسي يضم كتابة قرآنية

ولقد بدأ المتحف بمديرين أجانب .. أما أول مدير مصرى للمتحف فهو على بهجت عام ١٩٥١ ثم زكى محمد حسن وقد اتسع نشاط المتحف في عهده . فلم يقتصر على جمع التحف وحسب ، وإنما شمل الكشف أيضا والتنقيب عن التراث الفنى الإسلامى ، والمحافظة عليه .



كرسى نحاسى مكفت بالفضة مزين بكتابة كوفية

ودراسته ، ونشره . كما أجريت الحفائر فى مواقع العواصم الإسلامية القديمة مثل الفسطاط ، والقطائع ، والقاهرة القديمة .

● قاعة الروائع ●

والمتحف الآن يضم ٢٥ قاعة بعد أن وسعت بعض قاعاته نتيجة للمرحلة الأولى من تطويرها فى عام ١٩٨٤ والتى افتتحها الرئيس حسنى مبارك .. وليس فى المبنى الآن سوى دور واحد تحتله هيئة الكتاب .. والمتحف فى انتظار أن تنقل هذه الكتب الى دار الكتب والوثائق على كورنيش النيل ، لكى يجرى ترميم هذا الجزء

وشغله بمجموعات السجاد التى لايزال اغلبها داخل الخزائن .

والمتحف يعرض تحفه حسب المتسلسل التاريخى .. وان كان القائمون عليه ابتدعوا قاعة فى مدخل الباب الرئيسى سموها بقاعة الروائع ، وتشمل بالفعل روائع الفن الإسلامى ، ومنها إبريق مروان ، وشمعدان الناصر محمد بن قلاوون ، وفازة أو زهرية أندلسية عثروا عليها فى بنك ناصر الإسلامى وهى مصنوعة فى غرناطة وتعود للقرن الرابع عشر الميلادى (٨ هجرية) . ولم يعرف احد قيمتها إلى أن وصلت المتحف وكرسى عشاء ينسب للناصر محمد بن قلاوون ويمتاز بصناعته المتمثلة فى فن التكنيت . وهو فن يفرغ الأماكن المراد زخرفتها وصب السائل المراد استخدامه مكان التفريغ .

وحسب التسلسل التاريخى يعرض المتحف الآثار الأموية ، حيث يوجد اقدم شاهد حجرى عليه تاريخ ٣١ هـ . أى بعد الفتح الإسلامى لمصر بحوالى ١٢ عاما .

ثم قاعة خصصت للتحف الفنية التى ترجع إلى العصر العباسى ، ومن أروع الآثار الموجودة بالمتحف فى هذه القاعة مجموعة من الخزف ذى البريق المعدنى .

فى إحدى القاعات أيضا مجموعة الأخشاب المعشقة . والارابيسك تعتبر من أثرى المجموعات فى العالم الإسلامى . وهى توضح فن الحفر على الخشب كما تثبت تفوق مصر فى هذا الفن . ومن أجمل الآثار الخشبية فى المتحف محراب السيدة رقية . ومقصورة الإمام الحسين بن على ومحراب السيدة رقية يتألف من





حشوات مزينة بفروع نباتية رقيقة بارزة ، وكل ست حشوات فيها تمثل شكل طبق نجمى وهو عنصر زخرفى شاع استعماله بعد ذلك حتى تميز به العصر المملوكى ويعتبر محراب السيدة رقية أقدم تحفة إسلامية ظهر فيها هذا العنصر الزخرفى .

يضم المتحف قاعة من قاعاته الجديدة يعرض فيها العملات الإسلامية حتى القرن التاسع عشر . ويعرض لأقدم قطعة عملة فى المتحف وهى الدينار - الذى ضربه الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان عام ٧٧ هـ . بالاضافة الى دينار آخر قديم يعود الى عام ٧٥ هـ ، وهو من الحجاز .

يوجد فى المتحف أيضا أكبر مجموعة من الخزف الايرانى ، والسجاد التركى .

كما يوجد حوالى ٦٠ مشكاة .

● علاقات متميزة ●

وإذا كان المتحف بأروقته وتحفه خير شاهد على تقدم المسلمين فى الفنون ، فهو أيضا خير شاهد على تقدمهم فى العلوم وبراعتهم فى الحروب .

على أن أهم مافى المتحف من وجهة نظرنا هو مايتعلق بالمشاعر المقدسة . فى

بعض قطع الكسوة كانت تعد فى مصر لتوضع على الكعبة المشرفة بمكة

مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهو مايؤكد عمق العلاقات المصرية الحجازية ، والتى كانت فى أغلب فتراتها علاقات متميزة .

ومن هذه القطع الهامة :

١ ـ شمعدان من النحاس ذو تجويف بارز على رقبة ضيقة مزخرفة بكتابة نسخية نصها « هذا ما أوقف على الحجرة النبوية ، مولانا السلطان الملك الاشرف أبوالنصر قايتباى بتاريخ ٨٨٧ هـ (١٤٨٨ م) . وفى قاعدة التجويف حواف بارزة محفورة على هيئة حيل . وعلى الرقبة كتابة محفورة هى نص دعائى باسم قايتباى ، حروفه على هيئة السنة اللهب ، وهى متقاطعة فى القمة ، وتقع بين شريطين صيفين من الزخارف النباتية المورقة والمزهرة . وقاعدة الشمعدان تحفها من أسفل ومن أعلى اشرطة مماثلة من الزخارف النباتية . والجزء الأكبر من الفراغ مملوء بشريط من الكتابة النسخية تتكرر فيها عبارة « الوقف » السابقة .

٢ ـ كرسى من النحاس مخرم ومكفت بالفضة ، وارتفاعه ٨٠ سم . واصله من بيمارستان قلاوون . وفى وسط الكرسى العلوى عصابة مستديرة من الكتابة الكوفية ذات الزخارف والحروف المتداخلة بعضها فى بعض ، والمدببة فى اعلاها كأسنة الرماح . ونص هذه الكتابة ! « عز لمولانا السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون » .

٣ ـ مفتاح طويل من النحاس ، عليه كتابة قرآنية ، وكتابة أخرى نصها : « مما عمل لبيت الله الحرام . أشرف شعبان بن حسين ٧٦٥ هـ . » وكان سلاطين المماليك البرقية يهتمون خالص الاهتمام بالمشاعر المقدسة من منطلق دينى ، كما كانوا يعتبرون انفسهم هم حماة المشاعر المقدسة

٣ ـ لوحة تتكون من ستين بلاطة مربعة من الخزف التركى ، عليها رسوم الكعبة بكسوتها السوداء وسط الحرم الشريف . ويظهر فى الرسم تفاصيل مختلفة من عقود يتدلى منها مشكاوان .

٤ ـ لوح قاشانى عليه رسم الحرم المدنى الشريف باللون الأزرق والأحمر والفيروزى على أرضية بيضاوية ، وكتابة نصها « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فى ١٣ جمادى الآخر ١١٤١ م .

٥ ـ لوحة قاشانى من صناعة رودس من ١٦ بلاطة ، وتكون القبلة ، وبوسطها مستطيل رأسى لونه أزرق ، بداخله رسم الحرم المكى بالأبيض والكعبة بالأسود ، ويعلوها مستطيل أفقى بداخله شرفة أفقية زرقاء عليها كتابة بالأبيض تقرأ « كلما دخل عليها زكريا المحراب » . وعلى باقى الأرضية وعلى الإطار زخرفة نباتية من أزهار وأغصان لونها أزرق وأخضر .

٦ ـ كسوة الكعبة المشرفة ، وكانت دار الكسوة منذ العصر الفاطمى فى مصر تصنع الكسوة بالخرشنف (الخرنفش حاليا) . وكان المحمل يحمل هذه الكسوة كل عام لتسلم الى أمير مكة المكرمة . وكان الأمير يسلمها بدوره إلى حفيد بيت السبتى ، سدنة الكعبة منذ العصر الجاهلى . ومع الكسوة كانت توزع النقود والتموين على كل أهل مكة . وكان أمير الحج المصرى يحمل الصرة لفقراء مكة المكرمة .

إن الدلالات القاطعة تستطيع من مشاهدتها أن تروى تاريخ العلاقة بين مصر والحجاز على مر العصور ، وليس العصر الإسلامى .



محمد سعيد
يكتب من
غرب أفريقيا

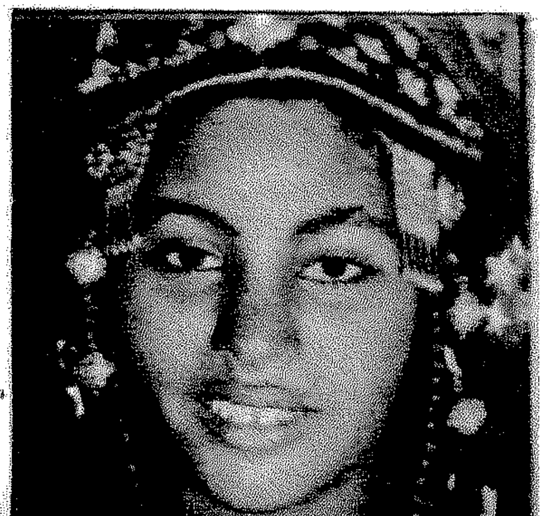
الشخصية الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى

مالي هي نقطة الالتقاء بين الشمال العربي الافريقي والجنوب الافريقي عبر وضعها الجغرافي السياسي في قلب غرب افريقيا مما يجعل لهذا الشكل طبيعة المزج بين الحضارتين العربية والافريقية.

إن افريقيا جنوب صحراء العرب الكبرى تضم أيضا بجانب مالي كلا من تشاد والنيجر وهي غير الأقطار العربية المحيطة بهذه الصحراء من الجنوب أى السودان في الشرق وموريتانيا في الغرب والدول العربية الأفريقية الشمالية مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

لقد ترك هذا الحال الجيوبوليتكي بصمته على الواقع الثقافي لهذه البلدان وفي رحلة قمت بها الى قلب الغرب الافريقي وجدت السؤال الخاص بالشخصية الافريقية جنوب الصحراء يطفو على سطح أغلب المناقشات ليس فقط بسبب ظروف الزيارة ولكن أيضا نتيجة الشعور بقيمة مايترتب على هذا المزج الذى نراه بين الحضارتين العربية والافريقية على هذه البقعة الضخمة من أرض الغرب الافريقي.

وجه عريس من سكان شمال مالي حول العاصمة القديمة "تمبوكتو"



وجه من شمال مالي، شاب من الطوارق ممن يعيشون بجوار العاصمة القديمة



سوق الملابس التي تعقد ظهر يوم
الجمعة في مواجهة مسجد تيجار

 مهرجانات الشباب الغنائية والموسيقية في العاصمة باماكو



الشخصية الأفريقية
جنوب الصحراء الكبرى

لقد بدأ البحث عن شخصية الثقافة الافريقية فى هذه الأرض قبل حقبة الستينيات من القرن الحالى وفى السنوات التى مهدت لنيل الاستقلال فى بداية سنوات الستينيات الأخيرة .

كان السؤال عن الشخصية القومية يمر عبر قنوات عديدة تبحث عن المنهاج وتضع الهدف للوثوب من الواقع عبر المنهاج والوسيلة اليه .. كان السؤال يضع فى الحسبان ماعملته القوى الاستعمارية الأوربية لتفريغ وتخريب وتجريد الشخصية الافريقية من ملامحها وعناصرها من خلال فرض لسان غريب وتقاليد غربية على شعب يتمثل تراثه فى ثقافته الإسلامية التى تبلورت عبر تراث حضارى إسلامى له جذور افريقية عربية هى صاحبة البصمات الأكثر ثباتا ورسوخا فى المشاعر والوجدان وفى المعارف وفى التقاليد والعادات وأيضا فيما يتعامل به الإنسان من لسان عبر لهجات ولغات افريقية محلية .

لقد انعكس بحث الافريقى جنوب الصحراء على شخصيته منطلقا من الفنون والثقافات حيث عرف أن الغرب أراد له البقاء فى دائرة التقليد فإذا رسم كان مزاجه غربيا حتى وان كانت أنامله افريقية سمراء . وإذا كتب ظل فكره تابعه حتى وان كانت مشاعره ممزقة بين رغبته فى الاستقلال وتطلعاته فى مستقبل آخر . وإذا غنى كان تعبيره اللحنى وافدا مع أن موروثاته وايقاعاته هى التى وثب عليها الغرب الأمريكى واخرج منها عبر تكنيك العزف والأداء الحديث ايقاعات ونغمات الديسكو والروك والسامبا والتشاتشا والجيرك وغيرها كان رسم ملامح الشخصية القومية الافريقية يبدأ - كما قال لى المفكر المالى عمر كونارى - يبدأ من الالمام بالواقع والجذور والتراث وهو مابدأته مالى فى مختلف مجالات التعبير عن الانسان فى سنوات الربع قرن الأخير .

● ابن بطوطة والجذور ●

عرف الفكر العربى اسم مالى منذ كتب عنها الرحالة الأديب ابن بطوطة عبر رحلته التى زار فيها غرب افريقيا جنوب الصحراء والتى اوضح تفاصيلها فى المخطوطات القديمة ومنها كتابه الذى يحمل عنوان « تاريخ البربر » . كانت رحلة ابن بطوطة فى عام ١٣٥٢ وفيها تحدث عن مملكة مالى القديمه التى يعود زمن أزدهارها الى القرن الرابع عشر الميلادى عندما عرفت المنطقة الممتدة شمالا وغربا من ساحل السنغال على المحيط الأطلنطى الى بنين (داهومى) جنوبا وفى امتداد منحنى المحيط الأطلنطى فى غرب افريقيا وحيث ضمت مع السنغال وبنين كلا من بوركينافاسو (فولتا العليا) ومالى الحالية (السودان القديم) وغينيا ، وكانت « كاتجابا » عاصمة هذه الامبراطورية ممتدة النفوذ فى الغرب الافريقى والتى صحب ازدهار ملكها نشأة العاصمة « تمبوكتو » مكان العاصمة الأخرى كاتجابا وحيث أصبحت تمبوكتو أحد أشهر مراكز الثقافة الإسلامية والعربية فى افريقيا .. وقد تناول المفكر العربى الكبير عبدالرحمن بن خلدون مكانة تمبوكتو فى انتشار الإسلام وفى تدعيم جذور الثقافة العربية الإسلامية فى كتاباته التى ترجع الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

وفى اتجاه تمبوكتو كانت رحلات التجارة المنتظمة تتجه فى تلك السنوات من الاسكندرية الى سيوه (مصر) وجغبوب وفزان (ليبيا) وعين صلاح (الجزائر) وحتى تمبوكتو عاصمة مملكة مالى القديمة ومن أشهر واكبر هؤلاء التجار الحاج سراج الدين

السكندرى الذى يوجد قبر باسمه فى العاصمة المالية التاريخية « تمبوكتو » ... وغير رحلات التجارة هناك رحلات أخرى سياسية ودينية يسجلها التاريخ مثل رحلة ملك مالى منسى موسى الى الحجاز ومصر فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

ولقد استمر وضوح هذه الشخصية الافريقية عميقة التأثر بالثقافة العربية الإسلامية فى هذه المنطقة من غرب افريقيا حتى خضعت المنطقة للاستعمار الغربى عندما سيطرت فرنسا فى عام ١٨٦٥ على المنطقة وأسمتها السودان الفرنسى وحيث واجه الفرنسيون مقاومة متفرقة تبلورت مطالبها فى سنوات الحرب العالمية الثانية بظهور حزب الوحدة الديمقراطية الافريقية الذى كونه ليوبولد سنغور مع موديبوكتيا واحمد سيكتورى وقد انقسم فكر هذا الحزب الوطنى الى اتجاهين تبعا لمكونات الشخصية الثقافية لزعاماته على النحو التالى :

١ ـ تيار الاستقلال الكامل الذى يستهدف البحث عن الشخصية القومية التى تتخلص من كل مظاهر فترة الاستعمار الغربى وقد تزعم هذا الاتجاه أحمد سيكتورى (غينيا) وموديبوكيتا (مالى) وكلاهما تعلم وتشكل ثقافيا فى المدارس الإسلامية فى كوناكرى وباماكو .

٢ ـ تيار الاعجاب بالثقافة الفرنسية والدعوة الى الاستقلال مع التمسك بتقاليد الثقافة الغربية وهو اتجاه برز فى تعبير من تشكلت ملامحهم التعليمية والثقافية فى المدارس الارسالية الفرنسية وهم ليوبولد سنغور (السنغال) وهوفوييه بوينيه (ساحل العاج) ويامييجو (فولتا العليا) .

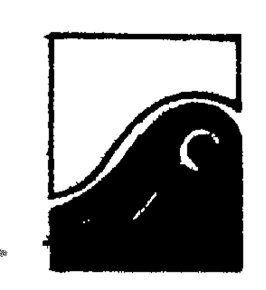
وحدث الانشقاق فى حزب الوحدة الديمقراطية نتيجة لهذا الاختلاف فى الهدف الفكرى وحيث تفاقم هذا الشقاق بعد تصدى فرنسا للتيار الذى يرغب فى الاستقلال السياسى والفكرى وقد ترتب على بروز مطالب الاستقلال الكامل طرح فكرة اتحاد مالى الفيدرالى بين السودان الفرنسى (مالى) والسنغال وغينيا وساحل العاج واتخاذ داكار عاصمة لهذا الاتحاد غير أن هذا الاتجاه الفيدرالى لم يستمر سوى عام واحد حيث انفصلت كل وحدة سياسية واعترفت فرنسا بالاستقلال بعد تفرق هذه الكيانات المتحدة .

● الأصول العربية والجذور الافريقية ●

وكما يعتقد المسلمون الافارقة من الهوسا فى غرب افريقيا خاصة فى نيجيريا انهم يتحدرون من أصول عربية ولهذا فهم يرددون حكايات وأساطير تدعم هذا الاعتقاد ، غير أن هناك من يبرر هذا من علماء الأجناس حيث يتصورون ان هذا الاعتقاد مرجعه مايبقى فى الذاكرة الفلكلورية من الاندماج الذى حدث بين قبائل البربر المسلحة ، التى تحركت من شمال افريقيا مع السودانيين من سكان جنوب الصحراء الكبرى فى القرن الحادى عشر الميلادى غير أن اغلب من راجعوا الأصول التاريخية لدخول الإسلام الى غرب افريقيا ، يرجعون ذلك إلى تأثير العناصر الثقافية العربية الإسلامية التى جاءت مع مقدم عمرو ابن العاص وفتح الاسكندرية ، ثم الاستقرار فى مصر وضمها الى الدولة الإسلامية . وبعد ذلك نجاح فتوحات عقبة بن نافع وطارق بن زياد فى الشمال الافريقى وحيث يرى زويمر فى كتابه « عالم المسلمين » ان الإسلام انتشر فى هذه البقاع ، منذ عام ٦٣٨ عند فتح مراكش ثم المناطق الصحراوية جنوب ليبيا ، وحتى غرب السودان ، وقد سادت هذه الفتوحات والهجرات الإسلامية فى ثلاثة اتجاهات اولها من مصر حتى بحيرة تشاد وثانيها من مراكش حتى جنوب تشاد والثالثة من شمال افريقيا حتى حوض نهر النيجر .

ويتفق أغلب المؤرخين على هذه المسالك الثلاثة التى عبرها المد الاسلامى ، وحيث عرف الناس فى مالى وأقطار غرب افريقيا





الإسلام عبر ثلاثة مداخل امتزج فيها جهد الرحلات التجارية مع جهد الدعاة وتقديم قدوة حسنة من خلال سلوك الرحالة والتجار وكانت الطرق الثلاث لهذه الرحلات على النحو المفصل التالى

اولا ـ طريق مصر من النوبة الى مملكة برنو (ولاية برنو الحالية فى نيجيريا) ومن هذه المملكة القديمة الى البلاد التى تعيش فيها قبائل الهوسا فى غرب افريقيا .

ثانيا ـ طريق القرن الافريقى عبر الصومال والحبشة واريتريا الى قبائل اليوربا والأشانتى .

ثالثا ـ طريق ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الى حوض نهر النيجر .

وقد اضحت معالم دخول الإسلام الى هذه البقاع واضحة فى تاثير عناصر الثقافة

من اعمال الفن التشكيلى لوحة للمصور الفنان اشومانا



د . بكري تراوري وزير ثقافة مالي

العربية الإسلامية ورموز هذه الثقافة ومن ثم مظاهرها في الملابس والمطاعم وتجنب السري المعروف في المناطق المدارية والاستوائية واستعمال السيوف والرماح والدروع والتي تطور استخدامها من حقبة الى اخرى .

وقد فتح القبول بالإسلام في هذه المناطق التسليم بالأساليب الثقافية العربية من معارف ومعتقدات ساعد على الأخذ بها مايتمتع به الفكر الإسلامي من مرونة وقدرة على التفاعل مع تقاليد وثقافات الشعوب التي اعتنقت الإسلام ووجدت في بساطته التي تتبلور في الإيمان المرتكز على أركانه الخمسة من شهادة وصلاة وزكاة وصيام وحج الى بيت الله .

ان عدد سكان جمهورية مالي ـ وهي الحالة التي تخصها بهذا الحديث ـ يزيد على ثمانية ملايين نسمة حسب تقديرات ١٩٨٦ ويدين ٩٠٪ منهم بالإسلام ، والأصول السكانية تضم نسبة كبيرة من الأصول العربية حيث نجد من أصول السكان الطوارق والمور وهم يمثلون ٥٪ من اجمالي السكان وهم من أصول بربرية وعربية يعيشون حول « تمبوكتو » وتعود جذورهم القديمة الى صنهاجة في مناطق تجمعات بربر شمال افريقيا وعرب حمير في اليمن كما يعود البعض بنسبهم الى الفاتح العربي المسلم طارق بن زياد . والفلاقيون ممن يعودون في نسبهم الى الفاتح العربي المسلم عقبة بن نافع ويرجع السبب في هذا النسب الى ان اسلافهم حضروا الى هذه المناطق بعد فتوحات عقبة بن نافع في شمال افريقيا . ويختلف المؤرخون في تحديد اصولهم هل هم من صعيد مصر وبلاد النوبة أم أنهم من قبائل شرق افريقيا في اريتريا والصومال والحبشة ممن جاءوا عبر السودان واستقروا في حوض النيجر وتصل نسبة الفلاقيين الى نحو ٤٪ من مجموع السكان .

أما السنفاى وهم يمثلون ٦٪ من السكان فهم نتاج زواج العرب من زنوج المنطقة . أما النسبة الكبرى من السكان فهم زنوج ماندى ويمثلون ٥٠٪ من السكان وينتمي اليهم البامبارا والسوجيون والسنوفو ، أما البل وهم نتاج زواج البربر والعرب والزنوج فيمثلون نحو ٢٩٪ من مجموع السكان .

وغالبية سكان مالي يتحدثون لغة البامبارا " Bambara " وهي لغة التخاطب الرئيسية بين السكان وكانت تكتب باللغة العربية في السنوات السابقة ولكن أخيرا بدأ العمل على كتابتها بالحروف اللاتينية وهي الحروف المستخدمة في اللغة الفرنسية التي تعد لغة التعامل الرئيسية في البلاد الافريقية المسماة بمجموعة « الفرانكفون » . أما اللغة العربية فهي تنتشر في شمال مالي وفي المناطق المحيطة بمدن موبتي وتمبوكتو وسيجو بجانب الاهتمام بدراستها في الكتاتيب القديمة والمدارس الأهلية وبعض المدارس الحكومية ولقد دعم اللسان العربي والثقافة العربية في مالي انشاء جمعية اتحاد ورقي الإسلام في عام ١٩٨٠ لتنظيم تعليم القرآن الكريم والحديث وسبل الدعوة الإسلامية ، كما صحب انشاء هذه الجمعية انشاء اتحاد المدارس العربية الإسلامية ، في مدينة « سيجو » لتنظيم أساليب الثقافة والتربية الإسلامية ، ومكافحة الأمية ويضم هذا الاتحاد ١٥ مدرسة تضم نحو ثمانية آلاف طالب وطالبة . وهي غير



فصول تعليم اللغة العربية الملحقة بالمراكز الثقافية العربية ، مثل المركز الإسلامي الذى تقيمه الإمارات العربية مع ليبيا ، والمراكز الثقافية الجزائرية والسعودية والعراقية وغيرها .

● صراع فكرى ●

وعلى الرغم من أن المسلمين هم غالبية سكان مالى الا أن دستور مالى (الذى صدر فى عام ١٩٧٤ وبعد خمس سنوات من تولى الرئيس موسى تراورى مسئولية الحكم بعد الرئيس السابق موديبوكتيا) ينص على الاتجاه العلمانى للدولة بمعنى فصل الدين عن الأداء العام للدولة وهو مايترتب عليه وجود صراع فكرى بين الحضارة الإسلامية بجذورها التاريخية العميقة والواقع العلمانى الذى يرتبط باتجاهات وقيم الثقافة الغربية ورموزها الحضارية المختلفة .

وقد انعكس هذا الحال على وضع مالى الداخلى وعلاقاتها الخارجية حيث تقوم سياستها من خلال الالتزام بالفلسفة البراجماتية والتى تبدو فى عشرات المواقف مثل الالتزام بالاجماع الافريقى وخلق روابط واقعية مع الدول المجاورة مثلما تجد فى العلاقات مع موريتانيا والجزائر فى الشمال الافريقى وغينيا وساحل العاج على حدود مالى الجنوبية والنيجر فى الشرق والسنغال فى الغرب ، وهو ماييدو ـ خاصة ـ فى تبنى مالى لفكرة منظمة الدول المحيطة للصحراء الكبرى وهى منظمة الدول الصحراوية التى تضم معها الجزائر وليبيا وتشاد والنيجر وموريتانيا وتونس والمغرب .

● عواقب الغزو الفكرى ●

والاتجاه البراجماتى فى السياسة المالية نراه ايضا فى رسم السياسات الثقافية حيث أعرف من الدكتور بكرى تراورى وزير الثقافة أثناء حواره مع « الهلال » انه يرى ان ثقافة الناس فى بلاده هى فى تعبيرهم عن مشاعرهم تجاه بعضهم البعض وتجاه الآخرين من جانب آخر والجانب الأول مظهره التكافل والتراحم والتضامن العائلى اما الجانب الآخر فمظهره حسن الظن والترحيب والود .

والدور الثقافى فى مالى الآن هو دور الربط بين جذور هذه الثقافة وتراثها وحاضر التعبير عن هذه الثقافة ومن بين سبل التعبير عن هذه الثقافة تبدو تلك العلاقة بين أصالة التراث والرغبة فى التقدم من خلال الامساك بسبل المعاصرة وحيث نشعر بمدى الحرص على التمسك بقيم الثقافتين العربية والافريقية وهما تراث تتوارثه من أيام مملكة مالى التاريخية ،

اما الأخذ بأساليب التحديث والالمام برموز هذا العصر فاننا نفرق بينه وبين الغزو الفكرى الذى يأتى لنا من الخارج عبر السلوكيات الغربية المعبرة عن ثقافات اجنبية لاتربطها أدنى صلة بجذورنا وواقعنا هذا التخوف الذى نستشعره يجعلنا نضع فى الحسبان دائما أهمية الاحساس بجذور ثقافتنا وهى ثقافة اسلامية افريقية تعود الى القرن الحادى عشر الميلادى .

وهذا التمسك بجذور ثقافتنا الأصيلة وتدعيم جذورها القديمة ومايطرح عبر فروعها وأغصانها وبراعمها الجديدة يجعلنا فى مأمن من عواقب للغزو الفكرى الخارجى وهو سياج لايحول بيننا وبين الانفتاح الثقافى على



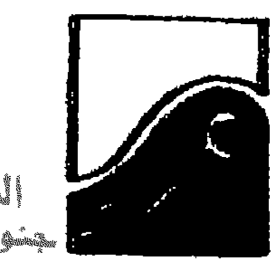
رقصات الاقنعة الافريقية ولكن دون عرى الأجساد كما نلحظ فى رقصات المناطق الاستوائية والمدارية .. من آثار الاسلام على الفنون

الخارج من خلال العديد من مظاهر اللقاء مع الفنون والثقافات الخارجية مثلما يحدث عندما يقام البينالى الافريقى لفنون النحت والتصوير فى باماكو ومثلما نحرص على استضافة المهرجانات الفنية والثقافية واسابيع الافلام من خلال برنامج يغطى معظم شهور السنة وهذا غير الحرص على تدعيم دور المتحف الوطنى والمتاحف الاقليمية بتدعيم وحماية المقتنيات المختلفة .

ان الثقافة هى المحرك القوى الذى يسهم فى تحديد الاختيار الوطنى والاختيار التنموى لأن التكنولوجيا هى أيضا تعبير عن حاضر ثقافى يرعى طموحات ومطالب الأغلبية .

● العودة الى « تمبوكتو » ●

ومن خلال هذا الفهم لأهمية مزج مدخلات الأصالة والمعاصرة وهضم المخرجات التى توضح مدى استيعاب هذا التفكير يبدو النشاط الثقافى المعبر عن مختلف الفنون التعبيرية والتشكيلية وحيث يتبلور هذا العطاء فى كتابات عدد من المبدعين من المشتغلين بالفكر والفلسفة والأدب والفن والصحافة وعلى نحو



ناصحه في تنقل اسماء أشهر نجوم مالي في الثمانينيات حيث نجد من بين نجوم الكتابة للسينما والاخراج الفنان سليمان كيزو ومن أشهر أعماله فيلم « يارا » ، والمخرج شيخ عمر سيسكو ومن أعماله « نيامنتو » .

أما أبرز الكتاب والروائيين فهو الأديب ياالله موسى كيتا ومن أبرز الموسيقيين والملحنين ونجوم الغناء ساليف كيتا ومورى كانتى وفوتا ديميا .

وفي مالي نشاط مسرحي يمثله تقديم أعمال المسرح العالمي والمسرح الأفريقي ومؤلفات المسرح المكتوبة باللغة المحلية وهي تقدم ضمن عروض المسرح القومي في باماكو وهناك أيضا فرقة الفنون الشعبية وفرقة أخرى للغناء وموسيقى الآلات التقليدية وهي غير مسرح فريق الباليه الأفريقي . أما السينما فقد كان أبرز أعمالها فيلم روائي أثار ضجة كبيرة بسبب جرأة المعالجة وهو فيلم يحمل اسم « مكان تجميع الفضلات » ، وهناك عمل أخر انتجته مالي بالاشتراك مع اليونان ويحمل عنوان « تيللي مارك » .

والتليفزيون في مالي هو أحدث وسائط التعبير الإعلامي وهو مع الراديو اكثر اجهزة الإعلام انتشارا والتليفزيون في مالي يقدم الأعمال الفنية المحلية والأعمال الأجنبية المختلفة غير أن أهم الأعمال الفنية التي لقيت التجاوب من جمهور المشاهدين كانت تلك المعتمدة على أصول دينية إسلامية ، مثل فيلم « الرسالة » لخراج مصطفى العقاد والحلقات التليفزيونية الدرامية « محمد رسول الله والذين معه » قصة أمينة الصاوى واخراج احمد طنطاوى وهذه الأعمال تقدم باللغة العربية ويصحبها تعليق وشرح وترجمة للحوار باللغة المحلية المعروفة باسم لغة البامبارا .

ويبقى أن نتحدث عن أبرز المشروعات الثقافية طموحا في غرب افريقيا وهي مشروعات احياء الدور الحضاري والثقافي للعاصمة القديمة تمبوكتو ، وانتعاش دور مدرستها الثقافية في الفكر والفلسفة الإسلامية وهو ما علمته من الاقتصادي أدريس كيتا وزير التنمية في مالي والسكرتير العام السابق لمنظمة دول وسط افريقيا وهو أيضا المسئول عن احياء تراث مدينة « تمبوكتو » التي يهددها اليوم خطر التصحر ، الذي يقلق حاضرها ويبعثر تراثها الحضاري الذي يضم عددا هائلا من المخطوطات العربية النادرة مثل كتابات جلال الدين السيوطي وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم .

ان مشكلات الصحراء الكبرى المتصلة بخطر التصحر تترك بصماتها على المنطقة المجاورة للعاصمة القديمة تمبوكتو التي كانت في القرن الرابع عشر الميلادي أحد أبرز مراكز المعارف والثقافات الإسلامية وكان لها دور هام في تدعيم الاتصال الثقافي الإسلامي في تلك البقاع الواقعة في افريقيا جنوب الصحراء العربية الكبرى .

ان خطر التصحر ينعكس على حال مدينة « تمبوكتو » ، كما ينعكس على اتصالات شمال افريقيا بغرب القارة وهو وضع لم يكن بنفس الخطورة في الحقب الماضية وبرغم التسليم بالبعد الجغرافي وما استجد من ابعاد جيوبوليتيكية في مرحلة الاستعمار الغربي ، ومع وجود هذا العازل التضاريسي الضخم الذي لم يحل دون الاتصالات والرحلات خلال القرون الماضية .

لقد أصبحت تمبوكتو الآن ــ وكما عرفت من الاقتصادي ادريس كيتا وزير التنمية الاقتصادية والاجتماعية ــ عاصمة الاقليم الشمالي بعد أن كان هناك عاصمة اخرى ، وقد أقر مؤتمر المدن والعواصم الاسلامية مشروعا طموحا يجرى التخطيط لتنفيذه

بالتعاون مع المصرف الإسلامى ، وحكومة مالى بشأن تدعيم مركز أحمد بابا للمخطوطات فى تمبوكتو ، وهو المركز الذى يضم عددا ضخما من الأصول القيمة التى تتصل بفنون وثقافات ومعارف وقفه واحدة من أزهى فترات صحوة الفكر الإسلامى فى أفريقيا . ونظرا لوعورة الظروف الطبيعية فى المنطقة خاصة مع سنوات الجفاف والقحط ومع صعوبة الانتقال الى مدينة تمبوكتو بالطرق البرية ، هناك دراسات تجرى لتطوير الميناء الجوى (مطار تمبوكتو) بجانب ماليترتب على انشاء أحد السدود القريبة من تمبوكتو على مجرى نهر النيجر ومد فرع من النهر الى المدينة ، بعد أن ردم الأهمال والتصحر الترعة الملاحية التى كانت تصل تمبوكتو بالمجرى الرئيسى لنهر النيجر .

إن مشكلة تمبوكتو وتقلص دورها الحضارى يرجع فى الأصل الى صعوبات الوصول اليها ، فالطرق البرية التى تربطها بالجزائر وموريتانيا والمغرب والسنغال والنيجر تعانى من غزو رمال الصحراء وتهديد موجات التصحر والطريق الجوى معطل بسبب تخلف امكانات مطار تمبوكتو والطريق الملاحى النهرى بطىء تستغرق رحلته من باماكو فى الجنوب وحتى تمبوكتو فى الشمال نحو أسبوع فى الذهاب ومثله فى العودة .

لقد عادت تمبوكتو من جديد الى بؤرة الاهتمام الثقافى من خلال ادراك دورها التاريخى والحضارى ، وذلك بعد اهتمام منظمة اليونسكو ومنظمة المدن والعواصم الإسلامية بواقعها الحالى وأهميتها الزمنية وبجانب خطط ومشروعات المصرف الإسلامى هناك معاونات من عدد من بلاد العالم من بينها هدية جمهورية البوسنة والهرسك اليوغوسلافية المدينة والمتمثلة فى اقامة مركز ثقافى وتعليمى وتجارى حديث بجانب التخطيط لإقامة متحف لمدينة تمبوكتو يعد مع دار المخطوطات أحد أهم سبل العمل لوضع سياج من الحرص لحماية التراث الحضارى لهذه العاصمة القديمة ذات الاسهامات الحضارية الواضحة فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى القارة الأفريقية .

على غير موعد

شعر : د. السيد إبراهيم

أيا جارتنا .. نحن التقينا وضمنا ... كما ضمّ حجّاج الأقاليم مجمعُ
على حين ألهانى الخطوب ولم يعُدْ ... لحقّ العيون النجل فى القلب موضعُ
غريبان مذْ كنا فكيف تجمّعتْ ... بنا الدارُ أم حَنَّ الفؤادُ الموزّعُ
تناولنى رخص البنان كأنما ... تداعى إلىّ الموت ثم ترفّع
أقول وتقسى كالشتيت وبينها ... وبينى تراع ليتها ماتودع
أمانىّ نفس لم تزل "ليت" عندها ... هى السر والعهد الذى لا يُضيع
وكيف اعتبطنى بالليالى ولم أزل ... إذا قلت طاب مضجع مل مضجع

يوغسلاف من أصل عربى وآخرون من أصل أفريقى

بقلم : د . جمال الدين سيد محمد

الفكرة الشائعة عن اليوغسلاف انهم شعب اوربى ، لونهم ابيض ، لذا فان معلومة وجود مواطنين يوغسلاف تتراوح سمرة بشرتهم بين « اللون القمحى » المنتشر فى البلاد العربية ، وبين الأسمر الداكن الذى لا يرى إلا فى إفريقيا تعد معلومة على درجة كبيرة من الغرابة .

الأغلبية الساحقة من هؤلاء اليوغسلاف السمر مسلمون ، وكثير منهم يعرف اللغة العربية ، وبعضهم يعرف أصله العربى أو الافريقى معرفة دقيقة .

وكثير من هؤلاء اليوغسلاف ذوى الأصل العربى - الأفريقى ، يعيشون فى مدينة « أولتسينى » الواقعة على ساحل بحر الادرياتيك (جمهورية الجبل الأسود) ويبلغ تعدادها حوالى ستة آلاف نسمة .

من أين جاء هؤلاء اليوغسلاف وماهى اصولهم ؟ وكيف ظلوا على إسلامهم وحافظوا على لغتهم العربية حتى الآن ؟

لقد كان الباحثون وعلماء التاريخ يعتقدون ـ الى عهد غير بعيد ـ أن العلاقة بين اليوغسلاف والمسلمين العرب لم تنشأ إلا مع سيطرة العثمانيين على الأراضى اليوغسلافية (القرن الخامس عشر الميلادى) ، ولكن بمرور الزمن ، وتعدد الأبحاث ، ثبت عدم صحة هذا الاعتقاد ، وبدأت تتكشف الأواصر الأولى لهذه العلاقات ، وتعود بها الى تاريخها الأول ، قبل التواجد العثمانى بالأراضى اليوغسلافية ، وبدأت كتب التاريخ القديمة تفتح أوراقها الصفراء ، وتقدم الاسانيد التاريخية على وجود علاقات متعددة قبل هذا التاريخ بزمن بعيد .

ويقتضينا الأمر أن نعود الى الماضى ، وبالتحديد ، إلى القرن السادس الميلادى ، حيث أخذ أسلاف اليوغسلاف ـ وهم السلاف الجنوبيون ـ يتدفقون بشكل متواصل عبر نهر الدانوب ، ويستوطنون فى شبه جزيرة البلقان خلال القرن السادس ، وحتى العقود الأولى من القرن السابع الميلادى ، قد أدت هذه الهجرات الى تغيرات عنصرية أساسية وجذرية فى شبه جزيرة البلقان ، وامتدت الى المناطق اليونانية جنوب شبه الجزيرة التى كانت تتاخم حدود الامبراطورية البيزنطية ، وقد اعتبر الحكام البيزنطيون هذه الهجرات السلافية بمثابة تهديد لسلامة وأمن الامبراطورية ، وأدى ذلك إلى نشوب معارك وغارات عديدة بين الطرفين تتراوح بين دخول الجيش البيزنطى أملاك وأراضى السلاف الجنوبيين وإغارة السلاف على أراضى الامبراطورية البيزنطية .

وفى بداية القرن السابع الميلادى لم يكن لدى الامبراطورية البيزنطية مايكفيها من الجنود لذا فقد شرع الامبراطور هرقل فى تشكيل جيش بيزنطى جديد عن طريق إدخال نظام الأجناد أو الثغور ويتمثل جوهر هذا النظام فى استقرار الجند بأقليم آسيا الصغرى ، وجرى إطلاق كلمة أجناد على الأقاليم الحربية التى نشأت حديثا وترتب على ذلك أن الكلمة التى كانت تطلق على لواء الجند صارت تطلق على الأرض التى تحتلها القوات العسكرية ، وتقرر منح الجنود مساحات من الأراضى شريطة أن تكون الخدمة العسكرية وراثية مقابل ذلك . وفى البداية جرى توطين الجنود البيزنطيين ، إلا أن عددهم لم يكن كافيا بالمرة ، وكانت هذه مشكلة من أصعب المشاكل التى واجهها الامبراطور هرقل .

● رشوة نيقولا ●

بيد أن العجز الناشىء فى صفوف الجيش البيزنطى لم يكن بالامكان سده إلا عن طريق السلاف الجنوبيين الذين أصبحوا فى ذلك الحين بالذات على اتصال وثيق بالامبراطورية البيزنطية نتيجة لهجرتهم إلى الأراضى البيزنطية ثم استيطانهم بها . وهكذا انضم السلاف الجنوبيون الى الجيش البيزنطى لكى يعملوا به جنودا ومزارعين يحصلون بعد استيطانهم على أراض زراعية . وأصبح هؤلاء الجند الفلاحون المستوطنون فى الأجناد (أو الثغور) عنصرا ثابتا فى قوات الجيش البيزنطى ، وأمدتهم فى قطاعاتهم بالوسائل الأقتصادية التى تكفل لهم سبل العيش وتدريبهم تدريبا عسكريا فضلا عن أنهم كانوا يتقاضون رواتب



يوغسلاف

من أصل عربي وآخرون من أصل أفريقي

منتظمة . وهكذا تم تطعيم الجيش البيزنطي بدماء شابة جديدة من السلاف الجنوبيين الذين يرجع إليهم الفضل في الانتصارات التي سيحققها الجيش البيزنطي فيما بعد .

وقد قام الامبراطور جستنيان الثاني بعد عامي ٦٨٨ ـ ٦٨٩ م . بتهجير كثير من السلاف الجنوبيين من منطقة شبه جزيرة البلقان الى ثغر الأبيسق في آسيا الصغرى حيث تم من قبل توطينهم . وفي عام ٦٩٢ م . كون الامبراطور من هؤلاء السلاف المهجرين جيشا قوامه ثلاثون الف جندي وتوجه بهم لمحاربة العرب في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان . واضطر العرب ، رغما عنهم ، إلى قبول الحرب المفروضة ، إلا أن قائد الجيش العربي نجح في رشوة قائد الجيش البيزنطي ، وهو القائد السلافي نيقولا ، وكانت غالبية جنوده من السلاف الجنوبيين ، وعلى إثر ذلك انتقل القائد السلافي الى صف العرب ومعه ٢٠ ألفا من أتباعه في المعركة التي جرت في سفا ستيبول بقليقيا ، وبذلك تمكن العرب من الانتصار وانهزم البيزنطيون هزيمة منكرة .

واخذ العرب يوطنون اللاجئين من السلاف الجنوبيين في سوريا واستخدموهم كجنود في معاركهم التالية مع بيزنطة . وبعد ذلك مباشرة قام العرب بالهجوم على الامبراطورية البيزنطية . ولا شك أن السلاف الجنوبيين قد أدوا للعرب خدمات جليلة نتيجة لمعرفتهم بالأراضي البيزنطية غير أن السلاف الجنوبيين لم يقدموا أية مساعدات للعرب في هجماتهم على القسطنطينية . وفي عامي ٦٩٢ ـ ٦٩٤ م . قام بعض العرب بالاشتراك مع السلاف الجنوبيين في نهب مناطق آسيا الصغرى . ومما يذكر أن مروان بن محمد عين اثنين من السلاف الجنوبيين ولاة على المناطق الواقعة على الحدود العربية البيزنطية .

وقد ظل اللقب العربي الذي اطلقه العرب على السلاف الجنوبيين وهو « الصقالبة » مسجلا في اسم القلعة السلافية « حصن الصقالبة » . ووفقا لما كتبه ابن خرداذبة في كتابه « المسالك والممالك » فإن الحصن يقع بالقرب من لولون ، وهي قلعة بيزنطية تقع على الحدود بين سوريا وقيليقيا وكانت تحرس الممر الرئيسي عن طريق طوروس . وإطلاق هذا اللقب يفترض أنه كان يوجد بالجيش العربي جنود يعرفون اللغة السلافية .

● تبادل العبيد بالقمح ●

وجدير بالذكر انه منذ القرن الثالث عشر الميلادي ومدينة دوبروفنيك اليوغسلافية الواقعة على ساحل بحر الأدرياتيك ـ ترتبط بعلاقات تجارية منتظمة مع مصر وتونس وغيرهما من البلاد العربية . وكانت تنقل البضائع على سفنها سواء اكان لحسابها ام لحساب غيرها من الدول . وهناك وثائق محفوظة

فى يوغسلافيا تتحدث عن العلاقات الديلوماسية والتجارية وعن المشاكل التى نشأت بين جمهورية دوبروفنيك وبين المغرب والجزائر وطرابلس ومصر .

وقد سجل المؤرخون انه منذ بداية القرن الرابع عشر أخذت تنتشر بدعة امتلاك العبيد الزنوج من افريقيا ، وهى بدعة سادت قصور الأمراء والأثرياء وقواد السفن وكبار التجار فى دول البحر الأبيض المتوسط . ونشأت هذه البدعة نتيجة للعلاقات التجارية المتعددة مع دول المشرق حيث كان الحكام المسلمون وكبارهم يحيطون أنفسهم بالحرس وبالعبيد الزنوج الذين كانوا يباعون فى

الموانىء البحرية فى المنطقة الممتدة من الجزائر وحتى بورسعيد فى مصر . وكان من المعتاد أن يتم استبدال العبيد والزنوج بالقمح والشاى والسكر ومختلف السلع الغذائية وكان البحارة يبيعون فى أغلب الأحيان هؤلاء الزنوج فى موانىء البحر الأبيض لأشخاص يعقدون معهم مسبقا اتفاقات مكتوبة .

وليس من قبيل المصادفة المحضة أن الحمل كان رمزا لمدينة « اولتسينى » اليوغسلافية حتى منتصف القرن السادس عشر . وكانت هذه المدينة تعيش حياة مسالمة خوفا من القراصنة ومن الحروب ، وكان سكانها يعيشون على الزراعة بوجه عام وعلى زراعة الزيتون بشكل خاص وكذلك على الحرف اليدوية وعلى التجارة . ولكن لم تكن هذه المدينة تمتلك سفنا خاصة بها .

وفى اكتوبر عام ١٥٧١ م حدثت معركة عند « ليبانت » وانهزم الأسطول التركى انهزاما مريعا أمام أسطول الحلف المقدس ، إلا انه بعد انتهاء المعركة مباشرة وقعت مدينة « اولتسينى » تحت السيطرة العثمانية وترك السكان الأصليون مدينتهم ، وسمح السلطان التركى للقرصان العربى « على » بأن يوطن رجاله فى المدينة المهجورة المدمرة كدليل على العرفان بالجميل والشكر من جانب السلطان التركى مقابل الخدمات التى أداها له القرصان المشهور ، فقد اشترك فى صف الأتراك فى المعركة المذكورة ، ولكن مساعدته لم تستطع أن تغير من مصير الأسطول التركى . إلا أن القرصان العربى ورجاله من القراصنة الشجعان حاربوا بشرف من أجل الامبراطورية العثمانية

وقبل القراصنة بحماس بالغ عرض السلطان العثمانى ، وكان معظم هؤلاء القراصنة من الجزائريين ، واستوطن حوالى اربعمائة منهم فى مدينة « اولتسينى » اليوغسلافية ، وكان بينهم عدد كبير من الزنوج الافارقة ، ومنذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا والزنوج والعرب يعيشون معا ويتزاوجون وينجبون الأجيال المتلاحقة فى هذه المدينة اليوغسلافية الواقعة فى أقصى جنوب الساحل الأدرياتيكى .

وبعد استيطان القراصنة من الافارقة والعرب فى مدينة اولتسينى استأنفوا حرفتهم القديمة الا وهى القرصنة . وفى هذه المدينة كان لديهم جميع الظروف المواتية للقرصنة من الساحل الذى تكثر به الحفر والثغرات الصالحة للاختفاء



يوغسلاف

من أصل عربى وآخرون من أصل أفريقى

والاحتماء ، ومن صخور مرتفعة عالية لمراقبة السفن فى غدوها ورواحها . وما لبث أن أصبحت لهؤلاء القراصنة السيادة المطلقة على ساحل الادرياتيك بطوله . وكان بعض زعماء القراصنة يطلق على نفسه اسما أو لقبا معينا للشهرة مثل « السيف » أو « العين السوداء » أو « سوط صقلية » أو ماشابه ذلك . وبغض النظر عن هذه الأسماء والألقاب فقد كان لكل زعيم من زعماء القراصنة عدد من الزنوج على سفينته . وكان القراصنة يقدرون أيما تقدير هؤلاء الزنوج الموجودين على سفنهم . ولم يكن هذا التقدير عفويا أو بلا سبب . فكلما هاجم القراصنة سفينة كان الزنوج هم أول من يهجم عليها ويقتحمها فى جسارة وبلا تهيب . وكان القراصنة الزنوج يستلون فى ذلك الحين سيوفا ضخمة ، وحيث إنهم كانوا يرتدون ملابس مزركشة فقد كانوا يدخلون الرعب فى قلوب افراد السفينة الضحية . وكانوا يصيحون ويهتفون اثناء هجومهم على السفينة بالاسم الفظيع المرعب لزعيمهم . وعلى إثر هذا الصياح المفزع وهذا الهتاف المرعب يستسلم تجار السفينة المهاجمة بلا أدنى تردد .

وكان القراصنة يوزعون الغنائم كلها بالتساوى فيما بينهم وبين الزنوج ويتم اقتياد الأسرى من المسافرين والبحارة إلى مدينة « أولتسينى » حيث يتم بيعهم فى سوق العبيد . ونظرا لأنه كانت توجد بين الأسرى شخصيات هامة فقد كان القراصنة يحصلون على مبالغ ضخمة من المال فدية لهم . تذكر السجلات الرسمية لهذه المدينة أنه ، على سبيل المثال اضطرت السيدة لوتسيا زوجة السيد إيليا مرفيتسا من قرية برتشانيا بيوغسلافيا ـ إلى أن تفتدى زوجها بمبلغ كبير . وتذكر كذلك أن السيد بوجه تريبوف وهو أيضا من قرية برتشانيا توفى وهو مازال عبدا فاقدا لحريته فى مدينة « أولتسينى » فى الخامس عشر من أغسطس ١٦٦٨ م .

● سيرفانتس عبدا ●

ويذكر العالمون بماضى وتاريخ مدينة « أولتسينى » أنه توجد وثيقة فى مدينة نيس الفرنسية يتضح منها أن الكاتب الأسبانى المشهور « سيرفانتس » ، مؤلف رواية « دون كيشوت » كان عبدا لدى قراصنة مدينة « أولتسينى » . ولكن تم إطلاق سراحه بعد تدخل فينيسيا مباشرة . ورغم كثرة الحديث عن هذه الوثيقة فإنها لم تظهر علانية ابدا .

وخلال القرون التالية كانت توجد على الدوام بمدينة « أولتسينى » من اثنتى عشرة إلى عشرين جماعة من القراصنة . وكان لدى كل جماعة سفنها العديدة التى كانت تستخدم لنقل الزيتون والزيت . وبعد تحميل السفينة وتحريكها وهى تحمل راية الدولة التى تكون على صلات طيبة مع الدولة صاحبة السفينة يقترب منها

القراصنة للاستيلاء عليها . ويبدأون هجومهم عليها وسلبهم لها ولحمولتها ، ونتيجة لذلك اكتظت أقبية منازل القراصنة بالثروات المتنوعة .

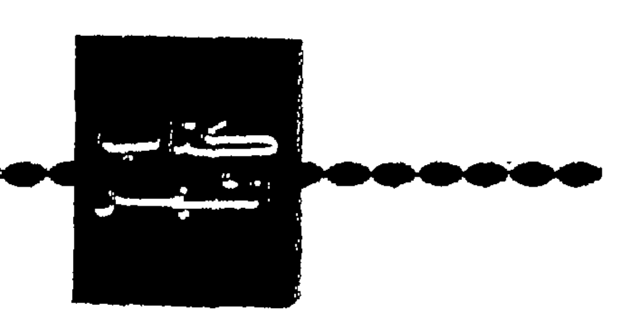
وكان هؤلاء الأفارقة يقيمون منازل جميلة الشكل والبناء بجانب منازل زعمائهم فى أغلب الأحوال . وكان زعماء القراصنة يهتمون اهتماما بالغا بتزويج هؤلاء الزنوج ولا يبخلون بالمال فى هذا المجال ويتم حينذاك تزيين إحدى السفن بأجمل الزينات وترحل وعليها العريس الزنجى إلى أحد الموانىء الافريقية حيث يختار عروسا له . وحينما تعود السفينة بالعروس إلى « أولتسينى » لا يجرؤ بل ولا يفكر أحد من القراصنة التابعين لأية جماعة فى سلب السفينة أو حتى الهجوم عليها . وعند وصول السفينة إلى المدينة حاملة العريس وعروسه يستقبلهما أهل المدينة استقبالا حافلا رائعا ويرافقونهما بالغناء والرقص والموسيقى حتى منزلهما . وكانت من عاداتهم ان يقدم العريس الزنجى بعد زواجه مباشرة الاقتراح الجديد بعملية القرصنة التالية ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنه سعيد الحظ وأن هذه العملية ستأتى بالوفير من الغنائم .

ومن الأساطير الطريفة التى تحكى حتى الآن فى مدينة « أولتسينى » اليوغسلافية أساطير تتعلق بالحياة التى تحياها زوجات الزنوج . فقد كن ـ تشبها بزوجات باقى القراصنة ـ يتعودن بسرعة على الوحدة وعلى النظر إلى مياه البحر والتأمل فيها انتظارا لعودة الزوج ، ونادرا مايحدث الا تنجب زوجة الزنجى ، وإذا ماحدث ذلك فقد كان الزوج يهجر زوجته ، ولم يكن ليتركها فى « أولتسينى » بل كان يصحبها إلى مكان بعيد ، غالبا ما يصحبها إلى افريقيا من حيث اتى بها . وفى أحيان اخرى كان ببساطة يلقى بها من السفينة ويذهب الى أى ميناء آخر لاحضار عروس جديدة .

لم يهتم أهل « أولتسينى » كثيرا بقرارات الدول العظمى آنذاك واستمروا فى هجماتهم على السفن وعلى المدن الساحلية . وبالرغم من أن معاهدة بلغراد لعام ١٧٣٩ قد حرمت على هؤلاء القراصنة ممارسة اعمالهم فإنهم صموا اذانهم أمام كل المعاهدات . وهناك وثيقة ترجع لعام ١٧٦١ تشكو فيها مصلحة التجارة بجمهورية فينيسيا من ازدياد قوة قراصنة « أولتسينى » لدرجة انهم اقاموا لهم مستوطنات فى الموانىء الرئيسية لسوريا ومصر .

واستمرت المناقشات العديدة عن قراصنة أولتسينى حتى عام ١٨١٥ م . حينما صدرت اتفاقية باريس بمنع القرصنة . ومن العسير الاعتقاد بأن هؤلاء القراصنة كانوا سيحترمون مواد هذه الاتفاقية لو لم تسيطر السفن التجارية على البحار وتفرض سيادتها على مياهها ، وكانت هذه فى الحقيقة هى النهاية الفعلية للقرصنة .

وهكذا انتهى عهد القرصنة فى « اولتسينى » اليوغسلافية ولكن ظل الأفارقة والعرب يعيشون ويتعايشون حتى يومنا هذا فى يوغسلافيا فى ظل التغيرات العالمية المتباينة .



مختصر تاريخ مصر

تأليف : عفاف لطفي السيد
عرض : هبة عادل عيد

يعد هذا الكتاب نموذجا للكتب التي تدرس تاريخنا المعاصر بعيون اجنبية ، فعلى الرغم من ان كاتبته مصرية فان اقتناعها بوجهة النظر الغربية يبدو واضحا في عرضها وتحليلها لتاريخنا المعاصر .

وتبدو محاولة الكاتبة من اول وهلة التركيز على توضيح التأثير الكبير والمباشر للظروف الاقتصادية على اشكال الحكومات المتعاقبة على مصر ، وبالتالي على السياستين الداخلية ـ والخارجية .

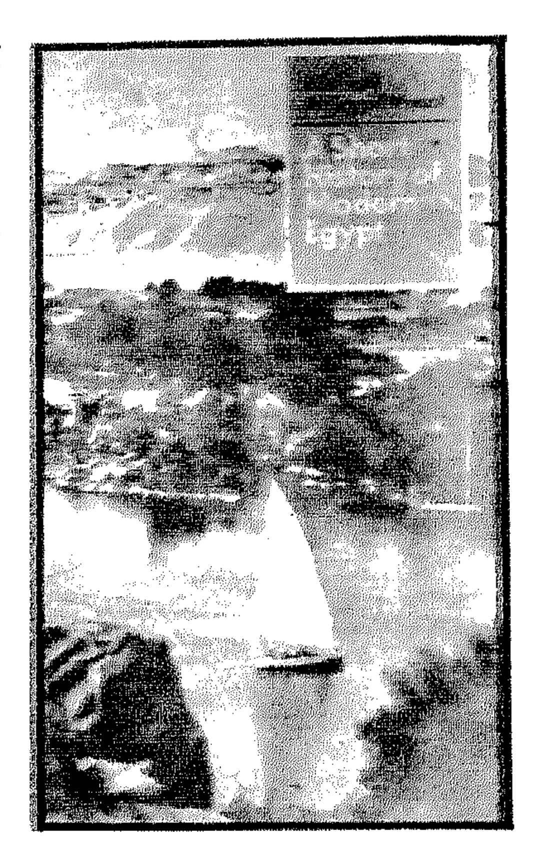
لقد استعرضت عفاف لطفي السيد تاريخ مصر بشكل مختصر منذ الفتح الاسلامي ، حتى عهد الرئيس مبارك . والفكرة المحورية في الكتاب هي ان الفجوة بين الشعب والحكام لم تضق يوما بسبب ان مصر لم يحكمها اهلها الا بعد ١٩٥٢ ، اي ان تاريخ مصر الحديث كله ـ كما تقول ـ لم يصنعه ابناؤها .

بل اكثر من ذلك هي تمصر بغداد غريب ، على ان العرب كانوا اجانب واقرب بالنسبة للمصريين وظلوا كذلك .

وفي البداية لابد من مناقشة هذه القضية ، التي يروج لها الان بشكل اكثر تركيزا ، وماخذنا عليها تشمل عدة نقاط نجمل اهمها في النقاط التالية :

ـ لقد غاب عن الدكتورة عفاف لطفي السيد ، ان الدين الاسلامي كعقيدة لم يفرق بين البشر كاجناس ، اذ كان مبدأ « لا فرق بين عربي او





أعجمي الا بالتقوى ، هو أســـاس الدعوة وأساس انتشارها ، وتميـــز كل من دخل فيها .
الاسلام بأنه عقيدة توحد تحت رايتها

— ان فكرة القومية التي تحـدثت عنها الكاتبة ، وعلى أساسهـــا أقامت فكرة الاجانب ، لم تـــكن معروفة بمعناها السياسي الحـديث ، كما أن ظروف الماضي كانت مختلفـة كليا ، فمثلا لا يمكن تصور أن يجيء المصريون بجندي ألباني (محمد علي) كان يحارب في جيش اعتبره معاديا لهم ، ليفصبوه حاكما عليهم . لكننا اذا ما حاولنا فهم ذلك في ظـروفه وتاريخه بدا لنا الامر مغـــاير! تماما .

— ان ظروف الفتح العربي لمصر ، وعلاقة الجوار بين الجزيرة ومصـر وما ترتب عليهما ، يشـيران الى أنه أولا يجب الا ننظر الى انتشــــار العقيدة بالمعايير العادية ، والا فكيف انتشر الاسلام وقبله أهـــل مصر ، ودخلوا فيه ، والمؤلفة نفسها تشـير بقوة الى ان المصريين كانوا يعيشون تحت اضطهاد البيزنطيين وجـــاء المسلمون بعقيدتهم وخلصـوهم — في الواقع — من هذا الاضطهاد ، ولانقف طويلا أمام قولها أن المصريين دخلوا الاسلام هربا من دفع الجزية ، اذ أن دفع الجزية في حينه كان أيســـر ، في الواقع ، من التزام المســـلمين بالزكاة ، والجهاد الذي يجـــودون فيه بأرواحهم .

أما بالنسبة لعلاقة المصريين بالعرب قبل الفتح الاسلامي ، فقد امتـــدت العلاقات التجارية ، كما لجأت قبـائل عربية عديدة الى مصر وبقيت فيهـا ، ولم تتوقف الموجات العربيـــة من الجزيرة الى مصر .

على أية حال فان الكـــاتبة تمضي في تتبعها نظام الحكم في مصـــر بعد الفتح الاسلامي ، فتم نقـــل العاصمة من الاسكندرية الى الفسطاط



ورويدا رويدا بدأت اللغة العربيــة تأخذ مكانها على ألسنة المصـريين وحتى الاقباط اقبلوا على تعلم اللغــة العربية ، حتى يستطيعوا العمـل ، والمشاركة فى الحكم ، وفى عهــد الامويين انتقلت العاصمة الى دمشق ورغم أن حكام بنى أمية وخلفاءهم العباسيين لم يكونوا مثـلا يحتـذى فى العمل بالقرآن فانه كان دائمــا هناك (القاضى) الذى تلمس عنـده المصريون العدل .

وبعد استعراضهـا الدروب لتقلب أنظمة الحكم فى مصر تنتقل بنـا الى بداية « الدولة الحديثة » فى عصر محمد على ، وهو الذى تتوقف امامه الوقفة الاطول .

● استقلال سياسى واقتصادى ●

محمد على هو الذى جعل لمصـر شكل الدولة .. بالمفهوم العصـرى لهذه الكلمة .. اذ أنه عمل على ان تكتفى مصر ذاتيا فى مجالى الزراعة والصناعة .. واهتم محمد عـلى بالجيش ليحمى منجـزاته .. وواكب ذلك نهضة علمية كبيــرة لتخريج جيش على احدث المستويات العلمية لهذا الوقت .. فاستـطاع بذلك أن يبنى لمصر جيشـا قوامــه ۱۰۰٫۰۰۰ جنـــدى .. وهـــذه النظرة المتقـدمة المتكاملــة للامن القومى والاستقلال الاقتصادى نتيجة الاكتفاء الـذاتى .. هى التى جعلت من محمد على احد صناع تاريخ مصر الحديثة .. رغم ان محمد على كان اميا لا يجيد القراءة والكتابة ..

ايضا كان محمد على يريد ان تتحد مصر مع جيرانها ، مع الســودان والحجاز وســوريا .. لان ذلك من شانه ان يدعم الاستقلال الذاتى لتلك البلاد .

وللاسف فان اولاد محمــد على لم يتمتعوا بمثل هذه النظرة المتكاملة فسرحوا الجيش واهملوا التصــنيع الذى بناه أبوهم .. ولم تقف الامور عند هــذا الحــد ومنذ عصــر سعيد .. الذى اعطى امتياز حفــر قناة السويس .. لشركة فرنســية بشروط اقل ما يقال عنها انهــا مجحفة .. ثم جاء اسماعيل باسرافه .. الذى دفعه حتى الى بيع أسـهم مصر من قناة السويس بثمن بخس.. ووصلت الامور الى الحد الذى لـم يستطع معه اسماعيل ان يسدد حتى فوائد ديونه .. وطلب اســماعيل المساعدة من الدول الاوروبيــة التى كانت تخطط لهذه اللحظة وتنتظرهـا بعد ان اعدت لها جيدا .. ومنذ ذلك الوقت خضعت مصر للتدخــلات الاجنبية فى شئونها بحجة ضــمان تسديد الديون .. وتم تعيين وزيــر انجليزى وآخر فرنسى لاول مـرة فى الحكومة المصرية ..

ونشط ملاك الاراضى الاثريــاء يضغطون بشدة من اجل تشكيل برلمان وحكومة يكون لهم صوت فيهــا .. وسط الاحوال المتردية التى تمر عليها البلاد .. وذلك حتى يضمنوا الحفاظ على ممتلكاتهم ومصالحهم .. وقـد استطاع هؤلاء التأثير على توفيــق لتحقيق مطامعهم .. وذلك لانهــم كانوا اعضاء فى المقل الماســونى معه ..

وأعقب ذلك أن استقطب (الباشوات) الاثرياء عددا من الشباب .. ودفعوه الى اقامة مظاهرات تطالب بحياة نيابية وحكومة جديدة .. وقد عرف هؤلاء الاثرياء بأنهم يريدون تطبيق المبادىء الليبرالية فى مصر .. على اعتبار انهم ليبراليون . ولم يمانع هؤلاء الليبراليون فى أن يدخلوا معهم البرجوازية الكبيرة والمتوسطة الحكومة الجديدة .. ذلك لانهم كانوا ايضا يمتلكون أراضى ، ولهم مصالح يهمهم الدفاع عنها .

ثم تورد د . عفاف لطفى السيد التفاصيل التى سبقت الاحتلال البريطانى لمصر .. والذى جاء بناء على طلب الخديوى ، الذى ظن انهم سيعيدون النظام فى البلاد .. ثم يرحلون الى بلادهم ، ولم يكن الخديوى يتصور أن الجيش الانجليزى قد جاء ليبقى ، وأن منطقة قناة السويس .. قد اصبحت فى استراتيجيتهم السياسية .. حقا يجب ان يحافظوا عليه ..

وفى هذا السياق تروى مؤلفة الكتاب واقعة تسخر فيها من الشعب المصرى بصورة لاداعى لها .. !

● الاحتلال الانجليزى لمصر ●

واول ما يلفت النظر .. أن مجموعة الليبرالية .. سارعوا لاعلان فروض الولاء والطاعة للخديوى وللبريطانيين بعد غزوهم لمصر . خشية فقدهم لنفوذهم فى هذه الظروف الجديدة .. وايضا تحمل الفلاح المصرى نتيجة هذا التعاون .. بالاضافة الى خسائره فى الارواح فى مقاومته للاحتلال الانجليزى مع عرابى ..

وكانت السياسة البريطانية فى مصر هى سياسة (ملء البطون .. بمعنى انهم كانوا مقتنعين بأن المصريين لايعنيهم حكم انفسهم ذاتيا .. بقدر ما يعنيهم توفير غذائهم أما الصفوة الليبرالية فلا مانع من أن يزدادوا ثراء وبالتالى يصبح التعاون مع قواتهم امرا بديهيا .

ثم ظهر مصطفى كامل .. الذى شجعه الخديوى عباس حلمى على السفر الى فرنسا للتأثير فى الرأى العام العالمى ، وجاء حادث دنشواى وبدأت الحرب العالمية الاولى ، ومرة اخرى عانى الفلاح المصرى فى تلك الفترة اكثر من اى فئة اخرى فالنفقات الكبيرة للحرب تحملها من قوت يومه ، عندما اجبره البريطانيون على ترك حقله والعمل على تمهيد الطرق وتعبيدها لجيش الاحتلال الذى كان يحتاج الى طرق مواصلات لسهولة وصول الامدادات والمؤن والاسلحة التى يحتاجون اليها .

وعند نهاية الحرب ظهرت الولايات المتحدة كقوة متنامية على الصعيد الدولى ، تطمح فى اخذ مكان لها ، فأعلن ويلسون مبادئه الاربعة عشر وأثار مبدأ حق تقرير المصير للشعوب ضجة كبرى ، لذ كان بمثابة اعتراف بالظلم الواقع على شعوب كثيرة محرومة من هذا الحق .. ولكن الكاتبة تغفل الاسباب والدواعى التى دعت ويلسون الى اعلان هذا المبدأ ، ذلك ان الولايات المتحدة كانت قد بدأت تفكر فى المقابل الذى يمكنها الحصول عليه من الحلفاء كثمن لدخولها الحرب معهم ..وهذا الثمن كان مشاركة قوى الاستعمار القديم بهدف ازاحتها نهائيا والحلول مكانها ، ولكن بأساليب اخرى اكثر عصرية ، واكثر ملاءمة للظروف

كتاب الشهر

الموضوعية والتاريخية ..

وتم اعلان الامير فؤاد ملكا على البلاد . وفي عام ١٩٢٢ اعلن البريطانيون الغاء الحماية على مصر .. ووقف العمل بقانون الطوارىء

● فشل التجربة الليبرالية ●

ولكن رغم هذا الاعلان فان البريطانيين وضعوا اربعة تحفظات عليه .. كانت تعني ببساطة ان مصر لم تستقل بعد . وهذه التحفظات هي ..

● حق الدفاع عن مصر ضد اي تدخل اجنبي .

● تأمين المواصلات الى الامبراطورية البريطانية (وهذا الشرط خاص بقناة السويس التي اولاها الانجليز اهمية خاصة) .

● حق حماية المصالح الاجنبية والاقليات .

● حق الدفاع عن السودان .

وسمح بتكوين احزاب في البلاد فكان حزب الوفد وحزب (الاحرار الدستوريين) .. المنشق عنه ..

وسمح لسعد زغلول بتشكيل الوزارة .. وما بين قصر عابدين حيث الملك فؤاد يتربع على عرش مصر وقصر الدوبارة حيث المندوب الانجليزي هو الحاكم الفعلي للبلاد والملك غير المتوج . كان على سعد زغلول ان يوازن بين اختياراته ... الممكن منها والمستحيل .. وكان عليه ايضا الا يقطع الخط الذي يصله بالاثنين .. وفي نفس الوقت عليه ان يظل المتحدث الرسمي عن جموح الشعب .

ولم ينجح سعد زغلول في التفاوض مع البريطانيين بشأن التحفظات الاربعة ... وبعد ذلك يجيء حادث اغتيال السير لي ستاك في السودان ويقدم سعد زغلول استقالته بعد ان حرر شيكا بنصف مليون جنيه للبريطانيين على سبيل التعويض .. وتوالت الوزارات . وزارة يضعها الملك .. ووزارة الوفد ..

وتجدر الاشارة الى ان البرلمان الذي كونه ملاك الاراضي في هذا الوقت . لم يهتم بالفلاح او العامل احتى اهتمام .

ولبيان مدى الظلم الواقع على هاتين الفئتين ـ تقول الكاتبة ـ ان نصف الاراضي الزراعية في الدولة كان يملكها ٢٢٠١٦ من ملاك الاراضي . اى ان نصف الاراضي الزراعية كان يتحكم فيها ٢٪ من سكان مصر . في حين ان ٦٦٪ يمتلكون ٣٠٠,٠٠٠ فدان فمثلا عندما جاء الملك فؤاد الى الحكم كان يملك ٨٠٠ فدان . وفي نهاية عهد الملك فاروق في عام ١٩٥٢ عندما احصوا ممتلكاته بلغت ١٠٠ الف فدان .

ايضا تذكر د . عفاف لطفي السيد ان اصحاب الاراضي من الاثرياء تعاونوا مع الانجليز لتتحول مصر الى بلد يزرع محصولا واحدا هو القطن، ذلك لانه يضمن لهم الربح والثراء . ولكنه في نفس الوقت يربطهم اكثر واكثر ويقرب بينهم وبين بريطانيا . المشتري الرئيسي للقطن . فهذه الصلة الاقتصادية كان لها انعكاس طبيعي على العلاقة السياسية بين هؤلاء

(كانوا يحـــكمون ولهم رأى فى البرلمان) وبين بريطانيا .. اذ انها حطمت معارضتهم للاحتلال البريطانى فى مصر ..

وكانت فى بعض الاحيان لاتمكن وزارة اكثر من اسبوع واحد .. ثم تقال او تستقيل .. مما جعــــل الاهالى ينظرون الى الاحـــزاب والوزارات على انها منـاورات .. تخدم مصالح اصحابها فقط ..

وتقول الكاتبة .. انه بالرغـم من انه كان بين رجال الوفد أناس عـلى درجة من الوطنية تدفعهم لمحـاولة الحصول على الاستقلال لبـلادهم ، فانهم فى نفس الوقت كانوا يعتبرون مسالة تحسين ظروف الفلاحين امرا لا يخصهم ، وهذا الفصل الحـاد بين الاستقلال السـياسى والقضـية الاجتماعية ادى الى قصور دفاعهـم عن القضية الوطنيه على الاقـــل بالنسبة لجموع الشعب .. عندمـا يتحدثون عنها .

وكان هناك آخرون يدفعهم خوفهم من الافلاس كما تذكر الكاتبـة الى اتباع القواعـــد البريطانيـــة فى التعامل مع الاحتلال الانجليــزى فى مصر ..

ولما لم يشا الباشـوات مالكو الاراضى ان يعتـرفوا بانه فـــرق بين الاستقلال السياسى والاسـتقلال الاقتصادى .. ببعده الاجتماعى ايضا قام طلعت حرب بتاسيس بنك مصر .. لاشهار مبدأ الاستقلال الاقتصـادى ضد الانجليز .. كركيزة اساسـية للاستقلال السياسى .. ولكـن حتى عندما استجاب اصـــحاب رءوس الاموال لدعوة طلعت حـــرب .. وانشاوا بعض المصانع .. لم يتخذوا موقفا ازاء ملاك الاراضى .. يقنعهم بتغيير ارائهـــم .. بل على العكس انحازوا لهم اذ اعتبروا انفســهم من نفس الطبقة .. فهم كانوا يتطلعـون الى طبقـــة الملاك الاثرياء ذلك ان اصحاب المصانع كان معظمهـــم من البرجوازية الكبيرة ، او المتوسطة.. وما لبثت ان ذابت الحدود بينهم .. عندما شارك ملاك الاراضى بأموالهم فى اقامة المصانع وادارتهـــا .. ثم بالزواج بين أبناء الفئتين لم يعـــد ممكنا التمييز بينهـــم .. وكان ذلك على حساب العمال هذه المرة .. اذ عندما دخل اصحاب المصانع البرلمان لم يثيروا مشكلة تحديد ســاعات العمل .. ومشاكل العمال الاخرى.. تماما مثلما فعلت طبقة ملاك الاراضى .. من قبل ، وكانت النتيجـــة انه بالرغم من ان مبدأ تملك المصـــريين للمصانع .. كان هو المدخل الطبيعى لاستقلالهم الاقتصادى ، فان المصانع المصرية شاركت المصانع الانجليزية فى استغلال العامل ..

وهكذا وجد الفـــلاحون والعمـــال انفسهم بين شقى رحى مــــع ملاك الاراضى والمصـــانع والبرلمان وبـدا السخط الشديد يسود فى اوســـاط العمال والفلاحين والطلبة المتعلمين الذين لا يجدون وظائف يعملون فيها

وعن التعليم تقول انه يكـــفى ان نشير الى ان ايام الاحتلال البريطانى فى مصـــر .. كانت ميزانية التعليم ١٪ وظل هذا الوضع سائدا حتى بعد صدور القوانين التى جعلت التعليم الزاميـا فى المرحلة الابتدائية ، لان هــــذه القوانين ظلت معطلة بحجـــة قلة الامكانيات .. والمكاسب الحقيقية فى مجال التعليم لم تتم الا فى عهـــد عبد الناصر وفى عام ١٩٣٦ تـــوفى



الملك فؤاد بعد ان حكم مصر كسلطان ثم كملك لمدة تسعة عشر عاما ٠٠ وجاء بعده الملك فاروق وظهر انشقاق اخر في حزب الوفد ٠٠ على شكل حزب اخر اسمه « السعديين » ولم يكن بينه وبين الوفد او « الاحرار الدستوريين » اى تناقضات جوهرية سواء في المنهج او الفكر ٠٠ ذلك لان الدافع الى هذه الانشقاقات كان الخلافات الشخصية المحضة ٠٠ لذلك كان كل حزب يستمد شخصيته من شخصية رئيسه وشعبيته والنتيجة انها احزاب قامت على اشخاص اكثر مما قامت على مبادىء ٠٠ حسبما ذكرت د ٠ عفاف لطفى السيد ٠

وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ اندلع حريق القاهرة ٠٠ الذى لم يعرف فاعله حتى اليوم ٠٠ والذى انهى فترة التجربة الليبرالية فى مصر ٠٠وانهى الملكية ٠٠

ثم جاءت ثورة الضباط الاحرار ورحل فاروق عن مصر والغيت الملكية واعلنت مصر جمهورية نظامها رئاسى ٠٠ وانتخب محمد نجيب كاول رئيس جمهورية لمصر ٠

● من عبد الناصر الى عهد مبارك ●

تنتقد المؤلفة عبد الناصر ٠٠ الانتقادات التقليدية فى مجال الديمقراطية وحقوق الانسان ٠٠ وانتشار التعليم بصورة تعذر معها استيعاب هذا العدد بعد التخرج ٠٠ وتصفه بالطفولة حين تقول ان(غلطه الطفولى) دفعه الى تاميم قناة السويس ٠٠٠ ولا ادرى من اعطاها حق السب هذا ٠٠ فتختلف مع عبد الناصر فى الرأى ٠٠ وليس من حقها ان تنزل من قدر احد زعمائنا البارزين ٠٠ ويبدو أن الكاتبة لم يرق لها حكم عبد الناصر ٠٠ ولها كل الحق فى ذلك ٠٠ رغم اختلافنا الشديد معها ٠

والكاتبة فى نهاية حقبة السادات تقول انه من المفارقات الغريبة والمثيرة فى التاريخ ان المصريين لم يذرفوا دمعة واحدة على اغتيال السادات بهذه الطريقة (المأساوية)، فى حين ان مصر كلها خرجت تبكى فى الشوارع لدى سماعها نبأ وفاة عبد الناصر ٠

و د ٠ عفاف لطفى السيد دهشة من ذلك ٠٠ اذ كيف تبكى جموع الشعب المصرى ـ الذى خسر الحروب وعرض مصر للغزو والعدوان الاجنبى ، وبين الرجل الذى جلب لهم السلام واستعاد الارض المحتلة٠٠ كانت المفارقة واضحة وجلية ٠٠ ولكنها لم تفهم السبب !٠

وبالقطع فان المصريين يعرفون السبب جيدا ! لقد اختار السادات طريق الغرب ولم ينحز للبسطاء من شعبه ، أما عبد الناصر فقد تكلم بلغة البسطاء ففهموها ٠٠ وفهموه ٠٠ ودخل فى صدام مع الغرب كله ، ورغم انه جر عليهم المتاعب ٠٠ كما تقول الكاتبة ـ فانهم أحبوه ٠



بقلم: سليمان فياض

تلقينا ، وقد دعتنا الى عشاء ، وهى فى قميص نوم ، من الحرير البمبى ، وكنا عشرة ، خمسة رجال ، وخمس نساء ، نظرنا نحن الرجال ، الى بعضنا البعض . وهمست لنا نساؤنا قائلات :

ــ اعذروها . انشغلت باعداد الطعام ، ومازالت .

وسارعت نساؤنا الى مساعدتها ، بين المطبخ وغرفة المائدة . ونحن الرجال جلوس ، ننتظر تمام السفرة وشغل المقاعد بالاكلات معنا . وكانت هى آخر من جلس . جلست كما هى ، بقميص نومها البمبى ، قائلة :

ــ اعذرونى . لم اجد وقتا لتغيير ثيابى .

فتضاحكنا وقلنا نحن الرجال ، لها :

ــ نحن اهل . لا تهتمى .

وانتظرنا ، نحن الرجال ، ان تمتد يدها هى الى الطعام اولا ، وتدعونا اليه ، لكنها وثبت فجأة قائلة :

ــ نسيت .

وذهبت مسرعة ، وعادت تحمل زجاجة ويسكى ، وكئوسا ، وسطل ثلج ، وضعته على المائدة ، وقالت لنا :

ــ بعضكم يشرب ، وبعضكم لا يشرب .

ونظرت الى ، وقالت :

ــ هم اصحابك ، وانت تعرف من منهم يشرب ، ومن منهم لا يشرب . تصرف . ومدت يدها الى الطعام ، وقالت للنساء الاخريات :

ــ أطعمن رجالكن .

كانت هى الوحيدة بينهن ، بلارجل مات زوجها عنها ، قبل ثلاث سنوات . وكنا ، نحن الرجال ، ننظر اليها ، الان ، ونتذكرها برغبة ما ، طامعة ومكبوتة ، طامحة ومنكومة ، فلنسا نساؤنا ، وزوجها الراحل كان لنا صديقا .

لاحظت وانا اضع الثلج بالكئوس الثلاث ، انها ، مضيفتنا ، ترتدى قميصها البمبى على اللحم وان عينيها مكحلتان ، وان شعرها الملموم بالشابكة قد رطبه بخار الطهى . ولاحظ الرجال الاربعة ذلك معى ، فقد رايتهم ينظرون اليها ، والى بعضهم البعض .

فجأة ، رفعت راسها ، وقالت لى :

ــ وانا ؟ اين كاسى ؟

كنت اعرف انها تشرب . وقد شربت معها ، فى حياة زوجها ،






ويعد حياة زوجها ، وزوجتي معي فسارعت بصب كاس لها ، قائلا :

ـ اسف • ظننت انك الليلة ••

فضحكت من قلبها ضحكا تردد في سقف حلقها ، وقالت متاغشة :

ـ الليلة ؟ ولم الليلة ؟

وضحكت النسوة ، وتجهم الرجال الذين معي ، وانكفأوا على طعامهم • وضعت الكاس امامها وهممت بوضع الثلج ، فقالت لي ، كمن عزمت على السرور في ليلتها :

ـ لا ثلج ، ولا ماء ، ولا صودا • الليلة سك •

وانفجرنا ضاحكين ، وقد اثارنا الاعجاب بصراحتها ، وجراتها ، وشجاعتها • وعادت تقول ، وهي تنظر الي :

ـ اعرف ما تفكر فيه • كان ينبغي ان نشرب اولا قبل الاكل • فاتني ذلك •

واضافت قائلة للكل ، لمن يشربون:

ـ كلوا على مهلكم • اعتبروا الاكل « مزة » •

وضحكت ضحكتها المرقعة ، التي تتردد في سقف حلقها • وضحكنا • وصبت كاسها في حلقها دفعة واحدة ووضعتها امامي ، وقالت امرة فارعة عنقها الفينوسي :

ـ صب •

وصببت ضعف المعتاد ، فقالت لي زوجتي :

ـ على مهلك • ستسكرها •

فقالت هي ، مضيفتنا :

ـ لن اسكر • انا سكرانة فعلا •

وكانت عيناها في عيني ، عينان وامعتان ، معبرتان ، في وجه اسمر تذكراني بها ، وكانما تتحدثان الي ، حديثا معادا اعرفه ، ولا يعرفه سواي ، تحدثت لي العينان عن صاحبتهما عندما كانت فتاة صغيرة، تزوجها رجل مطلق يكبرها بعشرين سنة • ذكرتني العينان بمساورته لامراتي ، عن يوم زفافها ، حين دخل عليها زوجها ، وراته كما ولدته امه، يحمل زجاجة صفراء ، كهذه الزجاجة وجلس اليها ، وسقاها ، فشربت الزجاجة سكا ، وحملت الى المستشفى تلك الليلة ، لغسل معدتها• وحدثتني العينان عن رجلها كيف غار عليها من جاره ، فصار يغلق عليها الباب بالمفتاح ، وعن ندائها لرجلها اسبوعا بعد اسبوع ، واعتذاره لها ، ثم شخطه فيها ، فلديه ابحاث يكتبها ، والجنس يفرغ طاقته وعقله ، والمراة كانثى النحل لا تكاد تفرغ من الذكر ،حتى تقطم رقبته وصاحت، مضيفتنا في فجاة :

ـ كانك تعرف ما افكر فيه • صب •

وصببت • لكننا لم نكد نفرغ من الزجاجة ، ومن الطعام ، حتى رايناها تقف ، وتضحك بلا سبب ، مترنحة ، ثم تجلس على الارض ، وظهرها الى الجدار ، تحت النافذة البحرية المفتوحة ، وقد ضمت فخذيها الى صدرها بساعديها بشدة ،ولاتزال تضحك • فقالت لي زوجتي :

ـ مبسوط • سكرت •

وانشغلت النسوة الاخريات ،برفع



الطعام ، طبقا ، واطباقا الى المطبخ• يرحن ويجئن ، ناظرات اليها ،والينا، نحن الرجال • وكنا ندخن ونرقبها، ولا يجرؤ احدنا ، في حضور نسائنا على تقديم عون لها • حتى مساحت احداهن فينا ، وكنا ندخن :

ـ اذهبوا الى الانتريه •

لكننا ، قبل ان نستجيب ، رأيناها مضيفتنا ، تتمدد على الارض ، وتتمطى ، وتتقلب ، وهي تعوى ذئبة، وتدحرجت ، تحت المائدة ، حتى مس جسدها اقدامنا •

في تلك اللحظة ، وقفنا ، فقد تحول عواؤها الى بكاء محرق • واسرعت نساؤنا الى معاونتها • وذهبنا نحن الى الانتريه ، ننتظر نساءنا ، وقدومها ، حتى جاءت في الرهن ، وقد غيرت ثيابها وصففت شعرها ، تحمل صينية القهوة ، وتجهد حتى لا تترنح في سيرها ، وجلست صامتة تحدق في وجوهنا ، نحن الرجال ، واحدا واحدا • ولزمت نساؤنا الصمت • كن لها صديقات • وفي صمتهن خوف علينا ، وعلى انفسهن•

قنديليات



بقلم : يحيى حقى

نحن فى الانتظار

فى الوقت الذى بدا فيه - حتى بشهادة كبار الكتاب - انبعاث الانتاج الادبى وظهور جيل جديد يبشر بالخير - وفى الوقت الذى بدات فيه ترجمة أعمال الاجيال الجديدة ايضا الى اللغات الاجنبية بنجاح - اصبح من المأمول ان يواكب ذلك انبعاث فى حركة النقد ، واتمنى ان اقرأ بحثا جادا عن تطور النقد فى العصر الحديث،وارجو الا اخطىء كثيرا اذا قلت انه فيما يبدو لى بدأ نقدا ادبيا جماليا ، ثم تحول الى شعبتين ، نقد مذهبى حين ظهرت الدعوة الى الاشتراكية فقسم النقد الساب الى ملتزم وغير ملتزم ..

ولا أحجم عن المصارحة بان الحركة الادبية قد تأذت من هذا التقسيم فقد ظهرت الشللية وغاب عن الذهن معنى الفن قبل الشكل والضمون ، ويبدو أن هذا التقسيم قد خفت حدته .

والشعبة الثانية اسميها بالنقد المدرسى الذى يعنى بوضع القواعد والقوالب ويحذر من الخروج منها وزاد من انبعاثه مشاركة اساتذة الجامعة فى هذا التيار وكثرة المصطلحات النقدية التى قد لايفهمها القارىء العادى ، واصبح المقال النقدى اشبه بتحليل كيميائى ، وخيل لى ان الكتب الناشىء وضعت فى يديه وقدميه الاغلال وقيل له « امشى » ..

وهكذا غاب ايضا الى حد مامعنى الفن ، فالفن يعلو على جميع القواعد .. ويبدو أن النقد الان يتلمس طريقا جديدا للحكم على الاعمال الادبية لم يهتد اليها بعد ..

اريد ان اقترح منهجا يبدأ اولا بالقول بأن النقد هو عمل أدبى يتيح للقارىء الامتاع والمؤانسة تلك الصفة التى يحجم كثير من النقاد عن اشتراطها فى العمل الادبى .. لابد ان يكون هناك خيط واضح مفهوم يصل الناقد بالقارىء العادى .

ثانيا : ان العمل الادبى ذاته هو الذى يفتح باب النقد الملائم له ، فالكاتب الذى يتميز بثراء لغوى

لا يكون اسير لفظ يتكرر او طـــول فى الجملة لا يتبدل ..

يتجه النقد حينئذ الى دراسة مبلغ نجاحه فى معاملة اللغة العربيـــة. والكاتب الذى يتميز بمهـــارته فى الصنعة من حيث تطبيقه لطالب النقد المدرسى يكون السؤال مدى ما لحق عمله من نفع أو ضرر من هـــذا التقيد .

والكاتب الذى تبدو مهـــارته كالترزى فى تفصيل قطعة القمـــاش التى بين يديه الى ثوب محـــكم فيماذج بين القص والوصف والمنولوج الداخلى والحوار والفـــلاش باك وتلاعب بالزمن ، يلاحقه النقـــد فى مثل هذه المحاولة ليرى مبلـــغ توفيقه ، وهل احسن الاختيار لامكان هذا التحول من وسيلة الى اخـــرى اما الكاتب الذى يقصد متابعة تطور المجتمع ، ومصـــائب الاجيـــال فان النقد يتناوله من هذه الناحية ليعرف مبلغ صدقه لتشخيص الوضع .

ثم اعود واقول : لماذا يقتصـــر النقد على الدخول من باب واحد من هذه الابواب المتعددة فالنموذج المأمول عندى هو الذى يشملها جميعا ..

ويبقى اخيرا التزام الـــكاتب بالابتعـــاد عن الاجتـــراء على القيم الاخلاقية فاذا ورد فى كـــلامه شىء من هذا القبيل لدواعى القصـــة فينبغى الا يسرده على نفس المستوى الذى يسود أسلوبه ، بل أن يجعـــل القارىء يشعر انه وصل الى محور رئيسى فى القصة ينتبه له ، ولا يتاتى هذا الا اذا شعر بأن الكاتب ايضـــا منتبه له ، وان لم يطالبه باصـــدار حكم عليه .

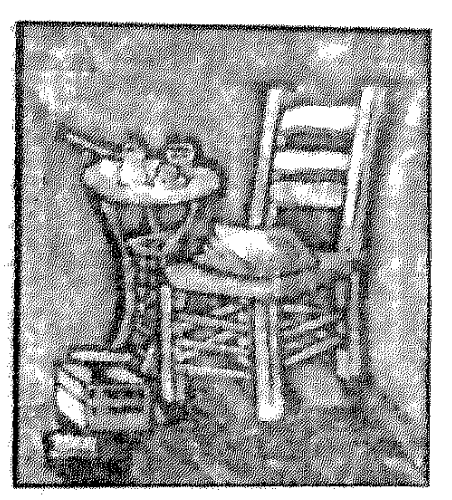


وفـــاء امـــرأة

لما أمر معاوية بقتل هدبة بن الخشرم ، أرسل هدبة خلف زوجته ليلا ، فأتتهُ فى أثواب من الخز (الحرير) يفوح منها المسك ، وكانت من أجمل النساء ، فلما اجتمعا تحدثا وتباكيـــا . فلما أصبح ، وأخرجوه من السجن إلى القتل ، التفت إلى زوجته فلما رآها انشأ يقول :

اقلى علىَّ اللوم ، وارعى لمن رعى
ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا ، والوجه ، ليس بأنزعا »

فلما سمعت ذلك منه مالت الى جدار حائط وجدعت « حزّت » أنفها بسكين ، ثم التفتت اليه وقالت : « هل بعد هذا نكاح ؟ » فقال : « الآن طاب الموت » .



مقاهي القاهرة
منابر سياسة ومدارس أدب

بقلم: د. محمد رجب البيومي

قرأت تحليل كتاب (القهوة والمقهى في الشرق) الذى كتبه مصطفى نبيل بعدد اكتوبر سنة ١٩٨٦ من مجلة الهلال ، وقد ختمه الكاتب راجيا ان يحين الوقت لان يكتب باحث عربي تاريخ المقاهي ، فتذكرت بالاسى اللافح صديقي الفقيد العزيز الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ، فهو الباحث الذى امتلأ صدره بتاريخ المقاهي في مصر ، وقد كان مجلسنا بالفيشاوى معه ، سجلا لتاريخ حافل يرويه الراحل الكريم عن مقاهي القاهرة ، وكانه يقرأ من كتاب ، وقد دون بعض هذا التاريخ في مجلة الرسالة وجريدة المصرى وكتاب فلاسفة وصعاليك ، ولكن ما دون معشار ما ترك ، وليتني الآن استطيع تذكر ما قال ، واذا فاتني الكثير ، فسأستعيض ببعض ما لدى من الاسفار ، ليرى قارىء الهلال كيف كانت مقاهي القاهرة مدارس ادب ، ومنابر سياسة ، وكيف حددت تاريخ مصر في بعض فتراتها ، وماذا تظن بمجالس تجمع الصفوة من كبار المفكرين ، وفي كل صدر خواطر ، ولكل جالس من هؤلاء لسان ينطق ، وعين ترى ، وعقل يحال ، وضمير يستنكر ، والاحداث تتوالى ، والفجاءات تتتالى واذا تحدث عنها العامل والتاجر والصانع فهل يسكت الزعيم الموجه ، والكاتب المدلل ، والصحافي النابه ، والشاعر المفرد ، وهؤلاء هم صفوة الجالسين ، وخيرة المترددين !

ولن يسمح مقال متواضع في الهلال ان يتسع للحديث عن مقاهي القاهرة حديثا مستوعبا ، فالمقاهي بها لا تعد والمرتادون من الصفوة كثيرون ، وما نقل عنهم اقل مما اهمل ، وسبيلنا ان نكتفي بالمثال ، قد يكون باعثا لدراسة مستوعبة يقوم بها دارس متئد ، في مجال فسيح .

قهوة تضم جميع الفئات

حين ورد الى القاهرة حكيم الشرق وباعث نهضته المصلح الفيلسوف الثائر جمال الدين الافغانى ، كان صدره يغلى بافكاره فتتطلب متنفسا ينتقل بها من المضيق الى السعة ، وكان لسانه الحكيم موهبته التى لا تفارقه قيد خطوة ، فهو يتحدث فى المنزل والطريق والمسجد مع من اجتباهم من تلاميذه ، وهم صفوة طلاب الازهر ، من أمثال محمد عبده وعبد الكريم سليمان وابراهيم اللقانى وابراهيم الهلباوى وشيئا فشيئا ذاع فضل الرجل ، وانتمى اليه سليم تقلا وأديب اسحق وابراهيم المويلحى وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى ، وزادت الحلقة اتساعا فخرجت من المنزل الى قهوة البوستة المعروفة بقهوة انطون ، وكان الافغانى مشرد النوم لا تكاد عينه تغمض ، فاعانه ذلك على السهر الطويل مع صحابته ، وهو على لكنته الاعجمية ، جياش الخاطر متدفق الحديث ، لان رسالته الاصلاحية ذات جيشان يهدد ويصطخب بين ضلوعه ، وله وجه فصيح الملامح ، وعين وهاجة البريق وغوص على الاعماق المستكنة ، وخبرة بكوارث الاستعمار ، ونفاق المستوزرين وغفلة النائمين ، فاذا عبر عن كل ذلك فقد نقل الناس من حال الى حال ، حين يرشدهم الى الهوة العميقة التى توشك أن تتسع لتبتلع ما فوق الارض من كوائن ، وفى قهوة البوستة تألف الحزب الوطنى الحر ، وهو أول حزب عرفته مصر على يد الافغانى كما وضعت مبادىء الثورة لاصلاح يعم العالم الاسلامى مبتدئا بمصر ، اذ زار الافغانى ربوع الشرق ، وفكر وقدر ، فرأى أن مصر قلب العالم الاسلامى ، واذا نهضت



فقد نالت سواها ، وحق ما قدر ، وطبيعي ان يلتهب السامعون حفيظة حين يكشف لهم الافغاني دور الاستعمار في الاستبداد السياسي ، والنهب المالي ، والتدخل في صميم الامور بحجة الحفاظ على سداد الدين الاجنبي ، وقد جاهر بمعاداة الخديوي اسماعيل واقالة من يصطنعهم من أمثال نوبار ، ودعا الى انشاء صحافة حرة توقظ النائمين ، وتتحدث عن معضلات السياسة ، واحابيل الاستعمار اذ لا يكفي أن يتحدث على القهوة في مجتمع محدود، فلابد ان تنتشر الاراء بين الناس ، وبتشجيع الافغاني أصدر الكاتب الشاب أديب اسحق جريدة مصر وكان محمد عبده وابراهيم اللقاني وعبد الكريم سليمان من كتابها ، بل كان الافغاني على رأس هؤلاء اذ صدرت مقالاته بتوقيع (مظهر بن وضاح) ولاول مرة في تاريخ الادب الحديث ظهرت المقالة السياسية ، واتسع المجال للحديث عن معاضل الاجتماع ومساوىء التعليم ، وأدواء الجهل والفقر والمرض ! كما عرف المصريون أن لهم الشأن في ادارة بلادهم وان الحاكم يجب أن يصدر عن أمرهم . وليس له ان يستبد بالامر دون رجوع الى مجلس نيابي يبحث ويقرر،قال الدكتور احمد امين«كان الادب قبل الافغاني غزلا في حبيب او رسالة الى صديق ، أو مدحا لامير أو استعطافا له ، أو وصفا لسفينة ، أو شكرا على هدية ! اما مصر وحالة شعبها وبؤس قومها ، وظلم حكامها وحقوق الناس فلا شيء ، فلما جاء جمال الدين قلب هذا الوضع ، وكانت قهوة البوستة هي مدرسة الافغاني التي غيرت مهب الريح

المضحكخانة الكبرى

في الوقت الذي كان فيه الافغاني يشعل نار الثورة في مجالسه بقهوة البوستة ، كان هناك مجلس اخر في قهوة أخرى بحي الخليفة بالقرب من مسجد السيدة سكينة رضي الله عنها . وان اتجه مجلس الافغاني الى الجد الصارم فقد اتجه رواد مقهى الخليفة الى الهزل المازح ، والضحك المباح . وكان رئيس المجلس هو الفكاهي المشهور الشيخ حسن الالاتي ، وله كتاب في ثلاثة اجزاء اسماه « ترويح النفوس ومضحك العبوس) والشيخ حسن الالاتي نادرة عصره في النكتة الطريفة ، والبديهة الحاضرة ، اهدى اليه في مجلسه بالقهوة احد الكبار من الرؤساء حذاء جديدا فلمسه الشيخ بيده اذ كف بصره في عهده الاخير ، وقال للمهدي على البديهة : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال (يحشر المؤمن في ظل صدقته) وهو تعليق يدل على منبع الفكاهة في نفس الشيخ ، وقد اشتهر مجلسه اشتهارا كبيرا فوفد اليه المتعلمون في الازهر ، وكان الوزراء وكبار الاعيان يذهبون الى المقهى متنكرين في غير ازيائهم الرسمية ليجهل مكانتهم فلا يحتشمهم الحاضرون ، ويأخذون في التندر كما يشاءون ، غير أن عبد الله باشا فكري وزير المعارف وهو اديب بطبعه لم يشأ ان يتنكر ، فكان يحضر المقهى ليأخذ في السمر على طبيعته مع رواده الادباء والعلماء من أمثال عبد الهادي الابياري وعلى الليثي وأبي النصر المنفلوطي ، وعثمان مدوخ ، وما منهم الا شاعر او خطيب أو عالم ، والذكر ان على مبارك قد اشتاق لمقهى الخليفة ، وحالت صعوبات يراها امامه دون أن يتمتع

بندوة الالاتى ، فطلبت من عبد الله فكرى أن ينقل الجمع الى داره ، حيث كانت له ندوة أسبوعية آهلة ، حضرها عبد العزيز فهمى فى صباه الاول . وتحدث عنها فى بعض ما كتب ، ولكن حسن الالاتى لم يرغب فى ترك المقهى مع جماعة ، وظل على مبارك يتسمع أخبار المجتمعين عن طريق بعض روادها ، وقد طارت شهرة كتاب (مضحك العبوس) حين صدوره ، لان جامعه الذكى قد انتقاه ليؤدى رسالته فى الترويح والتسرية، وحسبك ان يكون مضحك العبوس !! ومن المعروف أن جمعية المعارف حينئذ قد نشرت طائفة من كتب التراث مثل الاغانى والعقد الفريد والمستطرف وبها الرائع من النوادر فعكف الالاتى على قراءتها ، وأضاف اليها من حلاوة روحه ، وخفة تندره ما جعلها حلوة الموقع حين تروى ، وحين يحتذيها بطرائف كثيرة من بنات صدره ، تصادف الارتياح والايناس ، يقول الدكتور أحمد امين (واظهر ما فى الكتاب من فنون المضحكات ، فن المفارقات ، فقد ارتقى على يد الشيخ حسن الالاتى واستخدمه استخداما كبيرا ، فهو يقول فى مطلع خطاب له « الى السيد المهاب والضبع الوثاب ، الصادق الكذاب ، عالم العصر ، ومصلى الظهر وتارك العصر الذى بنى على ظهره مائة قصر، اعز الاخوان ، من تهابه الخرفان ، الضارب بالنقرزان ، قاهر ابن خلكان ، مولانا الشيخ رمضان » .

وقد يكون هذا القول حين يسرد فى كتاب ، ولكنه حين يروى هو امثاله فى مجلس الخليفة ، ويدور حوله التعليق تنكيتا وتبكيتا ، وموافقة ومخالفة فانه يكسب المجلس طرافة وبهجة ، فى وقت لم يكن فيه من أسباب الترويح غير الحديث الساخر ، والسمر اللذيذ .

مذكرات شائقة

أصدر العلامة السورى الاستاذ محمد كرد على مذكرات شائقة عن حياته فى عدة أجزاء ، وبين صفحاتها حديث عن ندوات الادب فى مصر اذ شاهد فى مذهبين شهيرين اجتماعات أدبية لاعيان الفكر فى عصره ، ففى قهوة (متاتيا) تجاه حديقة الازبكية ، كان يطيب له أن يجلس مع من سماهم جماعة دار العلوم كل مساء ، حيث يسمر أحمد السكندرى ومحمد الخضرى وعبد العزيز شاويش وحفنى ناصف ، وسلطان محمد وأحمد ابراهيم ومحمود دياب وحسن منصور ومحمد المهدى ومحمد عبد المطلب ، وجميع هؤلاء كما يعرف المثقفون من ذوى الرصانة والتوقر ، فاذا دار الحديث فعن عيون المسائل فى الدراسات الادبية واللغوية والتاريخية ، وان مقهى يحفل بهؤلاء، او باكثرهم كل مساء لهو جامعة اهلة ، وقد تجمع الجامعة المتوسط والجيد ، اما جامعة دار العلوم هذه فقد جمعت نخبة ممتازة لكل عضو منها دوره البارز فى فنه أدبا أو فقها او تربية او تاريخا ، ولو ان بعض تلاميذهم وفق الى تسجيل ما يدور من الحوار .. فى صفحات متتابعة لادهش واعجب ! وليس ذلك بغريب عن تراث العربية ، فقد الف أبو حيان التوحيدى أعظم كتبه (الامتاع والمؤانسة) مقتبسا من مجالس السمر فى دار الوزير ابن سعدان ، حين احتفل الوزير بقضايا الفكر وحرص على مسامرة ذويه ، فى ليال عدة ، شهدها ابو حيان وسجل خلاصاتها بأسلوبه البارع ! ولعمرى كم فقد الادب المعاصر حين حرم

مقاهي القاهرة

تسجيل هذه الامسيات ، وقد كان مما يفسح لها في النفوس أنهـا سبقت مساق السمر المتنقل من موضوع الى موضوع ، ولم توصم بالجفـاف المتزمت ، وقد أسف الاستاذ كـرد على لرحيله عن القاهرة ، وغيـابه عن منهل المقهى المستطاب .

أما المقهى الثاني الذي تحدث عنه الاستاذ كرد علي فهو مقهى السلام في شارع ابراهيم باشا ، وكان يحفل كل مساء بأعضاء البعكوكة الادبية ، وهي جماعة من اخوان الصفاء يراسها الشهير وحيد بك الايوبي ، ويقـوم المحامي الكبير ادوارد قصـيري بك بنيابة الرئاسة عند غياب الرئيس ، وتتألف جماعة المقهى كما يقـول الاستاذ كرد علي من محامين واطباء وأعضاء بمجلس النواب ورؤسـاء دواوين وصـحافيين ولا يقـل المواظبون على الاجتماع الليلي الدائم عن ثلاثين رجلا ، ما فيهم الا الممتاز بأدبه وفضله ، وكانت اجتماعاتهم للمرح والتنادر ، وتناقل الاخبار ، وتاهيك بجمعية يحضرهـا الدكتور محجوب ثابت ذو الروح الخفيفة ، والامال الشاسعة في السياسة والطب . واذا وقفت جماعة دار العلوم بمقهى متانيا عند الجد الرصين ، فان جماعة مقهى السلام تجاوزت الجـد الى المرح الضاحك ، ولعل الاستاذ وحيد الايوبي كان أحد بواعث هذا الضحك اذ جعل من دأبه أن يكتب في أمـور اللغة دون عمق وأن يشارك فيهـا في عجلة ، وربما اخترع الفـاظا جديدة لاشياء مستحدثة يكثر حولها التعليق ، لقد تحدث وزير بريطاني في ايام ثورة سنة ١٩١٩ فذكـر ان الانجليز يرابطون بجيشهم في مصـر لحماية الاستقلال ، ولم يسكت الاستاذ وحيد على هذا التصريح الهـازل ، فكتب في الاهرام تعقيبـا يقول فيه : اذن عندنا احتلال « انجليـزى واستقلال مصرى ، فماذا نسـمى الاحتلال والاستقلال في ان واحد ؟ لابد أن ننحت من الكلمتين كلمـة واحدة ، هي (الاحتقلال) اذ نأخـذ من الاحتلال حرفين ومن الاسـتقلال ثلاثة ! وكان امتداد رئيس الجماعة الى هذا اللفظ مجال تندر في الصحف والمجالس دام أسابيع ! ولابـد ان ندوة مقهى السلام قد سعدت بنقاش ذوى الـدربة من اعضـائها ، وان الاستاذ وحيد هاجم وهوجم ، ورضى وغضب ، وهاج واستقر ، ومن وراء ذلك انس السمر ولطافة الحديث

ندوة الحلمية

في شارع محمد على الصاعد الى قلعة صلاح الدين ، وأمام مسـجد قوصيون كانت قهوة الحلمية ناديـا ادبيا سياسيا معا اذ كان حـافظ ابراهيم ومحمد عبد المطلب وحسـين شفيق المصرى وأحمد نسـيم ممن يرتادونه فينشدون الشعر ، ويروون الطرائف ثم هبت ثورة ١٩١٩ وصارت السياسة شغل النـاس جميعـا واضطر القـائمون باشعال اللهب الى كتابة المنشورات السياسية المتواليـة في مكان بعيد عن شارع الازهـر ، فكان نادى الحلمية مأوى مصـطفى القاياتي ومحمود أبي العيـون ودراز وعلى سرور الزنكلوني ، ومن يلتف حولهم من الشباب الثائر كعبد الرحمن الجنيلي وابراهيم عبد الهـادى ، وطبيعي أن ترتفع الاصوات بالحوار ، وأن تدبر الخطط لمهاجمة الاحتـلال

ثم تكون النتيجة أن يلتفت المستعمر الى مكمن الخطر ، فيطلق عليه النار ، ويأمر باغلاق المقهى لعهد طويل ، وقد اثار الشاعر محمد الهراوى فى رثائه لابى الفتح المفتى وكانا معا من مؤسسى نادى الحلمية ومن اشهر مرتاديه) اشار الهراوى الى مجالس (الحلميتين) الحلمية القديمة والحلمية الجديدة فقال

سل الحلميتين وما قضينا
هنا لك من ليالينا العذاب
وكن فى دجاها او ضحاها
كزهر الافق او زهر الروابى
يضم شتاتنا ناد فنحيى
عليه عكاظ فى سوق عجاب
تمر الثورة الكبرى علينا
فنغشاها مع الاسد الغضاب
ولا نخشى السهام ولا العوالى
ولا الجند المدجج بالحراب
فنقضى حق مصر وقد دعتنا
ونرجع للحديث المستطاب
فسائل نادى الاداب عما
تضمنه من الادب اللباب
قضينا ربع قرن فى حماه
نهبنا صفوه اى انتهاب

ثم مات صاحب المقهى ، وبدل مكان بمكان ، فانتقلت الندوة الى مقهى اخر بالحلمية نفسها ، اذ تقدمت فى الطريق الى القلعة عدة امتار واصبح النادى الجديد مقهى متواضعا أسرع اليه من تكرنا من الادباء والشعراء ، بل اخذوا يتزايدون فكان منهم حسن القاياتى ومحمد الاسمر وزكى مبارك واحمد شفيق السيد واحمد الزين ، وجلهم شعراء يمثلون لونا خاصا من الوان الشعر ، فهم انصار الديباجة البيانية ، وعشاق الجزالة الاسرة انا ، والرقة السلسة انا اخر ، وحين تحدث الناس عن مبايعة شوقى بالامارة انقسم المنتدون بالحلمية شطرين ، شطرا أيد المبايعة ويتزعمه محمد عبد المطلب وشطرا عارضها ويتزعمه محمد الهراوى

ثم ظهرت جماعة ابولو وناوأت انصار القديم ، او بتعبير ادق ، ناوأها ادباء الحلمية وشعراؤها فناوأتهم وامتدت الخصومة وكثر الاخذ والرد، وقيل الشعر المهاجم ، والشعر المدافع، ودوت الصحف بكثير مما قيل ، ثم مات الهراوى فانفرط العقد وتشاغل بعض عن بعض واصبحت الندوة تاريخا يروى .

مقهى الفيشاوى

كان من الاجدر ان ابدأ الحديث بمقهى الفيشاوى ، ولكن خفت ان تتزاحم الطرائف عنه فيبتلع سواه ، لان مقهى الفيشاوى كان الى عهد قريب معلما من معالم مصر يفد اليه السائح شرقا او غربا كما يفد الى ابى الهول والهرم والنيل ، وقد تجمعت عوامل شتى منذ تاسيسه من ١٨٦٣ فى عهد الخديوى اسماعيل على احاطته باطار سحرى يعبق بأريج التاريخ ، فالقاهرة الفاطمية تتمثل فى حى الازهر والحسين ، والسراديب المتداخلة بين البيوت العالية ذات الشرفات المتعانقة عن يمين وشمال تجعل السائح يدور فى



مقاهي القاهرة

مثل بيت جحا ، وخان الخليلي يعاجه وابنوسه وسجاده وأوانيه الاثرية يرسم صورة الامد البعيد ، وينتقل من مصر الفاطمية الى مصر المملوكية حين كانت هذه التحف انفس ما يوضع في منازل الكبار من الرؤساء ، اما المقهى نفسه فيروع بتداخل حجراته واختلاف ممراته ، وغرائب من فيه ، لان جو الحي الحسيني يقذف الى المقهى بطرائف لا تقف عند حد ، فحامل البخور يمر صائحا مسبحا لله ، ومجانيب الباب الاخضر يفنون بهياكلهم الاثرية ، واردیتهم الواسعة ذات الالوان البراقة ولحاهم السوداء التي تحيط بالوجوه ، فتكون اطارا للعيون المتوهجة والاسنان البارزة وصوت المجذوب يصيح : الله الله : فيلفت الغريب والقريب الى شيء غير طبيعي، على تكراره اليومي ، لان تأثيره يتجدد بتجدد الصياح ، والقطط الاليفة على الركب والايدي في تودد لا يخيف ، وفي السائحات والسائحين من يحضر لها السمك واللحم واللبن للصغار ! ويأخذ المقهى ابهى حلله الزاهية في سهرات رمضان ، حين يجتمع القاهريون من اقصى الضواحي للسهر في المقهى ، واحساسهم بقربه من الحسين والازهر يحيط السهرات بروح ديني يكسبها معاني الرحمة والثواب والغفران ، وبخاصة اذا كان الشاي الاخضر او الاحمر هو المشروب الدائم ، وله طابع خاص لاتجده في غير مقهى الفيشاوي، فالبراد البنفسجي،والصينية الصفراء والاكواب الرشيقة الصغيرة ، تحمل قليلا من الماء البارد ليصب عليها الشاي الساخن ، وقطع السكر ذات الحجم الضئيل تترك ليأخذ منها الشارب او ليدع حسب هواه ، كل ذلك يظهر في مظهر الشيء الجديد بالمقهى ، حتى النرجيلة ذات طابع خاص منظرا وصوتا وطعما ، يجذب الالتفات ، ثم يمر بك بائع الكتب يحمل عبئه الثقيل في رضى وقنوع ، وبائع الفول السوداني واللب اسمر وابيض والحمص في قراطيس صغيرة، فترحب بكل هؤلاء ، اما الذي يغضب حقا فماسح الحذاء ، حين يلح عليك، وهو يعلم ان زميله قد سبقه الى اداء مهمته بيقائق وجدة الصبغة السوداء او الحمراء او البيضاء شاهدة ناطقة ، ومع ذلك ، لا ينصرف دون ان يمنح ، والسياسيون والفنانون والادباء جميعا من رواد المقهى في في سهرات رمضان ، فذكرى اباظة وحنفي محمود وتوفيق دياب وصبري ابو علم ، وزكريا احمد وبيرم التونسي والسيد بدير ، كل هؤلاء قد عرفت وجوههم هنا في سهرات رمضان ! اما عبد الحميد الديب ومصطفى حمام وطاهر ابو فاشا ومحمود غنيم ونجيب محفوظ فلهم ذكريات عن المقهى لا تنقطع ، وقد كتب الاستاذ احمد بهجت فصلا بديعا بجريدة الاهرام عن مقهى للفيشاوي تحدث فيه عن نشأته وحياة صاحبه ، وصوره بصورة له فوق حصانه الاشهب ، ومما ذكره الاستاذ احمد بهجت ان الفنانه نجوى سالم شاهت

ان تسفر من بائع الفول السوداني بالمقهى ، فاظهرت حبها له حتي اقتنع، واخذ يطالبها بتعجيل الزفاف ، ثم اوحت الى سائق سيارتها ان يهاجم البائع المسكين ، ويدعى انه اخوها وانه يرفض هذا الزواج ، ويكون مشهدا تمثيليا يجذب الانظار ،ويأخذ طرافته حين يكون النظارة جميعا هم الممثلون اذ يتدخلون لفض النزاع ، وترضية البائع ببعض عبارات العزاء! وقد تضاءلت مكانة المقهى هذه الايام ولكننا نفد اليه لنتذكر الماضي ونوازن بين عهدين !!

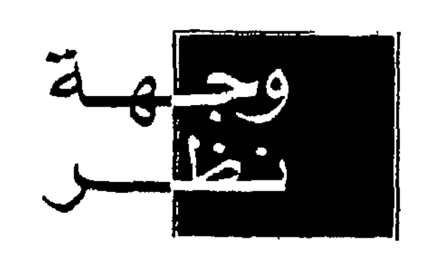
مقاه مماثلة

فى كتاب (خبايا القاهرة)للاستاذ احمد محفوظ حديث طريف عن مقاهي العاصمة وفى مقدمتها مقهى نوبار الذى كان يجذب الجمهور طمعا فى رؤية عبده الحمولى وسماع صوته ، ومقهى دار الكتب وزعيم رواده حافظ ابراهيم ، ومقهى الانجلو وزعيمه الدكتور على باشا ، وبار « صولت » وقد كان شوقى يلازمه ولا يكاد يبرحه الى عشرات من هذه الامثلة التى يضيق المجال عن استيفائها » وفى عواصم المحافظات مقاه مماثلة، يعرفها الجمهور بروادها الادباء ، فللزيات مقهى بالمنصورة ، وللرافعى مقهى بطنطا ، ولاحمد محرم مقهى بدمنهور فاين من يتتبع هذه الاماكن لينقل بعض ما دار ، اذ لا يزال من الاحياء فى كل مكان من يحتفظ بذاكرته القوية ، فيتحدث بما كان ، ومعلوم أن احاديث الندوات تعلن من الخبايا ما لا تعلنه الكتب المتداولة ، فالاديب الكبير يلزم الحيطة فيما يوقعه باسمه متقدما به الى الجمهور العريض ، أما ما يقوله عن زملائه واعيان عصره فى مجلسه الضيق بالمقهى فيتسع للنقد الجرىء ! ومن هنا تتجسد الاهمية الكبيرة لتدوين ما تردد من هذه الاحاديث ..

النسيان

لتلمس جفوني كل هذه .. حتى تعرفها
حتى تتجرح
وليحتفظ دمي بنكهة الظل الذى
لا يستطيع السماح بالنسيان

نيرودا



الغرق فى البحور الناضبة وافتعال التفعيلات

بقلم : ابراهيم فتحى

يتساءل البعض فى هـذه الايام ((هل هى نهاية الشعر العربى)) ويؤكدون على سقوط فن الشعر العربى لان شعراء التفعيله الشبان باتوا يجهلون الاوزان والبحور ، ولان الشعراء الجدد الملتزمين بالاوزان المتكاملة تدل اشعارهم على ان معرفة اكثرهم بالاوزان مهتزة ضعيفة ، فموت الشعر يرجع الى الجهل بالاوزان .

وقبل ذلك تكررت الدعوى نفسها عند كثيرين ، المرحوم العقاد اعتبر الشعر الحر نثرا ، والاخرون اعتبروه ردة عن الاسلام ولغة القرآن بل نجد ناقدا متبحرا واسع الافق هو الدكتور الطاهر احمد مكى يرفض هذا الشعر الحر ويعلن انه شخصيا ليس منه فى شىء ، لا يستسيغه ولا يتذوقه ويتمنى لو ينتهى الشعراء من رحلتهم فى عالم هذا الشعر الى شىء تحكمه قاعدة ويجرى عبر ضفاف ليعود التائهون الى الموارد الاولى (عالم الكتاب • العدد الثانى ١٩٨٤)

ان هؤلاء حريصون كل الحرص على موسيقى الشعر ، وعلى الحدود الفاصله بين الشعر والنثر ، وعلى معرفة التراث والعروض ، وهو حرص يشاركهم فيه كل من يحب الشعر العربى ، ولكن قرار اتهام للشعراء الجدد ينهض على افتراضات مسبقة تستحق المناقشة التالية •

• الايقاع ليس مرادفا للوزن •

يختلف الشعر بطبيعة الحال من حيث الكيف عن النثر ، فهو مضمار متكامل من القول ، له عناصره المميزة وقوانينه الداخلية • فهو من حيث نسيجه الصوتى باجمعه يتميز بانتظام يشيع فى جميع ارجائه ، بل

ان العامل المهيمن الذى يعيد تشكيل كل العناصر الاخرى هو « النموذج الايقاعى » • وهذا النموذج الايقاعى يؤثر فى جميع مستويات البناء الشعرى : مستوى الدلالة والايحاء الانفعالى والمستويات اللغوية الظاهرة من تركيب نحوى وصرفى وصوتى •

والايقاع هنا تناوب منتظم فى الزمان لظواهر قابلة للمقارنة فيما بينها ، وهذه الظواهر خبرات حسية سمعية (وبصرية وشعرية على نحو تابع) تمتلك امكانا للتنويه والتطوير وتستطيع ان تغير قيمتها الانفعالية خلال التعديلات المنسجمة وليست مقصورة على تعاقب اصوات الحركة والسكون • فالايقاع هو نسق الوجود الانفعالى وتجربة معايشته يتسع ليشمل تفاعل الاشكال بخطوطها وكتلها اللفظية ، وتعانق الالوان والنسيج او توتر العواطف وانفراجها وسرعة التدفق اللفظى او تمهله ، جرس « لكلمات » وتناغمها او خشونتها وتباينها ، انه ايقاع الشكل وايقاع الصور وايقاع الفكرة وايقاع الانفعال •

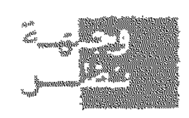
ومن الاقوال الشائعة التى كثر تداولها ان الشعر ليس تعاقب مقاطع الكلمات فى انتظام يتعلق بالحركة والسكون فحسب • فهناك هالات ترابط الكلمات وتداعيها ووتيرة توالى هذه الهالات ، والسياقات الطويلة والقصيرة للانفعالات والتصورات ، وثراء أو هزال الصور البصرية ، ووتيرة التوقف المفاجىء للاسترسال الخيالى بواسطة وقائع خالصة أو الوقائع المألوفة بواسطة خيال مبالغ ، وانتظام تعليق المعنى اللفظى بواسطة التماس بطول ثم يحل بواسطة كلمة بمثابة المفتاح طال انتظارها وكل ذلك مرتبط ببناء الايقاع وهيكله الموحد الشامل ويقال ان التوتر الذى تحققه الموسيقى خلال التنافر النغمى ، واعادة التوجيه فى كل حل جديد نحو الانسجام (الهارمونى) لهما مقابل شعرى فى انواع من تعليق وغموض يحيط بمعنى القضايا اللغوية ثم الوصول الى ضروب من الفصل والحسم تتحقق على نحو دورى منتظم فى القصيدة (سوزان لانجر ـ الفلسفة فى مفتاح جديد)

فالبناء « الهارمونى » للشعر ـ ان استعرنا اللفظ من الموسيقى ـ لا يقتصر على الرخامة ، وحسن الوقع فى الاذن اى على « ميلوديا » اللفظ (اللحن اللفظى) ، فتلك اقرب الى لون النغمة فى الموسيقى •

وكل هذا الاستطراد ضرورى للوصول الى ان الايقاع انتظام وتناسب متقان ، وتجسيد خارجى لنبضات باطنة وليس الطاعة الالية لمعادلات رياضية ميتة الاحساس ، وهو يتعلق بتجارب شعورية تسيل فى تدفق مرن وتوشك ان تذوب كانها النغمات الموسيقية تنبض موحية بالحياة فى كل أوجهها الصغيرة والكبيرة الساكنة والمتوثبة وبكل أوجه النفس ، وهل يصلح لذلك وعاء جامد يابس ، اتخذ منذ قرون صفة القالب الجاهز الناجز ؟

وبعد ذلك الاستطراد الى الايقاع الرحيب الذى يشمل الايقاع الصوتى وغيره ، نعود الى الايقاع الصوتى فى الشعر ، ووظيفته تجسيد الانواع الاخرى من الايقاع ، فموسيقية الادب لا تقاس كما يقول نقاد الرمزية ـ بترابطات صائتة للالفاظ فى مصطلحات كمية شبه رقمية « عدد معين من التفاعل » فتلك العلاقات الصوتية شديدة البساطة تغفل القدرة الايحائية الكامنة فى الكلمات





نفسها ، وليس ذلك مقصورا على استخدام الموارد والامكانات الموسيقية للغة استخداما متعمدا !• فهناك تفاعل فى الشعر بين عالم الصوت وعالم الفكر والانفعال وليس الصوت الشعرى دندنة او غمغمة أو جلبة منتظمة ضئيلة القيمة لا تبهج الا الاذن •

ولكن القيمة الانفعالية الفكرية لايقاع تداعيات الصور « وغيرها » ، فى الشعر لا سبيل اليها بمعزل عن الايقاع الصوتى ، وفى الشعر الحر ينضم الايقاعان الى اوسع مدى •

ان كانما منصفا مثل الدكتور على عشرى زايد « كلية دار العلوم » فى كتابه عن « بناء القصيدة العربية الحديثة » ينتقد اهتمام نقاد القصيدة العربية الموروثة بالموسيقى وهى لا تتجاوز عندهم الوزن والقافية لا باعتبارها وسيلة من وسائل الايحاء تعبر باعذب الاصوات واشدها نفاذا عن اعمق ما فى القلب الانسانى واخفاه وانما باعتبارها قالبا محكما صارما يتضمن المعنى أو ينظم فيه الشاعر افكاره واحاسيسه وخواطره « ص ١٦٥ »•

وهو يشارك الذين يرون فى الاوزان التقليدية ايقاعا مسرفا فى البساطة مملا ، وتؤدى الى نظم رتيب يبعث على الضيق ، وهو على الرغم من كثرة الالتزامات والقيود يتألف من نغمة واحدة منضبطة مكررة •

ويجب ان نوضح هنا حقيقة تتعرض للنسيان من انصار العروض التقليدية ، وهى أن البحر الشعرى للقصيدة لا علاقة له باغراض القصيدة ، فالبحر البسيط مثلا « مستفعلن فاعلن ، أربع مرات) يقول فيه ابو نواس •

انى امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر

وما أشبه بذلك ، كما تجىء فيه بردة البوصيرى فى مدح الرسول ونهج البردة لشوقى • وفى القصيدة الواحدة من هذا البحر ينتقل الشاعر من البكاء عند الرحيل « معلقة الاعشى الكبير » •

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل

الى معايشة اجزاء من جسمها فى فرحة ، الى الحكم والمواعظ فليس « البحر » ' لا وعاء جامدا غليظ الحس لا علاقة له بالتلوين الانفعالى، انه يصلح للرثاء والهجاء والغزل والحكمة والنزق، فى نفس الوقت •

وهل فى هذا القول مساس بروعة الموروث الشعرى، •

● قواعد موسيقى الشعر ●

هناك خلط شديد بين موسيقى القصيدة الموروثة الباطنة فيها ، وبين محاولات النقاد والعلماء لاكتشاف قواعد هذه الموسيقى ، ولن اكرر عشرات « الكسور » العروضية التى اكتشفها العروضيون فى معلقات الشعر الجاهلى نفسها • ان طريقة التوصيل والتناقل الشفاهية فرضت أن يكون « البيت » هو وحدة القصيدة متمشيا مع قدرة الناطق على التحكم فى التنفس ، وقدرة السامعين على تمييز الاجزاء بدقة ، كما جعلت القالب الخارجى الموزون خير معين على الحفظ وسهولة التذكر بل لقد امتد ذلك ليشمل قواعد النحو المنظومة وغير ذلك من العلوم • لقد كان ذلك مقتضى ضرورة خارجية لاضرورة داخلية فى موسيقى الشعر •

ان الشكل العروضي للقصـــيدة العربية الموروثة » وهنا اختلف مع الدكتور على عشرى زايد » لم يتسع لابعاد تجربة الشاعر العربي ، وانا ازعم ان الشكل الموسيقي الحق اى النموذج الايقاعي للشعر العـــربي مازال في حاجة الى اكتشاف كنوزه ، بل ان الاطار الخارجي العروضي قد عاق في بعض الاحيان هذا الاكتشاف

لقد روج ذلك المغالطة تذهب الى ان الايقاع مرادف للوزن • ان الـوزن ليس الا حالة خاصة خارجيـة في اوضاع الرواية الشفاهية للشعر ، وهو دليل سطحى على وجود هــذا الايقاع

بل ان هناك تناقضـا ضروريا بين « البحر » والايقاع

فالايقاع مبدأ تحول وتبدل ونمـو وانتقال من طور وهو امر حاسم في تحقيق التأثير الجمالي اما البحـر فما أسهل ان يتحول الى تصلب في الانسجة ، تناقض بين التنوع الايقاعي والطابع الالي الرتيب للبحر •

ولكن مشكلة التنـــاقض بين اى نموذج مثالي مقترح للوزن والايقـاع الفعلي للشعر ســـتظل قائمة فليس الشعر في المحل الاول تجميـــــلا موسيقيا خارجيا بواسطة الـــوزن والقافية ، بل ان براعة الـــوزن والمهارة الحرفية فيه لا تعرف فرقـا جوهريا بين الروائع الشـــعرية والاعمال العادية ، لذلك فان وضـع الوزن على العرش هو افتئـــار الى الروح الشعرية وازهاق لها ، وهبوط به الى الية المعادلات •

ولكن الشعر على النقيض من ذلك بناء مركب متعدد الابعاد ، وهــذه الابعاد لن تتكامل الا من خـــلال وحدة الهدف الجمالي اى الوحـــدة متعددة الاصوات للقصـــيدة ، حيث تناظر كثافة الوسيط الشعرى الكثافة النغمية متعددة المستويات لجســـد العالم ، وهنا نجـــد الشاعر مشتبكا في صراع مع هذا العالم من خـلال وسيط ايقاعى لا يمكن اختـزاله الى حركة حروف وسكونها •

● افتعال التفعيلة ●

ونقطة الضعف الاساســـية في الدراسات العروضية التقليـــدية هى فكرة التفعيلة « القـــدم FOOT في الانجليزية » ، وهى عنصر متخيـــل وليس طبيعيا كما يحاول بعض الناس أن يدفعنــــا الى الظن فالوحــــدة الحقيقية هى السطر الشعرى باعتباره شذرة متميزة ، شذرة معنى أو دلالة ملتحمة كل الالتحام بعناصر تكوينها الايقاعى التركيبى فهى فى نفس الوقت وحدة تنغيم •

ولنأخذ مثلا البيت :

من يتب عن حـــب معشـــوقه
لست عن حبى له تائبـــــــا

واســـتمع الى تقطيعـــــه :

منتيبحن حبيمع شــــــوقهى
لستعنحب بيلهـــو تائبـــا
فاعلاتن فاعلن فاعـــــــلن
فاعلاتن فاعــــــلن فاعـــلن

/٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥
/٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥

بحر المديد ، العروض الثانيـــة ، الضرب الاول

او البيت :

فكدنا جميعا من حلاوة لفظـــه
نجن ولم نسطـع لمنطقة صـبرا

وتقطيعه

فكدنا جميعنمن حلاو تلفظهى





نجنن ولنسطع لنط فهيصبرا
فعولن مفاعلين فعول مفاعلن
فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن
من بحر الطويل « فعول مفاعيلن اربع مرات »

ونلاحظ فى « التقطيع » تمزيقا للعلاقة بين النظم والدلالة وطمسا لحدود الكلمات ذات المعنى واصطناعا مفتعلا لوضع السكتة بين الكلمات ، وللربط بين حروف كلمات منفصلة المعنى والنطق وللفصل بين حروف الكلمة الواحدة ، وكل ذلك نشاز يلحق الضرر بأهم شيء فى موسيقى الشعر وهو تفاعل الصوت والمعنى « النظم والدلالة » ، فحدود الكلمة والجملة عامل مؤثر فى الادراك الحسى للقصيدة ، « فكتور ارليسن الشكلية الروسية بالانجليزية)

وفى العربية كما فى لغات اخرى تبتعد الدراسات للعروضية التقليدية عن التاريخ الحى للشعر ابتعاد الدراسات النحوية عن التاريخ الحى للغة .

وهناك محاولة شهيرة للايماء الى طريق الحل عند جورج طومسون ، وهو يرى أن الفنون الثلاثة الرقص والموسيقى والشعر بدأت جميعا فنا واحدا وكان مصدرها الحركة الايقاعية للاجساد البشرية المستغرقة فى عمل جمعى وكان لهذه الحركة الايقاعية عنصران عنصر الحركة الجسدية المنتظمة المتناسقة وعنصر الاصوات اللغوية فى الغناء « الانشاد » المصاحب للحركة .

وثمة صلة وثيقة بين الايقاع والعمل « النسج الحصاد التجديف حمل الاثقال » ، وربما كانت اغانى العمل فى البداية تعاويذ ورقى صاحبت الحركة التى تتكرر فى فترات منتظمة دون تنوع أو تغاير وثمة مقطعان « هيلا ــ هوب مثلا » الثانى لحظة بذل الجهد ، والاول تحضير وتمهيد واحيانا يستكمل المقطعان بمقطع ثالث للاسترخاء . ولحظة بذل الجهد هى العنصر الثابت اما المقطع التحضيرى فعنصر متغير وهما يشيران الى رفع اليد أو القدم وخفضها فى الرقصة ، وبقى منها فى المصطلح العروضى التقليدى اثر خافت مشوه مقطوع الصلة بينابيعه الحية ، هو المقطع المنبور

او ما يسميه بعض الباحثين العرب المقطع الطويل » ويتكون عندهم من صامت + صائت طويل مثل حرف النفى لا ، او صامت + صائت قصيرة + صامت مثل حرف الجر من» ويقابل لحظة بذل الجهد فى العمل او رفع اليد او القدم فى الرقصة اما المقطع التحضيرى فيقابل المقطع غير المنبور فى الانجليزية

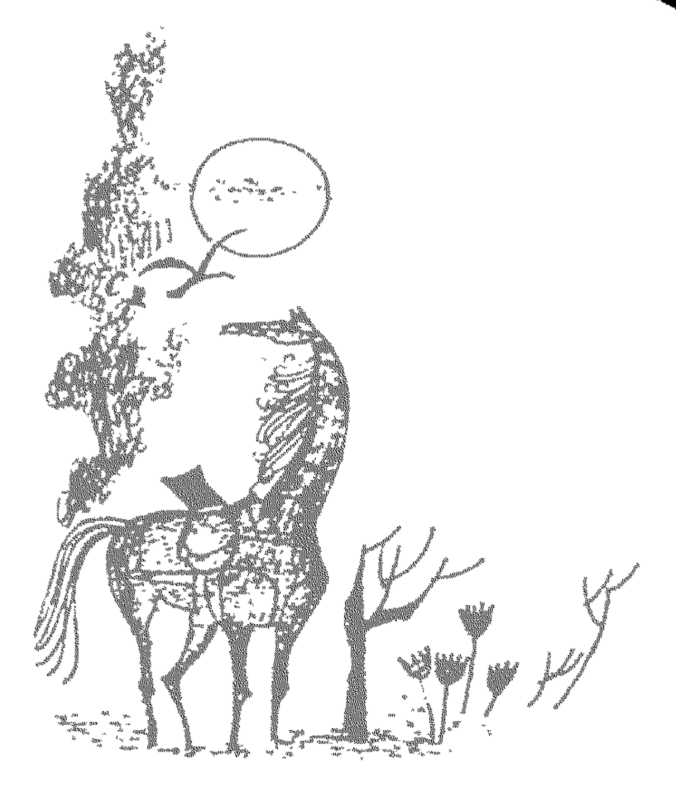
أو ما يسميه بعض الباحثين العرب المقطع القصير ، » ويتكون من صامت + صائت قصير مثل حرف الجر ب» وهكذا تمتد جذور النبر الى حركة الطرق بالاقدام والعصى والتصفيق والدق ثم الى نماذج العمل الاولية .

وقد تطورت اغنية العمل ــ التى امتصها بناء القصيدة فيما بعد بتوسيع نطاق التغير المرتجل بين لحظتى بذل الجهد « لحظتى الارتكاز وتوليد الحوار بين الصوت المنفرد الجماعة المرددة « الجوقة » التى لا تكتفى بالترديد بل تعكس تعقيب « الجماعة » على السلوك الفردى وتجسد الحكمة المتبلورة والاعراف

شعر

فولاذ عبد الله الأنور

مجيئة



مرّ فى قلبى المُغَنِّى ألفُ وجهٍ قَبْلَ وجهِكْ
لفتاةٍ حُرَّةٍ أوٍ مرأةٍ فى مثل أسرِكْ
فتبدَّدْنَ دُخاناً ، واستقرَّتْ نارُ سَحرِكْ
فحملتُ النار فى القلب وهاجرت لبحَرِكْ

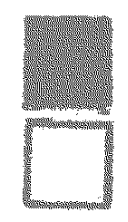
فجأةً ،
صرتُ أقوم الليل مبهوتاً ،
وأمضى خلف صوتٍ غير مسموعٍ حوالىَّ ،
وكفِّى تنقبُ الظلمة : ،
هل أنت هنا ،
أَمْ أنّهُ الحلْمُ الذى طار مع اليقظةِ ،
قولى ؟.
عينك الدكُناءُ ،
لَمَّا سافَرَتْ نظرتُها فى نظرتى ،
كنتُ تناسيتُ صداها فى زحام اللغو والزيفِ
وفى زحفى على الشمس ،



ونومى آخرِ الليل صريعا محبطا ،
كنت تناسيتُ صداها ،
فجأةً ،
تَحْتَ سياط الحلمِ ،
عَرَّتْنى من النسيانِ ،
قادَتْنى إلى أرض النبيينَ ،
وساقتنى لوادى الجنِّ مرتدًّا ،
وعادتْ بِى إلى موتىَ فى الليل ،
وكفِّى تنقُبُ الظلمة :
هل أنت هنا ؟ ،
أَمْ أنه الحلم الذى طار مع اليَقظةِ ،
قولى ؟.
أيُّها الحبّ المحطَّمْ
لا تعذِّبْنى تكلَّمْ
وجهُكِ الهادىء شَوَّط فى الليالى ليس يرحمْ
يتلوَّى منه قلبى وضلوعى تتألَّمْ
أعجز الحبُّ لسانى ياحبيبى ، فتكلَّمْ .

سينما في مفترق الطرق

بقلم: مصطفى درويش



قبل ان يلملم عام ١٩٨٦ أطرافه ويختفي في العدم جاء "شادى عبدالسلام" الموت في الثامن من اكتوبر ، وهو في الستة والخمسين من سنيه ، ليغادر الارض مخلفا فيلما روائيا طويلا واحدا من اخراجه على امتداد عشرين عاما الا قليلا ، ومشروعا لفيلم ثان يحكي ماساة عمرها ثلاثة آلاف عام او يزيد .. حياة اخناتون الفرعون الكافر .

هذا المشروع الذى استهلك خمسة عشر عاما قضاها صاحب "ليلة حساب السنين" فى البحث التاريخى وكتابة السيناريو .. فى صنع المجوهرات ، الصولاجانات ، الملابس ، الاثاث ، عربات الحرب والمراكب الملكية .. فى اعادة البناء والرسم للمعابد التى لم يعد لها وجود ، وللمقابر التى اغتصبت ، جردت من محتوياتها الشيقة النفيسة منذ امد بعيد .

كل ذلك جرى من أجل ان يبعث اخناتون الفرعون الذى خرج على دين الاباء والاجداد ، كى يقيم عبادة جديدة عمادها تقديس قرص الشمس ، وتكريسه إلها واحدا لا شريك له .

كل ذلك بذل من عرق ودم وهم ليرتطم بجدار الافق المسدود .

● الجريمة لا تفيد ●

وما كادت تنقضى عشرة ايام على رحيل حكيم السينما عنّا فى هدوء كما عاش فى وادينا هادئا رقيقا كالنسيم ، حتى روع الوسط الفني بخبر مقتل نيازى مصطفى رائد السينما فى مصر وشيخ مخرجيها ، وهو فى الخامسة والسبعين من العمر ، ليترك المعترك مخلفا مائة

واثنين وخمسين فيلما آخرها "التوت والنبوت" المأخوذ عن الحكاية التى تنتهى بها حرافيش "نجيب محفوظ" والتى نراها فى الفيلم ، وقد تحولت الى زعيق وخناقات وضرب بالنبابيت ، وامرأة يلهث وراءها رجالات الحارة وفتواتها ، وغانية وخواجة يلهثان صباح مساء وراء زين الفتوات "سمير صبرى" !! ، وكذلك مشروعا لفيلم اسمه "القرداتى" (فاروق الفيشاوى) شاءت الاقدار للمخرج القتيل ألا يرحل دون ان يكملة بتصوير آخر لقطاته ، تاركا أمر التوليف للخلف المستفيد من كل الضجيج والعجيج والاضواء الذى لابد ان يصاحب حادث قتل وتمثيل بجسم نجم له فى سماء سينما الشباك شأن كبير .

● حيرة وضياع ●

ولو حاولنا ان نسترجع ما جرى للفن السابع فى ديار مصر قبل الثامن من اكتوبر وبعده ، لوجدناه فى حالة جزر يثير القلق .

فأى متأمل لحصاد ١٩٨٦ من الافلام المتسمة بالجدية او المصطنعة لها يلاحظ عليها .

أولا : أنها بالنسبة لرقم الأفلام التى عرضت خلال العام ـ وهو قياسى ـ قليلة جدا ، فهى لا تزيد على عشرة افلام بدأت بفيلم "للحب قصة أخيرة" لرأفت الميهى ثم "سعد اليتيم" لأشرف فهمى "قفص الحريم" لحسين كمال و "الطوق والاسورة" لخيرى بشارة" و "مشوار عمر" لمحمد خان و "البداية" لصلاح ابو سيف و "الجوع" لعلى بدرخان و "اليوم السادس" ليوسف شاهين و "عودة مواطن" لمحمد خان وانتهت "باه يابلد آه" لحسين كمال .

ثانيا : إنها فى معظمها تتعامل بأسلوب بال عفا عليه الزمن ، ومع موضوعات قديمة طرقت من قبل كالضياع والفساد



سعاد حسنى بائعة بلحا فى "الجوع"

سينما

والاستبداد وشقاء المرأة والفقراء الى غير حد ، وانتشار التنافس والتباغض والاحتيال الى آخر هذه الرذائل التى تتكشف عنها الطبيعة الانسانية حين تلم بها الخطوب ، وتلح عليها الكوارث بلختصار لم تسع بحثا عن آفاق جديدة ، عن احلام ترفض الاستسلام ، تصعد بنا قليلا لنبصر .

ثالثا : إنها ، فيما كان منها مأخوذا عن أعمال أدبية كقفص الحريم "والطوق والاسورة" "والجوع" "واليوم السادس" ، إما قد خانت امانة الرؤية الصادقة لهذه الاعمال ، او اسرفت فى الاصطناع والتعقيد لتفاصيلها ، او تحولت بها من مرآة للحياة الى كاريكاتور زائف لها .

رابعا : إنها فى غالبيتها لم تشف غليلا ، لم تطفىء نارا ملتهبة فى القلوب . لم تثر اهتماما ولو كان قليلا ، لم تظفر بنجاح جماهيرى ولو كان ضئيلا ، وكما جاءت ذهبت دون أن تترك أثرا له وزن على مسار السينما فى الوطن العربى .

● الطوفان .. لماذا ؟ ●

ولعل الفشل المذهل الذى كان من نصيب الجوع يستلزم وقفة قصيرة عنده بالذات ، فى محاولة منا لالقاء بعض الضوء على اسباب الفشل المزلزل الذى واجه افلام العام بوجه عام .

فى اعتقادى ان "الجوع" فيلم اتيح له من فرص النجاح ما لم يتح لفيلم آخر جاد منذ اعوام .

فمخرجه "على بدرخان" صاحب "الحب الذى كان" وافلام اخرى ظفر بعضها باعجاب الكثير .

ونجمته "سعاد حسنى" مشهود لها بحضور على الشاشة آسر ساحر للقلوب .

ونجمه "محمود عبدالعزيز" له فى التمثيل منزلة رفيعة لا يرقى اليها الا القليل الموعود .

ومصمم ديكوراته وازيائه "صلاح مرعى" ذلك الفنان المرموق الذى لعب دورا كبيرا فى النهوض بالمومياء .

وفوق هذا فهو مستوحى من احدى حكايات "الحرافيش" للاديب "نجيب محفوظ" ، وبالتحديد الحكاية التاسعة .

ومع ذلك ، فما نكاد نمضى فى مشاهدته ، حتى يدركنا شىء من خيبة الامل .. لماذا ؟

● الأصل والصورة ●

من المعروف عن حرافيش الاديب الكبير انها ميلودراما صارخة من عشر حكايات ، اولاها "عاشور الناجى" تنتهى به فتوة للحارة دون منازع ، مقيما فتوته على الاصول ، ناشرا العدل والكرامة والطمأنينة .

فاذا ما اختفى ، ولم يعثر له على اثر فى بداية الحكاية الثانية "شمس الدين" لم يتوقف الزمن .

فها هى عائلته فى الحكايات التالية تمر بحياة محصورة فى الحارة ، كثرت فيها

الفتن والمحن والكوارث ، وصرحت فيها النفوس عن مكنونها ، فظهر الضعف والقوة ، والاخلاص والجبن .

ظهر كل ذلك واكثر ، وإذا الايام تكشف عن أنيابها الحادة القاسية ،.ففيضان النيل شحيح ، وشبح الجوع يتضخم ، ويشيع ان الناس يأكلون الخيل والحمير والكلاب والقطط ، وانهم عما قريب سيأكل بعضهم بعضا .

فى هذا الظلام الذى يسود الحكاية التاسعة "سارق النعمة" تخلقت معجزة ، فثمة صرة حاوية لطعام تدس فى ايدى المعذبين بالجوع ، تعقبها همسة تقول من "عاشور الناجى" .

وفى الحق كان صاحب صرة الرحمة والهمسة هو "فتح الباب" حفيد الجد المختفى .

لقد كان فتى يرى جده "عاشور" فى كل مكان ، ينبض فى قلبه وخياله ، يشتعل فى اشواقه وآماله .

ويرى فى اجولة الغلال المكتنزة فى مخزن اخيه "سماحة" ذى الوجه القبيح حقا للسائل والمحروم .

واذن فالصراع الدرامى فى "سارق النعمة" ، انما يدور بين الأخوين "فتح الباب" و "سماحة" .

وهو فى الحكاية ينتهى بانتصار الاول على الاخير عندما سيطر الحرافيش على الحارة تحت قيادة الاخ الأصغر اقتحموا مخزن "سماحة" الفتوة ، نهبوا ما فيه من غلال حتى آخر حبة .

ولم يكتفوا بذلك ، بل انهالوا بالطوب على الاخ الاكبر "سماحة" حتى انهار فوق عتبة الدار مسلما الروح .

وسرعان ما عرف دور "فتح الباب" فى المعركة ، فتجسد أسطورة ونودى به فتوة للحارة .

ولكنه لسوء الحظ لم يكن يملك قوة جده "عاشور" ، فلم يكد يتولى امور اهل الحارة بالعدل ، حتى حدد الاشرار اقامته فى مسكنه حيث امتد به الزمن بلا حياة تنصف ، ولا موت يسعف .

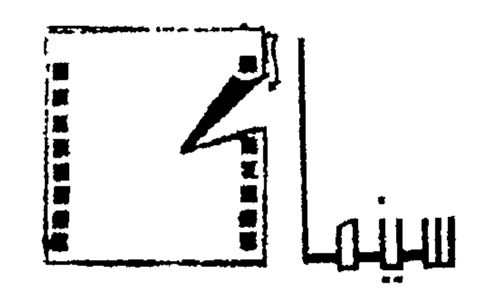
وذات صباح عثر على جثته مهشمة فى اسفل المئذنة ، وقيل انه آثر التخلص من الحياة بالانتحار وهكذا انتهت سيرته وجهاده .

● التحوير والتدوير ●

وهنا قد يكون من المناسب بيان كيف تناولت المعالجة السينمائية تلك الحكاية .

الحرافيش وكيف تبتذل اعمال نجيب محفوظ





بادىء ذى بدء ، يلاحظ ان عنوانها "سارق النعمة" قد تغير فى الفيلم الى عنوان ابشع هو "الجوع" .

والأغرب ان المؤلف قد اغفل ذكر اسمه تماما فى عناوين الفيلم وملصقاته ، وكأن الحرافيش لقيط بلا مبدع اسمه "نجيب محفوظ" .

والأكثر غرابة أن أسماء أبطال الحكاية قد أدخل عليها هى الاخرى التغيير والتبديل .

فكان أن تحول "عاشور الناجى" الى "فضل الجبالى" و "سماحة" الى "فرج (محمود عبدالعزيز) و "فتح الباب" الى "جابر" (عبدالعزيز مخيون) و "فردوس" الى "ملك" (يسرا) .

ومهما يكن من امر كل هذا التحوير والتدوير فى الاسماء الذى يصل الى حد تعمد الاخفاء ، فالادهى والامر هو تكليف الحكاية ما لا تطيق باقحام شخصيات ، وبافتعال مواقف ونهايات .

● عدوى الشباك ●

ولعل شخصيتي الزوجة الاولى الدميمة (سناء يونس) "وزبيدة" بائعة البطاطا (سعاد حسنى) هما أهم شخصيتين جرى اقحامهما على سياق الحكاية بشكل مخل زاد الفيلم تعقيدا وترهلا .. كيف ؟

"فرج" ذو الوجه القبيح فى حكاية "نجيب محفوظ" لم يتزوج سوى مرة واحدة من الجميلة الصغيرة الغنية "ملك" بنت الحسب والنسب ، مالكة محل الغلال التى وهبته "عطايا من العذوبة والنضارة ، ورغدا من حياة القصور وأساليب المعيشة الرفيعة" أنساه ماضى الفقر والقهر الذى كان يحيط بالحرافيش فى الحارة ، ولايزال .

اما زوجة ايام الذل والهوان الاولى ، فهى شخصية مختلفة اتاح لها صاحب الفيلم وجودا لم يكن لها فى الحكاية .

ويبدو انه اريد بها استغلال الامكانيات الكوميدية عند الممثلة التى ادت دورها (سناء يونس) لانتزاع الضحكات .

إلا أن شيئا من هذا لم يحدث ، لأن تمثيلها كان قوامه المبالغة. والافتعال على وجه انحدر بالمشاهد التى ظهرت فيها الى مستوى مشوب بالابتذال .

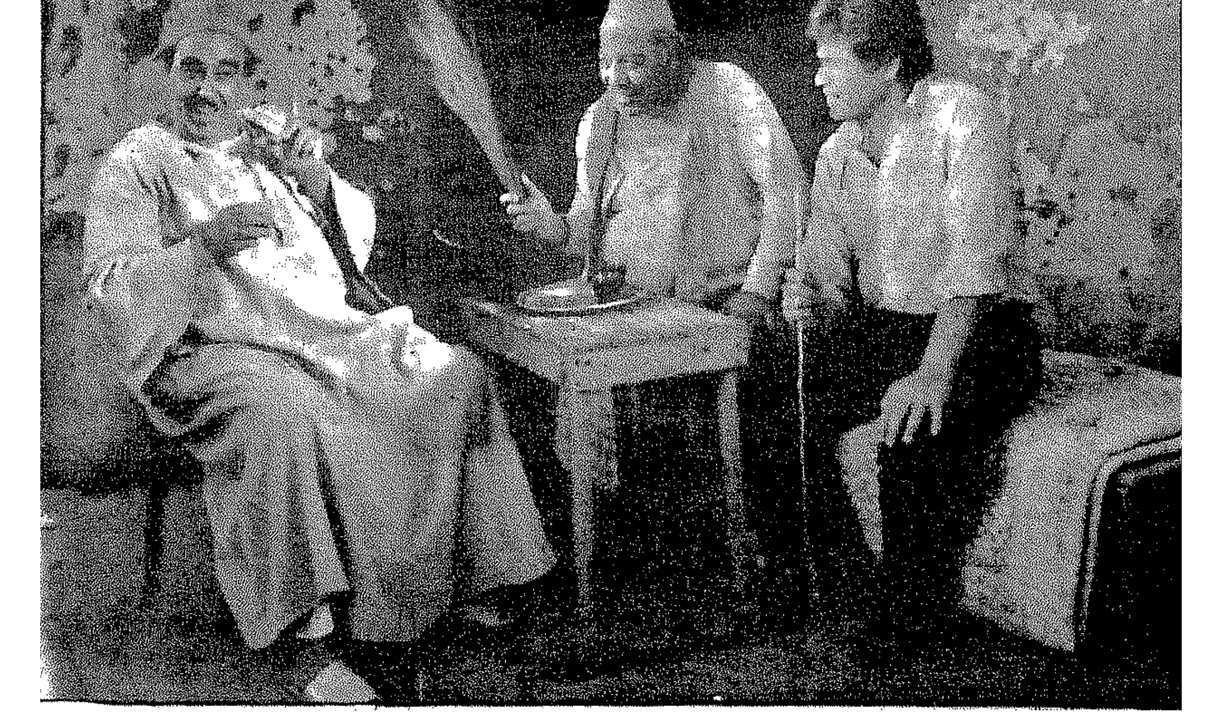
ومن المعلوم ان ابغض الضحك ما يقوم على الحط من شأن المرأة بالسخرية السوقية منها .

وجابر "سارق النعمة" لم يكتب له فى الحكاية ان يتزوج الى يوم العثور عليه منتحرا .

● بطاطا وثورة ●

الا انه فى الفيلم واقع منذ البداية فى حب بائعة البطاطا "زبيدة" التى تعترف له بأن احد الفتوات قد اعتدى عليها ، فيذهب الى المعتدى الآثم : مطالبا اياه باصلاح غلطته فى حقها بالزواج منها دون جدوى .

ويمضى الفيلم فاذا بهذا المعتدى يقتل فى معركة بين الفتوات تصادمت فيها



حسين فهمى وفريد شوقى فى واحد من اجمل ادواره ايوب (اه يابلد آه)

النبابيت وسالت الدماء ، حتى انتهت "بفرج" منتصبا بين الحرافيش زعيما بلا منافس .

وإذا بسارق النعمة يصلح غلطة الفتوة المقتول ، فيتزوج من حبيبة عمر بائعة البطاطا الحامل سفاحا غير حافل ولا مكترث .

ويمضى الفيلم هكذا على شر حال حتى يضبط متلبسا بانتحال شخصية جده "الجبالى" وبسرقة النعمة ، فيأمر أخوه "فرج" بتعليقه من قديمه فى السقف حتى تصفى روحه نقطة بعد نقطة .

وهنا تتحول "زبيدة" بائعة البطاطا الى امرأة ثورية ، تحرض الحرافيش على العصف بقصر الذى طغى حيث تعثر على زوجها معلقا ، مدلى الذراعين ، مغمى عليه بين الحياة و الموت .

● الطريق الى جهنم ●

وطبعا لا ينتهى الفيلم بسارق النعمة ميتا كما فى الحكاية ، وانما حى يرزق فى احضان بائعة البطاطا التى استحالت داعية لاعداد النبابيت والاستعداد لمواجهة قوى الاستغلال الباغية .

وقد يكون من الخير هنا ان نلاحظ اخيرا ان الفيلم لا هو بالواقعى ولا هو بالمتجاوز لها ، تحليقا فى آفاق الخيال وانما هو شىء بين الاثنين يملأ النفس حيرة وسأما .

وان شخصياته كثيرا ما ابتذلت من قبل فى افلام مدارها عالم الفتوات ، آخرها حرافيش حسام الدين مصطفى والتوت والنبوت .

ولربما هذا - مع ازمة السينما - هو الذى اوقع "الجوع" فى هلوية اعراض الناس عنه .

ورغم ذلك فالفيلم يستحق المشاهدة لأمرين : اولهما ديكورات الحارة والملابس التى ابدعها خيال صلاح مرعى .

والثانى .. ولعله الامر الاهم - هو تامل كيف ترتطم النوايا الحسنة فى السينما بجدار الافق المسدود .



حين أقام العراق للفن عرساً !!

معرض

بقلم : عز الدين نجيب

مهما اختلفت زوايا النظر الى مهرجان بغداد الدولى للفن التشكيلى ـ الذى افتتح فى ٢٦ اكتوبر الماضى ، فلا خوف حول اهميته وقيمته ، سواء كاحتفال ابداعى ، او كموقف من جانب العراق المحارب ، يضعه امام العالم فى صورة متحضرة ومستقرة ومحبة للسلام ، ترفع رايات الجمال بدلا من ان تدق طبول الحرب !

شاركت فى المهرجان والمعرض حوالى خمسون دولة من قارات آسيا وافريقيا واوربا الشرقية والغربية وامريكا اللاتينية ، بالف عمل فنى لما يزيد على مائتين وعشرين فنانا ، من بينهم ستون فنانا عراقيا على وجه التقريب ، وستون فنانا عربيا ويمثلون اثنتى عشرة بلدا عربيا ، بين رسام ونحات وحفار ، بالاضافة الى عدد كبير من النقاد والصحفيين من انحاء العالم ، وقد تواجدت مصر بسبعة عشر فنانا وناقدين تشكيليين ٠

اقيم المعرض فى مبنى فاخر بشارع حيفا الجديد ، اهداه الرئيس صدام حسين الى الفنانين العراقيين ليكون مركزا دائما للفنون ، وهو يعد فى حد ذاته عملا ابداعيا رائعا ٠

واستقبل الفنانون والنقاد فى اكبر فنادق بغداد ، التى تزينت بأعلام هذه الدول وتلألأت بالاضواء فى سهرات تذكر ببغداد الرشيد ، واقيم ـ تكريما للفنانين ـ مهرجان طريف بشارع الرشيد يستعيد ذكريات هذا الشارع العريق ، من الازياء والعربات القديمة ، الى المظاهرات الوطنية ، الى احتفالات الزواج ومهرجانات البلعة !! ٠ وكانت كل مظاهر بغداد التى بنيت فى سنوات الحرب من جديد على أرقى الطرز المعمارية مع استلهام الروح العربية ـ توحى

لوحة للفنان العراقى على طالب الفائز باحدى الجوائز الاولى فى الاتجاه الرمزى

بالاستقرار والبهجة ، التى تخفى تحتها الكثير من الاحزان .

واعتمد لجوائز المسابقة مبلغ ١٥٠ الف دولار ، كان نصيب العراق منها الجوائز الثلاث الأولى للفنانين : على طالب ، شاكر حسن ، رافع الناصرى . أما الثلاثة الباقية فكانت من نصيب : نجا مهداوى (تونس) رشيد قريشى (الجزائر) يوسف احمد (قطر) . وخصصت بعدها عشر جوائز تقديرية لمختلف بلاد العالم ، كان نصيب مصر منها واحدة ، حصل عليها المثال صالح رضا ـ نقيب الفنانين التشكيليين ورئيس الوفد المصرى !

هذا المهرجان ـ وان كان قد اقيم لتحقيق أهداف سياسية اشرت اليها فى المقدمة ـ فهو محصلة طبيعية لنهضة كبيسرة فى مجال الفن التشكيلى بالعراق ، نهضة تسابق لتحقيقها كل من الدولة والفنان على مدار السنوات العشر الماضية على الاقل ، حتى اصبح الفن التشكيلى بحق جزءا اصيلا فى الحياة اليومية للمواطنين أينما تواجدوا ، وأصبح له مستوى ابداعيا متقدما وجديرا بالاهتمام ، بما يحظى به الفنان من حرية مطلقة فى التعبير بالاسلوب الذى يحلو له . دون تدخل من الدولة مقابل دعمها له ، ومن هنا فان اقامة مركز للفن التشكيلى تكلف الملايين ،



حين أقام العراق للفن عرساً !!

وانفاق مئات الالاف على اقامة المهرجان ومنح الجوائز فى ظروف الحرب المريرة ، ما هو الا استمرار لاستراتيجية ثابتة بالنسبة للفن وليس عملا دعائيا فحسب .

● تفاعل ابداعى ●

ولعلها المرة الاولى فى مهرجانات الفن فى البلاد العربية ، أن يوجه الاهتمام الى بلاد آسيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا الاشتراكية ، فقد ظلت الحركات الفنية العربية طوال تاريخها أسيرة للاتجاهات الفنية فى أوروبا الغربية فحسب ، دون أن تعرف الا القليل عن بقية العالم . لذا كانت مشاركة بلدان جنوب شرق آسيا والصين واليابان والهند وأمريكا اللاتينية والاتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية ، فضلا عن دول أوربا الغربية ، كانت عاملا جديدا ومهما لاحداث تفاعل ابداعى ومناظرة بين العالم الاول والثانى والثالث ، واستكشافا لرؤى جديدة فى الفن .

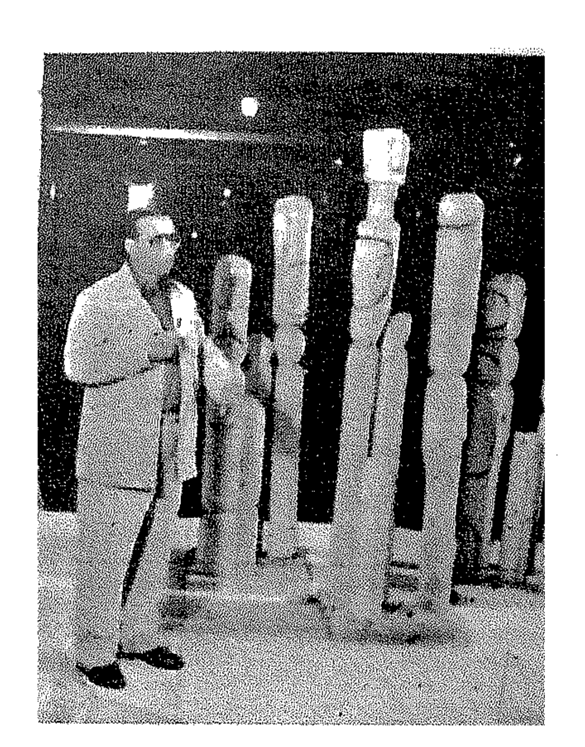
وقد لعبت الصحافة واجهزة الاعلام دورا كبيرا لتبليغ رسالة المهرجان الى الجماهير ، حتى أن الصحف العراقية الاربع كانت تخصص اربع صفحات يومية كاملة للمهرجان فضلا عن مساحات مماثلة فى الاذاعة والتليفزيون .. الامر الذى جعل عدد المترددين على المعرض يوميا يصل الى الالاف ، ممتلئين بالاعتزاز والدهشة معا ..

وهكذا توفرت للمهرجان أهم دعائم النجاح ، حتى استطاع أن يعطى بالفعل صورة تذكارية جميلة للعراق وهو يقيم للفن عرسا متألقا !

●● لكن ... بقدر هذا النجاح ، كانت هناك أخطاء جسيمة وقع فيها منظمو المهرجان ، افسدت كثيرا من رونقه .. أذكرها هنا من واقع معايشتى له خلال تواجدى كناقد مع الوفد المصرى ، ومن منطلق الحرص على نجاح اكبر فى المستقبل .

● اقليمية ضيقة ●

● أول هذه الاخطاء هو غياب البعد العربى للمهرجان .. فمن ناحية تنسيق الاجنحة كانت أعمال الفنانين العرب كالغرباء التائهين فى مدينة غريبة مزدحمة ، وقد تبعثرت فى رواق طويل وسط العديد من أعمال الدول الاوربية واللاتينية والاسيوية ، أما أعمال الجناح المصرى ـ وهو أكبر جناح فى المهرجان كله بعد العراق ـ فقد كدست فى قاعة « كسيارة الاوتوبيس » مع أعمال اربع دول اخرى ، مما افسد القدرة على استقبالها أو التعرف عليها ، هذا فى الوقت الذى اختص المنظمون جناح العراق باكبر القاعات والمساحات ، واتاحوا لكل عمل فنى فراغا محيطا به يهيىء للعين أن تستقبله .. هذا فضلا عن جناح آخر للفنانين العراقيين بالدور العلوى خارج التحكيم ضم اكثر من مائة فنان . والنتيجة هى أن المعرض يبدو فى مجمله معرضا للفن



الفنان صالح رضا مع المجموعة النحتية الخاصة به والتى حصلت على إحدى الجوائز

العراقى ، مع بعض ضيوف الشرف الاجانب !!

وان كنت أعتبر ان هذا السلوك نوع من الاقليمية الضيقة من بعض الذين قاموا بتنسيق المعرض ، مما يتعارض حتى مع التوجه القومى العربى للعراق ، فاننى لا أذهب ـ كما ذهب بعض الزملاء ـ الى اعتبار ذلك كمينامبيتا ضد المصريين ، والدليل على ذلك أن معظم البلاد العربية الاخرى لقيت معاملة أسوأ ، والدليل الثانى ان ادارة المهرجان أسندت الى مصر القاء كلمة الافتتاح باسم الوفود العربية جميعا .. وربما كنا شركاء فى هذا الخطأ بعدم ارسال «قومسيير» مصرى لمصاحبة جناحنا ، حيث كان يمكنه الاشتراك فى اختيار المكان وتنسيق الاعمال ، وهو شىء معمول به فى المعارض الدولية .

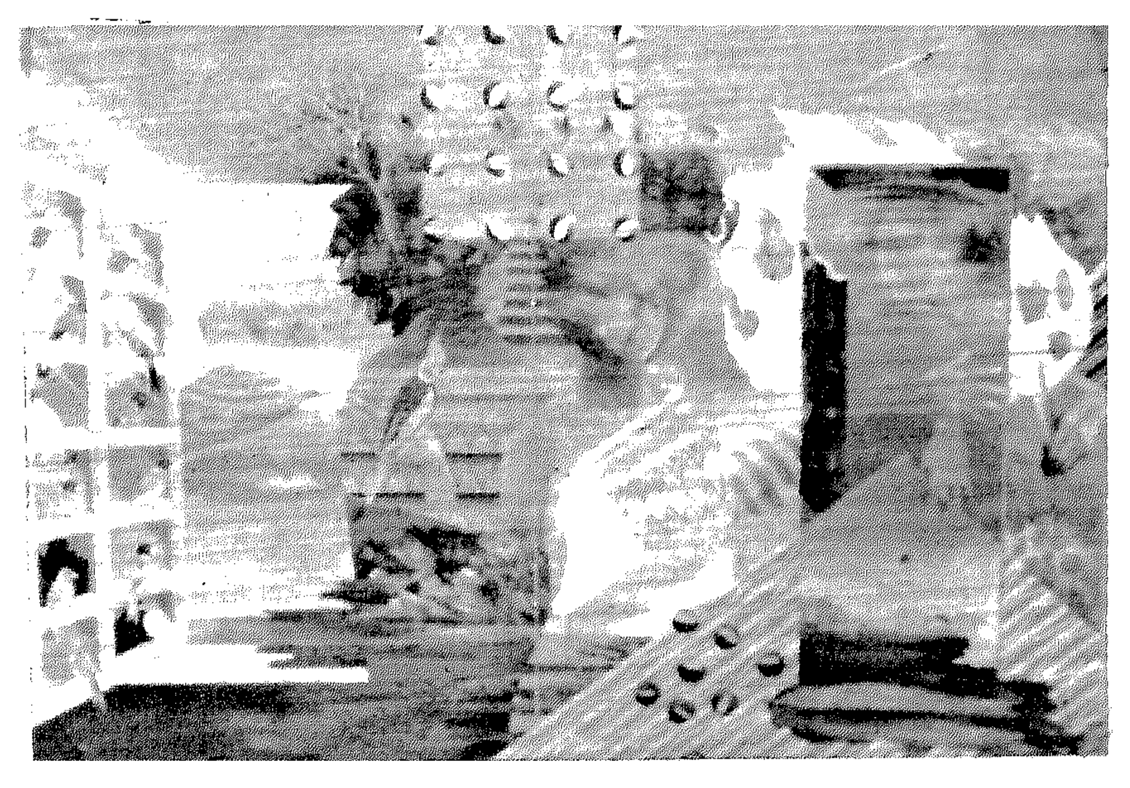
● وثانى الاخطاء كان فى عزل معظم الوفود العربية فى فندق بعيدا عن الوفود الاجنبية من القارات الاخرى ، مما حال دون تحقيق التفاعل والحوار المنشود بيننا وبينهم ، وزاد الامر سوءا هرولة كل وسائل الاعلام والصحافة خلف هؤلاء الفنانين الاجانب ـ ومعهم الفنانون العراقيون ـ لتصويرهم وأجراء الحوارات معهم ومع الفنانين العراقيين فى مساحات واسعة ، بينما بقى معظم العرب ، خاصة المصريين ، مهملين فى الظل لا يكاد يشعر بوجودهم أحد !

وصاحب ذلك عدم قيام ادارة المهرجان بتنظيم لقاءات للتعارف بين الفنانين من خلال الندوات وحلقات الحوار ، حتى يتم التفاعل المفقود .

● أما الخطأ الثالث فكان فى أسلوب تشكيل لجنة تحكيم الجوائز ، حيث تكونت من ستة من غير العرب واثنين من العراقيين ، ولم تكن مصر ممثلة فى اللجنة ، وتم تدارك ذلك بناء على طلب الوفد المصرى فى اللحظة الاخيرة ، باختيار الفنان أحمد نوار ، بالرغم من أنه يشترك باعماله فى المسابقة (اضطر بعد ذلك الى الانسحاب من المسابقةليمكنه التحكيم) فى الوقت الذى كان ضمن الوفد المصرى ناقدان متخصصان دعتهما العراق بوصفهما ناقدين .. ولفوق ذلك أصبح موضوع المسابقة المعلن من قبل (وهو : الفن للانسانية) فى خبر كان !..

وكان طبيعيا أن تكون نتيجة التحكيم انحيازا واضحا للجانب العراقى ، وانحيازا ثانيا لاتجاه معين فى الفن وهو التجريدية الحروفية ، حيث ان

حين اقام العراق للفن عرسًا !!

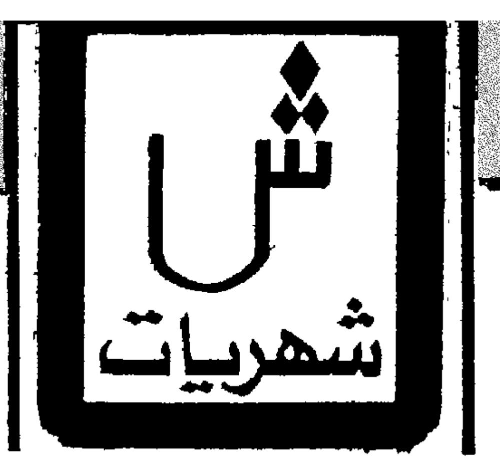


لوحة من الجناح الفليبينى الحائز على إحدى الجوائز وكان مفاجاة المعرض من حيث تميزه

خمسة من الفائزين الستة الاول يمثلون هذا الاتجاه ، وهو ما يتسق مع رؤية الاجانب عن الشرق ... وكان أولى أن تضم اللجنة عددا اكثر من النقاد العرب ، وان توضع معايير محددة للتقييم .

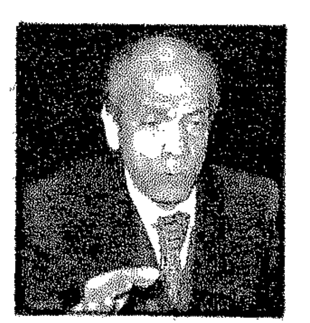
وفى تقديرى أن الخطأ يبدأ أصلا من مبدأ اجراء المسابقة لسببين : الاول هو ان هذا مهرجان احتفالى او مظاهرة جمالية لا ينبغى أن تفسدها حساسيات الصراع حول الجوائز وسوء الظن أو التقدير ، والثانى ان فرض افضليات للاعمال الفنية اصبح أمرا مستحيلا بالنسبة للفنون الحديثة مما جعل معظم البيناليات الدولية تستبعد نظام منح الجوائز الفردية وتفضل منح جوائز لبعض الاجنحة المتميزة .

لكن .. بالرغم من كل هذه الاخطاء ، فان المهرجان كان حدثا حضاريا كبيرا ، يجعل الفنان المصرى يشعر بثقل مأساة العزلة التى يعيشها عن شعبه وعن العالم ، وبالحرمان المرير من أى دعم من الدولة ..



حصاد الفكر والفن

الثقافة فى مصر عام ١٩٨٦



أرى الجيل الجديد من القصاصين مبشر وواعد وكل مايحتاجه أن يضعه الناس فى دائرة الضوء

د . على الراعى



لا أذكر فى علم ١٩٨٦ بالتحديد شيئا يلفت النظر .

محمد فاضل



لو استمرت الظواهر الجيدة التى نشهدها فى المسرح هذا الموسم لكان ذلك مؤشرا فى الاتجاه الصحيح للمسرح المصرى .

فؤاد دواره



مازال تقديم البرامج الثقافية فى التليفزيون متخلفا باستثناء البرامج التى تعتمد فى مادتها على الشرائط الأجنبية .

أسامة أنور عكاشة



• كلمة •

اعتادت الصحف والمجلات العربية ان تقيم النشاط الثقافى نهاية كل عام ، عادة عن طريق محرريها ، أو من تستكتبهم من المبدعين، لكننا راينا حتى نبتعد عن التحيز المفترض ، ان نلجأ الى « النقاد »، أو من تتوفر لهم هذه القدرة ، ليقوموا ، كل فى مجاله بهذه المهمة ، قصدا الى تنوع الاراء ، وان نبتعد بالمناسبة عن الخفة لنضعها فى اطار الرأى المستقيم .

ولابد من ان نذكر اننا طلبنا رأى عدد كبير من النقاد فى مجالات الثقافة المختلفة ، وكان أن استجاب البعض ، واعتذر آخرون بحجج مختلفة، ومع ذلك فقد اضطرتنا الاراء الواردة الىان ننشرها ، نظرا للمساحة المتاحة ، على حلقتين ، فيما يلى الجزء الاول ، اما الجزء الثانى فننشره فى العدد القادم وسيشمل اراء النقاد فى مجالات الشعر والشعر العامى والفنون التشكيلية ، ونظن اننا بذلك نكون قد استوعبنا مجمل النشاط الثقافى البارز فى العام المنصرم .

• عبده جبير
• محمد الشربينى



● الرواية الجديدة : محاولة جادة لتوسيع نطاق الرؤية ●

د . علي الراعي

انني ارى ان من افضل الاعمال الروائية التى وصلتني وقرأتها عام ١٩٨٦ اضع روايتي « قالت ضحى » لبهاء طاهر و (يوم قتل الزعيم) لنجيب محفوظ، على وجه التخصيص أما بشكل عام فانني أرى ان هناك ازدهارا كبيرا فى حقل الرواية ، وان كانت المجموعات القصصية ايضا تشاركها فى هذا الازدهار ، واخيرا على سبيل المثال قرأت مجموعة محمد المنسى قنديل « احتضار قط عجوز » فوجدتها تبلغ مبلغا كبيرا من النضج الذى تشاركه فيه مجموعات اخرى كتبت عنها فى المصور .

هذه الاعمال الروائية والقصصية تستشرف وترتاد عوالم جديدة مختلفة عن العوامل التى كانت الرواية المصرية تدور فى محاورها سابقا .

هى ترتاد عوالم جمالية،ومستويات من الشعور مختلفة ، تستدعى المأثورات الشعبية وتستبطن الاحلام، وتعكس ايمان الشخصيات الواقعية التى تكتب عنها بالخوارق والمعتقدات الشعبية الغنية بدلالاتها ، هذا ما اسميه توسيع نطاق القصة ، وهو ما فعله كبار كتاب القصة مثل تشيخوف الذى دفع بالقصة لان تبلغ نطاق الرواية من حيث الغنى ، وتعدد المستويات .

وانني ارى ان هذا الجيل ، وانا اقصد هنا الجيل الجديد ، مبشرا وواعدا ، وامامه عوالم غنية ينهل منها ، واعتقد انه يتقدم ليحتل الساحة ، وكل مايحتاج اليه هوان يضعه الناس فى دائرة الضوء . وليس صدفة في تقديرى ان يعرف يحيي الطاهر عبد الله طريقه للسينما ،كذلك ابراهيم اصلان وصنع الله ابراهيم اعرف ان هناك محاولات لتقديم اعمالهما للسينما هذا له مغزى كبير وهو ان هذه الاعمال تلقى استجابة من دائرة اوسع من المهتمين ، وعلى الرغم من ان الترجمة الى اللغات الاخرى قد تكون لها دلالة ، فان ما يعنينى هو تأثير هذه الاعمال فى بيئتها وفى محيطها بحيث تنمو وتترعرع اولا .

● حصاد جديد غنى ●

ادوار الخراط :

اتصور ان هذا العام كان خصبا حقا في مجال القصة القصيرة والرواية ، وفي تصورى انه عام اخر قد اثبت بما لا يدع مجالا للشك ان موجة الحساسية التقليدية قدانحسرت بالفعل ، وانها لم تعد قادرة على عطاء حقيقي جديد . فالقدامى اذا كانوا قد قدموا شيئا فهو من قبيل خبرة مكرورة ليس فيها ما يثير ، بل ليس فيها ما يدعو للابتهاج .

وعلى العكس من ذلك فان معظم الانجازات الحقيقية انما تدور فيما اسميته ، ومازلت اسميه ، مظلة الحساسية الجديدة ، أو الكتابة الجديدة .

انتهى العام الماضى بظهور رواية لبهاء طاهر « قالت ضحى » التى تؤكد مكانته ، كما تؤكد اكثر فاكثر انتماءه الى تيار الحداثة الجديدة .

وفى نقطة ما تقع بين التواضع



غير المبرر ، ولتضخيم الذات غير المبرر ايضا سوف اضع ظهور « ترابها زعفران » فى اول هذا العام كعلامة اساسية فى تقنيات ورؤى هذه الحساسية الجديدة ايضا •

فى هذا العام قرات روايات مثل رواية عبد الحكيم قاسم « طرف من خبر الاخرة » ، بما فيها من تجريبية ، وخروج على النمطية ، وذهاب الى تخوم التفلسف فى داخل السياق الروائى ، كما قرانا شيئا غير نمطى ابدا هو « السحر الاسود » لشفيق مقار ، وينتهى العام بنموذج فذ لنفس الخروج عن النمطية ، هى رواية « الخوف » لعبد الفتاح الجمل مع انها ليست بالرواية الجديدة لكن ظهورها فى اخر العام تاكيد لمكانة الرجل ، ولخبرته اللغوية الفذة •

ثم فى خلال هذا العام قرانا رواية متميزة هى « النزول الى البحر » لجميل عطية ، ولقد لقيت تقديرا نقديا واسعا •

من هنا نرى ان حصيلة هذا العام من روايات فى الكتابة الجديدة ، هى حصاد غنى ، اما فى القصص القصيرة فسوف تتميز فى ذاكرتنا « طعم القرنفل » لجار النبى الحلو ، و « احتقار قط عجوز » للمنسى قنديل من كتاب هذا الجيل الذى يقع على تخوم الستينات والسبعينيات •

كما تتميز الفنون والرؤى لعبد الحكيم قاسم الذى يذكرنا فى هذه المجموعة ببداية انجازاته فى الستينيات •

المسرح

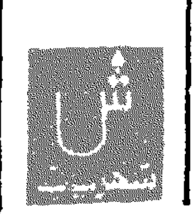
● مؤشرات فى الاتجاه الصحيح ●

فؤاد دواره :

هناك ظواهر متعددة جديدة ومبصرة بموسم مسرحى جاد ، وهى بدايات لو استمرت لكان ذلك مؤشرا فى الاتجاه الصحيح الذى لابد ان يلعبه مسرحنا •

ارى ان البداية الحقيقية للمسرح القومى هذا العام هى بمسرحية « لعبة السلطان » التى كتبها فوزى فهمى واخرجها نبيل الالفى ، حتى ليمكن القول بانه اول عرض محترف يقدمه المسرح القومى بعد تجديده عقب ثلاثة عروض اقرب لاجتهادات الهواة وتجاريبهم ، ودعك من « ايزيس » التى سبقت هذه العروض فى افتتاح المبنى ، فهى من انتاج وزارة الثقافة لا المسرح القومى •

وفى مسرح الطليعة مازال العرض الناجح « العسل عسل والبصل بصل » الذى اعده واخرجه سمير العصفورى عن مقامات بيرم التونسى يلقى اقبالا جماهيريا كبيرا وهذه ظاهرة فى حد ذاتها جديرة بالدراسة والفحص، وفى المسرح الحديث بدا الموسم بعرض جيد من اخراج د • محمد عبد المعطى عن نص « كوكب الفيران » للكاتب محفوظ عبد الرحمن ، والمسرح المتجول مازال يثبت انه انشط فرق الدولة واغزرها انتاجا وكنت احب ان اضيف ولخصيها



تاثيرا فى حركتنا المسرحية لولا بعض التحفظات على عرضيه الاولين اللذين استهل بهما موسمه هذا العام ،وهما عرض « حلم يوسف » الذى كتبهبهيج اسماعيل واخرجه حسن عبد الحميد وهو عرض شاعرى اقرب للتجريبية من العروض الجماهيرية للمسرح المتجول ، والثانى « الجذور » الذى يقدمه « مسرح الغرفة » باعتباره « القراءة الاولى فى تاريخ المسرح المصرى » الذى اعده واخرجه ابوبكر خالد وبدلا من ان يميل الى التعليمية والدراسة التاصيلية اذا به ينجرف الى الجماهيرية والترفيه وكانه يقدم فى مسرح قطاع خاص وليس فى غرفة صغيرة لا تتسع لاكثر من مائة مشاهد غالبيتهم من الدارسين والمهتمين بقضايا المسرح ومشكلاته.

● الخروج من عنق الزجاجة ●

حسن عطية :

● يتضح بعد استقراء العروض القليلة التى قدمت طوال عام ٨٦، أن المسرح المصرى مازال فى عنق الزجاجة ، ورغم دخولنا الى ما يمكن تسميته بمسرح التسعينيات الذى يأتى بعد قليل جدا ، ورغم المحاولات المستمرة لاجتياز المضيق الذى انحسر فيه المسرح المصرى ، والذى يكشف لنا حالة التردى التى سقط فيها ، فان مسرحنا لن يخرج مما هو فيه الا من خلال التغيير الكامل والشامل ، ليس فقط من خلال الاعمال الصغيرة المتناثرة والتى تشغل مساحة ما وتتواجد على الساحة المسرحية ، وليس أيضا بعروض مثل « لعبة السلطان » يمكن أن نقدم وجها جديدا للمسرح المصرى لان كل هذا يكفى بتعليق الافكار وتفجير المناقشات داخل مساحة تنتسب للتراث ولكنها فى الحقيقة مجادلات عقلية اكثر منها دراما حية، ونحن لا نستطيع أن نخرج من هذه الكبوة عن طريق اللاحل او التشاؤم، ولانها عامة فى عروض هذا العام ، نقول انه لابد من أن يبحث المسرح المصرى عن ملامح جديدة وشكل جديد وتواصل مختلف مع الجمهور ، وهذا يتحدد فى اتجاهات مختلفة ، خارج الاطار الاحترافى ، وهو ما يحدث حاليا على استحياء ، ويتركز اساسا فى المسرح الجامعى ، بكل نضج هذا المسرح ، وان عيبه أنه موسمى العروض ، يقدم لمدة ليلة واحدة فقط، دون ان يتحول الى الاستمرارية ، وكذلك المسرح العمالى الذى يغبن حقه ويضيع فى أوراق لجان تحكيم غير صحية وغير سليمة ومن خلال موجهين لا تعنيهم رسالة المسرح فى شىء ، وكذلك العروض الصغيرة التى نجدها فى جمعية هواة المسرح أو فى جماعة منف الثقافية او فى الشعبة التجريبية للفرقة النموذجية بالثقافة الجماهيرية ، ويغلب على هذه العروض النبرة التشاؤمية .

مسرح الثقافة الجماهيرية مازال





يتأرجح بين الاحتـــراف والهواية ، وخطورة هذا انه يقف فى المنتصــف بين هذا وذاك ، ويقف فنـــانوه فى منتصــف الطريق ، فلا يقــدمون عروضهم بروح الهواية ولا هم يلعبون عروضهم بتكنيك المحترف ، فيصــبح بالتالى بعيدا تماما عن تطويع قدرته على التجريب او تقديم فن جماهيرى واسع . والملاحظ فى هذا المسرح انه لم يقدم شيئا ذا بال خلال هذا الموسم فضلا عن غياب مهرجاناته السنوية وكذلك غيـــاب عروضه المتميـزة فى الأقاليم باستثناءات قليلة ..

هناك أيضا المسرح داخل اكاديمية الفنون والذى يقوم به طلبة المعهــد العالى للفنون المسرحية من خـــلال ثلاثة انشطة اساسية وهى « مهرجان المسرح العربى » فى ديسمبر من كل عام ، و « مهرجان المسرح العالمى » من فبراير من كل عام ، و « العروض النهائية لطلبة المعهد » ويشرف عليها أساتذة المعهد وهى تعرض فى مايو ويونيو من كل عام .

● تليفزيون

● ازمة فى النقد التليفزيونى ●

محمد فاضل :

فى السنوات الاخيـــرة لا اتابع التليفزيون متـــابعة دقيقـــة لانى ارى واحس انه يستهلك الوقت بدون عائد، وانا احاول ان احرص على وقتى ولو كان من اجل الراحـــة فقط ، حتى لا ارى ما يستفزنى .

فى عام ٨٦ لا اذكر بالتحــــديد شيئا يلفت النظر ، وانا ابحث دائما عن اسماء مؤلفى الاعمال الدراميــة قبــــل ان اتابع ، ولم اشــعر خلال متابعتى لاعمال غيرى الدراميــة ان هناك ما يشدنى لاستمرار المتابعة .

● اتابع طبعـــا حلقات برنامج « نادى السينما » وبرنامج « أمسية ثقافية » لانى اضمن ـ على الاقل ـ ان وقتى لن يضيعفى الترهاتالمستفزة

للأسف هناك تقهقر فى الانتـــاج الدرامى والاعمال الرديئة غالبة على هذا الكم ، وانا الآن لا اذكر عمـــلا جيدا ، لانه لو كان هناك بالفعــــل شىء جاد لعلق بالذاكرة .

ولا شك ان غياب النقد هو احــد الاسباب الرئيسية فى هذا التقهقر الى الخلف ، ولان معظم ما يكتب لا يتعدى الانطباعات ـ سلبا وايجابا ـ ولا يفيد الدراما التليفزيونية ان يكتب عنهـــا نقاد يقيســـونها بمقـــاييس ووســـائل اخرى كالسينما والمسرح .

الدراما التليفزيونية فن قائم بذاته له اسسه وقواعده الفنية ، والناحية التكنيكية فى التليفزيون هامة جـدا ، واحد علماء التليفزيون يقول « الوسيلة هى الرسالة» وهو يعنى ان التليفزيون فى حد ذاته رســـالة ، لانه يغير من تقاليد المجتمعات وســـلوك الناس ،

مجرد وجـوده فى اى منزل ، بغض النظـر عما يقدم ، اذن الناحيـة التكنيكيـة والعلمية لهذه الوسـيلة الجديدة يجب أن يصـبح لها نقادها المتابعون ، ولكن معظم ما يحدث الان هو كتابات عن الحـدوتة والممثلين، التليفزيون أصبح علما يدرس ونظريات وعلماء يبحثون ، وللاسف فان السبيل الى ذلك غير متوفر فى مصر ، فليس هناك معهد متخصص فى التليفزيون رغم مرور ربع قرن على بداية بث الارسال التليفزيونى •

● دراما الكم لا الكيف ●

أسامة أنور عكاشة :

الدراما المقدمة فى عام ٨٦ مثلها مثل الأعوام السابقة تعتمد على الكم الكبير لا الكيف ، ومازالت المشـكلة الأساسية قائمة والمتعلقة بندرة الأعمال المتميزة والجادة ، فمعظم ما قـدم دون المستوى المطلوب الا استثناءات قليلة ، اذكر منها مثلا مسلسل « سفر الاحـلام » الذى كتبه وحيد حـامد واخرجه سمير سيف للتليفزيون لاول مرة ، وايضـا مسلسل « سـنوات الضحك والدموع » للـكاتب عاصـم توفيق وقد يختلف معى الكثيرون حول اهمية هذا المسلسل ، ولكنى أرى ان النص الدرامى جيد جدا ، ولكن لـم تتح له ظروف التنفيذ العادلة ••

وفى شهر رمضان الماضى باعتباره موسم الدراما السنوى ، لفت نظرى المسلسل الدينى الذى اخرجه احمـد توفيق •

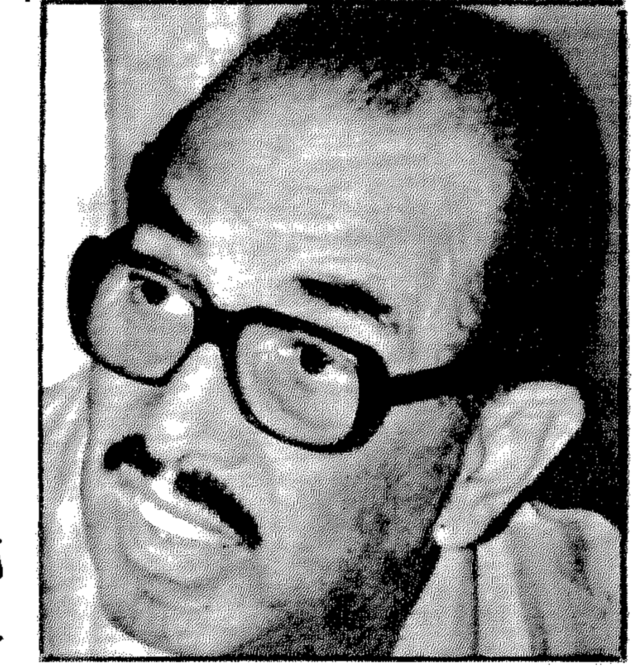
حرصت هذا العام على متابعـة اعمال المخرجين محمد فاضل ، انعام محمد على ، وايضا المخرج سـمير سيف ، لانى اعتقد ان دخوله مجـال الاخـراج فى التليفزيون جـدير بالمتابعة •

هناك حركة نشـاط برامجية فى القناة الثالثة وهناك روح شـابة تسرى فى هذه القناة التى استطاعت ان تجذب المتفرج لمتابعتها لانها قائمة فى الاساس على فكرة البرامج السريعة الخفيفة وهى تتناسب بلا شـك مع اسلوب العصر •

مازالت هناك سمة عامة فى برامج التليفزيون — ليس هذا العـام فقط ولكن أيضا فى الاعوام السـابقة — وخاصة البرامج الثقافية — مازال تقديمها متخلفا ، ماعدا البرامج التى تعتمد فى مادتهـا على الشرائط الاجنبية ، مثل برنامج « فن الباليه » الذى تقدمه منى جبر وبرنامج «صوت الموسيقى » الذى تقدمه د • سـمحة الخـولى ، ورغم انهما للخاصـة والمتذوقين ، ولكنهما يقدمان مستوى رفيعا يطل المشاهد من خلالهمـا على الاعمـال العظيمة والهامة فى تاريخ الموسـيقى والباليه ، ما عـدا ذلك فالبرامج الثقافية شبه كسيحة وتقدم بطريقة ساذجة على طريقة (برامج الكراسى) وهى طريقة تثبت فشـلها يوما بعد يوم •

وزير الثقافة للهلال :

لا أزمة ثقافة لدينا.. وعطاء مصر لا يتوقف أبدًا



أجرى الحوار :

عاطف مصطفى

الثقافة هى مرآة الحضارة لأى شعب من الشعوب ، وهناك متطلبات لكى تزدهر الثقافة فى مصر ، من بينها تيسير الكتاب وتوفير المجلات الثقافية ، وخلق نهضة مسرحية وسينمائية ، تتيح ترقية الحس الفنى ، والتعرف على قضايا المجتمع المختلفة .

من بين المشكلات التى تواجهها مصر الآن ، الارتفاع المستمر لأسعار الكتاب ، والتدهور الذى نلمسه فيما يقدم من مسرحيات وأفلام سينمائية دون المستوى ، فضلا عن عقبات كثيرة تواجه المشتغلين بالثقافة من بينها على سبيل المثال منح التفرغ وجوائز الدولة .

وهذه المشكلات تحدد معالم الأزمة الثقافية التى نمر بها الآن ، وتحتاج إلى مواجهة صريحة ، وحسم سريع ، ليستمر دور مصر الريادى فى مجال العطاء الفكرى والأدبى ، الذى لم يتوقف طوال نصف قرن .

وللتعرف على إمكانية حل تلك المشكلات التقت « الهلال » بالدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة .

● نعم .. هناك معوقات بسبب القرارات الاقتصادية

● الحروب هى السبب فى بعض ماتعانيه الثقافة من ركود ..

● نسعى أن يكون عطاء مصر الثقافى بحجم تاريخها وتراثها ...

● لا أنزه إدارة التفرغ عن الخطأ، كما لا أنزه أية إدارة عن الخطأ !..

● مصر غنية فى ثقافتها ، لكن العطاء الثقافى ليس بالقدر الذى يتناسب مع حجم مصر..

●● قلت فى بداية الحوار .. هناك أزمة ثقافة ، كيف نتخطاها .. وهل يمكن أن نحقق لشعبنا نسبة معقولة فى القراءة من خلال توفير الكتاب المناسب بالسعر المناسب ؟

ـ قال الوزير : إن وجهة نظرى ترفض أن نسمى مانحن فيه أزمة ثقافة ، وهناك مبالغة كبيرة فى هذه التسمية ، ومانحن فيه ، يمكن أن نسميه بعض الفتور الثقافى ، أو عدم الازدهار الثقافى بالقدر الكافى ، لأن فى بلادنا ثقافة قوية ، ومسيرة ثقافية واضحة وأنشطة ثقافية لا يمكن أن تجحد فى مجال الكتاب ، وفى مجال المسرح والسينما والثقافة الجماهيرية والموسيقى ، وفى الفنون التشكيلية والآثار وغيرها وكل هذه المجالات لها أنشطة واضحة وفعالة ومؤثرة ، ومايصيبها لايمكن أن أسميه بعدم الازدهار الثقافى بالقدر الكافى .

ولا أقول ذلك باعتبارى وزيرا للثقافة ، وإنما أقوله باعتبارى مواطنا مصريا ، ورجلا يعمل فى الثقافة وهى حرفته وهوايته ومصدر قوته

وربما المبالغة أساسها الحماس وحب الثقافة ، والرغبة فى دفع عجلتها اكثر ، ويريد الذين يقولون هذا أن يروا ازدهارا ثقافيا متألقا وواضحا ، يرضى طموحهم وحبهم لبلدهم .. لكن فى مجال



وزير الثقافة

التقويم وفى مجال الموازين الصحيحة لايمكن من وجهة نظرى ـ على الأقل ـ أن نسمى مانحن فيه أزمة ثقافة !

لم تكف السينما عن العطاء ، ولم تغلق أبواب المسارح ، ولم تغلق دور النشر ، ولم يختف الكتاب ، ولم تخفت أصوات الفرق الموسيقية الراقية ، ولم تغلق المعارض ، ولم تغب الثقافة ، فضلا عن أن تصاب بأزمة .. أزمة كلمة قاسية وشديدة .

● معاناة وصعوبات ●

هنا إذن بعض الصعوبات فى طريق الثقافة ، وإذا تجاوزنا وقلنا بعض الركود الثقافى ، أو عدم ازدهار ثقافى بالقدر الكافى ، وأسباب هذا تكمن فى أشياء كثيرة من أهمها ماخاضته مصر من حروب عديدة ، أدت إلى تخريب البنية الأساسية فى كثير من المواقع ، وإتلاف كثير من المرافق ، واحداث خسائر كثيرة فى المنشآت والأرواح ، وتوقف عمليات التنمية فى المرافق العامة ، الأمر الذى سبب لونا من المعاناة والصعوبات فى مجالات الحياة اليومية للناس ، أو فى مجالات المعيشة الحيوية للجماهير ، كالإسكان والمواصلات والمنشآت التعليمية وغيرها

إن الحروب التى فرضت علينا أرهقت اقتصادنا ، وسببت المعاناة كما أشرت ، وهذه المعاناة هى السبب الأساسى فى بعض ماتعانى الثقافة من عدم ازدهار ، لأن الازدهار الثقافى يتطلب استقرارا اجتماعيا ، ولونا من الراحة النفسية ، وأوشك أن أقول يتطلب مستوى معينا من الرخاء والكفاية وهناك صعوبات فى الذهاب لسماع محاضرة ، أو الذهاب للاستمتاع بمسرحية بسبب زحام المواصلات ، ووجود مكان ميسر للانتظار ، ولابد للانسان أن تكون لديه الكفاية من ضرورات الحياة تشبعه وترضيه ، قبل ان يفكر فى شراء كتاب أو مشاهدة عرض مسرحى !

هذه الصعوبات صرفت الناس إلى الجرى وراء الضرورات ، وحقيقة فإن الثقافة من الضرورات ، لكنها ضرورات معنوية ، تأتى فى المقام الثانى بعد الضرورات المادية والحيوية ، وأنا أقول إنه ليس بالخبز وحده يحيا الناس ، لكن الرغيف قبل الكتاب بالقطع ، وكوب الماء قبل مشاهدة المسرحية ، والمسكن قبل الذهاب إلى السينما ، وهذا شىء لامشاحة فيه ، ولا أنتظر أن يقول لى إنسان إن فلانا يدعو إلى ماديات الحياة ، أو يدعو إلى ضرورات ، ويعتبر الثقافة رفاهية .

إن الثقافة ضرورة ، ولكن لكى يقبل الناس عليها ، ولكى تزدهر ، ينبغى أن تخف المعاناة ، وتخف المشكلات الملحة !

وبرغم الظروف القهرية التى فرضت على مصر والتى الجاتنا إلى حروب عديدة ، ومايتنج عنها ، لم تصب الثقافة بأزمة ، ولايزال الكتاب المصرى يخرج من هيئة الكتاب التابعة لوزارة الثقافة بشكل مشرف رغم ارتفاع أسعاره عند بعض دور النشر ، ولاتزال الأنشطة الثقافية بشتى الوانها تعطى عطاءها وتؤدى رسالتها .

ويكفى أن أقول إن مصر لايزال يكتب فيها توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ود. لويس عوض وثروت اباظة وعبدالرحمن الشرقاوى، ولايزال يكتب فيها جملة من الشعراء الذين يعتبرون فى الصدارة من شعراء الأمة العربية كما أن أرقى سينما ومسرح وأجود كتاب فى مصر، وأرقى نماذج للفن التشكيلى تخرج من مصر، ولا أقول هذا انحيازا لبلدى، ولكننى أقول كلمة حق .. إنه طموحنا العظيم، الذى يرجو أن تكون ثقافتنا أكثر ازدهارا

وثقافتنا ليست متخلفة، وليست فى أزمة، وليست فى غرفة إنعاش كما يطيب للبعض أن يقول، ولم تنتزع راية الثقافة من يد مصر كما يطيب للبعض أن يقول، ولم يسحب بساط الثقافة من تحت أقدام المصريين، وإنما الثقافة الريادية والجيدة والطليعية من هنا فى مصر، حتى مع بعض الصعوبات التى تلاحظها، والتى يسميها البعض أزمة ثقافة.

●● إذن هل يمكن القول بان مصر غنية فى ثقافتها ؟

- نعم .. إن مصر غنية فى ثقافتها، بمعنى تراثها الثقافى وأجهزتها الثقافية، ومنتجى الثقافة فيها، هى غنية جدا، لكن العطاء الثقافى ليس بالقدر الذى يتناسب مع حجم مصر، أو مثقفى مصر، وامكانيات وأجهزة مصر

إن مانرجوه ونسعى لتحقيقه أن يكون حجم العطاء الثقافى من مصر بحجمها وتاريخها وتراثها، ويتم ذلك بإزالة المعوقات التى تحول دون الازدهار الثقافى الذى نرجوه، ويتحقق هذا بتعبيد الطريق أمام عجلة الثقافة، لكى تنطلق أكثر، وبتنحية السلبيات، وإحلال إيجابيات محلها، وهذا ممكن، وهو العمل الأساسى الآن لوزارة الثقافة، وهذا واجبى الذى أضنى من أجل تحقيقه.

● قانون مجلس الثقافة ●

●● الدكتور أحمد هيكل من مثقفينا الذين يعلمون جيدا المعاناة التى يعيشها مثقفو مصر .. هناك قضايا تشغلنا وتحتاج إلى حلول جذرية .. فكل العاملين فى المجلس الأعلى للفنون والآداب من الموظفين، تواجه الكثيرين من الأدباء مشكلات خاصة بالتفرغ .. كيف يمكن حسمها ؟

●● يقول وزير الثقافة : إن العاملين فى المجلس الأعلى للثقافة، ليسوا جميعا من الموظفين، والمجلس له قمة تتدرج إلى أن نصل إلى قاعدة. وقمة المجلس الأعلى هيئة الأعضاء وأكثر من ٩٥٪ منها من كبار الأدباء والمثقفين والمفكرين الذين اختيروا لعضوية المجلس لقيمتهم ولأسمائهم الكبيرة ولمكانتهم الأدبية، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر نجيب محفوظ وزكى نجيب محمود والدكتور ابراهيم بيومى مدكور والاستاذ مهدى علام والدكتور حسين فوزى وعشرات من الأسماء.

وقانون المجلس يحتم أن يكون إلى جانب هؤلاء بعض العاملين فى وزارة الثقافة من كبار القيادات بها، وليس عيبا أن يكونوا موظفين، لأن مجرد الوظيفة ليست عيبا، والعدد القليل من قيادات وزارة الثقافة الموظفين هم أناس فى نفس مستوى هذه الأسماء الكبيرة التى اختيرت لذواتها، وهم رؤساء الهيئات، وهم جميعا من كبار المثقفين والمفكرين وهم الدكتور



أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار ، والدكتور عز الدين اسماعيل رئيس أكاديمية الفنون والدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب ، والموسيقار يوسف السيسى وهو من كبار قادة الموسيقى .

والكلام عن أن المجلس كله موظفون ، أو أغلبيته موظفون ، كلام فيه تزيد يتناقله الناس واحدا عن واحد بحسن نية ، وأحيانا بسوء نية ، لكن الحقيقة غير هذا .

وهذه قمة المجلس .. هيئة الأعضاء معظمها من كبار المفكرين والمثقفين والأدباء يعينون لذواتهم ، قلة منهم من القيادات الثقافية العاملة فى الوزارة ولا يعيبها أنهم من الموظفين ، لأنهم ليسوا كتبة ولاعمال أرشيف ، وإنما هم قيادات ثقافية مصرية وعربية ، بل عالمية أحيانا ، ووجودهم فى المجلس الأعلى ، كان ينبغى أن يكون باعتبارهم موظفين فى الوزارة ، أو باعتبارهم مثقفين .

تلى هذه القمة شعب المجلس ، ومعظمها من غير الموظفين ، إنهم أناس يختارون للجان المجلس من المتخصصين فى كل فرع ، فى القصة وفى الشعر ، والدراسات الأدبية ، وفى المسرح والآثار .. الخ

ولجان المجلس تختار من المثقفين الذين ليسوا موظفين فى المجلس ، ويختارون لقيمتهم ومكانتهم وعطائهم ، وهذه اللجان ليس فيها موظفون ، وقد يكون هناك موظف بالصدفة فى وزارة الثقافة أو فى غيرها ، لكنه اختير حسب تخصصه ، وهذه اللجان التى تمثل القاعدة العريضة للمجلس ، كل أعضائها اختيروا لذواتهم .

وهذه اللجان تتجمع فى ثلاث شعب ، وعلى رأس كل شعبة واحد من أعضاء المجلس الكبار ، ويساعد هؤلاء جميعا موظفون فى السكرتارية والادارة والحسابات ، وهم معاونون للأدباء والمفكرين فى المجلس ونسميهم الأمانات الفنية ، يؤدون دورهم على أكمل وجه ، ولايعيب المجلس أن يكون فيه هؤلاء الموظفون ، لأنهم أناس يقوم عليهم العمل الادارى والمالى والتنظيمى ، لكن روح المجلس وصلبه من أناس هم مثقفون اختيروا لذواتهم ولمكانتهم .

● حسم المشكلات ●

●● وماذا عن مشكلات التفرغ ، وكيف يمكن التغلب عليها ؟

- إدارة التفرغ وجدت لكى تمنح التفرغ لأى منتج أو مبدع للثقافة تحول ظروف الحياة العملية بينه وبين الابداع ، تريد وزارة الثقافة أن تعطيه الوقت الكافى ، وتجرى عليه مكافأة مجزية إلى حد ما ، لكى لاترهقه لقمة العيش ، والجرى وراء القوت ، فينصرف عن الابداع وهذه فكرة التفرغ .

والإدارة تجمع أعضاء لجنة التفرغ ، الذين ينظرون فى انتاج من ينتجون ، والذين يختارون الأسماء التى تتفرغ ، والذين يتابعون العملية الفنية لجنة من الفنيين أو الفنانين المتخصصين الذين نختارهم وهذا لايمنع أن هناك بعض السلبيات ، تبدأ بأن يمنح أى انسان تفرغا ولاينتج ، وتسأله فيقول ، لم يفتح الله على ولم ألهم ، أو يختار انسان غير جدير

بالتفرغ لخطأ بشرى تقع فيه اللجنة ، أو تقدير المكافأة لانسان تأتى دون المستوى ، وهو خطأ أيضا من اللجان ، أو من الاداريين ، يعنى .. لا أنزه إدارة التفرغ عن الخطأ ، كما لا أنزه أية إدارة عن الخطأ ! وتحسم هذه المشكلات فورا ، كما حدث بالنسبة لشيخ المخرجين أحمد كامل مرسى ولديه منحة تفرغ لانتاج كتاب عن تاريخ السينما المصرية وهذا العمل لاينتهى فى سنة أو سنتين ، وقد حلت مشكلته وصرفت مكافأته ، ولكن تحدث مشاكل من وقت لآخر ونحن نعالجها .

● تخفيض سعر الكتاب ●

●● مشكلة الكتاب برزت فى الآونة الأخيرة ، وتتمثل فى أسعاره المرتفعة ، ومعوقات طباعته ، وعدم دعم القطاع الخاص .. كيف ستواجه ذلك ؟

– يشير الدكتور أحمد هيكل إلى أن مشكلة الكتاب كانت منذ سنوات قليلة حادة جدا وتشكل أزمة ، تتمثل فى جوانب شتى : سعره ، ووصوله إلى القراء ، وخروجه من مصر ، وانتشاره فى الخارج ، وحاولت وزارة الثقافة ، حتى قبل أن أتولاها ، أن تذلل هذه العقبات بتوجيه من الرئيس حسنى مبارك ، حين طالب أكثر من مرة حسم مشكلة الكتاب ، وحل قضيته بحيث ينتشر ويزدهر ، ويصل إلى الناس بسعر رخيص ، وتزال من طريقه كل العقبات ، لكى ينتشر كما كان من قبل وبدأنا فى حل مشكلة الكتاب بنسبة تصل إلى ٩٥٪ .

وفيما يتعلق بسعر الكتاب ، تصدر هيئة الكتاب ، كتبا ثقافية جيدة بأقلام كبار الكتاب ، ويصل ثمن الكتاب إلى ٢٥ قرشا ، وهذا المبلغ أقل بكثير من ثمن الكتاب فى الستينيات .

ولقد أزيلت المعوقات أمام الكتاب المصرى ليصدر للخارج ، باستثناء الرقابة على الكتب الدينية ، فلايزال الأزهر الشريف عنده حق فى أن تكون له حماية للفكر الاسلامى وحماية لديننا الحنيف .

وقد توجد عقبات شكلية فى البريد مثلا ، وهى مسائل مقدور عليها ، ونحن فى سبيلنا للقضاء عليها تماما .

وأمامنا طلبات كثيرة على تصدير الكتاب المصرى من كثير من دور النشر فى الخارج فى البلاد العربية وفى البلاد الأوربية .

وهناك كتاب آخر تنتجه دور نشر أهلية ، لايزال مرتفع السعر ، وحجج من ينتجونه معقولة إلى حد كبير ، فمنها ارتفاع سعر الورق ، وارتفاع سعر أدوات الطباعة ، وارتفاع عمالة الطباعة

ومع هذا نسعى لتخفيض سعر الكتاب عن طريق خفض ضريبة الورق أو إلغائها ، وخفض الجمارك على أدوات الطباعة أو إلغائها ، ومحاولة اقناع العمالة أن تخفض الأجر بطريقة أو بأخرى .

ونحن لانستطيع أن نطلب إلى ناشر قطاع خاص أن يبيع الكتاب بالسعر الذى نبيع به كتابا أنتجته الدولة ، لأننا ندعم الكتاب ونحميه ، كما ندعم الرغيف والكساء الشعبى ، ولانلزم القطاع الخاص بأن يفعل نفس الشىء ، وإنما نساعده ، على أن يقوم ببعض التخفيض ، لكن سيبقى سعر الكتاب فى القطاع الخاص مرتفعا بعض الشىء ، لأنه يخضع للسوق التجارية ، ولايخضع للقطاع العام .

وزير الثقافة

إن من لايستطيع أن يشترى كتابا من القطاع الخاص ، نظرا لارتفاع ثمنه يشترى من القطاع العام ، والذى لايستطيع شراءه من هنا أو هناك يقرؤه فى المكتبة العامة .

حسب الدولة أنها تصدر كتبا تراثية جليلة ومترجمات عظيمة ، وموسوعات كبيرة ، وكتبا ثقافية ، وكتبا دينية على كل المستويات ، وبسعر يبدأ من ٢٥ قرشا وينتهى بجنيه وربع تقريبا ، والدولة تعطيك كتابا فى كل فرع من فروع الثقافة بسعر رخيص ، وبأقلام ممتازة ولمؤلفين كبار وبثمن الورق تقريبا . وهذا سبيلنا إلى حل مشكلة الكتاب وأعتقد أننا نجحنا بنسبة لاتقل عن ٩٥٪

●● أضرت القرارات الاقتصادية التى وضعت للكتاب أو المطبوعة التى ترد من الخارج ، فما الذى يقوله وزير الثقافة ؟

– صدرت قرارات بالفعل فى الأشهر الأخيرة لزيادة الجمارك ، ولم يقصد بها الكتاب لذاته ، وإنما انسحبت على الكتب والمجلات ، وبعض الصحف الآتية من الخارج ، وأوشكت أن تسبب بعض التعويق ، وأعترف بهذا ، ونحن بسبيلنا مع وزير المالية لتذليل هذه الصعوبة لإعادة الوضع إلى ماكان عليه من قبل ، أو بتخفيفها إلى أقل حد ممكن ، بحيث لاتحس لا فى استيراد الكتاب ولا فى تصديره ، ولم يقصد بهذه القرارات أن تعوق الكتاب أو الثقافة ، وإنما إصلاح اقتصادى معين ، ينظم أشياء كثيرة منها ما انطبق على الكتاب ، وربما دون قصد ، وسنصلح هذا إن شاء الله .

● العيب فى نظام الجائزة ●

●● هناك قول بأن جوائز الدولة تحجب مع وجود من يستحقها ، هل ستوضع ضوابط فى المستقبل ، حتى لاندخل فى متاهات ، ويزداد القيل والقال ، وماهو تصورك كمسئول وكمثقف قبل كل شىء ؟

– يقول الدكتور أحمد هيكل : فى جوائز الدولة جانبان .. هناك الجوائز التشجيعية ، وليست فيها مشكلة فى رأيى ، لأن من يريد أن ينال الجائزة التشجيعية ، عليه أن يتقدم بإنتاج فى المجالات المعلن عنها ، سواء فى الشعر أو القصة أو الترجمة ، وغيرها ، وتؤلف لجان المتخصصين على مستوى رفيع من المعرفة والخبرة والحيدة ، لكى يختاروا من ينال الجائزة

وفى الجائزة التقديرية يختلف الأمر ، لايتقدم من ينال الجائزة التشجيعية أو من يرشح لها ، وإنما ترشحه هيئات بعينها نص عليها القانون .

وليست هناك لجنة تفحص أحوال من يرشحون ، فتفضل انسانا على انسان وإنما هناك اقتراع سرى من أعضاء المجلس الأعلى للثقافة ، وهذا الاقتراع له طريقة خاصة .

وكانت الجائزة منذ عدة سنوات واحدة ، وأصبحت ثلاث جوائز فى كل فرع ، وعلى كل عضو فى هذه الحالة أن يكتب ثلاثة أسماء ، ثم تتم التصفية ، ومن يحصل على ثلثى أصوات الحضور يكون مجازا ، ومن لايحصل على ثلثى هذه الأصوات لاينال الجائزة .

وفيما سبق كانت المسألة تمر بيسر ، لأن المرشحين كانوا اقل ، ولأن الأسماء كانت كبيرة ، وذات بريق عظيم ورصيد ضخم ، بحيث تفرض نفسها من أول جولة .

فمثلا حينما عرض اسم طه حسين وافق الجميع فورا ، وبالتالي اسم العقاد لم تحدث مشكلة ، كذلك عزيز أباظة وأحمد رامي ، ثم ظلت السنون تتوالى إلى أن كثر عدد المرشحين ، وليس بينهم بالقطع من هو في قيمة طه حسين من ناحية البريق والشموخ .

ومن هنا ظهرت في السنوات الأخيرة سلبيات تحتاج إلى معالجة ، ماكانت تظهر في الماضي ، نظرا لما قلت من قلة الاسماء المعروضة ، وللبريق الشديد لبعض الأسماء التي كانت تفرض نفسها وتحسم الموقف

اختلف الوضع الآن ، فالأسماء كثيرة والبريق عند البعض ليس كافيا ، وتكون النتيجة أن توزع الأصوات لكثرة العدد ، ولاينال البعض وهو مرموق وعظيم كل أصوات الحاضرين ، فتحجب الجائزة بحكم القانون ، لا لأنه لايستحق ، ولا لأن مصر فقيرة من الرجال ، ولا لأن أعضاء المجلس ضد فلان من الناس ، وإنما هكذا أدى النظام القائم .

ومن هنا أقول إن العيب في النظام وليس في الأدباء المرشحين ، والفنانين ، ولافي الاساتذة الذين يقترعون .

وأنا بسبيلي هذه الأيام ، ومنذ شهور إلى تعديل هذا النظام الذي أدى إلى هذه السلبيات ، وأرجو أن ينجز التعديل قريبا ، وأن يتلافى هذه السلبيات ، وأن نجد دائما وفي كل عام أناسا قد نالوا الجائزة وهم يستحقون ، ولاتحجب الجائزة مع وجوب من يستحق ، اما تفصيلات الموضوع فأعتذر عنها الآن لانها في شكل التقويم والاعداد ، وأعد بتلافي هذه السلبيات ، ليس أنا وإنما الأجهزة القانونية والتشريعية ، باستشارة أعضاء المجلس والخبراء لكي نصل الى تلافي هذه السلبية التي أعترف بها ، وخلاصتها أن الجائزة تحجب أحيانا مع وجود من يستحقها !

● ننافس في المضمون ●

●● قبل أن أترك وزير الثقافة سألته عن دعم الوزارة للمجلات الثقافية في مصر

ـ قال على الفور : لا أزعم أننا نستطيع منافسة المجلات التي تطبع في البلاد العربية على ورق فاخر وبإنفاق بذخ وبتحرير مسرف ، ولكننا بالقطع ننافس جدا من ناحية المضمون وقيمة الكتاب الذين يحررون المجلات .

وبالإضافة للمجلات التي تصدرها وزارة الثقافة ، فإنني أشيد بالمجلات التي تظهر عن طريق دور نشر صحفية أخرى مثل مجلة « الهلال » العريقة الرائدة التي ظلت سنوات طوالا وهي المجلة الأدبية الأولى في العالم العربي . وأنا مستعد أن أساهم في دعم هذه المجلة بالطريق الذي نستطيعه كوزارة ثقافة واعتز بالهلال وأراها أختا شقيقة أو صديقة حميمة لمجلات وزارة الثقافة .

والمهم أننا لاتحجم عن دعم أية مجلة أدبية مصرية تبيض وجوهنا وتقف شامخة ، لتقول للعالم العربي ، وللعالم غير العربي ، هنا مصر ، وهنا الأدب المصري وهنا الريادة في مصر .



• نـــدوة •

العودة من المتغيرات إلى الثوابت

بقلم : مصطفى الحسينى

احسنت اللجنة المصرية للتضامن الاسيوى ـ الافريقى عملا عندما نظمت ندوة ((٣٠ عاما على تاميم قناة السويس)) ، واحسن المشاركون فى الندوة ـ او اغلبهم عملا عندما نظروا الى تاميم القناة فى ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى الذى ترتب عليه او استخدم ذريعة له على انه بداية حرب مستمرة استؤنفت فى ١٩٦٧ ، التى استوجبت ردا عليها فى ١٩٧٣ ، ثم واصل العدوان مسيرته أو استانفها ملتفا من حول هذا الرد ليفرغه فى مفاوضات مطولة انتهت الى ما نعرف من صلح مع اسرائيل ، ليست هذه السطور مجال الخوض فيه اكثر من القول بانه حقق لقوى السيطرة الاستعمارية الغربية اكثر مما استهدفت هذه القوى بعدوان ١٩٥٦ .



انتونى ناتنج والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل ومايكل فوت اثناء الندوة



ولقد كانت أهم مآثر هذه الندوة هى نغمتها الصحيحة ، التى أرستها مداخله محمد حسنين هيكل ، اذ دارت فى اطار كتابه الأخير • وفضل الكتاب والمداخلة أنها رفعت الى مستوى التوثيق والتدقيق ، ما كان من قبلهما فى مستوى التحليل والاستنتاج والحدس السياسى ، وهى مقولة أن هذه الحروب كلها وهذه المفاوضات جميعا هى حرب واحدة تتواصل بوسائل وقوى متباينة ومتداخلة فى آن ، فقدما تأصيلا وثيقا لدعاوى كتب سابقة يحضر الى الذهن منها كتابا ارسكين تشايلدرز وكينيث لاف اللذان صدرا فى أعقاب حرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ على التوالى ، ولم تكن حلقات الحرب المستمرة قد اكتملت بعد ، أو بالأصح كانت حلقاتها حتى اللحظة فى رحم التاريخ لا تزال ، ولم تكن الوثائق الكاشفة الدامغة التى اعتمد عليها هيكل وأباح بعضها للمرة الاولى ، قد أفرج عنها بعد ، كما استكملت هذه النغمة الصحيحة أبعادها بالمداخلة غير المقررة فى صلب الندوة والتى أضافها تعقيب الدكتور محمود عبدالفضيل على مداخلة الكاتب الفرنسى كلود جوليان اذ أوضحت هذه المداخلة انه كما ان الحرب هى ممارسة السياسة بوسائل اخرى ، فان الاقتصاد يمكن ان يحقق اغراض الحرب بوسائل اشد فتكا وخطرا ، لأنه اذا كانت الحرب تكسر من الأمة ذراعها المسلح كى ترتهن ارادتها ، فان الاقتصاد يفتك بعصب الأمة كى يشل ارادتها •

واذا كان فضل هذه الندوة على هذا النحو انها أوضحت بعض فصول تاريخنا المعاصر ، فان من افضالها الاخرى ، انها تدعو الي ندوة ثانية تكمل ما بدأت •

فقد تناولت الندوة الحرب المستمرة ، من أجل السيطرة على مصر والتحكم فى ارادتها وتشكيل دورها أو الغائه ، بدءا من تاميم قناة السويس فى ١٩٥٦ لكن هذا لا يعنى ان هذه الحرب بدات فى ذلك العام او من ذلك الحدث فليس من قبيل تحميل التاريخ اكثر مما يحتمل ان يقال انه فى حدود ما يحوى التاريخ المدون أن هذه الحرب بدات منذ الاسكندر المقدونى الذى غزا مصر باعتبار أن غزوها هو خطوة الأساس وقاعدة الارتكاز « لبناء امبراطورية شرقية عظيمة » • وأن الدولة الرومانية لم تتحول الى الامبراطورية الرومانية الا بعد أن فتحت مصر ، وأن نابليون بونابرت ، دخل الى التاريخ عندما عبر بوابات « حكومة التناصل » يلهمه حلم الاسكندر المقدونى ذاته ببناء « امبراطورية شرقية عظيمة » خطوة الأساس وقاعدة الارتكاز فيها هى غزو مصر ، وأنه بعد أن هزمت الحملة الفرنسية وانكشف عجز فرنسا عن تحقيق هدفها الامبراطورى بالوسائل العسكرية ، سعت الى تحقيق الحلم ذاته بوسائل « الهندسة المدنية » فحصل فرديناند دى ليسبس على امتياز شق قناة السويس ، وكان حلم فرنسا أيضا من ورائه هو « اقامة امبراطورية شرقية عظيمة » تكون مصر الخاضعة لفرنسا بالهندسة هذه المرة عوضا عن الجيش ، نقطة انطلاقها وقاعدتها • وأن « الصراع الدولى » طوال القرن التاسع عشر ، والذى كان فى مجمله صراعا بين بريطانيا وفرنسا ، كان صراعا من أجل السيطرة على مصر بدءا من حملة بونابرت فى سنوات ختام القرن الثامن عشر الى دور الاميرال ويلسون والاسطول البريطانى فى أجلاء الفرنسيين من مصر ، الى قيام قوة الانقاذ ذاتها باحتلال الاسكندرية والانتشار على امتداد ساحل مصر المتوسطى سعيا الى السيطرة على رشيد ، الى ثنائية التقرب الى محمد على والتآمر عليه التى تبادلت فيها بريطانيا وفرنسا الادوار على مدى يقرب من أربعين سنة ، الى أن تصالحتا على تصفية مشروعه بحصره داخل مصر والحد من قدراته وطاقاته داخل حدودها ، الى قصة حفر قناة السويس التى استخدمت فيها فرنسا العلم وبينما لجأت بريطانيا الى محاولة تزويره كى تحقق الحد الادنى من هدفها ، بأن تمنع فرنسا من شق القناة التى تعرف أنها يمكن أن تكون مفتاحا للسيطرة على مصر ، الى الصراع بينهما من أجل السيطرة على القناة بعد أن شقت ، وهو الصراع الذى لم يهدأ الا بهدنة « الوفاق الودى » بينهما فى مطلع هذا القرن ، وهو « الوفاق » الذى تأكد وتوسع فى اتفاقية « سايكس ـ بيكو » وهى التى كتبت فى سجلات التاريخ على أنها اتفاقية على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ، ولا شك انها كانت كذلك، لكنها ايضا كانت اتفاقية على تمزيق « ميمنة مصر » ان جازت ، استعارت هذا التعبير العربى ، وفى سياق هذه الاتفاقية نسب الى شبه جزيرة سيناء للمرة الاولى التى

يعرفها التاريخ المدون « ستارا من الرمال » يعزل مصر عن هذه الميمنة، وبالمناسبة فان وصف سيناء بأنها « ستار من الرمال » هو التعبير المفضل الذى ادخله شيمون بيريز الى الفكر العسكرى الاسرائيلي كواحد من أسس الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، ومن اهم هذه الاسس ٠

ودرس هذا العرض التاريخي البالغ الايجاز أو المبالغ فيه ، هو موضوع الندوة الثانية التى تدعو اليها الندوة الاولى ٠ ففى عصر تطغى فيه « المتغيرات » وتأخذ بالالباب والانفاس لخطرها وسرعتها ، تكاد تغيب « الثوابت » أو يغيب الاهتمام بها ٠ وقد كانت حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و ١٩٧٣ فصولا فى باب « المتغيرات » تماما مثلما كانت حملة الاسكندر المقدونى وصعود الامبراطورية الرومانية وحملة بونابرت وانشاء قناة السويس وما دار حوله وتلاه من صراع ٠ انما « الثابت » الذى دارت عليه ومن حوله هذه « المتغيرات » كلها هو موقع مصر٠وقد رأت فيه الامبراطوريات الكبرى قديمها وحديثها ليس مجرد جائزتها الكبرى وانما العود الضرورى كى يستقيم عودها ويشتد ٠ فسعت الى السيطرة عليه ان نجحت ، والى الحاق الهوان به ان فشلت وفى الحالين كانت السيطرة على مصر هى منشأ الامبراطوريات الكبرى ، وفقدانها هو مقتلها والايذان بأفولها وقد صدقت هذه القاعدة من الاسكندر المقدونى الى الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس ، وتصدق الآن على الامبراطورية الامريكية الاسرائيلية مهما تصورناه حلما مجنونا ٠ فالامبراطورية الامريكية منذ بداية هذا الصعود وشغلها الشاغل هو محاولة السيطرة على مصر ، منذ مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط ، الى حلف الشرق الاوسط ، الى حلف بغداد ، وقد فشلت فيها جميعا ٠ أما حلم الامبراطورية الاسرائيلية ، فيتكشف فى سعى اسرائيل الدائب والدائر بين ضرب مصر أو « تحقيق السلام معها » ولم يكن سعى اسرائيل الى هذا « السلام » او « الصلح » للسبب الذى تعلنه وهو « الخطر » ، يمعنى أن « الخطر الرئيسى على أمن اسرائيل يأتى من مصر » ، وانما السبب الحقيقى هو أن مصر هى الدرع الذى اذا تكسر أو اخترق وصل نصل السيف الى اللحم الحى ، وانهارت الجبهات امام الزحف الاسرائيلى « حربا » او « تطبيعا » :

ولعل الندوة الثانية التى تدعو اليها الندوة الاولى ، تخرج بالاهتمام من دائرة « المتغيرات » الى دائرة « الثوابت » فتضيف الى اسهام جمال حمدان الفذ حول « عبقرية المكان » ، اسهاما حول « خطر المكان » لانه اذا كان الوعى بالمتغيرات مرشدا الى طريق التحرر والاستقلال فان الوعى بالثوابت واهم دروسه هو « خطر المكان » هو المرشد الضرورى الى صيانة التحرر والاستقلال من خطر المتغيرات ٠

وهذا هو موضوع الندوة الثانية التى تدعو اليها الندوة الاولى ٠

وفى هذا فليتنافس المتنافسون ٠

د. محمود عبد الفضيل



أحمد زكى اليمانى
نظرية بمائة مليار دولار !

بقلم : فيليب جلاب

لابد ان يكون السيد احمد زكى اليمانى ـ وزير البترول السعودى السابق ـ خبيرا فى شئون النفط من طراز خاص . ولا بد ان تكون نظريته فى تسويق النفط بعد اكثر من ربع قرن قضاها فى منصبه عصية على افهام كل الخبراء !

وفى حدود الارقام الرسمية المعروفة فقد كلف تطبيق نظريته السعودية وبقية دول « الاوبك » اكثر من مائة مليار دولار . اذن فهى « اغلى » نظرية عرفها المنتجون والمستهلكون للبترول منذ اكتشافه حتى الآن !

ونظرية اليمانى فى غاية البساطة اذا اخذت بظاهرها ونتائجها، الا اذا ثبت للاجيال القادمة بعد ان ينفذ البترول ما قد يكون خافيا منها !

قال المستهلكون للبترول من الدول الصناعية الكبرى ان اسعار البترول اكثر مما يجب وسنعمل على البحث عن مصادر اخرى للطاقة ونضاعف من قدرتنا على تخزين كميات اكبر ، حتى تهبط الاسعار وليذهب المنتجون الى الجحيم!

ورد اليمانى ممثل المنتجين بزيادة الانتاج لكى يساهم فى عدم « زعزعة استقرار » الدول الصناعية الكبرى ويتيح لهم القدرة على التخزين والتحكم فى اسعار النفط .



وتساءل بعض الخبراء الذين يتمتعون بعبقرية اليماني : اليس من المناسب أن نحد من الانتاج ونفوت على المنافسين خطة ضرب اسعار البترول وهو المصدر الوحيد لثروتنا؟

لكن اليماني سخر من تخوف شركائه لان الهدف الاسمى هو اغراق السوق بالبترول «حتى لانفقد حصتنا فى السوق » .

« وصح » ماتوقعه اليماني فلم نفقد حصتنا فى السوق لكن فقدنا حصتنا فى الثروة . وكاد ان يصل ثمن برميل البترول الى اقل من تكاليف انتاجه بعد ان اكتمل للدول الصناعية الكبرى مخزون هائل يعصمهم لفترة غير قصيرة من الحاجة ومن الضغوط .

اما الذين حافظنا بكل ما نملك على « استقرارهم الاقتصادى واشتروا النفط بابخس الاثمان ودارت مصانعهم باقل التكاليف فلم يصدروا الينا شيئا باسعار تساعد على « عدم زعزعة » استقرارنا .. لكن ماذا يهم ان نستقر نحن وتضطرب شئون الاخرين ؟!

.. وبعد ان ادى اليماني مهمته على الوجه الاكمل ، وقبل ان يوزع البترول مجانا على من يستطيع التنقيب عنه واخراجه صدر قرار الملك فهد باعفائه .

والحقيقة هى انه قرار مناسب للرجل المناسب .. بعد فترة طويلة من الوقت المناسب !

قصة قصيرة

رقصة المطر

بقلم : حسين عبد العليم

هطل السيل وازداد تدريجيا اختفى الناس من الشوارع ، كل اغلق بابه عليه و من شاهدوه اقسموا على انه مجنون من سمعوه سمعوا قهقهة هيستيرية مخيفة حينما يتم الحدث عادة يتم بعده تذكر المقدمات ـ تلك التي لولا وقوع الحدث لما كان لها اية دلالة او اهمية . لولا الوفاة لما كان مهما ان يتذكر احدا ، لما كان مهما ابدا ان يتذكره احد ويقول : يا الهي .. انه الغريب . نوع من الانجذاب بين انسان واشياء ، بائعو البخور، التراب ، نفس التراب القديم ذو الرائحة المتعطنة وابور الجاز اروقة الازهر ، المكتبات وكتب السحر القديمة، الورق الاصفر . النظرة الغريبة كانت تتشابه ليلا ، شاهده احدهم واقسم على انه كان يلعق حجارة الجامع بينما بالاذان مؤذننا ولان وقت الصلاة معين فكل المساجد تؤذن تباعا في وقت واحد . تحدث الانتفاضات ، يبدا التشويش والتشابك يا مصر يا حبيبة الاحياء البلدية الفرانون المجلاتية الملاية اللف . العطارون السمنة ، الترام الاصفر القديمة، الوصفات البلدية عشقتني والله عشقتني يا مصر . النظرة الغريبة كانت تعود ليلا، المماليك ، ابواب القاهرة القديمة ، الحمامات في السوق ، الشارع المبلط يا مصر عمرك ماخنتني ولا هنتي يا مصر ، حتى كلمات الشتيمه، الكلمات البذيئه، المشاجرات،حتى دكاؤك يا مصر . ولد ظريف قال انه كانيصلي صلاة المطر . يرقص رقصة المطر ، كان فاردا ذراعيه كالمصلوب والراس الى اعلى .ربما لانه غريب عن المكان قالوا عنه الغريب الغريب ذهب ، الغريب جاء . الغريب ـ هذه الصفة لم تجيء هكذا! مرة واحدة جزافا الشارع مليء بالناس



من كل لون وجنس وملة.
لكنهم لم يقولوا عنهم
غرباء ، الناس يذهبون
ولا يعودون ، الناس
يذهبون ويجيء غيرهم
الغريب كان يذهب ثم
يعود ، يذهب ثم يعود
فى البداية كان الغريب
واحدا من الاف الناس،
ثم تمت عملية تصعيد
تلقائية حيث سمى
بالغريب ، حين اعتاد
الناس على رؤيته هائما

شيء من السرحان والتيه
النظرة الغريبة ترتسم
وتتسع العينان بشدة
يبتديء الوش،وش ،وش
وش ، يبدأ التداخل
والتضارب • لا احد
يعلم من اين جاء او من
اين يجيء او اين يذهب
المنازل القديمة المبنية
بالحجارة ، والله
معقوله ، الحارات
رائحة شواء السمك،
لبان الدكر ، القوريه

والحسين ، السكرية
للمبار ، بائعو المسبح
لا اله الا الله ، وهدوره
كان يقهقه فى هيسترية
يتمرغ فى مياه المطر
يقبل المساجد والمنازل
القديمة يبكى حينا ثم
يضحك ، وعيناه ، عيناه
كانتا متسعتين كحجر
طاحون فى الصباح وحده
عينا متغضبا ، لكنه كان
هادىء الوجه •

أدب هوانم.. أم أدب نسائي؟



كليراتسرللي

بقلم : محمود قاسم

لم تثر هوانم الادب ـ اللائي يعمل اغلبهن بالصحافة ـ من تلك الندوات التي عقدت في معهد جوتة بالقاهرة في اكتوبر الماضي سوى ثرثرات سطحية حول وجود او عدم وجود ادب نسائي وراح بعضهن يملأ الصحف والمجلات كتابة عن هذه الندوة مؤكدات ان قضية الازل عند الكاتبة المصرية هي : هل هناك ادب نسائي ام لا ..

وراحت احداهن تهاجم كاتبا كبيرا لانه اهتم بكاتبة لبنانية هي بلاشك اكثر موهبة وثقافة واطلاعا .. ليس من فراغ . بل من اعمالها .. اما ان نناقش قضية قيلت فيها الكلمة الاخيرة وحسمت يؤكد اننا لا نزال نتساءل ايهما اسبق الكتكوت ام البيضة . بينما كبر الكتكوت ووضع سلالا من البيض تحولت بدورها الى كتاكيت ودواجن فالادب النسائي موجود وحسمت قضيته .. وسوف نؤكد حسمه في هذا المقال .. وعلى من لايقتنع ان يظل يملأ الصفحات صياحا وغضبا بدلا من البحث عن الحديث والجديد في آداب العالم الذي قطعت فيه المرأة شوطا لا يمكن ان يحدث الا مع قيام حركة تنوير ضخمة بدأتها كاتبة عظيمة هي سيمون دي بوفوار في « الجنس الثاني » .

فبدلا من ان تلقى احدى كاتباتنا بقذائف غير صحيحة عليها ان تبحث عن روايات الكاتبات اللائي سنذكرهن .. لقد كتبت احداهن : « كانت البداية منذ اعوام عندما اثير سؤال ميتافيزيقي لا جدوى منه على الاطلاق: هل هناك ادب نسائي او غير نسائي» كلمة سؤال ميتافيزيقي هنا في غير موضعها .. واليكم الجواب عن



فرجينيا وولف .. غير نسائية



سيمون دى بوفوار الأدب نسوى

للسؤال الذى طرح منذ سنوات ..

● ادب السيقان الصلدة ●

المرأة اديبة .. على العين والراس .. بل واديبة مبدعة تطاول الرجل فى ادبه بل وتتفوق على الكثير من الرجال .. والمرأة احق من الرجل فى الخلق الادبى .. لان ملكة الابداع عندها اقوى .. ويتضح هذا من حكايات الحواديت للاطفال التى لو سجلت لكانت تراثا ضخما .. لكنها لم تسجل . وقد عرف القرن التاسع عشر اديبات عظيمات من طراز جورج اليوت واميلى برونتى صاحبة المعجزة المسماة مرتفعات ويذرنج وجورج صاند .. كما عرف قرننا العشرون سلمى لاجير لوف وبيرل بك وفرجينيا وولف ودوريس ليسنج ومرجريت دوراس ولم نسمع احدا يردد ان ادبهن نسائيا او ادب امرأة .. هن اديبات يكتبن ادبا عظيما . وليس فى الادب العظيم تفرقة بين امرأة ورجل .. ونحن نتفق فى هذا .

لكن اذا ظهرت ظروف اجتماعية وسياسية تدعو الى ظهور نوع من الادب فاننا يجب ان ننتبه الى هذه الظاهرة .. مع ظهور كتاب «الجنس الثانى» عام ١٩٤٩ . وهو لم يكن عملا ابداعيا .. لكنه دفع الكثير من المبدعات فى فنى الكتابة والسينما الى اعتناق ما جاء به .. ومن هنا ظهرت حركة النسوية .. التى افرزت ادبا نسويا ـ ولا اقول نسائيا ـ كان يجب الوقوف عنده .. فالرجل عند سيمون دى بوفوار ينظر الى المرأة على انها مخلوق آخر . لها دور آخر كأن يعجب بها . وعليها أن تتصرف بتوجيهاته مما يدفع المرأة ان تشعر بدونية عن الرجل . « اذا كانت النسوية مضفومة بالحديد الساخن فعلينا أن نتعلمها بجدية . ليس فقط للبنات . ولكن للصبيان ايضا » . وقد تحدثت سيمون عن استقلال المرأة اقتصاديا « لااود ان اظل طيلة حياتى اخضع لشخص اخسر لانه يمتلكنى » .

وقد وجدت النساء الامريكيات فى أراء سيمون دى بوفوار ملاءمة للتطور الاجتماعى الذى كان المجتمع



أدب هوانم.. أم أدب نسائي؟

الامريكي يشهده فى تلك الآونة• بينما نظرت الاوربيات الى هذه الآراء بحذر شديد •• ورغم ان كتاب سيمون ظهر في اواخر الاربعينيات • الا ان اول جمعية نسوية ادبية لم تظهر الا مع أوائل السبعينيات •

كان على هذه الجمعيات والاتحادات ان تتكاتف وان تنادى بآرائها ••ليس فى اجتماعات مغلقة •• بل على الملا •• ورأينا كيف تحولت المجلات النسائية الاوربية لتخاطب عقل المرأة بدلا من ان تقدم لها احدث الازياء وادوات الزينة وألبسة البحر •• وبدأت اديبات فى المناداة بالاستقلال عن الرجل للشعور بالذات اكثر •• وكتبت اخريات عن وضع المرأة الاجتماعية فى مجتمعها الصغير ـ اسرتها ـ وفى المجتمع الكبير الذى تعمل فيه وتنتمى اليه •• ولانه لم تكتب كل نساء السبعينيات والثمانينيات ادبهن بهذا الاسلوب • فلا يمكن ان نقول ان كل ما تكتبه المرأة ادبا نسويا Feministe •• بل برعت اديبات عديدات فى كتابة ادب مثل الذى تحدثنا عنه •• ادب مجرد •• مثل الرواية التاريخية والواقعية والاجتماعية والبوليسية وكما برزت هؤلاء النساء •• برزت نسوة اخريات مثل كلير اتشرللى وكرستيان روشفور وبرجيت شويجر وجان شامبيون وسوزان برو ومرويت أتوود وكلاريس ليسكبتور والعشرات منهن ••

فلو رأينا الوصف الدقيق الذى تصفه اليز بطلة رواية الحياة الحقيقية لكلير اتشرللى لرحلتها من مدينة ليون الى باريس لرأينا اى عالم نسوى تعيشه اليز • فهى ليست امرأة غريبة مثل نساء عديدات ظهرن فيما بعد ولكنها فتاة رقيقة تنحدر من اسرة شديدة الاملاق • ترحل مع اخيها للبحث عن فرصة للعمل كي تجد مكانا لها تحت الشمس• وهناك مشهد فى منتهى الاهمية عندما تتقدم اليز لاختبار اختيار عاملات فى مصنع رينو للسيارات فيقوم رجل باختبار صلابة ساقيها حيث ان العمل الذى ستؤديه يتطلب صاحبة سيقان قوية لانها ستضطر للوقوف طويلا اثناء العمل •• وتوافق اليز من اجل لقمة عيش • مثلما وافقت نساء عديدات طالبن بالمساواة مع الرجل فى الاجر• والحق المدنى • والتصويت والميراث واشياء عديدة ••

قد لا تكون مشكلة اليز مهمة لبعض هوانم الادب • لان نساءهم مشغولات بالتطريز والثرثرة فى المكاتب والنوادى الرياضية تلك الاماكن التى يعقدن بها ندواتهن •• وهناك نماذج عديدة من النساء المناضلات فى ادب كليراتشرللى •• ولكننا لن نقف عند نموذج واحد من هذا الادب • فالكاتبة بياتريكس بيكس قد صورت عالم الشيخوخة عند امرأتين تعيشان وحدهما بعيدا عن الرجال •• لقد ولى عهد الجمال •• والعطاء •• وهاهما يعيشان سنوات انتظار من يأت على غفلة فى رواية تحمل عنوان « نولى » •• وقد نالت هذه الرواية جائزة جونكور •• كما رشحت لنيل جائزة فيمينا التى تمنح بصفة خاصة للادب النسوى •• وقد تبدو التجربة غريبة على مجتمعنا ايضا •• فالتآلف الذى تعيشه المرأة

فى هذا السن فى احضان اعتقادها يجعل مثل هذا النوع من التناول الادبى غريبا غير مناسب لنا .. لكن شيخوخة المرأة فى مجتمعنا لها صور عديدة لم تتناولها ايضا اديباتنا بنفس ما لها من اهمية اجتماعية ..

اما الكاتبة الالمانية برجيت شويجر فتصور العلاقة بين ام وابنتها من خلال رواية « تزوجى يا ابنتى » تدرك المرأة فجأة انها تزوجت كى تكون ماكينة للغسيل والطهو والتربية وان المجتمع قد وضعها فى اطار يسمى « الزوجة » وتقول ساخرة : « ايجب ان يكون لنا ابناء لا . ليست المرأة التى بدون رجل نكرة » . لذا فهى تدفع ابنتها الا تتزوج ولا تكرر نفس التجربة وتؤمن الصغيرة ان تعيش التجربة رغم اخطارها ..

● المرأة كلمة تمنعها الصدمات ●

تناولت الكاتبة الامريكية جويس كارول اوتس العلاقة بين امرأة وابنها فى روايتها « متأنقون » فريتشارد قد اصبح طفلا كهلا نتيجة العقد النفسية التى رسبتها فيه امه . امرأة شابة جميلة لا يعرف عنها ابنها اشياء كثيرة . انها كثيرة الخروج مع زوجها الثرى . وللندا - وهو اسمها اسلوبان فى ممارسة حياتها . فهى امام المجتمع امرأة انيقة تتنقل بين المدن الكبرى . لها الاسلوب الاخر فتدمش به بوهيمية فى احياء نيويورك الفقيرة ..

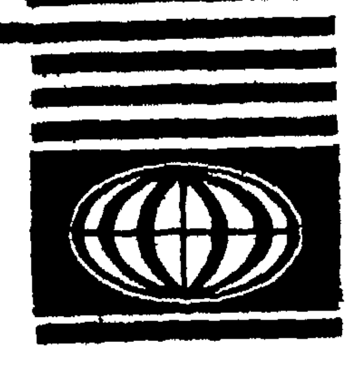
ويعيش الابن هذا الفصام . يحاول ان يحلل هذا العالم الذى يحوطه يؤصل دوافع مه ويحاول ان يدرك اسبابها كأنه طبيب نفسى من هؤلاء الاطباء المنتشرين فى الولايات المتحدة . هؤلاء الذين عليهم ان يفتحوا اذانهم وجيوبهم لسماع مشاكل الاخرين . وندا الاديبة التى تحل مشاكل القراء فى كتاباتها يصعب عليها ان تحل مشكلة ابنهما الذى لصابته الشيخوخة قبل ان يبلغ سن الصبا .

واذا كانت كلير اتشرللى قد جسدت تجربتها الخاصة مع ثراء باريس فى شخصية الين فان الكاتبة الجزائرية مارى كاردينال تجسد تجربتها مع أمها فى العديد من رواياتها .. لقد تزوجت امها الفرنسية جزائريا .. وبعد ان انفصلت عنه اخذت تربى كل عقد الدنيا فى ابنتها . تجاه الرجال . ففى روايتها « مسقط رأسى » تتحدث عن الكلمات التى كانت ترددها امها فى كل ليلة حول ابيها : لو استطعت ان اعرف السوء الذى سيحيق بى اذا كان يجب ان اطلق صيحة تحذير ، ما تزوجت اباك » .

● انا حرة ●

تلك نماذج من الادب النسوى .. انشغلت كاتباته بالدفاع عن قضايا المرأة .. فاذا كان ادب المرأة من هذه النوعية فهو نسوى .. واذا لم يكن فهو ادب يدخل فى طى التصنيفات الاخرى للادب .. الطريف ان الجوائز الادبية التى تمنحها هذه الجمعيات النسائية وبعض الاكاديميات النسوية قد منحت دوما بعض الرجال جائزة الادب النسوى فيمينا .. لان الروايات الفائزة يجب ان تناصر قضايا المرأة بصرف النظر عن جنس كاتبها .. ويمكن فى مثل هذه الحالات منح الكثير من روايات احسان عبد القدوس هذه الجائزة مثل « انا حرة والنظارة السوداء .. شريطة الا تقع فايزة فى « انا حرة » فى اسر رجولة عباس فى الرواية .. لانها بهذا قد تخلت عن قضية امنت بها فلم تعد حرة بالمرة ..

العالم في سطور



اسطنبول

● بخور الشرق .. وخمور الغرب ●

المراة الاولى

عنوان الرواية التى صـدرت فى الشهر الماضى للكاتب التركى نديم رسل .. الذى ولد فى جنوب تركيا عام ١٩٥١ . تروى حكاية شاب مسلم فى مقتبل العمر يذهب الى ماخور لاول مرة فى نفس الليلة التى تموت فيها امه . ثم رحلته الى باريس وعلاقاته المضطربة باربع نساء احداهن عاهرة والثانية « ام » ، والثالثة « ارملة » ، والرابعة فتاة صغيرة لم تجرب الرجال بعد ..

أثار نديم الكثير من الاعصاب مع روايته الاولى « صيف طويل فى اسطنبول » المنشورة عام ١٩٧٦ واعتبرها النقاد احسن رواية تركية صدرت فى السبعينات . وكتب عنه الروائى المعروف يشار كمال : « يمكن ان نقول ان نديم رسل هو أحد الكتاب المعاصرين النادرين الذين جاءوا بالجديد الى ادبنا ... كما اعتبره الناقد الفرنسى ايتمبل فى كتابه «مقالات فى الادب العالمى » احد الذين يعون الخصوصية الانسانية بعمق .

يعمل نديم الان مدرسا للادب فى باريس . كما حصل على شهادة الدكتوراه فى ادب اراجون وناظم حكمت .. ومن الواضح ان اعماله تكشف عن مزيج بين رجل تنسم من بخور الشرق .. وخمور الغرب .

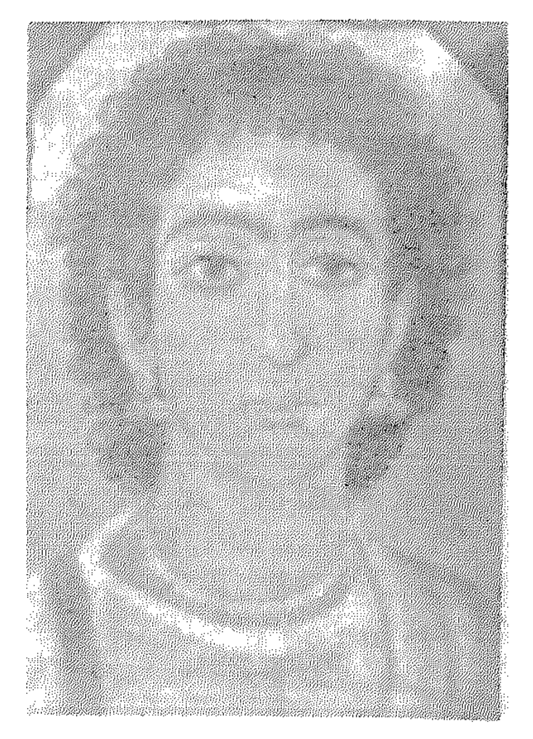
نديم رسل



الفيوم

● عيون قبطية .. من الفيوم ●

اثارت فتاة الفيوم اعجابا منقطع النظير فى المعرض الذى اقيم فى مدينة درور لمختلف فنون الحضارات الشرقية فى اكتوبر الماضى وفتاة الفيوم هى أحدى لوحات الفن القبطى المصرى التى لم تسترع انتباها قط عند عرضها فى متحف اللوفر .. لكن النقاد التشكيليين اخذوا يتغزلون فى العيون الواسعة



فتاة الفيوم مصر

لتلك المرأة القبطية ووجهها الصبوح .. ونظرتها الشاردة . وجمالها الرباني .. وقد عاشت في القرن الثالث الميلادي .

وقد رسم وجه هذه المرأة فوق نسيج من الحرير الملتصق على خشب مصموغ .. ولا تزال اللوحة تحتفظ بنضارتها رغم عمرها الذي يناهز سبعة عشر قرنا .. كتب عنها جوزيف روى انها أشبه بضياء حقيقية تهب فوق الظلال التي تنير الاشجار الكثيفة لفن الموزيكو الذي نراه في المساجد التي بناها الامويون في دمشق حيث القصر الهاشمي .

وحسب روى ايضا فان هذه اللوحة قد بيعت في المعرض بمبلغ ٢٠٩ آلاف فرنك فرنسي ويقول أن هذا ليس فنا مصريا قبطيا فقط . ولكن القرن الثالث الميلادي شهد في الاسكندرية مزيجا من فنون العالم الذي جاء الى الثغر ساعيا الى احياء ثقافته القديمة ..

باريس

● لم احب سواك ●

في العام الماضي نشرت الهلال مقالا عن ظاهرة الممثلات اللاتي تحولن الى الابداع الروائي .. وقلنا ان هذه الظاهرة قد تكون نزوة عابرة لا تتكرر . خاصة ان عام ١٩٨٦ شهد ممثلات أخريات يقمن بالتجربة الابداعية مثل البلجيكية نيقرل كالفن .. لكن هذه النسوية لم تكن نزوة عابرة عند ماري فرانس بيزيه .. لعدة أسباب . منها ان روايتها الاولى « حقل المحافظ » نجحت على كافة المستويات .. أما روايتها الجديدة « لم أحب سواك » فانها تحقق الان نفس النجاحات .. من جديد نؤكد أن ماري فرانس بيزيه نجحت كممثلة وكاتبة سيناريو ومخرجة سينمائية ..

والرواية الجديدة ـ مثل سابقتها ـ

ماري فرانس بيزيه



تجربة حقيقية حول اشخاص عديدين عرفتهم الكاتبة فهناك لورا المصورة ومريم الكاتبة المشهورة • والمناضلة من اجل حقوق الانسان • وتعجب لورا بالكاتبة التى وهبت حياتها من أجل الدفاع عن المرأة فتصبح المصورة الخاصة لها ترافقها الى اطراف الدنيا فى كل رحلاتها وعودتها •• وفجأة تخرج مريم من حياة لورا وتختفى تماما •• فتقرر لورا أن تقوم بدورها فى عدة ميادين بما فيهم فراش زوجها •• فترحل الى بلاد كثيرة تنادى بنفس المبادىء •• وتكتشف يوما أن مريم موجودة فى احدى الدول المشهورة بالنظام الديكتاتورى • تعمل مرشدة فى متحف الثورة •• لقد قررت أن تبقى هناك حتى ترى بعينيها تطبيق حقوق الانسان •

برلين

● بريخت .. معلما .. ام مؤلفا ●

ثلاثون عاما على ذكرى ••
تلك هى العبارة التى ملأت الصحف والمجلات العربية والعالمية فى الشهر الماضى •• ثلاثون عاما على حرب السويس •• واخرى على غزو بوادبست •• لكن ما يهمنا فى المجال الثقافى هو ذكرى برتولت بريخت

أحد الذين اثاروا جدلا كبيرا بمسرحهم اللحمى التعليمى •• واعجب به الكثيرون •• ورآه البعض مجرد كاتب سعى الى التجريب مثل غيره •

بريخت الذى عاش بين عامى ١٨٩٨ و ١٩٥٦ هو أحد الذين تعرضوا للاضطهاد النازى فغادروا المانيا مثل «ستيفان زفاريج وتوماس من» سافر الى الاتحاد السوفيتى • واصدر مجلة « الكلمة » لمكافحة النازية •• ادخل التعبيرية الى المسرح الالمانى •• له نظرية فى الاداء المسرحى تعرف باسم النظرية «الابتكارية» مؤداها أن المسرح وسيلة للتعليم لا للتسلية وهدف المؤلف ليس حل مشاكل الواقع • بل القاء درس على النظارة فعلى الممثل ان يبتعد عن الدور الذى يلعبه بدلا من أن يتغمس فيه • وان يخاطب عقول النظارة لاعواطفهم • من اشهر مسرحياته « دائرة الطباشير القوقازية » • «حياة جاليليو » • « الام شجاعة •• » واوبرا البنات الاربعة » التى تعرض الان فى المانيا فى اطار الاحتفال به •

بريخت





هوليود

● كلنا .. ابناء هذا الرجل ●

خرج ابناء القرن العشرين من جعبة الفنان الامريكي والت ديزنى
تلك مقولة لا يمكن لاحد أن يردها فالشخصيات العديدة التي ابتدعها ديزنى قد عاشت كامنة فينا .. نراها صغاراً وكباراً فى مجلات الرسوم وافلام التصريك .. ميكي ماوس ، العم بطوط عبقرينو والاميرة والاقزام والسبعة ، والغزال بامبى .
يحتفل العالم بديزنى فى خلال شهر ديسمبر فى مناسبتين هامتين ، فقد ولد والت فى هذا الشهر منذ ٨٥ عاما .. ومات ايضا فى نفس الشهر منذ عشرين عاما .. لا تقتصر أهمية ديزنى على المخلوقات التى ابتدعها.. بل على اكسابها هذه السمات الانسانية العظيمة ، والبساطة المتناهية .. رسمها فوق كارتون .. وحركها فوق اشرطة السلويد .. ثم قام بتلوينها فيما بعد .. انشأ لها مدينة كبيرة يؤمها الاف البشر يوميا ودب فيها الحياة عندما نقلها الى الشاشة الروائية .. بل وسعى الى ان يكسب بعض الالات الجامدة الحس طرافة وانسانية ومذاقا خاصا ، مثل السيارة الطائشة المعروفة فى سلسلة افلام « هربى » ..

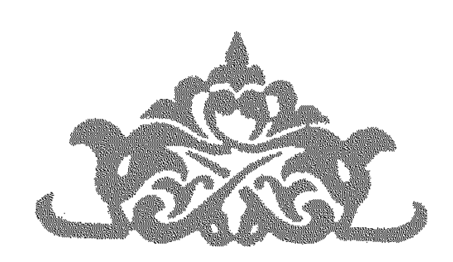
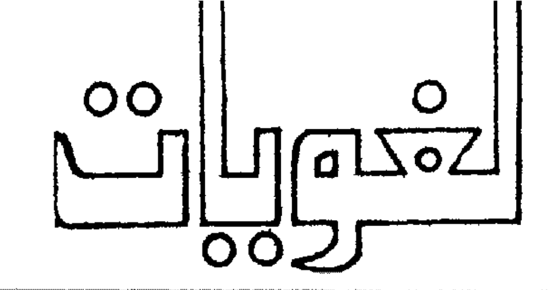
مدريد ـ بكين

● رجل .. العالم المتحرر ●

من حق مدريد.. وبكين ..وباريس والقاهرة .. وكل مدن العالم المتحرر الاحتفال باندريه مالرو (١٩٠١ ـ ١٩٧٦) .. ذلك الرجل الذى نادى



بالحرية والثورة فى كل اقطاب الارض .. ولم يكن مجرد روائى يكتب الثورة والتحرر كلاما نظريا دون ان يطبق ذلك سوى فى الخطب الرنانة والاجتماعات السياسية المليئة بالحماس .. لا بل ذهب الى الصين لمدة ثلاثة أعوام يشارك بنصيب موفور فى الحرب الاهلية الصينية ، ثم رحل الى مدريد اربع سنوات ليشارك فى الحرب الاهلية الاسبانية .. ومن عصير تجربته مع الصينيين يكتب ثلاث روايات من ابدع ما يكون هى « الغزاة » ١٩٢٨، « الطريق الملكى » ١٩٣٥ « مصير البشر » ١٩٣٩ التى نالت جائزة جونكور.. اما عن المقاومة الاسبانية فقد صورها فى « زمن الاحتقار » ، « الامل » .. لم يكن مالرو المتحرر.. او الروائى فقط .. بل شارك بكتابات عديدة فى احياء الفنون الحديثة فاقام المتاحف .. واصدر الكتب التى من اهمها « سيكولوجية الفن »١٩٤٧، « متحف بلا جدران » ١٩٤٩ ، انضم الى الديجوليين عام ١٩٤٧ واصبح ناطقا باسم حركتهم .. وعمل وزيرا للثقافة فى حكومة ديجول .. فكانت سنواته من ازهى ما عرفت بلاده من انشطة .. زار مصر اكثر من مرة ،

● سمعت بعض المتادبين في ندوة يقرأ بيت المتنبي في هجاء كافور الاخشيدي :

سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الأعبد القزم

فنبه سامعيه الى ان المتنبي قد حرك القاف والزاي بالفتح في كلمة « القزم » لضروره الوزن ، وان الصواب هو « القزم » بكسر القاف وتسكين الزاي ، والجمع اقزام ..

والحقيقة أن « الضرورة » لا وجود لها في كلمة « القزم » بتشكيلها في هذا البيت ، وهو فتح القاف والزاي ، فان « القزم » بهذا الشكل تقال للجمع كما تقال للواحد ، وللمذكر والمؤنث .. تقول : « رجل قزم » و « رجال قزم » بنفس الشكل ، وقد استعمل المتنبي كلمة « القزم » في بيته هذا للجمع لا للمفرد كما توهم المتادب الفاضل ، لان « الأعبد » ـ بضم الباء ـ .. جمع « عبد » ! ..

● في الدقائق الاولى من طلوع الشمس في بكرة الصباح يقال : شرقت الشمس .. فاذا اضاءت وصفا لونها بعد نصف ساعة مثلا ، يقال : اشرقت الشمس ! .. وهذا من دقائق اللغة العربية التي تهتم بمتغيرات الزمان والمكان والاشياء ، ولو في مدة نصف ساعة .. وقد كان العرب قديما ادق الشعوب في الشعور بالمتغيرات ومدلولاتها والعمل بمقتضاها ! ..

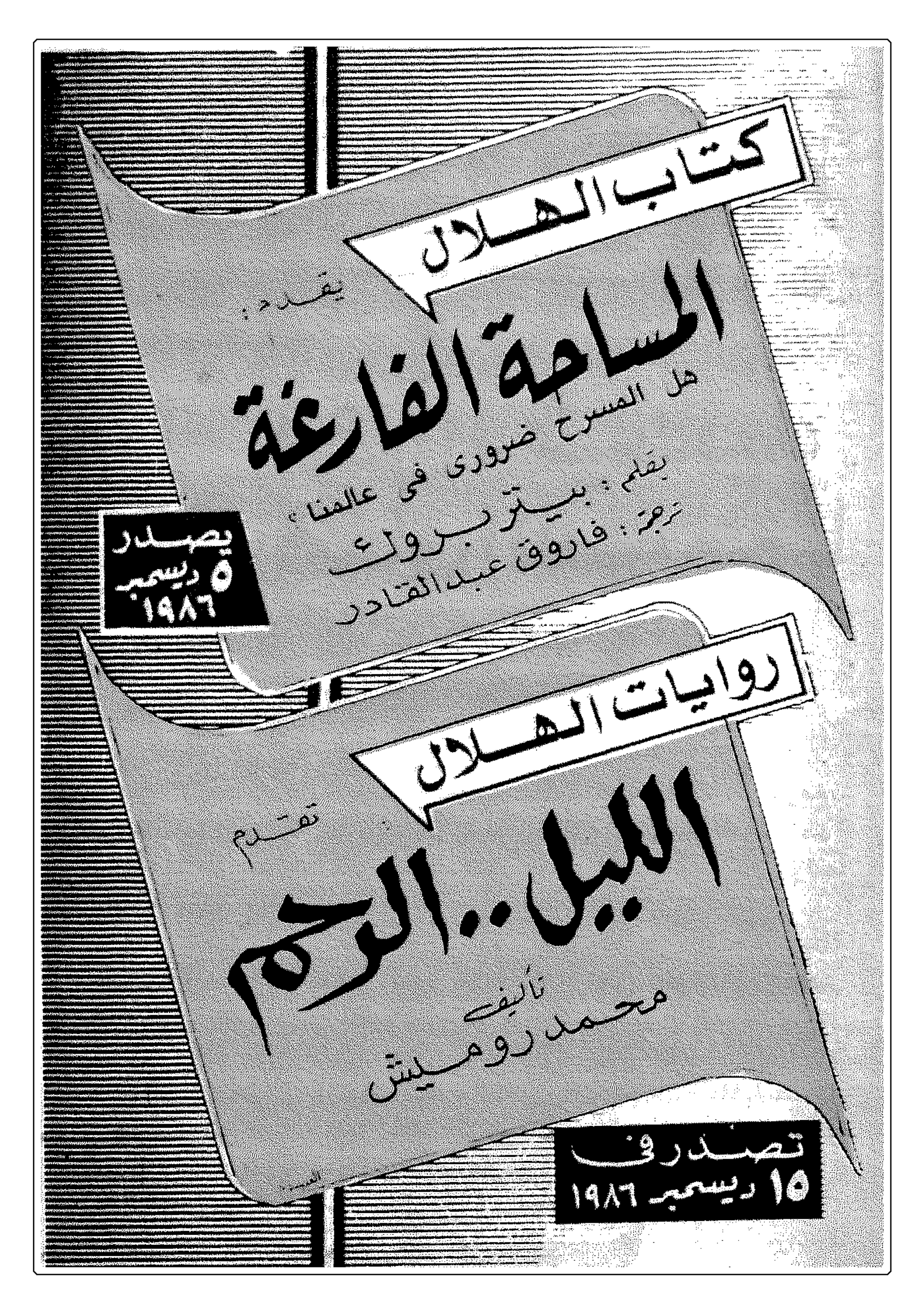
● حرف واحد يقلب معنى الفعل الى ضده ، فتقول : اقسط الرجل في حكمه ، اذا عدل فيه .. وتقول : قسط « بفتح القاف والسين » الرجل في حكمه ، اذا ظلم وطغى ! ..

● يقول المصلي في بدء الصلاة : « نويت اصلي » .. ويقول الصائم « نويت الصوم » .. واصل هذا الاصطلاح الديني ـ اصطلاح النية ـ هو قول القائل : « نويت » أو « أنويت » اذا أكل لحم التمر ورمى النواة .. فالمعنى هو استخلاص الفائدة ورمي ما لا فائدة فيه ، وكلام العرب القدماء يدور كله حول بيئتهم ونشاطهم اليومي فيها ، ومنه خرجت جميع المصطلحات الدينية والفلسفية والادبية وغيرها في حضارة الاسلام .

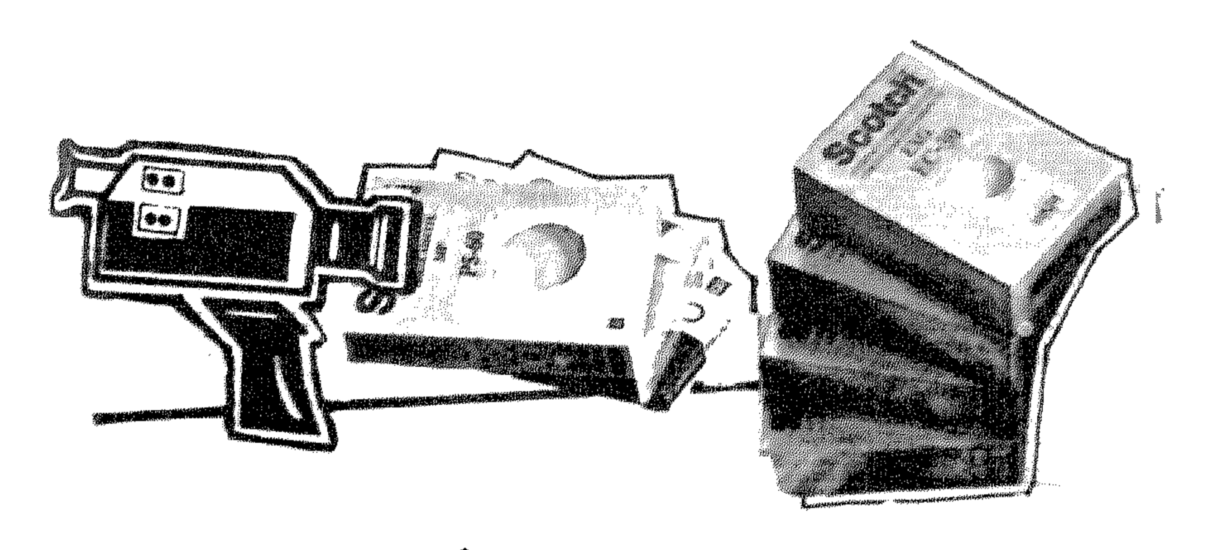
● يقال : اصبح القوم .. اذا دخلوا في الصبح .. ويقال : اليلوا اذا دخلوا في الليل .. ويقال : اقمروا .. اذا دخلوا في ضوء القمر .. ويقال : أيبس القوم .. اذا دخلوا في مكان يابس .. ويقال : أيمنوا .. اذا قصدوا نحو اليمن ، وثمة كلمات كثيرة من هذا القبيل ..

● يقول احد العامة اذا هدد صاحبه : « انا افدر افتدك » ! .. وهو قول لا يبعد عن الفصاحة .. تقول : « فادت الرجل » .. اى اصبت فؤاده .. اى قتلته ! .. وهذا هو معنى التهديد الذى تقوله العامة ، وليس قولهم « افتدك » اصله «افقدك» .. وهذا ما يبدو لكاتب هذه السطور على الارجح !.

● اعتاد المتادبون أن يكتبوا : « فلان اسقط في يده » بضم الالف .. وصوابها « سقط في يده » .. بضم السين وكسر القاف .. وليس فيها الف ولا همزة ! .. ومعناها : لم تبق له حيلة أو وسيلة ! ..

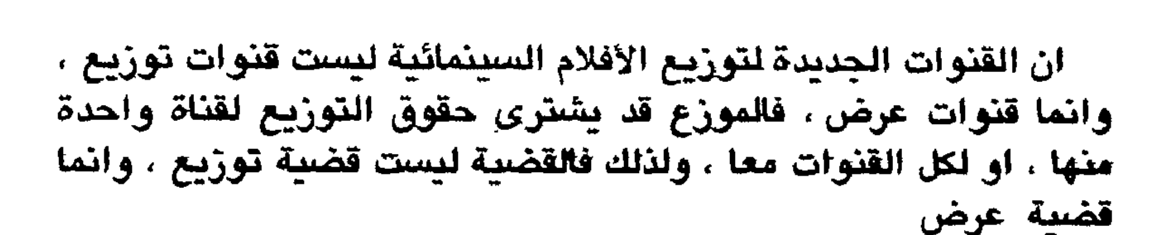


كتاب الهلال
يقدم :
المساحة الفارغة
هل المسرح ضرورى فى عالمنا ؟
بقلم : بيتر بروك
ترجمة : فاروق عبد القادر
يصدر ٥ ديسمبر ١٩٨٦
روايات الهلال
تقدم
الليل .. الرحم
تأليف
محمد روميش
تصدر فى ١٥ ديسمبر ١٩٨٦



أثر الفيديو على السينما

بقلم: سمير فريد



ان القنوات الجديدة لتوزيع الأفلام السينمائية ليست قنوات توزيع ، وانما قنوات عرض ، فالموزع قد يشترى حقوق التوزيع لقناة واحدة منها ، او لكل القنوات معا ، ولذلك فالقضية ليست قضية توزيع ، وانما قضية عرض

ومن ناحية اخرى ، فمشكلة الحقوق ، والحفاظ على الملكية مشكلة قانونية بحتة ، اى تتعلق بمدى تشدد أو تراخي القوانين ، وبمدى التشدد او التراخي فى تطبيقها . وهي ترتبط بالمستوى الحضاري لكل دولة .

وقد تبدو مشاكل القنوات الجديدة لعرض الأفلام السينمائية مشاكل عالمية ، ولكن الواقع انها تختلف من دولة الى اخرى حسب المستوى الحضارى لكل دولة ، او لكل مجموعة من الدول المتجانسة حضاريا .



إن قنوات عرض الأفلام فى مصر على سبيل المثال تتضمن الراديو ، منذ ان عرفت مصر الراديو وحتى الآن ، فهل هناك افلام تذاع بالراديو فى دول اخرى . والراديو فى مصر يذيع الافلام دون ان يحصل صاحب حقوق التوزيع فى مصر على أى حقوق ، وعقود التوزيع ذاتها لاتتضمن حقوق الراديو ، فهل هناك وضع مشابه لهذا الوضع فى دول اخرى .

ولقد حسمت ورقة العمل المقدمة للباحثين فى الندوة الدولية لمهرجان قرطاج السينمائى الحادى عشر نقطة اساسية فى موضوع بحث قنوات العروض السينمائية الجديدة عندما اكدت انه لاتوجد ازمة جمهور ، او بالأحرى ازمة متفرجين ، اذا اعتدنا تفرقة سارتر بين الجمهور والمتفرجين ، وهى تفرقة صائبة تماما ، بمعنى ان عدد الذين يشاهدون الافلام فى ظل الاشكال الجديدة للعروض وهى الراديو والتليفزيون ثم الفيديو سواء كان بالاشتراك فى محطة (كابل) ام بشراء الشرائط او ايجارها لم يقل ، وانما على العكس تضاعف اضعافا مضاعفة .

ومعنى هذا بالنسبة لصانع الفيلم ان جمهوره اصبح اذا كان لديه جمهور يتوجه اليه ، لأن وسائل مشاهدة فيلمه اصبحت اكثر ، اما اذا لم يكن لديه جمهور معين ، فقد أصبح لديه عدد اكبر من المشاهدين . فهو أذن لايعانى فى جميع الأحوال من كم المتلقين لعمله ، ولكن يعانى من تأثير هذه القنوات الجديدة على إبداعه الفنى .

● مشكلة جمالية ●

وتلك هى المشكلة . فاذا كانت مشكلة المنتج هى ضبط مواد تعاقده مع الموزع ، واذا كانت مشكلة الموزع هى قوانين الدولة التى يوزع فيها ، ومدى تشددها ، ومدى تشدد تطبيقها ، بحيث يحصل على كافة حقوقه كاملة ، فان مشكلة صانع الفيلم هى كيف يصنع فيلما للعرض على شاشة السينما فاذا به معروض على شاشة صغيرة ، او يجد شريط الصوت فقط يذاع فى الراديو ، والمذيع يصف حركة المشاهد حيث لايمكن الاكتفاء بشريط الصوت .

انها مشكلة جمالية بحتة ، مثل مشكلة الرسام الذى يكتفى بعض مشاهدى أعماله بمشاهدة الصور الفوتوغرافية لهذه الاعمال فى كتاب مطبوع ، ومشكلة الروائى الذى يكتفى بعض قراءه بقراءة روايته عندما ينشرها على حلقات فى صحيفة يومية قبل ان ينشرها فى كتاب . ففى هذه الاحوال يزداد عدد المتلقين للعمل الفنى ، ولكن لا يكون التلقى صحيحا لأنه تلقى لعمل آخر غير العمل الأصلى .

ودون وعى الفنان المبدع بالفرق بين عمله الأصلى ، وهذا العمل فى قنوات العرض الجديدة ، ودون وعى المتلقى بهذا الفرق ايضا ، يصبح تأثير هذه القنوات سلبيا تماما على تطور عملية الابداع فى هذا الفن او ذاك ، لأن التطور فى هذه الحالة يمضى فى اتجاه معاكس لتطور علاقة المتلقى بالعمل الفنى . وهذا الوضع جدير بأن يؤدى الى تدهور الفن خاصة مع ازدياد كمية الإنتاج لمواجهة ازدياد كمية المشاهدين .

ما العمل إذن . اننا لايجب ان نجد أنفسنا فى وضع مثل وضع شارلى شابلن عندما وصف الفيلم الناطق فى بدايته بأنه « حمار ينهق .. » ، ولم يدرك انه كذلك لانه



أثر الفيديو على السينما

فى البداية فقط ، وانه سوف يغير من طبيعة اللغة السينمائية ، ويجعلها اكثر تكاملا بأن تكون سمعية ـ بصرية ، وليست بصرية فقط . ولكن التغيير الذى تحدثه قنوات العرض الجديدة لايرتبط بلغة التعبير السينمائى من حيث هى لغة ، وانما يرتبط اساسا بتغيير العلاقة بين الفيلم ومشاهديه ، وعلينا ان نعمل ليكون هذا التغيير مع تطور الفن .

وليس من المجدى ان نقول لمشاهدى الأفلام إن عليهم مشاهدتها فقط فى دور العرض السينمائى لأن صانع الفيلم صنعه ليعرض فى هذه الدورة : هذا لن يحدث ابدا ، ولن يكون قائل ذلك غير دون كيشوت يحارب طواحين الهواء ، وليست المشكلة فى حجم الشاشة فقط ، فمن المؤكد ان شاشات تليفزيونية فى حجم شاشات السينما سوف توجد فى القريب العاجل ، وقد تنبأ بذلك راى براد برى فى روايته « ٤٥١ فهرنهيت » عندما وصف شاشات التليفزيون الجدارية . ولكن المشكلة ان تلقى الفيلم فى دار العرض يعنى انك تختاره ، وتخصص له وقتا ، وترتدى له ملابسا خاصة ، وانك تشاهده مع افراد اختاروه مثلك ، وخصصوا له وقتا ، وارتدوا له ملابسا خاصة .

اما الاستماع الى الفيلم فى الراديو ، فهو تقليد يجب ان يزول ، ولو بالقانون ، لأنه لا احد يملك الحق الاخلاقى فى ان يعرض نصف فيلم ، **بإذاعة شريط الصوت دون شريط الصورة** ، ويدعى انه يذيع الفيلم كاملا بوصفه اختيارا لشريط الصورة . اما مشاهدة الفيلم عند اذاعته فى التليفزيون فهو اختيار بالسلب اى من حيث توفر امكانية اختيار عدم المشاهدة وإغلاق التليفزيون او التحول الى قناة اخرى ، وكذلك الامر بالنسبة لتخصيص وقت للمشاهدة . والمؤكد ان المشاهد لايتفرغ لمشاهدة الفيلم كما يتفرغ فى دار العرض .

ويقف الفيديو بين دار العرض والتليفزيون ، فهو اختيار كامل مثل اختيار دار العرض ، ولكنه مثل التليفزيون لايعنى التفرغ لمشاهدة الفيلم . ولعل مايفتقد بالكامل فى عروض التليفزيون والفيديو هو المشاهدة الجماعية للفيلم ، ولكن المشاهدة الجماعية لها تأثيرها الاجتماعى فقط على تطور الفن السينمائى ، فدور العرض ، مثل المسرح ، من شأنها زيادة الترابط الاجتماعى بأن تعايش مجموعة مختلفة من الافراد تجربة شعورية واحدة .

● رقابة مستحيلة ●

وقد يقال هنا ان من بين مزايا العرض فى دور العرض ان الرقابة على الافلام فيها ، اقل تشددا من الرقابة على التليفزيون ، فيقال من الناحية الأخرى ان الرقابة على الفيديو مستحيلة عمليا لأنه لايمكن مراقبة كل شريط ، وعندئذ يصبح الفيديو افضل من دار العرض والتليفزيون

معا . ولكن هذا الحديث يجر أطرافه الى اختيارات ومفاضلات زائفة ، لأن الأصل فى العمل الفنى الا تحذف منه أية لقطة ، ومهما كانت اختلافات الرأى فهناك فى النهاية معايير لتعريف العمل الفنى .

لقد تنبأ جريفث بوجود الفيديو عندما قال انه مع بداية القرن القادم سوف تعرض الافلام فى القطارات والبيوت ولن تكون الصورة مهتزة ولا الصوت مشوشا . كان جريفث يقصد ان العرض السينمائى سوف يكون سهلا ، وبمعدات اقل حجما من معدات بداية القرن . وتنبأ جوناس ميكاس فى بداية الستينيات بالفيديو عندما قال ان فيلم المستقبل سوف يصوره مبدعه بكاميرا مثل القلم ويحمضه فى معمل ملحق بالبيت ، وسوف يوضع فى المكتبة جنبا الى جنب مع الكتب . وكان ميكاس يقصد ان التصوير السينمائى سوف يكون سهلا ، وبمعدات أقل حجما من معدات بداية الستينيات . وها نحن فى الثمانينيات نرى نبوءات جريفث وميكاس وقد تحققت بوجود الفيديو الذى يجمع بين سهولة التصوير وسهولة العرض ويجعل الافلام فى المكتبة مثل الكتب تماما .

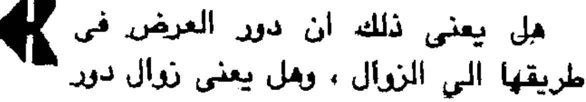
ومن البدهى أن يفضل الناس مشاهدة الأفلام فى الفيديو على مشاهدتها فى دور العرض لأن الناس تفضل دائما الأسهل ، حتى لو لم يكن الأفضل ، وهذا امر طبيعى . وتلك هى الخطورة الحقيقية للفيديو . فالفيديو لايعرض الافلام فقط ، وانما أيضا المسرحيات والأوبرا والباليه والموسيقى والاغانى والمباريات الرياضية ، ومع مرور الوقت يزداد رخص اسعار اجهزة الفيديو واسعار شرائط الفيديو ، فى الوقت الذى ترتفع فيه اسعار الكتب وكافة انواع المطبوعات بسبب زيادة اسعار الورق .

وسواء فى الدول النامية ، أو الدول المتقدمة ، فان تعاظم ثقافة الصورة لاينبغى ان يؤدى الى تدهور ثقافة الكليات ، فالانسان يختلف ويتميز عن غيره من المخلوقات باللغة التى ينطق بها ، ويعبر ويتواصل مع الآخرين . وهو لاينطق بلغته فقط ، وانما يفكر ايضا باللغة ، وكلما قرأ الانسان بلغة صحيحة بغض النظر عن موضوع او مضمون مايقرأ ، استطاع ان يفكر أفضل ، وبالتالى يعبر افضل ويتواصل مع الآخرين اعمق . والمؤكد ان نهاية الكلمة هى نهاية العالم .

إن كتب الديانات كلمات وليست صورا ، والقوانين كلمات وليست صورا ، وتراث الانسانية من العلوم والآداب كلمات وليس صورا ، حتى مفردات لغة الموسيقى حروف وعلامات مكتوبة وليست صورا ، وتراث الانسانية المصور يتمثل فى اللوحات والتماثيل فقط ، وهى منذ رسم الانسان أول رسوماته على جدران الكهوف لم تغنه عن الكلمة ولم تتعارض معها .

ولعل الدول التى تعتى بتنمية الانسان تدعم الكتاب كما تدعم رغيف الخبز ، وتقلل من ساعات الارسال التليفزيونى بعد وجود وانتشار الفيديو . ولعل دور المثقفين الطليعيين فى هذه الدولة أو تلك هو توعية الناس بشتى الوسائل والسبل بأن ثقافة الصور لاتغنى عن ثقافة الكلمات .

● الجمهور .. إلى أين ؟ ! ●



هل يعنى ذلك ان دور العرض فى طريقها الى الزوال ، وهل يعنى زوال دور



أثر الفيديو على السينما

العرض زوال الافلام السينمائية لتحل محلها شرائط الفيديو . الاجابة فى تاريخ المسرح الحديث ، فوجود دور العرض السينمائية لم يلغ دور العرض المسرحى ، ولكنه ادى الى تغييرها ، ووجود الفيلم لم يلغ المسرحية ، ولكنه ادى الى تغييرها ايضا ، بل اننا نستطيع القول بأن المسرح بعد السينما افضل من المسرح قبل السينما سواء من ناحية الجمهور ، ام من ناحية النص ووسائل الصوت والضوء والديكور .

لقد اخذت السينما من المسرح الجمهور الذى كان على استعداد لأن يترك المسرح اصلا ، وبقى للمسرح الجمهور الذى يختاره ويفضله . ونفس الامر حدث مع السينما بعد التليفزيون وبعد الفيديو.. ودور العرض بعد التليفزيون والفيديو لايقل عددها ، وانما تتغير ، وتتحول من دور عرض كبيرة تتسع لعدة آلاف ، إلى دور عرض صغيرة تصل الى ثلاثين مقعدا ، وتكاد تكون ملحقة بالمنازل ، ودور العرض الجديدة افضل من دور العرض التقليدية ، لأنها مجهزة باحدث وسائل العرض ، والمقاعد الوثيرة ، بل هناك فى بعض منها اقسام خاصة بالمدخنين .

والتطور الهائل فى وسائل العرض ومقاعد دور العرض هو استجابة لتحدى التليفزيون والفيديو اللذين يغريان المتفرج بتوصيل الفيلم اليه وهو مستريح فى منزله . فهذه الدور تغريه ايضا بمقاعدها المريحة ، وقربها من المنازل ، والأهم من هذا وذاك بمشاهدة صورة لايمكن ان يشاهدها على شاشة التليفزيون وصوت لايمكن ان يسمعه من خلالها سواء عن طريق الاذاعة التليفزيونية ام عن طريق الفيديو . كما ان الخروج من المنزل الى السينما يظل بالنسبة للغالبية الساحقة من الناس متعة فى ذاته .

لن تزول دور العرض السينمائى اذن ، وانما سوف تتغير ، بل قد تغيرت بالفعل الى ما وصفناه سالفا فى عديد من مدن العالم . **ولكن حتى لو زالت دور العرض ، لن تزول الافلام السينمائية ابدا ، اى الافلام المصورة على السيلولويد ، لأن انتاج هذه الافلام لايرتبط بوسائل عرضها من الناحية العضوية ، وكم من الافلام انتجت ولم تعرض قط باية وسيلة من الوسائل لهذا السبب او ذاك .**

ان الافلام السينمائية تعبر بلغة السينما ، وقد اصبحت هذه اللغة من بين لغات التعبير الانسانى المستقرة التى لايؤثر على وجودها التليفزيون او للفيديو حتى لو انتجت بعض الافلام خصيصا للعرض فى التليفزيون او الفيديو اما الاعمال المصورة على شرائط الفيديو سواء للعرض عن طريق الاذاعة التليفزيونية ام عن طريق الفيديو فلها لغتها الخاصة المستقلة تماما عن لغة السينما ، وهى لغة ماتزال فى طور التكوين حتى الآن .

التليفزيون والفيديو اذن هما سبب أزمة الاقبال على دور العرض ، ولكن اى دور عرض . ان هذه الازمة لا توجد الا حيث لايدرك اصحاب دور العرض أن عهد الدور الكبيرة التقليدية قد ولى ، وجاء عهد دور العرض الصغيرة المنتشرة فى مختلف الأحياء ، والمجهزة بأحدث وسائل العرض ، والتى توفر أقصى درجات الراحة بالهدوء والنظام والنظافة والهواء المكيف والمقاعد الوثيرة .

وهذه الأزمة لاتوجد إلا حيث يتصور اصحاب دور العرض ان العروض السينمائية هى فقط عروض الافلام التى تعرض لأول مرة ، وان متفرجى السينما هم فقط متفرجو الافلام التى تعرض لأول مرة . لقد جاء أوان نوادى السينما لتصبح هى السوق وتكف عن وجودها على هامش السوق ، وجاء اعضاء دور اعضاء نوادى السينما ليصبحوا هم المتفرجون وليسوا الفئة الهامشية التى لاتؤثر فى قليل أو كثير .

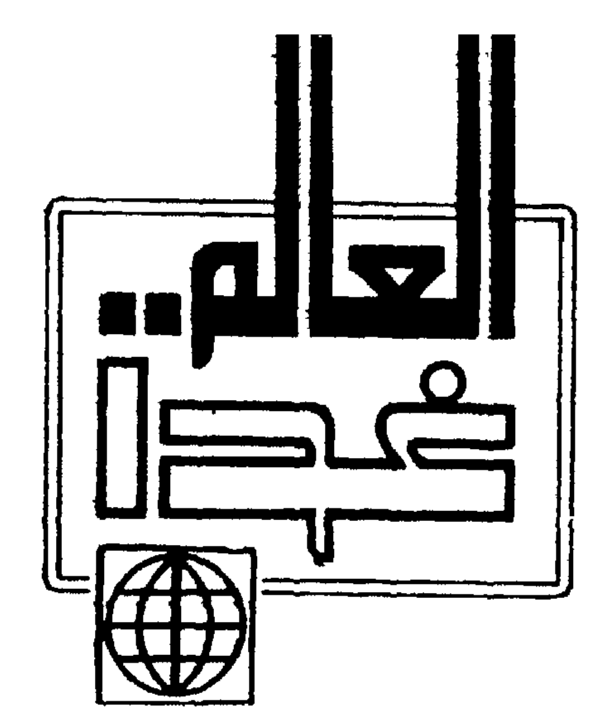
لقد أدى وجود التليفزيون ثم الفيديو الى بعث الافلام السينمائية القديمة ، وسهولة تداولها فى العالم ، فلم يعد عرضها مقصورا على متاحف وأراشيف الفيلم ، أو دور عرض الدرجة الثانية والدرجة الثالثة ، وانما اصبحت ولأول مرة تعرض للجميع من جديد ، بل وعادت الى دور عرض الدرجة الأولى وخاصة مع انتشار الدور الصغيرة ، وادى كل ذلك بالطبع الى زيادة ايرادات شركات الانتاج والتوزيع ، وايرادات العاملين فى صناعة السينما بالتالى . لقد حفظا افلام السينما من الضياع ، سواء الضياع المادى المتمثل فى تلف النسخ ، او الضياع الفكرى من ذاكرة الناس .

● سينما الفيديو ●

وهناك اليوم محاولات لصنع افلام سيتمائية بكاميرا الفيديو ، وخاصة بعد نجاح التجارب الأولى لانتاج نظام الأدوان الجديد « اتش دى تى فى » (هاى ديفينشان تيللى فيجن) الذى تصل فيه الخطوط المكونة للصورة الى ١١٢٥ خطا و ١٢٥٠ خطا بدلا من الخطوط الحالية السائدة ومجموعها ٦٢٥ خطا .

لقد اتجه اغلب الهواة الى صنع الأفلام بكاميرات الفيديو خاصة بعد أن انخفض سعرها فى الولايات المتحدة مثلا من ٢٠ الف دولار عام ١٩٧٥ الى الف دولار عام ١٩٨٥ . ولكن ما معنى افلام شرائط سينمائية بكاميرا الفيديو ، ولماذا لاتقول افلام فيديو ، او شرائط فيديو بدلا من شرائط السيلولويد التى تصنع بها الافلام . المقصود هنا ، وكما يفهم من كلمة انتونيونى فى ندوة الافلام الالكترونية التى عقدت فى مهرجان فينسيا هو استخدام لغة السينما ولكن على شريط الفيديو . وانتونيونى هو اول مخرج محترف استخدم هذه الكاميرات فى تصوير فيلمه .

ان الفصل بين لغة السينما وشريط السيلولويد امر مستحيل ، لأن الارتباط عضوى بينهما ، والمؤكد ان هناك لغة جديدة تتكون مع تطور الفيديو اجهزة وشرائط الفيديو المتلاحق ولم تزل « ثورة الفيديو » بعد فى بدايتها .



● التطعيم ضد البلهارسيا ●

تذهب بعض التقديرات الى ان عدد المصابين فى مصر بالبلهارسيا يقرب ١٠ ملايين نسمة وان خسارة مصر الاقتصادية نتيجة الاصابة بمرض البلهارسيا حوالى ٢٠٠٠ مليون جنيه سنويا كما ان هناك مشاكل عديدة تحيط حتى الان بالادوية المستخدمة فى علاج البلهارسيا ناهيك عن عدم وجود لقاح يؤمن الانسان ضد هذا المرض ٠

ومن المعروف ان الاصابة بالبلهارسيا تسببها طفيليات تقضى الطور الاول من حياتها فى قواقع تعيش فى الماء العذب وتخرج اليرقات المجهرية للطفيل ـ وتسمى السركاريا ـ من هذه القواقع لتدخل جسم الانسان من خلال الجلد حين يخوض المرء حافى القدمين فى القنوات مثلا ٠٠

ويستوجب العلاج الامثل للمصاب بالبلهارسيا القضاء على طفيلياتها قبل ان تبدأ فى وضع البيض داخل جسم المصاب ذلك ان القروح الداخلية الناتجة عن تكوين الانسجة الليفية حول البيض هى التى تسبب الاذى الاكبر فى هذا المرض ٠

لكن تشخيص الاصابة فى مرحلة مبكرة ظل حتى الان أمرا مستعصيا بسبب صعوبة التمييز بين الاصابة بالبلهارسيا وحالات التسمم بالطعام او الاصابة بالطفيليات او الديدان الاخرى ومن هنا كانت قيمة الفحص الذى توصل اليه اخيرا فريق من الباحثين الامريكيين الذى يمكن الاطباء من تشخيص الاصابة بالبلهارسيا قبل مرحلة التبويض بزمن ، وبعد اسبوع واحد من دخول اليرقات الى الجسم

ويجرى ذلك عن طريق مركب او كاشف كيميائى يبين وجود البروتين الخاص بيرقة السركاريا أى البروتين الذى يحفز على انتاج الاجسام المضادة عند دخول الدم او الانسجة التابعة لكائن غريب ٠ وتولى فريق الباحثين تحضير الاجسام المضادة للسركاريا وذلك بحقن بروتينها بعد تنقيته فى أرانب ثم القيام بفصل وتنقية الاجسام المضادة التى انتجتها الارانب كرد فعل لدخول بروتينات الطفيل اليها ٠

وقد اجريت عملية تنقية لهذه الاجسام المضادة وبدأ استخدامها تجريبيا لتشخيص الاصابة بالبلهارسيا فى الفئران بصورة مبكرة ونجحت هذه التجارب بالفعل ٠

وهكذا انفتح الباب للكشف عن وجود الطفيل المسبب لمرض البلهارسيا فى الانسان بعد اسبوع فقط من دخول الطفيل الى جسمه ٠ وبهذا يصبح ممكنا التخلص من الطفيليات قبل بدء المضاعفات الخطرة للمرض ٠

وجدير بالذكر ان فريقا اخر يشارك فيه العالم المصرى عادل عبد الفتاح

محمود استاذ الامراض الباطنية بجامعة كليف لاند الامريكية يدرس امكانية تحضير اول لقاح ضد البلهارسيا عن طريق استخدام الاجسام المضادة من ديدان وبويضات ويرقات البلهارسيا ، واختبار كل منها كطعم واق من المرض .

● فيروسات الحرب البيولوجية والايدز ●

كشف النقاب أخيرا عن دعوى قضائية تنظرها المحاكم الامريكيةضد وزارة الدفاع (البنتاجون) بصدد اخفاء كميات من فيروس ـ كان قد اعد للاستخدام فى الحرب البيولوجية ـ من احد معامل الجيش الامريكى خلال عام ١٩٨١ .

واكد أحد العلماء الامريكيين ان بمقدور الكمية المتسربة من هذا الفيروس الخطير المتسبب فى اصابة كافة سكان العالم بعدوى مميتة،مما اضطر الجيش الامريكى الى اصدار بيان اكد فيه عدم خطورة الفيروسات المختفية ..

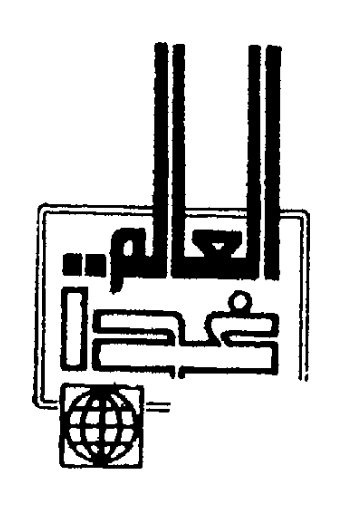
والدعوى التى رفعتها ضد البنتاجون واحدة من جماعات البيئة الامريكية تطالب بأن توقف معامل الجيش اجراء اية تجارب جديدة على الفيروسات حتى يتم تدقيق الاجراءات الامنية .

وجدير بالذكر أن هناك بعض وجهات النظر التى تزعم أن الضجة التى تحيط بالحديث عن مرض فقدان المناعة (الايدز) هى من اختراع وكالة الاستخبارات الامريكية التى اوجدت فيروس هذا الداء ليكون احد اسلحتها فى حرب الميكروبات ، حيث سبق واستعمله الجيش الامريكى ابان حرب فيتنام . ومن هنا حملة التمويه الاعلامية التىتستهدفالايحاء بتنوع مصادر الداء بل وتعمل على تحويل مصدر الايدز الى القارة السوداء ، وفى سبيل ذلك تتداهل وتتلاعب بتاريخ ظهور اول حالات الاصابة بهذا المرض .

وأيا كان نصيب وجهة النظر هذه من الصحة فان ملابسات الموقف كله تكشف عن المخاطر الجمة التى تحيط بانشطة تجرى فى الخفاء ، ويمكن ان يكون لها اثار مدمرة على الجنس البشرى برمته ، والملابسات المشار اليها ليست شذوذا فى بابها وليست مقصورة علىالولاياتالمتحدة الامريكية وأن كانت ظروف المجتمع الامريكى الخاصة تتيح ما يتعذر كشف النقاب عنه فى كثير من المجتمعات الاخرى ومنها من يحاول التحكم فى منطقتنا ومصائرنا . ان غياب الحديث لايعنى غياب العقل وبالتالى امكان وقوع الآثار المدمرة ..

● حرب النجوم علىحقيقتها ●





اتخــذ ٥٤٥ عالما بريطانيا قرارا بعدم الاشتراك فى مشروع « حـرب النجوم »(مبادرة الدفاع الاستراتيجى للرئيس ريجان) رغم انضمـــام بريطانيا وسميا لهذا المشروع • وقد اعرب هؤلاء العلماء ومعظمهـم من الخبراء فى الالكترونيات والفيزياء والرياضيات ، وبينهـم ثـلاثة من الحاصلين على جائزة نوبل ، اعربوا عن معارضتهم للمشــروع مؤكدين عدم صلاحيته للتنفيذ من وجهة النظر الفنية ، الامر الذى سيجعل النتيجـة الوحيدة لمواصلته تصعيد سـباق التسليح ، ذلك بالاضافة الى خلـقه عقبة اضافية امام الجهود الراميـة الى الحد من سباق التسلح النووى

ويلفت النظر ان هـذا جانب من وجهة النظر السوفييتية التى تعارض المشروع •

وجدير بالذكر ان ستة الاف عالم امريكى اعلنوا قبل ذلك ادانتهم لهذا البرنامج وقرروا عدم المشاركة فيه •

المهم ان الرئيس الامريكى رونالد ريجان مازال على ولعه بسـيناريو « حرب النجوم » ويكشف مبلغ هـذا الولع ما صرح به العـالم الامريكى جون باردى ، الحائز على جـائزة نوبل فى الفيزياء والمستشار العلمى للـرئيس ريجان ، لجــريدة « الحد من التسلح اليـوم » من أن الخطاب الذى القاه ريجـان يوم ٢٣ مارس ١٩٨٣ حول حرب النجوم تـم اعداده دون دراسة مسـبقة لامكان تنفيذه مع الخبراء الفنيين وحتى دون التشاور مع خبراء البنتاجـــون المختصين بصواريخ الدفاع أو جورج كيوورث مستشـاره العلمى • وبين باردين ان المستشــارين العلميين للرئيس ريجان كانوا قد عقـــدوا اجتماعا قبل ايام من اذاعـة هـذا الخطاب وناقشوا بعض الجوانب التقنية « لحرب النجوم » ولكن أحدا لم يكلف نفسه مشقة استشارتهم فى شأن مبادرة الدفاع الاستراتيجى ••

ويداعب الرئيس ريجـان بموقفه هذا احلام كثير من الامريـكيين فى التعامل مع العالم من موقف القوة ، ويسعى الى اقناع من لم يقتنعـوا ـ بعد ـ باهمية المشروع بصفته نقطـة مساومة اثبتت نجاحها مع السوفييت كما يعمل على استنزاف الاقتصـاد السوفييتى فى جولة جديدة لتكريس تقنية تسـلح باهظـة التكاليف ويستند ريجان فى ذلك كله بالطبـع الى دعـم الشركات والمؤسسـات المستفيدة من تنفيذ المشروع ، اذ يتوقع البعض أن تصل تكاليف اقـامته وتشغيله لعشر سنوات ٧٧٠ بليـون دولار •

● كيف واجه ١٠٠ الف يلعبـون ضـده ●

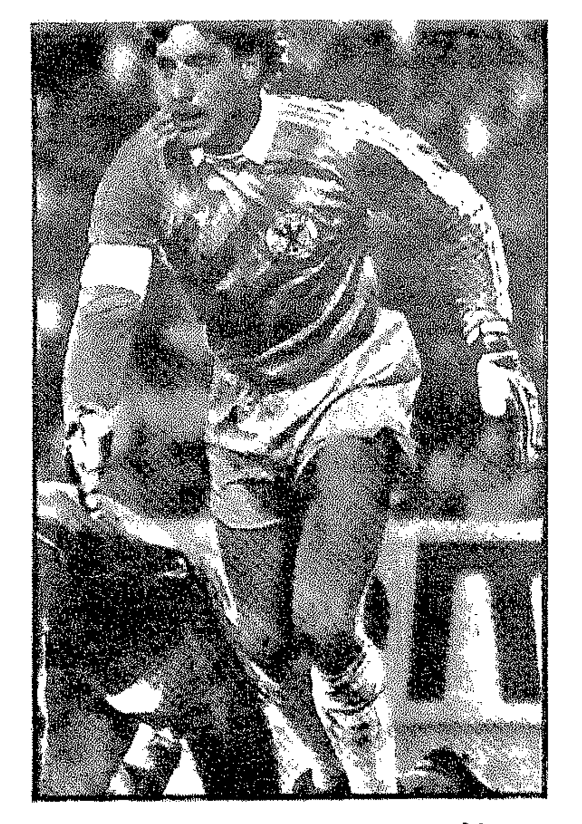
هل يمكن لاحـــد أن ينسى ذلك الاسبوع من كأس العالم الاخيـر ، الذى حسمت نتائج مبارياته ضربات الجزاء الترجيحية (بل ٢٧ ضربـة جزاء) وكان بين نجومه بـاتس

الفرنسي الذى صد ضربتي جــزاء وأخرج بذلك فريق البــرازيل من البطولة • وشــوماخر الالمــاني الغربي ، الذى أفلح في صـد ضربتي جزاء رغم زئير ١٠٠ الف متفرج ضده ليصعد بفريقه الى دور الاربعــة •

لقد صار حسم المباريات بضربـات الجزاء الترجيحية أحد الفصــول المثيرة فى مبغريات الكرة هذه الايام، وتكررت ظاهرة كأس العـــالم فى مباريات - الدورة الاسيوية أخيرا • ترى كيف يستعد حراس المرمى لمثل هذه المسئولية ؟ هل يقتصر الامــر على ما يشيع فى كلام المعلقين من أن التوفيق الذى يصادف حراس المرمى يرجع الى تركيز الواحد منهم عـلى الاتجاه نحو زاوية معينة و « هــو وبخته » ؟ لا بأس من ســماع رأى شوماخر نفسه •

يقول شوماخر عن صد ضــربة الجزاء : « أعتقد أن فرصة حـارس المرمى مكافئة لفرصة من يســدد الضربة فلا يمكن اغفال ان الضغوط النفسية على هذا الاخير اكبر بكثير من الضغوط الواقعة على حــارس المرمى ، لان الكل ينتظــر الى ضربة الجزاء باعتبارها هدفامحققاوبالتالى فليس هناك ما يفقده حارس المرمى حتى اذا فشل فى صد الضربة •

وأنا احتفظ بسجل خـــاص لمن يسددون ضربة الجزاء فى كل الفرق العالمية تحسبا لامكانية أن اواجــه احدهم وجها لوجه •• اسجل اســم اللاعب والنادى الذى يلعب له وكيف يسدد : بأى قدم ، وفى أى جـانب ، وحتى فى أى توقيت •• وأقوم بتجميع معلوماتى معتمدا على انطباعــاتى الشخصية وعلى الشرائط التليفزيونية للمباريات وعلى ما ينشر من صـور فى الصحف ناهيك عن أقوال زملائى من حراس المرمى ••



شوماخر

هذا عن الخصم فماذا يا تــرى عن اعداد حارس المرمى نفســه •• يقول شوماخر على الرغــم من ان الموهبة هى الأساس فى قدرات حارس المرمى الا انها لا تـكفى فــلابد من صقلها ودعمها بالتدريب الشــاق ، والقدرة على تحمل الالم ، وعــدم هيبة مهاجم أيا كان • هذا ولا يقتصر التدريب على المهـــارات الفردية واللياقة البدنية وتنمية رد الفعــل السريع بل يمتد الى الاعداد النفســى وفى هذا الصدد تفيد جدا تدريبـات التحكم فى النفس « أوتو تريننج » • وهى عبارة عن خبرات تتجمــع فى فرع علمى جديد بات يســتغل على نطاق واسع فى العالم المعاصر يواجه الانسان من خلالها ظروف الاجهـاد والانفعال والتوتر ، وطرائقه اقــرب الى بعض خبرات اليوجا الهندية ••

وان كان لنا من اضافة هنا فهى ان شوماخر قال هذا الكلام قبــل مباريات كأس العالم بشهور الامــر الذى يعزز مصداقيته ••

العالم.. غداً

● الاطفال العرب فى لبنان ●

أعلن الامير طلال بن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية نتيجة الدراسة الميدانية التى قامت بها الجامعة الامريكية فى بيروت بتمويل من البرنامج خلال عام ١٩٨٥ حول « عالم الطفولة فى لبنان » .

وقد كشفت هذه الدراسة عن أن :

- نسبة العائلات المهجرة من مساكنها ٥٤٪
- نسبة العائلات التى فقدت مورد دخلها ٥٩٪
- نسبة أطفال الملاجىء الذين يعانون من الاصابة بالامراض الطفيلية ٣٣٪
- نسبة الاطفال الذين طعموا ضد شلل الاطفال لا تتجاوز ٥٠٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من تسوس الاسنان ٦٢٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من فقر الدم ٤٢٪
- نسبة الاطفال الذين يعانون من الامراض النفسجسمية ٥٨٪

هذا كما كشفت الدراسة عن أن ٦٠٪ من الاطفال يعانون من عاهات مستديمة وعن أن اطفال الملاجىء أقصر قامة من اترابهم وعن ان ٤٠٪ من أطفال الملاجىء التحقوا بها رغم وجود والديهم على قيد الحياة ..

● يورانيوم من مياه البحر ●

بينما يكثر الحديث عن أزمة فى موارد اليورانيوم الموجودة على اليابسة أعلن الخبراء البريطانيون عن التوصل الى طريقة لاستخراج اليورانيوم من البحر بكميات معقولة يمكن ان تجعل مثل هذه العملية اقتصادية التكاليف .

وتعتمد الطريقة الجديدة على سلم متحرك يدور تحت الماء صنع حزامه الناقل من حصائر مجدولة من الياف بالغة الرهافة تستطيع التقاط اليورانيوم وامتصاصه ثم افرازه من جديد عند غسلها بمحاليل حمضية . ويمكن لحزام ناقل (طوله ٤٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار وسمكه لا يزيد على السنتيمتر) أن يجمع بطريقة التشرب ثم الافراز هذه حوالى ستة اطنان من اليورانيوم كل عام .

والانجاز العلمى الذى تعتمد عليه هذه الطريقة هو المادة القادرة على امتصاص اليورانيوم وتشربه فى درجات الحرارة الاعتيادية لمياه البحر ، وعلى اتمام هذا الامتصاص بطريقة انتقائية حيث لا يستخلص الا اليورانيوم مع ترك العناصر غير المرغوب فيها .

وترجع اهمية هذه الطريقة الى ان كميات اليورانيوم التى يمكن الحصول عليها من المحيط تزيد بمقدار الف مرة على الكميات الموجودة منه على اليابسة لكن مازالت هناك مشكلات كبرى تحول بين استخلاص الاطنان الثلاثة من اليورانيوم الموجودة فى كل كيلومتر مكعب من مياه البحر اهمها رفع معدل استخلاص اليورانيوم والتوصل الى طريقة لمنع الرمال العالقة بالمياه من سد وتلويث الالياف



بقلم : د. مصطفى الديوانى

« السيجارة » احدى مشاكل العصر التى تواجهنا ، فهى مشكلة يومية يعانى منها الفرد ، ويكتوى المجتمع بنارها لما تسببه من خسائر على مستويات متعددة ٠

فالسيجارة تحتل ـ ونحن هنا نتكلم عن مصر ـ ثلاث صفحات من جرائدنا ومجلاتنا كمادة يطالعها القارىء يوميا !! وتحتل ٣٢ دقيقة يوميا من مساحة الافلام التى يراها المتفرج مع كل فيلم ٠

وتشكل جرائم مخالفة التسعيرة الجبرية المتعلقة بالسجائر نسبة ١٠٪ من اجمالى هذه النوعية من الجرائم٠ كما تستقطع ٥٪ من ميزانية كل أسرة مصرية شهريا ٠ وتحتل ٩٥٪ من مجموع مبيعات السوق الحرة بمطار القاهرة ٠

ونحن اذن نعيش دنيا السجائر ، وعالم المدخنين عالم عجيب ومشحون بالحكايا والمفارقات : يستوقفنا احيانا طابور الصباح لعشاق السجائر « السوبر » ، يضحى بعضنا بجزء هام من قوت الاسرة مقابل علبة التبغ الاجنبية الانيقة ٠٠ ويضيع الصغار مصروفهم اليومى فى شراء السجائر « الفرط » الملوثة بايدى الباعة فى الاكشاك ٠

وترتفع حلقات الدخان من شفاه حواء بقصد المساواة المظهرية ، مع الرجل ، وتحتل علبة التبغ مكانا هاما فى « شنطة » يد المرأة بجوار



ادوات مكياجها ، وربما على حساب ضروريات اشد ٠

● السيجارة الاولى ●

من استطلاع أجريناه على نماذج متعددة خرجنا بالحصيلة التالية :

شاب عمره ٢٣ عاما يقول : « بدأت أول سيجارة وأنا في سنة أولى اعدادى ، فقد كان جسمى كبيرا عن سنى وكنت اريد أن اشعر بالرجولة ، فبدأت رحلة الدخان مع السيجارة الاولى ، ومن وقتها والرحلة لا تنتهى»

ويقول حمدى أحمد - ٢٦ سنة - خريج الفنية العسكرية :

● فى الكلية يحصل الطالب على مكافاة تعتبر كبيرة اثناء الدراسة ، والكلية مجتمع مغلق لا يكلف الطالب شيئا ، ورغم وجود لائحة تحرم تدخين السجائر فانها تباع فى بوفيه الكلية ويبدو أن كلمة « ممنوع ، مع وجود فائض من النقود ، مع مجتمع الكلية المغلق جعلونى أخوض تجربة السيجارة الاولى وبعد خمس سنوات تخرجتوقد عقدت صداقتى معها ٠

اما شريف طاهر - ٢٧ سنة - ضابط شرطة فيقول : كانت أول سيجارة لى داخل كلية الشرطة ، وكنت يومها محبوسا يوم الخميس ، وكنت أحس بأن حبسى تم دون وجه حق ، فاشتريت علبة سجائر كنوع من التمرد أو العناد لان السجائر كانت ممنوعة فى الكلية٠

ويقول أحد ابناء الصعيد : اننى من جبل الصف ، حيث تبدأ الرجولة من سن ١٠ سنين ، فعندما بلغت هذه السن أحضر عمى لى سيجارة وقال لى اشرب ، وعندما رفضت تدخل أبى وارغمنى - فلقد صرت رجلا ٠

الاصابع الرقيقة ايضا !

قد يكون محزنا أن تصبح البيئة هى الدافع وراء التدخين ، كما فى الحالة السابقة ، لكن الغريب فى أمر تدخين المرأة انها وهى الحريصة على جمالها تقوم بعمل مناقض ، فهى من جهة تدفع الكثير ثمنا لمستحضرات التجميل التى تخفى بها ماقد يكون قد ظهر على ملامح وجهها من تجاعيد ، ثم هى فى نفس الوقت تدخن فتظهر التجاعيد ٠

اسباب كثيرة تتجمع وراء السيجارة الاولى بالنسبة للمرأة ٠ احداهن ، وهى ربة منزل ، تقول انها بدأت باشعال سيجارة خاطبها والتقاط انفاس منها ، وكان هذا يشعرها بان خاطبها « رجل عصرى » يؤمن بمساواة المرأة بالرجل ، وتطور الامر ، حتى اصبحت تشعل لنفسها سيجارة بعد ان تشعل سيجارة خاطبها ٠

طالبة جامعية - ٢٤ سنة - تقول انها تلقت السيجارة الاولى فى غرفة الطالبات بالكلية ، كنوع من المشاركة مع اخريات سبقنها للتدخين ، وكنوع من الشعور بالتواصل ، « خلى الكلام يحلو » ٠

أما احدى المطربات فقد ظلت فترة طويلة تدخن لانها اعتقدت أن من مقومات مهنتها كما تقول أن تمسك بالسيجارة وتنفث الدخان ، كما ان كثيرا من « الصحفيات » و «المديرات» يعتقدن ان التدخين يضفى عليهن مسحة من الجدية والحزم ،والوقوف موقف الرجل ، لكن هذه المطربة التى امتنعت عن التدخين لا تزال تحمل فى حقيبتها دائما علبة سجائر ٠

ولكن ما السر وراء هـذا الرواج الكبير للسيجارة ؟ •

لقد تعددت الاجابات عن هذا السؤال لكن كلها تضمنت « الاعلان » كعامل اول يقف وراء رواج السجائر •

فشركات انتاج السجائر اصبحت تنفق على الاعلان مبالغ ضخمة تصل الى قيمة ما تنفقه شركات انتاج الملابس ، على الرغم من أن الملابس شيء ضروري للانسان ، بل قد تتفوق بعض شركات السجائر في ذلك •

فشركة « كيم » انفقت في العام الماضي للاعلان عن سيجارتها مبلغا تفوق على ما انفقته شركة « ليفز شتراوس » على الاعلان عن الجينز الشهير •

وتقيم شركات السجائر ندوات ومؤتمرات تدعو لها المتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية وتكلفهم بعمل « استبيانات » مع كل الاعمار ، ومع الجنسين ، تدور كلها حول التدخين بل وحول تأثير لون وشكل وحجم علبة السجائر !

● راى الطب ●

كما أن السيجارة كانت موضوعا لكثير من الابحاث والدراسات العلمية التى اثبتت جميعها ان التدخين أحد أهم الاسباب المعروفة للاصابة بالسرطان وانه قد يكون السبب الوحيد لسرطان الرئة ، وان ٩٠٪ من المدخنين تنعدم مناعتهم ضد مرض السل •

اما تاثير السيجارة على رجولة الرجل فقد اثبتت الابحاث ان عديدا من حالات عقم الرجال يتسبب فيها التدخين ، كما ان عددا كبيرا من النساء المدخنات تظهر عليهن اعراض قلة الهيرمون الانثوى ، الامر الذى يؤدى الى ظهور شعر الذقن والذراعين والساقين كما انه يسبب اضطرابات في الدورة الشهرية ، والبرود الجنسى وبعض حالات العقم والاجهاض . كما يصيب الاجنة بالتشوه •

اما الطبيب النفسى الدكتور يحيى الرخاوى فيقول « ان رايى لا يسر آدم ولا حواء من المدخنين ، فبالاضافة الى ما للتدخين من مصائب على الصحة الجسدية ، فانه من الناحية النفسية مسئول عن عدم قدرة المدخن على عمل علاقات حميمة مع الاخرين ، فالمدخن يستبدل الاخر بالسيجارة التى هى اكثر استسلاما ، واسهل حرقا ، واسرع استجابة حين يتركه من يتعلق به عاطفيا ، أو من يقسو عليه • ويعجز عن رده ، والناس يقبلون على السيجارة للتخفيف من وطأة العلاقات المهددة » والرؤية المزمجة ، واذا كان الانسان يحتاج الى شيء ليخفف منه فالافضل أن يكون هذا الشيء مرحليا وموقوتا للرجل والمرأة على حد سواء، دون أن يكون هناك استمرار وادمان•

فهل بعد ذلك ستبدأ الدرس الاول لمقاطعة التدخين ؟

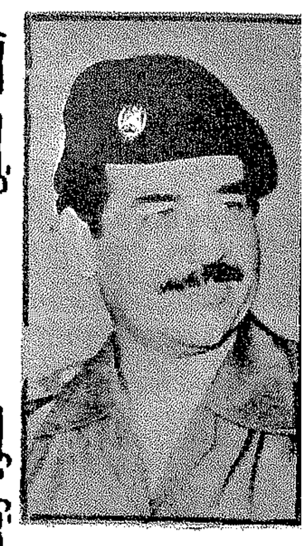
● الإفراط فى التدخين يسبب السرطان وعقم الرجال

● بداية التدخين مظهر حضارى يؤدى إلى الدمار

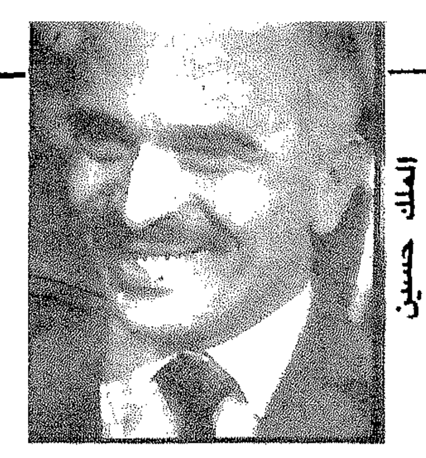
أزمة الجامعة العربيّة والنظام الإقليمى العربى!!

بقلم : جميل مطر

تتعرض جامعة الدول العربية لأزمة حادة تبدو فى ظاهرها أزمة مالية ، ولكنها فى الحقيقة أزمة سياسية متعددة الأبعاد . وليست هذه أولى أزمات الجامعة . إلا أنها تختلف عن سابقاتها فى العديد من النواحى تختلف من حيث طبيعتها ، فهى أزمة شاملة فيها معظم ملامح جميع الأزمات السابقة . فهناك تهديد دولة عضو بالانسحاب ، وهناك الانفراد لسياسات خارجية تتناقض مع مواقف الجامعة وقراراتها ، وهناك خرق لميثاق الجامعة والدفاع العربى المشترك ، وهناك تراخٍ ولا مبالاة فالقمة لاتعقد ، والأنصبة فى ميزانية الجامعة لاتسدد . ويكفى لتقدير طبيعة الأزمة الراهنة أن نعرف ان اى مظهر من مظاهر الأزمة الراهنة كان وحده كفيلا بأن يتسبب فى أزمة من الأزمات التى تعرضت لها الجامعة على مدى أربعين عاما من عمرها .



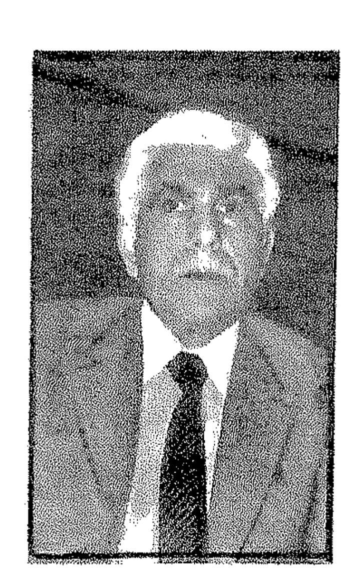
صدام حسين



الملك حسين



محمود رياض





الشاذلى بن جديد



وتختلف من حيث حدتها ، فالأزمة الحالية تهدد مشروعية الجامعة واستمرار وجودها كمؤسسة عربية ، لأن قوامها عدم الثقة . عدم ثقة بين الدول الأعضاء ، وبين الدول والجامعة . وبين الجامعة والشارع العربى . ولأن معاول التقويض تعددت واشتدت ضرباتها ، فمن مطالب بضم دول غير عربية الى الجامعة كمالطة وجزر المالديف وجزر القمر ، إلى قرارات تهدف الى اصناف المقاطعة العربية ضد اسرائيل ، الى توقف معظم مشروعات التكامل الاقتصادى العربى .

● أسباب للأزمة ●

وتختلف من حيث أسبابها ، فلا توجد للأزمة الراهنة اسباب مباشرة . وانما نشأت الأزمة وتطورت حتى تعمقت لاسباب يتعلق اغلبها بتغيرات بيئية وهيكلية وايديولوجية شملت النظام الاقليمى العربى . وفى هذا المقال أعرض فى ايجاز لبعض هذه الاسباب فمن التغيرات البيئية ـ وهى كثيرة ـ اخترت واقع التغير الجذرى فى طبيعة ومدى الاختراق الأجنبى للمنطقة العربية . ومن التغيرات الهيكلية وجدت النفط مثالا نموذجيا لآثار هذه التغيرات على ترابط الجامعة العربية وفاعليتها . ومن التغيرات الايديولوجية يبرز على الفور عنصر الانحسار القومى باعتباره الأكثر حدة وخطورة .

● الاختراق الأجنبى ●

نشأت جامعة الدول العربية فى ظل

أزمة الجامعة العربية

هيمنة مطلقة على النظام الاقليمى العربى . ولاشك أنه قد توافر فى ذلك الحين التوافق بين ارادة الاستعمار وارادات الدول الاعضاء حول الوظائف التى يمكن أن يحققها انشاء جامعة للدول العربية . اذ **كان الشعور القومى فى العالم العربى جارفا وكان لابد من استيعاب هذا الشعور او امتصاصه ، ضمانا لاستقرار هذه الدول** . فى نفس الوقت كان الخوف ـ لدى الاستعمار وبعض الدول ـ من ان تقوم دول عربية باستغلال الشعور القومى لتتجاوز حدودها المصطنعة وتتوسع باسم القومية على حساب جاراتها . اما الوظيفة الثالثة فكانت وظيفة استراتيجية ـ أمنية تتعلق بالمحافظة على الخصوصية العربية لهذه المنطقة لصالح التوازن الدولى القائم وقتذاك . وحرصا من الأباء المؤسسين للجامعة على تحقيق هذه الوظائف تجنبوا فى الميثاق النص على الوحدة العربية واكتفوا بصيغة التعاون الاقتصادى والسياسى والثقافى .

ثم تدرج النظام الاقليمى العربى فى التحول من واقع الهيمنة البريطانية الفرنسية الى الهيمنة الامريكية ، والواقعان شديدا الاختلاف ، ولكن يهمنا فى هذا المثال التركيز على اختلافين رئيسيين لهما علاقة مباشرة بأزمة الجامعة العربية . ويتعلق الاختلاف الأول بنظرة الطرفين الخارجيين الى مسألة العروبة . فالولايات المتحدة رفضت دائما التعامل مع المنطقة العربية كمنطقة لها خصوصية قومية ، ولكنها تعاملت معها كجزء من منطقة أوسع هى منطقة الشرق الأوسط . وهذه النظرة تعكس فى الواقع الاختلاف بين الاستراتيجية البريطانية والأمريكية . فالاستراتيجية البريطانية كانت تركز على حماية مستعمرات بريطانيا والممرات المائية والبرية والجوية المؤدية اليها . اما الاستراتيجية الأمريكية فتركز على مبدأ حصار الاتحاد السوفييتى عن طريق إقامة تحالفات او احلاف فى المناطق المحيطة به . وفى اطار هذا المبدأ يصبح من المتعذر اعتبار العالم العربى منطقة متفردة ، وإنما جزء من منطقة جغرافية ـ سياسية اكثر صلاحية لتنفيذ هذه الاستراتيجية .

لذلك كان الموقف الأمريكى منذ البداية مناهضا ليس فقط للتيار القومى العربى ، لكن أيضا لأى عمل تكاملى قد يدعم الخصوصية العربية . ان العمل التكاملى إذا نجح ، فإنه حتما سوف يبعث الروح فى التيار القومى ، والتيار القومى قد يتحول الى مد قومى يجرف فى طريقه استقرار وسيادة الاقطار العربية ويهدد الهيمنة الأمريكية على المنطقة . من ناحية أخرى قد يؤدى التكامل العربى إلى توثيق العلاقات الأفقية ـ وخصوصا الأمنية ـ إلى حد يضعف معه اعتماد اقطار المنطقة على دولة الهيمنة الرئيسية ، ويؤدى فى نفس الوقت الى اثارة مشكلات أمنية لدول غير عربية كاسرائيل وايران ـ الشاه ، وكلاهما من دعائم الاستراتيجية فى المنطقة . ومع ذلك فقد يبدو أحيانا أن

السياسة الأمريكية تسعى لنوع من توافق الرأى بين الدول العربية ، ولكنه ليس من الصعب على المراقب المدقق ان يلحظ على الفور أن فى جميع هذه المحاولات بلا استثناء يكون السعى الأمريكى من أجل تحقيق موقف عربى يخدم مصالح اسرائيل ، ويسهم فى عملية ادماج المنطقة العربية فى منطقة الشرق الأوسط .

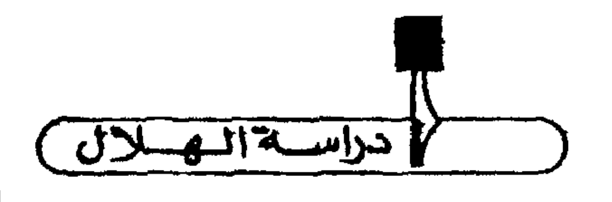
يكمن الاختلاف الثانى فى حقيقة ان الولايات المتحدة لم تشارك فى إقامة جامعة الدول العربية بل ولم تتحمس لها ، الخصم ومن ناحية أخرى وقفت الجامعة موقف الخصم من الولايات المتحدة مع بدايات الاختراق الأمريكى للمنطقة العربية . إذ اضطرت الجامعة إلى مسايرة المد القومى الجارف الذى ساد المنطقة خلال الخمسينيات ، وتسربت مفاهيم وسلوكيات هذا المد إلى داخل أجهزة الجامعة ، فتكونت للجامعة وظائف جديدة أكثرها تتناقض جذريا مع الوظائف التى سعى الاستعمار التقليدى الى تحقيقها بقيام الجامعة . وصارت الجامعة رمزا للقومية ومنبرا للمواقف القومية . وتسلل تعبير الوحدة العربية إلى عدد من وثائقها . وأقيمت مشروعات تكاملية حقيقية بعضها تعلق بصناعة السلاح والأمن الغذائى . وأصبح على الدول الأعضاء فى الجامعة ـ التى تختار ممارسة سلوك يتناقض مع الرموز القومية ـ أن تمارس هذا السلوك خارج الجامعة بتكلفة سياسية باهظة .

ولمواجهة هذا الوضع ، ومع تكثف الاختراق الأمريكى للمنطقة ، حدثت عدة محاولات لاضعاف الجامعة . فنشأت منظمات اقليمية أو مذهبية لا تشكل دول الجامعة العربية فيها أغلبية وتقوم بنفس وظائف الجامعة ، ونشأت منظمات اقليمية من بعض الدول العربية . وتكررت محاولات التدخل غير المباشر فى أعمال القمم العربية ، وتعددت أساليب الاختراق لأجهزة العمل العربى المشترك لاستدراجها الى مجالات عمل ومهمات فرعية عن مهمات تحقيق التكامل وتسوية النزاعات . وتوقف مشروع تصنيع السلاح ومشروع الأمن الغذائى ، وتجمد الحوار العربى الأوربى ، وتعثر التعاون العربى الافريقى .

● النفط العربى ●

قامت الجامعة العربية بدور كبير خلال مرحلة المد القومى من أجل حمايته من استنزاف الدول الأجنبية المالكة له ، واستعادة أصحابه الشرعيين لحقوقهم فيه . وانشأت الجامعة لهذا الغرض أجهزة متخصصة كانت النواة الحقيقية للتعاون القائم حاليا بين دول النفط . اذن فالنفط العربى مدين للجامعة العربية وللشعور القومى .

ومن ناحية اخرى لعب النفط دورا ايجابيا فى مساندة دول المواجهة العربية فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، وخلال حرب ١٩٧٣ ثم لعب دورا حيويا فى بناء عدة مشروعات تكاملية عربية خلال السبعينيات . ورفع مستوى طموحات التكامليين العرب ـ وخصوصا داخل أجهزة الجامعة العربية ـ الى حدود قصوى وجدت ترجمتها فى وثيقة عمان الشهيرة التى صدرت عن قمة عمان عام ١٩٨٠ . وعندها ـ أو ربما قبلها بقليل ـ بدأ دور النفط فى التكامل ينحسر وبالفعل تحولت وثيقة عمان من مشروع



أزمة الجامعة العربية

نهضة جماعية عربية الى مشروع يجسد الاخفاق الجماعى العربى ويجمد التكامل العربى ويصيب بخيبة الأمل كل التكامليين العرب .

ولكن يقابل كل انجازات النفط سواء على أرضه القطرية ـ وهى فى حد ذاتها رصيد للأمة العربية ـ أو على صعيد التكامل العربى ، سلبيات أيضا هائلة .

فمن ناحية تسبب النفط فى انشاء نظام للتفاعلات العربية لايقوم على أسس صحية . إذ إنه كمتغير رئيسى فى النظام الجديد لم يتمكن ـ بسبب طبيعته كمصدر وحيد لدخل معظم المنتجين أو بسبب علاقاته الخارجية ـ من أن يتمتع بالمرونة الكافية اللازمة لاقامة نظام تفاعلات قوى ومرن فى المنطقة العربية .

من ناحية ثانية : تسببت ثروة النفط فى خلق انماط جديدة لسلوك الدول داخل الجامعة العربية . ان كل مايقال عن ابتزاز الدول الأقل حظا فى الثروة للدول الأوفر حظا ، ومايقال عن تعالى دول النفط أو تدخلها فى توجيه السياسة العربية ليس فى الحقيقة سوى انعكاس لواقع صريح فى الجامعة العربية . فالدول النفطية بسبب ثروتها لايستطيع الآخرون تجاهلها ، ولكنها ـ وبالرغم من ثروتها ـ ضعيفة لاتستطيع تجاهل الآخرين ، وهو واقع كان يمكن أن يكون مفيدا ومثمرا للعمل العربى المشترك ، لأنه يمثل حالة مثلى من الاعتماد المتبادل . إلا انه للأسف أدى الى شلل الجامعة .

من ناحية ثالثة : تسببت الثروة النفطية ـ عن وعى فى أحيان وعن غير قصد فى أحيان أخرى ـ فى تسيب عدد من الأجهزة الادارية والمسئولة عن العمل العربى المشترك . وتكررت قضايا الفساد وتحكمت سلوكياته فى عدد من الممارسات ، وتراخى الانضباط الوظيفى والالتزام القومى .

من ناحية رابعة : كان لقيام مجلس التعاون الخليجى اثاره السلبية على كفاءة وتماسك جامعة الدول العربية . إذ إن قيام المجلس من دول كلها منتجة للنفط وتشكل دخولها مجتمعة نسبة كبرى من الدخل القومى العربى خلق شبهة التجمع النوعى ، وليس التجمع الاقليمى الذى يشجع الميثاق على قيامه . ومن سوء حظ الجامعة العربية أن يقوم هذا المجلس فى ظل انحسار قومى شديد يؤكد شبهة التقوقع ، وفى ظل عجز بقية الاطراف فى الجامعة من انشاء تجمعات اقليمية مشابهة .

● الانحسار القومى ●

من الأمور المتعارف عليها أن أية مؤسسة تفقد سبب وجودها واستمرارها إذا هى تخلت عن مصدرين لمشروعيتها ، اى اذا قصرت فى انجاز مهامها واذا تخلت عن النسق الفكرى أو الايديولوجى الذى يبرر وجودها وينظم تعاملها مع جمهورها بالنسبة للانجاز يتضح بجلاء أن المهمة الرئيسية وهى التكامل الاقتصادى وتسوية النزاعات لاتنجز

لاسباب سبق ذكرها . وبالنسبة للالتزام القومى فالوضع لاشك أشد خطورة .

الجامعة العربية - كما هو معروف - لم تنشأ بمشروعية الالتزام القومى ، ولكنها اعتنقت القومية بسبب ظروف حرب فلسطين وخلال مرحلة المد القومى . حينئذ فقط تحولت الى صيغة تمثل رمزا لحد أدنى يجسد فكرة العروبة . وكان هذا التحول يعنى فى الممارسة الفعلية أن تلتزم فى سلوكها رأى السلوك العلنى لأعضائها وقراراتها ووثائقها وموظفيها - بالسلوك القومى . فاصبحت الجامعة منبرا تتبارى فيه الدول لابراز مواقعها القومية .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، توالت فى ترتيب محكم وبتداعى لافت للنظر أحداث أسهمت فى انحسار التيار القومى . فالى جانب حملة اعلامية وسياسية وامنية هائلة طاردت القومية العربية واتهمتها بالالحاد وحملتها مسئولية النزاعات العربية والتخلف الاقتصادى ، نشبت حرب لبنان الطائفية ، وانتشر لهيبها الى اجزاء اخرى من الوطن العربى ، وتعرض الفلسطينيون شعبا وقيادة الى مذبحة تلو مذبحة ، وترحيل بعد ترحيل فى ظل صمت عربى رهيب . ووقعت اتفاقية صلح مع اسرائيل بتشجيع ثنائى من البعض أعقبه تنديد جماعى ، واحتلت اسرائيل لبنان ، وقصفت مفاعل بغداد . وكان الهدف تحطيم ثقة الشارع العربى فى حكوماته ومبادئه ومؤسساته القومية . وبالتدريج - وبسبب التقييم الاعلامى - انقطع الاتصال بين المواطن العربى وتطورات قضاياه القومية . فتقلص دور الشارع العربى فى صنع القرار العربى . وتحرر كثير من الدول العربية من ضغوطه .

وهنا تكمن خطورة هذا التطور بالنسبة للجامعة العربية ، اذ انه حين خفت صوت الرأى العام العربى ، وفقد الشارع العربى دوره على مسرح السياسة العربية ، انتهى دور الجامعة العربية كمنبر لهذا الشارع أو كرمز للحد القومى الأوفى وفتر ماتبقى من حماس الدول للجامعة ، لأنها لم تعد بحاجة الى منبر تبرر من فوقه تصرفاتها ، ولأن المنبر لم يعد له جمهور .

ازمة الجامعة العربية اذن ليست مجرد ازمة مالية ، وليست أزمة عابرة أو طارئة هى فى الحقيقة نتيجة حتمية للفراغ الايديولوجى الذى تتطاير فيه اقطار وامكانات وأهداف الوطن العربى . والدول العربية أو الأجنبية التى طاردت الفكر القومى واشخاصه وصحافته ومفكريه ونظمه السياسية لم تقدم بعد البديل الايديولوجى المناسب للمنطقة ، او اعتقد بعضها ان الواقعية السياسية - كمذهب رائج هذه الأيام - قادرة على تحقيق أهداف شعوب المنطقة فى غيلب ايديولوجية تضع ضوابط لهذه الواقعية وتحمى امكانات العرب وخصوصيتهم .

ومع كل هذا يتبقى للجامعة العربية رصيد أساسى لم يستنزف بعد .

فالجامعة مازالت - وكما كانت منذ نشأتها - قوة مضافة لدبلوماسية أى دولة عضو فيها . **ولاتوجد حتى الآن الدولة العربية التى تستطيع - مهما كان المدى الذى وصلت اليه فى تحالفاتها الخارجية أو فى مصادر قوتها الذاتية . ان تنسلخ عن الجامعة وتعزل نفسها عربيا الا بتكلفة باهظة .**



● احمد امين في ذكراه المئوية ●



● في ذكرى ميلاده المئوية نذكر تلك الصورة القلمية التي رسمها له المرحوم الاستاذ طاهر الطناحي مدير تحرير الهلال الاسبق في كتابه « حديقة الادباء » وقد رمز له بمالك الحزين حيث كان قدماء المصريين يرمزون به وهو من طيور الماء الى العالم المفكر .

نتذكره في حديقة الهلال كما تذكره المرحوم الطناحي بانتاجه المتعدد الالوان ، والمتنوع العطاء بما جعل احمد امين صاحب الذكرى في طليعة المفكرين العرب الذين اسهموا في مجالات الادب والفلسفة والاخلاق وتحقيق التراث، وحققوا ذاتية الفكر العربي المعاصر .

بدأ احمد امين الكتابة في سنة ١٩١٨ في جريدة النور دفاعا عن حرية المرأة وآراء قاسم امين الاصلاحية حتى الفترة التي امتدت من سنة ١٩٣٠ وحتى وفاته في ٣٠ مايو سنة ١٩٥٤، كاتبا في الهلال، واهم الخصائص التي تبلورت منه هي حرية التفكير ، وسعة الافق وقد استطاع ان يحقق بعصاميته المثال للاديب الموسوعي .. والمفكر الذى مزج الادب بالفلسفة في اطار من التاريخ الواعي للامة العربية ، وبين الثقافتين العربية والغربية ، كما كان ايمانه بضرورة التواصل الفكرى بين الشرق والغرب ، والتسامح المذهبي من اهم السمات في شخصيته ، ففي كتابه « الشرق والغرب » يثير تساؤلات تتعلق بالموقف العام للحضارة الغربية الحديثة ، والسبيل الى تحديد الفكر العربي ، ويجيب عنها في كتابه الى « ولدى » ويقرر قدرة العقل العربي على التجدد والعطاء والاسهام في مسيرة الحضارة الانسانية المعاصرة

واحمد امين في دوره الرائد في الفكر العربي كان جامعا بين ثقافة السلف وثقافة العصر الحاضر

كتب احمد امين مقاله الاخير « يضحك قوم ويبكي آخرون » في هلال مايو سنة ١٩٥٤ فاختتم به حياته الحافلة مفكرا كبيرا ومثقفا موسوعيا قدر له ان يلعب اخطر الادوار في حياتنا الثقافية الفكرية والادبية .

عمرو عبد المنعم حمودة
رئيس قرية بمحافظة الغربية

● لنا الله ●



يظل النزف متصـــلا
بهذا العالم الظـــمآن
وتسـقط زهرة الايام
والاحــلام فى الهجران
ونزرع خضرة الكلمــات
يطويهـــا لظى النكران
فكيف نظـــل يا قلـــبى
نجوب متاهـــة الحرمان
لنـــا الله ٠٠ لنـــا الله
لنا الله ٠٠ لنـا الرحمن
د ٠ احمد عامر

قصة قصيرة :
● زهرة تفتحت مبكرا ●

● يقطع الحجرة ذهابا وايابا فى ايقاع اقرب الى السـير فى رتابة واناة ٠٠ فى غاية السعادة هو ، تتالق الفرحة فى عينيــه الخضراوين ، يشـعر فى داخله كان زمام العالم صــار بيده ، الحمدوالشكر لك يارب - احاسيس شتى تتملكه ، تترجم فى النهـاية الى شعور بالسرور يكاد جسـده النحيل ان يرقص فرحا له ، كيف لا وقد فتح حصالته وقام بعمليـة احصاء لما فيها ؟ لقد اصبح الآن يملك خمسة جنيهات بالتمــام والكمال ، غير بضــعة قروش سيتنازل عنها لشقيقته الصغيرة!! الحمد والشــكر لك يا رب ٠٠ يستمر فى سيره داخــل الحجرة بايقاع اسرع ، الآن فقط يستطيع ان يثأر لكرامته ، اصــبح فى مقدوره ان يسير مرفوع الهامة ، سيرد على من اهانه ليس بالكلام فقط لكن بالفعل !!

سيمتلك عما قريب جدا « كرة قدم » لكى لا يذل نفســه لزميله الذى رفض ان يشركه فى اللعب بكرته واهانه وسط جمع من انداده تلاميذ المرحلة الاعـدادية ! يكف عن السير ، يجلس على مقعــد متهالك ٠٠ آه ما احلى الاحــلام الجميلة حينما تتحقق !! سيترك المنزل الآن ليشترى الكرة من محل الادوات الرياضية ، يــده تقبض على نقوده ٠٠ يقف ٠٠ يبـدأ فى السير ٠٠ تتحرك شفتاه بكلمات اغلب الظن انها اغنيـة ٠٠ يلقى النظر الى النقود وعيناه تلمعـان بفرح طفولى ٠٠ يعبر الطريق الى خارج الحجرة ولكـن ٠٠ يبطىء يتوقف تماما ٠٠ يصل الى سمعه صوت والده يخاطب امــه بنبرة

انت و الهلال

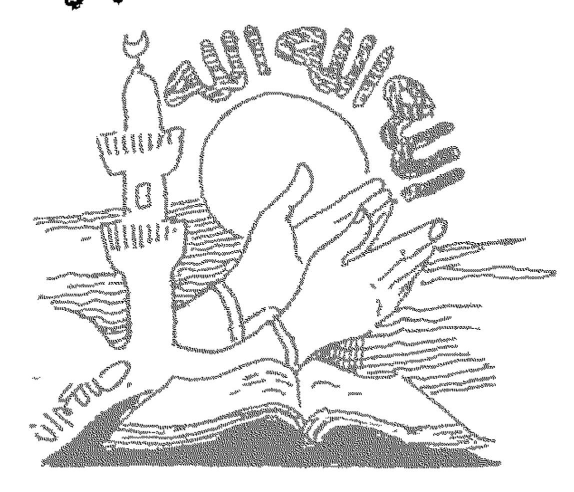
واهنة : اليوم الخامس والعشرون من الشهر وليس معى أى نقود !! يسمع الام فى صوت اكثر وهنا : « وما العمل ؟؟ » يجيب الاب فى استسلام : « ساحاول ان اقترض من احد الزملاء ! » تلف الشقة فترة سكون تسمع من خلالها ابواق السيارات وضجيج الباعة فى الشارع وما تلبث أن تقطع بصوت الباب وهو يغلق بعد خروج الاب الذى لم يلحظ الواقف فى ركن من الصالة ! وبحركة لا ارادية يتجه الى امه مادا يده بالخمسة الجنيهات فى خجل فطرى وابتسامة عذبة .. تترقرق دموع فى عينى الام وهى تطبع قبلة على وجنة ابنها .

عمرو محمد عبد الحميد
سوهاج

● تصوف ●

حنسانك واذكريني ما حييت
انا احيا بذكرك .. ما حييت
واسكن حبك الغالي بروجا
اشيدها ويجنح بى قنوت !
اعاودها على شغفى ولهفى
اعابثها .. فيحفظها الثبوت
جمالك قد تفرق فى دروبى
وغشى الكون.. فاجتمع الشتيت
فلا قبح يشين الكون نقصا
ولا غدر ولا داء مقيت !
ولا شر هنالك .. او عذاب
ولا الم به يوما .. بليت
عميت عن النقائص والدنايا
وعن جنات حسنك .. ماعميت!

عماد احمد غزالي



● الاحبار والجمارك ●

● فى كلمة «عزيزى القارئ» تحدثتم عن مشكلة الجمارك المفروضة على الكتب وعلى احبار الطباعة .. ان املنا كبير فى الحكومة ان تحل هاتين المشكلتين، وان يعود الكتاب المصرى الى عرشه ، ولعلها قامت بهذه الخطوة فعلا تدعيما للمسيرة الثقافية المصرية ..

عاصم فريد البرقوقي
الإسكندرية ـ شارع خليل مطران

● تعقيب على لغويات ●

● في عدد اكتوبر من مجلة الهلال ، وجهت صفحة لغويات سؤالا الى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وكان الشيخ قد قال ان كل ما جاء في القران من ريح فهو يعني العذاب ، اما الرياح فتعني الرحمة · وتقول صفحة لغويات ما قول الشيخ في الاية التي تقول: (هو الذىيسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ··) ٢٢ يونس ·· ان الاية الكريمة جاءت هنا على خلاف القاعدة التي ذكرها الشيخ !!

وقد تحدث السيوطى في كتابه المتميز - الاتقان في علوم القران وقام بالرد على سؤال لغويات الهلال ·· في اسلوب سلس

يقول السيوطى - جلال الدين: « الريح ذكرت مجموعة ، ومفردة، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت ، او في سياق العذاب افردت ·

وتمام الرحمة انما يحصل بوحدة الريح لا باختلافها فان السفينة لا تسير الا بريح واحدة من وجه واحد ·

فان اختلفت عليها الرياح ·· كان سبب الهلاك والمطلوب هنا ريح واحدة ولهذا اكد المعنى بوصفها بالطيبة » معنى هذا انه لو قال - جل شانه - وجرين بهم (برياح) · اتباعا للقاعدة ·· لفسد الغرض واختلت الصورة · لان الرياح ستتناوش السفينة من كل جانب بينما هي في حاجة لريح واحدة تملأ الاشرعة فتدفعها للامام ·· وحتى لا يختلط الامر وصف الريح بانها غير ما اتفق عليه من قبل ·· فهى ريح طيبة · والله اعلم ·· ولعل في هذه الكلمة العجلى ما يغنى ·· والله من وراء القصد ·

عبد الله السيد شرف

● تعليق :

- اكتفينا من رسالتكم المستفيضة بهذه السطور التى تبين المعنى الذى تقصدونه ، وانتم تعلمون ان كافة المطلعين على تفسير القرآن الكريم يعرفون استعمال كلمتى الريح والرياح في اسلوبه المعجز ، ولكن الشيخ الشعراوى ذكر ذلك بلا استثناء الآية ٢٢ في سورة يونس ، فلزم ان ننبه اليها ، ومن المعروف ان الشيخ الفاضل انما ينقل من كلام قدماء المفسرين ، ولا وقت لديه في احاديثه التليفزيونية العاجلة للاشارة الى المصادر التى ياخذها عنها، وهو معذور لان الاحاديث التليفزيونية ليست بحوثا علمية موثقة ·· ونشكركم·

انت .. و الهلال

● شعر العقاد ●

● طالعنا في عدد اكتوبر من الهلال كلمة للاستاذ محمد سيد كيلانى يهاجم بها شعر العقاد وشخصه .. والعقاد لن يؤثر في شخصه او مؤلفاته راى مثل راى الاستاذ كيلانى الذى اقول له هل تريد شهرة على حساب انطاول على الاستاذ العقاد ، واين مؤلفاتك حتى نعرفك ، واين انت من الاستاذ العقاد ؟ ! ..

محمد عبد الوهاب المراكبى
مدير الادارة الاجتماعية بسنورس

● مزاعم الكاتب الجبار ●

● كتب زكي مبارك يقول في كتابه « احمد شوقى » الذى صدر من تسع سنوات : « زعم الاستاذ العقاد بعد موت سعد باشا ان سعدا كان يسميه الكاتب الجبار وكنت استغرب من هذا واقول : كان يجب ان يذاع هذا الوصف وسعد حى ، أما التقول على سعد بعد الموت فهو ضرب من الخيال ورايى في انعقاد ليس بالراى الطيب فقد كنا زميلين في تحرير البلاغ وزميلين في تحرير الرسالة وما قرات مقالة ارضتنى فهل كان سعد من الجهل بحيث يخلع عليه لقب الكاتب الجبار ثم تظهر الحقيقة المؤذية ، والقول الحق ايذاء في ايذاء ؟!

ظهرت الحقيقة حين اصدرت مجلة الثقافة عددا خاصا عن سعد زغلول وكان الاستاذ محمد كامل سليم سكرتير سعد يدون مذكرات يومية عن حياة الزعيم فدعته مجلة الثقافة لتقديم كلمات في تلك المذكرات قال الاستاذ كامل سليم ما نصه : « ان سعدا كان يسمى الاستاذ عبد القادر حمزة (الكاتب الجبار) وانه سال سعد باشا عن سبب تسميته بهذا اللقب فقال : « عبد القادر كاتب مفحم وكتابته لا تقوم على الزخرف وانما تقوم على المنطق»

من هنا يظهر لى ان شخصية العقاد ليست سوية لانه يخلع الالقاب على نفسه ليدارى عجزا يعرفه هو ، وعلى الذين يعانون من السيكوباتيا والرومانيكية العصبية ان يراجعوا معاركه مع

« الرافعى » فهى وحدها البرهان الواضح لمزاج صاحبنا .

علي مصطفى العشماوى
بنك القاهرة فرع شربين

● الحاقد على العقاد ●

● يبدو لى ان هذه المذوبعة التى اثارها الاستاذ كيلانى اراد ان ينال بها الشهرة بعد ان عاش فى الظل ٧٤ عاما لا احد يسمع عنه ، هل حظيت كتب الاستاذ كيلانى بالدراسات العليا مثل الماجستير والدكتوراه وليس ذنب الاستاذ كيلانى انه لم يفهم كتب العقاد فلم يفهم كتب العقاد كثيرون مثل د . طه حسين لم يفهم كتاب عبقرية عمر وقال عن ذلك لم افهم كتابا اقرب الى الفلسفة منه الى التاريخ ويقول د . طه حسين : ان منزلة العقاد عندى منزلة ضخمة وآثاره العلمية والادبية تشهد له بالعبقرية والنبوغ واذا كانت الشمس ساطعة ونظرنا اليها ولم نرها فالرمد فى اعيننا نحن ، والعقاد كالشمس تضيء لنا الطريق وهدانا الله واياك لحسن السبيل

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم



العقاد

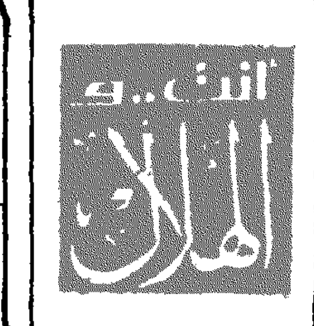


د . طه حسين

● العقاد خالد ●

يا استاذ كيلانى كفاك هجوما على العقاد فلن تتحدى التاريخ ولن تغير من الامر شيئا ، فالعقاد باق واعماله باقية بقاء الدهر . وما عليك الا ان تراجع نفسك وعفا الله عما سلف !

ابراهيم طنطاوى - ١٣ ش السلطان سليم مصر الجديدة



● اخاف الغدر ●

ما بين ضلوعي يذكرني
بعذاب الهجر
هل حقا قلبك يذكرني
يا ضوء الفجر
ان كان ضميرك ينساني
هل معك الصبر
فبريق عيونك يشقيني
هل معك العذر
وجنود الشك تطاردني
واخاف الغدر
فليالي البدر تؤرقني
ويذوب الدهر
وانا اشتاق لرؤيتها
من قبل العمر

خالد سعد الدين محمد الصغير



● كفى عراكا حول العقاد ●

● لا اعتقد ان « الهـــلال » سعيد بما يجرى على صفحاته من حوار حول العقاد بلغ حد التهاتر بين الاستاذ محمد سيد كيلاني ومعارضيه ، فنرجو اغـــــلاق هذا الباب ، والكف عن نشـــر المقالات الناقدة لانتاج الاستـــاذ العقاد ، فما نشر منها يـــكفي

احمد قاسم احمد
مدير التعليم الثانوى
بمديرية قنا للتربية والتعليم

تعليق :

● نوافق الاستاذ احمد قاســم احمد على ان موضوع العقـــاد وشوقي قد قتله اصحابه عراكا ، وقد وجب ان توضع له نهـــاية » نرجو أن يوافقنا القراء علي اغلاق أبواب هذه المعــركة ، فلن ننشر بعد اليوم عنها شـيئا ·· وفي المقالات والتعليقات الجادة متسع للجميع ! ··

● مع الاصدقاء ●

● محمد العائش القولى ـ تونس:
ـ نشكركم على تهنئتكم للهلال بدخوله فى سنته الرابعة والتسعين فى خدمة الثقافة العربية

● محمود عبد الحفيظ :
ـ قد عرفنا عذرك في ارســال قصيدتك الينا والى مجلة اخـرى

فى وقت واحد ونرجو ان تتنبــهفى المرات القـادمة اذا اضطررت

الى ارسال نسختين من قصــيدة واحدة الى مجـلتين ·· ونرحب بكم على هذا الاساس ، وعفا الله عما سلف ·

● صلاح والى :

ـ اعترف لك يابنى العــزيز اننى ـ بكل اسف ـ لم اســمع باسمك من قبل ، وهذا تقصير منى لا منك ، لا يضيرك ،لان كثيـرين لا يعرفون حتى الان اســــم شيكسبير ، واما نجاحك الــذى تتحدث عنه فلا ادرى شيئا عنه ولا اعلم ان كان نجاحا فى الشعر ام فى القصة ام فى المسلسلات ام فى شىء اخر ، غير ان الــذى يعنينى حقا ان ما ارسلته الينــا من تفعيلات ، كان فيه اشــياء ينقصها الوزن الى جانب الاشياء الاخرى الموزونة ·· ولك الاحترام ولكل الصحف التى تنشر شــعرك فلعل هذه الصحف لا تبالى الاوزان او تحتاج الى معرفة الاوزان ·· اما نحن فحريصون على صــحة اللغة وصحة الاوزان ، ســــواء كان الشــعر تفعيليا او غيـــر تفعيلى ·· وتغفر لك تشــــبيه نفسك بطه حسين وعلى عبد الرازق ويوسف ادريس ، فرحم الله من عرف قدر نفسه ·· واخيرا نقول لك يا بنى : اننا ما ارشدناك الى اوزانك المكسورة ، الا لــكى تحاول « تجبير » كســـورها ، لا لتاخذك العزة بجهل الاوزان·· يا بنى العزيز ! ··

● نشر الهلال فى العدد الاسبق قصيدة للشاعر محيى الدين عطية بعنوان « الناموس » وقد وقــع خطأ غير مقصود فى اسم الشاعر نعتذر اليه منه !

● عبد المجيد محمد عبد المجيد الاسداوى ـ الطويلة ـ شرقية :

ـ اشعاركم كثيرة وغـزيرة ولعلكم توافقوننا على اننا لانقدر على نشر ست عشرة صــفحة لشاعر واحد ، فاختر قطعــة مناسبة وارسلها الينا مشــكورا

● وردت الينا رسائل من عدة مدن وقرى فلسطينية من السادة : محمد شكرى سوير جو «غزة» محمد عبد العزيز « فلسطين »·· نادية حسين « عكا » .مها محمـد طاهر « قرية اللاجئين بفلسطين » عبد الكريم عبد الله موسى عياد « لواء رام الله » ·· محمد حسن « يافا » ·· ورسائل اخـــرى لا نستطع قراءة الاسماء والعناوين فيها ·· ونشكر اخواننا واخواتنا هؤلاء على رسائلهم ونعتذر اليهم بسبب ضيق المجال ·

● ملحوظة :

ـ بقيت لدينا من رسائل هذا الشهر بضع عشرات ، نرجـــو ان نتمكن من الرد عليها تبــاعا فمعذرة ! ··
والى الاعداد القادمة ان شاء الله

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١ .

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			